

# تاريخ مسلمى صقلية

كتبه: ميكيلى امارى

إعداد

د. محب سعد إبراهيم

المجلد الثالث

الجزء الأول

(الكتاب الخامس)



## المجلد الثالث

### الكتاب الخامس

ترجمة	مراجعة
أ. د. محب سعد إبراهيم	أ. د. سوزان بدیع اسکندر
أ. د. عماد حسن البغدادي	أ. د. محب سعد إبراهيم
أ. د. سهيمة سليم صالح	
د. عبد المحسن عبد الباسط	

### الكتاب السادس

ترجمة	مراجعة
أ. د. سوزان بدیع اسکندر	أ. د. سوزان بدیع اسکندر
أ. د. محب سعد إبراهيم	أ. د. محب سعد إبراهيم
أ. د. عماد حسن البغدادي	
أ. د. سمير مرقص موسى	
أ. د. ربيع محمد سلامة	
د. نرمين وجيه حكيم	





### تنبيه

ينبغي على وأنا أشرف على إصدار هذا المجلد الثالث بعد عشر سنوات من نشر المجلد الثاني، ومع هذا أقدمه غير كامل، ينبغي على أن أبرئ نفسي من هذا التأخير الذي قد يبدو لا مبرر له على الرغم أنه من المعروف أنني قد جمعت المادة العلمية منذ وقت طويل أثناء إقامتي في باريس ووضعت الصورة المبدئية للكتاب من بدايته إلى نهايته. إن المجلد الأول صدر سنة ١٨٥٤ وصدر بعده المجلد الثاني سنة ١٨٥٨، وفي السنة نفسها تم جمع ٥٤ صفحة من المجلد الثالث في المطبعة. ولكنني عندما عدت إلى إيطاليا بسبب الأحداث الكبرى التي وقعت بها سنة ١٨٥٩، لم أعكف على العمل في مكتبي، فقد شغلني بعض المناصب العامة، وكتب أخرى عن تاريخ مسلمي صقلية، الذي استطعت أن أرجع إليه سنة ١٨٦٢ لبعض الوقت وسنة ١٨٦٥ وحتى الآن لكتابة ما بقي من الكتاب الخامس، والذي ينتهي باستقرار الحكم النورماندي ويشكل الجزء الأول من هذا المجلد الثالث، أما الجزء الثاني، أي الكتاب السادس، فسيتناول أعمال المسلمين الذين أخذ وجودهم يتضاءل شيئاً فشيئاً في الجزيرة. ولدى من الأسباب ما يجعلني أمل أن يكتمل هذا الجزء الأخير من المجلد ومن العمل كله في وقت قريب، حتى أستطيع خلال العام القادم أن أبدأ في ترجمة النصوص العربية، التي قمت بطباعتها في ليبزج سنة ١٨٥٧؛ والتي تمثل المصدر الرئيسي لهذا التاريخ.

ولا ينبغي النية الصادقة أنني، بعد غيبة استمرت عشر سنوات، لا أريد أن أنتظر عشرة شهور أخرى لاستكمال هذا المجلد. ولقد طلبت من الناشر أن ينشر الجزء الأول دون إبطاء، لأن الكتب تتقدم اليوم سريعاً، وبخاصة أنه قد ظهرت في إيطاليا ووراء جبالها أعمال حول فترات تاريخية تتلامس من ناحية أو من ناحية أخرى مع ما

أخذت في دراسته، وأعلم أن هناك أعمالاً أخرى قيد الإعداد، ومن المنطقي ألا يبقى جهدي، أيما كان حاله، دون أن يعود بالفائدة على الآخرين؛ وأن يجنى كل فرد ثمار أفكاره وأبحاثه. وعلى الرغم من مرور وقت طويل بين طباعة الفصول الأولى ونشرها، إلا أنني لا أجد نفسي مضطراً إلا لإضافة أو تعديل بعض الألفاظ في النص أو في الهوامش، في ص ٢٥ و ٣٦ و ٥٥ و ٩٠، كما سيظهر في صفحة تصويب الأخطاء بنهاية المجلد. وقد قمت بتصويب أجزاء قليلة جداً بأن أعدت كتابة الصفحات ٤ و ٥ و ٩ بعد نشر مقتطفات من الفصل الأول ومن الفصل السادس في المختارات الجديدة *Nuova Antologia* في مايو ١٨٦٦.

فلورنسا، أبريل ١٨٦٨

م. أماري

## الكتاب الخامس

### الفصل الأول

مع الأسباب التي كانت تنخر في الدولة الإسلامية هي صقلية من الداخل عملت أسباب خارجية أخرى في الوقت نفسه على سقوطها. فبالإضافة إلى رد الفعل العام لدى المسيحيين في الغرب ضد الطوائف الإسلامية. اشتعلت مع بداية القرن الحادي عشر جذوة الحرية لدى شعب الجزيرة وشعوب ما وراء جبال الألب التي اختلطت قبل قرون فوق أراضينا وامتزجت لتكون الشعب الإيطالي الجديد. وهذه الحركة أخذت. كما يحدث دائماً، شكلاً مختلفاً حسب المواقف المحلية: فقامت بأعمال هجوم ثأري من الخارج حيناً، وتطلعت إلى التحرر من الحكم الأجنبي حيناً؛ وأدت إلى أعمال ونظم وهي النهاية إلى أشكال ديمقراطية في حين آخر؛ وكثيراً ما شاركت في هذا وذاك، وكانت العداوة المتبادلة شديدة بين المواطنين. ولكن موضوعنا يتعد الآن عن الحروب الأهلية ويقودنا إلى مجموعتين من الأحداث التي مهدت لفتح صقلية: أي حرب بيزا وجنوة ضد المسلمين، وطرد البيزنطيين من جنوب إيطاليا.

منذ منتصف القرن العاشر يظهر أهالي بيزا في التاريخ أحراراً في البحر ورعية خاضعة في البر؛ وكان الحكم في البر باسم ماركيز توسكانا والامبراطور الجرمانى، الذي كان عاجلاً إقطاعياً، أما في البحر فكانت التجارة، وكانت بالضرورة تتم في حماية السلاح وسط المسلمين الذين كانوا يمخرون عباب البحر المتوسط من كل ناحية، كانت التجارة قد حملت المواطنين إلى الاستقلال، ولم تكن بمنأى عن

المشك، ولكنها كانت محل رضا سادة الوطن الذين لم تكن لديهم قوات بحرية فكانوا يقبلون هذه القوات بكل رضا وطيب خاطر. وقد اتحد بكل تأكيد أصحاب السفن معاً، ومن المؤكد أنهم تشاوروا وقرروا القيام بالعمليات البحرية، وجهزوا لها الوسائل بالطريقة نفسها التي اتبموها عندما كان هدفهم الرئيس هو التجارة؛ وقسموا بينهم الغنيمة كما كانوا يتقاسمون المكاسب، وأدت الشركة، أيأ كان اسمها وشكلها في تلك الأزمان الأولى، إلى قيام حكومة الجمهورية. كان أبناء بيزا قد حاربوا حرب سنة تسعمائة وسبعين ضد مملسى صقلية(1) وربما حروباً أقل شأنأ ضد مملسى أفريقية وإسبانيا، وكانوا قد كابدوا أحداث سنة ألف وأربع عندما قامت سفن المسلمين بنهب أحد أحياء المدينة(2) ولكي يثأروا لما حدث ولتأمين تجارتهم، قام أهل بيزا بإنزال سفنهم إلى البحر التي هزمت الصقليين في ريجو.

- (1) انظر الكتاب الرابع، الفصل السادس، ص ٢١٥ من المجلد الثاني.  
 (2) *Chronicon Pisanum* في كتاب موراثوري *Rerum Italicarum Scriptores*. المجلد السادس، ص ١٠١ وكذلك *Breviarium pisanæ historiae*. ص ١٦٧: ومرنجوني، في *Archivio Storico Italiano*. المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٤ وكلها في وقائع سنة ١٠٠٥ حسب تقويم بيزا. ويضيف *Breviarium* الذي تم تصنيغه في نهاية القرن الثالث عشر أن المراسنة كانوا قد هددوا روما، وهو أمر بعيد الاحتمال ومخالف كما اعتقد بهدف إبراز اغتيال أهل بيزا للمجلس البابوي ومطالبته بمنعهم جزيرة سردينيا، وشيأ فشيأ خلط مصنفو بيزا الرواية فوضعوا هذا الهجوم في سنة معركة ريجو نفسها. وفي غيبة الأسطول: ثم انتمش المشهد بمجاهد (موزيثو) وبالبطة كزيكا وبتحريض البابا وبخطب قتالة بيزا والتي افترضوا لها تواريخ وأسماء وألقاباً إلخ. انظر هذه القصص في كتاب سارنو. *Cronaca Pisana*: وفي كتاب رونشوني، *Storie Pisane* في *Archivio Storico Italiano*. المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٧٦، والجزء الأول، ص ١٩ و ص ٥١ وارجع إلى موراثوري، *Annali d'Italia*. ١٠٠٥، الذي يفرض كل هذه الأحداث بنقده الصحيح. أما فيما يتعلق بأصل اسم كزيكا المصري، الذي طرحه موراثوري فإنه أتفق مع ونريش الذي يهدي تشككه فيه في، *Rerum ab Arabibus ec.* الكتاب الأول، الفصل الثالث عشر، ٥ و ١١٥. وعلى كل حال فإن هذه المادة لا علاقة لها مع حدث سنة ١٠٠١، لأن خرائط بيزا قبل سنة ألف تشير إلى حي بهذا الاسم. انظر ملاحظة ناشري رونشوني العلماء، المرجع المذكور، ص ٦٢، الهامش رقم ١.

وهي العملية التي أعطى لها، للأسف الشديد وعلى غير الحقيقة، شكل الحرب الدينية فقد كتب البعض أن الراهب الفرنسي العلامة جريروتو قد نادى، بعد اعتلائه العرش البابوي باسم سيلفسترو الثاني، بالحرب الصليبية لتحرير القدس، وأن أهل بيزا عند هذا النداء قد أسرعوا إلى سفنهم وقطعوا من صناديقهم من المسلمين [رياً<sup>(1)</sup>]. والحقيقة هي أن القوة التي ظهرت آنذاك في البحر التيراني كان لابد أن تشتبك مع المسلمين، كما فعلت الشعوب القديمة التي أطلق اسمها على هذا البحر مع الفينيقيين، الذين سبقوا المسلمين في صقلية وأفريقية وسردينيا وجزر البليار وإسبانيا. وخرجت من موانئ أسبانيا السفن التي عاودت في سنة ألف وإحدى عشرة الهجوم على بيزا وتخريبها<sup>(2)</sup>؛ وربما خرجت من الموانئ نفسها، وبالقوات نفسها بعد بضع سنوات واحتلت سردينيا واجتاحت لوني وخضعت لقوات بيزا وجزيرة المتحدة.

(1) تحدثنا عما هو معلوم عن معركة ريجو في الكتاب الرابع، الفصل السابع، ص ٢١٨ من المجلد الثاني. وقد نشر الهندكيون من طائفة سان مور من بين رسائل جريروتو (*Recueil des Historiens des gaules*، المجلد العاشر، ص ١٢٦، رقم ١٠٧) رسالة بتاريخ سنة ٩٩٩، موجهة إلى شخص لا نعرفه وهي رسالة غامضة جداً وفيها يشكو البابا من تدهيس القدس ويدعو المسيحي المجهول قاتلاً:

"*Enitere ergo, miles Christi, esto signifer et compugnator, et quod armis nequis, consilii et opum auxilio subveni*." ونجد حقيقة في هذه الكلمات فكرة غير ناضجة عن حرب صليبية وطلب تبرعات للعملية المقدسة. ويضيف الناشرون العلماء في الهامش أن أهالي بيزا نزلوا فوراً إلى البحر وضربوا القتال. وفي هذا المضمار يتم الاستشهاد بموراتوري، *Rerum Italicarum Scriptores*، المجلد الثالث، ص ١٠٠، ولكن لا يوجد في نهاية المطاف مصدر آخر إلا تفریط ومدح وحديث مفرط، وأقسم به ملاحظات فمسططين جيتانو الطويلة عن حياة البابوات ليمانوللو بيزانو المنشورة في روما سنة ١٦٢٨ والتي أعاد موراتوري طباعتها في المجلد المذكور، نمود إن إلى ترونتي وإلى ما هو أسوأ منه، وتقطع الصلة بين رسالة جريروتو التي ترجع إلى سنة ٩٩٩ ومعركة ريجو التي وقعت سنة ١٠٠٥ وتتشعب الحرب الصليبية، ويبقى لأهالي بيزا اهتمامهم وحرصهم المضاري وشجاعتهم في الحرب البحرية.

(2) *Chronicon Pisanum* ومرانجونى، المواضع المذكورة، سنة ١٠١٢.

وهي أسبانيا بينما كان ثلاثة من المفتصبين يتنازعون الخلافة وكان الحكام يستولون على الأقاليم كان يحكم دانه حاكم اسمه أبو الجيش (7) مجاهد بن عبد الله، وهو من أصل مسيحي (2)، عتيق آل المنصور ذائع الصيت، ثم أطلقت عليه كنية أميري (3)؛ وهو رجل مغوار ومقدام درس الآداب والعلوم القرآنية في قرطبة وكان راعياً للعلماء والدارسين (4)، وقد لجأ إليه من قرطبة مع مجموعة كبيرة من المناضلين أبو عبد الله مؤيتي، وهو فقيه لامع لمعارفه وعراقة أصله الذي يرجع إلى سلالة ملازمة للأمويين، ولم يكن مجاهد يجرؤ على مجرد التطلع إلى الإمارة ولكنه أراد أن يؤسس دولة من صنع يديه؛ فاقسم له المؤيتي وقدم له أمارات الطاعة التي تقدم للخليفة في جمادى الثاني من سنة أربعمائة وخمسة (ديسمبر ١٠١٤)؛ وبعد خمسة شهور تم تجهيز أسطول مضى به مع مؤيتي لاحتلال جزر

(7) في مخطوطات ابن الأثير نقرأ أبا حسين، وهو خطأ من السهل أن يحدث في النسخ بسبب تبديل الحروف والنقاط. وأبو الجيش كنية تنى أنه كان جندياً.

(2) رومي، هذا ما يطلقه عليه المراكشي: *The history of the Almohads*، النص العربي، ص ٥٢، ويمكن أن يعني عبداً يونانياً أو إيطالياً، وهي أسبانيا يعني رجلاً من الأجناس الطاغية للمسلمين.

(3) المنصور يدعى ابن أبي أمير.

(4) الضبي، مخطوطة الجمعية الآسيوية بباريس؛ وابن بسام، مخطوطة مكتبة جوتة، انظر في كليهما مادة مجاهد. وأما مدين بهذه المستلزمات لكرم الأستاذ دوزي بلندن والدكتور ويل بهيمبرج. يقول ابن الأثير إن مجاهداً وابنه علياً، الذي خلفه، كان كل منهما «رجل علم، وصديقاً وكريماً مع العلماء الذين كان يبحث عنهم في البلاد القريبة والبعيدة»، ويمدح المراكشي الابن فقط بهذه الصفات، والنسوة الذي يستخدمانه هو (علم) وهو نسوة يعني العلوم عامة ولكنة يعني هنا على وجه الخصوص الشريعة بكل فروعها الواسعة. وقد تمت بترجمة مادة ذي إلى الإيطالية في *Nuova Antologia*، طورنسا، مايو ١٨٦٦، المجلد الثاني، ص ٦١، انظر أيضاً ابن خلدون، *Prolegomeni*، النص العربي، الجزء الثاني في *Notices et Extraits*، المجلد الثامن عشر، ص ٢٨٩، والمقري، *Analectes de l'Histoire de l'Espagne*، النص العربي المطبوع في ليدن، المجلد الأول، ص ٢٨٠، ٥٢٢، ٥٢٤ والمجلد الثاني ص ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ٥١١، ٥١٦ حيث يروي بعض القصص عن كرم مجاهد مع فقهاء اللغة اللاتين.

البلغار . وبعد ذلك بقليل تم طرد الأمير المزيف إلى دانيه فقام مجاهد ومعه ألف فارس ومائة وعشرون سفينة بين كبيرة وصغيرة . قام بتوجيه الدفة نحو جزيرة سردينيا(1).

لقد أوضح المؤلفون العرب أخيراً خطأ القصة الحديثة التي تتحدث عن حكم المسلمين في سردينيا ويؤكدون مذكراتنا القديمة التي تثبت منها أن الجزيرة قد عانت من أعمال الاغتنام والتخريب ولكنها لم تحتل قبل مملكة مجاهد التي استمرت فترة قصيرة جداً . والحقيقة ، بل من المؤكد ، أن أهل سردينيا ، بعد أن تركتهم الامبراطورية البيزنطية . وتركهم اللونجويارد والامبراطورية الغربية ، قد حكموا انفسهم بدءاً من القرن الثامن عن طريق قضائهم أو ملوكهم . فقد كان هذان اللقبان يطلقان على حكامهم . وأهل سردينيا معتدّون بانفسهم وقد كفل الأمان لهم الفقر ، وجسارتهم وطبيعة أرضهم القاسية البدائية ، فتجنبوا غزو المسلمين : الذين بعد أن فرضوا عليهم إتاوة من الذهب والفضة ( ٧١٠ ، ٧٥٢ ، ٨١٣ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٩٢٥ ) . أصابهم الهلع من غرق السفن المتكرر . ومن مقاومة أهل الجزيرة أثناء إغاراتهم الصغيرة ، فتركوهم ينعمون بالهدوء

---

(1) ابن الأثير . طبعة تورنبرج . المجلد التاسع . ص ٢٠٥ . السنة ١٠٧ . في إشارته للديولات التي قامت في أسبانيا . وقد قدمت الترجمة الإيطالية لها في Nuova Antologia . فلورنسا . المجلد الثاني . ص ٦٠ . مايو ١٨٦٦ . كما نجد جزءاً من النص في كتابي المكتبة العربية . الصقلية . ص ٣٧١ . وهذا الفصل منقول مع بعض التديلات من التويري . المخطوطة . A. F. ٦٤٧ . الورقة ١٠٨ . الوجه الأول : وهو يطلق لقب مؤيّد على أبي محمد عبد الله . أما عن بدايات دولة مجاهد في دانيه ، فإنّ اتباع الرواية العنقبة لكاتب الحوليات المسلم أكثر مما اتبع كوندى . Dominacion de los Arabes en España . الفصل ١٠٩ . الذي استكمل اسم مجاهد ودعاء مجاهد الدين : ولكن هذا لا يتفق مع عادات أسبانيا في ذلك الوقت . أما المراكشي فيقول مجاهد فقط ويذكر لمحات قليلة عنه . ويطلق على ابنه علي . الذي خلفه على إمارة دانيه ومايوركا . لقب الموفق الذي يطلقه ابن الأثير . وذبي والتويري وكوندى على مجاهد نفسه . والذي لعله اتخذ عندما بقي سيداً منفرداً . بعد موت مؤيّد .

والسكنينة(1): إذ عدوهم رجلاً يصعب مراسهم، معتادين على أن يكون سلاحهم بجانبهم على الدوام(2)، وقد نالوا منهم ضربات تنوق الغنائم التي حصلوا عليها .

وتروى لنا الحوليات الإسلامية أنه بعد المذبحة التي قام بها في سردينيا عبد الرحمن بن حبيب (٧٥٢) خضع السكان للجزية، فلم يكدر صفوهم أحد زمناً طويلاً، بل إن الروم أصلحوا شئون الجزيرة(3)، وتبدو لي رواية حملة مسلمي أسبانيا على كلبارى سنة ألف وواحد والتي نقرأها في موجز تاريخ بيزا بعد هذا التاريخ

(1) انظر الكتاب الأول، الفصل السابع والفصل العاشر، في المجلد الأول، ص ٢١٢، ٢١٨، ٢٩٨، والكتاب الثالث، الفصل الثامن، المجلد الثاني، ص ١٨٧، وتأخذ أخبار غارات سنة ٨١٦، وسنة ٨١٧ من ابن الأثير، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٢١ و ٢٢٨ من النص العربي. وقد تحركت القوات فيهما من إفريقية. وفي الغارة الأولى، وبعد الحصول على الغنائم، فقد كثير من المسلمين في حادثة بحرية، أما الذين ذهبوا في الغارة الثانية فقد انتصروا حيناً وهزموا حيناً، وعادوا من الجزيرة.

(2) هذا ما نقرأه في الإدريسي، وهو مؤلف من القرنين الثالث عشر، في المكتبة العربية، الصقلية، النص العربي، ص ٢٠ و ٢١، وفي كتاب دي جريجوريو *Rerum Arabic*، ص ١١٢، والنص الخاص بأهل سردينيا، وهو مبنو في *Geographia Nubiensis*، والذي اعتمد عليه دي جريجوريو يقول: «إن سكان سردينيا من أصل رومي - أفريقي، متبربرون، وهم أعداء كل فرع آخر من فروع جنس الروم، وهم رجال شجعان ثور باس وهزم لا يتركون سلاحهم أبداً»، واسم الروم، الذي يعرفه قراؤنا، يتصد به هنا الإيطاليين، أما الأفريقي في فهم الشعوب المسيحية الأفريقية من أصل فينيقي، كما ذكرنا في الكتاب الأول، الفصل الخامس، المجلد الأول، ص ١٨١، وصفة المتبربرين هنا لا يمكن أن يكون المقصود بها إلا المستعظمين بالبربر، ويذكرنا بالمثيرين المعروفين في عصر الفندس شريفوريوس في سردينيا.

(3) ابن الأثير، وقائع سنة ٩٢ (٧١٠ - ٧١١)، يجمع تاريخ كل غارات المسلمين على سردينيا، في فصل واحد نشرت نسخة في المكتبة العربية، الصقلية، ونقرأ في ص ٢١٧ أنه «في سنة ١٢٥ (٧٥٢ - ٧٥٣) هاجم الجزيرة عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة الفهري، وأجرى فيها مذبحة كبيرة، لكنه وقع سلباً مع سكانها بعد هذا شرطة أن يدفعوا الجزية؛ فتناحاضها واستمرت بعد ذلك، ولم يهاجم أحد بعد عبد الرحمن الجزيرة؛ وهكذا أصلح الروم شئونهم»، وبعد أن يشير إلى غارة سنة ٩٣٥ وإلى عملية مجاهد سنة ١٠١٦ يقول في النهاية: «ولم تقع بعد ذلك حرب على سردينيا (من جانب المسلمين)». وفي هذا نفس ابن الأثير معركة سنة ٨١٦ و ٨١٧ اللتين بروى وهاتهما في موضع آخر، كما ذكرنا. والإشارة إلى قضاء سردينيا في سنة ٨٦٥ (انظر مورتوري



بثلاثة قرون، تبدو لي خطأ تاريخياً(1).

ويعد أن نزل مجاهد في سردينيا، كسر أهل الجزيرة وأوقع بهم مذبحة كبيرة. في ربيع الأول سنة أربعمائة وست (١٨ أغسطس إلى ١٦ سبتمبر ١٠١٥): وقتل مالوتو قائدهم وأسر عدداً كبيراً منهم ومن النساء والأطفال(2). وقد ظهر الأسطول، على ما يبدو، قبل ذلك أو بعد ذلك على الساحل فيما بين جنوة وبيزا، ورسا عند لوني ولعله انتهبها ثم انسحب منها؛ ولكن هذا كان كافياً لإثارة أهل بيزا الأقرباء في البحر، وأهل جنوة، الذين كانوا ينمون تجارتهم، فكان لزاماً عليهم العمل على مطاردة العدو القريب. ويبدو أن الجمهوريتين قد انضمتا معاً في هيئة جماعات من التجار مهتمة بالخضوع لأوامر البابا والامبراطور؛ وكان البابا هو بندتو الثامن، وهو النصير المفضل لدى أريجو الثاني. وكان يرغب في التدخل في الأمور الزمنية، ويبدو أنه ادعى لنفسه سلطة إعلان الحرب، والتفاوض مع مجاهد. وبالإضافة إلى هذا كانت أهمية العملية تتركز كلها في قوات وإرادة أهل بيزا وأهل جنوة: الذين ذهبوا لملاقاة أسطول المسلمين في

*Dissertat. Antiq. Ital. medii aevi*, ٢، ص ١٠٧٧، المبحث الثاني والثلاثين) يتوافق، كما قلنا، مع شهادة ابن الأثير. انظر أيضاً ماثر. *Storia di Sardegna*. الكتاب الثالث، ص ٢٢٢ وما بعدها، طبعة كبولاجو ١٨٥٠، المجلد الأول، فونريش، *Rerum ab Arabibus etc.*، الكتاب الأول، الفصل الثالث عشر، § ١١٢ و ١١٣، ولو أن هذين المصنفين قرأنا فصل ابن الأثير المذكور، لما وقع لديهما أي شك.

(1) *Breviarium, ec.* هي كتاب موراثوري. *Rerum Italicarum Scriptores*. المجلد السادس، ص ١٦٧، سنة ١٠٠٢ يتقوهم بيزا. ولا يشير موراثوري أو أية مدونة تاريخية أخرى إلى هذا، والتاريخ لا يتفق مع رواية المؤلفين العرب الدقيقة.

(2) قارن بين: ابن الأثير في الفصلين المذكورين عن وقائع عام ٩٢ ووقائع عام ١٠٧. في المكتبة العربية، الصقلية ص ٢١٨ وص ٢٢١؛ وابن خلدون، المقدمة، النص العربي، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٤٦١. وفي *Notices et Extraits des MSS*، المجلد الأول، ص ٢٦؛ والمقبرى *Mohammedan Dynasties in Spain*، ترجمة الأستاذ جيهانجوس الانجليزية، المجلد الثاني، ص ٢٥٨؛ وكوندى، الموضوع المذكور.

سردينيا، فأحرزوا أول انتصار في عام ألف وخمسة عشر نفسه (1).

(1) قارن بين: ديثمار، *Chronicon*، الكتاب السابع، الفصل 21، في برتر: *Scriptores*، المجلد الثالث من 85؛ ومرانجوني، في *Archivio Storico Italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني، من 11؛ و *Chronicon Pisanum* و *Breviarium*، لدى موراثوري، *R.I.S.* المجلد السادس، من 107 و 117 تحت سنة 1016 بتقويم بيزا، وشعر لورنسو قهزى، لدى موراثوري، في المجلد نفسه، من 124. حيث يشير إلى أن موجيتو في السنة السابقة على الهزيمة الليالية (أي سنة 1016 حسب التقويم العام) قد انطلق هارباً عندما رأى قدوم أسطول بيزا. وتذكر أخبار بيزا بإيجاز أن قوات بيزا وحنوة عندما قامت بحربها في سردينيا مع موجيتو هزيمته. وكتب ديثمار أسقف مرسجورج، المتوفى عام 1018، في نهاية أخباره في موضع يتفق مع سنة 1016، أنه عندما أتى السراينة بأسطولهم في لوتجوبارديا احتلوا "Lunum civitatem": وطردوا منها الأسقف واستولوا على بيوت رجال المدينة وزوجاتهم: وكهف أن البابا بتدعو دعا مساندى الكنيسة والمدافعين عنها إلى حمل السلاح؛ وكيف طوق الأسطول الضخم الذى جمعه السراينة داخل الميناء وضغط عليهم. وعندئذ هرب الملك، في أحد القوارب. وكانت الغلبة لرجالها الذين كان المسيحيون يهاجمونهم لمدة ثلاثة أيام؛ ثم انكسروا وعملت في رفاتهم السيوف، وتم أسر الملكة وقطع رأسها. وأراد البابا أن يحصل على تاجها الذهبى المرصع. وأن يرسل إلى الامبراطور نصيبه من الفضة ألف ليرة من الذهب. ولكن ملك السراينة قدم للبابا جوالاً من النسيط (أى فروة) مهدداً بمودته مع رجال آخرين؛ فأعاد يندعو إليه الجوال معلوماً بالدخن وأضاف قائلاً: كلما كثر رجالك، كلما وجدت ذروعا أكثر في استقبالك. ويختم كاتب الأخبار في مجلس من تلك الإجابة قائلاً: إن الله وحده هو الذى يهكم على البشر، ونحن نصلى إليه أن يبعد هذه الضريرة عن ذلك الملك، وأن يمنحه السلام.

ويعلم الجميع أن هذه كانت هي الواقعة الوحيدة التي كتب ديثمار عنها القصص التي كانت تروى في ألمانيا، أى إهانة المسلمين لأحدى حواضر الامبراطورية، والقصص الذى أجراه فيهم اتباع الامبراطور؛ ولا حظ رواية الأخبار في بيزا ما كان يجيش بمسودتهم. أى انتصار الأسطول الإيطالى. والأول بقصر العملية على لوتى؛ بينما يذكر الآخرون سردينيا، ولابد أن تصدقهم، فهم على معرفة لصيقة بالعملية بالإضافة إلى أنهم معاصرون لها. خاصة أن ديثمار، بذكره لهروب الملك وسجن زوجته وتاريخ 1016 يبين لنا أنه خلط بين هذه العملية التي تمت سنة 1016 وعملية 1015، كما سنرى في قصة الهروب كما رواها المؤلفون العرب. ولا يمكننا من ناحية أخرى أن نفترض أن ديثمار قد أخطأ اسم المدينة والإقليم اللذين تم الهجوم عليهما. لقد قام المسلمون في زمن عملية سردينيا بالإغارة على لوتى. قبل انتصار مالوت أو بعده. واعتقد أن هذا كان قبل الانتصار؛ وقد كسرتهم قوات بيزا وحنوة البحرية في سنة 1015 نفسها ثم كسرتهم مرة أخرى في صيف عام 1016.

واخذ مجاهد بنفس عن كمده بأن يذيق المسيحيين في سردينيا(1) ألوان العذاب. ولعل مقاومة أهل سردينيا هنا وهناك بأنحاء الجزيرة هي التي أوغرت صدره وجعلته أكثر قسوة؛ وعندما علم بالاستعدادات العسكرية التي كان يجرى إعدادها في البر الإيطالي أخذ في بناء أحد الحصون(2). وكان رجاله ساخطين بسبب قلة الفنائم، وهالهم المناخ غير الصحي وأحوال الحرب فأخذوا يفتمون ويتذمرون(3)؛ فقد شق على الكثيرين منهم البعد عن الوطن، ودعاهم إليه هوس الحرب الأهلية. ولهذا قرر مجاهد في مايو من سنة ألف وست عشرة عندما حضرت قوات كبيرة من بيزا وجنوة، قرر الرحيل(4). وبينما كان يشد رحاله ويبدأ الإبحار في مطلع شهر يونيو(5)، حاربه الإيطاليون فانهزم أمامهم، وعصفت عاصفة هوجاء برجاله وحطمت سفناً كثيرة من سفنه وألقت إلى البر بسفن أخرى فقام المسيحيون بقتل من نجا من رجالها(6)، ووصل مجاهد إلى دانيه مع بقايا أسطوليه، وترك أخاه وابنه على أسيرين، وعلى هذا هو الذي خلفه بعد ذلك في الإمارة(7)؛ ويقول آخرون ابنه وزوجته(8). وبهذا

(1) يقول ميرانجوني وأخبار بيزا الأخرى "Homines Sardos vides in cruce murare". ويشرح لورينزو هيرنيزي هذا فيروي أن مجاهداً كان يسخر أهل سردينيا عمالاً بديهيين لبناء إحدى قلاعهم. ثم كان يذمتهم أحياناً داخل الأسوار.

(2) ميرانجوني وCronache Pisane. ويقول الضبي في الترجمة المذكورة بمالیه «إن مجاهداً قد احتل الجانب الأكبر من سردينيا واقتسم الشلاح واستولى عليها».

(3) الضبي وكوندی.

(4) كوندی وCronache Pisane.

(5) التاريخ مأخوذ من ابن الأثير، الذي يذكر أن مجاهداً طرد من سردينيا عند نهاية سبنة أو عمالة وست (٨ يونيو ١٠١٦). وفي موضع آخر يقول المؤلف نفسه «إنه هوريب وهزم». وتشير أخبار بيزا التاريخية إلى هربه فقط، ولكن لورينزو هيرنيزي يؤكد "Rex Fugisse (fugae sese?) datur, multis jam Marte peremptis; Barbarus abscessit, Captio cum Coniuge nato".

(6) الضبي. الموضع المذكور وكوندی، الذي ينقل عنه نقلاً خاطئاً.

(7) ابن الأثير.

(8) لورينزو هيرنيزي، الذي يضيف قصة طويلة من فدية الابن.

الجهد اليمير استرد أسلافنا سردينيا(1).

وسرعان ما انقلبت القوتان تهاجم كل منهما الأخرى: تهاجمت قوات جنوة قوات بيزا؛ ولما صارت الغلبة لقوات بيزا طردت قوات جنوة من الجزيرة(2). وهكذا بدأ تجار بيزا يستخدمون أولئك القضاة أو الحكام عملاء لهم نظراً لحاجة هؤلاء الحكام لأموالهم وقواتهم البحرية: وهكذا صارت لهم ضياع، ولعلمهم اغتصبوا بعض المزايا التجارية: وكان عليهم أن يتناقصوا بشأنها مع تجار جنوة(3). وهي القرن التالي عندما كان حكم المدينتين حكماً بلدياً وبلغت جنوة

(1) قارن بين: فصلى ابن الأثير، وقائع عامي ٩٢ و ١٠٧ في المكتبة العربية، الصقلية من ٢١٨ و ٢٧١، والخشب، الموضع المذكور، الذي يروي بعض تفاصيل الهزيمة بكلمات شاهد عيان: والنويري، تاريخ اسبانيا، الموضع المذكور. وابن خلدون، الموضع المذكور، الذي يقول: إن المسيحيين قد استولوا دون إبطاء على سردينيا، وكوندي، *Dominacion ec.* الجزء الثاني، الفصل ١١٠: ومرانجوني في *Archivio Storico*، المجلد المذكور، من ٤: و *Chronicon Pisanum* و *Breviarium ec.* في مصدر موراتوري، *Rerum Ital.* الجزء السادس، من ١٠٧ و ١١٧ تحت عام ١٠١٧ بتقويم بيزا، ويروي لورنزو فرنيزي، وهو مؤلف من القرون الثاني عشر، في ديوان شعره عن عملية مابورككا التي وقعت سنة ١١١٤، والموجود في كتاب موراتوري، *Rerum Ital.* الجزء السادس، من ١٢٤، يروي في أبيات من الشعر حرب سردينيا كما سمع عنها من سكان مدينته من كبار السن ويتفق في روايته تمام الاتفاق مع كتاب العرويات من العرب "*Mugetus rex Balaz et Dianaz*" (دانيه وجيزو البلبار) ويفترض كتاب بيزا ومرانجوني أنه أفريقي) يحتل سردينيا. وتاني قوات سردينيا باستولوا ويهرب هو (ربما إلى النواحي الغربية من الجزيرة). ويمود هي السنة التالية مع رجائه إلى مملكة كالاباري ويبني فيها قلعة. ويقسر على المسيحيين. وعندما تهاجمه قوات بيزا، يهرب مرة أخرى تاركاً ابنة وزوجته أسيرين: ويبقى أمراء الجزيرة أحياناً لبيزا.

(2) مرانجوني، *Chronicon Pisanum* و *Breviarium ec.* المواضع المذكورة.

(3) إلى هذا القول نقودني الأحداث الغلبة التي لدينا عن تاريخ سردينيا في القرنين العادي عشر والثاني عشر والتي نجدها في كتاب ماثو، المرجع المذكور، الكتاب السابع، ويكتب لورنزو فرنيزي في الموضع المذكور من ديوانه هكذا:

*Erepti Sardi juglis, tutique fuerunt;*

*Indeque tota manent Pisanis subdite regno.*

*Sardinia: docuere semes quaecumque retexo;*

*Quaesitis Sardia, non hac tibi pernegabunt.*

مرحلة من النضج تعادل نضج غريمثها، أخذتا لتتازعا سردينيا بالحروب تارة وبالمسمى تارة أخرى لدى أولئك الحكام وهي بلاط فديريكو برياروساً<sup>(1)</sup>، وبعد ذلك بتزييف التاريخ، فقد صور أهل بيزا منعثنين بابويين (١٠١٦ و ١٠٤٩) وفتحين جديدين في سنة ألف وتسع عشرة وألف وتسع وأربعين لمجاهد الذي وقع في النهاية في

وتظهر هذه الكلمات وشهادات الشاهر الأخرى التي لا تتطلبها الأمر، تظهر أن بيزا لم تكن تطمح إلى السيادة على سردينيا في النصف الأول من القرن الثاني عشر، ولكنها كانت تطمح إلى أن تكون حامية لها وما يتبع ذلك من التجاوزات. ومن جهة أخرى لم يكن من الممكن بشكل آخر تسخير سيطرة نبلاء بيزا وتجارتها على سردينيا وهم لا يسيطرون على بيزا نفسها، وكان يوجد في عصور أمبليو من وقت هروب مجاهد القضاء أو نواب الملك الذين يرى بنقوتشو دا إيمولا، في كتاب موراثوري. *Antiq. Ital. Medii Aevi*. المجلد الأول، ص ١٠٨٩، وفقاً لأفكار القرن الرابع عشر، يرى أن تجار بيزا ونبلائها هم الذين قاموهم. إن منح الجزيرة ليندثو الثامن هو محض الخلاق يرجع إلى القرن الثالث عشر، عندما اقترف بلاط روما فضيحة منح صقلية وسردينيا نفسها لهذا الإقطاعي أو ذاك، ولم يحرر أحد نص هذا الامتياز إطلاقاً: ولم يظهر أبداً في الدعاوى بين أهل جنوة وبيزا أمام فديريكو برياروسا والتي تقرها بوضوح في ثمة كفاري، السنة ١١٦٤. هي كتاب موراثوري *Rerum Italicarum Scriptores*. المجلد السادس، ص ٢٩٤ و ٢٩٥. وينبغي أن تنبه إلى أن سلف ماركو. *Abregé chronologique de l'histoire d'Italie*، تحت سنتي ١٠١٧ و ١٠٢٤. ينفي. وهو يتخذ موراثوري موهماً له، المنحة البابوية وحكم بيزا، دون أن يفعل الأسباب. ولا يحرر مانثو (المجلد الأول، ص ٢٨١، طبعة كابولاجو) على أن يبحث المشكلة أو أن ينفي بشكل واضح الرواية التي يذكرها جابيتاني في مذكرات شهيرة البابوات (موراثوري. *Rerum Italicarum Scriptores*. المجلد الثالث، ص ٤٠١) الذي أكد في سنة ١١٢٨ أنه أخذها عن لورنسو بونينكونتو دا سان مينياتو الذي كتبها. كما يقول. قبل ذلك بأكثر من مائتي عام، وأن بونينكونتو أو جابيتاني قد ذكرا بالتفصيل تقسيم سردينيا بين رجال بيزا وجنوة والأسبان بعد هزيمة موزشو وسجنه. وتكفي الإشارة إلى الأسبان برهاناً على أنها عملية تزييف ترجع إلى القرن الخامس عشر.

(1) كفاري. *Annales Januenses*، وتتمتها في كتاب موراثوري، *Rerum Italicarum Scriptores*. المجلد السادس، تحت عامي ١١٦٢ و ١١٦٤: مرانجسوني في *Archivio Storico Italiano*. المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٢٨، تحت عام ١١٦٥. وعن الحروب بين هاتين المميتين انظر مرانجسوني، المرجع المذكور، ص ٨ وما بعدها، بدءاً من ١١١٩ (١١١٨). وانظر أيضاً مانثو. *Storia di Sardegna*. الكتاب السابع.

أيديهم(1). ويظهر من مذكرات أصدق أن المسلمين، بعد هرب مجاهد إلى دانيه، لم يهاجموا سردينيا على الإطلاق(2). وكما يكتب ابن الأثير فإن مجاهداً قد ألقى بنفسه في الحروب الأهلية الأسبانية(3)؛ وتعرش بمنطقة برشلونة؛ وأجبر على السلام، ويقولون على دفع إتاوة (١٠١٨) بواسطة مجموعة من النورمان من مساعدي الكونتيسة إرنمنسيديا، أثناء وصايتها على برنجاريو(4)، ومات سنة ألف وأربع وأربعين(5). ومن المؤكد أن قراصنة دانيه وجزر البليار قد صالوا وجالوا في الأنحاء الغربية من البحر المتوسط، لأن اسم موجيتو، الذي يعتقد أنه كان ملك إفريقية، كان يثير فزع المسيحيين؛ ولأن كل من حارب المسلمين الأسبان أو الأفريقيين، كان يتفاخر بأنه قبض على المسلم الكبير أو هنتله(6).

(1) نشأت هذه الرواية المزائفة في القرن الثالث عشر. وهي موجودة في *Breviarium ec.* في كتاب موراتوري، *Rerum Italicarum Scriptores*. المجلد السادس، ص ١٦٧، تحت سنوات ١٠١٧ و ١٠٢٠ و ١٠٥٠ ولهمت في أواخر القرن الثاني عشر أي في الأخبار التاريخية مجهولة المؤلف عند موراتوري ومرانجوني. وكان أهل جنوة بدورهم يؤكسون بحساسة في نزاع سنة ١١٦٤ أمام برباروساً أن كبارهم قد أخذوا موزايكو وأن استقنهم قد أرسله إلى الإمبراطور.

(2) ابن الأثير، فصل سنة ٩٦، في المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، ص ٢١٨. ويذكر ابن خلدون أخبار أخرى قام بها بنو الزيري الأفريقيون أثناء حكم يحيى بن نعمان (من ١١٠٨ إلى ١١١٦)، المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، ص ١٨٢ *Histoire des Berbères*، ترجمة م. دي سلان، المجلد الثاني، ص ٢٥.

(3) ابن الأثير، طبعة ثورنبرج، المجلد التاسع، ص ٢٠٥، تحت سنة ٤٠٧.

(4) *Ademari Cabemensis Chr.* في *Rec. des. Hist. des Gaules*، الفصل العاشر، ص ١٤٦.

(5) جيانينوس، *The Moham. dynasties in Spain*، المجلد الثاني، ص ٨٨، دوزي، *Hist. des Musulmans d'Espagne*، المجلد الرابع، ص ٢٩٠ و ٣٠٤، وقارنه بصفحة ٢١ من المجلد نفسه ودوزي نفسه، *Recherches*، الطبعة الثانية، ١، ٢٤٥.

(6) هذا ما جاء بشأن عملية ١٠٢٥ التي نستخلصها من رودلفو جلابرو والتي سنرويها الآن. ولقد رأينا أن أهل جنوة كانوا ينتهزون بهذا سنة ١١٦٤ وينسبونهم إلى كبرائهم. وتدل عملياتنا ١٠١٩ و ١٠٤٩ المذكورتان في مصنف بهذا الذي يرجع للقرن الثالث عشر على أن أسطورة مجاهد المروعة قد استمرت. وينبغي ملاحظة أن الكل، فيما عدا الشاعر لورينزو فرنيزي، يرى أن موجيتو ملك إفريقية. وقد استمر هذا الخطأ حتى ماتو

وهكذا فإننا متى نحينا جانباً الأفاقيص الخرافية وهي أساس واحد للمجد لدى الشعوب فإن قصة أهل بيزا وحنوة تتألق في سماء تحرير سردينيا، في أول مثال في الغرب لحملات كبيرة ضد المسلمين، للسيادة على حوض غرب البحر المتوسط. وقد أثارت تجهيزات المعز بن باديس البحرية(2) سخط أهالي بيزا وحفيظتهم فقاموا بالهجوم على إفريقية في سنة ألف وثلاث وأربعين، واستولوا على بونه(2)؛ وكان لهذا الانتصار هدى مدو فيما وراء الجبال بوصفه انتصاراً للأمم المسيحية على المسلمين، ومن المحتمل أن يكون قد شارك فيه أهالي حنوة وبعض سفن بروغانس(3). لقد نحت

ويصنع ونرشف الخطأ في *Rerum ad Arabibus in Italia ec.* الكتاب الأول، الفصل الثالث عشر، § من ١١٢ إلى ١١٩، ويفترض أن مجاهداً كان رئيس حكام مسلمي سردينيا وأنه طلب مساعدات من إفريقية. وهو يتبع بالإضافة إلى هذا رواية بيزا: ويعترف بمسحة حدث لوني والانتصار الأول لمحاربين بيزا وحنوة.

(1) انظر الكتاب الرابع، الفصل الثامن، ص ٢٧٢ من المجلد الثاني.  
(2) موانجوني- في *Archivio Storico Italiano*، المجلد المذكور، ص ٥، سنة ١٠٢٥ حسب تقويم بيزا: *Chronicon Pisanum*، الممنعة نفسها، في كتاب موراتوري، *Rerum Italicarum, Scriptores*، المجلد السادس، ص ١٠٨، ويصور *Breviarium* في مجلد موراتوري نفسه، ص ١٦٧ احتلال قرطاجنة وإرسال تاجي ملكي بونه وقرطاجنة هدية من رجال بيزا إلى الإمبراطور.

(3) رودلفو جلابرو، *Historiarum*، الكتاب الأول، الفصل السابع، في *Recueil des Historiens des Gaules ec.* المجلد العاشر، ص ٥٢. يروي هذا المؤلف أن سراسة إفريقية كانوا يتعجبون المسيحيين برأ وبعراً؛ وأن كليهما قد اتفقا على أن تكون معاركهما معارك عادلة؛ وأن المسيحيين قد انتصروا بعد أن أقاموا متبعة كبيرة قتل خلالها أمير السراسنة موجهت؛ وأنهم جمعوا سفن العدو الشينة التي بقدر ثمنها بعدد كبير من التالشي الفضية وأنهم قدموها نذراً إلى أوديلوني ورئيس دير كلوني الذي استثمر ثمنها في تجهيزات دينية وهي تقديم الإحسان. وكان رودلفو معاصراً وقریباً من رؤساء رهبان كلوني، ولكنه كان واسع الخيال ورأياً لفصص خيالية كثيرة. ولقد جعلت مقدمة النذر إلى الدير أفكار في البداية في عملية قام بها رجال بروغانس ولكن بالرجوع إلى المؤلف العظيم الذي كتب *Invasions des Sarrazins en France*، اقنعني بأن هذه المعركة، وهي معركة بحرية ولا شك، لم يكن من الممكن أن تقوم بها الأساطيل الإيطالية. ولكني أرى أن النذر كان نذر أحد المصاعدين من أهل بروغانس وأنه إحدى مبالغات رودلفو جلابرو. وربما كان الأمر يتعلق بالهجوم على بونه، وتاريخه يتفق مع

الجمهوريتان الإيطاليتان جانباً أحقادهما عندما كان من اللازم عليهما أن يكبحا العدو المشترك: فقد حشدت قوات بيزا التي اتحدت من جديد مع قوات جنوة أربعمئة سفينة إيطالية أمام المهديّة (١٠٨٧)، وكانت قبل ذلك قد هاجمت وحدها بالرمو (١٠٦٣). ثم احتلت فيما بعد جزر البليار (١١١٣ - ١١١٤)؛ وطوال القرن الثاني عشر فتحت أساطيل إيطاليا، وكانت تمثل رعباً للمسلمين، الطريق إلى الاتصافات التجارية وإلى تأسيس المنشآت التجارية في مدن أفريقية والشرق المطلة على البحر. وقد بدأ العمل بهذا كما هو واضح منذ بدايات القرن الحادي عشر مما شجع على فتح صقلية وساعد عليه.

لقد قادت بعض العائلات التي دخلت المسيحية حديثاً ثورة بوليا وكلايريا ضد البيزنطيين وهيمنت عليها، وفي القرن السابع، وعند فجر تاريخ بلاد الشمال نرى في الدانمارك والنرويج والسويد أناساً تشهد لغتهم بالإضافة إلى بنيان أجسامهم ونظمهم الاجتماعية أنهم من أصل جرمانى؛ إلا أن أقدارهم التي وطنتهم في بلاد غير منزوعة وغير مأهولة أو تكاد، لم تجعل منهم أتباعاً لإقطاعيين، ولما لم يجدوا الأرض تثبت لهم مأكلاً، بحثوا عنه في البحر بالصيد والقرصنة. ولهذه الأسباب استمرت عندهم المساواة المدنية التي فقدتها إخوة لهم في فتح الولايات الرومانية. واحتفظوا كذلك بدينهم القديم. وعاشوا في كنف دويلات صغيرة تحت حكم رؤساء عائلات نبيلة بسبب بسالتهم وشجاعتهم، يُنتخبون في اجتماعاتهم التي كان الرجال الأحرار، أي كل الرجال، يبحثون فيها أمورهم العامة ويتخذون القرارات بشأنها. ولكن الممارك التي خاضوها في القرن الثامن

هذا، إذ إن رودلفو - وهو لا يتبع الترتيب التاريخي للأحداث - يضع هذه المعركة فيما بين وفاة روبرتو دوق نورماندى (٢٢ يوليو ١٠٢٥) وخسوف الشمس في ٢٩ يونيو ١٠٢٢. وفي صفحة ٢٢١ من *Invasions des Sarrazins en France* يوافق المؤلف الشهير م. رينو على أن مجاهداً كان قائد الأسطول المهزوم؛ ولكنى أعلم أنه سيكون له رأى آخر في الطبعة الجديدة التي بعدها لهذا المرجع.



والتجارة التي ازدهرت في بحر البلطيق مع غيرهم من الجرمان و *finnic* والسلافيين دفعت الاسكندنافيين إلى تطوير بناء سفنهم وأسلحتهم وفنونهم اللازمة لهذه وتلك: فقاموا بعمليات كبرى بالغاراج، وتبع ذلك تركزهم في بلادهم تحت حكم حكامهم من الملوك (*Kong, Kanung etc.*): وتم الإعداد لانضمام الدويلات الصغيرة إلى الممالك الكبرى وهي الدانمارك والنرويج والسويد. وقد أدت هذه التغييرات بالإضافة إلى المجاعات المتكررة في بلاد تنسم بخلوها من الزراعة، إلى الهجرة. وتجمع أشجع الرجال وأكثرهم جسارة واختاروا لهم رئيساً ذا خبرة وبلاء، وجعلوا منه ملكاً بحرياً (*sockonger*) كما كانوا ينزلون سفن أساطيلهم إلى البحر ويخرجون *Wikinged*، أي للقرصنة، بحثاً عن الغنيمة والمجد: حيث إن المناقب عندهم كانت هي المكر في السرقة والشجاعة عليها. وكانوا يعتقدون أن من يموت منهم غرقاً أو بحد السيف سوف يجلس للأبد بجانب أودين في واهللا يتجرع الجمرة. بينما يعرض الناجون منهم غنائمهم ويتفنون بيطولاتهم وهم يتجرعون جمعتهم في حلقاتهم ومجموعاتهم الصاخبة في الشتاء. وقد دفع الكبرياء والجشع والاحتياج والمادات وعنفوان الأجسام والنفوس، واعتياد مشقات البحر وعدم خشية الموت كل هذا دفع النورمان (*Northmen*) أو الدانيين (1) إلى القيام بحملات بعيدة خارج البلطيق.

وهي حملاتهم هذه عاثوا فساداً (٧٨٢ - ٨٨٥) بسواحل وشواطئ أنهار الجزر البريطانية، وألمانيا عند المحيط، والأراضي المنخفضة وفرنسا، واجتاحوا كذلك أسبانيا: وقد فكر هاستينجز بطلهم الرهيب

---

(1) يبدو أن الاسم الأول بشهر بوجه خاص إلى أهل النرويج وأن الاسم الثاني يشير إلى أهل الدانمارك. ولكن كثيراً ما كان يحدث خلط بين أحدهما والآخر. وكما يعلم الجميع فإن كل رجال الاحتلال الاسكندنافيين كان يطلق عليهم في فرنسا نورمان وهي انجلترا دانيون.

أن يزداد ثراءً بفنائهم روما وأسلاها مهاجم لوني (٨٠٩) ونهبها (1)؛ كما هاجم هو أو غيره بيزا أيضاً (٨٦٠). فقد كانوا معتادين بمراكبهم الخفيفة أن يبحروا بمحاذاة الساحل، وأن يدخلوا في مصبات الأنهار وأن يتوغلوا في البر لمصافات تصل إلى عشرين ميلاً أو مئات الأميال، وأن يتحصنوا في الجزر البحرية أو النهرية؛ وأن يمسكوا بأكبر عدد من الجياد ويتوغلوا في المقاطعات فينشروا فيها الخوف والهلع ويحصلوا على الإتاوات وينهبوا ويحرقوا ويقتلوا؛ وكانوا أشد حسوة مع الأديرة إذ كانوا يعلمون أنها أكثر ثراءً أو ليفتخروا بانهم داسوا الإله المناهض لأودين، ومن لندن ودبلن إلى أوترخت وأكويزجرانا وكولون وكوبلنتز وترهري وباريس وطورمس وبوردو وتولوز؛ وإلى لشبونة وأشبيلية وأرلس وفالنسا على نهر رودانو شعر البرابرة الذين روضوا بعنف برابرة أسكنديناوم؛ الذين أخذوا بعد السلب والنهب في الاستقرار هنا وهناك؛ وفتحوا إنجلترا ثم قتلوها؛ وأقاموا عند مصب لويرا وطردها منه؛ واستقروا عند نهر السين وبقوا هنالك (2).

(1) هذه العملية التي حيك بها كثير من الظروف نقرؤها في دودوني دي سانت كوستين، *De Moribus Normannorum*، الفصل الأول في دوشين، *Historiae Normannorum Scriptores*، ص ٦٤ و٦٥؛ وجوليئمو دي جوميج، *Historia Normandiae*، الكتاب الأول، الفصل العاشر والعاشر عشر، ص ٢٢٠ و٢٢١؛ بنوا، *Chroniques des ducs de Normandie*، في أشعار فرنسية، المجلد الأول، من ص ٤٧ إلى ص ٦٩؛ واسي، *Roman du Rou*، الأبيات من ٤٧٢ إلى ٧٢٢، انظر أيضاً سورنوري، *Antiquitates Ital. Medi Aevi*، المجلد الأول، ص ٢٥، وأرجع إلى نفس الحدث في كتاب ديهنج، *Histoire des Expéditions maritime des Normands*، طبعة ١٨٤٥، ص ١٤٠ وما بعدها.

(2) أرى أنه من غير الضروري أن أشير إلى المصادر الحديثة التي استقيت منها أصول النورمان واكتفى بالإشارة إلى المصادر التي وجدت فيها فائدة أكبر. فقد اتخذت من كتاب *Conquête de l'Angleterre par les Normands*، لمؤلفه أوجستين ليري الذي أكن له كل الود والاحترام والعرفان اتخذت منه مرشداً لي في روح التاريخ، أما تفاصيل الأحداث وحقائقها فتجدها بوفرة في كتاب ديهنج المذكور سابقاً؛ كما نجد كثيراً من الملاحظات النقدية في كتاب لينبرج، *A History of England under the Norman Kings*، النص الانجليزي مع إضافات المترجم بنهايمن ثورب، ونستقي

وبعد قرون من حكم شارلمان، كان ما تبقى لخلفائه تحت اسم مملكة فرنسا مجرد المنطقة التي تمتد من لوار حتى موزا بعد أن اقتطعت منها بريتانى من ناحية الغرب، عندما جاء الإسكندنافيون ليطيحوا بالأراضي القليلة بعد أن اعملوا فيها التخريب وبعد أن نهبوا باريس (٨٤٦) وحرقوا الضواحي (٨٥٧)، وأحكموا عليها الحصار من جديد لمدة عشرة شهور (٨٨٥ - ٨٨٦). وحدث في الوقت نفسه أن أروندو جميل الشعر (*Harald Haarfager*) أخضع ملوك النرويج وحكامها الآخرين، وأخذ يعمل من أجل تنظيم المملكة الجديدة وجعلها مركزية؛ فهجر الرجال المتبرمون من النهر أوطانهم أو طردوا منها وجرى تعقيهم ومطاردتهم في الجزر الصغيرة والبحار التي استأنفوا فيها مهنة أجدادهم القديمة. وبعد أن تجمعوا في أسطول كبير حاولوا الاستيلاء على إنجلترا، وحاولوا الاستيلاء على الفلاندرز وفي النهاية دخلوا نهر السين؛ واستولوا بهدوء على روين(1)؛ وجعلوا منها قاعدة لحروبهم وفتوحاتهم؛ وكسروا (٨٩٨) جيشاً فرنسياً هاجمهم؛ واحتلوا مدناً وقلاعاً. وفي هذه الحروب لم يكن لقوادهم قيادة سياسية(2)؛ ثم تفوق على الجميع لشجاعته وحكته المدنية قرصان نرويجي نيهل يدعى رول(3)؛ من المطارد بسبب عملية سرقة قام بها في

---

أحداثاً هامة وجديدة عن المجتمع الاسكندنافي البدائي من مقدمة مسويل لانج لكتاب ستوروكسن، *Heimskringla*، النص الإنجليزى.

(1) يذكر المؤرخون الفرنسيون تاريخها غير محدد فيما بين ٨٩٦ و ٩٩٨ إذ لم يجدوا تاريخاً محدداً لدى كتاب الأخبار التاريخية ولأنهم رأوا أنه من الضروري اعتبار هذا الاحتلال مختلفاً عن الاحتلال الذي ينسبه رواة الأخبار إلى ١٧ نوفمبر ٨٧٦ أى إلى ما قبل حصار باريس. راجع المصادر المذكورة: دويج، الكتاب الثالث، الفصل الثالث؛ وشيرى، الكتاب الثانى؛ ولينبرج، النص الانجليزى، ص ٧ وما بعدها. وقد خلط رواة الأخبار النورمان ثرا وشعرا الروايات إذ أضافوا أن ينسبوا إلى رول الدور الأساسى في حصار باريس وفي الاحتلال الأول لنوروين، وهو الدور الذي لم يتم به بكل تأكيد.

(2) عندما سال رسول شارل الساذج قبل معركة عام ٩٩٨ عن رئيسهم، أجابه النورمان: هلمس لنا رئيس؛ فكنا مشاؤون.

(3) هرولفر، مع نهر النطق إلى رولف وروول ورو.

وطنسه. وكان أولئك قد اعتادوا على مدى ستة عشر عاماً على العيش في مستقرهم الجديد مع المهزومين، عندما رأى الأهالي ورجال الدين في المملكة كافة أنه لا يمكنهم كسر هذه الأغلال وذلك النير فأجبروا شارل البسيط على أن يبعده بالسلام، وتفاوض على السلام أسقف روين، وكان صديقاً بحكم الضرورة للنورمان؛ وفي سانت كلير على ابنتي (٩١٢) تنازل الملك لرول وأهله عن البلد الذي كانوا يحتلون<sup>(١)</sup>؛ وقدم له رول فروض الولاء، الإقطاعية، ووعد بأن يتحول هو ومن معه إلى المسيحية ونفذ وعده، وتزوج من ابنة الملك غير الشرعية. ونال لقب كونت؛ ثم أطلق على نفسه لقب دوق؛ وعلى الأراضي اسم نورمانديا؛ وقام هو وخلفاؤه بتوسيع تلك الأراضي، إنشاء خلافت كبار الإقطاعيين مع الملك، وأثناء الحروب الأهلية التي جاءت بالكاييين إلى العرش. وبعد أن حصل رفاق رول في السلاح على جزء من الأراضي وصاروا سادة على الشعب القديم، استساغوا حياة الفرسان الفرنسيين. وتحولوا من عبادة أودين إلى المسيحية؛ ومن مساواة الفايكنج إلى طبقات إقطاعية؛ ومن غنائم النهب غير المؤكدة إلى الممارسة المستمرة لتعسف البارونات؛ ونسبوا الوطن الذي نبههم وطردهم، وأنجبوا أبناءً من نساء البلاد في الغالب. وفي الجيل الثاني بدؤوا يتحدثون لغة شمال فرنسا، فيما عدا نواحي بايو وكوتانس حيث كان لوصول هرق جديدة من النرويج والدنمارك أثر في الاحتفاظ بالوثنية لمدة أطول بسنوات عدة، وباللغة الاسكندنافية لأكثر من قرن وبروح الشراسة والتمرد على الدوام. وقد وهبت فرنسا للفرقة الجدد، بالإضافة إلى الدين واللغة عادات وأساليب وشيثاً من الثقافة الكلمية، ونظم الإقطاع كافة؛ إلا أن البارونات قد احتفظوا

---

(٢) يتفق هذا البلد في رأي نيهنج مع جزء من أراضي السهول السفلى الحالية وجزء من أراضي لوريه.

بنفوس حرة فى خضوعهم للدوق، دون أن يثقلوا كاهل الطبقات الدنيا. لقد كانت الدوقية أكثر الجيران خطراً على التاج الفرنسى من أية إقطاعية كبيرة أخرى: فقد اشتعلت الكراهية القومية لمدة خمسة أو ستة قرون بين أهالى ومواطنى الدوقية وفرنسا(1)؛ خاصة أن النورمان الذين اكتسبوا صبغة أهل الغال الخارجية لم يفقدوا طباع أجدادهم وميولهم: فقد أظهروا إلى جانب شجاعتهم الكبيرة ونظامهم وقدرتهم الحربية، أظهروا حكمتهم فى تدبير شئون الدولة والشئون الاقتصادية؛ فقد كانت لهم حاسة قوية للكسب، وعقل نابه ويد خفيفة فى استلابه؛ وكانوا سريعى الغضب لا تكبحه إلا المصلحة، يترجحون بين العناق والشجار حتى بين الأشقاء وبين الآباء والأبناء فى اقتسام الفنائم؛ وهم إلى جانب هذا مفاكرون وماجنون ومحبون للهجرة والتنقل؛ وعند بداية القرن الحادى عشر أطلقوا النمان لفريزتهم هذه بالحج إلى قبر المسيح، ولكنهم لم يغمضوا أعينهم أثناء الطريق عن أى شئ يستطيعون الحصول عليه. وكان أن خرج كل فارس يعيش فى ضيق فى داره ليمارس حياة الشيكنج على الأرض على نفقة دول أخرى؛ وفى مجموعات صغيرة قدموا دليلاً رائعاً فى اسبانيا وفى الامبراطورية البيزنطية؛ وجمعوا تدعيمهم شعوب أخرى بفتح إنجلترا وجنوب إيطاليا.

وكما تغير الشيكنج هكذا تغير فى نورماندى شكل القصة الملحمية الخرافية التى كانوا يحتفون بها(2)، وإذا كانت قد جرت بعض المحاولات لتقليدها(3)، إلا أن الشعر الشعبى الفرنسى سرعان

(1) واس. Roman du Rou. كان الفرنسيون ينتقمون بكالمبورج، وكان هذا بكل تأكيد قبل القرن الثانى عشر الذى عاش فيه المؤلف: Francheiz dient le Normandie. *ce est la gent de North mendie*. البيتان الشعرى 119 و 120.

(2) انظر الكتاب الرابع من هذا التاريخ. الفصل العاشر، ص 291 من المجلد الثانى.

(3) واس. المرجع المذكور، البيت الشعرى 2108، ويشير إلى الروايات الإيقاعية التى سمعها أثناء عباده من المنشجين (*juglors*) (*giullari*) وتقال الهرم (*jongleurs*).

ما تجاوزها حتى إن مُنشد جويليم الفاتح في معركة هاستينجر (١٠٦٦) أشعل نار الشجار بإلقاء أنشودة أورلاندو وهي فرنسية اللغة والموضوع. وجاء بعد القصة الملحمية الخرافية بلغة الاسكندنافية وأسلوب حياتهم والتي لم تعد تستخدم، جاء بعدها السرد التاريخي المسيحي، والذي بدأ دودنيه دي سان كوينتينو، وهو شماس بيكاردي بدءاً (٩٩٤) بناءً على طلب كونت نورماندي الثاني وأتم تحت حكم الكونت الثالث، في نثر لاتيني تتخلله بعض أبيات الشعر. رواية بذخ ذلك الشعب وتلك الأسرة الحاكمة منتهجاً أسلوب الرواية الشفهية نفسه الذي استخدمه رودلفو كونت إيفري (١1). وصار بالضرورة تاريخ دودنيه بالنسبة للزمن السابق على معاهدة إيتي. وهو تاريخ تمتزج فيه الحقيقة بالرواية الإسكندنافية ويميله كثيراً عدم التزام التسلسل التاريخي: وفي الزمن اللاحق صارت يوميات البلاط تزينه بعض القصص الديني وبعض العبارات البلاغية اللاتينية: وتحت حكم دوقات آخرين نسخ بعض الشماسية واستكملوه، بعضهم بالنثر اللاتيني وبعضهم الآخر بالشعر الفرنسي، حتى أواخر القرن الثاني عشر (2). ولكن الأمراء النورمان الذين ظهروا في إيطاليا هي ذلك الوقت، أرادوا هم أيضاً كتابة أخبارهم لتقليد بلاط روين، فتم تحريرها بناءً على القصص التي كان يرويها المحاربون عن بطولاتهم التي حققوها وعن روايات الأقدمين التي حفظوها: ومن هنا فإن الرواة والكتاب وضعوا في هذه الأخبار زخرف الكلام سواء كان

---

(1) *Dudonis super Congregationem Sancti Quintini decani, De (1) Moribus Normannorum* في كتاب دوشنسي. *Scriptores*. من ص ٥٦ إلى ص ٥٩. وانظر نقد لينيح في *A History of England under the Norman Kings*. نسخة تورب، ص ٢٠.

(2) جويليمو دي جومبيج (*Willelmus Gemmeticensis*) المعروف بكلوكولوس (١١٣٧)؛ أودوريكو هيناليس (١١٤١)؛ واس دي چرسى، *Roman du Rou* (١١٨٤)، وغيرهم كثيرون يمكن الرجوع إليهم في كتاب لينيح، المرجع المذكور، ص ٢١ إلى ص ٢٨.

فرومسياً أم دبرياً؛ وهذه هي المصادر الرئيسية لتاريخ الفترة التي نتناولها بالدراسة.

وأول المصادر حسب الترتيب الزمني هو تاريخ النورمان الذي دونه أماتو وهو راهب بدير مونتى كاسينو ومن إقليم كمبانيا، وقد كتبه فيما بين سنة ألف وثمان وسبعين وألف وست وثمانين (1)، ومنذ ثلاثين سنة وحتى الآن توجد نسخة من هذا المؤلف بالفرنسية أدخلت عليها بعض الملاحظات ولعلها منقوصة وغير أمينة في بعض المواضع (2) وهذه النسخة تتداولها أيدي العلماء والباحثين. وهي مع ذلك وثيقة ثمينة للغاية لأن مؤلفها، وهو إيطالي المولد والتعليم يجلّ روبرتو جويسكاردو ووريكاردو أمير كابوا، ولكنه يكن وفاءً أكبر لديره، شاهد معاصر لأحداث النصف الثاني من القرن الحادي عشر؛ ويستقى كتاباته عن النصف الأول من القرن من مصدرين وهما رواية كاسينو والرواية

*L'Ystoire de li Normant et la Cronique de Robert Viscard par* (1) *Aimé moine du Mont-Cassin*، الذي نشره م. شمبلون - فبجالد. باريس ١٨٢٥. وقد ظل انتشر بحث كبير وبما لا يدع مجالاً لمناقضته على اسم المؤلف وموطنه وتاريخ المؤلف. *Prolegomenes*، ص ٣٣ وما بعدها. وكان م. جوتير داولك قد استخدم منذ سنة ١٨٣٠ مخطوطة غير دقيقة موجودة في مكتب أماتو. *Histoire des Conquêtes des Normands en Italie* etc.

(2) وضع الناشر العالم الإضافات التي لا شك فيها بين قوسين. ويمكن أن نجد إضافات أخرى كما يبدو. كما نجد أجزاءً مبتورة هنا وهناك مثل نهاية داتو غير السعيدة، الكتاب الأول، الفصل الخامس والعشرون، وفي تاريخ روبرتو جويسكاردو، والذي توجد لدينا منه النسخة اللاتينية. أخطأ المترجم في فهم بعض الجمل منذ السطور الأولى، حيث ترجم عبارة «سعد» *nec minus facie quam vitae integritate formosa* فائلاً؛ *belle de face et de tous membres entière*. ويبدو لي كذلك أن أماتو في معركة كان التي وقعت عام ١٠١٩ قد وضع اسم المكان بينما كتب المترجم *et sont peues les lances estroites came les comes sont en lo lieu ou il croissent*.

النورماندية: ويحذر رهباني يروي الحقيقة، ويدل الإهداء إلى رئيس الدير الأب دزيغريو ومزار الكتاب كله على أن الدير قد أهداه إلى الأميرين اللذين يقومان على حمايته لكي يكافئتهما على كرمهما بمنحهما الشهرة والصيت. وقد كتب جوليلمو المعروف بأبولو وهو كاتب من كتاب البلاط، كتب في نهاية القرن الحادي عشر لروجيرو دوق بوليا ولليابا أوربانو الثاني(1) كتاباً شعرياً باللاتينية في الأخبار التاريخية يبدأ من أولى عمليات النورمان في إيطاليا وينتهي بوفاة روبرتو جويسكاردو: وأسلوبه في الرواية ملئ بالحيوية والدقة والحقيقة فيما عدا بعض المشاهد التي استقاها من القدامى ومن الخرافات الاسكتندنافية والروايات الفرنسية(2): ويبدو لي أن المؤلف فرنسي(3). وكان فرنسياً بكل تأكيد الراهب جوفريدو مالاثيراً، الذي كتب في نشر لاتيني بطولات روجيرو الصقلي لمقارنتها بمظاهر الأبهة

(1) أوربانو الثاني وهو فرنسي كان البابا من سنة 1088 إلى سنة 1099: وجلس روجيرو. وهو ابن روبرتو جويسكاردو، على العرش في بوليا من سنة 1085 إلى سنة 1111.

(2) إن اللقاء لقاء عرضي بين ميلو والنورمان في مونتى جرجانو يبدو لي مشهداً كلاسيكياً تم وضعه في بداية الديوان. والضمائم الفاصلة التي سدها روبرتو جويسكاردو هي معركة شيفيتلا مستمدة من أدب العائدة المستبدرة. أما حيلة روبرتو، الذي تظاهر بالموت ووضع في التابوت ليحتل إحدى قلاع كلابريا التي لا تعرف اسمها، فإنه نسخة طبق الأصل من عملية هاستينجز في لوني. وهي خرافة اسكتندنافية كررها دوجنيه دي سان كوينتين في نهاية القرن العاشر (في كتاب دوشيسن، المرجع المذكور، ص 61 وص 65) وتم تكرارها في قصة أروندو القاسي الملحمية، كما ذكرنا في الكتاب الرابع، الفصل العاشر، ص 291 من المجلد الثاني.

(3) ثيرابوسكي، تاريخ الأدب الإيطالي، الكتاب الرابع، الفصل الثالث 5 و 8. وقد هاجم هجومياً غاضباً البندكتيين من سان مور لأنهم سلبوا منّا في *Histoire Littéraire de la France*، المجلد الثامن، ص 188، سلبوا جوليلمو دي بوليا. وقد رده السيد روجيرو وليمائز الألمانى إلينا لأسباب متعددة تمت الإشارة إليها في مقدمة الأخبار التاريخية المذكورة في كتاب برتز، *Scriptores*، المجلد التاسع، ص 239 والمذكورة باستفاضة أكبر في برتز، *Archivio Storico*، المجلد المباشر، ص 92 وما بعدها. ومع كل هذا فإن جوليلمو، كما يظهر من اسمه وعدم جهته ضد اللوتيجياريين



والفخامة عند آل جويسكاردا، وقد نقل هذه البطولات عما سمعه من الكونت نفسه، وتتوقف كتاباته قبل سنتين من وفاة روجيرو، سنة ألف وثمان وتسعين. كان مالاتيرا قد قرأ أخبار نورمانديا التاريخية وبعض قدامى اللاتين؛ وفكر، هو أو الكونت روجيرو، في طباع البشر وميولهم وفي أحداث الدول؛ ومن هنا أخذ بوصفه مؤرخاً وليس راوياً للأخبار التاريخية؛ في الكتابة عن بدايات أسرة هوتشيل في إيطاليا، وعن تفاصيل الحرب الصقلية؛ ولا يبدو لي الأمر بسيطاً عندما يمزج معجزات القديسين بمعجزات سيوف النورمان؛ وعندما يحجب عدد القوات المعاونة بينما يبالغ في عدد الأعداء؛ وعندما لا يذكر العمليات الفاشلة أو الإجرامية.

أما عن جرائم روبرتو وروجيرو مثل السلب والنهب ونصب الكماثن مثل رجال المصائب والفسخ والمنف بين الإخوة فيروى مالاتيرا بإسهاب مثله في ذلك مثل جوليملو دي بوليا؛ ولم يكن هذا لحرتهما والسماحة الأميرين بقدر ما كان بسبب الفكرة السائدة عن جماعات المرتزقة والتي انتقلت إلى بلاط الحكام حيث كانت تعدها أعمالاً حربية تدعو للفخر وذنباً هينة يدفعون عنها بسخاء للكنيسة<sup>(1)</sup>. فإذا ما نحينا جانباً الزخرف الأسطوري عن أولى العمليات العسكرية، وشيئاً من الحرص أو المبالغة هنا أو هناك في العمليات الأخرى،

واليونانيين وسكان بوليا، يبدو لي رجل دين أتى من فرنسا أو وكند في إيطاليا من عائلة فرنسية، وكل ما قد يبدو من كلامه لوماً للنورمان نجده مستخدماً للمداهنة في لغة مالاتيرا الفرنسية، وكان له وقع المدح طيفاً لعاداتهم.

(1) يذكر مالاتيرا، الكتاب الأول، الفصل الخامس والعشرين، أن الكونت روجيرو كان في كلاتيرا في إحدى المرات مع أربعين من رجاله المخلصين *plurimum penuriarum passus est, sed latrocinio armigerorum suorum in multis sustentabatur; quod quidem ad ejus ignominiam non dicimus, sed ipso ita præcipiente, adhuc viliora et reprehensibilia de ipso scripturi sumus, ut pluribus patescat quam laboriose et cum quanta angustia a profunda paupertate ad summum culmen divitiarum vel honoris attingerit.* وبالتالي فإن الكونت المعجوز روجيرو كان يفتخر بهذا.

فإننا نجد أن كتابات أماتو وجوليلمو ومالاتيرا تنقل إلينا الروايات النورماندية عبر ثلاثة طرق مباشرة ومتوازية وغير متصلة ببعضها. ويضيف موجز، يبدو لي من أعمال القصر ويرجع إلى سنة ألف ومائة وست وأربعين، بعض التفاصيل طبقاً لروايات أخذ الزمن والمصالح هي إضادها(1). وكثيراً ما ينقل لهوني دوستيا، الذي كتب في بداية القرن الثاني عشر تاريخاً عاماً عن مونتي كاسينو، كثيراً ما ينقل عن أماتو ويضيف وقائع أخرى في حذر مزدوج بصفته راهباً وكردينالاً. أما لويو بروتستاريو، وهو مؤلف يرجع إلى نهاية القرن الحادي عشر، فيساعدنا بأخباره الموجزة وبدقته وحيدته بين اليونانيين والنورمان. وهناك معاصرون آخرون من الإيطاليين ومن وراء الجبال، سوف أذكرهم في المواضيع الملائمة، يصححون أحياناً آراء الكتاب من جانب النورمان؛ ويصحح البيزنطيون بعض الوقائع الخاصة بالاستيلاء على بوليا، والعرب وقائع فتح صقلية؛ وكل من الجانبين يمران مرور الكرام على سقوط حكمهما ولا يتحسمان للحديث عنه.

(1) هذه هي الرواية التاريخية التي نشرها كياروزو في *Bibliotheca Sicula*. من ٨٢٧ وما بعدها، بعنوان *Anonymi Historia Sicula*؛ ومن بعده سوراثوري في *Rerum Italicarum Scriptores*، المجلد الثامن، ص ٧١٠ وما بعدها بعنوان *Anonymi Vaticani Historia Sicula*، أما النسخة التي كانت موجودة بالفرنسية القديمة في مخطوطة أماتو نفسها فقد أخرجها إلى النور م. شامبلون، المرجع المذكور، بعنوان *Chronique de Robert Viscard*، ولا يمكن أن نتفق مطلقاً مع العالم المحقق الفرنسي في أن المؤلف هو أماتو نفسه، وكما ذكر م. شامبلون فإنه ينبغي أن نستبعد من النص الجزء الذي يبدأ من سنة ١١٠١ وحتى سنة ١٢٨٨. ولكن ما يسبق هذا قد كتب نحو سنة ١١١٦ كما يدل على هذا الكلمات (في كتاب كياروزو، ص ٨٤٦) *Huic successit ille hominum maximum. Rogerius. rex Sicilie, Tripolis Africae.* والذي لم يجرؤ المؤلف، كما يقول، أن يبادر بمده. وتتمه الحديث تبدأ مباشرة بعد هذه الفقرة بالكلمات التالية:

*Post mortem comitis, prout confletur in chronica, successit Rogerius ec.* وأحد سنة ١١٤٦ لأنه يذكر غزو طرابلس وليس غزو المهدية والساحل كله والذي وقع بعد سنة ١١٤٨. واختلاف المؤلفين الذي أثبتته يدل عليه عدم التوافق بين بعض القصص مثل فرار أردوينو وقت استيلاء جوليلمو ذي الذراع الحديدى على قيادة فرقة ملقى كلها إلخ.

وجد أوائل النورمان الذين عبروا جبال الألب بناءً على طلب أمير سالرنو(1)، وهم مفامرون بسبب الحاجة أو الجشع أو الاضطهاد الذي نال منهم في بلادهم الأصلية(2)، وجدوا في إيطاليا رغبة شديدة لزعزعة نهر أباطرة الشرق. وكان هؤلاء قد بقوا سادة للمرة الثانية على كلايريا وبوليا وحكموهما طبقاً لما اعتادوا عليه: فتركوا مسلمي صقلية يرتعون فيهما ويفرضون الإتاوات على تلك المناطق لا تكبحهم جيوش جيدة أو اتفاقات رشيدة؛ وبهذا ظهرت من جديد مطامعهم القديمة في إمارات بنفنتو وكابوا وسالرنو. وهكذا أخذ هؤلاء السادة اللونجويارد يتوجهون مرة تلو المرة إلى أباطرة الغرب؛ بينما أخذت شعوب بوليا. وقد صارت ناضجة بسبب المستجدات في ظروف إيطاليا العامة، في التمرد والثورة واستدعت مسلمي صقلية لمساعدتها(3). وبعد ثورة إزمجارو، وهو وطني غير ذائع الصيت (٩٩٧ - ١٠٠٠)، ثار ميلو، وهو نبيل من نيلاء باري من أصل لونجوياردى، يروى عنه تاريخ القرن الحادى عشر الغامض مصائبه أكثر مما يروى فضائله، ويلتزم الصمت حيال دعوته لثورة بوليا أو

(1) انظر الكتاب الرابع، الفصل السابع، ص ٢١٩ وما بعدها في المجلد الثاني. ومع كل هذا انظر دي ميو، *Apparato Cronologico Agli Annali del Regno di Napoli* نابولى ١٧٨٥، ص ٢٢٥ وما بعدها. وملاحظة واردة في *Regii Neapolitani*، *Archivi Monumenta*، المجلد الرابع، ص ٦، والتي يذكر فيها وثيقة ترجع إلى سنة ١٠٠٨.

(2) هذا هو حال جليبرتو درنجوت، أو بواتير مع الإخوة راهنولو وروودولو وأنكونيل وأورموندو؛ عنهم انظر أماتو، المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل العشرين؛ وروودولو جلابرو، *Historiarum*، الكتاب الثالث، الفصل الأول في *Recueil des Historiens de la Gascogne*، المجلد العاشر، ص ٢٥؛ وجولييلمو دي جومبيج، الكتاب السابع، الفصل الثلاثين، في كتاب دوشمن، *Historiae Normannorum Scriptores*، ص ٢٨٤. كان جليبرتو قد قتل رجلاً يدعى جوليلمو ريوستل كان يتناخز بأنه اعتدى على إحدى بناته. وقد ذكر رواية الوقائع التاريخية الأسماء الثلاثة بشكل مختلف. ويجب أن أنه إلى أن أماتو يقول هنا أشاء حكم الدول روبرتو التورماندى، وهكذا هنتم إرجاع الواقعة إلى ما بعد السد ١٠٢٦ - ١٠٢٥. ولكن يجب أن نقول إن الاسم خطأ وليس التاريخ.

(3) انظر الكتاب الرابع، الفصل السابع، ص ٢١٦ وص ٢١٨ من المجلد الثاني.

تجديده لها؛ وأمره بشن ثلاث حروب في غضون عشر سنوات، وأنه جذب الأمراء اللانجويارد وامبراطور الغرب والبابا للتآمر معه(1)؛ هذا هو ميلو، الشاعر الإيطالي، الذي توفى في ألمانيا مكرماً تكريم الأمراء؛ وهو رجل ذو ثبات ونشاط رائع، يتميز بالقدرة السياسية والشجاعة. لقد كانت باري، بصفتها مدينة لونجوباردية صارت عاصمة للحكم البيزنطي في إيطاليا، تتشيع لقوتين(2)، ولهذا فقد انتصرت الثورة في البداية، ثم استعاد الجانب اليوناني الثقة في نفسه

(1) طبخاً لما جاء به كاتب ترجمة أنجو الثاني، *Acta Sanctorum*، ١٤ يوليو، ص ٧٦٠، فقد منح الامبراطور الميكلو لقب دوق بوليا، وأنه توفى في بامبرج. ويذكر لوبو بروتستاريو، سنة ١٠٢٠، ميلو بلقب دوق بوليا، الذي من الجائز أن منحه إياه شعوب إيطاليا وعناصريه بها، ويكتب الزاهد أديمارو وهو من عائلة شبانوا النبيلة، يكتب في الأحداث التاريخية التي انتهى منها نحو عام ١٠٢٩، أنه في عصر ريكاردو الثاني دوق نورماندي مضى رجل يدعى رودلفو مع كثير من النورمان المسلحين إلى روما وأنهم بالتواطء مع البابا بندتو كانوا يهاجمون بوليا ويمشون فيها فساداً، وأنهم انتصروا في ثلاث ممالك؛ ثم انهزموا من الروس ومن غيرهم من جنود الامبراطورية البيزنطية واقتيد كثيرون منهم أسرى إلى القسطنطينية؛ وأن البيزنطيين، إما غضبوا من النورمانيين أو شغوا فيهم، قد منعوا لمدة ثلاث سنوات الحجاج الغربيين من المرور إلى القدس - عبر جنوب إيطاليا ولاشك - ويروي رودلفو جلابرو في *Recueil des Historiens des Gaules et*، المجلد العاشر، ص ١٥٦ والذي كتبه نحو سنة ١٠١٤، يروي أولى عمليات النورمان في إيطاليا على النحو التالي: أن المحارب رودلفو الذي كان ريكاردو النورماندي يخطبهم ويتعقبه ذهب إلى روما؛ وتقدم إلى البابا بندتو؛ فطجعه على محاربة اليونانيين في جنوب إيطاليا؛ وأنه بدأ هجماته، وأن نورمان لا حصر لهم أنوا شيئاً فشيئاً برحضا الكونت ريكاردو فدعموا صفوفه؛ وأنه انتصر في ممركتين؛ ولكنه بعد المعركة الثالثة، ذهب بعد أن رأى قواته قد قل عددها إلى الامبراطور طالباً مساعدته، فمير الامبراطور إلى إيطاليا (١٠٢٢). وفي فرنسا كانوا، بعد عشرين سنة، ينسبون أصل هذه الحرب إلى البابا، انظر تاريخ جلابرو، الكتاب الثالث، الفصل الأول، في *Recueil des Historiens des Gaules et*، المجلد العاشر، ص ٢٥ وص ٢٦. والمحارب رودلفو هو أحد أشقاء جيلبرتو الذي يتحدث عنه أمانو وإيرون دوستيا.

(2) لا يتحدث رواد الوثائق التاريخية عن قوتين في باري إلا في حرب سنة ١٠٥١ وهي حصار سنة ١٠٧١ عندما احتلها النورمان، ولكن ظروف ميلو، الذي تبعه أهل باري ثم تخلوا عنه، واضطراره إلى الهرب، ثم إرسال زوجته وابنته إلى القسطنطينية من قبل المواطنين، تشير إلى أن بداية هاتين القوتين اللتين لم يكن هناك مناه من وجودهما ترجع إلى بداية القرن. وكانت الدعاء أصدقاء للبيزنطيين بينما كان التلاء أعداء لهم.

بسبب دعم القسطنطينية له، واعيدت الحكومة الأجنبية (١٠١١). ولجأ ميلو إلى قصور اللونجوبارد الذين كانوا يساعدونه في الخفاء (1)، وتفاوض في كابوا مع المفامرين الذين قدموا من نورماندى، وقدم لهم السلاح والجياد والرواتب (١٠١٧)، واستتعض جنوداً آخرين في أراضى سالرنو وبنفنتو (2)، وتحرك بالجيش كله لمواجهة اليونانيين.

وكسرهم في ثلاث مصادمات أو أكثر (١٠١٧ - ١٠١٩)، ونسبت أولى أمجاد النصر للنورمان؛ وصارت بوليا حرة، إلا أن قائداً جديداً أرسلته القسطنطينية قطع أوصال جيش المتمردين فوق سهل كائى المشثوم (أكتوبر ١٠١٩). وجدّد ميلو المحاولة بفرقة من النورمان جاءت من سالرنو. وعلى مدى ثلاث سنوات صار عددها كبيراً؛ ووقعت لها المذبحة الثانية عند مېلفى. عندئذ تردد أمراء اللونجوبارد: فأسرع ميلو إلى ما وراء جبال الألب طالباً المساعدات من الامبراطور أريجو. وبينما كانت تجرى التجهيزات، وافته العناية. أما رفيقه في الثورة وأخو زوجته داتو فقد تم إعدامه (١٠٢١) بعد أن باعه أمير كابوا ورئيس دير مونتي كامينو. وعادت الشعوب تزح تحت النهر، بينما كان يقاوم رئيس هنا ورئيس هناك بمساعدة مسلمى صقلية. أما الخمسمائة نورماندى الذين بقوا على قيد الحياة

---

(1) أمانو، الكتاب الأول، الفصل العشرون. وليوني دوستيا الذى نقل عنه. الكتاب الثانى، الفصل ٢٧. يقولان بإيجاز شديد إن النورمان، وقد دعاهم أمير سالرنو إلى القوم لإيطاليا، قد تقابلوا مع ميلو في كابوا وأن *Les choses nécessaires de mangier et de boire lor furent données, de li seignor et bone gent de Ytalie.* شفاف جداً. فقد بدأ جوليمو دي بوليا، سواء لتقديم احترامه وتبجيله لريبات القنون والعلوم، أم لأن بلاط جويسكارنو بعد احتلال سالرنو الأثم لم يكن يجب سماع أن أمراء سالرنو قد استدعوا أوائل النورمان، بعد لقائه مصداقة مع الحجاج إلى مزار مونتي جرجانو. بدأ بلقاء غريب يرتدى ملابس غريبة الهيئة، فيكشف له أنه ميلو فيقدمهم بسهولة ويسر إلى حضار مواطنهم للعمل لديه. وتبدو هذه رواية شعرية متناقضة مع رواية أمانو.

(2) ليووني دوستيا، الكتاب الثانى، الفصل ٢٧.

من ثلاثة آلاف عبروا إلى إيطاليا، فقد بقوا في خدمة سالرنو ومونتي كاسينو وحصلوا على رواتبهم وانقسموا إلى ست فرق، فرقتان لدى رئيس دير مونتي كاسينو، وأربع فرق مع الأمير. وعمل آخرون في خدمة كابوا و نابولي (1).

وقضوا عشرين سنة أخرى جنوداً مرتزقة دون أن يافل نجمهم ودون أن تكون لهم سطوة وجبروت. وازدادت مكانتهم في العلاقات بين الدويلات، وكثيراً ما انتقلوا من دويلة إلى أخرى بسبب البخل والتقتير والحرص على بقائهم أحياء مُقَمَّدين. وقد ازداد عددهم شيئاً ما حسب المكاسب التي كانوا يحصلون عليها من أناس من جنسهم كانوا يبحثون عن الثروة فيما وراء الألب ورجال أشقياء جُندوا في لومبارديا وفي جنوب إيطاليا كانوا يتخذون عادات النورمان ويتعلمون لغتهم. وقد أفاد أمير سالرنو أكثر من غيره من هذه الفرق. فقد وسَّع حدوده. وقد أغدق عليهم دوق نابولي أكثر من غيره. فبعد أن استعاد الدولة بفضل فرقة منهم، منحهم الأراضي التي أقاموا عليها مدينة أهرسا (١٠٢٩). وحصل قائدهم راينولفو على لقب قنصل ثم على لقب كونت. وعندما نزل في تلك الأزمنة أريجو الثاني وكورادو الصالح إلى الإمارات ليحافظا فيها على سلطة الامبراطورية المتزعزعة ضد السلطة البيزنطية، نظرا إلى النورمان نظرة طيبة بصفتهم أجانِبَ وغرياء؛ ومنح كورادو في احتفال مهيب مقاطعة أهرسا لراينولفو (١٠٣٨) وسلمه الراية الامبراطورية

(1) هان بين، أماتو، الكتاب الأول، الفصل الواحد والعشرين. وما بعده: جوليمو دي بوليا، الكتاب الأول: لوبو برونسيتاريو، سنتي ١٠١٧ و ١٠١٩: *Annales Brunepentani*. ١٠١٧. في كتاب برتز، *Scriptores*. المجلد الثالث، من ١١٧٨ لهوني دوستها. الكتاب الثاني، الفصل ٣٧ والفصل ٣٨. لا يتفق المؤرخون حول عدد المعارك التي انتصر فيها النورمان، ويرى أماتو وحده هزيمتهم الثانية. وإد لم ينهم مترجم أماتو التي فيها صحبها فقد ذكر في الفصل الثاني والعشرين أن ثلاثة آلاف من النورمان قد جاؤا إلى سالرنو بعد معركة كان؛ ولكن هذا يبدو لي غير حقيقي وينبغي تصحيحه كما فعلت.

فوق أحد السهام(2).

وتبدو الفرقة النورماندية هي هيئتها الأولية مجموعة من الفرسان تضم ما بين خمسة وعشرين وثمانين فارساً، تحت قيادة قائد متعهد يدفع رواتب الرجال ويحصل لنفسه، بصفته قائداً مختاراً بدير المال العام، على راتبه العام وعلى الفتيمة. ويبدو أن الفرق كانت تكلف بالقيادة المؤقتة قائداً يختارونه جميعاً فيصير في ذلك اليوم كما نقول الآن عميداً لفيلق من الفيالق(2). وقد كان في إبطالها نحو سنة ألف وثمان وثلاثين فيلقان أو فرقتان: وكانت أولاهما من الجنود المحنكين وأنصارهم الذين استدعوا من نورماندي، وكانوا يعيشون في أهرسا وتحولوا إلى ملاك وصاروا أقل ميلاً للمغامرات وأخذوا في تنظيم أمورهم على طريقة مؤسسات أوطانهم نفسها تحت قيادة عميد دائم أو من يطلق عليه كونت منحه الامبراطور امتيازاً: ولكنه كان أكثر تمسكاً وميلاً إلى الفتيكج مما حصل عليه من الإقطاعية. وأما الفرقة الأخرى، وهي من الفتيكج الحقيقيين، فكانت من الشباب الذين كانوا يجربون أقدارهم ويبحثون عنها وكانوا مختلطين بمدد أكبر من الإيطاليين: وقد تركت هذه الفرقة رواتب أمير سالرنو

(1) فلان بين: أماتو، الكتاب الأول، الفصل الرابع والعشرين وما بعده، والكتاب الثاني من الفصل الأول حتى الفصل السابع: جوليلمو دي بوليا، الكتاب الأول: لويو بروشيتاريو، سنة ١٠٢٦ وما بعدها. وعلى الرغم من أن مالاتيرا يغفل ذكر عمليات التورمان قبل مجئ جوليلمو دي مونتهيل، فإنه يشرح شرحاً دقيقاً في الكتاب الأول، الفصل السادس، اتجاهات وميول الفرق النورماندية قبل سنة ١٠١٠.

(2) بعد معركة كان (١٠١٩) يكتب أماتو: *Et de li Normant non remainstrent se non cinc cent et vj grant home de li Normant remainstrent, de liquel ij remainstrent avec Athemulf ec.* الفصل الثاني والعشرين. وكان الامبراطور أنجو الأول قد ترك في سنة ١٠٢٢، في إحدى فلاع أقاليمه في ميلو أرمية وعشرين فارساً نورماندياً بقيادة ثيودستانو. أماتو، الكتاب الأول، الفصلين التاسع والعشرين والثاني والثلاثين. وفي سنة ١٠١٠ كان الثلاثمائة نورماندي الذين حضروا من أهرسا لمعاونة أريونو، تحت إمرة اثني عشر قائداً كما سبق أن ذكرنا وكانوا يتمتعون بالمساواة فيما بينهم. ويبلغ عدد الفرقة في الحالة الأولى ٨٠ فارساً بينما يبلغ عددهم في العائتين الأخرتين ٢٥ فارساً.

للتضوى تحت رايات البيزنطيين. وكان عددهم حوالى خمسمائة فارس تحت قيادة قائد متصرف، هو اردوينو من أهل ميلانو(1). وبعد أن عبر الفارس اللومباردى الحكيم مع رجاله الفئار بعد إهانة منياتشى جرّب حظه فى عملية كبيرة. واشتعلت ثورة بوليا التى لم يخمدها ميلو(2) بشكل جيد اشتعلت من جديد على يد ابن ارچيرو بمجرد أن خرج الجنود البيزنطيون من البلاد للحرب فى صقلية؛ ولكن هزيمة القسطنطينية قاومت المتمردين حتى إن بارى تم أخذها واستعادتها؛ وهى للنهابة عاد ميكيلى دوتشيانو من صقلية وبدأت عمليات التعذيب والقتل فى العاصمة (نوفمبر ١٠٤٠). وبقي ارچيرو فى الإقليم، هارياً او مدججاً بالسلاح(3). وهى الوقت نفسه وصل اردوينو وتعامل مع المتمردين؛ ولأنه لم يثق بصفته جندياً فى قوات التمرد أو فى بارى المفتوحة للبيزنطيين من الفرق العسكرية ومن البحر قرر أن يرفع راية أخرى للثورة فى ملقى التى تحمى ظهرها جبال الأبنين عند نهاية أكبر واد يتم العبور منه إلى دول البحر التيرانى، وهى دول معادية بطبيعتها للقسطنطينية. ومضى إلى أفرسا ليعرض الظروف والأحوال؛ كانت أفضل الجيوش اليونانية منهكة فى صقلية. وكانت شعوب بوليا على استعداد لحمل السلاح. وقال للكونت راينولفو: «ولماذا تبقى أنت قائماً بشبرين من الأرض، مثل فأر فى جحر، بينما يمكنك ممي أن تصبح سيداً على تلك البقاع الفنية. بعد أن تطرد منها أولئك النساء فى زى الجنود الذين يقومون بالحراسة(4)» وبعد أن

(1) الكتاب الرابع. الفصل العاشر. ص ٢٩١ و ٢٩٩ وما بعدها من المجلد الثانى.

(2) نذكر فرق رايبكا التى أشرنا إليها فى الكتاب الرابع. الفصل السابع. ص ٢٤٥ من المجلد الثانى.

(3) انظر *Annali di Bari*. ولويو برونستازيو. أعوام ١٠٢٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١. فى برنيز. *Scriptores*. المجلد الخامس. ص ٥٦ و ٥٧.

(4) *Et vous i habitez comme le sorice qui en lo portus... que sachiez que je vous menerai d homes feminines, c'est d homes comme fumes, liquel demorent en moult riche et espaciose terre.* الكتاب الثانى. الفصل السابع.

عشر. ص ٤٢.



اجتمع مجلس الرؤساء قرروا القيام بالعملية، وانفقوا على الاتحاد مع اردوينو، وعلى أن يحصل على نصف المكاسب. وقامت أهرسا بتقديم ثلاثمائة رجل تحت قيادة اثني عشر قائداً أطلق عليهم آنذاك وهما بعد لقب كونت وكانوا متساوين في الدرجة ولهم الحق نفسه عند تقسيم الغنيمة(1).

وهي بداية سنة ألف وواحد وأربعين قاد اردوينو لبلأ وهي هدوء الفرقتين إلى ملفى، والتقى مع أهل المدينة الذين كانوا يحملون السلاح فأخذ يهتف قائلاً لهم، «سوف أحقق لكم الحرية التي تتوفون إليها. إنني أهي بما أقول: قوموا الآن بواجبكم، واستقبلوا أصدقائي هؤلاء الذين أرسلهم الله ليحرروكم من العبودية، رفاقاً وإخوة»(2) ويتم التوقيع على العهد بآلا يكون لملفى سيد إقطاعي؛ وتبادلوا القسم على التحالف والصدقة(3). وفي اليوم التالي انطلق النورمان للحصول على الفنائم من هنوزا: وفي اليوم الثاني من أسكولى، ثم

Cum terra sit utilitatis

Famines Gravis cur permittatur haberi?

جوليمو دي بوليا، الكتاب الأول.

(1) أماتو: *Et eslut li conte (il conte) xij pare à liquel ec.* الفصل الثامن عشر من

١٢. جوليمو دي بوليا.. *comitatus nomen honoris Quo donantur erat.*

(2) أماتو. الكتاب الثاني، الفصل التاسع عشر، من ١١.

(3) *Et quant il oïrent ensi parler Arduyne, se consentirent à lui et font li sacrement de fidelité de chascune part de paiz se la terre non avoit autre seignor que ou à cui face tribut se clame tributaire. Et en ceste regne se clame terre de demaine et se à autre seignorie se clame colonie come sont en ceste regne la terre qui a autre seignorie. Et sanz lo roy estoit come sont en ceste regne la terre qui a autre seignorie. Et sanz lo roy estoit* *seignor Arduyne et en celle part se clament colone.* الفصل

التاسع عشر، من ١١ ومن ٢٥. والجملة التي كتبها بالحروف العادية هي جملة أصابها التلف بكل تأكيد أما ما يليها فهي ملحوظة أدخلها المترجم شرح فيها على طريفته قانون نابولي لعام في القرن الثالث عشر: لأن أماتو ما كان بإمكانه أن يكتب في القرن الحادي عشر لفظي مملكة وملك. وقد أغفل ليوني دوسها هذا الحدث المهم، ولكننا لا نستطيع أن نعهد نص أماتو إلى ما كان عليه. ولكن لا بد أن المعنى هو ألا يخضع أهل ملفى للإقطاعي وألا يقوموا بتقديم خدمات إقطاعية، وألا يدفعوا الضريبة إلا للدولة، وهو ما أطلق عليه في صقلية بعد أن فتحها النورمان: البقاء في أملاك الدولة.

من لاهيللو ومن كل أنحاء بوليا دون مقاومة (1). وكان عدد الفرقتين ورجال بوليا الذين تبعوهما يبلغ ثلاثة آلاف رجل، منهم سبعمائة فقط

(2). إن الأحداث التي أوجزها في هذه الفقرة من عودة أريونيو إلى البر الإيطالي وحتى احتلال ملفي قد استقيمتها من أماتو، الكتاب الثاني، الفصل الرابع عشر وما بعده، ومن جوليملو دي بوليا، الكتاب الأول، *Aversam subito venit Hardanius*، ومن مالانبرا، الكتاب الأول، الفصل الثامن، ومن ليوني دوستيا، الكتاب الثاني، الفصل السادس والستين، ومن شيرينو، المجلد الثاني، ص 515 من طبعة بون، ومن حوليات باري (وهي مجهولة المؤلف) ومن لوبو برونستارو، السنتين 1010 و1011، وبالإضافة إلى الاختلافات البسيطة هناك اختلاف لا بد من التنويه إليه. يقول أماتو. ويمضي ليوني دوستيا على منواله. إن أريونيو، بعد إهانة منيانشي، بقي في خدمة البيزنطيين، وأثار أهل بوليا سراً، وذهب إلى أفرسا بحجة القيام بالهج إلى روما. ويحول جوليملو دي بوليا إنه قد سب وأثار في ريجو، وجرى مسرعاً إلى أفرسا. وقد اختلف مالانبرا عنه قليلاً فيجعل السب يجري في صقلية والتمرد الواضح بعد عبوره الفزار. ولا يذكر أية إشارة إلى معونات أفرسا، فالروايان، وأولاهما رواها أماتو وليوني، وثانيتهما رواها جوليملو ومالانبرا، يختلفان في طريقة وزمن عصيان أريونيو ومعه الجماعة النورماندية. فهل حلوا بين جوانحهم الإهانة عدة أيام، أم عدة شهور؟ وهل اعتلوا عصيانهم في نوفمبر سنة 1010 في كلابريا، أم في بدايات سنة 1011 في ملفي؟ إن جوليملو دي بوليا يصل إلى حد ذكر عدد الجنود الذين قتلهم النورمان من الفرقة البيزنطية التي كانت تطاردهم عندما تركوا معسكر ريجو ويقول إنهم كانوا خمسين. وعلى النقيض من هذا يذكر أماتو تفاصيل تضليل أريونيو: وكيف أنه أقصد دوتشيانو فقدم له ذهباً كثيراً، وكيف أنه كلف بإدارة أراض كثيرة في بوليا: وكيف بدأ في اجتذاب كبار البومالطين وإقامة الولائم لهم. وإلى إظهاره الأسى من مظالم الحكم اليوناني، ووعوده بأنه سوف يقوم بعمل يحبرهم: وفي النهاية كيف أنه حصل على إذن بالسفر بزعم أنه ذاهب إلى روما طلباً للتوبة والفرار، وذهب إلى أفرسا. والآن وقد صار من الواجب أن نكذب هذه الرواية أو تلك، مع التسليم بصسقية من كتبها، فإن ظروف كل من المؤرخين وطبيعة مؤلفاتهما تجعلنا نقيم جوليملو وليس أماتو، ولن نتحدث عن مالانبرا الذي كان يكرر في تلك الفترة إحدى قصص أسيرة هونظيل، ولا يذكر مساعدات أفرسا، ويجعل من جوليملو ذي النزاع العبدى قائداً للنورمان، وقد صار قائدهم فعلاً بعد ذلك بثلاث سنين. وبالإضافة إلى هذا فإن حرب أريونيو ورجاله بأسلحتهم من وسط صقلية وفقاً لرواية مالانبرا، ومن ريجو وفقاً لرواية جوليملو دي بوليا، وحتى ملفي أقل تصديقاً من نشاط النورمان وتضليلهم لمدة طويلة ومن سنين دوتشيانو لأريونيو، الذي لم يكن هارباً من واجبه العسكري وإنما كان محارباً أهانه منيانشي وسبه ظلماً. وفي النهاية فإن الحادثة كما ذكره لوبو وقدمته حوليات باري، وهو أن دوتشيانو كان عائداً من صقلية في نوفمبر 1010 للسيطرة على نوار بوليا يجعلنا نفترض أن النورمان ربما قد عبروا بقوات دوتشيانو وأنه قد جعل منهم حامية في أرض لا تبعد عن ملفي. وما العجب في أن يكون قد جرى تصمين عبورهم تغير الحاميات بعد خمسين أو ستين سنة لتصبح هروفاً للأمراء

على ظهور الجياد وقتلون منهم يرتدون الدروع.

في السابع عشر من مارس بدأ دوتشيانو الممركة ضدهم على ضفاف أوليغننتو أسفل ملقى ومعه فرقة أوبسكوى من آسيا الصغرى وأعاونهم الروس: وكانت نسبتهم خمسة أو ستة إلى واحد وكانوا أفضل تسليحاً؛ ولكنهم هُزموا (7). ووقعت لليونانيين الهزيمة الثانية على الرغم من دعم التراقيين والإيطاليين لهم في مونتماچوري على أوفانتو في شهر مايو؛ ووقعت لهم الهزيمة الثالثة في شهر سبتمبر في

النورمان وتبلاهم بالشكل الذي يقدمه لنا جوليلمو دي بوليا ومالاتيرا هيبالفان في شجاعة الجبل السابق ويغفان من خيائته وغمره<sup>٩</sup>. وعموماً فإن المسك برواية أمانو وأتقى ما كتبه مناهياً لذلك في الكتاب الرابع. الفصل العاشر. ص ٢٩٩ من المجلد الثاني عندما اتهمت جوليلمو ومالاتيرا وكل المؤرخين المحدثين الذين صدقوهم، ولم يكن كتاب أمانو تحت أنظارهم. فإذا اتهمنا البعض بالنزق لهذا السبب فسبكون هذا أهون من ألا أقسم شهادتي بالحقيقة طالما أنني متفتح بها.

(7) نذكر حوليات باري. بإدلة الحديث بلفظ يقال، أن عدد اليونانيين كان ١٨٠٠٠ وتذكر أن النورمان كانوا ٢٠٠٠ أو أكثر قليلاً؛ ويقول فوبو بروتستيناريو إنهم كانوا ٢٠٠٠. وإلى أقبل هذه الأعداد وأوافق عليها دون تردد ولا أوافق على الأعداد التي كتبها المؤرخون النورمان، أي جوليلمو دي بوليا الذي يخصص عددهم هكذا: ٧٠٠ مارس و ٥٠٠ من المشاة؛ ومالاتيرا الذي يقول إنهم كانوا ٥٠٠ جندي من ناحية بينما كان اليونانيون ٦٠٠٠ من الناحية الأخرى. وكما فعلنا مع حروب صقلية فإنه ينبغي قسمة عدد جيوش العدو على ستة. ومضاعفة عدد جنود النورمان ست مرات عندما نفرد مالاتيرا. أما عن تاريخ احتلال ملقى فإن غالبية المؤرخين وكتاب حوليات وكتاب والمحققين بمن فيهم موريتوري ودي ميو قد أرخوا احتلال ملقى والممركة الأولى بتاريخ سنة ١٠١٠. وبمراجعة أحداث قريبة من هذا الحدث تاريخياً مؤكداً في التاريخ البيزنطي نجد أنه يجب أن نأخذ بالتاريخ الذي ذكرته حوليات باري وبروتستيناريو، وهو سنة ١٠١١. ويشهد على هذا التاريخ كذلك ليووني دوسنيا شهادة صريحة فيقول إن ملقى قد تم احتلالها سنة *Domenice Nativitatis MLXI*\*, quo videlicet anno dies paschalis venit *Sabbati ipso die festivitatis Sancti Benedicti* (٢١ مارس): وفي الحقيقة أن عهد الفصح قد وافق يوم ٢٢ مارس في سنة ١٠١١ وليس في سنة ١٠١٠. ويذكر كتاب *Chronicon Breve Northmannicum*, في كتاب موريتوري، *Rerum Italicarum*. المجلد الخامس، ص ٨٧١، يذكر كذلك في سنة ١٠١١ أول احتلال لبوليا من جانب النورمان بقيادة أرمونو. ويذكر تاريخ مارس ومايو ١٠١٢ (من التجسد أي سنة ١٠١١ حسب التقويم العام) تاريخاً لأول انتصارين على اليونانيين. \* لا بد أن هناك خطأ مطبعياً فهذا الرقم الثلاثيني يوافق عام ١٠٦١ (المترجم).

مونتبيلوزو، وفيها لم يتعرف النورمان بالتأكيد على الأصل الواحد الذى يجمعهم مع الفرانجييين الذين كانوا منضمين إلى الجنود اليونانيين والسلاف يحاربونهم بقيادة بويوانى. وحدث توازن فى نتيجة الحرب سنة ألف واثنين وأربعين، عندما عاد إلى إيطاليا ميثائشى القوى الجبار. ولكن النصر عاد ليكون حليفاً دائماً للنورمان (1).

فيما بين تلك الحروب كانت فرقنا أفرسا وصقلية تقيمان فى ملقى يجمع شملهما على ما يبدو ويتقاسم قيادتهما اثنا عشر قائداً كانوا يقومون على أمورهما بالتشاور فيما بينهم، وأقام كل منهم فى قصر وحى خاصين بالمدينة (2)؛ وكان كل منهم مستقلاً عن الآخرين ويغار منهم؛ ولكنهم كانوا يتنافسون دائماً على إظهار بأسهم فى أرض المعركة. وقاموا بتجنيد فرسان ومثاة إيطاليين فى الإمارات اللونجوباردية وفى لومبارديا ذاتها بالأموال والسلاح والجياد التى غنموها من العدو وبالعود التى قطعوها لهم بأن يحصلوا على مكاسب كبرى (3)؛ وضمموهم - كما يبدو لى - إلى فرقهم بدلاً من أن

(1) قارن بين: أماتو الكتاب الثانى، الفصل الواحد والعشرين وما بعده؛ وحوليمو دى بوليا، الكتاب الأول، *Audito reditu Michaelis*، حتى نهاية الكتاب، ومالانبرا، الفصلين التاسع والعاشر؛ ولويس بروتسترايو، *Annali di Bari*، سنتى ١٠١١ و ١٠١٢؛ وليونى دوستيا، الكتاب الثانى، الفصل السادس والسبعين. ويتفقون جميعاً على ترتيب الأحداث؛ أما التاريخ وفرعها فيرد فقط فى كتاب لويو وفى هولييات بارى. ويعتمد لويو على التقويم الميلادى، وأحياناً على طريقة سالرنو أى بدءاً من ٢٥ ديسمبر، (انشر برلز، *Scriptores*، المجلد الخامس، ص ٥١)، وفى الأغلب على طريقة القسطنطينية، أى بدءاً من الأول من سبتمبر السنة السابقة. وسبتمبر ١٠١٢ يوافق سبتمبر ١٠١١ من تقويمنا، وهكذا حتى شهر ديسمبر، ويتبع لويو الترتيب الزمنى للأحداث ويدل على هذا ترويج أباطرة القسطنطينية الذى يمكن أن نقابله بالتواريخ التى يذكرها شديرنو وغيره من البيزنطيين.

*Pro numero cornitum bis sex statuere plateas, (2)*  
*Alque domus cornitum totidem fabricantur in urbe.*

جوليمو دى بوليا، الكتاب الأول.

(3) يقول شديرنو صراحة، الإيطاليون من الأقاليم الواقعة بين نهر البو وجبال الألب: *Et li Normant d'autre part non cessoient de guerre li confin de:* ويقول أماتو: *principal pour home fort et soiffisant de combattre ec.* الفصل الثالث والعشرون، ص ٥٠.

يشكلوا لهم فرقاً خاصة، واختفى أردوينو: إما لموته في الصدامات الأولى، أو لأنه نحي جانباً ازديراً إذ أراد أن تكون القيادة له؛ وبقي دوجا دون جنود بعد اتحاد الفرقتين(1). واستبدل قبل معركة مونتبيلزو (١٠٤١) باتولفو، شقيق أمير بنفنتو ليكمبوا ثقة الشعوب التي كانوا يحتاجون إليها(2)، وبعد بضعة شهور استبدلوا أتولفو أيضاً للأسباب نفسها بأرجيرو الذي نودي به، عند سقوط اليونانيين ذلك، دوقاً لإيطاليا في باري (فبراير ١٠٤٢)؛ وكان قد حمل السلاح بشجاعة(3). وكان أرجيرو، قائد الثورة، أقل من أن يناسب النورمان

(1) يروي أماتو. بعد أن ذكر احتلال ملفي في الكتاب الثاني، الفصل التاسع عشر، يروي في الفصل الثلاثين تقسيم الأراضي المفتوحة بين كونت أفرسا وأشر عشر رئيساً نورماندياً يذكر أسماءهم والأراضي التي خصصت لكل منهم. ويضيف قائلاً: *et d'Arduyne secont lo sacrement donnerent sa part c'est la moitié de toutes choses si come fu la convenence*: ويرجع هذا إلى سنة ١٠٤٢. وينقل هذا ليون دوستها من أماتو في الكتاب الثاني، الفصل ٦٧. مستخدماً هذه الكلمات: *Arduino autem juxta quod sibi juraverant parte sua contradita* الأشر عشر بالإضافة إلى كونت أفرسا كلها أسماء نورماندية. وكل الأراضي التي تم تقسيمها وتسليمها هي مدن أسقفية تقريباً تقع داخل مثلث منحنى الأضلاع من جرجانو إلى فريجننتو ومن فريجننتو إلى مونوبولي. وهي هذه المساحة تبقى هي الحقيقة نصف آخر من الأماكن الهامة يمكن اعتبارها مخصصة لأردوينو لو أننا علمنا أن النورمان قد احتلوها في ذلك الوقت. ولكن هذا الرئيس العظيم لم يذكره أي مؤرخ بعد تعالف ملفي؛ ولم يذكره أماتو أو ليوني بعد هذا للتقسيم، ولم يقل أحد أن أراضي بوليا الأخرى، التي وقعت تحت سيطرة النورمان، قد انتزعت من أردوينو وإن رجاله قد تم ضمهم إلى الشرق النورماندية. وأول الأشر عشر الذين تم ذكرهم بشأن التقسيم هو جوليلمو ذو النزاع الحديدي الذي جاء من صقلية مع أردوينو، وهي السنة نفسها صار كونت بوليا، كما سنرى.

(2) يرجع جوليلمو دي بوليا، الكتاب الأول، اختيار الأجنبي هذا لقمصان التورمان وعسائهم: *Sed quia terrigenis, terreni semper honores, Invidiam partiunt ec.* ولكن أماتو، وهو إيطالي وراغب فيقول: *Et à ce qu'il donassent, ferme cuer à li colone de la terre lo prince de Bonivent ec.*

(3) قارن بين: أماتو، الكتاب الثاني، الفصل السابع والعشرين؛ وجوليلمو دي بوليا، الكتاب الأول، *Nam reliqui Galli ec.* ولويو بروتستاريو. السنة ١٠٤٢. ويروي جوليلمو أنه كان هناك انقسام في البداية بين التورمان بعد تسوية أتولفو، فكان بعضهم يريد الخضوع لجرايماريو أمير سالرنو، وآخرون يرون الخضوع لأرجيرو. ويروي تصنيف

الذين كانوا يريدون أن يخلفوا السادة القدامى لا أن يحرقوا بوليا. ولهذا فإن أحد القادة أثناء حصار تراني كاد يقتله<sup>(1)</sup>؛ فأخذ يتفاوض مع بلاط القسطنطينية من أجل إعادة تأسيس دولة بوليا<sup>(2)</sup>؛ وحاول دون جدوى أن يفوى النورمان بالخروج من إيطاليا ليحوزوا السبق في بلاد فارس ويحصلوا على كنوزها بأموال الامبراطورية؛ فصار دوق بوليا يرضى الشعوب وامبراطورية الشرق عدواً لدوداً لهم، وتآمر مع البابا ومع الامبراطور الألماني من أجل إبادة النورمان<sup>(3)</sup>. ولكن القادة الماكريين الذين انفصلوا عندما دخل أرجيرو بينهم وانتقل بعضهم لدى امير سالرنو<sup>(4)</sup>، سرعان ما أدركوا أن الاتحاد

أرجيرو في باري الذي نادى به الشعب، ورفضه لهذا المنصب أمام كبار المواطنين الذين دعاهم للاجتماع في كنيسة القديس أبوليناري. وأنه أجبر على قبوله بالتصويت العام واختياره اميراً. ويسو أن الشاعر يريد وصف الطريقة التي أصبح بها دوقاً على بوليا ذلك المواطن الذي أصبح عليه النورمان سلطة ونهس هزفتهم وحاميتها. ففي انتخاب هوري وعام يشاركه فيه أهل باري والنورمان كانت ستقع مشاكل خطيرة، ويكتب لويو قائلاً: *et mense february factus est Argyrus Barensis princeps et dux Italie*. ولكنه لم يقل ممن. والمؤكد أن باري كانت في ذلك الوقت متمردة، ولم تعد الخضوع الليونتيين إلا في سنة ١٠٤٢.

(2) أماتو، الكتاب الثاني، الفصل السابع والعشرون. ويقول بروتستاريو إن هذا الحصار قد بدأ في أغسطس ١٠٤٢، وأنه استمر شهراً.

(2) قارن بين: أماتو، الكتاب الثاني، الفصلين السابع والعشرين والثامن والعشرين؛ وجوليلمو دي بوليا في نهاية الكتاب الأول وبداية الكتاب الثاني؛ وليوني دوستيا، الكتاب الثاني، الفصل ٦٦؛ ولويو بروتستاريو، السنوات ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٦. وملاحظ أن أرجيرو قد ذهب في السنة الأخيرة إلى القسطنطينية وأن ذلك البلاط دعا كل المنفيين إلى باري. ولما لم يستطع أباطرة الشرق أن ينتزعوا بوليا من النورمان بالقوة، لجأوا إلى التصويت الشعبي، إلى جانب التشديد من سطوتهم من جديد عندما استطاعوا ذلك. راجع في كتاب تينكيرا، *Syllabus graecarum membranarum etc.* نابولي ١٨١٥.

ص ٥٢. وثقة عام ١٠٥٤ التي يطلق فيها على أرجيرو لقب *Magister Vestis et dux Italie, Calabriae, Siciliae, Paphlagoniae, etc.*

(3) راجع: أماتو، الكتاب الثاني، الفصل السابع والعشرين وما بعده؛ وجوليلمو دي بوليا، الكتاب الثاني من البداية؛ لويو بروتستاريو، السنين ١٠٤٢ و ١٠٥٢. وليوني دوستيا، الكتاب الثاني، الفصل ٦٦.

(4) جوليلمو دي بوليا، الكتاب الأول، *Multa per hoc tempus sibi promittente*، وما بعدها، *Salerni*.

وحده هو السبيل إلى الأمل في السلامة والنصر على الإيطاليين. فأعادوا الرابطة النورماندية، ووضعوا على رأسها جويلمو الذراع الحديدية بلقب كونت بوليا، فقد كان أقدرهم في الحروب وأكثرهم عدداً وعدة؛ وانضم إليهم كونت أفرسا واعترفوا بجوايماريو أمير سالرنو سيداً إقطاعياً عليهم. وتم الإعلان على التحالف الجديد في ملفي في شهر سبتمبر سنة ألف وثلاث وأربعين، وتم معه تقسيم الأراضي التي جرى احتلالها بالقوة أو بالاتفاق، وهكذا حصل كونت أفرسا والاثنا عشر الآخرون، وجويلمو مثل الآخرين، حصل كل منهم على مدينة كبيرة وبقيت ملفي مشتركة بينهم بوصفها العاصمة(1). وهكذا فإن النظام السائد كان خليطاً من النظام الإقطاعي والفيدرالي، وسرعان ما تحول إلى نظام إقطاعي صرف. ويبدو أن القادة حكموا المدن التي خصصت لهم حكماً وراثياً بوصفهم بارونات، وزادوا الضرائب، وأجبروا السكان، حسب التقاليد اللونجوباردية على خدمات وجدوها في البلاد ولم يلفها الحكم البيزنطي: بل إنهم بدلاً من القضاء على مظالم ذلك الحكم، أضافوا إليها ما بقي عالقاً بذاكرتهم من مظالم بلادهم في نورماندي(2). وكان

(1) أمانو، الكتاب الثاني، الفصل الثامن والعشرون إلى الفصل الثلاثين: ليوني فوستيا، الكتاب الثاني، الفصل ٦٦، الثلاث عشرة مدينة التي خصصت في كابيتولا وأرض باري وبرينشيباتو كلها مدن أسقفية، ونصفها كان كذلك قبل القرن العاشر عشر. ويذكر في هذا الصدد ما سبق أن لا حظته من هذا التقسيم في الهامش رقم ٢، ص ١٠.

(2) هكذا صحت الأمور بالضرورة، ولو أن قليلاً من آثار ذلك الإقطاع النورماندي قد بقيت. ومن المؤكد أن نرى في البدايات أن بعض الأراضي قد أخضعت بالقوة أو بالمواثيل؛ وأن بعضها الآخر، قد صارت كونشدرالية تقريباً، وحافظت على حكمها الجماعي بأن دفعت إتاوة أو مساهمة فيدرالية. ربما ظلت مساهمة مشتركة للإنفاق على الجيش. وفي الواقع يقول جويلمو دي بوليا، الذي يفترض صواباً أو خطأ تقسيمها قبل احتلال ملفي ويكتب في الكتاب الأول:

..... undique terras  
Divisere sibi ni sors inimica repugnet.  
Singula proponunt loca quae contingere sorte  
Cuique duci debent et quaeque tributa locorum.

الخضوع لأمير سالرنو شكلاً من أشكال الإقطاع؛ ولكنى اعتقد أنه كان بلا التزام بالخدمة العسكرية أو غيرها. وكان كونت بوليا الجديد المنتخب قائداً مدى الحياة وحاكماً فيدرالياً، ولكنه كان له الحق فى تصيب أو على الأقل فى اقتراح بارونات جدد للأراضى التى يتم الاستيلاء عليها بمرور الوقت(1)؛ وهكذا كان المجلس الاتحادى يذخر برجال صنعهم وبعد مرور ثلاثين عاماً ابتلع الكونت الثالث السيد الإقطاعى والمنضمين للاتحاد وحكم الجانب الأغلب من إيطاليا الجنوبية متخذاً لقب دوق.

وكانت الأسرة التى ارتفع قدرها إلى هذا المستوى العالى قد قدمت من كوتنتينو، وهو إقليم نورماندى أكثر من كل الأقاليم النورماندية الأخرى(2). فى أوائل القرن الحادى عشر كان يحكم أراضى هونفيل القليلة بالقرب من مارتينى فى إبيراشية كوتانس(3)، رجل يدعى تانكريدى، وهو نبيل من وسط طبقة النبلاء، لا يمتلك ملكية كبيرة، ولكنه كان رجلاً قوياً وشجاعاً، غير مجهول فى بلاط دوقات نورماندى، ولكنه ليس قريباً من أقرانهم، كما قالت القصص الخرافية فيما بعد(4)؛ وكان أباً لإثنى عشر ابناً قوى البنيان تعلموا

---

ويشير أمالو بهذا الشكل، فى الكتاب الثانى، الفصل السابع والمشرين، إلى مكاسب النورمان تحت قيادة أرجهو، أى سنة ١٠٤٢: *et toutes les cités d'elure: constreigneient qui estoient al lo commandement et à la raison statute que estoient; ensi alcun volontairement se soumettoient et alcun de force et alcun paioient tribut de denapiers chascun an.* (1) هكذا قام الكونت أوتفريدو بمنح الامتيازات لأشقائه روبرتو، وموجيرو وجويلمو، وفى النهاية قام روبرتو بمنحها لروجرىو.

(2) انظر ما سبق فى صفحة ٢٢ - ٢٤.

(3) يحدد المكان جوتيه دارك، *Histoire des conquêtes des Normands en Italie ec.* باريس ١٨٢٠، الكتاب الأول، الفصل الرابع، ص ٦٤ وما بعدها. (4) من أحوال تانكريدى دى هونفيل وظروفه راجع: مالاترا، الكتاب الأول، الفصل الرابع، والفصل الأربعين: *Cronica di Roberto Guiscardo*. الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الأول، ص ٢٦٢، والنص اللاتينى فى كتاب كاروزو، ص ٨٢٩، *Cronica di San Massenzio*، المروية بـ *Chronicon Malleacense*، فى



حسب التقاليد السائدة في ذلك القرن والمرعية في البلاد: الصيد، واستخدام السلاح، والفروسية، والعطف الممبىح والأخلاق، بعد أن كانوا قطاعاً للطرق. وبعد أن كانوا جنوداً مرتزقة، فإن ثلاثة من كبارهم وهم جوليلمو، ودروجوني وأونفريدو<sup>(1)</sup>، نزلوا إلى إيطاليا بعد أن مروا بأحداث مختلفة؛ وناضلوا في كابوا، ثم في سالرنو وانتقلوا مع جيش منياتشي إلى صقلية (١٠٣٨) حيث قاد جوليلمو جماعة أو

---

*Recueil des Historiens des Gaules etc.* المجلد الحادي عشر، ص ٦٤٤، جوليلمو دي ملبسيري، الكتاب الثالث، في المجموعة نفسها، المجلد التاسع، ص ١٨٧، أودوريكو هيتاني، الكتاب الخامس، في كتاب دوشين، *Historiae Normannorum Scriptores*، ص ٥٨٤.

ويقول تاريخ سان ماسينيو إن العائلة كانت فقيرة وغير دائمة الصيت: جوليلمو مالمسبوري *Mediocri parentela ortus ec.* أما مالاتيرا وتاريخ روبرتو جويسكاردي فيدعمان القول بنيل نانكريدی: *praelari admodum generis-generis nobilis*. أما عن القرابة مع دوقات نورمانديا، والتي أكتسبها في البداية بعض كتاب التاريخ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، فلم يبق لها أحد من النقاد. انظر المبحث الخاص بهذا الموضوع والذي ألفه [ف. موير والذي طبع في لندن سنة ١٨٥٠ والذي بمقتضاه نجد أن هذا الزعم يستند إلى سنيين واهيين للغاية: الأول هو أن والد نانكريدی كان ابناً من أبناء ريتشارد الأول، وأسمائهم غير معروفة؛ والثاني هو أن موريل ابنة ريتشارد نفسه غير الشرعية هي ماريللا زوجة نانكريدی الأولى، ويبدو أن هذا الرأي كان شائعاً في بلاط بالرمو سنة ١١٤٠ لأن تاريخ روبرتو جويسكارديو يقول: *uxor nobilissima Muriella nomine*.

وعلى غير انتظار استطع في هذا الصدد خير من أظهار الكتاب العرب، إذا كنا نثق في كتاباتهم وعلمهم. فنذكر ابن خلدون في موضعين من التاريخ (المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ١٨٤ وص ٢٩٧) اسم أول كونت على صقلية وهو روجار بن نانكريدی بن خيرة، أو حسبما ذكرت مخطوطات أخرى، ابن ج. و. هـ، والذي يبدو أنه اسم امرأة وقد يدل على أن أسرة هونشيل يرجع أصلها النبل إلى أم نانكريدی، وإذا افترضنا أن هذا الاسم اسم مذکر، وقد يكون كذلك، فيمكن قراءته هوجو أو إيهماجير (فالعرف الأول يظهر بظهور وضع النقطة فيمكن أن يكون ج. أو هـ. أو ج.) وهما اسمان مستخدمان في النرويج وفرنسا. وإن من بين بهذا التحليل للعالم المستشرق النرويجي السيد بروك الذي يمتد أن هذا الحرف قابل للتعديل في الافتراض الثالث ليصبح هابي (أو ربما هابو) وقد يمل، مع وجود خطأ يسهل التعرف عليه، قد يمثل اسم إقطاعية هونشيل.

(1) ويلهلم ودروجو وهومفريد، وحسب التعلق الفرنسي جولوم ودرو وهومفري.

فرقة أيا كان اسمها(1)، واستحق أن يطلق عليه لقب الذراع الحديدي. وتلقى بشجاعته كذلك في حرب بوليا؛ وكان يلقي بنفسه وهو محموم ودرجة حرارته أربعون في اشتباك المتحاربين في مونتلوزو (١٠٤١) ويكسب المعركة؛ لقد كان جسوراً بين الشجعان، وكان أنيساً وعاقلاً وكان بجانبه شقيقان كل منهما كونت أو قائد فرقة، فمن ذا الذي كان يستطيع أن ينافسه على المكان الأسمى في الصفوة العسكرية في ملفى؟ وعند وفاته بعد ثلاث سنوات (١٠٤٦) صار دروجوني كونت بوليا، وقام بمراسم تقليده الامبراطور أريجو (١٠٤٧)؛ ثم بعد أن قُتل دروجوني (١٠٥١) وليّ النورمان أخاه أونفريدو، وتحت زعامته اخمدوا انتفاضة شديدة قام بها الأمراء والشعوب(2).

كان هذا الاضطراب مشروعاً إذ أن الشعب كان يبحث عن الحرية وكان يعاني من إهانات جديدة، وكان البابا وامبراطورا الغرب والشرق قد أثاروا الاضطرابات لمصالحهم الخاصة تحت الشعار المعتقد: الصالح العام والأخلاق والعدالة والدين. وكان النورمان يتيحون لهم الفرصة. وإذا كانت حقيقة لا توجد شهادات محددة على جشع هؤلاء وتجبرهم في إيطاليا فإننا قد نستخلص هذا من الأحداث المعاصرة التي وقعت في إنجلترا حيث عمل النورمان وهم ضيوف إدوارد الأول، عملوا كثيراً على تحريض السكسونيين على الثورة(3). ولهذا فتحن

(1) أماتو ومالانبرا وليوني دوستها يطلبون عليه قائد الفرقة، ولكن هذا يبدو لي خطأ مقصوداً من جانب أمراء أسرة هونفيل. انظر في هذا العدد الكتاب الرابع، الفصل المنشور من هذا المؤلف، المجلد الثاني، ص ٢٩١ الهامش رقم ٢ وص ٤٠٠ الهامش ١.

(2) راجع أماتو وجوليلمو دي بوليا ومعاشرهم المذكورين سابقاً. ويؤكد م. جوليه آرلد، المصدر المذكور، الكتاب الأول- الفصل الخامس، ص ١٤١ يؤكد أن دروجوني قد نال من أريجو الثالث لقب دوق، ولكن الفقرة التي يرفقها من إرماتو كونترانو موضع شك، والوثيقة التي تحمل اسم دروجوني وثيقة منلوطة في تاريخها وهو ١٠٥٣. فقد جُلبن دروجوني في أغسطس ١٠٥١.

(3) انظر المصادر التي أوردها أوجستين نيهري، *Hist. de la Conquête d'Angleterre*، الكتاب الثالث، صفحتي ١٠١٨ و ١٠٦٥.

نصديق كتاب ذلك العصر من الألمان والإيطاليين والبيزنطيين هي روايتهم لظلم الفرق النورماندية المرابطة في بوليا والمختلطة مع الجند القادمين من وراء جبال الألب ومع الجند الإيطاليين، والذين كان وطنهم الوحيد هو معسكرهم، وفضيلتهم الوحيدة هي البسالة المنظمة<sup>(1)</sup>. وأطاع الرعايا الجند الذين جردهم الأمراء مما لديهم وأهانهم الجند، أطاعوا القوى الثلاث التي كانت تمد أيديها لهم فجأة ودون توقع. فدعت القسطنطينية، لإصلاح الأمور، المبعدين والمنفيين للعودة إلى باري؛ ونصبت أرجيرو دوقاً على إيطاليا وهو الابن البكر للثورة؛ ووعدت بوليا بمصر ذهبي. أما الامبراطور الجرمانى فقد سارع إلى إرسال الجنود، وقد ناشده البابا وحثه على هذا فقد كان في تلك الفترة وكهلاً له في إيطاليا. وكانت العملية تهم بلاط البابا في روما أكثر من غيره بعد أن مرّ به قرنان من

---

(1) راجع إرماتو كونتراتو في كتاب برنز، *Scriptores*. المجلد الخامس، ص ١٣٢: *Indigentes bello premere, injustum dominatum invadere, hereditibus legitimis castella, pradia, villas, domus, uxores etiam quibus libuit vi Gesta episcoporum auferre, res ecclesiasticas diripere ec.. Mediolan*. في كتاب برنز، *Scriptores*. المجلد العاشر، ص ١٠ ومن ١١. يقول بالمثل إن النورمان بعدما تغلبوا عليهم شيئاً فشيئاً في بوليا، أصبحوا أشد قسوة من اليونانيين وأكثر عنفاً من السراسنة. وتقلت من فم أماتو كذلك بعض الشكاوى عندما يمرض للحدث عن مونتي كاسينو. الكتاب الثاني: الفصل الواحد والستون، وجوليلمو دي بوليا نفسه، عند إشارته لأعمال البابا ليونى، يؤكد أن أرجيرو *Veris commiscens fallacia mittit ec.* وأنسى جانباً شهادات كثيرة أخرى لأنها لا طائل منها أو مشكوكاً فيها مثل شهادات أذا كورميننا. ويمتد فرارزى، في كتابه *Histoire des Révolutions d'Italie*. المجلد الأول، ص ٣٤٤ وما بعدها، يعتقد أنه تم التشهير بالنورمان من خلال رد الفعل الوحيد الذي انطلق آنذاك ضد ثورة الأساقفة النهدرالية، وبالرغم من أنى لا أستطيع، دون بحث أعمق ودراسة أطول، أن أنسى أو أقبل شروح ذلك المفكر الجديدة عن تاريخ الوطن: إلا أنى أرى الالتزام بتأكيدات المؤرخين المحددة، والتي تتفق بالإضافة إلى ذلك مع أحوال الفاتحين أو الحاكمين الأجانب كافة، ثم إن الظلم والإجحاف والرد عليه لا يشلوفان، ومن المؤكد أن النورمان، إذا كانوا قد خدموا إحدى الثورات الإيطالية، فإنهم قد حولوها لمصلحتهم الخاصة.

الخزي والعار وأخذ يبحث عن النهضة طبقاً لنصائح إلدبراندو الراهب الذي أخذ عندما صار كردينالاً في إصلاح مادرج عليه رجال الدين وهي اختصار الكهنة، وهي أمور حارب من أجلها إلدبراندو عندما صار هو البابا؛ ومع أسلحة العنف والحربة كان يجدد محاولة الحصول على مكاسب في إيطاليا الجنوبية. وقام ليوني التاسع، وهو رجل متدين ذو فضائل شخصية، بتسيير الجيوش لتحرير الشعوب، كما كان يقول، من الاستبداد؛ ولحماية الفقراء توطأ مع الامبراطورين ومع أرجيرو ومع أهالي بوليا الذين لطخوا أيديهم بدم دروجوني، عندما ذبحوه غدرًا على عتبة المعبد. وكان يهدئ الضمائر بالغموض الكهنوتي: «إنني لا أتوق إلى موت أي نورماندي، ولا إلى موت أحد من البشر» هذا ما كتبه ليوني بعد ذلك بسنوات قليلة إلى قسطنطين مونوماكو، «ولكنني أريد أن أدفع إلى التوبة والتدم بالخوف البشري من لا يخشى عدالة الله» (1).

وبينما كان الأعداء يطلقون العنان لما في صدورهم دون وحدة في المشورة والعمل، أخذ النورمان في دعم موافقهم، وفي التوسع في كلابريا على حساب اليونانيين (2)؛ وجاء عبر الجبال أبناء تانكريد من زوجته الثانية فريديسندا، وأولهم روبرتو جويسكاردو (1017)،

(1) رسالة ليوني التاسع إلى قسطنطين مونوماكو، في كتاب لاني، *Concilio*، المجلد التاسع، ص 982. يقول البابا بوضوح إنه يريد استعادة تراث كنيسة روما، ويريد أن يوفق بين الإمبراطورين اللذين يمثلان ذراعي الكنيسة إلخ. ولا يلزم ذكر استشهادات عن الوقائع الأخرى فهي معروفة معرفة تامة، ويستطيع القارئ أن يحكم على آرائي دون الرجوع إلى مصادر أخرى. لقد أخذت دعوى المطاع من الفقراء من أمانو الذي يكتب في الكتاب الثالث، الفصلين السادس عشر والسابع عشر عن احتجاج ليوني التاسع ولومه للنورمان فيقول: *Et quant cil de Bonivent oïrent tant de perfection et de sanctiè de lo pape, chacerent lo prince et soumistrent soi à la fidelit soe, eux et la cit*. وكما يعلم الجميع فإن ليوني كان قد انتزع بنقلته من أرجيرو الثاني المخلص في مقابل حقوقه على كنيسة يامبرج.

(2) *Chronicon Breve Northmannicum*، في كتاب موراثوري، *Rerum Italicarum Scriptores*، المجلد الخامس، ص 278، السنوات من 1018 إلى

ولما لم يعرف أخوه دروجوني ماذا يفعل له، أرسله مع حفنة من الرجال إلى حدود كلايريا؛ وأمر بتجهيز ملجأ من الخشب على قمة أحد الجبال: دعاء روكّا دي سان مارتينو؛ وهناك قال للشباب أن يأخذ كل ما يستطيع أن يراه بعينه والتف عائداً إلى بوليا<sup>(1)</sup>. وبدأ روبرتو في فتح كلايريا بوصفه لصاً؛ فسرق المواشي، ونهب القرى، وخطف الأفراد لدفع الفدية، وحرق محاصيل من رفض دفع الإتاوة، وقتل من دافع عن أملاكه؛ حتى إن إقليماً كان يرعى في أحضان السيادة الإقطاعية، وكان قطاع الطرق يرتمون في أحضان سيادة إقطاعية أخرى، ووسط أسوأ الممارسات جعل روبرتو من نفسه قائداً كبيراً، وحسن من أوضاعه بإحدى الزيجات وإحدى الخيانات؛ واستاجر جنوداً، وجذب آخرين أكثر عدداً وأعدا إياهم بالغنيمة، وبالعدالة في توزيعها وبهيئته العسكرية التي تتم على الإرادة والتصميم، وسيماء التي تتم عن أنه رفيق طيب، وشهرته التي تتحدث عن شجاعته المضطربة، وثباته ومكره ومشورته الصائبة. وهكذا سار جيش من أهل كلايريا تحت قيادة روبرتو عندما نزل البابا ليوني على رأس جيشه إلى شيفيتا على فورتوري، وحشد النورمان قواتهم كلها للدفاع عن أنفسهم. وبعد أن حلت بهم المجاعة، ورفض البابا كل عروضهم وطلباتهم، اضطروا إلى القتال (١٨ يونيو ١٠٥٢) وكان الجيش والفرقة الأولى تحت قيادة أونفريدو، بينما قاد ريكاردو الفرقة الثانية وروبرتو الفرقة الثالثة، وكانت كلها من أهل كلايريا. وهرب الإيطاليون، جنود البابا وكانوا بلا قائد؛ أما الألمان فقد خاضوا الحرب حتى قُطعوا إرباً؛ أما الإيطاليون المنضمون للفرق والإيطاليون

(1) أمانو، الكتاب الثاني، الفصل الخامس والستين: والكتاب الثالث، الفصل السابع. وفازنه بالمؤرخين الآخرين الذين لا طائل من ذكرهم بالتفصيل. ويقول مالانيرا إن المغنا - الحصن هو حصن سكريبلي في فال دي كراتي.

الذين حاربوا مع روبرتو فقد انتصروا إلى جانب النورمان(1). وبعد أن تركوا جانباً منحة البابا الإقطاعية في ذلك الوقت(2)، فمن المؤكد أن المنتصرين قد أسروا وهم يقبلون هديه، وأن ليونى كان يبارك أحيائهم وأمواتهم، وأنه بكى، وندم وتاب توبة نصوحا، ويقولون إنه أجرى بعض المعجزات، وبعد عشرة شهور عاد حراً إلى روما وحاك مع أرچيرو والإمبراطورين مؤامراته ضد النورمان(3)، ولكن المنية حالت دونها (١٠٥٤)؛ وجاء كذلك ستيغانو التاسع يتحدث

(1) قارن بين: أمانو، الكتاب الثالث؛ وجوليلمو دى بولها، الكتاب الثانى؛ ولويو بروتسباريو، السنة ١٠٥٢؛ ومالاتيرا، الكتاب الأول، من الفصل الثانى عشر إلى الفصل الخامس عشر؛ وليونى دوسيتا، الكتاب الثانى، الفصل ٨٤؛ إرماتو كونتراتو، فى كتاب برتزو، *Scriptores*، المجلد الخامس، ص ١٢٢.

(2) لم يرو أمانو أو جوليلمو دى بولها أو ليونى دوسيتا أو أى مؤرخ آخر هذه المنحة إلا مالاتيرا الذى نقرأ فى روايته: *Quorum (Normannorum) legitimam benevolentiam Apostolicus granteater suscipiens, de offensis indulgentiam et benedictionem contulit et Siciliam lucrari possent, de Sancto Petro hereditarij feudo sibi et heridibus suis possidendam concessit, circa annos 1052*. وهناك خلط بين هذه السنة وسنة ١٠٥٩، كما أن هناك خلطاً فى الاسم بين ليونى التاسع ونيقولا الثانى؛ أو أنه الكونت روجيرو هو المؤلف الحقيقى للرواية، لما علم من إخوته العروش التى قدمها النورمان آنذاك وبعض الوجود المبهمة التى قدمها البابا الأسير، فصاغ الرواية، بعد نصف قرن، من الخيال أو من الذاكرة غير المؤكدة، فى صورة منحة إقطاعية حقيقية. ومن الملاحظ أن أمانو فى الكتاب الثالث، الفصل السادس والثلاثين، يشير إلى عرض النورمان والتماسهم قبل المعركة بقبول التمسبب ودفع التضرية؛ فكيف إذن لا يذكر أن البابا قد قبل العرض وهو أسير؟ ولم أخذ فى اعتباره هنا كتاب روبرتو جويسكارودو *Cronica* لأنه يرجع إلى منتصف القرن الثانى عشر، ويبدو لى أن رسالة ليونى التاسع التى سأذكرها فى التهامش التالى لتحض تماماً قصة مالاتيرا.

(3) رسالة ليونى التاسع إلى قسطنطين مونوماكو، تجددها عند لابس، فى *Concilis*، المجلد التاسع، ص ٩٨١ وما بعدها، وعلى الرغم من عدم وجود تاريخ بالرسالة فإنها ينسب أن تفرغ فيما بين ١٨ يونيو ١٠٥٢ و١٩ إبريل ١٠٥٤، وهو يوم وفاة البابا؛ لأن معركة شيلبيتا يشير إليها بما لا يدع مجالاً للغموض؛ كما لا يمكن أن تقبل رأى سان مارك، *Abbrégé Chronologique*، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ١٧٠ وما بعدها والذى يرى أن هذه الرسالة قد كتبت سنة ١٠٥١، واترض فيما مركة أخرى بين النورمان وجنود البابا، ويقطع ويبرنو وليس شعامة نول الشك باليقين، فهذا فى صورة ليونى التاسع، الكتاب الثانى، الفصل السادس، فى يولانديسمتى، بتاريخ ١٩ إبريل، المجلد الثانى

عن استئناف العملية (١٠٥٨) (1). وكان أونفريدو في ذلك الوقت يستغل انتصاره في شيفيتا، وكان يخضع لحكمه باقي بوليا؛ ويهدد باري ومدناً أخرى صعبة الاقتحام؛ واستأنف جويسكاردو العمل في كلابريا (2)؛ وبهذا كانت سلطة أسرة هوتشيل تزداد وتندعم؛ فصار مالجرينو كونت على كابيتاناتا وجوليلمو على برنشيباتو، وجاء إخوة وأقارب آخرون (3)، وتضمنى أونفريدو أن يجعل مهمته وراثية؛ فعند وفاته، دعا روبرتو للحضور، وعيَّنه وصياً على ابنه الذي لم يبلغ سن الرشد؛ ولعله أوصى بكليهما القادة النورمان؛ وعندما وافته المنية (١٠٥٦) صار جويسكاردو كونت بوليا (4)، فأشهر رفاقه بيد رجل المصائب؛ وقمع بالقوة والمكر أولئك الذين كانوا يتذكرون المساواة؛

---

لهذا الشهر. من ٦٦٢. يذكر جزءاً من الرسالة نفسها لهروي - كما يقول - بكلمات البيا نفسها صدام شيفيتا نولا، ويضيف بكتابه ما نعرفه من أحداث لاحقة للمركة؛ الذهاب إلى بنفونو ثم إلى روما، وحتى وفاة ليوني. ويكتب أماتو في الكتاب الثالث: الفصل التاسع والثلاثين، يكتب: *Et o la favor de li Normant torna d Romeà li X mois puis que avoil esté la bataille.*

(1) أماتو، الكتاب الثالث، الفصل السادس والأربعون والفصل السابع والأربعون، كُتب سينانو التاسع في ٢ أغسطس ١٠٥٧، وتوفي في ٢٩ مارس ١٠٥٨. ويروي أماتو أنه استولى على كنز مونتي كاسينو. لكن يحارب النورمان.

(2) جوليلمو دي بوليا، الكتاب الثاني: مالانيرا، الكتاب الأول، الفصل الخامس عشر. ومن ناحية أخرى يروي أماتو في الكتاب الثاني، الفصل الثاني والأربعين وما بعده انحرشات التي كان يقوم بها في إمارة سالرنو كل من أونفريدو وأخيه جوليلمو وجيسكاردو دافرسا. (3) مالانيرا، الموضوع المذكور. ويشير أماتو، الذي يلخص في هذه الفترة بشكل أكثر إيجازاً أمور بوليا، إلى ميغن ملجيريو، وجوفريدو، وجوليلمو وروجرينو إخوة الكونت أونفريدو في نحو سنة ١٠٥١. وكان جوليلمو هذا هو ابن تانكريد من زوجته الثانية شريديسندا.

(4) ينقل المعاصرون هذا الحدث مجزئاً؛ فينقل كل منهم جزءاً. ويكتب أماتو في الكتاب الرابع والفصل الثاني أنه عند وفاة أونفريدو: *Robert son frere rechat l'onor de la* *conté et la cure de estre conte.* المهمة التي تركت لروبرتو بمسئولته وصياً على الابن بالأبوات: *Rector terrarum sibi eo moriente ec.* ولا يتحدث مالانيرا عن الوصاية ولكنه يقول بالتحديد في الكتاب الأول، الفصل الثامن عشر إن روبرتو *suceptusque a patrie primatibus, omnium dominus et comes et comes in loco fratris officitur.*

وصار في الواقع سيداً إقطاعياً. واتخذ بسهولة شكلاً قانونياً، بأن حصل من بلاط روما على لقب جديد وعلى تنصيبه.

كان إلدبراندو يعهد بلسان نيكولا الثاني لحرب الكهنوت على الامبراطورية بأن أمر بحرية اختياري الباباوات (١٠٥٩)؛ وكانت فكرة الجويلف (مؤيدي البابا) تلمع في فكر الكردينال التوسكاني والبابا المافوياردى الذي عاش في فلورنسا: فقد كان على بلاط روما، وهو يريد أن يتحلل من الخضوع للألمان، أن يعتمد على القوى الموجودة في إيطاليا مهما كانت. وعندما عقد نيكولا مجعماً في ملفى عن النظام الكنسي، قام بأمر أخطر، فقد تفاوض مع روبرتو المحروم من الكنيسة، وباركه، ونصبه سيداً على بوليا وكلايريا ومنحه لقب دوق ليحكمهما بوصفهما إقطاعية لكنيسة روما. على أن يقسم بالإخلاص لها وأن يقوم بخدمتها عسكرياً عند الحاجة وأن يدفع لها ضريبة سنوية مقدارها اثنا عشر ديناراً عن كل يوجيرو (٢٨٨٠٠ قدم ٢) من الأراضي التي يحوزها أو التي وهبت للتورمان حتى ذلك اليوم. كما

(٦) إن واقعتي تعديل القب من كونت إلى دوق والتعبئة الإقطاعية إلى روما ناخضها من المصادر التالية:

أماثر. الكتاب الرابع. الفصل الثالث. وبعد أن برز احتلال ريجو يستطرد قائلاً: *Et pour ce Robert sailli en plus grand estat qu'il non se clame plus conte, messe clamoit duc.* ولا يشير أية إشارة إلى مجمع ملفى أو إلى التمسب. أما مالاثيرا الذي نسب، كما قلنا، في هامش ٢ من ٥٠، المنحة الإقطاعية إلى ليونى التاسع لصالح أوتفريدو، فلا يذكر من قريب أو بعيد مفاوضات ملفى، ولكنه في الكتاب الأول، الفصل الخامس والثلاثين، يضيف بعد احتلال ريجو سنة ١٠٦٠ قائلاً: *igitur Robertus Guiscardus, accepta urbe, diuturni sui desiderii compos effectus, cum triumphali gloria dux efficitur.* ويضبط ليوى بروتستازيو بين الأمرين في سنة ١٠٥٦ ويكتب: *Et Unfredo obiit et Robertus frater ejus factus est dux;* ويكتب العالم كاميللو بلجرتينو ملاحظة على هذه النقطة فيقول إن دروجونى وأوتفريدو قد أطلقا على نفسيهما في وثائقيهما لقب *comes* تارة و لقب *dux* تارة أخرى.

أما *Cronica* للمؤرخ روبرتو هيسكاردو (المجهول عند كاروزو. ومؤرخ الفاتيكان المجهول عند موراثوري) فإنه يسكت عن تصالقات ملفى والعصمولى على الموقية.



وعد روبرتو بأن يتم تنصيبه على صقلية (1). ولم يكن بلاط روما البابوي قد امتلك مطلقاً بوليا أو كلابريا أو صقلية، فعلاً أو اسماً، إلا في هبة قسطنطين المزورة وهي الفقرات المدسوسة على

---

ويذكر مثل مالانبرا منحة لهرن التاسع التي يحددها ويفصلها هكذا: *Discrete ac subtiliter utilitati Sanctae Ecclesiae praevidens, Italiam Apuliam atque Calabriam Guarnerii usque ad Farum comiti Humfredo et suis successoribus, nequaquam coactus in aliquo sed sola spontanea voluntate et suorum consilio Cardinalium, regendas semperque possidendas permisit.* راجع الترجمة الفرنسية في مجلد أماتو نفسه، ص ٢٧٥ و ص ٢٧٦.

جوليلمو دي بوليا. الكتاب الثاني، يستطرد بعد أن يروى وقائع مجمع ملفى قائلاً: *Finita Synodo, multorum Papa rogatu Robertum donat Nicolaus honore ducali. Hic comitum solus concessio jure ducatus Est papae facius jurando jure fidelis; Unde sibi Calaber concessus et Appulus omnis Est, locus et Latio, patriae dominatio gentis.*

ونجد في أخبار النورمان الموجزة في كتاب موراتوري: *Rerum Italicarum Scriptores*، المجلد الخامس، ص ٢٧٨ (٥) هي أحداث سنة ١٠٥٩: *Robertus Comes Apuliae factus est dux Apuliae, Calabriae et Siciliae a papa Nicolao in civitate Melphis, et fecit ei hominum de omni terra.* ويعتمد من أماتو هذه المرة لهرن دوسنيا، الكتاب الثالث، الفصل الخامس عشر أو (السادس عشر) فيكتب قائلاً: *Eisdem quoque diebus et Richardo princi patrum capuanum et Roberto ducatum Apuliae, Calabriae atque Siciliae (Nicolaus II) confirmavit cum sacramento; et fidelitate Romanae Ecclesiae ab eis primo recepta, nec non investitione census totius terrae ipsorum, singulis videlicet annis per singula bovm paria denarios duodecim.* ثم يرجع إلى رواية أماتو وإلى الاستيلاء على ريجو ويختم حديثه قائلاً إن روبرتو *ex tunc caepit dux appellari* وعلى هذا فلمينا أربع روايات مختلفة:

الأولى: تنصيب أونفرينو بيد لهرن التاسع في سنة ١٠٥٢، ويؤيده المؤرخ والمصنف من الجانب الصقلي. ويضيف أولهما بقموض مقصود الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها في اتجاه كلابريا وصقلية. ويعود الثاني، بعد خمسين سنة من مالانبرا اسم صقلية ويغير المنحة الإقطاعية إلى مجرد هبة.

الثانية: تنصيب روبرتو على بوليا وكلابريا بلقب دوق بيد نيكولا الثاني. وهي رواية جوليلمو دي بوليا فقط، وكان صديقاً للمائلتين النورمانديتين في أهرما وبوليا.

وثائق لودفيكر البار، وأتوني الثالث، وأريجو الثاني؛ ولكنه كان له أتباعه ومناصروه بين رجال الدين في جنوب إيطاليا، وكان يتمتع بتقدير الشعب بصفته محرراً ومقدساً، وكان ينشر الرعب الديني في

الثالثة: الرواية نفسها مع إضافة صفلية، ونجدها في ليوني دوستها وهي *Chronicon Breve*، وكلاهما من بدايات القرن الثاني عشر. وكان ليوني كاردينالاً.

وأبداً، لا ذكر للتصليب عند المعاصرين أماتو وبروتستانتيزو الذين لا يتجاهلان لقب فوق الذي تم الحصول عليه.

ومن سميت البعض والاختلاف الآخرين يمكننا أن ندلل على أن التصليب لم يملأ إطلاقاً في البلاد، إذ إن الإجراء كان اختصاصاً للسلطة الإمبراطورية، وبمستابة الإعداد للتعصب ضد الإمبراطورية، لذا ينبغي إخطاؤه بكل حذر وحرص، ولكن الإجراء نفسه ليس محل شك.

ومن بين كل المذكرات التي لدينا عن هذا فإن أقرب المذكرات إلى الأصل هو إقرار روبرتو المكتوب والذي نُسخ في تاريخ نجعله في *Liber censum* الخاص ببلاط روما، والذي نشره بارونيو في *Annales ecclesiastici*، ١٠٥٩، § ٧٠، ويتاريخ سنة ١٠٥٩ نفسها.

*Ego Robertus Dei gratia et Sancti Petri Dux Apulie et Calabriae et utroque subveniente futurus Siciliae, ad confirmationem traditionis et ad recognitionem fidelitatis, de omni terra quam ego proprie sub dominio meo teneo et quam adhuc ulli Ultramontanorum unquam concessi ut teneat, promitto me annualiter pro unoquoque iugo boum pensionem scilicet duodecim denarios papiensis monetae persoluturum Beato Petro ec.*

إن هذه الوثيقة، وأغلبها ظلت وثيقة سرية لسنوات كثيرة، تبدو لنا أصلية ونعبد، كما يرى الجميع، أراضي قليلة في بوليا وكالابريا لدفع الضريبة الجديدة للبابا. وأكثر من هذا تلاحظ فيها طبيعة منح صفلية، أي أنه إجراء لم يتم، ولكنه مجرد وعد، ولم يذكر جوليمو دي بوليا الوعد لأن صاحب الجانب الأكبر من صفلية، الذي لم يكن روبرتو وإنما روجيرو، كان قد نجح في التصليب. وقد أكد ليوني دوستها منح صفلية وجعله مساوياً لمنح بوليا وكالابريا، لأنه كان كاردينالاً وكُتب عنه بعد عهد البابا إندراندو الرهب، أما مالاتيرا فقد كتب تلك العبارة الفاسضة: في اتجاه كالابريا وصفلية، وبمعارفة في تاريخ سنة ١٠٥٢. ثم إن إقرار خلفاء روبرتو وعدم قبول خلفاء روجيرو وما جاء في *Cronica di Roberto Wiscardo*، وهي مدونة تاريخية خاصة ببلاط الملك روجيرو، تبرهن على الاختلاف حول الحق الذي تم الاعتراف به في آخر القرن العاشر، وهو ما سنتحدث عنه في موضعه.

أما بشأن تظهير لقب روبرتو فقد لاحظنا أن أسلافه كان يطلق عليهم أحياناً لقب فوق؛ فانتظروا، كما ينكر بلججينو، اللقب الذي كان البلاط البيزنطي قد منحه لأروچيرو، الثالث

قلوب مغامري ما وراء الجبال المتوحشين. والخلاصة هي أن الرقيب الأكبر على المتاجرة بالمقدسات قد منح روبرتو صفة الشريك في الولاية على مناصريه وأرضاً غير معروف مالكتها في مقابل حصوله على ضريبة نقدية سنوية، وخدمات عسكرية عند الحاجة بالإضافة إلى المكاسب المرتبطة بالسيادة الإقطاعية. وسواء كانت هذه المقايضة مقايضة شريفة أم لا فقد كان بلاط روما يقدم قوافل حقيقية للبر الإيطالي، وعلى النقيض من هذا فإنه في تحالفه مع صقلية، القائم على المخاطرة، لم يقدم لها شيئاً من عنده. واتفقت بالتالي النتائج مع الأسباب فعندما تم الاستيلاء على الجزيرة لم يطلب أحد من بلاط روما تنصيبه: بل إن البابا تنازل عن جانب من السلطة الكنسية للأمير طالباً منه شيئاً من الثقة في القديس بطرس (الكنيسة) في الجزيرة التي يتقاسمها فوتسيو ومحمد. وعلى النهج نفسه الذي جرى مع روبرتو، وللأسباب نفسها قام نيكولا الثاني بمنح أفرسا للكونت ريكاردو وتنصيبه عليها، فقام بعد فترة وجيزة باغتصاب إمارة كابوا (١٠٦٢). وهكذا كان الحكم النورماندي يتغلغل ويتجذر ويتقوى من خلال روابط القرى ووشائج المصالح المشتركة بين ريكاردو وروبرتو: ومن خلال زواج هذا بأخت أمير سالرنو التي من أجلها طُلق بحجج كاذبة القيارداد، التي كانت السبب الأول في عظمته؛ وفي الختام من خلال الاستيلاء على كلابريا الذي حققه روبرتو وروچيرو في صيف سنة ألف وستين.

---

على الإقليم الذي احتله النورمان. ولعل دروجوني وأونفريدمو كانا يتوقان إلى أن يشهرا عن غيرهما من رؤساء الاتحاد الذين يحملون لقب كونت. وعلى كل حال فإن شهادات أماتو ومالاثيرا وجوليملمو دي بوليا ولهبوني دوسنيا تدل على أن روبرتو حصل على اللقب الجديد بشكل فاضح عند احتلال كرياتى أو ريجو. أي سنة ١٠٥٩ أو ١٠٦٠؛ وعلى كل الأحوال بعد منحة نيكولا الثاني. ولا يمنع هذا أنه طلب موافقة بقية رؤساء النورمان الذين يحملون لقب كونت. كما يرى عن حق مؤرخو نابولي وكما نشرنا في كتاب المؤلف المجهول (*Recueil des Historiens des Gaules* cc.). المجلد المشر، ص (٢١٠)؛ ولكن من كان يستطيع أن يمتنع عن الموافقة له.

عبر روجيرو، آخر أبناء تانكريدى، إلى إيطاليا نحو سنة ألف وست وخمسين، وكان شاباً فى الخامسة والعشرين من العمر أو نحو ذلك<sup>(1)</sup>، وكان ضخيم الجسم، مفتول العضلات، جميل الهيئة، حلو الحديث، معروفاً بشجاعته، محباً للمديح، طموحاً مثل غيره من أهل بيته وأمه، ومشاعياً ولكنه منفتح وليبرالى، ليست له نقائص روبرتو الرئيسية، ولكنه كان معادلاً له فى الحرب، وكان حكيماً فى أمور الدولة، دون أن يكون له ذلك الخيال والتحليق فى العلا الذى كان يميز جويسكاردو. وعندما حصل على لقب كونت بوليا وبدأت بعد ذلك بقليل عملية كلابريا، ولم يستطع الوصول إلى ريجو (١٠٥٦) عاد إلى بوليا ليبدأ محاولة بقوات قليلة فيضرب ضربة جديدة أولئك الأهالى المتفرقين والمختلفين وغير الخاضعين للامبراطورية البيزنطية: فهم قصبات سهلة الكسر، لأنهم لا يرغبون فى التجمع معاً. فيرسل روجيرو مع ستين فارساً (١٠٥٧) إلى أطراف جبال الأبنين الجنوبية، ويقوم هذا بالإغارة على طريقة النورمان بحذق ومهارة، بأن يتحصن فوق المرتفعات وينزل الخراب فى السهول: وهكذا خضع وادى سالىنى بالقرب من كابو ديللى آرمى لحكم روبرتو الإقطاعى. وبأمانة الشباب وصدقهم كان روجيرو يسلمه ما سلبه من أموال: وبحكمته كان يقدم له المشورة بشأن عملية جديدة كان يتم تجهيزها ضد ريجو. وذهب كلاهما، وكان روجيرو بفارقاته الجريئة يوفّر المؤن للجيش؛ ولكن مقاومة أهل المدينة الشديدة وحلول الشتاء وضعا نهاية للحصار. عندئذ ظهر الخلاف بين الشقيقتين، فكان روجيرو يشكو من أن روبرتو لبخله وحسده كان يكافئه مكافأة ضئيلة للغاية؛ ولهذا ذهب ليكون إلى جانب أخيه الآخر جويليمو كونت برنشيياتو، الذى صار عدواً هو الآخر لروبرتو، وتحرشا به بأعمال النهب والمناوشات؛ ثم تصالخوا معاً وعاد روجيرو ليعمل لدى الدوق مع

(1) كان روجيرو عند وفاته (١١٠١) يبلغ من العمر سبعين عاماً، حسب قول فانزولو الذى لا يذكر مصدره. وتوجد روايات مختلفة سأتناولها بالحدث فى موضعها.

أربعين فارماً ويحصل منه على الرواتب؛ وبمجرد ما كان يراء لا يدفع له الرواتب، كان يتركه ويمضى لاستئناف غاراته من أجل السلب والنهب. وفي ملفى، أعجب الشاب بجياد أحد الجيران [عجائباً] شديداً، فسرقها ليلاً مع رجل من رجال عصابته يدعى بلتيقا، وكان ماهراً في السرقة؛ وبعد ذلك بقليل علم بوجود مجموعة من التجار الذين يسافرون من أمالفى إلى ملفى، فترصدتهم وجردتهم وفرض إتاوة عليهم، وبالأموال زاد من عدد فرقته إلى مائة رجل. ولكن مع بداية عام ألف وثمانية وخمسين أخذ رجال روبرتو يمزقون كلابريا تمزيقاً، كما اجتاحتها الطاعون ومجاعة رهيبة فقام الأهالى الخاضعون لسيادة النورمان قومتهم. وذهبوا فرقاً بكاملها؛ ومن هنا فإن روبرتو قرر أن ينتقل من بوليا إلى كلابريا، أى من أرض العدو إلى أرضه هو، ذلك الشبل الذى قلب الأمور فى سنتين. ومن المعروف أن المصالح كانت تؤجج المواطف الأخوية بسرعة شديدة: فقد تنازل روبرتو لروچيرو عن نصف الأراضى التى أخضعها والتى يمكن أن يستولى عليها فى أقصى كلابريا. وأقام روجيرو مقراً له فى ميليتو، فى سنة ألف وتسع وخمسين، وأخضع الجزء الأكبر من البلد؛ وعامل أسقفين يونانيين معاملة سيئة عندما رآهما يتقدمان نحوه وهما مسلحان فى ثال دى سالينى؛ وهبط كالصاعقة فى كابيتانانا مع أخيه روبرتو وفقاً لعينى نورماندى آخر كان قد تمرد على أخيه جوفريدو؛ وعاد مع روبرتو إلى كلابريا لكى يقوم بالإغارات حتى ريجو (١٠٥٩) واستعدا لحرب كبرى. وفى الحقيقة أنه فى سنة ألف وستين جمع روبرتو جيشاً أو يكاد واصطحب معه روجيرو، ونزل إلى ريجو فى شهر يوليو، وبعد معارك كثيرة، ذاع فيها صيت الشاب كما ذاع طول حياته، لجأ أهل المدينة الشجعان إلى داخل الأسوار، ونصبت الآلات لهدم الأسوار فاضطرت ريجو وقد خارت قواها إلى الاستسلام، طبقاً للعهود والاتفاق، واعترفت بالسيادة للدوق. وبينما كان يرتب أمور المدينة وينظمها أخذ روجيرو فى إخضاع القلاع القريبة، فيما

عدا سكويلا تشي: وبعد عدة شهور فتحت هي الأخرى بواباتها له (1). وهكذا وهي غضون عشرين عاماً من تمرد أردوينو استطاعت فرق النورمان والإيطاليين من الاستيلاء على الإقليم البيزنطي الشاسع. وصارت سالرنو، التي كانت أول من استدعاهم وتقبلهم، صارت هي الواقع تدفع الخراج لهم. وصار أمراؤها بالضرورة أصهاراً لأسرة هوتشيل. ولا تعد في هذا الإطار الدويلات الصغيرة: فكانت نابولي شبه حرة: وبنفنتو مفتتحة من جانب البابا: ومونتي كاسينو أبعدية أو إقطاعية، لا ندرى: وأمانفي استولت عليها سالرنو ثم تركتها. أما أسرة أهرسا، التي كانت مرتبطة بوشائج المصاهرة مع أسرة هوتشيل ومع أمراء سالرنو، فكانت على أهبة الاستعداد لنهب إمارة كابوا ونهب جاييتا. ولم يتبق من سيطرة اللومبارد في سالرنو إلا الاسم فقط الذي سرعان ما اختفى (١٠٧٧). وبهذا تغيرت نظم الفرقة شيئاً فشيئاً، فبعد أن كانت اتحاداً للمغامرين تحولت إلى طبقة من النبلاء من ملاك الأراضي، يتبع أغلبهم روبرتو دي هوتشيل، ويتبع أقلهم ريكاردو دي أهرسا: وبعد أن اعترفت الأسرتان الحاكمتان بالسيادة الإقطاعية لسالرنو في البداية، ثم للأباطرة الهرمان. عادت تليان سيادة كليهما بأن اتفقتا على سيادة البابا. وهو ما شكّل تداخلاً وتشابكاً في القانون العام، إذا صح الحديث عن قانون في تلك الفترة، بين اختصار العناصر وثورتها مما أدى إلى ظهور مملكة لم يظفر بها ويحصل عليها شعب على حساب شعب آخر، ولم يتم إصلاحها عن طريق حركة وطنية أو دينية أو اجتماعية، وإنما نتيجة ثورة تمتاز فيها كل هذه الوسائل. فالجنود المرتزقة الذين جعلوا النصر لمدة نصف قرن حليفاً لتمرّد ميلو، ذلك التمرّد اللونجوباردي واللاتيني والارستقراطي، اغتصبوا الحكم بثماره على حساب البيزنطيين

(1) مالاتيرّا، الكتاب الأول، الفصل التاسع عشر وما بعده.

بالنسبة لتعصيب كونت أهرسا، راجع ليوبي دوستها، الكتاب الثالث، الفصل ١٥ (١٦)، وبالنسبة للأحداث الأخرى، انظر المؤرخين أماتو وجوليلمو دي بوليا.

والسكان على السواء. وطوال الحرب الطويلة المتباعدة كثيراً ما اضططر المفامرون إلى تغيير التحالفات فيما بينهم ومع الشعوب الخاضعة لهم أو المتحدة معهم ومع الأمراء القريبين منهم؛ ولم يستطع دوق بوليا الذي سطع نجمه وسط تلك الأحداث، أن يبدأ في التوسع في كلايريا ثم في صقلية دون سيوف قائد فرقة آخر. ومن هنا ظهرت خلافات جديدة وغدو ورواح وشد وجذب، حتى وفاة روبرتو جويسكاردو في اليونان (١٠٨٥) عندما كان يسعى لتحقيق طموحاته الجديدة. وتسيّد على عائلة هوتفيل الكونت روجيرو سيد صقلية. وحتى ذلك اليوم لم يكن هناك قانون عام بمعنى الكلمة في إيطاليا من جريليانو حتى تراباني اللهم إلا بعض التحالفات الوقتية التي قد تتماثل مع تحالفات واتفاقات الفيكنج تحت حكم هاستينجز وزول.

ومثل رفاق رول هكذا كان النورمان في إيطاليا. فقد اظهروا في حياتهم بصفاتهم عصابات مسلحة ويشكل رائع القيم التي تؤسّس عليها الدول؛ قيم الحرب التي سرعان ما استوعبها الإيطاليون الذين انضموا إلى فرقهم؛ وهي قيم لا تتمثل في القوة والشجاعة، فهما صفتان مشتركتان لدى غالبية الشعوب، وإنما تتمثل في النظم، وهي الممارسة، وهي الثقة الفردية والجماعية للمحاربين. وفي الشرف العسكري، وهي الاعتناء على الانتصارات. وكان الحرص المدني الذي يتمشى مع أولئك الأمراء المتواضعين هو: أن يجذبوا تحت راياتهم الإيطاليين الأقوياء؛ وأن يجمعوا بينهم وبين النورمان في المصالح؛ وأن يجدوا لهم أنصاراً في المدن؛ وأن يملقوا رجال الدين ويفسدوهم بالثروة؛ وأن يتقاسموا الفنائم قسمة مناسبة؛ ألا يبدروا في إنفاق ما يخصهم منها بل يستثمروها في شراء رجال جدد وأسلحة جديدة. وأن يسلبوا الرعايا دون أن يتركوهم عرايا عرياناً كاملاً؛ وأن يتشاجروا فيما بينهم عند اقتسام الفنائم لدرجة الوصول إلى إشهار السلاح، ولكن لأبد من التصالح وعودة الصداقة والأخوة

وكان شيئاً لم يحدث، عندما تهب الشعوب وقد شجعتها تلك الخلاقات. كان هذا هو حال قادة النورمان. كانوا مرّين مع عادات البلاد، مستقرين في إقامتهم على الدوام، قليلي العدد بحيث لا يظهرون فرقةً أجنبية: لقد تمتعت إيطاليا الجنوبية تحت حكمهم بالاستقلال وبحكم أقل إزعاجاً بحيث لا يستحق الكراهية والاحتقار.



## الفصل الثانى

ويوصل هؤلاء الرجال المفامرين إلى ريجو. لم يسمهم إلا التطلع وإجالة النظر فى خيرات الله الممتدة أمام أنظارهم فيما وراء المضيق. وكان روبرتو يحلم بها ويطيل النظر إليها خاصة أنه أفلح فى انتزاع تنازل محتمل عنها من البابا(1)؛ وكان روجيرو، على حد قول مؤرخه، يتعرق شوقاً للحصول على مكاسب ومغانم روحية وزمنية فيها(2). ولم يكن من الممكن عدم استدعاء النورمان إلى صقلية والاستعانة بهم من قبل المسلمين الذين كانت الفتن تحدث بين طوائفهم. ومن جانب المسيحيين الذين قاموا يحدوهم الأمل فى استخلاصها. ومن المرجح أن يكون أول من استعان بهم هم مسيحيو مسينا. وإذا كانت المسافة الفاصلة بين ضفتى المضيق - والتي تبلغ ستة أميال بحرية - تعوق حركة المرور لبضعة أيام أثناء العام، فإنها تجعلها فى بقية أيام السنة سهلة ميسورة على الرجال، وبالأخص على البضائع والمتاع؛ ولذا فمعد قرون طويلة كانت أقصى أطراف كلابريا وأرياض مسينا تشكل بلداً واحداً بسبب العلاقات التجارية وأواصر القربى والمصاهرة، والعادات، والتقاليد، وآمال وطموحات قاطنيتها السياسية؛ والدليل على ذلك الثورات التى وقعت فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ألف وسنة اثنتين وثمانين ومائتين ألف وسنة ستين وثمانمائة ألف. ومن المؤكد أنه فى القرن العاشر وفى النصف الأول من القرن الحادى عشر لم يكن الإخاء أقل قوة والتحاماً بين أفراد الشعبين المسيحيين، اللذين كان أحدهما خاضعاً مغلوباً على أمره بينما كان الآخر عرضة للنهب والسلب كل عام؛ وكان المسلمون أنفسهم، حينما لا يهرعون

(1) انظر الفصل السابق، ص ٥٢.

(2) مالا نهر، الكتاب الثانى، الفصل الأول.

إلى ريجو مهاجمين شاهرين سيوفهم، يأتون إليها تجاراً مسالمين وادعين أو قازين لاجئين. وبعد الحديث عن أحوال النفوس وميولها، فإنه ينبغي علينا التقصي عن أعدادهم. وبالأطلاع على ما أورده مالاتيرا في كتابه، فمن المرجح أن مسينا كان يقطنها المسلمون وحدهم في سنة إحدى وستين ألف، فهو لم يذكر كلمة واحدة عن مسيحيي صقلية قبل وصول النورمان إلى الوادي الممتد بين جبل إلتا وسلسلة جبال الأبنين. وكتب أمانو بجلاء ووضوح أن روبرتو، عندما دخل مسينا، أمدها بفرسانه لأنه وجدها مهجورة خالية(1)، غير أن هذا يجب ألا نفهمه بالمعنى الحرفي، إذ لا يطابق الواقع، بل أقول إنه من العبث افتراض أن المسلمين قد قاموا بطرد كل مسيحي من المدينة. فهذا ما لم يفعلوه أبداً في صقلية أو في أي مكان آخر، وما كانت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية تجعلهم ينحون هذا المنحى. ولذا يقلب الظن بأن سكان مسينا قد تناقص عددهم تناقصاً كبيراً منذ القرن التاسع(2)، حتى إنه في سنة إحدى وستين ألف، عندما تركتها الجالية المسلمة الصغيرة وجلت عنها، كانت المدينة شبه خالية من السكان. وبهذا النهم يجب تمحيص الأثر الوحيد الذي تحت أيدينا عن اتصالات مسيحيي مسينا مع النورمان. في مطلع القرن الثامن عشر، خرج إلى النور، في مختارات بالوتسيو(3)، وأعداد طبعه موراتوري(4)، وآخرون، التاريخ

Et que la cité estoit vacante des homes liquel i habitoient avant, il (1)

(Robert) la fornì de ses cavaliers. الكتاب الخامس، الفصل التاسع عشر.

(2) انظر الكتاب الثاني، الفصل العاشر. ص 186 من المجلد الأول. وتذكر الحروب التي خاض غسارها مانويلي فوكا ومنياتشي وبناف كاتكالوني.

(3) المجلد السادس، ص 171، باريس 1715. ولم يذكر الناشر أي شيء آخر من أصل هذه الأخبار التاريخية إلا أنها مأخوذة من مخطوطات دوشيسن. والآن يمكننا التساؤل لماذا لم يستشهد بالوتسيو بوثيقة مسينا؛ ولماذا لم يتم دوشيسن من قبل بطبع الأخبار التاريخية في مختارات كتاب شتون النورمان؟ والظاهر أن هذا وذلك كان يساورهما الشك في قدم تلك الوثيقة وأصالتها.

(4) *Rerum Italic. Script.* المجلد السادس، ص 614، وهي قوية موراتوري الموجز

الوجيز لتحرير ميسينا، *Breve istoria della Liberazione di Messina*، الذي تركه وخلفه من بين ما ترك من ألف وثيقة مخطوطة أخرى بيد أندريا دوشيسن، وبه ملاحظات وهوامش من المرجح أنها نسخة من مخطوطة قديمة للغاية ترجع إلى مجلس شيوخ ميسينا<sup>(1)</sup>. كانت صقلية - على حد قول هذه المخطوطة - مقسمة إلى خمس إمارات تمتد على طول الساحل من تدارو إلى تاورمينا، وإلى سيراكوزا، وإلى تراباني، وإلى بالرمو وإلى باتي؛ وكان يحكمها ويقوم على أمرها خمسة رجال من المغاربة، استحكمت بينهم العداوة والبغضاء؛ وأولهم يدعى راكسديس، حاكم ميسينا، حيث كان المسيحيون، بفضل اليهود التي أبرموها عند الفتح، يتمتعون بمنزلة عالية لم تحظ بها أية مدينة أخرى من مدن الجزيرة؛ فقد احتفظوا بممتلكاتهم وعبادتهم وشعائرتهم وبشعار الصليب الذهبي يحيط به اللون الأحمر، وكان الإمبراطور أركاديو قد منحه لهم تقديراً للأعمال البطولية المجيدة التي قام بها أهالي ميسينا في موقعة تسالونيكى. ولكن عندما شعروا بوطاة قبضة المسلمين وراوا أمارات الإحباط بادية على وجوه باقي الصقليين من جرأ استعباد أشد وأقسى. اجتمع أنسالدو دى باتي، ونيكولا كاموليو وياكوبو ساكانو، وهم يتحرقون شوقاً لتحرير وطنهم، يوم السادس من شهر أغسطس سنة ستين ألف، في جزيرة سان جاتشنتو، التي سميت في وقت من الأوقات براتشو دل سلفاتورى. واتخذوا قراراً بتقديم صقلية للكونت روجيرو وللدوق روبرتو اللذين

الذي كتبه في صدر هذا الكتاب، يرى أنه معاصر *"multam enim delustatem Sapit"*، ولكن يبدو لي أن الشكوك والريب يجب أن تتطلق من اللغة والأسلوب. (1) مخطوطة المكتبة الإمبراطورية بباريس: *Baluze, armoire 2, pequet 5*، رقم 17A بالورقة 17A وما بعدها. والمجلد كله ما هو إلا نسخة خطية بخط يد دوشيسن، الذي كتب تحت عنوان الأخبار: *"Ex codice Ms. perantiquo Bibliothecae Senatus Messanensis, summa fide transcripta"*. غير أنه لم ينسب مطلقاً إلى ميسينا. ولذا فمن المؤكد أنه قد قام بالنقل من نسخة، دون الرجوع إلى النص الأصلي القديم.

كانا يقيمان مع البابا في ميليتو. وقام المتآمرون بنشر ما أزمعوا القيام به بحذر شديد في المدينة. واغتموا فرصة العيد الذي اعتاد المسلمون فيه الاختلاء بأنفسهم في دورهم لمدة اثني عشر يوماً. فهاجروا متخفين في قارب صغير. متظاهرين بالقيام برحلة إلى تراباني. ورسوا في كلابريا. وهرعوا إلى ميليتو. وتحاشوا الحديث مع البابا؛ وبصروا روجيرو وحرصوه على المجئ إلى صقلية؛ وأعطوه بهرق أركاديو وشارته عريوناً. فتشاور روجيرو مع البابا وستة كاردينالات حول هذه العملية؛ فوافق البابا، الذي لم تغب عن نظره أبداً شئون هذا العالم، شريطة أن تُقسم خيرات صقلية وممتلكاتها ثلاثة أقسام. الجزء الأول يكون من نصيب الإكليروس (رجال الدين المسيحي)، والثاني للفرسان والجزء الأخير للأمير. فعدت أقسم الكونت على تنفيذ هذه الشروط. وعلى أن يكون على رأس جيش يتوجه إلى مسينا في غضون أسبوع واحد. وفي اليوم الذي ضربه وحده. ركض معه سبعمئة ألف رجل إلى بالمي، ومنها إلى ريجو؛ وفي نهاية المطاف، عهد بالسفن لأخيه جوفريدو. وهبط هو ومن معه من الرجال على مسافة ثلاثة أميال من مسينا. فتراءت أمام ناظره في جزيرة سان جانشيننتو جثث اثني عشر مسيحياً شنقهم المناربة لضلوعهم في المؤامرة. فتعرك روجيرو للهجوم، وقام المسيحيون المقيمون بالمدينة بحمل السلاح، وفتحوا أبواب مدينتهم، وساعدوه ونصروه في سفك دماء المسلمين؛ وما أن دخل إلى المدينة حتى دعا المتآمرين، وأعطاهم راية النصر، التي وضعت في كنيسة القديس نيكولا؛ وانتهى الفتح الذي بدأ بفضل أهالي مسينا بتقسيم أراضيها إلى ثلاثة أقسام حسب الاتفاق المقرر سلفاً. وهذا ما تقوله الأخبار التاريخية. وبعد ذلك هناك وثيقتان، أولاهما من الملك روجيرو ويرجع تاريخها لعام تسعة وعشرين ومائة ألف، وثانيتها من جوليئمو الأول ويرجع تاريخها لسنة ستين ومائة ألف، وفيهما نقرا أخباراً عن استقلال بلديات مسينا والحريات الكبيرة

والحقيقية التي مُنحت لها؛ وقد حُرّفت هذه الأخبار تحريفاً قد دخلتها خرافات وأساطير جعلت منها حاضرة جزيرة صقلية أثناء حكم الرومان، والإغريق، والسراسنة(1). ولذا فإن القارئ، بعد سباحة طويلة في تاريخ القرن الحادي عشر، يصل في نهاية المطاف إلى ساحة المعركة الكبرى وفيها أجهّد علماء صقلية ومفكروها أنفسهم من القرن الخامس عشر وحتى القرن الثامن عشر، من جرّاء ما وجدوا من تناقضات غريبة ووثائق زائفة ملفقة. ويتباهى المؤلف بمعاصرته للأحداث؛ ولكن تخونه الغايات والأفكار والسمات السائدة في القرن السادس عشر(2).

وهي حقيقة الأمر ترجع إلى الأربعين سنة الأولى من القرن التالي أقدم نسخة بين أيدينا، وهي النسخة التي قام بنسخها دوشيسن. وإذا ما ابهرنا في الزمان إلى الوراء، سنجد ببساطة ووضوح الحكاية ذاتها في قصة ماوروليكو المسيحي، الذي لم يذكر أصلها، ولا يبدو أنه صدّقها تمام التصديق(3)؛ وقبل ماوروليكو بزهاء عشرين عاماً، نقرأ لمحة موجزة عن هذه المؤامرة في تاريخ هاتزلو، والظاهر أنه

(1) عندما تطرّق دي جريجوريو في المدخل إلى قانون صقلية العام، إلى الحديث عن عادات المدن لاحظ بطلته أن وثيقة ١١٢٦ محل شك، ولكن ليس في أجزائها جميعها. وهو يتناول الأخبار التاريخية ويمالجها في *Considerazioni su la Storia di Sicilia*. الكتاب الأول، الفصل الثاني، والهامش ٤٧. وافترض أن النسخة التي نشرها بالوشيو قد وصلت من مسينا إلا أنه أخطأ في تحديد تاريخها، لأن النسخة المكتوبة بخط أندريا دوشيسن المتوفى في سنة ١٦٤٠، لم يكن من الممكن العثور عليها، على حد افتراض دي جريجوريو. بين المخطوطات التي حملها إلى باريس المنطوقون من مسينا سنة ١٦٢٥.

(2) ومن بين الأفكار الحديثة ينبغي ملاحظة أن الارتباب في البابا لم يظهر في صقلية في القرن الحادي عشر، ولكنه ازدهر تمام الازدهار وترعرع منذ القرن الثالث عشر فصاعداً. ونجد في اللغة تسمية مدينة «ماميرثنا» واسم «موري» الذي يستخدم بوجه عام للإشارة إلى المسلمين.

(3) *Rerum Sicaniarum Compendium*. الكتاب الثالث. وذلك المؤلف الكبير المبقرى، في أسلوبه الموجز الذي يتسم بشئ من التعليل، ما أن ذكر القصة حتى استترك قائلاً: «تطاع أسوأها... إلخ» وسرد حكايته مالا تيراً دون أن يذكر اسم المؤلف. ولم يقل أيتهما تبدو له حقيقية أو أقرب إلى الحقيقة.

يعمل على الرواية الشفهية(1)، وإذا ما تركنا الشكل واتجهنا إلى الجوهر ونحينا جانباً تقسيم الممتلكات قانونياً إلى ثلاثة أقسام، وإقامة البابا في ميليتو، وراية أركاديو وباقي المؤسسة البلدية، نجد امرين أصليين مأخوذتين من مصادر أخرى غير مالاتيرا والمؤلف المجهول، غير أنهما لم ينشرا حتى عصر ماوروليكو. وهذان الأمران هما أن رجلاً يدعى جوهريدو، أخا روجيرو، كان يتولى قيادة السفن في معركة مسينا(2)، وأن صقلية أثناء حكم المسلمين لها كانت حينئذ في قبضة عدد من الحكام تشتمل بينهم نيران الفتنة والعداء(3)، والظاهر لي أننا نستشف من هذه العلامات والدلالات رواية أصلية وحقيقية من مسينا. وقد زيدت وافسدت بدءاً من القرن الثاني عشر وما بعده، بقدر ما زادت أهمية المدينة وطموحاتها؛ ومن

(1) *De rebus Siculis*. العشرية الثانية. الكتاب السابع، الفصل الأول، وهانزلو، الذي ذهب أيضاً إلى مسينا وبحث في تلك المكتبات، يستند إلى روايات شعبية (*ducta per manus famae*) عن أسماء المتأمرين. ولم يشر إلى مصدر روايته، ونسجها، دونما استشهادات، مع رواية مالاتيرا.

(2) وهذا الأمر نجده ابتداءً في كتاب *Ystoire de li Normant* الصادر في سنة ١٨٣٥، إلا أن م. جوتيه دارك قد أشار إليه منذ عام ١٨٢٠ في كتابه، ص ٢١٩. ومع هذا نود التوجه إلى أن أمانو يتحدث هنا وفي مواضع أخرى (ص ١٤٨، ١٥٢، ١٥٩، ١٩٤) عن رجل يسمى جوهريدو ريدللي أو ريندلي، بينما افترض م. جوتيه دارك، الموضوع المذكور، وقد ألقمه في ذلك م. شمبلون (ص ٢٤٢، الهامش) أنه جوهريدو أخو روجيرو والملقب ريدللي، غير أن هذا التطبيق لرجلين يحملان اسم جوهريدو يبدو لا أساس ولا سند له. ويتحدث مالاتيرا، الكتاب الأول، الفصل الرابع، وكذلك أمانو نفسه، ص ٩١، يتحدثان عن جوهريدو أخى روجيرو، دونما إشارة إلى كنيسته، ويبدو أن جوهريدو ريندلي كلما ذكر في تاريخ أمانو، كان قائداً مخلصاً أميناً، ولم يكن أخاً لروبيرتو، الذي كان لا يثق على وجه الخصوص في إخوته.

(3) لم يذكر مالاتيرا إلا اثنين من هؤلاء الحكام والملوك. وقد علمنا أول ما علمنا عن تقسيم صقلية الإسلامية إلى أربع ولايات من مستللات التوبري التي نشرت عام ١٧٩٠؛ وقد ذكرت ثلاث دوللات في مستللات أبي الفدا وشهاب الدين همري، اللذين اشتهرا في صقلية بفضل دي أميكو في بدايات القرن السابع عشر، أي بعد حوالي خمسين عاماً من صدور تاريخ ماوروليكو. وعموماً فإن أسماء الطغمة ملوك المسلمين وحدود ممالكهم التي خصتهم بها الأخبار التاريخية تستند في الأساس على رواية أصيلة، حرّفت تفاصيلها، وليس هناك ثمة تعارض مع هذا في أن رجلاً يدعى راكديس (رشيد) كان حاكماً على مسينا.

المرجح أن ماوروليكو ذاته قد كتبها باللاتينية ولم تكن لديه أية نية للتضليل؛ وهي نهاية المطاف قام برتقتها أحد المزيّفين، لا أعلم اسمه، وهو الذي أدخل أيضاً التعريف على الوثيقة التي يرجع تاريخها لسنة تسع وعشرين ومائة ألف وحاول خداع دوشيسن. ومن هذه الرواية الأصلية يبدو لي أنه ينبىء الأخذ بأسماء المتأمرين الثلاثة أو رموس الفئة التي أشعلها نعر قليل من أهالي مسينا، والإقرار بسفرهم إلى ميليتو وأعمالهم وتدابيرهم مع روجيرو؛ وهي أمور لم يذكرها المؤرخون النورمان، لأن أولياءهم كانوا يريدون إغفالها ونسيانها. وكان يمكنهم نسيانها، إذ لم يكن لها أثر عام وجلى كما حدث مع ابن الثعنة. لقد كان مسيحيو مسينا يرقبون على التحقيق عدوهم، ويكشفون أوضاعه وتحركاته، مخاطرين بحياتهم، ولم يكونوا في ذلك بأقل ممن يقبض على سلاحه بيديه؛ إلا أنهم لم يحملوا السلاح مطلقاً. ولعلهم تمهدوا بحملة مرة أو مرتين إلا أنهم لم يفعلوا ذلك، لأنه يبدو أن أولى العمليات الحربية ضد مسينا كانت تعتمد على ترقب تحركات العدو في المدينة أيا كان نوعها.

وقد خاطر النورمان، سواء للقيام بأعمال من هذا القبيل أم لاستكشاف الأراضي فقط والتعرف على نفوس الناس وجس نبضهم، خاطروا بالقيام بغارة في سنة ستين ألف (1)، بعد احتلالهم لريجو بقليل، لم يكن روجيرو معتاداً على الإبطاء (2)، فأخذ معه مائتين من

(1) ذهب روبرتو لمحاصرة ريجو عندما بدأ موسم العصار وعاد منها ليقض الشتاء في بوليا مع روجيرو بعد الإشارة على صقلية. مالاثيراً، الكتاب الأول، الفصل الخامس والثلاثون؛ والكتاب الثاني، الفصل الثاني. وبحسب شهرين تقريباً لعصار ريجو نسل إلى شهر سبتمبر. وقد ورد في *Breve istoria* أن بدأ "الفئة كانت يوم 6 أغسطس". وهذا يتوفاً إلى التاريخ نفسه.

(2) وقد كتب مالاثيراً: "*Hoec secum animo revolvens, eorum ad quoe animus intendebat, non tardus executor*". وتجله هذا نجد بجلاء في وعده بالمجن إلى مسينا خلال أسبوع، وهذا ما نقراء في *Breve istoria*. وهذا الكتاب، كما يعلم الجميع، يخلط بين الهجمات الثلاث التي قام بها روجيرو وبنمجيها في هجوم واحد؛ وهذا أمر طبيعي للغاية في الروايات الشفهية.

الفرسان(1)؛ وما أن عبر الفئار حتى دلف إلى ميناء مميناء الذي كان يبعد شيئاً ما عن أسوار المدينة في ذلك العصر. وإزاء هذا الهجوم من قبل فرقة صغيرة العدد للغاية كهذه، خرج المسلمون يتميزون من الفيض، أراد الكونت محاربتهم بعيداً عن أسوار المدينة وإرباك عدوه وإحداث الفوضى بين صفوفه، فتظاهر بالهرب مسرعاً؛ ثم عاد بفتة للهجوم، فشنت قواتهم المتناثرة المبعثرة، وتعبها حتى أبواب المدينة، وقتل المتأخرين منهم؛ واستولى على الخيل، والسلاح، والمتاع التي تركوها وراءهم، وعلى التو ركب البحر وعاد أدراجه إلى ريجو(2). ومنها انطلق مع روبرتو متوجهاً إلى بوليا حيث كان الدوق يعتمز اغتصاب حق زعماء النورمان واستلابه وكذلك المدن التي لم تدع عن له وتدخل في طاعته(3).

وعلى الرغم من وجود مثل هذه المكائد فإن الأخوين كانا يفكران في نقل الحرب إلى صقلية مع بداية الفصل الجديد من فصول السنة؛ وتجعلهم ابن الثمعة للقيام بالعملية؛ وهو الذي فقد جزءاً من الدولة

(1) وقد قال مالاتييراً بوجود ستين جندياً. وهذا العدد يجب ضربه على الأقل في ثلاثة؛ لأن كل فارس في العصور الوسطى كان معه عادةً اثنا أو أكثر من الرجال المسلحين والمتطعين لسهوات جيرانهم.

(2) هارن بين: مالاتييراً، الكتاب الثاني، الفصل الأول، والمؤلف المجهول، المترجمة الفرنسية (*Chronique de Robert Viscart*). الكتاب الأول، الفصل الثالث عشر، والنمى في كتاب كارو، *Bibliotheca Sicula*، ص ٨٢٧.

(3) مالاتييراً، الكتاب الثاني، الفصل الثاني، بسبب عدم توافر معلومات دقيقة لديه أو لكتائنها، يتحدث بشكل غامض وملتبس عن أمور كان على الدوق القيام بها في بوليا أثناء شتاء ١٠٦٠ - ١٠٦١. وقد عرفناها من أمانو. الكتاب الرابع، الفصل الثالث، والكتاب الخامس، الفصول الرابع، والسادس، والسابع، كما وقفنا على شئ منها من جوليئمو دي بوليا، الكتاب الثاني، "Morti tradendum ec."، فما أن حصل روبرتو على لقب دوق، وبدأ في تغيير سلطته من رئيس قهقري إلى سيد إقطاعي، حتى قام عليه قهره بلالردو، وجازولين دي لابلان، وأسي ابن رجل يدعى جوالتييرو. وشخص اسمه جوهريديو، وقد دعمهم الإمبراطور البيزنطي بالمال وأمدعهم به، لأنهم وعدوه برد البلاد إليه وإعادتها إلى سلطانه. وعندما عاد روبرتو من ريجو قهرهم بقوة السلاح؛ ولذا حاصر ترويا، ولها إدارة بلدية بيزنطية، واستولى عليها انتقاماً منها. وقد افترض أمانو أن يكون الاتصال بين الدوق وابن الثمعة قد جرى بعد استسلام ترويا.



التي كان قد استولى عليها بالقوة، ويدافع من الخوف والفرع، والتعطش للانتقام والطموح المتقدم، ولعلمه بأعمال النورمان المجيدة، وربما أيضاً باتصالاتهم مع مسيحيي صقلية، هرع إلى كاتانيا للاستغاثة بهم وطلب معاونتهم له في حربه ضد أعدائه المسلمين. وأجرى في ميليتو لقاءً سرّياً مع روجيرو، وفي ريجو تقابل معه ومع روبرتو الذي جاء خصيصاً لهذا الغرض<sup>(1)</sup>، وعرض عليهما تقسيم الجزيرة<sup>(2)</sup>، فعارض النورمان هذه الفكرة لعدم توازن قوات كثيرة لديهم لقتال مسلمي صقلية الأقوياء. فكان جوابه ورده بأن الفرقة والانقسام قد دبا بينهم، وبأن له بينهم أعداداً كبيرة من المناصرين له<sup>(3)</sup>، كما تخضع له قلاع وبيدّين له جند بالولاء والطاعة. ولما وافق النورمان أقسم على الإبرار بالعهد<sup>(4)</sup>، وترك أحد أبنائه رهينة عند روبرتو. وعندئذ أخذ روجيرو يعدّ العدة للذهاب بنفسه على رأس جنده: وزوده روبرتو بعدد قليل من الفرسان واليحرارة الذين كانوا تحت يديه في ريجو، وأمر عليهم جوفريدو ريديلي. الرجل

(1) يؤكد المؤرخون العرب الذين أشرنا إليهم في الكتاب الرابع، الفصل الخامس عشر، ص 512 من المجلد الثاني، أن ابن التينة قد أجرى اتصالاً مع روجيرو في ميليتو، ولم يضيفوا شيئاً آخر؛ أما أماتو. الكتاب الخامس، الفصل الثامن فيقول مع روبرتو فقط في ريجو، ويولول مالاكترّا، في الكتاب الثاني. الفصلين الثالث والرابع، مع روجيرو فقط في المدينة نفسها. والطاهر لم يجلأه أن ثمة لقائين على الأقل: روبرتو لم يأت إلى ريجو إلا لإتمام الأمر مع ابن التينة؛ ولكن هذا الأخير كان قد ذهب أولاً إلى روجيرو، الذي لم يكن مشتبهاً بالتآكيد في ريجو. مدينة أخيه. والذي كان بينه وبين أخيه شكوك وريب لم تتلاش قط. وفصلاً عن هذا، فإن اسم ميليتو الذي ذكره العرب وحدهم له أهمية كبيرة للغاية، فهم يشيرون إلى أسر مطبوع وهام في روابلهم. وهو خطير حتى إنه أثار خطأ في استعادة العاضس فقد صير ميليتو حاضرة لملك الفرنجة بالدولفينو، فاتح إيطاليا الجنوبية، أي الملك أوثوني الثاني. انظر الكتاب الرابع، الفصل السادس من هذا التاريخ. المجلد الثاني، ص 322. الهامش 1. ومدينة ميليتو قد ذكرت بالفصل في *Breve istoria della liberazione di Messina* الذي استشهدنا به آنفاً.

(2) الجزيرة كلها. هكذا يقول المؤرخون العرب.

(3) كتاب الصوليات العرب المذكورون من قبل.

(4) مؤلف مجهول.

الحاذق بفتون القتال؛ وعاد مسرعاً إلى بوليا، فجمع قواده، واحضر قوات أخرى(1)، وهكذا حشد فرقة بلغ قوامها زهاء خمسمائة من الرجال(2)، تحت إمرة جوفريدو ريديللي وروجيرو، يرافقهما ابن الثمنة لعلمه ومعرفته بالأماكن والدروب ولما له بها من الاتصالات التي كثيراً ما كان يتهاهى بها ويفتخر(3).

وفي أواخر شهر فبراير سنة إحدى وستين ألف، وعند غروب الشمس، هبط النورمان على لسان الفنار، بالقرب من البحيرات(4)، وقصدوا راميتا فسلخوا طريقها؛ وفطن إلى وجودهم مسلمو مسينا، فخرجت فرقة للاستكشاف والاستطلاع. وبينما كان روجيرو يسير بجواده ليلاً فوق تلك الجبال، رأى على ضوء القمر الخافت، مسلماً يدنو ويقترب منه؛ فاستل سيفه، دون أن يتناول رمحه ودرعه اللذين كان يحملهما خادمه وهو يسير خلفه وانقض على عدوه، فضربه ضربة في وسطه، شطرته إلى شطرين، هكذا كتب مالاتيéra على طريقة الروائيين في السرد. وكان القتل أخا ابن

(1) يستند أمانو. الكتاب الخامس. الفصول الثامن، والتاسع، والعاشر. أن قائد الجند كافة هو جوفريدو ريديللي. ولكنه يترك قيادة روجيرو المستقلة تتكشف وتبدو واضحة. أما مالاتيéra فيميزو العملية من حيث تنظيمها وفهادتها إلى روجيرو فقط. (2) يقول مالاتيéra بأن عددهم كان ستمين ومائة، وهو الوحيد الذي ذكر عددهم. وحسبما جرت العادة في ذلك الزمان ينبغي أن نضع في الاعتبار وجود ثلاثة رجال مسلحين أو أكثر مع كل محارب.

(3) أمانو.

(4) كتب مالاتيéra أن ذلك كان في الأسبوع الأخير من كرتفال عام ١٠٦٠. وحسب السنة من يوم ٢٥ مارس طبقاً لمادة فلورنسا، وبوليا، وصقلية. ولكنها تعود لسنة ١٠٦١ من التقويم العام وأواخر شهر فبراير. لأن عيد القيامة كان يوافق ١٥ أبريل. ويذكر الإدريسي في وصف صقلية، المكتبة العربية، الصقلية، التس. ص ٣٦. يذكر أن بداية الفتح كانت في سنة ٤٥٢ هـ. أي من ٢٦ يناير عام ١٠٦١ وحتى ١٥ يناير ١٠٦٢م. ويطلق مالاتيéra على المكان اسم برارولي والبحيرات الثلاث، ويضيف قائلاً بأنه كانت توجد أفران القرميد. والمؤلف المجهول يقول كذلك بثلاث بحيرات. ومما لا شك فيه أنها ناحية الفنار. وقد أخطأ هانز ليو وجانيه الصواب بافتراض أن عملية الهبوط إلى البر كانت في فورنو أو فورناري الواقعة بين لينداريو وميلاتسو. إذ كان يبدو له أنه وجد ترجمة الاسم الطبوغرافي في *clibana tegularum* عند مالاتيéra.

مكلائي، حاكم كتانيا وسيدها. وعندما تخلصوا من أولئك بعد أن اكتشف أمرهم وضاعت عليهم بالتالي فرصة مفاجاتهم. أخذوا يفتنمون أنعاماً وماشية سائمة في أراضي راميتا وميلاتسو فانتهبوها واستلبوها. وفي اليوم التالي ولوا الأدبار متوجهين إلى سفنهم، وأثناء صعود الأنعام على متن السفن، إذا بريح عاصف تهب لتحول دون إبحارهم. وفي هذه الأثناء شاهد الناس انسحابهم ولاحظوه وهم في مسينا التي تبعد حوالي تسعة أميال؛ فقاموا بتجهيز خيولهم ورجالهم بالسلاح، وهرعوا إلى القنار لمهاجمة النورمان ومدايمنتهم وهم غير مستعدين، فعضهم على البر والبعض الآخر فوق السفن. وعلى النقيض من ذلك وجدوهم متراسين كالبنيان المرصوص، ومستعدين خير استعداد للقتال والنزال. إذ إن روجيرو كان قد أرسل سيرلونى، ابن أخ له يحمل الاسم نفسه، للالتفاف والدوران جانباً بفرقة من الفرسان فوق المسلمين بين الفرقتين، وهزموا وسقط منهم كثير من القتلى. وتعقبهم النورمان وطاردوهم حتى وصلوا إلى المدينة فشرعوا كذلك في مهاجمتها، إلا أنهم وجدوا أن أسوار المدينة تقوم بحمايتها والذود عنها النساء(1) أيضاً، وعندئذ خرج جنود آخرون يحملون المشاعل في أيديهم لقتالهم. وحوصر المنتصرون بدورهم، وطردوا إلى سفوح الجبال الوعرة التي تطل على المدينة، وعند بزوغ فجر يوم جديد تخلصوا من هذا المأزق بكرهم كرة فتحت أمامهم الطريق إلى السهل الفسيح(2)؛ فهبطوا إلى براتشو دل سلفاتورى، ولم يكن لديهم أى أمل أو رجاء إلا في ركوب البحر والتوجه إلى ريجو. وكانت الأنواء عاصفة، فمكثوا ثلاثة أيام على ذلك اللسان من اليابسة(3)، يجابهون قسوة البرد ويمانون منه؛ ويتوقعون أن يأتى المسلمون وقد تماظم عددهم بانضمام كل جند الجزيرة إليهم فيلقون

(1) مالانير).

(2) امانو.

(3) امانو ومالانير).

بهم في اليم؛ فكانوا يواسون أنفسهم بنذر النذور لله، فإذا ما أخرجهم من هذه المحنة سيهبون الأسلاب التي غنموها لإقامة كنيسة للقديس أندرونيكو في ريجو(1). وبعد أن هدأت، كما يحدث دوماً، ثورة البحر، ذبحوا الثيران ونحروها، إذ لم يشروعوا في رحلتهم ومعهم ما يموتهم ويمرقلهم؛ ثم قاموا بتحميل لحومها ووضعها على السفن بأمر جوفرينو ريديلي الذي كان يستحي أن يؤوب إلى موطنه وأصدقائه خاوي الوفاض. والظاهر أن المسلمين طفقوا يتمقبون سفنهم ويطاردونها، فقام سكان ريجو من المسيحيين والسراسنة، كما يقول أماتو، والمقصود بالسراسنة التجار واللاجئين، بإظهار ولائهم وإخلاصهم لروبرتو سيد المدينة الجديد. فجهزوا السفن وزودوها بالسلاح، وخرجوا لمنازلة مسلمي مسينا وقتلهم؛ وبعد معركة طويلة بالسهم والرمح، باءوا بالهزيمة، إذ قتل العدو تسعة من رجالهم المسيحيين وأسر سفينة من سفنهم(2). وفي هذه الأثناء، فر ابن الثمنة هارباً إلى كنانيا وتحصن بها(3). وبذلك فقد باءت بالفشل العملية التي قامت، كما أظهرت الأحداث التي روينها وتلك التي سنرويها، عن أعمال ابن الثمنة في راميتا وروجيرو في مسينا؛ ووعي النورمان أنه ينبغي توفير قوات كبيرة، وبخاصة من القوات البحرية، وذلك لتشجيع أنصارهم من المسلمين أو المسيحيين والوقوف إلى جانبهم(4).

وفي شهرى مارس وأبريل دعا روبرتو مرة أخرى قواده بممسول

(1) مالانير،.

(2) أماتو.

(3) *Anonymi Chronicon Siculum*.

(4) الرواية مأخوذة من أماتو، الكتاب الخامس، الفصل العاشر؛ ومالانير، الكتاب الثاني، الفصول الرابع، والخامس، والسادس: *Anonymi Chronicon Siculum*. الكتاب الأول، الفصل الثالث عشر. في كتاب كايرو، المرجع المذكور، ص ٨٢٧. ومن الترجمة الفرنسية، ص ٢٢٩. وكما لاحظنا من الهوامش السابقة، فإن الدقائق والتفاصيل تختلف عند المؤرخين الأولين، وتقل عند الثالث، لكنها غير متضاربة أو متناقضة.

الكلام إلى الانتقام للإساءة التي لحقت بالله، وسحق مسلمي صقلية، وتحرير إخوانهم في المسيحية وتخليصهم، وأضاف حججاً أكثر إقناعاً ومنحهم هبات وامتيازات(1)، وبهذه الطريقة حشد زهاء ألف فارس وألفاً من المشاة(2)، وغادر بوليا إلى كلابريا في أوائل شهر مايو؛ وعسكر في مكان قريب من كاتونا، يُطلق عليه سانتا ماريا دل فارو(3)، وفيه جمع سفناً لنقل جنده؛ غير أنه كان يمتلك عدداً قليلاً من السفن الحربية، ما بين زوارق ذات ثلاث صوارٍ وشوانٍ، ضعيفة للغاية بمقارنتها بأسطول المسلمين(4)، وفيه كان يوجد ثلاث صوارٍ وسفينة أو عدة سفن ضعيفة كانوا يطلقون عليها اسم القطط، وكانت مزودة بالآلات حربية(5)؛ وعندما علم ابن حوش(6)

(1) أمانو.

(2) أمانو. ويقول مالانبراً بضموض: "Cum maximo exercitu".

(3) أمانو. ويرى مالانبراً أنه من المرجح أن المعسكر كان في ريجو.

(4) وكتب مالانبراً *Germundos et galeas*. وأولى هاتين اللفظتين اللتين ناقشهما دوكانج ومنعهما، تبدو قراءة خاطئة للفظ *Dermudos* التي هي بدورها تعريف للكلمة *Dromone*.

(5) ذكر أمانو عددها، بينما ذكر مالانبراً اسمها: "*Gattos, Golafros et Dormundos*؛ وأضاف الأول: "Le artifice liquel se clamoit Gath". ونقطة قطرة «جلفو» التي تعني سفينة. نجدها أيضاً في *Chronica Varia Pisana*. في كتاب موراتوري، *Rerum Italic*. المجلد السادس، ص 112، وفي كساري، *Annales Genuenses*. في كتاب موراتوري، *Rerum Italic*. المجلد السادس، ص 261. وربما انتقل اسم الآلة العربية المشهورة هذه إلى السفينة التي تحملها؛ لا يبدو لي طبيعياً الاشتقاق من اللفظة العربية قطرة، وهو اسم عام، واستخدامه في المعنى الذي نطلقه على «السنن» أو «الأشعة». ونقطة *Golafros*. التي نقرأها في مواضع أخرى (انظر دوكانج) و*Golabos* و*Golabros*. وفي *Chronica Varia Pisana*. في كتاب موراتوري، *Rerum Italic*. المجلد السادس، ص 112. وكذلك لفظ *Garabi*. ما هو إلا الاسم العربي القديم للسفينة غراب. ومن هنا جاءت لفظة "*Corvetta*" في اللغة الإيطالية.

(6) يطلق عليه مالانبراً اسم *Belcamuer*. وهذه واحدة من قراءات عديدة تُفسد بها المخطوطات اسم ابن حوش؛ أما أمانو فكتبه *Sausane*. ويبدو أنه تعريف لاسم صمصام الدولة. وربما كان الرواة التورمان الذين استقروا منهم الأحداث والأخبار.

بالاستعدادات والتجهيزات التي أعدها روبرتو، واستتعضه أهالي مسينا لقلقتهم، أرسل إليها من بالرمو الأسطول، وعليه أكثر من ثمانمائة فارس مزودين بالمؤن والعتاد(1). وكان الأسطول يمثل قوة الدفاع الحقيقية، وإلى جانب أولئك الجند الذين أتوا من بالرمو كانت جماعة مسينا قادرة على توفير قوات قليلة إذ إن الجماعة بها كانت ضئيلة العدد وكان عددها أقل بلا شك من عدد السكان المسيحيين(2). ولفترة يسيرة مكث روبرتو وروجيرو ينتابهما التردد في محاولة اجتياز المضيق وعبوره(3)، بسبب وجود ذلك الأسطول، غير أنهما ركبا سفينتين حربيّتين سريعتين واقتربا من مسينا لاستطلاع الأمر؛ ولما رصدهما المسلمون وقاموا بمطاردتهما وتعقبهما، اختفيا وهربا بعد أن استكشفا الساحل(4) تمام الاستكشاف؛ وعندما عادا إلى المعسكر اجتمعا مع أجدر أهل الخبرة والدراية بفنون الحرب، واتفقوا على شن هجوم وهمي من الجانب. وحشدا الجيش؛ وقام كل رجل من رجال الجيش بالاعتراف والتناول؛ ونذر الأخوان نذراً بأن يحييا حياة أكثر تديناً ومثالية عن ذي قبل إذا وصلا إلى فتح صقلية؛ وتضرع الجميع بحماس شديد طالبيين من الله المون والمدد(5). وتاهب روجيرو للقتال رغم معارضة روبرتو، الذي أراد إيقافه ومنعه، كما يقول المؤرخون، للمحبة الأخوية التي تربطهما، وفي نهاية الأمر أمده بسبعين ومائتين من الرجال بدلاً من الخمسين ومائة رجل الذين كان قد انتزعهم منه قبلاً. فذهبوا إلى

يخطئون في اسم أمير المسلمين بمصغلة في عام ١٠٦١ ويلتبس عليهم مع اسم آخر أسراء الكلبين الذي تعدثا عنه في الكتاب الرابع، الفصل الثاني عشر، ص ٤٣٠ وما بعدها من المجلد الثاني، وليس من المعلوم أن يكون ابن حوش قد اتخذ اللقب ذاته. (1) أمانو.

(2) انظر الكتاب الرابع، الفصلين العاشر، والحادي عشر، ص ٤٠٤، ٤٠٧ من المجلد الثاني.

(3) مالاتيريا.

(4) أمانو.

(5) مالاتيريا.

ريجو على متن ثلاث عشرة سفينة؛ وهي هدأة الليل وسكونه عبروا المضيق وهبطوا على اليابسة. واختبأوا في مكان يُدعى كالكارى. يبعد ستة أميال جنوب مسينا. وقد أقيم فيه بعد ذلك دير سانتا ماريا دي روكّا مادوري في أراضى تريمستيري(1)؛ وأمر روجيرو بعودة السفن حتى يقطع أى أمل في الانسحاب، وهذا ما كتبه مالاترّا حسب رايه المعروف. والحقيقة هي أن وجودها هنالك كان سيؤدي إلى كشف كمينهم. فأعادوها إلى كلابريا حتى يمكنهم إحضار قوات إضافية. وعند الفجر امتطى روجيرو ورجاله المخلصون صهوات جيادهم متوجهين إلى مسينا. فإذا بأحد القادة يلوح لهم. وكان ذاهباً. كما علمنا فيما بعد. لتسلم قيادة المدينة. ومعه ثلاثون حارساً مدججون بالسلاح وقافلة من البغال المحملة بالأموال. وبعد أن استلب النورمان أموالهم وقتلوه، أبصروا سفنهم عائدة من ريجو. ونزل منها سبعون ومائة فارس آخر. فتعانقوا وتبادلوا أمنيات النصر المبين؛ وركضوا بإقدام وجسارة نحو مسينا(2).

واستولوا عليها دون قتال. ومن على متن السفن. ومن فوق أسوار المدينة. كان العداءمون عنها قد رأوا الأسلحة الغريبة والبغال التي أخذت من القائد؛ فظنوا أن الجيش النورماندى كله قد عبّر إليها، وأنه لا طائل من حراسة الأسطول الذي كانوا يعتمدون عليه ويتشون به وأن كل شئ قد ضاع وتبدد(3)؛ وعلى الرغم من أن مسيحيي المدينة كانوا قليلي العدد وغير مسلحين إلا أنهم استطاعوا النهوض عند الهجوم(4). وتملك الفرع والهلح المسلمين فأطلقوا سيقانهم.

(1) نشر اسم كالكارى في كتاب أمانو؛ ومخطوطة لمالاترّا تقول *Trium Monasterium*. وكلمة تريمستيري هي تعريف لتلك اللقطة؛ والإدريس أشار إلى هذا الموضع وقال به ثلاث كتابس.

(2) أمانو.

(3) فارن بين أمانو ومالاترّا.

(4) لم ينس المؤرخون النورمان بهت شقة عن هذا الأسر؛ انظر هنا بماليه ص ٦٢ حتى ص ٦٧.

على اختلاف اجناسهم وأعمارهم، للهروب والفرار هنا وهناك،  
بالتقارب وإلى الشاطئ، وفي الجبال، أو في الغابات، كما يقول أماتو:  
ولما داهم النورمان المدينة لم يجدوا مَنْ يقتلوه إلا من بقى فيها،  
واقتسموا فيما بينهم النساء، والأطفال، والعبيد، والمتاع(1). ومن بين  
الضارين ثمة وجيه من الوجهاء يجرى صاعداً الجبل مصطحباً معه  
أخته الوحيدة التي كانت هي ريمان شبابها، وعلى غاية من الجمال  
والرقة، تربت وترعرعت في رخاء، بين أحضان أمها. وكان المسيحيون  
يتعقبونها ويطاردونها. وأصابها التعب والوهن، وأخذ الخوف يمرق  
ساقها. وكان أخوها يسندها ويتوسل إليها أن تتجلد مرسلأ الزهرات  
والعبرات. غير أن الإعياء قد استبد بها، فسقطت على الأرض ولم  
تقو على الحراك. وكان الأعداء قد دنوا منها. وبدلاً من أن يتركها  
أخوها المحارب المجاهد للخزى والهوان، وللأسر والرق، وللردة  
والكفر، قتلها بيديه(2). لقد فتت الاعتقاد بعدم جدوى المقاومة  
والدفاع من عضد الأقوياء الأشداء. وبعد ذلك بقليل أبحر الأسطول،  
عائداً إلى الرمو. إذ لم يجرؤ على مهاجمة الأعداء ثانية في المدينة.  
ولا البقاء بين ساحلين يسيطر عليهما الأعداء(3). وفي هذه الأثناء  
كان روجيرو قد أرسل إلى أخيه مضايح مسينا(4) ودعاء للحضور

(1) أماتو.

(2) مالانير.

(3) هارن بين، أماتو ومالانير.

(4) يقول مالانير: إن المضايح قد أرسلت: ويرى أماتو أنها تعني روجيرو التمس الذي  
que de Dieu avaient reçue par Goffrède Ridelle, et lui prièrent qu'il  
vint prendre la cité. وقد نسي المؤرخ أنه قال سلفاً إن الجيش الذي عبر إلى  
مستقلية كان تحت إمرة روجيرو، دون أن يذكر ولو بكلمة واحدة اسم جوهريو ريدلي،  
الذي كان على أحسن الفروض قائداً على العائلة وسبعين فارساً الذين أتوا هبما بعد.  
ويُظهر هذا الاختلاف والتناقض بين هذين الرأيين الثيرة والمتافسة التي كانت مشتعلة  
الأوار في نهاية القرن الحادي عشر بين النورمان في بوليا ومستقلية، ولذا كان نورمان  
بوليا يضمنون جانباً روجيرو وشجاعولته بكل ما أتوا من قوة. وكان نورمان مستقلية  
يفعلون الشئ ذاته مع روجيرو.



ليستحوز على المدينة. فحشد الدوق على عجل وبسرعة ما استطاع حشده من بحارة وسفن صغيرة وكبيرة موجودة في ريجو(1). وما أن دعا الفرسان والمشاة لحمل السلاح، حتى قدم الشكر لله بخشية واتضاع مسيحي على هذا النصر المؤزر. ثم أمر بالصعود إلى السفن فهرع إليها الجميع بلهفة شديدة تتم عن جزيل فرحهم، حتى أن النائب كان لا يضبط نفسه فيتقدم على سيده، والسيد لم ينتظر حتى يتبعه نوابه. وكان البحر باسم الثغر، مُبتهجاً، ساكناً؛ فلم يتوانوا عن الهبوط في مسينا(2).

وقام روبرتو على التو بتأمين مفتاح صقلية، التي سقطت بين يديه بسهولة ويسر، ولذا فبعد أن تفقد مرفأ المدينة، وأسوارها، وحصونها وقلاعها، ودورها، حُصّن مسينا وزودها بدفاعات جديدة، ووضع بها حامية من فرسانه(3). وبعد ثمانية أيام تفقد الألف فارس والألف راجل الذين كانوا معه؛ ثم تحرك مع روجيرو وابن الثمنة وسلكوا الطريق الذي قطعوه منذ بضعة أشهر. وكان الفرسان يركضون متفرقين ينهيون ويسلبون؛ ومن آن لأن كانوا يجتمعون، وينتظرون الراجلين ثم يواصلون مسيرهم. وما أن وصلوا إلى قلعة راميتا الرهيبة، حتى خرج قائدها إليهم طالباً الصلح والأمان؛ ويروى المؤرخون أنه قدم إليهم الهدايا متذليلاً وقاطعاً على نفسه وعداً

---

*Diverse manière de navie et de mariniers... et particulièrement (1)  
devisent aler les nez*

(2) أمانو، إن عملية الاستيلاء على مسينا يرويها أمانو، الكتاب الخامس، من الفصل الثاني عشر حتى الفصل الثامن عشر؛ ورواها كذلك مالاتيرا، الكتاب الثاني، من الفصل الثامن حتى الفصل الثاني عشر؛ وذكرها ليوئي دوستيا، الكتاب الثالث، الفصل السادس عشر، والفصل الخامس والأربعين، والمؤلف المجهول، في كتاب كاروزو، ص ٨٢٧، والترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الرابع عشر.

(3) قارن بين: أمانو، الكتاب الخامس، الفصل التاسع عشر؛ ومالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل الثالث عشر. وأولهما كتب أن روبرتو وجد مسينا خاوية من قتلها. وعلى الرغم من أمانته في الترجمة فإنه ينفي كما قلنا أخذ ذلك وهمه بمعنى المجازي. ويؤكد مالاتيرا أن الأخوين تركا فرسانهما في المدينة. وهذا يعني جانباً منهم وليس كلهم.

بالطاعة لروبرتو بوصفه سيداً له وأقسم له بذلك على كتابه ودينه(1). ولعله لم يفعل إلا الخروج عن طاعة ابن حواش والخضوع لابن الثمنة. فيبدو أنه كان على اتصال به. إن ما حدث في راميتا، سواء كان نتيجة للجبن أم عدم الثبات، شجع روبرتو على التقدم عبر جوانب الجبال التي تسير بمحاذاة البحر التيراني. وتوقف في يومه الأول في تريس(2)، والثاني في فراتسانو(3). وبعد ذلك توجه إلى الجنوب. وما أن اجتاز المعابر الجبلية، حتى هبط على وادي منياتشي وبه ضرب خيامه. فخرج إليه وتواهد عليه المسيحيون المقيمون بتلك النواحي يقدمون المؤن والهدايا. ويعتذرون لماداتهم المسلمين متذرعين بأنهم

(1) هارن بين: أماتو، الكتاب الخامس، الفصل العشرين: ومالاتيرا. الموضوع المذكور. وبينهما تعدد الاختلاف المتنازع قائماً. فالأول يجعل الخضوع لروبرتو وحده. أما الثاني فيجعله للأخوين كليهما. والأقرب إلى الحقيقة في بدايات الحرب الصقلية هي تلك الأخبار التي أتى بها أماتو إذ لم تثبت شهادات من هذا القبيل أن مسلمي راميتا قد قاموا بإظهار خضوعهم وتبعيةهم لسيد إقطاعي. فلم يخرج الأمر عن كونه اتفاقاً مؤقتاً وعلى وجه الدقة عهد أمان. ويقول ليوني دوستيا، في الكتاب الثالث، الفصل الخامس والأربعين، إن راميتا صارت خاضعة للجزية.

(2) Scabotripolis كما وردت في كتاب مالاتيرا، Scaba أو Scava. هي نقطة ترجع إلى العصور اللاتينية المتأخرة وتسمى خندقاً. ومن الواضح أنها كانت استهلاكاً لاسم Trabilis الذي نقرأه في وثقتين يرجع تاريخهما للعام ١١٣١ و١١٠٨. وذكر الإدريسي، نتيجة تفتيحه موضع بعض النقاط على أو تحت الحروف، في النص العربي ب ر ب ل س وبوب - ل - س التي يلفي تصويبها إلى ت ر ب ل س والتي تتوافق تمام الموافقة مع اسم بلدية تريس الحالية. ومن وصف رحلة الجغرافي المذكور، المكتبة العربية - الصقلية، ص ١٦، تبين أنه من راميتا إلى مونتى فورتي كان ثمة (وذلك حتى منتصف القرن الثاني عشر) طريق يبلغ طوله أربعة أميال ومن مونتى فورتي إلى تريس طريق بطول عشرين ميلاً. وقد أغفل أماتو المعطلة الأولى هذه.

(3) Fracinetum. هكذا ذكرها مالاتيرا في كتابه. ووردت عند أماتو Lo False. ويمكن التعرف على اللغتين بسهولة في Fraymit المذكورة في إحدى الوثائق التي يرجع تاريخها لعام ١١٨٨. وهي فراتسانو كما يُطلق عليها الآن؛ ومن بلديتها يبدأ درب يصل إلى منياتشي. وذكر الإدريسي الطريق المؤدى من تريس إلى مونتالبانو، وإلى جلاني. وهي أرض قريبة للغاية من فراتسانو. وقد خلطت ترجمة أماتو Lo False بوادي منياتشي، الذي أشار إليه بوضوح دون أن يذكر اسمه: *alo pie de lo grant mount et menachant moult de Gilbert* (وتصويب الكلمة التي تعنها خط Gibel أي جبل).

فعلوا ذلك إنقاذاً لأموالهم ودمائهم من أولئك المتوحشين النهائيين. وقد استقبل روبرتو وروجيرو المسيحيين في حفاوة وتكرمة، ومنحاهم الأمن والأمان(1)؛ وبعد بضعة أيام استأنفا المسير عبر وادي سيميتو، الذي يبدو أنه يمثل التخوم الفاصلة بين إمارتى ابن الثمنة وابن حواش. وكانت أول عقبة صادفتهما هي حصن تشنتوريس، ذائع الصيت في التواريخ القديمة؛ فأسواره شاهقة الارتفاع التى تحيط بها الخنادق العميقة كان يذود عنها ذوداً مستميتاً رماة الأقواس والنبال؛ ولم يرد محاصروهم الإصرار على البقاء فى هذه المحلة، إذ علموا أن ابن حواش قادم من خلفهم ومعه جمع غفير من رجاله. وبعد أن عبر الجيش وادي سيميتو، وجد باتيرنو، وأميلييزو خاويتين على عروشهما، وهما أراض شاسعة المساحة، على حد قول أمانو(2)، إذ تبدد منهما ومن كل نواحيهما المسلمون وذابوا كما يذوب الشمع فى النار، وعسكر الجيش زهاء ثمانية أيام فى وادي باتيرنو(3)، تحت إمرة روبرتو وابن الثمنة(4) كما ذكر المؤرخ، ومن الجلى أن المسلمين لم يكونوا قليلي العدد؛ وهذا يُعِين على فهم الأحداث والوقائع. ولما أبلغ رسل ابن الثمنة أن ابن حواش لم يكن قريباً كما لم يعد العدة للمواجهة والاقْتتال، عبر الجيش سيميتو وقتل عدداً كبيراً واستولى عنوة على

(1) هارن بين: أمانو، الكتاب الخامس، الفصل العاوي والعشرين؛ ومالاتير، الكتاب الثاني، الفصل الرابع عشر. وكتب مالاتير أنهم مسيحيو وادي ديموني؛ وكان أمانو أكثر صحة ودقة حيث قال إنهم أولئك الذين *qui estoient là enfor*، ويتحدث عن المسيحيين الذين كانوا يطئون وادي ديموني كله عندما عاد المنكسرون من حصار كاستروچوفاني إلى سان ماركو وميننا.

(2) أمانو، الكتاب الخامس، الفصلين العاوي والعشرين والثاني والعشرين. ومالاتير، الكتاب الثاني، الفصل الخامس عشر. وأميلييزو، الذى نهج مكانها وموقعها على التحديد، لا توجد أية إشارة عنها عند أى كاتب آخر، مسلماً كان أم مسيحياً. وقد ورد ذكرها فقط فى كتاب أمانو.

(3) مالاتير، الكتاب الثاني، الفصل السادس عشر.

(4) أمانو، الكتاب الخامس، الفصل الثاني والعشرون.

معارات سان فليتنشي واستمر في تقدمه حتى وصل إلى الطواحين الكائنة أسفل كاستروچوفاثي على شاطئ ديتيانو، وفي هذا الموضع ضرب الجيش خيامه (1).

وأثناء تلك العمليات كان المسلمون الذين نزحوا من الأقاليم التي تعرضت للهجوم قد تجمعوا حول كاستروچوفاثي وانضموا لجيش ابن حواش الذي صار كثير العدد. لدرجة أن الرواية التورماندية قد أحصت عدد أفرادهم ما بين صقليين وإفريقيين، بخمسة آلاف فارس ومائة ألف راجل؛ يقابلهم في الطرف الآخر، لإضفاء العظمة والبهاء على الأسطورة، سبعمائة فارس فقط، ولم تذكر حاملي السلاح، والرجالة. وبالأكثر جند ابن التمنفة (2). وبعد بضعة أيام برز ابن حواش

(1) ملاحظاً، الكتاب الثاني، الفصل السادس عشر، ويقول المؤرخ إن اسمه جويتا، ويضيف بأن هذا الاسم يعني *flumen paludis*، واسمه العربي وادي الطين الذي وجدناه مكتوباً *Lo dictaine* في إحدى هبات الكونت روجيرو، التي منحت في عام ١٠٩٤ كما جاء في كتاب بيهو، صقلية المقدسة، ص ١٠١١، ويمنى على وجه الدقة، نهر الرغام. ولا نعرف مكان معارات سان فليتنشي؛ وقد تكون من قبل المصادفة هي «المعارات الأربعين» التي كانت أهلة بالقطن وحصينة. وقد اقتحمها المسلمون واستولوا عليها في عام ٨١١. وهذه المعارات تبدو قريبة كذلك من كاستروچوفاثي. انظر كتابنا الثاني، الفصل الخامس، ص ٣٧٤ من المجلد الأول.

(2) يكتفي ملاحظاً، في الكتاب الثاني، الفصل السابع عشر، بالقول بأن رجال التورمان كان عددهم ٧٠٠، بينما كان رجال الأعداء ١٥٠٠٠؛ وينقل المؤلف المجهول في كتاب كاروزو ص ٨٢٨، وفي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الرابع: ينقل الأرقام ذاتها وأضاف أن كلا الجانبين كان يتشتمن الرجالة. ويرفض أماتو في الكتاب الخامس، الفصل الثالث والعشرين، الذي نسخ منه ليوني بوسنيا، الكتاب الثالث- الفصل الخامس والأربعين، يرفض المبالغة والتحويل في القول بوجود ١٥٠٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل مسلم، ولكنه نسب لروبرتو ١٠٠٠ فارس و ١٠٠٠ رجل ضمهم في مسينا، ومن الجدير بالملاحظة أن ابن خلدون، ترجمة دي ترحيه الفرنسية، ص ١٨٥، قد قام تقريباً بنقل الإشارة المقتضية عن هذه المعركة من ابن الأثير، وأضاف إليها أن روجيرو كان تحت إمرته ٧٠٠ فارس؛ ومن المرجح أن تكون هذه هي الرواية التورماندية، التي سمعها ابن شداد في بالرمو في القرن الثاني عشر، والذي لم يبق لنا كتابه، ولا يبدو مخالفاً للتحفة أن الألف نشاب الذين جمعهم روبرتو في مسينا قد انخفض عددهم قبالة كاستروچوفاثي إلى ٢٠٠، بسبب الأمراض والموت، وترك حاميات على التحقيق لتأمين الانسحاب لمسافة مائة ميل أو يزيد من كاستروچوفاثي إلى باليرنو، ومنها تشي،

لمهاجمة النورمان بجيش مكون من ثلاث فرق. وكان روبرتو في انتظاره لملاقاته على رأس جيش انتظم في فرقتين، وهما الطلبة والوسط؛ وعهد بزمام الفرقة الأولى لروجيرو، وتأمر هو نفسه على الثانية؛ وخطب في الجيش كله قائلاً: لا تخشوا الاقتتال والاشتباك مع الأعداء المدينة، لأن المخلص قال: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينقل<sup>(1)</sup>؛ والجبل الذي أمامكم ليس من الحجارة، ولكنه من السيئات والجور؛ انقضوا عليه وداهموه متضرعين ومتوسلين إلى الروح القدس وسيتفرق ويتبدد. لأن الرب معكم؛ واعترفوا بخطاياكم وأثامكم، وتناولوا من جسد المسيح ودمه، واحكموا القبض على رماحكم وسيروهم ولا تتشككوا ولا ترتابوا في النصر. وبمجرد انتهاء هذه الطقوس المقدسة، امتطوا صهوات جيادهم، وارتفع بيرقهم ورفرف، ورسم كل جندي منهم علامة الصليب وانطلقوا وردوا أعداءهم وهزمهم وفرقوا شملهم، وطاردهم حتى ملاجنهم وقتلوهم، وتزاحم الفارون منهم عند أبواب المدينة، فوقع كثير منهم في الأسر عند حافة الخندق؛ وعاد المنتصرون أدراجهم نازكين وراءهم في جميع أرجاء الريف شواهد فظيمة على المذبحة. وقد نسجت الأخبار عنهم خوارق ومعجزات، فنقول إحداها إنه لم يقتل ولم يُجرح في هذه المعركة أي مسيحي، ونقص علينا أخرى أنه سقط عدد ضئيل للغاية من المسيحيين بينما قُتل من المسلمين عشرة آلاف. ومثل هذه

---

وهرانسانو ومسينا. والظاهر أن السبعمائة فارس هم الفرسان وحدهم دونما إحصاء غيرهم من حاملي سلاح كل منهم. وهي نهاية المطاف فإن النقد يوصلنا إلى أن نطرح جانباً مع الحكايات الأخرى فرق الجيش من الإفريقيين. إفريقية هي ذلك العين كانت تعاني من وطأة غزو العرب لها القادمين من وراء التل. وربما كان الرواة المسيحيون ينسبون إلى عام ١٠٦١، المساعدات التي قدمها الأمراء الزيريون في عام ١٠٦٢، أو كانوا يعدونها «مساعدات إفريقية» وهي عبارة عن فرقة من الجهد السود. والبربر... إلخ. تم إرسالهم ليكونوا في خدمة مسلمين مستقلين ونصرتهم.

(1) إنجيل القديس متى، الأصحاح السابع عشر، ٦٠.

العبارات إن لم تكن عبارات روايات، فإنها تعزو لابن التهمة ولرجال الشرف الأكبر لما حدث في ذلك اليوم المشهود . وفي حقيقة الأمر فإن الفضل في هذا النصر المؤزر يرجع إلى نظام الفرق النورماندية والإيطالية، وبساليتها، وحكمة قوادها، وقوة عتادها، والتهاب النفوس واشتعالها الديني، وبشرف الجنديّة، وولعها بالحصول على الغنائم، ولذا كانت تضارع وتفوق الميزة العددية التي كان يحظى بها المسلمون، الذين احتشدوا دونما ثقة في أنفسهم ولا اتباع لرأى أو مشورة. وكان القُثم عظيماً حتى إن كل مسيحي فقد فرساً في الحرب أخذ عشرة جياد عند التقسيم. وأضحى الأسرى عبيداً وتم إحصاؤهم مع بقية الغنيمة(1).

ولما لم تكن هناك عملية عسكرية إلا ويجب خوضها ضد أعداء مثل هؤلاء، فقد أخذ روبرتو في تضيق الخناق على المدينة. وفي اليوم التالي للنصر اتخذ النورمان مواقعهم حول بحيرة بيرجوزا الواقعة جنوب كاستروجوفاني، فطريق الصعود منها أقل وعورة: وفي اليوم الثاني نقلوا معسكرهم إلى كالا شيبنا، التي تبعد ميلين جهة الشمال، حيث تم تقسيم الغنائم والأسلاب، ثم هبطوا إلى واد اسمه ديللي فونتان(2)، وابتنوا قلاعاً في جهات المدينة الأربع لإحكام إغلاق المناهض والممرات جميعها؛ وقاموا بتخريب المحاصيل وأشجار الفاكهة(3). وفي إحدى هذه الغارات، توغل روجيرو و معه ثلاثمائة شاب حتى وصل بالقرب من چرجنتي، وأخذ يضرع النار في

(1) قارن بين: أماتو، الكتاب الخامس، الفصل الثالث والعشرين؛ ومالاتير، الكتاب الثاني، الفصل السابع عشر؛ والمؤلف المجهول في كتاب كاروزو، ص ٨٢٨ وفي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الرابع عشر؛ ولويس دوستا، الكتاب الثالث، الفصل الخامس والأربعين؛ وفراگوراندو في كتاب كاروزو، المجلد الأول، ص ٤٧. وابن الأثير في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٣٧٦؛ والتويري، في كتاب دي چسچوريو، *Rerum Arabicarum*، ص ٢٥؛ وابن خلدون، ترجمة دي شرجه، ص ١٨٢. وقد أشار كُتّاب التوليات العرب هؤلاء إشارة عابرة إلى هذه الهزيمة.

(2) قارن بين: مالاتير، والمؤلف المجهول، الموضع المذكور.

(3) أماتو، الموضع المذكور.

الحقول وينتهيها، وعاد بفنم كثير أعطاه لروبرتو ليقوم بتوزيعه وتقسيمه (1)، وبينما كانت حامية كاستروجوفاثي تقف بثبات لصد أي هجوم، وصل إلى الميدان قادة مختلف الحصون الصغيرة حاملين الأموال والهدايا وطالبين الهدنة، فأجابهم روبرتو (2) إلى طلبهم. وفي نهاية المطاف قدم إليه رسل بالرمو ومعهم هدايا فاخرة من ثياب مشغولة على النسج الآسياني، وأقمشة من الكتان، وأنية من الذهب والفضة، وبغال مطهمة بمسروج مزدانة بالذهب والجمعة ثمينة؛ وكتب أماتو أنهم حملوا إليه كذلك، حسب عادات السراسنة، ثمانين ألف تاري هي جوال (3). ويروي أن روبرتو تذرع «بذريعة خبيثة» (4)، إذ أرسل إلى بالرمو، بحجة تقديم الشكر على الهدايا، أحد عيونه؛ وهو شماس يدعى بييترو، كان يفهم اللغة العربية ويجيد التحدث بها، غير أنه بأمر من الدوق تظاهر بجعله لها حتى لا يتحوطوا منه. وعندما وصل إلى حاضرة المسلمين، استقبله الأمير بالحفاوة والتكريم وإمارات السعادة بادية عليه لأنه أضحي صديقاً لروبرتو، ولذا بعث إليه بهدايا مع هذا الرسول الذي نقل لروبرتو كل ما رآه وسمعه ووعاه عن المدينة المنهارة التي يعمها

(1) فارن بين، مالاتيها والمزلف المجهول، الموضع المذكور.

(2) *O les bras ploies et la tesle enclinde de toutes pars oient li Cayte et aporteni domps et ferment pais avec lo duc et se soumettent à lui et lor cités.* أماتو، الموضع المذكور. وهذا الحدث الذي لا نقرأ على الإطلاق في كتاب مالاتيها، هو من بلاد مهادنات ملكيت لموسم واحد وتمت الموافقة عليها مقابل شروط مادية. ويعتقد المؤرخ تمام الاعتقاد أن صفقة قد استسلمت لروبرتو، ولكن يبقى حينئذ من غير المفهوم لماذا قتل عائداً إلى كلابريا تاركاً بالكاد حامية عسكرية صغيرة في سان ماركو وميسينا.

(3) *C'est paille copertez d ouvre d'Espagne ec* (3) وربما كانت مطرزة، وعلى أية حال فالظاهر لي أنه ينبغي أن نفهم أنها كانت مشغولة على الطراز الآسياني، ولم تُصنع في الأندلس. ونقطة تاريخ لا تشير بالتأكيد إلى المزمع العربي، ولكن إلى التاري النهبي الذي تعدشا عنه هي الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص 169، من المجلد الثاني، ولذا فالمبلغ يُقدر بأكثر من ٢٠٠.٠٠٠ ليرة إيطالية.

(4) *Et lo duc pensa grant sottillesee* (4).

الاضطراب، حتى صارت جسداً بلا روح(1).

وقد سبب الحصار المفروض منذ شهر(2) على كاستروچوفاني عذاباً شديداً لها. وبمضي شهرين على نزول القوات في مسينا(3)، عقد روبرتو العزم على الانسحاب في منتصف شهر يوليو(4). ومن ثم لا يمكننا الأخذ بما قاله مالانيراً من أن الانسحاب كان نتيجة لقرب قدوم فصل الشتاء. كان الرجال قليلي العدد، فقد نقص عددهم بكل تأكيد أثناء المعركة ومن جراء انتشار الأمراض؛ وبعد تحصيل الإتاوات وجمع الفنائم، وعدم إمكان اقتحام كاستروچوفاني، ماذا تبقى للنورمان بعد ذلك إلا العودة إلى البر الإيطالي. والحفاظ على الطريق مفتوحاً للمبور مرة أخرى، وإشمال نيران الفتنة والشقاق عن طريق ابن الثمنة وتنظيم شئون الأهالي من المسيحيين بحيث يمدوا لهم يد المون على الأقل بالمال؟ ولقد بدا قُطْآن وادي ديموني المسيحيون لوقت وجيز أمام النورمان في معسكر منياتشي. واشتكوا كثيراً تحت كاستروچوفاني أو بالأحرى أثناء الانسحاب. وطلبوا من

(1) يقول أمانو في الكتاب الخامس. الفصل الرابع والعشرين. بأنه تم إرسال الرسالة من قبل أمير بالرمو *Amirail de Palerme*. ويقول أمانو نفسه في الكتاب الخامس. الفصل الثامن. أن العمدة الذي طرد ابن الثمنة من بالرمو وتامر عليها كان يدعى *Belcho* (ابن حواشي). وفي الفصل الثالث عشر أطلق على أمير بالرمو. في مايو ١٠٦١، اسم *Saenne*. وفي الفصل الثالث والعشرين. ظهر ثانية *Belchaot* (ابن حواشي) على رأس جيش في كاستروچوفاني. وفي الفصل الرابع والعشرين لم يذكر اسماً لأمر بالرمو. ومن ناحية أخرى، كما لاحظنا في ص ٢٢. نجد أن مالانيراً يقول أن أمير بالرمو. في مايو ١٠٦١. هو *Belcaneur*. أي هو ابن حواش نفسه. (2) مالانيراً، الموضوع المذكور.

(3) أمانو، الكتاب الخامس. الفصل الثالث والعشرين. بعد أن يروي بداية حصار كاستروچوفاني وأسبابه يستطرد قائلاً:

"*Et puis dui mois le victorieux duc s'en torna a Messine*" وهي حقيقة الأمر فقد مر شهر تقريباً منذ وصول الجند إلى مسينا حتى التحامهم في المعركة التي دارت رحاها تحت كاستروچوفاني. كما برهنت على ذلك رواية مالانيراً. (4) مالانيراً، الموضوع المذكور. نذكر أن الجيش قد احتشد وتجمع في مضيق مسينا في أوائل شهر مايو. وأن مسينا قد تم الاستيلاء عليها في حوالي منتصف الشهر نفسه.



الدوق تخليصهم من النير، وقدموا له الأموال والمؤمن على سبيل الإثابة<sup>(1)</sup>، كما يقول المؤرخ. وهذا يبدو مطابقاً للحقيقة لأنه لا يمكن ألا يكون روبرتو في اتفاقياته التي أبرمها مع ابن الثمنة قد اتفق على التنازل عن أحد الأقاليم على الأقل، ومن ثم توقف عند منتصف الطريق على الساحل الشمالي، وأقام سوقاً إذ كان ضرورياً لمن يريد بيع أو مقايضة الأسلاب الكثيرة من البهائم؛ الأمر الذي أثّج كثيراً صدور المحاربين وأسعدهم وحرك في نفوسهم الرغبة في الإقامة في المكان الذي يحيط به الأهالي المسيحيون. وفي هذا المكان وعلى بعد ثلاثة أميال من البحر وفي أرض خصبة ساحرة خلاصة قريبة من اطلال ديار النوسيو أو كالاكتا، التي لازالت حتى الآن محل جدل ونقاش العلماء<sup>(2)</sup>، قام روبرتو في موقع حصين بتشييد أو ترميم قلعة أطلق عليها اسم سان ماركو، تيمناً باسم القلعة التي بدأ منها فتحه لكلايريا وغزوها، أملاً أن يجلب له الفال الحسن ورعاية القديس الإنجيلي توفيقاً وحظاً معائلاً في صقلية. وترك بها حامية عسكرية تحت إمرة رجل يدعى جوليلمو دي مالى؛ وواصل سيره، واحضر زوجه إلى مسينا<sup>(3)</sup>، ودعم المدينة بالرجال والمقن، وبعد

---

(1) أمانو. الكتاب الخامس، الفصل الخامس والعشرون. ومن الجدير بالملاحظة أن مالانترأ ذكر فقط المسيحيين الذين قدموا إلى مسكر ميناتشي؛ ويشير أمانو في الفصل الحادي والعشرين إلى الحدث ذاته متحدثاً فقط عن مسيحيي الأراضي المتاخمة وعن الأمان الذي منحه لهم روبرتو. وفي الفصل الخامس والعشرين يقول: جاء إلى الدوق بالقرب من كاستروجوفاني، أو هي أثناء الانسحاب منها إلى سان ماركو، مسيحي *Vai de Manne... por estre aidie de lo duc et que desirroient de estre nom estre subgette a li poien lui firent tribut de or et habondance de cose de viue.*

(2) انظر هانز فلو وكوفهريو واميكو في *Dizionario topografico ec.* فقد تم العثور على كتابات باللغة اللاتينية لألونسيو في سان ماركو. وذكر الإدريسي في المكتبة العربية - الصقلية، النص ص ٢٢، وفي كتاب دي جبرجوريو. *Rerum Arabicarum* ص ١١٥، الآثار التي كانت تشد الانتباه في سان ماركو ووصف لنا أهمية المدينة، قائلاً بأنها مركز للمناهات الزراعية وبناء السفن. (3) أمانو. الكتاب الخامس، الفصل الخامس والعشرون. وعلى الرغم من أن المؤرخ يروي

ذلك عاد إلى بوليا بينما أب روجيرو إلى ميليتو في كلابريا. وفي ذلك الحين كان ابن الثمنة في كتانيا ليواصل مهاجمة أعدائه الذين تبقىوا في صقلية (1)، وهم قُطَّان إقليمي كتانيسيتاً وجرچنتى الحاليين. وكان كل من إقليمي كتانيا وسيراكوزا (2) خاضعين له؛ أما إقليم مسينا، الذي يقع الجزء الأكبر منه في وادي ديموني، فقد ظل تحت حماية النورمان، الذين قاموا لهذا الغرض بتحصين قلعة سان ماركو (3). وقد أبرم إقليما بالرمو وتراپانى اتفاقاً مع أمير كتانيا، ومن المرجح أنه كان اتفاقاً يقضى بالاتحاد بينهما. وفي تلك الظروف ترك صقلية روبرتو، قائد الانصار المسيحيين التابعين لابن الثمنة وسئرى أن أخاه روجيرو سيخلفه لفترة وجيزة. وبعد ذلك سيصبح القائد الفعلي لفاتحي صقلية المسيحيين، وأن روبرتو سيأتى نصيراً وعوناً له في معركتين فقط من معارك هذه الحرب الطويلة.

---

تأسس قلعة سان ماركو بعد أن أشار في الفصل الثالث والعشرين إلى عودة روبرتو إلى مسينا، إلا أنه عاد فتحدث عن هذه العودة في الفصل الخامس والعشرين، ولا يخالفتنا شك في أن الجيش قد توقف في سان ماركو أثناء انسحابه. قارن بين المؤلف المجهول في كتاب كاروزو، هي ATA، والترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الرابع عشر، ولويوني دوسنها، الكتاب الثالث، الفصل الخامس والأربعين.

(1) قارن بين مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل الثامن عشر؛ والمؤلف المجهول، الموضوع المذكور.

(2) «تم إرسال بيثومينو، *in sua fidelitate*، إلى كتانيا، التي كانت تابعة له... إلخ»، هكذا كتب مالاتيرا، المصدر المذكور. ومع كتانيا ألت (له على وجه اليقين سيراكوزا) وضواحيها، وهي ولاية قديمة لابن الثمنة.

(3) أماتو، هي الكتاب الخامس، الفصل الخامس والعشرين. يقول ذلك صراحة. ويبدو أنها مجرد اتفاقية خاصة بالنواحي الدفاعية من جانب وبالجزية من جانب آخر؛ وربما هي أيضاً اتفاقية مؤقتة ليست لها طبيعة التبعة الإقطاعية أو شكلها.

### الفصل الثالث

أحدثت هزيمة ابن حواش جنوب كاستروچوڤاني تغييراً في بالرمو مماثلاً للتغيير الذي أعقب هزيمة عبد الله بن الممزر<sup>(1)</sup> في عام ألف وأربعين. ويرى لنا أمانو عن سفارة أهل بالرمو، والهدنة التي يسميها خضوعاً، المبرمة مع روبرتو من قبل العاصمة ومدن وقلاع أخرى، واحتلال ڤال ديموني. وكتب ابن الأثير كيف أن حاكم كاستروچوڤاني، بعد هزيمته على أيدي الفرنجة، لجأ إلى القلعة: وكيف اجتاز هؤلاء الجزيرة على ظهور جيادهم وسيطروا على العديد من الأماكن: وكيف أن عدداً غير قليل من العلماء والوطنيين المسلمين قد لجأوا إلى أفريقية لدى المعز بن باديس، يطلبون منه المعونة، ويعرضون عليه الحالة البائسة لشعبهم، الذي فرقته الخلافات والجيوش الأجنبية. وعند وضع الروايتين معاً تظهر وقائع الحروب الأهلية المألوفة: فقد أدان الرأي العام المهزومين؛ وهرب أنصارهم في العاصمة أو طردوا؛ ولا عجب في أن مبعوث روبرتو وجد في العاصمة كثيراً من الفوضى والبؤس، أو أن النبلاء، أصدقاء ابن الثمنة، قد بعثوا لتهنئة النورمان، وربما للتفاوض على اتفاق لكي يُسقطوا جميعاً ابن حواش. ولا تتدر بين المسلمين في القرن الحادي عشر والثالث عشر هذه الأمثلة من التحالف مع المسيحيين؛ فعلاوة على الأحداث التي رواها عن الأكحل وابن الثمنة نفسه في صقلية نجد أن تاريخ أسبانيا ملئ بها. وبشئ من اللوم توجه الخارجون من بالرمو إلى الممزر بن باديس لحثه على إرسال الجيوش إلى صقلية. وكان بنو الزيري، الذين هزموا كما ذكرنا على أيدي عرب ما

(1) انظر الكتاب الرابع، الفصل الثاني عشر، من ١٢٠، من المجلد الثاني.

وراء النيل، قد فقدوا الأرض، وليس البحر؛ وبقي لهم في شبه جزيرة المهديّة المحصنة الأسطول وقوة كبيرة من المييد المتمركزين هناك والمال الكافي للصمود للحرب؛ وأولئك العرب أنفسهم، الكاسرون والأعزاء كالوحوش، كانوا خاملين عن القيام بجهد مستمر مشترك، وكانوا دون مستوى العبقرية التي تعرف كيف تستخدم هذه الصفات لتحقيق أهدافها. ومنذ أولى صولات الاقتحام، كان المعز قد كسب لصفه بعض زعماء القبائل بالهدايا وصلات القربى، بعد أن زوجهم بناته؛ وبالتالي فقد ساعده هؤلاء على الانسحاب من القيروان إلى المهديّة، عام ألف وسبعة وخمسين. وبعد بضع سنين، وبعد تدمير كل نشاط زراعي ومدني في أهريقية، باستثناء المدن البحرية، وبعد استنفاد الفتيمة، فإن تلك الفرق التي لم تكن لها مهنة أخرى اضطرت لتسول راتبها على أبواب بجاية وتونس والمهديّة وصفافس وقابس؛ وهي قلاع منيعة، لأنه لم يكن بوسعهم إغلاق البحر وإخضاعها بتجويعها. وقد أصفت هذه المدن للقادة البرابرة، حيث كانت بدورها في حاجة للأرض لتجاريتها وحيث أن كلاً منها كانت ضد الأخرى تدفعها إلى ذلك، قوة التفسخ والتحلل في المجتمع المغربي التي لاحظناها فيما سبق، وفي بجاية كان هناك فرع من الزيريين، متعرد على أصل العائلة ويتوق لاغتصاب الدولة كلها؛ وفي المدن الأخرى كانت الفصائل أو الحكام يحاولون التحلل من الطاعة؛ ومن المهديّة كان الأمير يجتهد لاستعادة السلطة حيثما استطاع. وبالتالي فقد بدأت فرق القبائل تتقاتل كل إلى جانب هذا أو ذاك، وأحياناً فيما بينها أنفسهم؛ واختلط في المعركة بربر الريف وسكان المدن البحرية؛ عرب الفتح الأول والبربر وبقايا غيرهم من السكان القدامى. وقد استمر صدام الأفرام هذا، الذي كان شرساً جداً، أكثر من ثمانين عاماً وصاحبه الأسى والجوع، وفتح الطريق أمام غزوات التورمان الصقليين (١١٤٨) والموحدين (١١٦٠).

ومن هنا فإن المعز العاجز عن مواجهة متعردى الساحل وأكثر من

هذا عن مواجهة العرب، بدلاً من إنهاك القوات التي بقيت معه في عمليات لا طائل من ورائها ضد أقاليم فقدتها، أراد أن يجرب حظها في صقلية بمساعدة أعدائه أنفسهم الذين كانوا في عقر داره (1)، فآعد السفن وجعلها تبحر في شتاء عام ألف وواحد وستين. وعندما وصلت إلى بنتلاريا، ألتمت بها عاصفة وششتها؛ وأغرقت معظمها (2)؛ مما أفرغ أعداء ابن الثمعة الذين خاب أملهم في المساعدة، وشجع، على ما يبدو، روجيرو على القيام بعملية جديدة.

وفي شهر ديسمبر، وبعد أن عبر روجيرو الفارو من جديد بمائتين وخمسين فارساً، قطع الجزيرة من منتصفها مندفعاً حتى جرجنتي،

(1) انظر كتابنا الرابع، الفصل الخامس عشر، ص 557 و 558، من المجلد الثاني. الأحداث المشار إليها هنا مستخلصة من ابن الأثير، النص، أعوام 112 و 118 و 119 و 120. المجلدين التاسع والعاشر من طبعة تورنبورج، بيان المضروب، النص، المجلد الأول، من ص 208 إلى 212: النويري، تاريخ الفريجية، مخطوطة عربية في باريس، Ancien Fonds 702. من الورقة 29، الوجه الثاني إلى الورقة 42 الوجه الثاني: التيجاني، رحلة، ترجمة م. القونس-روسو في *Journal Asiatique*، أغسطس 1862، ص 109، فبراير 1862، ص 180 والصفحات التالية.

(2) ها هي ذي كلمات ابن الأثير، المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص 276، التي نسطها مع اختلاف ضئيل أبو الفدا، عام 118. والتويري وابن أبي دينار، المرجعان المذكوران، ص 118 و 119 و 120. عند معاصره في كاستروجوفاني، خرج ابن حوافش للقتال؛ ولكن بعد هزيمته على أيدي الفرنجة انسحب إلى القلعة؛ وقطع هؤلاء صقلية على سهوة جيادهم واستولوا على العديد من الأماكن. وعندئذ ترك الجزيرة عدد غير قليل من العلماء وأشرف الرجال. وقد ذهب بعضهم لدى المزمز بن بلديس وعرضوا عليه حالة البلاد، وخطابات الشجب المسلم، والأرض التي يحتل الفرنجة جزءاً منها؛ ولذا ضد أحد المزمز أسطولاً كبيراً وبعد أن ركبته الجنود وحمل بالخطيرة، جعله يبحر في الشتاء، وعند بنتلاريا هبت عاصفة وغرق معظمهم؛ ونجا عدد قليل للغاية؛ وقد أدى ضياع ذلك الأسطول إلى إضعاف المزمز جداً، وشجع العرب الذين انتزعوا أفريقية منه، وحيث أن المزمز قد توفى في 21 شعبان 118 (بيان المضروب، المجلد الأول، ص 208) أي في 31 أغسطس عام 1162، فلا بد أن يكون إرسال هذه الحملة في الشتاء السابق، أي بعد بضعة أشهر من معركة كاستروجوفاني التي نعرف تاريخها من الكتاب المسيحيين، حتى أننا نستطيع أن نصح ما جاء به المسلمون المذكورون سالفاً في ص 82، الذين يذكرونها في عام 118 (1052). والمؤلفون العرب، بتأثير الطارق الزمني عندهم الذي يبلغ ثمان سنوات، يعدون غرق الأسطول من أسباب غزو عررب ما وراء النيل السهل لأفريقية، والذي كان قد اكتمل قبل عام 1061. كما ذكرنا في موضع آخر.

وكانها هي انتظاره: وأخذ يسلب البلد وعاد سريعاً إلى الورا. وقد جاء السكان المسيحيون صوبه سعاء ومستعدين لمساعدته دون أن يعملوا عليه كثيراً: أما أهل تراينا، وهم من اليونانيين، فقد استقبلوه في المدينة بفرح واحترام كبيرين، حتى إنه نظم شئون أرضهم كما أراد. كما يقول مؤرخ الكونت(1)، بينما يقول الأنونيمو: إن تراينا خضعت لسيطرتهم؛ ولكنه كتب هذا بعد ثمانين عاماً. ولكن يبدو أن أهل تراينا الذين كانوا أحراراً فعلياً من السيادة الإسلامية، والذين كانوا يطمحون لاستعادة نظام البلدية الخاضعة للضريبة(2) قد استضافوا المفامر المسيحي المحظوظ، واستمعوا إلى نصائحه العسكرية ويمكن أن نقول أنهم بدأوا في إجراء الاتحاد. كما أسماء آنذاك النورمان وأبرموه مع بعض مدن كلابريا، أي أن يلتزم القائد بالدفاع عن البلدية، وكانت هذه البلدية تعترف به قنصلاً وتدفع له راتباً. ولم يصبح النهج المتبع سيادة إقطاعية في تراينا إلا بعد حرب العام التالي، كما حدث في تلك الفترة في جيراتشي وأماكن أخرى في كلابريا، عندما دعم القنصل قلعة داخل الأرض وحصنها، وحول الراتب إلى ضريبة، وأثقله بالاغتصابات الإقطاعية، وقد أحنى السكان رؤوسهم، أو قاوموا وأخضعوا خضوع تبعية محض. وفي الحقيقة لم يرو لنا أن روجيرو وضع حامية في هذه المرة الأولى في تراينا. وقد قضى فيها عيد الميلاد: ثم رحل بعد ذلك على عجل بعد أن جاءه بلاغ من كلابريا(3).

(1) *Cristiani vero provinciarum, sibi cum maxima Laetitia* (اللاتين)، *occurentes in multis obseculi sunt* الطاعة. وهذا وذلك يرجع إلى المفهوم الذي أصبر عنه أنا في النص. ويجب أيضاً أن نذكر أن كلمة *Provincia* في اللاتينية هي المصور الوسطي كان معناها المجرد غالباً هو ريف أو ضاحية.

(2) انظر الكتاب الثالث، الفصل الثالث والكتاب الخامس، الفصل العاشر عشر، المجلد الثاني ص 255 و 297.

(3) راجع مالتير، الكتاب الثاني، الفصل الثامن عشر، والأنونيمو. طبعة كاروزو. *Biblioteca Sicula*، ص 878، والكتاب الأول، الفصل الخامس عشر، من النص.

كانت قد وصلت إلى كلايريا آنسة فتحت ابواب الجنة على الأرض لشباب طموح في الثلاثين من العمر: وكانت هذه الفتاة هي جوديتا ابنة كونت إفرؤ، من سلالة دوقات نورماندى. ويبدو أن روجيرو، قبل ذلك ببضع سنوات، عندما خرج من بيت أبيه دون ميرات سوى القلب والسيف، قد هام غراماً بالشابة الصغيرة المعترلة هي دير سانت إفرؤ، وبعد سنوات عديدة، قام شقيقها من أمها، روبرتو جوانتمزئيل، رئيس البندكتيين في سانت إفرؤ وبالتالي في سانتا أوفيميا في كلايريا بمناقشة مسألة زواج جوديتا وروجيرو، الذي كان آنذاك قائداً ذائع الصيت، وسيداً لمدينة ميليتو وكان يأمل في أكثر من ذلك. وقد جاءت الخطيبة مع شقيقها إماً، وتركت كلاهما الدير، ويقال أيضاً مسوح الراهبات، للمتور على زوجين من النورمان في إيطاليا. وبعد

---

الفرنسي. وقد أخذت من الأول عدد جنود روجيرو، النصر اللاتيني للأنونيمو به ٥٠، والتصر الفرنسي ٢٠٠.

فاتنيللو، المشربة الأولى، الكتاب العاشر، الفصل الأول، كتب يقول إن ضاحية نراينا كان يسكنها المسيحيون، مع سيطرة المراسنة على المدينة: وإن روجيرو تفاوض مع الفريق الأول وقد افتتح المدينة لطعامتهم وأسس في ضواحيها دير القديس إيليا، الذي أطلق عليه دير إوبولو بناء على التصحية الطبية التي جاءت من ذلك المكان. وهو يتكرر في البداية امتيازاً يونانياً للكونت، دون أن يذكر التاريخ ولكن من الواضح أن تاريخه هو عام ١٦٠٢ (١٠٩٤ من التقويم الميلادي) ويأتى بيرو، في ص ١٠١١، بلص لاتيني بالغ للسوء لهذا الامتياز، كتب فيها الاسم *De Ambula* ولا يشار فيه إلى أية نصيحة من أى نوع من جانب المسيحيين، ولا إلى ندر الكونت. بل إن هذا الأخير لا يمارس أى سطاء آخر سوى منح جوهاني النبيل البيزنطى الأرض لتأسيس دير عليها. وبالتالي فإن استشهاده فاتنيللو يجب أن يقتصر على الضاحية التي كان يسكنها المسيحيون وهو مناسب في هذه الحدود. حيث أن هناك أسماء يونانية ولاتينية بين الفلاحين الذين أهداهم الكونت إلى الدير. وبإلى الرواية لا توجد وثيقة تبرهن عليها. ولا يوجد لها أثر في الأخبار. ومن هنا فإنه يبدو أن فاتنيللو قد افترض هذا من المعنى الذي كان يعتقد أنه حشر عليه في اسم *Ambola* و *Embola* و *Eboli*، وطبقاً لما يقول *Eubulo* ومن مفرقة بوجود بعض السكان المسلمين المجاورين، كما سنرى في باقى هذا الفصل، وشهادة مالاترا الصريحة لا تسمح بمثل هذا الافتراض.

ولا يوجد أصل مباشر للأسطورة (بيرو، الموضوع المذكور: دى تشوكيس، *Sacrae Regiae Visitationis*، المجلد الثاني، ص ٦١٢) التي تقول إن النبي إيليا، ظهر لروجيرو. وسينه في يد، وقد شجعه على القيام بالعملية.

أن تزوجها هي سان مارتينو هي قال دي ساليني، احتفل روجيرو بالزفاف احتفالاً رائعاً هي ميليتو، مخفياً فقره بفاخر الثياب والخيل وضجيج الآلات الموسيقية. ولم تنسه ملذات الحب الفزوات المأمولة. وبعد بضعة أيام، هدا من روع عروسه التي كانت تبكي وتريد إبقائه، وهرع إلى صقلية حيث كان ابن الثمنة يعمل من أجله معتقداً أنه يعمل من أجل نفسه(1).

وبعد أن حدد للمسلم المكان الذي يأتي فيه للقائه من كتانيا، نزل هي مسينا بكل الرجال المسلحين الذين استطاع جمعهم، وهي محاولة لاقتحام إقليم جديد امتطيا صهوة خيولهما معاً هي اتجاء بتراليا(2)، وهي أرض يسكنها مسيحيون ومسلمون. وبعد أن تشاور هؤلاء حول الخطر المحدق بهم، الأولون بدافع سمعة روجيرو والآخرين لممارسات ابن الثمنة، قرروا تسليم القلعة والولاء بالطاعة للكونت. وبعد أن قام بتزويد القلعة بالفرسان والمرزقة، توجه إلى ترابينا، وحصنها بالطريقة نفسها وعاد إلى كلابريا لمعاقبة عروسه وإثارة الخلاف مع شقيقه(3).

وقد واصل ابن الثمنة العمل في صقلية بإخضاع أراض أخرى وأخذ يبعث فساداً في ضياع الأراضي التي كانت ترفض ذلك(4). وكان

(1) راجع مالاترا، الكتاب الثاني، الفصلين التاسع عشر والعشرين، الذي يسمى العروس باسم دليسيا؛ والأونيمو، الموضوع المذكور، الذي يسميها بوكتا (بويدكتا). والأحداث السابقة على وصولها إلى كلابريا تستخلص من أونوريكو ثينالي وجوليمو دي جيمبلو، اللذين ذكرهما م. جوني داترك، *Histoire des Conquêtes des Normands en Italie ec.*، ص ٢٢٨ والمصنفات التالية. ويؤكد المؤلف في ص ٢٢٦ هي الملموطة، أن الأنسة عند خروجها من الدير، غيرت اسمها إلى إرميرجا، التي ظن آخرون أنها زوجة ثانيا لروجيرو. انظر أيضاً مسألة مبحث دوكانج عن العائلات النورمانية. في ملحق *Ysloire de li Normant*، ص ٢٥١.

(2) اليوم توجد بلديتان تسميان بتراليا وتسميان بتراليا سوبرانا وبتراليا سوتانا. ويروي داميكو، *Dizionario Topografico*، أن البلدية الأخيرة أحدثت؛ ولكن الإنريسي يذكر بتراليا واحدة ويقول عنها حصناً، أي قلعة في السهل.

(3) هارن بين، مالاترا، الكتاب الثاني، الفصل العشرين، وأونيمو، الموضوع المذكور.

(4) مالاترا، الكتاب الثاني، الفصلان العشرون والثاني والعشرون.



المسلمون يكرهونه. ولكنهم كانوا يخشونه أكثر؛ هذا الرجل الذي أوشك بين الحروب الأهلية الأولى أن يرفع من جديد عرش الكلبين؛ هذا الذي بعد أن أصابه الدمار في إحدى المعارك باع نفسه وانتقم بعد ذلك؛ وهو سيد هال دي نوتو، ورقيق فرسان ما وراء البحر الذين لا يقهرون. ويمد إليهم أتباعنا الإقطاعيون أذرعهم، أما هم فيتحذروننا في قلب الجزيرة من قلاع ترابنا وبترابنا ولكنهم غالباً ما افادوا من ممارسات الخائن؛ الذي تحرك ضد إنتيلا، القلعة بالغة القوة شرق مدينة كورليونو<sup>(1)</sup>، عندما تسلم رسالة من نيكل، هكذا يكتب مالاتييراً اسمه<sup>(2)</sup>، وهو رجل قوى في تلك البلاد. تربطه علاقات وثيقة بابن الثمنة. منذ كانت صقلية تدب له بالطاعة. كان نيكل يقول إن نبلاء إنتيلا مستعدون للتفاوض على الاستسلام؛ ويطلب منه أن يأتي للاجتماع في ذلك المكان، بالقرب من القلعة. ولثقت في حظه الوافر. ذهب ابن الثمنة إلى هناك بقوة صغيرة من الرجال المسلحين، ووجد سكان القلعة هناك؛ وفجأة قُتل فرسه بضربة رمح. فسقط هو على الأرض. وانقضوا عليه وقتلوه؛ وهكذا حدث له ما حدث قبل

---

(1) *Antulium* في كتاب مالاتييراً، مع البلدين *Antelium* و *Antileon* في كتاب انونيمو: أخبار الرهبان *Corrado* في كتاب كارو. *Biblioteca Sicula*. المجلد الأول. ص ١٧. يقول: "*Antellæ quod castrum erat in Sicilia juxta Corleonum*". ولكن لا شك في أنها إنتيلا نفسها، التي يوجد اسمها في ذكريات أخرى ذكرتها في الأولى، الكتاب الأول. الفصل السادس. يعطي إشارة طبوغرافية عن المدينة القديمة وعن القلعة، حيث دافع مسلمو صقلية الأواخر بغداد عن أنفسهم ضد الإمبراطور قسطنطين. وقد زار أحد أصدقائي الباحثين هذه القلعة عام ١٨٨٨. وتدخل بإبلاغي بالمحفوظات والخريطة التي رسمها. والتي ترى منها الموقع الحصين الرائع، وامتداد المدينة القديمة، المزودة بصهاريج وحفر للجمع، وموقع ما يعتقد بحق أنها قلعة المراسنة؛ والتي تخفى بقاياها مثل بقايا المدينة شيئاً فشيئاً. وسرقت لاستخدامها كمواد بناء في البلدان المحيطة. والموقع المشرف على نهر بيليتشي الأيسر. مذكور في خريطتي المقارنة.

(2) *Niçl* أو *Niçli*. ربما يكونان اسمي كنة (حذاء برقبة قديم. أو *ritorta, ceppo*. محارب شجاع). أو *Nakhli* اسم عرقى.

ذلك بقرنين لإوفيميو، خائن صقلية المسيحية. وقد أصاب ذلك العقاب أنصار النورمان بالفزع. وقلب الأمور حتى إن حاميات بتراليا وتراينا انسحبت إلى مسينا، حيث استعدت بسرعة للدفاع. ويرجع موت ابن الثمنة إلى أوائل مارس عام ألف واثنين وستين(1). والشئ الأخطر هو أن روجيرو كان على وشك الاقتتال مع روبرتو. فهذا الشاب الذي اغتر بالقرباية، بدأ في الإعراب عن استيائه بصوت مرتفع: لقد بدما معاً غزو كلايريا، واتفقا في سكاليا على اقتسام البلد مناصفة. وكان الدوق يراوغ في ذلك منذ عامين، وقد تحمل هو ذلك حينما كان أعزب والآن كان يخجل من أن تعيش زوجته التي تجرى في عروقها الدماء الملكية حياة الفقر والموز! وحان الوقت ليفي الدوق بوعده له. كان يطرح هذه الشكاوى على روبرتو، ويحث النبلاء النورمان على متابعتها؛ وكان شقيقه يتشبث أكثر بالرفض. وفي النهاية تركه روجيرو في ألم شديد. وجرى إلى قلعته، وجمع فيها الرجال المسلحين وأعلن أنه سيقوم بالحرب إذا لم يعترف بحقه خلال أربعين يوماً(2). وسرعان ما تحرك الدوق لمهاجمة ميليتو في ربيع عام اثنين وستين. ودارت الحرب بلا حمية وحماس؛ وطال الحصار لنقص المهارة في ذلك الزمان وبصفة خاصة مهارة النورمان في عمليات الاقتحام، وعندذاك أجبرتهما على الاتفاق واقعة ذكرتهما بعدم إمكانية إطلاق العنان عما بنفسيهما في حروب أهلية إذا كانا يريدان إخضاع إيطاليا الجنوبية. كان مواطنو جيرانتشي قد

(1) راجع مالاتيéra، الكتاب الثاني، الفصل الثاني والعشرين، وأنونيمو في كتاب كاروزو، Bibl. Sic.، المجلد الثاني، ص ٨٢٩ وفي الترجمة الفرنسية الكتاب الأول، الفصل الخامس عشر: و*Epistola di fra Corrado*، الموضع المذكور. ويرى مالاتيéra مقتل ابن الثمنة بين إعلان روجيرو الحرب على روبرتو وحصار ميليتو الذي أعقب، حسب قوله، بداية (٢٥ مارس) عام ١٠٦٢. بهذه المعلومات حدثت التاريخ بالتقريب.

(2) مالاتيéra، الكتاب الثاني، الفصل الحادي والعشرين؛ أنونيمو في كتاب كاروزو، Bibl. Sic.، المجلد الثاني، ص ٨٢٩ و٨٢٨ والكتاب الأول، الفصل الخامس عشر من النص الفرنسي.

اقسموا بالولاء لروبرتو، دون أن يسلموه المدينة؛ وبما أنه كان يسعى إلى كبحهم بتشديد قلعة، فإنه كان أمامهم حصار ميليتو التي اتفقت على الاستسلام لروجيرو؛ الذي تحاشى مواقع رجال الدوق وخرج ذات ليلة مع مائة من الفرسان وألقى بنفسه في چيراتشى، ليجمع منها الرجال، على ما يبدو، وينقض على الجيش الذي كان يهدده في عقر داره. وبعد أن ترك روبرتو الحرس في الحصنين اللذين كان يسيطر بهما على ميليتو، هرع مع رجاله إلى چيراتشى؛ وقبل أن ينزلق إلى حصار ثان حاول تجربة فنونه ومهاراته. فتذكر ودخل المدينة، وذهب خفية لكي يزور أحد مناصريه، يسمى بازيليو. وبينما كان يجلس إلى المائدة معه ومع زوجته، تعرف عليه أحد الخدم؛ وانتقض الشعب ثائراً، وذهب إلى البيت وقطعوا صاحبه إرباً، وقتلوا المرأة على الخازوق، وأصبح روبرتو مهدداً بمائة سيف، ولم يفلح أحكم المواطنين في السيطرة على الموقف، وانقذته نفسه وكلمته الحاضرة من الموت. وقال بوجه جسور لفلاظ القلوب إنهم سيدفنون ثعناً غالياً لدمائه؛ وإن مقاتليه ومقاتلي روجيرو سيمارعون معاً لتدمير المدينة، أما إذا تركوه يرحل، فإنه سيعطيهم في مقابل ذلك ما يطلبونه. فاهتادوه إلى السجن في تردد. ولكن روجيرو الذي لم يكن موجوداً في ذلك اليوم في چيراتشى، عاد مسرعاً بعد أن دعاه فرسان شقيقه؛ وأتى بالنبلاء خارج الأسوار؛ وبالنترغيب والتهديد طلب منهم أن يسلموه جويسكاردو حتى ينتقم منه بيديه؛ وقال لهم: «لقد أقسمتم لي بالولاء، أطيعوني في هذا وإلا أجبرتكم عليه؛ إن رجال روبرتو أصبحوا الآن رهن إشارتي، وقد تعبوا من سيدهم الظالم؛ فإن لم تحضروهم هنا الآن مكبلاً بالأغلال، فإنني سأبدا في قطع أشجار الكروم والزيتون». فاهتادوا روبرتو، بعد أن جعلوه يقسم أولاً على أنه لن يشهد أي قلعة بعد ذلك في چيراتشى. وتعانق الشقيقتان، كما كتب مالاتييرا، مثل يوسف الصديق وبنيامين، بينما كان المقاتلون النورمان كلهم ييكون ثائراً. ولكن روبرتو، بعد أن جفف

دموعه، وودع روجيرو وجد بلایا أخرى؛ فقد دفعه لوم رجاله العام وبداية اعمال حربية جديدة إلى الحضور إلى هال دی كراتی للاتفاق على اقتسام كلابريا، متحدثاً مع شقيقه على الجسر الذي سمى بعد ذلك جسر جويسكاردو. وبعد الاتفاق رفع روجيرو الضريبة على المواقع الجديدة التي آلت إليه لتزويد رجاله بالسلاح والملابس والخيول. وأحكم قبضته على جيراتشي؛ حيث شرع بعد ذهابه إليها مع جيشه في بناء قلعة خارج الأسوار، وكان يرد على المواطنين الذين كانوا يحتجون بعهد روبرتو لهم، قائلاً: «لقد أقسم هو، ولست أنا». وكان يجبرهم على دفع إتاوة كبيرة (1).

وهكذا بعد أن قام بتسليم ثلاثمائة فارس في أغسطس أو سبتمبر (2)، عبر روجيرو من جديد إلى صقلية، مصطحباً معه زوجته، وهي خائفة من المتاعب والمخاطر التي كانت مقبلة عليها، ولم تكن تتوقع خطورتها الشديدة. وعند دخول هذا الجمع الغفير مدينة تراپانا، استقبلهم المواطنون، بفتور شديد، وسرعان ما ألهم أولئك الضيوف الذين أقاموا في البيوت، وكانوا مستعدين لمداخلة زوجاتهم وبناتهم. ومع هذا أخذ روجيرو يحكم قبضته على المدينة أكثر فأكثر وذهب لمهاجمة قلاع المسلمين القريبة، وبالتالي عندما شعر المواطنون بالخير الجديد على رقابهم، أمسكوا بالسلاح بتحريض من شخص يدعى بلوتينو، من أعيان البلد؛ وهاجموا العامة الضئيلة عندما خرج روجيرو في يوم مع معظم رجاله للسلب في ضواحي

(1) قارن بين: مالاتيرآ، الكتاب الثاني، من الفصل الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين؛ وأنونيمو في كتاب كارو، Bibl. Sic. المجلد الثاني، من ص ٨٢٩ إلى ص ٨٤١؛ وفي النص الفرنسي، الكتاب الأول، الفصل الخامس عشر والسادس عشر، ويفترض أنونيمو، مقترحاً خطأ واضحاً، سجن روبرتو في جيراتشي في صقلية؛ وهذا من بين الأدلة التي تثبت أن المؤلف قد كتب في القرن الثاني وفي الجزيرة. (2) مالاتيرآ، ربما يقصد الجنود، أو يمكن أن نقول رماة الرماح، ويزيد من عدد الخيل إلى ألف تقريباً. التاريخ يستخلص من أن روجيرو نحر من أعدائه في تراپانا، في أوج الشتاء، بعد أربعة شهور من الحصار. ويستخلص علاوة على ذلك مرور أسبوعين أو أكثر منذ الوصول إلى بداية الثورة.

نيقوسيا: ولكنهم لم يكونوا مباغتين حتى لا يتنبه النورمان للحركة ويستعدوا؛ وهكذا استطاعوا صد العدو حتى الليل. وفي انتظاره لهجوم روجيرو، تقوى هذا العدو بدوره بالتحصينات والخنادق في نصف المدينة المقابل للتل الذي كان يسيطر عليه النورمان(1)، حيث كان قصر القنصل، كما تروي إحدى الوقائع التاريخية(2)، مما يجعلنا نفترض أن روجيرو قد اتخذ هذا اللقب في تراينا، وتذكر أنه يظهر على الجانب الآخر برج المدينة، وكأنها تذكر باستقلال البلدية اليونانية. وبعد استدعائه من خلال الرسائل، هرع روجيرو بسرعة؛ وشرع في قتال المتمردين؛ وفي الوقت نفسه عندما ذاع الخبر في المناطق المجاورة التي كان يسكنها المسلمون، زحفوا على المدينة في خمسة آلاف من الرجال المسلمين وعرضوا مساعدتهم على اليونانيين الذين قبلوها. وبعد أن أصبح النورمان محاطين بالفرق من كل نوع، أخذوا يمانون الجوع؛ حيث لم يكن باستطاعتهم الخروج في جماعات كبيرة للسلب والنهب دون تعريض الباقين لخطر جسيم، ولم يكن بوسعهم إرسال جماعات صغيرة من الفرسان للإغاثة لأنهم كانوا يقيناً سيقطعون إرباً. وقد انهكهم السهر والحراسة، والتحذيرات المستمرة والهجمات المباغتة الليلية، وفي واحدة منها أوشك روجيرو أن يقتل، لأنه عندما رأى ترنح رجاله، كرّ بجواده الذي سقط صريعاً؛ ووجد نفسه محاطاً بجمع من الأعداء الذين حملوه حملاً؛ إلا أنه استل سيفه، ودار به على شكل دائرة، وأوضح الطريق لنفسه، وبقي وحيداً؛ وقد احتفظ برباطة جأشه، حتى أنه بعد أن نزع سرج الحصان انسحب ببطء مهدداً من حوله.

(1) مالاثيرا.

(2) أنونيمو، وعلى الرغم من أنه قد حرر مؤلفه بعد ثمانين عاماً من الحدث، فهذه أنه قد أخذ عن ذكريات أخرى علاوة على ذكريات مالاثيرا واستطاع بالصدفة أن يعرف اللقب الذي اتخذته روجيرو في تلك الأيام الأولى من الغزو.

ومع ذلك تفاقمت المصاعب التي يتعرض لها المحاصرون يوماً بعد يوم: وكان النبيل يعاني مثل المرتزق؛ وكانت جوديتا نفسها تضطر أحياناً للتغلب على الجوع يشرب الماء المجرد وهي تبكي؛ ولم يتبق لها ولعريسها سوى معطف واحد كانا يتدثران به بالتبادل، فكان يأخذ أيهما أشد إحساساً بالبرد. ورغم كل هذا كان المقاتلون الثورمان يقاتلون بإصرار ويتظاهرون بالسعادة والمزاح. وقد فتحت أمامهم انفجاجة لم تكن متوقعة الوفرة التي كان يعيش فيها الأعداء، الذين كانت المدن الأخرى تتبارى في تزويدهم بما يلزمهم وكانوا غير عابئين لثقتهم الزائدة في أنفسهم؛ وفي الشتاء القارس، على تلك القمم التي ترتفع لألف ومائة متر أعلى من سطح البحر، كانت حراستهم ضعيفة، وأحياناً ما كانوا يستدفنون بالخمير. وقد تنبه الثورمان إلى ذلك، وتظاهروا بالتوقف هم أيضاً عن الحراسة؛ ولكنهم كانوا أكثر يقظة في التجسس على العدو. وذات ليلة، عندما رأى روجيرو أن العدو غير مستعد اندفع مع كل رجاله إلى العاجز، وأخذ في تقطيع السكاري النائمين بالسيف؛ واحتل نصف المدينة الأخر والبرج، ووقع في الأسر من وقع وهرب من هرب؛ ولم يقف المسلمون المسكرون في المناطق المجاورة منتظرين. وبعد أن شنق بلوتينو، ومات آخرون بعدابات أخرى، وجد المنتصرون كمية كبيرة من الحنطة والزيت والنبذ ومن كل ما يلزمهم؛ وبالتحصينات والترويع كانوا يقومون بتأمين أنفسهم في المدينة التي سيطروا عليها، وذهب روجيرو بمفرده إلى البر الإيطالي ليعيد التزود بالخيول ليعوض بها الخيول التي فقدتها في الحصار؛ وترك عروسه في تراننا، وكانت قد تعلمت للضرورة القيام بدور نائب القائد؛ وحافظت على النظام في الحامية وهي تطوف بالتحصينات كل يوم، وتسهر على الحراس، وهي تشجع الجميع بالكلمات والوعود الطيبة، وتذكرهم بالأخطار التي تمرضوا لها معاً والتي كانت تحوم حولهم

هنالك دليل لمن كان يعتقد أنها قد انقضت (١).

وأخيراً ظهر كالعادة في ذلك الوقت بين مسلمي صقلية شعاع سرعان ما انقشع يبين لهم طريق الخلاص. أن يتفقوا فيما بينهم ومع الزيريين في اهريقها؛ وأن يطيعوا هؤلاء بدلاً من الخضوع للثير المسيحي. وبعد موت المعز في آخر أغسطس من عام ألف واثنين وستين استخدم ابنه تميم الذي خلفه بحظ أوفر عرب ما وراء النيل، الذين كانوا للظروف التي ذكرناها (2) يصفون بأذانهم للأمراء الزيريين يوماً بعد يوم. ونرى في العام الأول من حكمه أن العرب وقوات تميم قد أخضعوا صفاقس وسوسة وهزموا في معركة دموية جيش بجاية. المؤلف من بربر قبائل صنهاجة وزناتا وعرب قبيلة هلال (3). وبالتالي فإنتا نعتقد أن فكرة استتفاف عملية صقلية في

(11) هارن بين: مالاتيبرا، الكتاب الثاني، الفصل التاسع والعشرون والحادي والثلاثين: وأنونيمو، في كتاب كلروزو، Bibl. Sic. المجلد الثاني، ص ٨٤١: وهي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول- الفصل السادس عشر، واسم بلوتينو مكتوب جيلوتينو في نص أنونيمو اللاتيني. ويوزنو ويولازنو في نص مالاتيبرا. ويجب أن نلاحظ أنه طبقاً لما يقوله مالاتيبرا، شرب أهل ترائينا كثيراً في ذلك الشتاء بالغ البرودة لأنهم اعتادوا في الصيف تحمل حرارة لا يُحتمل لقريهم من بركان إيتا (12) ولذا *balnearum aestuationibus aestuari assueti etc.* ويبدو لي واضحاً هنا معنى: يعتادون على حرارة المدافئ: وأن هذه الكلمات لا تشهد على استخدام الحمامات في ترائينا في عام ١٠٦٢، وإنما بالأحرى في القروى في نهاية القرن. عندما كان يكتب مالاتيبرا، وشهادة هذا الكاتب بأن أرياف ترائينا كان يسكنها المسلمون تتأكد من خلال وثيقة ترجع لعام ١٠٨٥ في كتاب، Di Chiara Opuscoli ec. بالروم، ١٨٥٥، ص ١٦٧، وأسماء الفلاحين المنشوحين لكثيرة ترائينا في ضواحي المدينة كلها أسماء مسلمين.

(12) انظر هنا عليه ص ٨٧ - ٨٨.

(3) يذكر ابن الأثير موت الممزر في عام ١٥٢، النص، عام ١٨١ في المكتبة الصربية. المستقلة. من ٢٧٧، والتوحيدي، المرجع المذكور. الورقة ٤٠ الوجه الثاني، وابن الشرف، المذكور في البيان، من ٢٠٨. يذكر أنه كان في عام ١٥٥. ولكن أبو الصلت. في المرجع نفسه، يذكر تاريخ ٢٤ شعبان ٤٥١؛ والشجاني، الموضوع المذكور، يؤكد السنة، أسوة بابن أبي بكر. في حلة السيرة، مستطولة الجمعية الأسيرية في باريس. الورقة ١٠٨ الوجه الثاني. والتزم هؤلاء الكتاب الثلاثة الآخرين، بوسنهم مصادر أصدق من أي أحد غيرهم. شتان أن يفتة.

حالة تسمم في بداية الحكم ومنها هكذا التبعات: مخطوط باريس، *sup. 911 bis*.

ذلك الوقت كانت تبدو جديدة بالإعجاب في بلاط المهديّة، حيث كانت تعدّ بضرية واحدة بشرف الجهاد، وغزو الجزيرة وإبعاد العرب؛ هؤلاء الشجعان الذين هزموا، واحداً في مقابل عشرة، جيوش الزيريين، وأتلفوا البلاد وساعدوا المتمردين. ومن الأحداث التي تلت ذلك نرى أن مسلمي صقلية الذين ارتفعت معنوياتهم بعد قتل ابن الثمّة وانقسامات المسيحيين واستعادة الزيريين ظاهرياً لقوتهم، كانوا يرجون المساعدة أو يقبلونها في ذلك الوقت. وهذا في الواقع، رغم كل الانتصارات الجديدة للنورمان، هو الذي أوقف الغزاة لسنوات عديدة؛ ولم يكن هذا بلا جدوى اللهم إلا بالنسبة للخلافات التي تاجعت في الأرض التيسية، عندما اضطّر الأفارقة الذين حاربهم سيد كاستروچوفاني وأشراف بالرمو المشاغبون إلى الرحيل.

وفي العام نفسه ألف وثلاثة وستين هبط في صقلية مساعدو تعيم من الجند الشرسين. ونستخلص من الحوليات الإسلامية أنه قام بالعملية بعد وفاة أبيه، ومن الوقائع المسيحية أن روجيرو العائد من كلابريا وجد نفسه في مواجهة قوات جديدة جاءت من الجزيرة العربية ومن أفريقيا للاستيلاء على أملاك الآخرين، بحجة تقديم المساعدة للصقليين؛ وفي هذه الرواية يرى كل مؤرخ عمن من العرب كان يتحدث النورمان(1). وقد أرسل تعيم جيشاً وأسطولاً تحت قيادة اثنين من ابنائه، أيوب وعلي؛ وقد جاء أولهما بمعظم الرجال إلى بالرمو، والثاني إلى جرجنتي(2). ويبدو أن أولهما قد حكم بمساعدة

الورقة ١٢٥ الوجه الأول، وترجمة م. روسو: «وانتزع منه العرب كل شيء، ولم يبق له سوى محيط أسوار المهديّة. ولكنه في بعض الأحيان، عند التعاد مع بعض القبائل العربية، وجد طريقة للخروج إلى الميدان الذي كانوا يأتون لمهاجمته منه، ومحاصرة بعض المدن التي تمررت عليه».

"Comperto quod Arabici et Africani, qui Arabia et Africa, quasi (1) *auxilium laturi Siciliensibus, causa lucrandi advennerant etc.* مالتيرا".

وربما يكون الأفارقة هم أولئك المبيد الزيريون الذين يشرح إليهم ابن الأثير.

(2) ابن الأثير. عام ١٨١. النص في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٢٧٧: والتويري. المرجع المذكور، ص ١١٢. ولدي دي جريجوريو، ص ٢٦. الاثنان يفتلان



مواطني العاصمة والأراضي التي كانت تحت طاعتها، من مازارا وحتى تشيفالو أو توزا. حكم البلاد باسم أبيه؛ وأن الآخر باعتباره مساعداً لابن حواش قد احتفظ بحامية في چرجنتي<sup>(1)</sup>؛ وذهبت فرقة لتدعيم كاستروچوفاي. ولكن روجيرو ما أن عاد من بوليا وكلابريا مثل نحلة شغالة، كما كتب مالاثيراً، محملاً بكل ما يلزم رجاله، حتى سارع بتوزيع الخيل والأسلحة عليهم؛ وبعد أن أراح الخيل عدة أيام، تحرك في اتجاه كاستروچوفاي، وهو يتوق لمواجهة الخمسمائة من العرب والأفارقة الذين وصلوا إلى هناك حديثاً. وتوقف على بعد ميلين من المدينة؛ وبالخطبة المعتادة وبقائد الطبيعة سيرلوني نفسه، دفع إلى الأمام بثلاثين من الجنود. أو بما يقرب من مائة من الخيل، لاستفزاز العدو؛ واختبأ هو في واد كثيف الأشجار مع باقي الرجال. وعندما اكتشف المسلمون فرقة سيرلوني من أعلى حصونهم، هبطوا بأعداد كبيرة إلى المعركة، وكانوا يهاجمون بقوة حتى إن اثنين فقط من الفرسان النورمان وصلوا سالمين حتى مكان الكمين، وفقد الآخرون الذهن أسروا أو سقطوا من على صهوة الجياد ولم يعودوا. عندئذ انقض روجيرو كاسد جريح؛ وبعد معركة حامية انتصر على المسلمين. وتمقبهم لأكثر من ميل ثم عاد إلى ترابينا، واحتفل احتفالاً كبيراً بتلك الفتيمة الضئيلة والنصر الدموي ضد قوات متكاثفة، مما يبين لنا مدى جسارة المسلمين بسبب المساعدة الجديدة ومدى

---

الحدث بدون تاريخ آخر، بعد ارتقاء نعيم، ويستطردان باستخدام كلمة «بعد ذلك» في رواية انتقال أيوب إلى چرجنتي وأحداث أخرى خطيرة حتى عام ١١٦١ (١٠٦٨ - ١٠٦٩). وكلمة «بعد ذلك» يبدو لي أنها تعني بعد ثلاث أو أربع سنوات. ويلاحظ أن اسم أيوب هو الصيغة العربية لـ *Giobbe*.

(1) هذه التفاصيل تستخلص من باقي القصة. واعتقد أنه جاءت أولاً فرقة كاستروچوفاي باستقراء الكلمة التي بدأ بها مالاثيراً الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب الثاني. والحدود التي تعلقتها للإقليم الذي حكم فيه أيوب، هي من ناحية ولاية چرجنتي التي يسيطر عليها ابن حواش، ومن ناحية أخرى قلعة سان ماركو التي أعلن أنها كانت في أيدي النورمان. ولا يمكن أن نستنتج لأي أمر مسلم كان يمين بالطاعة جزء الجزيرة الواقع بين ليكانا ونورمينا، من أي معلومة مؤكدة أو مشكوك فيها.

## فزع المسيحيين.

واستغلالاً للتصحر، جاب روجيرو على سهوة جواده الجزيرة في جرة، واندفع حتى قرب منابع إيميرا الشمالية في كانتافورتورو. وبعد ذلك عبر وادي إيميرا الجنوبي حتى جنوب كاستروچوفاني، حيث لم يخاطر المسلمون بالخروج لمواجهته؛ وأخيراً جرى إلى بوتيرا. قبالة البحر الأفريقي. وقد حمل من كل مكان غنيمة وفيرة. ومن بوتيرا كمية كبيرة من القطعان والأسرى. وعند مروره بوادي سيميتو، توقف عند أناتور. وبعد ذلك قضى يوماً في سان فيليتشى(1)، وعاد إلى ترائينا؛ بعد أن فقد الكثير من الخيل لسرعة الفارة الخطيرة وحرارة الموسم وندره المياه. وهو ما يبين أن السنة قد اشرفت على الأقل على شهر مايو. ويرجع إلى أبريل أو مارس قتال كاستروچوفاني الذي تحدثنا عنه منذ قليل(2).

(1) المصادر اللاتينية لا تقدم أي اسم يمكن أن يتحول إلى *Anator*؛ وبدل مالانبراً *Anator* يجب استعماده مثل الديل الذي قد يؤدي إلى كانتافورتورو. وهي أرض بعيدة جداً. ولكن جغرافية الإبريسى تذكر. بنون حروف متحركة. كلمة *ان ت ر ن س ت ر* ي على ميميتو. جنوب أدرو. وكما أن الموقع الذي يشير إليه هنا راوى الأخبار يقع على مسافة لا تزيد كثيراً عن سان فيليتشى. حيث يمكن أن الفرفة استراحت لفقدانها العديد من الخيل؛ وكما نجد نحن في عملية هام ١٠٦١. أن سان فيليتشى قريبة من ذلك الجزء من ميميتو (انظر هنا عاليه ص ٧٩ - ٨٠). وهكذا فإن من المحتمل للغاية تطابق المكانين اللذين ذكرهما مالانبراً والإبريسى.

(2) هارون بين: مالانبراً، الكتاب الثاني. الفصل الثاني والثلاثين. والتونيمو هي كتاب كاروزو. *Bibl. Sic.* المجلد الثاني، ص ٨٤١. وفي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول. الفصل السابع عشر.

يروي مالانبراً هذه الأحداث قبل أن يذكر، كتابته، بداية العام الجديد، الذي يبدأ، طبقاً لحسابه، من ٢٥ مارس. وأهم حدث. أي تحذير كاستروچوفاني. يجب أن يوضع بالتالي قبل ٢٥ مارس ١٠٦٢. ولكن الظروف الأخرى نجبرنا على تأجيل غارة كانتافورتورو وبوتيرا إلى نهاية الربيع. عندما يعاني الناس في صقلية أحياناً من الحر الشديد والجفاف اللذين أشار إليهما مالانبراً. ومن ناحية أخرى فإن الأحداث التالية لا تسمح بافتراض هذه الفارة هي يونيو أو يوليو. وجدبر بالذكر أن مالانبراً يعطى فقط أسماء المدن والقلاع. وقد أضفت أنا الإشارات إلى مجازي الأنهار التي اتبعتها النورمان بوضوح.

وهي الوقت نفسه كان الجيش الزيري، المتحد مع قوات مسلمي البلاد(1)، يتحرك من بالرمو(2) نحو تراينا، ليطلق بأقدامه الأعداء في عقر دارهم. وكان ثلاثون ألفاً من الخيل وعشرون ألفاً من الجنود المشاة، حسبما يقول مالانثيرا (أي في قول الكونت روجيرو) أخذوا ينقضون على مائة وستة وثلاثين من الجنود، أي أربعمائة أو خمسمائة مقاتل؛ ولكن لا بد من تقليل عدد المسلمين بقدر كبير، وأن نضيف إلى الجانب المضاد بعض الجماعات من مسيحيي صقلية يعتقد أنهم هرعوا للقتال(3)، ولكن الشجاعة النورماندية ستظهر بوصفها معجزة يصدقها فقط الجيل الذي شهد عملية جاريبالدي في صقلية. وبعد أن عبر جيش المسلمين التتواءات الجبلية التي تظهر جنوب جبال الأبنين الصقلية، وصل إلى سلسلة جبال كاييتسي(4)، التي توازي سلسلة جبال تراينا والوادي بينهما يشقه نهر تشيرامي الصغير الذي يستمد اسمه من قلعة مشيدة فوق جرف عال على الضفة اليسرى. أي في المنحدر الغربي من تراينا، على بعد ستة أميال شمال غرب هذه المدينة. وكان قد حل شهر يونيو عام ألف

---

"*Africani ergo et Arabici cum Siciliensibus plurimo exercitu* (1) *congregati un bellum comiti inferant etc.*" لا يمكن أن

نعني سوى مسلمي صقلية. وهكذا أيضاً في الفصلين السابع عشر والثالث والثلاثين من كتاب مالانثيرا الثاني نفسه. ولم يحدث أبداً في أي ولاية إسلامية أن حلق الدميون. وبالتالي فإن بالمسييري، *Somma della Storia di Sicilia*. الفصل الثامن عشر، يخطئ في الافتراض، بناء على تفسير مشكوك فيه لرواية مالانثيرا، بأن مسيحيي صقلية كانوا جزءاً من الجيش المسلم في تشيرامي.

(2) نستنتج هذا أولاً من العوليات المرعبة التي تقول إن الجيش قد ذهب إلى بالرمو؛ وثانياً من وفاة قائد بالرمو في يوم تشيرامي.

(3) هذا الافتراض المحتمل جداً مسبقاً، تدعمه حقيقة أن الفئمة قد أرسلت إلى البابا عن طريق شخص يدعى ميليديو. وهو اسم يوناني ولكنه من كلايريا أو صقلية. ومن ناحية أخرى يجب أن نأخذ في الاعتبار أن المسلمين لم يكن من الممكن أن يظلوا لمدة ثلاثة أيام في حالة معركة على المرتفع المقابل لتراينا، إن لم يكونوا قد رأوا قوات أكبر من تلك التي تسبها الأخبار النورماندية للكونت روجيرو.

(4) وضعت اسم البلد الذي لا يوجد في كتاب مالانثيرا.

وثلاثة وستين(1). وبعد أن تجسّس روجيرو على العدو. قرر مواجهته قبل أن يأتي إلى تجريمه في ترابنا؛ ومن هنا فقد خرج مع فرقته النورماندية الصغيرة، واستعد لمنعه من عبور الوادي؛ واحتشد المسلمون على الحافة المقابلة. وعلى الرغم من عدم جراءة هؤلاء أو أولئك على الهبوط أولاً، فقد عاد هؤلاء عند نهاية اليوم إلى معاقلم وراء تل كابيتسي وعاد الآخر إلى ترابنا. وقد كرر كلاهما هذه التحركات في اليوم الثاني والثالث. وفي اليوم الرابع، جاء المسلمون لوضع المعسكر على المعابر الجبلية التي اعتادوا خوض المعركة فيها. وعندما أدرك النورمان هذه الاستعدادات للمعركة اعترفوا بخطاياهم وطلبوا الصلح من القساوسة وتحركوا نحو العدو. وعندما عرف من المستكشفين أن ذلك العدو يتجه نحو تشيرامى، التي كانت خاضعة آنذاك أو متحدة مع روجيرو وتدعمها حامية نورماندية صغيرة(2)، أرسل الكونت سيرلوني إلى هناك مع ثلاثين من الرماة للدفاع عن القلعة حتى يصل هو لينقض على المهاجمين بالمائة الذين تبعوا معه. وقد دخل سيرلوني تشيرامى قبل العدو، وعندما تقدم هذا(3)، دون أن ينتظر سيرلوني الكونت، فتح الأبواب وهجم بسنة وثلاثين رام على كل فرسان المسلمين، أو على الطلبة وحدها على ما يبدو؛ وشنتها عند المصدام الأول، وتعبها وقتل منها الكثيرين، وعندما سار حتى المعسكر، جمع من هنالك بعض الفنائم، ورجع إلى تشيرامى التي كان روجيرو قد وصلها. وعندئذ اجتمع القادة للتشاور، فحرض البعض على إشعال المعركة على الفور، ونبه البعض الآخر إلى عدم معاندة القدر بتجارب جريئة أكثر من اللازم،

(1) هذا التاريخ لا نقرأه في الأخبار. وقد استنتجته من الفارة السابقة في يونيو المصعدة بالتقريب في الهامش رقم ٢ ص ١٠٢ ومن عملية أهل بيزا في بالرمو التي جاءت بعد ذلك بقليل.

(2) سيرلوني دخلها بثلاثين جندياً وخرج منها بـ ٢٦. وفي نفس الوقت، لا يتحدث مالتيرا إطلاقاً عن سكان تشيرامى.

(3) لوتيمو.

ورفع أرسيللو دى باليول صوته على الحذرين، وقال بحدة لروچيرو إنه لن يتبع أبداً رأيه إن لم يقاتل فوراً؛ وقد استراح الكونت لهذه الكلمات وانفجر هو الآخر فى توبيخ شديد ضد المشككين؛ وبعد اتخاذ القرار، وجد أنه لم يكن هناك أحد خائفاً. وفى الوقت نفسه كان المسلمون قد تمركزوا فى معسكرهم؛ وقد زاد عددهم بانضمام أناس آخرين، وظهروا أكثر ترويحاً من ذى قبل، وقد انتظموا فى جيشين مستعدين للمعركة. وقد انقسم النورمان أيضاً إلى فرقتين، يقود إحداهما سيرليونى وأورسيللو وأريزجوتو دى بوتسوولى، والأخرى الكونت. وعند لحظة الصدام، تحاشت الفرقة الأولى المعادية الطبيعة النورماندية والتفت من جانبها، وتحركت نحو أحد التلال وكانت تأمل فى احتلاله قبل أن يصل روچيرو؛ ولكنها فشلت فى ذلك. وكان أورسيللو فى فرقة وروچيرو فى فرقة أخرى يشجعان النورمان فى هذا بكلمات سامية عن الدين والشرف؛ حتى أنهم انقضوا على هذا الجمع الذى لم يروه من قبل؛ واختفوا بين موجات فرسان المسلمين. من ذا الذى مكنهم من النصر؟ يروى مالاثيراً أن فارساً قوياً جميل الهيئة، كان يمتطي سهوة جواد أشهب ويرتدى دروعاً بيضاء، وكان مسلحاً برمح فى طرفه راية صغيرة بيضاء بها صليب أحمر، وقد دخل أولاً ليكسر الفرقة المسلمة ويمزقها هناك حيث كانت أكثر كثافة، ويقول راوى الأخبار إنهم تخيلوا سان جورج بنفسه؛ حتى إن النورمان بكوا من التأثر والتموه وسط الزحام؛ وتاه منهم؛ وكانوا قد انتصروا بالفعل. ولكن تلك الرؤية تتكرر كثيراً فى حروب الصليبيين، حتى أنها تبدو من نتاج بلاغة راوى الأخبار، وليست من تهيؤات المقاتلين. وقد نسب للكونت روچيرو أيضاً تفضل السماء عليه براءة صليبية كانت تزين رمح، لم يصنعها هو أو أى إنسان

آخر. ولكن من المؤكد أن حديد رمحه اخترق درعاً رائع الصنعة(1) على صدر قائد بالرمو(2)، قائد الجيش أو الفرقة. وهو رجل بالغ القوة وكان يركض بحصانه أمام رجاله وهو يهدد النورمان ويلعنهم. وقد انتصرت الشجاعة والنظام ووحدة الإرادة القوية والإيمان الحى. بعد صدام طويل للغاية على هذا العدد الكبير الذى تم تجميعه من العرب الشجعان ولكنهم مرتزقة، والعبيد الأفارقة والنبلاء الصقليين المرتابين، والدهماء المتوحشين فى الثورات، العاجزين فى الميدان. وانقشع الزحام حول المسيحيين: مثل سحب بددتها الرياح، وكسرت من الطيور عندما ينقض عليها صقر كبير. كما كتب مالاتير، تشتت فرسان المسلمين، تاركين وراءهم خمسة عشر ألف قتيل: وعشرين ألفاً كما يقول أنونيمو معقياً. وقضى المنصورون الليل فى معسكر العدو مستريحين فى الخيام، وكانوا يقتصمون الفنائم؛ ولكن مع بزوغ اليوم التالى انطلقوا من جديد فى مطاردة عشرين ألفاً من المشاة لجأوا إلى سفوح الجبال وقاموا بمذبحة: وأرسلوا غالبيتهم وهم أسرى لبيعهم فى كلابريا وهى بوليا، وكان هذا أكبر مكسب من مكاسب النصر. هكذا كان رواة الأخبار يجمعون الفرائب بحيث يوحون بأنهم يروون الأساطير أو ينصون فى خضم تلك الأحداث السكان المسيحيين فى صقلية؛ وهى أوج الخيال يحكون لنا أن

“*Et splendenti clamucio, quo pro lorica utimur (utuntur?) (1) rmatum... et clamucium quo indutus erat nullis armis poterat violari, nisi ab imo in superius impingendo, inter duo ferreae quae per juncturas cumcatenatae sunt, ingenio potius quam vi citiaretur.*” هكذا يقول مالاتير، الذى يبين أنه كان تحت بصره التسلح الذى ربما احتفظ به الكونت روجيرو. وعندما يذكر دوكانج. *Glossario*, هذه الفقرة، يفترض أن اللفظ هو تحريف لـ *Camicium, chemise de maille*. والوصف فى الحلقة يبين شرة خريبة متشابكة شرقية صدرها وظهرها مغطيان برفائق على شكل قشر السمك، كما نرى مثلاتها فى متاحفنا.

(2) *Arcadius*. من المؤكد أنه «قائد» وليس «قاضيًا» كما افترض البعض.

روجيرو عاد إلى تروينا للهرب من عضوة الجشت(1). وبعد هذا أرسل مليديو إلى البابا ألساندرو الثاني ليخبره بتفاصيل النصر وإهدائه أربعة جمال. وفي مقابل ذلك رد البابا بالعضو الشامل عن الكونت وعن كل من قاتل أو كل من سيقاقل في المستقبل المسلمين في صقلية؛ واضاف راية لنتم تحتها في أمن أكثر البطولات المقدسة. وقد حاول مالاتيروا، في روايته لهذا الحدث أن يعطيه معنى المعية المجردة، دون أي ظل لتبعية إقطاعية في هدية الجمال، أو لتصيب في هدية الراجة(2).

وبعد المعركة بقليل تقدم لروجيرو أنصار مزعجون للقيام بعملية

---

(1) قارن بين: مالاتيروا، الكتاب الثاني، الفصل الثاني والثلاثين؛ وأنونيمو في كتاب كاروزو، Bibl. Sic. المجلد الثاني، ص ٨٤١ - ٨٤٢. وفي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الثامن عشر، *Epistole di Fra' Corrado*. في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٨.

ومن المؤكد أن أنونيمو كان تحت بصره مالاتيروا ومذكرات أخرى؛ لأنه يروي بعض التفاصيل المختلفة. وأهمها أن روجيرو أرسل سيرلوني إلى تشيرامي قبل يومين من المعركة الكبيرة؛ وأن سيرلوني خرج للقتال غداً وصوله؛ وأن روجيرو ذهب إليه في المساء مع معظم رجاله وأنهم جميعاً تقدموا صوب العدو في اليوم التالي. نحو الساعة السابعة. ورواية مالاتيروا، على العكس من ذلك، تقترح أن كل المعارك حدثت في يوم واحد. ربما ذكر هذه المعركة بعض رواة الأخبار المسلمين، الذين لم تصل كتاباتهم إلينا؛ لأن السيوطلي في سيرة محمد بن علي بن حسن بن أبي البر، المكتبة العربية، الصقلية، النص، الفصل السادس والسبعين، ص ٦٢٢، يقول إن الفوز المسيحي لصقلية حدث عام ١٠٠٥ من الهجرة (١٠٦٣). وهذا التاريخ لا يوجد في المذكرات الإسلامية الأخرى.

(2) مالاتيروا، الموضع المذكور "Comes, Deo et S. Petro cujus patrocinio tantam pictoriam se adeptum recognoscebat, de collato sibi beneficio non ingratum existens, in testimonium victoriae suae, per quendam suorum... Apostolicus vero, plus de victoria... mandat: vexillumque a Romana sede, Apostolica auctoritate consignatum; quo praemio, de Beati Petri fisci praesidio, tutius in Saracenos debellaturi insurgerent."

هذه هي الراجة التي يقول جانوني. الكتاب المباشر، الفصل الثاني، أن الساندرو الثاني أرسلها إلى الكونت روجيرو بينما كان يستعد لعملية صقلية. وهذا المؤرخ الشهير من نابولي، الذي يذكر هنا بارونيو، عام ١٠٦٦، رقم ٢، لم يحترس هذه المرة من مكائد الكاردينال كاتب الملاحظات.

ضد بالرمو. كان أهل بيزا يقومون بعمليات تجارية متكررة في المدينة وتأثروا واغتالوا من بعض الإهانات<sup>(1)</sup>؛ وكان ذنب مسلمي صقلية الأكبر هو أن أمورهم كانت تسير من سن إلى أسوأ وربما كان روبرتو جويسكاردو أيضاً، في نشاط ذهنه الذي لا يهدأ، قد فكر في استخدام قوات بيزا البحرية ضد صقلية، وبدأ لهذا لغرض إجراء بعض الاتصالات التي تبذرت بعد ذلك<sup>(2)</sup>. كان تجار بيزا يجهزون سفنهم لتكون مستعدة للتجارة والحرب على حد سواء؛ وقد دخل الأسطول أناس من كل نوع. كما تشهد على ذلك وثيقة من ذلك العصر، من الكبار ومتوسطي الحال والبسطاء<sup>(3)</sup>. وبعد الإبحار إلى صقلية، ظهرُوا في ميناء على الساحل الشمالي<sup>(4)</sup> حيث أرسلوا

(1) مالانبرّا.

(2) استنتج هذه الاتصالات من الإشارة المضطربة والغاطشة التي يذكرها عنها أمانو في. *Ystoire de li Normant*. الكتاب الخامس. الفصل الثامن والعشرون: أن روبرتو، أثناء حصار باوي (١٠٦٨ - ١٠٧١)، وحتى لا يتمكن السراصة من التزود بالعتاد والامدادات، طلب مساعدة أهل بيزا، الذين قدموا له السفن وغرق الفرسان ورماء النبال، وجاءوا مباشرة إلى المدينة، وحطموا سلسلة الميناء، ووضعوا على الأرض جزءاً من قوتهم؛ وبعد انتصار التوق في بوليا حصلوا منه على هدايا كبيرة للغاية، وعادوا إلى بيزا. والكل يرى أن رواية أمانو، لخطأ من النسخ أو المؤلف، لا تستقيم. إن الأمر يتعلق بالتاكيد بالرمو، وليس بباري التي كان بها يونانيون وليس مسلمين؛ وبعادة عام ١١٠٣، وليس بافتكاح بالرمو عام ١٠٧٣، الذي لم يظهر فيه أهل بيزا. ومن هذا أستنتج أن اتصالات روبرتو عام ١٠٦٣ بقيت دون نتيجة، وتظهرت في الترجمة الفرنسية التي لدينا. ولا أستطيع أن افترض أن المؤلف، الذي كان حياً وكبيراً في ذلك الوقت، قد ارتكب مغالطة زمنية تبلغ عشر سنوات واستبدل اسم المدينة؛ ولا أن أهل بيزا جاءوا مرة ثانية لتعطيم سلاسل ميناء بالرمو، دون أن نتحدث عن ذلك حولياتهم.

(3) كتابة منقوشة في كنيسة بيزا في *Archivio Storico Italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني من ٥.

(4) *In portu tellis Dominæ*، كما كتب مالانبرّا. وقد تعني مجازاً ميناء، ولكن راوي الأخبار اعتمد دائماً الإشارة إلى تلك المدينة القديمة باسمها، ويعتقد أنه استخدم في هذا الموضوع كتابة فقط. ويروي الإدريسي أن موانئ طال ديموني على الساحل الشمالي كانت بدءاً من الغرب هي: كاريونيا على حدود ذلك الإقليم، وأوليفيري وميلانسو؛ ووسط المينائين الأولين نذكر ساحل سان ماركو حيث كانت تبنى السفن، وهي التسعين عاماً التي مرت من عام ١٠٦٣ وحتى كتابة الإدريسي لمؤلفه، لم تشهد



الرسول في ترائينا لدعوة روجيرو حتى معاونهم بفرسانه. وقد رد بأن عليهم انتظاره قليلاً، حيث كان عليه أن يرتب بعض أموره؛ ولكن هؤلاء التجار، كما يقول راوي الخبر في احتقار، لم يكونوا على علم بكيفية خوض الحرب، ولعدم اعتيادهم تبديد الوقت بلا طائل، فضلوا الذهاب بمفردهم إلى بالرمو. وفي العشرين من سبتمبر عام ألف وثلاثة وستين، قام أهل بيزا بمهاجمة الميناء وحطموا السلسلة التي كانت تعلقه. وأخذوا منه بعد معركة دموية ست سفن محملة بالبضائع(1)؛ وبعد صدهم، على ما يبدو، خارج الميناء، وضجوا على الأرض خيولاً ومشاة بالقرب من منبع نهر أوريتو، وكانوا يصدون المواطنين الذين خرجوا لقتالهم؛ وأقاموا الخيام على ضفة النهر وكانوا يقومون بغارات لنهب القللات الجميلة خارج المدينة(2). وبعد حرق خمس من السفن التي كانوا قد سلبوها، اقتادوا السفينة الأخيرة إلى بيزا. وبها ثروة كبيرة، كانت كاهية للبدء في بناء كنيستها الرئيسية (الدوم)، حيث تشهد كتابة معاصرة على العملية العسكرية الجسورة(3).

بالتأكيد موطن جديد، وربما لم يدمر شيء من الموانئ الموجودة. وبالتالي فإننا يجب أن نقسم على الأربعة المذكورة.

- (1) كتابة من كنيسة بيزا الرئيسية (الدوم).
- (2) الكتابة نفسها التي تشير بصورة مبهمّة إلى القنينة من الأرياف. ونحن نعلم من ابن حوقل أنه بطول أوريتو كانت تمتد بمئات أهل بالرمو الطلابية.
- (3) قازون بين، مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل الرابع والثلاثين؛ مرانجونى، عام ١٠٦٣. في *Archivio Storico Italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٩ و ١٠، و *Chronica varia Pisana*، في كتاب مورثوري، *Rerum Italic. Script.*، المجلد السادس، ص ١٦٧. إن التاريخ الدقيق الذي وصلنا بفضل مرانجونى، هو يوم القديس أجابيثو، أي ٢٠ سبتمبر، ولكن طبقاً للترتيب الزمني لمالاتيرا، فإنه يمكن أن يرجع إلى أواخر يونيو أو أوائل يوليو، لأنه يذكر الحدث قبل غارات كولليزانو وريوكاتو وتشيفالو التي أعقبت، حسبما يقول، بدايات الصيف. واعتقد أن مرانجونى أصح، وأنه ينبغي أن نفترض هنا أن تصاقب الأحداث كما ذكره راوي الأحداث النورماندي أقل دقة. ويلاحظ أن كتابة كنيسة بيزا الرئيسية تذكر هنا العام المعتاد بدلاً من عام بيزا: *Anno quo Christus de Virgine natus, ab illo Transierant Mille etc.*

وأراد روجيرو عندئذ التوقف في الحر القاطن وإراحة رجاله المنهكين من النصر في تشيرامي(1)، ولذا فقد فكر في الذهاب إلى بوليا، بعد تموين تراينا بالمؤن. ولهذا الهدف اندفع بجراة نادرة في وادي إيميرا الشمالي، وأمضى اليوم الأول في كولليزانو والثاني في بروكاتو(2)، والثالث أخيراً في تشيفالو: وبعد أن عاد إلى بيته بفنيمة وهيرة للغاية، زود القلعة بما يلزمها، وترك فيها زوجته وزملاءه، الذين أوصاهم بالحراسة الجيدة كأن العدو على أبوابها، وعدم الابتعاد عن المدينة لأي فرصة مواتية، وذهب بعد ذلك إلى البير الإيطالي للتشاور مع روبرتو، وحصل منه على مائة جندي ولا نعلم بناءً على أي اتفاق، وأضاف إليهم مائة من رجاله: ومع اعتدال الطقس وعودته إلى صقلية افتتح نواحي چرچنتي، وبدأ آنذاك للعرب والأفارقة أن ينتقموا من هزيمة تشيرامي: خرجت قوة مختارة من سبعمائة فارس في هدوء من چرچنتي لانتظار النورمان عند العودة؛ وتمركزت عند حافة هاوية يجري الطريق في نهايتها. ومر روجيرو مسرعاً وحذراً على صهوة جواده مع معظم رجاله، بعد أن أرسل أمامه أحمال الفنيمة مع حراسة من الرجال المسلحين: وعندما وصلت إلى الكمين هاجمتها قوات أكبر وتغلّبت عليها من أعلى برمي الحجارة، وسيطر عليها الخوف على الفور فأدارت ظهرها وفقدت بعض الرجال ولجأت لاهثة إلى منحدر صخري كان لا يمكن الوصول إليه إلا من طريق وعر ضيق. وعند سماعه هذا الضجيج هرع روجيرو على سنايك الخيل مع الفرقة الثانية، وكان يصبح على رجال الحراسة ليشاركوا في المعركة ولكنه وافته القوة للصمود هو بنفسه والنداء على كل فرد باسمه وواجههم بأنه لم يعرف فيهم المنتصرين على هذا العدو نفسه الذي

(1) يصمت مالا يبرأ عن هذا السبب الرئيس الذي يظهر من الأحداث.

(2) قلعة قديمة بالقرب من الشاطئ الممتد من لرميني إلى تشيفالو: وهي منتصف القرن الثاني عشر كانت أرضاً خربة جداً ومعصنة، كما نلمح ذلك من الإبريس ومن العديد من الوثائق.

كان عدده أكبر في تشيرامى. وبعد أن قام بحشدهم ثانية بصعوبة، هاجم المسلمين وهزمهم، واستعاد القنينة وانسحب إلى ترابنا! وهو يبكى على موت جوالتهيرو دى سيمول، أشجع شاب في الجيش، الذى أصيب برمح وهو يندفع قبل الآخرين للهجوم (1). واعتقد أنه لو كان هناك مالاتيراً مسلم لروى هذا العمل العسكى المشكوك فيه بصورة مختلفة ولأضاف إليه أعمالاً أخرى لصالح عشيرته، ويفترض بالضرورة أنها حدثت في الخريف وحتى نهاية الشتاء، عندما يقدم لنا مالاتيراً النورماندى روبرتو جويسكاردو وقد أصابه الأسى من الأخبار الأخيرة التى وصلتته من صقلية، وقد صمم على المشاركة فى الأخطار كما فعل من قبل فى الغزوات؛ فجاء لمساعدة روجيرو الذى كان السراسنة بنهكوته ويضفطون عليه بهجمات متكررة (2).

---

(1) هارن بين: مالاتيراً، الكتاب الثانى، الفصل الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين؛ وأنونيمو فى كتاب كاروزو، Bibl. Sic. المجلد الثانى، ص 183؛ وفى النص الفرنسى، الكتاب الأول، الفصل التاسع عشر. يذكر نص مالاتيراً اسم جوالتهيرو دى سيمولا (وهو لفظ بديل لـ سيمبلا) ونص أنونيمو يقول دى كولليو (وهو لفظ بديل لـ سيمبلا) ولفظ سيمبليكو.

(2) الكتاب الثانى، الفصل السادس والثلاثون.

## الفصل الرابع

في ربيع عام الف وأربعة وستين حشد روبرتو الجيش في بوليا وكلايريا وجاء روجيرو للقائه في كوزنسا واجتازا معاً الفناء ومعهما خمسمائة من الجنود، بالإضافة إلى غيرهم من الفرسان وجنود المشاة (1) واتجه الجمعان مباشرة إلى بالرمو، ولم يجرؤ المسلمون على قطع الطريق عليهم. وعسكروا بالقرب من المدينة، فوق تل يجتاحه نوع من العناكب الضخمة (2) يقال إن لدغتها تسبب أعراضاً عصبية خطيرة وشديدة بل تهدد حياة الإنسان (3) ولكن يبدو أنها خرافة من الخرافات، لأن تلك الحشرة ليست ضارة اليوم، وإذا افترضنا أن ظروفها خاصة في أزمنة وأماكن أخرى زودتها بسلاح السم، فلا تكفيها حجة وقائع ما وراء الجبال، التي دائماً ما كانت تجعل منها عوناً يتخذ المسلمون ضد محاربي الشمال وتتهمها

(1) مالاثيرا، الموضع المذكور. ومون ذلك فقد يكون زيفاً *il plurimo exercitu* الذي نقرأ قبل مطوّر قليلة من *il quingentis tantummodo militibus* ويظهر بوضوح أكثر أن المقصود بكلمة جندي هو فارس يتبعه القان أو أكثر من رجال العرب. (2) *Tarentula, lycosa tarentula, aranea tarentula ec.* تسكن الأماكن القاحلة الجبلية في أسبانيا وجنوب فرنسا وبوليا... إلخ وقد يكون الاسم نسبة إلى مدينة تارانتو وأطلق كذلك على رقصة تارنتيلا الشعبية.

(3) *"Taranta quidem vermis est araneae speciem habens, sed aculeum veneni ferè punccionis, omnesque quos punxerit multa venefica ventositate replet, in tantumque angustiat ut ipsam ventositatem quae per anum inhoneste crepitando emergit, nullo modo restinguere praevalent et nisi clibanica vel alia quavis ferventior aestuatio citius adhibita fuerit, vitæ periculum incurrere dicuntur."* الموضع المذكور. حسب ما ذكره مؤرخو الحروب الصليبية فإن لدغته تسبب انتفاخاً والاماً في جسم الإنسان ولم يكن من الممكن علاجها إلا بالكي أو بالنار، أو حسب كلام البرنو دايكس، بالخراف ذئب ما.

دائماً بأنها السبب في فشل عملية صالحة (1). وأطلق النورمان على المكان المشثوم اسم جبل المناكب ولكن هذا الاسم لم يستمر (2) وتحول النورمان عنه إلى معسكرات أفضل كانوا يهاجمون منها المدينة لمدة ثلاثة أشهر ولكنهم لقوا مقاومة باسلة أرغمتهم ولا شك على فك الحصار بدلاً من سلب القرى. وبدلاً من الاتجاه، عند عودتهم، نحو الشرق، اتجهوا لمسافة ثمانين ميلاً نحو الجنوب حيث استولوا على بوجامو، وهي قلعة أو ربما قطعة من الأرض الشاسعة تبعد ستة أميال عن چرجنتي (3). وقاموا بهدم المنازل، وأسروا سكانها وأرسلهم النوق روبرتو ليعمروا سكريبلا في كلابريا، التي خربها منذ حين. أي ليسخرهم في زراعة أراضيه بعد أن طرد أصحابها القدامى. وهناك واقعة واحدة استخدم فيها السلاح في أحداث عام ستة وأربعين، يرويها لنا مالاتيئراً، ذلك أنه أثناء مرور النورمان ومعهم أسرى بوجامو بالقرب من چرجنتي، خرج مواطنوها للنار فتم صدهم ومطاردتهم حتى أسوارهم (4). ويشهد أماتو على أن روبرتو عندما وجد نفسه غير

(1) انظر انصحاب الإمبراطور لودفيكو الذي خرج لمواجهة سلطان باري عام ٨٦٧ (الكتاب الثاني، الفصل الثامن، ص ١٢٨، المجلد الأول).

ويتحدث البرشو دايكسي وجونثير وهينيسوف، الذين ذكرهم ميشو في كتابه *Histoire des Croisades* المجلد الأول ص ٢٩٧ طبعة عام ١٨٢٥، عن مصائب مشابهة حلت بالصلبيين في بيروت وصيدا وطرابلس الشام عام ١٠٩٩.

(2) لم يعد لهذا الاسم وجود اليوم، ولا يوجد في أية وثيقة. وحاول دي بلازي الصالح في كتابه *Storia di Sicilia*، الكتاب السابع، الفصل الثامن، أن يداخ عن ريف بالرمو وتلقى عنه هذا الاتهام الطعير؛ ويتكلم بلعمري بغضب في كتابه *Somma della Storia di Sicilia*، المجلد الثاني ص ١١ ومن ٢٢١ على مالاتيئراً.

(3) نجد بوجامو في كتاب مالاتيئراً وبوجامو في رسالة الراهب كوزامو الذي يضيف على ذلك أن في زمنه أي في نهاية القرن الثالث عشر، كانت تلك الأرض التي تبعد ستة أميال عن چرجنتي يطلق عليها بواچيمو وهي قلع تابع لعائلة مونتاتبرتو. وتقع في الوقت الحالي في تلك النواحي بلدية مونتاتبرتو. وبواچيمو لقب رجل أطلق على القلعة ويبدو إنه أبو الهامع 'Abu-l-Glami'، أبو الهامع 'Abu-l-Gemi'، أو أبو الهامع 'Abu-el-'agemi'.

(4) مالاتيئراً، الكتاب الثاني، الفصل السادس والثلاثون، في كتاب كارو، *Bibl Sic* ص ١٩٥، ورسالة الراهب كوزامو، المرجع المذكور، ص ١٨، راجع لويو بروستيناريو عام

قادر على اقتحام بالرمو دون قوات بحرية، اتجه للاستيلاء على مدن ساحلية أخرى في البر الإيطالي، حيث قام بجمع السفن والبحارة (1). والحقيقة أن الدوق لم يعزز من نجاح جيوش المسيحيين في صقلية، ولم يكن إدراك النورمان أو شجاعتهم قد قللاً، فمن ذا الذي جعل للمسلمين ذلك التفوق بين عامي ألف وثلاثة وستين وألف وثمانية وستين، في الفترة ما بين معركة نيرامي وقتال ميزيلميري<sup>٩</sup>.

هناك إشارات قليلة في مصادر تاريخ المسلمين تقع تقريباً في الفترة الزمنية نفسها ولكنها غير مؤرخة بدقة تجعلنا ندرك السبب، إذا ما قارناها بالظروف المعروفة في مواضع أخرى. ولنتذكر أن من الأقاليم الثلاثة الكبيرة أو وديان صقلية، كما كان يطلق عليها التي تتميز فيما بينها بسبب طبيعة أماكنها بقدر لا يقل عن تميزها بسبب التغيرات الاجتماعية والعرقية التي أتت بها الفتح الإسلامي، فإنه مع اختلاف بسيط في الحدود كان وادي ديموني تابعاً للنورمان بينما كان وادي نوتو تابعاً لحلفائهم من المسلمين، ووادي مازارا تابعاً لأعدائهم من المسلمين المنقسمين إلى دولتين: شمالية

---

١٠٦٥ طبعه برنيز، ويقول إن روبرتو قتل عدداً كبيراً من السراصة وأخذ معه قوادماً من بالرمو. وهكذا كان النورمان يروون هذا الحدث عند عودتهم إلى بوليا.

(2) الكتاب الخامس، الفصل السادس والعشرون من ١٥٩. وفي الفصل الثامن والعشرين من الكتاب نفسه من ١٦١، يجب أن نقرأ كلمة بالرمو بدلاً من بار وهي قرينة يؤكدنا موجز الفهرست غير المطابق للنص، ونرى أيضاً بار بدلاً من بالرمو في صفحة ٢٩٥ *Et quant le duc sapientissime vit la disposition et le siege de Palerme et que des terres voisines estoit aportee la marchandise, et se alguns negassent la grace par terre, lui seroit aportee par mer, apareilla soi a prendre altre cite a ce que assemblast autre multitude de navie pour restreindre Palerme... premierement asseia Otrante etc.*

عندما جاء روبرتو أول مرة إلى صقلية عام ١٠٦١ لم يقترب من بالرمو، والفترة التي نذكرها إذن لا يمكن أن تشير إلا لفترة عودته إلى كلابريا بعد حصار عام ١٠٦٤. كما يؤكد هذا احتلال أوترانتو الذي حدث بعد ذلك مباشرة. وهناك فصل على الأقل ناقص بين الفصول الخامس والعشرين والسادس والعشرين، الأمر الذي لا يشير دهشة من قراء بنقلته وانتباه ترجمة أمانو الفرنسية هذه.

وجنوبية. وطبقاً للحدود الحالية نقول إن إقليم مسينا كان خالياً من ولاية المسلمين بينما كان إقليما كاتانيا وسيراكوزا خاضعين لخلفاء ابن التمنية أو لحكام من سلالة أخرى جاءوا بعد موته؛ وأن الحرب اقتضت على أقاليم بالرمو وثراباني وكلاتانيسا وچرجنتي؛ ويبدو أن الإقليمين الأولين كانا خاضعين لجمهورية بالرمو والآخرين خاضعين لابن حواش. وقد سبق أن ذكرنا أن كلا منهما قد قبل مساعدة تميم بعد أن شعرا بالاختناق؛ كما روينا كيف أن ولدي تميم، أيوب وعلي، بسطوا نفوذهما على كل من الدولتين؛ أي على بالرمو وچرجنتي. وباتفاق طموحات آل الزيري مع سلامة مسلمي صقلية ورفعة الإسلام صار للأميرين أتباع كثيرون؛ ولم يكن من الممكن لمعركة تشرامى أن تقلل من مكانتهما، فقد كانت هذه المعركة بالتأكيد ضربة حظ بالنسبة للنورمان أكثر من كونها مهلكة للمسلمين. ومن جهة أخرى فلو كان قد اشترك في القتال فيها أحد ابني تميم الذي ربما كانوا يطلقون عليه في هذا الجانب من البحر المتوسط، ملك أفريقية والعرب، لما تجاهله بكل تأكيد النورمان أو أغفلوا الحديث عنه. أما أن يكون أيوب قد أدار الحرب بنجاح، والتي لم يذكر المؤرخون النورمان وقائمتها، وأن يكون قد تمكن لفترة قصيرة من السيطرة على صقلية الغربية بأكملها، فإن هذا ما نستخلصه، إن لم أخطئ الاستنباط. من القصة التالية التي نقلها ابن الأثير أو لخصها، عن كتابات مؤلف سابق وأرخها فيما بين عامي أربعمائة وثلاثة وخمسين وأربعمائة وواحد وستين هجرية (١٠٦١ - ١٠٦٩ ميلادية).

وطبقاً لهذه المذكرات فقد أرسل ابن حواش هدايا ثمينة من كاستروچوفاني إلى أيوب؛ وكان يريد استضافته بقصره الخاص في چرجنتي وكان يقدم له صور الاحترام والتبجيل كلها. ولكن تلك الصداقة لم تدم طويلاً. فعندما أدرك حاكم كاستروچوفاني ما يكرهه أهل چرجنتي من حب جم للضيف، أرسل خطابات يأمر بطرده من البلاد. ولكنهم عصوا أمره فزحف إليهم بجيش كبير. وخرج أهل

جرچنتى بدورهم للقتال تحت راية أيوب واشتعلت المعركة بينهما حتى أوقفتهما رمية سهم طائش - كما يقولون - قتل ابن حواش: ومن ثم نودى بأيوب حاكماً من كلا الجانبين فى أرض المعركة كما يبدو. وعاد فيما بعد الشقاق الذى أخمد بهذه الطريقة فى الجنوب ليشتعل فى بالرمو. حيث اشتبك أهل المدينة مع عبيد تميم المقيمى بها الذين كانوا لا يتحملونهم؛ واندلعت الحرب الأهلية بشدة حتى أن أيوب وجد نفسه عاجزاً عن السيطرة عليها فاستدعى أخاه علياً؛ وصعدا السفينة وعادا إلى أفريقية ولحق بهما كثير من أشراف مسلمى الجزيرة. وكذلك أفراد الأسطول الصقلى؛ ولم يبق أحد يستطيع أن يواجه النورمان. هكذا تسرد الحوليات الأحداث فى عجلة؛ وأغلقت كذلك ذكر احتلال كتانيا وبالمثل لم تذكر اقتحام بالرمو وتحدث بالكاد عن استسلام جرچنتى وكاستروچوفانى، أى آخر إنجازات الغزو النورمانى(1). وفى محاولة منا لتأريخ تلك الفترة التى تناولناها فإننا نرى أن نرجع ذهاب أيوب إلى جرچنتى إلى عام أربعة وستين ألف وذلك عندما أدى انسحاب جيش النورمان من بالرمو إلى تعظيم اسم أيوب وإبرازه. وأثار خراب بوجامو وتدميرها الرغبة فى وجود بطل ذلك الأوان المسلم فى تلك الأماكن. كما يبدو أن النورمان حينئذ أسرعوا نحو الجنوب عندما اشتتموا رائحة الحرب الأهلية وكذلك بسبب دسائس الفصائل التى أدت إلى استدعاء أيوب. ويبدو أن الأخير رحل من صقلية فى أعقاب معركة ميزيلمرى البائسة التى ربما لم يشارك فيها(2)، ولكن المعادين له كان لابد أن يلقوا على

(1) ابن الأثير وفتح عام ١١٨١. المكتبة العربية - الصقلية، النص من ١٢٧٨ والتويرى، المرجع المذكور من ١١٨. ودى جريجورى *Rerum, Arab* من ٢٦.  
(2) أورد مالاتيéra العام الذى وقعت فيه هذه المعركة، وأورد ابن الأثير العام الذى عاد فيه أيوب إلى أفريقية وهما يتزامنان فى فترة قدرها خمسة أشهر (٢١ أكتوبر ١٠٦٨ وهو بداية عام ٤٦١ هجرية، إلى ٢١ مارس ١٠٦٩ نهاية عام ١٠٦٨ من الهلاد). ويبدو إذن من ذلك أن أيوب كان فى صقلية وربما فى بالرمو أثناء المعركة. وأن الكونت روجيرو المح إليه فى كلماته التى أوردتها مالاتيéra:



كتفيه مسئولية الهزيمة. ويدل النفي، الإرادي أو اللاإرادي، للمواطنين الذين اتبعوه على انتصار الجانب الصقلي في الرمو. وربما أيضاً في جرجنتي التي حط من قدرها موت ابن حواش. واستمرت بالرمو أو عادت تقوم على حكم الجماعة التي اضطرت بعد ذلك إلى تسليم المدينة عام ١٠٧٢. ووقعت ولايات كاستروچوفاني وجرجنتي تحت حكم جديد، سوف نتحدث عنه في موضعه.

وكانت خطط آل هوتشيل الحربية القديمة تتفق مع ذلك الزمن بشكل يشير الاندهاش فقد تركت ذلك المنقران، الذي جمع المسلمين على وفاق عابر عام ١٠٦٤، ليتبدد تلقائياً. وبعد حصار بالرمو ظل روبرتو في بوليا ليخضع البلديات الإيطالية والقواد النورمان المستعصين أمام الرادع الجديد. ولم يفترق بعد ذلك روجيرو عن أخيه أبداً، بل كان يعد له يد المون في البر كلما اتيح له ذلك<sup>(1)</sup>؛ وهي صقلية بقي قابلاً في جيشه دون أن يقوم بأي هجوم واثقاً بطباع المسلمين الذين سرعان ما يستأنفون الشقاق وتمزيق أوصالهم. ولم يطل انتظاره، ففي عام الف وستة وستين تقدم إلى الأمام، في حماية جيدة، لمسافة أربعين ميلاً أخرى تقريباً، وقام بتدعيم بتراليا بأبراج وحصون وهي التي فتحت أمامه الطريق إلى وادي إميرا الشمالي وكذلك إلى ترميني وإلى بالرمو، وأتاح له أن يسلك طريقاً مختصراً وسهلاً مكّنه من الهجوم على كاستروچوفاني وجرجنتي. وكان شغل روجيرو الشاغل، كما يقول المؤرخ، هو فتح صقلية، فلم يسكن أبداً ولم يشعر بالتعب، وكنت تراه في أي وقت على رأس قومه يمتطي

---

*Si ducem mutaberunt, ejusdem nationis, qualitatis et religionis est cujus et ceteri sunt.*

وهذه العبارة تبين أن الحاكم الجديد لم يخله حتى التورمان وهو ما يمكن أن يتفق مع أيوب. وإذا كان لم يشد بهزيمة ملك إفريقية والعرب، فذلك يمكن تفسيره على النحو التالي. وهو أن أيوب، وإن كان في ذلك الوقت أمير سكان بالرمو، إلا أنه لم يكن على رأس القوم الذين خرجوا للقتال.

(1) مالاثير، الكتاب الثاني، الفصل ٢٧ والفصل ٢٩.

فرسه ليل نهار، لا يدخر وسعاً، وكان يجري جرياً في كل مكان، في سرعة هائلة حتى أن أعداءه كانوا يظنون أنه موجود أينما ذهبوا، وفي كل وقت، بل كانوا يشعرون به جاثماً عليهم داخل مدنهم وديارهم. وكان برشده يكبح طبيعته الشرسة التي كانت تشبه شراسة الليث التي زادت عن حدودها الطبيعية وكان النصر دائماً حليفه. وكان يستفوي الآخرين تارة بالمطايا، وتارة بمبارات التهديد وبالضغط عليهم بالهجمات والحق الضرر بهم فتوسع حول بتراليا رويداً رويداً حتى أخضع جزءاً كبيراً من الجزيرة: كمادة أبناء تانكريد، يضيف مالاثيراً، الطامسين في الفنائم والذين لا يتحملون أن يمتلك آخرون غيرهم أراضى أو أملاكاً بجانبهم، ولا يبدأ بالهزم حتى يجعلوا من الآخرين دافعي إتاوة أو يقوموا بنهب كل أملاكهم(1).

وعلى مدى ثلاث سنوات، وفي عام ١٠٦٨، أصبحت المضايقات ضد مسلمي بالرمو شديدة للغاية حتى إنهم اجتمعوا للتشاور. هكذا يكتب مالاثيراً، وقرروا أن يجربوا بأى ثمن القيام بمعركة. وعندما علموا أن روجيرو قادم على سهوة جواده في اتجاه المدينة ومعه فرقة شديدة القوة، خرجوا للقائه في أسراب كبيرة، ورصدوه عند ميزلميري، وهي أرض على بعد تسعة أميال في اتجاه الشرق. وعلى الرغم من أن روجيرو لم يكن ينتظر هذا الجمع الغفير فإنه استمد للقتال وهو يرتجف فرحاً. وقام بتنظيم رجاله في صف واحد وخطب فيهم وهو يبتسم قائلاً: «إن الحظ حليف النورمان دائماً يسوق بين أقدامهم الفريسة المنشودة، ويدخر عنهم عناء المسيرة الطويلة، بل إن الرب هو الذى يمن علينا بهذه الهبة. - واستطرد يقول - خذوا أملاكهم فهم لا يستحقونها وسوف نقسمها بالتساوى فيما بيننا، وسوف يحصل كل فرد على ما يحتاج إليه. ولا تخشوا كثرة الأعداء الذين هزموا مراراً وتكراراً. وإن كانوا اليوم تحت

(1) مالاثيراً، الكتاب الثاني، الفصول ٢٨ و ٤١ و ٤٢.

قيادة فائده جديد فإنه من اهلهم وطبايعهم. وإن كان مختلفاً عنهم، فإن الهنا لا يتغير. وإذا لم يقل إيمانكم أو أملككم الراسخ، فسوف ينعم عليكم الرب بالنصر دائماً». وكسروا العدو هي مذبحة هائلة جعلت المزورخ يستخدم هي وصفها الكناية القديمة، لم يبق منهم في قيد الحياة من يعود ليلبغ النبا. وقاموا بتقسيم الغنيمة بينهم في فرح شديد. وعندما عثروا على أقفاص الحمام الزاجل ربطوا في عنقه بطاقات ملطخة بالدماء، وهكذا وصل نبا الهزيمة في الحال إلى بالرمو(1).

كان روبرتو قد بدأ في ذلك الوقت حصار بارى أعظم - وأغنى - مدن إيطاليا الجنوبية. وكان يتنازعها طرفان، يأمل كل منهما في الحصول على حريته ولكن بطريقتين مختلفتين: كان الطرف الأول يريد التخلص من أي تعهد بالخضوع للحكم البيزنطي حتى لو استسلم للنورمان؛ أما الطرف الآخر بقيادة أر جيرو، فقد شعر بالنفور من نير الإقطاع الذي صار واضحاً جلياً، فكان يفضل الخضوع للقسمطينية خضوعاً إسمياً. وكان هذا الطرف هو الغالب في بارى وهو الذي جعل منها المدينة الوحيدة في إيطاليا التي كان يحكمها باسم الامبراطورية البيزنطية؛ وكثيراً ما احتمت من حيل روبرتو وهنونه حتى إنه عقد العزم على استخدام العنف فيها. لذلك هاجم المدينة بشجاعته المعهودة واستعان بوسائل أقوى من تلك التي

(1) راجع كتاب مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل ١١، ١٢. في كتاب كاروزو. Bibl. Sic. من ١٩٧؛ وأونيمو في كتاب كاروزو. المرجع المذكور من ٨١٢. وهي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول الفصل العشرين من ٢٩١ يشرح هذه المعركة بعد قتال ١٠٦٣ الذي أشرنا إليه في من ١١٠. وقد تفحصه بعض الفقرات التي تتناول كذلك حصار بالرمو عام ١٠٦٤. ويصف مالاتيرا في عجب واضح الأسلوب المستخدم في إرسال الرسائل باستخدام الحمام. ومن برد معرفة المزيد في هذا الشأن عليه الرجوع إلى كتاب *La colombe Messagère* لميشيل مباح، الذي ترجمه من دي ساسي، باريس، ١٨٠٥. وريزو *Extraits des auteurs arabes etc., relatifs aux croisades* من ١٥٠، وكاترمير، *Hist. des Sultans Mamelouks* للمقريزي، المجلد الثاني، الجزء الثاني من ١١٥ وما بعدها.

استخدمها النورمان من قبل وحتى ذلك الوقت: آلات لضرب الأسوار بطرق متعددة وحصون صغيرة. وجسور من المراكب: واستخدم على وجه الخصوص قوات بحرية زوّده الكونت روجيرو بجزء منها. ويبدو أن الفضل يرجع إليه في الحدث الحاسم: فقد طوقت المدينة من كل الجوانب. وأصابتها المجاعة وهرع إليها أسطول بحري بيزنطي بالرجال والمؤن واكتشفته سفن النورمان ليلاً ففاجأته وحطمته وكانت هذه سفن روجيرو كما يذكر مالاتيرا، ولا يغير من الأمر شيئاً أن أمانو وجوليلمو دي بوليا لم يذكر اسمهما حيث إنهما من أنصار آخرين. وحينئذ استسلمت المدينة في اليوم السادس عشر من أبريل من عام ألف وواحد وسبعين أي بعد ثلاث سنوات وبضعة أشهر من الحصار. وتعامل روبرتو بإنسانية مع سكان باري، ورد إليهم أملاكهم المحتلة في الأراضي ووقع مع المدينة معاهدة اتحاد، وهو ما يعني في حقيقة الأمر فرض جزية. ثم قام بتوزيع السلاح على من يريده وعلى الحرس البيزنطي الذي تم أسره، واقتادهم وراءه للحرب في صقلية بالسفن التي استطاع جمعها في الميناء<sup>(1)</sup>.

وكان الانتصار الذي حققوه في مدينة باري يبشر بالانتصار المزمع في بالرمو: فقد أبلى النورمان وأتباعهم من الإيطاليين بلاءً حسناً في المعارك البحرية وفي الحصار، وزادت قواتهم العسكرية بقوات أخين قد صار لهما السبق بين أهلها في إيطاليا. وبدلاً من فرق الطليعة التي حارب بها النورمان في صقلية من قبل، أرسلوا

(1) راجع أمانو، الكتاب الخامس، الفصل السابع والعشرين من ١٥٩ إلى من ١٦٤ ومالاتيرا، الكتاب الثاني الفصلين ١٠ و١٢ في كتاب كاروزو. Bibl. Sic. المجلد الأول من ١٩٨ و١٩٩ وجوليلمو دي بوليا الكتابين الثاني والثالث في كتاب كاروزو. المرجع المذكور من ١١٢، ١١٧ و١١٨، وأنونيمو في كتاب كاروزو المرجع المذكور من ٨١١. من ٨١٥ والترجمة الفرنسية الكتاب الأول الفصل ٢٢ من ٢٢١ ولويو بروئسباريو عامي ١٠٦٩، ١٠٧١ وروموانو سالرنيتانو عام ١٠٧٠ وCronica Amalfitana في كتاب موراثوري Antiq. Ital. المجلد الأول من ٢١٢.

بالنسبة لتاريخ بداية الحصار والاستسلام التبع ما ذكره أمانو حيث أنه يؤكد التصحيح الذي قام به موراثوري للترتيب التاريخي في Annali.

جيشاً واسطولاً حربياً. وبالإضافة إلى المرتزقة (1)، استدعى روبرتو للقتال القادة أو الأمراء الذين جعلهم في مرتبة كبار التابعين وكذلك الحليفين اللذين كان قد عقد النية على ابتلاعهما وهما: ريكاردو أمير كابوا النورمانى (2) وجوايماريو أمير سالرنو اللونجوباردى شقيق زوجته (3). ويبدو أن الأميرين قد زوداء بعدد قليل من الرجال. وكان الكونت بيثرو دى ترانى هو الوحيد من بين أقرانه الذى رفض دعوته بجسارة (4). وفى خلال ثلاثة أشهر كان روبرتو على أهبة الاستعداد! وأقام فى أوترانتو طوال شهر يونيو وجزء من يوليو، وأمر أثناء ذلك بإزالة صخرة ليسهل على الجياد النزول بمسر إلى المراكب وحشد الآلات والمؤن، وأقلعت ثمان وخمسون سفينة إلى ريجو بينما توجه الدوق ومعه فرسان ومشاة آخرون إليها، وعبر الفناز فى أواخر يوليو وأوائل أغسطس ومعه كل جنده: من النورمان ومن بوليا وكلايريا وحرس بارى البيزنطى (5).

وما أن علم روجيرو الذى كان قد جهّز أيضاً قواته طوال فترة الصيف، بمرور روبرتو حتى وصل إلى كتانيا بشكل يشهر الشكوك حتى إن مالانبراً لم يجرؤ على ذكره أو رواية الأكاذيب فتترك بين أيدينا طرف خيط الشائبة. وكتب يقول: «بعد أن أرسل الدوق أخاء إلى صقلية، ذهب إليه فى كتانيا متظاهراً بالتحرك ضد مالطه، وكأنه لا

(1) لم يتحدث هنا رواة الأخبار عن ذلك، ولكن من الواضح أن روجيرو أخذ أجراً بعد احتلال بالرمو.

(2) أماتو، الكتاب السادس الفصل الثالث عشر. والكتاب السابع الفصلان الأول والثانى.

(3) أماتو، الكتاب السادس، الفصلان السادس عشر والثامن عشر وهيهما يتحدث عن الأمراء الذين صاحبوا روبرتو فى بداية الحصار وأنه بعد احتكام المدينة ذهب إلى الكنتيسة *avec la moillier et ses frere et avec la frere de la moillier et avec ses princes*. فالأمر يتعلق بأسراء سالرنو ومن المستحيل أن يكونوا قد ذهبوا بأنفسهم دون أن يصطحبوا معهم أى نوع من الجنود.

(4) جويلمو دى بوليا، الكتاب الثالث، فى كتاب كاروتو، Bibl. Sic. ص ١٢٢. وأماتو، الكتاب السابع، الفصل الثانى.

(5) راجع مالانبراً وأماتو وجيولنى دوستيا فى المواضع التى سنشهر إليها هنا.

يثق في اقتحام بالرمو، ولكنه اتجه إليها يعززه أخوه. ولكن كيف ولماذا لجأ روجيرو إلى كتانيا، مقر أعوانه من المسلمين منذ سنوات كثيرة، ومن الذي كان يحكمها بعد مقتل ابن الثمينة؟ عن هذا يصمت مؤرخ الكونت تماماً<sup>(1)</sup>. ويقول أمانو الذي لم يكن يعيش في بلاط روجيرو، إنه زحف إلى كتانيا في الوقت الذي كان يعبر فيه روبرتو المضيق، واستسلمت المدينة له بعد أربعة أيام، وإنه أمر بتجهيز كنيسة في الحال باسم سان جريجوريو وكذلك قلعة ترك فيها أربعين رجلاً من الحرس لقمع استياء المواطنين<sup>(2)</sup>. ومن ثم، فمن الممكن أن نملأ الفراغات التي تركها الراهبان المؤرخان ونقول إن روجيرو قد استغل الاتفاقيات القديمة التي أبرمها مع ابن الثمينة ودخل كتانيا صديقاً، وربما كانت معه جماعة قليلة العدد، وأذاع نيته القيام بعملية ضد مالطه وأنه بوصول روبرتو مع جانب من الأسطول، للتقدم نحو مالطه فإنهما استوليا على المدينة بعد مقاومة قصيرة أو دون مقاومة. وبعد أن تمت الضربة، أرسل روبرتو جيشه إلى بالرمو برأ واتجه هو إليها على ظهر سفينة ومعه عشر دقاقيات وأربعين سفينة أخرى، هرباً من شدة الحر. وفي طريقه إلى بالرمو، ذهب روجيرو ليراقب رجاله وشئونهم في ترابينا. واستأنف بعد هذا سفره، وعلى مقربة من بالرمو حدث أن سبقته مجموعة من خدمه لإعداد المؤن والأطعمة وإذا بفرسان من المسلمين يصل عددهم إلى مائتين، قاموا بالهجوم عليهم وسرقوا كل شئ وقتلوا الجماعة، ولكن سرعان ما هب رجال الكونت ونهبوا ما معهم وقطعوا أجسادهم إرباً إرباً<sup>(3)</sup>.

كان من الضروري أن نصف موقع بالرمو في القرن العاشر: ففي

(1) مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل الخامس والأربعون، ص 200.

(2) أمانو، الكتاب السادس، الفصل الرابع عشر ص 178. راجع ليوني دوستيا، الكتاب الثالث، الفصلين السادس عشر والخامس والأربعين.

\* آلة لذلك الأسوار.

(3) أمانو، الكتاب السادس، الفصل الخامس عشر ص 178.

الوسط تقع مدينة كسارو، أو المدينة القديمة، وهي تطل من جهة الشرق والشمال الغربي على الميناء الذي كان ينقسم إلى لسانين؛ وكانت الخالصة قلعة تقع بين اللسان الشرقي والبحر؛ وكانت الضواحي حول مدينة كسارو من كل جانب (1)، وتفاصيل الحصار التي نجدها متفرقة في كتابات أماتو ومالاتيرا وجوليمو والكاتب المجهول والتي تعود أيضاً إلى رسم فريد وواضح للعمليات العسكرية، لا تبين أنه قد طرأ أي تغيير على طبوغرافية المكان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر سوى، على ما يبدو، انهيار الضواحي الفسيحة الواقعة في الجنوب الغربي والجنوب الشرقي منذ زمن بعيد وقد هجرها أهلها بالكامل مع اقتراب العدو. وكانت تقع على مسافة ميل تقريباً من جهة الشرق. في المكان الذي كانت تصل إليه آنذاك (2) ضفة نهر أوريتو اليمنى وكذلك شاطئ البحر، كانت تقع القلعة التي كان يطلق عليها قلعة دي چوفاني وقد يكون أحد المسلمين (يحيى) بدلّه النورمان بسان چوفاني (3) كما حولوا المبنى إلى مستشفى، ولذلك فإن المباني الحالية المقامة فوق اطلال عصور مختلفة

(1) انظر المجلد الثاني الصفحات ٧٠ و١٦٢ و١٦٦ و٢٠٠ وما بعدها.  
(2) كان مصب نهر أوريتو في بدايات القرن الثاني عشر على مسافة بعيدة عن المدينة، غير ما هو عليه اليوم، وهذا واضح من خلال موقع كويري اميرالو الذي لا يزال في مكانه في جهة الشرق من المجرى الحالي للنهر. وقد انسحب النهر عند هذه النقطة دون شك كما هو الحال بالنسبة للميناء القديم (لاكالا).

(3) "Castel Iehan mes maintenant se clame lo chaste Saint Iehan etc" وهذا يعود دون أدنى شك إلى مصحة الجذام، التي تحولت إلى مصحة للأمراض العقلية ثم تحولت الآن إلى مصنع للجلود. وتذكر الروايات حتى القرن الرابع عشر أن روبرتو جعل منها مقراً له أثناء الحصار (انظر *Anonymi Chronicon Siculum*). في كتاب دي جيروجيو (*Rerum Aragonensium*) المجلد الثاني، ص ١٢١، وتحدث عنها أيضاً فانتزيلو، العشرة الأولى، الكتاب الثامن، الفصل الأول، وأرفق معه وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ١٢٠٩، ولكنها في حقيقة الأمر ترجع إلى فبراير من عام ١٢١٩، وتشهد فقط على ما لم يكن أبداً موضعاً للشك، وهو أن هذه المصحة قد شهدها أمراء صقلية من النورمان. انظر في كتاب مونچيتوري، *Mans. S. Trin. Mon. hist.*، ص ٢١ و *Historia Diplomatica Friderici II*، الجزء الأول، ص ٥٩٠.

يطلق عليها سان جوفاني دي ليبروزي. ومن الواضح أن تلك القلعة شُيّدت للدفاع عن القرى الفنية الواقعة على جانبي النهر وعن الأماكن القريبة من المدينة ضد غارات فرسان الأعداء، من المحتمل أن تكون قد شُيّدت أو تم تحصينها أثناء حرب النورمان؛ وهي حقيقة الأمر لا يبدو لي مخالفاً للحقيقة أن قلاعاً أخرى قد ظهرت في مواضع أخرى من ريف بالرمو حيث يلاحظ وجود كنائس وأديرة أو قصور للنورمان، وفيما يخص سكان بالرمو في ذلك الوقت فإننا نجهل كمية عددهم، ولكن علينا أن نفترض أن عدد السكان قد تقلص بشكل كبير منذ القرن العاشر ويرجع ذلك إلى الأحداث السياسية وخاصة إلى هجرتي عام ١٠٦١ و عام 11٠6٨) ومن الممكن استنتاج عدد الذين كانوا يحاصرون المدينة وذلك من خلال المساحة الممتدة للأراضي التي كان يسيطر عليها آل هوتشيل في البر الإيطالي، ومن خلال عتاد سفنهم التي كانوا يستخدمونها في عمليات أخرى معاصرة، ومن خلال الحرس الذي كان يحصى روبرتو أثناء دخوله بالاتفاق المدينة، ومن عدد سفنه الذي ذكرناه سلفاً. ويبدو لي أن أكبر عدد تمكن النورمان من الدفع به تحت أسوار بالرمو هو ثمانية أو عشرة آلاف رجل، ما بين فرسان ومشاة.

وبدا روجيرو أولاً الزحف من الجانب الشرقي عن طريق سفوح الجبال وهي اليوم التالي وقع الصدام الذي روبناه؛ واحتل قصراً فاخراً والقرى المجاورة ونهبها؛ وحصد عدداً وفيراً من الأسرى، الذين لم يكن لديهم أي علم عن اللعبة الجديدة. عندما وجدوا أنفسهم محاطين بحلقة من الخيول وضاق عليهم الخناق وأسروا وتم بيعهم(2). وكانت الطليعة تقوم هكذا بتجهيز أماكن إقامة لقادة الجيش ويصفها أماتو قائلاً: «في تلك الحداثق البهيجة التي ترونها

(1) انظر الفصلين الثالث والرابع من هذا الكتاب من ٨٧ ومن ١١٦ من هذا المجلد.

(2) *Et quant li Sarrazin isoient virent nouvelle chetaderie e li Normant les orent atornoies et les prisrent et vendirent pour tils prison.*



المياه، الفنية بأنواع الفاكهة حيث أقاموا جميعاً إقامة الأمراء حتى صفار الفرسان، في رغد من العيش، في فردوس أرضي بمعنى الكلمة. وعندما ظهر روجيرو في قلعة جوفاني، وخرجت للقائه حامية عسكرية صغيرة (1) قام بقتل خمسة عشر فارساً من المسلمين، وأمر ثلاثين فارساً وبعد أن استولى على المكان دعا إليه روبرتو (2) الذي يبدو أنه قد وصل بحراً في اليوم نفسه. واستخدمت القلعة كفرقة عمليات، كما نقول اليوم، وتم فيها وضع خطة الحصار. وظل بها روبرتو قائداً على جنود بوليا وكلابريا في الجيش؛ وأقام روجيرو مع رجاله. كما يبدو، في المكان الذي توجد فيه الآن كنيسة فيكتوريا، على مسافة ستمائة متر من الباب الجديد الحالي على الطريق المؤدى إلى موريالي (3).

#### (1) *Et clama li Sarrazini a combatre*

(2) أماتو، يبدو أن القصر الذي تم احتلاله عند وصوله للمرة الأولى، هو القصر الذي أطلق عليه ابن جبير في القرن الثاني عشر قصر جعفر بينما أطلق عليه الكتاب المسيحيون فاطراً والذي تحدث عنه في الكتاب الرابع الفصل الثامن من المجلد الثاني من ٣٥٨. وكان القصر مستقراً معتماً بهيجاً للملك روجيرو كما كان من قبل لأمرأه بالرمو على الأرجح؛ ولعل التورمان قد احتفظوا بجزء من ممتلكاته أو أنه تم تجديده بالكامل. (3) كنيسة صغيرة تم هدمها عام ١٥٩٨ عند بناء مقر طلابي الرهبنة في نظام سان فرنسيسكو دي باولا للرهبان الأساقفة في ذلك المكان. وكان يطلق عليها كنيسة فيكتوريا، وتقرأ عليها هذه العبارة: *Roberto Panormi dnce et Siciliæ Rogerio Comite imperantibus, Panormitani cives ob Victoriam habitam, hanc ædem B. Mariæ sub Victoriz nomine sacrarunt. An. Dom. 1071*. (انجيز، *Pal. nob Et*, ٧، عام ١٠٧١؛ ومونجهيوري، *Palermo Divoto di M. V.*) الكتاب الأول، الفصل الخامس، وچاردينا *Le antiche porte di Palermo*، (بالرمو ١٧٣٢) ص ١١ وص ١٢.

إن العبارة المؤرخة في عام ١٠٧١ ليست صحيحة دون شك، كما تظهر الدراسات اللاتينية والصيغ وعنوان *Panormitani Cives* الذين ربما كانوا المسلمين. وكذلك فإن هذه العبارة شهادة بالتأكيد على تقليد قديم، ليس هناك من داع للشك فيه. ويخطئ علماء بالرمو عندما وضعوا روبرتو بدلاً من روجيرو في هذا الجانب أثناء الحصار. وأطلق على الكنيسة اسم النصر وكذلك على دير باولوتي الذي احتلته سرية أو سريتان من الفرسان لمدة طويلة من الزمان وهو الآن موقع للمدفعية.

واخذ أحد الشقيقتين مكانه في الجنوب الغربي والآخر في الجنوب الشرقي للمدينة مع وجود اتصال بينهما وداهما المدينة لمسافة تزيد على ثلث محيطها من الجانب الجنوبي. وقام الأسطول بفلق الميناء من ناحية الشمال الشرقي وطارد القوات البحرية الصغيرة التي كانت لاتزال باقية لأهل بالرمو(1) وخسر دقاقة وشانية(2).

ثم إن المدينة استمدت جيداً للدفاع، وقام المسلمون، المحاصرون داخل الأسوار، بهجمات متكررة اختلفت نتائجها، لإيقاف العمليات التي كان يقوم بها المحاصرون(3). وكانوا يقومون بالحراسة في بقعة ومثابرة ويقاتلون ببسالة وعناد(4). ولن أكرر الحديث عن التفاصيل لأنها موجودة فقط في رواية جويلمو التاريخية الشعرية: وهي أقوال معتادة قد تبدو من اللوازم الضرورية لرياء الشعر. ولن أترك واقعة حدثت في القرن الثاني عشر ورواها أنونيمو دون أن اذكرها: كان أهل بالرمو كثيراً ما يتركون أبواب المدينة مفتوحة، كنوع من التحدي أن يدخل منها أحد، وحدث أن توقف فارس مسلم عنيف عند عودته إلى المدينة بعد أن قتل عدداً من النورمان توقف أسفل البوابة ووجهه

---

وجدير بالذكر أنه في زمن ابن حوقل (راجع كتابنا الرابع، ص ٢٠٦ المجلد الثاني) كان «الممسكر» يظهر في هذه الناحية: وهي مساحة معاطة بسياج ومحصنة دون شك، قام النورمان بتحويلها إلى قلعة بمجرد دخولهم بالرمو. كما سنذكر بالتفصيل في ص ١٤١ - ١٤٢ من المجلد الثالث. وعلينا أن نقرر إذن أن المسكر كان موجوداً وقت الحصار. ولعلنا لا نجد إشارة إلى كيفية انفصاله آنذاك عن المدينة القديمة أو إذا كان يدخل في نطاق أسوارها. ولكن لا يمكننا أن نهزم إن كان أثناء الحصار في يد المسلمين أو النورمان. واعتقد أن أول هذين الاحتمالين هو الأقرب للحقيقة، وأن مكان إقامة الكونت روجيرو كان أمام «الممسكر» تماماً على مسافة ستمائة أو سبعمائة متر. لأنه يبدو أن «الممسكر» كان يمتد حتى الموقع الحالي للباب الجديد أو أبعد قليلاً.

(1) انظر ص ١١٦ من هذا الكتاب.

(2) إن أماتو، الذي يروي هذا مع بداية الحصار، دون أن يحدثنا فيما بعد عن المعركة البحرية التي دارت أمام الميناء، ولا اعتقد أنه من الممكن أرجاع عملية الاستيلاء على السفينتين اللتين ذكرهما المؤرخ إلى تلك المعركة.

(3) جويلمو دي بوليا وأنونيمو.

(4) مالاثير.

متجه نحو الأعداء، فجرى شاب من المحاربين، وهو قريب عائلة هونشيل. وقد أهانه ذلك الوجه الذى يحمل نظرات التهديد. جرى بجواده ناحيته وطمعنه طعنة نافذة برمح، ولكنه بعد أن أغلق دونه الباب دفع حصانه أمامه دون أن يتردد للحظة فى مهمة ياثمة بين المسلمين الذين أخذوا يرمونه بالسهام وهجموا عليه ولكنه خرج من باب آخر دون أن يصاب بأذى ووصل بين أهله بينما كانوا ييكونه ميتاً<sup>(1)</sup>. وهى مغامرة جديرة بروايات المائدة المستديرة وسوف تبدو لنا بعيدة عن الخيال لو افترضنا وقوعها فى الغالصة، وهى مساحة صغيرة محاطة بالسياج ولها أربعة أبواب تفتح كلها على المسافة الصغيرة للسان<sup>(2)</sup>. ولم تقع أية معارك كبيرة حتى فصل الشتاء بعد أن حاول الأعداء دون جدوى الهجوم على المدينة<sup>(3)</sup>. وأثناء ذلك وصلت المساعدات من إفريقية وهى قوات بحرية على ما يبدو، ولم تكن كثيرة<sup>(4)</sup>. وكان أمراء سالرنو، وقد أصابهم السأم من هذه العملية الحربية التى لم تكن عملية خاصة بهم، قد أخذوا يعودون إلى البر الإيطالى حيث كان البابا الكسندر يقوم بعمل أكثر بهجة من حصار بالرمو، وهو تكريس كنيسة مونت كاسينو الجديدة فى الأول من أكتوبر<sup>(5)</sup>. وكان روبرتو، وقد نفذ صبره، يطلب تعزيزات من البر الإيطالى، ومن بين من طلب منهم، منافسه الأمير ريكاردو، الذى وعده بإرسال مائتين من المحاربين بقيادة ابنه جوردانو، ثم أرسلهم

(1) أنونيمو - النص اللاتينى والترجمة الفرنسية - جزئيا.

(2) انظر المجلد الثانى ص ٢٠٧.

(3) مالاتيرا.

(4) لم يحدثا مالاتيرا عن هذه المساعدات. وتحدث عنها بدفة جوليلمو قبل معركة الميناء. كما نوه عنها أماتو بعد استسلام المدينة (الكتاب السابع، الفصل الأول، ص ١٩٢) عندما أخذ فى رواية عمليات الأمير ريكاردو فى البر...

*Venoient sur la cite de Palerme li Arabi e li Barbare et faisoient empiediment a la victoriose bataille de lo duc Robert et pource il requist et chercha L'ajutoire de lo prince Richart etc.*

(5) موراثورى، *Annali*. ١٠٧١.

إليه. ولكن سرعان ما عاد واستدعاهم قبل أن يعبروا القنار. وكان الأمل في النصر قد ضاع. حتى أن ريكاردو وقد انضم إلى عائلة كونت تراهي وإلى آخرين من أعداء روبرتو القدامى، تجرأ على مهاجمة أراضيه في كلابريا وبوليا. ولم يتخل چويسكاردو عن عزمه (1) بسبب هذا فقد كان يعلم جيداً أنه كان سينتصر على الجميع في بالرمو.

ويقول أماتو: «وفي الوقت نفسه، حلت المجاعة بالمدينة بسبب نقص المؤن وعدم توفرها لشراؤها. وتفشى وباء الطاعون وزادت الوفيات من جراء الجثث التي لم تدفن؛ وامتلات المدينة بالجرحى والمرضى ورجال اعيانهم الجوع تمتد أيديهم الواهنة طالبة الإحسان بدلاً من أن تمتد للقتال. وكان النورمان الخبيثاء يكسرون الخبز ويتركونه أسفل الأسوار (2) وكان السراسنة. عشرون أو ثلاثون، يسرعون لالتقاطه. وفي اليوم الثاني تركوا الخبز في مكان أبعد بقليل وخرج الآخرون في عدد أكبر وأسرعوا إليه وانتزعوه بسرعة ليضعنوه لأنفسهم. وفي اليوم الثالث وضع النورمان الطعم على مسافة أبعد من ذي قبل وعندما خرج المسلمون بكامل عددهم قبض عليهم النورمان وأسروهم وجعلوهم عبيداً أو باعوهم في بلاد بعيدة» (3). هذا ما يرويهِ المؤرخ ولا أعلم إن كانت روايته تتسم بالسعادة أم باللامبالاة. وعلى الرغم من هذا يبدو تأثره وهو يعكس كيف كان السوق وزوجته يرويان عطشهما بالماء فقط لعدم وجود نبيذ في معسكر روبرتو بالرغم من وفرة اللحوم الشهية. ويضيف الكاتب أن هذا لم يكن ليؤثر على روبرتو إذ إن بلاده لا تنتج النبيذ «ضع - أيها القارئ - في اعتبارك الزوجة النبيلة التي كانت في منزل أبيها جوايماريو، أمير سالرنو، معتادة على شرب النبيذ الصافي النقي وكأنه الماء المنعش» (4).

(1) أماتو، الموضع المذكور.

(2) لم يكتب المترجم الفرنسي من شك فقط أسوار.

(3) أماتو، الكتاب السادس، الفصل السابع عشر، ص ١٢٩.

(4) المؤلف نفسه، والمرجع نفسه، الفصل الثامن عشر ص ١٨٠.

وقد رفع من معنويات النورمان انتصارهم في معركة بحرية شنها أهل بالرمو بعد حصولهم على مساعدات من إفريقية، ولكنهم ظلوا يائسين من طرد العدو من الأماكن التي احتلها في السهل. وعندما فطن روبرتو لتلك الاستعدادات قام هو أيضاً بتجهيز سفنه وأمر بعد أغطية سطح السفينة المصنوعة من الجوخ الأحمر ليخفي القذائف والخراب (1)؛ كما أن ذلك اللون يمكن أن يعيد إلى أذهان النورمان العمليات التي كان يقوم بها أبائهم والتي جعلت منه لونا يثير الرعب في البحر. حتى أن التقاليد القومية لازالت تستخدمه حتى اليوم في الأزياء العسكرية بإنجلترا والدنمارك. وعلى الرغم من أن الأسطول النورمانى كان أكثر عدداً من أسطول المسلمين فإنه يبدو أن ما يعيبه كان بناؤه غير المناسب للحرب. ومن ناحية أخرى كانت تلك أول تجربة بحرية قاسية، بعد عملية بارى، يمر بها حكام إيطاليا من النورمان؛ كما أن الذاكرة لم تنس ذلك الأسطول الذى خرج من ميناء بالرمو في نهاية القرن التاسع لهدم الشواطئ الجنوبية بشبه الجزيرة؛ كما أن روبرتو كان يعلم أن هزيمة واحدة في البحر سوف تجبره على رفع الحصار للمرة الثانية. ولهذا أخذ يبحث رجاله قائلاً: إن الهدف هو الانتصار أو الموت؛ وجعلهم يعترفون بخطاياهم ويتناولون في مهابة سر القربان المقدس. ويستطرد جوليلمو دى بوليا قائلاً: وبعد أن غمر هذا الغذاء الروحي بالمزاء قلوب جماعات النورمان ورجال كلابريا وبارى والأرجيشيين، دخلوا سفنهم. ولم يكن صليل الآلات أو دوى صيحات الحرب التي يطلقها المسلمون كافياً لإثارة الفزع في قلوبهم. وتصادم الأسطولان وصمد الصقليون والإفريقيون حتى دفعتهم إشارة إلهية إلى تغيير اتجاه سفنهم. وقد تم الاستيلاء على بعض السفن، وغرق البعض الآخر ولجأ الجزء الأكبر منها إلى الميناء وأغلقته بالسلاسل؛ وقام المنتصرون بتحطيمها

(1) جوليلمو دى بوليا.

واستولوا على بعض السفن وأشعلوا النار في سفن أخرى كثيرة (1). ولم يزد المؤلف على هذا: فمن الواضح أن الأسطول النورمانى اضطر للانسحاب، بعد أن اجتاز دفاعات الميناء الأولى.

ولما كانت الناحية الثانية تهدد المسلمين (2) الذين نقص عددهم بسبب كثرة الموتى وأرهقهم الجوع والطاعون والإجهاد، لم يتوان روبرتو في شن الهجوم الشامل. وكان قد قام ببناء أربعة عشر مسلماً (3) ببراعة فنية كبيرة تثير الإعجب في ذلك الزمان (4)، حتى أنها كانت ترتفع بارتفاع الأسوار. وأرسل ليلاً سبعة من السلاالم إلى روجيرو، وذهب بنفسه للقائه وتشاورا معاً في طريقة الهجوم والإشارات وهي كل شيء (5). وقد عهد إلى روجيرو بأخطر الأعمال وهو الهجوم على القلعة الرئيسة، أي المدينة القديمة من ناحية الجنوب الغربى، ولذلك فقد انتقل إلى هذا الجانب الجزء الأكبر من جيش روبرتو. أما من ناحية الشمال الشرقي فكان على الأسطول أن يبنى للتهديد فقط. وكان روبرتو يحتفظ بخطة أخرى في حالة فشل روجيرو: وهي توجيه ضربة مفاجئة إلى الخالصة ذات الأسوار الأهل ارتفاعاً.

(1) جوليلمو دي بوليا.

(2) لم يلاحظ أى من المؤرخين أهمية هذا التحول، ومن ناحية أخرى فجوليلمو هو المؤرخ الوحيد الذى يصرح وتساخ المعركة البحرية ويقول: *Del validas animo ducis hac victoria vires*. كما يتحدث عن الهجوم من ناحية البحر دون أن يذكر أو يفترض المدة التى مضت بين المعركة البحرية والهجوم البرى. ويشير مالاثيراً بالكاد إلى السفن النورماندية قائلاً: إنها كانت ترسو على الجانب الذى كان فيه روبرتو يوم الهجوم. واستنتج من ذلك أن الانتصار البحرى لم يكن انتصاراً كاملاً أو رثماً. وأما كانت فوائده كبيرة، حيث أجبر المسلمين على الدفاع عن أنفسهم في الميناء أيضاً، أى جعلهم يتسمنون قرائهم الضئيلة إلى ثلاثة، بدلاً من وفوقها جبهتين فقط أمام روجيرو وروبرتو.

(3) أماتو.

(4) مالاثيراً *Machinamentis itaque et scalis ad transcendendos muros artificiosissime compaginatis*. وهي العنينة تحطم الجزء الأكبر منها أو لم يمد بفائدة على العملية. فطول الحائط الفائق كان يتطلب، كما قيل، أن يكون لهذه السلاالم قاعدة عرضية، وكان لابد أن يتم تركيبها على عجلات.

(5) أماتو.

وعندما كان الحصار يقترب من شهره الخامس، حدث في فجر (1) اليوم الأول أو أحد الأيام الأولى من عام ١٠٧٢. أن علت الأصوات في معسكر روجيرو فأسرع أهل بالرمو يهرولون ناحية تلك الأسوار (2) وتقدم في سرعة مشاة العدو يرمون المدافعين بالقذائف والسهام فوق شرفات أسوار القلاع، وعندئذ خرج المواطنون في حماس شديد يكتسحون تلك الزمرة من الأعداء ويلاحقون الفارين، مترجلين أو على ظهور جيادهم. عندئذ قام فرسان النورمان بالهجوم وكسروا بدورهم المحاصرين ودفنهم إلى داخل المدينة بعد أن ضيقوا عليهم الخناق في بسالة حتى البوابة وكانوا على وشك دخولها معهم وقد اختلطوا بهم. وعندما أوشك أن يقع الخطر الأعظم قام المسلمون بفتح البوابة: وبقي أخوتهم خارجها فقام النورمان بقتلهم تحت أبصارهم وبين صراخهم وبكائهم (3). واستأنف النورمان الهجوم على الأسوار. وأتوا بالسلم الأول، واستند على شرفة القلعة، وبقي السؤال: من ذا الذي سيصعد؟ ونظر بعضهم إلى بعض. وأسرع في الحال شخص يدعى اركيفريدو ورسم علامة الصليب واندفع صاعداً الدرجات، وحذا حذوه محاربين آخرين وقفزوا فوق السور، ولكن السلم هوى فجأة وتهشم. ونازلوا بمفردهم مائة من الأعداء، وتحطمت دروعهم وألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار ولكنهم نجوا دون أن يصيبهم أدنى - على حد قول أماتو - وتم صد الآخرين الذين صعدوا سلاسل أخرى واستعد النورمان للانسحاب (4). ومع اقتراب الليل ظهر فشل الهجوم.

(1) يقول أماتو *en la nativite de Jahu Christ* (الفصل الثاني والعشرون *e en l'aurore de jor*). (الفصل الثالث والعشرون). ويقول مؤلف باري المجهول، «في الماشر من يناير، بينما يقول رومالدو من سالرنو» في شهر يناير». وينبغي ملاحظة الاحتفال الذي أقيم في كنيسة فيكتوريا الصغيرة في كلسا في اليوم الثاني من يناير، والذي سوف نتحدث عنه بعد قليل.

(2) مالتيرا.

(3) جوليلمو.

(4) أماتو.

ولكن بفضل طلاقة لسان روبرتو وكلماته البليغة، كما يقول جوليلمو دي بوليا الذى ذكرها فى شعر منظوم، وبفضل تشجيع روجيرو لهم - كما نعتقد - وطبقاً للخطة التى رسمها مع الدوق، عاد النورمان إلى أسفل الأسوار، وتجمع أهل المدينة جميعاً فى المكان الذى وقع عليه التهديد؛ واثقين فى أنهم سيلقون بالمعتدين فى الحفر مرة أخرى، ولم يفكروا فى الخالصة التى لم يدو فيها صليل المعركة ذلك اليوم. وإذا بروبوتو، وبإشارة من روجيرو، يصل إلى الخالصة خلصة عبر أشجار الحدائق ومعه ثلاثمائة (1) من خيرة الرجال. وأسرعوا فى عدوهم ومعهم السلالم إلى سور عليه قلة من المدافعين، وقبل أن تصلهم المساعدات من المدينة القديمة، قاموا بتشتيت شمل المدافعين وفضزوا إلى داخل الأسوار وحطموا الباب؛ ودخل روبرتو ومعه بقية رجاله (2). وكان هذا الباب يقع خلف دير جانثا الحالى، على ميدان صغير يعمل اسم ميدان النصر، مثله مثل كنيسة نجد فيها - كما تشير الرواية - عند أول مذبح يميناً بقايا الباب الذى افتتحه روبرتو. وكذلك صورة وفاء بأحد النذور (3). وعندما

(1) مالاتيرا.

(2) اماتو. راجع جوليلمو ومالاتيرا وأنونيمو. ذكر أغلب المؤرخين أن روجيرو هو الذى دخل الخالصة.

(3) ليس من الضروري التنبه إلى أن كنيسة فيكتوريا تختلف عن تلك التى تقع خارج الباب الجديد التى نعدتها عنها، وتقع فى زقاق يسمى اليوم زقاق النجاة يقع فى بدايته حصن سبانيو بين كنيسة جانثا ودير الرحمة.

إن أولى المذكرات التى كتبت عن أخبار باب النصر هذا، تعود إلى نهاية القرن الخامس عشر وتعرف من خلالها أنه كان منقوشاً عليه صورة للمضراء ذات صهت كبير بين المعتدين فى المدينة؛ وأنهم حصلوا على موافقة الحكومة على بناء كنيسة فى هذا المكان. شهدت عام ١١٨٩، وأصدر رئيس أساقفة بالرمو قراراً عام ١١٩٢، بعد موافقة مجلس شيوخ المدينة، بإقامة احتفال بها يوم الثانى من يناير من كل سنة. وفى القرن السادس عشر سجلت عليها هذه العبارة اللاتينية التى ذكرها هيردينا فى (Le Porte di Palermo، بالرمو ١٧٣٢، ص ١١) وثراها اليوم منقوشة على لوح بعد المذبح الثانى من جهة اليمين:



علم المواطنون بدخول الأعداء هرعوا إلى المكان ودارت بينهم معركة يائسة حتى حلول الليل، وغطت الجثث المكان، وسيطر التورمان عليه، ولاذ المسلمون الذين نجوا من المذبحة بالهرب إلى المدينة القديمة. وعاث التورمان في الأرض فساداً فنهبوا المنازل وقتلوا الشباب واقتسموا الأطفال لبيهموهم عبيداً (1). وفي ذات الليلة قام الكونت بتوجيه التميززات إلى روبرتو، الذي كان مع قليل من رجاله ممرضاً لانتقام سكان المدينة القديمة (2) الذين لم تُكسر شوكتهم

*"Porta hæc, in quam Rogerius invictissimus Siciliæ comes irrumpens, aditum exercitui christiano ad urbem hanc Panormum ab iniqua Saracenorum servitute emancipandam pateferit, victoria cognomento ab eo devictorum hostium summo cum honore ob insignem reportatam victoriam, Deiparæ Virginis cultu victoris ejusdem principi ardenti ac pio desiderio consecrata est, quintilio mense dom. incarnationis .MLXXI".*

وهناك عبارة أخرى منقوشة تشهد على أنه قد تم إجراء ترميمات جديدة للمبنى عام ١٧٠١ ونرى اليوم ١- بقايا باب في المكان الذي سبق وأشرت إليه: ٢- صورة للعداء تحمل الطفل وراية. وهي صورة أضيفت إليها بعض اللصقات، أو أعيد رسمها ويبدو أن طرازها لا يمكن أن يعود إلى القرن الحادي عشر. ويمثل هذا الرسم دون شك القصة التي رواها ب. أوتافيو جابيانسي. وفي أن المتراء ظهرت هناك أمام روجيرو وفي يدها راية، تدعوه لدخول المدينة. أما العبارة المنقوشة التي تحدثت عن مضمونها وهي من عمل أنطونيو فاسيلتو، فمن الواضح أنها تعبر عن الرواية التي كانت سائدة لدى مفكرى القرن السادس عشر فقد ذكرت اسم روجيرو بدلاً من روبرتو وكتب عليها تاريخ يوليوس ١٥٧١ بدلاً من يناير ١٥٧٢. وبعد تفتية الرواية من المميزات والاختلافات المفكرين، فإنها تشير إلى حدث واقع وهو أن التورمان دخلوا من ذلك الباب. وهذا يتفق تماماً مع روايات المؤرخين المعاصرين. وعن تاريخ رسم صورة العداء لأول مرة، وعما إذا كان قد تم تشييد كهنة صغيرة في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر أو بعد ذلك فلا أرى ضرورة أن اتحقق الآن من ذلك، ولن يكون الأمر سهلاً. انظر جاردينا، الموضوع المذكور، ومونجهيتوري، *Palermo Devoto di Maria Vergine*، الجزء الأول، ص ٢١ وما بعدها، ص ٢٥ وما بعدها؛ إنشيز، *Palermo Nobile*، ١٠٧١، دي مارسو فيرو، *Guida di Palermo*، ١٨٥٨، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

وقد استقيت المعلومات المحلية ومقارنة مونجهيتوري من العالم الشاب الأستاذ أنطونيو ساليناس، وقد طلبت منه هذا حيث إنه لم يتح لي أن أدخل كهنة التضرع هذه إطلافاً.

(1) أماتو.

(2) أنونيمو.

بعد. ووضع الحراس على الأبراج المواجهة لتلك الأسوار الشامخة (1). وكان يبدو أنه لابد من خوض معركة جديدة في اليوم التالي، وربما استئناف الحصار مرة أخرى.

وهون الخلاف الذي دب بين أهل الرمو من مشقة الأعداء، ففي الوقت الذي كان فيه هؤلاء يقضون الليل في تحصين أنفسهم داخل أسوار الخالصة كانت فصائل المدينة تتنازع فيما بينها حول ضرورة استئناف المعركة من عدمه. وانتصر الفريق المناهض لاستئناف القتال: وفي الليلة ذاتها أرسل يبلغ النورمان أن المدينة مستعدة للخضوع وتسليم رهائن (2). وعند طلوع النهار ذهب قائدان كانا قد قاما بإدارة المدينة بدلاً من المجلس البلدي، إلى روجيرو ومعهما آخرون من الشخصيات المرموقة لمناقشة الاتفاقيات (3). واحتجزهم

*Et lo duc, a ceus qui sont remez liquel habitent en la cite* (1) *a liquel avoit donne mort de li parent et fame il fist garder les tors. Mes pource que Palerme estoit faite plus grant qu'elle non fu commencie premierement dont de celle part estoit plus forte dont pemeurement avoit este commencie la cite se clamoit la antique Palerme. Il commencerent contre celle antique Palerme contester cil de la cite. Et plus quant la bataille penserent que il devoient faire et en celle nuit se esmurent o tout li ostage et manderent certains messages liquel doient dire coment la terre s'est rendue.*

إن الكلمات التي تركتها مكتوبة بحروف مستديرة (غير مائلة) هي بالتأكيد خطأ في الترجمة. بل إنه في العبارة الأولى سقطت بشكل واضح بعض فقرات النص اللاتيني، الذي لابد أنه يقول إن روبرتو أمر جنوده بحراسة أبراج الخالصة حراسة جيدة أثناء انتظاره لهجوم هؤلاء... إلخ.

إن لفظة "contre" يجب تمثيلها بالتأكيد بـ "entre". دون أن نفقد الجملة معناها. فاهل المدينة (التيمة) هؤلاء، لم يكن بإمكانهم منازعة المدينة القديمة. (2) انظر الملحوظة السابقة بالنسبة إلى فمت به للفظ "contre".

*Et puis quant il fut jor dui Cayte alerent devant loquel* (3) *avoient l'office laquelle avoient li antique avec autrez gentilhomme liquel prirent lo conte ec.* غير الذي فمت به، "li antique" هم دون شك والشيوخ. أعضاء الجماعة، وقد تحدثت عنها في الكتاب الرابع، الفصل الثاني

روجيرو وبمدها دخل المدينة القديمة في ثيقله وبصحبته فرسان شجمان وأخذ يتفقد الأماكن ويضع حرساً في أنسب الأماكن وعاد إلى روبرتو: الذي مضى في اليوم الرابع إلى الكاتدرائية في مسيرة مهيبة يسبقه ألف من الفرسان، ويصعبه زوجته وشقيقه وأشقائه وزوجته وبارونات آخرون. ونزلوا عن جيادهم عند عتباتها، في نواضع وتبجيل، زارفين الدمع وقد تاججت مشاعرهم. وبعد إزالة شعارات المسلمين<sup>(1)</sup> وإجراء طقوس التكريس الجديدة أقام رئيس الأساقفة اليوناني نيقوديموس، الذي كان معتاداً على أداء الطقوس في كنيسة ساننا تشيريكافاليرة، أقام القداس أمام المنتصرين في الكنيسة القديمة، التي تحولت إلى جامع للإسلام. وعادت اليوم كاتدرائية باسم القديسة مريم. وزودها روبرتو بالمداخل والأثاث الديني<sup>(2)</sup>. وكتب أمانو الصالح أن بعض المسيحيين الصالحين سمعوا أصوات الملائكة تشدو بمذوبة لحن «المجد لله» في الكنيسة. وكانت الكنيسة تبدو منيرة بنور الرب الساطع سطوعاً لا يدانيه أي نور آخر في العالم.

وفيما يتعلق بمعاملات الاستسلام فقد أوردنا مؤرخو فرعى أسرة هوتفيل الحاكمة بطريقة مختلفة. فكتب جوليلمو دي يوليا أشعاراً يقول فيها إن سكان بالرمو قد استسلموا، إنقاداً لحياتهم، وإن روبرتو لم يقبل فقط الانتافية ولكنه وعدهم بالآل يصيبهم بأذى ولو ظلوا مسلمين. وقد وهى بعهد، ولم يطرد أحداً من المدينة. وكذلك

عشر. الجزء الثاني، ص 137 أو هم فضاء الجماعة. وقد أخذ القائدان إن على عاتقهما أمور الجماعة وهي في هذه الحالة القيادة السياسية. لقد قام القاضي بتسليم هذه المهمة، ربما في الليلة ذاتها، وربما والسيف مسلط على عنقه، أو ربما بسفك الدماء. وكان القاضيان هما قائدان من أنصار أسرة مدينشي في حصار فلورنسا.

(1) أمانو. *o grand reverance plorant*

(2) راجع أمانو، وجوليلمو، ومالاتير، وأنونيمو. انظر الكتاب الرابع، الفصل الخامس من هذا الكتاب، المجلد الثاني ص 306. وأضاف بيجو اسم نيقوديموس وهو مصدر موثوق: *Sicilia Sacra*. ص 52 وما بعدها.

أما هو من مناصري روبرتو، يتحدث عن الاستسلام بفطنة(1). وعلى خلاف ذلك فإن مالاتيرا يؤكد أنه بعد عقد المعاهدة لم يجبر أحد على نبذ العقيدة الإسلامية ولم تقع على كاهل أحد أية قوانين جديدة ظالمة(2). وكان أنونيمو أكثر دقة في تناوله للأحداث، فهو من معاصري الملك روجيرو، ويقول إنه تم الاتفاق على الشروط نفسها التي كانت متبعة في عصره (3). وإن كان نصها ليس بين أيدينا إلا أننا نؤكد على أن مسلس بالرمو بالإضافة إلى ما كانوا يتمتعون به من تسامح ديني، كانوا يتمتعون أيضاً بحريتهم الشخصية وأمنهم، واحتفظوا بأموالهم وأحكامهم طبقاً للشرعة الإسلامية التي يحكم بها قضائهم: وليس هناك ما يثبت أو يشير، أن يكون قد فُرض عليهم دفع الجزية. ولكننا سنتحدث عن هذا بالتفصيل في موضعه(4).

*Que sans nulle autre condition ne convenance doit recevoir la cite (1)  
a son commendement*

(2) الكتاب الثاني، الفصل الخامس والأربعون.

(3) في كتاب كاروزو. Bibl. Sic. ص ٨١٦. والترجمة الفرنسية. الكتاب الأول. الفصل الثاني والعشرون ص ٢٩٥. وأضاف الباحثون العلماء هنا بين هوسين تاريخ الاستسلام (يناير ١٠٧٢)، ويجب تصويبه إلى عام ١١١٦. عندما كُتب هذا الجزء من الأحداث كما بينت من قبل في الفصل الأول ص ٢٠.

(4) الاستيلاء على بالرمو مأخوذ من: أماثو، الكتاب السادس، الفصل الثاني عشر إلى الفصل الثاني والعشرين. مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصول الثالث والأربعين والرابع والأربعين والخامس والأربعين. جوليلمو دي بولسيا. الكتاب الثالث. أنونيمو. في كتاب كاروزو. المرجع المذكور والترجمة الفرنسية. المواضيع المذكورة. ليوبي دوسنيا، الكتاب الثالث، الفصل السادس عشر، والفصل الخامس والأربعين. لوبو بروستيناريو، وأنونيمو دي باري. ١٠٧٢. في كتاب برنز حيث لزم التصويب Januari (يناير) بدلاً من Junii (يونيه) Cronica della Cava عامي ١٠٧٠. ١٠٧٢ Cronica Amalfitana Antiq. Ital في كتاب موراثوري المجلد الأول، ص ٢١٣. رومالدو ساليرنتانو، عامي ١٠٧٠. ١٠٧٢ Cronica di Santa Sofia di Benevento في كتاب موراثوري Antiq. Ital المجلد الأول، ص ٢٥٩. الراهب كوراندو في كتاب كاروزو. Bibl. Sic. ص ٤٨. بالنسبة للتاريخ فقد احتجبت، مثل موراثوري (Annali. ١٠٧٢) شهادة أنونيمو دي باري التي تتفق مع التاريخ الذي ذكره أماثو، وهو أن العصار قد بدأ في شهر أغسطس واستمر لمدة خمسة أشهر. ويذكر مالاتيرا التاريخ

وهكذا عادت بالرمو، بعد مائتين وأربعين عاماً للمسيحية أكثر ازدهاراً واتساعاً، عامرة بالسكان، ثرية ومتحضرة ولكنها مخضبة بالدماء والدموع ذلك أن «عدد السراسنة الذين قتلوا وأسرروا وبيعوا، كما يقول أماتو، قد هاق أي مثال». وبعد بالرمو بقليل استسلمت مدينة مازارا تلقائياً لروبرتو وتعهدت بدفع جزية (1)

---

نفسه بالنسبة للحصار بينما يذكر أن الاستسلام كان عام ١٠٧١ لأنه كان يبدأ العام الجديد يوم ٢٥ مارس.

ويقول فازيللو في العشرية الثانية، الكتاب السابع، الفصل الأول، على عكس الشهادات المعاصرة، ودون أن يؤيد كلامه بأية رواية، يقول إن المدينة قد فتحها الأسرى المسيحيون. وهذا الأمر يتعلق بفزو تونس الذي وقع في عصره، ومن جهة أخرى لم يتجاهل فازيللو عندما ذكر أن المسيحيين قد سلموا مدينة مسينا، شرقاً مثلاً لمدينة بالرمو.

(1) أماتو، الكتاب السادس، الفصل ٢١ ص ١٨٢. أرخ ابن خلدون بعام ٤٦٤ (٢٨ سبتمبر ١٠٧١ - ١٥ سبتمبر ١٠٧٢) نهاية الحكم الإسلامي في صقلية، مشيراً إلى استسلام مازارا وأشار خطأ إلى استسلام تراهانس، المكتبة العربية - الصقلية، النص، الفصل الخمسون في ١٩، ص ١٩٧، ص ١٩٨.

## الفصل الخامس

وبعد أن استولى النورمان على العاصمة المسلمة رأوا أنهم قد انتصروا في الحرب التي لم تبلغ نهايتها بعد، فقاموا على الفور بتقسيم الجزيرة. فقد أخذ روبرتو، المسئول الرئيس عن عملية التسليم، وقائد الجيش والسيد الإقطاعي - كما كان يعد نفسه - للولايات النورماندية في البر، فيما عدا ولايتي كابوا وأهرسا. أخذ لنفسه بالرمو واحتفظ بمسينا ووادي ديموني. وحصل روجيرو من الدوق، بموافقة كل الجيش، على باقي بلدان صقلية التي تم أخذها أو التي ينبغي أخذها: على أن يبقى له من تلك الأراضي نصفها، بينما يتم تقسيم النصف الآخر بين سيرلوني ابن أخيه وابن أخ روبرتو. وأريسجوتو دي بوتسولي، وهو رجل من أصل لونجوباردي، كما يبدو من اسمه، وتربيته صلة قرابة بعائلة هوتفيل. وإذا كانت الأشياء تتوافق مع الأسماء في تلك الآونة التي كان يجري فيها تشكيل إيطاليا الجنوبية، فمن الممكن أن نرى بوضوح التنظيم السياسي لصقلية كما يلي: دوق بوليا وهو الماهل الإقطاعي له ولايتهاون في أملاك الدولة، وكونت صقلية وهو إقطاعي كبير له ولايات أخرى في أملاك الدولة ويأتي من بعده تابعان أساسيان ثم بارونات أصغر كثيرون يتبعون هؤلاء وآخرون يتبعون الكونت مباشرة وآخرون يتبعون مباشرة الدوق. وهكذا كان تصور روبرتو بالتأكيد لتكوين الدولة، ولكن قوة روجيرو وأتباعه ونجاحهم أقصد عليه خطته (1).

---

*Dux eam (Palermo) in suam proprietatem retinens et vallem (1) Deminae, caeteramque omnem Siciliam adquisitam et suo adiutorio, ut promittebat, nec falso, acquirendam, fratri de se habendam concessit... Nam et medietas totius Siciliae, ex consensu Ducis et Comititis, suae sorti (di Serlone) Arisgotique de Poteolis inter se dividenda cesserat, eo*

ونزلت بالمنتصرين في ذلك الوقت حادثة مروعة. فقد أغتيل سيرليون غدراً. كان قائداً، ولا نعرف إذا كان أثناء حصار بالرمو أو بعد افتتاحها، لفرق جنود تشيرامى الإقطاعية لمراقبة جامية كاستروچوفانى العسكرية حتى لا تحاول توجيه ضربة معادية بعد أن عززتها المساعدات الإفريقية! وكان لسيرليون عيون بين صفوف الأعداء، وكان من بينهم شخص يدعى إبراهيم، وهو من كبار كاستروچوفانى، وكانت تربطه به صداقة حميمة حتى إنهما أقسما بطريقة غريبة - كما يقول مالاتيرا - أن يكونا أخين بأن شد كل منهما أذن الآخر. وهذه العادة لا نجدها عند المسلمين. وذات مرة أرسل الأخ الجاسوس هدايا لأخيه القائد. وأبلغه أن سبعة من الفرسان العرب سوف يجوبون في يوم معين أراضي تشيرامى بدعوى الذهاب إلى دياره لاقتناص الغنائم. ولكن سيرليون، ضحك من هذا القول ولم يعبأ به ولم يسرع لطلب الجنود الإقطاعيين. بل إنه خرج للقتص في ذلك اليوم نفسه في غابات تشيرامى؛ وفجأة علا في الضاحية صياح رجل يجري. وأخذ الفلاحون يضرون أمام غارة الفرسان التي أبلغه بها إبراهيم؛ عندئذ أمر سيرليون بإحضار دروعه، ومع تلك الحفنة من الرجال الذين كانوا معه أخذ يكر على اللصوص ليماقبهم على ما اخترعوه من تهوور. وعندما هرع إلى طريق كاستروچوفانى فاده

---

*quod hic consanguineus eorum erat, uterque autem consilio et armis probissimi viri erant.* مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل ٤٥ و٤٦.

وبعد هذه الشهادة الصادرة عن نصير شديد الحماس للكونت روجيرو. ومؤرخ البلاط عن حق. ( *Quoniam ex adicto principis tempus scribendi inminet.* ) الكتاب الثالث، المقدمة). ليس من الضروري دراسة شهادة أمانو، الكتاب السادس، الفصل العاشر والعشرون، الذي سار على متواله ليوني دوستيا. الكتاب الثاني، الفصل السادس عشر، ويقول أن روبرتو احتفظ لنفسه بنصف بالرمو ونصف قال ديموني فقط ومنع باقي الجزيرة لروچيرو. وفي هذا مغارقة تاريخية من عام ١٠٧٢ حتى عام ١٠٩١ عندما تنازل روجيرو دوق بوليا عن نصف بالرمو لعمه روجيرو دوق صقلية. ومع كل هذا فإنني لم أنرد في الكتابة بناء على شهادة أمانو فقط بموافقة الجيش على التنازل لصالح روجيرو. *Et lo comanda que vierung tout lo exercit et loa lo exercit. Et il lo devisse doner a lo frere. Et adont lo duc donna a son frere ec.*

المسلمون إلى الكمين الذي نصب له. على بعد ثمانية أميال من تشيرامى. عند راخذ نهريين صغيرين ينزل أحدهما من نيقوسيا، والآخر من تشيرامى ويصبان فى نهر سيميتو. وهنا كان ينتظره - حسب الرواية النورماندية - سبعمائة فارس وثلاثة آلاف من المشاة، ولكن يبدو لى أن هذا العدد مبالغ فيه. وأطاحوا بجند سيرلوى القليل وقطعوا عليه طريق العودة إلى تشيرامى. وعندما رأى النبيل سيرليوى أن جنوده يتساقطون بكثرة، وأن الموت لا ريب فيه، اتجه إلى صخرة قريبة، ونزل من على حصانه، واستند إلى الصخرة وأخذ فى يأس يضرب بيديه أمامه وعلى جانبيه. وأطلق فيها بعد على تلك الصخرة حجر سيرلوى(1). وسقط متأثراً بعانة جرح وهلك معه كل جنوده إلا اثنين اعتقدوا بموتهما فتركوهما بين جثث المعمرين والمختونين. وانتزعوا قلب سيرليوى من صدره: وسرت شائعة بين النورمان فحواها أن غلاظ القلوب قاموا بتقطيع قلب البطل إلى قطع صغيرة وتسابقوا على التهامه اعتقاداً منهم أن شجاعته سوف نحل فى صدورهم الجبانة. ثم أرسلوا برأس سيرليوى إلى تعيم فى إفريقيا، وتم وضعها على عامود وجابوا بها شوارع المهدية، صانحين: «ها هو بطل النورمان العظيم، والآن بعد موته، سيكون استرداد صقلية سهلاً يسيراً ولا نمرق ما إذا كان اغتيال سيرلوى قد أثار الحزن والغيط فى وجدان الجيش. عندما علموا به فى الرمو، وبكى روجيرو بمرارة رهيق الانتصارات الوهى المقدام. أما روبرتو، الذى لم يشمر بفقده مثله فى الحقيقة، فقد قال إن النواح

(1) لم يحدد المؤرخون الموقع بدقة، ولكنه دون شك ذلك المكان الذى أطلق عليه الإدريسي حجر سارلو أى «حجر سيرليوى»، المكتبة العربية - الصقلية، النمس، ص ٦٠ وفى كتاب دى جريجوريو، *Rerum Arabic*، ص ١٢٢. ولقد حددت مكانه فى خريطة صقلية المقارنة.

وقد أخطأ هازيللو، العشرة الأولى، الكتاب العاشر، الفصل الأول والعشرة الثانية الكتاب السابع، الفصل الأول. أخطأ الموقع وذكر شكلين مختلفين لاسم هذه الصخرة فى زمله.



للنساء أما النثار فللرجال (1). ولما كان لديه ما يفعله بدلاً من البقاء في حصار كاستروچوفاني عاماً أو عامين حتى يقبض على فتلة ابن أخيه، فقد نأهب للعودة إلى بوليا، بعد أن أحكم الخناق إحكاماً على مسلسل بالرمو.

قام روبرتو بتشيد أو إصلاح قلعة عند مدخل الميناء: وهي قلعة صغيرة حفظ لها اسمها، وفيما اعتقد أيضاً موقعها، وكانت تسمى حتى عام ١٨٦٠ كاستللا مارى. وقد عوّل روبرتو بشكل أكبر على قلعة مقامة على أرض مرتفعة، في الموقع الحالي للقصر الملكي مضافاً إليها جزء من الميدانين المجاورين وكل منطقة سان چاگومو العسكرية. وفي ذلك المكان كان يقع في القرن التاسع قصر الأمراء وفي القرن العاشر المعسكر، أي مكان إقامة الجند (2)، ويبدو أنه قد بقيت منه مبان كثيرة وربما السور أيضاً وقد قام المنتصرون بإصلاحه على طريقتهم: ومن هنا أطلق على القلعة الجديدة الحلقة. وهي الكتابات اللاتينية واليونانية في ذلك الوقت كان يطلق عليها القلعة العالية حيناً والقصر الجديد حيناً آخر، وكثيراً ما كان يطلق عليها *Alga* وأخيراً *Galea, Galga, Galcula, Chalers, Xalces* وكلها طرق مختلفة لكتابة اللفظ العربي الذي ذكرناه نواً. وامتد اسم قصر أو قلعة، كما نرى، ليشمل كل المساحة المسورة، وهي على شكل مُضلع له زوايا وتواءات بارزة ومنعكسة، ويبلغ طوله خمسمائة متر وعرضه ثلاثمائة متر أخذ يمثل شيئاً شبيهاً بقصور صغيرة وبواكى وكنايس ومنازل القساوسة ورجال البلاط (3).

(1) مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل السادس والأربعون، وأنونيمو، في كتيب كاروزو، Sic. Bibl. ص ٨٦٦. وهي الترجمة الفرنسية، الكتاب الأول، الفصل الثالث والعشرون.

(2) انظر الكتاب الثالث، الفصل التاسع، والكتاب الرابع، الفصل الخامس من هذا المؤلف، المعجم الثاني، ص ١٩٦ وص ٢٠١.

(3) يطلق عليها من بين الكتاب المعاصرين، أمانو أو المترجم الفرنسي *Forté roche*. ومالاتيرا *Castellum*، وجوريلمو دي بوليا وأنونيمو الذي عاش في نصف القرن الثاني عشر *Castrum*.

وقد زود روبرتو القلمتين بآبار ومخازن(1)، اعتقد أنها كانت لتخزين

وكان هالكانو في نهاية القرن نفسه تشرىاً يطلق على هذه القلعة *Palatium nobum* ووصف حائطها بأنه: *mira ex quadris lapidibus diligentia, miro labore constructum, exterius quidem spaciosis murorum anfractibus circumclusum etc.* Bibl. Sic. ص ٦-١ وفي موضع آخر يذكر اسم أحد الأبواب *Galculz* ويشول إن الأبواب *Galculz* مقلدة جميعها ويقصد دون أدنى شك أبواب القلعة نفسها. (المرجع المذكور، ص ١٢٢. ص ١١١). وأونيمو الآخر الصقلي (موزاثوري *Ref. Ital.* المجلد العاشر، ودي جريجوريو، *Rerum Aragon* المجلد الثاني) عندما روى في الفصل الرابع، حسب روايات القرن الرابع عشر الزائفة، عن غزو بالرمو وبناء القلعة أضاف *qui locus dicitur hodie Galea (Galca in quo nunc est palatium.*

وأخيراً يهرؤ عندما ذكر (*Sicilia Sacra*، ص ٢٩٢) وثيقة من القرن الثاني عشر جاء فيها اسم باب *Xalces*. أضاف أنه في زمنه، أي في النصف الأول من القرن السابع عشر كان اسم المنطقة التي شيد فيها الباب الجديد *Xalces* أو *Alga*.

ولا تنقصنا الوثائق. فهي وثيقة لرئيس أساقفة بالرمو بتاريخ ١١٢٢ (*Tabularium regiae ac imperialis capellar etc. Panormi*، ص ٧ يطلق على هذا المكان: *Casrellum superius panormitanum*، ويشير المحقق العالم، رجوعاً إلى فازيللو والوثائق، يشير إلى أن المنطقة كانت تمتد إلى جهة الجنوب من عند دير سان جوفاني دي ليريميتي، وكانت تمر من جهة الغرب عبر حديقة بنيت فيها كنيسة سان اندريا، ثم بجهة الشمال عبر مكان يطلق عليه بالهيرتو وبجهة الشرق عبر ميدان القصر الملكي الذي كان يقع في منتصفها. وهناك عقد بتاريخ ١١٦٧ (المرجع المذكور، ص ٢٤) خاص بمنزل *quæ est intus Chalca* وآخر بتاريخ ١٢٥٨ (المرجع المذكور، ص ٦٨) خاص بمنى آخر *silum in Galcam Panormi prope palacium Cesari* وحتى عام ١٢٠٩ (المرجع المذكور، ص ٩٤) لدينا معلومات عن منزل آخر *sita in Galca Sanctæ Mariæ Magdalenz de Galca* (شارع) *Panormi in ruga*. وكذلك وثيقة يونانية ترجع لعام ١١٦٢ (١١٥٢) في كتاب مورسو *Palermo antico*، ص ٢٢٤ تتحدث عن باب *Chalca* والموجز الصقلي ص ٢١٢ "Porta di Xalces".

ودون أدنى شك، وعلى الرغم من عدم توفر أية وثيقة عربية، فإن الاسم كان «الحلقة»، وكتب بالطريقة التي كان كل شخص يمتددها أكثر مطابقة للنطق. فهذا اللفظ فقد شيئاً فشيئاً بنطقه بالنسبة غير عربية الحرف الأول «الحاء» وصار في النهاية *Alga*. واستخرج فازيللو، العشرة الأولى، الكتاب الثامن الفصل الأول، من الأوراق القديمة موقعه واسمه وكذلك مناه الصحيح، على الرغم من أنه كتبه بطريقته *Khalca* واستخدم خطأ هذا الاسم نفسه على الخالصة أو *Khalca*، أما كاشيني ومن ثم مورسو، *Palermo antico*، ص ٢٢٨، ص ٢٢٠ فقد وقعوا في خطأ مختلف حيث يريان أن *Chalca*، إلح اسم مشتق من صفة عربية تعني عالي.

(1) جوليلمو دي بوليا وأمانو.

القمح في حالة الحصار الذي كان متوقفاً بالتاكيد وسط هذا الكم الهائل من المسلمين الذين لا يمكن السيطرة عليهم إلا بالقوة المباشرة والمستمرة (1). ويرى أمانو إنه عندما كان روبرتو يراقب ذات يوم الأعمال الجارية في الحلقة لاحظ أن كنيسة سانتا ماريا الصغيرة، جرداء متمسكة وتبدو كأنها أحد الأفران بين قصور السراسنة الكثيرة والرائعة؛ فأطلق زهرة وأمر في الحال بسرعة هدمها وإعادة بنائها بشكل لائق بحجارة مربعة الشكل ومن المرمر دون الالتفات للتكاليف (2). ويبدو أنها كنيسة سانتا ماريا ديللا جروتا، والتي تقول مذكرات صقلية الكنسية إن روبرتو جويسكاردو هو الذي بناها، وملحق بها دير باسيلى وأمالك في أراضي مازارا (3)؛ وربما تكون هي نفسها الكنيسة التي أطلق عليها فيما بعد كنيسة اورشليم.

(1) في حوالي عام ١٨٢٦ وأثناء تمهيد أرض مهادن القصر الملكي، تم الكشف ثلاث أو أربع حفر كبيرة للغاية وعميقة لتخزين القمح وكانت مشيدة على شكل ثمرة الكمثرى.

(2) الكتاب السادس - الفصل الثالث والعشرون. وهما المصادر المعاصرة الخاصة بعملية بناء قلعة الحلقة والبحر.

جوليمو دي بوليا. الكتاب الثالث

*Munia castrorum fecit robusta parari,*

*Tuta quibus contra Siculos sua turba maneret,*

*Addidit et puteos, alimentaue commoda castris.*

*Obsidibus sumptis aliquot, castris due paratis.*

وملائكياً. الكتاب الثاني. الفصل الخامس والأربعون. أمانو الكتاب السادس. الفصل الثالث والعشرون: أنونيمو و *Duo fortissima castra, alterum juxta mare*

*alterum in loco qui dicitur Galea* (وتسمى بوليا *Gelca*). في كتاب كاروزو. Bibl. Sic. ص ٨١٦ وفي الترجمة الفرنسية الكتاب الأول. الفصل الثاني والعشرون.

ويشدد أمانو وملائكياً عن قلعة واحدة، وهي بالتأكيد «الحلقة» لكنها الأهم. (3) بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٦٩ و ١٢٦٩.

ونوه بيرو أيضاً في الموضوع الأول المذكور إلى كنيسة القديسين بطرس وبولس بجوار قلعة كستلا ماري في بالرمو، والتي تم تشييدها بأمر من روبرتو وانتهى العمل منها عام ٦٥٨٩ (١٠٨١) كما كان يشهد بهذا أحد النقوش اليونانية. إذن فهما الكنيستان المخصصتان للمقيمين بالقلعتين.

إن امتياز منح الأملاك المذكور في أراضي مازارا تم بدون شك قبل التقسيم النهائي للجزيرة، والذي كانت فيه مازارا من نصيب الكونت روجيرو.

ولم تبق هيئتها القديمة أو زخرفتها بالفسيفساء بسبب تدميرها في زمن فاتزيلو (1).

وبعد أن زود روبرتو القلاع بالرجال والأسلحة والإمدادات (2)، ترك لفارس من فرسانه حكم المدينة ومنحه لقب أمير وهو ما يتلاءم مع مدينة مسلمة؛ وقام بإطلاق سراح الأسرى البيزنطيين في باري (3) وسمح لأخيه بأن يأخذ بماله الرجال الذين أرادوا البقاء في صقلية بحثاً عن الرزق؛ وكان عددهم قليلاً على الرغم من أن روجيرو كان يفرضهم بالمطايا والوعود (4). وقبل أن يرحل جويسكارديو وجد طريقة يفرض بها ضريبة لم يكن متفقاً عليها من قبل؛ فقد دعا إليه كهراء المدينة وشكا إليهم بلا حياة ما تكبد من مصروفات كبيرة أثناء الحصار. وما فقد من فرسان كثيرين وخسائر أخرى كثيرة عانى منها بسبب سكان بالرمو؛ وطلب منهم مالا فقاموا بدورهم بمنحه مالا وأشياء ثمينة. وحمل بها السفن؛ وصعد إليها رجاله والرهائن من أبناء أعيان المدينة ورحل (5). ونحن نعلم أنه جاء إلى ترويا دي بوليا بأبواب من الحديد وأعمدة بتيجانها استلبها من بالرمو (6). وهناك

(1) فاتزيلو. العشرة الأولى. الكتاب الثامن. الفصل الأول. والعشرة الثانية. الكتاب السابع. الفصل الأول. ونقول وقائع أمالفي *Cronaca Amalfitana*. في كتاب موراثوري *Antiq. Ital.* الجزء الأول ص 211. ويذكر روموالدو سالرنيتانو عام 1076 أن روبرتو انتهى من العمل في كنيسة المعزاء مريم في بالرمو في ذلك التاريخ تقريباً.

(2) أماتو. مالاتروا. جوليلمو دي بوليا. المواضع المذكورة.

(3) جوليلمو دي بوليا. الكتاب الثالث

*Reginam remeat Robertus victor ad urbem;*

*Nominis ejusdem quodam remanente Panormi*

*Militie, qui Siculis datur Amiratus haberi.*

ولا يبدو أن لفظ *Amiratus* هنا قد استخدم للدعاية السيئة. لأنه عندما أقيم الهياط النورماندي في بالرمو لقب رئيس الوزراء والقائد العام بهذا اللقب كما سندكر في حينه.

(4) مالاتروا. الكتاب الثالث. الفصل الأول.

(5) أماتو. الكتاب السادس. الفصل الثالث والعشرون ص 181. راجع جوليلمو دي بوليا. الكتاب الثالث.

(6) *Chronic. Amalph.* في كتاب موراثوري. *Antiq. Ital.* المجلد الأول. ص 212.

روموالدو سالرنيتانو. عام 1076.

عطايا عديدة قدمها روبرتو تعود إلى نفس الأصل وقد تبدو اليوم مجموعة من الآثار القديمة أو نصيب أحد أفراد عصابات سرقة الآثار، عندما نقرأ في كتاب ليوني دوستيا أن جويسكاردو أهدى ذات مرة إلى دير مونتى كاسينو ستعانة بيزنطة من الذهب والفي تاري إفريقي وثلاثة عشر بفلاً وثلاثة عشر من السراسنة وبساطاً كبيراً؛ ثم عملات أخرى استغيفيه وبيزنطية وتاري وعملات من أمالفي ومقلاتية وستارتين من الطراز العربى وأنية من البللور وأردية ومعاطف: مع هذه الأشياء الرقيقة والدقيقة، وثائق تنازل عن أراض وقلاع، والعشور من صيد الأسماك هي تارنتو بل أيضاً العشور على بعض الأعمال الحرفية<sup>(1)</sup>. ويبين الثمين من هذه العطايا ويدل على عصور المفاوضات التي قام بها رئيس دير مونتى كاسينو لصالح روبرتو؛ ومن الواضح أن تلك الغنائم الشرقية كانت تأتي من بالرمو. ولنا أن نتخيل كم كان كثيراً ومدمهاً ركام الثروة التي قام بنهبها جيش روبرتو، وكم كانت فرحة الرهبان وهم يتقنون بمدح الظاهر الصالح، الأداة الحقيقية للعناية الإلهية.

وقد عجل احتلال بالرمو من نكية كبار الإقطاعيين في البر الإيطالي الذين. كلما تذكروا المساواة القديمة بين القادة، لم يكن بمقدورهم أن يقتنعوا كيف أن لقب دوق ووثيقة صادرة عن المكتب البابوي نصّباً عليهم سيداً وفرضاً عليهم الالتزام بالخدمة العسكرية ودفع مساهماتهم في الأمور الإقطاعية. وواجه روبرتو المستائين بثبات فقد قام باستدعاء الكونتات جميعاً إلى ميلفى، العاصمة الإقطاعية القديمة؛ حيث اجتمع الراضون في الموعد المضروب ليعبروا له عن سعادتهم بالنصر. ورفض الأوصياء على كونت ترانى الذهاب كما رفضوا قبلأ إرسال جندهم للحرب. وتحرك على الفور روبرتو ضدهم، وبعد حصار قصير استولى على ترانى وعلى مدن

(1) ليوني دوستيا، الكتاب الثالث، الفصل الثالث والخمسون. وقارنه بكتاب امانو، الكتاب الثامن، الفصل الخامس والثلاثين.

وأراض أخرى. وعادت المقاومة، التي كان يسميها تمرداً، لتتجدد مرات عديدة فيما بعد وذلك حسب الحالات والأمال أو النكبات. وقد أثرت ضجة كبيرة عندما طلب النوق، وهو يستعد للتزويج إحدى بناته لأوجو ابن المريكز ديمستي، من التاهمين مساعدته في دوة المروس، حسب التقاليد الإقطاعية (١٠٧٧). كما ثار في (١٠٧٧ - ١٠٧٩) أبناء أونفريدو وهم أبناء أخ روبرتو القُصّر الذي نهبهم. ولكن روبرتو كان ينجح دائماً في إخفاء تلك الحركات المفككة وقليلة العدد.

وكان عليه أن يجاهد كذلك ضد الأسرة النورماندية في كابوا حيث استثار الأمير ريكاردو أعداءه ضده أثناء حصاره لبارمو؛ وظلت الاعتداءات والمفاوضات والاتفاقيات بين الفريقين تتعاقب حتى وفاة ريكاردو وطوال فترة حكم ابنه جوردانو، تعاقبها بين داهيتين يعرف كل منهما قدر الآخر. وبين رجلين قويين يخشى كل منهما الآخر. إلا أن روبرتو عرف كيف يُرجح كفته أكثر من منافسه. ولقد دفعت الثمن الأسرة الحاكمة اللونجوبارديّة في سالرنو: لأن جيزولفو شقيق زوجة روبرتو لثقت الزائدة بأمير كابوا وبالبابا وجد نفسه وقد تخلّى عنه فجأة بمفرده وسط المخاطر. واتفق روبرتو وريكاردو معاً وقدم له يد المون في عملية نابولي (١٠٧٨)، التي باءت بالفشل بسبب قدرة تلك الجمهورية وشجاعتها. وبهذه الطريقة توارث الإمارة اللونجوبارديّة القديمة في سالرنو (١٠٧٧). وباسم الدفاع عن حقوق الإنسانية كان جويسكاردو يتوسط لدى جيزولفو لمصالح ضحايا الطفليان من أهل أمالفي، وعندما لم يجد أذناً صاغية إليه، ذهب لحصار سالرنو - كما يقول أماتو<sup>(1)</sup> - ومعه جيش كبير من اللاتين واليونانيين والسراسنة؛ ومن هنا نرى أن المنتصر على بالرمو لم يتوان في استخدام جيوش رعاياه الجدد. واستولى على سالرنو بعد حصار للمدينة طالت مدته

(1) الكتاب الثامن، الفصل الثالث عشر.

ثم حصار القلعة، حيث ألقي القبض على جيزولفو، وخبره بين امرين، إما أن يتنازل عن دولته بأكملها وإما أن يقضى حياته مسجوناً في قلعة بالرمو؛ وحتى يزيد من إقناعه أمر بتجهيز الأغلال والسفينة(1)، وبعد أن تغلب الأمير جيزولفو عن الناج وتجرد من كل شئ سعى للجوء إلى بلاط جريجوريو السابع.

منذ الأيام الأولى لتتويجه (١٠٧٣) أجرى الدبراندو مباحثات مع روبرتو، إذ إنه كان يريد بجانبه بينما كان على وشك أن يخوض معركة حق التنصيب الكبرى. وكان لتمالي البابا الكبير ومكابرته وعدم معرفته الجيدة لروبرتو وللأحوال في ذلك الوقت من ناحية، وللمطالب بالفضل(2) لذلك لجأ جريجوريو، بعد صدور قرار حرمان الدوق (١٠٧٤)، إلى إثارة ريكاردو وجيزولفو التمس ضده، وكان من قبل قد حث الكونتيسة المخلصة ماتيلدا على إرسال جيش كبير لينضم مع قوات كايوا وسالرنو حتى يقضوا على أسرة هوتشيل في إيطاليا(3)، وهو تحالف خيالي لا يقبل التنفيذ على أرض الواقع ولو كان الدبراندو قد اعتمد عليه لكان معنى ذلك أنه لم يكن يعيد النظر في الأمور السياسية. وعندما عبر أريجو الرابع إلى إيطاليا، حدث أنه بينما كان البابا يهين الإمبراطور ويسبه في كانوزا، عزل روبرتو، بالاتفاق

(1) ذكر أمانو هذا في الكتاب الثامن، الفصل التاسع والعشرين.

(2) نستخلص أخبار أولى المباحثات بين جريجوريو السابع وروبرتو من كتاب أمانو، الكتاب السابع، الفصل العاشر عشر، وإن كان المزور لم يذكر موضوع المفاوضات، وهو الذي كان يستطيع معرفتها جيداً، ويفترض أنها انقطعت لأسباب شكلية تتعلق بالمراسم وهو أمر بعيد عن الحقيقة، ويقول أمانو إن البابا عندما ذهب إلى بنقنتو كان يريد أن يأسى روبرتو للتفاوض في المدينة؛ وكان الدوق يفضل التفاوض في معسكره في الهواء الطلق. وأشار أمانو بكل دقة إلى التاريخ فائلاً: إنه عند ارتقاء الديبراندو، وكان روبرتو مريضاً مريضاً خطيراً في باري، ذاع في روما نبأ موته، فأرسل البابا تمانيه إلى زوجته ثم لتهنئته بالشفاء وبعد ذلك هدأت المفاوضات. (الكتاب السابع، الفصلان السابع والثامن).

(3) أمانو، الكتاب السابع، الفصل العاشر والثاني عشر والثالث عشر.

مع ريكاردو، أمير سالرنو وجردّه تماماً، كما أشرنا. ثم بدأ يتفاوض مع أريجو نفسه. وهدد بنقنثو التي كانت تأخذ جانب البابا؛ وبين لجريجوريو بطرق كثيرة أنه أعلم منه بأمور العالم. وعندما استهبط جريجوريو من أحلامه وعاد إلى الواقع أجرى محادثات مع روبرتو (١٠٨٠) والفي الحرمان وباركه ووافق على احترام أراضي الدوق، ومنحه لقب فارس سان بيتر. ويُقال أيضاً أنه وعده بالإمبراطورية الغربية.

وساعده على احتلال الإمبراطورية الشرقية التي تحول روبرتو ضدها؛ وكان لا يعترف بأي عقبات لا ينتصر عليها العقل والشجاعة. وقد أدى احتلال نيتشفرو بوتونيا إلى إنزال الإمبراطور ميكلو دوكا من على عرش القسطنطينية ونقله إلى أحد الأديرة؛ وقيل إن ابنه قسطنطين قد أصيب، أما زوجته الشابة، ابنة روبرتو فقد أودعت السجن. وأذاع روبرتو أنه يريد الانتقام لابنته ويميد حماها إلى العرش. واستغل غضب المحاربين النورمان المشتعل بسبب سجن ابنته، الذي عدوه وصمة عار قومية، فجاء إلى اليونان ومعه جيش وأسطول حربي. وبعد أن أطاحت به العاصفة (١٠٨١) وهزمه في البحر أسطول ثيسيا، تشبث بحصار دورانتزو. وانتصر على الإمبراطور البيزنطي الجديد السيو كومنينو، الذي أراد أن يشن عليه هجوماً في ممسكوه؛ وفي النهاية حصل غدرًا على بورانتزو (١٠٨٢). وترك ابنه بويمونديو ليستمر في الحرب في اليونان؛ وعاد إلى إيطاليا حيث كان البارونات قد أخذوا في رفع رؤوسهم؛ كما أخذ الإمبراطور أريجو في تهديده، فقد ساعده الإمبراطور البيزنطي بالمال، حسب المصالح المشتركة آنذاك، ودخل روما في (٢١ مارس ١٠٨٤) واستمال أو قام بشراء كثير من المواطنين ذوي النفوذ وحاصر الديبراندو في قلعة سانت أنجلو. وطلب البابا المعون من فارس سان بيتر الجديد بعد أن وجد نفسه وقد هجره المواطنون وكثير من الكرادلة، وبعد أن نفذ ذهب الكنائس وهضتها. وأسرع الفارس



لمعاقبة إمبراطور الغرب، كما فعل منذ قليل مع إمبراطور الشرق عند دوراتزو. ولكن أريجو (في مايو ١٠٨٤) رحل قبل وصول جيش الجنوب بثلاثة أيام وكان يتألف من: ستة آلاف فارس وثلاثين ألف جندي مشاة، ما بين نورمان ومن بوليا وكلايريا وسراسنة صقلية، وكانوا جميعهم يتوقفون، كما يمكن أن نقول، إلى تعزيز سلطة البابا في عاصمة العالم الكاثوليكي. وكان الإيطاليون يأتون ضد الإيطاليين وكذلك أجاناب يأتون ضد أجاناب ليمزقوا بعضهم بعضاً بين أطلال روما المظيعة، بسبب مشكلة من بين آلاف المشاكل التي ولّدها البابوية، من قبل وحينئذ وفيما بعد؛ ولم تجد لها حضارة القرن التاسع عشر حلاً بعد، ولن تجده حتى يتم اقتلاع بذرة الشر من جذورها. وقد ترك الصليبيون المسيحيون وكذلك المسلمون آثاراً كثيرة مازالت بادية للعيان. دخل روبرتو روما دون إراقة دماء ولكن ببناء، وسرعان ما ظهرت الفتة والاضطرابات ضده، وأسرع رجاله يحملون السلاح؛ وصرخ روبرتو أشعلوا النار هنا، واشتعلت النار في روما وساعدتها الرياح على القضاء على كل شئ بين لائرانو والقلمة حيث كان البابا حبيساً، وراح الجنود، في ركاب النار، يمتدون على المواطنين، ويقتلون، وينهبون، ويفتصبون النساء، حتى في الأديرة (٢٩ مايو). وأجبر أهل روما بعد السيف والقتار التي أضرمها روبرتو على الاتفاق مع البابا؛ وبعد خروج جريجوريو السابع من القلمة، لم يجرؤ على البقاء في المدينة الجريحة؛ وتركها إلى سالرنو(1) مع محروم النورماندي حيث وافته المنية بعد عام واحد (مايو ١٠٨٥). وظل روبرتو خلفه؛ وبعد أحداث روما عاد روبرتو إلى اليونان بجيش جديد وبأسطول جمعه من بوليا وكلايريا وصقلية(2) وأحرز نصراً بحرياً عظيماً في مياه كورفو على أسطول القسطنطينية وشمسيا، وأشاء

(1) هارن بين: كتاب لاندولفو *Histor. Mediol.* طبعة برتز، *Scriptor*، المجلد الثامن، ص ١٠٠ وبخاصة مع المصادر المعاصرة الأخرى.

(2) هذه التفاصيل ذكرها مالاثير في الكتاب الثالث، الفصل التاسع والثلاثين.

خوضه الحرب في تشيفالونيا أصابته حمى أودت بحياته (١٧ يوليو ١٠٨٥). وبعد أن فارق الحياة عاد جيشه وأسطوله على الفور إلى إيطاليا. وحاقت الأخطار بدولته في بوليا وكلايريا، لأن روبرتو كان قد منح الحكم لابنه روجيرو، من الأميرة سيكلجاتا وهي أميرة من سالرنو؛ ولهذا فإن بويموندو ابنه البكر من زوجته الأولى التي طلقها، وهو مقدم كآبيه، ولكنه أحمق، تنازع على الخلافة مع روجيرو؛ وكانت أسرة هوتشيل، بل حكم النورمان في إيطاليا سيتعرض إلى مخاطر كبيرة لولا وجود روجيرو الآخر، كونت صقلية وكلايريا وهو يحن في المرتبة الأولى بين أفراد عائلته لقوته وراثته وصيته(1).

---

(1) الأحداث المذكورة دون استشهادات بعد هودة روبرتو من صقلية إلى البر الإيطالي، مأخوذة من: مالاتيرا، الكتاب الثالث، ومن جويلمو دي بولها، الكتاب الثالث والرابع والخامس، ومن أنونيمو في كتاب كارويزو، Bibl. Sic. ص ٨٤٦ وما بعدها. أما أماتو فلم يصل بالحديث إلا إلى وفاة ريكاردو أمير كابوا. قارن بالنسبة للترتيب التاريخي بين موراتوري، Annali، من عام ١٠٧٢ إلى ١٠٨٥ وجيهون Decline and Fall النسل السادس والخمسين.

## الفصل السادس

وبينما كان روبرتو يقوم بتوسيع حكمه وتدعيمه في إيطاليا الجنوبية، كان روجيرو يتقدم بخطوات حثيثة في صقلية. وقد ذكرنا منذ قليل كيف أنه جمع بصموية قلة من الجنود المغامرين أو المرتزقة في جيش أخيه؛ وضغط على أغلبهم للمودة إلى البر الإيطالي لإعادة تنظيم أملاكهم الإقطاعية والمشاركة في منازعات روبرتو كأصدقاء أو خصوم. وكانت أملاك روجيرو في كلابريا، وهي إقليم بيزنطى غير معناد على الإقطاع قادرة على تقديم مساعدات قليلة من الرجال والمال. أما أملاكه في صقلية فكانت تقدم ما هو أقل. وعلى اعتاب عام ١٠٧٢، كانت صقلية تنقسم إلى ثلاث مناطق متوازية. المنطقة الأولى تمتد من مسينا إلى بالرمو بطول المنحنى الشمالى لسلسلة جبال الأبنين الصقلية، وكانت تابعة لروبرتو(1)، والثانية بطول المنحنى الجنوبى للسلسلة الجبلية نفسها، وكانت خاضعة لروجيريو، والثالثة ومساحتها تساوى مجموع مساحة المنطقتين الأخرتين وكانت تحت هيمنة المسلمين؛ فإن روجيرو كان يحتل منها كنانيا ومازارا عند الطرفين الشرقى والغربى، وفي مقابل هذا، كانت تاورمينا وتراپانى عند طرفيه منطقته، معقلين قويين، للمسلمين. إذن فقد كان إقليم روجيرو غير آمن بسبب تلك الحدود الممتدة التى كانت تتطلب وجود حاميات في كل بقعة، فكانت الثمار التى يستطيع

(1) اعتقد أنه يجب أن نستثنى ذلك الجزء من الساحل الذى يمتد من كارونيا، عند الحدود الغربية لغال ديمونى، حتى نهر سان ليوناردو أو نهر ترمينى كما يطلق عليه، والذي نرى أنه الحدود الشرقية لأراضى بالرمو في عام ١٠٩٣. ولكن يروى لنا المؤرخون أن روبرتو أخذ لنفسه غال ديمونى وبالرمو؛ وليس من المعتمد أن يكون روجيرو قد تنازل عن أراضى تشيفالو وعن كل هذه المنطقة التى لم تكن تابعة لوادى ديمونى أو لبالرمو. فقد غاض فيها لسنوات طويلة وهو يقتحم الساحل الشمالى من طريق وادى إيمبرا.

سيده اجتماعها منه قليلة. يضاف إلى ذلك أنه، لارتباط مصبىرى الشقيقتين ارتباطاً لا بنفسهم، كان على روجيرو أن يقاتل من حين إلى آخر في البر الإيطالي إلى جانب الدوق، كما حدث عام ١٠٧٧، عندما طلب منه روبرتو أن يحاصر في سان سفرينو ابن أخيه أبلاردو، نصير أمير سالرنو(1)، كما أجبرت أحوال كلابريا روجيرو على التردد عليها باستمرار وأبعدته عن العمليات الحربية في صقلية(2). كانت المنطقة المسلمة قادرة على المقاومة طويلاً. وهي الحقيقة أنه منذ عام ١٠٦٢ أدى تقسيم الإمارة إلى عدم مواجهة النورمان بكل قوى الجزيرة؛ وجعل الأعداء يجدون لهم أعواناً هنا ومشاهدين سعداء بانتصاراتهم هناك؛ وأصاب ابن خلدون حين قال(3) إن محتلى تلك الولايات الصغيرة وقعوا في خطأ مواجهة الكونت الواحد منهم تلو الآخر؛ وأن الكونت كان يحرضهم في شقاقهم، فاختضعهم متفرقين وسلب منهم صقلية معقلاً معقلاً. وبينما كانت الفرقة تضعف الهيئة السياسية بشكل لا يمكن إصلاحه، فإنها كانت في الوقت نفسه تبعث هنا وهناك قوة مرضية في الأطراف: فقد تقوى كل فرد من هؤلاء المحتلين بالأسلحة والقلاع، لا يثق إلا في الله وفي نفسه. وكان عندما يسقط جاره يتسهم أو يصيبه الهلع. ولم يصيبهم بالخوف احتلال بالرمو، الذي كان يعد بمثابة انتصار للنورمان في الحرب، لو أن صقلية كانت دولة واحدة. واستسلمت مع العاصمة مازارا فقط؛ أما المدن الأخرى أو الإمارات (فمن الصعب تمييز الولايات التي ظهرت وسقطت في دوامة الحروب القومية والأهلية) فقد استمرت في الدفاع عن نفسها، كما فعلت من قبل، دون مساعدات بالرمو.

بل إن احتلال كاتانيا أيقظ مسلمي قال ديموني من سباتهم الذي

(1) مالاتيرا، الكتاب الثالث، الفصلان الرابع والخامس.

(2) مالاتيرا، الكتاب الثالث، الفصل العاشر.

(3) في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ١٩٧.

دام عشر سنوات وهم الذين احتفظوا بقوتهم كاملة بانضمامهم إلى روجيرو؛ وقد أبلوا بلاءً حسناً بقيادة شخص يُدعى بنارثت أو بنارثت(1) الذي لم تتحدث عنه الحوليات العربية، أو شاعر صقلية العربي الكبير، ابن حمديس، الذي عاش في ذلك الوقت بالرغم من أنه كان يذكر دائماً وبفخر شجاعة فرسان سيراكوزا وإقدامهم؛ ولكن ربما كانت هناك عداوة شخصية جعلته يظلم آخر بطل مسلم صقلية(2). لذلك فنحن مضطرون أن نستخرج بطولات بنارثت من بين الوقائع النورمانية المتكيفة، التي تعد الكتابة المعاصرة الوحيدة التي بقيت لنا عن هذه الفترة الأخيرة من فترات الحرب الصقلية. كما أننا مضطرون كذلك أن نأخذ عن الوقائع نفسها كل الأحداث التفصيلية الأخرى. أما الحدث العام فهو أن المنطقة المسلمة صارت مدججة بالسلاح، وانتشرت فيها القلاع التي كان السادة يتخذون منها فرسان روجيرو ويعدون الجماعات للإغارة على المنطقة الخاضعة له والسلب منها. وكان روجيرو، قائد الفرق قليلة العدد غير المؤهلة لتحمل الحصار، يقوم بتعويض قلة العدد بالشجاعة، والصمود، واستعمال العقل وقوة الشخصية. وهي قدرات زادت أضعافاً مضاعفة - كما يؤكد مؤرخ البلام، - عندما تأكد له وبناء على معاهدات جديدة أن ثمره جهد سكون له شخصياً وأنه غير ملزم بأن يتقاسم الفنائم مع روبرتو(3).

بهذا كله وليس بغيره من الأحداث كان ينصرم العام الأول لاحتلال بالرمو. ونعلم فقط أن روجيرو قد قام في عام ١٠٧٣ بتحصين قلعة في مازارا ليخضع سكان هذه السهول وأخرى في باترنو ليجتاح سفوح

(1) اعتقد ريسكي، حوليات أبو الغدا، المجلد الثالث، ملحوظة ٦٦٠، أنه وجد في هذه الكتابة الخطأ الموجودة في الوقائع المسيحية اسم ابن الوردى؛ وثبته في ذلك ونريش، ولكن ذلك التصويب لا يبدو لي أكيداً على الإطلاق.

(2) انظر الكتاب الرابع، الفصل الرابع عشر صفحات ٥٧٧، ٥٧٨ من المجلد الثاني.

(3) ملاحظاً، الكتاب الثالث، الفصل الأول.

جبل إتنا(1). وفي عام ١٠٧٤ قام بتجهيز معقل كالاشييتا المقابل لكاستروجوفاني وأمدّه بالفرسان والأسلحة والمؤن، بهدف ضرب الريف بشراسة حتى تستسلم له كاستروجوفاني، وتسقط مع سقوط تلك القلعة آمال كل مسلمي الجزيرة(2). ولم يحدث في العامين التاليين ما هو جدير بالإشارة إلا عمليتان حربيتان كبيرتان للمسلمين، والشجاعة والإقدام اللذين استطاع بهما روجيرو أن يستعيد السبق فيهما. ولعل مسلمي صقلية، الذين كان يطاردتهم الحظ المناوئ، قد لجأوا لطلب العون في ذلك الوقت مرة أخرى من إفريقية واستجاب لطلبهم مرة أخرى آل الزيري. ففي شهر يونيو من عام ١٠٧٤ قام أسطول تميم، بعد أن دار حول صقلية، بالانتقاض فجأة على نيكوترا في كلابريا؛ وأخذ منها أسرى وجمع الغنائم وأشعل النار في الأرض، ثم رد الأسرى بعد دفع الدية، وعاد إلى إفريقية. ثم عاد إلى بحار صقلية خلال عام ١٠٧٥، وأنزل رجاله في مازارا وحاصروا القلعة لمدة ثمانية أيام. بفرض واضح وهو أن يمسكوا بزمام المدينة؛ وتم استدعاء روجيرو عن طريق الرسائل، فأسرع ومعه حفنة من الرجال المسلمين ودخل القلعة ليلاً، وفي صباح اليوم التالي خرج من القلعة واشتبك مع الأفارقة في الميدان أسفل القلعة ودفعهم نحو البحر بعد مذبحة كبيرة وبعد أن أخذ منهم أسرى كثيرين(3).

وبعد هذه العملية نرى الحرب تدور سجالاً بين الطرفين. ظهر

(1) مالاتيّرًا، الكتاب الثالث، الفصل الأول، يكتب *ad infestandum Catanam* ونستخلص أنه ربما يكون قد احتل كاتانيا عام ١٠٧١ واحتفظ بها لنفسه عام ١٠٧٦ ويبدو لي أنه يقصد اجتياح الريف.

(2) مالاتيّرًا، الكتاب الثالث، الفصل السابع.

(3) مالاتيّرًا، الكتاب الثالث، الفصلان الثامن والتاسع، قارن بين: أنونيمو في كتاب كلروزو، Bibl. Sic. ص ٨١٧، والرابع كورادو، عام ١٠٧٥، ولويو بروتستاريو ١٠٧٦، الذي يذكر إنه أسر ابن أخ ملك إفريقية في مازارا ومعه ١٥٠ سفينة؛ ولكن هذه الرواية تتناقض مع رواية مالاتيّرًا وهي أجدر بالثقة.

بناهرت، كما يبدو، في انتفاضة وادي نوتو، وكانت له القيادة على سيراكوزا والإقليم كافة، وكان يجمع منه القوات البرية والبحرية(1) ويحسن استخدامها بشكل جعل روجيرو نفسه يبجله وجعله جديراً بما قاله المؤرخ النورماندي في مدحه بأنه داهية عظيم، جسور ومقدام وقائد خبير. وبارع في الخدع والحيل الحربية(2). وكان الكونت قد قام بتنظيم مجموعة من المحاربين المقيمين، بقيادة جوردانو، ابنه غير الشرعي، وكان شاباً جميل الطلعة، قوي البنیان وباسل من بين البواسل. ولما اضطر روجيرو في ذلك الوقت إلى العودة إلى ميليتو في كالابريا، ترك أوجو دي جيرسي نائباً عنه في صقلية، وهو من عائلة نبيلة جداً من ماين، وزوج إحدى بناته وإقطاعي، كما يبدو، من كثنانيا(3). وأوصاه أن يبقى دائماً في مكانه يدافع عنه والا يثيره أي تحرش فيسرع بالتحرك ضد بناهرت. ولكنه لم يكتثر لتلك التحذيرات، فقد كان يسيطر عليه فوران الشباب والطموح العسكري، وأراد أن يحاول، فذهب لزيارة جوردانو في ترائنا الذي كان لا يقل طموحاً عنه وجذبه ومعه الجنود المقيمين. ولكن عندما نما إلى علم بناهرت خبر تلك الاستعدادات، سبق الشايبين النورمانديين في التحرك، فذهب بجماعة قوية من الجيش ليتخذ موقعه في غابة بالقرب من كثنانيا كان يطلق عليها مورتيللوتو؛ وأرسل ثلاثين فارساً للنهب حتى أسوار المدينة ليخرجوا أوجو دي جيرسي، الذي كان يدفع، كما كان يعتقد، حيلة بحيلة أخرى، فدفع ضد المتحرشين

(1) انظر فيما بعد معركة عام ١٠٨٥ البحرية في نيكوترا.

(2) مالاتيرا، الكتاب الثالث، الفصل العاشر والفصل الثلاثون.

(3) يسميه مالاتيرا *Hugo de Circaza praelari generis a Cenomanensi provincia*؛ وسميه أنونيمو *Hugo de Brachie*؛ في كتاب كاروزو، Bibl. Sic. ص ٨١٧ والترجمة الفرنسية ص ٢٩٨. *Hugo de Brachie*، ويقول إنه زوج ابنة الكونت. قارن بين: دوكانج *Les familles normandes* في طبعة اماتو، *Champollion*، ص ٢٥٧. وكلمات أنونيمو *quem dominum Cathaniae praefecerat* تجعلنا نفترض أن أوجو سيد إقطاعي على كثنانيا.

المسلمين بطليلة قوامها ثلاثين فارساً، وكان يتبعهم عن بعد ومعه جوردانو والجانب الأعظم من رجاله. ولكن بناهزت فطن للخطة فترك طليعة الجيش النورمانى تمر فى سلام، وعندما وصل جيش أوجو انقض على الفور. عندئذ جاء عدد المسلمين أو تخطيطهم العسكرية بالنصر. وبعد أن قاتل أوجو بهسالة كبيرة فاضت روحه ومعه أغلب رجاله. وفر جوردانو بمشقة مع من تبقى من رجاله إلى كتانيا؛ أما الطليعة، فبعد أن تم عزلها عن بقية القوات أخذت تبحث عن ملجأ لها فى القلعة النورماندية فى باترنو، وجاء بناهزت منتصراً بأولى غنائمه من النورمان إلى سيراكوزا.

وعندما علم روجيرو بما حدث، تحرك نحو صقلية لينتقم وليطمئن جنوده الذين كانوا يترنحون. وجاء بقوات عظيمة لم يجزؤ بناهزت على مواجهتها فى الميدان، وفى صيف ١٠٧٦ بدأ باحتلال قلعة على جبل يوديكا يسد سهل كتانيا الواسع الخصيب من جهة الغرب، ودمر القلعة وقتل الرجال بالسيف؛ وأرسل النساء والأطفال ليبيهم فى كلابريا. واندفع إلى الأجزاء الجنوبية فى وادى نوتو وظفر بفنائم كثيرة، وأحرق الغلال المحصودة وتسبب فى وقوع خسائر ضخمة كان من نتيجتها أن عانت صقلية فى العام التالى من الجوع<sup>(2)</sup>.

(2) مالانير، الكتاب الثالث، الفصل العاشر: انونيمو فى كتاب كايوزو، Bibl. Sic. من ٨٨٨؛ الراهب كورابو، عام ١٠٧٦.

توجد رواية محلية، وبمشاركتها بكتابة من القرن السادس عشر. ولا نعرف إذا كانت قائمة على الرواية نفسها، قد تدعو إلى الاعتقاد أن قلعة يوديكا أو زوشكا قد دمرها شعب كلتاجيرونا، وهى جماعة تابعة لجنود كانت قد ساعدت بقواتها الكونت روجيرو. وسوف اتحدث فى حينه عن أهل كلتاجيرونا المحتمل أن يعود إلى جنود، وهى الحقيقة، نذكر الرواية وكذلك الكتابة المذكورة التى ترجع للقرن السادس عشر والتى نقلت فى مخطوطة مزابا مدينة كلتاجيرونا من الورقة ٦٠٢ إلى ٦٠٩، تحت عنوان *Chronica Phseudorum Hamapetri* أن رجال كلتاجيرونا قاموا باحتلال يوديكا فى زمن الملك روجيرو الذى تمرد عليه أولئك المسلمون؛ فبعد الملك، الذى لم يجد طريقة أخرى لإخضاعهم، بمنح الأرض لمن يتمكن من انتعاش القلعة. ونجح فى انتعاشها أهل كلتاجيرونى بخيانة قامت بها إحدى المواطنات، كان قد حبسها الحاكم المسلم عنوة؛ فقد أمرت ذات ليلة ومعها إخوانها بفتح أبواب القلعة، فاقترب رجال كلتاجيرونى



وقد ساعد على ذلك بالتأكيد ما سببه المسلمون من خسائر في منطقة روجيرو لم يتحدث عنها مالاتيرا كالمعتاد .

ولأن روجيرو لم يرد التعداد في محاربة بناهوت في قلاع وادي نوتو، فإنه قام في شهر مايو من العام التالي، ألف وسبعة وسبعين، بالهجوم على ثراباني غربي منطقته: طرابلاس، كما كتبها مالاتيرا، مراعيًا بأمانة النطق العربي الذي كان يخلط بين اسمها القديم دريانوم واسم طرابلاس. وخرج بقوات غير معتادة، حتى أنهم أطلقوا عليها جيشاً واسطولاً حربياً، أسطولاً لم يتم الإسكندر الأكبر بتجهيز أسطول أجمل منه أبداً. هكذا يشدو مالاتيرا إعجاباً به. ويمبر عن فرحته بهذا المشهد الجديد في فقرة شعرية. ويصف فيها هدوء البحر، والرياح المواتية والقلاع المنشورة، وابتهامة النسمة والحظ واصوات الأبواق، ونغمات المود وقرع الطبول. ويصف من ناحية أخرى الفرسان الذين يركضون فوق الجبال والوديان بقودهم روجيرو بنفسه وآلاف البيارق فوق الرماح وبريق الخوذ والفروع المرصعة بالذهب، وصهيل الجياد وما يعكسه من أصداء: صوت مفزع وصورة

المسلحون، ودخلوا القلعة ودمروا كل شئ وفازوا بالأرض التي وعدهم بها الملك. وهذا الحدث الذي وقع أثناء حكم روجيرو الملك، لا يمكن التسليم به: خاصة أن إقطاعية بوديكا، وإقطاعية فتانزيتو التي ضمت إليها، مذكورتان في وثيقة ترجع لعام ١١٦٠ على أنهما قد تم بيعهما من جانب الخزانة الملكية إلى البلدية، ولم يتم بيعهما. والأقرب للحقيقة هو أن يكون أهل كنانا جيروني، وبالتحديد تلك الصراة، قد قاموا باحتلال القلعة كحلقة للكونت روجيرو عام ١٠٧٦. وأن الرواية قد خلطت فيما بعد بين الكونت والملك اللذين يحملان نفس الاسم وأخطأت في التاريخ كما أخطأت في سنة شراء الأرض. ولكنني لن أسجل بالتأكيد حدثاً تاريخياً قديماً على افتراضات كهذه. والمؤكد هو أن القلعة كانت مدمرة بالفعل في منتصف القرن الثاني عشر؛ فالإدريس لم يتحدث عنها بينما ذكر كلمة *menzî* منزل أو كما نقول نحن قرية بوديكا. وتبقى من القلعة صهاريج واسعة وأطلال قليلة؛ وتبين وعورة الجبل هذا الموقع الحصين. عن هذه الأحوال الطبوغرافية وعن الروايات، انظر أميكو: "Dizionario topografico della Sicilia" تحت مادة بوديكا؛ وأبرهمل "Cronologia Universale della Sicilia"، ص ٦٤ وما بعدها وص ٩١ وما بعدها. وأشار إليها أيضاً فانيللو. المشية الأولى، الكتاب العاشر، الفصل الثاني، أثناء تلوه لمدينة كنانا جيروني.

رهيبة تسبب الرعب للمسلمين بين أسوار طرابلا؛ وحاصروا المدينة بحراً وبراً، وأقاموا المعسكرات، ودفنوا إلى داخل الأسوار المواطنين الذين خرجوا للقتال وهم في حالة يرثى لها؛ ومع كل هذا طالت مدة الحصار حتى أنت بفتة ضربة عسكرية قضت على روح أهل تراباني، ويذكر مالاتيرا<sup>(1)</sup> أنه كان يمتد خارج المدينة ن্তوء جبلى داخل البحر غشى بالمراعى<sup>(2)</sup> عادة ما كانوا يقودون إليه العاشية التي نُقلت من القرية إلى المدينة مع بداية الحصار. ووطن إليه جوردانو، ودون أن يقول لأبيه شيئاً، عبر ذات مساء إلى ذلك الن্তوء الجبلى ومعه مائة محارب فقط. قام بإخفائهم بين الصخور، حتى فتحت المدينة أبوابها في اليوم التالي وخرج منها القطيع. فوثب من الكمين الذى أعده واختطف العاشية من تحت الأسوار وأدخلها إلى مراكبه، وعندما خرج أهل المدينة بالسلاح دفعهم بوحشية وقتل منهم كثيرين وأمر بالإبحار بالغنيمة وعاد إلى المعسكر. وضاعف مالاتيرا أو الكونت، كعادتهما، عدد المقاتلين المسلمين خمسة عشرة أو عشرين ضعفاً وجعلوا عشرة آلاف منهم يخرجون لمواجهة جوردانو، وهو عدد قد لا يتسع له المكان ولا يمكن أن يكون في تراباني. وقد أدى الخوف من مخاطر هجوم جديد تقوم به تلك الفرقة وقلة المؤن التي نتجت عن عملية النهب تلك إلى أن يقبل المواطنون الاتفاق الذى يبدو أنه قد عقد بالشروط نفسها التي حصل عليها مسلمو بالرمو؛ وهى كما نقرؤها في الوثائق أنهم قد قاموا بتسليم القلعة، واعترفوا بسيادة الكونت وتحالفوا معه، كما هي العادة، وهو ما يعنى كما نعلم جيداً دفع الجزية، وأعد روجيرو التحصينات على طريقتة، وترك بالمدينة حامية مجهزة تجهيزاً جيداً، وبدأ في ضرب الإقليم الذى كانت

*Ab hac eadem urbe strictior sinus terræ ab utroque latere mari (1) urguente, longius in mare porrigitur, pascuis uberrimis abundans.*  
 المتفق عليه أن موقع المدينة قد تغير قليلاً أو بالأحرى تم تعديل منطقات الشاطئ لسبب من الأسباب المعروفة.

تنتشر فيه قلاع منيعة عاقدة العزم على الدفاع عن نفسها. وفي وقت قصير تمكن النورمان من إخضاع اثني عشر قلعة مهمة قام الكونت بتوزيعها بوصفها إقطاعيات على قادته بالإضافة إلى الأراضي التابعة لكل منها، ثم سرح الجيش، واستولى على كاسترونو وهو بعد فترة ليست بطويلة، وهي أراضى قوية وشاسعة كان قد استدعته إليها جماعة من العبيد تمردوا على الحاكم المسلم، بيكو، أو لعله أبو بكر، وتحصنوا بصخرة كانت تطلو القلعة. وأسرع الكونت إليها من فيكارى ومعه من استطاع جمعهم من الرجال في عجالة. وتعاهد المتمردون معه ورفضوا إليهم جنوده بواسطة الحبال. وعندما وجد أبو بكر أنه لا جدوى من المقاومة أخلى القلعة وقدمها سكانها إلى روجيرو الذى قام بدوره بمقت هؤلاء العبيد على الفور وكافأ أحد الطحّانين مكافأة كبيرة على تدبيره لهذه الثورة. وكان قد دبرها انتقاماً من سيده غليظ القلب لضربه إياه(1).

وسرعان ما زادت القوات الإقطاعية بتلك المكاسب كما زادت مكانة روجيرو المرموقة. حتى إنه في العام التالى تم تقسيم الجيش إلى أربع فرق تحت قيادة جوردانو وأوتونى وأريزجوتو دى بونسولى وإيليا كارتومى، وأغلب الظن أن أولهم كان يقود قطين أبيه بالإضافة إلى أتباعه. أما أوتونى وأريزجوتو، وهما إيطاليان، كما يبدو من اسميهما، فكانا يقودان رجال كلابريا وصقلية، وكان إيليا يقود المسلمين رعايا النورمان، لأنه كان مسلماً ولعله قد ارتد عن الإسلام حيث أن مسلمى كاسترونوجوفانى قضوا عليه بالإعدام طبقاً لشريعتهم عندما سقط في أيديهم بعد سنوات قليلة وعدّه كتاب سير القديسين المسيحيين شهيداً وطويالياً(2). وكان الأسطول يرافق الجيش، وقام

(1) مالاترا، الكتاب الثالث، الفصلان العاشر والثاني عشر؛ وأنونيمو، في كتاب كارونو، Bibl. Sic. ص ٨١٨.

(2) *Elías Cartomensis* (وهو بديل *Crotomensis*) في كتاب مالاترا، الكتاب الثالث، الفصلان الثامن عشر والثلاثين. منح الاسم المسيحي عند التعميد، إذا كان

الكونت بقيادة الحرب بخطة محكمة، فلم يعد مضطراً للسلب وانتهز الفرص بسبب قلة قواته. وفي فصل الربيع ضرب الحصار على تاورمينا التي تقع على جبل وعمر يشرف على البحر، حتى يستولى عليها بتجويعها وليس بالقتال، وقام بإغلاق البحر بالأسطول، وأحاط قاعدة الجبل باثني عشرين برجاً يصل بينهم حزام من المتاريس والسياج (1). وكاد يفقد حياته هنالك. فذات يوم كان يتجول حول الجبل ومعه عدد قليل من الرجال المسلحين وبينما كان يتسلق الطرق الجبلية على مسافة قليلة من رجاله، وإذا بمجموعة سلاطية، يبدو أنهم من عبيد المسلمين أو مرتزقتهم، تنقض عليه من غابة الرند حيث كانوا يختبئون. وفي سرعة كبيرة تفوق سرعتهم ألقى رجل من بريتانى يدعى أليمنندو نفسه بين الأعداء والكونت؛ وأوقفهم عند المعبر الضيق، وتبادل الضربات، حتى أسرع جنود الحرس لنجدته، ودفعوا المعتدين إلى أسفل فانحدروا من على المنحدرات. بينما قضى أليمنندو نحيبه بسبب ما عاناه من مشقة وما أصابه من جروح. وقد كرمه الكونت بتشجيعه في جنازة مهيبه وبإقامة مؤسسات خيرية إحياءً لذكري هذا الرجل المخلص الذي ضحى بنفسه من أجله. وبعد أن ضيق الحصار وأمنه بهذا الشكل، أخذ روجيرو ومعه نخبة من جنود المشاة يجوب الجانب الشمالي لإيتا والوادي الذي يفصله

---

الاسم الذي نقرأه في كتب المؤرخين ليس تعريفاً لاسم على أو إلياس. أو إليزو. والاسم الآخر. وهو اسم عرقي أو اسم الأب، فلا يمكن تعديده بدقة من خلال الكتابة اللاتينية. ومعنى كارتامس ممكن أن يكون النازح من كارتاما في أسبانيا انظر كتاب «مراصد الأطلال» المجلد الثاني. ص ٢٩٩. ص ١٠٠. وحسب كتاب «لب اللباب» ص ٢٠٥ يمكن أن نقرا قرطس أو قرطس وهو بائع الزعفران أو ممكن في النهاية أن نفترض حدوث تعريف أكبر للاسم وهو أن يكون فتاسم اسماً عرقياً أي بربري من قبيلة كتامة. التي كان لها دور كبير في تأسيس الدولة الفاطمية وتركزت جنوباً كثيرة لها هي صقلية. كما أشرنا في الكتاب الثالث. الفصول الأول والخامس والسادس. ص ٢٧ وما بعدها ص ١٢٦ وص ١٢٧... إلخ من المجلد الثاني.

(1) مالاتيا *Seipibus et stropibus claudens*. ولفظ *Stropus* لا يحمل هذا المعنى في قاموس بوكاليج ولكن مشتقها *Strupatura* و *Stropatura*.

عن جبال الأبنين، وأخضع المسلمين المتفرقين في تلك الأماكن حتى ترائنا. وما إن عاد إلى مكان الحصار حتى رأى أربع عشرة سفينة حربية إفريقية<sup>(1)</sup> تظهر أمامه ولم يكن في مقدور أسطولها مقاومتها لقلة عدد الأفراد بسبب حراسة محيط الجبل. لذلك بعث برسالة إلى الأمازيغة، الذين أجابوه بأنهم لم يأتوا بغرض معاد، ورحلوا في الحقيقة بعد قليل، وهو ما يمكن أن يشير الاعتقاد بأن روبرتو تصادف وعقد معاهدة مع الأمراء الزيريين بوساطة أهل بيزا أو أمانفي وأن الهدنة تضمنت أيضاً روجيرو، أو أنه اغتتم الفرصة في ذلك العين ليدخل فيها هو أيضاً، كما فعل بالتأكيد بعد سنوات قليلة<sup>(2)</sup>. وأثناء ذلك وليقظة روجيرو، أحكم إغلاق تاورمينا، حتى استسلمت في شهر أغسطس بعد خمسة أشهر من الحصار<sup>(3)</sup> وذلك بعد أن نفذت المؤن.

(1) جولافروس. في كتاب مالانبراً. انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب في ٧٣ ملحوظة رقم ٥.

يجب أن أنوه إلى أنه في طبعة مالانبراً يجب تصويب كلمة *Tunicii* بكلمة *Temimi* سواء في هذا الموضع أم في الكتاب الرابع. الفصل الثالث. فتونس لم تصبح عاصمة إفريقية إلا بعد سقوط الزيريين وبعد غزو الموحدين للبلاد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. ومن الواضح أن أحد الناصحين أو ربما الناشر الأول لكتاب مالانبراً، اعتقد، وهو يجهل اسم نعيم، الأمير الزيري، أن القراءة الصحيحة هي تونس التي تشبه إلى حد كبير طريقة كتابة الكلمة الأخرى. وإذا كان لابد من دليل على هذا، فيمكن الرجوع إلى الكتاب الرابع، الفصل الثالث من كتاب مالانبراً. طبعة كاروزو، حيث ورد البديل *Thumin* مرتين وهو قريب من القراءة الصحيحة. ومع هذا فإن علماء القرن السادس عشر والثامن عشر طرحوا جانباً على أنه خطأ، لأن دولة نعيم دأب صيبتها في أوروبا منذ القرن الثالث عشر وما بعده، تحت اسم مملكة تونس.

(2) يلاحظ أن روبرتو، عندما استدعاه أهل أمانفي، كان يحاصر سالونو في ذلك الوقت؛ وأن أهل بيزا كان لهم أحياناً علاقات واتصالات معه، كما يروي أمانو، في الكتاب الخامس، الفصل الثامن والعشرين من ١٦٤. وأن روجيرو، عندما قام باستنعاذه أهل بيزا وأهل جنوة عام ١٠٨٦ وقت عملية المهدية، رفض وأرسل برفضه المعاهدات التي كانت بينه وبين الزيريين.

(3) مالانبراً. الكتاب الثالث، من الفصل الخامس عشر إلى الفصل الثامن عشر، أنونيمو، في كتاب كاروزو، Bibl. Sic. من ٨٥٢، الذي يطلق على محرر روجيرو اسم *Consaldus* وبدائله *Ansaldu* و *Ansaldu* وفي الترجمة الفرنسية من ٢١٠ *Ansalorde*.

في عام الف وتسعة وسبعين اقام في هدوء مسلمو صقلية الجنوبية الأحرار بفضل إخوانهم المقيمين في إقليم بالرمو الذين كانوا يجذبون إليهم قوات الكونت. ويظهر على بعد اثنين وعشرين ميلاً من بالرمو، وعلى بعد ميل وأكثر قليلاً من شرق بلدية سان جوزيبي لي مورتيللي، جبل وعرة، لا يمكن بلوغه إلا من خلال طريق وعرة ومتعرج؛ وهو الآن مكان شبه مهجور. ولكن اسمه الطبوغرافي لم يتبدد وبقايا الصهاريج الكبيرة وبعض المياني والأواني الفخارية والنقود التي كثيراً ما يعثر عليها أثناء زراعة الأرض، كل هذا يثبت دون أدنى شك موقع مدينة جيتا أو جاتو القديمة التي لم يضر بها القوطيون أو السراسنة. وإنما الرهبان، وكان جوليلمو الثاني قد وهبها لهم ومعها أربعين قرية أو أكثر من القرى المحيطة. وهي أرض خصبة جداً تبلغ مساحتها حوالي مائة ميل مربع. ويسكنها اليوم سبع عشرة أو ثمانين عشرة ألف نسمة<sup>(1)</sup>، وكانت من قبل تضم ما لا يقل عن ستين ألف نسمة. إذ نقرأ في كتاب مالاتيرا أن جاتو كانت تسكنها ثلاث عشرة ألف عائلة<sup>(2)</sup>. ورفض أهل جاتو لكثرة عددهم ومناعة موقعهم

(1) وثائق الية والطريقة الطبوغرافية للضباغ التي حفظها. دون ميكل دي جوديتشي (لبيللا) بحاشية كتابه. وإن كانت تميزها بدقة. *Descrizione del Real Tempio ec di Morreale*. بالرمو. ١٧٠٢ تسمح لنا بقياس. على خريطة جيدة. الأراضي الممتدة الممنوحة حول جاتو: تأهلك عن الأملاك الأخرى. والأرض المذكورة، التي يقع الجزء الأكبر منها في إقليم بالرمو، على شكل مثلث منحنى الأضلاع تقع زاويته الشمالية عند جاردنيللو وزاويته الشرقية تلامس غابات فيكونسا وجانب منه يأخذ شكلاً مقوساً في اتجاه الجنوب ويكون زاوية في اتجاه الغرب لا تمتد عن الكاسو في إقليم تريباني. ولأن توجد في هذه المساحة ثلاث بلدات فقط وهي: بيانا دي جرنيتشي. ٧٢٢٠. وسان جوزيبي لي مورتيللي. ٦١١٢ وكامبوريالي. ٢١٥٧. وأسباب هذا الأمر الظاهر وهو نزوح سكان صقلية منذ القرن العاشر عشر إلى القرن السادس عشر المشار إليه في *Notice*. المصاحبة لـ *"Carte Comparée de la Sicile"*. باريس. ١٨٥٩. سوف نتناولها بالبحث في الكتاب السادس.

(2) *Jacenses (l. Jolenses) natura montis quo habitabant, numerosa (2) multitudine suorum fisi, erant enim usque ad tredecim millia familiarum*. ومن المحتمل أن يتضمن هذا العدد أيضاً سكان قرى كثيرة من تلك

دفع الجزية أو المحاربة في صفوف الأعداء: ولم يتمكن روجيرو أن يثبهم عما اعتزموا بالتوسلات أو بالتهديدات. وقاموا بجمع القطعان في الجبل الرحب ودعموا الأماكن التي كانت تبدو سهلة المنال بسور وتحصينات وأمنوا أنفسهم بحراسة بقطة: وأخذوا يستهزئون بغضب الكونت روجيرو. وبالمثل تحركت تشينيزي. وهي أرض من أصل عربي، كما يبدو من اسمها، تقع على بعد خمسة وعشرين ميلاً غرب بالرمو: هاجمها روجيرو ومعه أتباعه من إقطاعي كلابريا، تاركاً أتباعه الصقليين لحصار چاتو أو ليجتاحوا أرضها من الناحيتين الملاصقتين لكورليونى وبارثينيكو. وكان يشرف تارة على هذا وتارة على ذلك الجيش وأرهق نفسه دون جدوى، ورفض أن يحرق الحصاد بدافع من الإنسانية أو الكرامة أو الحرص. ولكنه في النهاية استمر هذا الحل الجدير بقاطع طريق وليس بقائد. واضطرت كل من چاتو وتشينيزي إلى الرضوخ للاتفاقيات(1). وقد أخرجت عملية روبرتو الشرقية، تحركات روجيرو العسكرية، لا مكاسبه في صقلية، إذ يبدو أنه قد مد يد العون لأخيه بشتى الوسائل وقدم له خدمات هامة حتى استحق أن يحصل على إقليم فال ديمونى. وفي عام ١٠٨١ أحضر الكونت من كل مكان - كما يقول مالانيرا - صنّاعاً مهرة(2) بنوا له جدراناً باهظة التكاليف حول تحصينات مسينا بدءاً من الأساسات: بنوا له حصوناً امامية وأبراجاً مذهلة الارتفاع انتهت في وقت وجيز ويرجع ذلك إلى اهتمام روجيرو الذي وفر ضباطاً للإشراف على العمل وغالباً ما كان يراقب بنفسه

---

التي أشرنا إليها منذ قليل في النص. ولكني ذكرت أنه ينبغي أن نعلم أن عدد سكان كل الأراضي كان يبلغ ٦٠.٠٠٠ نسمة على الأقل.

(1) مالانيرا، الكتاب الثالث، الفصلان ٢٠، ٢١ حيث نقرا: *Statutum servitium et censum persolvere renuntiant* لم يذكر مالانيرا من الذي قام بتحديد كمية الخدمة وقيمة الجزية. ويجب تصويب الاسم *facenses* إلى *facenses*. وهناك اسم آخر يجب أن يقرأ دون شك *Corleone* تم طبعه *Corlitum* مع بدله *Cornitium*.  
(2) *Undecumque terrarum artificiosis camentariis conductis*

سير الأعمال. وإضافة إلى ذلك، فنحن نعلم أنه كان يرى أن مسينا هي مفتاح صقلية وأن لها أهميتها العظيمة بين المدن التي يملكها، لذلك فقد مدّها بحامية عسكرية قوية ومخصصة، وجعلها بكنيسة جديدة اسمها كنيسة نيكولو تم تشييدها على موقع جميل وجرى تجهيزها بمسحاء كبير وصارت خاضعة للأسقفية التي أسسها الكونت لثوء في ثراينا(1). وهذه الأعمال والكلمات التي يعرضها بها مؤرخ البلاط، تثبت أن روجيرو كان في ذلك الوقت حاكماً على مسينا وليس نائباً لروبرتو. وهكذا يبدو في العام التالي حاكماً على كل الإقليم؛ إذ نستخلص أن چوردانو، في محاولة النهب التي قام بها عام ألف واثنين وثمانين، قد انتزع أرض فال ديموني وميسترًا، وكذلك قلعة سان ماركو التي كانت أول حصن جهزه روبرتو في صقلية. فمن المؤكد إذن، وإن كان غير مثبت بموثيق أو مؤكد بكتابات، التنازل عن فال ديموني أو بيعها. ولا يثير الدهشة، وفوق هذا عندما كان روجيرو يحتفظ بمال كثير(2)، بينما كان روبرتو ينفق مالا كثيراً في تجهيز أسطول قوى وفي بناء الجيش. وربما كان الاتفاق الرئيس بينهما هو تسليح مسينا؛ إذ كان روبرتو مهتماً بتجنب مخاطر احتمال مجيء أسطول بيزنطي لاحتلال المضيق، بينما هو يغير على الإمبراطورية الشرقية.

وبعد أن عبر روبرتو إلى الجانب الآخر من البحر الأدرياتيكي، وكان روجيرو كثيراً ما ينزل ويقوم في بوليا وكلايريا ليرعى شؤونه هناك، حيث أن بناهزت قد سيطر على كتانيا في العام نفسه ١٠٨١، وصار مصدر إزعاج شديد بالنسبة للنورمان أثناء قيامهم بهذه التجهيزات للحرب فيما وراء البحار، وإليه كان يلجأ كل مسلمي صقلية المتمردين، كما يصف مالاثيراً الذين كانوا يداخسون عن

(1) مالاثيراً، الكتاب الثالث، الفصل الثاني والثلاثون.

(2) يتحدث مالاثيراً في الكتاب الثالث، الفصل السادس والثلاثين، عن تآمر روجيرو التي كان يحتفظ بها في حراسة شديدة في ثروينا في عام ١٠٨٢.



وطنهم ودينهم ضد مرتزقة الشمال. ويستكمل المؤرخ حديثه قائلاً إن بناهرت قام بشراء شخص يدعى بيثيمينو<sup>(1)</sup> بالهبات والوعود وكان يحكم كاتانيا وهو من عمال روجيرو واسمه بالمصادفة، هو اسم ابن الثمنة نفسه، ويمكن أن نستنتج من ذلك أن أحد أبنائه أو اقاربه كان لا يزال يعمل في خدمة النورمان. وذات ليلة فتح الخائن أبواب المدينة أمام بناهرت ورجاله: وسط غضب المسيحيين وخزيهم وابتهاج المسلمين وفرحهم، انتشر نبا عودة كاتانيا إلى يد العدو في كل الجزيرة. وتحرك لاسترجادها كل من چوردانو وروبرتو دي سوردهال وإيليا كارتومي، ومعهم مائة وستون من حاملي الرماح مما يعني أن عدد الفرسان كان يبلغ سبعمائة فارس. ويستمر مالا تيراً في حديثه قائلاً: وخرج بناهرت لقتالهم معه عشرين ألفاً من جنود المشاة ومجموعة من الفرسان: ووضع المجموعة الأولى على اليمين وظل هو مع المجموعة الثانية على اليسار وراء الخط بقليل. وبالأمنيات السعيدة أشعل المعركة لأنه عندما هاجم الفرسان المسيحيون جنود المشاة، لم ينجحوا في القضاء عليهم في الهجمة الأولى أو الثانية أو الثالثة. وعندئذ وبجسارة شديدة قام النورمان بتضييق الخناق على فرسان بناهرت، تاركين بجانبهم وخلفهم كل مشاة الأعداء. وحُصي وطيس المعركة الدامية بين الفرسان، وربما كان عددهم متساوياً أو يقل عنهم، حتى فرّ المسلمون بعد أن طعنهم المعركة إلى المدينة التي دخلها بناهرت بالكاد وكان چوردانو يلاحقه حتى أبوابها، وتشتت جنود المشاة وتفرقوا بعد هزيمة الفرسان. وأخذوا يفرون أو يجبرون بلا نظام أمام المنتصرين الذين قطعوهم إرباً إرباً. وحاصر النورمان المدينة ولكن لقلة عدد الحامية بها ولزيادة عدد السكان

(1) في النص يوجد البديل Betchaune. انظر القراءات الفرعية لاسم ابن الثمنة في الكتاب الرابع من كتاب التاريخ هذا، الفصل الخامس عشر من ٥٦٢ من المجلد الثاني. وتشابه حرف "c" مع حرف "f" في المخطوطات اللاتينية بالقرن الثاني عشر والثالث عشر تملئني اقراء Bentimino بنهمينو، أو Ben-thimna ابن الثمنة.

المسيحيين<sup>(1)</sup>، خرج بناهزت منها ليلاً إلى سيراكوزا حيث افتاد الخائن بنشيمينو وأزحق روحه بدلاً من أن يمنحه المكافآت الموعودة<sup>(2)</sup>.

ورضى النورمان بالنصر الذي أحرزوه واتخذوا موقف الدفاع عن المدينة حتى عام ١٠٨٥. واعتقد أنه قد صدرت الأوامر للحامية المقيمة التي استعادت بجسارة كبيرة كنانيا بالصمود لبناهزت وردعه. وأقام روجيرو في البر الإيطالي لأن مصالح روبرتو ومصالحه كانت تستدعي ذلك. ولم يأت إلى صقلية إلا لقمع ثورة قام بها ابنه چوردانو، نأثبه في الجزيرة. عام ألف وثمانين وثمانين. ويبدو أن چوردانو كان يريد الاستيلاء على أراضى قال ديموني لنفسه، وبدأ باحتلال قلعتي ميسيريتا وسان ماركو وحاول وضع يده على ثروة روجيرو. التي كان يحتفظ بها في ترائنا تحت حراسة رجال مخلصين لا يضعفون أمام الوعود أو التهديدات. وباء الانقلاب بالفشل وانسحب چوردانو في خزي وهوان من الطريق الشائن الذي سلكته قدماء. ولأن روجيرو كان يخشى أن يلقي ابنه بنفسه، من يأسه، في صفوف المسلمين. تظاهر في بادئ الأمر بأنه يعد هذا التصرف مزاح شباب، واحتضن ذلك المقدام. ولكن عندما صار بين قواته هو ومن كان معه من زملائه وأعوانه حتى بدا في حسابهم وتضييق الخناق عليهم وفقاً عيون اثني عشرة منهم بدى له أنهم محرضو ابنه، ثم أطلق سراح چوردانو وقد أصابه الخزي والعار بتعذيب شركائه والخوف والهلع من فقدان نور عينيه بأمر أبيه نفسه<sup>(3)</sup>. ووضعت الحرب أوزارها، فمن جانب النورمان كان روبرتو يمسك بعصب قواتهم في حربه في ذلك الوقت في اليونان، ومن جانب المسلمين

(1) ثم إعادة أسقفية كنانيا عام ١٠٩١.

(2) مالاتيرا. الكتاب الثالث. الفصل الثلاثون: أنونيمو. في كتاب كاروزو، Bbl. Sic. ص ٨٥٢. والترجمة الفرنسية ص ٢١٠ وص ٢١١، حيث ذكر روبرتو دي سورذال بلقب دي كوينتال.

(3) مالاتيرا. الكتاب الثالث. الفصل السادس والثلاثون.

فلم يبق للخاضعين منهم أية حمية، والأحرار يبدو أنهم بددوها كعادتهم في مناسباتهم الصغيرة. فلو أن بناهزت قد رأى أصحاب عقيدته نفسها في بالرمو ومازارا وثراباني مستعدين لحمل السلاح، وكذلك الذين في كاستروچوفاني أو في چرچنتي مستعدين أن يتبعوه إلى الأراضي التي احتلها العدو، ما كان للبطل المقدم أن يلقي بكل مصيره في لعبة عملية فاشلة في كلابريا.

قام بهذه المحاولة عام ألف وخمسة وثمانين، عندما أثار موت روبرتو جويسكاردو اضطرابات شديدة في جنوب إيطاليا، وعندما تفجّر النزاع بين ابنه بويموندو وروچيرو على خلافة الدوقية، وعندما كان الكونت روجيرو يعمل في البر الإيطالي على ارتقاء روجيرو وهو الثاني من ابني أخيه للدوقية، الذي منحه مقابل ذلك نصف أراضي كلابريا، الذي احتفظ به روبرتو، وهاجم بناهزت كلابريا، كرجل لا يتوق لشئ إلا للانتقام أو الموت. ففي شهر أغسطس أو سبتمبر (1) رسا بسفنه ليلاً (2) في نيكوترا، وانتصر في البداية، كما يبدو في معركة بحرية ثم في معركة بالفرسان مع النورمان (3)، وقام بتدمير كل ما استطاع تدميره في المدينة، ونهب منها كل ما طالت يده، واقتاد معه رجالاً ونساءً أشراراً. وفي العودة نزل بريجو وقام بنهب كنيسة سان نيكولو وسان جورجو، ومزق ما بهما من صور، ودّس الأواني المقدسة والأثاثات. وفي النهاية اقتحم

---

(1) لاحظ أن الكونت روجيرو بدأ في أول أكتوبر إعداد الأسطول الذي كان عليه أن ينتقم لهذه الإهانة الشنعاء، ولنتصور أنه كان يريد أن يطرق العديد وهو ساخن، (2) ذكر هذا أوتونيو فقط.

(3) انظر الفقرة التي أوردتها من قصيدة لابن حمديس في الكتاب الرابع، الفصل الرابع عشر من ٥١٢ - ٥١٣ من المجلد الثاني، يفتخر فيها الشاعر، وهو معاصر ومن سيراكوزا، «بأن أعداء العقيدة قد تم ضربهم في منازلهم، وبالسفن المليئة بالأسود وبرمال النفط الذين أتوا لسلب ونهب مدن البهير، ويذكر المعاربين ذوي الدروع اللامعة المصنوعة من الحديد العائدين ممزقة دروعهم بسهوف المسلمين... إلخ». هذه التفاصيل تتفق بدقة مع العملية التي نتاولها، ولا نجد أي عملية أخرى في حوليات ذلك الوقت تتناسب مع هذا الوصف.

ديراً للراهبات هو دير مادري دي ديو في روغنا دازينو وسلب ما فيه واقتاد الراهبات إلى مساكن الحريم في سيراكوزا(1). وقد ارتعدت جيوش المسيحيين فرحاً واشتد غضبها عندما علمت نبأ تدنيس الأماكن المقدسة، وكان أكثرهم غبطاً روجيرو الذي كان يأمل في الحصول على منفعة من وراء الانتقام، وانتهاز الفرصة لتوجيه الأسلحة التي كانت على أهبة الاستعداد للحرب الأهلية في بوليا، إلى القيام بعملية قومية ودينية. وكتب الراهب مالاتيرو يقول «وجامت له السماء بغضب أشد من غضبه فهض للانتقام لإهانة الرب: وبدأ الاستعدادات في أول أكتوبر، وفي العشرين من مايو أمد الأسطول بالتجهيزات. وأخذ يطوف بالكنايس، حافى القدمين، يتلو الابتهالات متنهداً متأوهاً وكان يوزع على الفقراء والمساكين الصدقات، ثم خاض مخاطر البحر وتوجه بسفنه نحو سيراكوزا». واستمرت عملية استمراض الأسطول وطقوس الاسترحام التي تشمل حماس الجماهير، كما هو واضح، في ميسينا، وأبحر روجيرو بالأسطول بعد أن أرسل چوردانو لينتظره ومعه الفرسان عند رأس سانتا كروتشي(2)، وهو المكان الذي شيدت فيه فيما بعد أجوستا؛ وكان إبحاره طيباً لم يستخدم فيه المجاديف أو الأشرعة (ويلاحظ مالاتيرو أنه فعل ذلك ليثبت المعجزة وقد نسي تيارات البحر)، وتوقف في الليلة الأولى في تاورمينا(3)، والثانية في لونينا(4) بالقرب من كتانيا، والليلة الثالثة عند رأس سانتا كروتشي. وبعد أن وجد چوردانو هناك ومعه الفرسان، وبعد أن تفقد كل شيء،

(1) مالاتيرو، الكتاب الرابع، لفصل الثاني.

(2) نجدما Rosalisc في كتاب مالاتيرو، وهو خطأ أكيد في المخطوطات، حيث كان لابد أن نجد كتابة الاسم العربي رأس الصليب كما نقرأه في كتاب الإدريسي.

(3) Turonem. يشير الإدريسي في المكتبة الصربية، الصقلية، النص من ٢١ إلى جبل الطور أو الطور في تاورمينا وترجع شهرته للعبادات التي تقام عليه والمعجزات التي تحدث فيه.

(4) ميناء لونينا ومذكور في كتاب الإدريسي الاسم نفسه.

أرسل الكونت وجيهاً يُدعى فيليبو دي جريجوريو(1) ليتفقد أحوال العدو. واستقل فيليبو قارباً عليه رجال صقليون، كانوا - كما يبدو - يفهمون العربية ويتحدثونها بطلاقة مثله، واقترب من ميناء سيراكوزا ليلاً وهام بإحصاء عدد سفن بناهزت وعرف أنها على أهبة الاستعداد لمواجهة المسيحيين دون هوادة، ثم عاد إلى روجيرو. وكان ذلك يوم الأحد. وأمر الكونت بأن يقام القداس على ذلك الشاطئ الخالي وأن يعترف رجاله ويتناولوا الأسرار المقدسة؛ وفي الليل أبحر إلى سيراكوزا وأرسل الفرسان إلى هناك. وفي الخامس والعشرين من مايو عام ألف وستة وثمانين تقاتل الأسطولان في الميناء الأكبر، كما حدث من قبل، منذ خمسة عشر قرناً، بين أسطولى سيراكوزا وأثينا. وعندما رأى بناهزت معاناة رجاله الشديدة بسبب رماة النبال ورماة السهام(2) الذين كانوا يصيبونهم بجراح وهم بعيدون عن مرمى رماحهم. أمرهم بالهجوم على السفن المعادية؛ وجدف مباشرة ليصطدم بسفينة روجيرو؛ ويقول مالاتيرا إن الشيطان كان يدفعه للقضاء على حياته. ولكنه لما وجد مقاومة شديدة وقد أصيب بجرح خطير من جراء طعنة رمح بيد شخص يُدعى لوبينو(3)، وأن الكونت يطارده شاهراً سيفه، حاول اللجوء إلى سفينة أخرى. فوثب وثبة قصيرة. وغرق على عمق كبير بسبب دروعه الثقيلة. وتم الاستيلاء على الجزء الأعظم من سفن المسلمين وضُرب الحصار على المدينة. ولأن جوردانو نفذ تنفيذاً دقيقاً هذه المرة حطّر أبيه له، فلم يحاول احتلالها بعملية عسكرية مفاجئة عند أول اضطراب وقع بها بسبب موت بناهزت. ويذكر أنونيمو أن روجيرو، بعد أن أخرج جثمان الأمير من المياه، قام بإرساله إلى تميم في إفريقية. واستبسل مسلمو سيراكوزا في الدفاع عن المدينة في الفترة من نهاية شهر مايو حتى

(1) مالاتيرا. وهو بديل لجورج.

(2) ثوبق رماة السهام المسيحيين أشار إليهم أنونيمو فقط.

(3) هذا ما ذكره مالاتيرا. وأنونيمو في كتابه يذكر للكونت شرف إصابة الأمير بجراح.

شهر أكتوبر أمليين - دون جدوى - في أن يبدأ غضب الكونت بإطلاق سراح سجناء المسيحيين عن آخرهم. ولما أعياهم التعب وقتل عددهم بسبب قذائف الآلات الحربية دفعهم الجوع إلى الاستسلام. وفي ذات ليلة تسلمت زوجة بناهثرت وابنه ومعهما أعيان المسلمين وهربت إلى نوتو على متن سفينتين قد مرنا في سرعة بين مراكب أسطول العدو. ثم استسلمت المدينة طبقاً للمهود(1).

إن الاعتزاز عن حق بعملية بحرية قام بها رجالنا، وعلاقته بالموضوع يقودني الآن إلى الحديث عن افتتاح المهدية، والتوقف عن سرد أحداث الحرب الصقلية. يكتب مؤرخ روجيرو قائلاً إنه بينما كان هؤلاء يحاصرون سيراكوزا، قام جنود بيزا انتقاماً لإهانة كانت قد لحقت بهم، بالهجوم على عاصمة تميم واحتلالها؛ فيما عدا القلعة. ولعدم ثقتهم في استطاعتهم الاستيلاء عليها، أو الاحتفاظ بالمدينة قاموا بتقديم غنيمتهم الرائعة إلى الكونت روجيرو الذي رفض قبولها حفاظاً على الوفاء بعهده لتميم الذي يربطه به اتفاق(2). وهو صدق واجب، كما يرى الجميع، لمن كان يتعب ويشقى تحت أسوار سيراكوزا.

(1) قارن بين كتاب مالانير، الكتاب الرابع، الفصلين الأول والثاني؛ وأنونيمو في كتاب كاروزو، Bibl. Sic. ص ٨٥١ وص ٨٥٥؛ ولويو بروتستانتيرو، عام ١٠٨٨؛ ومواليدو سالونيتانو عام ١٠٨٨، الذي يقول إن المحاصرين وصل بهم الشهور بالجوع إلى أكل الأطفال. وعلى الرغم من أن هذين المؤرخين يقولان إن استسلام سيراكوزا كان عام ١٠٨٨ بينما زعم مالانير أنه كان عام ١٠٨٥، فليس هناك شك في أنه كان في أكتوبر ١٠٨٦. حيث إن مالانير قد ذكر أن تجهيزات الأسطول المسيحي بدأت في أكتوبر ١٠٨٥ وأن الحصار كان في مايو التالي وأنهى في شهر أكتوبر. وهناك ملحوظة في مخطوطة معاصرة ذكرها باجي Annali di Baronio عام ١٠٨٧، رقم ٢ ترجع إلى هذا التاريخ احتلال روجيرو لسيراكوزا والأضرار التي لحقتها جنود بيزا بإفريقية (المهدية) وهذا صحيح إذا ما حسينا العام من سبتمبر إلى أغسطس.

(2) مالانير، الكتاب الرابع، الفصل الثالث.

إن الخطأ الأول، سواء كان مقصوداً أم غير مقصود، لهذا المؤلف أو لمن أملى عليه ما كتبه، هو خطأ في الترتيب الزمني. فمنما جعل حصار سيراكوزا في عام ١٠٨٦ فلا يمكن أن يقدم له أهل بيزا في ذلك الوقت معونة المهدية التي استولوا عليها عام ١٠٨٧. فالأمر إذن يتعلق بالاتفاق وبالتجهيزات للعملة العسكرية.

وعليه أن يُخضع مدناً وأقاليم أخرى كثيرة هي الجزيرة. ولكن مذكراتنا ومذكرات المسلمين الأصلية تكشف افتراء المؤرخ وثبت أنه، إذا كان أهل بيزا قد طالبوا الكونت بشئ، فقد طالبوه فقط بالدخول في التحالف معهم أثناء إعدادهم لعتاد سفنهم.

سبق أن تحدثنا عن أحوال الزيريين، وتحصينات المهدية مرات عديدة (1). كان الميناء المنيع وكرماً للقراصنة الذين كانوا يجتاحون البحر المتوسط من أسبانيا إلى اليونان، ويقتحمون أحياناً السواحل وينهبون فيها الرجال كتهبهم للأشياء، ولم يراعوا بالتأكيد الاتفاقيات التي وقعتها تارة هذه الدولة الإيطالية وتارة تلك مع الزيريين (2). وبعد أن فاض الكيل وتأثر رجال بيزا من تدمير مواطنيهم الأشرار من المسلمين اقترحوا التحالف مع جنوة، وطلبوا العون من كل البحارة الإيطاليين والبركات من البابا، الذي كان في ذلك الوقت الراهب الداهية دزيريو، نقصد فيتوري الثالث: الذي كان يعاني من عوز شديد فساعدتهم بما في وسعه: بالتشجيع والنصح. وبالعناصر والأساليب والمقاصد نفسها أعيد التحالف، ولكن بشكل أوسع وأقوى، الذي قضى على مجاهد عام ألف وخمسة عشر. أي بعد سبعين عاماً. واستغرق أهل بيزا وجنوة وأمالفي (3) فترة طويلة (4) في تجهيز السفن ووصل عدد السفن الإيطالية إلى ثلاثمائة أو أربعمائة سفينة، وبلغ عدد الرجال ومعهم بالتأكيد بحارة السفن ثلاثين ألف رجل (5)، وكانت

(1) انظر الكتب الأتية: الكتاب الثالث، الفصل السادس: والكتاب الرابع، الفصل التاسع: والكتاب الخامس، الفصل الثالث: المجلد الثاني من 110 ومن 1377، والمجلد الثالث من 87 ومن 88.

(2) انظر *Introduzione ai Diplomi Arabi* في محفوظات فلورنسا في السادس عشر من ٦٦.

(3) بالإضافة إلى أهل بيزا وأهل جنوة، يذكر جيوفو *Pantaleo Amalfitanus* *inter Græcos, Sipantus* ويقول العرب جنود من بيزا وجنوة وغيرهم من الروم، أي من الإيطاليين في هذه الحالة.

(4) يقول ابن الأثير: لمدة أربع سنوات: ويقول جيوفو ثلاثة أشهر. ولكنني أميل إلى الرأي الأول أكثر من الثاني.

(5) هذا ما ذكره كل الكتاب العرب.

نقطة اللقاء في بنتلاريا. وفيها حاول المسلمون عبثاً أن يقاوموا فبعثوا إخطارات لتعيم في رسائل علّقت في أعناق الحمام؛ ولكن الإنذار بالخطر أضمر أكثر مما نفع المدينة غير المؤهلة والبلاط ضعيف المزينة المنقسم على ذاته. وبينما كان المسلمون يتنازعون فيما بينهم اكتسب البحر بقلع السفن الإيطالية وتقدمت الزوارق ذات المجاديف في مجموعات، وأسرع رجالنا بالنزول إلى بلدة زويلة في الجنوب وإلى شبه جزيرة المهديّة نفسها في الشمال؛ وبعد معارك حامية نجحوا في احتلال البلدة وكذلك المدينة فيما عدا القصر أي القصر المنيع(1)، وأحرقوا أسطول المسلمين داخل الميناء. وأشعلوا النيران في المنازل وأسروا الرجال وسلبوا ونهبوا. وحاصروا محاصرة شديدة القصر المنيع الذي لجأ إليه تميم. كان ذلك في السادس من أغسطس عام ألف وسبعة وثمانين. ولما باءت بالفشل محاولة اقتحام القلعة لمدة أيام، جنح تميم للسلم على أن يدفع ثلاثين ألف ديناراً من الذهب، ويقول البعض ثمانين ألف والبعض الآخر مائة ألف(2)، وأن يطلق سراح السجناء المسيحيين، وأن يكف عن عمليات القرصنة ضد المسيحيين. وأن يوافق على منح إعفاءات جمركية لأهل بيزا وجنوة(3). ووافق المتحالفون على الشروط، بعد أن بلغوا قصدهم وحملوا السفن وملأوها بالذهب والفضة والأردية وبأدوات

(1) جويو .

(2) أي ما يعادل حوالي 125,000 أو 1,160,000 أو في النهاية 1,150,000 ليرة إيطالية. والرقم الأول نجده في كتاب ابن الأثير، والثاني في كتاب الزويري، والثالث في كتاب ابن خلدون وهو الأقرب إلى الحقيقة، حيث كانت قيمة الذهب منطلقة في إفريقية في القرن الحادي عشر، الأمر الذي تحدثت عنه في الكتاب الرابع، الفصل الثامن ص 262 من المجلد الثاني. وكذلك في *Introduzione ai Diplomi Arabi* محفوظات فلورنسا 5 12. ص 16 وما بعدها. ولم يحدد جويو الرقم ويقول: «يبلغ لانهاية له من الذهب والفضة».

(3) الشرطان الأخيران نجدهما في قصيدة جويو الوحيدة ويبدو لي أنهما أقرب إلى الحقيقة. وليس هذا حال الشرط الأخير الذي أضافه. أي أن بعد أهل بيزا وجنوة سادته. وأن يعترف بالسيادة العليا لبيبا وأن يدفع له جزية سنوية.



مصنوعة من البرونز وبالأسرى المسيحيين ليحرروهم أو لإعادة بيعهم، وبالعبيد المسلمين لبيعهم في الأسواق، ورحل كل إلى ما كان يُسميه وطنه ليعرض الفنائم ويثرى كنيسه المفضلة؛ ثم يعيد تسليح السفينة ويشحذ سلاح بلطته وسيفه للهجوم على مدينة إيطالية أخرى. وأخذ شيطان الشعر العري في إفريقية وقد صار أكثر تقدماً في وصف نكبات المهديّة بالحديث عن عدد جنودنا الكبير، ذوى النزعة الحربية والشراسة، الذين هاجموا بفتة حفنة من المواطنين، اعتادوا على رغد العيش أكثر من حمل السلاح، ولكننا لم نجد لسؤ الحظ، الجزء الأكبر من هذه المرثية الشعرية الطويلة. ولدينا العمل الكامل لشاعر إيطالي، كان يحاول مع بدايات القرن الثامن عشر أن يتفنى، في لغة لم يكن يتحدثها، ببطولات أمة لم يكن قد رأى نجمها بعد. فاعلمى باللاتينية قصة دقيقة وأمينة في أهمية أحداثها ولكنه أضفى عليها استعارات روائية سخيفة، فقد جعل مواطني بيزا وجنوة يعدون ألف سفينة في ثلاثة أشهر ويقتلون في المهديّة مائة ألف عري ويطلقون سراح مائة ألف مسيحي وما يشبه ذلك من الترهات(1). وكان النورماني الحذر قد احتل مدينة

(1) مارنيجوني، في *Archivio storico italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٩: *Chronica Pisana* في كتاب موراثوري، *Rerum Italicarum*، المجلد السادس ص ١٠٩ و١١٠، كشارو في مجلد موراثوري نفسه ص ٢٥٢، عام ١٠٨٨، كتاب موراثوري، *Antiq. Ital.* المجلد الأول، ص ١٢٥٩: *Chronica Fossanobae* عام ١٠٨٧، في كتاب موراثوري، *Rer. Ital.*، المجلد السابع: شعر جويدو اللاتيني، في "Bulletin de l'Académie de Bruxelles" المجلد العاشر، الجزء الأول ص ٥٢١ وما بعدها، وأعاد نشرها م. دي ميرل *Poésies populaires latines de Moyen Age*، باريس ١٨٤٧ ص ٢٢٩ وما بعدها، *Chronica di Leone d'Ostia* التي انتهى بيثرو دياكونو، الكتاب الثالث، الفصل ٧١ في كتاب موراثوري، *Rer. Ital.*، المجلد الرابع، الذي عزا فضل العملية كلها إلى البابا، وقال بأن مائة ألف من المراسنة قد لقوا حتفهم فيها: برونزدي، *Cronic.*، في كتاب برتز، *Script.*، المجلد الخامس، ص ١٤٧. انظر مصدراً معاصراً آخر ذكره باجي، *Annali del Baronio*، عام ١٠٨٧، رقم ١١، (٨٩ في بارونيو).

جرچنشي بينما كان البحارة الإيطاليون يستعدون لعملية المهديّة. وبعد أن انجز عملية بنافرت عام ألف وستة وثمانين أخذ بجمع القوات

البييان المغرب، النص العربي، طبعة دوزي، المجلد الأول، ص ٢٠٩ و ٢١٠؛ ابن الأثير، عام ٤٨١، طبعة تونيزج المجلد العاشر ص ١٠٩ و ١١٠؛ التويري في المكتبة العربية الصقلية، النص، ص ٤٥١؛ التيجاني، في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٢٩٠ و ٢٩١، وفي ترجمة م. روسو الفرنسية في *Journal Asiatique*، فبراير ١٨٥٢ ص ٧٢، ونقرا فيها خطأ واضعاً يرجع إلى المخطوطة وهو أن مقدار الفدية كان ١٠٠٠ دينار؛ ابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة م. دي سلان، المجلد الثاني ص ٢٤، وفي النهاية ابن أبي دينار (القهرواني)، النص، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٣٠ والترجمة للفرنسية ص ١٤٦، حيث قرأ المترجمون أهل شهبيا بدلاً من أهل بيزا، وحسب رواية ابن الأثير والتويري تم الاتفاق على رد الأسرى المسلمين، ويذكر التيجاني العكس تماماً. أما الأبيات التي بغيت لدينا من الموشة العربية فقد تمت ترجمتها في *Nuova Antologia*، فلورنسا، المجلد الثاني، الفصلة الخامسة، ص ٦٢، مايو ١٨٦٦.

والتاريخ الصحيح، الذي نقرأ في كتاب البييان، والذي سار عليه التيجاني وابن خلدون، يعود إلى سنة ٤٨٠ هجرية (٨ أبريل ١٠٨٧ - ٢٦ مارس ١٠٨٨) ويؤكد ذلك كسوف الشمس الذي حدث في أول أغسطس ١٠٨٧، لأن أبا الصنف، الذي استشهد به التيجاني، يقول إن عملية المهديّة حدثت بعد الكسوف الكلي للشمس في برج الأسد والتي تم وضع أساسات تلك المدينة فيها. ويرجع ابن الأثير والتويري وابن أبي دينار تاريخ هذا الحدث إلى عام ٤٨١، وذكر مارنجوني إنه كان في يوم الفديس سيستو عام ١٠٨٨ (١٠٨٧ من العام الميلادي) وتذكر *Cronica di Santa Sofia* أنه كان عام ١٠٨٩، وجنهر بالذكر أنه، إذا كان لنا أن نصدق كلام مالانيزا، فإن الاستيلاء على المهديّة يكون في عام ١٠٨٦.

ومن الملاحظ على الشعر اللاتيني المذكور صيغة الأسماء الجغرافية فيه وكذلك أحداث كثيرة استخلصت من مصادر إسلامية، فعلى سبيل المثال نجد *Media* (المهديّة) وهو ميناء رجب رائج و*Sibilia* (زويلة) مدينة مجاورة لها؛ و*Paentalorea* (بنتلاريا) و*Timinus* (تسيم) *gli Arrabiles* (العرب) أعداء تسيم، و*miacris equis insidentes, corporibus ductiles* إلخ، وعامة يمكن القول إنه بعدد صفحين من الأعداد الرقمية فإن الرواية تكون صحيحة.

فارين بين موراثوري، *Annali*، ١٠٨٨ الذي يسهل في شك كبير لعدم توفر المذكرات العربية أو قصيدة جوينو بين يديه؛ ويفترض أن هناك مبالغة كبيرة في أهمية الحدث؛ ويتشكك في اقتحام الممبئين المزامن *Almadia* و*Siviglia* (المهديّة - زويلة) وقد بدى له أن المدينة الثانية هي المدينة الأسبانية المعروفة، ويقتحم حينئذ بشكل خاطئ قائلاً: «إن عملية أهل بيزا كانت ضد تونس، وقراحت مالانيزا هي التي أدت به إلى هذا الخطأ: *urbem regiam regis Tunicii* حيث يجب أن تكون القراة دون شك *regis Temimi*، كما ذكرت في هذا الفصل ص ١٦١ ملحوظة رقم ١.

الإقطاعية في الأول من أبريل عام ٨٧، وكان أفرادها متحمسين وسعداء أماً في الكسب. وهكذا قادهم إلى حصار جرجنتي. وكانت مدينة جرجنتي خاضعة ومعها كاستروجوفاني وكل البلاد الوسطى، لسيل من سلالة على المشرفة، من آل الإديسيين الذين حكموا وقتاً ما إفريقية الغربية، ومن بني حمود، الذين كانت لهم خلافة قرطبة لفترة قصيرة (١٠١٥ - ١٠٢٧) ثم إمارتي مالاجة والجزيراس (١٠٣٥ - ١٠٥٧). ولكنهم بعد أن طُردوا من أسبانيا ذهبوا هنا وهناك بحثاً عن مصير مؤات. ويبدو أن رجلاً من تلك العائلة، قد انتقل إلى صقلية، ولا نعرف بالضبط في أية سنة، ودانت له الدولة في تلك الأقاليم فيما بين الحروب الأهلية التي عانت منها مع أبناء تميم: وارتفع شأنه ليس لمناقبه وإنما بسبب اسمه اللامع وبسبب الأحداث الفوضوية المجنونة. اسمه هو *Chemut* كما نقرأ في كتاب مالانيراً وهو يتوافق جيداً مع صوت الاسم الذي نكتبه بطريقتنا *Hamud* (حمود) (١). وقد قبع بين صخور كاستروجوفاني المنيعه بينما كانت

(١) حرف العاء وهو الحرف السادس في الأبجدية العربية غالباً ما تم نقله حتى قرن مضى أو قرنين بالحرفين اللاتينيين *ch*: وحرف الدال وهو الحرف الثامن غالباً ما تم نقله بحرف *f* أكثر من حرف *d*. وقد كتبه أنونيمو *Hamus*. ولا نعلم من التاريخ أن *Chemut* بعد أن قصير هو وكل عائلته، ظل تحت حكم الفانج، نستطيع أن نطابق بين لقبه ولقب روجيرو هاموتوس. وكان صاحب بعض الأملاك التي وهبها فيديريجو الثاني عام ١٢١٦ للكنيسة بالرمو (وثيقة موجودة في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٧). وبين لقب ابن حمود، وهو سيد فاحش الثراء وأه ابن جبير في صقلية عام ١١٨٥. وربما كان هذا الرجل النبيل ابن أو ابن أخ حاكم كاستروجوفاني. وبعد أن علمنا كذلك أنه كان يكنى بأبي القاسم، فيبدو أنه *Bulcassimus*. وكان رجلاً مشهوراً بمشاجرته في بلاد بالرمو في بداية حكم جوليئمو الصالح، وأبو القاسم الذي أهداه ابن قلاص كتابه الزهر الياسم، وابن أبي القاسم الذي قدم له ابن قفر، عندما جاء إلى بالرمو قبل حوالي عشر سنوات، أصاليب الغاية، والعشني، والوزر الصغور والتسعة الثانية من صلوان المطاع، كما ذكرت في مقدمة صلوان (فلونسا، ١٨٥١) من الصفحة الرابعة والعشرين إلى الصفحة الثانية والعشرين ويجب التنبيه إلى أن اسم قاسم والكنية أبو القاسم كانا يتكرران كثيراً بين بني حمود. ويمكن التعرف على أنساب هؤلاء في مخطوطة باريس، الممنونة «أنساب العرب»، المطبوعات العربية، ١٦٧. الورقة ٩٠، الوجه الثاني. وفي مخطوطة مكتبة باريس كذلك الممنونة صعدة الطالب، *Ancien Fonds*.

زوجته وأولاده هي چرچنتى، وكان النورمان بطوqون المدينة، ويضربون أسوارها بالآتهم حتى احتلوها فى يوم الخامس والعشرين من يوليو من العام نفسه. وقام روجيرو بإقامة قلعة منيعة فيها وزودها بأبراج وحصون وخندق؛ وترك بها حامية قوية تحميها، وعندما وجه ضرباته للإقليم، نجح فى وقت قصير فى إخضاع إحدى عشرة قلعة وهى: بلاتانى وموكسارو وجواستيللا وسوتيرا ورحل وبيغارا وميكولوها ونارو وكلتانيسيتا وليكانا ورفانوزا؛ وهكذا احتل البلاد كلها من مصب نهر بلاتانى حتى مصب نهر سالسو وكلتانيسيتا والتي كوّن منها بعد قليل، وبعض الإضافات إبراهيمية چرچنتى، التى تنفق الآن مع كل الإقليم الذى يطلق عليه هذا الاسم بالإضافة إلى جزء من كلتانيسيتا المتاخمة له. وعندما سقطت زوجة حمود ووقع أبنائه تحت نفوذ روجيرو، جعلهم فى حراسة آمنة لائقة، اعتقاداً منه، كما يذكر مالانير، بأنه سيكون من السهل عليه أن يستدرج ذلك الأمير إلى عقد الاتفاقيات، بالحفاظ على أسرته دون أن يصيبها أى أذى (1).

---

١٢٦ الورقة ٩٢، الوجه الثانى وما بعدها. وفى هذين المخطوطين لم يرد ذكر بنى حمود الصقليين. أما من الأسرة الأسبانية التى يطلق عليها هذا الاسم فتحدث كل كتب تاريخ أسبانيا وإفريقية فى القرن الحادى عشر: وعلى سبيل المثال المراكشى. النص. ص ٣٠ وما بعدها. وص ١٢ وما بعدها: البيان، المجلد الأول، ص ٣٠٨: وابن خلدون *Storia dei Berberi*، الترجمة الفرنسية. المجلد الثانى، ص ١٥٢ وما بعدها؛ دوزى *Histoire des Musulmans d'Espagne*، المجلد الثالث، ص ٣١٦ وما بعدها. وفى مواضع متفرقة. من المجلد الرابع، ص ١٢ وما بعدها. وكتاب نيكازو دى بورجو، كونت البلاط الثالث والعشرين، وعنوانه *La Discendenza di Achmet, ec.* ١٧٨٦. ليس جدير بالثقة، فيه يؤكد على أن عائلة بورجو من سلالة حمود هذا. (1) مالانير، الكتاب الرابع، الفصل الخامس: وأنونيم، فى كتاب كاريزو. *Bibl. Sic.* ص ٨٥٥: الرابع كورانو، المرجع المذكور، ص ١٨.

أسند مالانير هذا الحدث لعام ١٠٨٦؛ ولكنه أخطأ بكل تأكيد فى عام. كما هو واضح من التصويب الذى قمنا به على شهادته على القناع سيراكوزا والمهدية، فى الصفحات السابقة ص ١٧٠، ١٧٤ فى الهامش. بينما أورد كل من ابن الأثير وأبو الفدا والنهري وابن أبى دينار فى المكتبة العربية - الصقلية، الصفحات ٢٧٨، ١١٤، ١١٨، ٥٢٤ تاريخ ١٨١ (١٠٨٨ - ١٠٨٩).

وأسماء الصلاخ التى تم الاستيلاء عليها فى إقليم چرچنتى، مأخوذة من كتاب مالانير،

ووجد ابن حمود نفسه في الحقيقة محاطاً من كل جانب في كاستروچوفاني؛ فقد احتل المسيحيون الجزيرة كلها فيما عدا، نوتو وبوتيرا؛ وأن سقوطه كان يمكن تأجيله وليس تجنبه؛ ولم يكن يتوق إلى الاستشهاد أو إلى أخطار الحرب أو حتى إلى ضنك الفقر المجيد. وذات يوم اقترب روجيرو من القلعة ومعه مائة مقاتل، ودعاه للتحديث معه. فنزل إليه عن طيب خاطر وأخذ يستمع دون خوف إلى كلماته المغلفة التي كانت تؤدي إلى اقتراحين: تسليم كاستروچوفاني واعتناقه للمسيحية. ولم يتردد إلا في كيفية إنجاز هذه الخيانة والارتداد عن دينه دون المخاطرة بحياته. وفي النهاية وجد حلاً لهذه المسألة فودع الكونت الذي عاد مبتهجاً إلى چرچنتي. ولم يمر وقت طويل حتى قام النورماندي ومعه فرقة قوية بالتوجه في هدوء نحو كاستروچوفاني؛ واختبأ في مكان متفق عليه مع المسلم. وبعد أن أمر حمود فرسانه بامتطاء جيادهم وسحب وراءه على البغال ما استطاع من غيرهم من الرجال، وكأنه يحاول القيام بعملية حاسمة، خرج من كاستروچوفاني واقتادهم مباشرة إلى مكان الكمين. وتم أسرهم

---

بعد أن تم تصحيح بعض أخطاء النص الواضحة. ويظل موضع شك اسم *Racel* الذي نقلته بالتأكيد *Rahl* (مصحلة) ولكن بنفسه الاسم الذي لا بد أن يأتي بعده التعديده تلك التسمية العامة. والذي لا أستطيع التمكن به من بين أسماء *Rahl* الموجود بكثرة في ذلك الإقليم. وفي اعتقادي أنني أحسنت قراءة *Remise* (وهو بديل *Remunisse*) في النص برهانونزا، ثم أن ميكونوها كانت تقع بالقرب من رهاونزا. وزيادة على ذلك فإن سيموني دا لينتيني، وهو مؤلف من القرن الرابع عشر، نسخ كتاب مالانيرا، يذكر في كتابه *La Conquista di Sicilia* الذي خرج إلى النور حديثاً (مجموعة أعمال لم تنشر أو نادرة - بولونيا ١٨٦٥) ثمانية أسماء فقط من بين أحد عشر اسماً، ويقول إنه لم يجد الأسماء الباقية في النصوص؛ وهناك مخطوطة من الكتاب نفسه، في *La Bibliothèque de l' Arsenal* في باريس (*Ital. N. 68*) جاء بها سبعة أسماء فقط: بلاتاني، موزان، جواستانتلا، كاتانيسيتا، بوزولبي، موكوفي، سيامكو. ويضيف قائلاً: "nun so chi si fassiru e nun si conuiriannu, ec." وحول الأسماء التي لا نجدها في القائمة الحالية لهذهيات متفنية، انظر دي اميكو *Dizionario Topografico* والفهرست الذي الحقته في نهاية *Carte Comparée de la Sicile, Notice*

جميعاً أما هو فقد استقبل بالترحاب. وعندئذ تحرك المسيحيون نحو المدينة، التي استسلمت باليهود وذلك لافتقادها لأقوى المدافعين، وأقام روجيرو على طريقته قلعة وحامية عسكرية فيها. ثم عُمد ابن حمود والتمس من رجال اللاهوت التابعين للكونت أن يحتفظ بزوجه التي كانت ذات قرابة منه، في الحدود التي سمح بها القرآن، والمحرمة في العقيدة الكاثوليكية. ولعدم شعوره بالأمان من جانب مسلمي صقلية ولأنه كان لا يريد أن يرتاب فيه روجيرو في حالة حدوث مؤامرات أو وقوع اضطرابات، طلب ابن حمود، ذلك العذر الخسيس، أن يقيم في البر الإيطالي؛ ومنحه روجيرو بعض الضياع بالقرب من ميليتو وعاش فيها عيشة صالحة لفترة طويلة من الزمان، كما يقول المؤرخ النورماندي (1).

وكانت آخر المدن التي قاومت بقوة سلاح هي مدينة بوتيرا، وآخر مدينة استسلمت هي مدينة نوتو. وكان موقع المدينة الأولى قوياً حصيناً، وأرضها شديدة الخصوبة وازدهرت تحت حكم المسلمين، وكانت متحضرة بقدر ثرائها، وهي موطن شاعر رفيع كان فخر بلاط الملك روجيرو في بالرمو في النصف الأول من القرن التالي. تحرك الكونت روجيرو بجيشه لحصار بوتيرا على اعتاب شهر

(1) مالاتيّر، الكتاب الرابع، الفصل السادس، وأنونيمو، في كتاب كارولو، Bhl. Sic. ٨٥٥، ويرى الزاهب كورامو، المرجع المذكور، ص ٤٨ أن كاستروجوفاني وجرجنشي تم احتلالهما في العام نفسه، ولكن لم يذكر مالاتيّر ذلك بوضوح؛ ولم يذكر كذلك العام الذي وقع فيه الحدث، الذي طبقاً لسلسلة الأحداث التي رواها المؤرخ نفسه، من الممكن أن يعود إلى عام ١٠٨٧، أو إلى الشهور الأولى من عام ١٠٨٨. وقد أرجع الكتاب العرب استسلام كاستروجوفاني إلى عام ١٠٨٤، أي بعد ثلاثة أعوام من استسلام جرجنشي (١٠٨٨ - ١٠٨٩) وقد ردوا خضوع المدينتين إلى أهوال الجوع؛ ابن الأثير، وأبو الفدا، والنويري، وابن أبي دينار في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢٧٨، ٤١٤، ٤١٨، ٥٢٤. ويعتقد، أو كان يعتقد على الأقل في وقت ما، أن في شاكّا توجد المعمودية التي تنص فيها حفيد على المرتد. انظر مذكورة فينيشنسو فينولي وبها مجموعة من الوثائق التي نطوع منها رابعة الزيف. في Opuscoli di Autori siciliani المجلد السابع، ص ١٦ (بالرمو ١٧٦٢).

أبريل عام ألف وثمانية وتسعين: وحاصرها وضغط عليها من كل جانب، وكان يقوم بتجهيز المعدات لضرب القلعة، عندما بلغه أن البابا أوربانو الثاني قد جاء إلى صقلية للتفاوض معه في أمر خطير وأنه قد نزل في بلاط تراينا، فترك روجيرو العناية بشئون الحرب لقواده وذهب لمقابلة البابا والتحدث معه، وعند رحيل البابا قدم له هدايا ثمينة، وما أن عاد إلى معسكره أسفل بونيرا حتى استولى عليها بالاتفاق؛ وألحق بالقلعة حامية عسكرية وأرسل أكثر المواطنين نفوذاً إلى كلابريا، وهي شهر فبراير عام ألف وواحد وتسعين، وبينما كان في ميليتو، أتاه مبعوثون من نوتو يعرضون خضوعها، فقبل وأسقط الإتاوة عن المدينة لمدة عامين. وأوفد ابنه جوردانو مع مبعوثيها ليحتل القلعة. وعند ذاك لاذت زوجة بناهزت بالفرار ومعهما ابنه إلى إفريقية<sup>(1)</sup>.

وبعد أن سيطر النورمان بهذه الطريقة على الجزيرة بأكملها، أبحر روجيرو في العام نفسه ألف وواحد وتسعين لفتح مالطة، التي كان يريد أن يبدأ بها، كما يقول كاتب الترجمة، وإخضاع أقاليم أخرى جديدة فيهما وراء البحر، ليشبع رغبته العارمة في الحصول على مزيد من المكاسب. وحاجته التي كان يشعر بها إلى التثقل والمشقة وخوض الحروب، وأثناء تجهيزه للحملة ودعوة أتباعه من البارونات للمشاركة فيها، قيل له إن ماينيهري دي اتشيرنيزا، الذي استدعاه للحديث معه، أجاب رسوله قائلاً: إنني لن ألتقي به وجهاً لوجه إلا لكي أصيبه بأذى. واشتعل الكونت غضباً لهذه الإهانة فعبّر على الفور إلى البر، وتبعه

(1) مالاثيراً، الكتاب الرابع، الفصل الثاني عشر والثالث عشر والخامس عشر: انونيمو، في كتاب كاروزو، Bbl. Sic. ص ٨٥٥: الراهب كورانو، المرجع المذكور، ص ٤٨، وفيما يتعلق بشوم أوربانو الثاني إلى صقلية وحملة بونيرا، احتضنت الترتيب التلخيص لياجي، Annali di Baronio، ١٠٨٩، § ٩. واختلف كتاب حوليات المسلمين، الذين سبق ذكرهم عن المسيحيين: فلم يتعدوا عن نوتو وبونيرا وجعلوا كاستروچوفاني آخر مدينة تم احتلالها. ولكنهم التفوا في تعداد عام ١٨٤ [٢٢ فبراير ١٠٩١ إلى ١١ فبراير ١٠٩٢] على أنه العام الذي أتم فيه النورمان فتحهم.

بيترو دي مورتان بعد ثمانية أيام ومعه جيش أعداء في صقلية. لعله كان يذخر بالمسلمين، وتحرك به روجيرو في سرعة ضد انتشيرييزا، وحاصرها حتى نزل ماينيرى طالباً العفو، ففرض عليه غرامة مقدارها ألف قطعة من الذهب. وقبل أن يعود إلى صقلية أنزل الخراب بأراضي كوزنسا التي كانت قد شقت عصا الطاعة على دوق بوليا. ثم أمر بحشد الرجال والسفن خلال خمسة عشر يوماً عند رأس سكالا ميري(1) التي تحمي من ناحية الغرب الميناء المسمى ميناء لونجوباردو، وكوكانا دي تولوميو ودي بروكوبيو وكان قد مر بها قبله بأربعة قرون بلزاريو في طريقه لغزو مالطة. وفي شهر يوليو ذهب إليها الكونت قوياً وفي عنفوانه. لا تثقل كاهله الستون عاماً من عمره وكان قد تزوج لتوه من الزوجة الثالثة. وعندما رجاه ابنه جوردانو كي يترك له قيادة الجيش غضب لذلك غضباً شديداً وقال: بما أن النصيب الأول في الفنائم هو نصيبه فلا بد أن يكون الأول أيضاً في خوض المخاطر الصعاب؛ وأمر ابنه أن يحجب صقلية في غيابه ومعه فرقة كبيرة، وألا يتوقف في مدينة ذات أسوار أو قلعة. الأمر الذي جعل الشاب الطموح يذرف الدمع غضباً. وأمر روجيرو بنفخ الأبواق وضرب الآلات الموسيقية إذ يبدو أنه قد ألف منها فرقة من أعظم المعازفين، ورفع المراسي وحل الأشرعة ورسا في ميناء مالطة في اليوم الثاني من إبحاره؛ وكانت سفينته أول السفن، وكان هو أول من غادر السفينة ومعه فقط ثلاثة عشر فارساً هم كل من كان معه؛ وانتظر وصول السفن الأخرى وهو يناوش المسلمين، ثم استسلم للنوم مع رجاله على الشاطئ. وفي اليوم التالي قام بنشر الفرسان في الريف، وتحرك نحو المدينة بأغلب الجيش. ولكن القائد ومكان المدينة غير المعتادين على حمل السلاح، أسرعوا إلى الحضور للمحادثات، واذلوا ما في وسعهم لهمكروا عليه؛ وعندما لم يتمكنوا

(1) في كتاب مالاثيرا، Resacrambom.



من التغلب عليه باستخدام المكر أكثر من القوة، وافقوا على إطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين، وتسليم الأسلحة والجياد وكل أدوات الحرب، وأن يدفعوا في الحال إتاوة كبيرة وجزية سنوية، على أن يحكم المدينة باسم الكونت روجيرو وأن يقسم له بالولاء والإخلاص. واجهش المقاتلون المسيحيون بالبكاء عندما تقدم الأسرى نحوهم بعد أن فكّت قيودهم وهم ينشدون كيرالييسون ويحملون في أيديهم الصليبان بعضها من الخشب وبعضها من البوص كما استطاع كل منهم صنعها وارتموا تحت أقدام روجيرو. الذي قام بدوره بتوزيعهم بين السفن كلها عند إبحارها للعودة إلى صقلية؛ وكان يخشى أن تفرق بهم السفن بسبب الحمولة الزائدة، ولكن النتيجة كانت على عكس مخاوفه، كما يقول مالاتيّر، فإن الحمولة الجديدة خففت السفن كثيراً لدرجة أنها ارتفعت بمقدار ذراع فوق سطح المياه عن رحلة الذهاب. وابتهرت السفن، ولم تحدث معجزات أخرى. ونزلوا في جوتسو؛ وقاموا بنهبها وأخضعوها لسيطرة روجيرو. ثم قام روجيرو بمجرد أن وطن صقلية بجمع أسرى مالطة المسيحيين، وأطلق سراحهم ومنحهم أراضى وأدوات زراعية وأعفاهم من الضرائب والجور إعفاءً دائماً، ووعدهم أن يبني لهم مدينة في مكان جميل يطلق عليها هيلافرانكا إذا ما أرادوا البقاء في صقلية. ولكن كلاً منهم أثار العودة إلى داره، وبفضل سخاء الكونت وكرمه عبروا الفارو بلا مقابل. وهكذا راحوا يتحدثون في كل مكان عن قوة محررهم (1) وكرمه. وبهذا الصنيع ثوج روجيرو فتح صقلية الذي أتمه بنفسه في مالطة كما بدأه بنفسه في مسينا قبل ثلاثين سنة.

(1) مالاتيّر، الكتاب الرابع، الفصل السادس عشر، والمدة التي استغرقها حروب الفتح اكتمل الإبريس الذي يقول إنها ثلاثون عاماً بدءاً من سنة ٤٥٣ (٢٦ يناير ١٠٦١ إلى ١٤ يناير ١٠٦٢). انظر في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٦.

## الفصل السابع

حكم المنتصر، الذي كان أشبه بأمير قديم وطبيعي، الجزيرة في هدوء في السنوات العشر التي أعقبت ذلك، بينما كان المجتمع من أدناء إلى أعلاء يفور مضطرباً؛ فقد حدث تغير للسكان والممتلكات والأحوال المدنية، والأعراف والعادات والقضاة والقوانين والدين. وكانت الثورة الوحيدة للخاصة هي ثورة بنطاليكا؛ التي كانت مدينة كبيرة في ذلك الوقت، وكانت بالقوة لوقوعها على صخرة وعرة، ويفمرها نهر أنتابو، وسكنها في عهد بعيد للغاية شعب عامل نشيط، حفر فيها سلسلة من التجاويف وكأنها الخلايا في الجدار الأملس للصخرة<sup>(1)</sup>. وقد ثار مسلمو بنطاليكا في عام ألف وثلاثة وتسعين من التقويم الميلادي، وقد انتشوا من الفرحة، بعد أن سمعوا بموت السيد الإقطاعي الرهيب، جوردانو ابن الكونت. وكان هذا الأخير قد هرع إلى سيراكوزا عند الإعلان عن مرض جوردانو فوجده قد هارق الحياة، وبمجرد الانتهاء من مراسم الجنازة، تحرك ضد المتمردين مع الجنود المتمركزين من حرسه؛ واستدعى للخدمة ميليشيات البارونات، وبعد التغلب على وعرة الأماكن وصلابة المدافعين، قام بشنق رؤساء المتمردين، وعاقب آخرين بعقوبات مختلفة، واقتلع

(1) عن هذا الموقع تحدث هازيلو، العشرة الأولى، الكتاب الرابع، الفصل الأول؛ وامبيكو *Dizionario topografico*، الترجمة الإيطالية، المجلد الثاني، في مادة *Panralico*، وماسبي، "Sicilia in prospettiva"، المجلد الثاني من ١٢٦؛ هيرارا، "Guida di Sicilia"، ص ١٥١؛ وبوركولو "Voyage en Sicile"، باريس ١٨٤٨ ص ١٩١ وما بعدها. ونظير أهمية بنطاليكا في عام ١٠٩٢ من خلال الوثيقة التي نقلها بيرو، ص ٦١٨ حيث كتب اسمها بننجر، بينما نقراء بننرجو في وثيقة أخرى ترجع لعام ١١٤١، المرجع المذكور، ص ٩٩٢، والإيريسس النص، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٦. ص ٥٢ كتب الاسم بنناراجا، فهو يطلق على نهر أنتابو اسم نهر بنناراجا، أي نهر بنطاليكا.

جنون هذه المدينة، كما يقول مالانثيراً مختتماً بحدة روايته. وقد روى مع ذلك كيف أن المسيحيين الذين كانوا في سيراكوزا قد بكوا بمرارة عند موت چوردانو حصرة على الشاب الجسور وإشفافاً على الأب المسكين، وكيف أن مسلمي المنطقة لم يستطيعوا السيطرة على دموعهم التي كانت. كما يقول بخبث دموعاً ناتجة عن تقلصات عضوية وليست دموع حبا(1).

كان مجنوناً إذن كل من يقاوم، ووغداً وجباناً كل من يسالمة: كان هذا هو التفكير السائد في البلاط النورماندي. وتوخي روجيرو في عمله الحكمة حتى لا يثرثر رجال بلاطه فلم يلجأ إلى بث الرعب فقط. كان يرى أن ذلك الجيل، الذي أنهكته الحروب والنفي، وقد تعب من صفار الطفلة، لا يطلب سوى الراحة والعدالة. وقد أعطاه هذه وتلك، وبذلك جعل المسلمين يمدونه ضرورياً لرخائهم، إن لم يكونوا يحبونه بالفعل؛ فأطاعوه، بل عاونوه، وحققوا بذلك فائدة لهم وله في الوقت نفسه. وقد جمع، بتحضر السكان المسلمين واللاتين واليونانيين، كما من القوة، كانت قد ضاعت بصورة عقيمة فيما مضى. فأخذ أموالاً وجنوداً من المسلمين أكثر من غيرهم. لأنهم كانوا أكثر عدداً وأكثر نشاطاً، وأكثر تماسكاً في نظامهم الاجتماعي، وأكثر طاعة للأمير. وباستخدامه لتلك القوة، رجعت كفته على غيره من الإقطاعيين النورمان. وبالشهرة التي استحقتها بجدارته بوصفه رجل حرب ودولة، عاقل وعادل ومتدين وراجح العقل قوى النفس. احتفظ بالمكانة الأسمى في إيطاليا جنوب نهر التيبر وأصبح من ملوك أوروبا(2).

(1) مالانثيراً، الكتاب الرابع، الفصل الثامن عشر: النظر *Anonymi Chronicon Siculum* في كتاب كاروزو، ص ٨٥٦ وهي الترجمة الفرنسية ص ٣١٢. ومع أن نص مالانثيراً يرجع هذه الأحداث إلى عام ١٠٩٢ فقد يدى لي أن اقتدى بالتاريخ الذي ذكره بيهو "Sicilia Sacra" في ص ١١ وص ٦١٢، طبقاً لعبارة رسمية مفقودة، كما يبدو.  
(2) بالإضافة إلى أن ذلك يبدو واضحاً من خلال الأحداث. إلا أن روجيرو ومعاصريه كانوا على علم به.

وقد اتجهت صوبه كل الأنظار عند موت روبرتو، عندما كان هناك من انحاز لهذا الابن أو ذاك، ولكن كل شخص فكر في الحقيقة في شئونه الخاصة، وظهر، كما يقول مالاتيّرأ عدم ولاء الكثيرين من أهل بوليا(1). وكان عدم الولاء، في لغته؛ يعنى نفاذ الصبر من النير النورمانى، الذى يسميه هو أيضاً نيرأ؛ وكان يعنى رفض الضريبة والخدمة التى كان الدوق، طبقاً للعادة النورمانية(2)، يطلبها من المدن، التى اختارت في وقت من الأوقات قائد القادة قنصلاً؛ وكان يطلبها من القادة الذين طلبوا من زميل لهم قيادة كل القوات في الحرب(3)، والحقيقة هي أن المواطنين اللونجويارد أو من أهل كلابريا والبارونات النورمان والإيطاليين، كانوا يطالبون بحقوقهم التى اغتصبها روبرتو وكانوا يستغلون الخلاف بين ابنه؛ ومن هنا فإن روجيرو، الدوق الجديد، كان يتعين عليه في آن واحد أن يدافع عن نفسه ضد بويمونديو ويسيطر على المدن المناوئة والبارونات المعاندين، مستخدماً أسلحة من نوع اسلحتهم، غير فعالة ولا يعتمد بها(4). وقد مد له المدون الكونت روجيرو، الذى كان قد وعد روبرتو

---

*"Comes ergo totius progeniei suae sustentator, citra Romam versus Siciliam, sicuti maria ab undique cingunt, abundantia rerum et industria callentis, sapientis consilii praecebat, unde et omnes suae negotia ad ipsum conferrebat"* الكتاب الرابع، الفصل السادس والعشرون، راجع الفصل السابع عشر، والعشرين إلخ.

(1) الكتاب الثالث، الفصل الواحد والأربعون.

(2) هكذا جاء بشكل صريح في الكتاب الرابع، الفصل الرابع والعشرين. أثناء حديثه عما أسماه ثورة أمالفي عام ١٠٩٦.

(3) انظر الفصلين الأول والثامن من هذا الكتاب من ٢٧، من ٤٢ وما بعدها من ١١٥ من هذا المجلد.

(4) *"Maxime quia Apuli, expeditionibus aliquo annorum curriculo desueti, corpus nullis plagis et diutinis laboribus fatigando, quin recreando sibi potius indulgere, quam expeditionibus iterum assuescendo, insulare nitebantur."* الكتاب الرابع، الفصل السادس والعشرون.

كما يقولون، بالابقاء على ذلك النظام هي الخلافة(1)، وكان مشاركاً في الغاية السياسية التي أملتة وهي: أن يمرض على بوليا، كما اعتقد أنا، أميراً من السلالة اللونجوباردية عن طريق الأم، حتى يطيعه الناس عن طيب خاطر، ويريد الغريباء من بنقنتو وكابوا. وقد لوحظ، في الحقيقة، تسامح السوق الجديد مع اللونجوبارد(2)، وفي الوقت نفسه تظهر الأحداث المخطط، وربما الاتفاق الموقع بين روجيرو هذا وذلك: أن يتنازل الدوق تنازلاً تاماً للكونت عن صقلية، وكلايريا ويساعده كذلك - فيما يبدو - في الحصول على أراضٍ أخرى نجاها الشمال؛ وأن يقدم الكونت للدوق الأسلحة لتكوين إمارة واحدة وراء نهري جريليانو وترونتو. ويتفق مع هذا المخطط قول مالانثيراً، إنه عند مولد سيموني (١٠٩٢) خليفة الكونت المباشر، كان بالتأكيد دوق صقلية وكلايريا القادم، بإقرار دوق بوليا روجيرو(3)، ومن هذه الكلمات يبدو أنه قد تم الاتفاق على أن تشكل أملاك الكونت دوقية، وإن لم توقع أوراق بهذا؛ ولعل هذا المخطط اضحى غير ذي جدوى للصعوبات التي واجهها من البلاط البابوي. وعلى يد الكونت روجيرو اعتلى عرش الدوقية (١٠٨٥) ابن أخيه؛ قدم له عربوناً، نصف قلاع كلايريا، التي خصصت لروبرتو في التقسيم الأول(4)، وبفضله قام بويموندو، بعد عامين، بإلقاء السلاح باتفاق هزيل؛ وتم قمع البارونات الذين كانوا يرفعون رؤوسهم(5)، ولكن بعد أن سقطت في صقلية آخر

(1) مالانثيراً، الكتاب الثالث، الفصل الواحد والأربعون.

(2) مالانثيراً، الكتاب الرابع، الفصل الرابع والعشرون.

(3) *"Simon fontis, pictus fronte inunctione Chrismatis,*

*Hereditatur: solidatur Duxce futuris Siculus:*

*Calabrenses suos enses sibi optant adjici:*

*Pater totum implet votum: Dux concessit fieri"*

مالانثيراً، الكتاب الرابع، الفصل التاسع عشر.

(4) مالانثيراً، الكتاب الثالث، الفصل الواحد والأربعون. عن التقسيم الأول انظر الفصل

الأول من هذا الكتاب ص ٥٧ من هذا المجلد.

(5) مالانثيراً، الكتاب الرابع، الفصل التاسع وما بعده.

المدن المسلحة المستقلة، استخدم روجيرو، دون خوف من أن يجرح نفسه بنفسه، آلة حرب كان قد جربها وأثبتت نجاحها في صقلية نفسها<sup>(1)</sup>، وجربها روبرتو بمخاطر أقل في روما؛ وضربت على أيدي خلفائه، لقرن ونصف، البلاد الواقعة في جنوب بر إيطاليا. وعندما رغب الدوق في إخضاع مدينة كوزنسا، قاد الكونت روجيرو، في عام ألف وواحد وتسعين، إلى الميدان جنوب تلك المدينة، مع الميليشيات الإقطاعية، عدة آلاف من سراسنة صقلية؛ وفرض الحصار على طريقته؛ وعندما أراد أهل كوزنسا النزول للاتفاقيات جعلوا منه حكماً. وبفضل تلك المساعدة منحه الدوق نصف مدينة بالرمو. وعندما ذهب إلى هناك على الفور، حصن قلعة في الجزء الخاص به من المدينة، واستطاع بصورة جيدة أن ينظم الإدارة المشتركة للدخول العامة، أو أثقل كاهل المواطنين بشدة الضرائب، حتى أن الدوق شرع في الحصول على عوائد من نصف المدينة الخاص به أكثر مما كانت تدركه عليه المدينة بالكامل<sup>(2)</sup>.

وقد جاءت آلاف عديدة أخرى من المسلمين مع الكونت إلى كاستروفيلااري، مع الفرسان والمشاة المسيحيين، لإغاثة الدوق روجيرو من تمرد جويلمو جرانتيمنثيل الخطير<sup>(3)</sup> (١٠٩٤): مسلمون، كما نقرأ، من صقلية وبوليا<sup>(4)</sup>؛ حيث يبدو أنهم قد نقلوا إلى ذلك الإقليم وسكنوا بعض إقطاعيات الكونت، سواء من صقلية مباشرة أم بعد توفيقهم في كلابريا<sup>(5)</sup>. وقد كان هناك عشرون ألف من السراسنة، كما هو مكتوب في أحد الأخبار<sup>(6)</sup>، يتبعون الكونت عند

(1) انظر الفصل السادس من ١٥٩ الذي يتحدث عن الجنود الذين كان يفودهم إيليا كارتوسي، والذين يبدو بالتأكد أنهم كانوا من المسلمين.

(2) مالاتيرا، الكتاب الرابع، الفصل السابع عشر.

(3) مالاتيرا، الكتاب الرابع، الفصل الثاني والعشرون.

(4) انظر الفصلين الرابع والسادس من هذا الكتاب من ١١٢، من ١٧٨ من هذا المجلد.

(5) لويو بروستيتاريو، عام ١٠٩٦: *Annales Cavares*، تحت العام نفسه، طبعة كتاب برن، *Scriptores*، المجلد الثالث، من ١٩٠: بيثرو دياكونو. الكتاب الرابع، الفصل الثاني

حصار أمانسى (١٠٩٦) حيث استدعاء الدوق، وأعدا إياه بنصف الأرض إذا ما قام باقتحامها. ولكن حدثت كارثة كبيرة كما يقول الراهب مالاتيير<sup>(١)</sup>: فبعد أن انتشرت شائعة في المعسكر بأن البابا أوربانو قد أعلن الحرب في الأماكن المقدسة وأن أوربا كلها تتجه إليها، قام بويموندو الطموح بتعليق صليب على ملبسه، وقد تسابق الشباب وراءه حباً في الأشياء الجديدة؛ وتركوا هناك الدوق والكونت، بقوات قليلة حتى إنهما اضطررا لرفع الحصار<sup>(٢)</sup>.

وقد زاد كثيراً في عام ألف وثمانية وتسعين عدد المسلمين الذين أخذهم الكونت من صقلية، حتى أن المؤرخ يؤكد أن الكونت لم يقم بقيادة جيش أكبر من هذا من قبل. وعندما تمت إقامة المعسكرات في سان مازكو في كالابريا، كان هناك عدد لا يحصى من مخيمات السرايسنة الداكنة<sup>(٣)</sup>: وكانت التلال تظهر مغطاة بثيرانهم ونعامهم وماعزهم. كما لو كانت قطعان لايان ويعقوب ترعى معاً: وكانت كابوا قد خرجت عن طاعة الأمير ريكاردو، من أسيرة الحرس النورماندية؛ الذي لما لم يستطع مواجهتها بقواته وحده فقد طلب المساعدة من الدوق وعرض عليه أن يكون تابعاً إقطاعياً له. ووعد الكونت بأن يدير له، ولا أعرف بأي طريقة، الحصول على نابولي. وقد وافق روجيرو،

---

عشرًا روماندو سالترينانو، عام ١٠٩٦. لاحظ بعض أصحاب المذونات أنه، لو أن عدد المسلمين قد وصل إلى ٢٠.٠٠٠ لاستمر الحصار. وعلى العكس علينا أن نأخذ في الاعتبار أن الكونت والقادة المسيحيين الآخرين ما كانوا يهيئون بالتأكيد أن يبقوا تحت رحمة المسلمين، خاصة في ظل فورة المشاعر الدينية المفزعة ذلك. (١) مالاتيير، الكتاب الرابع، الفصل الرابع والمشرور. قارنه بكتاب جويبرنو إبانتي، *Historia Hierosolimi*. الكتاب الثالث، الفصل الأول.

(٢) يبدو لي أن مالاتيير<sup>(١)</sup> يلمح بعبارته *tentoria bitumine palliata* إلى اللون فقط؛ لأنه في موضع آخر (الكتاب الثالث، الفصل التاسع عشر)، يقول وهو يصف بناء كنيسة قرانيا: *Parietes depinguntur diverso bitumine*. ويمكن أن تعني خيام من نسج حطرون، ثم أن لفظة *bitumen* كانت تستخدم في العصر اللاتيني المتأخر لتعبر عن كل أنواع المراد الرائنجية. انظر كتاب دوتكانجي تحت مادة *bituminare*. أما بالنسبة للفعل *palliare* أعتقد أنه يستخدم هنا بمعنى تون، وليس طوق، أو رسم على شكل أوتاد أو شرائط.

بعد أن أغراء ذلك الأمل، ويعد أن رجاء الدوق بحرارة. وقاد رجاله، وكانوا تقريباً قبائل رُحل، بحيث لا ينقصهم أبداً المرمى لقطعانهم، وحاصر كابوا بفن حرمى رفيع؛ وشيد جسراً من الخشب على نهر فولتورنو لكي يستخدمه المحاصرون؛ وأشرف بنفسه بانتظام على كل فصائل الحرب؛ حتى خضعت المدينة في النهاية(1). وقد بدا بشكل بارز جداً في هذا الحصار، حتى أن القصص الرهباني نسب إليه معجزة: بأن نزل ملاك على هيئة سان برونوني، ليحذره في الحلم من أن سيرجو، قائد مائتين من الجنود اليونانيين في جيشه، كان على وشك إدخال العدو في المعسكر(2).

وبعد ذلك تروى المذكرات الكنسية عن الكونت روجيرو، في عملية كابوا نفسها، واقعة لا تتم عن القدوة الحسنة. فقد جاء القديس أنسيلمو كبير أساقفة كانتريري ليتعاشي غضب جوليلمو الثاني ملك إنجلترا، ونزل إلى إيطاليا لأمر لانعرف ما إذا كانت خاصة بالكنيسة أم بالعالم؛ ودعاء دوق بوليا، كما يقول تلميذه إيدميرو، فأقام في المعسكر جنوب كابوا، عندما جاء إلى هناك أوربانو الثاني. وكان كبير الأساقفة المتقف يناض البابا في سمعته ويجذب كل صفوف البشر من المتدينين أو الفضوليين ولم يصد الزائرين المسلمين، بل إنه كان يفرهم بأطعمته(3)، وقد تألف معهم كثيراً حتى إنه اعتاد على زيارتهم في مخيماتهم المعزولة عن مخيمات المسيحيين؛ وكانوا يستقبلونه بالفرح والملام ولم يكن بوسع كل المسلمين الطيبين الاقتراب منه،

(1) مالاثيراً، الكتاب الرابع، الفصل من السادس والعشرين إلى الثامن والعشرين.  
(2) حياة سان برونوني في *Acte Sanctorum*، أكتوبر، المجلد الثالث، ص ٢١٩ وما بعدها ووثيقة الكونت روجيرو بتاريخ ١٠٩٨ التي أشك كثيراً في صحتها بالرغم من التلميحات الطويلة التي كتبها المعلقون العلماء. هذه الوثيقة وغيرها كثير خاصة بدير سان برونوني نقرأها في *Regii Neapolitani Archivii Monumenta*، المجلد الخامس، أرقام ٤٥٠، ٤٦٦، ٤٧٧ وما بعدها، و٤٩٤ وما بعدها، ٥١٠؛ وفي الصفحات ١٦٩، ١٧١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٨.

(3) *Et sumptis ab Anselmo corporalibus cibis, gratiosi revertebantur* (3)



فكانوا ينحنون له من بعيد؛ وطلباً لماداتهم، كما يقول إيدمير، كانوا يقبلون أياديهم مشيرين بإرسال القبلات للرجل القديس. وبعد أن تطرق بهذه الطريقة لأحاديث أكثر خطورة، اعتقد أنسيلمو أن الكثيرين منهم سيرتدون عن الإسلام لو لم يخشوا قسوة الكونت، الذي اعتاد معاقبة من يعتنق المسيحية منهم عقاباً قاسياً. ويختتم الراهب الإنجليزي (1) حديثه قائلاً، «أما لماذا كان الكونت يتصرف على هذا النحو، فإننى لا أريد الخوض فى البحث فيه، وحسابه مع الله». ولا يمكننا نحن بحث هذا دون أن نعرف بالضبط ما إذا كان كبير الأساقفة قد فهم الإجابات جيداً أو نقلها بأمانة، وما إذا كان المسلمون قد تحدثوا إليه حديثاً جاداً. وتبرهن رواية إيدمير أيضاً على أن الرئاسة الكنسية فى ذلك الزمن، كانت تنهم على استحياء الكونت بالتصامح الزائد وبعدم استعداده لاتباع الأحكام الدينية بدلاً من السعى لفائدة الدولة. وقد صرح أحدسهم، وهذا ما نلمحه من استياء مالاثيراً إزاء بويمونديو وأتباعه فى الحملة الصليبية. ولم يختلف رأى المسلمين عن ذلك، كما نرى من رواية فريدة لابن الأثير. يقتضى ابن الأثير أثناء روايته الاستيلاء على أنطاكية، بشئ من الغضب، أثر مقدمات الحملات الصليبية فى احتلال طليطلة (١٠٨٦) ومدن أخرى فى أسبانيا من قبل أهل كاستيليا؛ وهى غزو النورمان لصقلية؛ وهجمات الإيطاليين على ساحل أفريقية (2)، والخلاصة التى كانت تقوده فى ظلمات التاريخ الغربى، التى لم ير فيها إلا اسم الفرنجة أو الإمبراطورية. جعلته يفترض أن بالدوفينو، ملك الفرنجة، الذى كان هائماً بالفزوات، دعا الكونت روجيرو إلى

(1) إيدمير "Vita S. Anselmi"، مستط، فى كتاب كاريزو، Biblioteca Sicula، ص ٩٧٤ وص ٩٧٥.

(2) «واجتاح الفرنجة إفريقية هنا وهناك واحتلوا بعض الأماكن فيها، ثم فقدوها بعد ذلك، يبدو لى أن هذه الكلمات تشير بوضوح إلى أحداث بونا والتهبة التى تحدثنا عنها منذ قبل فى (الفصلين الأول والسادس، ص ١٩ وص ١٢٠، من هذا المجلد) وربما أيضاً إلى أحداث أخرى نجهلها.

عملية هي أفريقية. ولكن روجيرو عندما تشاور مع كبار رجاله، ورأهم يصفقون بصورة عمياء لتلك الصفقة رد بأسلوب قبيح وغير متحضر<sup>(1)</sup>. بأن نصيحتهم لا تساوى كثيراً. واستطرد قائلاً: «إننى لن أعبأ بالمتاعب ولن أعبأ بنفقات تقديم سفن نقل وجيش من الجنود للفرنجة؛ ولكن ألا تعتقدون أننا إذا لبينا الدعوة، سنكون خاسرين دائماً، حتى إن انتصرنا؟ فإذا انتصرنا فسيستقر الفرنجة في أفريقية، وتضيق تجارة صقلية فيها إذ سينتزعونها منها؛ وأول شئ هو صفقة الغلال الراحلة وإذا لم نتنصر، فإن تميم سيرانا عن حق خائنين وسيُنقض المعاهدة، عندما يرى قدوم الفرنجة من صقلية وانسحابهم إليها؛ وعندئذ سنقطع علاقاتنا مع أفريقيا، ومن مصلحتنا الإبقاء عليها. إلى أن نستطيع أن نجتمع قوات كثيرة كافية لنجرب الفوز نحن بمفردنا». وعندئذ دعا رسول بالدوينو. ورد عليه روجيرو بأنه لا يستطيع تقديم المساعدة، حيث إنه مرتبط بمعاهدات مع أفريقية؛ وأنه إذا كان الفرنجة يتوقون للحصول على الشاء بالقتال ضد المسلمين. فإن عليهم بالأحرى أن يتوجهوا لتحرير الأماكن المقدسة<sup>(2)</sup>. ولأول وهلة، فقد نثير تلك الإشارة إلى المخططات بشأن أفريقية واسم بالدوينو ذلك، الشك في وجود مفارقة تاريخية وقع فيها المؤلف، وأنه خلط بين الكونت روجيرو والملك، وذكر الحملة الصليبية الثانية على أنها الأولى. ولكن بما أن الكتاب المسلمين على دراية تامة بعادات الملك روجيرو وعملياته، فإنه يبدو

(1) حرفياً باللغة اللاتينية: *Femure sublatu, pepedit crepito magno*.

(2) ابن الأثير *Chronicon*، النص، عام ١٠٩٧ - ١٠٩٨، طبعة تورنجر، المجلد الماشر من ١٨٥ وما بعدها، وفي كتابي المكتبة العربية - الصقلية، النص، من ٢٧٨، ص ٢٧٩، ويلاحظ أن الاسم نفسه برودويل *Baldovino* أطلقته العوليات الإسلامية على الإمبراطور أوتوني الثاني (انظر كتابنا الرابع، الفصل السادس، ص ٣٣٢ من المجلد الثاني). ويبدو أنه في ظل حكم أحد أوائل برودويل *Baldovino* نفسه، انتقلت إحدى الروايات المزيفة من قبل المسيحيين إلى المسلمين عن إمبراطورية الفرنجة وقد جاءت مباشرة من شارلمان إلى عائلة بيرون.

لى أن الأقرب إلى الاحتمال هو الافتراض بأن الرواية ترجع حقاً لعهد الأب، وأن المسلمين المعاصرين للملك، دون أن يعرضوا رفض الكونت من البداية إلى النهاية والقوة الفوغاثية التى عبر بها عن ذلك، أضافوا إلى ذلك التفاصيل التى ورد بها ذكر أفريقية، ويمكن أيضاً أن تكون الرواية الإسلامية قد خلطت بين رفضين مماثلين للكونت المعجوز: رفضه دعوة أهل بيزا وأهل جنوة له للاشتراك فى عملية المهدية (1) ورفضه لأوروبا كلها عندما صاح للمرة الأولى: هذه إرادة الله!

وأما كان حكم الشعب فى القرن الحادى عشر على عدم أكثرات روجيرو الدينى، فإن الكهنة كانوا مستعدين لأن ينفقوا له أى شىء. وكانت الكنيسة تقوم آنذاك على أتباع بعض المدارس الأسقفية فى فرنسا وألمانيا وبصفة خاصة على رهبان بعض الرهبانيات باللغة القوة بسمعتها لقداستها وعلمها، وكذلك لثرواتها وقرباتها وأتباعها لدى الكبار: كما كان حال دير مونتى كاسينو قبل ذلك بقليل، وكما كانت أيضاً فى ذلك الوقت - نظراً لتفوق الفكر الكنىسى الفرنسى - أديرة فلورى ودل بيك وكلونى: فكان يأتى منها البابوات، والأحبار ووزراء الدولة، كما كانت مراكز للإدارة السياسية، حيث كانت القوة الدنيوية هى الغاية، والدين هو الوسيلة، والبلاط البابوى فى روما هو مركز الجاذبية. كانت هذه المدرسة السياسية قد ولدت منذ قرن تقريباً، بينما كان العلمانيون، والنبل وعامة الشعب يهدون ويهتاجون بين أهوال لا طائل منها، ويتفدون بالأوهام: وكان الكثيرون من الجهلاء من رجال الدين يجمعون بين القسوة والجدل والخداع. كانت مدرسة من الحكماء الذين كانوا يريدون استغلال بساطة الآخرين لغاية كبيرة ومقدسة للوهلة الأولى: تغليب العقل على القوة؛ وقيادة ذلك المجتمع الإقطاعى غير المتجانس والمفكك الذى كان يتأجج فى

(1) انظر الفصل السابق، ص ١٢٠ من هذا المجلد.

جميع أرجاء أوروبا، على طريق الإيمان، قيادة تقوم على وحدة الأخلاق والمصلحة العامة. وقد انصافت هذه المدرسة وراء المصالح وأصبحت طائفة، وبما أنها كانت غير مسلحة، فقد استغلت بالضرورة تغفلها ودعائها؛ وفشلت النتائج على النظريات، وسخرت الأخلاق لأغراضها، وتغلغلت في القصور الملكية، وتوسطت في الزيجات ونظمت مفاوضات سياسية، ورفضت هذا ودمرت ذلك، ومدت شباكها لجمع الهبات بكل الطرق: دولة الكونتيسة مانيلدي، وكذلك غنيمة روبرتو جويسكاردو.

ولم يكن رواد اليسوعيين، في القرن الحادي عشر من الرجال الذين يشتملون غيرة غير مناسبة ضد روجيرو، بينما كان هو في صقلية يعيد بناء الكنائس ويؤسس أديرة وأسقفيات ويزيد ثراء رجال الدين، ويستخدمهم في الأمور المدنية؛ بينما ورث في البر الإيطالي حقاً قوة روبرتو. أما أوربانو الثاني، القادم من دير كلوني وتلميذ إدبراندو، وكان قد اعتلى كرسي القديس بطرس (سبتمبر ١٠٨٧) وسط تهديدات أريجو الرابع وتهديدات بابا غير قانوني، فقد ظهر في غاية الالتزام تجاه الكونت؛ على الرغم من أن هذا الأخير، كما يبدو لي، كان يطمح أكثر فيما لم يكن البابا يريد أو يستطيع منحه إياه (1). وفي البداية ذهب أوربانو إليه في صقلية (١٠٨٩) للتفاوض، كما كتب مالاتييرا، على اتفاق مع كنيسة القسطنطينية (2)؛ ولكن بالأحرى، كما اعتقد أنا، على شعائر الكنيسة اليونانية في صقلية وهي كلابريا وبصفة عامة على التنظيم الكنسي للجزيرة؛ أو فوق كل ذلك، على مصالح القصر البابوي في البر الإيطالي (3). والصمت

(1) يلاحظ أن الكونت، وهو يفقد السراينة إلى حصار كابوا، وصل حتى مدينة بنفونو التي فرض عليها إتاوة، مالاتييرا، الكتاب الرابع، الفصل السادس والعشرين.  
(2) انظر الفصل السابق ص ١٢٩.

(3) كان روجيرو يحاصر بوتيرا. كما لاحظنا في الموضع المذكور، في شهر أبريل من عام ١٠٨٩، وجاء البابا لزيارته في خريف العام نفسه أو في فصل الصيف؛ وفي شهر سبتمبر تم عقد مجمع مهلفي، حيث تم إعلان هدنة الرب ونصّب البابا الموق روجيرو.

الذى التزم به راوى الأخبار سنين عديدة حول أمور القصر البابوى فى روما، تجعلنا نفترض أن روجيرو لم يترك قياده للبابا، حتى رأى أن الفطنة هى كسب القوة والعظمة. لأن البابا حثه (١٠٩٥) على إعطاء إحدى بناته زوجة لكورادو، ابن أريجو الرابع، الذى تمرد على أبيه ومساعدته الكنيسة على ذلك؛ والذى لم يكن يستطيع الصمود ضد الجانب الإمبراطورى فى إيطاليا، نتيجة لنقص الأموال لديه. ولكن النورماندى الحذر، عندما رأى أن الدوطة هى الهدف الرئيس، لم يوافق بسهولة؛ فقد أقتنع بذلك على القوم عنده وخاصة روبرتو أسقف تراينا، الذى كان يعرف باعتباره إيطالياً، كما يقول مالاتييرا، أحوال الأمور فى إيطاليا الشمالية ومدى اعتمادها على كورادو(1). وربما كانت معرفة روبرتو قليلة أو أنه أراد أن يخدع سيده. ويبدو أن أموالاً أخرى كان يؤمل فيها بعد الدوطة؛ وربما قدم روجيرو بعضاً منها آنذاك لمساعدة البلاط البابوى، كما حدث بعد ذلك فى عام ١١٠٠ عندما قدم هو الف أوقية من الذهب إلى باسكوالى الثانى(2)، لأن أوربانو كان يحاول بكل أساليب التوفير أن ينال رضا روجيرو، على الرغم من اعتراضه على الحرب الصليبية. وعند حصار كابوا (١٠٩٨) وصل البابا ليرجوه ألا يعرض للخطر حياته التى كانت ضرورية جداً لروما وإيطاليا، لأنه كان رعباً للأشرار(3).

وبعد أن عاد الكونت إلى سالرنو، بعد عملية كابوا، ذهب أوربانو لزيارته للتفاوض معه فى مباحثات خطيرة، قبل أن يرحل مرة أخرى

(1) مالاتييرا، الكتاب الرابع، الفصل الثالث والمشرون. ويقول عن أسقف تراينا: *nam Italus erat et illorum partium gnarus* هذه الشهادة الواضحة تصمغ الأماكن التى ذكرها بيرو وهاتنزيلو والكتاب كافة الذين يعتقدون أن روبرتو دى جروانتزويل، شقيق زوجة روجيرو الأولى كان أسقف تراينا ثم مسينا، وقد كان كبير رهبان دير سانت اوفيميا فى كلابريا منذ عام ١٠٦٢.

(2) باتدولفو بيرانو، فى كتاب موراتورى *Renum Italic, Script*، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ٢٥٥.

(3) مالاتييرا، الكتاب الرابع، الفصل السابع والمشرون.

متجها إلى صقلية؛ وقد عني كثيراً بتقديم زيارته حتى أنه ترك رؤساء الأساقفة والكهنة وهم جاهزون لاصطحابه في موكب لكنيسة سان ماتيو. وفي اليوم التالي منح تاج صقلية ميزة المفوضية الرسولية، التي سنتحدث عنها في الفصل التاسع، عند تناول تكوين الدولة. ونريد هنا فقط أن نوضح أن البابا كان قد عين مَفوضاً في صقلية، دون معرفة الكونت، وهو روبرتو أسقف تراينا، الذي تحدثنا عنه منذ قليل؛ وأن روجيرو كان لا يتحمل عمل بلاط بابا روما، وربما أيضاً شخصية روبرتو، وكان يهدد بعدم قبوله. ومن هنا فإن البابا لكي يرضى ذلك الذي خدم الإيمان المسيحي بنشاط كبير، ألغى التعيين وعين الكونت نفسه مَفوضاً دائماً وكذلك خلفاءه. هكذا يقول مالاتيراً<sup>(1)</sup>. ويذكر أوربانو في مرسوم المنح، بكلمات مماثلة، أن النعمة الإلهية حالفت حكمة روجيرو بالانتصارات والتكريم؛ وأن شجاعته عملت على توسعة الكنيسة المقدسة على حساب المرامنة؛ وأن فضيلته أظهرت بطرق عديدة وفاهم للمقر الرسولي. ثم إنه لم يكن هناك أيضاً من لا يرى كيف أن تلك الميزة الفريدة كانت راجعة لفضائل الكونت الدينية ولقوته السياسية على حد سواء. وكذلك لحاجة البابا له، وللإرادة القوية التي استطاع بها أن يحافظ على حقوق الإمارة كاملة أو المجتمع الطماني بمعنى أصبح، التي تعلمها من المسيحيين في كلابريا وصقلية من أتباع الكنيسة اليونانية. وقد دعمها بعد ذلك بشجاعة ديانة قوية ذات بأس وعقل سليم، بعد أن تحرر من العديد من الوسائس الشمالية في الأربعين سنة التي عمل فيها مع المسلمين ومع البيزنطيين ومع اليسوعيين في ذلك العهد. ووافته المنية وهو في أوج عظيمته في اليوم الثاني والعشرين من يونيو عام ألف ومائة وواحد، وهو في العام السبعين من عمره<sup>(2)</sup>؛ وقد

(1) المرجع المذكور، الكتاب الرابع، الفصل التاسع والعشرون.

(2) لويو بروتوستاريو ورومالو سالرنيتانو، ذكرنا عام ١١٠١ وقد حدد اليوم سجل موتي

كان سعيبدأ أيضاً في هذا، حيث إنه رأى ضمان خلافة الحكم لأولاده. وقد رزق روجيرو بالعديد من البنات، وزوج بعضهم لإقطاعيين، وأخريات لأمرأء: بوزيللا لكونومان ملك المجر (١٠٩٧)(1)؛ وكوستانتسا لكورادو ملك إيطاليا وابن الإمبراطور (١٠٩٢)(2)، وماتيلدي لريموننو كونت تولوز وبروهانس (١٠٨٠)(3) وإماً لروبرتو كونت كليرمونت، بعد أن طلبها فيليبو الأول ملك فرنسا طمعاً في دوطقتها(4). ولكن من الذكور الشرعيين يبدو أن جوفريدو وحده عاش في عام ألف وتسعة وثمانين، عندما تزوج الكونت أديلازيا، بعد موت زوجته الثانية إريمبرجا؛ وقد زوّج شقيقة هذه لجوردانو، ووجد الأخرى بجوفريدو. وهو صبي معتل الصحة، حتى أنها دخلت أحد الأديرة(5). إلا أن موت جوردانو جعل أمر الخلافة محل شك إلى

---

كاسينو. في كتاب كاروزو، *Biblioth. Sicula*. ص ٥٢٢ وإذ ما تركنا جانباً الكتاب العرب الذين يقولون شكل منهم إن روجيرو قد توفي قبل سنة ١١١. فإنه يكفينا هنا أن نذكر الإدريسي وابن خلدون اللذين ذكرا بدقة أن موت الكونت كان في هذا العام أي في الفترة ما بين ٦ نوفمبر عام ١١٠٠ إلى ٢٦ أكتوبر ١١٠١ عام ١١٠. انظر النسخين في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٦ و ١٨٥ و ١٩٨ وكذلك الثاني ترجمة م. دي شرجه ص ١٨٢. (1) مالاتييرا، الكتاب الرابع، الفصل الخامس والعشرون.

(2) انظر في هذا الفصل ص ١٩٢.

(3) مالاتييرا، الكتاب الثالث، الفصل الثاني والعشرون.

(4) المؤلف نفسه، الكتاب الرابع، الفصل الثامن.

(5) المؤلف نفسه، الكتاب الرابع، الفصل الرابع عشر؛ انظر *Anon. Chron. Sic.* في كتاب كاروزو، *Bibl. Sic.* ص ٨٥٦ وفي الترجمة الفرنسية، ص ٢١٢، وعن نزوة الكونت روجيرو، انظر بيزو، *Chronologia Regum Siciliae*. الصفحة العاشرة وما بعدها، وديكونج، *Familles Normandes*. في هامش أمانو ص ٣٥١ وما بعدها. وقد بيرو في الفصل المذكور ص ١١، بين أبناء الكونت روجيرو، أيضاً يدعى مالمجيريو. استخرج اسمه من وثائق مجموعته، وهو موجود كذلك في وثائق أخرى في محفوظات نابولي، اثنتين منهما بتاريخ ١٠٩١، وواحدة بتاريخ ١٠٩٨. وأخرى بتاريخ ١١٠٢ وأخرى بتاريخ ١٠٩٦ وهي منشورة في *Regii Neapolitani Archivi Monumenta* المجلد الخامس، صفحات ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٧٨ والمجلد السادس ص ١٦١. وقد قام الهولنديون بنشر وثيقة ١٠٩٨ أيضاً (حياة القديس برنوني، أكتوبر، المجلد الثالث ص ٦٦٢ وما بعدها) وفي اعتقادي أن مالمجيريو هذا ابن غير شرعي لروجيرو. لأن مالاتييرا لم يتحدث عنه، بما أن الأحداث لم تجبره على ذكره. وربما لعدم التفكير فيه في البلاط، عندما كان يتم النقاش بشأن الخلافة.

أن ولدت أديلايدى (١٠٩٢) سيمونى(2)، ثم روجيرو بعد ذلك (١٠٩٥)(2). وهكذا توفى الكونت المجوز على أمل أن يترك لسلالته صقلية وكلايريا اللتين تتكون منهما الدوقية؛ ولم يكن يتوقع بالتأكيد بأنه سيضاف إليها بعد ثلاثين عاماً ميراث روبرتو جويسكاردو، وميراث أسرة أفرسا، وجمهورية نابولى وساحل أفريقية وتاج ملكى. والآن سنتحدث بصفة خاصة عن أديلايدى هذه، التى دعمت حكومتها وشعبها الذى استقر فى صقلية من عمل مؤسسها، ويروى مالانيراً أنها ابنة شقيق بونيفاتسيو، ماركيز الإيطاليين الشهير جداً(3). وهى توصف بكلمات مماثلة فى بعض الأبيات الشعرية اللاتينية الرديئة المنسوبة لمعاصرها الراهب مارالدو(4)؛ ويسمىها

(1) مالانيراً، الكتاب الرابع، الفصل التاسع عشر.

(2) وبعد معرفة تاريخ وفاة الملك روجيرو بالضبط، وهو يوم ٢٦ فبراير من عام ١١٥٤ وكان عمره حينذاك ٥٨ عاماً وشهرين وخمسة أيام، فإن تاريخ ميلاده يكون هو ٢٢ ديسمبر من عام ١٠٩٥. وكانت هناك مجادلات حول هذا التاريخ من جانب الذين كانوا يريدون بالقوة إرجاع مولد الطفل إلى ما بعد حصار كابوا وذلك لكلمات مالانيراً: *ibi se impregnavit Comitissa Adelasia de comite Rogerio*. أن روجيرو هذا هو روجيرو الأب نفسه ولم يكن البوندستيون فى حاجة لأن لافتراض تحريف فى نص مالانيراً، حتى بثبتوا أن حصار كابوا قد وقع بعد ذلك عام ١٠٩٨، كما فعلوا عند الحديث عن سيرة القديس برونونى، المجلد الثالث، أكتوبر، ص ٦٥٥ وما بعدها.

(3) مالانيراً، الكتاب الرابع، الفصل الرابع عشر.

*Marchionis, Militonis, (4)*

*Bonifacii itali,*

*Nepis ornat, quod exornat*

*Uscor Adelasia*

*Brutiorum Siculorum*

*Comitem Rogerium etc.*

هذه الأبيات اللاتينية ذات الوزن الشعرى الإيطالى والمنسوبة إلى مارالدو، وهو راهب من كلايريا ومعاصر للكونت الأول روجيرو، تشبه بمولد ابنة الذى أطلق عليه أيضاً اسم روجيرو وتم تميده بهد سان برونونى. وأول من قام بنشرها هو بولينى فى *Prospetto della Storia de' Certosini* كما استطلعت هذا من *Acta Sanctorum*، شهر أكتوبر، المجلد الثالث من ٦٥٦ وما بعدها. وقد قام الناشر



الكاتب المجهول وهو معاصر للملك روجيرو، الماركييزة أديلي، المولودة في نواحي لومبارديا من سلالة شارلمان النبيلة للغاية وقد تلقت تربيتها بعناية فريدة وتعلمت العادات النبيلة(1)؛ ويقول عنها أودوريكو فيتالي، وهو من عصر انونيمو نفسه، أنها أديلي، ابنة بونيفاتسيو الليجوري(2)، ومن هنا فإن بيرو وموراتوري حسبنا أنه من المحتمل أن يكون بونيفاتسيو هو ماركيز مونفيراتو الذي كان يدعى بذلك الاسم نفسه(3)؛ وإذا كانا لم يصيبا الهدف فإنهما ابتعدا عنه قليلاً، لأن سكان ذلك الإقليم كان يطلق عليهم آنذاك ليجوريون ولومبارديون دون تفریق. وهي حقيقة الأمر مرت أحداث مونفيراتو منذ منتصف القرن الثاني عشر بلغها غموض تام حتى أيامنا هذه، كما أن أنسابها يشوبها الخيال إلى حد ما(4). وقد أوضح الأمر منذ بضع سنوات، چوليو دی كونتى وهو من سان كوينتينو، بعد أن نعى جانباً الروايات المحلية الحديثة واعتمد على الوثائق وحدها(5)؛

العلماء بإعادة طبعها وهم يصدد الحديث عن سان برونوني. ولكن اسم بروزي الكلاسيكي الذي أطلق على أهل كلابريا تفوح منه رائحة معرفة أكثر حداثة. وبجانب ذلك فإن الأربعة أبيات الأولى تبدو منقولة من نص مالانبرا النثرى الذي ذكرناه من قبل. لذلك هاتني لا أقل كثيراً في شهادة الراهب ماراندو.

(1) *Anonymi hist. sicula* هي كتاب كارونو، *Bibl. Sic.* ص ٨٥٦ وهي الترجمة الفرنسية ص ٣١٢.

(2) *Historia Ecclesiastica*. الكتاب الثالث عشر. في كتاب دوشيسن *Histor. Norman. Scrip.* ص ٨٩٧.

(3) بيرو. *Chronologia Regum Siciliae*. الصفحة الثانية عشرة والثالثة عشرة؛ موراتوري. *Annali d'Italia*. عام ١٠٩٠.

(4) حتى مؤلفو *Art de verifier les Dates* (طبعة ١٧٧٧. المجلد الثالث، ص ٦٣٠) والمدقق سان مارك هي ("Abregé de l'Histoire d'Italie". المجلد الثاني، ص ١٠٣٩) يذكرون شخصاً يدعى بونيفاتسيو الأول، ماركيز مونفيراتو منذ عام ١٠٦٠ إلى عام ١١٠٠.

(5) *Osservazioni critiche sopra alcuni particolari delle storie del Piemonte e della Liguria. Memorie della Reale Accademia delle Scienze di Torino*. السلسلة الثانية. المجلدات الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

إلا أن تحقيقه النقدي الدقيق أدى به إلى الخطأ الجسيم بأن جعل من عائلة واحدة - ظهرت هي وثائق مختلفة بأسماء وظروف متطابقة تقريباً - عائلتين مختلفتين. ولكن هذا الخطأ قد تم تصحيحه الآن. وقام رجلان من المتمعنين جداً في التاريخ الإيطالي في العصور الوسطى، وهما الإيطالي كورنيليو دي سيموني، وثيودورو وستفيلد من جوتينجا، بإعادة ترتيب تسلسل العائلات الحاكمة والقانون العام في ذلك البلد ونجحاً نجاحاً تاماً، فقد أسما عملهما على افتراضات علمية حكيمة، حيثما لا توجد الوثائق الإيجابية، وبأن اتبعنا المنهج الذي استخدمه موراتوري في إيضاح «ماركا المجاورة»، التي كانت تضم جنوة وتورتونا وميلانو. وتوفر لنا الأبحاث التي نشرها دي سيموني والخطابات التي كتبها لي وستفيلد الأخبار التالية عن عائلة أديلابيدي والدة الملك روجيرو(1).

وبقياس ما يقرب من عشرين ميل على الشاطئ الغربي بحيث تتوسطها سافونا، وبأخذ ذلك الجزء على الساحل المستقيم من نهر اليبو الذي يمتد من رافد تانارو حتى هيروا شمال كازال مونفيراتو، سيكون لدينا الضلعان الصغيران من شبه المنحرف، الذي شكل، في عهد أوتوني الأول واحدة من أقاليم ماركى الإيطالية(2). وكان يحكمها أليرامو، الذي كان كونت ثم ماركيزاً، ومن رجال القانون الفرنجة؛ حتى أننا يمكن أن نفترض أنه من أمة الفرنجة ونجد هنا أصل الرواية التي كانت تتأخر في صقلية بأنه حفيد شارلمان. أما سلالة أليرامو، بعد أن اغتصبت ملكية وظيفة الماركيز، كما كان يحدث آنذاك في كل أوروبا، فقد مارست هذه الوظيفة بصورة مشتركة لعدة أجيال، وقد نشأت بالصدفة عن هذا كما يبدو لي عادة منح لقب العائلة لكل

(1) دي سيموني، في *Atti della Società ligure di Storia Patria*، المجلد الأول، ص ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤ وللكتاب نفسه Lettera a M. Amari في *Nuova Antologia* المجلد الثالث، ص ١٩٢ وما بعدها. فلورنسا، سبتمبر ١٨٦٦.  
(2) انظر العدود بدقة أكبر، في *La Nuova Antologia* الموضوع المذكور.

الأبناء في الأقاليم الشمالية لإيطاليا لتعضرها: بينما كان يحتفظ به للابن الأول في البلاد الجنوبية مثلما يحدث في بلاد ما وراء الألب. وفي الأحكام ووثائق السيطرة والملكية في ذلك الإقليم قبل عام ألف ومائة نجد في الواقع العديد من الماركيزات معاً: ثم نرى في القرن الثاني عشر تقسيم - واقتسام - الأراضي بين العديد من أفرع أصل اليرامى وقد سميت في النهاية مقاطعات الماركيزات بالرغم من أنها كانت مجرد مناطق كونتات، لم تكن تتجاوز أحياناً حدود الأرض القانونية المعتادة للشسكونت. وهكذا نشأت مناطق الماركيزات في هاستو وإينشيزا وبوسكا وكاريتو، وبوسكو وبونزوني ومونفيراتو، وأوتشيميانو وألبينجا وتشيفا وكلاهيزانا وكورتيميليا ولوريتو. وفي منتصف القرن الحادي عشر، وبعد انفصال أقصى طرفي منطقة ماركا، نرى ثلاثة أشقاء، أوتوني ومانفريدو وأنسيلمو وهم يقيمون معاً كائداد متساويين، على اتفاق مع ساهونا؛ التي كانت في مسعاها لحكم البلدية تتحرر كلما أمكنها ذلك من حكم السادة. ولكن بعد أن خلف أوتوني ابنه بونيفاتسيو، الذي كان يسمى دل هاستو، وبعد موت أنسيلمو ومانفريدو قبل عام ١٠٧٩-١١، وهما شقيقا أو ابنا أوتوني، قام بونيفاتسيو بتوسعة أراضيه على حساب إقليم ماركا الفريسي الذي كان يشمل تورينو وأستي وأماكن أخرى. ولتأزعه على ميرات أديلايدي دي سوزا لكورادو ابن أريجو الرابع ولأمبرتو دي ساهويا ولكونت مومبيلارد، كان بونيفاتسيو سببا في غضب جريجوريو السابع عليه: ووقف دائماً في جانب الأباطرة ضد البابوات، وحارب مع مدن كانت تسمى للتحرر، وبعد أن دخل السجن ذات مرة، واعترض عليه ابنه الذي كان يدعى هو الآخر بونيفاتسيو، وكان ماركيز إينشيزا، وصل أيضاً إلى تقسيم أملاك واسعة على

(1) موجز جريجوريو السابع بتاريخ ٤ نوفمبر ١٠٧٩-١٠٨٠، لاب Concilio، في سان كونتينو، المرجع المذكور Memorie dell'Accademia di Torino، المجلد الثالث عشر، ص ٥٢.

أبنائه الآخرين. وليس هناك ما يدعو للعجب إذن من أن يصفه مالاتيرا على أنه ماركيز إيطاليا ذائع الصيت. ولا تبدو غير محتملة التربية النبيلة التي حظيت بها. كما يقول أنونيمو، أديلادي، ابنة مانفريدو اليتيمة. وقد وصل شقيق لأديلادي يدعى أريجو، وهو مذكور في الوثائق الصقلية ووثائق بيمونتي، إلى مكانة رفيعة في صقلية؛ وربما جاءت فروع أخرى من أسرة اليرامو إلى هنا للقتال تحت رايات النورمان؛ ومن المؤكد أن كثيرين من النبلاء في إقليم اليرامو من الرجال كانوا يمتلكون إقطاعيات هناك، وسنتناول هذا بالحديث بإسهاب في الفصول التالية.

## الفصل الثامن

يجدر بنا الآن أن نعرض الظروف السياسية والاجتماعية التي مر بها المسلمون أثناء الفتح وكذلك سكان الجزيرة السابقين والجند؛ وقد مهد الطريق لهذا البحث أستاذ القانون العام الصقلي، الباحث الحكيم روزاريو جريجوريو، في كتابه *Introduzione* وفي الكتب الأولى من مصدره *Considerazioni* ومنذ أيامه وحتى الآن لم تزد المصادر عن تلك المرحلة من التاريخ زيادة كبيرة. ولا زالت القوانين القديمة غير موجودة في بعض الفقرات غير المؤكدة وما يحيط بها. كما نلوذ بالصمت وقائع البلاط وميدان الأحداث، من مالاتيرا إلى رئيس رهبان تيليزي: أي فيما بين موت الفاتح وشباب روجيرو الثاني: أي ما يقرب من ربيع قرن، يضم حكم الكونتيسة أديلابدي وربما ترتيب الجماعات الجديدة. ومع هذا فيمكن التقاط بعض الإشارات من مذكرات عصور أخرى أو بلدان أخرى؛ كما نستمد بعض الضوء من الوثائق المنشورة أو التي لم تنشر. ثم إنه بفضل أدوات النقد التاريخي، التي تقدمت خلال هذا القرن، يمكننا أن نستخلص أفضل فائدة من المواد: حتى إننا ندين من جميع الجوانب لزماننا في القدرة على الحكم حكماً مباشراً والكتابة بحرية أكثر مما كان يجزو رئيس الكهنة الحذر تحت حكم البوريون في نابولي، الذين أثارتهم الثورة الفرنسية. والآن ينبغي ألا يبدو تجاوزاً منا أن نحاول تصحيح بعض أجزاء الصورة التي رسمها جريجوريو، منذ ستين عاماً. فلقد عمل - أساساً - على الوثائق، وبما أننا نحن أيضاً مضطرون للقيام بالشيء نفسه، فإننا نستهل حديثنا ببعض الملحوظات حول الوثائق الصقلية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وبداية لا بد من استبعاد وثيقة دخلت منذ عدة سنوات مضت في محفوظات نابولي وتم تقديمها في

عام ١٨٤٥ في مؤتمر علماء إيطاليا : وهي ليست سوى مرسوم للكونت روجيرو المجوز، يرجع إلى عام اربعمائة وأربعة وسبعين من الهجرة (١٠٨١)، وقد صدر عن الديوان في مسينا، لإعلام الحاضرين واللاحقين بتأسيس الوظائف السبع الكبرى التابعة للتاج الصقلي ومكتب مراسم البلاط، أما الزمان والمكان وصفة الاجتماع وطبيعة اللائحة نفسها والفاظها، فإنها تتعارض كثيراً مع الأحداث الأساسية للتاريخ الصقلي، حتى إننا نستطيع أن نرفض هذه الكتابة دون النظر إليها، وعلى العكس من ذلك، فإنه بالنظرة الخبيرة قد يكفى النظر إليها دون الالتفات للمضمون؛ لنلمح بدا حديثة غير مدربة تحاول للمرة الأولى تقليد الكتابة العربية، أو بالأحرى الخلط بين الحروف الكوفية والنسخ والحروف الأفريقية، بأسلوب الرسائل الشعبية تارة وبأسلوب تصنيف المسكوكات القديمة أو الآثار تارة أخرى؛ ولعل ثلث المفردات، متشابهة بصورة مبالغ فيها: وهي المواضع المقروعة هناك أخطاء كتابية ونحوية أو لفوية بقدر عدد الكلمات. وهذه العلامات والأسلوب واتجاه الكتابة، تدل دلالة واضحة على تزيف الراهب فيللا الجاهل والمتهور، الذي تحدثنا عنه في المجلد الأول(1).

(1) المقدمة من ص ١٢ إلى ص ١٧. ومن بين الأخطاء المألوفة للزيف المألوف التي وردت في هذا الرق، حرف العين المضاف إلى اسم مسينا. وعلى كل فوهة في قصة الوثيقة، قامت دار محفوظات نابولي بشراء هذا الرق وغيره من بعض الأفراد في عام ١٨٤٤ كما علمت من العالم السيد جوزيبي ديل جوديتشي. واعتقد الأستاذ ليهيرى، الذي كان على معرفة بسيطة بقواعد اللغة العربية ولكنه لم يكن متمرساً على التحدث بها جيداً وكانت معرفته بقراط الخطوط والكتابات القديمة أقل كثيراً، اعتقد أن بين يديه جوهرة ثمينة. ولهذا قام بتسليمه إلى المجلس الأكاديمي وهو في غاية السعادة كما هو واضح من خلال «وقائع الاجتماع السابع للعلماء الإيطاليين» نابولي، عام ١٨٤٦، ص ٦١١، ونقرأ فيها أن عضو الأكاديمية السيد دي رينيس شكله في أصانة الوثيقة وأنه بعد أن جرى التداول بشأنها فيللاً تم الانتقال إلى موضوعات وطوائف أخرى، فلم يكن المجلس مجتمعاً بالتأكد ليحكم على رقوق عربية أو ليهبث موضوعات أدبية. واسمحوا لي أن اضيف أنني بينما كنت أقيم في باريس في ذلك الوقت وعلمت بهذا الاكتشاف صرحت مسبقاً إلى رؤساء الدبر بأن هذه الوثيقة مزيفة وأنه بعد عام

وعلى الرغم من أن مثل هذه القبائح لاتحدث في الوثائق الصقلية المنشورة قبل أو بعد جريجوريو. فإنه لابد من توخي الحذر في التعامل مع كل تلك الوثائق المكتوبة أصلاً بالعربية أو باليونانية؛ حيث أن معظم النصوص مملوءة بالأخطاء. كما أن ترجمتها خاطئة وغير متسقة. وقد لاحظت ذلك العيب بصفة خاصة في الوثائق العربية<sup>(1)</sup>. وقد لحق ضرر أخف قليلاً بالوثائق اليونانية التي بدا في فك شفرتها علماء في الدراسات الهيلينية غير متخصصين في تاريخ صقلية، مثل لاسكاري، أو باحثون صقليون، مثل باسكوالينو وآخرون لم يكونوا على علم تام باللغة أو بقراءة الكتابة والنقوش اليونانية في عصورها المتأخرة؛ والأسوأ من هذا هو أنه بضياغ العديد من الرقوق، لم يتبق لنا سوى الترجمات التعيسة التي طبعها بيرو، ومونچيتوري وآخرون. ولا بفلت تماماً من هذا اللوم، تارديا المدقق للغاية<sup>(2)</sup>؛ أو أولئك الذين نشروا في مجموعات صغيرة ومتفرقة وثائق يونانية في النصف الأول من القرن الجارى<sup>(3)</sup>. ويجدازة أكبر نشر چوزيبي سباتا دا بالرمو في

١٨٤٩ أى بعد حصولي بفضل الملامة دوق لينس على نسخة منه منقوشة على النحاس. نأكدت من حكمي هذا كما اكده استاذي م. ريتو. وفي تلك الأثناء توفى ليتييري بينما كان يستعد لنشر ترجمة الوثيقة والتعليق عليها. وألت المخطوطة توارثته؛ ولكن تم عرض الوثيقة في قاعة دار محفوظات نابولي وقال مديرها أمير بلمونت في كتاب الدار بعنوان *Legislazione positiva degli Archivi del Regno* نابولي، ١٨٥٥، ص ٨٦. قال عنها أنها أكثر الوثائق الفريدة في دار المحفوظات، وإن فيه على أنه «ينبغي توخي الحذر والتأكد من صحتها، والحقيقة أن الإطار والوثيقة ظلا لسنوات عديدة ولطعما مازالا حتى اليوم معروضين أمام جمهور المتكلمين ليتأملهما باعجاب.

- (1) انظر المقدمة، في المجلد الأول من هذا التاريخ، ص ٢٢ و ٢٤.
- (2) عن وثائق صقلية التي ظهرت إلى النور قبل القرن التاسع عشر انظر كتاب جريجوريو، *Introduzione al Diritto pubblico Siciliano*، ص ٢٢ وما بعدها؛ ص ٨٧ وما بعدها في الطبعة الأولى، وفي مواضع متفرقة من كتاب *Considerazioni*. وارتاب جريجوريو كذلك في ترجمة الوثائق اليونانية كما يظهر في *Considerazioni* الكتاب الأول، الفصل السادس، الهامش رقم ١٢.
- (3) نجدها معها وثائق بلغة أخرى. في الأعمال الأتية:

- مورو (سلفاتورى)، "Palermo antico"، الطبعة الثانية، بالرمو ١٨٢٧.

- بوشمى (نيكولو) في "Biblioteca Sacra per la Sicilia" أو "Giornale Lett."

هذه الآونة الأخيرة ما يقرب من ستين وثيقة منها(1). ويرادونا الأمل الآن في صدور المجموعة الكاملة للوثائق اليونانية والعربية الموجودة في المحفوظات الملكية في بالرمو، وربما وثائق الجزيرة كلها؛ لأن الأستاذ سلفاتوري كوزا أخذ يعد لهذا العمل، وقد وعدت وزارة التعليم بتمويل نفقات الطباعة. وعلى كل حال سوف استخدم أنا نسخ الوثائق العربية المحفوظة في بالرمو، التي تفضل باتاحتها لي كوزا؛ وهي تكفي بالفعل لبيان التقدم الحديث في الدراسات الشرقية في إيطاليا(2). وعلاوة على المواد التي ذكرتها ترواً، هنالك بعض وثائق الإمارة النورماندية في صقلية وكلاهريا باليونانية ضمن مجموعة نابولي الكبيرة والدقيقة التي قدمها منذ وقت قريب ترينكير(3). أما فيما يتعلق بالوثائق اللاتينية في الحقبة نفسها، فإن قليلاً منها خرج إلى النور بعد جريجوريو(4) ولا يزال عدد كبير منها قابلاً في دور

"*Scient. Ecclesiastico*" المجلد الأول والثاني، بالرمو، ١٨٨٢، ١٨٨٤.

- مارتورانا (كارميو) *Risposta al Buscemi* في *Giornale di Scienze e Lettere per la Sicilia*، بالرمو، ١٨٨٤.

- جاريغالو (لويجي) *Tabularium Capellae Collegiate in r. panormitano*، *palatio*، باتورمي، ١٨٧٥.

- مونتيلارو (فيلسنتزو) "*Catalogo de Diplomi... della Cattedrale di Palermo*"، بالرمو، ١٨٨٢.

"*Elenco cronologico delle antiche pergamene della Maggiore*"، بالرمو، ١٨٥٩. "Opere" المجلد الرابع، بالرمو، ١٨٨٨.

(1) سباتا (جوزيبي) *Le Pergamene greche esistenti nel grande Archivio di*، *Palermo, tradotte ed illustrate*، بالرمو، ١٨٦١، (صدر عام ١٨٦٥).

"*Sul cimelio diplomatico del Duomo di Monreale*"، بالرمو، ١٨٦٥.

(2) أنهى إلى أنه للإيجاز سوف أقوم بذكر كل الوثائق العربية الصقلية التي تكرم الأستاذ كوزا وأرسل لي نسخاً منها دون أي وصف لها سوى لم تشر بعد.

(3) ترينكير، *Syllabus membranarum*، نابولي، ١٨٦٥.

(4) ويوجد بعض منها في المجموعة التي ذكرناها منذ قليل، في صفحة ٢٠٢، ملحوظة ٢. انظر كذلك كتاب دي كهارا *Opuscoli editi, inediti e rari sul Diritto pubblico eccl. della Sicilia*، بالرمو، ١٨٥٥.



المحفوظات العامة والكثسية في الجزيرة: وهو أمر يؤلمنى، ولكننى لا أخشى من أن ينتج عن هذا ضرر كبير، لأن مذكرات أمراء النورمان اللاتينية كانت دائماً موضع دراسة متصلة في صقلية وقد استخدم جريجوريو كثيراً من الوثائق التى لم تشر.

مع نهاية القرن الحادى عشر، بقى بالتأكيد في الجزيرة جانب غير قليل من السكان القدامى من الإيطاليين والهيلينيين<sup>(1)</sup> الذين يبدو أن مالاتيراً يشير إليهم باسمى «المسيحيون» و«المسيحيون اليونانيون»<sup>(2)</sup>؛ ويميز بينهم أمانو بصورة أفضل باسمى «المسيحيون» و«الكاثوليك»، ويدلأن عنده على معنى مخالف للمعنى الحالى، فهو يقصد بالاسم الأول الشعوب الإيطالية وشعوب ما وراء الألب من أتباع الكنيسة الرومانية ويقصد بلفظ «كاثوليك» اليونانيين من حيث اللغة أو المذهب<sup>(3)</sup>. وفى الحقيقة فإن ندرة المذكرات، وتشابه أسماء الأعلام بين البيزنطيين والصقليين وبين هؤلاء وسكان البر الإيطالى حتى نهر جريليانو، واختلاط إقامة مختلف الأهالى في المدن نفسها وأحياناً في القرى ذاتها، يجعل من الصعب التأكيد بأدلة أخرى على مدة بقاء هذه الأجناس: ولا مفر من الظن والتخمين خاصة عندما لا يشهد عليها ايضاً رواة الأخبار. ومع ذلك فإنه توجد قرائن عن الأصل، هي أسماء تلك العائلات القليلة من فلاحي آتشى وكثانيا وتشيفالو وبعض الأراضى الأخرى في إقليم بالرمو، التى تبقت لنا منهم، في حالة بالغة الندرة، الدفاتر أو السجلات، التى تم تحريرها في نهاية القرن الحادى عشر والنصف الأول من القرن

(1) انظر كتابنا الثالث، الفصل الحادى عشر، والكتاب الرابع، الفصل الحادى عشر، من ٢٢٢ و٢٢٤، ومن ٤٠٧ إلى ٤١٠ و٤٢٤، ٤٢٥ من المجلد الثانى.

(2) مالاتيراً، الكتاب الرابع، الفصل الثامن عشر والعشرون والتاسع والعشرون.

(3) *L'Ystoire de li Normant* الكتاب الخامس، الفصل الثانى عشر، والواحد والعشرون والخامس والعشرون: الكتاب السادس، الفصل التاسع عشر. ويلاحظ كذلك لقب *Cristianissimo* الذى يطلقه على روبرتو جويسكاردو، في الكتاب الخامس، الفصل الخامس والعشرون.

الثاني عشر. وهنا بين العديد من أسماء محمد وعلى وعبد الله وأسماء إسلامية أخرى: وبين باسيلى وتيودورى ونيقولا بن ليو، ونيقولا نوموثيتيس وأسماء أخرى معائلة يونانية الصياغة، تتردد أسماء أكثر شيوعاً في إيطاليا مثل بيتري، فيليبى وچينارى وأسماء عائلات لاندية الصياغة مثل كامبالا، دوناس أو دونوس، وبامباتشى وديوزالو وسوبولا ولانتشاس، وبيتيتو(1)، وزوتيكو وزوتيككا(2)، وكوروكانى(3)، ومشيبي، ونوتارى، ولوتشى، ولالوتشى، وبيترو سابوتى، ولم يأت عبيد الأرض هؤلاء بكل تأكيد من البر الإيطالى مع الغالبين، ومن الملاحظ علاوة على ذلك أن لقب العائلة، اللاتينى أو اليونانى، كان مصحوباً غالباً باسم الشخص العريس مثل يعيش بن چيلاسيا وأحمد بن روما أو روميه، ويوسف بن القارو، ويوسف بن چينارو (ينار)، وعمر بن كريسوبوللى، ومحمد الفياصيلى وعيس بن غُرغُر وعبد الرحمن بن فرانكو وحسين بن الشنتير بل ونرى أسماء كنية، على بن فارتوتو، وعلى سترامبو ومحمد باتشونى ومحمد بن كوكو، ومن هنا نستخلص أن العديد من الفلاحين المسلمين كانوا من أصل يونانى وإيطالى، ويظهر اختلاط الأجناس أيضاً من أسماء أهل الحضر والفلاحين في أماكن أخرى(4).

ونعلم الآن كيف يتمين فهم تأكيد أوجونى فالكاندو بأن فلاحى صقلية كانوا كلهم من اليونانيين أو السراسنة(5)، وبعد مرور قرون من الزمان على عصر أماتو ومالائير اندثر، كما يبدو لى، تميز السكان الأصليين إلى مسيحيين وكاثوليك، أى إلى إيطاليين ويونانيين، وقد

(1) الصورة العقلية للنظ (appetito).

(2) لاهب الخلط بين هذه الكلمة والنظ المشتق من أرض جوديك (judica) التى كتبها البعض Zotica.

(3) بجرى الكلب، استخدام عقلى.

(4) انظر الوثائق المذكورة هنا بعد ذلك من ٢٠٨ - ٢٠٩ بالنسبة لسان ماركو وراميتا ولهيرنسى وسان فيليبو دي فراچالا.

(5) في كتاب كاروزو، Bibl. Sicula، من ١٢٥.

اندثر هذا التمييز نتيجة لضالة عدد الفريق الأول ولأن الجهل والأحكام المسبقة وكبرياء السيطرة كان يدفع السكان الجدد، القادمين من وراء الألب والإيطاليين القادمين من البر الإيطالي، لتسمية كل السكان القدامى من غير المسلمين باليونانيين. وقد قلَّ عدد السكان الأصليين من أصل إيطالي، لأن الغالبية التي اعتنقت الإسلام، كما لاحظنا هذا من قبل<sup>(1)</sup>، كانت تعد من السراسنة. ثم أن عامة الناس كانوا في الحقيقة فيما بين العلامتين الظاهرتين للجنسية اليونانية، أي الطقس الديني واللغة، يتشبثون أكثر بالطقس؛ ومن هنا لم يتمسك اليونانيون المنضمون للكنيسة روما بلغة هوميروس وهم أولئك الذين كانوا يعيشون على سبيل المثال في الأقاليم التي أسس فيها الكونت روجيرو أديرتة الباسيلية؛ وكان يستمر إطلاق اسم اليونانيين المستكر على أتباع الانشقاق الديني وحدهم، وكذلك على الفلاحين، والأمميين حسب المفهوم المسيحي، والذين كانوا دائماً متأخرين في ملاحقة المتغيرات الدينية للمدن. وقد تمخض عن الخطأ الشيعي في القرن الثاني عشر خطأ آخر لدى الباحثين، عندما ظهرت من جديد في أوروبا الدراسات التاريخية، دون أن يتواكب معها التعمق في علم الأجناس؛ وفي ذلك الوقت توافق لدى الباحثين الإيطاليين حب الوطن مع الهذيان بأفكار صيبانية. ولا غرابة إذا كان كتاب الجزيرة آنذاك استعذبوا كثيراً الافتراض القائل بوجود أمة صقلية مختلفة تماماً عن أولئك اليونانيين الذين اعتاد عامة الناس احتقارهم؛ أمة أرثوذكسية كثيرة العدد ومتحضرة وعزيزة على محربيها، أو، كما يرى آخرون، على أنصارها، النورمان<sup>(2)</sup>. وقد

(1) الكتاب الرابع، الفصل العاشر عشر، ص 109 - 110 من المجلد الثاني.  
(2) هكذا يقول المؤلفون المجهولون لكتاب *Breve storia della liberazione di Messina*، الذي تحدثنا عنه في الكتاب الخامس، الفصل الثاني، ص 62، 61 من هذا المجلد؛ وهاتيزيلو بحكايته الطرافية عن الأسرى الذين فتحوها باب بالرمو وغيرهم. ومازورانا، الكتاب الثاني، الفصل الثاني، ص 42، الذي تبه لهذا الخطأ، فوقع في خطأ آخر، مفترضاً أن المسيحية قد خبت في صقلية؛ وهو ما تناولناه في الكتاب الرابع، الفصل العاشر عشر، ص 121 من المجلد الثاني.

وقع جريجوريو مع غيره في هذا الخطأ: فقد أعطى معنى شرعياً للمبارات الصوفية أو البلاغية في القرن الحادي عشر، وخلق روبرتو جويسكاردو والكونت روجيرو مع المطلوب بوليوني المذكور في الملحمة، فكتب يقول: إن الغزاة منحوا الحرية المدنية والإعفاءات للمسيحيين الصقليين(1)، ولكننا سنتناول هذا بالتفصيل في موضعه المناسب.

إن الوثائق التي وصلتنا - وهي النذر اليسير من تلك الوثائق التي أهدمت - تلقي الضوء على التوزيع الجغرافي للأجناس، ليس فقط من خلال الأسماء، وإنما أيضاً من خلال اللغة والتقاويم المعروفة، فكل من هذين العاملين يتفق مع غالبية الشعب في المكان: اللاتينية والتقاويم الميلادي عند الشعوب الإيطالية أو القادمة من وراء جبال الألب؛ واليونانية وتقاويم القسطنطينية للشعوب اليونانية؛ والعربية والتقاويم الهجري للمسلمين. وهكذا تؤكد الكتابات كثرة اليونانيين في فال ديموني أو بالأحرى على الساحل الشرقي والشمالي حتى تشيفالو(2)، وأن قلة منهم كانت توجد في كل

(1) *Considerazioni*، الجزء الأول، المقدمة، الصفحة العشرين والصفحات التالية والكتاب الأول، الفصل الثاني، ص ١٢ - ١٤.

(2) ليس من الضروري أن نذكر الأوراق اليونانية لكثرة الخاصة بمسبنا ولا تلك القليلة المعروفة عن قرانا فلدينا شهادات كثيرة مباشرة عن سكانهما، والوثائق الأتية خاصة بغيرها: راميتا، ١٠٩٦، ترجمة عن اليونانية، في كتاب جريجوريو *Considerazioni*، المجلد الأول، الصفحة السادسة والعشرون من الملاحظات؛ وهو حكم بنضاء وشهود يونانيين وربما كان بعضهم من اللاتين: جوفاني ميلو، بيشو ريكانو، نيكولو نيزيتا، إلخ، سان ماركو، ١١١٠، نص يوناني، نشره بوشيمي في *Biblioteca Sacra*، بالرمز ١٨٢٢، المجلد الأول ص ٢٧٥ وما بعدها، وهو حبة لدبر سان باربارو، والترجمة اللاتينية، بتاريخ ١٠٩٧، قام بنشرها مارثورانا، في كتابه *Risposte al Buscemi*، ص ٤٨، مستقة من *Giornale di Scienze e Lettere per la Sicilia*، الصادرة عام ١٨٢٤، راجع سباتا، *Pergamene*، ص ٢١٥.

لبيريتسي، عام ١١١٧، ترجمة عن اليونانية، في كتاب جريجوريو *Considerazioni*، الكتاب الأول الصفحة السادسة والخمسون والسابعة والخمسون من الملاحظات، بأسماء رهبان، ليجاري وباتي، بعضهم فرنسي وراهب يدعى فيليبو وهو عربي، وبه كذلك أسماء شخصيات هامة من البلاد من الواضح أنهم يونانيون وأن البعض إيطاليون مثل:

الأنهاء(1)، وأن عددهم قد زاد في القرن الثاني عشر في بالرمو، بعد أن أعيدت حاضرة للبلاد(2).

سأتحدث باختصار عن الشعوب السامية، هاليهود، الذين كانوا قلة ومحتقرين من قبل أتباع الديلتين الآخرين الذين كانوا يعتمدون على كتابيهما المقدسين، لم يظهروا في أحداث الفتح، أو في أحداث

نيكولو دي فيليو ونيتشينا جالو ونيكولو جالا ويليرو مانكا وجوفاني جابنلي وأندريا بوليتشي، دهر سان فيليو دي فراجالا في بلدية ميرثو. وبه وثائق يونانية كثيرة مؤرخة من عام ١٠٩٠ إلى عام ١١٤٥، وبواسطتها قدم لهذا الدبر اليوناني ذائع الصيت في سقلية، بعض الفلاحين وملاحظ من بين أسماء عائلاتهم: برونو، كورثي ونيكولو فابرو كلودوس مستيفانوس وجالاتانو دي فلافانو، نيودورو أكونودانو... إلخ، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٠٢٧، ولا نعلم إذا كان اللفظان هابر وكلودوس مترجمين عن اليونانية أم أنهما أجداد منسولين في النص.

مجلد(١) (*Algara Li Fusi ?*) عام ١١١٨ (٩) يوناني، قام بطبعه بروشمي بشكل غير مرضي، المرجع المذكور، ص ٢٦٥، راجع سياتا المرجع المذكور، ص ٢٩١. تشينالو، عام ١١٢١، ترجمة لاتينية عن اليونانية، في كتاب بيرو، المرجع المذكور، ص ٩٧٩ وجمهور يوناني - عربي من الفلاحين، ذكرناه من قبل ص ٢٠٦. سيراكوزا، عام ١١٠٤، وثيقة لاتينية، وفيها إشارة واضحة عن رجال الدين اليونانيين ورجال الدين اللاتين، في كتاب بيرو، المرجع المذكور، ص ٦١٩.

أنتشر وكتائها، ١٠٩٥، ١١٤٤، جماهير الفلاحين العرب - اليونانيين، في محفوظات كاتدرائية كتائها، انظر بالإضافة إلى ذلك بالنسبة لكتائها ورقة امتياز عام ١١٦٨، في كتاب جريجوريو *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الرابع، ملحوظة ٢١، الذي نقرا فيه، *Latini, Græci, Judæi et Saraceni unusquisque jura suam legem judicetur*.

(1) علي سبيل المثال توجد في فيكاري بتاريخ ١٠٩٨ وثيقة يونانية لصالح أحد الأبيرة كان قد وهب إليه بعض الفلاحين من مختلف البلدان، نوو أسماء مسلمة ويونانية وربما أيضاً إيطالية نيكولو بن فيتاني، بانيليو، سياتو، جوفريدو، زيبرو إلخ، الترجمة اللاتينية في كتاب بيرو، المرجع المذكور، ص ٢٩٢. وملاحظ أيضاً الاسميين اليونانيين الذين يوجدان بين الأسماء الإيطالية والفرنسية وهما فيكاري وكاسارات في وثيقة عام ١١٧٥ في كتاب جريجوريو *De supputandis*، إلخ، ص ٥٥ وقد أعاد طبعة سياتا *Pergamene*، ص ٤٥١ وما بعدها.

(2) تذكر رثيس الأساقفة الذي وجدته التورمان عند دخولهم بالرمو، وكان يوجد حينئذ في عام ١١٢٨ يوناني نائباً بابويًا، وذلك طبقاً للوثيقة المنشورة في *Tabulario* الكنيسة البابوية ص ٨. وتحتوي المجموعة نفسها على أوراق يونانية كثيرة أخرى من عام ١١١١ وحتى القرن الثالث عشر بأكمله، وتشهد على هذا عبارات غير قليلة ثنائية وثلاثية اللغة.

السيطرة النورماندية؛ ولكنهم تركوا في صقلية، من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر، العديد من المذكرات عن نشاطهم البحري والتجاري والنشاط العلمي الذي شوهه خبثهم في معظم الأحيان<sup>(1)</sup>. وكان المسلمون، ويمكن أن نحصى منهم بعض الشرقيين من الجنس الأري<sup>(2)</sup>، البربر<sup>(3)</sup> وبعض السكان الأصليين في صقلية، كما ذكرنا الآن لتونا، كانوا منتشرين في معظم أجزاء الجزيرة. والمذكرات التاريخية والوثائقية، التي لا يتسع المجال لذكرها هنا، تظهر وجودهم الكبير في قال دي مازارا. والعديد منهم إلى حد ما في قال دي نوتو، ويقل عددهم في قال ديموني<sup>(4)</sup>؛ ومن المعروف أنهم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر طردوا بالقوة من أقاليم

(1) دي جوهاني *Ebraismo in Sicilia*. في مواضع مختلفة؛ وجريجوريو *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الأول، من ٧، ١٥: زونز *und Literatur*. برلين، ١٨٤٥. الجزء الأول من ٤٨٧. وكما يعلم أنه في رحلة بنيامين دا توبيليا، حقيقة كانت أم زيفاً، والتي كتبت نحو عام ١١٧٠ وتطوي على أية حال على أنباء راتعة، تم حصر ٢٠٠ يهودي في مسجداً و ١٥٠٠ في بالرمو: الترجمة الانجليزية لأشهر. لندن، ١٨٤٠ من ١٥٩ وما بعدها. وعن هذه الرحلة انظر كتاب لاهويل *Géographie du moyen-âge* المجلد الرابع، من ٢٧ وما بعدها. وفي قائمة كتابها المؤرخة عام ١١٤٤، نقرأ بعد أسماء العبيد، أسماء ٢٥ عائلة يهودية. وكان في سيراكوزا علاقات يهودية عام (٩١٢٠).

(2) الكتاب الثالث، الفصل الأول، من ٣٤ وما بعدها من المجلد الثاني.

(3) الفصل المذكور، من ٢٧ وما بعدها من المجلد نفسه.

(4) جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الأول، من ٥ وما بعدها ومن ١٠ و ١٧. كان عدد سكان جيرغنتي من المسلمين يفوق بكثير عدد المسيحيين، حتى إن سكان جبرلاتندو قام في عام ١٠٩٦ بهناء قلعة شاسعة المساحة وجعلها ملجأ لرهبانه كما شهد الأسقف جوالتهيو عام ١١٤١ حصوناً جديدة: مستخدماً ولمدة ثلاث سنوات آثار جيرغنتي محجراً يستمد منه الحجارة. فلا نعم بالسلام في هيرما *Cronichetta dei Vescovi di Girgenti*. في كتاب جريجوريو. المرجع المذكور. الكتاب الأول، الفصل الأول، ملحوظة رقم ١٤. ولنتذكر أيضاً الروايات المختلفة لابن جبير، *Journal Asiatique* ديسمبر عام ١٨٤٥ ويناير عام ١٨٤٦، *Archivio Storico Italiano*. المجلد الرابع. العاشية رقم ١٦. حيث يجرى الحديث عن المسلمين من سكان كل القرى الواقعة بين بالرمو ولراباني. وعن غيرة المسيحيين وهم يشاهدون قلعة مونتى سان جوليانو. إلخ.

صقلية الداخلية. ولن أحاول الآن تقسيم الأجيال العديدة من المسلمين في أقاليم الجزيرة، لأنه لا توجد أية شهادة تركها الكتاب، كما أن أسماء الأعلام تتردد غالباً دون لقب عرقي؛ علاوة على أنه لم يتبق لنا منها سوى بضعة مئات، مجموعة فيما يقرب من ثلاثين ورقة عربية. بين عقود خاصة وقوائم فلاحين، وهذه الأوراق تتعلق بأربع مناطق فقط، ولكن سيكتفي أن نجد في تلك الأماكن خليط الأجناس، الذي لاحظناه تحت الحكم الإسلامي (1).

ومن بين مواطني بالرمو، سواء من الملاك أو الشهود على عقود عامة، تتردد أسماء عرب من قبائل اليمن: أزد وكندة ولخم ومعفر ومن المدينة وحضرموت؛ وعرب من القبائل المضربية؛ قيس وقريش وتميم؛ وبربر من قبائل الهوارة ولواتا وزجاوه (2)، وزناته؛ دون أن نحصى بعض الأسماء المرقية المشكوك فيها (3). وعلاوة على ذلك تذكر كتابة على أحد شواهد القبور ترجع لعام الف وأربعة وسبعين اسم شخص أصله من القيروان (4) وأسماء الأعلام، مثل باديس وتركوت، والأسماء المرقية كتامة وهوارة تشهد على أن البربر كانوا يعيشون في تشيفالو؛ إلا أن الاسميين الأولين هما من فلاحى منطقتهما الريفية، مع جزائري اليمن، وبراني بخاري أو أصفهان، وشامى سوريا،

(1) الكتاب الثالث، الفصل الأول، ص ٢٤ وما بعدها من المجلد الثاني. إن الأسماء المرقية الواردة بعد ذلك مأخوذة من الوثائق وتم مقارنتها بكتاب لب الطيالب وابن القيرواني، والذهبي، ومراسم الإطلاح وأعمال أخرى سوف أذكرها في كل حالة على حدة.

(2) وردت في نسخة الوثيقة زجاري، التي لا تعود إلى اسم عرقي معروف. وإذا أخذنا في الاعتبار التشابه الكبير بين حرفي ز- و في الكتابة الإفريقية فأتى اقترانها Zegari؛ ومن هذا القبط انظر دي صلان، ترجمة ابن خلدون إلى الفرنسية، Berberes، المجلد الرابع ص ٣١.

(3) حمدي- أو حمادي، حلياسي، أو جوليزي، إلخ. حيث لا توجد حروف الحركة والكتابة اليونانية. ولم أجد أسماء أخرى على الإطلاق، مثل Arkhi، Baruki، Betresen، spitrusinu أو prezzemolo، إلخ.

(4) نقش غير منشور لجامعة بالرمو. أبو طاهر عبد الرحمن بن عبد الله بن زيديون القروى.

ويورجى أو بيرجى ربما من اسبانيا وبيجاوى أى من بجاية وريفى، من أفريقيا أيضاً<sup>(1)</sup>، وعلاوة على هذه الأسماء نرى فى تشيفالو مسلمين من البلد نفسه: كورلهونى، وشاكا وترمينى وترابانى. ومن الأسماء القليلة للغاية التى يمكن تحديدها من بين أسماء قليلة لدينا لفلاحين فى كورلهونى، نذكر أسماء ابن أبى إيفرين وشخص يدعى لواتى من الجنس البربرى وطمعى من الهمن وبرانى من بخارى كما قلنا آنفاً؛ وشخص يدعى ميلفى يمكن أن يكون إيطالياً من المدينة التى تحمل ذلك الاسم أو أيضاً من أمالفى. وعلاوة على ذلك هناك صقلليون من جرجنتى ومن چاتو.

ولكن بين العديد من فلاحى اسقف كتانيا فى تلك المدينة وهى أتشى، نجد أن الأسماء التى يمكن التعرف عليها، وهى فى الحقيقة ليست كثيرة، قد ترجع الجنس الأفريقى. ويبدو لى أن إيفتن وإيكتيزى من أسماء البربر؛ ومن المؤكد أيضاً أن ثلاث عائلات تلقب بالبربر كانت عائلات بربرية، وكذلك الحال بالنسبة للنازحين الذين ترجع أصولهم للقبائل البربرية الشهيرة بارجواتا ومكلانة ونيفزاو، ومسراطة وأجيزة وأوردين وويرو<sup>(2)</sup>؛ ومن الأمازيغة أيضاً، حتى إن لم تكن نعرف جنسهم، الذين ترجع أصولهم لمدن برقة وبونا وتونس وسوسا ومسيلا ومليلا وسلولوك، والساحل، وجزيرة أراجيجون الصغيرة<sup>(3)</sup>.

(1) ريفه اسم قبيلة بربرية وكذلك لمواضع فى إفريقيا، دى سلان، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٢٩٤. ونقلت الانتباه إلى أنه إذا تهرت نقط الضبط التى على الحروف نفسها تحولت إلى ريمى نسبة إلى قبيلة ريمية العربية وهى إحدى القبائل التى احتلت إفريقيا فى القرن العاشر عند قدمها من مصر؛ (دى سلان، المرجع المذكور، المجلد الأول ص ٢٢٢)؛ أو نسبة إلى قبيلة ريمية، وهى فرع آزدي (ابن هيسرانى، *Homonymie*، لندن، عام ١٨٦٥، ص ١٩٤).

(2) عن الأسماء الثلاثة الأخيرة انظر دى سلان، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٧١، ٢٨٥، ٢٨٢، المجلد الثالث، ص ٢٧٢، ٢٧٩. أما اسم *Verro* فيمكن أن يكون اسماً لاتينياً.

(3) فى النص العربى قد يكون أراجاكو، وهى الكتابة اليونانية *aragaku*، وأراجيجون هى جزيرة عند مصب نهر مولويا، كما ورد فى كتاب الإبريسى، ليهمن، *Description de l'Afrique et de l'Espagne*، عام ١٨٦١ ص ٢٠٦ من الترجمة.



ومن بين العبيد هناك شخص يُدعى ملطى يرجع أصله على ما يبدو إلى ميليتنى. وتلمح ستة أسماء سلالات عربية بين الفلاحين، مسمودى وحجازى وجفتى، وهو أحد فروع قبيلة أزد، وأسماء قبيلة هيس المذكورة عاليه وزجبة التى انتقلت لثوها من مصر إلى أفريقية وامرأة قريشية وأخرى مصرية. وليجأتى تشير إلى أرض فى سوريا؛ وعينونى لقرية بالقرب من القدس؛ وتورونجى لطبرستان وكيرمانى لإقليم آخر شهير جداً فى آسيا. وعائلة كاستيللانى وعائلة فكري يبدو أنهما جامتا من أسبانيا، مثل عائلة الأندلسى بالطبع. واسم نيهلى الذى تحمله العديد من العائلات يظل من أصل مشكوك فيه بين نابولى الإيطالية وتلك الأفريقية. وهناك أيضاً الصقليون: مدنى وسيكيللى اللذان يعنى أنهما من بالرمو، ومن أتشى وكتانيا نفسيهما وكاماراتا وسيمنتارا وبوركاد، وراجوزا وسانتا أناستازيا وتاوى وترابانى وميمسار<sup>(1)</sup>. ومالطة؛ واسم بيكارى الذى يبدو أنه نسبة إلى شيكارى<sup>(2)</sup> وسيد السرقوسى، وهو من العبيد. ويؤكد رخام المقبرة الجميل فى متحف مالطة أن عائلة ثرية استقرت فى تلك الجزيرة. بعد أن جاءت على ما يبدو من سوسة فى أفريقية وهى تتحدر من قبيلة حظيل المضرية<sup>(3)</sup>. هذه هى المعلومات العرفية القليلة التى

(1) ميمسار هو اسم شبه جزيرة مانيزى الواقعة بين سيراكوزا وأجوستا. والكتابة اليونانية لهذا الاسم الذى كان يطلق على عائلتين من عائلات فلاحى أتشى من «مجموعهم». وإذا كان الناصح اليونانى قد خلط بين حرف (w) وحرف (f)، وهو خطأ شائع فى المخطوطات الإفريقية، فيمكن أن يكون هذا الاسم هو لقب الأسرة المشهور (ماء السماء).

(2) كلما كتب الإدريسى اسم شيكارى بـ«كو»، فإن لفظ بكارا كان يشير إلى هذه أو إلى أرض صقلية أخرى. انظر كتابنا الثانى، الفصل العاشر، ص ١٧٩ من المجلد الأول، الهامش رقم ٣.

(3) هذه العبارة نشرت فى أول الأمر فى، *Mines de l'Orient*، المجلد الأول، ثم أعاد م. دو فرينسل نشرها، من الأصل، فى، *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨١٧. ومعها ترجمة إنجليزية جيدة لقراس شيدىالى. ويرجع تاريخها إلى عام ٥٦٩ (١١٧٤). واسم المشرفاء هو، مهمونة بنت حسن بن على حظيلى. إلا أن بعد هذا الاسم تأتى عبارة *An attendant of Ibn-es-Sousee* وعندما ظهرت لى هذه التسمية غريبة لاهتبارات

استطعت تجميعها، بعد أبحاث كثيرة.

ومن الأجناس الجديدة تتردد أولاً أسماء النورمان. وهي صقلية، مع نهاية القرن الحادى عشر لم يكن هؤلاء أناس جاعوا فى مجموعات للاستقرار فى البلد المحتل، كما فعل قبل ذلك بقرنين فايكينج رول فى نورماندى؛ فلم يكونوا جيشاً منظماً يستقر بصورة منتظمة فى بيت المهزومين، كما فعل قبل ذلك ببضع سنين أتباع جوليلمو فى إنجلترا؛ بعد أن نصب الدوق نفسه ملكاً هناك ورفع الإقطاعيين إلى مرتبة الدوقات وهلم جرا. بل إن غزو الجزيرة البريطانية الذى كان معاصراً للحرب التى كانت تدور رحاها فى الجنوب على بعد ألفى ميل، قد يستبعد افتراض حدوث هجرة كبيرة من نورماندى ومن أقاليم أخرى من شمال فرنسا إلى صقلية، إذا كان لزاماً علينا اللجوء للاحتتمالات، ولم تكن نعرف بالضبط أن فرق بوليا النورماندية كانت تتألف فى جزء منها من مفامرين تم جمعهم من شبه الجزيرة الإيطالية كلها (1) وأن الكونت روجيرو، الذى كانت لديه عدة فرق منها، جمع بصعوبة بعد اقتحام بالرمو عدداً قليلاً آخر من رجال جيش روبرتو (2). وقد أدت حروبه الأهلية، وحرب اليونان والخلاف الذى خلفه بوصيته لأبنائه، إلى الإبقاء بعد ذلك فى الأقاليم الجنوبية من البر الإيطالى على أهل ما وراء الألب الذين استقروا بها وجذبوا إليها المفامرين الذين استمروا مع ذلك فى المجىء فى تعاقب مستمر من وراء الألب؛ حتى نقلتهم دوامة الحروب الصليبية كلهم إلى الشرق. وهذه الافتراضات تقابلها الوقائع. فالمذكرات التاريخية من كل نوع لا تشير إلى هجرات فرنسية إلى إيطاليا الجنوبية بعد عام ألف وستين، إلا على شكل هجرات فردية، من الكهنة والرهبان أكثر من

كثيرة طلبت من باريس من زميلى فى المنفى فرانيسكو كريسى، الذى كان وقتها فى مالطة، صورة ضوئية لتلك الكلمات وحصلت عليها فى ديسمبر ١٨٥٢ ولم أتاخر فى قرائها، ففى ابن السوسى.

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل الأول الصفحات: ٣٣ و ٣٦ و ٤٠ من هذا المجلد.

(2) الكتاب الخامس، الفصل الخامس، ص ١٤٤ من هذا المجلد.

المحاربين. ثم أن الأسماء الفرنسية التي نراها في الوثائق وفي أخبار صقلية هي أسماء أولئك الذين كانوا يشغلون أعلى المناصب في المجتمع: الإقطاعيون ورؤساء الكهنة والموظفون العموميون<sup>(1)</sup>، وقد كانوا هم غالبية الناطقين بهذه اللغة والمقيمين في صقلية، إن لم يكونوا هم وحدهم. وعن السكان بمعنى الكلمة في أية مدينة أو قرية أو حتى في حي من الأحياء لم يتبق أى خبر في الأوراق، أو آثار أو روايات الإدارة البلدية؛ ولم يتبق منهم أى أثر في الأسماء الطبوغرافية<sup>(2)</sup>. لأنه إذا ظن البعض أنه قد تم اكتشاف آثار أعمق للألفاظ الفرنسية في اللهجة الصقلية، فإن الألفاظ والصيغ التي كان يظن أنها فرنسية يجب أن تنسب في معظمها لسكان إيطاليا الشمالية؛ وعلى أية حال فإنها لا تصل إلى الحد الذي ربما وصلت إليه، لو أن تأثير البيوت الحاكمة كان مدعوماً بغالبية من السكان

(1) جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الأول. الهامشان ٢٥، ٢٦ إلخ. لا جدوى من ذكر الوثائق القديمة التي تتضمن أسماء فرنسية. ولكنني سوف أذكر إنه في إحدى وثائق عام ١١٢٥ والتي نشرها جريجوريو في *De supputandis*. ص ٥٢ وما بعدها. ومن ثمة ميثاقا في *Pergamene*. ص ١٥١ وما بعدها. والترجمة اللاتينية عن العربية وعن الهونانية ترجع إلى القرن الثالث عشر. نقرأ اسمي السير بونوم دي كرسنازين، سير ريكالينوس دي كالاتابوتور إلخ. وهي وثيقة عربية لم تشر للكلمة تشيفالو، ومخطوطة في دار محفوظات بالرمو. نقرأ اسم سير جوليلمو. وكان مصغراً أو ما لا أعلم. في تشيفالو. ويبدو أن الفرنسيين. سواء كانوا نبلاء أم غير نبلاء. كانوا في القرن الثاني عشر يحبون أن يلقبوا في صقلية بلقب سير.

(2) بعد أن أخضعت للدراسة الدقيقة أسماء كل البلدات العالية والقرى المهجورة. وهي كثيرة، والتي فمت بنشرها عام ١٨٥٩ في *Carte Compende de la Sicile*. وجدت أسماء أخرى. مثلثة الأسمية ومشكوك في أصلها: فكان يطلق على بلدية فالنولمو الصقلية اسم كاستيلفورتوماتو في القرن السابع عشر على حد قول أميكو *Dizionario topografico*. ولكن ليست هناك أخبار أسبق؛ وتشابهها اسم قرية قريبة من مونريال: مرحلة جوليلمو وهو مكان قريب من مونريال؛ ويبدو أنه كان مكان للصيد خاص بأحد الملوك يطلق عليه هذا الاسم. وأترك فرنكافيللا. وهي بلدية. ومونيهليري وهو اسم قرية دمرت فوق جبل إتشا، ذلك لأن بيلا وبهليري ينطلقان كما ينطلقان الفرنسيون. كما أنني جانباً الأسماء المركبة والتي تدخل فيها بورج، والتي قد تكون فرنسية أو إيطالية أو عربية.

يتحدثون اللغة نفسها ، ويضاف إلى ذلك أن العائلات الفرنسية اختفت من مذكرات صقلية مع آخر أمير نورماندى حكم . وليس هناك ما يدعو للاستغراب عندما نراها بالكاد فى ظل حكم روجيرو الثانى القوى وقليلأ تحت حكم خلفائه . ولأنه إذا كان أى بارون من تلك السلالات قد دخل آنذاك فى المنازعات السياسية، فإن تأييد البلاط وسلطة الدولة كان موضع خلاف دائم بين الإيطاليين والمسلمين وبعض رؤساء الكهنة القادمين من وراء الألب؛ وكان يحدث دائماً أن يظل هؤلاء، دون أصدقاء فى البلاد . وستيفانو ذلك وكان كونت من بيرش، الذى استدعته الملكة لحكم الدولة عندما كان جوليمو الثانى صبيأ، لم يجد فى صقلية مؤيدين آخرين سوى اللومبارديين، الذين سنتحدث عنهم فيما بعد . وهناك اثنان من الضيوف الأجلاء، وصلوا إلى صقلية فى القرن الثانى عشر، وكلاهما من الكتاب والكهنة الفرنسيين، ونقصد بهما فالكاندو الذى كان يحب البلاد حبأ جماً وبيترو دى بلوا، الذى سبه قائلاً أنه مفاخر خائب الأمل، لم يذكر كلمة عن وجود سكان فرنسيين فى الجزيرة، ولا عن بارونات نورمان قدامى؛ ولا يذكر أولهما، بصفة خاصة، فى تناوله للاضطرابات التى حدثت فى مسينا بسبب ستيفانو، فرنسيين آخرين سوى أتباعه الذين جاؤوا حديثأ ويلاحظ كيف أن اللاتين فى المدينة كانوا يعرضون اليونانيين، الذين كانوا يمثلون غالبية السكان فى مسينا، ضد أولئك الأجانب(1) . ويشير فالكاندو فى الحقيقة إلى التحدث بالفرنسية فى بلاط بالرمو؛ ولكن شهادته لا تستبعد استخدام لغات أخرى، سواء اليونانية أو العربية أو الإيطالية؛ ولا يذكر إطلاقاً أن الناس كانوا يتحدثون الفرنسية فى المدينة وفى الأقاليم(2) . وهكذا يسقط الدليل الرئيس الذى يسوقه جريجوريو لاثبات مقولته المفضلة عن الأصول

(1) فى كتاب، كاروزو، Bibl. Sic.، ص ١٧٧ .

(2) فالكاندو، فى كتاب كاروزو، Bibl. Sic.، ص ١٦٦ . واعرز رجال البلاط إلى أريجيو الأحمق وهو أحد أمراء نافارا، وشقيق الملكة، بأن يستعوذ على كل الأمور بدلاً من

النورماندية<sup>(1)</sup>، ولا تصمد أكثر منها مقولة صلاة القداس بلغة بلاد الغال هي كنائس صقلية، لأن الدليل الوحيد قد يكون ما لا يمكن لأحد أن ينكره، أي أن الكونت روجيرو وكثيرين من باروناته كانوا من النورمان وكانوا يجيئون بكنة فرنسيين لصلاة القداس طبقاً للطقس المتبع في بلادهم<sup>(2)</sup>.

ويجدر بنا أن نكرر أنه: في نهاية القرن العاشر كان يقيم في صقلية كثير من الإقطاعيين وكثير من نوابهم والعديد من رؤساء الكهنة والرهبان، الذين ولدوا في شمال فرنسا. وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر كان البلاط يستأجر فرقاً من المرتزقة من وراء الألب، ويحتمل أنهم كانوا من الفرنسيين<sup>(3)</sup>. وكان أيضاً عدد غير قليل من الكهنة والرهبان، ترسلهم الرهبانيات في فرنسا ليعملوا كنيسة روما في بلاط بالرمو وليكونوا ثروة لأنفسهم؛ ولمناضلة الإيطاليين والبيزنطيين في الفوز بحظوة الأمراء وتدبير أمور الدولة والأسقفيات والأديرة والوظائف العامة. ولقد حددنا<sup>(4)</sup> نحن

---

ستيفانو، وهو كونت من بيرش، ولكن يتخلص من العبد الذي كان يفوق قدراته، زعم من بين مزاعمه أنه: *francorum se linguam ignorare, que maxime necessaria esset in CURIA*. فالأمر كان يتعلق إذن، لا بالبلاد، ولكن بالبلاط؛ حيث إن الأمير الطفل، ابن حفيد الكونت روجيرو وتلميذ بيترو دي بلوا، كان يتحدث كما يبدو الفرنسية وكان رجال البلاط الإيطاليون والعرب يتكلمون معه. ولنتذكر مع هذا شهادة ابن جبير بأن جوليلمو الثاني نفسه كان يتحدث العربية. ومن الملاحظ في نهاية الأمر أن من بين اللغات المستخدمة في بلاط بالرمو متعدد اللغات، كانت لغة فرنسا هي أقل اللغات صموداً بالنسبة للظاري.

(1) *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الأول، الهامش رقم ٢٧.

(2) الفصل المذكور، الهامش رقم ٢٨.

(3) *Strenuos bello milites Longobardos (del Napoletano) ac Transmontanos... sibi largitionibus alliciens*. يقول هذا هالكاندو عن الوزير مايوني، في كتاب كاروزو، *Bibl. Sic.*، ص ١١٩، ثم صار به أسبان، المرجع المذكور، ص ١٥٩ وكان به مسلمون على الدوام.

(4) في هذا الكتاب نفسه، الفصل السابع، ص ١٩١ من هذا المجلد. ونعلم من خلال رسالة بيترو دي بالوا (*Epistolae*, n°66) أنه بعد أن هارق جويليلمو الطموح الحياة أرسل رئيس أساقفة روين سبعة وثلاثين شاباً من الطعام أو ذوي السماء النبيلة إلى بلاط

اتجاهات هذه الطوائف والقوة التي كان يستغلها هؤلاء الرهبان، بالخداع تارة وبعوهم الدينية تارة أخرى، مثلما يفعل الأعور في بلاد العميان. في الوقت نفسه ظهر من بينهم بعض الرجال المثقفين الذين ساعدوا على تحضر الأمة الجديدة نبهاً للعصور المختلفة، وكان راوي أخبار الكونت روجيرو فرنسياً؛ وكان فرنسياً أيضاً مؤرخ جوليلمو الأول والثاني؛ حتى إن صقلية وإيطاليا كلها يجب أن تدين بالفضل للجنس الاسكندنافي وغيره من السلالات المنحدرة من فرنسا الشمالية للعمل الذي قاموا به في العهد النورماندي بعقيرتهم وبقوتهم على حد سواء. ولكن صقلية لم يكن بها سكان فرنسيون بمعنى الكلمة؛ وقد اندثرت العائلات القليلة خلال قرن واحد، ورجال الدين خلال جيل واحد.

وربما يكفي ازدهار اللغة في صقلية مع نهاية القرن الثاني عشر ليبرهن على مجئ مستوطنات كبيرة من البر الإيطالي؛ لأن الشعوب الإيطالية القديمة جداً في الجزيرة، بعد خمسة قرون من السيطرة البيزنطية والإسلامية، لم يكن بوسعهم التحدث بلغة قريبة جداً من لغة إيطاليا الوسطى، أو فرضها على غيرهم من السكان من اصحاب اللغتين اليونانية والعربية. وهناك قرائن كثيرة تؤكد هذا الافتراض: حتى وإن كان كاتب سيرة الكونت روجيرو يخفي مشاركة السلالة الإيطالية في فتح الجزيرة، كما لا يذكر دور أردوينو في الانتفاضة ضد البيزنطيين، ومساعدات ابن الشمة في بداية حرب صقلية. ويؤكد الكتاب العرب صراحة أن روجيرو عمل على إقامة الفرنجة والروم في الجزيرة مع المسلمين؛ وكلمة الروم تعني هنا بوضوح الفرنسيين والإيطاليين (1). وينبغي أن نضيف إلى هذا العديد من

---

بالرمو. انظر رسائل سان تومازو دي كانثيري ورسائل رئيس دير كلوني إلى الملكة الوصية على المرش في صقلية وإلى وزيرها ريكاردو بالهر والذي نجد في الشعر المكتوب على ضريحه كما يبدو لي موجزاً لسيرة المغامرين الذين نتناولهم بالعديد: *Anglia me genuit, instruit Gallia, fudit Trinacris.*

(1) ابن الأثير، النص، في المكتبة العربية - الصقلية. ص 278، ونوفيري في المرجع نفسه ص 118 وهي كتاب جريجوريو، *Reverum Arabicarum*، ص 26.

الأسماء العرفية التي أطلقت على الأماكن: برج بيزانا وحارة أهل أمالفي في بالرمو(2)؛ وشارع أهل فلورنسا في مسينا(3)، حيث يأتي أيضاً ذكر قنصل أهل أمالفي(4)، وضيعة الجنوى (ربع الجنوى، *Cultura Januensis*) في إقليم بالرمو(5)، وحى أهل كوزنسا في لنتيني(6)، وأسماء ما يقرب من ثلاثين من البلديات في صقلية نجد لها أسماء مطابقة أو مماثلة في البر الإيطالي(7)؛ وقد استبعدنا من هذه المقارنة، نظراً لشيوعها عند كل الشعوب اللاتينية، أسماء القديسين المسيحيين والأسماء المركبة من الفاظ *Casale* (كفر)،

- (2) لوجو فالكاندو في كتاب كاروزو. *Bibl. Sic.* ص ١٠٦ و ١٠٧.  
 (3) وثيقة ترجع لعام ١١٩٢. في كتاب بيرز. *Sicilia Sacra*. ص ١٢٨٨. ولفظ *rua* أو *ruga* لا يدل بالتحديد على الأصل الفرنسي للسكان. بالإضافة إلى أن مسينا كانت في الأساس يونانية، ونقرأ هذا اللفظ في وثيقة لبرباروسيا، الذي تمهد لأصل جنوة: *rugam unam cum ecclesia balneo, fundico el furno*. في كل مدينة تكون الإمبراطورية على وشك الانسلاخ، عليها في مملكة صقلية.  
 (4) *Liber Jurium Reipub. Genuensis* المجلد الأول. ص ٢٠٧. وثيقة يونية عام ١١١٢.  
 (5) *Ravellus Magister Amalphitanorum Messane*. توقيع في وثيقة يونانية بتاريخ ٦٦٨٠ (١١٧٢)، وترجمة لاتينية في كتاب جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الثاني. الفصل الثاني، الهامش ٣٢.  
 (6) وثيقة عربية تدور حول مونيالي بتاريخ ١١٨٢، وترجمتها اللاتينية في كتاب ديل جودينشي. *Descrizione del Tempio... di Morreale*. ص ١٢. في نهاية شعار سوميني.  
 (7) ميكيلي دا بياتسا، في كتاب جريجوريو. *Biblioteca Aragonesa*. المجلد الثاني. ص ٧٧. وهذا الخبر يعود إلى القرن الرابع عشر.  
 (8) أكوايفيا (كالابريا) أكوايفيا (موليزي) «اشان» أرض باري (أسكولي).  
 التافيللا (بالرمو) التافيللا (برنشيا) التافيللا (شيتروبولي) الاسكندرية.  
 مونفراثو).  
 بيلونا (چرچنشي) بيلونا (بيزا).  
 فيكارى (بالرمو) فيكارى (كالابريا).  
 بريجا (سان متهافانو) (مسينا) بريجا (نولارا، كونيو).  
 برولو (مسينا) بروليانينو (كرومونا). وأيضاً بروليو.  
 بوجو (چرچنشي) بوجو (جنوة).  
 كاماراتا (چرچنشي) كاماراتا (برجامو، أنكونا).  
 كارونيا (مسينا) كارونيا (برجامو).  
 كاستانيا (مسينا) كاستانا (باهيا): كاستانو (ميلانو).

Castello (قلعة)، Castro (قصر)، Massa (ضبعة)، Monte (جبل)، Rocca (حصن)، Serra (حلق)، Torre (برج)، Valle (وادي) وما يشابه ذلك؛ وقد استبعدت أيضاً، للصعوبة التي واجهتها حتى الآن في البحث عنها، أسماء الأرياف والضياع والشواطئ والمياه. والآن يجب أن نضيف إلى

كيارامونشي (سيراكوزا)	كيارامونشي (ساساري)؛ كيارامونشي (بازيليكاتا).
تشينيزي (بالرمو)	تشينيزيللو (ميلانو).
كورليوني، وشيما كورليوني (بلمو) كورليا (لوكا، جنوة)؛ كورليانو (كلابريا، وأونرانتو).	جاليانو (كتانيا)
جيرانتشي (بالرمو)	جيرانتشي (كلابريا).
جرافيانا (كتانيا)	جرافيانا (باري).
جوانثيري (مسينا)	جوانثيري (ريجيو إميليا).
ميرابللا (كتانيا)	ميرابللا (برنشيبيانو)؛ ميرابللو (كريمونا، بافيا، الاسكندرية، مونفيراتو، ميلانو، موابيري).
موتا «الشان» (مسينا، كتانيا)	موتا (كلابريا) أولتريوري ١ و ٢، كريمونا، نوهارا «الشان»؛ كلبيتانانا، بافيا، ميلانو «الشان».
نوهارا (مسينا)	نوهارا (نوهارا) (بيمونشي).
بالانسولو (نونو)	بالانسولو (نيرا دي لافورو، ميلانو، بريشا، نوهارا)، بالانسولو (فلورنسا).
باتيرنو (كتانيا)	باتيرنو (برينشيبيانو، كلابريا، إنكونا) بايرنا (اسكندرية) بادرنيللو (بريشا) بادرنو (كومو، كريمونا، بريشا، ميلانو) باترنو، قرية وكهنة بالقرب من فلورنسا، بتيينيجو (نوهارا).
بياتسا (كالتانيسيتا)	بياتسا (ماسا وكورارا، بيرجامو، كومو) بياتشيتوري (برجامو)، بياتسو (تورينو، برجامو «الشان»، بياتسولو (برجامو).
سالا (بارونا) (تراپاني)، سالا (دي بارثينكو) (بالرمو).	سالا، كفر قديم بالقرب من شاكنا سالا (كومو، بارما، نوهارا جولونيا، اسكندرية «الشان»، كومو، برينشيبيانو).
سامبوكا (جرچنتي)	سامبوكا (فلورنسا، كوني) سامبوجيتو (نوهارا).
سابونارا (مسينا)	سابونارا (بازيليكاتا).
سكاليتا (مسينا)	سكاليتا (كوني).
سكوبيللو (توشارا دي)	سكوبيللو وسكوبا (نوهارا).



هذا الأسماء العرقية للأشخاص. ومن بين خمسة من كهنة چرچنتي جاء ذكرهم في وثيقة ترجع لعام ١١٢٧. نجد أحدهم من روما وآخر من بوليكاسترو وثالثاً من لوكا، ورابعاً من بريشا وخامساً فرنسياً. علاوة على شخص من چنوة وآخر من بهزينيانو، مكتوبين بين الشهود (1). وفي وثيقة بتاريخ ١٠٩٤ من مسينا أو باتي، نرى بين الشهود، مع بضع أسماء فرنسية وبعض الأسماء اليونانية أو العربية، إلبيراندوس لومباردوس، وروچريوس دي تورشيتو أكونيوس، وأوجو دي بوثيوليس، وجوالتيوريوس دي كانا، علاوة على عائلات ماليدوتو وروفو وستراتو ومينوارتينو وأستاري وبونللي وماركيزي (2). وهناك وثيقة أخرى ترجع لعام ١٠٩٥ تقدم من بين الشهود، مع بعض الأسماء الفرنسية أو المشكوك فيها، أسماء أريجو شقيق أديلاندي، وأودوني بونو الماركيز، وزوبرتو بوريللو أكونيو، وريكاردو بونيللا وروچيرو بونيللا (3). واسم الفيهرى المكرم نقرأه بين أعيان أرض سان ماركو. في وثيقة بتاريخ ١١٢٦ (4). وهناك وثيقة من كنيسة باتي، بتاريخ ١١٢٣، وتتعلق بالصلح في نزاع نشأ بين سكان المدينة والأسقف. تضم بين الشهود شخصاً من چنوة، وآخر من بارما، وثالث من بوتنسا والعديد من رجال باتي، بأسماء كلها ذات صياغة إيطالية؛ وما هو أكثر من ذلك، محضر مدرج فيها. يرجع إلى

(1) في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الثالث، الهامش رقم ١٦. الفرنسي من ليماي، في دائرة نوردوني (إيمولينسيس). وقد قلت عن هريونوس براونسيس (بريسنيس) إنه من بريشا.

(2) في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٧٧١، ٧٧٢. كانت تولشيتو قرية في زمام بلدية نى الليغالية. في إقليم چنوة. كما هو واضح في: *Atti della Società Ligure di Storia patria*، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٧٦٩. ويوجد أيضاً من بين الشهود شخص يدعى ووبرتو دي ساردفالي (أو سوردفالي كما نقرأ في كتاب مالانجر)، الكتاب الثالث، الفصل الثلاثون، وهذا الاسم من الممكن أن يكون نسبة إلى سورديشولو في إقليم نولارا. اسم جوليلمو دي سوردفالي جاء في وثيقة عام ١٠٩٠. في كتاب سيانا، *Pergamene*، ص ٢١٨.

(3) في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٧٦.

(4) في كتاب سيانا، *Pergamene*، ص ٢١٦.

نهاية القرن الحادي عشر، ويشهد بأن الأسقف أمبروجو كان قد حضر آنذاك التنازل عن الممتلكات لأي رجل لاتيني اللغة يأتي للسكن في البلاد: ومعنى لاتيني اللغة تشرحه وثيقة ١١٣٣ نفسها، وتضيف أن تلك اللاتحة التي قررها أمبروجو كانت «معروضة باللغة الدارجة على أهل المدينة المشاركين في النزاع» (1). وفي الوقت نفسه لا توجد لدينا، ولا نأمل في أن نحصل، على تقارير تفصيلية حول الهجرات المتتالية من البر الإيطالي إلى هذه المدينة أو تلك في الجزيرة؛ حتى وإن كان لا بد أن نفترض أنها عديدة، ومن إيطاليا الشمالية أكثر من الجنوبية. أما الحكم الإقطاعي الذي أقامه النورمان هنا في بعض الأقاليم وجددوه في البعض الآخر فقد كان يمنع الهجرة من أرض لأخرى، وكذلك وراء البحار (2). وفي إيطاليا العليا كان الإقطاع، على العكس من ذلك، يتفكك بالذات في ذلك الوقت، حتى دون أن تنتظم البلديات: ومن هنا فإن أعضاء هذا النظام الاجتماعي أو ذاك العاجزين الذين آثارتهم تقلبات عديدة جوهرها واحد ومظاهرها مختلفة، كانوا يحاولون البحث عن حظهم في بلاد جديدة، وكانوا ينتقلون إليها دون عقبات.

ومن هنا كانت الجماعات الكبيرة التي كانت تسمى باللومباردية، ولا تقتصرنا بشأنها شهادات تاريخية طيبة. وكل منا يعرف المعنى المبهم الذي كان يعنيه في وقت من الأوقات اسم لومبارديا، الذي جملة الأجانب أحياناً يشمل شبه الجزيرة كلها (3).

(1) في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الخامس، هامش رقم ٢، ص ٥١، ٥٢.

(2) تظفر وثائق صقلية ونابولي في القرن الثاني عشر وسماتير الإمبراطور فريجو بشدة أن يرحل عن أرض السيد. ليس فقط عبء الأرض وأهل القرى وإنما أهل المدن أيضاً.

(3) مرادف الإطلاح، النص، تحت مادة انكابورد، ولكن الإدريسي في كتابه الجغرافيا، ترجمة جويبر، المجلد الثاني الصفحات ١١٨، ١٢٠، ٢٦١، ٢٦٢ فيضيق الحدود من جهة الجنوب، ويعرف أبو القدا التقسيمات السياسية لإيطاليا، الجغرافيا، ترجمة م. رينو، ص ٢٦، ٢٧، إلخ.

ولكن بما أن العديد من الباحثين، ومن بينهم جريجوريو، قد افترضوا أن اللومبارد هي صقلية قد جاؤا من إيطاليا الجنوبية وكذلك من ضفاف نهر البو، فإننى يجب أن أذكر أن هذا الخلط لم يقع فيه كتابنا، أو الأجانب، في العهد النورماندية. فقد كتب بيترو دياكونو عن جماعات صغيرة من اللومبارد واللونجوبارد الذين اتبعوا بيير المتوحد(1) ويتحدث رئيس أساقفة تسالونيكيا بالغ الثقافة عن الضرائب الثقيلة التي عانى منها أهل بيزا وچنوة وتوسكانا واللونجوبارد واللومبارد على يد أندرونيكو كومنينو(2). وكان اسم اللونجوبارديين يطلق على سكان إيطاليا الجنوبية. حيث كان البيزنطيون قد استعادوا جزءاً من الدوقيات. وجعلوا منها موضعاً، يسمى لونجوبارديا(3). وهكذا يضع هالكاندو اللونجوبارد واللومبارد على أنهم شعبين مختلفين تماماً؛ أولهما يسكن أقاليم في البر الإيطالي. وثانيهما يسكن صقلية(4). ويرجع أول ذكر بقى لنا عن هذه الجماعات، علاوة على أسماء إيلديراندو وروچيرو دي تورشينو دا أكوي (١٠٩٤)، التي ذكرتها للتو، إلى القرن الثاني عشر؛ وهي وثيقة دقيقة وهي غاية الأهمية. قرر فيها الملك روجيرو، أن اللومبارد من سانتا لونشيا تنطبق عليهم الاعفاءات نفسها التي تطبق على اللومبارد في رانداتسو(5). ثم نستخلص من رواية

(1) في كتاب موراثوري. *Rev. Ital. Script*. المجلد الرابع. ص ٤٩٨.  
(2) *Eustathii Metropolitae Thessalonicensis, De Capta Tesselonica*, (2)

طبعة بون ص ١١٥. ويكتب أوستازيو *ἡμετέρας ἐξ ἡμετέρας*

(3) بيترو دياكونو، في كتاب موراثوري. *Rev. Ital. Script*. المجلد الرابع. ص ٥١٨.  
ثم انظر كوستانتينو بورغيزوجمينيو. *De Thematibus*. ص ١٤٦٢. وموراثوري. *Annali d'Italia*. عام ١٠٠٨.

(4) في كتاب كاروزو. *Bibl. Sic.* الحديث عن الشعوب الأولى (اللونجوبارديين) في ص ١١٩ و ١١٤ و ١٥٠ وعن الثانية (اللومبارديين) في المواضع المذكورة هنا. انظر أيضاً رومالدو سالرنيتانو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور. ص ٨٦٨.  
(5) في كتاب جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الرابع. الهامش ٢٥.

لم يذكر جريجوريو التاريخ؛ ولكن لا يمكن أن يكون بعد عام ١١٤٢.

الأخبار بعد ذلك أن رجال بوتيرا، وبياتسا ومدن أخرى من مدن اللومبارد، بتشجيع من شخص يدعى روجيرو سكيافو، وهو رجل نبيل، ستمحدث عنه حالياً، قد استلوا أسلحتهم ضد جوليلمو الأول وضد السراسنة؛ وأن الملك دمر بياتسا وكسر شوكة اللومبارد؛ وأنه بعد أن لجأ سكيافو إلى بوتيرا استولى جوليلمو في النهاية (١١٦١) على المدينة، واتفق على أن يرحل المتمردون اللومبارد وقائدهم عن صقلية(1). ويستطرد فالكاندو قائلاً أنه بعد بضع سنين، كان الهمض في البلاط يظنون أنه مازال كثير من الخونة الأثرياء والأقوياء، في المدن اللومباردية، تحركهم المكائد والمؤامرات وبعد ذلك عند موت الملك (١١٦٦) وترقية ستيفانو دي روترو من بيرش لدرجة كبير المستشارين، وقف اللومبارد معه بحرارة أكثر من كل سكان صقلية الآخرين؛ وفي تصعيد للعاصفة (١١٦٨) قدم له رجال «رانداتسو وهيكارى وكابيتسى ونيقوسيا وميناتشى ولومبارد آخرون، جيشاً قوامه عشرين ألف مقاتل(2). ويضيف هاتزيلو إلى عدد الجماعات اللومباردية في هذه العقبة، أيدوني وسان فراتيللو(3)؛ والجهات التي كانت تسمى لومبارديا في سان فيليبو دارچيرو وفي كاستروچوفانى تدعو للاعتقاد بأن جزءاً على الأقل من تلك المدن كان قد احتله الشعب نفسه(4). وهناك سكان آخرون جاؤوا من إيطاليا الشمالية إلى كورليوني وسكوبيللو، في

(1) فالكاندو *روموانو سالرنيتانو*، في كتاب *كاروزو*، المرجع المذكور، ص ١١٠ و ١١٢ و ١١٣ و ٨٦٨.

(2) فالكاندو، في كتاب *كاروزو*، المرجع المذكور، الصفحات ١١٨ و ١٦٢ و ١٨٠ و ١٨١.

(3) *المشربة الأولى*، الكتاب الأول، الفصل السادس، والكتاب العاشر، الفصل الأول والثاني، بالنسبة لأيدوني؛ وبالنسبة لسان فراتيللو، *المشربة الأولى*، الكتاب التاسع، الفصل الرابع، حيث نقرا: *et Longobardorum, ut ex incolarum idiomate colligitur, oppidum*.

(4) *Sicilia Sacra*، ص ٥٨٢، ٥٨٨.

بدايات القرن الثالث عشر(1) ويمكن جداً أن نفترض، مع باحث الماني، أن الأماكن نفسها قد احتلها ذات مرة المستوطنون اللومبارد في القرن الثاني عشر(2). وأيا كان الأمر، فإن تلك السلالة تميزت في صقلية في القرن الثالث عشر بعلو النفس. وكانت نيقوسيا من أوائل المدن التي تنادي بالجمهورية بعد بالرمو، وبأثى وكالتاجيرونى عند وفاة الملك كورادو (١٢٥٤)؛ وكانت بيانسا وأيدوني وكاستروجوواني آخر من القى السلاح في تلك الحركة(3). وقد كتب سابا مالاسبينا أن اللومبارد في كورليوني أشاء ثورة الغروب الصقلي كانوا أول من تبع ثورة بالرمو(4). وقد عاشت تلك الجماعات متجانسة تجانسا كبيراً حتى أننا نجد بين زعماء الدوائر التي ولدت في الثورات الأولى للغروب الصقلي شخصاً يدعى سيمون دي كلاتافيمي انتخب قائداً للشعب في تلال اللومبارد(5).

ونريد أن نذكر هنا ما قيل في نهاية الفصل السابق حول ماركا اليرامي والنبلاء الذين جاؤوا منها إلى صقلية(6). وليس صحيحاً أنني اعتقد مع بعض الكتاب، أن أريجيو ومواطنيه قد جاؤوا إلى صقلية (١٠٨٩) وراء أديلايدى. وهي آخر زوجات روجيرو. حيث إنه يبدو لي أن الأقرب إلى الاحتمال، على العكس من ذلك، أن

(1) وثيقة الإمبراطور هنريجو، المصادرة في كورمونا في ٢٠ فبراير ١٢١٨. *Historia Diplomatica Friderici II*. المجلد السادس من ٦٩٥ ومن خلالها نرى أن كورليوني قد وُهب قبل ذلك بكثير للومباردين أودوني وبونيفاتشو دي كاميرنو. وكذلك سكوبيللو قبل كورليوني.

(2) ويدعم رأي العلامة الكبير تيمورو أوسينيفيك هذا أن اسم سكوبيللو. وهو غير محرز بالتأكيد أو يوناني. نجده في إقليم نوغارو في بيمونتي ويظهر في جزيرة صقلية مع نهاية القرن العاشر عشر.

(3) ذكرت المصادر في كتابي *Storia del Vespro Siciliano* الفصل الثاني، طبعة ١٨٦٦، المجلد الأول، ص ١٨ و ٢٢.

(4) ثمة سابا مالاسبينا، في كتاب جيورجو، *Biblioteca Aragonesa*. المجلد الثاني، ص ٢٥٦.

(5) المرجع المذكور، ص ٢٥٨.

(6) ص ١٩٦ وما بعدها.

أقارب الكونت وابنيه قد تحمسوا للحضور إليها تدفعهم إلى هذا سمعة أسرة الهيرامي في جيش روجيرو: الذي نرى جزءاً منه تحت قيادة (١٠٧٨) أوتوني أو أودوني(1)، وهو اسم شائع في إيطاليا الشمالية وخاصة في عائلة أولئك الماركيزات(2). وقد تزوج أريجو بعد ذلك من إحدى بنات الكونت: واحتفظ بالمقاطعات الشاسعة في بوتيرا وباتيرنو(3)، وساند ارتقاء روجيرو الثاني العرش الملكي(4): وكان ابنه الكونت سيموني بالغ القوة في صقلية وفي إقليم نابولي(5): وجعل ابنه غير الشرعي روجيرو سكيافو من نفسه زعيماً للوعباردين المتمردين على جوليلمو الأول، كما أشرنا منذ قليل(6). ويمكن أن نستخلص من هذا أن هذا الفرع من أسرة الهيرامي نقل إلى صقلية العديد من أنصاره. ومن بين التبللاء الصقليين في القرن الثالث عشر تتردد أيضاً أسماء آل إنشيزا، وهم من أسرة الهيرامي، ولهذا سنلاحظ أن ما يدعم دليل القرابة هو أن الأسماء المسيحية نفسها تتكرر في فرع بيمونتي والفرع الصقلي(7): ويبدو أن هناك فرعاً ثالثاً قد ازدهر

(1) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب ص ١٥٩ من هذا المجلد.  
(2) ارجع إلى شجرة العائلة التي نشرها دي سيموني في: *Nuova Antologia*. فلورنسا، سبتمبر ١٨٦٦. فقد أشر إلى شخص يدعى أودوني بونو. وهو ماركيز. ومن بين الشهود في وثيقة ١٠٩٥ المذكورة، في كتاب بيرو. *Sicilia Sacra*. ص ١٧٦ وذكر اسم بونو، ماركيز، إقطاعي في ضواحي كورليونو، في نفس الوثيقة. ومن المحتمل أن يكون أودوني وهو أحد ماركيزات أسرة الهيرامي كان يكنى بونو (الطيب).  
(3) ويظهر هذا من خلال وثائق عام ١٠٩٤ و ١١١٤ و ١١٢٦. في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*. ص ٧٥ و ١١٧٧ و ١١٥٦ و وثيقة عام ١١١٣، في كتاب جرجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الخامس، الهامش رقم ٢٠.  
(4) الساندرو كير رهبان نهبزي. الكتابان الثاني والثالث، في كتاب كاروزو، *Bibl. Sic.* ص ٢٦٦، ٢٩٢.

(5) الساندرو كير رهبان نهبزي. الموضوع المذكور، فالكامو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٤١٢ و ٤١٧ و ٤١٨. انظر أيضاً وثيقة لهذا الكونت سيموني، بتاريخ ١١٤٧ وفيها شاهدان من بيكسا، في كتاب لونيغ، *Cod. Ital. Dipl.* المجلد الثاني ص ١٦٢٩. (6) صفحة ٢٦٤.

(7) بونيفاتسيو دي إنشيزا، ابن عم أريجو واديلايدي كونتيسة صقلية، كما هو واضح من خلال شجرة عائلة الهيرامي التي نشرها دي سيموني في: *Nuova Antologia*، سبتمبر ١٨٦٦: وأريجو دي إنشيزا الذي جاء ذكره عام ١١٨٦، في كتاب سوربوندي،

أيضاً في بوليا(1).

وتتفق مع الشهادات المكتوبة عن هذه الأصول شهادة اللغة القوية والحية، وهو ما لاحظته بالفعل فانزيلو: الذي لم يطالب بشهادة أخرى، وهو محق في ذلك، ليحصى بين المدن اللومباردية أيدوني وسانفراتيلو(2). وقبل عشر سنوات تحدث السيد ليوناردو فيجو دا أنشيزاإلى المجتهد عن أولئك اللومبارد، في مقدمة مجموعته (أغاني شعبية صقلية) "*Canti popolari siciliani*"(3)، ونشر بعض القصائد وبعض مفردات لهجتهم. ولكن الأحداث السياسية الموفقة التي تولت العلاقات اليوم وتضاعف من التجارة بين كل الشعوب الإيطالية، والدراسات اللغوية المتقدمة في أوروبا، تعطينا القدرة على استخلاص نتائج أكثر دقة بكثير. وقد لاحظ أستاذ باحث في اللغة السنسكريتية القرابة الوثيقة بين لهجة مونفرى ولهجات بياتسا ونيقوسيا وسانفراتيلو وأيدوني، التي انحصرت اللغة اللومباردية اليوم في بلدياتها في صقلية حسبما يقول فيجو(4). وهناك أمل

---

*Monumenta Aquensia*. المجلد الثاني من ٢٤٨. وأريجو دي إنشيزا أحد العقلمن في معركة بونزا، حسبما ذكر سبتشالي الذي ذكرته في كتابي، *Vespro Siciliano*. الفصل الثامن عشر، المجلد الثاني من ١٦٠ طبعة عام ١٨٦٦. وجوهاني واليزيو دي إنشيزا، وهما إقطاعيان في بداية القرن الرابع عشر، في كتاب جريجوريو، *Biblioteca Aragonese*. المجلد الثاني من ١٦٨. وسيموني دي إنشيزا ورد اسمه في وثائق أعوام ١٣٠٩ و١٣١٧ و١٣١٩. في، *Tabulario della Cappella Palatina di Palermo*. من ٩٧ و١٠٢ و١٠٩ و١١٣.

(1) وثيقة عام ١١٥٧. في كتاب دي ميرو، "*Annali del Regno di Napoli*". نعت هذا العام يذكره *Albertus, Dei et Regis gratia Comes de Gravinn, filius*، *et heres Bonifacii, marchionis* إلى مدين للعلامة الكبير ثيودورو وستفيلد الذي أثبت عليه من قبل، لهذا الاستشهاد واستشهادات أخرى عن آل الهراي واستشهادات أخرى كثيرة أغفلتها لعدم الحاجة لها في موضوعي هذا.

(2) راجع ما يذكره عن نيقوسيا وأيدوني وسان فراتيلو في المواضيع المذكورة بعاليه.  
(3) كتابها ١٨٥٧. انظر المقدمة من ٤٧ وما بعدها. وأناشيد سان فراتيلو وبياتسا من ٢٢٢ وما بعدها.

(4) خطاب أرسله لي الأستاذ انجيلو دي جويرناتيس ومنشور في *Politecnico*، ميلانو، يونيو ١٨٦٧ من ٦٠٩ وما بعدها.

بعد أن تتحسن مناهج اللغويات، تحسناً أكبر، ويجرى تشجيع دراسة اللهجات في إيطاليا، ودراسة أسماء الأشخاص والأسماء الطبوغرافية دراسة أوسع ويجرى بالتالى نشر كمية أكبر من الوثائق القديمة، أن نصل إلى تحديد دقيق لتوقيات الهجرة وأماكنها التى نتحدث عنها؛ والتى ستبقى مبهمة الآن، أى توقيات الهجرة وأماكنها فى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة من القرن الحادى عشر والسنوات الخمس والعشرين الأولى من القرن الثانى عشر؛ وماركا الهرامى التى كانت تتحرك منها الجماعات شيئاً فشيئاً، والأقاليم الداخلية من النصف الشرقى من الجزيرة، التى كانت تأتى إليها هنا وهناك لتتمركز فيها بينما كان السكان اليونانيون والمسلمون يتركونها أمامهم.

والمدينة الأولى فى تلك المناطق، بل فى كل الجبل فى صقلية، وهى كالتاجيرونى، لم تعد ابداً بين الجماعات اللومباردية، ولا تتحدث بلهجتهم ولم تكشف عن أهرانهم فى القرن الثانى عشر؛ ومع ذلك فإن أصلها لا يبدو مختلفاً جداً. ولا توجد عنها شهادات فى الوثائق؛ ولا يمكن أن نتوقع وثائق عنها من مالاثيرا، ولا من رواة الأخبار الآخرين. وعندما نتوجه فى الوقت نفسه إلى الأدلة غير المباشرة، فإننا نجد فى المقام الأول ميراث أراضى كالتاجيرونى، الذى يفوق كثيراً، سواء من حيث الثراء أم القدم، ميراث أكبر وأقوى مدن الجزيرة، فهو يرجع

(1) وطبقاً لقوائم دخل ومصروفات البلديات الإيطالية فى عام ١٨٥٨ والمنشورة فى عام ١٨٦٢ فى *Rivista dei Comuni*، نجد أن دخل كالتاجيرونى، من ايجار الأراضى والضرائب مقابل الخدمات،

وبعدد سكان يصل إلى ٢٤.٤١٧ نسمة	٣١٢.٥٥٨ ليرة إيطالية.
وبالرمو يصل إلى ١٩٤.٤٦٣ نسمة	٢٢٦.٣١٥ ليرة إيطالية
ومسينا يصل إلى ١٠٢.٣٢٤ نسمة	٩٥.٦٠٩ ليرة إيطالية
كستانيا يصل إلى ٦٨.٨١٠ نسمة	٢٨.٥٣٣ ليرة إيطالية

ويلاحظ أن هذه الثروة تشمل الأملاك فى المدن التى نجدها فى المدن الكبيرة أكبر مما فى المدن الصغيرة ولا نمسود بالتأكد إلى القرنين الحادى عشر والثانى عشر.



على الأقل إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر<sup>(1)</sup>. ولأن فإن هذه الظروف تشير إلى بلدية نشأت أثناء الفتح أو في بدايات الدولة الجديدة. وهي حقيقة الأمر تعد نيقوسيا، وهي المدينة اللومباردية التي ذكرناها من قبل، المدينة الثالثة في الجزيرة، من حيث كمية الممتلكات الثابتة، هذا إذا أحصينا كالتاجيرونى واستبعدنا بالرمو ومسينا. وإذا كانت هناك مستوطنات لومباردية بها ممتلكات قليلة من هذا القبيل، فإننا نجد السبب في ذلك بسهولة: فبعضها كانت مستوطنات إقطاعية منذ البداية؛ ولأن بياتسا دمرها جوليلمو الأول؛ ثم قضت عليها عمليات الاغتصاب التي قام بها البارونات في القرن الرابع عشر، والأحداث المستمرة للتنازلات والفديات تحت الحكم الأسباني؛ والمكاسب السريعة أو الخسائر التي حدثت في أعقاب إلغاء الإقطاع. وفي النهاية التبدد الذي حدث في كل العصور<sup>(2)</sup>. أما بالرمو ومسينا وكتانيا وغالبية الأراضى القديمة والكبيرة الأخرى، إما أنها لم تكن بها بلدية في هذه الأزمنة الأولى للأسباب التي سنعرض لها في موضعها، أو أنها احتفظت بميراث هزيل للغاية، بعد أن استولى عليها روجيرو بالحرب أو باتفاقات شحيحة؛ إلا أنه مع مرور الوقت، وبعد أن نشأت البلدية أو اصلحت شئونها، اكتسبت أراضى عن طريق الهبات واستثمرت تلك الأراضى التي كانت مخصصة للاستخدامات العامة. وعموماً يظل هناك شئ من الشك في التوقيت الذي ظهرت فيه كالتاجيرونى، نحن نجهل فقط الشعب والطريقة،

(1) تشهد وثيقة جوليلمو الأول، بتاريخ أول مايو عام ١١٦٠ أن رجال كالتاجيرون فاسوا بشراء أراضى فنانزيو ويودريكا من الملك روجيرو ومن جوليلمو نفسه بمبلغ ١٠,٠٠٠ تارى صقلى. رق بلدية كالتاجيرونى وعندى نسخة منها. وقد ذكرت أيضاً في المذكرات البلدية وثيقة أول سبتمبر ١١١٢. وهي على حد معرفتي، منقودة الآن.  
(2) وطبقاً للقوائم التي ذكرتها منذ قليل، فإن مدينة ميسيرتا تأتي بعد مدينى كالتاجيرونى وبالرمو. فعدد سكانها قدره ١٠,٦٢٨ نسمة وثروتها من الأراضى تقدر بـ ١٠٢,٩٦٦ ليرة إيطالية وبعد مسينا مباشرة تأتي نيقوسيا وعدد سكانها ١١,٧٢١ نسمة، وثروتها تقدر بـ ٨٩,٧٨٢ ليرة إيطالية.

نجهل ما إذا كانت مستوطنة من الجنود المساعدين أو من رجال متفرقين، أغرتهم الاعفامات الضريبية.

وتؤدى الروايات المحلية القديمة إلى الافتراض الأول الذى يرى أن كالتاجيرونى أسست حوالى عام ألف على أيدي أهل جنوة الذين هبطوا بأسطولهم فى كاميرينا، بعد أن تعرضوا للمخاطر داخل الأرض؛ استقروا فيها، وخصصوا كنيسة لسان جورجو، ورفعوا راية الوطن الأم؛ ثم فتح أحفادهم بعد ذلك أبوابها للكونت روجيرو(1)، واحتل أبناؤهم، أثناء حكم ابن الفاتح، قلعة جوديكا المنيعة(2)، وإذا استبعدنا من هذه الحكايات عام ألف وأسطول كاميرينا والأمور غير المحتملة الأخرى، فإننا يمكن أن نقر بأن رجال سافونا، وهى مدينة رئيسة فى ماركا أليراسى فى القرن الحادى عشر، مع آخرين من سكان الساحل الغربى (لأنهم جميعاً كان يطلق عليهم أهل جنوة ومن جنوة كانوا يتعلمون التحرر من الإقطاعيين) قد جاءوا للقتال تحت إمرة الكونت، بعد اقتحام بالرمو بقليل وفى حروب بناهزت؛ وبعد أن استقروا فى كالتاجيرونى، وزاد عددهم شيئاً فشيئاً بسبب وصول مستوطنين جدد من أقاليم أصلية وللإدارة الحكيمة للشئون العامة، فإنهم أعطوا صقلية مثلاً من الأمثلة الأولى للحرية والرخاء فى ظل البلدية؛ وبعد ذلك، عندما شاعت موضة الشعارات واشتهر أهل جنوة، رفعوا الصليب الأحمر المنقوش على رقعة بيضاء، أسوة بجنوة، وقد حرصوا على أن يتفاخروا بأصلهم فى تلك المدينة، والحقيقة

(1) فانتزولو، العشرية الأولى، الكتاب العاشر، الفصل الثانى، واميكو، *Dizionario topografico della Sicilia*، تحت مادة، Callagirone، رابيرل، *universale della Sicilia*، ص ٦٤ وما بعدها، وص ٩١ وما بعدها، ولتدعيم الرواية، ذكرت وثيقة لا نعثر عليها، ولوحة برج أجراس كنيسة سان جورجو، التى لم يعد لها وجود.

(2) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب ص ١٥٦ من هذا المجلد هامش ١، ويرجع الفضل فى الحصول على الأنباء المحلية، والنسخ وصورة وثيقة ١١٦٠ ووثيقة عام ١٢٠١ ووثيقة *Cronica di Camopetro* إلى المعامى لاروزا دى كالتاجيرونى، التى قام بإرسالها إلى البارون فريدمان فى باريس عام ١٨٤٧ الذى طلبها منه من أجل.

هي أن الاسم المزدوج الذي يذكره الإدريسي (١١٥٤) لهذا البلد حصن الجنون وقلعة الخنزارية، أي «قلعة المباشرة» و«قلعة الخنازير البرية» (1). يتفق مع حكاية الجماعة الجديدة التي جاءت لتستقر في مكان أهل بالسكان أصلاً؛ وكان يمكن أن نقول إنها حديثة جداً، حيث إننا نراها في وصف أبروشية سيراكوزا بتاريخ عام ألف ومائة وتسعة وستين، هي حين أنها غير مذكورة في وصف عام ألف وتسعين (2). والأصل بعد عام ألف وتسعين قد يتلاءم بالأحرى مع مستوطنة حرفية أكثر منها عسكرية، ولكن هذا لا ينفي إطلاقاً أنها جاءت من المناطق القريبة من جنوة.

هذه هي الأخبار التي استطعت أن أجمعها حول التغيرات السكانية التي سببها الفتح. ويجب أن نذكر ندرة وثائق المحفوظات الملكية والبلدية في صقلية. قبل القرن الرابع عشر؛ وأن وثائق انساب العائلات الصقلية ليست كثيرة أو مرتبة حتى تساعدنا في أبحاثنا الحالية. وبالتالي فإننا يجب أن نقنع بمقولات قديمة حول المستوطنين الذين تحركوا من الأقاليم الوسطى والجنوبية من شبه الجزيرة. وهي المقام الأول أن المدن البحرية في الجزيرة قليلة

(1) التمر، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٥٥ وهي كتاب جريجوريو. *Rerum Arabicarum*، ص ١٢٠. هناك جيل يقع أمام كاتاجيرون على بعد ثلاثة أو أربعة أميال، يحمل الآن اسم *Cansaria* كانساريا ويسمى *Ganzaria* جانزريا. *Chanzeria* شانزريا و *Cancheria* كانكيريا هي وثائق القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر. ولا يظهر التعشبة تغير الاسم من حصن إلى قلعة. والجزء الثاني من الاسم الطبوغرافي، *geruni*، كما نقرأ في وثيقة ١١٦٠. دون التصريف اللاتيني. نستمد كما يبدو لي أن يكون مشتقاً من لفظ *girone* أو لفظ آخر من كلماتها، ويجعلنا نعتقد أن المستوطنين الإيطاليين الذين أتوا للإقامة بجانب قلعة الخنزارية *Kala'l-el-Khinzeria*، احتفظوا بالاسم العربي لأحدى الشوارع القديمة، ملتقى المين *ginn* وتظهر حرف n إلى ɣ (حرف النون إلى حرف الراء). وربما يكون العرب قد قاموا بدورهم أيضاً بتحويل أحد مشتقات جيلا *Gela* إلى هذا اللفظ، مثل *Gelomuni* (*Castrum*). وكانت جيلا تقع، كما يبدو، على مسافة أميال قليلة.

(2) *Sicilia Sacra*، ص ٦١٨ و٦٢٢، حيث طبع: *Ecclesias Calatageronis et quae sunt in territorio ejusdem cum pertinentiis suis*.

السكان، كما كانت آنذاك مسينا وباتى، أو بها ندرة من السكان المسيحيين، مثل بالرمو وتشيفالو وكثانيا وچرچنشى ومازارا وترابانى، قد اجتذبت خلال القرن الثانى عشر البشر من المدن البحرية فى البر الإيطالى. وعلاوة على جنوة وشطآنها، التى تحدثنا عنها، جاؤا بالتاكيد من بيزا وأمالفى وسالرنو وبارى وموانئ أخرى على البحر الأدرياتيكي. وينبغى أن نذكر وصول جماعات أخرى إلى المناطق نفسها ويبدو أنها انتقلت إليها بكثافة مثل الجماعات اللومباردية، وليس بصورة متفرقة وعلى المدى الطويل؛ وأنها استقرت فى أماكن مهجورة ومقفرة، وليس فى مدن كبيرة فى طور الازدهار. واعتقد أن هؤلاء هم سكان ميستريتا وكاكأمو، وهما من إقطاعيات عائلة بونيللو(1)، التى ظهرت فى حالة رفيعة فى أقدم الوثائق النورماندية(2)؛ وكانت فى غاية القوة عند منتصف القرن الثانى عشر. وتعد ميستريتا، التى لا تزال سلالتها الجميلة القوية تتألق فى صقلية لحكمتها الفعالة فى الأعمال الزراعية، من بين أغنى المدن بالامتلاكات الموروثة(3). وقد طالبت كاكأمو، فى عهد جوليلمو الصالح، بتطبيق إعفاءات الصقليين عليها، على حساب إقطاعيين فرنسيين جدد. وقد جُند ماتيو بونيللو، وهو شاب كبير القلب كان مايونى يسمى لإرضائه لوجود أقاربه وأتباعه فى كلابريا، وهو بطل شعبي بالنسبة للمسيحيين فى بالرمو، جُند ماتيو فى إقطاعياته أناساً كان يمكن القول بأنهم جيش، وتفاوض مع الثوار اللومبارد فى الجزيرة، التى هجرها بعد ذلك، حائراً وخائراً؛ حيث إنه لم يستطع استغلال مقتل مايونى وترك نفسه ليقع مثل صبي صغير فى أيدي أنصار الملك(4). وبالتالي فإنه من الاسم ومن الأحداث يبدو

(1) لم يذكر انهيجز فى *Carthago Sicula*، أنها عنها جديرة بالثقة.

(2) انظر وثيقتى عام ١٠٩١ وعام ١٠٩٥، المذكورتين منذ قليل من ٢٢١.

(3) انظر الهامش رقم ٢ فى ص ٢٢٩.

(4) فاكأنسو، فى كتاب كاروزو، *Bibl. Sic.*، ص ٤٢٢ وما بعدها حتى ص ٤٤٢.

أن آل بونيللي كانوا من رفقاء روجيرو في حربه ولكنهم ليسوا من الفرنسيين أو اللومبارد ولا اليونانيين؛ ويمكن أن نقول بالأحرى إنهم كانوا من الصقليين من السلالة الإيطالية أو من أهل كلابريا. ولكن ليس لدينا أية قرينة على أن رجالاً صقليين كانوا ينتمون إلى البارونات؛ ولا يبدو هذا أمراً محتملاً، لأن أولئك السكان القدامى، حتى وإن كانوا أكثر عدداً من كل السلالات الجديدة، لم يكن بوسعهم في العهود الأولى النهوض لمستوى الأهمية السياسية، اللهم إلا في مسينا أو في مدن أخرى في فال ديموني. وفي مقابل ذلك، نعلم أن السكان المسيحيين في بالرمو زادوا عن سكان المدن البحرية في كلابريا وبوليا<sup>(1)</sup>؛ ولكن لا بد أن يرجع أصل آل بونيللي وأتباعهم أيضاً في ميستريتا وكاتامو إلى تلك الأقاليم.

(1) يتحدث فالكانسو، المرجع المذكور، ص ١١٥، عن أهل باري ككثيري العدد في بالرمو.

## الفصل التاسع

لما كان وضع المفلوبين القانوني لم يوصف بدقة في الوقائع أو القوانين، فلا بد من استخلاصه من الإشارات التي وردت في تلك الوقائع أو القوانين، وفي الشهادات والوثائق بصفة خاصة؛ حيث إن هذا الجانب الأساسي من القانون العام الصقلي في عهد النورمان يفتقر إلى الوضوح الكامل.

وفي المقام الأول، لم تكن العبودية وضعاً غير معروف، كما كان يرى جريجوريو<sup>(1)</sup>، ويروى لنا مالاتيراً وأماتو عن الأسرى الذين كان النورمان يرسلونهم للبيع في البر الإيطالي<sup>(2)</sup>؛ بل إننا نستنتج أن هذه كانت أجمل وأسرع المكاسب التي يحصل عليها المقاتلون. وعلاوة على ذلك، أبقت قوانين المملكة ومجالس ملوك صقلية على العبودية صراحة<sup>(3)</sup>. ولا ينبغي هذا الوضع ولا هذا الاسم في الوثائق، عندما

(1) *Considerazioni*. الكتاب الثاني. الفصل السابع. ص ١٦٣. بين الأستاذ ديجو أورلاندو في كتابه الذي يحمل عنوان *Il Feudalismo in Sicilia*. بالرمز، ١٨١٧. الفصل الرابع عشر، حاشية ٤٣، ص ٢٨٢. هذا النقط الذي وقع فيه جريجوريو بالرجوع إلى بعض المصنفين التي سأشير إليها فيما بعد.

(2) انظر في هذا الكتاب، الفصول الثاني والثالث والسادس. ص ٧٦ و ٨٢ و ١٠٢ و ١٠٦ و ١٥٦. في هذا المجلد، وبصفة خاصة روايات أماتو، المذكورة في كتابنا هذا، الفصل الرابع، ص ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٨ و ١٣٢ و ١٣٦.

(3) هناك قانون ينسب إلى جوليلمو، الكتاب الثالث، الموضوع ٢٤ (*Historia Diplomatica Friderici II.* الجزء الرابع ص ١٤٢). ينص على أن العبيد (*servos et ancillas*) الهاربين يمانون لأصحابهم أو يسلّمون إلى القاضي؛ وهناك قانون آخر للدينكو، الكتاب الثالث، الموضوع ٣٦، ص ١٤٢، يسميهم عبيداً *mancipia*. ويشرح بمنزلة من التفاصيل الإجراء المذكور. وفي أحد قوانين المجالس، في الجزء نفسه، ص ٢٢٧، يحظر من بين ما يحظر، على أي يهودي أو مسلم أن يشترى *servum Christianum*، أو يحتفظ به تحت أية ذريعة. انظر أيضاً *Fragmenta juris siculi*، التي نشرها مركل، *Halis. Commentatio*. ١٨٥٦، ص ١٨ و ٢٠ و ٣٤.

ذكرت قائمة العرب - الإغريق من العاملين التابعين لكنيسة كاتانيا، التي حُررت في عام ١٠٩٤، بعد الفلاحين وقبل اليهود، أسماء ثلاثة وعشرين من المسلمين العبيد، وهي لفظة تعني رقيقاً، وبالذات من العبيد السود (1). وهي وثيقة يونانية من وثائق الكونت روجيرو الثاني، وترجع لعام ١١٠٩، التي يحدد فيها هبات أبيه لصالح دير سان باربارو دي ديمينا، يسلم له بصفته عبداً *εἰς δουλείαν* رجل يدعى ليوني بن ملاكرينو. هو وأبنائه من بعده (2). وبموجب وثيقة أخرى ترجع لشهر فبراير عام ١١٢٤، ليست لدينا سوى ترجمتها اللاتينية، فإن الأمير نفسه بعد أن توج ملكاً، يمنح في سخاء كبير، لدير السلغاتوري في مسينا ضياعاً بما فيها من مراعي، وأشجار وفلاحين، من هاجرين ومسيحيين، واهداء علاوة على ذلك عدداً كبيراً من الحيوانات وعشرة عبيد (3). وتذكر وصية الراهب سكولارو، الذي عاش في نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، العبيد والإماء الذين كان قد اشتراهم مع نسلهم (4). ويمكن أن نضيف أيضاً وثيقتين ترجعان لعامي ١٠٩٨ و ١١٠٢ وتعلقان بكلايريا وإن كانتا تخلصان من أي شك، ورد فيهما أن غازي صقلية، منح سان برونوني وديره بالقرب من ستيلو، مائة وعشرين صفاً من الخدم والفلاحين، وهم ما تبقى من فرقة من الجنود اليونانيين الخونة، أخرج عنهم إكراماً للرجل القديس (5). وعند تصيب جوليلمو الصالح، حررت الملكة الوصية

(1) وثيقة غير منشورة خاصة لكنيسة كاتانيا.

(2) النص اليوناني لهذه الوثيقة، المحفوظة اليوم في المخطوطات الملكية في بالرمو، نشره السيد سيانا، *Pergamene*، ص ٢١٥ والمصفحات التالية.

(3) في كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٩٧٦ و ١٠٠٨.

(4) وثيقة عام ١١١٤، في كتاب بيزو، المرجع المذكور، ص ١٠٠٤.

(5) *Regii Neapolitani Archivi Monumenta*، المجلد الخامس، رقم ٤٩٧ و ٥١٠.

ص ٢٤٩، ٢٧٨، التي نقلنا أيضاً في حياة سان برونوني، *Acta Sanctorum*، المجلد الثالث عن شهر أكتوبر. كما أشرنا في الفصل السابع من هذا الكتاب، ص ١٨٨، هامش ٣.

من هذا المجلد.

إن الناشرين العلمانيين في نابولي لا يشككون في أصالة هذه الوثائق؛ ورجال الدين في

على الحكم العديد من العبيد(1)، وتبرهن أيضاً وثيقة عربية ترجع للقرن الثاني عشر على أن العادات التجارية كانت تسمح للرجل بأن يبيع نفسه عبداً؛ فقد اتفق العديد من البحارة المسلمين على نقل كم من العملات الذهبية لأحد السادة يدعى جوليلمو، من تشيفالو إلى مسينا، على أن يعطى كل واحد منهم ضماناً من ممتلكاته، وكان هناك أحدهم يدعى عثمان ولم يكن لديه ما يملكه فباع نفسه للممول، على أن يعتق نفسه عند تسليم العملة(2)، ومع كل هذا حين لا نرى كثيراً من العبيد في القرن الثاني عشر، فإنه يتبادر إلى ذهن كل منا افتراض بأن المسلمين الذين كانوا يؤسرون في الحرب ويوزعون مثل الفنائم الأخرى ويبيعون في معظم الأحيان، ويتخذون عبيداً لكبار الملاك، كانوا يكفون لدى الجميع بزراعة الأرض(3)، ونجد بالفعل في الوثائق الصقلية التي ترجع للقرنين الحادي عشر والثاني عشر، هبات من القرويين دون أرض؛ فهناك بصفة خاصة وثيقة جديدة بالذكر ترجع لعام ١٠٩٤ تشبه كشوف أعمال البر الحالية، فما أن تأسس

أنفراً يؤكدون عليها بحرارة كبيرة؛ وحيث إن هذه الكتابات لا توجد تحت بصري الآن هباني لا أستطيع هكذا، دون دراسة أخرى لها، أن أصرح بزيفها. ومع هذا لدى شكوك جسيمة. فالبحث الأساسي هو حلم إيجازي، جرت روايته بكثير من التفاضيل، وكان حل العقدة، فعمل في هبة كبيرة جداً لدير سان برونوني. وعلاوة على ذلك فإن أولى هذه الوثائق نورد لقب الكونت روجيرو بصيغ غير معتمدة، والثانية أرخت في يونيو، الخمسمشرية العاشرة لعام ١١٠٢، في ميلانو هي الفرقة التي كان يرقه فيها الكونت مريضاً. هذا بينما نعرف أنه كان قد مات في ٢٢ يونيو، الخمسمشرية التاسعة لعام ١١٠١. ونزهد من الشكوك تلك النوعية المطلقة من العبيد والقرويين، والتي لا نعرف منها مثلاً آخر.

وعلى أية حال، فهذه الوثائق إن لم تكن زائفة، فهي بالتأكيد غير عادية، وقد كتبها قساسة الكونت على غير طريقة كتابة السجلات الرسمية ولا تمثل مرجعاً هاماً في مسألة نظم القانون العام.

(1) هالكاندو، في كتاب كاروزو، Bibl. Sic. ص ٤٨٨.

(2) وثيقة عربية، لم يسبق نشرها، ودون تاريخ، خاصة بكيسة تشيفالو. ويبدو أنها تعود إلى منتصف القرن الثاني عشر، حيث إنها تذكر دنانير عبد المؤمن والريبعات الدوقية في مقابلة.

(3) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب ص ١١٢، من المجلد، حول أسرى بوجامو.



دير باثى الجديد، وبينما كان الكونت روجيرو وكبار الإقطاعيين يهبونه القلاع والأراضي وعمال الأرض بالمثل، كان كثير من البارونات أو العسكريين يهدونه عامل أرض أو اثنين، وهناك من كان يهدى العديد من أولئك القرويين المنتشرين فى مختلف أسواق صقلية؛ حتى إن جوليئمو مالى سبتاريو أضاف أيضاً يهودياً<sup>(1)</sup>، وهؤلاء الرجال الذين جُمِعوا من العديد من الأماكن المختلفة لزراعة ضياع الأسقف، كانوا أشبه بالرفيق وليس بعبيد الأرض. ونجد بالمثل عقد بيع لأربعة من القرويين فى أرياف بالرمو مقابل مائتى تارى وحصان<sup>(2)</sup>، ويبدو أن التسمية بالقرويين كانت تطلق فى هذه الحالات نوعاً من اللياقة المسيحية، ولأن هؤلاء اليُؤمَّاء فى واقع الأمر كانوا يقومون فى الحقول بخدمات القرويين أنفسهم، وإن كانوا فى وضع مختلف. ونقرأ بوضوح فى القوانين أن القرويين كان بعضهم مملوكاً بشخصه والبعض الآخر مملوكاً لأسباب مادية؛ ومن هنا فإن هؤلاء كان بإمكانهم أن يتحرروا من سادتهم بأن يتركوا لهم ما عليهم بينما أولئك لا يستطيعون هذا بآية حال من الأحوال<sup>(3)</sup>، ومن الواضح أن هذه الحالة الأخيرة، إن لم تكن عبودية كاملة فى عهد القوانين، فقد كانت كذلك فى يوم من الأيام. وقد أصبحت عبودية للأرض، دون قانون ودون عقد من السيد، ودون فضل لأحد فى ذلك وإنما للضرورة

(1) فى كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٢٢١.

(2) موزسو، *Palermo Antico*، الوثيقة رقم ٦، ص ٢١١، وثيقة من وثائق التصف الأول من القرن الثانى عشر.

(3) *Constitutiones Regni ec.* (3)، الكتاب الثالث، العنوان ١، ٢، ص ١٦٢، ١٦٢، وبوضوح أكثر فى *Assisae*، الجزء نفسه، ص ٢٢٢. *Rescriptum pro Clericis*، وقد كان محظوراً بصفة عامة على الأساقفة أن يسهموا قساوسة من القرويين، دون إذن من سيدهم؛ ولكن هذا الأمر كان يتم تفسيره على أساس، أن العطر كان مطلقاً (باستثناء حالة الضرورة القصوى) بالنسبة للقرويين الملزمين بالخدمة، *intuitu personarum, ut sunt adscriptitii et servi glebae et alii hujusmodi*، ولكن المرتبطين بغيره *respectu tenementorum vel aliquorum beneficiorum* فكان يوسعهم أن يتخلوا عن تلك الفوائد ويصبحوا كهنه.

المجردة التي فرضتها الظروف.

وأولئك الذين كان من المعتاد أن يقال لهم، في أوروبا الإقطاعية، عبید الأرض، يسمون قرويين في الوثائق اللاتينية في صقلية (1) وفي أماكن عديدة من بوليا وكلابريا من القرن الحادي عشر إلى ما بعد ذلك (2). وهذا اللفظ يقابله عادة في الوثائق اليونانية في صقلية لفظ *συνεργός* (3) وفي الوثائق العربية أهل الجرايد، أو رجال الجرايد (4)؛ كما نقول نحن أهل، أو رجال السجلات، وفي الترجمة العربية الواقعية لللفظ اللاتيني *adscriptitii* واليوناني *ἐκκλησιαστικοί*. وأحياناً ما كانت تستبدل التسمية العامة وهي (رجال) *ἀνδρες, homines*، التي كانت تعني في العصور الوسطى أي نوع من الأتباع (5). وعندما لم يكن

(1) وثائق في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، عام ١٠٩١، ص ٥٢١ وعام ١٠٩٢، ص ٦٩٥ وعام ١٠٩٤، ص ٧٧١ وعام ١١٢٤، ص ٩٧٦، علاوة على تلك المذكورة أعلاه والعديد من الوثائق الأخرى. في وثيقة ترجع لعام ١٠٨٢، في ص ١٠١٦، نقرأ *villicos*.

(2) الوثائق، في *Regii Neapolitani Archioii Monumenta*، المجلد الخامس: عام ١٠٨٧، ص ١١٧ وعام ١٠٩٢، ص ١١٠ وعام ١١٢٦، ص ٥٢١، إلخ.

(3) وثائق يونانية من محفوظات بالرمو- نشرها السيد سيانا، *Pergamene, ec.* عام ١١٠١، ص ١٩٢ وعام ١١١٢، ص ٢٢٤ وعام ١١١٦، ص ٢٤٢ وعام ١١٢٦، ص ٢٦٥. ووثيقة عام ١١٤٢، في محفوظات كنيسة القصر في بالرمو، ص ١٤؛ وفي وثيقة أخرى عربية - يونانية في دير موريالي، غير منشورة، مؤرخة بتاريخ عام ١١٥١، وتورد الكلمة نفسها في العديد من الوثائق اليونانية في منطقة نابولي، وقد نشرها تريكنيرا، *Syllabus, ec.* عام ١١٢٠، ص ١٢٩ وعام ١١٥٤، ص ١٩٩ وعام ١١٦٥، ص ٢١٩. وتعلق ببعض أدبرة كلابريا.

(4) وثائق عربية غير منشورة ترجع لعام ١١١٥ (كنيسة موريالي)؛ ٩١١٢٧ (كنيسة مارجوني في بالرمو)؛ ١١٧٨ و ١١٨٢ (كنيسة موريالي).

(5) وثائق يونانية لدى سيانا، *Pergamene, ec.* وثيقة ترجع لعام ١٠٩٩، وجدت في عام ١١١٤، ص ٢٢٧ وعام ١١٠١، ص ١٩٢ وعام ١١١٦، ص ٢٤٢ وعام ١١٢٢، ص ٢٠٩. ويرد أيضاً الاسم العام نفسه في وثيقة يونانية ترجع لعام ١٠٩٨، نشرها بوشيمي في *Biblioteca Sacra*، المجلد الأول، بالرمو، ١٨٢٢، ص ٢١٢. وتوجد ترجمته اللاتينية في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٢٩٢؛ وفي الوثيقة العربية - اليونانية لعام ١١٥١، المذكورة في الصفحة السابقة، هامش ٤. وبالمثل في الوثائق اليونانية في منطقة نابولي، وعلى سبيل المثال في وثيقة ترجع لعام ١١١٥، لدى تريكنيرا، *Syllabus, ec.* عام ١٨٢، ووثيقة أخرى من القرن الثاني عشر ذاته، المرجع السابق، ص ٥٥٧، ولا يلزم ذكر الوثائق اللاتينية.

بين هؤلاء أي مسيحي، كانوا يستخدمون التسمية العرقية الخاطئة وهي هاجريون (1). وفي الوثائق اليونانية يتردد بعد ذلك اللفظ اللاتيني «هرويون»، منقولاً بالتأكيد (2) وفي وثيقة من كلابريا وردت أيضاً كلمة *herodiani* أي مفيدون في المسجلات، أو الوثائق (3). وفي الوثائق العربية تستخدم بالمعنى نفسه كلمة اعتقدوا أنها حرش *harsh* أو خرش *Kharsh*، وإنني أفضل أن أقرأها بالأحري «حارثين» أي مزارعين (4).

ويبدو لي أن الطبقة نفسها وليس غيرها كان يشار إليها بكلمة *rustici* (أجلاف)، وذلك في وثيقتين لاتينيتين ترجعان لعام ١٠٨٦

(1) وثيقة يونانية - عربية غير منشورة، ترجع لعام ١٠٩٥، وتخص كنيسة كاتانيا، وقد ترجم فيها سجل أهل لهايس (أهل انش) *ἐν τῇ πόλει τῆς Ἀνσῆς* (سجل هاجريين انش): وثيقة أخرى يونانية - عربية أيضاً ترجع للتاريخ نفسه، وتخص كنيسة بالرمو وتضمن هبة من الرجال والنيران والأراضي، قدمها لها الكونت روجيرو، حيث تقابل أيضاً كلمة *herodiani* الكلمة العربية «رجال»، وفي وثيقة لاتينية، لدى ميرو، *Sicilia Sacra*، ص ٢٦، لفظ هرويين. ويرد اسم هاجريين في العديد من الوثائق اللاتينية. (2) انظر فهرس وثائق عام ١١٤٢ و ١١٤٩، لدى مورتهللاو، *Tabulario della Cattedrale di Palermo*، ص ٢٢ و ٢٠. وغالباً ما يتردد اللفظ نفسه في الوثائق اليونانية في منطقة نابولي، التي نشرها ترينكيرا، *Syllabus, ec.* عام ١١٢٦، ص ١٥٥ (الخاص بصقلية): وعام ١١١٥، ص ١٨٢، مع البديل اليوناني «مضنين»؛ وعام ١١٨٨، ص ٢٩٧؛ ووثيقة أخرى من تاريخ، ولكن ترجع للقرن الثاني عشر في الأخرى، مع الخطأ «herodiani» انظر أيضاً بوكليج، *Glossario greco*، الذي يذكر وثيقة للكونت روجيرو عند اللفظ *herodiani*.

(3) لدى ترينكيرا، *Syllabus, ec.* ص ٥٥٧، رقم ١٦ من العاشية. (4) وثائق عربية ترجع لعامي ١١٥٠ و ١١٥٤، وتخص كاتدرائية بالرمو، وقد حصلت على نسخة منها من الأستاذ كوزا، وقد نشر جريجوريو الثانية بمستوى متواضع، *De Supputandis, ec.* ص ٣٤ والمنشعات التالية ونشرها كاروزو في *Sacra Biblioteca*، المجلد الثاني، بالرمو، ١٨٢١، ص ٤٦. ووثيقة عربية ترجع لعام ١١٦٩، وتخص كاتدرائية بالرمو نفسها، ولدي نسخة منها تكوّن بها على الأستاذ كوزا مشكوراً. وفي هذه النسخة الأخيرة أرى مكتوباً خ - ر - ش بدلاً من ح - ر - ش (الأحرف رقم ٧ و ١٠ و ١٣ بدلاً من الأحرف ٦ و ١٠ و ١٣ من الأبجدية العربية). ولا يبدو من المحتمل أن تكون قد استخدمت ترجمة للفظ *rusticus* (حرس *heresc* وقد تعني خشونة). ومن يريد أن يرى افتراضات جريجوريو وتضمن حول هذا اللفظ وحول لفظ *mils* أو *mels* في الوثيقة ذاتها، فليقرأ الهامش ه في ص ٢٦ من *De supputandis*.

١١١٤: وهي تسمية واضحة في الوثيقة الأولى، حيث إن الرجال ذاتهم الذين أطلق عليهم في البداية أجلاف *rustici* أطلق عليهم في النهاية قرويين *villani* (1). ولم يكن معنى تلك الكلمة مختلفاً في باقي أوروبا الإقطاعية (2). وفي القوانين، تشير كلمة *rustici* عموماً إلى القرويين، أو عمال السخرة، أو المقيدون بالسجلات، أو عبيد الأرض أو طبقات أخرى متواضعة، حسب النظرة السائدة آنذاك (3). وهذه الكلمة لم تمن أبدأ طبقة أعلى من القرويين وأدنى من البرجوازيين، كما يفترض جريجوريو بناءً على استنتاجات خاطئة (4).

(1) وثيقة لانتية للدوق روجيرو، ابن روبرنو، يرجع تاريخها لأغسطس ١٠٨٦، لدى بيرو، *Sicilia Sacra*، من ٧٤، ٧٥: ووثيقة أسقف كاتانيا التي يرجع تاريخها لستمبر ١١١٤، وكان ينح بموجبها دير سانتا مازيا إن يوسافاط في باترنو. عُثر عدة الملاحين السراسنة، الذين منحه إياهم الكونت أريجو.

(2) دوكاج: *Gloss. lat. Rustici. Coloni Glebe adscriptiili ec., Rustis*.

(3) طبقاً للقوانين، الكتاب الثالث، المادة رقم ٦٠. كان محظوراً ممارسة مهنة القاضي أو موثق المفود على *villanus aut angarius qui vilis conditionis sit, villanus aut angarius forsitan, filii clericorum spurii, aut modo quolibet naturales*.

(4) *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السابع، من ١٦٨. ويظهر المعنى العام لكلمة *rustico* بصورة أوضح في *Assise* مملكة صقلية، التي نشرها مركل، *Halts*، ١٨٥٦: حيث تومس المادة رقم ٢ في ص ١٧، جميع السادة بمعاملة الطاضعين لهم بمعاملة إنسانية، وهم: *ctoes, burgeneses, rusticos, stoe cujuscumque* *professionis homines*؛ وليس هناك ذكر لـ *villani* أو *angarii* إلخ. وبخلاف عاداته، لا يذكر جريجوريو أي وثيقة في هذا التحقيق الدقيق، واكتفى بأن يضع في الملاحظات العديد من مواضع القانون، حيث يتكرر لفظ *rustico* و *villano*. وفي هذه المواضع اعتقد أنه تعرّف على كل الطبقات التي كانت تنقسم إليها الأمة الصقلية والفوارق القائم بينها.. (*Considerazioni*، المجلد الثاني، ص ٧٠، حاشية ٨ من الفصل السابع).

وفي المقام الأول فإن القوانين التي أصدرت في ميلان في عام ١٢٢١، لم تطعن بصقلية وحدها. وبما أنها كانت تشمل كل الأقاليم التي كانت تدن بالطاعة لفسريكو في إيطاليا الجنوبية، فإنها تذكر العديد من التسميات لطبقات أدنى، كانوا يستخدمونها هنا وهناك في أماكن خرجت قبل ذلك بخضعة قرون أو بقرنين، من تحت سيطرة حكام مختلفة جداً. وفي المقام الثاني، ظهرت القوانين مدونة قانونية منظمة ومتكاملة، يتم فيها عرض الحقوق كافة في نظام ملائم؛ ولكنها مجموعة من بعض القوانين؛ بل مجموعة غير مرتبة من القوانين، أصدرها أمراء مختلفون، ومنها ما صدر في أزمنة مختلفة للأمير ذاته.

ولم يكن حفظه من التوثيق أفضل عندما عدَّ عمال السخرة (*angarii*) طبقة أدنى من القرويين (*villani*): فإن صح ذلك فسوف يكون مخالفاً

وبالتالي فلا يجب أن نفترض مسبقاً، ما هو غير موجود في الواقع، أي تلك الدقة القروية التي تذكر دائماً الأشياء نفسها بالألفاظ ذاتها.

وقد افترض جريجوريو هذا، عندما خلص إلى أن الـ *rustici* هي صلبية كانوا مختلفين عن الـ *villani*: لأنهم كانوا مذكورين في القوانين، في الكتاب الأول، المادتين ١٠ و ٣٣؛ والكتاب الثاني، المادة ٣، والثالث، ٤٢. أما الآخرون فمذكورون في القوانين، بالكتاب الثاني، ٣٣؛ الكتاب الثالث، في المادتين ٦، ٧. ولم يأخذ في اعتباره أن المادة ٣٣ بالكتاب الثاني كانت تستعرض حقيقة كل طبقات الأفراد؛ وبالتالي، فإذا لم يرد ذكر *rustici*، فإنه يجب اعتبارهم ضمن الفئات الأخرى التي ورد ذكرها، أي *villani* و *angarii*؛ أو بمعنى أصح، إن *rustici* تعني بصورة عامة *villani*، *dei scritizii* وخدام الأرض أو عبيدها، المذكورين بصفة خاصة في المادتين ٢ و ٣ بالكتاب الثاني. وهي الحقيقة لم يكن من الممكن إغفال الـ *villani* في القانون ضد نزاع الأسلحة، الكتاب الأول، المادة العاشرة، ولا إهمال الـ *rustici* في عدد الفئات المسموح بشهادتها ضد البارونات، أو المستعبدة، الكتاب الثاني، المادة ٣٣؛ أو أن ينسوا في القانون الذي كان يسمح لفئة *villani* في الخلافة على العمل بالامتلاكات الأميرية، الكتاب الثاني، مادة رقم ١٠. ولا يستقيم الرأي الآخر الذي عبر عنه العلامة الصقلي حينما قال إن الـ *rustici* كانوا مختلفين عن الـ *villani*، لأن القوانين كانت تعدد التمويض، كما كان يقال في القوانين البربرية، للفئة الأولى وليس للأخرى؛ ومن هنا اتضح له أن الـ *villani* لم تكن لهم شخصية، من الناحية القانونية، إلا أن التمويض كان لمن الدم، وكان يرتفع تبعاً للدرجة، وبالتالي فقد كان في صالح الرجال طبقاً لارتفاع درجتهم؛ ولكن هذا الأمر لم تتناوله أية من القوانين التي أصدرها فريكو. بل إنها تعترف، على العكس من ذلك بدرجات الأشخاص لتشديد العقوبة حسب ارتفاع الدرجة، ومن هنا فإن البرجوازي كان عليه أن يدفع أكثر من القروي الـ *rustico*، والمعارب أكثر من البرجوازي، والبارون أكثر من المعارب، والكونت أكثر من البارون. وقد اتبع الأساس نفسه في تحديد المكافأة لقبض على الطارحين على القانون؛ حيث يذكر فيه اسم *rustici* وليس *villani*؛ ولا يمكن أن نفترض أن المشرع أراد أن يؤكد على عدم عقاب الطارحين على القانون من عبيد الأرض، بلهاف مكافأة القبض عليهم، ثم انتهى لا أعلم أين قرأ جريجوريو أن شهادات الـ *villani* كانت مقبولة ضد الـ *rustici* والبرجوازيين. ولا يذكر القانون الذي يستشهد به شيئاً عن ذلك، ولا يشير إليه؛ ولا أجد قانوناً آخر ينص على هذه الحالة؛ ومن هنا يحتمل أن يكون هناك خطأ مطبعي ما، سواء في نص جريجوريو أو في الهامش. وأخيراً يجب أن نأخذ في الاعتبار أن جريجوريو نفسه، حينما عدَّ الـ *rustici* في وضع مختلف عن الـ *villani*، لم يكن واقعاً تماماً من وجه اختلافهم عن البرجوازيين؛ ولكن يضيف شيئاً آخر، عرض الافتراض القليل بأن التنظيم الاجتماعي نفسه كان يسمى برجوازيًا في المدن وريفياً في الأرياف، وهو تمييز جزائي تماماً؛ وإن كان على أية حال لا يبرهن على وجود طبقة وسيطة بين البرجوازيين والقرويين.

للمالوف عامة في النظام الإقطاعي (1): كما أنه ليس هناك أي مبرر يدعو لافتراض هذا خروجاً عن القاعدة في القانون العام الصقلي (2). إن الاختلاف، وهو عميق من الناحية القانونية، وطفيف على أرض الواقع والمذكور عرضاً في القوانين، حيث كان يتم التمييز بين القرويين *villani* المملوكين بأشخاصهم وأولئك المملوكين بحكم الممتلكات، لا يرد له تحديداً في تسميات خاصة به إلا في الوثائق العربية أو الإغريقية - العربية في صقلية، وهي وثائق قليلة للغاية.

وقد أخذ الأستاذ ديجو أورلاتو - منذ عام ١٨٤٧ يبين خطأ جيرجوريو بمجرد المقارنة بين القوانين، في الكتاب الذي يحمل عنوان *Il Feudalismo in Sicilia* بالرمو، الفصل الرابع عشر، حاشية ٢٢، ص ٢٧٥.

ولن أخفي أنه في وثيقتين في محفوظات نابولي نلاحظ أن لفظ *rustico* يأتي مراراً متساوياً للفظ برجوازي - وكليهما يتضمنهما المجلد الخامس من *Regii Neapolitani* *Archivi monumenta*، (نابولي، ١٨٥٧) تحت رقمي ٤٧٧ و ٤٩٤، ص ٢٠٢ و ٢٤٥. في أولاهما وهي بتاريخ عام ١٠٩٤، يحظر الإصرار بدير سان برونوني ناحية سنيلو - على أي شطرنج، سواء كان مستراتيجوتو أو فيسكونت، *rusticus aut miles, servus*، وفي الأخرى بتاريخ عام ١٠٩٨، عند الإشارة إلى الرجوع إلى *Veterani Squillacenses* بالنسبة لحدود الأرض التي كانت ممنوحة لسان برونوني، نخلص إلى أنه عند النظر في أن، *rusticorum causam contra fratres*، صدر القرار لصالح الدير، ولكن هذا المثال الوحيد لا يعتد به؛ ضد اتجاه القوانين، وحينما لا تقع أيضاً على وثائق دير سان برونوني الأولى تلك الشكوك الثقيلة التي ذكرناها عليه، فإنه يمكن الظن أن ذلك المعنى لكلمة *rustici* إنما هو من قبل الاستخدام المحلي، أو لأنها كانت كلمة جديدة أتت بها كاهن قسّر الكونت روجيرو، إذ من المحتمل أن يكون من كتب الوثائق أجنبياً، إن كانت أصلية؛ أو لعله استخدام الرهبان وهو أيضاً أجنبي، حينما استعملها بعد ذلك، إن كانت زائفة. (1) جيرجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السابع، ص ١١٧، انظر في دوكانج، *Glossar. lat.* القاط *Angaralis*، *Angarea*، *Angarize* *Angariales*، *Angariarius*، *Angarii*.

(2) إذ *Angarii* المذكورون في القوانين، الكتاب الثاني، مادة ٢٢ والثالث، ١٠، ٦٠، هم في مستوى الـ *villani*، ووثائق نابولي تتحدث عن سطرة *Angaria* واجبة على قرويين (تريشكيرا، *Syllabus*، ص ٣٠٠، ٣٢٤، ٥٥٨، ٥٥٩، وثيقة ١١٨٨ و ١١٩٨)، وفي الوثائق الصقلية نرى كنانيس وأديرة متحررة من الخدمات والمسطرة (سبانا، *Pergamene greche*، وثيقة ١١١٧، ص ٢٤٧؛ وثيقة ١١٧١، ص ٢٧٢، ٢٧٥)؛ ولكن لا يظهر في صقلية أية طبقة تسمى *angarii* عمال مسطرة.

لأن الجهل والإهمال والثورات الأهلية دمرت الجانب الأكبر منها. والوثائق اللاتينية، المكتوبة حسبما يُرضى المنتصرين أو المعارين أو رجال الكنيسة، تذكر عدد الفلاحين، وحدود الضياع ولا شيء أكثر من ذلك؛ لأنها كانت خلاصة للهبات، تعبر عن حذر الواهبين، ولا تعباً بالدقائق الإدارية والقانونية، ذلك عندما كانت غريزة الإقطاع تحملهم على القضاء على أى شك بالعنف. وعلى العكس من ذلك، فالوثائق اليونانية والعربية التى تنص على هبات الأشخاص أو الضيعات مرجعها مستلآت من السجلات العامة. وما كان من الممكن أن يختلف الأمر بالنسبة للوثائق العربية، وهو كذلك واقمى جداً بالنسبة للوثائق اليونانية: لأن اللغة اليونانية كان يتكلمها ويفهمها الجانب الأكبر من السكان فى عصر الفتح الإسلامى: ثم بعد ذلك، لم يدمر المسلمون بالتأكيد السجلات المدنية العقارية أو الأوراق الأخرى الخاصة بالإدارة العامة البيزنطية، المكتوبة باللغة اليونانية؛ ولم يتوقف استخدام هذه اللغة مع نهاية القرن الحادى عشر، عندما كان كثير جداً من الصقليين يتحدثون بها، أو يفهمونها، كما كان على القساوسة أو محررى الوثائق أن يتعلموها بصورة أو بأخرى<sup>(1)</sup>. وبالتالي فإن المعاصر العربية أو اليونانية، التى كان يتم تصحيحها بمراجعة المستخدمين المسئولين المستمرة، كانت تحتوى على ضمان حقوق الأشخاص وحاجياتهم. وليس هناك ما يدعو للعجب أن نجد فى تلك الوثائق فقط تسمية لفئة لا تعرفها المصادر اللاتينية. إنهم رجال «المكس» *Maks*، إن كنت أقرأ هذه الكلمة جيداً، بدلاً من «ل.. ل.. ل..» *M. l. s*، الواردة فى الوثائق العربية فى عام ١١٥٠ و ١١٥٤ و ١١٦٩ و ١١٨٢؛ وآخر وثيقة من هذه الوثائق تقدم قرائن تكفى لتحديد الوضع الذى نتحدث عنه. فبعد أن قامت دائرة أملاك الدولة - كما كانت تفعل دائماً دون نتيجة تذكر - باستدعاء

(1) انظر الكتاب الرابع، الفصل الحادى عشر، ص ١٠٩ و ١١٠ من المجلد الثانى.

الرجال الذين هجروا أراضيها ولجأوا إلى أراضي دير موريالى للعودة إليها، ترك جوليلمو الثاني للرهبان، بمقتضى هذه الوثيقة، رجال المكس ورجال المحلات الذين سنتحدث عنهم لاحقاً، ولكنه تمسك تمسكاً شديداً برجال الجرايد، أى الفلاحين، باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من الملكية. ويختلف رجال «المكس» عن رجال «القوائم»، أو القرويين؛ لأن هؤلاء يستثون من التنازل، أما أولئك فيدرجون فيها. وهم يختلفون أيضاً من حيث التسمية التى تطلق عليهم باليونانية: «*ἐκτετακται*»، كما يمكن أن نقول نحن «أولئك الذين خارج السجل»، وهى كلمة يصبح معناها أكثر وضوحاً عند مقارنتها بالكلمة الشهيرة «*εκτετακται*» المسجلين، أى «*adscriptitii*»، عبيد الأرض الحقيقيين<sup>(1)</sup>. وكلمة «مكس» تعنى فى اللغة العربية المعنى نفسه غير المحدد الذى يعنى عندنا إتاوة أو ضريبة جزائية، أى ضريبة غير شرعية وجائرة<sup>(2)</sup> وهكذا فإن عبارة «رجال المكس» قد ترجع حرفياً

(1) لدى نسخ من الوثائق الثلاثة الأولى، أرسلها إلى الأستاذ كوزا: وقد نشر جريجوريو إيداعها، جزئياً وبصورة سيئة، *De supputandis ec.* ص ٢٤. وقد طبع م. دى فريجه الوثيقة الرابعة مع ترجمة فرنسية وتطبيق فى *Journal Asiatique*، أكتوبر ١٨٤٥، ص ٢١٢ والصفحات التالية: وقد قدمت ترجمة لها فى *Archivio Storico Italiano*، المجلد الرابع، العواشي، ص ١٩ والصفحات التالية. وقد أخطأ الأستاذ العلامة عندما افترض أن الـ «*ascribiti*» هم الرجال الممنون: وقد أخطأت أنا أيضاً عندما التفتة فى هذا التفسير وهى قرأت *Mils* بدلاً من *Maks*.

(2) علاوة على الشرح الذى نجده فى القاموس والذي ترجم ترجمة جزئية فى قاموس فريتاچ، فإن معنى لفظ «مكس» نجده فى النصوص العربية التالية: رحلات ابن جبهر *The Travels of Ibn-Jubair*، طبعة وايت، ص ٥٢، ٥٢، ٦٦ وابن الأثير، *Chronicon*، طبعة ثورنبرج، المجلد الثانى عشر، عام ٦٠٤، ص ١٨٢ و *Annales Regum Mauritanie*، طبعة ثورنبرج، ص ١٨٨ والمقرئى، المصاغة، طبعة بولاق، المجلد الثانى، ص ١٢١ وأبو المحاسن، *Annales*، طبعة جنينبول، المجلد الثانى، ص ٢٨٦. انظر أيضاً سلس، *Memoires sur le droit de proprieté en Egypte*، ص ٦١ فى *Memoires de l'Académie des Inscriptions*، المجلد الخامس، ص ٦١ و *Chrestomathie Arabe*، الطبعة الثانية، المجلد الأول، ص ١٧٢ والمجلد الثانى، ص ٦٠، ٨٤، ١٦٨ وكاترميز، *Sultans Mamlouks*، للمقرئى، المجلد الثانى، الجزء الثانى، ص ٩٧. وهى هذه الفقرات أحياناً ما تعنى كلمة مكس ضرائب غير مباشرة.



إلى لفظ *trilobes* هي اللغة الإقطاعية الفرنسية؛ ويبدو لي أنه تعبير مناسب لوصف الرجال الخاضعين للضريبة الجزائية، حتى إن لم يكونوا مسجلين في الأوراق المشؤومة، التي تجعل منهم، هم ونسلهم، مادة للملكية. وبالتالي فإنهم فئة تقابل الفلاحين المملوكين لسيد بحكم المتاع، كما تقول القوانين وتقابل فئة الشيرل *ceorls* الأعلى من السكسونيين في إنجلترا. وتضع وثيقة عام ١١٦٩، الفرياء، على درجة رجال «المكس» ذاتها، ويقصد بهم المكرمون، الموصى بهم، المؤتمن عليهم، أو الضيوف الذين اعتاد الإقطاعي استقبالهم، بل اصطيادهم في أراضيه لزراعتها: رجال أحرار، أو من المفترض أنهم كذلك لأنه يسمح لهم بالتحرر من اضطرار سيدهم وملاحقته لهم، وكانوا يملكون مقابل الحصول على المسكن والطعام، أو كانوا يتمتعون بثمار الأرض، مع دفع ما عليهم لصاحب الأرض على شكل أموال أو نتاج أو أيام عمل في ضياع أخرى<sup>(1)</sup>. وفي الحقيقة أن كثيراً من المسلمين، والمسيحيين أيضاً، كانوا في الظروف نفسها مع اختلاف الأسباب. مثل الحرثيين في الأراضي الصغيرة، الذين لم يتخذوا عبيداً، ولم يوصفوا بأنهم من البرجوازيين.

وكان القيد الذي لا ينقسم الذي يربط القرويين المملوكين بحكم أشخاصهم، يظهر في القوائم، أو السجلات، كما أسماها، التي كانت تكتب فيها أسماء الرجال الذين يتنازل الأمير عنهم، ومع ضياعهم

(1) انظر تلك الألفاظ المختلفة في دوكانج، *Gloss. latine*. ونصنا الوثائق اللاتينية واليونانية في إقليم نابولي بالمعهد من الأمثلة من هذه الفئة من الرجال؛ وعلى سبيل المثال وثائق أعوام ٩٣٢ و٩٧٥ و١٠٥١ و١٠٨٠ و١٠٨٦ و١٠٩٦. في *Régii Neapolitani Archivi Monumenta* المجلد الأول، ص ٦٢ و١٣٩ والمجلد الخامس، ص ٨ و٩٧ و١١١ و١٦٥ وفي ترينكيرا، *Syllabus*، وثائق أعوام ١٠٩٧ و١١١٥ والمجلد العاشر عشر، ص ٨١، ١٨٢ والمصنفات التالية ٥٥٩. وفي مواضع أخرى. وشاهير القوانين نفسها التي كانت تستند على الهاربين من أراضي أملاك النبوة، ووثيقة موريلي المذكورة لعام ١١٨٣، تلك الهروب المتكرر جداً للقرويين الذين كانوا ينهبون للاستقرار، بصفتهم موصى عليهم، في أماكن أخرى.

ومنقولاتهم هي الغالبية (1): فنظراً لأن السيادة كانت جديدة والنظام الاجتماعي جديداً، كانت جديدة أيضاً كل صفات الملكية الإقطاعية. ويبدو أن التعريف العام للفلاحين قد تم مع الغزو، وفي عام ألف وثلاثة وتسعين صدرت لكل سيد قائمة بأسماء رجاله: وهذه القوائم كانت تُعدّل مع كل تنازل جديد، وبإحلال الأرامل اللاتي كن يمثلن العائلة محل المتوفين، وإضافة المتزوجين الجدد الذين يكونون عائلات جديدة (2). وقد اتبع الأمراء النورمان هذه الطريقة في الملكية في دقة: لأنه في التنازلات الجديدة عن فلاحين منتمين لأراضي الدولة كان يوضح دائماً البند الذي ينص على استبعاد الرجال المسجلين في السجلات السابقة للإقطاعيين (3). وتوضح وثيقة جويليمو الثاني العربية سابقة الذكر، الموجهة لدير موريالي هذا الحق وهذا الواقع، بصورة تدعو للإعجاب. وكما نلاحظ من هذه ومن مائة وثيقة أخرى من وثائق القرن الثاني عشر، هي صقلية

---

(1) كان منح الفلاحين مع ممتلكاتهم كثير جداً حتى إنه يكاد لا يلزم ذكر نصوصه. ولكن أشهر إلى بعض النصوص، فإنني سأذكر الوثائق اليونانية لعام ١٠٩٨. في كتاب بوشيمي، *Biblioteca Sacra*، المجلد الأول، بالرمز ١٨٢٢. من ٢١٢: ولعام ١١٠١، و١١١٢ و١١١٦، في كتاب سيانا، *Pergamene, cc.* من ١٩٢ و٣٣١ و٣٤٢: ولعام ١١٤٢، في *Tabulario* كتاب كنيسة القصر في بالرمو، من ١٤: ولعام ١١٣٦، في ترينكيرا، *Syllabus*، من ١٥٥ والترجمة اللاتينية لوثيقة يونانية ترجع لعام ١٠٩٦. في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، من ٢٨٢، والتي بمقتضاها أدى الكونت روجيرو، عملاً على الممتلكات الكثيرة الأخرى التي منحها لأسقف مسينا الجديد: *In Oliverio villanos centum et terras et tenimenta que ibi habitantes prius tenebant*.

(2) وثيقة عربية - يونانية، لم تشر بعد ترجع إلى ٢٠ فبراير ١٠٩٥. ونطس كنيسة كاتانيا، التي تتضمن سجل فلاحين آتشي. وانظر أيضاً في كتاب ترينكيرا، *Syllabus*، من ١٨٢ والصفحات التالية، الوثيقة التي تتضمن هبة أسقفية سكويرلاتشي. وقد كان الكونت روجيرو يسمح للأسقف، من بين الأشياء الأخرى التي كان يسمح بها، بأن يستقبل في ضيعاته فلاحين «غرياء» بشرط ألا يكونوا في نطاق امتيازاته هو ولا امتيازات باروناته.

(3) وثيقة من عام ١٠٩٥، واثنان من عام ١١٤٤، واثنان من عام ١١٤٥: وكلها عربية - يونانية نطس كاتانيا وموريالي وأرشيف بالرمو الملكي، والمذكورة عليه.

وكلابريا وبوليا، وكما لاحظنا هذا الآن، فإن السادة كانوا حريصين على امتلاك مواليتهم عن حق ودون وجه حق، وكان أولئك يهربون عندما يستطيعون ذلك إلى أراضي أخرى (1). ولنا أن نتصور أن السادة عندما كانوا يسيثون استخدام سلطتهم، كانوا يتمسكون أحياناً بفلاحين غير خاضعين بحكم أشخاصهم وأن الخاضعين كانوا يسمعون للتخلص من ذلك القيد، عندما كان يحالفهم الحظ وتهد لهم الممتلكات التي كونوها خارج أرض سيدهم إمكانية المطالبة أمام القضاء بالحرية أو الوصول إلى تسوية (2).

وأيا كان القيد، شخصياً أم عينياً، فإن الأجلاف أو الفلاحين في صقلية كانت لهم شخصية قانونية (3). ويتمتعون بحرية الملكية خارج نطاق الأراضي التي يحوزونها من قبل أحد السادة (4): وهذان الحقان كانا يجعلانهم أعلى مرتبة بكثير من عبيد الأرض في بلاد كثيرة أخرى. وعلاوة على ذلك كانوا يقومون بأعباء وخدمات معينة، وذلك التعديد كان مرجعه الغزو النورمانى الأخير ونظم إدارة المسلمين الواعية: وكان أيضاً يجعل وضع تلك الفئة الدنيا من الرجال أفضل

(1) انظر ص 215. وقارن المادة الثالثة. الكتاب السابع، من القوانين. إلخ.  
 (2) نشر جيرجوريو في، *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل السابع، هامش 4. معشر التعرف على فلاح من كوليسانو بتاريخ 1379. مکتوب باللاتينية. وهناك معشر مسائل وأهم بكثير، مکتوب بالعربية وحسبما اعتقد في عام 1177 (وبه علامة، جوليلمو الصالح وتاريخ شهر ربيع الأول الموافق أغسطس. ولهذا فهو يرجع إلى إحدى السنوات الثلاث 1177 - 78 - 79) ويحتفظ به في الأرشيف الملكي ببارما. ويعترف أبناء موسى سانتاجاتا، من منزل يوسف (*Mezzojuso*) بأنهم من رجال «البرابرة» التابعين للأب تبات، رئيس الدبر، ويعنون بأن بطلوا دائماً أبداً في طاعة الكنيسة، ويعفو الأب عنهم، ويفرض عليهم «جزية» قيمتها ثلاثون ربيعاً في العام وحصة مقدارها 20 مدّاً من القمح و 10 من الشعير. وفي النهاية يرجون رئيس الدبر أن يسمح لهم بأن يقيموا في أي مكان يعلو لهم.

(3) لقد بيتا منذ قبل، ص 229، أنه يقصد أيضاً بلفظ فلاحين أو فريرين *villani* ما يطلقه جيرجوريو أيضاً على الـ *rustici*.

(4) *Costituzioni*. الكتاب الثالث، المادة 10. قارن مع *Gregorio* في *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل السابع، ص 167.

بكثير من وضع أمثالهم في البلاد التي يحتلها بربابرة الشمال؛ حيث امتداد أصلهم البعيد إلى عبيد للأرض قد أدى إلى خلط الحدود بين الحقوق والواجبات وزاد الإقطاعي من اتساع تلك الحدود بما يروق له. وصح ما كتبه جريجوريو عن الإسهامات والخدمات الواجبة على الفلاحين(1)؛ إلا أننا نستخلص من بعض الوثائق أنهم لم يكونوا أحياناً مطالبين بأية خدمة شخصية ولكن بتقديم ضريبة من المال والمحاصيل في أوقات وبكميات محددة(2). بل يبدو لي أن هذا هو

(1) *Considerazioni*, الكتاب الثاني، الفصل السادس، ص ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢. والفصل السابع، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(2) وثيقة للكونت روجيرو، مؤرخة، على ما يبدو في ١٢ فبراير ١٠٩٥ ومكتوبة باليونانية، إلا أن أسماء الرجال، باللغة العربية، وكانت تمنح كنيسة بالرمو خمسة وسبعين من أبناء هاجر. واحد عشر ثوراً، وضياعاً في أراضي جاتو، وكورليوني وليمونا؛ حيث كان يتعين على أبناء هاجر أن يدفعوا للكنيسة ٢٥٠ تاري في الشتاء وما يعادل هذا المبلغ في أغسطس، مع ١٥٠ من الحنطة و ١٥٠ من الشعير. وهكذا كان كل فلاح يعطى سنوياً ٣٠ ثوراً وحمليين من الحنطة ومثلهما من الشعير ولا شيء أكثر من ذلك. ويلاحظ أن النسخة اللاتينية للوثيقة تنسها التي وردت في كتاب بييرو، *Sicilia Sacra*، ص ٧٦، لا تتضمن تفاصيل الخدمات المقدمة. وهناك ترجمة لاتينية للنص اليوناني رديئة للغاية، نقرأها لدى مونجيثوري، *Bullae, ec. Panormitanæ Ecclesiæ*، ص ١٢، وهي من أعمال الأب البمسوعي جوسمينياني داشو، الذي ترجم، بين ما ترجم *Laudemium* عبارة *ἰσχυρὸς ἰσχυρὸς* والنص الذي نشره مورتهللازو، في *Tabulario della cattedrale di Palermo*، ص ٨، والمصفحات التالية. ملن أيضاً بالأخطاء. ولا أدكر هنا وثيقة عام ١٠٩٢، لدى بييرو، *Sicilia Sacra*، ص ٦٩٥، التي تنص على أنه تم التنازل لأسقف ميريغنتي عن ١٠٠ من الفلاحين مع الضريبة، *Cathal. in quo frumenta, etc.*، لأن النص يبدو لي أن التلف أصابه حتى إنه لا استطيع الاعتماد عليه؛ ولم يوضح تلك العبارة المشكوك فيها جاتو، في *Opuscoli di Autori siciliani*، المجلد التاسع.

ويتكرر لفظ *don* أيضاً في وثيقة يونانية في صقلية في عام ١١٩٢ لدى سبباتا، *Pergamene*، ص ٢٠٦ وفي ثلاث وثائق يونانية في أقصى كالابريا في عام ١١٨٨ و ١١٩٨ و ١١٩٩، لدى ترينكيرا، *Syllabus*، ص ٢٠٠ و ٢٢٤ و ٥٥٧، بمعنى ضريبة رئيسة. تختلف عن السخرة والأعباء الأخرى التي كان يتحملها الفلاحون، ومنها الضريبة الشخصية، ذلك لأنهم بلا شك كانوا يدفعون أحياناً لمسد آخر، يختلف عن مسد المكان الذي يقيمون فيه وقت وجوب الضريبة. وقد ترجمها السهد سبباتا *esazione* في غير تحديد وهي دقة زائدة ترجمها المسهد ترينكيرا *fus hospitii*. ولكن تلك الكلمة كانت تعني هدية *don* في اليونانية في المصور المتأخرة؛ كما نلمح من مواضع في

الشرط الأول للتنازلات؛ وهو ما يتأكد لنا من خلال شهادة موثوق بها لابن جبير، وهو رحالة أسباني عبر شمال صقلية في شتاء عام ألف ومائة وأربعة وثمانين وخمسة وثمانين، وفي حماس راح يبحث في أحوال إخوته في الدين. وكتب يقول: «بعد أن أصبحت صقلية مليئة بعبد الصليان، سكن المسلمون معهم في ممتلكاتهم الخاصة وفي قراهم. وقد عاملهم المسيحيون معاملة طيبة في البداية للاستفادة بعملهم وصنائعهم وفرضوا عليهم ضريبة تدفع في موسمين من العام: وهكذا وقفوا حائلاً بين المسلمين والثروة. على الأرض التي صادفتها أقدامهم... ويقول في موضع آخر «يسكن المواطنون المسلمون، بأعداد هائلة في بالرمو، في أحيائهم الخاصة بهم، وبها مساجدهم وأسواقهم وقاضى لحل منازعاتهم: وقد حدث هذا أيضاً في مدن أخرى، علاوة على الأرياف والقرى. ولكن غالبية أهل بالرمو، يستأجرون من إخوتهم، الذين سقطوا في ذمة الكفار». وهذه العبارة التي يكررها ابن جبير في مكان آخر مشيراً بصفة عامة لمسلمي صقلية<sup>(1)</sup>، تعني التبعية، وهي بالتحديد تبعية المسيحيين واليهود الخاضعين للجزية في البلاد الإسلامية<sup>(2)</sup>. و«الجزية» تحديداً هي الاسم الذي أطلق على ضريبة العمال الواجبة على الفلاح المسلم في الوثيقة العربية التي ترجع لعام ١١٧٧ والتي ذكرتها منذ قليل بينما ورد لفظ رسم لتحديد ضريبة الغلال<sup>(3)</sup>. وإذا أردنا مناقشة قدر هذه

العهد الجديد، وهي الباسيليقات وهي كتابات أخرى من العصور الوسطى. ذكرت في *Thesaurus*، طبعة هاس، باريس، ١٨٣٣، المجلد الأول، col. 1642. وليس هناك من جديد في إطلاق اسم مثل ذلك على إلزام ثقيل على هذا النحو. (1) *The Travels of Ibn-Jubair*، نص نشره رايت، ص ٣٢٨ و٣٣٦ و٣٤١. انظر أيضاً نص هذا الجزء في *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨٤٥، ص ٥٠٩ و٥٢٠ و٥٢١؛ والترجمة الفرنسية، في المراجع نفسه، ص ٥٢٨ وفي يناير ١٨٤٦ ص ٨١ و٢٠٢، والترجمة الإيطالية في *Archivio Storico Italiano*، الجزء الرابع، حاشية رقم ١٦، ص ٤٦، ٤٠، ٣٩.

(2) انظر الكتاب الثاني، الفصل ١٢، ص ٥٢٩ من المجلد الأول.

(3) هنا، فيما سبل، في ص ٣٤٧، هامش ٢، ووثيقة عام ١٠٩٥ في ص ٢١٨، هامش ٢.

الضرائب عامة، من مجرد الوثيقتين اللتين تتحدثان عن كميتها، فإنه بإمكاننا إدراك أنه مختلف تبعاً للأماكن؛ لأنه يتضح من وثيقة عام ١٠٩٥ أنه يبلغ عشرين تارياً، أو رببماً، ومن وثيقة عام ١١٢٧ يتضح أنه عشرة(1). وأنا لا أتحدث عن ضريبة العنطة أو الشمير، التي كان لابد وأن تختلف بالضرورة طبقاً لنوعية الضياع واتساعها. والعمل الإنزامي ليس منصوباً عليه أو على الأقل لا تتحدث عنه أقدم الوثائق بالتفصيل، التي ورد في بعض منها ذكر أن الفلاحين أو الرجال يوهبون «للخدمة» أو يوهبون مع ضياعهم، دون إضافة أي شيء آخر(2). ومن الجائز كما يبدو لي أن السادة الجدد، عندما حملوا معهم إلى صقلية عادات الإقطاع في شبه الجزيرة الإيطالية قد حولوا أحياناً ضريبة المال والقلة كلها أو جزءاً منها إلى أيام عمل ومغفلة منهم، أضافوا أحياناً العمل، دون مقابل. أي السخرة *Angaria* كما كانوا يسمونها، مع تقديم أطعمة ضئيلة(3).

ووردت فقط في الوثيقة سالفة الذكر التي ترجع لعام ١١٨٢(4) تسمية أهل المحلات، أي «أهل القرى»؛ الذين يدخلون ضمن الهيئة التي قدمت لصالح دير موريالي، مع رجال «المكس»؛ ومن هذا نلاحظ

(1) في هذا المستند الذي يرجع لعام ١١٢٧، بعد أن اعترف الفلاحون الثلاثة بسلطة السيد عليهم، جرى إلزامهم بضريبة قدرها ثلاثون رببماً في كل عام شمسي، بمسقة «جزيرة»، و ٢٠ من العنطة و ١٠ من الشمير.

والعملة الذهبية السمسدة هي المربية زبيع وهي اليونانية واللاتينية تاري كان وزنها يزيد قليلاً عن الجرام، ومن هنا كانت تساوي من حيث قيمة الممسن ثلاثة فرنكات ونصف تقريباً. انظر الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ٤٦٧ إلى ٤٧١ من المجلد الثاني.

(2) انظر كل الوثائق اللاتينية واليونانية في كتاب بيريو، *Sicilia Sacra*، وسباناتا، *Pergamene, ec.* إلخ. والوثائق غير المنشورة التي جرى ذكرها في هذا الفصل.

(3) في الوثيقة اليونانية التي ترجع لعام ١١٨٨، في كتاب ترينكير، *Syllabus*، ص ٣٠٠ كانت أعباء الفلاحين محددة: *diapota seu appropos seu servitium*، والهدايا المسخرة والعمل دون مقابل؛ ويلاحظ الشيء نفسه مع اختلاف طفيف في وثائق عام ١١٩٨ و ١١٩٠.

ص ٣٣١ و ٥٥٧.

(4) انظر هنا، ص ٢٤٤.

أنهم كانوا غير مملوكين ملكية شخصية. ومعنى الاسم، الذي لا معنى سوى الوضع الحر، يتوافق مع لفظ *Burgenses* و *burgenses* المستخدم في الوثائق اليونانية واللاتينية؛ لأن كلمة محلة، وهي مفرد محلات، تعني ضاحية أو قرية. ولا غرابة في تلك اللمبة من الرجال الأحرار، ولا كتابة أسمائهم في سجل؛ عندما نرى أسقف تشيفالو وقد منح له حق السلطة على بعض البرجوازيين(1)؛ وعندما صدر حكم يقضى بانتفاء بعض البرجوازيين إلى أحد الإقطاعيين في كلابريا(2)؛ وعندما دفع البرجوازيون في ميناجرا في صقلية ضريبة سنوية ومقابلاً من عمل إلزامي(3). ونظراً لأن الإقطاعيين كانوا يحصلون على دخول مباشرة من هذه الفئة من التابعين؛ فمن الواضح أنهم كانوا يحتاجون قيديهم في السجلات. ويمكن أن نقرأ في كتاب جريجوريو عن أحوال البرجوازيين(4)، مع التنبيه بأن ذلك الاسم كان يطلق سواء على سكان المدن أو سكان الأراضي الصغيرة، الذين كان يخطئ جريجوريو ويسميههم أهل الأرياف *rustici* (5). وأكثر ما يعيب الكاتب الصقلي هو أنه عدّ تحصيلاً مشروعاً

(1) وثيقة عام ١١٥٠، الخاصة بلوتشيا دي كماراتا، في كتاب بيرو. *Sicilia Sacra*، ص ٨٠١.

(2) وثيقة عام ١١٨٨، في كتاب ثرينكيرا، *Syllabus*، ص ٢٩٧.

(3) وثيقة عام ١٢٦٢، في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السادس، حاشية ١٩.

(4) *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السادس، ص ١٢٥ والصفحات التالية؛ والفصل السابع، ص ١٦٩.

(5) انظر معنى لفظ *rustici* ص ٢٢٩ من هذا الفصل.

كان يقال برجوازيون لمواطني بالرمو. (جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السابع، هامش ١٠) ولمواطني موزيانو، (جريجوريو، المرجع السابق، الكتاب الأول، الفصل الرابع، هامش ١٩) وسكان ضاحية ميناجرا، (جريجوريو، المرجع السابق، الكتاب الثاني، الفصل السادس، هامش ١٨، ١٩) وسكان سيراكوزا، (وثيقة عام ١١٧٢، في كتاب سيانا، *Pergamene*، ص ١١٢) وسكان أرض سانتا ماريا في كماراتا. (وثيقة عام ١١٥٠ في كتاب بيرو. *Sicilia Sacra*، ص ٨٠١) وسكان أونيدو في كلابريا (وثيقة عام ١١٨٨ في كتاب ثرينكيرا، *Syllabus*، ص ٢٩٧).

تلك الضرائب التي كان الإقطاعيون يفرضونها على البرجوازيين منذ منتصف القرن الثاني عشر فصاعداً، وأن يسخر من فالكاندو الذي أخذ يذكر، هي دقة تلك الحقوق التي كان يتفاخر بها أولئك، عندما حاول بعض الفرنسيين الذين جاءوا إلى بلاط جوليلمو الثاني نحو عام ١١٦٩، القيام بالاعتداء عليها، ويحكي كيف أن الفرنسي جوهاني دي لافاردينو، كان يطالب، كما جرت العادة في بلده، بنصف أي دخل من دخول مواطني كاكامو، وهؤلاء، كما يستطرد المؤرخ، استناداً على حرية المواطنين والبرجوازيين في صقلية، كانوا يؤكدون على عدم التزامهم بدفع أية رسوم أو ضرائب، ولكنهم وبشكل عارض، إذا عانى السيد من ضائقة شديدة، يقدمون له طوعية المبلغ الذي يرضونه: لأنه حسبما كانوا يقولون ما من أحد في صقلية يخضع لرسوم والتزامات سنوية، سوى السراسنة واليونانيين، الذين كانوا يمثلون وحدهم الفئة التي ينطبق عليها اسم فلاحين<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك بقليل، وما أن أثارت هذه الدعاوى استياء المستشار الكبير، كما يقول فالكاندو، حتى أثار أعداءه ضده كراهية عامة وانهيهم بوضع مخطط لإخضاع كل مكان صقلية لرسوم وضرائب، كما هو الحال في فرنسا التي ليس بها مواطنون أحرار<sup>(٢)</sup>. وأنا لا أعرف في الحقيقة كيف لم ينتبه جريجوريو لعمليات التعمدي اللاحقة التي كان يقوم بها الإقطاعيون ورجال الكنيسة على حساب البرجوازيين، ولا كيف نسي نماذج الإغصانات القديمة<sup>(٣)</sup> ليعمل

(١) في كتاب كاروزو، *Bibl. Sic.* ص ١٧٥.

(٢) كان الملك روجيرو يحظر على الموظفين العموميين أن يضاهقوا السكان اللومبارديين في سائلا لوثشيا الذين دفعوا حق الملاحة، والا يطلب منهم أعمالاً دون مقابل أو مساعدات وحتى جباية الرعي: وكان ينص على أن يكونوا أحراراً مثل اللومبارد في رانداسو: في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الرابع، حاشية ٢٥. وفي الفصل الرابع نفسه تفاصيل الحقوق القديمة للفرزانة العامة. ولا توجد أية ضريبة مباشرة على البرجوازيين سوى الجزية على اليهود. وفي الفصل الخامس، هامش ٤، حكم للفضاء في عام ١١١٢ بشأن الاستغلال الذي كان يمارسه الأسقف الإقطاعي على سكان بيشي.



على نماذج التعدى الحديثة(1) .

والشهادة الإيجابية من جانب فالكاندو، إزاء بعض السلبيات المستخلصة من الوثائق، تحمل على الظن بأن حالة البرجوازيين لم تكن واحدة في الأماكن كلها؛ وهذا الاختلاف يجب افتراضه ولا ريب، لأنه جرى احتلال الأراضي بطرق مختلفة؛ واستوطنت بها أجناس مختلفة. وبين ذلك الواقع وعمليات الاستغلال والتعدى التي كان يقوم بها الإقطاعيون بما لهم من قوة تواجهها روح البرجوازيين وعددهم، فإنه من السهل إدراك التباين في الأحوال التي تزايدت اختلافاتها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. ومن المؤكد أن البرجوازيين اللومبارديين قد احتفظوا بخصائصهم احتفاظاً أفضل من اليونانيين والمسلمين؛ وكذلك أهل المدينة أفضل من أهل القرى؛ وكان مسلمو بالرمو أفضل الجميع في هذا الشأن، وذلك حتى موت الملك جوليلمو الصالح.

وحول أحوال سكان المدن يمكن متابعة عرض جريجوريو، الذي يشير إلى ممتلكاتهم الحرة من أي قيود إقطاعية، وإلى القانون المختلف الذي عاشوا في ظله طبقاً لأصلهم، كما أنه يصف باستفاضة نوع الأعباء المفروضة عليهم، أي الرسوم التي سميت بعد ذلك بالتقدمة وكانت تحصل على استهلاك بعض المعاصيل، وعلى إنتاج البعض الآخر منها. وعلى حق المرور وعلى استخدام بعض حقوق المالك؛ وضريبة الملاحة وخدمات الأشخاص، مثل الميليشيات في البر والبحر، والمساكن العسكرية، والعمل بالمنشآت العامة؛ وقد كانت تضاف إلى ذلك غرامات العدالة والأموال التي فرضت جمعها في الحالات الإقطاعية الأربعة، على الرغم من أنها فرضت في بدايات الفرو(2). إنها لوحة جميلة، رتبت أجزائها

(1) *Considerazioni*. الكتاب الثاني. الفصل السادس والسبع. وبمقدمة خاصة الهامش

١٩ من الفصل السادس، الذي يعد جزءاً من وثيقة عام ١٦٦٢.

(2) *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصول الثاني والثالث والرابع والخامس.

الصقلية والأجنبية أيضاً، بتناسق القسيساء فتوافقت مع خطوط الصورة؛ ولكن هناك خطأ، كما لاحظت منذ قليل(1)، وذلك في أداء العدالة بإعمال الذي ينسبه جريجوريو للفرازة؛ بمعنى أنهم أخضعوا للجزية المسلمين كلهم(2)، وحرروا المسيحيين كلهم. وعن الموضوع الأول يقدم دليلين فقط: أن النورمان كانوا يحصلون الجزية من اليهود، وأن الامبراطور فديريكو عام ألف ومائتين وتسعة وثلاثين فرضها على اثنين من المسلمين في مدينة لوتشيرا. ولكن بما أن لدينا ذكريات عن الجزية على اليهود(3) وليس على المسلمين، فكان على جريجوريو أن يتشكك فيما فهمه. ثم إن وضع المسلمين في صقلية في القرن الثاني عشر. حين كانوا كثيرين وأحراراً وأثرياء أقوياء ما كان يجب قياسه على وضع حقة من المتطرفين المهزومين والمستبعبدين إلى لوتشيرا في القرن الثالث عشر. وفيما يتعلق بجزية المسيحيين. فإن جريجوريو لم ينتبه إلى أنها استعرت تحت اسم «هبة» أو أي اسم آخر، وكان يتحملها الفلاحون، الذين كان معظمهم من اليونانيين. أو منحدرين من السكان اليونانيين والإيطاليين القدماء ممن كانت تعمر بهم صقلية في القرن التاسع(4)؛ وإن من تحرر من هذا العبء

(1) الفصل الثامن من هذا الكتاب، ص ٢٠٧ من المجلد.

(2) *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الرابع، ص ٧٧. هنا في الهامش ٢٢ يكتب جريجوريو في ملحوظة له على التويري يشرح فيها ما هي «الجزية» لدى المسلمين، ويذكر بعد ذلك بعض وثائق صقلية عن الجزية التي كان يدفعها اليهود. ثم موضعاً من سجل الامبراطور فديريكو الثاني، يتعلق بأثنين من مسلمي لوتشيرا، ولا شيء أكثر من ذلك.

(3) انظر في *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الرابع، الهوامش ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ والاستشهادات حول الحقوق القسيسية، التي ترد فيها عبارة *قائمة اليهود*. وهي ليست على المسلمين على الإطلاق.

(4) راجع *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الثاني، ص ٤٤ والهامش ٤٥ الذي لا يثبت شيئاً. وترد كلمة جزية مرة واحدة في الوثائق اللاتينية واليونانية والعربية التي أعرف أنها متعلقة بوضع الأشخاص؛ وعلى وجه التحديد بالوثيقة العربية التي اعتقد أنها ترجع لعام ١١٧٧. وسبق ذكرها في ص ٢١٧. هامش ٢. التي يعترف فيها ثلاثة من

وإن كان قد تحرر منه الجميع هم البرجوازيين. والحقيقة هي أن الجزية باسمها الكريه ظلت باقية على كاهل اليهود فقط، الذين كانوا متبوزين من المسيحيين، بقدر ما كان ينذهم المسلمون على الأهل. وقد خضع الفلاحون للضريبة وليس للمهانة. أما البرجوازيون في العديد من الأراضي أو هيها كلها، وبالتأكيد برجوازيو بالرمو والمدن الكبيرة، فقد دفعوا أموالاً في صورة رسوم في الغالب. حقيقةً يلخص المسلم المعاصر الذي يتحدث ابن الأثير على لسانه ظروف الفوز في هذا الرأي: أن روجيرو أسكن الروم والفرنجة في صقلية مع المسلمين، ولم يترك لأحد حماً أو متجراً أو طاحونة أو فرنًا (17). ومع ذلك فقد بقي التعجب والشكوى من تلك الرسوم الإقطاعية المعقدة، التي كانت غريبة جداً في نظر المسلمين المتحضرين؛ ولم يمس المؤلف أكبر الكبار وهي الجزية المفروضة على المؤمنين ولا أريد أن أستشهد هنا بكتاب من بلاط الملك روجيرو، وهو الجغرافي الإدريسي الذي، كما يقال، بالغ في تكميده، وهو يكتب أن الكونت، بعد أن سيطر على كل الجزيرة وثبت هيها كرسى امبراطوريته، نشر المعدل بين السكان ومنح كل إنسان الحق في ممارسة عقيدته وقانونه، ووفر

---

المسلمين بأنهم فلاحو أحد رؤساء الأديرة وهذا الأخير كان يفرض عليهم حصص وجزية. ويستخدم اليونانيون تسمية *هويولا*، تماماً كما بالنسبة للفلاحين المسيحيين في بر إيطاليا (ص 280، هامش 1). ويجدر بنا أن نوجه انتباهنا الشديد إلى وثيقة لاتينية من الكونت ترجع لعام 1091، هي كتاب *Sicilia Sacra*، ص 521، والتي يذكر روجيرو فيها أنه قد أهدى لدير سانتا اجاتا في كاتانيا العديد من الضيع والحيوانات وأربعة من الفلاحين مع ابنائهم في مدينة مسينا، اثنان منهم مسيحيان واثنان من المسلمين، وحتى إن لم تذكر أسماء مسيحية كثيرة في سجلات الفلاحين الذين ثبتت لدينا، فهذه الوثيقة وحدها قد تكفي لكي تبين لنا أن النورمان لم يهزروا أبداً إخوانهم في الدين من عبودية الأرض.

(1) ابن الأثير، *Annali*، النص في المكتبة العربية، الصقلية، ص 274. وقد تكرر هذا الموضوع عند التويري، المرجع السابق، ص 114 وهي كتاب جريجوريو، *Rerum Arabicarum*، ص 26.

الامن الكامل للأفراد والمجتمع والعائلات وذريتها(1). ولكن اذا كان الإيزمى، لم ينظر إلى عبء الأرض باعتبارهم بشراً وأخوة في الإسلام، واهتم بالحديث فقط عن المواطنين الذين كان يتعامل معهم في العاصمة (١١٥٤)، فإن كلماته تكون سليمة صحيحة، وقد أكدها بعد ذلك بقليل (١١٨٤) ابن جبير(2)، ويبدو لي أنه لا يأس من أن نضيف إلى ما ذكرناه مما خلص إليه جريجوريو، أن الأوراق التي عثر عليها من بعده، والتي تتعلق بحالات نقل الملكية، تبرهن كلها على أن ذلك الحق قد مارسه بكامل الحرية مسلمو بالرمو، من الرجال والنساء، طبقاً للشرعية الإسلامية وحكم القضاء(3)، وعلى غرار المسلمين يظهر

(1) جغرافيا، جز. من سفلية، في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢٦.

(2) انظر هنا عليه، ص ٢٤٩.

(3) جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الأول، الهامش ١١ والوثائق التالية، ومنها العربية غير المنشورة مذكورة طبقاً للنسخ التي أرسلها لي الأستاذ كوزا، القرن الثاني عشر. عمر بن حسين التميمي يبيع قطعة من الأرض لدير بردلي Bardhali(٩). وثيقة عربية من أرشيف بالرمو، لم تنشر.

١١٢٢. ملاحظة بين عهد الرحمن اللواتي وحسين بن علي الكندي، جزء من وثيقة عربية، في كتاب جريجوريو، *De supputandis*، ص ٤٤.

١١٢٧. ابن بطوkey يبيع بيتاً لرئيس أساقفة صقليا، وثيقة عربية من كنيسة بلاتينا في بالرمو، لم تنشر.

١١٥٧. الجليليو القائد عبد الملك يبيع عقارات إلى أسقف چريچنى، وثيقة لاتينية، *Sicilia Sacra*، ص ٦٩٨.

١١٦١. أبو بكر وأحمد، دايما جلود، وآخرون يبيعون منزلاً في بالرمو للقس راوول، وثيقة عربية من أرشيف بالرمو، لم تنشر.

١١٦٤. سبت الكل، الهبة القائد سمود وأحمد ابناها، ييمان لابنة شخص يدعى چوقسانى روسيو بيتاً في ضاحية بالرمو، وثيقة يونانية، لدى ترينكيرا، *Syllabus*، ص ٣١٨.

١١٧٦. عثمان بن يوسف البوارى يبيع للقس بيشو .. أبع بيتاً في بالرمو، وثيقة عربية من أرشيف بالرمو، لم تنشر.

١١٨٠. أبو القباس أحمد التميمي والعاج أبو الفضل ييمان ضبعة في أرض بالرمو لرئيس الأساقفة جواتييرو أوفاميليو، وثيقة عربية من كاتدرائية بالرمو، لم تنشر.

١١٨٢. سمود قرش وأحمد ابناها ييمان بيتاً في بالرمو للمسيحة النبيلة مارجرينا، وثيقة

برجوازيو السلالات المسيحية القديمة، ملاكاً أحراراً لممتلكات غير خاضعة للإقطاع (1).

إن مصقالية اليونانية في نهاية القرن الحادي عشر يمكن أن تتجسد في شخص القمص سكولارو الذي تبقت لنا منه وصيته: كان رجلاً يلقى من بين المصقليين كافة، رضى بالغاً من جانب الغازي لخدماته الهامة التي كان يقوم بها لإدارته وعائلته. وهو من عائلة جراهيو، وقد ولد أو عاش في مدينة مسينا، حيث امتلك مع أشقائه، ممتلكات في المدينة، علاوة على ما ناله من هبات: كان كاهن كنيسة قصر الكونت في ريجو وأخذت ممتلكاته في الزيادة بشكل كبير. فقد اشترى عقارات ثابتة وحيوانات وفلاحين وعبيداً في أراضي مسينا وبالرمو وكاستروچوفاني وترانيا وميناتشي وكاستيلو وفيما وراء مضيق ريجو، وماساً وسيمينارا ونيكوتيرا وبرياتيكو، وچيراتشي وكوزنسا وروسانو: وفي النهاية عندما أراد الكونت روجيرو أن يكافئه بهدية صغيرة نظير جهوده الهائلة والصادقة، منحه بموجب وثيقة عام ١٠٩٩، وكل الذين سيخلفونه من بعده حتى نهاية العالم أراضى هراجالا وفيرلا. وبعد اقتسام ممتلكات أبيه مع أشقائه، وبعد أن وزع جزءاً كبيراً من ممتلكاته بعد ذلك بين أبنائه، استخدم الجزء الباقي في تأسيس دير لا يبعد كثيراً عن مسينا، ووهبه كثيراً من العياني والضياع، والأثاث الديني الذي اشتراه من اليونان، ولوحات رائعة

عربية من أرشيف بالرمو، لم تشر.

١١٩٠ - زينب بنت عبد الله الأنصاري يبيع لنيكولو عسكر بيتاً في بالرمو. وثيقة عربية من كاتدرائية بالرمو، جريجوريو، *De supputandis*، ص ١٠.

١١٩٢ - حسين وميمون ابنة ييمان لدير الكائن بشيليري بيتاً لهما في بالرمو. وثيقة يونانية، في كتاب توينكيرا، *Syllabus*, cc، ص ٢١٥.

١١٩٢ - إبراهيم بن محمد القرشي يبيع للمسيحي جوليو بيتاً في كاستروچوفاني. وثيقة عربية من أرشيف بالرمو، لم تشر.

١١٩٦ - كوستانسا ابنة أبي الفضل يبيع عقارات في المدينة. وثيقة يونانية، لدى موزو، *Palermo Antico*، ص ٢٦٨.

(1) علاوة على الوثائق، نبرهن على ذلك *Consuetudini di Palermo*، التي ذكرها جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الأول، الهامش ١١.

في الجمال تتلألأ بالذهب وثلاثمائة من المخطوطات اليونانية؛ ثم ترهب بهذا الدير، واتخذ له اسم سابا. وتظهر وصيته التي ترجع لعام ألف ومائة وأربعة عشر، والتي نستخلص منها هذه التفاصيل، أنه لم يكن قد وصل آنذاك إلى شيخوخة متقدمة، لأن والده كان لا يزال على قيد الحياة. وقد أسس أحد أشقائه ديراً آخر واعتكف فيه. وكان سابا يأمل في أن يحزن أحد أبنائه حزنه؛ لأنه بناءً على تأسيس الدير ترك لهم ولمن يريد من الأقارب والأبناء، رتبة كبير رهبان، التي احتفظ بها في حياته، دون الكثير من التواضع المسيحي<sup>(1)</sup>.

وقد عاش عدد غير قليل من الواهدين من وراء جبال الألب الذين جاءوا مع محاربي بيت هوتفيل في ذلك الوقت في أديرة كلايريا، حيث ارتقوا مراتب كنسية ومدنية رفيعة؛ ولكن أحداً من تلك السلالات أو من أصول إيطالية قديمة، بعد أن بذل جهداً في الحرب وفي العمل

(1) الأخبار التي قدمها عن القس سكولارو مستمدة من الترجمات اللاتينية لثلاث وثائق يونانية ترجع لأعوام ١٠٩٩ و١١١١ و١١٢٨ أو (١١٢٠) وقد نشرها بيرو، *Sicilia Sacra*. ص ١٠٠٢ والمصفحات التالية. ومن شرح بيرو: الذي يستتج اسم العائلة من الاسم الذي جعله أولاً، ابنة الابن الأول لمؤسسها في وثيقتين ترجمان لعامي ١١٦٢ و١١٨٤. (المراجع السابق، ص ١٠٠٩). ويبدو لي أن سكولارو لا يجب أن نعد اسم الحقيقي مثلما فعل بيرو، بل لقباً مستمداً من *عطافير*، أي هيئة العرس الخاص بالباطرة البيزنطيين، الذي ربما بدأ فيها حياته المطوقة بالمقامرات ثم أصبح فيما بعد سابا الراهب، والترجمات، ولأنها من عمل كوستانتينو لاسكاري الشهير، جديرة بالثقة في هذه الوثائق، لأنها لا تتضمن تلك المصطلحات الغنية مثل *Gius* صقلى عام الذي لم يكن العلامة الهيليني يرمزها حق المعرفة. وهناك بعض المشكلات، مثل لقب ملك الذي نسب لروچيرو الثاني، عام ١١١١ وهام ١١٢٨ (ص ١٠٠٥)، ويمكن أن تكون قد نشأت من أخطاء في نسخة الترجمة، التي توافرت بين يدي بيرو نماذج كثيرة منها ومختلفة فيما بينها. ووثيقة الكونت روجيرو الأول تشهد هكذا على اتصال القس سكولارو:

*Igitur, quoniam et tu praedictus Scholarius perfectam erga nos habuisti et optimam intentionem, promptitudinem et conacientiam; fidelissimus existens in omnibus rebus nostris, et summa exercens ministeria, et servitia nobis, restituere tibi volumus parva munera pro tuis maximis et honestissimis ministeriis ac servitiis; pro quibus donamus, ec.*

في الحكومة، أنهى حياته في العيش في سكون في الدير. لماذا دخل إذن هذا الهوس في عائلة جراهيو، الموالية للكونت، والتي كرست نفسها للشئون الدينية والمكاسب الكبيرة التي حققها التجار الذين ساروا وراء الجيش الغازي؟ قد يرجع هذا، إذا لم أكن مخطئاً، إلى المزوف الشديد الذي جاءت به المسيحية إلى الشعب اليوناني في كل الأقاليم وطوال فترة المصور الوسطى: فحل كمال الرهبانية محل القيم المدنية، وتفضيل الاستشهاد في كل الأحوال، على القتال. وكان جراهيو بالغ الثراء، يشعر أنه أقل من أي إقطاعي لومباردي أو فرنسي صغير: ورأى نفسه ينحى جانباً بعد موت سيده؛ ولم يجد طريقاً آخر مفتوحاً للشهرة والسلطة، سوى أن يجعل من نفسه، بأمواله الخاصة، صاحب رتبة بالكنيسة. وقد ظهر ميله هذا في عالم البرجوازيين اليونانيين في صقلية: فقد كانوا بعيدين عن الحياة العسكرية حتى إن لم تكن ترتجف سواعدهم بالطبع، عندما كانوا يمسكون بالسلاح؛ وينشطون في ذكاء سعيّاً وراء مكاسبهم الخاصة، بينما كانوا غير متحمسين في الأمور العامة.

وكان النفور من الحياة العسكرية، في تلك الحقبة وفي تلك الإمارة التي بزغت لتوها من الحرب، سبباً في أن ظل يونانيو صقلية دون الواهدين من وراء الجبال ودون الإيطاليين من البر الإيطالي والمسلمين أنفسهم وذلك في جانب من جوانب النظام الاجتماعي، كانت له أهمية بالغة في المصور الوسطى. لم نر أحداً منهم وقد عهد إليه بإقطاعيات؛ ولم يبرز أحد منهم في طبقة النبلاء في البلاد، على الرغم من أن الكثيرين منهم قد مارسوا وظائف رسمية منذ الأيام الأولى للفرز النورماني. وهكذا فإننا نقرأ في وثائق ذلك العصر أسماء يونانية مثل قادة استراتيجيين *strateghi* أو نواب الكونتات *vicecomiti*، الذين كانوا ضباطاً في الدولة، وأراخنة *arconti* وشيوخاً *geronti*، وهما لقبان من ألقاب المناصب البلدية التي سنتحدث عنها في الفصل التالي، حيث سنتكلم أيضاً عن لفظ أرخن *arconte*، وهو لقب شرقي

كان يمنع لكبار المسئولين في البلاط النورمانى. وإذا كان هذا اللقب علاوة على الحاكم، قد دلّ على وجود طبقة اجتماعية خاصة في صقلية، فإنه يبدو لى أنها كانت طبقة ملائك الأراضى، إشراف المدينة، الذين كانت لهم مقاعدهم في المجلس بحكم العادة من قديم الزمان؛ ومن هنا فإن اللفظ في حد ذاته كان يعنى الطبقة الاجتماعية والوظيفة. وبالتالي فقد كان هناك فارق كبير بين هؤلاء النبلاء المقيمين في المدن الحصينة وفرنسان إيطاليا أو فرنسا. ولكننا نرى بين المسلمين منذ بداية الحكم النورمانى لقب «قائد» الذي اختفى في منتصف القرن الثالث عشر. مع اختفاء سلالات العرب والبربر. ويبدو لى أنه كان يقصد به أحياناً درجة من درجات الإشراف، ذلك علاوة على وجود لقب شيخ وهو من أعيان المدينة، وحاكم وقاض، وعامل وهم من مسئولى الحكومة. ورتبة «قائد» تعنى بالتحديد «قائد فرقة عسكرية»، ورجوعاً للأصل الذى اشتقت منه، وكذلك من واقع استخدامها، فإنها تشير عادة إلى سلطة أقل من سلطة «أمير» التى تعنى «صاحب الأمر». وقد لاحظنا في مواضع أخرى أنه عند الحديث عن واقعيتين، ذكرت الأولى منهما أن الخليفة الفاطمى «القائم»، قد أرسل لقمع تمرد (٩٧٥) أرسل «جيشاً والعديد من «القادة» إلى صقلية؛ وتذكر الثانية أن وزير أحد الأمراء الكلبيين قد دمر (١٠١٩) سيده بأن أثقل كاهل البلاد وأساء معاملة «القادة» والشيخ(1). وهناك مثال مختلف إلى حد ما نجده في نهاية القرن العاشر، عندما أطلق لقب قائد على جوهر، ذلك العتيق الصقلى الذى استولى للفاطميين على جزء كبير من أفريقيا الغربية ومصر(2)، وفي

(1) انظر الكتاب الثالث، الفصل التاسع والكتاب الرابع، الفصل الثامن، ص ١٩٥، هامش ١، ص ٣٦٠، هامش ٢، من المجلد الثانى. ومواضع ابن الأثير والتويرى المذكورة هنا توجد في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٨١ و ٢٢٧.

(2) انظر الكتاب الرابع، الفصل الرابع، ص ٢٨٧ والمصفحات التالية من المجلد الثانى. جوهر بسميه المقريزى القائد، المواعظ، طبعة بولاق، المجلد الثانى، ص ٢٢٢ وفي المكتبة العربية، الصقلية، ص ٦٦٩.



القرنين الثالث عشر والرابع عشر أطلق اللقب نفسه على قادة المرتزقة المسيحيين في تونس(1). وفي ترجمات محررات القرن الرابع عشر العربية إلى الأسبانية ورد ذكر *alcade* قائد الجمرك في أفريقيا الشمالية(2). والكل يعرف بعد ذلك أن اللفظ نفسه كان يعني في أسبانيا رجل القصر وفي النهاية بمعنى رئيس السلطة البلدية. وعندما نقترِب أكثر من موضوع بحثنا، يجب أن نذكر كيف أن الحكام الذين ظهروا في صقلية بعد سلالة بنى كلب، لم يلقبوا في الحوليات العربية سوى بلقب «قائد»(3)؛ وكذلك فإن أماتو ومالاتيرا أيضاً أطلقا لقبى «قايت» *Cayt* وأرقاديوس *arcedius* على مختلف القادة ورجال القصور في الجزيرة وأخيراً على قائدى بالرمو اللذين تفاوضا على استسلام العاصمة(4). وبعد ذلك بعشرين عاماً يظهر لقب «قائد» على رأس قائمة أتباع أسقف كتانيا في أثنى وكتانيا نفسها(5)؛ ويجب أن يذهب بنا الظن إلى أن هؤلاء الأشخاص انفسهم أو آباءهم، كانوا يحملون ذلك اللقب منذ بداية الحرب، حين

(1) كانوا في معظمهم من الأسيان وقد كان هناك أيضاً أناس من جنوة ونيصيا. *Presentibus archaïdo Lodovico Alvares, archaïdo Andreuccio Cibo, conestabilibus stipendiariis christianorum ec.*

وهذا ما نقرأه في ترجمة الاتفاقية التجارية المبرمة بين بيزا وتونس في عام ١٣٥٣، التي نشرتها في *Diplomi Arabi dell' Archivio fiorentino*، ص ٣٠٨.

ونظر أيضاً مقدمتى تلك المجموعة، ص ٢٢ و١١ والعاشية ٢ من ص ١٧٥. وقد ورد اسم *Alcayt - Ferran - Iove*، في وثيقة ترجع لعام ١٢١٥، لدى *Campany, Memorias historicas... de Barcelona*، الوثيقة ٢١، ص ٦٢.

(2) وثيقة كتالانية ترجع لعام ١٣١٢، لدى كامباني. *Memorias historicas, ec.*

المجلد الرابع، الوثيقة ٣٦، المادة ٦ ووثيقة ترجع لعام ١٣٢٢، والوثيقة ١٢، المادة ٥ و١٦.

(3) الكتاب الرابع، الفصل الثاني عشر، ص ١٢١ و ١٢٢ من المجلد الثاني.

(4) الكتاب الخامس، الفصول الثاني والثالث والرابع، ص ٧٥ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٥ و ١٢١ من هذا المجلد. ويلاحظ أن أماتو، في الموضوع الذي ذكرته ص ٨٢، وبدقة كبيرة يسمى رئيس الحكومة المسلمة في بالرمو أميرال، بينما أعطى للقادة ورجال القصر لقب *Cayt* قائد.

(5) القوائم اليونانية - العربية لأتباع الأسقف في كتانيا وأثنى، التي تحمل الثانية منها تاريخ ١٠٩٥، بينما جددت الأولى بعد ذلك بسنوات طويلة، وترجع بلاشك للفترة نفسها.

نقرأ أن الكونت قد منح لأسقف المدينة والمواطنين المسلمين كما كانوا قبل الفزو، مع الحق في استدعاء الأشخاص أو سلالتهم ممن هربوا آنذاك وسكنوا أماكن أخرى من الجزيرة(1). ونقرأ بتاريخ ١١٢٣ اسم «قائد» كان بيثيرانا قد أرسله إلى بالرمو لقضاء شئونه الخاصة(2)؛ وفي عام ١١٢٢، نقرأ عن ثلاثة من القادة عابنوا، مع غيرهم من المسلمين والمسيحيين، تحديد حدود الضياع المهداة من الملك روجيرو إلى أسقف تشيفالو(3). ولكن بعد أن نظم روجيرو هذا حكومة المملكة تنظيمًا جديدًا، وبعد أن ارتفع تحت حكم الملكين المعروفين باسم جوليلمو قدر رجال البلاط المسلمين، كثرت في الوقائع اللاتينية والوثائق العربية واليونانية، القصاب مثل قائد *Katid* و *katru* وجاييتي *Gaiti* أو كاييتي *Cayti* التي ذكرت أو وردت تارة بتوقيع شهود على وثائق رسمية أو قائمين بشئون عامة أو بوصفهم مشاهير في مكائد البلاط تارة أخرى. وفي هذه الكتابات نجد أن لفظ قائد كان يعني أحياناً بوضوح قائد الحرس الملكي(4)؛ ولكنه

(1) وثيقة لاتينية بتاريخ ٩ ديسمبر ١٠٩٢ لدى بهرو. *Sicilia Sacra*. من ٥٢٢ و ٥٢٣.

(2) وثيقة يونانية بتاريخ ١١٢٣. لدى سيلنا. *Pergamene, ec.* من ١١٠.

(3) وثيقة يونانية - لاتينية بتاريخ ١١٢٢. لدى سباتا. المرجع السابق: من ٤٦٦.

(4) وثيقة عربية - يونانية بتاريخ ١١٧٢. هي *Tabulario, ec.* الخاص بكتيبة القصر بالرمو، من ٣٠ والصفحات التالية. ويرد بها من بين الشهود على تحديد حدود ضيعة أسماء جوهاني ابن الأمير آل جورجو. ونقولو لوجوتيتا. وأبي الطيب ومظروف. الذين سميا في النص اليوناني *Μητροφωτης καὶ Αβι τειβ* «و» وفي الشرح العربي سميا قائد الفواسين وشخص يدعى *Μητροφωτης Chapzi* (ويقرأ حمزة)، وهو من يسمى بالمرية شيخ وقائد. وفي النص اليوناني، علاوة على ذلك نسبت صفة قائد لشخص يدعى نيقولو ويقال له في العربية فراش *Farrāse* (وقد قرأه الناشرون خطأ *Carase*) وهو يعني بال ضبط أحد السمات، وهو الذي يعني بال ضبط والأسرة، إلخ.

وهكذا تذكر هذه الوثيقة قادة من الطبقات الثلاث التي اقترضاها، أي القادة الأربعة الأوائل، والشريف الخامس، والسامن ساعي البلاط.

وبالمودة إلى الطبقة الأولى، يجب أن نذكر أن ابن جبير يتحدث عن فريق من العبد السود المسلمين، الذين كانوا يضمون جوليلمو الثاني تحت إمرة قائد من بني جلدتهم؛ في *Journal Asiatique*. ديسمبر ١٨٤٥. من ٥٠٩. والترجمة الفرنسية من ٥١٠. وفي *Archivio Storico Italiano*. ملحق المجلد الرابع. من ٢٢.

كثيراً ما كان يعنى مجرد لقب شرهى يمنع لبعض رجال البلاط (1)؛ ولكن فى حالات أخرى عديدة تبدو لنا تسمية لقطة اجتماعية معينة. أما أن تتحدر الألقاب العسكرية بسهولة لتصبح القاباً شرهية، فهذا ما يعرفه الجميع من كلمة *dux* ومن كلمات كثيرة أخرى تتردد فى البلاد كلها وهى الأزمان كلها. وكانت كذلك صفة قائد التى أطلقها هالكاندو على أبى القاسم بن حمّود وعلى منافسه *Seditius* سيدىكتوس (صديق) فى عهد جوليئمو الصالح (2)، حيث تبدو درجة من درجات النبالة. ذلك لأن ابن حمّود نفسه، وهو رجل واسع الثراء من سلالة

(1) القائد بارون. وهو كما نقول نحن، مدير أملاك الدولة. وثيقة بتاريخ أبريل ١١٥٠، نشرها كاروزو بصورة رديئة فى *Biblioteca Sacra*, er. بالرمو. ١٨٢٤. ص ٢٨. ولدى منها نسخة أفضل تكرم على بها الأستاذ كوزا. ويبدو أنه هو الفتى بارون نفسه، الذى تقرأ اسمه فى جزء من الكتابة الأثرية فى دار بلدية ترمينى. ويعد عماد الدين فى الخريطة. المكتبة العربية. الصقلية. النص. ص ٥٨١. من بين الشراء الصقليين شخصاً يدعى جعفر بن بارون.

كما وردت توقيعات *Gaitus Ricon (?) domini regis Magister Camerarius* و *Gaitus Maranus, domini regis magister et familiaris, et familiaris* فى وثيقة بتاريخ ١١٦٧. فى محفوظات كنيسة القصر فى بالرمو. ص ٢٥. كما ورد *Redes, Redes, Redes*. أحد أراخنة البلاط، فى وثيقة يونانية بتاريخ ١١٦٨. لدى سبانا. المرجع السابق. ص ٤١٠.

وكايتوس ريكراردوس *Caytus Riccardus*. كيهير الأسماء. وثيقة من أصل يونانى، بتاريخ ١١٦٩. وترجمة لاتينية. لدى بيزو. *Sicilia Sacra*. ص ١٠١٧. والشئ نفسه فى وثيقة يونانية بتاريخ ١١٨٢. لدى سبانا. المرجع السابق. ص ٢٩١. وجايتوس مارينوس *Gaitus Martinus*. المتوطى، وخدم حجرة الملك. وثيقة لاتينية بتاريخ ١١٧٢. لدى بيزو. *Sicilia Sacra*. ص ٤٥٤.

وجايتوس يوهانس *Gaitus Johannes*. خدام حجرة الملك. وثيقة لاتينية - عربية بتاريخ ١١٨٧. فى محفوظات كنيسة القصر فى بالرمو. ص ٢٧ و ٢٨. ويذكر هنا فى النص اللاتينى جايتوس ريكراردوس *Gaitus Riccardus* الذى تحدثنا عنه منذ قبل. ونراء مذكوراً بالعربية بين الشهود الذين يحملون لقب قائد. وعلى العكس من ذلك كان *Gaitus* يوفانى مذكوراً أولاً باسمه وبعد ذلك مكتوباً فى النص العربى فى *Falk*. أى أحد قتهان البلاط. وكان «فتى» أيضاً شاهداً اسمه عمار. أما مورسو. الذى نقل وترجم هذه الوثيقة، فقد أخطأ وهرا بدلاً من فتى *Falk* لفظ فتى *Kata* الذى لا يعنى شيئاً. وبعد مطابقتنا لكلمة *Gaitus*. أى قائد.

(2) لدى كاروزو. *Bibl. Sicula*. ص ١٦٢.

على، أطلق عليه معاصره ابن جبير، لقب «قائد» كما لقب «بالزعيم الأول وسيد الجزيرة، أحد أولئك النبلاء الذين كانوا يتوارثون السيادة في أباكارهم» (1). ويمكن أن ندرج في الطبقة نفسها كل القادة (الجايقيش) الذين كانوا يرتدون ثياباً مختلفة عن زي البلاط في النصف الثاني من القرن الثاني عشر؛ ومع افتراض أنهم كانوا من قادة الجنود إلا أنهم لم يكونوا قادة للحرس الملكي. حيث رأيانهم ينتشرون في الجزيرة كلها (2) وبالتالي فإنهم قد يكونون قادة بالوراثة، أو نبلاء؛ إذ

(1) نص في *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨١٥، ص ٥٣٢. وفي طبعة رابته، ص ٣٤٥؛ وترجمة فرنسية في *الـ Journal* المذكور، يناير ١٨١٦، ص ٢٠٣؛ وترجمة إيطالية في *Archivio Storico italiano*، المجلد الرابع، الملحق رقم ١٦، ص ٤٦. ويشير المؤلف نفسه، في طبعة رابته، ص ١٤٦، بلفظ «زعيم» إلى رئيس قبيلة عربية وأم على جواده. إلى جانب سيف الإسلام، شقيق صلاح الدين. عندما كان يدخل مكة بصورة مهيبة. ويعطى لها القاموس المعنى نفسه الذي يعطيه لوتيس قوم أو سيدهم؛ من له حق الكلام باسم قومه أو يجعل من نفسه ضامناً لهم. ويطلق الماوردي وهو كاتب في بغداد في القرن العاشر، اسم الزعيم على الرئيس الأعلى لعيش من الجيوش. انظر، طبعة إنجر، ص ٦٧؛ والمقريري. في روايته لموت السلطان المملوكي خليل الذي حدث في أواخر القرن الثالث عشر، يضع على لسانه الكلمات التي تعني أنه لا يعد نفسه أميراً، ولكن مجرد زعيم للجيش؛ *Histoire des Sultans Mamlouks*، ترجمة كاترمير، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ١٥٢. انظر أيضاً لب اللياب، ص ١٠٨ و ١٠٩ من الملحق. ونستخلص من هذا كيف، أن هذا اللفظ، على الرغم من معانيه الخاصة التي استعملت في العديد من الظروف، فإنه يرجع دائماً إلى رئيس منتخب أو بالوراثة، وهو على أرض الواقع يقترب كثيراً من بارون العصور الوسطى المسيحية.

(2) جاييتوس ميكيريت دي باتينو *Gaytus Micheret de Jatino*، شاهد في وثيقة لاتينية بتاريخ ١١٣٢ لدى بيرز، ص ٧٧٤.

جاييتوس عبد ملك *Gaytus Abdi Malach*، باع ضيعة لأسقف جرجنتي بين عامي ١١٥٧ و ١١٧١، لدى بيرز، المرجع المذكور، ص ٦٩٨.

جاييتوس ميمون *Gaytus Maimon*، «صهيونية» من مسلمي سيراكوزا؛ وجاييتوس همار *Gaytus Hamar* وجاييتوس براهم *Gaytus Brahim* من قرية أجسوليا القريبة، شاهدان في وثيقة يونانية - لاتينية بتاريخ ١١٧٢، لدى سبيلان، *Pergamene, ec.*، ص ٤٤٤.

جاييتوس رمون دي ميشيكن *Gaytus Ramun di Michiken*، جاييتوس هومور *Gaytus Humur* من المكان نفسه، وجاييتوس علي البونفاتي *Gaytus Aly-el-Bonifati*، من جورها وجاييتوس عبد الجوايتي *Gaytus Abdelgusiti*، من المكان نفسه، جاييتوس علي بيترولي *Gaytus Aly Petrulili* من بال.... وجاييتوس حسين

كانت نظم القبائل العربية وتقاليد الجند تتفق في هذا مع الأعراف الإقطاعية في أوروبا، حيث كان رئيس العائلة حقيقية كانت أم مكتسبة، يقود رجاله في الحرب. والحكام المسلمون الخمسة الذين قاموا بثورة مسلحة في تلال وادي مازارا، بعد موت جوليملو الصالح<sup>(1)</sup> ربما لم يكونوا سوى قادة، ولما كان روبرنو جويسكاردو ومن بعده الكونت روجيرو، قد استخدموا فرقاً كبيرة من المسلمين الصقليين، فمن المؤكد أن هؤلاء الجند كانوا يأتون بأوامر قادة من أهلهم؛ والقادة، حتى إن لم يكونوا أشرفاً بالمولد، فإنهم كانوا يصبحون أشرفاً فعليين، طبقاً لمفاهيم القرون الوسطى وكل العصور تقريباً. وأنا اعتقد أن القادة في صقلية كانوا يجمعون الفرق المسلمة تقريباً كما كان البارونات يجمعون الميليشيات الإقطاعية. وأنهم كانوا في النصف الأول من القرن الثاني عشر طبقة حقيقية من النبلاء. وقد بقيت هذه الطبقة قائمة حتى موت جوليملو الثاني. ولو أن عدد الميليشيات المسلمة في الجيوش الملكية قد انخفض كثيراً وفُضِّل عليها المسلمون المستقرون في البلاد، الذين تحدثنا عنهم، تحت قيادة قادة مسيحيين أو تحولوا في الظاهر عن الإسلام<sup>(2)</sup>. ولكن بذريعة قيادة فرقة من الحرس الملكي تارة وبون أبة ذريعة تارة أخرى، فإن وصفاء البلاط وهم في غالبهم خصيان ملحقون بالقصر لخدمة أفراد العائلة الملكية أو الأعمال العامة، حصلوا شيئاً فشيئاً

Gaytus Hussein من كسارو (في وادي مازارا) شهود مع كثيرين آخرين، في وثيقة يونانية - عربية بتاريخ ١١٧٥. نقرأ لها ترجمة لاتينية من القرن الثالث عشر، لدى جريجوريو، *De supputandis, ec.* ص ٥ والصفحات التالية، ولدى سبانا *Pergamene*، ص ١٥٢. وبعض هؤلاء ملقب أيضاً بشيخ، مثل القائد حمزة، المذكور في وثيقة ١١٧٢ المذكورة أعلاه، ص ٣٦٢ هامش ١.

(١) ريكاردو داسان جرمانو، *Chronicon*، في كتاب كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص ٥١٧. عام ١١٩٠.

(٢) انظر أسماء أربعة من قادة القواسين في وثيقة عام ١١٧٢. المذكورة أعلاه وشهادة ابن جبير.

على ذلك اللقب النبيل(1) ووسط الفوضى السياسية والإدارية التي سبقت مُلك الملك فريكو، فقد أصبح كما يبدو لي لقب وظيفة إدارية، وربما كانت إدارة الأملاك الأميرية، في مدينة بالرمو وأراضيها، التي كان يديرها أحد وصفاء البلاط من قبل. وقد كانت بالطبع وظيفة، من وظائف الإدارة في النصف الأول من القرن الثالث عشر(2). ولكن في السنوات الأولى بالذات (١٢٠٦) كان البابا إنوتشنسو الثالث قد كتب للقاضي ومعه كل *Gaiti* قادة أنتيلا وبيلاتاني وجاتو وتشيلسو والقادة الآخرين جميعهم وراسنة صقلية راجياً لهم أن «يعرفوا ويحبوا الحق الذي هو الله ذاته»؛ وأشى على ولائهم لفريكو ملكهم وحثهم على الحفاظ على ذلك الوفاء(3). لقد كان (*Gaiti*) قادة ذلك الزمان إذن كباراً سياسيين وعسكريين في قلب حال دي مازارا.

وإذا كان ما قلناه يكفي لبيان وجود طبقة من النبلاء بين المسلمين في صقلية بعد الغزو النورمانى، فإن الحدس الموفق الذي

(1) انظر إلى (القادة) الجاييتى الكثيرين الذين ذكرهم فالكاندر في كتاب *Carrozo. Bibl. Sicula*. وفي مواضع أخرى. والأسماء الأخرى المستخلصة من الوثائق التي ذكرناها جميعاً في ٢٦٣. ونقرأ *Arabicus miles*. بوقع شاهدأ في وثيقة لاتينية بتاريخ ١١٥١ لدى بيرو. *Sicilia Sacra*. في ٩٣٣. وربما كانت تسيل الحرف الأول من الاسم الذي لم تتمكن من قراءته أو سقط في الطباعة. ويبدو لي أن الشاهد قائد كان يترجم لقبه النبيل إلى اللغة اللاتينية المستعملة في ذلك الوقت.

(2) وثائق الإمبراطور فريكو. بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٢٢٩ و ١٢ مارس و ١٥ أبريل ١٢١٠. في. *Historia diplomatica Friderici II*. المجلد الخامس. في ٥٩٦ و ٨٢٠ و ٩٠٢. ووثيقة عام ١٢٧١. في *Tabularium, ec.* كنيسة القصر في بالرمو، في ٨٢ والصفحات التالية.

من هذه الوثائق قلص أن قائد بالرمو كان المدير المباشر للأملاك الأميرية بالمدينة وبأراضي بالرمو، تحت سلطة أمين الإقليم. وتبين وثيقة عام ١٢٧١ أن تلك الوظيفة لم تستمر بعد ملك مانفريدي وأنها كانت سنوية وربما كانت تعطى بالإقتزام.

(3) *Innocentii III Epistolae*. الكتاب التاسع، الرسالة ١٥٨. طبعة باريس ١٧٩١. في *Diplomata Chartae, etc.* بريكينى. الجزء الثانى. المجلد الأول. و *Archadio et universis Gaietanis, etc.* ويجب أن يصبح اسم المكان *Jaci* ليصبح *Jati*.

قاد جريجوريو للوصول إلى النتيجة نفسها يستحق الإعجاب، ولو أن الدليلين اللذين ساقهما على ذلك لا يستقيمان بحال من الأحوال. فقد اتبع كلمات غير واضحة قالها مالاتير<sup>١</sup>، ولهذا افترض أن ابن الثمة التمس كان إقطاعياً خاضعاً للكونت روجيرو بينما كان حليفاً له ولروبرتو جويسكاردو؛ وفي قبوله لمفارقة زمنية أتى بها ليوني أفريكانو. افترض أن الكونت تنازل عن سيادته على إحدى القلاع لمسلم أسماء هو «الشريف»، وكان كاتباً شهيراً في الجغرافيا؛ وهو ليس إلا الإدريسى، الذي عاش في الأجيال التالية، لأنه قدم كتابه للملك روجيرو، بعد ثمانين عاماً من دخول الكونت بالرمو<sup>(1)</sup>!

ونتعرف على سبب الوقائع التي استعرضناها في هذا الفصل والفصل السابق من أحداث الغزو. وإذا نحينا جانباً العمليات الصغرى وسقوط القلاع الأخيرة فإن هذا الغزو يجب تقسيمه إلى أربع فترات: طرد المسلمين من الطرف الشمالي من فال ديموني (١٠٦١)؛ واحتلال المنطقة الشمالية من فال دى مازارا (١٠٧٢)؛ وحرب بناهرت (١٠٧٢ - ١٠٨٦) وخضوع فال دى نوتو (١٠٨٦ - ١٠٨٩). وفي الفترتين الأولى والثاني وهي الفترة الأخيرة كان الانتصار سريعاً جداً حتى إن معظم السكان بقوا حيث كانوا؛ فبقى اليونانيون وغيرهم من السكان القدامى في فال ديموني. وفي الأقاليم الأخرى المذكورة بقي السكان القدامى المسيحيون أو المرتدون والمسلمون الذين تجرى في عروقهم دماء عربية أو بربرية. وجدير بالذكر أيضاً هذا الفارق في أن المنتصرين في الفترة الأولى تركوا بعض الحاميات الضعيفة فقط؛ ولكنهم في الفترة الثانية والرابعة، نظراً لكثرتهم العددية الكبيرة وتقسيمهم المكاسب فيما بينهم، استقروا في البلاد؛

(1) *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الأول. من ٦، هامش ١٠. إن فترة ليوني أفريكانو التي أوقعت جريجوريو في الخطأ، ذكرها هو نفسه في الحاشية، في *Rerum Arabicarum*. من ٢٢٨. انظر ما قلناه نحن عن ذلك العالم المسلم في الكتاب الأول. الفصل العاشر، من ٢٠١ من المجلد الأول.

ولكن أقاصى قال ديموني كان به أجنب أقل من باقى الجزيرة. أما الفترة الثالثة وبعد القتال طويلاً: حيث اختلف الحظ اختلافاً أكبر مما يعترف به مالاتيéra، اضطر النورمان إلى البحث عن أنصار جدد، يحاول هو عبثاً إخفائهم. وفى هذا الوقت، على ما يبدو لى، تعاقبت الخمائر الكبرى على المنتصرين، الذين اعترف قائدهم فى نهاية العملية بقتل عدد كبير من فرسانه لا يعلمه إلا الله وحده(1). وفى هذا الوقت نرى تزويد باتيرنو بالقوات لتصبح قاعدة للعمليات على مسار الحدود النورمانية، وهى مدينة تردد اسمها فى إيطاليا الشمالية، وأصبحت بعد موت الكونت روجيرو إقطاعية لأريجو دى ماركيزى البرامى(2). والقرائن حول أصل كالتاجيرونى، والأدلة حول سكان بيانتسا ونيقوسيا ومدن أخرى فى سلاسل الجبال التى تدور حول إتنا من الشمال إلى الغرب، تحملنا على الاعتقاد بطرد جانب كبير من الأهالى المسيحيين أو المسلمين القدامى أو إبادتهم خلال فترة الغزو الثالثة، وأنه حل محلهم مستوطنون من البر الإيطالى، زاد عددهم بعد ذلك بفعل الهجرات المتفرقة، بداية من السنوات الأخيرة من حكم الكونت روجيرو وطوال وصاية أديلايدى وربما فى السنوات الأولى من حكم ابنها الذى أصبح بعد ذلك ملكاً. وهذا الافتراض يتأكد بمراجعة أسماء المدن الرئيسية فى إبراهيمية كنانيا طبقاً لوثيقة الكونت، بتاريخ ١٠٩١، مع ما نقرأ من أسماء فى فقرات الإدريسي (١١٥٤) المتعلقة بالمنطقة نفسها: لأنه لا توجد بين الأسماء الأولى أسماء بيانتسا، وسان فيليبو دارجيسرو وأيدونى، وهى مستوطنات لومباردية؛ وتلك المدن لم تكن لتحتج جانباً، لو أنها كانت عند نهاية الحرب مدناً كبيرة

(1) وثيقة لاتينية بتاريخ ١٠٩١، لدى بيرو. *Sicilia Sacra*. ص ٥٦١.....

*et ego cum exercitibus milium meorum fortiter laboravi... patiundo diversa pericula in terra et in mari et immensam famem et nimiam sitim ad invicem: numerus autem illorum meorum milium qui in acquisitione terre Sicilie marui sunt, sunt, soli Deo et Sanctis ejus cognitus est: mihi vero, cum omnibus aliis hominibus incognitus.*

(2) انظر وثيقة عام ١١١٤، لدى بيرو. *Sicilia Sacra*. ص ١١٧٧.



ومهمة كما نراها في القرن الثاني عشر<sup>(1)</sup>، وهذه بالضبط حالة كالتاجيرون التي لاحظناها من قبل<sup>(2)</sup>.

وتقودنا حوليات الفزو أيضاً إلى افتراضات لاتخلو من أساس حول أصل ظروف الأشخاص. قد روينا من قبل كيف أن المدن الرئيسية كانت تستسلم بالعهود، مثل كنانيا وبالرمو ومازارا وتراباني وتاورمينا وسيراكوزا وكاستروجوفاني وبوتيرا ونوتو ومالطة، باستثناء مسينا التي أبعد فيها المسلمون إبادة صفقت لها المدينة كلها؛ وكانت ترابنا في البداية داخلية في عهد ثم أصبحت خاضعة بعد ذلك؛ وافتُحمت جرجنشي عندما أقاد المنتصرون من السماح. وإذا نظرنا إلى كنانيا التي أعطيت إقطاعاً للأسقف بينما كان السكان المسلمون يسجلون في قوائم الفلاحين، بداية بقائدين، فإننا يجب أن نذكر أنها استميدت بالحرب بعد أن استدعت بناهزت ثم إنه من المستبعد أن تكون المدن المسلمة كلها قد حصلت على العهود نفسها التي حصلت عليها بالرمو لقدرتها على الدفاع عن نفسها: ربما كانت هناك عهود مشتركة، مثل حرية العقيدة وامتلاك الممتلكات الخاصة؛ ولكن اختلفت شروط الضرائب وبعض النظم العامة. ولم يكن المنتصر رجلاً يجدد دون دواع؛ ومن هنا فإنه من المنطوق بصفة عامة أنه كان يبقى على الأعراف ومن بينها، النبالة بين المسلمين، وكذلك بين اليونانيين، والمساواة تحت سلطة مطلقة.

وبعكس المدن، كانت الأراضي المفتوحة والقرى تسقط دون دفاع في أيدي المنتصر، عندما كان يتحرك لهاجم عاصمة الإقليم أو

(1) الوثيقة نقرأها لدى بېرو، *Sicilia Sacra*، ص ٥٢٠. وستحدث في الفصل التالي عن سبب عدم وجود أراضي قليلة الأهمية في التعهدات الأولى للأبرشيات، وإن تقوم بالمقارنة نفسها بالنسبة لرائد السو، ولا بالنسبة للمستوطنات الأخرى اللومباردية في أبرشية مسينا، لأننا نشك في تعريف بالوثيقة الأولى. بتاريخ ١٠٨٢، التي نشرها بېرو بناء على نسخة ترجع للقرن السادس عشر. المرجع السابق، ص ١٩٤.

(2) الفصل الثاني، ص ٢٢٠ - ٢٢١ من هذا المجلد.

يوشك على إخضاعها؛ ولم يكن هناك مجال لليهود سوى لبعض القلاع المهمة. ويبين لنا مثال بوجامو أن القادة النورمان في تلك الحالات كانوا يعاملون الأسرى كالعبيد(1)؛ ثم تأتي بعد ذلك النتيجة الحتمية التي كانت تتمثل في الاستيلاء على الممتلكات، لنلحظها في مائة وثيقة؛ ومن بينها وثيقة شهيرة للغاية تتعلق بحكم يرجع لعام ألف ومائة وثلاثة وعشرين وتنص على انتقال ملكية طاحونة كان اثنان من المسلمين قد اشتراها قبل الغزو ثم آلت إلى سيدهما الإقطاعي(2). ثم إن الأسرى إن لم يباعوا، كانوا يظلون عبيداً للأرض؛ دون استبعاد بكل تأكيد المسيحيين الذين كانوا يعيشون بوصفهم فلاحين أو عبيداً. لأننا نراهم مقيدين مثل المسلمين في صحائف الفلاحين. وهؤلاء السكان الريفيون الذين أخذوا مع الأرض، من الواضح أنهم طبقة الفلاحين التي امتلكها السيد بحكم أشخاصهم. والذين تم امتلاكهم بحكم أملاكهم يبدو أنهم كانوا سكان الأماكن التي كانت تستسلم باليهود، أو رجال غرباء قُبِلوا بعد ذلك في أراضي السيد. وحق الملكية الذي كان يتمتع به الفلاحون عن أملاك اشتروها بجهودهم ونشاطهم، بعد أن وفوا بما عليهم من خدمات لسيدهم، يبدو لي عرفاً من نتاج القوانين الإسلامية بشأن العبيد. وفي النهاية فإن رتبة قائد التي خصصت لبعض النبلاء قد نبهت كما هو واضح من اليهود المبرمة عند استسلام القلاع والحصون، أو من ضرورات أقوى من اليهود؛ بمعنى أنهم عندما أرادوا اقتياد الرجال للحرب، كان لزاماً عليهم الإبقاء على رؤسائهم الذين اعتادوا الخضوع لهم وطاعتهم. ولعل هذا

(1) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص ١١٢ من هذا المجلد.

(2) وثيقة يونانية، لدى سباتا، *Pergamene*، ص ١٠٩ والصفحات التالية.

لقد أخطأ السيد سباتا عندما افترض أن كلا التابخين المسلمين اللذين امتلكا الطاحونة فيما قبل، كانا زوجين لموريطلا، النورماندية؛ كما يتضح من اسمها وهي سيدة قرية بينيرانا. واللفظ *Perseus* في المصور الوسطى كان له أيضاً هذا المعنى وهذا واضح هنا.

كان نظاماً لا يمكن التخلي عنه حتى في السلم، إذا كان يراد للشعوب المجاورة من المسيحيين أو المسلمين أن تعيش في أمن، وإذا كان يراد حماية الأشخاص والممتلكات حماية حقة.

الطريق

مع بدايات الملكية الصقلية تظهر على السطح قضية ما إذا كان كونتات صقلية تابعين لدوقات بوليا. وتتضارب الشهادات في هذا الصدد. فالراهب الانجليزى إدمر، الذى كان معاصراً للكونت روجيرو، يسميه رجل دوق بوليا؛ وما لا تها، وهو من رجال قصره يقول إن صقلية منحت له هبة إقطاعية من قبل روبرتو جويسكاردو؛ كما ورد الشئ نفسه لدى ليونى دوستيا وزوموالدو سالرنيتانو، وهما مؤلفان أحدث من سابقيهما(1)، وقد لقب روبرتو بعد ذلك وابنه روجيرو، فى بعض الوثائق بلقب دوق بوليا أو إيطاليا، وكلا برى وصقلية(2)، كما كان الكونت روجيرو يلقب روبرتو أحياناً بسيد(3)، ومن جهة أخرى تؤكد كتب التاريخ على مر العصور أن الكونت أو ابنائه لم يكونوا تابعين أو فى خدمة دوقات بوليا(4)؛ وهناك وثائق لم يدم

(2) مالاتيرا، الكتاب الثاني، الفصل الرابع عشر وألبوني دوشها، الكتاب الثالث، الفصل السادس عشر، في كاروزو، Bib. Sic. ص ٢٠١، ٨٠. أما مواضع إيدميريو وروموالدو سالترني فقد نقلها جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل السابع، العاشقان ١٦ و ١٧، والاستشهاد بأمانو لا يثبت هذا أو نفيه، لأن المترجم الفرنسي، (في الكتاب السادس، الفصل ٢١، ص ١٨٢)، حينما أشار إلى الحدث نفسه الذي رواه مالاتيرا، يقول إن روبرتو: *donna... toute la Syccille* دون أن يحدد، أكثر من ذلك، طبيعة المنع.

(2) وثائق أهرام ١٠٨٢ و ١٠٩١ و ١٠٩٩، وأولاهما هي *Regii Neapolitani Archivi* و *Monumenta*، المجلد الخامس، ص ٩٧، والوثقتان الأخريتان هي كتاب *Trinikera*، *Syllabus graecarum membranarum, etc.* ص ٦٨ و ٨٤، ووثيقة بتاريخ عام ١٠٩١، ذكرها جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل السابع، حاشية ١٩، ووثائق روبرتو وخليفته، بتاريخ ١٠٧٩، ١٠٨٢ و ١٠٨٤ و ١٠٩٢، واختتام الرسائل، في كتاب بوشون *Nouvelles Recherches sur la principale* الفرنسية *française de Monde*، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ١٨٢، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(3) 2008年10月9日、10月16日、*Sicilia Sacra*、頁11、17。

(4) انظر جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل السابع، ص. 161.

فيها الكونت روبرتو سوي بلفظ أخى؛ ولا ابنه روجيرو سوي بلقب دوق بوليا وكلايريا(1). وقد رأى جريجوريو في هذا الصدد ما يشبه الخضوع(2)؛ وهذا ما ينفيه بالمبيرى بعدة(3)؛ وهما يتعلق بالكتاب الآخرين فإننى أؤثر الصمت اختصاراً. ولكن ما من أحد يستطيع أن يفسر التضارب بين الوثائق، وهو يصر على تصور روبرتو جويسكاردو، رجلاً تقياً، سعيماً وجليلاً، وجالساً على عرش أجداده، بين بارونات يوهرونه. وهو يسمى بهدوء لحكم الدولة مع ما سمي فيما بعد بمجالس أورشليم.

ومن الإشارات التى قمنا بها هنا وهناك فى هذا الكتاب الخامس، يظهر البطل فى مظهر آخر تماماً حتى عام ألف وثمانين(4). فالبارونات النورمان. الذين كانوا قادة جيوش فيما قبل. كانوا يعدونه نظيراً لهم وكانت المدن تعدد جندبها المرتزق، الذى كان عليها أن تدفع له إتاوة، بحكم الضرورة؛ والباباوات أنفسهم الذين شجعوه بإدراجه فى نظام الإقطاع وبمنحه لقب دوق، كثيراً ما كانوا يميلون لطرده من إيطاليا. وأخذ شقيقه روجيرو بعد أن حصل منه على إقطاعية مبلهتو فقط، يمتلئ صهوة جواده بين فرقته الحربية، حيث كان قائداً مرتزقاً له فرقته الخاصة به؛ ولكن خلافاً نشأ بين الشقيقتين بسبب المكافآت غير المرضية فاحتكموا إلى السلاح؛ ثم انتقل روجيرو لخدمة إقطاعيين معادين، أو ربما أبرم معاهدات مع مدن مناهضة. وفى النهاية اتفقا على اقتسام الدخول فى كلايريا؛ فكان هناك تخصيص راتب ثابت وليس تنازلاً إقطاعياً فعلياً. وفى البر الإيطالى جرت آنذاك. بين الشقيقتين عهد متغيرة ومؤقتة؛ وتختلف

(1) فى كتاب بېرو، *Sicilia Sacra*. ص ٧٧٠ و ٨١٢ وثائق عام ١٠٩١ و ١٠٩٣.

(2) جريجوريو. الموضع السابق.

(3) *Somma della Storia di Sicilia*. الفصل التاسع عشر. ص ٨١ والصفحات التالية من الجزء الثانى.

(4) انظر هذا الكتاب الخامس. الفصول الأول والثالث والخامس والسادس. ص ٢٤ والصفحات التالية. ٤٩ إلى ٦٠ ومن ٩١ إلى ٩٦ ومن ١٤٥ والصفحات التالية ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥.

تبعاً للقوات التي كان يسهم بها هذا أو ذاك في كل عملية. وكان الشئ نفسه يحدث في صقلية، حيث لم يمنح روبرتو أرضاً لروجيرو عندما عبر إليها للمرة الأولى، وعندما عاد إليها روجيرو مع جنوده، أبرم اتفاقاً مع أهل ترائينا واستولى على قلاع كثيرة دون مشاركة روبرتو(1). وشملت العملية الثانية التي قام بها الاثنان معاً، وهي العملية الثالثة حدث تنازل إقطاعي حقيقي كما قلنا(2)؛ ولكن بعد بضع سنين، ومع اقتراب حرب اليونان، تغيرت اتفاقيات اثنين وسبعين: لأن الكونت سيطر آنذاك على مسينا وقال ديموني كله(3). وقد أدت وفاة روبرتو، واحتياجات ابنه روجيرو وقوة عمه وشهرته إلى أن آل إلى هذا الأخير النصف الآخر من كلابريا: أي أنه أعاد إبرام الاتفاق للمرة الثانية خلال أربعة عشر عاماً؛ ونعلم أيضاً أنه تم التباحث بشأن منح الكونت روجيرو لقب دوق، أي إلغاء التبعية الإقطاعية رسمياً وكانت قد انتهت على أرض الواقع(4). وكان هذا واقعاً وقانوناً، إذا لاحظنا كيف أن أوربانو الثاني، العاهل الإقطاعي لدوق بوليا، في مرسوم عام ألف وثمانية وتسعين الشهير، لا يذكر ذلك الأخير، ولا يتفاخر بسيادة ما على الكونت روجيرو. ولا على صقلية. وعلى الرغم من هذا كان يطالب لبلاط سالرنو ذكر تنازل عام اثنين وسبعين، أكثر مما يذكر ما تبدلت إليه مصائر فرعى بيت هوتشيل: ومن هنا كان رأى إيدميررو وروموالدو والألقاب الواردة بالوثائق. لأنه إذا كان كتاب الكونت يذكرون أو يتجاهلون في الوقت نفسه التبعية الإقطاعية للشقيق، فإن هذا يبرهن على أنها بقيت من حيث الشكل، ولم يكن يلتفت إليها أحد. وعلى أية حال فمن غير

(1) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص ٨٥ والصفحات التالية، والفصل الثالث، ص ٩٠ والصفحات التالية ومن ١٠٠ والصفحات التالية.

وقد قدم روبرتو ١٠٠ رجل فقط من الجنود في عام ١٠٦٨. انظر ص ١١٠.

(2) الفصل الخامس، ص ١٢٨.

(3) الفصل السادس، ص ١٦١.

(4) الفصل الثامن، ص ١٨٥ و١٨٦ والصفحات التالية.

المقبول في القانون العام الصقلي أن نتصور ظهور سيادة واختصاصها خلال بضع سنين. في حين لم يكن بناء الإمارات النورمانية قد اكتمل أو تدعم، ولكنه كان يرتفع ثم يهدم، ثم يعاد بناؤه كل يوم. وإذا أوضحنا ذلك وأبعدنا الشك في وجود أية علاقة إقطاعية من أي نوع مع روما (1)، وهو ما لم يكن له ذكر حقاً حتى النصف الأول من القرن الثالث عشر، فإننا سوف نرى من الناحية النظرية أن سلطة الكونت روجيرو في صقلية كانت بلا حدود. وكانت بالفعل باللغة الاتساع، على الرغم من أن صقلية وكلايريا كانت لهما برلمانانها في تلك الأزمنة الأولى، مثلها في ذلك مثل كل الولايات الإقطاعية، وكانت تسمى بالتحديد برلمانات وأعضاؤها كبار علمانيون ورجال دين. ويورد جريجوريو على سبيل المثال أن «الأمراء والكونتات والبارونات وغيرهم من الرجال المشهورين، الذين تمت دعوتهم إلى ساليرنو، هم الذين قدموا التاج الملكي، لروجيلو الثاني (١١٢٩) وأن كبار الأعيان، وذوى النفوذ والرجال الأفاضل قد تمت دعوتهم، حينئذ إلى بالرمو (١١٣٠) من جميع الأقاليم والأراضي لكي يشهدوا عملية التسويج: وقد وافقوا بالإجماع على الأمر بعد بحثه ومعههم أفراد الشعب من الصغار والكبار (2)؛ ولكن هذا الإجراء كان أقرب إلى الاستفتاء العام منه إلى البرلمان؛ ثم إن السيادة الجديدة قد ظهرت في ظروف سياسية واجتماعية مختلفة جداً عن الظروف التي كان يحكم فيها الكونت الأول. كما ذكر في الكتاب نفسه؛ وفي فترة زمنية أقرب، وبشكل أنصب، برلماناً عقدته الكونتيسة الوصية على الحكم أديلابدي في مسينا في عام ١١١٣، لثئون تتعلق بأسقفية سكويلانتشي؛ وإن بدا هذا أيضاً حفلاً رسمياً أكثر منه اجتماعاً سياسياً (3). ويمكن أن

(1) انظر في هذا الصدد جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل السابع، ص ١١٢.

(2) المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل السابع، وقد استشهد في العاشطين ١٧ و ١٨، برئيس دير تلهيزي المعاصر له.

(3) الموضع السابق، حاشية ١٦، من وثيقة.

نضيف إلى هذا المثال امتيازات كنيسة بالرمو التي أكدتها في عام ١١١٢ الكونتيسة وابنها روجيرو، الذي كان قد أصبح فارساً وكونتاً. وهما جالسان في قاعات قصر المدينة مع رئيس الأساقفة جوالتييرو وغيره من رجال الكنيسة الآخرين والبارونات والفرسان (1). وعندما استدعى كبير أساقفة المدينة مع غيره من الأساقفة والبارونات في عام ١١٢٠ في قاعة المعادلات (2) في قصر بالرمو ذاته، تم حسم أمر تقسيم عشور إيرادات ترميني بين رئيس الأساقفة وكبير رهبان ليباري (3). ولكن ما يزيل أي شك هو وثيقة ذكرها جريجوريو في موضع آخر ونسيت بعد ذلك في الحديث عن البرلمانات، وهي وثيقة ورد بها أن الأساقفة كانوا يطالبون بالعشور الكنسية على كل دخول الجزيرة وأن أصحاب الأراضي، وكان هذا ما يطلق على الإقطاعيين بصفة عامة في وثائق النورمان اللاتينية واليونانية والعربية في صقلية، كانوا يرفضون ذلك، وأن الكونت الأول روجيرو قد دعا أولئك وهؤلاء إلى مازارا وحسم الخلاف بهذه الطريقة: أن يدفع هو نفسه العشور للأساقفة عن ممتلكاته الخاصة؛ وأن يدفع أصحاب الأراضي ثلثي العشور ويستخدموا الثلث المتبقى بأنفسهم لخدمة كنائس قلاعهم؛ وأن تحكم عليهم فيما عدا ذلك المجالس الكنسية فيما يتعلق بأنامهم الروحية وأن يدفعوا عنها كفارةً حسب الأعراف الأسقفية (4). ويبدو لي أن هذا القانون من أخطر القوانين التي

(1) وثيقة، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٨٠ و ٨١.

(2) *In Prolocutorio panormitani palatii*. ولكن الجنب استخدم لفظ *Parlatorio*. محل التخاطب بالأدبرة والسجون الذي أراه غير مناسب. بدا لي من المناسب استخدام تلك الكلمة الفلورنسية القديمة.

(3) وثيقة في كتاب بيرو، المرجع السابق، ص ٨٤ و ٨٥. في هذه الورقة يذكر رئيس الأساقفة بيرو، وهو أحد رجال البابا في عصره، اسم الملك روجيرو، ودون اعتبار للاستثناء العام بلقبه بلقب دونق.

(4) وثيقة دون تاريخ، في كتاب بيرو، المرجع السابق، ص ٦٩٦. وقد ذكرها جريجوريو، الكتاب الأول، الفصل السادس، حاشية ٧. وهنا كلمة *etiam (paritem)* يجب أن تصحح لتصبح *tertium*؛ حسبما يتضح كذلك من وثيقة عام ١١١٢. في كتاب بيرو، المرجع المذكور، ص ٦٩٨، التي يؤكد فيها الملك روجيرو الاجراء الذي اتخذوه أبوه.



أقرت في أي من البرلمانات الأوربية الحديثة، على الرغم من أنه قد سُنَّ على أنه قرار من الأمير؛ وهو يبرهن على الأنظمة الدستورية بصقلية منذ البدايات الأولى للملكية.

ولكن يميز روجيرو نفسه عن كونتات البر الإيطالي، وهم سادة لأراضي أصغر وخاضعون لدوق بوليا، اتخذ لنفسه أحياناً لقب الكونت الأعظم<sup>(1)</sup>. ولكن خلفاءه المباشرين فضّلوا تلقيب أنفسهم بلقب فتصل؛ وهذه التسمية الكلاسيكية لاقت رواجاً كبيراً في بلاط بالرمو مع بداية القرن الثاني عشر، حتى إن أمناء السر ورواة الأخبار، لم يستخدموها في الحاضر فحسب، ولكنهم كانوا يخلعونها أيضاً على الغازي نفسه<sup>(2)</sup>. وفي الحقيقة لم يغب التقليد الفنصلي أبداً في العالم؛ وخاصة في إيطاليا الجنوبية، حيث كان حكام نابولي وجايتا وأمالفي، الذين تحرروا من الحكم البيزنطي، يطلق عليهم لقبى دوق وفتصل<sup>(3)</sup>؛ وراينولفو كونت أهرسا كان فتصلاً. وهو أول إقطاعي نورمانى في إيطاليا<sup>(4)</sup>. وبعد نصف قرن، عندما كان ذلك اللقب في

(1) وثيقة عام ١٠٩٢، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٠١٦، ويبدو لي أنها ترجمة من اليونانية.

(2) وثيقة عام ١١٠٥، وثيقة أخرى دون تاريخ، يمكن نسبها أيضاً لبدايات الأولى للقرن الثاني عشر، ورد ذكرها في وثيقة ترجع لعام ١١٣٣، في كتاب جرنجوني، *Considerazioni*، الكتاب الأول، حاشية ٣٠ بالفصل الثاني وحاشية ٤ بالفصل الخامس، وجزء من وثيقة بتاريخ ١١٠٨، واستشهدات بوثائق أخرى، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra, Chronologia*، ص ١٣.

والكونتات الأوائل في البر الإيطالي وروجيرو صقلية الأول كانوا يلقبون أحياناً بالفتاصل من جانب الكتاب المجهول الذي كان معاصراً للملك روجيرو، في كتاب كارونو، *Bibliotheca Sicula*، ص ٨٢٤، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٦، ١٧١٧، ١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٢١، ١٧٢٢، ١٧٢٣، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٢٦، ١٧٢٧، ١٧٢٨، ١٧٢٩، ١٧٣٠، ١٧٣١، ١٧٣٢، ١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨، ١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٧٤١، ١٧٤٢، ١٧٤٣، ١٧٤٤، ١٧٤٥، ١٧٤٦، ١٧٤٧، ١٧٤٨، ١٧٤٩، ١٧٥٠، ١٧٥١، ١٧٥٢، ١٧٥٣، ١٧٥٤، ١٧٥٥، ١٧٥٦، ١٧٥٧، ١٧٥٨، ١٧٥٩، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٢، ١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥، ١٧٦٦، ١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١، ١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٤، ١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٧، ١٧٧٨، ١٧٧٩، ١٧٨٠، ١٧٨١، ١٧٨٢، ١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥، ١٧٨٦، ١٧٨٧، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٩٠، ١٧٩١، ١٧٩٢، ١٧٩٣، ١٧٩٤، ١٧٩٥، ١٧٩٦، ١٧٩٧، ١٧٩٨، ١٧٩٩، ١٨٠٠، ١٨٠١، ١٨٠٢، ١٨٠٣، ١٨٠٤، ١٨٠٥، ١٨٠٦، ١٨٠٧، ١٨٠٨، ١٨٠٩، ١٨١٠، ١٨١١، ١٨١٢، ١٨١٣، ١٨١٤، ١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨، ١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١، ١٨٢٢، ١٨٢٣، ١٨٢٤، ١٨٢٥، ١٨٢٦، ١٨٢٧، ١٨٢٨، ١٨٢٩، ١٨٣٠، ١٨٣١، ١٨٣٢، ١٨٣٣، ١٨٣٤، ١٨٣٥، ١٨٣٦، ١٨٣٧، ١٨٣٨، ١٨٣٩، ١٨٤٠، ١٨٤١، ١٨٤٢، ١٨٤٣، ١٨٤٤، ١٨٤٥، ١٨٤٦، ١٨٤٧، ١٨٤٨، ١٨٤٩، ١٨٥٠، ١٨٥١، ١٨٥٢، ١٨٥٣، ١٨٥٤، ١٨٥٥، ١٨٥٦، ١٨٥٧، ١٨٥٨، ١٨٥٩، ١٨٦٠، ١٨٦١، ١٨٦٢، ١٨٦٣، ١٨٦٤، ١٨٦٥، ١٨٦٦، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٦٩، ١٨٧٠، ١٨٧١، ١٨٧٢، ١٨٧٣، ١٨٧٤، ١٨٧٥، ١٨٧٦، ١٨٧٧، ١٨٧٨، ١٨٧٩، ١٨٨٠، ١٨٨١، ١٨٨٢، ١٨٨٣، ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٨٦، ١٨٨٧، ١٨٨٨، ١٨٨٩، ١٨٩٠، ١٨٩١، ١٨٩٢، ١٨٩٣، ١٨٩٤، ١٨٩٥، ١٨٩٦، ١٨٩٧، ١٨٩٨، ١٨٩٩، ١٩٠٠، ١٩٠١، ١٩٠٢، ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٦، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١٠، ١٩١١، ١٩١٢، ١٩١٣، ١٩١٤، ١٩١٥، ١٩١٦، ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩١٩، ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٣٩، ١٩٤٠، ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٧، ١٩٦٨، ١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٩، ١٩٨٠، ١٩٨١، ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٨، ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩١، ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، ٢٠١٤، ٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧، ٢٠١٨، ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، ٢٠٢٢،

بيزا وجنوة وأستي وسان ريمو وبلا شك في مدن إيطالية أخرى، يميز زعماء سياسيين تقلدوا مناصبهم دون إرادة الأباطرة أو البابوات، تقلد أمراء صقلية، الذين سأموا من لقب كونت ولكنهم لم يجرأوا في الوقت ذاته على تقلد أي لقب آخر من الألقاب المعتادة في النظام الإقطاعي، أو كانوا يترفعون عن ذلك. ألم يخلفوا هم في صقلية، الياسيليين البيزنطيين والخلفاء الفاطميين، وكان هؤلاء وأولئك أمراء مستقلين بل وكبار رجال دين؟ ولكن لم يمض وقت طويل حتى توقفوا عن اتخاذ لقب كونت وفتصل، لكي يسموا أنفسهم ملوكاً. بعد أن اتسع نطاق سيطرتهم.

وعندما تنتقل إلى الجوانب الأخرى من التنظيم السياسي، فإننا نتبع الترتيب الزمني بأن نتحدث أولاً عن البلديات. لأن جزءاً منها كان قائماً قبل الغزو. ورغم ذلك فقد رأها جريجوريو ولم يرها في أيام النورمان؛ وخلص إلى أنه في ذلك الحين، كان السكان الصقليون لديهم شكلاً من أشكال الهيئة البلدية<sup>(1)</sup>. ومع ذلك كان جريجوريو يعرف أنه في النصف الأول من القرن الثاني عشر، كانت كالتاجيروني تمتلك أراضى شاسعة وأنها اشترت بعضاً منها من الدولة<sup>(2)</sup>؛ وأن نيقوسيا، وهي مستعمرة لومباردية، امتلكت أرض ميجيتي؛ وأن كلتا المدينتين كانتا تمدان الأسطول بعدد كبير من البحارة، وأخشاب البناء<sup>(3)</sup>؛ وأن مستعمرات لومباردية أخرى كانت خاضعة للأعباء نفسها، وفي هذا علامة على الملكية<sup>(4)</sup>. ومن خلال ذلك تظهر شخصية البلديات القانونية. وكانت تظهر في المحررات، بل وفي الأراضى الإقطاعية؛ حيث نرى رجال باثي يرفعون قضية ضد الأسقف؛ ويقبل نوابهم تسوية<sup>(5)</sup>؛ ورجال تشيفالو وهم يقترحون عادة

(1) *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل السابع، ص ١٧١ والصفحات التالية.

(2) راجع الفصل الثامن من هذا الكتاب، ص ٢٢٨.

(3) في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل الرابع، حاشية ١٥.

(4) المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل الرابع، حاشية ٢٥.

(5) المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل الخامس، حاشية ٢.

على الأسقف الإقطاعي ثلاثة أشخاص لاختيار القاضي من بينهم(1). لقد لف إذن جريجوريو ودار بكلماته، خوفاً من حكومة البوربون المستبدة في صقلية من ناحية ولأنه، من ناحية أخرى، لم يدرس المادة دراسة جيدة وبصفة خاصة لأنه كان يرتجف لسماع اسم البلدية ذلك، كما لو أن شكلها الوحيد هو النظام الجمهوري الإيطالي في العصور الوسطى، أو الفرنسي الذي كان له صدى رهيب في عصره.

وبعد أن أشرنا إلى البلديات، سواء بلديات السكان القدامى المسيحيين أو المسلمين(2)، سوف نبحث عن آثارها أثناء الحرب وتحت السيطرة النورمانية. ولننتبه في الوقت نفسه، فيما يتعلق بالبلديات المسيحية، وهي من بقايا العصر البيزنطي، إلى أن الأنظمة البلدية في اليونان نفسها قد بقيت أو ولدت من جديد، على الرغم من إعلان ليوني السابيينتي، الذي تحدثنا عنه في موضعه؛ وأنه بعد ذلك الإعلان اعترفت القوانين البيزنطية في المدن وفي الأرياف ببعض الهيئات الحرفية وجمعيات الأعمال، التي وإن لم تشمل غالبية المواطنين كافة، فقد كان لها أشكال أكثر ديمقراطية من غالب البلدية القديم كما أنها أرست قواعد البلدية الجديدة؛ وأنه في عصر السيطرة اللاتينية ثم التركية بعد ذلك، ظهر على بر إيطاليا، أسوة بما يحدث في جزر اليونان، حكام محليون حقيقيون أو ممثلون بلديون، بأسماء مختلفة تبعاً لاختلاف الأماكن؛ فكانوا برويست، أو ديموجيرونوت أو أركونتي أو إبيثروسي. ومن المؤكد أن هذه الوظائف لم تشكل حديثاً في القرن الثالث عشر أو في القرن الخامس عشر(3).

(1) المرجع المذكور، الكتاب الثاني، الفصل السابع، حاشية ٢٢.

(2) الكتاب الأول، الفصل التاسع والكتاب الثاني، الفصل الثاني عشر، ص ٢٧٩ والصفحات التالية وص ٥٢٦، ٥٢٧ والصفحات التالية. من المجلد الأول؛ والكتاب الثالث، الفصل الأول والثالث؛ والكتاب الرابع، الفصل الحادي عشر، ص ١٢ والصفحات التالية وص ٤٠٨ والصفحات التالية من المجلد الثاني.

(3) هذا الموضوع تناوله موريتوري، بالكثير من التفاهل والأسانيد في *Histoire du Droit byzantin*، باريس، ١٨٤٢ - ١٨٤٦، الجزء الثالث، ص ١٩ و ٧٥ إلى ٨٢.

وهي الأقاليم البيزنطية في بر إيطاليا، كانت التغييرات المتلاحقة بالسيادة قد أعطت الفرصة لكبرى المدن لكي تؤسس لنفسها هيئات سياسية محلية، كما نستخلص ذلك من أمثلة باري وسالرنو التي يذكرها جريجوريو نفسه (1) ومن الاتفاقيات التي كانت تبرمها مدن أخرى مع القادة النورمان (2)؛ حتى إننا نقرا في وثيقة يونانية من القرن العاشر، أن فلاحين مقيمين في أراضي أحد الأديرة وأحد الإقطاعيين، كانوا يدفعون ضريبة شخصية لبلدية جيراثشي في كلابريا (3). وهذا الاتجاه العام الذي اتبنته السلالة اليونانية لم يواجه عقبات في صقلية، بل لقي تشجيعاً من السيادة الإسلامية. فالمدن التي تحررت من مضايقات المسئولين البيزنطيين واضطرت للتصرف بمفردها تحت حكم المسلمين، اضطرت لتدعيم انظمتها البلدية في القرنين التاسع والعاشر، لتوفير إدارة العدالة، وتلبية التزاماتها نحو السادة الجدد والدفاع عن نفسها بأسلوب حضاري ضد أي بغى واعتداء.

وإن كان اسم المدن يرد نادراً وهي غير وضوح في مذكرات الحرب، فلن يندهش من ذلك من يعرف فتور اليونانيين في ذلك الحدث الكبير والثغرات الموجودة في الأخبار النورمانية عندما لا تروى عن شجاعة الأبطال وتقواهم. ومع ذلك لدينا اثنتان فقط من الذكريات: أن أهل ترابينا كانوا قد أبرموا معاهدات مع روجيرو وأنهم عندما ثاروا عليه وحاصروه في قصره، كان لديهم أسوة بمدن كلابريا، برجاً محصناً في ناحية أخرى من الأرض؛ وأن المسيحيين والمسلمين في بتراليا، بعد عقد مجلسهم للتشاور قرروا الانضمام للقائد النورماني (4). ولكن هذه الأعمال يمكن أن تصدر سواء من

(1) *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السابع، حاشية ٢١.

(2) انظر أحداث العديد من مدن إيطاليا الجنوبية، التي ورد ذكرها في هذا الكتاب، الفصل الأول والثالث، من ٢٧ و ٤٣ و ٤٤ و ٥٧ و ٥٨ و ٩٤ إلى ٩٥.

(3) وثيقة دون تاريخ، يمكن نسبها إلى القرن العاشر عشر، في كتاب ترينكيريا، *Syllabus*، الحاشية، ص ٥٥٧. الرجال المذكورون كانوا يدفعون «*taxa to demerito*».

(4) انظر الفصل الثالث من كتابنا هذا، ص ٩٠ و ٩٢ و ٩٧ من المجلد.

حكام معينين، أو من الشعب الذي يأخذ على عاتقه في الحالات القصوى مهمة ممارسة كل حقوقه. وأوراق الأجيال التالية تقدم لنا أنباء أكثر تحديداً حول الوظائف البلدية.

وتظهر كلمة «أرخن» ذات الوقع الخاص، في تلك الوثائق، كما قلنا في الفصل السابق، بمعنىين مختلفين، الأول منهما كان يقصد به بصورة عامة صاحب السيادة وكان ينسب بصورة خاصة إلى كبار موظفي الدولة. كما نستخدم اليوم لفظ فخامة تقريباً<sup>(1)</sup>. وكان المعنى الآخر يحدد وظيفة معينة، ويعد بازيليو تريكارى، أرخن، ديمينا، (١٠٩٠) أحد الشهود على هبة وهبها الكونت روجيرو لصالح دير سان فيليبيو<sup>(2)</sup>. ويشهد أراخنة جالاتى، الذين دعاهم الإقطاعى (١١١٦) على الوثيقة التي كان يهب بموجبها أحد الفلاحين لدير مولى<sup>(3)</sup>. ويجمع حاكم ديمينا (١١٢٦) رؤساء الأديرة، والكهنة وأراخنة أرض سان ماركو للتحقق من سند للملكية<sup>(4)</sup>. وبعد ذلك بنصف قرن (١١٨٢)، قام القضاة الملكيون، في أمر مشابه لما كان في سان ماركو، بدعوة الرجال الصالحين والشيوخ، ومعهم أراخنة نازو وهيتاليا وميرتو وسان ماركو وأحد أراخنة ترابينا<sup>(5)</sup>.

(1) وثائق يونانية بتاريخ ١٠٩١ و ١١٠٥ و ١١٣٦ و ١١٨٢ و ١١٦٨ و ١١٧١ و ١٢١٧ و ١٢٢٥، في كتاب سباتا، *Pergamene*، من ١٨٠ و ١٨٨ و ٢٠٢ و ٢٦٦ و ٢٩٢ و ٢٩٧ و ٢٧١ و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢٢٧ و ٢٢٠، ووثيقة يونانية بتاريخ ١١٤٠ في *Tabularium della Cappella Palatina* في بالرمو، ص ٢٨، مع نبذة باللغة العربية، أطلق فيها على أراخنة البلاط هؤلاء لقب وزراء، وكان هذا هو الاسم العربي لذلك المنصب. وفي مقابل هذا ورد استخدام اللقب ذاته في ثلاث وثائق عربية صقلية لم يسبق نشرها ترجع لعام ١١١٤ و ١١٤٥، وفيها لفظ «جزة» مكتوب بالخط حسب النقل الصوتي وليس مترجماً، ولأنه لفظ أجنبي، يتخذ في الجمع صيغة أراخنة، طبقاً للقواعد التحوية. ولن أذكر الوثائق اليونانية الأخرى، التي يلقب فيها أمير الأمراء، رئيس وزراء، ملك صقلية، بأرخن الأراخنة.

(2) وثيقة يونانية، لدى سباتا، المرجع السابق، ص ٢٤٧. الاسكارى في ترجمة لاتينية منشورة في المرجع ذاته في ص ٢٥٢، يترجم اللفظ نفسه *dominus*.

(3) وثيقة يونانية، في كتاب سباتا، المرجع المذكور، ص ٢١١.

(4) وثيقة يونانية، المرجع السابق، ص ٢٦٦.

(5) وثيقة يونانية، المرجع السابق، ص ٢٨٦ و ٢٨٨.

كما تولى أراخنة كابيتس، بالاشتراك مع الشيوخ (١١٦٨)، مسئولية تحديد حدود ضيعة صغيرة كانت الملكة تريد إهدائها لإحدى الكنائس<sup>(1)</sup>. وفي أوبيدو في كلابريا، ساعد الرجال الصالحون والشيوخ (١١٢٨) موظفي الدولة على تحديد حقوق الإقطاعي، وحينما نشأت قضية في عام ١١٨٨ بشأن بعض الضياع، حسمها قاضي كلابريا الأكبر طبقاً لنصيحة الأراخنة<sup>(2)</sup>. وكان هؤلاء إذن معاونين أو محكمين في القضايا المدنية. أما في الإمبراطورية البيزنطية فقد اتبع لفظ أرخن مساراً مختلفاً، وإن لم يعتمد كثيراً، ومع احتفاظه بالمعنى القديم الذي كان يعني رجل قضاء، اتخذ بصفة خاصة معنى رئيس محكمة وأحياناً حاكم ولاية؛ لأن هذا كان يرأس القضاء؛ وبالتالي ظهرت الأرخنية بين التقسيمات الإقليمية. ومن ناحية أخرى فإن عادة الألقاب تلك السيئة والنفور من تلك الأرستقراطية الموروثة قد أدت بالبلاط البيزنطي لأن يطلق لقب أرخن على رجال بارزين لفضلهم أو ثرائهم أو مجاملة لهم؛ وقد أطلق رجال الدين أيضاً اسم أرخنية على هيئة الكبار منهم. وعندما جاء الإقطاع مع الشعوب الغربية، التصقت تلك التسمية بالبارونات. ونستخلص في النهاية أنها كانت قد بقيت مستقرة، ولا أحد يدرى كم من القرون، في الهيئات البلدية؛ لأنه بعد أن انشق حجاب الإدارة البيزنطية، مع غزو اللاتين وبعد ذلك الأتراك، ظهرت مع المؤسسات البلدية تسمية أراخنة تلك والتسميات الأخرى التي ذكرناها منذ قليل؛ والتي كانت تشير في مواضع مختلفة إلى وظائف متطابقة أو متشابهة جداً<sup>(3)</sup>. وقد أطلق على هذه الوظائف البلدية في بعض الأراضي، إن لم أكن مخطئاً، لقب أرخن، على أساس ذلك الجانب من

(1) وثيقة يونانية، المرجع السابق، ص ١٢٨ و ١٢٩. وفي المصدر ذاته، ص ١٢٧ ذكرت أسماء أراخنة السر، أي مدير مالي البلاط.

(2) وثيقة مذكورة بتاريخ ١١٨٨، في كتاب تريينكيرا، Syllabus، ص ٢٩٧.

(3) *Thesaurus* لهنري ليتن، طبعة هاس، إلخ. بمعنى لفظ *Agros* المعاني القديمة فقط؛ ولكنه يشرح بـ *Agros* إلخ، على أنها مديرية الأمن في الإمبراطورية المتأخرة.

جوانب السلطة القضائية الذي احتفظت به البلديات في العصر القديم ثم انتقل إلى البلديات في العصور الوسطى. ثم إن الوظيفة البلدية، لكونها بالميراث بين الملأك، كما هو الحال في المجلس الروماني، فكان من الممكن أن تصبح هنا وهناك في الأقاليم، تسمية يطلقها العامة على رجال رفيعي المستوى؛ وهي تسمية غير قانونية، وإن تسلت إلى بلاط القسطنطينية. وفي صقلية، كما يرى الجميع، فقد ظهرت الوظيفة البلدية في القرن الثاني عشر، ويمكننا أن نقول أيضاً اللقب المطبق؛ ولم يكن هناك وجود لصفة قضائية كبرى للأرخب؛ ولكن من بين أشكال اليهرجة التي استعارها الأمراء النورمان من البلاط البيزنطي، كان لقب أركونتي، أو أرخب هذا الذي أطلقوه على كبار موظفي الدولة، تبعنا، كما هو واضح يكبار الرجال من الأصول اليونانية، الذين تعاونوا في النصف الأول من القرن الثاني عشر مع روجيرو الثاني في تنظيم شئون المملكة.

وظيفة المحكمين نراها في قضايا الحدود والملكيات الزراعية يمارسها أيضاً الشيوخ *Tlponis* في صقلية، بمفردهم أحياناً، كما حدث في (١١٤٢) في تراينا، وتشيرامي وسان فيليبو دارچيرو(1) وما هو أكثر. وهم معينون على شكل هيئة، كما حدث في عام (١١٢٣) في تشيمين(2)؛ وأحياناً أخرى كان يشاركونهم الرجال الصالحون، كما

---

ولكن قاموس دوكانج اليوناني يذكر المعنى الأحداث، أي النبلاء، والبارونات وأيضاً أرخب الأراخنة لدى كوستنتينو بوزهيوجنتو، ولكن مؤلفات القانون التي يرجع إليها مورثوي، *Histoire du Droit byzantin*، الجزء الثاني، ص ٢٧٥ و ١٢١، والجزء الثالث، ص ٩٥، تبين أنه قد احتفظ في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر بمعنى المسئول القضائي الأعلى. وفي العمل نفسه، الجزء الثالث، ص ٩٨، أرى أن هيئة كبار رجال الكنيسة كانوا يطلقون عليهم أيضاً، *apogonima* والاستشهادات المذكورة في ص ٨١ - ٨٢ تبين أن ذلك اللقب قد منح لبعض المناصب البلدية.

(1) ترجمة وثيقة يونانية، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٢٩٠، ونقرأ فيها أيضاً لفظة *senes* شيوخ نوو و *senes* شيوخ روزانو؛ ولكن هذه الأسماء الطبوغرافية تبدو خاطئة، لأن نوو تمتد في منطقة أخرى ولا وجود لروزانو في خرائط أخرى.

(2) *Pépoine* وثيقة يونانية، في كتاب سباتا، *Pergamene*، ص ١١٠.

حدث في عام (١٠٩٥) في راميتا/1)، وفي عام (١١٨٢) في سان ماركو ونازو وهيتاليا وميرتو/2)، وفي عام (١١٨٣) في تشنتوربي/3) وايضاً في عام (١١٢٨) في أوبيدو كلايريا/4)، كما كانوا يعملون ايضاً بالاشتراك مع الأراخنة كما في عام (١١٦٨) في كابيتسي/5)، وعندما حدث أن أقام مسيحيون ومسلمون في أرض واحدة أو في أراضٍ محيطة بإحدى الضياع التي يتنازعون على حدودها، كانت تتم دعوة الشيوخ من أولئك وهؤلاء، ولقبهم المتعارف عليه، شيخ أو *Geronti*، حسب لغة الوثيقة. وهكذا حدث في عام (١١٣٤) في چاتيني وميرتو/6) وبعد ذلك في عام (١١٧٢) في ميسيلميري/7) وبعد ذلك بقليل في عام (١١٨٢) في شيكاري وبترياليا وكالتافوتورو ويوليتسي ونشيمينا وكمارانا وكسكازين ميكيكن وكازبا وكاسارو، وجورفا وإيالي/8). إن الشيوخ وكبير برجوازيي ترابينا، وشيوخ جاليانو

(1) نرحمة لاتينية لوثيقة يونانية بتاريخ نوفمبر ١٠٦٠، في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الثالث، هامش ١٠، وتورد هنا إشارة إلى كنهة *simul considentibus*. مع الشيوخ ثم إلى شهادة العديد من الرجال الصالحين. ولكن النص ربما كان يضع هؤلاء مع الشيوخ وغيرت الترجمة. التي اعترف جريجوريو بأنها غير صحيحة، غيرت المعنى.

(2) وثيقة يونانية، في كتاب سبانا، المرجع المذكور، ص ٢٨٥ والصفحات التالية.

(3) الوثيقة نفسها، الموضوع نفسه، ص ٢٩٢ والصفحات التالية.

(4) وثيقة يونانية بتاريخ ١١٢٨، مدرجة في وثيقة بتاريخ ١١٨٨، في كتاب تريفكيرا، *Syllabus*، ص ٢٩٧. كان على الرجال الصالحين والشيوخ أن يهدموا جميع توابع إقطاعية ثم منحها مؤخراً: الغابات، والكروم، إلخ، حتى الفلاحين والبرجوازيين.

(5) وثيقة يونانية، في كتاب سبانا، المرجع المذكور، ص ١٢٨.

(6) في كتاب بېرو، *Sicilia Sacra*، ص ٧٧٤. وبدلاً من *Catine*، يجب أن نقرأ هنا *fatinae* وهي الأرض موضوع الحديث وليس أرض كثنائها. والشيوخ في هذه الوثيقة، المكتوبة أصلاً باللاتينية يقال لهم *maiores natu*، وهي ترجمة حرفية لكلمة شيخ.

والأرض الأخرى المذكورة هي مرنو، وهي قرية مهدمة الآن في إقليم بالرمو.

(7) وثيقة يونانية، عربية في *Tabularium* كنيسة القصر في بالرمو، ص ٢٩.

(8) ترجمة لاتينية من القرن الثالث عشر، من اليونانية ومن العربية، نشرها جريجوريو.

*De Supputandis*، ص ٢٤ والصفحات التالية ونشرها بصورة أفضل سبانا، *Pergamene*، ص ٤٤١ والصفحات التالية. ولاحظ أن الترجمة عن العربية بها



المسيحيين والمسلمين، وشيوخ تشينتوري ورجالها، (وكان يعنى بهم بالتاكيد «الرجال الصالحين») تمت دعوتهم جميعاً (١١٤٢)، مثلما تمت دعوة رجال كاستروجوفاني وأدرو، من المسيحيين والمسلمين لكي يحددوا، مع كبير الموثقين مفوضاً عن الملك، حدود ريجالوتو، التي كان يتنازع عليها إقطاعي أرچيرا مع أسقف مسينا(1). وتقول وثيقة أخرى (١١٤٩) إن شيوخ المسلمين والمسيحيين في جاتو كانوا مكلفين بمساعدة الحاكم في أن يحدد على الطبيعة مساحة من الأرض وهبها الملك من الأملاك الأميرية(2). وعلاوة على ذلك، ففي محررات عامة يونانية عديدة، ترجع للقرن الثاني عشر والثالث عشر، نرى توقيعات شهود مقترنة باللقب نفسه في أراضى ميستريتا ونازو وميرتو ومرة أخرى في سان ماركو وفي تشينتوري(3).

وكان قضاء الملك يدعون رجال سان ماركو الصالحين (salvi) (١١٠٩)، ورجال تراينا، وجليانو وميلجا (١١٥٤) ومع الشيوخ. كانوا يدعون رجال نازو وفيتاليا وميرتو وسان ماركو الصالحين (١١٨٢) وأخيراً رجال تشينتوري (١١٨٢) لمعرفة حدود

فقط لفظة *senes* الذي يقابل لفظة شيخ؛ ولكن في الترجمة عن اليونانية نقراء، *senes de regimine terrarum adiacentium* حيث يبدو أن لفظة *senes* كان يعقبه لفظة آخر يحددها أو أن المترجم أضاف *de regimine*، لكن يبين أن الأمر يتعلق بمسنين (شيوخ) وليس مجالز.

(1) وثيقة يونانية من محفوظات كاتباتولاري في مسينا، التي ضاعت، وقد عثر على نسخة منها الراسب القاتولي سكياكو وهي محفوظة في المكتبة البلدية في بالرمو، Q. q. H. 4، الورقة ٢٢١، وقد استخلص منها تارديا ومورسو الوثائق الموجودة في المكتبة نفسها Q. q. F. 143 و Q. q. E. 172، الورقة ١٢٧. وقد أجريت لها علاوة على ذلك ترجمة لاتينية Q. q. G. 12، الورقة ٥٥ و ٥٦. وهذه الوثيقة نفسها، أورد منها جريجوريو جزءاً، بخصوص كبار الهرجوازيين، كما سنقول لاحقاً؛ ويصدر التتبيه بأن المخطوطة قد ذكرها جريجوريو بموضعها القديم Q. q. H. 15. وأدين بالنسخة اليونانية واللاتينية من هذه الوثائق لصديقي العالم إيزيدورو لالوسيا.

(2) وثيقة عربية من كاتدرائية بالرمو ونحرير جديد للوثيقة نفسها في ١١٥٤، نشرهما جريجوريو بصورة جيدة ثم الأستاذ كاروزو في *Biblioteca Sacra*، بالرمو، ١٨٢٤، المجلد الثاني، ص ٤٦ والصفحات التالية.

(3) وثائق بتاريخ ١١٢٢ و ١١٢٧ و ١٢٢٢ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥. هي كتاب سبانا، المرجع المذكور، ص ٢٥٦ و ٢١٢ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٣٠.

الأراضي المتنازع عليها<sup>(1)</sup>. ورجال *سيفيرو* الصالحون، وأنا أعتقد أنها الكارا في فال ديموني، الذين قام بدعوتهم أسقف ميسينا، سيدهم، للشهادة على حق ملكية بعض المراعي التي كانت في حيازة أحد الأديرة (١١٢٥)، وكان ردهم حينئذ هو أنهم هم أنفسهم قد تنازلوا عن تلك الملكية للدير، إكراماً لبعض مواطنيهم الذين أرادوا أن يترهبوا<sup>(2)</sup>. وبعد ذلك بشمانين عاماً كان رجال نيقوسيا، مع اثنين من مندوبي الملك «ومع كل الشعب» يديرون شؤون كنيسة السلفاتورى، التي أسستها البلدية نفسها في وقت ما<sup>(3)</sup>. في الحالة الأولى يعني إذن بلفظ الرجال الصالحين، الرجال المساعدين، أو المحكمين؛ وهي تلك الوظيفة بالضبط التي نراها يمارسونها في القرن التاسع أو العاشر، طبقاً للقانون الروماني *lex romana*، وحسبما ورد في مخطوط أوديني، الذي يظهرهم بصفته ممثلين لبلديات في الأحكام

(1) الأولى منها وثيقة يونانية، في كتاب سبانا. *Pergamene*. ص ٢١٦، والثانية، جز، من ترجمة لاتينية لوثيقة يونانية، في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل الثاني، العاشية ٢٥، والوثيقتان الأخريان اليونانيتان، في كتاب سبانا، المرجع المذكور، ص ٢٨٦ و ٢٩٢ والصفحات التالية. وأسماء الأعلام تبدو لي خليطاً من الأسماء اليونانية والإيطالية القديمة.

(2) وثيقة يونانية، في كتاب سبانا، المرجع المذكور، ص ٢٦١ وفي ص ٢٦٢. ثبوت لاتينية معاصرة نقرأ فيها الترجمة الحرفية *Boni homines*. وعلى الرغم من أن التفسير لم يكن تحت عينيه المخطوط الأصلي فالمعززة تعد مع ذلك أصلية، للأسباب التي أوردتها في ملاحظاته. وعلى الرغم من أن النص اليوناني يبدو نالفاً في بعض مواضعه فليس ذلك ما يهمنا؛ بل حيث يقول الرجال الصالحون بوضوح: لقد تنازلنا نحن عن الممتلكات، وكلمة «نحن» تعني بالأحرى البلدية وليس الأشخاص، لأنه كانت قد مضت بالضرورة سنوات عديدة على التنازل. ومن أسماء الأشخاص الخاصة هؤلاء الرجال الصالحين، الملمانيين منهم أو الكنسيين، يبدو أن معظمهم يونانيون أو لاتينيون واثنان فقط من سكان ما وراء جبال الألب.

(3) وثيقة أكتوبر ١٢٠٤، وتوجد منها نسخة بين مخطوطات المكتبة البلدية في بالرمو Q. q. G. 12 الورقة ١١٤. وقد ذكرها لالوميا للمرة الأولى، لكي يبرهن على وجود المحلفين في ذلك الوقت، بينما كان جريجوريو يرجع ظهورهم للمرة الأولى إلى عام ١٢٢٢ إلى ١٢٢١. انظر كتاب صديقي العالم ذلك *Storia della Sicilia sotto Guglielmo il Buono*. فلورنسا، ١٨٦٧. ص ٢٠٠. وبعد حصولي على نسخة من هذه الوثيقة من لالوميا نفسه، فقد رأيت نشرها، لما تكشف عنه من شكل البلدية اللومباردية في عقبة في عهد النورمان. الذين يتضح أن تأسيسها راجع لهم.

وممارسين في الوقت ذاته، لأعمال إنراية أخرى(1). وفي حالة الكارا ونيكوسيا، فمن الواضح أنهم كانوا يمثلون البلدية، مثل مجلسنا البلدي الحالي. وهؤلاء هم بالتحديد الرجال الصالحون *Boni homines* في ساهونا، طبقاً للوثائق اللاتينية التي ترجع لأعوام ١٠٥٦ و١٠٦٢ و١٠٨٠ و١١٢٥ التي نشرها سان كوينتينو(2). وليس هناك ما يدعو

*In nomine Dei Etterni Salvatoris amen, Jesu Christi, Amen. Anno felicitas sue incarnationis Millesimo Ducentesimo quarto, mense octobris Nonas iudicionis. - Quoniam acceptum est illi per quem salus venit in mundum, et interest opera civitatis hanc minimum iudicare, fundare Ecclesias, et fundatas pia sollicitudine promovere; unde est quod Nos Rogerius de Orusiana et Joseph de Yalio, de regio mandata institimus una cum ceteris Bonis hominibus, et universis populo Nicosino, cum in honore et titulo Salvatoris fundavimus Ecclesiam in montem appellatam Sancti Salvatoris in terra Nicosina, ut in eadem Ecclesia acceptum Deo et infirmis servitior quodcumque vestro interesset, et licet laici de Ecclesia ordinarer, eandem Ecclesiam ad jurisdictionem transferimus Sanctae Ecclesiae Lateranensis cum omnibus possessionibus, et censuris bonis, quae ipsa hodie habet, et in futurum est, Deo propicio, habitura. Salvo jure Sanctae Missanensis Ecclesiae cui ipsa tenetur persolvere censuum annuum pro locuto.*

*Ad hujus autem nostrae concessionis memoriam, et robur in perpetuum validum, per manus Magistri Johannis Rorici (?) presens scripta est pagina et subscriptum personarum testimonio roborata. Anno, mense et Indictione praescriptis, Regnante Domino nostro serenissimo Rege Frederico, anno (Dei gratia) octavo.*

- \* Ego Rogerius De Orusiana hoc concedo.
- \* Ego Joseph de mandato regio Institutionem hanc confirmo
- \* Ego Robertus de Castello Bajulus hoc confirmo
- \* Ego Adam de Capicio hoc confirmo.
- \* Ego Rogerius de la Nave Judex Juratus hoc confirmo.
- \* Ego Nicolaus Maracava Judex Juratus hoc concedo.
- \* Ego Robaldus Novus Bajulus eandem confirmo
- \* Ego Robertus de Falco concedo.
- \* Ego Nicolaus Botryctor concedo.
- \* Ego Vivianus de Trohana concedo.
- \* Ego Bartholomaeus de Anzuma concedo.
- \* Ego Guillelmus Ruffus concedo.
- \* Ego Baribavdyre Tuncus concedo.
- \* Ego Alvarus concedo.
- \* Ego Mallia de Platona concedo.
- \* Ego Brutus Jomaior concedo.

*Et scriptura existens in Archivio Sanctissimae Collegatae Capitularis Insignis Matri Ecclesiae Sancti Patris Nicolai, praecipui et Principalis Patroni hujus Urbis Nicosiae, exacta est praesens copia—Collatione acta.*

*Notarius Dominus Primus Franciscus Paulus de Gaglianone Archivarius.*

(1) انظر مواء هذا المؤلف القباري القديم، التي ذكرها هيجل *Storia della Costituzione de' Municipii italiani*, حاشية ص ١١٩ والسفحات التالية من الترجمة الإيطالية.

(2) في *Memorie della R. Accademia delle Scienze in Torino* السلسلة الثانية، المجلد الثالث عشر، ص ٢٢ و ٥٠ و ٥٢ و ٩٩.

للهشة أن نجد الاسم نفسه والوظيفة في صقلية، عندما نرح جانب كبير من المستوطنين من أراضي ماركا الأليرامية؛ كما أنه من ناحية أخرى استمرت تلك التسمية هنا وهناك في كل إيطاليا، وعلى سبيل المثال ظهرت في بداية القرن الحادي عشر في بنقشنتو(1)؛ ثم بعد ذلك بزمان طويل ظهرت مرة أخرى في الجمهورية الفلورنسية. وأصبح أخيراً، بين مناصب البلديات المسيحية، «كبار البرجوازيين» *Maestri de' borghesi*، الذين نيه جريجوريو إليهم في كولليزانو (١١٤١) وهي ترابينا (١١٤٢) حتى إنه تعرف فيها على «ما يشبه أشكال» البلدية، مضيفاً إلى ذلك، دون دليل ولا قرينة خلاف الاسم، أن «كبار البرجوازيين» كان يأمر ويدير كالرؤساء «المجلس البلدي» (2). ودون أن نسترجع المعنى العسكري القديم للفظ *Magister*، ولا المعنى العسكري والمدني الذي اتخذته عندما انتقل إلى الامبراطورية البيزنطية، فإننا نراه في أوروبا الوسطى والغربية، طوال العصور الوسطى، يقابل منصب وال، أو من يرأس طبقة من الموظفين أو المواطنين (3)، كما تردد في مسينا في القرن الثاني عشر اسم كبير الأمافيين (سكان أمافي) (4)؛ ولكنه ليس لدينا مثال يمكن أن يؤكد أو يبعث على احتمال أن يكون لفظ *Magister* كان يعني آنذاك في لغة القانون بصقلية ما كانت تعنيه كلمة *Major*، أو أن هذا اللفظ الأخير كان يحدد الوظيفة نفسها في صقلية كما هي فرنسا الشمالية وهي إنجلترا (5). وفي مقابل ذلك فإن الوثيقة الوحيدة التي

(1) دوكانج، المعجم اللاتيني، الطبعة الأخيرة، تحت مادة *Boni homines*.

(2) *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السابع، ص ١٨٢ و ١٨٣.

(3) دوكانج، المعجم اللاتيني تحت مادة *Magister*، والمعجم اليوناني، تحت كلمة *magisteros*، وهي القائمة الطويلة جداً، التي تحتل ستة عشر هامشاً من الطبعة الأخيرة من المعجم اللاتيني، يظهر هذا اللفظ مرة واحدة وقد استبدل بكلمة *Major* عند ذكر *magistri civium* أو *magistri communie*؛ ولكن المثال لاحق للقرن الثاني عشر.

(4) انظر الاستشهاد الذي ذكرناه في هذا الكتاب نفسه، الفصل الثامن، ص ٢١٩.

(5) عملاوة على اقتراح جريجوريو، هكذا يعتقد أيضاً هرتويج، *Coder iuris*، *municipalis Sicilie*، الجزء الأول، كاسل، ١٨٦٥، ص ١٠ و ١١. واعتراضاً على رأي المستشار القانوني العالم لألماني أقول أن الـ *maiores civium* في مسينا في القرن الثاني عشر

يمكن أن نفهم منها طبيعة الوظيفة تبينها مساوية في الدرجة مع الشيوخ<sup>(1)</sup> وتعودنا إلى افتراض أنها مكانة رئيس منتخب لجماعة من المستوطنين كانت لهم مصالح خاصة بهم يعنون بها، مع وجودهم وسط شعب مختلف عنهم في ظروفه أو أصله؛ مثل مدارس *scholae* القرون الوسطى، وجمعيات المهن في جميع الأزمنة واتحادات جنوة ومدن أخرى إيطالية، في بداياتها الأولى. وربما كان هناك عدد قليل من البرجوازيين الإيطاليين، أو القادمين من وراء جبال الألب، المتمركزين في كولليزانو، وهي إقطاعية عائلة أفينيل<sup>(2)</sup>، وطالبوا بهذا الشكل من أشكال التمثيل القنصلي، كما يمكن أن يقال عنه اليوم؛ والشئ نفسه ينطبق على تراينا. أول ملكيات الكونت روجيرو، التي نرى فيها في منتصف القرن الثاني عشر سكاناً يونانيين وإيطاليين قداماء وفرنسيين<sup>(3)</sup>.

وأولئك الذين ذكرهم في النمر في زمن غير محدد. والذين يعودون في رأيي للقرن الرابع عشر. هؤلاء يقصد بهم بوضوح معكو البلدية، الرجال الصالحون، والشيوخ، أو أبا كان اسمهم في أكبر مدينتين في الجزيرة، وليسوا رؤساء بلديات أو عمد أو محلفين، ولدا هيا الوظائف لا نقل اختلافاً، الواحدة منها عن الأخرى، عن معاني اللقبين. (1) من بين الوثيقتين اللتين ذكرهما جريجوريو، والثنتين حصلت لنوي على نسخة منهما بفضل صديقي العالم ليندورو لاكوسيا، لا تقدم وثيقة كولليزانو سوى توقيع واحد وسط العديد من توقيعات الشهود الآخرين، ومن ذلك يمكن أن نستنتج قطعاً أن كبير البرجوازيين كان يحضر في المناسبات الكبرى في قصر إقطاعي كولليزانو. والوثيقة الأخرى تقدم الحكم الذي ذكرناه لفتو في ص 284. وتستخلص من هذا المصدر أن روجيرو، صيد برجوازي تراينا، وميليس، ابن صيد البرجوازيين، قد دعيا بصفتهم مندوبين في حكم يتعلق بالحدود، وبمعهما العديد من الشيوخ الآخرين في تلك المدينة وشيوخ ورجال صالحين في أراض أخرى قريبة. ولكن روجيرو هذا جاء ذكره بعد ثلاثة أشخاص، وهم: مرغل مجمع الرهبان وراهب قانوني وشخص يدعى روبرنو جالايتا، وبالتالي فلا يبدو أنه هو رئيس البلدية. كما أن اسم ابنه قد ذكر بعد ستة أشخاص آخرين. (2) في الوثيقة المذكورة عالية ورد، بعد أدبليتشا حفيد الملك روجيرو، اسم ابنها أدامو أفينيل.

(3) في وثيقة 1112 المذكورة سابقاً، لدينا الأسماء التالية الخاصة بشيوخ تراينا، الذين قسمهم حسبما تبدو لي أصولهم: فرنسيون: السيد جوسفريه (جوفروا) مرغل (الكاتراثة)، السيد رينو (*Reinart?*) راهب قانوني: إيطاليون: جوليلمو مالديتو، جوفاني لوجوباريو، الراهب فيلادلفو أوكا: يونانيون: روبرنو جالايتا، ريكاردو جاميرو، جوفاني كاتروباريا، كاتب المسجلات ليوئي كوتسانتي، ميليس، ابن كبير البرجوازيين

ومن الأمثلة على هذه الجمعيات المعترف بها قانوناً «جامعات» اليهود في صقلية، كما كانت تسمى آنذاك، ودون أن تلجأ إلى استنباط تكوين جماعات من النوع نفسه في بلاد أخرى، فإن لدينا في القرن الخامس عشر ذكر للمجامع التي منحها الملك ألفونسو لجامعات يهود مملكة صقلية(1)؛ ولدينا من القرن الرابع عشر مذكرات كبيرهم، وشيوخهم وجامعاتهم في مازارا وهي مسينا(2)؛ وهذه المؤسسات ذاتها ترجع بلا شك إلى القرن الثاني عشر، عندما أعطى أسقف تشيفالو، المسئول عن كنيسة سانتالوتشيا في سيراكوزا، لجماعة اليهود في تلك المدينة قطعة من الأرض بإيجار رمزي لتوسيع جباناتهم(3).

وكلمة جماعة المستخدمة في تلك الوثيقة العربية لتحديد طائفة يهود سيراكوزا، تبرهن على أنه هكذا أيضاً كانت تسمى في صقلية جامعات المسلمين التي غالباً ما كان يقصد بها بلديات حقيقة، نظراً لعدد أفرادها الكبير وإقامتهم المنفصلة، فإنه من غير الممكن تخيل إقامة مثل هذه الأعداد الغفيرة من السكان المسلمين دون رجال حكم بلديات؛ وإذا لم يكن هذا الافتراض كافياً فيمكننا أن نستند إلى لفظ *Antiques*، أو الشيوخ الذين ذكرهم أمانو عند حديثه عن استسلام بالرمو(4)؛ وإلى اتفاقيات مازارا والمدن الأخرى كلها التي يبدو أن كل جامعة منها قد وقعت؛ وإلى أنه في ظل الإمارة النورمانية، كان شيوخ جاتيني وميزيلميري وجاتو وهيكارى ومدن أخرى، يسمون باليونانية *geronti*، وكانوا يكلفون مثل الأراخنة والكهول والرجال الصالحين،

والخريون، والفرنسيون، كما نرى أيضاً من وثائق أخرى كانوا يطلبون دائماً لقب *sieur*، *signore* وكان اسم كبير البرجوازيين روجيرو.

- (1) مطبوعات ترجع لعام ١١٢١ وقد نشرها أورلاندو، *Un Codice di Leggi e Diplomi Siciliani*، بالرمو، ١٨٥٧، ص ١٢٩ والصفحات التالية.
- (2) وثائق ترجع لعامي ١٣٤٠ و١٣٩٢، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ١١٠ و٨١٩.
- (3) وثيقة لم تنشر من محفوظات بالرمو الملكية، بتاريخ ١١١٠، ومكتوبة باللغة العربية بحروف عبرية.
- (4) انظر فقرة هذا الكاتب، في كتابنا الخامس هذا، الفصل الرابع، ص ١٢٤ من المجلد.

بتحديد حدود الممتلكات الزراعية<sup>(1)</sup>.

ويبدو لي في الحقيقة أنني أرى تحت تلك التسميات، التي تختلف باختلاف السكان، وظيفة واحدة وهي ممثلي البلديات؛ باستثناء الفوارق التي كانت تنشأ، في التنظيم وفي حدود السلطة، من الظروف والأعراف المحلية الخاصة بكل منطقة وشعب وجمعية؛ لذا يخلط دائماً من يفترض وضعاً موحداً حين يتعلق الأمر بالمصور الوسطى. بل إنني قد أندعش لرؤية تكرار لقب الشيوخ بالمعنى ذاته في اليونانية والعربية، إن لم تكن سلطة آباء العائلات. أي الشيوخ، موجودة في الأشكال الأولية لكل جماعة من هؤلاء البشر؛ وإن لم نستطع بالمثل استنتاج، أن البلديات المسيحية هي صقلية قد استعادت تلقائياً تكوينها في القرنين التاسع والعاشر، أسوة بالبلديات المسلمة، تلبية للاحتياجات التي نشأت في المجتمع إثر الهيمنة الجديدة<sup>(2)</sup>. وغنى عن الذكر أن الشيوخ كانوا ينتمون إلى المسلمين؛ وأن *Arconti* و *Geronti* ينتمون إلى اليونانيين واعتقد أيضاً إلى غيرهم من قدامى السكان؛ وأن الرجال الصالحين ينتمون إلى المستوطنات الإيطالية الجديدة. ويبدو لي من الواضح أيضاً أن كل جماعة احتفظت بشكل من أشكال البلديات أو جاءت به؛ لأن الإمارة النورمانية لم يكن في إمكانها أن تدمر ولا أن تأسس ولا حتى أن تعدل تعديلاً عميقاً مؤسسات على هذا النحو. وكما قلت يبدو أن الأراخضة، في صقلية، هم شيوخ حازوا ذلك اللقب، بحكم عادة قديمة بصفتهم أصحاب أملاك؛ ولا يختلف عن ذلك الملقبون بقائده، وهم أشـراف وقواد، كانوا يشاركون في الشؤون البلدية كأي أحد من الأعيان؛ ولكنني لا أحسب رجال

(1) انظر الاستلهادات المذكورة هنا سابقاً من ٢٨٢ إلى ٢٨٥.

(2) على الرغم من أن هذا يبدو لي الأصل الأكثر احتمالاً لفئة الـ *geronti* في صقلية، فإنني لا يجب أن أغض الطرف عن أن الـ *Boni homines* في البر الإيطالي كان يقال لهم أيضاً في القرون الوسطى *Seniores civitatis*. انظر الـ *Lex* الروماني في مخطوط أوديني المذكور أعلاه من ٢٨٧. هامش ١. ولكن ذلك اللفظ الروماني الأصل لا يرد كثيراً فهما يتعلق بالسلالة اليونانية، إلا في صقلية في المصور الوسطى.

النوع الأول أو الثاني من اصحاب الوظائف التنفيذية، مثل رؤساء البلديات أو العمدة أو المحلفين، أو المجالس البلدية، ولا يبدو لي كذلك أيضاً كبار البرجوازيين، الذين كانوا مجرد زعماء لجماعات صغرى. وبعد ذلك كان من الضروري أن تكون لكل من الأراضي التي يقطنها سكان من أصلين أو ثلاثة أصول مختلفة ممثلوها كما رأينا في سان ماركو وكاهيتسى، وجاتيني وهي العديد من الأماكن الأخرى وهذا ما تشهد به الوثائق.

وقد قلت ممثلين للبلديات *comuni* لاستخدم عبارة حديثة ولا عبر عن وضع مشابه ولد في ظل قانون مختلف؛ لأنه لا يمكن أن نفترض اختباراً شعبياً أو ملكياً، في هذه الهيئات البلدية المؤلفة من رجال يحظون بامتيازات ترجع لعادات موهلة في القدم، الأوائل منهم من مدن إيطالية أو هيلينية، والآخرين من القبائل الرحل والعصور الأولى للإسلام؛ وهم اصحاب أملاك، ورؤساء بعض الحرف، وكتبه، ورجال دين مسيحيون، وفقهاء مسلمون وغيرهم من الأعيان. أما الأساليب أو الأوقات التي كانوا يجتمعون فيها وما إذا كانوا يعينون مندوبين يختصون بكل حالة على حدة، فهذا ما نجهله؛ وليست لدينا آثار لمستولين كلفوا بانتظام بالسلطة التنفيذية للبلدية. ومع ذلك فوثيقة نيقوميا التي لم تشر بعد والتي نوهنا عنها منذ قليل، وإن كانت وثيقة واحدة ومتأخرة في زمنها، فإنها تلقى الكثير من الضوء على النظام البلدي في عهد النورمان؛ هذا إذا افترضنا أن وجود المستوطنات اللومباردية كان الأكبر اتساعاً في الجزيرة وأنه يرجع إلى بداية القرن الثاني عشر، وليس لفترة صبا فديكو الثاني، ولا لزمن حكم أريجو الوجيه. والآن نقرأ في ذلك السند حق الملكية الذي يمارسه «اشان من المنوضين الملكيين، ورجال الصالحون والشعب»، ومن بين الرجال الصالحين قام بالتوقيع قاضيان محلفان و«اشان من محصلي الضرائب ويظهر بالتالي نوعان من الممثلين البلديين، أي المجلس الكبير، الذي كانت تتم دعوة الشعب كله له بقرع الأجراس، كما كانت العادة في



صقلية حتى تحت الحكم الأسباني؛ والرجال الصالحون الذين يبدو أنهم كانوا يؤلفون مجلساً مصغراً، كان يشارك فيه محصلو الضرائب والمسئولون الإداريون والقضاة الملكيون، الذين استحدثت وظيفتهم الملك روجيرو محل نواب الكونت والحكام الاستراتيجيين في أيام النورمان الأولى؛ كما يتضح أن رئاسة المجلس الكبير كان يعهد بها لمندوبين عن الأمير مخصصين لذلك. وعلى ذلك يمكننا أن نستخلص استخلاصاً قائماً على أساس أن جميع الهيئات البلدية كانت تدعى للمجالس ويرأسها مفوضون ملكيون، طبقاً لإجراء عام صدر منذ بدايات الحكم النورمانى؛ لأنه يبدو من المستحيل أن يكون روجيرو قد قيد المستوطنات اللومباردية بهذا القيد وترك الأراضي اليونانية أو المسلمة دون أى قيد؛ ومن ناحية أخرى فقد رأينا (1)، أن الإقطاعى يدعو دون استثناء الرجال الصالحين في الكارا، وأن المفوضين الملكيين يدعون رجال نيقوسيا، وهي من الأراضي الأميرية، للقيام بإجراءات الملكية؛ وبالمثل كان قضاة ملكيون أو مسئولون آخرون يدعون الشيوخ والكبار والأراخنة أو الرجال الصالحين في العديد من الأراضي الأخرى، لكن يقوموا بدور المحلفين في القضايا المدنية. ويبدو بعد ذلك أن المجلس العام، المفتوح لكل الشعب، أى لكل البرجوازيين، كان امتيازاً من امتيازات المستوطنات اللومباردية؛ ولا يمكن أن نقر بوجوده في المدن الأخرى، إن لم تثبته وثائق جديدة. ويبدو أن القاضيين المحلفين في نيقوسيا اللذين وقعا على وثيقة ١٢٠٤، هما في الحقيقة موظفان تنفيذيان في البلدية، مثل أقرانها في مسينا، الموقعين على مقرر يرجع لعام ١١٧٢؛ ولكننا لن نستطيع بناء على هذه القرينة فقط أن نحدد نطاق اختصاصهم (2)، ولن

(1) هنا عاليه من ٢٨٥ و ٢٨٦.

(2) في كتابه *Storia della Sicilia sotto Guglielmo il Buono*، من ٢٠٠، ذكر اللومبا، عن حق هذين المحلفين بنيقوسيا في ١٢٠٤ على أنهما، موظفان خاصان بالبلدية. ولكن يبدو لي أنه يخطئ في إقراره بوجود «رئيس بلدى، بتشكوريى استقدا

نستطيع كذلك أن نحدد على وجه الدقة ولاية البلديات نفسها، التي إن كانت تبدو لنا غامضة اليوم، فإنها كانت غير ثابتة ومتغيرة ومختلفة في القرن الحادي عشر والثاني عشر. وما نستخلصه فقط هو شخصية البلدية، والقضاء الذي كان يعهد به لممثلها وأنه ربما تطلب الأمر في بعض الأحيان من أولئك الأعيان أن يتعاونوا في إدارة شئون الدولة(1).

ويبرهن على تكوين المجالس البلدية أيضاً تلك الإعفاءات، التي لم تنفصل أبداً عن نظام المجتمع المدعو للتمتع بها، ونستخلص من شهادات متوافقة مع بعضها أن الأمير والإقطاعيين، لدى حاجتهم لإمداد صقلية بمستوطنين مسيحيين، عملوا على دعوتهم بكل أنواع المنح. فبعد تحرير أسرى مالطة، وعد روجيرو ببناء قرية لهم على نفقته، حيثما يحلو لهم؛ وبتوفير رؤوس الأموال الثابتة اللازمة لمساكنهم وإعفاء الأرض نهائياً من أية ضرائب أو رسوم(2). وبالمثل تم السماح للبرجوازيين في كنانيا وباتي وتشيفالو(3)، بممارسة الحقوق المختلطة في أراضي السيد مالكا، والتمتع بالحصانة من بعض الأعباء والعوائق الإقطاعية، وضمان الحرية الشخصية. كما تم الاتفاق في أولى تلك المدن على أن تكون محاكمة كل من اللاتين واليونانيين والمراسنة واليهود حسب قوانينهم وشرائعهم الخاصة بهم. وقد أشرنا من

على ترجمة وثيقة يونانية بتاريخ ١١٨٢، في كتاب سيانا، ص ٢٩٢، حيث *poiesat* ترجمت على أنها *poiesat* عمدة. وكلمة *poiesat* مناسبة من حيث الاشتقاق، ولكن لا علاقة لها بحاكم الجمهوريات الإيطالية حينما كان يسمى، وربما لا يشير إلا إلى *balzo* أي القاضي. الوثيقة المذكورة بتاريخ ١١٧٢ نقرأها لدى جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل الثاني، ملحوظة ٢٢.

(1) وثيقة بتاريخ ١١٦٨، مذكورة عليه، في كتاب سيانا، *Pergamene*، ص ١٢٨ و ١٢٩.

(2) ملاحظاً، الكتاب الرابع، الفصل السادس عشر.

(3) وثيقة لاتينية بتاريخ ١١٦٨، في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الرابع، ملحوظة ٢٩ ووثيقة لاتينية بتاريخ ١١٣٣، المرجع السابق، الكتاب الأول، الفصل الخامس، ملحوظة ٤، ووثيقة لاتينية بتاريخ ١١٤٥ في كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٨٠٠.

قبل إلى حصانات المستوطنات اللومباردية في راندايسو وسانتا لوتشيا<sup>(1)</sup>: فالحقوق والأعراف الطيبة التي كانت متبعة في كالتاجيرونى. والثى تشير إليها وثيقة ترجع لأريجو السادس، تعود كذلك إلى أيام الملك روجيرو<sup>(2)</sup>. وهناك ما يدعو إلى افتراض أن هذه وتلك قد ترجع إلى أزمنة أقدم. وعلاوة على ذلك، لما كانت الحاجة لمستوطنات مسيحية مطلباً عاماً، نستطيع أن نقول إن صقلية كلها تقريباً حصلت، في وقت قصير وبهدوء، على إعفاءات بلدية لا تختلف عن تلك التي انتزعها العديد من السكان الإيطاليين والأجانب بأيديهم، في الحقبة نفسها، من الإقطاعيين بجهود عنيدة ودموية. والآن علينا أن نشرح لماذا لم تظهر البلديات بشكل واضح قبل نهاية القرن الثانى عشر، في أوليات مدن الجزيرة، التي تمتعت رغم ذلك بإعفاءات شخصية وحقائقية على نطاق واسع منذ السنوات الأولى من السيطرة النورمانية<sup>(3)</sup>. ولا يجب أن نلقى باللائمة في هذا العيب على حالات عرضية دمرت كل بقية باقية من أوراقها أثناء تلك الكوارث التي تعاقبت على الوثائق الصقلية؛ ولكن الافتراض الأقرب إلى التصديق هو أنه ربما لم تكن لأى من تلك المدن مجالس بلدية مهمة في تلك الأزمنة الأولى. وإذا تركنا سيراكوزا وكثانياً جانباً، حيث كانتا خاضعتين لإقطاعيين، فإننا يمكن أن نتحدث فقط عن بالرمو ومسينا، اللتين ظلت إدارتهما أميرية وكانتا مهمتين منذ سبعة قرون، كما هما اليوم أيضاً.

وبالرمو التي كانت تتساوى أو ربما تتفوق في كثافة سكانها عن أى مدينة أخرى في إيطاليا، كانت تضم نحو عام ١١٥٠، ما يقرب من

(1) انظر الفصل الثامن، ص ٢٢٢، هامش ٥.

(2) وثيقة بتاريخ ١١٩٧، في كتاب أبريلى، *Cronologia universale della Sicilia*. ص ١٠٩. في ص ١١١ وثيقة مماثلة لفرينكو. بتاريخ ١٢١٠.

(3) حول امتيازات وأعراف بالرمو ومسينا، أرجع إلى أعمال لالومبا المذكورة ص ١٩٩، والصفحات التالية وإلى هاروتيج، المرجع المذكور. وقد تحدثنا منذ قليل عن امتيازات وأعراف كثانيا.

عشرة من «الجامعات»، كما كانت تسمى آنذاك: جامعات من المسلمين واليونانيين واليهود والومبارد والأماقيين، ومن جنوة وباري والمكان القداسي المسيحيين: وكان المسلمون وغيرهم من السكان موزعين، في الواقع، في أحياء مثل كاسارو والخالصة والحلقة وسكيافوني<sup>(1)</sup>: ولا يمكن أن نتخيل أية مشاركة في الحياة البلدية بين هؤلاء. وكان لابد أن ينفرد المسلمون، وأن تعمل اللغة والأعراف وأعمال العنف التي كان يمارسها الإقطاعيون ثم من بعدهم الألمان على تجميع المواطنين المسيحيين، أي أن يمر أكثر من قرن، لكي تتجمع تلك الغالبية من البرجوازيين، التي ساد تمثيلها على جميع الجماعات الصغرى وباتت تمثل مواطني العاصمة الذين كانوا يحمون هنريكو لوزيفو في صباه. من كان يذكر آنذاك الجماعة الإسلامية أو اليهودية، أو أعيان المجتمعات المسيحية الصغيرة، ومن كان يحتفظ بأرشيقاتها؟

وللهولة الأولى تبدو ظروف مسينا مختلفة، تلك المدينة المسيحية، ورأس الجسر. كما يمكن أن يقول أحد العسكريين، وهي المدينة التي اعتاد الغزاة التدفق منها على مسلمي الجزيرة. ولكن طبقاً لشهادة أمانو، التي أكدتها أحداث سابقة، كانت مسينا، عند أول هجوم قام به الثورمان. خالية تقريباً من السكان المعمدين<sup>(2)</sup>. ولم يند بالتأكد في إعادة إسكانها في فترة قصيرة تلك المئات القليلة من الرجال الذين كان يسمح لهم الكونت روجيرو بالعبور إليها من حين إلى آخر؛ ولا تلك الأسراب الأكبر عدداً التي جلبها روبرتو جويسكاردو إلى هناك على ثلاث دفعات. لقد تجمع فيها على ما

(1) تحدثت عن أحياء بالرمو في الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص ١٢٢ من المجلد وهي مواضيع أخرى مذكورة هنا. انظر أيضاً بخصوص «حلقة» الفصل الخامس، ص ١٤١. إن الحى الذي أطلق عليه في الوثائق اللاتينية اسم سر انقاضى *Serailcedi*، يقابل الحى المسمى بحى سكيافوني *Schiaroni* في القرن العاشر.

(2) انظر الفصل الأول، من هذا الكتاب، ص ٦١ و٦٢. وعدد السكان القليل يفسر ما قاله أنونيمو لدى كاروزو، *Bibl. Sic.* ص ٨٢٧. وهو أنه بعد الاستيلاء على المدينة قام روبرتو بتعطيلها كما يحلو له، حتى وإن كان ذلك الفعل لا يشير إلى نظام الدخاخ عن المدينة، بقدر ما يبنى حكمها.

بيدو، شيئاً فشيئاً، يونانيو صقلية وكلايريا، وسكان من أصل إيطالي من العديد من البلدان، إلي أن جاءت جحافل الحروب الصليبية والحروب البحرية التي خاضها النورمان وملأت الميناء بالسفن وسارعت بإعمار تلك الأرض(1). إن اختلاف أصول السكان الذين كانوا يقطنونها، كما يشهد بذلك كتاب القرن الثاني عشر(2)، أدى بالضرورة إلى تكوين العديد من الجماعات، وإلى تأخر تشكيل بلدية حقيقية كما حدث في بالرمو.

والافتراضات التي اضطرت إليها كثيراً تؤكد ندرة الوثائق والجهد القليل الذي بذل حتى الآن للعثور عليها. وهناك ما يدعو إلى الأمل في أن تقود حركة الدراسات التاريخية العامة الباحثين للتمعق في بحث تكوين البلديات الصقلية. ويعرب عن ذلك بحثاً إيزيدورو لالوميا وأوتوني هارتويج. فيتناول أحدهما تاريخ جوليلمو الصالح والآخر مقدمة للأعراف البلدية في صقلية، وقد لهما باقتدار علمي، هذا الموضوع الخطير، وإن جاء ذلك في معرض بحثيهما. ولن نتناول الإقطاع تناولاً مستفيضاً فقد وصف جريجوريو نظمه بإسهاب(3)، وبعض التفاصيل القليلة التي لم يمررها اهتماماً، أولاً الأستاذ ديبجو أورلاندو اهتمامه الجاد(4)، والخلاصة هي أن نظام الإقطاع الصقلي ولد مطيعاً ومعتدلاً حين تأسس للمرة الأولى مع نهاية القرن الحادي عشر على يد غاز يجيد فرض سلطته على أتباعه؛ وأن الأمير نقل إلى كل بارون، قدرأ متفاوتاً من حقوقه المقررة كما كان يراها، على الممتلكات والأشخاص؛ وأنه احتفظ لنفسه في معظم

(1) هذا ما ذكره هارتويج بحكمة كبيرة في: *Codex juris munic Sicilie*، ص ١١، وأرى أن أهمية المدينة كانت أكيدة جداً نحو منتصف القرن الثاني عشر؛ على أنها لم تكن كذلك في ١٠٦٠، كما يفترض السيد هارتويج فيما يبدو. ونسب عن الذكر أيضاً أنني اتفق معه اتفاقاً تاماً حول قيمة وثائق مسينا في القرن الثاني عشر.

(2) فالكاندو، لدى كاروزو، Bibl. Sic.، ص ٤٠١ و ٤٠٥ و ٤٠٨ و ٤٦٩ و ٤٧٧.

(3) *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الثاني والخامس والسادس.

(4) *Il Feudalismo in Sicilia*، بالرمو، ١٨١٧.

الأحيان بالقضاء الجنائي الأعلى، واستمسك بشدة بحقوقه الملكية. وكانت تحكم البارونات فيود مادية لا تقل شأنًا عن الحقوق المقررة؛ وتتمثل في الممتلكات الكثيرة التي كانت تعد أملاكاً أميرية، وهي العديد من الممتلكات الخاصة التي تركت للسكان القدامى والمسلمين، وربما تمثلت بعد ذلك بقليل في الحيازات الممنوحة للبلديات مع تحملها أعباء الخدمة البحرية، كما ظهرت في توزيع الإقطاعيات، منذ البداية توزيعاً حريصاً.

ومن الذكريات القليلة التي لدينا عن هذا الحدث الاجتماعي المهم، نستنتج أنه جرى في الأيام الأخيرة من الحرب، ففي حذق وتوفيق، تمكن الكونت من القضاء على الإقطاعيات الكبيرة التي وزعها روبرتو قبلًا<sup>(1)</sup>؛ وبدأ بعد ذلك بمنح أراضٍ صغيرة؛ وعندما مات شقيقه، وكان ابن شقيقه مرتبطاً به بالتزامات وآمال، وبعد سقوط آخر رايات الحكم الإسلامي في صقلية (١٠٩١)، حينئذ استدعى فرسانه وشكرهم، كما كتب مالاثيراً، وكافأهم على جهودهم، فمنح بعضهم أراضٍ وممتلكات واسعة والبعض الآخر مكافآت أخرى<sup>(2)</sup>. ويبدو أنه قد جرى في ذلك العام أكبر توزيع إقطاعي في صقلية. وجاءت قوائم فلاحى كنيسة كتانيا ببند يقضى بإلغاء أسماء من كانوا معجلين بقوائم البارونات في عام ألف وثلاثة وتسعين<sup>(3)</sup>، أى بعد عامين من الفترة التي ذكرها مالاثيراً؛ وهذان العامان لا يمدان في الحقيقة زمناً طويلاً، يفوق المطلوب لتحرير الوثائق مع تحديد الأراضي وسجلات التابعين.

إن القائمة القصيرة التي نكتظ بأسماء الإقطاعيين في نهاية القرن الحادى عشر، كافية لبیان الغاية السياسية التي كان يسعى إليها

(1) لا يمكن أن ننسب إلا لروبرتو قائد الجيش، المخطط الذي يتحدث عنه مالاثيراً بعد احتلال بالرمو، أى تقسيم نصف صقلية بين سرلوني وأريزجوتو دي بونسولي، أو نصف ما أعطى لروجيريو.

(2) الكتاب الرابع، الفصل الخامس عشر، في كتاب كارزو، Bibl. Sic. ص ٣٣٥.

(3) وثيقة عربية يونانية، لم يسبق نشرها، خاصة بكنيسة كتانيا بتاريخ ١٠٩٥.

الكونت روجيرو . ونحن نعلم أن رجلاً نبيلاً كان يتولى شئون هال دي ميلاتسو. وهي أرض شاسعة يُعتقد أنه قد تم التنازل عنها في عهد روبرتو؛ ونعلم أيضاً أن سان فيليبو دارجيرو وجيرانشي وكاسترونو هو وكاكامو وبروكاتو وكارينى وبارتينيكو. وهي أراضٍ صغيرة كانت في حيازة بعض النبلاء؛ كما أن أمراء من سليلي الأسرة أو أقارب لصيقين للعائلة المالكة كانوا يتولون حيازة سيراكوزا ونونو وراجوزا وبوتيرا وباتيرنو(1)، وشاكا. ومدن كبيرة(2). وكانت مدن وأراضٍ كثيرة في حيازة أساقفة أو أحيار؛ ومن المؤكد أن الإقطاعيات الكنسية وتلك الخاصة بالأمراء مجتمعة مع البلاد التابعة للأملاك الأميرية. كانت تحتل قاسماً من الجزيرة يتجاوز بكثير مجموع الإقطاعيات الأخرى كلها. ومن بعض الأسماء الطبوغرافية نستنتج أيضاً أن الكونت قد أعطى للقادة الصغار تلك الأراضي الصغرى من صقلية الشمالية. التي كانت محتلة حتى عام ألف وثمانين أو نحو ذلك التاريخ. وعلاوة على ذلك أعطاهم عدداً كبيراً من الضياع الصغرى المنتشرة في أنحاء الجزيرة كلها(3). وأنه قد احتفظ لأسرته. وللكناش وللاملاك الأميرية بالبلاد الأكثر اتساعاً وثراء التي تم الاستيلاء عليها في العشر سنوات الأخيرة. في المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية؛ ومن بينها كونتية بوتيرا. التي منحت للماركيز أريجو لأنه شقيق أديلابدي. وإن لم يتزوج الكونت الأميرة سليلا عاتلة الهرامى لأنها كانت شقيقة أريجو. وقلة أهمية الإقطاعيات الخاصة على النقيض من الإقطاعيات الأخرى تتوافق مع ذكريات مالاتيرأ

(1) جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الثاني. من ٢٠ و ٢١؛ وانظر وثيقة ١٠٩٤. في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*. من ٧٧١. ويلاحظ أن كونتية باتيرنو كانت قد منحت للماركيز أريجو تحت وصاية شقيقته أديلابدي.

(2) اقرأ الوثيقة. في كتاب فانزيلو. *Historia Sicula, Deca I*. الكتاب السادس. الفصل الخامس.

(3) هذا الحدث الأخير لاحظته جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الثاني. من ٢٢.

حول القوات الثابتة التي احتفظ بها الكونت والمكاهنات من الأملاك المنقولة؛ حيث كان من الواضح أن القائد الأعلى قد اضطر لأن يكافئ بالإقطاعيات، ليس بالطبع المرتزقة، ولكن القادة الذين اتبعوه في اتفاق قائم على المخاطرة، بأن يشاركون في اقتسام الغنائم والمكاسب الثابتة، كما وعدهم قبل قتال ميزيلميرى<sup>(1)</sup>، وقد خبر هو نفسه مع روبرتو مدى خطورة أولئك الفرسان البواسل، وجربا ذلك هما الاثنان في بوليا وكلايريا، طوال حياتهما.

وتقودني الامتيازات الممنوحة للكنائس لتناول ذلك العمل الكبير الذي تمثل في غرس آلة رجال الكنيسة الكاثوليكية في صقلية، لصالح الإمارة ومساندتها، ونحن نعلم، بكثير من التفاصيل<sup>(2)</sup>، مدى استعداد الكونت روجيرو لتقديم المصالح السياسية على المسائل الروحية وأنه هو وروبرتو وأسلافهما، اعتادوا على الريح أكثر من العساة حينما كانوا يتعاملون مع البابوات، وبعد أن عاش لنصف قرن في تلك المكانة الرفيعة في كلايريا أو في صقلية، واحتاج بعد ذلك لاستشارة الحكماء في البلاد بشأن دعم المسيحية في الجزيرة وتقويتها، لم يتمكن روجيرو من تجاهل المبادئ الكنسية القوية في القسطنطينية، التي كانت تسبب للأمير وضعاً قانونياً أعلى بالنسبة للكنيسة وتعطيه السلطة في إنشاء أسقفيات، وتعيين الأساقفة والمطارنة والبطاركة وتغييرهم وعزلهم<sup>(3)</sup>، وفي الوقت نفسه كان الخلاف على التصيب الذي كان يحدث في الغرب، يحذر روجيرو من الخطر الذي يتعرض له كل أمير داخل نطاق الكنيسة اللاتينية، وكانت أسرته نفسها قد تعرضت لتوها لعداوة الديبراندو. وعلى الرغم من ذلك فإنه من الواضح

*Utamur ea (praeda) dividentes Apostolico more, prout (1) cuique opus est*. هكذا، يقول مالاثيراً على لسانه، الكتاب الثاني، الفصل الثالث عشر، في كتاب كاروزو، Bibl. Sic.، ص ١٩٧.

(2) انظر الفصل السابع من هذا الكتاب، ص ١٨٨ و١٩٦.

(3) مورثوي، *Histoire du Droit byzantin*، المجلد الأول، ص ٢٩٧ والمجلد الثالث، ص ٥٨ و٥٩.



جداً أنه كان يلزم الحاجة لإعادة تأسيس كنيسة قوية في صقلية تحول المسلمين إلى المسيحية<sup>(1)</sup>، واليونانيين إلى العقيدة اللاتينية، وتضمن للمستوطنين في البر الإيطالي، والسكان مما وراء الألب والصقليين من السلالة الإيطالية القديمة ممارسة الشعائر الدينية الوطنية؛ وإلا فإن أي قلب من تقلبات الزمان بعد كفيلاً بأن يعيد الجزيرة في سهولة إلى سادة أفريقيا القدامى أو إلى سادة القسطنطينية. وقد تجنب روجيرو هذا الخطر وذلك، واتخذ جانب إقامة كنيسة كاثوليكية رسولية ورومانية، خاضعة لروما بأقل قدر ممكن وللأمير بأكثر ما يمكن. وقد نجح في هذا، لأن دعم الكنيسة وتقويتها كان يهم البابا بما لا يقل عن اهتمامه هو، ولكن هذا كان يتوقف عليه وحده لأنه كان يمسك بيده الأموال التي يجب إنفاقها في التشييد والتأثيث وكذلك بالدخول التي يجب منحها للكنائس والأديرة والأسقفيات. ويبدو أنه خاض التجربة أول الأمر بمجرد أن اقترب الدبرانكو من أسرة هوثيل: حيث نستخلص أن الكونت قد أقام في عام ١٠٨١ أسقفية تراينا واختار الأسقف، ولم ينتظر أي مبعوث بابوي أو يطلب تصريح من أي نوع من البابا، وأن البابا وعد وهو يتمغم، ولكن دون غضب، برسمامة الأسقف المختار<sup>(2)</sup>. وبعد موت جريجوريو السابع، ومجيئ أوريانو الثاني إلى تراينا وبعد أن تم الغزو، لم يتوان روجيرو في تأسيس الأسقفيات الأخرى: فرسم حدود الأسقفيات واختار الأساقفة، بموجب مراسيم يتحدث فيها كمن يمارس حقاً خاصاً به؛ ويذكر من واقع احترامه الخالص لواجب البنية تلك الاتفاقات التي تمت شفاهة مع البابا، وهو من رسم بعد ذلك

(1) الحدث الذي ذكرناه في الفصل السابع من هذا الكتاب، ص ١٨٨ و١٨٩، حتى إن سلمنا حدوثه، فإنه لا بد أن يقتصر على تحول المسلمين في الجيش، أو العبيد وليس هناك حاجة لإثبات فائدة اعتناق المسيحية من قبل عموم السكان المسلمين، وخاصة في المدن الكبرى. ومن المؤكد أن روجيرو كان يدرك ذلك.

(2) قارن الرسالة ٢١ من الكتاب التاسع، لجريجوريو السابع، بكلام مالانبراً وتوارنخ الوثائق المتعلقة بكنيسة تراينا، والتي أشار إليها بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٩٥. وانظر أيضاً ديكيارا *Opuscoli*، بالرمز، ١٨٥٥، ص ١٢٤ والصفحات التالية.

المختارين جميعهم(1). وباستثناء كبير أساقفة بالرمو، الذي كان موجودا قبل الغزو، وعلى الرغم من هذا يبدو أن أبرشيته قد حدها الكونت روجيرو، فإن المقار الأسقفية الأخرى كلها يعود تأسيسها له، وهكذا أسس: أبروشية تراينا ١٠٨١ التي انتقلت، كما ذكرنا، إلى مسينا في ١٠٩٦؛ وكثانيا في ١٠٩١، وسيراكوزا وجرچنتي ومازارا في ١٠٩٢ ومالطة في الوقت نفسه، كما يبدو، وقد أضيف لهذه كلها في ١٠٩٤ دير باتي، وأعطى لكبير الرهبان رتبة الأسقفية واختصاصاتها(2)؛ علاوة على أن الكونت، بتصريح من البابا وكما قال ذات مرة، أسوة بالبابا، قام بتحرير العديد من الأديرة من تبعيتها للأساقفة(3). وخرجت على ذلك الحق الذي بدأه روجيرو وسارت في اتجاه معاكس جزيرة ليباري، فبعد أن هجرها المسلمون وأسس فيها بعض الرهبان ديبرا وجمعوا عددا من المستوطنين، أعطى البابا أوربانو لكبير الرهبان الرئاسة الأسقفية، إذ كان يعتقد بأنه يمتلك تلك الجزيرة الصغيرة بموجب هبة كوستانتينو

(1)

*Proposui in Tragina construere episcopatum... tradidimus tibi gubernationem ejusdem episcopatus... Monasteria quoque habebis sub potestate.*

– *Urbanus secundus mihi, ore suo sanctissimo et venerando, praecepti, utpote pater spiritualis... ecclesias edificavi jussu summi Pontificis et Episcopos ibidem collocavi, ipso laudante et concedente et ipsos Episcopos consecrante.*

– *Ecclesias ordinavi... cui in Parochiam assigno quicquid infra fines subscriptos continetur. – Stephanus, cui in parochiam assigno.*

وكلمات أخرى متعلقة نقرأها في وثائق الكونت، لدى بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٢٨٢ و ٥٢٠ و ٦٩٥ و ٨٤٢. وأوربانو الثاني نفسه، في المرسوم البابوي الذي يقر به أسقف سيراكوزا، المرجع السابق، ص ٦١٨، يقول عن الكونت روجيرو: *Syracusanam itaque ecclesiam novissime restaurans... Pontificem Syracusanus elegit ecclesiae... a praedicto Rogerio concessa sunt infra hos terminos adjacentia, etc.* راجع في الوقت نفسه جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول.

الفصل السابع.

(2) انظر بيزو، *Sicilia Sacra*، في أخبار كل أسقفية من الأسقفيات.

(3) وثيقة ترجع لعام ١٠٩٠، لدى سان هيليو دي فراجالا؛ ١٠٩٢ لدى سانتا ماريا دي ميلبي؛ ١٠٩٣ لأديرة سان ميكللي أركانجيلو دي تراينا، وسانت أنجيلو دي بولو وسان بيتر وبارلو دي إيطاليا؛ ١٠٩٨ بالنسبة لدير سانتا ماريا دي فيكارى، إلخ لدى بيزو.

المرجع السابق ص ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢١ و ١٠١٦ و ١٠٢١ و ٢٩١، إلخ.

المنحولة(1). ولكن في هذه الحالة أيضاً استطاع روجيرو أن يبسط سلطانه على كبير الرهبان، فاهداء بائى وممتلكات أخرى غير قليلة(2)، حقاً إنه أنفق أموالاً طائلة ليشتري أوقاف الكنيسة البيزنطية، التي استخدمها، كما ذكرنا، في تأسيس الأسقفيات؛ بل إنه مضى إلى أبعد من تلك الغاية، واستطاع أيضاً أن يحصل لنفسه من البابا على سلطة الحرمان الكنسى في بعض الحالات(3). كان روجيرو يعيش وثقاً في كلمة البابا، الذي سمح له بكل شئ دون أن يكتب سطوراً واحداً، إلى أن قام أوربانو بسداجته، بهدم كل شئ، بأن عين مبعوثاً لديه. ولكنه لم يتقبل ذلك، وبعد انتصار كابوا، استعاد - بالقوة تقريباً - جزءاً من تلك الامتيازات، في المرسوم البابوى الشهير لعام ألف وثمانية وتسعين، عندما كان أوربانو يأمل من وراثته الكثير ويخشى منه القليل.

وينسب مؤرخ الكونت، الذي يروى ذلك العمل الشنيع بشكل واضح للغاية(4)، إلى فيض الرحمة المسيحية تأسيس الأسقفيات حين يقول: «بعد أن استولى روجيرو على صقلية بالكامل، باستثناء بوتيرا ونوتو، لم يرغب في أن يظهر بمظهر الجاحد لفضل الله: فبدأ في حياة التقوى وفي حب الأحكام العادلة، واحترام الحقوق، ومناصرة

(3) مرسوم بابوى بتاريخ ١٠٩١، في كتاب بيرو، المرجع السابق، ص ٩٥٢، مصرح في مبلتو ولكنه مكتوب على ما يبدو بالاتفاق مع روجيرو.

(2) وثيقة الكونت روجيرو، بتاريخ ١٠٩٤، المرجع السابق، ص ٧٧١ و ٧٧٢. وقد حصل كبير رهبان ليهبارى وبائى بعد ذلك على لقب أسقف في عام ١١٢١.

(3) في وثيقة روجيرو لصالح دير دي إيطاليا، المذكور أعلاه، نقرا أن من يمترض على التمليمات التي أصدرها لهذا الدير.

*auctoritate apostolica nobis tributa, sint ei esse debeant anathematizari. Jussu et praeceptu Domini Summi Pontificis Urbani et omnium successorum Patrum.*

وهذا صلاة على عقوبة الصرمان التي جرت العادة فرضها في الهيئات المندمجة إلى الكنائس، وهو ما نقراء في نهاية الوثيقة نفسها. أن من ينتهك الهبة *sit et esse debeat maledictus a consubstantiali, Trinitate ec.* في

كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٠٢٥.

(4) مالاثرأ، الكتاب الرابع، الفصل التاسع والعشرون، في كتاب كلروزو، Bb. Sic.، ص ٢١٧.

الحق، والتردد على الكنائس، والاشتراك في التراتيل والتسابيح، ودفع العشور لرجال الدين عن كل دخل يحصل عليه، ومواساة الأرمال، واليتامى والمكوبين. وقام بإصلاح دور العبادة في الجزيرة كلها؛ وفي العديد من الأماكن كان يعطي من ماله، حتى تبني بأسرع ما يمكن. وشيد في چرچنتى مقراً أسقفياً بتيجان بابوية؛ وبمستند خطي وهبها هبة أبدية أراضى، وعشوراً ودخولاً أخرى عديدة، تكفى لإعاشة الحبر الأكبر ورجال الكنيسة؛ وعلاوة على هذا أغدق عليه كثيراً، في زخرفته وتزويده بالآثاث الدينى؛ وعين لهذه الكنيسة شخصاً يدعى چيرلاندو ليكون أسقفاً عليها، وهو من أصل اللبروجى، يشتم كما يقال، بمحبة كبيرة وبالتعمق في العلوم الكنسية<sup>(1)</sup>. لقد كان إذن من ديلفيناتو أو من ساهويا، ذلك الأسقف، الذى لم يرغب مالاثيراً في التاكيد على فضائله، كما فعل بالنسبة للفرنسيين أمثال: ستيفانو دا روين الذى عين في مازارا، وروچيرو البروفيسالى في سيراكوزا، وبريتونى في كاتانيا يدعى انسجريو، كما يستخلص من الوثائق. وقد كان انسجريو هذا كبير رهبان سانت إوفيميا في كلابريا وعندما رفض التخلي عن الرهبان، ورفضوا هم، أيضاً، التخلي عنه، وجد روجيرو طريقة للتغلب عليه. وفي ذلك يستطرد مالاثيراً قائلاً: «منحه مدينة كاتانيا والمناطق التابعة لها منحة دائمة. وعندما وجد الكنيسة غير عامرة، ذلك لأنها انتزعت حديثاً من وسط شعب لا يؤمن بها، كان أول شئ فعله هو البدء في العمل، اقتداءً بما اهتمت به مارثا، حتى إنه في وقت قصير زود الكنيسة بما كانت تحتاج إليه؛ ثم بعد ذلك تابع عمله تارة حسب اهتمامات مارثا وتارة أخرى حسب اهتمامات مريم، فجمع قطعاً صغيراً من الرهبان، وبوصفه راعياً صالحاً، أخضعهم بالكلمة وبالقدوة، لقياد النظم الصارمة<sup>(2)</sup>». وفي الحقيقة بدأت الكنيسة الصقلية على نهج مرثا وليس على نهج

(1) مالاثيراً. الكتاب الرابع، الفصل السابع، المرجع السابق، ص 241.

(2) مالاثيراً، الموضع السابق.

مريم، فالعمل الحضارى أجدى من حياة التأمل؛ وكان هذا يتمثل فى الدعاية الكاثوليكية، وهى أداة ضرورية للحكم فى ظروف صقلية، المسلمة لأكثر من نصفها، والبيزنطية فى الباقي كله تقريباً؛ والدعوة لمستوطنين من البر الإيطالي؛ والعمل على التوازن مع الإقطاع العلماني. وعلى الرغم من أنه فى نهاية القرن الحادى عشر كانت الحقبة الأسقفية قد انتهت تقريباً فى إيطاليا الشمالية، إلا أنه يبدو أن ممارسة تلك السلطة قد أهدأت فى جذب مستوطنين إلى الإقطاعيات الكنسية بصقلية مع وعد بإعفاءات، كما لاحظنا عند حديثنا عن كتانيا وباتى. ولم تكن التجربة فاشلة، ويبرهن على ذلك منح تشيفالو للأسقف، وهو ما قام به الملك روجيرو فى عام ١١٤٥، مع إعطاء ميثاق حقيقى بامتيازات بلدية. ولكن أسقف كتانيا، وكبير رهبان باتى، ورئيس أساقفة مسينا والأساقفة الآخرون وكبار رهبان الأديرة المستقلة عن الرئاسة الأسقفية، بامتلاكهم لإقطاعيات تضمهم فى مستوى البارونات وتجعل البعض منهم فى مكانة كبار رجال المملكة<sup>(١)</sup>، ويتبعيتهم فى جوانب كثيرة للملك وليس للأرستقراطية العسكرية فى أى جانب منها، كانوا يزدون من قوة إمارة روجيرو. فعندما عزم على أن يمهّد لهم بمصالح على هذه الدرجة من الحيوية بالدولة، استدعى للمقار الأسقفية رجال ثقته، وأدخلهم فى مجالس الدولة<sup>(٢)</sup>؛ التى بقوا فيها زمناً، على مدى الفترة التى ظل فيها جوليلمو الثانى قاصراً. وتتوافق الأبرشيات السبع تقريباً مع التقسيمات السياسية التى نشأت بين المسلمين نحو منتصف القرن الحادى عشر<sup>(٣)</sup>؛ وتتساوى بالضبط من حيث العدد

(١) اختصاراً أرجع إلى جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الثانى، ملحوظة ١٢ و١٥، حول التنازلات الإقطاعية التى حصل عليها رؤساء الكهنة.  
(٢) جريجوريو، المرجع السابق، الكتاب الأول، الفصل السادس، ص ١٢٠.  
(٣) إن دويلات ابن منكوت، وابن حواش وابن مكلانى وجمهورية بالرمو، ودولة ابن النعنة، التى ظهرت فيما بعد، تقابل بالتقريب أبرشيات مازارا وجرجنتى وكلفيا وبالرمو وسيراكوزا، وقال ديمونى الذى احتوى على أبرشيات مسينا وباتى، وكان من ناحية أخرى

مع فارق ضئيل في حدودها، مع الأقاليم الحالية بالجزيرة: حيث زاد عدد الأساقفة الآن ثلاث مرات، زهاءً من جانب بعض البلديات وولاه مفرطاً من جانب بوربون نابولي، الذين سعوا لتأسيس ثمانية كراسي جديدة في ثمانية وعشرين عاماً<sup>(1)</sup>، ولكن بالعودة إلى القرن الحادي عشر، تجدر ملاحظة كيف أن أبرشية بالرمو كانت أصغر بكثير من أي أبرشية أخرى: كانت على شكل شبه منحرف من كورليوني إلى فيكاري، ومصب نهر تورنو وكابو دي جاللو. وهذا يمكن فهمه لأن بالرمو كانت خاضعة لدوق بوليا عندما أسس الكونت روجيرو الأبرشيات المجاورة في ترائنا ومازارا وچرچنتي<sup>(2)</sup>، وربما لم تكن تعتمد إلى ما هو أبعد من الحدود السياسية للمدينة قبل الفزو. وحول حدود الأراضي في الجزيرة ذكرنا في موضع آخر أنه تم في ظل الفاطميين تقسيم الجزيرة إلى أقاليم، وهي تبدو قطاعات عسكرية<sup>(3)</sup>. ولأن نجد الأقاليم من جديد تحت حكم النورمان. ولن نبحث عن الدليل في كتابات الإدريسي حيث يرد ذكر العديد من أقاليم صقلية؛ لأن جغرافي الملك روجيرو يستخدم ذلك اللفظ استخداماً عاماً؛ بل إنه نظراً، لعبه للعب بالألفاظ مثل أي كاتب

يشير بالسكان المسيحيين. انظر كتابنا الرابع، الفصل الثاني عشر والخامس عشر، ص ١٣١ و ٥٥٩ من المجلد الثاني.

(1) الستة الأوائل منها كانت بالرمو وميسينا وكاتانيا وسيراكوزا وچرچنتي ومازارا، التي ذكرت من قبل: ٧. أسقف باتي وليباري (١١٣١)، ٨. رئيس دير ميسينا، ٩. تشيفالو (١١٤٥)، ١٠. موريالي (١١٨٢)، ١١. ليهباري وحدها (١٢٩٩)، ١٢. نيقوسيا (١١٨٦)، ١٣. كاتاجيروني (١١٨٦)، ١٤. بيانسا (١١٨٧)، ١٥. نوئو (١١٨٤)، ١٦. تواباني (١١٨٤)، ١٧. كاتانيسبيتا (١١٨٤)، ١٨. أسقف حسب الطقس اليوناني في بالرمو: جون إحصاء أسقف مالطة (١٠٨٩). ولا السلطة الاستثنائية لكبير رهبان سانتا لونسيا، ولا مقر أنثروبيالي، الذي تقرر في عام ١٨٤٤ ولم يؤسس فيها بعد.

(2) بما أن أسقف بالرمو كان الأسقف الوحيد الذي بقي في صقلية قبل الفزو النورماني، فإن الكونت روجيرو ثبت الأبرشية على سبيل الاستثناء. وحده، بين عامي ١٠٨٢ و ١٠٩٣. الثلاث أبرشيات التي كانت تحيط بها. ولكن الوثيقة الأولى التي تتضمن قائمة أراضى أبرشية بالرمو تأخرت حتى عام ١١٢٢.

(3) الكتاب الرابع، الفصل الرابع، ص ٢٧٩ والصفحات التالية من المجلد الثاني.

عربي آخر هي عصره، كان يمتدح اتساع الأراضي وخصوبتها ويطلق في بعض الأحيان تسميتي عمل وإقليم على مكان بذاته(1). ولكن لفظ إقليم هذا يتردد بالتحديد في بعض وثائق القرن الثاني عشر، المأخوذة من سجلات المكاتب العامة، التي كانت ترجع إلى بدايات الحكم النورمانى(2)، وعلاوة على ذلك ينبغي أن نعرف أن تلك الحدود الأبرشية الأربعة التي حددها الكونت روجيرو التي نقرأ فيها أسماء الأماكن(3)، نجد أن هذه الأماكن قليلة جداً في عددها بالمقارنة بما يورده الإدريسي بعد نصف قرن، مع ملاحظة أنه يذكر المدن والأراضي الرئيسية ويترك وراء ظهره المدن الأقل أهمية(4). وتخبرنا الوثائق في الحقيقة بالعديد من القرى التي سكنت عنها الجغرافى؛ وهي بعض الأجزاء من البلد يتناسب العدد المستخلص من الوثائق مع العدد الذي يورده الإدريسي، كما تتناسب أعداد الإدريسي مع أعداد الدوائر الكنسية، ثم إن الفارق الذى نشأ بعد ذلك بين هذه والوصف الجغرافى المذكور لتوه، تولد في بعض الحالات عن تأسيس مستوطنات جديدة؛ ولكن من الواضح أنه ترتب في أغلب الأحيان

(1) الإدريسي، النص، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٢ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٤ و ٥٠ و ٥٢ و ٥٥. ويتحدث المؤلف نفسه عن الأقاليم في وصف بلدان أخرى، وعلى سبيل المثال في أفريقيا وفي أسبانيا، كما يمكن أن نرى في الترجمة الفرنسية للمهدين دوزي، ودى جوجيه، في المواضع المذكورة في قاموسهما تحت مادة «إقليم».

«المعمل»، يعنى حكومة، وكذلك بمعنى أرض يعهد بها للحاكم «عامل».

(2) هناك وثيقة عربية من كنيسة بالرمو، بتاريخ ١١٤٩، في كتاب جريجوريو، *De Suppletendis*، ص ٢١. تذكر إقليم چاتو. وهناك وثيقة يونانية، عربية، لم تشر، من دير موريالى، بتاريخ مايو ١١٥١، تذكر إقليم كورالوني وشاكرا، ووثيقة أخرى لم تشر أيضاً وهي يونانية عربية من كاتدرائية بالرمو، بتاريخ ١١٦٩، تذكر إقليم ترمينس.

(3) إنها أبرشيات بالرمو وسالازرا وسيراكوزا وكثانيا، في كتاب بېرو، *Sicilia Sacra*، ص ٨٢، ٨٤٢ و ٦١٨ و ٥٢٠. وبالنسبة لأبرشية چريچنى، المرجع السابق، ص ٦٩٥، لدينا فقط حدودها، وسنترك جانباً أبرشية تشيفالو لأنها تعود إلى القرن الثاني عشر. وأبرشية مينا، المرجع السابق، ص ٥٨٢، خشية أن يكون النص قد تعرض للتفهير، مثل العديد من الوثائق الأخرى في مينا.

(4) النص، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٧.

على أن ديوان الكونت كان يذكر في الأبرشيات الأماكن الرئيسية وحدها، بدلاً من ذكر الأراضي التي كانت تخضع لنطاق السلطة السياسية والعسكرية لكل منها، والتي كانت تتمثل في اعتقادي في الإقليم. وهكذا فإنه في أبرشية كتانيا الشاسعة، التي تم وصفها في ١٠٩١، ذكرت بها فقط أنشي، وباتيرنو، وأدرنو، وسانتا أناستازيا، وتشينتوري وكاستروجوواني، وكانت كل منها محددة «بكل ثوابعها»: ونرى أن ثوابع كاستروجوواني كانت تمتد من جانب حتى حدود ترائنا ومن الجانب الآخر حتى نهر سالسو(1)؛ ومن ثم كانت تتضمن كالتانيسيتيا وبيثرا برتسيا، اللتين لم نذكرهما هنا، ولكن الإدريسي ذكرهما، حسب طريقته الخاصة به وهي أنه كان ينسب لكل منها العديد من الأقاليم. وساعطى أيضاً مثلاً لذلك أبرشية بالرمو، التي تقتصر أول وثيقة تحدد دائرتها (١١٢٢) على ذكر بالرمو، مهبزليميري وكورليوني وفيكاري وترميني فقط(2)؛ ولكن طبقاً لما يقوله الإدريسي فإن ترابيا وتشيفالا وماريني وجودرانو، ومارجانا ومنزل يوسف وككامو وبروكاتو ورايا وبريتسي وبيثيرانا وأبراجا، كانت جميعها ذائعة الصيت في المنطقة نفسها. وهي أراضٍ سابقة، في معظمها للفنزو(3)؛ وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً من الإدريسي، تبين لنا الوثائق أربع قرى في إقليم كورليوني(4)، وبين بالرمو وترميني رأى ابن جبهر بلدة قصر سعد(5)، الجميلة، وتذكر الخرائط

(1) وثيقة بتاريخ ١٠٩١. في كتاب بيرو، المرجع السابق، ص ٥٢٠.

(2) مرسوم البابا كاليجستو الثاني، في كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٨٢.

(3) راجع الإدريسي مع هذه الأسماء، وانظر *Carte Comparée de la Sicile etc.* التي نشرتها في باريس، مع السيد دوهور في ١٨٥٩.

(4) وثيقة من دير موريالي، عربية لاتينية، بتاريخ ١٥ مايو ١١٨٢. وانظر الصيغة اللاتينية المعاصرة لدى جوديتشي، *Descrizione del real tempio ec. di Morreale*، الحاشية، ص ٨ والصفحات التالية. والوثيقة نفسها تضع ١٢ من القرى والمزارع في أراضٍ جاتو، التي كانت تنبع أبرشية مازارا ثم أبرشية موريالي.

(5) *Journal Asiatique* عدد يناير ١٨٤٦ ص ٧٢. وفي *Archivio Storico Italiano*.

حاشية رقم ١٦ (١٨١٧)، ص ٢٠.



عين ليل (1) ورجل الشمراني (2). وهكذا أيضاً في أبرشية مازارا، تضم وثيقة الكونت روجيرو عشرة أسماء (3) وتورد جغرافية الإبريسي ستة عشر. ونستنتج من الوثائق علاوة على ذلك أن أراضي مدينة مازارا كانت تحتل ما يقرب من المنطقة الحالية التي تحمل ذلك الاسم بالإضافة إلى نصف مساحة الكامو (4). ويبدو أيضاً وادي ميلاتسو مساحة كبيرة من الأرض ذلك الوادي الذي كان إقطاعية في حياة جوفريديو بوريللو في بداية الفزو (5). لقد رأى الكونت روجيرو إذن، أنه ما كان يوسعه أن يفعل سوى ذلك، بأقاليم المسلمين. وأسماءها «توابع» لمدن رئيسية (6)؛ وكانت هذه الأراضي، لامتدادها، تتفاوت بين العامورية والقطاع في التقسيم الحالي في إيطاليا. فقد كانت في بعض الأحيان بلداناً واسعة، لدرجة أن البعض منها، مثل أدرو، وباترنو أو سيراكوزا أصبح كونتية.

إذا كانت بعض الأقاليم في صقلية، كما هو الحال في بلدان مسلمة أخرى، تتجاوز الامتداد المعتاد. فإننا لا نرى في عهد الكونت روجيرو دوائر مدنية أو عسكرية كبيرة تشتمل على العديد منها حتى يمكننا أن نسميها مقاطعات. وإذا كان الإبريسي يقول إن شاكّا قد أصبحت المدينة الرئيسية (7) للأقاليم المحيطة.

(1) وثيقة عربية لم تشر من كاتدرائية بالرمو. بتاريخ ١١٦٩. وقد ذكرت في

(2) وثائق يونانية عربية بتاريخ ١١١٣ و ١١٧٢. في *Biblioteca Sacra per la Sicilia Tabulario della Cappella Palatina*. في بالرمو، ص ١٢ و ٢٨.

(3) وثيقة بتاريخ ١٠٩٣ في كتاب بيزو، المرجع المذكور، ص ٨٤٢.

(4) انظر الاستشهاد في كتابنا الرابع، المجلد الثاني، ص ٢٨٣. هامش ٢. وقد ظهرت اليوم الأسماء الرسمية. وأنا أسمى منطقة *circondario* ما أسميته في عام ١٨٥٨ *distretto* قطاع.

(5) جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الثاني، ص ٢٢ وملحوظة ١٤، التي يجب تصحيح استشهاد بيزو فيها إلى: ص ٧٧١.

(6) انظر هبتي ريجاليوتو وكتانها، ص ٣١٨، الهامش ١. وص ٣٢٢، الهامش ٢.

(7) كانت تقال حوضياً «أم، أي، والد»، النسخ في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٩ و ٤٠. يتحدث المؤلف عن التجارة الكبيرة التي كانت تجري في شاكّا وعن مجر كاتابلوتا، حيث لم يتبق سوى حامية القلعة.

بدلاً من كاثايبيلوتا التي انتقل سكانها تقريباً إلى تلك المدينة المطلة على البحر، فإن هذا يبدو أمراً اقتصادياً وليس إدارياً؛ ويرجع على أية حال إلى منتصف القرن الثاني عشر. ويبدو لي أن الاستثناء الوحيد هو فال ديموني، الذي ذكره باسم إقليم كاتيان مسيحيان معاصران للفزوف<sup>(1)</sup>، وعلى هذا النحو ذكر كذلك في جغرافية الإدريسي<sup>(2)</sup>، وفي العديد من الوثائق التي تنتمي لنهاية القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن الثاني عشر<sup>(3)</sup>؛ وإن كنا لانعرف ما إذا كان ذلك الاسم القديم يقابل قطاعاً إدارياً حقيقياً في نهاية القرن الحادي عشر. وأنا لا اعتقد هذا، لأنه لم يتبق في مذكرات الغازي أثر لسلطة إقليمية أخرى سوى سلطة الأساقفة؛ ولأن قيام أي نظام إقليمي أمر غير واقعي في بداية ذلك التطبيق الإقطاعي، حيث من المفترض أن يكون الحكام الإقليميون هم الكونتات؛ ولأن الأقاليم ما كان من الممكن أن تختلف، من حيث العدد أو الحدود، عن

(1) أماتو ومالاتيرا، المذكوران في الفصل الثاني من هذا الكتاب الخامس، ص ٧٨ و ٨٥.  
(2) المرجع المذكور ص ٢٢. وهنا يقال إن كارونيا كانت بداية إقليم ديموني. وبالتالي فإن الأمر لا يتعلق بأراضي مدينة، كما هو الحال في الأماكن التي ذكرناها سلفاً، ص ٣٠٧، هامش ٢.

(3) هي مذكورة في كتابنا الثاني، الفصل الثاني عشر، ص ٥٢٤ و ٥٢٥ من المجلد الأول، الذي خرج إلى النور في عام ١٨٥٤. ولدنا الآن النصوص اليونانية التي نشرها سباتا، Prigamene، ص ١٦٢ إلى ٢١٤، التي يسمي فيها دهرى سان فيليبو وسان باربارو، *ἡ ἐκκλησία τοῦ ἁγίου Πνεύματος* وهي أغلب الأحيان *ἐκκλησία τοῦ ἁγίου Πνεύματος* وسمرة واحدة (ص ٢٧٤) *ἐκκλησία τοῦ ἁγίου Πνεύματος* وأرض الـ *demoni* هؤلاء، قبل غيرها وثيقة بتاريخ ١١٠١ (ص ١٩١) *ἐκκλησία*؛ وهي وثيقة بتاريخ ١١١٧ (ص ٢١٤) *ἐκκλησία* (المقابل لإقليم هي وثيقة يونانية بتاريخ ١١٤١ لدى سباتا، *Cimelio diplomatico di Morreale*، ص ٦٠ الذي احتفظ بنسخة من نصه العربي) وأخيراً، هي وثائق عامي ١١٨٢ و ١١٩٢ (ص ٢٩٢ و ٢٠٥) نصيح *Bellio*، وهي ترجمة حرفية لنص *Bellio* الذي كان سائداً من قبل في اللاتينية العامة في البلاد.

وبالملاحظة أن جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل الثاني، لم يستطع أن يحدد بشكل مؤكد في أي زمن أصبح لفظ *vallis* تسمية إدارية، ومن ناحية أخرى، لا يستقيم أي من الاستشهادات التي ذكرها هو في العاشية ٢٤ من ذلك الفصل؛ والاستشهادات القائمة على ما كتبه يهيو مثيلة القيمة حينما تعتمد على ترجمات من اليونانية.

الدويلات المسلمة التي قضى عليها . ولذلك أرى أنه يرجع إلى عهد الملك روجيرو التقسيم إلى ثلاثة أودية أو بالأحرى إعادة ذلك النظام، الذي يمكن أن ننسبه للمسلمين كما قلت من قبل(1). وليس من الواقع هي شيء أن نفترض وجود نظام الأقاليم تحت حكم روجيرو الأول، حيث يتضح من الوثائق والوثائق أنه لم تكن له أبداً عاصمة بمعنى الكلمة. فقد صنع هذا المفامر المسكين لنفسه عشا في ميليتو التي كان يمتلكها وحدها فقط؛ وبعد أن اتسعت آماله في صقلية، اغتصب عشا آخر في تراينا؛ ولكن بعد أن أصبح أميراً وذا سطوة ظل ينقل بين ميليتو وتراينا ما يمكن أن نسميه إقامته، أي تلك الأسابيع القليلة، التي كان يتوقف خلالها في بيته، وهو يجري من عملية لأخرى. بين ليليبو وجريلانو. وأراد أن يدهن في ميليتو(2). وأمر بضم رفات ابنه جوردانو بمدفن في تراينا(3)؛ وهنا كان يحتفظ بكهزه، وبأسرته لبعض الوقت، حيث نستخلص أن إحدى بناته، عندما كانت ماضية لتتزوج في المجر، دخلت إلى السفينة في ترميني ثم في بالرمو، حيث نشرت السفينة أشرعتها إلى دالماتسيا(4).

(1) انظر كتابنا الثاني. الفصل الثاني عشر. ص ٥٢٠ والمصفحات التالية من المجلد الأول. يذكر مالاكيرا. الكتاب الثاني. الفصل العاشر. في كتاب كاروزو. Bib. Sic. ص ٢٠٨. «إقليم» نوتو، أثناء حرب الكونت وبسطة خاصة نحو عام ١١٧٦. ولكن علاوة على أن هذا لا يعني ضعفاً أن الكونت، بعد سيادته للجزيرة، قد احتفظ بذلك الإقليم. فإن الرواية تحملنا بالأحرى على الاعتقاد بأن الأمر كان مشتملاً بأرض المدينة. أو ربما الدائرة أو الإقليم. انظر الفصل السادس من كتابنا هذا، ص ١٥٦. من المجلد، حيث ذكرنا قال دي نوتو للإشارة إلى المكان، وليس لكي ننسب للقرن العاشر هذه التسمية الخاصة بالجغرافيا السياسية.

(2) *Anonymi historia sicula*. في كتاب كاروزو. Bib. Sic. ص ٨٥٦.

(3) مالاكيرا، الكتاب الرابع. الفصل الثامن عشر.

(4) مالاكيرا، الكتاب الرابع. الفصل الخامس والعشرون. يذكر النص أنه في عام ١٠٢٦ كانت الأميرة، في صعيبة أسقف وكثيرين غيره من رجال البلاط، وفي حراسة ٣٠٠ ضارب بالرمح. وذهبت إلى ترميني؛ وأنها واصلت الرحلة عن طريق البحر: *usque Pannoniam* وبالتالي، وبعد تجهيز السفن وفرد الأشرعة للرياح، وصلت بمد رحلة سعيدة، إلى ميناء ألبا. (Alba maris, Blandona, Biograd, Zara vecchia) الذي يتبع ملك المجر.

وقد جاء الأصل الثلاثي لسكان صقلية بثلاث تسميات لرجال إدارته الذين كانوا يديرون الأراضي الأميرية باسم الأمير والإقطاعية باسم البارون؛ يقيمون فيها العدل ويحصلون منها على الدخل. وتتردد في الحقيقة في العديد من محركات ذلك الوقت أسماء مثل استراتيجي وهسكوميتي وتذكر وثيقتان عربيتان ترجعان لعامي ١١٤٩ و١١٥٤ اللقب المزدوج عامل واستراتيجي چانو لأبي الطبيب، الذي كان يحدد مع الشيوخ المسيحيين والمسلمين في بارتينيكو، ونداء ر.د. وديزيزا وچانو نفسها، موقع وحدود أرض ممنوحة من الأملاك الأميرية(1). وبالمثل، في عقد يوناني مسجل في عام ١١٥٦، ويخص

ولا شك في أن "usque Pannoniam" خطأ يجب أن يصحح إلى "usque Panormum". كما نشر في صحيفة بدلية كتبها كاروزو، ص ٢١٤ (موراثوري، المجلد الخامس، ٥٩٩). ويمكننا أن نتعرف إلى حد ما على الطريق الذي سار فيه الموكب حتى ترميني، وأن نستخلص إلى أنه تحرك من ترائينا، والوثائق التي تذكرها هنا ص ٢٢٥، هامش ٥، تبين لنا أنه في عام ١٠٩٤ كان هناك «طريق ملكي» يمر عبر ترائينا؛ وأنه في عام ١٠٩٦ كان هناك «طريق فرنسي» يبدأ من منبع نهر توروتو، أو من ضواحي فيكاري، وينتهي ناحية الشرق، أي نحو ترائينا؛ وأنه في عام ١١٢٢ كان هناك طريق بحري من بالرمو إلى فيكاري وكاسترونوفو وبتراليا. ولا شك في أن موكب العروس سار في ذلك الطريق العسكري، ثم لماذا ذهب إلى ترميني بدلاً من بالرمو. هذا ما يمكن استخلاصه جيداً، دون افتراض أن طريق ١١٢٢ لم يكن مقترحاً عام ١٠٩٧. فقد كانت بالرمو كلها تابعة لدوقات بوليا حتى عام ١٠٩١؛ عندما تم التنازل عن نصفها لتكونت روجيرو. ومن المعلوم، إن لم نقل أنه كان ضرورياً، أن تحظر اتفاقات التنازل، بين أقارب مرتبطين على هذا النحو، وليس دون سبب، دخول قوات حربية جديدة لهذا الطرف أو ذاك في الأرض المشتركة؛ وقد كانت القوة المؤلفة من ٣٠٠ معارب، أو ما يقرب من ١٠٠٠ فارس فوجاً لها ثقلها الكبير، وبالتالي يبدو أن الحراسة المرافقة قد تركت الأمهرة على حدود الأرض الطامسة بالكونت، وهي ترميني، وأنها ذهبت في صحبة كبار البلاط عن طريق البحر إلى ميناء بالرمو الكبير، حيث استند الأسطول الصغير الذي حملها بعد ذلك في البحر الأدرياتيكي.

(2) وثيقتان عربيتان من كاتدرائية بالرمو، وقد ذكر جريجوريو أولهما ونشر الثانية، De Supputandis، ص ٢٤ و٢٩ ومن بين الأخطاء الأخرى التي أخطأ فيها جريجوريو هو أنه اعتقد أن النقل الصوتي لكلمة Stratego إلى العربية من أسماء الأعلام. وهي شئ من التوقيف أعاد الأستاذ كاروزو طباعه إحدى الوثيقتين ونشر الأخرى في Biblioteca Sacra، المجلد الثاني، بالرمو، ١٨٢٤، ص ٤٦ والصفحات التالية ٥٥ والصفحات التالية. وقد حصلت على نسختين جديتين عن الأصل، هدية من الأستاذ

إحدى بلديات إقليم بالرمو الحالي، يأتي ذكر قائد يُدعى حسين، بلقب إستراتيجي(1). وقد بدا لجريجوريو أنه من المحتمل، إن لم يكن مؤكداً، أن الاستراتيجيين كان لهم نفوذ أكبر وسلطة محلية أوسع وأكبر من سلطة الفسكوميتي وأن الفريق الأول كان من القضاة في الأمور الجنائية أما الثاني ففي الأمور المدنية والإدارية(2). ولكن وثائق جديدة وتلك الوثائق نفسها التي خرجت إلى النور حتى القرن الماضي، تبين الاختصاص المدني والإداري الذي كان للاستراتيجيين(3). وإذا رأينا في الوقت نفسه وفي المكان نفسه

كوزا. وفي نهاية الوثيقة الأولى. وفي موضع *era barbara* التي اعترضها جريجوريو ونقلها عنه كاروزو. نفراً: «بتاريخ مارس». وأبو الطيب هذا، ابن الشيخ ستيغافو، كما تقول الوثائق، يبدو أنه من عائلة مسلمة اعتنقت المسيحية أو ربما كانت من تلك العائلات الأصلية في البلاد وعادت إلى المسيحية. بعد أن اعتنقت الإسلام. ويبدو لي مطابقاً لإوجينيو الملقب بالبللو (Teo) وهي ترجمة حرفية لأبي الطيب) أمين سر البلاط، طبقاً لوثيقة ترجع لعام 1182. في كتاب سيانا، *Pergomene*. من 292: وهو الشخص نفسه الذي ورد في الترجمة اللاتينية لوثيقة يونانية، في كتاب جريجوريو، *De Supputandis*. من 51 والصفحات التالية وفي كتاب سيانا. المرجع المذكور من 152 والصفحات التالية. حيث سمي إوجينيو دي كلس. ولفظ *Biccarri* في من 27 عند جريجوريو *Biccarib*. من 151 عند سيانا، يجب أن يصحح إلى *Bittaiib*. الذي هو اسم أبي الطيب. الذي تعلق بالمعامية ووضع في حالة جر. وقد كتبت الأحرف ن. هـ. ر. د كما أراها في النسخ. وأعتقد أنها اسم طهوغرافي. وليس لقب عائلة كما بدا لجريجوريو وكاروزو. ولكنني لا أجد تأكيداً لذلك في الأسماء الطبوغرافية في تلك النواحي التي نعرف الكثير منها. وشكل الأحرف، بعد تفسير النقاط، تعطينا أفكار في بيلاري وهو المكان الذي نراه في كتابي *Carie Comparée de la Sicile*. من 29. (1) في كتاب سيانا، *Pergomene*. من 121. اسم البلدية غير موجود؛ ولكن الوثيقة كانت تسمى أسقفية تشيفالو.

(2) *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الثالث.

(3) جريجوريو نفسه، بعد أن أكد في الكتاب الأول، الاختصاص الجنائي البحت، نشر في الكتاب الثاني، الفصل الثاني، ملحوظة 22. ترجمة وثيقة يونانية بتاريخ 1172، ينسج منها أن إستراتيجي مسينا في ذلك العام نفسه وفي زمن كبير الأساقفة روبرتو (1090 - 1108) كان يمارس اختصاصاً معيناً. انظر من ناحية أخرى حول اختصاصه، هارثويج، *Codex juris municipalis Siciliæ*. الجزء الأول. من 22 والصفحات التالية. وعلاوة على ذلك كان إستراتيجي ديميتا يمارس الاختصاص المدني، حسبما ورد في وثيقة

الاستراتيجي والفسكوميثي، كما هو الحال في ستيلا في كلابريا وهي سيراكوزا<sup>(1)</sup>، فإن هذا لا يبرهن بشكل قاطع على اختلاف درجتها؛ ولكن السلطة المزدوجة تتلام جهداً مع الأرض التي يسكنها شعبان مختلفان، تماماً كما كان يجلس القاضي المسلم ورجل القضاء المسيحي في بالرمو، وهي جاتو كان الرجل الذي يشغل المنصب نفسه يسمى عاملاً واستراتيجياً. وقد كان أساس القانون العام في صقلية في تلك الفترة، أي أن تحكم كل فئة طبقاً لشرعتها، يتطلب أن يكون لكل فئة قاضيتها؛ وقد كانت البساطة الأولية والاقتصاد في الإدارة يقضيان بأن يكون القاضي مكلفاً بكل عمل آخر من أعمال الأمير أو البارون. وقد ظل الاستراتيجي، وهو حاكم إقليم في القرن التاسع، في اعتقادي، السلطة السياسية الأعلى، وعندما سقط الحكم البيزنطي فإن كل مدينة مستقلة، سواء كانت دافعة للجزية أو حتى خاضعة للمسلمين، أخذت تدبر شئونها بنفسها بشكل أو بآخر. ولم يكن هذا في صقلية فحسب، ولكنه كان بالضرورة كذلك في العديد من الأماكن في كلابريا، وكان من الطبيعي إذن أن يترك الكونت النورمانى اللقب نفسه للحاكم الذي كان يرسله إلى المدن اليونانية وأن يسمى حاكم المستوطنات الجديدة فسكوميثي، كما اعتادوا أن يسموه في بلادهم<sup>(2)</sup>. وللسبب نفسه نرى العامل في الأراضي المسلمة؛ إلا أنه كان مجرداً من السلطة

يونانية ترجع لعام ١١٢٦، في كتاب سيانا، Pergamene، ص ٢٦٥؛ وهكذا أيضاً استراتيجي شنتوري. طبعاً لوثيفة ترجع لعام ١١٨٢، المرجع السابق، ص ٢٩٢. وكان الاستراتيجيون يعملون بسنهم وكلاء للأملات الأميرية في جاتيني Giannini (هكذا يجب أن تقرأ، وليس Catinae، وبالتالي يفتني امثرائجي كتابها الذي اعترض جريجوريو وجوده، Considerazioni، الكتاب الأول، الفصل الثالث، ملحوظة ٦). طبعاً لوثيفة لاثنية ترجع لعام ١١٢٢، في كتاب بيرز، Sicilia Sacra، ص ١٧٦؛ وكذلك في سيراكوزا طبعاً لوثيفة يونانية - لاثنية ترجع لعام ١١٢٢، في كتاب سيانا، Pergamene، ص ١١٢ و ١١١.

(1) جريجوريو، المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل الثالث، العاشية ٢٠. وثيقة عام ١١٢٢، المذكورة عاليه، ورد أيضاً ذكر فسكوميثي سيراكوزا، علاوة على الاستراتيجي. (2) وعن الفسكوميثي في إيطاليا، انظر هيجل، Storia de Municipi italiani، النسخة الإيطالية، ص ١٢٨ و ١١١ و ١٧٢.

القضائية، حيث كانت من اختصاص «القاضي» و«الحاكم» (1). وكما كانت تقضى حضارتهم الأعلى شأنًا، كان للمسلمين، علاوة على رجال القضاء المخصصين، قوانين أيضاً، وهي إن لم تكن جيدة، فقد كانت على الأقل ثابتة ومنسقة من خلال قضاء رفيع المستوى؛ في حين كانت القوانين البشرية، والقانون الروماني، تظهر هنا وهناك في أعراف المدن المسيحية، وتأخذ بعض المستحدثات البيزنطية وتكافح ضد عادات اللونجويارد والفرنجة البربرية (2). وبحكم العادة السائدة في التشريعات الأوربية احتفظ الأمير لنفسه بالدعوى في القضايا المدنية، وجعل البت فيها للأشراف الذين يوكلهم بها مرة بعد مرة. كما احتفظ لنفسه علاوة على ذلك بأحكام الإعدام في معظم الإقطاعات (3).

(1) ابن جبير في *Journal Asiatique*، يناير ١٨٤٦، ص ٨٠. وفي *Archivio Storico Italiano*، حاشية رقم ١٦، ص ٢٢، يتحدث عن قاضي بالرمو الذي كان يحكم في الخلافات بين المسلمين، تحت حكم جوليئمو الثاني. ويظهر اسم الوظيفة في وثيقة يونانية، بتاريخ ١١١٢، في كتاب مورسو، *Palermo antico*، ص ٢٠٦؛ وورد ذكر القضاء بعد ذلك في المحفوظات التالية: ١١٢٢، وثيقة يونانية، في كتاب سجاتا، *Pergamene*، ص ١١٠ و ١١٢٧، ووثيقة عربية لم تتشر من كنيسة القصر في بالرمو؛ ١١٦١، وعربية لم تتشر من *Commenda della Magione* في بالرمو، واليوم في الأرضيف الملكي؛ ١٢٠٢ ووثيقة لاتينية، في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل السابع، ملحوظة ٧.

ويلاحظ أن الأولى والأخيرة تهنان وظائف القاضي وتبين الاثنان الآخرين ما نسميه نحن بالثالث العام، لحماية النساء والضعف. وهناك عقود بيع كثيرة أبرمت، كما هو واجب أمام شهود، ودون تدخل (القاضي)، ويرد ذكر (قاضي) لوتشيرا بعد نقل مسلمين صقلية إلى بر إيطاليا، في وثيقة للإمبراطور فريديكو، بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٢٢٩، في طبعة كاركاني، ص ٢٠، وفي *Historia diplomatica Friderici II*، المجلد الخامس، ص ٦٢٧ - ٦٢٨.

واين جيبير، المرجع السابق، ص ٨٧، وفي الترجمة الإيطالية، ص ٢٥، يتحدث عن «حاكم» تراباني الذي ثبت في حضوره استطلاع ظهور الهلال لتعبد أيام صوم رمضان شرعاً. ومن الواضح أن لقب «حاكم» الذي لقب به أول رجل من رجال الحكم في مالطة يرجع إلى أهل المسلمين، مبروراً بالتورمان.

(2) جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الثالث: مازوچج، *Codex juris municipalis Sicilie*، الجزء الأول.

(3) جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الخامس والسادس.

وسنتحدث الآن عن الدخول العامة في العهود النورمانية الأولى؛ وفي هذا البحث يجدر بنا أن نستخدم بمزيد من العذر، وفيما يشبه الارتياح، مذكرات النصف الأخير من القرن الثاني عشر؛ حيث كانت الأمور في مجال الإدارة، أكثر تفهراً من تلك التي جرى سردها حتى الآن، مثال ذلك الظروف الاجتماعية أو نظام البلديات، ومع عدم احتمال وجود أصول أعرق، أراحنا أحياناً في أن ننسب لبدائيات الأسرة تلك الأنظمة التي أمكن استخلاصها مع نهاياتها. ولنبدأ في بحث الأمور التي كان لها أثر كبير في تاريخ إيطاليا الجنوبية، لأن الكونت روجيرو في الخمس والعشرين سنة الأخيرة من القرن العادي عشر، كان قد بلغ قوة كبيرة بفضل الذهب، وكذلك بفضل الحديد. ولم يكن من الممكن أن تأتي تلك الثروة التي جعلته مشهوراً في كل البلاد المسيحية من الفتيمة وحدها؛ ولا من ثمار الأملاك الأميرية التي كانت تقل بالضرورة بين معارك الحروب والقتال الاجتماعية. ومع ذلك فإننا نرى الكونت يدفع آنذاك رواتب لفرق كبيرة من الجيوش المرابطة، ويقدم دويلة ملكية لبناتنه الكثيرات. ويقدم المساعدات للبابوات وما هو أخطر من ذلك، أنه كان يساعد بالأموال شقيقه في عملية اليونان؛ ثم يشيد كنائس وأديرة في كل مكان. من أين كانت تأتي هذه الأموال؟ لعل البعض يقول إن الكونت قد تعلم الكيمياء من العرب، أو اكتشف بنفسه السر العظيم؛ وهو ذلك السر نفسه الذي تضاعف به دخل مدينة بالرمو، بمجرد أن وضع يديه عليها.

ويبدو أن تلك الإدارة الحكيمة التي كانت أساس ذلك السر العظيم، كانت تركة من عهود المسلمين، أحسن المنتصر استخدامها. وبما أن لدينا تحت أعيننا أطلال ذلك البناء القديم، فإننا نستطيع إلى حد ما أن نعبد تركيبه. وفي البداية نلمح حصراً عاماً للأملاك الأميرية والإقطاعية. وقد كانت هذه وتلك في الأصل الشئ نفسه، أي كانت أملاك الدولة. وكان يتم منح بعضها على شكل إقطاعيات، بينما ظل البعض الآخر تابعاً لخزانة الدولة التي كانت تعهد مرة أخرى بأجزاء



منها لآخرين أو تحتفظ بها . وتبرهن على ذلك الحصر، قوائم الفلاحين المنتمين لكل إقطاعي في الجزيرة، التي صدر الأمر بها في مازارا، كما لاحظنا في ١٠٩٣، أي بعد إتمام الفزو بعامين(2)؛ لأن التنازل عن الفلاحين كان يتسق مع مساحة الأرض المخصصة لكل منهم، والتي كان يقال لها «ربيع» في الوثائق العربية ومزارعة *cultura* في اللاتينية(3). وفي القرن الحادي عشر كانت هناك آثار لتحديد سابق للأراضي؛ حيث إننا نعرف أنه تم منح قرية ريجالبوتو في ١٠٩٠ لكنيسة مسينا

(2) راجع الفصل السابق ص ٢١٥، هامش ٢. في نهاية قائمة أنثى، المذكورة هنا، والمحذرة في مسينا عام ٦٦٠٢ (١٠٩٥) يقال إن كل قوائم بلد الكونت وقوائم العامين بأراضيه، كانت قد كتبت في مازارا في ٦٦٠١؛ وبالتالي فقد صدر الأمر بأنه إذا كان أحد المهاجرين المذكورين في هذا البيان كان موجوداً في أي من القوائم الأخرى، فعلى أسقف كاتانيا أن يهده على الفور لمن له الحق فيه . والشئ نفسه نلمحه في مقدمة قائمة عربية - يونانية ورد بها هلاحو كاتانيا، وقد حورت بتاريخ ١١١١.

(2) لفظ «ربيع» وجمعه «رباع»، كان محل دراسة السيد ساسي وترجمه، على أساس أسانيد جيدة بكلمة «دار»، في *Relation de l'Egypte par Abdallatif*، ص ٢٠٢-٢٠٣. بالهامش، ولكنه يبدو في هذا المعنى لفظاً خاصاً بمصر، ومعنى «ضبعة»، الذي يحمله بوضوح هذا اللفظ في وثائق صقلية وجغرافية الإدريسي، يوجد أيضاً عند الأروقي. تاريخ مكنة. ومن المحتمل أن يكون قد أخذ من كتابات صدر الإسلام، ودون أن نذكر كل الوثائق العربية الصقلية التي يتروى فيها هذا اللفظ، فإنني سأذكر وثقتي عامي ١١١٩ و١١٥١، وثولاهما في كتاب جريجوريو، *De Supputandis*، ص ٢١، والأخرى في *la Biblioteca Sacra per la Sicilia*، المجلد الثاني، ص ١٦. وفي الترجمات الرسمية في صقلية في القرن الثاني عشر، كان «ربيع» يترجم إلى اللاتينية بـ *laboratoriae cultura, terrae*، في الجمع، وأحياناً إلى *terraz* فقط (وليفة عام ١١٨٢، نص عربي غير منشور؛ وبالترجمة اللاتينية التي نشرها دل جيوفيتشي، *Descrizione del real tempio*، في إحدى الحواشي، التي وردت بها الأماكن التي أذكرها في ص ١٠ و١٢ و١٨) وفي أماكن أخرى ورد باليونانية *καλλιέργεια* ويبدو أنه استبدال للفظ «ربيع» جزء من أربعة أجزاء المشتق من الأصل نفس (وليفة بتاريخ ١١٧٢، يونانية - عربية، في محفوظات كنيسة القصر بباليرمو، ص ٢٩ و٣٠). ولفظ زرع أو زراعة *cultura*، الذي تعدده عبارة *ad duo paria bovium*، نقرأه أيضاً في وثيقة لاتينية ترجع لعام ١٠٩١، في كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٥٦١، ويقابل بلا شك «الربيع» الذي كما لاحظنا من الوثائق المذكورة بتاريخ ١١١٩ و١١٤١، أنه كان يقاس بقدر زوج، أي زوج من الثيران، *pericla*. كما كانوا يكتبون باللاتينية في العصور الوسطى؛ ذلك المقاس ذاته الخاص بالمساحة الذي سبق أن تناولناه في الكتاب الأول، الفصل السادس والكتاب الرابع، الفصل الثامن، ص ٢٢٥، المجلد الأول و٢٦٠ من الثاني.

«بكل مناطقها الفلاحية وتوابعها حسب حدود السراسنة القديمة» (1). وهناك أخبار أكثر دقة تقدمها لنا عن هذا التحديد أوراق القرن الثاني عشر. نلمح منها أن ذلك الحصر، إن لم يكن يمثل، مثلما يحدث في أيامنا هذه، غابة من السطور والأعمدة الصغيرة المنتهية بدخل كل ضيعة بالليرات والسنتات. وهي وإن كانت أرقاماً تقريبية وقد يقال عنها أحياناً أرقام بمعدة عن الواقع، فإنه كان يشتمل حقاً على الوصف الإجمالي للحدود المعروفة للجميع في كل مزرعة، ومساحتها وعدد فلاحها وأسمائهم، ونوعية التربة (2) بشكل عام.

وتعرفنا الأوراق ذاتها باسم المكتب الذي كان يحفظ هذا الحصر! وكان اسمه باللغة العربية، «ديوان التحقيق المعمور»: أي «مكتب تحقيق الخزانة». هذا إن لم يخدمنا التشابه مع أنظمة الإدارة العامة، التي وضعها في مصر أولئك الخلفاء الفاطميون أنفسهم الذين كانوا مشرعين للإدارة في صقلية (3): وقد كان ذلك المكتب يعرف في

(1) وثيقة في كتاب بيجو، *Sicilia Sacra*، ص 288. حيث نقرأ:

*cum omni tenimento el pertinentiis suis, secundum anticas divisiones Saracenorum.*

(2) انظر الوثائق العربية التي ترجع لأعوام ١١١٩ و ١١٧٤ و ١١٧٢. وبصفة خاصة وثيقة عام ١١٨٢. المذكورة في الملاحظات السابقة.

(3) هذا اللقب موجود في الوثيقتين المربيتين اللتين ترجمان لعامي ١١١٩ و ١١٤٤. والمذكورتين عاليه في ص ٣١٢ هامش ١: وهي وثيقة يونانية عربية ترجع لعام ١١٧٢. ومنشورة في *Tabulario della Cappella Palatina* في باليرمو، ص ٣٠ و ٣١؛ وهي وثيقة عربية ترجع لعام ١١٨٢. غير منشورة وكانت تخص دير البندكتيين في موريالي. وإذا لمصنعا جانباً ترجمة جريجوريو، "Duana ceteris conservata a Deo". (*De Supputandis* ص ٢٥) وترجمة القرن الثالث عشر، "Doana Veritatis" (لدى جريجوريو. المرجع المذكور، ص ٥٧) التي استرشد بها القانوني الشهير والمغرب الصقلي المتواضع جداً، فسوف نتناول نسخة "Bureau de Vérification du domaine"، التي قسمها السيد نوبل دي لوجيه (*Journal Asiatique* ١٨٤٥، ص ٣٤٠) حينما نقل فترة من الوثيقة المذكورة التي ترجع لعام ١١١٩. تطبيقاً على وثيقة عام ١١٨٢. التي نشرها. ومكانة هذا العالم الفرنسي، الذي أسفنا كثيراً لوفاته. لها ثقلها الكبير. لأنه كان يعرف العربية بشكل جيد: ويعرفها أكثر منه ومنا جميعاً السيد كوسان دو بيرسيفال. الذي استشاره في دراسته تلك بشأن وثيقة موريالي العربية التي ترجع

## اللاتينية المتأخرة باسم *Dohana de Secretis* (I) للسبب ذاته الذي من

عام ١١٨٢. ومن الواضح أن هذين الرجلين العالمين أعطيا لاسم المفعول «معمور» معنى الاسم *colto* مزروع، متعلماً منضبط هذه الكلمة في الإيطالية، ولما كان الأمر يتعلق كما هو واضح بملكيات أميرية، فإنهما ترجعها إلى *domaine*. أما فيما يتعلق بأداة ترميز الاسم «تحقيق» فإنهما عداهما للإضافة *appositive* كما يقول النحاة. وهكذا فإن الترجمة ستكون مطابقة جداً كالآتي: «مكتب تحقيق الأراضي المزروعة *colti*» أو بمعنى أصح «الحيارات الثابتة» لأن كلمة «معمور» يمكن أن تطبق على أي أرض استثمرها الإنسان بجهده، بأعمال الزراعة أو الصنائع.

إلا أن أخبار الإدارة العامة في مصر في المعمور الوسطى التي تمت بدراستها، تؤدي بنا إلى تفسير يختلف عن ذلك. أولاً، في تاريخ بطارقة الإسكندرية وهو عمل يرجع للقرن الثالث عشر، مخطوط عرس في باريس، *Ancien fonds 140*، ورد في ص ١٠٠، «ديوان الخزانة المعمورة»، أي «مكتب الخزانات *forzieri* المعمورة» وفي ص ١٠٧، ورد «بيت المال المعمور» أو الخزانة (بمعنى خزانة الدولة) ومن الواضح، في هاتين الحالتين، أن هذا اللفظ الأخير، الذي استخدم سواء بالذكر أو بالجمع غير القياس، في الموثق، صفة مبنية للمجهول، تعني كما نقول نحن، «الزائر» الممثلة، كان يقال ذلك في استخدام لصيغة متعارف عليها عند الحديث عن الدخول العامة للتمني. أن تكون دائماً وهرة، أو على الأصح دعوة لله بأن يزيدها باستمرار. ويورد مخطوط بطارقة الإسكندرية ذاته، في ص ٢٢٤ عبارة «ديوان التحقيق» دون إضافة أخرى ودون تفسير لتوحيته. ولكننا نعلم ذلك جيداً من المشرقي، حينما نقرأ في «كتاب المواضع» (وصف مصر) النص العربي، بولاق، ١٢٧٠ (١٨٥٢)، الجزء الأول، في تقديمه معلومات عن الوظائف التي أسماها الخلفاء الفاطميون، ص ١٠٦ ما كتبه عن أن وظيفة ديوان التحقيق كانت التحقيق بشأن كل الدواوين الأخرى. وبالتالي فإن كلمة تحقيق، يجب أن تترجم بمعنى تحقق ومضاهاة، ولفظ «معمور» بتطبيق مع معنى «ملكى ودام» ولا شيء أكثر من ذلك، وكانت تلك الوظيفة في الرمز هي الخزانة الملكية، أو *Controlieria*، كما كان يقال في وقت من الأوقات بلطف فرنسي، وكانت تحتفظ بملخص، أو ربما نسخة مكررة من السجلات التي نعرفها لكل الملكيات العامة، إقطاعية كانت أو أميرية، والسجلات الخاصة، بلا شك، بأي دخل آخر ويجمع النفقات التي لم تصلها عنها أية معلومات. وبلاخط في وثيقة موربالي المذكورة والتي ترجع لعام ١١٨٢، (*Journal Asiatique*، أكتوبر ١٨٤٥، ص ٢١٨) أن المكتب نفسه قد ذكر باختصار «الديوان المعمور» أي «المكتب الزائر» الممثلة، وأيضاً الخزانة الملكية. ويلاحظ الشن نفسه في وثيقة عام ١١٢٢، في كتاب جريجوريو، *De Supputandis*، ص ٥٦، وفي قائمة للفلاحين عربية - يونانية وغير منشورة من كنيسة كاتانيا، موهورة بتوقيع الملك روجيرو، ولدى منها نسخة، وفي وثيقة عربية لم تشر في *Magione di Palermo* بتاريخ ١١٦١، كان قصر «العلة» في الرمز يسمى القصر المعمور؛ وفي معاهدة سلام أبرمها قلاوون مع ملك صقلية، في كتابي المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢١٩، كانت مكاتب ضرائب السلطان تسمى الديوان المعمور.

(I) اقرأ لدى جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل الرابع، الهوامش ٥ و ٦ و ٧، الأمثلة القديمة لهذا الاسم اللاتيني التي تضاف إليها *Doana Secretis*.

أجله سمي في موضع آخر ككتاب الأوراق الرسمية أمناء السر. وتبرهن على هذا الأصل الإسلامي تسمية المكتب وتسمية أدواته، مثل الدفاتر *defetarii*، التي يذكرها هالكاندو، ونجد تأكيداً عليها في الوثائق؛ ولكن كان هناك جدل كبير حول ما تحتويه ومن أين جاء ذلك اللفظ<sup>(1)</sup>. ودفاتر هي الجمع العربي لكلمة دفتر، وهي نقل صوتي خالص لكلمة *defet* «جلد» و«رق مخطوط»<sup>(2)</sup>؛ وهي من الكلمات التي لا بد وأن استعارها العرب من اليونانيين، سواء في الشرق أو في صقلية، وعند رحيلهم عن الجزيرة، أعادوها لنا محورة حسب لسانهم. وبالتالي فإن الدفاتر كانت كتب مكاتب الإدارة وسجلاتها. وعلى الرغم من أنه لم تصادفتني تسمية أخرى خاصة سوى «دفتر الحدود»، أي «سجل الحدود»<sup>(3)</sup>، فمن المحتمل أنه كانت توجد أشكال

طبقاً لوثيقة عام ١١٧٢ في *De Supputandis*، ص ٥٦. وقد كان ذلك الاسم يلخص أحياناً، على سبيل الكتابة، في لفظ واحد: *doana* أو *dōan* «دجان» *dogana*، إلخ ولا حاجة بنا بعد ذلك لأن نذكر أن هذا اللفظ، المستخدم بالمعنى اللصيق في أوروبا، هو بالضبط اللفظ العربي أو بمعنى أصح الفارسي «ديوان». وبينما كان يستخدم في صقلية، على الطريقة العربية للدلالة على كل مكتب عام، كان الإيطاليون في سر أيطاليا يتصرفون استخدامه على ما نطلق عليه اليوم جمرلك. لأن مكتب ضرائب دخول البضائع كان المكتب الوحيد أو الرئيس، الذي يتعامل من خلاله تجارنا مع البضائع المسجلة على البحر المتوسط.

(1) راجع جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل الرابع، ملحوظة ٢٢، الذي لم يفتحه لهذا الأصل اليوناني، كما سطر من سبقوه. وعلاوة على ذلك، وباعتماد فقط على واقعة كاتب السجلات ماتيو، فإنه أنكر أن دفاتر البلاط الصقلي كانت تحتوي على سجل المساحة. وهو الأمر الذي أثبتته بوضوح تلك المراجع التي ذكرها هو في الهامش ١ من الفصل نفسه.

(2) إريكو إلبين، *Thesaurus*، طبعة هاس، تحت مادة *defet*.  
(3) في الوثيقة العربية التي تحمل تاريخ ٥١١ (١١١٩ - ١١٥٠) لصالح دير سانتا ماريا دي جورجيو، وهو يسمي اليوم ديلاجرانسيا، بالقرب من باليرمو، نشرنا أن حدود بعض الضحاك الصغيرة المخصصة لفلأحي الكتيسة المذكورة من قبل مندوب عن الحكومة كانت مسجلة في «دفتر الحدود» بديران تحقيق الخزائنة. وهذه الوثيقة التي ذكرها جريجوريو، *De Supputandis*، ص ٢٨، ملحوظة هـ، نشرها بعد ذلك الأستاذ كارونزو في *Biblioteca Sacra*، المجلد الثاني، ص ٥٨. وهناك وثيقة ترجع لعام ١١٦٩، في كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ١٧-١٠، نقل بها خاتم (وثيقة) الكونت روجيرو لصالح

مختلفة منه، كما اعتاد المسلمون حقيقة، وأنه في مجموعة من تلك السجلات كانت أيضاً مدونة حقوق الدولة على كل فئة من السكان في كل أرض؛ وهي الحقوق التي كانت تحصلها الخزانة العامة عندما كانت الأرض تعد ضمن الأملاك الأميرية، وكانت تنتقل إلى البارونات عندما كان يتم التنازل لهم عنها. ويمكن أيضاً أن نتصور، تصوراً قائماً على أساس، وجود سجلات للأملاك الخاصة (1). وقد

دبر سان ميكيلى أركانجلو في ترابنا، تضيف أيضاً:

*Solum enim divisionem predictam casalis Buscernia in fine sigilli denotatum, quoniam totaliter litera deleta erant et non poterant clare legi, transcripsi ex quinernis magni secreti in quo (sic) continentur confines Sicilia, ut certe habeas in futurum, etc.*

وتبرهن أيضاً على ما خلصتُ إليه وثيقة موريالى التي ترجع لعام ١١٨٢، التي لم ينشر نسخها بعد، والتي نشر ترجمتها اللاتينية المعاصرة والرسومية، نشرها ديل چوديتش، وهذه تقول في نهايتها: *Has autem dinisias predictas a depariis nostris de saracenicis in latinum transferri precipimus* الوثيقة قد نسخت من دفتر «ديوان التحقيق الممطور»، ويلاحظ أن النص العربي - يونانية ترجع لعام ١١٥١. لم ينشر منها الجزء العربي، ونشر سبباتا الجزء اليوناني منها، *Cinucio del Monastero di Morreale*، بالرموز، ١٨٦٥، في ١٢، ص ٥٩. والمصفحات التالية تحتوي على أسماء الفلاحين وكذلك على حدود الضيقة، وبالمثل في وثيقة عربية أخرى في موريالى لم تنشر وترجع لعام ١١٧٨، وهبت بموجبها لكنيسة موريالى هبومات في كوريلوش وهي كالانتراسي، أمر الملك «ديوان التحقيق الممطور» أن يستخرج من دفاتر الديوان ومن الجرائد القديمة (السجلات أو التوثام) حدود الهبومات وأسماء الفلاحين.

(٢) هناك وثيقة عربية من كنيسة بالرمو تعود إلى تصور أن الممتلكات الخاصة كانت في الأخرى مسجلة في سجل المساحة، «مكتب تحقيق الخزانة». وقد قام بقولوا عسكري وهو من رجال القصر الممطور (الحلقة، القلم الملكية الصغيرة) قام بشراء بيت في بالرمو من أملاك زينب ابنة عبد الله الأنصاري، يقع في كسارو القديمة بالمدينة، بالقرب من باب السودان، وألقى أشكك في قراءة النص العربي أنهى جانباً، اسم القاضي واسم الديوان الذين صرحاً بهذا البيع، بعد أن تحققوا من أن المال يلزم تلك السيدة للضرر من أيدي بعض الأجانب من الروم الذين كانوا قد أخذوها (عصافهم من اللومبارد). وعندما نأتي لموضوع بحثنا، لاحظ أن نقل الملكية كان مسجلاً في دفاتر الديوان الممطور. كما نقرأ في نهاية الوثيقة، وعقد البيع مؤرخ في ٧٠ سبتمبر، المقابل للشهر العربي شعبان من عام ٥٨٧ (١١٩١) وكان التسجيل في مكتب تحقيق الخزانة، في العاشر من أكتوبر (هكذا أقرأ) من المصمشرية التاسعة.

والكل يرى أن لفظ «الممطور»، في الموضحين المذكورين، يطابق لفظ «ملكي» على وجه التحديد، كما هنا منذ قديم، ص ٣١٨، هلمش ٢. وقد

أعيد نظام السجلات العينية. ويتضح هذا من أوراق القرن الثاني عشر، وربما تم تحسينه في عهد الملك روجيرو؛ الذي لم يحاك به كتاب جوليئمو الفاتح "Doomsday book"، كما تخيل البعض (1)؛ فقد أخذ هذا النظام تركة من الكونت الأول، ومن الحكم الإسلامي وربما أيضاً من الحكم البيزنطي.

ويبدو أن الكونت قد استمد للأملاك الأميرية كل الحيازات والحقوق التي اغتصبت منذ وقت طويل؛ فنقرأ في التازل الإقطاعي لمدينة كتانيا (1092)، أنها منحت للأسقف «مع جميع توابعها، وممتلكاتها ودخولها، كما كانت في حوزة السراينة عندما عبر النورمان للمرة الأولى إلى صقلية» (2) كما منحه أيضاً «السراينة الذين كانوا يسكنون كتانيا في ذلك الوقت، وأبناء سراسنة كتانيا نفسها وآتشى، الذين ولدوا في أنحاء أخرى من صقلية لجا إليها أبائهم خوفاً من النورمان». وأوضح تفسير لهذه الكلمات قد يرجع الاسترداد إلى ما قبل ذلك بثلاثين عاماً (1061)؛ «والا فإننا لن نفهم جيداً ما هو مبدأ القانون العام أو ما هي الجدوى التي أملت على الفازي ذلك التحديد الزمني. هل كان ابن الثمنة قد قدم الولاء،

---

نشر جريغوريو معظم هذه الوثيقة، مع الكثير من الأخطاء، *De Supputendis*، ص 10 والصفحات التالية. وقد حصلت من الأستاذ كوزا على نسخة جيدة مأخوذة عن النسخ الأصلي. ويظهر على في الوقت نفسه أن أنه إلى أن وثائق البيع الأقدم من ذلك، التي لدينا منها النسخ العربي، لا تبدو مسجلة في مكتب التحقيق. فهل كانت هذه بالتالي من مسجلات السنوات الأخيرة من حكم جوليئمو الثاني، أم كانت من الشكليات التي اعتاد الناس إهمالها، عندما لا يقع المنفذ. كما في هذه الحالة، في أيدي موظفي عام؟ وعلى أي حال يبدو دفاتر العسودود، أو *quinterni magni Secreti*، سجلات مساحة حقيقية تضمن فيها حدود كل ضريبة، وليس فقط أراضي كل بلد أو إقليم.

(1) بهذا الافتراض يبدأ جريغوريو الفصل الرابع المذكور من الكتاب الثاني من *Considerazioni*.

(2) وثيقة في كتاب بېرو، *Sicilia Sacra*، ص 523. ويلاحظ أن هذه الوثيقة مكتوبة أصلاً باللاتينية، ومن هنا فإن التعبير الذي يتكرر مرتين وهو *quando Northmanni primum transierunt in Siciliam* لا يمكن أن يكون خطأ في الترجمة.

الإقطاعي إلى روجيرو أو إلى روبرتو عام واحد وستين؟ أم أنه اتفق على ذلك الحد الزمني في تسليم كنانيا للنورمان؟ إن الافتراض الأول يبدو لي غير قائم على أساس؛ والآخر لا أساس له بالمرة؛ واعتقد أن هناك افتراضاً ثالثاً معقولاً؛ أي أن العبور الذي يشير إليه، كان عبور الفرقة النورمانية تحت راية منياتشي عام ألف وثمانية وثلاثين. في ذلك الحين، وبعد أن احتل المسيحيون صقلية الشرقية كلها، هاجرت دون شك عائلات كثيرة جداً إلى الأقاليم الغربية. وبعد عامين، وبعد أن مزقت الفوضى صقلية وبعد ظهور حكام الدويلات، كانت الأملاك المخصصة للصالح العسكري قد احتلها بالطبع هذا أو ذاك، وكانت تمثل جزءاً أساسياً للغاية من الدخل العام وكانت لب الخلاف في الجزيرة. كما في أية دولة إسلامية. ومن المحتمل إذن أن يكون المنتصر، بعد أن توفرت له القدرة عن حق، قد وضع الفاس على أصل الشجرة. بدلاً من التسامح في امتيازات حكام الدويلات الذين حاربهم من قبل وانتصر عليهم واحداً تلو الآخر. ولم تكن هناك خشية من تزايد الكراهية من جراء تجريد شاغلي الأراضي عن غير حق بعد خمسين عاماً بدلاً من ثلاثين؛ وربما كانت صعوبة التوصل إلى الضياع المسجلة في سجلات دواوين الكلبيين في العاصمة، تقل بكثير عن إمكانية تتبع حال الممتلكات العسكرية، عند بداية الحرب في كل مركز من المراكز الحكومية مثل: بالرمو، وكاستروچوفاني، وچرچنتي، وسيراكوزا وكنانيا. ومن ناحية أخرى يمكننا أن نتصور عن يقين أن عملية الاستعادة امتدت لتشمل الجزيرة بأسرها، ولكنها بالتأكيد لم تمنح الممتلكات، في الأماكن التي احتزمها المنتصروناء على اتفاق أو بحكم الضرورة.

وكان الكونت يستفيد من الممتلكات الأميرية، كما يفعل أي إقطاعي في ممتلكاته الخاصة، ويحصل من الفلاحين ومن غيرهم من المستوطنين الضريبة مالياً وخلاللا وخدمة في الأعمال اليدوية؛ ومن البرجوازيين في الأراضي والمدن. كان يحصل الرسوم أو الضرائب

والمكاسب على المبيعات الخاصة؛ وقد تطرقنا لهذه الأعباء عند تناول أحوال الشعب واستدنا في ذلك إلى جريجوريو<sup>(1)</sup>، ويجدر بنا أن نبقي عند مستوى العموميات، لأن الأدلة التي يقدمها جريجوريو لا تكفي لتفطية التفاصيل كلها. وقد استنتج نظام الأيام الأولى للنورمان من قوائم ما كان يسمى في منتصف القرن الثالث عشر «الحقوق القديمة»، لاختلافها عن الجديدة التي أمر بها الامبراطور فديريكو؛ ولكننا لا نستطيع إلا نفترض أن تجديدات كبيرة للغاية قد حدثت في النصف الأول من القرن الثاني عشر. وعلاوة على ذلك اعتمد جريجوريو على وصف تلك الأعباء الذي أجراه أندريا دا إيزرنيا، دون أن يأخذ في اعتباره أن هذا الفقيه العالم الذي عاش في القرن الثالث عشر كان يكتب بناء على مذكرات من نابولي ومن صقلية على حد سواء. واعتمد في النهاية على بعض وثائق القرن الثالث عشر، التي كانت تحصى فيها الدخول العامة الخاضعة للعثور الكنسية؛ ولكنه لم يتبّه إلى أن رجال الدين كانوا يبالغون أحياناً في حقوقهم<sup>(2)</sup>. وبالتالي لا بد من إجراء دراسات جديدة على الوثائق، المنشورة وغير المنشورة، للتحقق من كل نوع من أنواع الدخل العام في الفترة موضع البحث. ولكننا في كل هذا نرى الأمر الذي كان لا بد وأن ينشأ ألا وهو تطعيم النظام الضريبي الإسلامي بالأساس الإقطاعي؛ فمن ناحية، كانت هناك حقوق ملكية جديدة ومظالم إقطاعية؛

(1) انظر هذا الكتاب نفسه، الفصل التاسع، من ٢٤٦ والصفحات التالية، و٢٥٢ والصفحات التالية من هذا المجلد.

(2) انظر جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الرابع، وبصفة خاصة الملحوظة ٢١. ولكن فقرات الأوراق الصقلية التي ترجع للقرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والمنقولة هنا، تجعلنا نشك في وجود بعض أخطاء في النسخ، ويجب أن نشك في وجود خطأ أو ميلافة في وثيقة ١٢٧١، حيث ترفع العشر إلى اثنين وعشرين درهماً من الذهب وحبطين عن كل مائة تاري تدخل خزينة الدولة، وذلك عند وصف «الأشجار» المتبادلة، لتحصيلها لكاتدرائية بالرمو عن الجبهات القديمة. ولو كان ذلك صحيحاً فهناك من عشر ضخم يقل قليلاً عن الربع!



ومن الناحية الأخرى بعض أنواع الضريبة على كل رأس، ومن الناحيتين نجد رسوم الاستهلاك والإنتاج. ونحن نعلم، بشهادة المعاصرين، أن التورمان قد أتوا إلى صقلية، باحتكار الحمامات والمطاحن والأفران والدكاكين أو الحوانيت<sup>(1)</sup>. وقد نشأت حقوق الرعى وجمع الأخشاب وما شابه ذلك من شكل الملكية الجديد؛ وتولدت الدخول القضائية من السلطة السياسية التي أسندت للملاك. وقد استمرت الضريبة المفروضة على الرؤوس على اليهود، وهي التي ابتدعها المسلمون. كما ترجع الضرائب على دخول أو خروج البضائع، والرسوم على تحركات السفن التجارية، وحقوق الصناعات والحرف إلى عهود بعيدة. وقد عدلها المسلمون وزادها التورمان بالتأكيد. ومن المسميات يمكن أحياناً التوصل إلى أصل الضريبة: فعلى سبيل المثال الضريبة المسماة *cabella bucherie* تبدو بالتأكيد نورمانية مثل حق الرحبة وحق

(1) انظر الفصل السابق، ص 260 هامش ١. يبدو لي من المستحسن أن أشرح هنا لماذا ترجمت اللفظ العربي «دكان» بكلمة "Canova" الإيطالية.

وقد كان هذا اللفظ ولا يزال يعني في مصر والشرق «دكان» بصفة عامة. وهذا ما نراه في القواميس العربية بما في ذلك القواميس الحديثة مثل قاموس قطر وقاموس لان. وكذلك القواميس الإيطالية والعربية المطبوعة في بولاق. ونرى هذا أيضاً لدى المؤلفين الذين يذكرونهم ساسي (*Chrèstomathie arabe*. المجلد الأول، ص 262). وترجمة عبد الطهيف، ص ٢٠٣)؛ ونجده في الحكم والأمثال العربية الحديثة (*Freytag*. المجلد الأول، ١١١)؛ ولان نفسه (*Modern Egyptians*. الفصل الرابع عشر) والذي يقدم رسماً لدكان في القاهرة؛ ويعني دائماً غرفة أرضية تباع فيها الأطعمة والبضائع الأخرى. وقد سمى هكذا كذلك مكتب الكتبة المسلمين. طبقاً لموضع لدى ابن خلدون، نقله عنه ساسي في الحاشية (*Chrèstom*. المجلد الأول، ص ٢٩ و ٤١).

ومع كل هذا فوجب ترجمة ذلك اللفظ في حالتنا إلى: "Canova" حيث لا يبدو مقبولاً أن يحتكر الكونت روجيرو والإقطاعيون التابعون له كل البضائع. ويجب أن يفهم ذلك، في رأيي، على أن الأمر يتعلق ببعض المولن (وخاصة الشعوم)، أو ربما تلك التي تباع منها بالقطاعي.

وكلمتا الإيطالية "Canova" يمكن بالمسافة أن تكون قد جاءت من اللفظ العبري، وترجع إلى «حانوت» الذي يستخدم مرادفاً لكلمة «دكان»، ولكنه يستخدم بصفة خاصة للإشارة للدكاكين التي تباع فيها الخضار. ويرى خبراء المفردات (لين، القاموس، الجزء الأول، ص ٦٦١، العמוד الأول). أن ذلك اللفظ كان ينطق في الأصل حنوة. وأخذ الإيطاليون ينطقونه بالتأكيد كقناة. فكلمتا ينطقون كمال "camello" وخرافة "camdecca".

## الحجامة الإسلامية(1). ثم يجب ألا ننسى أن هذه الضرائب

(2) بعد أن تترك جانباً قائمة «الحقوق القديمة» طبقاً لأندريا دا إيزنيا، التي نقرأها في الملحوظة ١٨، من الفصل المذكور آنف، وكذلك الحقوق الممنوحة والاختصاصات المعطوية من قبل أسقف كاتانيا لصالح أولئك المواطنين في عام ١١٦٨. كما نقرأ في بداية العاشية ٢١، سنيلي ببعض الملاحظات بشأن الحقوق القديمة في بالرمو ومسينا وجرچنتي وشافاً وابكانا، المذكورة في وثائق ١٢٧٤ و ١٢٧٠ و ١٢٦٦ و ١٢٨٠ و ١٢٠٩. وأول الحقوق التي ذكرت في بالرمو هي حقوق الرهانة والرحبة، ويبدو أنهما لفظان عربيان، أحدهما تلير في النقل وهو (رهائن، في الجمع يعني ضامنون)، واللفظ الآخر يعني ساحة (المقريزي، المصاغة، النص المرسي، المجلد الثاني، ص ٤٧، والصفحات التالية، يذكر خمسين مكاناً في القاهرة ومصر القديمة تسمى بهذا الاسم). وتلقب ذلك جمارك اللعوم، والأسماء، إلخ. التي يعرفها الجميع؛ والصباغة؛ وهناك أيضاً رسوم على الفخرانية والسروجية والحريير وغزل القطن؛ والزخرفة بالذهب. وسلسلة المينا؛ وضريبة الدخان (هكذا كانت تسمى في الإمبراطورية المتأخرة ضريبة على الأشخاص، تقسم على اليهود، أي المواقد، كما سميت في صقلية)، وحمامات جوهر وجويدة؛ وطواحين كلبى وملقنيرى والقاضي، إلخ. وفي مسينا لا نجد تسميات عربية أخرى سوى ضريبة الزيت المعروفة باسم *Caffeo* (وهو مئياس معروف في صقلية وهو فخير العرب) وضريبة *itirium seu tinctorum*؛ حيث أميل إلى قراءة *ec* بدلاً من *sem*، لأن الإطرية تعني بالمرية ضريبة من الطعام كالخطوط أو ما شابه ذلك من المعائن ومازال يستخدم في صقلية تعبیر هرمنتشيلي [طرية]. ثم إن هناك أيضاً «جزية» اليهود وبعض التسميات غير العربية المذكورة في بالرمو. وفي جرچنتي وفي المدينتين الأخرين في الإقليم نفسه المذكورتين عليه. وعلاوة على حزية اليهود وبعض الضرائب الأخرى المشار إليها في بالرمو ومسينا، فلاحظ الضريبة على السكر، وعلى الملح وعلى الحديد وضريبة *congemi*، الكنجيمية، واعتقد أن هذا اللفظ لم يتوصل أحد إلى أصله؛ ولا يمكن العثور عليه. دون قراءة الأسماء العربية المنقولة إلى اليونانية من جماهير فلاحي صقلية. وفي تلك المحروقات صادرت لفظ *خجّام* وذلك الذي يستخدم الكنوس الصغيرة ويحارم الجراحة المتواضعة، (وطبقاً لمعادات صقلية يوسف يكون النصّار والملاق)، الذي كُتب بالضميط، *zaxpaxn*، ولكنه نطق على الطريقة اليونانية «كنجيمى»، وهو لقب يستخدم كثيراً في بالرمو؛ حيث بقي حتى بداية هذا القرن بعض العبادلة بذلك الاسم الذي لا يزال يستخدم. وبالتالي فإن ضريبة الكنجيمية في جرچنتي وشافاً تبدو رسماً على النصّارين؛ وربما كانت تلك الفئة كبيرة العدد لأن الناس في المصور الوسطى كانوا يستخدمون كثيراً كنوساً صغيرة لاستخراج الدم. ولبيان ما قيل حتى الآن بمثابة عينة للأبحاث التي يمكن أن تجرى حول نظام الضرائب وأيضاً حول الصناعات والشؤون الاقتصادية بصفة عامة في صقلية في القرن الحادى عشر والثانى عشر؛ عينة طفيفة للغاية لأنها تقوم أساساً على الفترات القليلة التي قدمها جرچمورو، حيث نشك مع ذلك في صحة قراءة كلمات كثيرة. كما لا يجب أن اغفل ذكر السيد لودوفيكو بيانكيني الذي عالج أيضاً هذا الموضوع في

ربما كانت تختلف في النوع والكم من أرض لأرض وإن كانت من الناحية النظرية تخص كلها الأمير، مثلها مثل الأراضي غير الخاصة، إلا أنه لم يكن يستفيد منها إلا في بلاد الأملاك الأميرية، بينما كان يستفيد منها في المدن والأراضي الممنوحة الإقطاعيون. وقول جريجوريو بأن ما نسميها الآن بالحقوق الجمركية، كان الأمير يقوم على الأقل بتحصيلها بكل مكان(1) لا أجد من الأحداث ما يدعمه، ولا أجده يتواءم مع القانون العام في ذلك الوقت.

ومن المؤكد أن ضريبة عامة، أو جماعية؛ كانت تفرض أيضاً على الإقطاعيين في الحالات الإقطاعية الأربع المعروفة؛ وهي وإن كانت غير مذكورة في المذكرات المتوفرة لدينا من عهد الكونت الأول، إلا أننا يجب أن نستنتج وجودها، عندما نرى أن روبرتو جويسكاردو قد رفعها في أرض إيطاليا وهي بالرمو(2) ثم تبعه في ذلك الملوك النورمان في أنحاء صقلية كلها(3). وكان عاماً أيضاً حق البحرية، الذي كانت تقوم عليه صيانة الأساطيل: إلا أن البلديات، على ما يبدو، هي التي كانت تساهم فيه، أكثر من الإقطاعيين، وهذا في مقابل الخدمات العسكرية(4). وعلى الرغم من أن تجارة القمح لا تظهر في أية وثيقة في تلك الحقبة، فإنني اعتقد بشدة أنه يجب أن يضاف إلى الدخول المذكورة قبلاً وأن يعد دخلاً أساسياً جداً من دخول الكونت روجيرو، كما كانت لخلفائه من بعده الدخل الناتج عن تجارة القمح. ونحن نعرف من كتب الحوليات الإسلامية عن المجاعات المخيفة التي عانت منها

---

كتابه *Storia Economico-civile di Sicilia*، بالرمو، 1881، الجزء، الثالث، الفصل الأول، ولكنه لا يضيف الكثير على ما جاء به جريجوريو.

(1) *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل الرابع. كان جريجوريو يرى وضع كتابها وباني وضعا استثنائيا، وذكرهما في الملاحظتين 11 و 12؛ ولكن يبدو أن العكس هو الصحيح.

(2) انظر ما روينا في هذا الكتاب الخامس، الفصل الخامس، من 111 و 115 من هذا المجلد.

(3) جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل الخامس.

(4) المرجع السابق، الكتاب الثاني، الفصل الرابع.

أفريقية في ذلك الوقت(1)، مع استمرار وجود السبب الأساسي لذلك: أي وجود جماعات نهب من عرب مصر أدوا إلى تدهور أحوال الريف باحتياجهم له حتى إنهم عرفلوا أي نوع من أنواع الزراعة(2) فيه لقرون عديدة. ونحن نعلم من إحدى الحكايات التي رويت عن الكونت روجيرو مدى اعتماد الحكومة في صقلية على تجارة الفلال مع أفريقيا؛ ولن يكون الأمر بعيداً عن الحقيقة، إن كانت الرواية تتعلق بالنصف الأول من القرن الثاني عشر. بدلاً من النصف الثاني من القرن الحادي عشر(3). وقد لا يمكن في الحقيقة تصديق ذلك الصبر المتبادل بين الزيريين وآل هوتشيل في الإبقاء على السلام خلال الثماني عشرة سنة الأخيرة من الصراع الدموي الذي خاضته المسيحية ضد الإسلام في صقلية(4)، حتى إن افترضنا أيضاً وجود حكمة خالصة وتقدير مجرد للمصالح السياسية لدى الطرفين؛ ولكن هذا سيبدو طبيعياً وضرورياً، إذا خلصنا إلى أن الكونت روجيرو كان يرسل الفلال لبيعها في المهديّة، وفي تونس، وفي مدن الساحل الأخرى. كما فعل روجيرو الابن بعد وفاته بخمسة عشر أو عشرين عاماً؛ وقد فتحت تجارة الفلال هذه الطريق أمام عمليات الملك في أفريقية، وجعلت أمراء تونس لقرون من الزمان تابعين لأمراء صقلية، كما سنقول في الكتاب التالي. وبهذا تظهر تجارة الفلال منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر مصدراً وهيراً للغاية من مصادر الدخل للخزانة الصقلية ونلاحظ بعض آثار هذا

(1) حدثت إحداهما في عام ١٠٩٨. ويشير إليها ابن الأثير. عام ٤٩١، النص، طبعة تورنبرج، المجلد العاشر، ص ١٩١.

(2) انظر كتابنا الرابع، الفصل الخامس عشر، ص ٥٥٨، من المجلد الثاني، والكتاب الخامس، الفصل الثالث، ص ٨٧ - ٨٨، من هذا المجلد.

(3) انظر هنا عاليه الفصل السابع، ص ١٨٩ و ١٩٩.

(4) انظر الأحداث المروية في الفصل السادس، من هذا الكتاب الخامس، ص ١٦٠ و ١٧٠. آخر مواجهة بالصلاح بين روجيرو والزيريين نشبت في عام ١٠٢٥ كما نقرأ بالتعديد في الفصل السادس، ص ١٥٤.

في بداية القرن الثاني عشر(1). إن الدوافع كلها تؤدي بنا إلى افتراض أن الكونت روجيرو قد بدأها أو ربما واصلها في كل مدينة بحرية في صقلية، بمجرد أن استقرت سيادته عليها: ومن الطبيعي أن يكون قد حقق منها مكسباً مزدوجاً: أي الحصول على مبالغ كبيرة من المال أو على كميات عينية عند خروج غلال الآخرين، وفي الوقت نفسه، وبعد أن يزيد بهذه الطريقة سعر البضاعة، كان يرسل لبيع في بلاد أخرى الغلال الذي يمتلكها والتي جمعها من حصته من أملاكه الأميرية أو خصصها من ضريبة خروج الغلال نفسها. وإذا سلمنا بهذا المصدر، فلن يدهشنا ثراء الفايزي الذي لا يتعد.

وبعد الضرائب تأتي الخدمات، التي كانت تمثل جانباً كبيراً من الأعباء العامة في الولايات الإقطاعية: ويمكن أن تنقسم إلى خدمات سلم وخدمات حرب. وقد تناولنا النوع الأول، أي تناولنا أيام العمل في الحقول، والنقل والعمل اليدوي في عمليات البناء وما شابه ذلك من جهد: ولا يتعين أن نضيف شيئاً آخر، حيث إن هذه الالتزامات متشابهة في الأراضي الأميرية والإقطاعية(2). وكان البارونات في صقلية يقومون بالخدمة العسكرية في الأرض أسوة بآية ولاية إقطاعية أخرى. كما نقرأ ما كتبه جريجوريو(3)، ولكننا نلاحظ أن الإقطاعيات الكنسية لم تصف في عمومها كما كان يقول: من الخدمة العسكرية، ولكن استثنى البعض منها كما استثنيت بعض المدن، وتبرهن

(1) نستنتج أنها كانت تصل إلى ثلث القمح المصدر وأن الإمبراطور فريديكو خفضها إلى الخمس. وهي وثيقة ذكرها جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الثالث. الفصل السادس، ملحوظة ٣١. وطبعاً لوثيقة يونانية ترجع لعام ١١١٧، فإن الكونت روجيرو الثاني، منح قسطنطين في مسينا إعفاءً لتصدير البضائع حتى ٦٠ تارياً، الترجمة اللاتينية في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل التاسع، ملحوظة ٣. وهذا دليل بالناكيد على استخدام رسوم التصدير ومن المحتمل جداً أن يشير إلى الرسم المفروض على الغلال.

(2) تحدثنا عن هذا في الفصل التاسع من هذا الكتاب، ص ٢١٧. راجع جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الخامس.

(3) *Considerazioni*. الكتاب الأول. التمهيد الثاني.

الأحداث التي روينها، علاوة على ذلك، كيف كان الكونت يدعو مسلمي صقلية<sup>(1)</sup> أحياناً إلى الحرب؛ وقد اتبع هذا المثال الملوك من سلانته ومن الأسرة الزيفية. ومن المحتمل أن يكون المسلمون قد كونوا جيشاً يقوده قادتهم<sup>(2)</sup>، ويعيشون على نفقة الأمير أثناء العملية ويكافأون بالغنيمة. وجدير بالذكر في النهاية أنه كانت للكونت فرق من المحاربين المرابطين الذين كانوا يتقاضون رواتب، وأنه كان لخلفائه أيضاً فرق من المسيحيين والمسلمين.

أما عن السفن الحربية الصقلية في نهاية القرن الحادي عشر فلم تبق لنا أية مذكرات عنها. بل إننا يمكن أن نتصور، أن وضعها قد تدهور كثيراً، إن لم تكن قد دمرت، حيث إننا نخلص إلى أن رجال الأسطول، قد لجأوا إلى أفريقية<sup>(3)</sup> نحو عام الف وثمانية وستين تقريباً وذلك بسبب الحروب الأهلية، وأن القوات البحرية عملت قليلاً في الدفاع عن الرمو عام ١٠٧١، على الرغم من أن ذلك الميناء كان فيما سبق الميناء الحربي الكبير لمسلمي صقلية<sup>(4)</sup>. ومع ذلك، فإن كان إنشاء أسطول حربي يتطلب حقيقة وقتاً ونفقات واهتماماً كبيراً جداً، فلا بد أن الكونت روجيرو قد استخدم في إعادة الأسطول الصقلي الوحدات الطيبة من سفن بوليا وكلابريا التي أثبتت كفاءة في حصارى بارى وبالرمو واستخدمها روبرتو في حرب اليونان؛ وهي الوحدات التي وفق في دمجها مع وحدات أسطول المسلمين. لأن نورمان صقلية كانوا يتنافسون في البحر مع الجمهوريات البحرية في النصف الأول من القرن الثاني عشر؛ ومنذ عام ١١١٣ عندما ذهبت أديلايدى، أرملة الكونت، إلى عسقلان للزواج من بالدوين ملك أورشليم، كانت تصحبها تسع سفن حربية صقلية، من بينها اثنتان تحمل كل منهما خمسمائة

(1) في هذا الكتاب الخامس، الفصل السابع، ص ١٨٥ والصفحات التالية.

(2) الفصل التاسع، ص ٢٦٢ و ٢٦٥ من هذا المجلد.

(3) الكتاب الخامس، الفصل الرابع، ص ١١٦ و ١١٧ من هذا المجلد.

(4) الكتاب الخامس، الفصل الرابع، ص ١٢٩ من المجلد.

رجل؛ وكانت السفن الأخرى تتلأل بالذهب، والفضة والأرجوان، وكان المحاربون يرتدون ملابس ثمينة ودروعاً غالية الثمن، ناهيك عن الكروز المنتشرة في جوانب سفينة أديلايدى، وعن صفوف القواسم المراسنة بشبابهم البهية، الذين كانت تحملهم عدية لمريسها(1)، ويبرهن حجم المراكب وفخامتها على أن سفلية عادت تمتلك أسطولاً جديداً قوياً.

ويمكننا أن نتخيل تشكيله، حين نربط بين الأخبار التي لدينا عنه في العصور اللاحقة، مع الأخبار التي نستخلصها من العصور السابقة عن الأسطول البيزنطى وأسطول المسلمين(2)، ونحن نعلم عن الأسطول الأول أنه كان من نوعين، أى الملكى والإقليمى، وهو ما يعنى أنه كان يزود ويسلح على نفقة مدن بعض الأقاليم. هكذا نقرا في كتاب الامبراطور ليونى Tattica(3)، وتبين أحداث شغب روسانو التي اشترنا إليها مدى الضرر الذي كان يسببه للسكان تجهيز السفن هذا(4): وقد وجدنا أيضاً تأكيداً لذلك عند ابن حوقل، وحالة القرن العاشر الشهير، حينما كان يصف البلاد البحرية في آسيا الصغرى وأنواع السفن الحربية التي كانت تجهزها الامبراطورية البيزنطية، ويقول إن النفقات كانت واجبة على كل ضيعة قريبة من البحر «فياخذون من كل دخان، أى من كل بيت»(5)، ولكن ما أن جاء

(1) البرنو دابكس، *Historia Hierosolymitana*، الكتاب الثالث عشر، الفصل الثالث عشر، في كتاب كارويزو، Bibl. Sic.، ص ٩٢١.

(2) جريهوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثانى، الفصل الرابع، يرى نقلا عن النموذج الانجليزى أيضاً في تكوين الأسطول المملى في القرن الثانى عشر، Leonis Tattica، الفصل التاسع عشر، انظر أيضاً الترجمة الفرنسية لماينبروا، باريس ١٧٧٨، ص ١٤٦، ورد ذكر أساطيل مختلف الأقاليم هذه، في العديد من الأحداث التاريخية البيزنطية حتى أنه لا يتسع المجال لذكرها.

(4) الكتاب الرابع، الفصل السادس، ص ٢١٨، من المجلد الثانى.

(5) مخطوط عربي في باريس، *Supplément arabe*، ٨٨٥، الورقة ٩٤ الوجه الثانى. استخدمت كلمة «فرى» لترجمة لفظ «ضياح» التي تسمى بالضبط: «ضيعة أميرية، للصالح العربى» (انظر كتابنا الثالث، الفصل الأول، ص ٢٥، من المجلد الثانى)، ولكن

المسلمون إلى البحر المتوسط، حتى كونوا بالضرورة قواتهم البحرية، كما استخدموا بالضرورة الأنظمة والرجال الذين حافظوا عليها لدى الشعوب المهزومة (1)، لذا نرى في أساطيلهم سفناً أرسلتها مختلف المدن. ويروي لنا كاتب قديم ذكره المقرئى أن معظم سفن الحرب في مصر، في عصر الخلفاء الفاطميين، كان يوفرها حكام الأقاليم وكانت رواتب رجالها تدفع من «ديوان التسليح البحري» مع رواتب رجال السفن الملكية؛ وأن كل إقليم كان له علاوة على ذلك أسطول الصفيح (2). ونحن نعلم من ابن خلدون أن أسطول الخلفاء الأمويين في أسبانيا، الذي وصل أحياناً إلى مائتي سفينة، قد تم جمعه من جميع موانئ المملكة، وكان كل ميناء يمدد بما لديه من سفن (3). وها هو يظهر من جديد في صقلية ما يشبه هذا النظام.

الضريبة على كل «دخان»، هكذا يقول التمر، أي بيت، تؤدي إلى المعنى الذي أورده أنا. ولقد ذكرنا أنونا الضريبة المسماة بضريبة الدخان في صقلية في القرن الثاني عشر. انظر بوكنج، *Glossario latino*، تحت مادة *funagium*، وما شابه ذلك. و*Glossario greco*، تحت كلمة «*εναγία*» وشيدينو، طبعة يون، المجلد الثاني، ص ٨٣١.

(1) ابن خلدون، *Prolegomènes*، الترجمة الفرنسية، البارون دي سلان، الجزء الثاني، ص ٣٩.

(2) المقرئى كتاب المواعظ، (وصف مصر) النص العربي، المجلد الأول، ص ١٨٢ و ١٨٣. (3) على الرغم من أنني أجد السيد دي سلان أسطولا في المربية، فإني لا أستطيع أن أقبل ترجمته لهذه الفقرة من المقدمة، *Prolegomènes*، الجزء الثاني، ص ١٠.

“Elle se composait de navires qu'on faisait venir de tous les royaumes où l'on construisait des bâtiments. Chaque navire était sous les ordres d'un marin portant le titre de card, qui s'occupait uniquement de ce qui concernait l'armement, les combattants et la guerre; un autre officier, appelé le rais, faisait marcher le vaisseau, etc”.

وطبقاً للنص العربي، طبعة باريس، الجزء الثاني، ص ٢٥، ويلاحظ، ص ١٢٣، فإني أرى ترجمتها كالآتي، «كان الأسطول (الأسباني) يجمع من المملكة كلها، وكان كل بلد يعمل بالملاحة يأتي منه أسطول صفيح، يتوعد «فائد»، بحار يعني بشئون الحرب، والأسلحة والمقاتلين ورتيس (ملاح)، كان يعني بالملاحة، إلخ». والفارق بين الصفيحين هو أنني أقصد «أقاليم أسبانيا في مقابل اللفظ الذي جاء به دي سلان وهو “royaumes” وبدلاً من لفظ أسطول (armatilla) أعطى المعنى المادي وهو armatilla أسطول صفيح، في حين أن السيد دي سلان يترجمها *navire*، وهي الواقع، كلمة مملكة، التي



إلى جانب الأسطول الذي أخضع ساحل أفريقيا واجتاح جزر اليونان (١١٢٣ - ١١٥٤) ويتمثل هذا النظام في: «حق البحرية» الواجب على السكان اللومبارديين (1)؛ والمائتان وخمسون بحاراً الذين كان يجب أن تقدمهم بلدية كالتاجيرونى، والمائتان وستة وتسعون المطلوبون من بلدية نيقوسيا، الممتدة بين المرتفعات مثل تلك المدينة الأخرى؛ والمشرون بحاراً المطلوبون من أسقف باتى (2). وتظهر شوائى مختلف المدن وهى تحارب ضد أسطول الأنجويين نحو نهاية القرن الثالث عشر (3). وسوف نرى، فى الكتاب التالى، الدور الذى لعبه بعد ذلك المسلمون أثناء القرن الثانى عشر فى أساطيل صقلية. وهناك سيكون حديثنا عن تلك الأمور الخاصة بالتحضر

---

استخدم المؤلف جمعها هنا، تعنى reame وايضاً جزءاً من مملكة.؛ وعلى أية حال، فى زمن ابن خلدون، قد أصبحت ممالك حقيقية تلك التى كانت مجرد أقاليم تحت حكم الأمويين. ومن ناحية أخرى، قد لا يفهم كيف يجهز خليفة أسبانيا سفينة، «فى كل ممالك» البحر المتوسط والمحيط، التى كانت كلها معادية؛ ولا كيف يجمع أسطولاً من مائتى مركب، بأخذ «سفينة» من كل بلد يعنى بالملاحه فى إسبانيا. واضيف أن ابن خلدون، فى مواضع كثيرة فى أعماله، يعنى باسم أسطول المعنى العادى وهو عدد من السفن أو «أسطول صغير» وليس سفينة واحدة. هكذا كان استخدامه فى المقدمة نفسها، الجزء الثانى. من ٢٧ من نص باريس وهى فقرات أخرى للمؤلف ذاته، جمعتها أنا فى المكتبة العربية، الصقلية، من ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ إلخ.

(1) انظر هنا عليه فى من ٢٧٨. هامش ٢ و ٤، والفصل الثامن. من ٢٢٢. هامش ٥. فى وثيقة حروت لأرغمندريس مسينا، بتاريخ ١١٢٠، فى كتاب بيرو، *Sicilia Sacra*. من ٩٧٢. بالماسود الأول، ننسأ عن ضبعة منحست للأرغمندريس *cum terris, preminentibus et datium marinariorum qui cum eo habitant*. وهذه ترجمة عن اليونانية. ولا أرى فيها ما إذا كان الأمر ينطبق بالضربة الخاصة بالبحارة والواجبة على السكان أم الضربة المفروضة على البحارة الذين كانوا يقيمون فى تلك الأرض. وهناك وثيقة ترجع لعام ١١٩٧، المرجع السابق، من ١٢٨٩، ترجع الاحتمال الأول على الثانى.

(2) وثائق فى كتاب جريجوريو *Considerazioni*. الكتاب الثانى، الفصل الرابع، الحاشية ١٥.

(3) انظر الفصلين العاشر والثالث عشر من كتابى *Guerra del vespro Siciliano*. حيث تذكر فى معركة خليج نابولى فى عام ١٢٨٧. شوائى ميلاتسو ولهبازى وترابانى وسيراكوزا وكثانها وأجوستا وتاورمينا، وتشيفالو وإيراكليا وليكاتا وشافا.

التي يمكن أن نرجعها إلى عصر الكونت الأول، وإن ظهرت في ممالك خلفائه. ولما كانت الفترة التي درسناها في هذا الكتاب وجيزة ودامية فلم نتترك مجالاً لفنون السلم، ولم تسمح بذكر ما كانت تحكم به الطبيعة البشرية والتمايش الاجتماعي من فنون تعارض أيضاً وسط أجواء المذابح والتدمير. غير أننا جمعنا في الكتاب السابق(1) ذلك الفئات من تاريخ أدب المسلمين الذي كان يمكن أن نرجعه إلى زمن الحرب. ولم يبق لنا من تاريخ أدب مسيحي صقلية من آثار سوى المخطوطات والصور وأقل القليل الذي سجله الراهب سكولارو(2). أما الكنائس والأديرة التي شيدها روبرتو وروچيرو، في مواقع القصور الفاخرة التي دمرت، فقد بقيت هي الأخرى بمرور الزمن، مثل وثائقها التي كانت من ورق رقيق وكان لابد من تجديدها خلال نصف قرن؛ أو إن حدث وبقيت بعض أحجارها، فإننا لا نتعرف عليها بين الأبنية الأنيقة التي بناها الملك روچيرو والملك جوليلمو وسميه. ولكننا ذكرنا في موضعها تلك الذكريات التي ذكرها عنها كتاب الوقائع أو الوثائق.

وقد ذكرنا أيضاً أعمال التحصين، التي كانت تهم المنتصرين قدر اهتمامهم بالمعاني الكنسية على أقل تقدير: فقد قاموا بتدعيم وتحصين قلعة روبرتو وقصره في بالرمو(3)، وحواجز روچيرو المنبوعة في مسينا(4)، والحواجز التي سارع ببنائها سان چرلاندو بأحجار معابد أجريچنتو(5). ويشير الإدريسي إلى إصلاح مدينة مرسالا وإعمارها، وأظهر أنه لا يجهل أنها شيدت على أطلال ليليبيو وشهد بحدوث تدمير ثان خلال حرب النورمان أو قبل ذلك بقليل. وقد كتب يقول: «إن مرسى على، وهي مدينة قديمة بل

(1) الفصل الثالث عشر، ص ١٢٩ والصفحات التالية من المجلد الثاني.

(2) انظر الفصل التاسع من هذا الكتاب، ص ٢٥٧.

(3) الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ١١١ إلى ١١٢ من المجلد.

(4) الفصل السادس، ص ١٦٣.

(5) الفصل الثامن، ص ٢١٠.

من أوائل المدن وأشهرها هي صقلية، كانت مهجورة، وبقيت منها بعض الأطلال، عندما أعاد الكونت روجيرو الأول إعمارها بالسكان وأحاطها بالأسوار. وعندئذ امتلأت بالديار والأسواق والمتاجر (2). وعلاوة على التحصينات، فإنه يجب أن تنسب بعض الطرق العسكرية للفترات الأولى من حكم النورمان. ومثال ذلك الطريق الذي ذكر باسم «طريق كاسترونو» الفرنسي (2a) في وثيقة من وثائق روجيرو ترجع لعام 1096، وتذكر أن الحدود التي خصصها الكونت لأبرشية مسينا تصعد بطول نهر تورنو حتى منبعه، وبعد ذلك تتحنى على الطريق المذكور ومنه إلى جبل سان بيتر وتستمر نحو الشرق (3). ويبدو أن هذا هو الطريق نفسه الذي كان يؤدي من بالرمو إلى شيكاري وكاسترونو وبيتراليا (4). حسبما تنص عليه وثيقة ترجع لعام 1132: كما كان يستمر في اتجاه تراينا، حيث تذكر ترجمة لوثيقة يونانية ترجع لعام 1094 «طريقاً ملكياً»؛ وربما كان يأخذ المسار المحاذي للساحل الشمالي، بعد عبوره جبال سانت إليا دامبول (5)، لأن اسم «الطريق الملكي» ذاته يظهر من جديد في عام 1143 بالقرب من باتي (6)، وقبل

(1) النص في المخطوطة العربية: الصقلية، ص 41. استخدم عبارة أول المدن لترجمة لفظ «أزلي» الذي يعني بالضبط «ملا بداية له، كائن منذ الأزلي، إلخ». وهو ما نطلق عليه خطأ أصلياً بدائياً عند الحديث عن الشعوب.

(2) ليسمح لي بأن استخدم *stradale*. هذا اللفظ الذي لا يوجد في قاموس لايروسكا، ولكنه شائع في الاستخدام العام اليوم، لتجنب الازدواجية في المعنى.

(3) في كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص 382. وهنا نقرا:

*ad magnam triani francigenam Castrinovi*. ومن المحتمل أن تكون ترجمة عن اليونانية، حيث يذكر العام القسطنطيني ونقرأ فيها تبهر *Pape veteris Romae* الذي يفسح بهزلية. ومع ذلك فإن اللغة والأسلوب تجعلنا نرى فيها صيغة قديمة جداً. (4) وثيقة يونانية، لا نهاية ترجع لعام 1132، في كتاب سيانا، *Pergamene*، ص 421، تتحدث عن طريق كان يبدأ من ضيعة مونتانا (وأنا أجهل هذا الموقع) ويؤدي إلى بتراليا وكاسترونو وشيكاري وبالرمو. وعلى الرغم من أن اللفظ في اللاتينية هو مجرد لفظ «طريق» وعلى الرغم من أنه لا يوجد النص اليوناني لهذه الفترة، فإنه يبدو لي أن الأمر يتعلق بالطريق الفرنسي بنفسه.

(5) في كتاب بيزو، *Sicilia Sacra*، ص 1012.

(6) وثيقة في كتاب بيزو، المرجع السابق، ص 725.

ذلك بكثير بالقرب من ميلاتسو (1). أما صفة بازيليكى، التى وصف بها هذا الطريق دون شك بنص وثيقة عام ١٠٩٤، فتجعلنا نستنتج أنه طريق بيزنطى: ولعله هو الطريق الذى سلكه النورمان حينما توغلوا فى قلب الجزيرة ثم مبدؤ أو عكسوه بعد بتراليا أو كاسترونوڤو، ليجعلوا منه خطاً لعمليات الهجوم على بالرمو. ويمكن أن ننسب أيضاً لفترة حكم الكونت الأول الطريق الآخر المسمى على وجه الدقة بالمسكرى. وذلك فى وثيقة من وثائق كنيسة مونريالى ترجع لعام ١١٨٢، ويبدو أنه كان يمر بضواحي فيكوئسا. بين بالرمو وكورليونى (2): ولكن ليس هناك ما يجعلنا نستنتج إذا كان يلتقى بطريق كاسترونوڤو، الذى قد يبعد عنه على خط مستقيم ما يقرب من عشرين ميلاً ناحية الجنوب الشرقى. ويمكن فقط أن نستنتج أن نوعية أو على الأقل أصل هذا الطريق المسكرى.

(1) وثيقة من عام ٦٥٩٤ (١٠٨٦) الخمسمشرية الثانية عشر. نشرها السيد بياچا، *Nuovi studi su la città di Milano*. بالرمو ١٨٦٦، ص ٦٨. ملحوظة ٦. جوفريمو بوريللو، [قطاع ميلاتسو]. فى نصه فى هذه الوثيقة لعود الضيعة المسماة بونتيللو فى أرض تلك المدينة. جعلها تمتد

*usque ad viam quae vadit a Sancto Philippo in villam Milani, deinde convergendo per viam viam ad aliam frangigenam quae conjungitur prope mare ante villam Milani, deinde revertitur per eandem viam frangigenam usque ad mare, etc.*

ولا يجب أن ننقضى عما أراء بشأن هذه الوثيقة، المنشوخة من مخطوطات مكتبة بلدية بالرمو. والمنقولة أصلاً عن اليونانية. فى العتبة القسطنطينية كما هو واضح، وهو أنها تغيرت بلا شك، سواء فى الأصل، أو فى الترجمة. وهى العتيقة، علاوة على أن الخمسمشرية الثانية عشر لا تتفق مع عام ١٠٨٦، فإننا نجد تسمية دكانلى مسينا وثرانيا، وكبير أساقفتها روبرتو، ومن الواضح أن هذه الكلمات لم تكن مكتوبة فى العام المذكور، لأنه لم يكن من الممكن التحدث حينئذ إلا عن أسقفية ثراينا؛ حيث إن من المعروف تماماً أن تغيير الكرسي وإضافة كنيسة مسينا فى تسمية الأبرشية، قد حدث فى عام ١٠٩١. وعلى الرغم من هذا فإنه لا يوجد سبب لافتراض أن تسمية «الطريق الفرنسى» كان من اختراع أحد أصحاب العلم من القرن السابع عشر أو الثامن عشر؛ ومع ذلك فإننى أقبل هذه الشهادة عن واقع ماضى، وهى ترجع على أية حال إلى القرن الثانى عشر.

(2) وثيقة عربية لاتينية بتاريخ ١٥ مايو ١١٨٢، وقد نشر الجزء اللاتينى منها دل چودينشى، *Descrizione del Tempio di Morreale*. الحواشى، ص ٨ والمصفحات التالية. أما النص العربى فلم ينشر. والموضع الذى ذكره موجود فى ص ١١، من *Descrizione*. فى نهاية تقسيم بوفوريرا، حيث نقرا *viam exercitus*. وهذا يتفق تماماً مع النص العربى: طريق المسكر.

تختلف عن نوعية الطرق الكبرى التي كانت تستخدم للتجارة الداخلية، وكانت تمتد من بالرمو إلى مازارا، ومن بالرمو إلى شاكنا، كما يختلف عن مسالك أخرى عامة أو طرق كبيرة مما ورد ذكر أسمائها في وثيقة مونريالي ذاتها(1)، وربما كان قد تم شقها قبل الحرب النورمانية بفترة طويلة.

ونتحدث في النهاية عن الصناعة الوحيدة التي يمكن أن نتوقعها من الإمارة الجديدة، بعد الكنائس والأعمال العسكرية. إننا نشر في كل متاحف أوروبا على العديد من العملات التي ضربها الملوك النورمان في صقلية وكذلك ملوك الأسرة الزهيشية، وعليها كتابات عربية وصيغ إسلامية، حتى إن البعض افترض، عن حق، أن ضرب العملة قد بدأ في السنوات الأولى للسيطرة النورمانية. أما تشيسمن الذي مهد لعلم العملات الشرقية وتعدت كثيراً في ذلك المجال الجديد، فقد نشر، بناء على رسم أرسل إليه من صقلية، عملة ذهبية نسبها إلى روبرتو جويسكاردو، ونسبها آخرون للأب هيللا، كبير الرهبان؛ وإذا لم تكن الحروف قد تغيرت فيها تماماً بعد ثلاث أو أربع عمليات نسخ للرسم. فإننا نقرأ على الوجه الأول اسم الملك تانكريد، ولذا فهي ترجع إلى آخر السلسلة النورمانية(2) وليس لأولها. وقد نشر أدلر بعد ذلك بعض الزئيمعات، أو التاريز الذهبية، يظهر عليها بمنتهى الوضوح اسم روجيرو ويظهر في بعضها لقب ملك؛ ولكن بدا لأدلر في

(1) دل جودينشي، المرجع السابق، ص ١٦ و ١٩ و ٢١ إلخ. الوثيقة اللاتينية ورد بها هنا «طريق عام»، وورد بالعربية لفظ صحبة وأحياناً أيضاً طريق، كما ذكر من قبل في «طريق الجيش».

(2) تشيسمن *Introdutio in rem nummariam. ecc*، ص ١١٦، وسبينيلي، *Monete Cufiche battute da Principi longobardi, normanni e saroï*، نابولي، ١٨٤٤، ص ١٦ و ٢٢٢، يرى أن تصميم هذه العملة اخترعه كبير الرهبان هيللا، وموزيللازو، الذي نجح في كتابته (*Opere*، المجلد الثالث، ص ٢٢٩)، وتعرف على العملة واتسمتها للملك تانكريد، ما هو ينسب هذا الآن (*Medagliere arabo-siculo*، ص ٢٥) ليتبع افتراض سبينيلي. ومع ذلك نقرأ بوضوح تام عبارة الملك نان .... بعد، في الرسم الذي صوره هذا الأخير، صورة ٢، رقم ١ (ولا يتوهر أمامي رسم تشيسمن).

عملات أخرى أنه يقرأ لفظ أمير، حتى إنه يمكن الشك فيما إذا كانت تخص الأب أم الابن، كما يفترض من نعملها(1). وقد أعقبه كاستيليوني، الذي أضاف لقراءة أمير قراءة صقلية(2) وساقا وراعيما مارسدن(3) الذي بدا متشككاً. وقد سلك أمير سان جورجو سبينيللي طريقاً آخر، عندما ألف كتاباً ضخماً مزوداً بالصور وجديراً بالشاء من جواشب عديدة، بعد أن توافرت بين يديه في نابولي مجموعات كبيرة جداً من العملات. وقد نسب ذلك النبيل وهو من نابولي، مع علمه الفزير، ومعرفته المتواضعة للغاية بالعربية، نسب للكونت الكبير سبعة عشر تارياً من الذهب تزن جراماً أو أقل قليلاً، وكانت تحمل الرمز الإسلامي على أحد وجهيها، وعلى الوجه الآخر اسم روجيرو، يسبقه، كما يرى المؤلف، تارة لقب كونت ولقب دوق تارة أخرى، وعلى الحواف بعض بقايا كتابه، كان سبينيللي يبحث فيها عن تحديد للزمان والمكان(4). وقد أقر مورتيلازو هذه العملات، مع شيء من التصحيح الذي لا يتعلق باسم الأمير(5). ويؤسفني أن عمل سبينيللي في مجمله لا يقدم لنا ضماناً على ذلك العلم الواسع وتلك العين الفاحصة في مجال العملات الإسلامية، يمكن أن تقودنا إلى الافتتاح بقراءة هذه العملات السبع عشرة: ويؤلمني أيضاً أنني لا أستطيع الاعتماد على الأشكال المحفورة، التي تكفي أحياناً للتعرف على خطأ قراءة سبينيللي وتفسيره، وذلك سواء لعب في العملات المستهلكة أو في الرسم.

(1) أدلر *Museum Cuficum Borgianum*، ص ٨٠ والمصفحات التالية من رقم ٦١ إلى ٧٥.

(2) *Monete cufiche*، ص ٢٢٩، ٢٣٠ رقم ٢٧٩.

(3) *The Oriental coins*، المجلد الأول، ص ٢٩٩ و ٢٠٠ رقم ٣٠٨.

(4) *Monete Cufiche*، إلخ، ص ١٦ إلى ١٩، رقم ٦٥ إلى ٧٢ و ٧٥ و ٦١٩ إلى ٦٥٧.

(5) *Il medagliere Arabo-Siculo della Biblioteca Comunale di Palermo*،

*coordinato e illustrato dal Marchese Montillaro*، ص ٢٦ - ٢٩.

ولا أعرف لماذا يرى مورتيلازو، ص ٣٦، رقم ١ أن العملة رقم ٦٦ التي أوردها سبينيللي هي العملة ذاتها التي عرضها أدلر، المرجع السابق، تحت رقم ٦٩: ثم بعد أن

ولكنها لا تساعد مطلقاً على تصحيح قراءتها ، ويجب أن يضاف إلى ذلك أنه ، إذا حكمنا من الصور ، فإن لقب فوق الذي قراء سبينيللي في إحدى العملات (1) يشبه تماماً الكلمة التي ينقلها كونت من عملة أخرى ؛ وإذا سلمنا بالقراءة الأولى فسوف تعود العملة إلى روجيرو فوق بوليا الذي كان سيداً في البداية على كل مدينة بالرمو ثم لتصف المدينة بعد ذلك . والآن فإنه لا يطيب لنا أن نتحسس طريقنا على هذا النحو . وسوف ننتظر حتى تراجع عيون أكثر خبرة تلك المجموعات التي استخدمها سبينيللي ، أي مجموعته الخاصة ومجموعات فوسكو وتاهوري وسانتانجيلو وكابالبسي ؛ حتى يمكن أن يميز عملات القرن الثاني عشر عن العملات التي يمكن أن يكون الكونت الأول قد ضربها . وفي هذا الإطار سيظل هناك خلاف بسيط معلق ، حول ما إذا كانت الرقيمات الصقلية قد ظلت تُضرب دون توقف منذ أيام الخلفاء الفاطميين (2) حتى أيام الملك روجيرو وخلفائه ؛ ومع ذلك ستبقى لكونت صقلية الأول تلك العملات النحاسية التي تحمل الصورة والحروف اللاتينية ، التي عادة ما تنسب إليه (3) .

---

ندم لأنه نسبها من قبل للملك روجيرو (مورتلانو ، *Opere* ، المجلد الثالث ، ص 104) فيقبل الآن قراءة سبينيللي الذي يرجعها لكونت الأول . ونظراً لما يمكن استخلاصه من رسومات بدائية ، فلم يقرأ أدلر كل شيء ، وعالج مورتلانو بصورة سيئة النقص الموجود وكتابة *l. m. f.* التي استبدلها سبينيللي ، لا تتضح من الصورة (اللوحة الثانية ، رقم ٢) . ويقل عندي الشك في اسم روجيرو في هذا الرسم وفي الصور التالية ؛ ولكن هذا قد ينطبق على الابن . وكذلك الأب وأيضاً فوق بوليا الذي يحمل الاسم نفسه . (1) رقم ٧٢ ، ص ١٩ ، اللوحة الثانية ، رقم ٢٢ ، مع المقارنة برقم ٢١ وأيضاً برقم ١ إلخ . (2) انظر كتابنا الرابع ، الفصل ١٢ ، ص ١٦٧ - ١٧٠ ، من المجلد الثاني . (3) *Paruta* ، لدى بورمانو ، *Thesaurus Antiquitatum Siciliae* ، ec. المجلد السابع ، ص ١٢٢٢ والمجلد الثامن ، لوحة ١٨٧ . واعتقد أن العملتين رقم ٢ و ١ من تلك اللوحة ، اللتين لعمالن على أحد الأوجه الـ *T* مكان الفارس المسلح ، تنتميان للكونت روجيرو الثاني .

## الكتاب السادس

### الفصل الأول

قد أتجاوز كثيراً الحدود التي وضعتها لنفسى عندما شرعت فى وضع هذا العمل، إذا ما واصلت معالجة تاريخ صقلية بتفاصيله كلها حتى الحقبة التي بقى فيها سكان مسلمون. ولهذا فإننى سوف أتعرض بشكل سريع فى هذا الكتاب للخطوط الرئيسة الخاصة بأحداث البلاط والسكان المسيحيين بالقدر الذى يسمح بتوضيح الأحداث المتعلقة بالمسلمين. التى سوف أسجل كافة تفاصيلها التى وصلت إلينا. وسوف أضيف إليها علاقات الإمارة مع المسلمين خارج الجزيرة، سواء لارتباطها بموضوعنا، أو لما بالأحداث من جديد يستخلص فى معظمه، الآن ولأول مرة، من الكتابات العربية. تنقصنا الحوليات المسيحية الصقلية من العام الأول إلى العام الحادى والعشرين من القرن الثانى عشر عندما ظهر بغتة روجيرو الشاب، ظهر بصفته رجل دولة، قديراً بجيشه وثرواته، فاتحاً لبوقية بوليا ومناهضاً جريئاً جداً للبابوات. وإذا ما قارنا بالوثائق الكلمات القليلة التى ذكرها عنه المؤرخون، فإننا نلاحظ بالكاد فى هذه الفترة أنه بعد وفاة الكونت روجيرو الأول: (١١٠١)، بقى له طفلان وهما سيمونى وروجيرو، وكان عمر أولهما ثمانى سنوات والثانى ست سنوات؛ كما نلاحظ أن الكونتيسة أديلابدى قد حكمت صقلية وكلايريا باسم الأول حتى عام ألف ومائة وخمس(١)، كما حكمتها

(١) بالنسبة لسن ابنى أديلابدى انظر الكتاب السابق، الفصل السابع، ص ١٩٥ من هذا المجلد.

وقد دُميا أدالاسيا وسيمونى فى الخمس وثلاثى التالية: عام ١١٠١، أكتوبر. لدى سباتا، Pergamene، ص ١٩١؛ وعام ١١٠٢، يبرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٠٢٨؛ وعام ١١٠٥،



باسم روجيرو حتى عام 1112(2)، إلى أن أصبح الشاب، في العام التالي، كامل الأهلية وحاكماً للدولة؛ وذهبت الأم إلى فلسطين لتتزوج من بالدوين الأول، ملك اورشليم؛ وحملت إليه كنوز منقلية؛ غير أنه ما أن بدد تلك الكنوز حتى فسخ الزواج، وتفاوض عن ذلك كل من البابا والبطريرك ومجمع (1116)، ورجعت أديلايدى إلى منقلية تمنى المهانة وماتت بعد ذلك بفترة وجيزة (1118)(2). وتذكر إحدى الكتابات التاريخية بشكل عام أن سيمونى تعرض إبان فترة حكمه

جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل الثاني. العاشية ٢٠. وعام ١١٠٥. مايو وثقتان. سبانا. المرجع المذكور. ص ٢٠٢ - ٢١٢. إن تاريخ وفاة سيمونى وردت في وثيقة لدى بيرو. المرجع المذكور. ص ٦٩٧. حيث إن عام ١١٠٨ قد حسب العام الرابع من حكم قنصلية روجيرو. وجدير بالتنبيه أنه في أوجيللى *Italia Sacra*. طبعة كوليتى. الجزء التاسع. ص ٢٩١. توجد وثيقة لروجيرو. كونت كلابريا وصقلية لعام ١١٠٤. المرسوم الثاني عشر. لعل العام ينقضى تصحيحه ليصبح ١١١٩. لأنه بالإضافة إلى اسم روجيرو. الذى لم يكن قد جلس بعد على العرش عام ١١٠٤. يوجد اسم جوفريدو. أسلف مسينا الذى يبدو أنه قد رُسم أسقفاً حوالى عام ١١٠٨ وعاش حتى عام ١١٢٠. وبيرو. المرجع السابق. ص ٢٨٥. بأنى بوثيقة لسلنه روبرتو مؤرخة بعام ١١٠٦.

(2) بالإضافة إلى الوثيقة التى ذكرناها لروجيرو الثاني مع أديلايدى أو له وحده. لدينا أيضاً الوثائق التالية: عام ١١٠٩ سبانا. المرجع المذكور. ص ٢١٤. وعام ١١١٠. هراير. *Neapolitani Archivi Monumenta*. الجزء السادس. ص ١٨٠. وعند أوجيللى. الجزء المذكور. ص ٤٢٩. (والذى ذكره خطأ جريجوريو في *Considerazioni*. الكتاب الأول. الفصل السادس هامش ١٦ بتاريخ ١١١٢): وعام ١١١٠. أبريل. سبانا. المرجع المذكور. ص ٢٢٢. وعام ١١١٠. بيرو. المرجع المذكور. ص ١٠٢٨. وعام ١١١٩. بيرو. المرجع المذكور. ص ٧٧٢. وعام ١١١٢. مارس. مسينا. سبانا. المرجع المذكور. ص ٢٢٩. عام ١١١٢. يونية. بيرو. المرجع المذكور. ص ٨١. وعام ١١١٢. نوفمبر. سبانا. المرجع المذكور. ص ٢٢٢.

(2) البرنى الكونسيس. الكتاب الثاني. الفصلان ١٢ و١٤. وهولكيرس كارنوتسيس. أعوام ١١١٢ و١١١٦ و١١١٧: وكتاب *Historia Hierosolimitana*. مجهول المؤلف. سننا ١١١٢ و١١١٦. وويليلمى. *Arch Tyrensis*. الكتاب العاشر. الفصلان ٢١ و٢٩: واوريتشلى هيتاليس. *Hist. Eccles.* الكتاب الثالث عشر: سيكاردى وبيرناردى وبيرناردى تيزاور. الفصل ١٠٠. لدى موراتورى. *Ref. Ital. Scr.* الجزء السابع: وسيكاردى أشتف كرمونا. لدى موراتورى. المجلد السابق ص ٥٩٠ و٥٩١. إن تاريخ وفاة أديلايدى نستدل عليه بشاهد مدونها. لدى بيرو. *Chronologia Regum Siciliae*. ص ١١. ولدى جواتيريو في مجموعة بورمانو. المجلد السابع ص ١٢١٩ رقم ٨٢.

القصيرة لمضايقات خطيرة من جانب أهالي بوليا(1) ومن هنا يبدو أن بعض بارونات ذلك الإقليم أو ربما الدوق، حاولوا احتلال مناطق كلاهريا. وقد كتب أوردريكو هيتالي. وهو راهب فرنسي في ذلك العصر، أن روبرتو، أحد أبناء دوق بورجونيا، قد دعت أهالي بوليا إلى صقلية وجعلت منه أداة لقمع البارونات، ثم تزوج إحدى بناتها وبعد ذلك مات بالسقم ميتة تمسقة(2)؛ ولكن اسمه لم يذكر في المذكرات الصقلية(3)؛ غير أن عملاً شنيعاً، مثل ذلك ويمكن حدوثه بسهولة في أي عصر من العصور، لا يجب أن يصدق بناء على كلام ذلك الراهب، الشغوف بالقصص الخيالية والذي لم يحب إيطاليا على الإطلاق، إن كبير رهبان تيليزي، كاتب أحداث حياة الملك، كتب القليل عن طفولته؛ يذكر أن الدولة قد حكمتها أمه أديلايدي الحكمة جداً، وأن روجيرو، ما كان يرى فقيراً أو عابر سبيل إلا وعطف عليه بالنقود كلها التي في جيبه وأيضاً النقود التي كان يطلبها من أمه؛ وأنه، عندما كان

(1) كتاب مجهول المؤلف، في كتاب كاروزو، Bibl. Sic. ص ٨٤٦ وترجمتها إلى الفرنسية في طبعة أماتو Ystorie de li Normant، ص ٢١٢ ويرد رومالدو سالرنيتانو هذه الكلمات في العوالمات، عند موراثوري، Rev. Ital. Ser. المجلد السابع. (2) Historia ecclesiastica، الكتاب الثالث عشر، عن دوشسني Hist. Norm. Script. ص ٨٩٧، راجع مستلثات هذه الأخبار في كاروزو، Bibl. Sic. ص ٩٢٠ والذي بدا له شيئاً حسناً أن يتر الرواية لكن يحذف كل الأحداث والكلمات التي يمكن أن تفسر إلى روجيرو أو والدته.

(3) لا تذكر الأخبار الإيطالية ذلك الاسم، ولا نجده في الوثائق، وكذلك وثيقة مايو ١١٠٥، التي تم ذكرها في ص ٢١٠، هامش ١، فهي تحتوي على أسماء وزوا ذلك العصر، أي الأراخنة؛ نيكولو كامارلينجو، وليوني لوجوتيتا وإوجينيو، الذي يمكن بالمصادفة أن يكون ذلك الأميرال الذي يحمل هذا الاسم، ولم يذكر حتى اسم روبرتو في الوثيقة المهمة، وثيقة يونيو ١١١٢ التي ذكرناها لتونا، والتي يلزم التحدث عنها بإفصاح أكبر. وأحدى وثائق ١١١٢، ولدنا عنها فقرة في جوجوريو، Considerazioni، الكتاب الأول، الفصل السادس، هامش ٩، تذكر الأسماء الخاصة بالمكلفين الذين أنابهم أديلايدي عنها لبث في نزاع إقطاعي منهم، أي روبرتو ألينيل وروجيريو دي مومبراي، وراؤل دي بلباس وروبرتو براليس. وأسرة ألينيل الشهيرة لا علاقة لها بمهفات بورجونيا، وكان روبرتو في صقلية قبل حكم الوصاية بفترة طويلة، ونقرأ اسمه في الوثائق الخاصة بالكونت الأول.

والده على قيد الحياة، كان يلعب لعبة المنازلة مع غيره من الأطفال وكان يقلب دائماً أخاه الأكبر ويمزج معه قائلاً: «أترك لي التاج والسلاح، فأجعلك أسقفاً أو باباً لروما» (1). وهذه الحكايات إنما تدل على روح الفتى الوثابة، كما تدل أيضاً على أن الحديث عن الباباوات في ذلك العصر لم يكن لينم عن إجلال كبير وتدل أيضاً على التقدير والاهتمام بالمطف والتصدق، وهو فضيلة عظيمة لدى المسلمين؛ غير أن هذه الحكايات لا تحدد لنا بالتأكيد تاريخ العصر. أما عن ندرة القصص فهي تفيد أيضاً في الاستدلال على أنه في ظل حكم الوصاية لم تقع أحداث لها وقعها؛ أي أن الكونتيسة ومستشاريها قد استطاعوا على أرض الواقع استعمال النظم الجيدة التي وضعها روجيرو الأول وربما تمكنوا من السيطرة على ذلك الخليط الجديد من البشر، ذلك الخليط الذي قد يبدو فعلاً رمزاً للشقاق. إن الإقطاع الذي انقلب بشكل سريع إلى فوضى في دوقية بوليا، لم يجرؤ على أن يرفع رأسه في صقلية؛ وهذا الكلام العام، تم إيجازه في كلمات أشراف مناطق تراينا، وشينتوري وأراض أخرى في أواسط صقلية؛ أولئك الأشراف الذين شهدوا في عام ١١٤٢ في الحكم بالحدث التالي الذي وقع أيام حكم الوصاية، فحينما تقدم أحد الأشخاص، ويدعى إليماز (2) وهو سيد منطقة سان فيليبو دا رجيرو واشتكى من أن أسقف تراينا سيد منطقة ريجالبوتو، قد اغتصب قطعة من أرضه، عندئذ عهدت أدليايدى بهذه القضية إلى

(1) *Alexandri Abatis, etc.* في كتاب كاروزو. *Bibl. Sic.* من ٢٥٨ - ٢٥٩.  
 (2) في جريجوريو نفرا ليهيراريس. وهذا خطأ في كتابة الاسم وقع فيه المترجم اللاتيني لأن نسخ النص اليوناني نفرا فيها *Αιμαζος*، وربما كان ليميزيري هو نقل الاسم الهزار الذي كان اسم سيد منطقة جالاتي ابن جوليمو مالايرت وذلك طبقاً لوثيقة يونانية ترجع إلى ١١١٦، عند سبانا. *Pergamene*. من ٢٤١. ومن حيث الشكل فإن اسم إليماز هذا فيما يبدو لقباً عربياً ومعنى الأظهر، أي «المضيء» وإن يكون ذلك جديداً بعد ذكر لقب سيد. وهذا مثال للقب أخذ المسيحيون من اللغة العربية. والاحتمال الأقل هو أن يكون محاكاة للاسم العبري «إليماز».

روبرتو ألهينيل وإلى كبار آخرين؛ فانتقلوا مع أشرف آخرين ومع المتنازعين إلى موقع الخصومة، وأعلن ألهماز أنه يريد حسم الحدود بالسيف، ولكنه هذا بعد أن تحدث معه روبرتو والآخرين؛ وبعد ذلك لجأ الحاضرون إلى دليل الشهادة ثم إلى القرار كما كان يحدث في عصور التضرر<sup>(1)</sup>، وقوة الحكم هذه إنما كانت تابعة من النظام الذي كان قد فرضه الفاتح على الإقطاع، كما كانت تصدر من حذر وشجاعة أدبلايدى ومستشاريها الذين اعتمدوا على المسلمين ورسخوا مقر الإمارة في بالرمو.

كان من الصعب الاستمرار في إدارة دفة حكم الدولة الجديدة من مدينة ميليتو أو من مدينة تراينا، وكان الرأي الصائب أن تكون العاصمة في صقلية و أن تكون مطلة على البحر؛ بل يبدو أن الكونت الأول، طوال الفترة التي لم يحكم فيها بالرمو، كان قد اختار مدينة مسينا؛ ليس لأنه قد قوى دعائمها فحسب بل وأيضاً لأنه قد حول إليها مقر أسقفية تراينا<sup>(2)</sup>، كما يعود إلى زمنه، أو الفترة الأولى من حكم الوصاية إنشاء مصلحة صك العملة<sup>(3)</sup> والقصر الملكي<sup>(4)</sup>، واعتقد أيضاً الترسانة البحرية في تلك المدينة، غير أنه عندما

(1) الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة قد تم نشر جزء منها من جانب جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الأول، الفصل السادس، هامش ٩ وقد أشرنا إلى هذه الوثيقة مع الإضافة منها في الكتاب الخامس الفصل العاشر من ٢٨٥ من المجلد، هامش ١.  
(2) انظر الكتاب الخامس، الفصلين السادس والعاشر من ١٦٤ و ٢٠٣ وما بعدها من المجلد.

(3) هناك عملات عربية وعملات لاتينية للبلوك النورمان بصقلية، تم سكها في مسينا، ونقود عربية تم سكها في عاصمة صقلية أي بالرمو. وإذا ما نحينا جانباً الكتابات الكثيرة التي تم نشرها في صقلية في القرون الماضية في شأن هذه القضية، فإنه من المؤكد أن داري صك النقود قد وجدنا معاً في القرن الثاني عشر.

(4) بالإضافة إلى وثائق الكونت الأول الصادرة في مسينا، فهناك وثيقة ترجع إلى عام ١١٠١، توجد في كتاب أوجيلى *Italia Sacra*، المجلد التاسع، ص ١٢٩، تتحدث عن أساقفة وبارونات اجتمعوا في كنيسة مسينا بدمية من الكونتيسة أدبلايدى وابنها روجيرو؛ ووثيقة أخرى ترجع إلى ١١٢٦، في كتاب دي جروميس، *Catana Sacra*، ص ٢٩ مجلس كان يعقده الكونت العظيم روجيرو في قصر مسينا، إلخ.

حصل على نصف مدينة بالرمو (١٠٩٣) وأخذ في إدارة المدينة بنفع كبير لصالحه ولصالح دوق بوليا(1)، فإن روجيرو قد وجد في بالرمو الأسس التي تهيئه له إعادة بناء أجهزة الجزيرة كلها.

إن الدواوين التي أسسها الأمراء الأوائل وأعاد الكليبيون تنظيمها، لم تكن قد دمرت بالتأكيد عندما احتل النورمان المدينة، وظلت باقية وإن أصابها بعض الإهمال لفترة من الوقت. تلك المباني السكنية، ودور المحفوظات، ودار سك النقود والترسانات(2)؛ وكان لا يزال موجوداً أيضاً بعض أمناء السر والمحاسبين؛ ولم يكن روبرتو أو روجيرو من الرجال الذين يتركون آلة عمل مهياة بهذا الشكل دون الاستفادة منها. والدواوين التي تم الحفاظ عليها وإصلاحها، قد جذبت إليها بلاط أدبلايدى: كما جذبت مدينة يقطنها مائتان أو ثلاثمائة ألف نسمة، بقصورها الفخمة، وصناعاتها المزدهرة، وبما تتمتع به من فخامة وثروات تجعلها تنافس مدينة قرطبة. وكان لابد أن تثبت التجربة للحكام أنهم إذا كانوا يستطيعون، وهم في مسينا الحفاظ على زمام الأمور في كلابريا بشكل أفضل، فإنهم في مقابل ذلك كان يمكنهم من بالرمو بسط يدهم وسيطرتهم بصورة أقوى وأشمل على صقلية كلها؛ وأن الذهب والحديد وولاء مسلمي بالرمو الضروري، إنما هي عوامل سوف تبرز الأمير وتسانده ضد البارونات الذين كانوا يمثلون مشكلة كبيرة للحكم في المصور الوسطى.

ومن جانب آخر فإن ذلك البلاط اللاتيني لم يكن لديه من المبررات ما يجعله يفضل الإقامة في مدينة مسينا المكتظة باليونانيين بدلاً من الإقامة في مدينة بالرمو ذات العدد الضئيل من المسيحيين. لذا

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل السابع، ص ١٨٦ من هذا المجلد.

(2) يذكر الإدريسي صراحة أن الأسطول والجيش كانت تتحرك في حروبها في عصره كما في المصور الماضية، من مدينة بالرمو. النص في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٨. وعن دار سك النقود قد تعدنا في الهامش السابق كما تعدنا عن الدواوين في الكتاب الخامس، الفصل العاشر، ص ٢١٨ وما بعدها.

شرعت أديلايدى، دون أن تترك تماماً مقرها فى ميسينا، فى الاستقرار فى بالرمو وجعلت منها حقيقة عاصمة للجزيرة. وقع ذلك فى أوائل القرن، فى عام ١١١٢ بالضبط؛ حيث إن التصديق على امتيازات رئيس أساقفة بالرمو ومجلس كهنتها الذى قامت به بشكل رسمى فى الأول من يونيه من ذلك العام «الكونتييسة أديلايدى وابنها روجيرو الذى أصبح فارساً وكونت صقلية وكلابريا، بمقرهما فى بالرمو فى قاعة القصر العلوى، فى صحبة كهنة وبارونات وفرسان»، ذلك التصديق كان فيما يبدو لى مراسم حفل إفتتاحى. وقد وقع على هذه الوثيقة بصفتهم شهوداً، كثير من البارونات الإيطاليين والفرنسيين المعروفين من خلال أوراق الكونت الأول. ومعهم شخص يدعى كريستوفورو وهو أدميرال (1).

وهنا موضع البحث عن أصل هذا المنصب، الذى ظهر لأول مرة بين المسيحيين فى قصر بالرمو، ومن هناك أيضاً، وبعد أن تغيرت طبيعته، أصبح ذلك اللفظ الذى يستخدم اليوم فى كل اللغات الأوربية. إن كلمة أدميرال هى تحريف للكلمة العربية «أمير» التى نسخها البيزنطيون بأمانة كما هى ولكن جعلوها فى حالة المضاف إليه «اميرادوس» *αμειραδους* (2) وانتقلت بهذه النهاية إلى المسيحيين الغربيين، تماماً كما حدث بمصطلحات يونانية أخرى. وفى الواقع فإن الكتاب فى أواخر العصور اللاتينية لم يطلقوا على الأمراء المسلمين إلا لفظ «اميراتوس»، إلا أنهم كانوا يخفون من نطقه ليصبح اميرالوس، كما كانوا يشددون نطقه أحياناً ليصبح

(1) عند بېرو، *Sicilia Sacra*، ص ٨١ و٨٢.

(2) تقرا *Palermo Antico* ص ٧٨؛ وتقرا *تقويم* أيضاً لدى إوستاسيو. رئيس أساقفة سالونيكى، طبعه بون، ص ١٧٧. وفى الوثائق اليونانية الخاصة بصقلية والتى تذكرها فى هذا الفصل، تقرا *αμειραδους* *αμειρα* و *αμειραδους* و *αμειρα* و *αμειραδους* وبخصوص هذه المادة انظر التمامس اليونانى ليوكانج الذى لاحظها لأول مرة فى *Continuazione di Teofane*.

ادميراريوس أو ادميرانتوس لكي يعطوه بعض الدلالات في لغتهم(1) وكما ذكرنا من قبل كان روبرتو جويسكارو. عندما قام بترتيب الأمور في بالرمو، قد وضع أحد رجاله على رأسها بلقب «ادميرال»(2). وهي المدينة الإسلامية كان يعين ولاية مسلمين، إذ لم يكن في وسعه أن يفعل غير ذلك. وكان أولهم أمير الإقليم، فهو الرئيس السياسي بيت في قضايا الدولة(3)، وهو ما يتفق مع المنصب واللقب نفسه اللذين كان يتداولهما حكام صقلية في عصور الحكم الأغلبى والفاطمي. ويبدو أن الكونت روجيرو عندما أخذ مدينة بالرمو بالافتساح قد عين أحد أمثاله أميراً عليها، وهو يوناني من كلابريا أو من صقلية، وكان يدعى إوجينيو؛ وما نستطيع أن نعرفه عنه هو أنه قد حصل على ذلك اللقب وكانت له أملاك في بالرمو وأنه

(1) انظر دوكانج، القاموس اللاتيني، في مادة *Amir* و *Admiralius*.. إلخ. وكلمة *Amiratus* قد استخدمت، من وجهة نظرنا، لأول مرة من قبل ابنهاردو، *Annales*، عند بيرتر، *Scriptores*، المجلد ١، ص ١٩٠، تحت عام ٨٠١، حيث لقب بهذا اللقب إبراهيم بن أحمد الأغلبى، أمير أفريقية. وسجكاردى، أسقف كرمونا، عند موراتورى، *Ret. Ital. Script.*، المجلد السابع ص ٦٠٥، عام ١١٨٨، يطلق لقب اميرانتوس على قائد الأسطول المسمى ولقب *Admirandus* على أحد امراء صلاح الدين. وأيضاً مرانجوني في *Archivio Storico italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ١٨، بلقب قائد الأسطول المسمى، في عام ١١٥٨ بلقب ادميرانتوس ثم المبروس، ويشرح دياكونو، الكتاب الرابع، الفصل العاشر عشر، عند موراتورى، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٤٩٩ يتحدث عن اميراريوس بيهيلونيا (أي القاهرة). إن الترجمات اللاتينية والإيطالية التي ترجع إلى القرن الخامس عشر والتي نجدتها في *Diplomi arabi dell'Archivio fiorentino* تذكر لفظ ادميرانتوس في ٢٥٦ و ٢٥٦ وأيضاً ادميرايو في ص ٢١٧ و ٢٥٠ إلى ٢٥٤ بمعنى أمير الإسكندرية، كما نرى في ترجمة أخرى ترجع إلى القرن الثاني عشر، ص ٣٦٠ *admirator galearum* يطلق على أحد المسلمين، وحين تضاف هذه الأمثلة إلى الأمثلة الكثيرة التي يذكرها قاموس دوكانج، وستأكد من أن لقب اميرانتوس *Amiratus*، بكل بدالته يوافق لقب امير، نذكر أيضاً في هذا المقام أرجو فالكاندو وريموالدو سالرنيتانو اللذين أطلقا لقب اميرانتوس على نبلاء من صقلية ولقب الأول منهما قائداً يدعى بيثرو بلقب *Magister Stollii* وقد كان على رأس أسطول صقلية.

(2) الكتاب الخامس، الفصل الخامس، ص ١٤٤ من هذا المجلد.

(3) الكتاب الثالث، الفصل الأول، ص ٦ وما بعدها من المجلد الثاني.

أسس ديراً في مدينة تراينا (1)، ثم يأتي بعده الأميرال كريستوفورو، الذي ذكرناه لتونا وهو في منصب يقارب وزير الدولة، ويوقع هبة حررت في ميسينا في فبراير 1110 (2) ثم وقع، مع أقطاب القصر،

(1) نشر بيرو في *Sicilia Sacra*، ص 1016 - 1017، وثيقتين تتعلقان بإوجينيو هذا، في الوثيقة الأولى والتي ترجع إلى عام 1093، فهو يُدعى مسجلاً، الأمر الذي كان يعني في ذلك العهد أمين السر. إن الكونت روجيرو، بناء على طلبه، قد منحه ديراً خارج مدينة تراينا، لكي يقوم بإعادة بنائه وعهد إليه مسئولية رعاية ذلك الدير وقد دفع ذلك بيرو إلى أن يجعل من أوجينيو راهباً باسيليًا ورئيساً للدير. والوثيقة الأخرى التي تخص الملك جوليئمو والتي ترجع إلى 1169، فهذا أن نقلت ما سبق ومنحت أيضاً أصلاً أخرى إلى الدير، أقيمت إوجينيو بقلب أميرال. ويبدو إذن أن أمين سر عام 1093، بدلاً من أن يخل على نفسه باب الدير، قد أرسله الكونت ليحكم مدينة بالرمو. وقد لا يكون بعيداً عن الاحتمال أن يكون هذا الشخص الذي يُدعى إوجينيو هو الشخص نفسه الذي لقب بقلب أرلن في وثيقة مايو 1105، لدى سبانا، في *Pergamene*، ص 207. وتوجد أثراً مؤكداً لذلك في وثيقة يونانية ترجع إلى عام 1112، عند مورو، *Palermo Antico*، ص 312 وما بعدها. وفي محفوظات كنيسة بالاتينا في بالرمو نفسها ص 20 وما بعدها. ومن هنا نلاحظ كيف أن بعض أفراد من سلالة إوجينيو الأميرال قد باعوا، إلى الكنيسة التي تسمى في يومنا هذا بكنيسة مارتورانا، مباتي كانت الأسرة تمتلكها في بالرمو، فام بالبيع نيكولو وأنطيري الزاهية ابنا، الأميرال إوجينيو، ونيتشيتا، زوجة نيكولو، وجوفاني، ونهروورو، وشيفانو وإليسا ابناؤهما. وقد افترقا جميعهم بأنه قد آل إليهم نصيب يهوديشو ابن إوجينيو، الذي ورثه ابنته زويه والتي توفيت هي أيضاً، وإذا ما طرحنا من 1112 فترة تعاقب جيلين، سوف نعود إلى أواخر القرن الحادي عشر ونستطيع أن نستنتج، على أسس مقبول، بأن ذلك الأميرال إوجينيو هو الأميرال نفسه المذكور في وثيقة 1093.

جدير بالملاحظة أنه في وثيقتين يونانيتين، نشرهما مورو، المرجع المذكور، ص 316 و323، وردت الوثيقة الأولى بلا تاريخ ويجب نسبها إلى عام 1112 (انظر موريلارو *Catalogo del Tabulario* بكاتدرائية بالرمو، ص 33)، والوثيقة الأخرى ترجع إلى عام 1201. ونقرأ فيها اسم شخص يُدعى جوفاني، ابن الأميرال إوجينيو ويبدو أن الشخصين اللذين يحملان اسم الأميرال إوجينيو هما في الحقيقة رجلان مختلفان، أولهما يمكننا أن نفترض أنه معاصر للكونت روجيرو العظيم، والثاني ينسب إلى منتصف القرن الثاني عشر. ونستطيع أن ننسب إليه، بدلاً من الآخر، الترجمة اللاتينية لكتاب الضوء لبطليموس والقبولات سيبيلا إريثريا التي سوف نتحدث عنها بعد ذلك في هذا الكتاب.

(2) لقد ذكرنا منذ قليل هذه الوثيقة في ص 311، هامش 1 وأشرنا إلى أنها مؤرخة عند جريجوريو بتاريخ خطأ.



الوثيقة المذكورة سابقاً في يونيو ١١١٢ (1): ونعلم في النهاية أنه كان يملك داراً في مسينا، عادت بعد وفاته، إلى الأملاك الأميرية (2). وأعقبه الأميرال كريستودولو، الذي ذكر اسمه في وثائق متنوعة بدءاً من عام ١١٢٢ أو ربما من ١١١٩ حتى ١١٢٩ بصفته نائباً مدنياً ورسمياً بالبلاط والذي كان يفخم في النهاية باللقب المفرد في التيجيل وهو «التبيل الأعظم» (3). ولكن هذا اللقب يشبه بدرجة كبيرة

(1) انظر بهذا الكتاب ص ٢٤٦.

(2) في وثيقة ترجع إلى عام ١١٥٩، عند بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٩٨، وعند دي هيو، *Privilegia Panormi*، ص ٦. وكان كريستودولو قد توفي في ذلك الحين.

(3) يتم ذكر عدة سابقة للأميرال كريستودولو في وثيقة الكونت روجيرو التي نشرها أوجيلى بتاريخ ١١٠٤ وإذا ما افترضنا صحة المرسوم الثالث عشر المكتوب بها فإنها ترجع إلى عام ١١١٩، كما نيهت إلى ذلك في أول هذا الفصل، ص ٢٤٠، هامش ١.

وقد أطلق على كريستودولو التبيل الأول في وثيقة ١١٢٢ عند سيانا، *Pergamene*، ص ١١٠. وإذا كان السيد سيانا قد قرأ جيداً مختصر اللقب الشرعي والاسم، وإذا لم يكن هناك خطأ في التاريخ، فإنه يتعين مع ذلك أن نفترض أن ذلك اللقب قد منح قبل تلك الوثيقة الشهيرة جداً التي ترجع إلى عام ١١٢٩. وفي وثيقة ترجع إلى عام ١١٢٦،

ترجمت من اليونانية. وتم نشرها بدائل كثيرة، أو بروج مختلفة جداً، في البداية من قبل بيزو، *Sicilia Sacra*، ص ٥٢٦. وبعد ذلك من قبل دي جروسيس *Catania Sacra*، ص ٧٩ و ٨٠. نجد مكتوباً قبل *Georgius de Antiochie ammiratus* وقبل *Joannes Admirati filius Gentilis (sic)* نجد شخصاً يدعى كريستودوروس أو حسبما ذكر دي جروسيس "*Christodorus, ammiratus et Riadotus*". وهذه

القراءة الخطأ بالتأكيد، تبدو ناجمة عن مختصر لم يتم فهمه جيداً من المترجم اللاتيني سهول الاسم وربما تكون هي نفسها التي قرأت روليهوس في وثيقة أخرى، الأمر الذي دفع بيزو إلى أن يطلع ذلك اللقب على كريستودولو. إن كريستودوروس أو كريستودوروس يجب تصحيحه من وجهة نظري إلى كريستودولوس؛ وربما كان اسم *Roxius* هو

بالتحديد اسم روجيرو الشهير جداً ذلك لأن اليونانيين في صقلية كانوا قد اعتادوا على كتابة حرف ج، اللاتينية أو العربية بالعرفين ٢٤٠. وكريستودولو، الأميرال والكتاب الأول، قد تم ذكره في وثيقة يونانية ترجع إلى عام ١١٢٠ عند ترينكيريا، *Syllabs*،

١٢٨. ووثيقة يونانية أخرى ترجع إلى عام ١١٢٦، عند سيانا، المرجع المذكور، ص ٢٦٦. تذكر كريستودولو أميراً. وفي النهاية يجب أن نذكر الوثيقة التي ترجع إلى عام ١١٢٩ التي تذكر لقب التبيل الأول والذي نشره مونفوكون ثم نشره بعد ذلك مورو ونشر بعد ذلك في محفوظات كنيسة بالاتيما بيلارمو، ص ١٠. وبعد كل ما ذكرت فمن نافذة القول القبيح بعدم الاعتماد على قائمة الأميرات الخاصة بصقلية في عصور النورمان، التي ذكرها بيزو، في *Regum Siciliae Chronologia*، ص ٢٥.

قول «تحت أمرك» الذي نقوله عادة للمعوقين؛ حيث إنه منذ سنوات عديدة كان يبرز في حكم الدولة رجل يدعى جورجو الأنطاكي وكان أميرالاً اسماً وفعلاً وبالمعنى الذي نقصده نحن في أيامنا هذه. فنراه في عام ١١٢٣ مُعيناً أو مرشداً لقائد الأسطول الصقلي، وكان العرب يطلقون عليه عبد الرحمن النصراني، أي المسيحي، ومن الممكن أن يكون هو كريستودولو نفسه الذي ذكرناه آنفاً<sup>(1)</sup>، وتطابق شخصيته ربما يفسر لنا كثيراً من الوقائع، كما سوف نرى الآن. إن جورجو، طبقاً للوثائق، كان أحد رجال البلاط عام ١١٢٦، وكان أميرالاً شأنه شأن كريستودولو أو كريزيودورو وابنه جوهاني؛ وفي عام ١١٢٢ كان يلقب بأدميرال الأدميرالات وأرخن الأراخنة وهكذا ظل حتى وفاته<sup>(2)</sup>، وقد زاول، مثل سابقيه، مهام وزير الدولة ومفوض

(1) انظر فيما يلي في هذا الفصل من ٢٥٧. هامش ١.

(2) يحمل جورجو لقب أدميرال في وثيقة ١١٢٦ التي تم ذكرها في الهامش ٢، ص ٢١٦. وفي وثيقة لاتينية ترجع لعام ١١٢٢، عند سيانا، المرجع المذكور، ص ٤٢٦ وما بعدها، قال عنه الملك "Amiratus amiratorum qui praeerat toto regno meo". وفي وثيقة ترجع لعام ١١٢٣، تمت ترجمتها من اليونانية، ذكرها بيري في Sicilia Sacra، ص ٧٧١، أطلق عليه أميرال الأدميرالات، وهناك ترفيمان بسفته بـ «مهم» في وثيقتين ترجمان إلى ١١١٠ و ١١١٢ في محفوظات كنيسة بالاتينا في بالرمو ص ١٢ و ١٦: وقد لقب بالأميرال في وثيقة ترجمت من اليونانية ترجع إلى مايو ١١١٢، ذكرها بيري، المرجع المذكور، ص ٣٩٠ وأدميرال الأدميرالات في وثيقة لاتينية ترجع إلى العام نفسه، المرجع السابق ص ٦٩٨. وفي موزايك كنيسة مارغريتا نُقِبَ بلقب «*Amiratus* فقط، كما يمكن أن يتحقق من ذلك أي شخص ويستطيع أن يقرأ في موزمو، Palermo Antico، ص ٢٨. ويبدو أن جورجو، إما تواضعاً منه، أو عباً في الاختصار قد اعتاد الاكتفاء بذلك. وكان من الغادر أن يضيف لقب أرخن الأراخنة؛ إلا أن أحد ابتائله كان يدعوه دائماً بتلك الصفة.

وجدير بالذكر تلك الكتابة اليونانية المنقوشة التي كانت تقرأ في عهد بيري في كنيسة سانتا ماريا دي كوريتي في بالرمو. في الموضوع الذي قام فيه دير الجزويت وهي الكتابة التي ترجمتها بيري إلى اللاتينية، المرجع السابق ص ٣٠٠ و ٣٠١. وكانت الكتابة منقوشة على حجر نيفزا، والده جورجو *primum principum universorum* (*ἡγεμὸν ἀρχόντων*) والتي توهبت عام ٩٦٨ (١١١٠). وليس هناك ذكر لوالد الأدميرال ولكن بيري وكذلك موزمو، المرجع السابق ص ١٠٨، ١٠٩ لم تفتنهما هذه المناسبة حتى ذكرا فيها كريستودولو وجعلاً منه زوجاً نيفزا.

الأمير في القضايا المدنية؛ وتولى قيادة الأسطول؛ لكنه من غير الواضح ماهية المناصب التي تولاها الأدميرالات الآخرون الذين وردت أسماءهم معه (1) في بعض المستندات، أي إذا ما كانوا قادة أو رؤوسين للوزراء، أو لم يحتفظ بعضهم بغير اللقب، كما قلنا عند الحديث عن لقب قائد (2). وأتينا نرى فقط أن جوفاني، ابن جورجيو (3) قد تولى قيادة أسطول الملك في حرب إيطاليا الجنوبية. وبعد وفاة جورجيو، تساوى من حيث الألقاب والمنصب ماجوني الذي كان معه أدميرالات معاصرون ويكاد يسيطر على الملك والدولة مثل أمير الأمراء إبان أفول الخلافة في بغداد، غير أنه لم يتول على الإطلاق قيادة الأسطول في الحرب (4). وانتهت بماجوني سلطة أدميرال الأدميرالات ولقبه: فبعد أن أصبح حاجب الملك رئيساً للوزراء، أو بعد أن تولى شئون الدولة مجلس مكون من ثلاثة من رجال البلاط، بقي

(1) هكذا جوفاني الأدميرال الابن، ابن جورجيو، على ما يبدو في الوثيقة التي تم ذكرها والتي ترجع لعام 1126 وفي الوثيقة الأخرى التي ترجع لعام 1117. عند بيري، ص 698. حسب وثيقة ترجع لعام 1123. عند جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الخامس، المذكرة 1. قد كلف الأدميرال نودورو بأن يحل مع السكرتير جوارينو، سكرتير الملك، نزاعاً نشأ بين أسقف مدينة ليجاري ومواطني مدينة باثي التابعين له. وتذكر الوثيقة المذكورة التي ترجع لعام 1126. وفقاً لقص دي جروسي. تذكر أدميرالاً يدعى نيكولو، الذي كان، على ما يبدو، قد كلف من قبل الأمير خلال فترة توليه منصب ستراتيغي ما سكالي بتعيين حدود تلك الأرض.

(2) الكتاب للخاصة الفصل التاسع، ص 262 - 265.

(3) رئيس دير تيليزي، في كتاب كاروزو. *Bibl. Sicula*. ص 367.

(4) وقع ماجوني باللاتينية أدميرال الأدميرالات، في وثيقة عربية ترجع لعام 1104 عند جريجوريو *De Supputandis* ص 28. وكانوا يلقبونه بمسادة الأدميرال العظيم كما يتضح لدى هالكاتندو والمؤرخين الآخرين. وكان هذا اللقب الممعدّل قد أصبح لقباً مالوفاً لدرجة أن جوفاني بن جورجيو الأنطاكي قد نسبته إلى والده حين وقع *per ipsum* مع *per ipsum* في وثيقة ترجع لعام 1123. محفوظات كنيسة بالانتينا في بالرمو ص 29. وفي وثيقة لانتينا ترجع لعام 1107. عند بيري. *Bibl. Sicula*. ص 98. وأصدرها باسم الملك ماجوني، أدميرال الأدميرالات العظيم. نقرا أسماء الأدميرال استيفانو ابن الأدميرال العظيم، وأدميرال آخر يدعى أيضاً استيفانو، والذي نعرف عن طريق هالكاتندو أنه كان أخاً لماجوني وأدميرال آخر من سالرنو. وقد عاش في تلك الأزمنة الأدميرال الآخر الذي يدعى أوجينيو، الذي تم ذكره منذ قليل، ص 348. هامش 1.

الأميرال وزيراً للملك للشئون البحرية(17)؛ وفي خلال قرن من الزمان انتقل ذلك اللفظ إلى بلدان أخرى واقتصر على الدلالة على لقب «قائد الأسطول»(28) لدرجة أن العلماء العرب في القرن الرابع عشر عندما وجدوا أن هناك فارقاً بين اللفظ وبين اختصاصاته الوظيفية، لم يترجموه على اللفظ العربي أمير، في لقب أميرال الإيطاليين أو الأسبان(3).

في صقلية إذن وفي منتصف القرن الثاني عشر تغيرت وظيفة

(1) ومن الوثائق المشهورة وثيقة فبراير 1177 التي نص فيها جويلمو الثاني ملك صقلية على هدية عروسه جوفانا التي كانت من إنجلترا ومن كبار رجال المملكة الذين وقعوا على هذه الوثيقة المرتبين حسب مقامهم في الدولة. نقرا: عند الخامس والعشرين ما يلي: *Ego Walterus de Moac Regni (sic) fortunati stolii admiratus* وبني قبله كبار الأساقفة، والأساقفة، وثائب رئيس الدewan، والكونتات. وبعد جوالثيرو نقرا أسماء ومناصب أخرى. ورد ذلك في طبعة رايمر *Foedere, etc*. المجلد 1، ص 17 (لندن 1816).

وكان مارجاريتوني قائد الأسطول الصقلي الشهير في نهاية القرن الثاني عشر بلقب فقط بأدميرال ملك صقلية. في الخيار سيكاردو أسلف كريمونا، عام 1188. في كتاب موراثوري. *Rer. Ital. Script.* المجلد السابع، ص 605.

(2) يبدو أن أهل جنوة هم أول من استخدموا هذا اللقب بعد أهل صقلية. في حوليات كافارو وفي تملاتها نقرا عن *admiratus* أميرال جنوة 1211. وبعد ذلك نقرا عن القبين نُقِباً *armiragii* أميرالات عام 1222 إلى آخره لدى موراثوري. *Rer. Ital. Script.* المجلد السادس العامود 186 و 520.. إلخ. ومن الملاحظ أن أول لقب لأدميرال قد أطلق في جنوة عام 1241. عندما - حل فيمريكو الثاني انسالندو دي ماري- وهو من جنوة، محل الأميرال فيكونو سيغولا الذي كان قد توفي.

(3) التويري. ذكره م. رينو. *Invasions des Sarrazins*. ص 69. هامش 1. حيث يتحدث عن أمير الماء في أسبانيا. لكن لا أستطيع أن اتفق مع أسنادي في اللغة العربية في أن هذا هو أصل لقب أميرال. عندما نلاحظ في وضوح تلك انتقيرات التي طرأت عليه لدى الكتاب وهي الوثائق الأوروبية. والسبب نفسه فائداً نرفض التفسير القوي الذي ذكره خاموس لأكروسكا أي أمير البحر. ولم أجد أبداً هذا اللقب في الكتابات العربية. وابن خلدون في مؤلفه المقدمة، في نص باريس. الجزء الثاني، ص 22. وترجمة البارون دي سلان إلى الفرنسية. الجزء الثاني، ص 37. لأنه يجهل أصل كلمة الميلاند. اعتقد أنها لفظة فرنسية. وفي تاريخ البربر يبدو أنه اعتقد أن لقب أميرال روجير لوريا هو اسم علم (ويجب أن يقرأ المرادف بدلاً من المرادف الذي لا معنى له). نص الجزائر. المجلد الأول، ص 123 المكتبة العربية. الصقلية ص 192. ترجمة دي سلان المجلد الثاني، ص 397. ولا أستطيع أن اتفق مع وجهة نظر العلامة المترجم الذي يرى أن مرادفها هي تحريف للفظ ماركيز. وروجر لوريا لم يلقب أبداً بهذا اللقب.

الأمير، بعد أن اتخذ اللفظ شكله اليوناني واللاتيني بوقت طويل، ولا تتضح لنا كيفية حدوث ذلك التحول من الوثائق ولم يتحدث عنها المؤرخون. ولكن نظراً لنشأتها المؤكدة من الظروف الخاصة بالإدارة العامة في صقلية، فإننا نستطيع أن نعثر على أصولها دون أن نلجأ إلى مشقة التخمين. إن سلطة الأدميرال المسيحي في بالرمو، وهي سلطة نائب الملك في عهد روبرتو وفي عهد روجيرو الأول، وكانت سلطة مقصورة على المدينة وفي نطاق أراضيها، تلك السلطة كان لابد أن تتغير عندما استقر البلاط في العاصمة وازداد بها عدد الأهالي المسيحيين. وعملاً بالمبدأ القانوني السائد في صقلية في ذلك العصر، بأن يحاكم كل جنس طبقاً لشريعته. كان لابد أن تتقلص سلطة الأدميرال في بعض جوانبها وأن تتسع في جانب آخر وأن يترك شئون المسيحيين بالمدينة لغيره من وزراء الأمير؛ وأن تمتد سلطته إلى شئون المسلمين في الجزيرة كلها حسب طبيعتها الخاصة. أي سلطة القيادة العسكرية وكامل السلطة المدنية، فيما عدا الأحكام المخصصة للقضاة. أما وقد اقتضت أهمية قوات المسلمين العسكرية بعد الهزيمة، على الأساطيل فقط، فالجنود المشاة والخيالة كان يتم استدعاؤهم عند الحاجة إليهم فقط وبأعداد قليلة جداً بالمقارنة مع جيوش الإقطاع؛ وبعد انتهاء العملية العسكرية كانوا يُسرحون إلى ديارهم، إلا بعض الفرق المربطة؛ ونستطيع أن نتصور بالرمو، شأنها شأن مدن أميرية أخرى كانت مدينة معفاة من الخدمة العسكرية البرية وملزمة فقط بالخدمة البحرية. ويدفعنا ذلك إلى التفكير في أن الأسطول، وهو القوة الوحيدة الدائمة للدولة، كان يتطلب الرقابة المستمرة على نظام جنود البحرية وعلى صيانة السفن والمعدات وتوفير السلاح والتموين؛ وكان من بين من يعملون على مته رجال مسلمون<sup>(1)</sup>، وكان يعهد بتلك الأمور لمسلمي بالرمو.

(1) يؤكد هذا الأمر، في عمليات الملك روجيرو باهرغيا، التوبري وابن أبي دينار، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٥٢٤، ٥٢٧.

حيث إن ترسانة مسينا<sup>(1)</sup> كانت تحتل مكانة ثانوية حتى منتصف القرن الثاني عشر. ومن ثمة فإن الأدميرال، بالإضافة إلى وظيفته المدنية، كانت وظيفته تتفق مع ما نسميه نحن اليوم وزير البحرية، إلى جانب توليه قيادة الأسطول وقت الحرب، متى كان أهلاً لذلك؛ وكان يزاوئ دائماً سلطاته المدنية والجنائية على الجنود ورجال البحرية<sup>(2)</sup> وخلال حكم روجيرو الثاني ومع مركزية كافة أفرع الإدارة العامة وتنظيمها، ازداد عدد الموظفين، وتطلبت شئون السكان المسلمين الكثير منهم ممن منحوا أيضاً لقب أمير؛ وأطلق على وزير الدولة لشئون المسلمين، مثل جورج الأنطاكي الذي كان أعلى من الآخرين، أمير الأمراء. ولما كان جورجو يتمتع بقدرة فائقة على الإدارة وقائداً موهباً للأسطول، فقد تولى بالفعل مهام رئيس الوزراء.

(1) الإدريسي، الموضوع المذكور منذ قليل، ص ٣٤٥، هامش ٢.

(2) اعتقد أنه يمكن التأكيد على السفة القضائية المدنية والجنائية التي كانت للأدميرال الكبير في النصف الأول من القرن الثاني عشر، حتى إن لم تستدل عليها من خلال المستندات إلا بعد مائة عام، فمن المعروف على وجه العموم أن الإمبراطور هيدريكو الثاني قد جدد العمل بنظم ملوك النورمان، وبدلاً من أن يغيرها. وليس هناك داع لأن نقترح بأنه قد غير شيئاً يذكر في اختصاصات الأدميرال العظيم. والأمر هنا وثيقته، التي تم نشرها أولاً من قبل توتينس ثم أعيد طبعها من قبل هوبارد - بريهول في *Historia Diplomatica Friderici secundi*. المجلد الخامس، ص ٥٧٧ وما بعدها، عام ١٢٢٩. وهي الوثيقة التي من خلالها قام بنميين، أميراً لـ لسنبله، مدى حياته، ليحكموا سيبيولا الذي كان من جنود. تلك الوثيقة تمنح ذلك الأدميرال ليحكم سلطة واسعة، أولاً، بناء وصيانة سفن الأسطول الملكي. ثانياً، منح تراخيص إبحار واختتام العمل على تمويش الأضرار التي تقع وتلحق برعاها أمم صديقه. ثالثاً، الحكم بوجه عام *secundum statum (statutum) et consuetudinem armale*. ذلك في القضايا المدنية والجنائية الخاصة بالأشخاص التابعين للأسطول، والترسانات الملكية وسفن القراصنة مع سلطة تفويض الغير في ذلك. رابعاً، منح المناصب المعاونة في الأسطول عندما تكون شاغرة، خاصاً، صرف الأموال من الخزنة الملكية من أجل احتياجات الأسطول؛ تأتي بعد ذلك المكاسب المختلفة والمنظمة جداً المخصصة للأدميرال، سواء في الحرب أو في السلم، سواء على حائق الدولة أو البحارة، أو مرتادي البحر. وبخصوص المحاكم التابعة للأدميرال والنشرع الاستثنائي الخاص بها، انظر چانوني *Storia Civile del Regno di Napoli*. الكتاب العادي عشر، الفصل السادس، ٢. والمراجع التي ذكرها.

ووزارتى السيف والقلم، كما كان يقال فى العديد من الدول الإسلامية فى القرن العادى عشر والثانى عشر؛ ثم إنه لا يبدو غريباً أن مسيحياً، كان وزيراً لشئون المسلمين، يمكن أن يكون ما نطلق عليه الآن رئيس مجلس الوزراء. غير أن اختصاصات الأدميرال الكبير ورئيس الديوان كانت تتصادم فيما بينها لطبيعتهما ذاتها ولعدم وجود حدود واضحة فيما بينهما، تلك الحدود التى كانت تتغير مع وصول مستوطنين جدد وتحول القدامى عن دينهم. وهذا التصادم فى الاختصاصات وإن لم يؤثر بالضرر فى عهد روجيرو وجورجو، إلا أنه تسبب فى ارتباك أحوال الدولة، فى عهد جوليلمو الأول، ثم بعد وفاة ماجونى، استمرت حالة الفوضى والارتباك تلك فى أرجاء الدولة. ويبدو فى النهاية أن رئيس الديوان ثم بعد ذلك مجلس الديوان، أخذوا يديران الشئون المدنية للمسلمين، تلك الشئون التى أخذت تتناقص مع انخفاض عدد المسلمين وثرواتهم. اختفت عندئذ مناصب الأدميرال، وظهرت محلها وظائف أخرى بالقاب أوربية؛ وظلت فقط إدارة شئون البحر ثابتة قوية وظل معها الأدميرال الذى كان يتولى قيادتها. ثم إن وحدة القيادة هذه فى الوزارة والقضاء، أو كما نقول اليوم، هذه الإرادة الواحدة، هى التى كانت تستمد فى السلم وتقوم بالقيادة فى الحرب وترأس القضايا الخاصة بالأشخاص والشئون الخاصة بالبحرية، هذه الوحدة فى الإرادة بدت لدول أخرى شيئاً جديلاً؛ ومن ثم قلدوا هذه الوظيفة بتفاوت بسيط واطلقوا عليها لقب نفسه الذى كان يستخدم فى صقلية، وهذا هو افتراضى، والأن أعود إلى سير الأحداث الذى ينبغى أن نذكر فيه فى المقام الأول الأدميرال جورجو.

إن المذكرات المربية لأواخر الأمراء الزيريين، تختلف كثيراً عن الحوليات الصقلية فيما يتعلق بنشأة ذلك الأدميرال. ولم نتبين على أى سند افترض بهرو أنه ابن الأدميرال كريستودورو اكريستوهورو، ثم أضاف إليه لقب عائلة روتسيو، الذى يبدو لى أنه خطأ نجم عن

اختصار ورد في الوثائق اليونانية<sup>(1)</sup>. وطبقاً للكتاب العرب فإن جورجيو كان أحد الوزراء المرتزقة. يهوداً كانوا أو مسيحيين، ممن كان الأمراء الشرقيون يعمدون إليهم غالباً بإدارة خزانة الدولة، لنقص المتخصصين في تلك الشئون من الرعايا المسلمين. لقد نزل هو ووالده الذي يدعى ميكيلى، وهما من مسيحيي أنطاكية، في بلاط تميم، أمير المهدية (١٠٦٢ - ١١٠٨)، الذي كان محباً لمثل هؤلاء المفامرين<sup>(2)</sup>؛ ولذا شق جورجيو طريقه بنجاح في ذلك القصر، ذلك لأنه كان يجيد اللغة العربية ولأنه مارس مهنة المحاسبة<sup>(3)</sup> بنجاح كبير في سوريا أو لأنه، حسب اعتقادي، قد أجاد إدارة الشئون العامة في ذلك الإقليم. وبالتالي عينه تميم في منصب مماثل بدولة المهدية: حيث زادت بفضلهِ إيرادات الدولة. غير أنه في أعقاب وفاة ذلك الأمير (مارس ١١١٨)، خشى جورجيو من انتقام يحيى الذى خلفه، والذي كان يكرهه، كما يحدث عادةً، ذلك الوزير المفضل لدى والده، لذا اتفق مع بلاط روجيرو<sup>(4)</sup> الذى كان يبحث عن أدوات من هذه النوعية، إذ كان لديه رعايا مسلمون يريد أن يحصل منهم المال، وجبران من الأمراء يريد التصدي لهم. وأرسلت سفينة خصيصاً له من صقلية، ذهبت على أنها تحمل رسائل إلى قصر المهدية؛ وقد اغتم جورجيو فرصة وقت صلاة الجمعة وبينما كان المسلمون يؤدونها، صعد هو

(1) انظر هامش ٢ من ٢١٩. اسم العائلة هذا لا يظهر في أية وثيقة من وثائق بيرو التي ذكر فيها كريستوبولو أو جورجيو؛ ولا حتى في الكتابة المنشورة الموجودة على شاهد قبر والده جورجيو والذي ذكرناها منذ قليل في ص ٢٥٠ هامش ٢. إن رومالدو سالرنيتانو، الذي ربما عرفه شخصياً، لا يقول عنه سوى: *Georgium virum utique* *maturum, sapientem et discretum, ab Antiochia abductum*. في كتاب عند

مورنوري، *Ret. Ital. Sc.*، المجلد السابع، ص ١٩٥.

(2) البيان، نص ليدن، ص ٢٢٢. وفي المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٢٢. يقول إن والد جورجيو كان واحداً من العلوج (الأجانب أو الهيرس) لدى تميم.

(3) الحساب.

(4) نقول التصوم، مع روجيرو، إلا أن بقية الرواية تدل على أن الأمير لم يستخدمه في البداية في أعمال ذات أهمية كبيرة.



ونووه، متكررين في زى بحارة، إلى السفينة الصقلية في سرعة وخفة، حتى إنه لم يتقه إليهم رجال القصر إلا بعد فوات الأوان حين ابتعدت السفينة في عرض البحر. وعندما وصل أولئك المفامرون الأنطاكيون إلى صقلية قام عبد الرحمن النصراني، وهو وزير مالية<sup>(1)</sup>، كما نقول نحن، باستخدامهم في جمع الضرائب، وهي الوظيفة التي اكتسبوا فيها شهرة بفضل مهارتهم ونزاهتهم. ولما احتاج الملك أثناء ذلك إلى رجل موضع ثقة ليرسله إلى مصر، اقترح عبد الرحمن عليه جورجيو الذي قام بالمهمة على أكمل وجه وحقق من ورائها مكسباً ضخماً ونال حظوة لدى الملك<sup>(2)</sup>. وفي هذا الصدد يقول التيجاني: وهكذا نرى أن المهمة التي أوكلت إلى جورجيو كانت مهمة تجارية، من تلك المهام التي تدر مالأً وجاهاً لأمرأ، صقلية في القرن الثاني عشر والثالث

---

(1) ابن خلدون، في تاريخ البربر، نص الجزائر، المجلد الأول، ص ٢٠٨، المكتبة العربية - الصقلية، ص ١٨٧ والترجمة الفرنسية للبارون دي سلان، المجلد الثاني، ص ٦٦ كان يضيف اسم الأب ابن عبد العزيز إلى اسم عبد الرحمن الذي قاد مع جورجيو الأسطول الصقلي في العملية التي جرت عام ١١٢٦ ضد أفريقيا. واعتقد أن ذلك هو الشخص نفسه الذي ذكره التيجاني، عند حديثه عن بدايات جورجيو الأنطاكي، وأسماء عبد الرحمن النصراني، ولكني أعلق وأقول إن التيجاني، وهو عادة غاية في الدقة، ما كان منه أن يهمل هنا اسم والده وهو يعني وقوع الوزير الصقلي في غار الردة وابن خلدون يهتم أكثر بالأشخاص أكثر من اهتمامه بالأسماء، بالإضافة إلى أن كتاباته قد وصلت إلينا، بعد أن لم نسطها مرات ومرات على مدى أربعة قرون ووصلت إلينا في حالة غير جيدة، ولا أود أن سطرأ أو أكثر، كما يحدث أحياناً، عندما يتكرر لفظ بذاته، قد أسب من جراء ذلك إلى وزير مالية روجيرو اسم عبد الرحمن بن عبد العزيز، والذي كتب بالفعل عن عملية عام ١١٢٦ هذه، وقد ذكره أبو الصلت نقلاً عن البيهقي، ص ٢١٧ في نص ليدن وص ٢٧٢ من المكتبة العربية - الصقلية، إن المنصب الذي ينسبه التيجاني لعبد الرحمن النصراني هو «صاحب الأشغال»، والذي كان يعني في أفريقيا وفي القرن الثاني عشر، وهما المكان والزمان اللذان يرجع إليهما هذا الحدث الذي نسفه وأوجزه التيجاني، كان يعني مسئول الخزانة العامة أو وزير المالية. انظر ابن خلدون، *Prolegomenes*، ترجمة البارون دي سلان، الجزء الثاني ص ١٤ و ١٥، (2) هارن في المكتبة العربية - الصقلية، بين البيهقي، عام ٥٤٣، ص ٢٧٢ والتيجاني، ص ٢٩٢ وابن خلدون ص ١٨٧ و ١٥١ إن أكثر التفاصيل دقة وردت عند التيجاني.

عشر(1). وتتفق الوثائق الملكية مع الرواية العربية أكثر مما تتفق مع افتراضات بيرو. يظهر جورجيو الأنطاكي نحو عام ١١١١ في وظيفة متواضعة بجاتيني(2)؛ وفي عام ١١٢٢ يرافق عبد الرحمن قائد أسطول صقلية في حملته الفاشلة في رأس ديماس(3)؛ وفي عام ١١٢٦ ورد ذكره في وثيقة ملكية بلقب أدميرال وليس أكثر من ذلك؛ ثم بعدئذ نراه لأول مرة في عام ١١٣٢(4) بلقب بلقب أدميرال الأدميرالات. من جانب آخر فإن المناصب العليا في إدارة البلاد وفي الحرب التي ينسبها المؤرخون المسلمون إلى المسيحي عبد الرحمن ما بين ١١٠٨ و ١١٢٣، لا تنطبق في صقلية على شخصية كبيرة أخرى سوى الأدميرال كريستودولو. حيث إن اسمه يتفق أيضاً مع هارق بسيط مع عبد الرحمن(5) ويبدو أنه كان أحد المسلمين الصقليين من الجنس الإيطالي أو اليوناني، الذين رجعوا إلى المسيحية، بعد الغزو واستوظفهم الأمير في الوظائف العامة.

إن شهادة الكتاب العرب مثلها مثل الوثائق المسيحية بصقلية في شأن جورجيو الأنطاكي. تؤكد السلطة المدنية للأدميرالات، مهما اختلفت الآراء حول وجهة نظري بخصوص نشأة هذه السلطة. إن

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل العاشر ص ٣٢٨ من هذا المجلد. وما سوف نذكره بعد ذلك عن تجارة روجيرو في أفريقيا، وغنية عن التعريف تلك الأعمال التجارية الشهيرة الخاصة بالأمبراطور فيديريكو الثاني.

(2) وثيقة عام ١١٢٢ القلاندية، عند بيرو، *Sicilia Sacra*، ص ٧٧٢ - ٧٧١. قد كُتب الاسم مرة خطأ جيروغوريوس وكتب اسم المكان كاتينا ويجب أن يكتب جاتيني كما ذكرنا في الكتاب الخامس، الفصل العاشر ص ٣١٣، هامش ٣. من هذا المستند لا نعلم بالضبط في أي وقت تسلم جورجيو ذلك المنصب في جاتيني، إلا أنه كان بالتأكيد قبل عام ١١١١. ذلك لأنه من خلال تلك الوظيفة وعين حدود قطعة أرض قد وهبها في ذلك العام رينالدو أهنيل إلى رئيس دير لهاباري، بيرو، المرجع المذكور، ص ٧٧٢ - ٧٧٣.

(3) اللهباني وابن خلدون، في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٣٩١، ١٨٧؛ وأولهما أيضاً في ترجمة م. روسو الفرنسية، ص ٢٦١. والثاني في ترجمة البارون دي سلان، *Histoire des Berberes*، المجلد الثاني، ص ٢٦.

(4) لقد ذكرنا منذ قليل هاتين الوثيقتين في ص ٢١٩ هامش ٢ وص ٢٥٠ هامش ٢.

(5) أحد الاسمين هو «عبد المسيح» والثاني هو «عبد الرحمن».

خاصية القانون الصقلي العام هذه التي قلما حظت بالاهتمام حتى هذه اللحظة، إنما تساعدنا على فهم الظروف التي مرت بها الدولة خلال فترة حكم كل من جويليمو الأول والثاني وذلك بشكل أفضل مما لو اتبعنا مجرد ترتيب مناصب التاج السبعة الكبرى<sup>(1)</sup>، إذا ما افترضنا مع جريجوريو أن الأمر كان منذ عهد الملك روجيرو تماماً كما كان عليه في أواخر عهد جويليمو الصالح. وأن سلطة تلك الوظائف كانت تمتد إلى الرعايا كلهم، مسيحيين ومسلمين. وعادت عناصر الإدارة الإسلامية لتطفو على السطح عندما أعيد النشاط للعاصمة القديمة. وأهصد هنا المؤسسات والبشر أيضاً. محاربون ممن اتبعوا في داخل البر الإيطالي الكونت الأول. ورجال بحر، وقضاة، وكتبة، وتجار، ومعلمون، وخدم. تتفاوت بينهم محبتهم للغير، وفيهم المنحلون والمتشددون: ومن يتكلم لغتين أو ثلاث لغات، ومنهم من يترجّح بين ديانيتين أو ثلاث، مولعون بالأدب العربي والعلم اليوناني، هواة للفن البيزنطي وأشكاله الفنية التي انتشرت في سورية ومصر وأسبانيا: هكذا أتخيل أولئك المسلمين واليونانيين الذين كانوا في صقلية، وجذبهم البلاط الجديد، بشكل تلقائي في قصر بالرمو الأعلى، ومعهم الشرقيون من نوعية جورجيو بالإضافة إلى الكرادلة والقساوسة والتبلاء من إيطاليا وفرنسا. لقد اتسقت تلك العادات المتأخرة وانسجمت لفترة طويلة وتمحضت خلال القرن الثاني عشر عن رجلى دولة عظيمين: كليهما يتيم، بلغ النضج مبكراً بين اضطرابات وفلافل بلاط بالرمو. وكانا متشابهين أيضاً في الطباع والثقافة، فكلاهما مُشرّع، ضليع في الإدارة، شغوف

(1) إن جريجوريو، في وصفه لتنظيم الحكومة في عهد الملك روجيرو والمناصب السبعة الكبرى في المملكة، نادرأ ما يرجع إلى وثائق معاصرة؛ فهو يأخذ بوثائق نهاية القرن الثاني عشر والثالث عشر أيضاً؛ أو يستخلص من أقوال فلانكاينو، الذي كتب في نهاية القرن الثاني عشر؛ وأحياناً لا يذكر سوى التشابه مع النظام المفضل بالنسبة له وهو نظام جويليمو الأول، ملك إنجلترا. انظر، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل الثاني والهامش ٣٧ بنوع خاص وما بعده.

بكل أنواع العلوم، وفيلسوف أكثر منه مسيحي؛ إنهما ذلكما السلطانان المعمدان اللذان حكما صقلية، واللذان ندين لهما إيطاليا بقدر ليس بالقليل في تحضرها، إنهما الملك روجيرو الأول والامبراطور فيديريكو الثاني.

إن تربية الأمير الجديد تربية شرقية لم تعد بالنفع على الحكومات الإسلامية المجاورة. وبينما كان يقوم هو في الداخل بتطهير إدارة الحكم، والجيش والأسطول، ويحفظ النظام والأمن العام بكل صرامة<sup>(1)</sup>، وبينما كان يثير المشاكل مع دوق بوليا ويهدده بخطر أعظم بصداقته<sup>(2)</sup>، كان روجيرو يتطلع إلى وراثة إمارة تحتضر في أفريقيا. فلقد باع مجهودات الزيريين في المهديّة بالفشل في إحياء سلطانهم القديم ضد الزيريين في بوجا، والعرب البدو والملوك من الفصائل العربية الأخرى أو البربر الذين اغتصبوا المدن الساحلية الواحدة تلو الأخرى<sup>(3)</sup>. وفي الحقيقة، فإن تميماً، بعد هجوم الرابطة الإيطالية عام (١٠٨٧)، كان قد ضم ثم فقد، ثم استرد أماكن شتى<sup>(4)</sup> بل أظهر قوته للمسيحيين، ولا نعلم مسيحي أية دولة، الذين قاموا (في ٢٢ سبتمبر ١١٠٤ إلى ١١ سبتمبر ١١٠٥) بالهجوم على المهديّة وأغلّقوا الترسانة بقوة ضخمة من الشانيات، تحميها من الخلف ثلاث وعشرون سفينة أخرى. إلا أن الأسطول الزيري، تمكن بعد أن تكبد خسائر كبيرة من كسر الحصار المعادي وصدّه وإبعاده<sup>(5)</sup> واستعاد

(1) ولهم دير تلميزي.

(2) رومالدو سالرينيانو في مورتوري. *Rev. Ital. Scr.*، المجلد السابع، ص ١٨٢، عام ١١٢١ - ١١٢٢.

(3) انظر الكتاب الرابع، الفصلين الثامن والعاشر عشر ص ٢٦٤ وما بعدها، وص ٣٧٢، ٥٥٧ من المجلد الثاني والكتاب الخامس، الفصلين الثالث والسادس ص ٨٧ و ١٦١ و ١٧١ من هذا المجلد.

(4) ابن الأثير، أعوام ١٧٦ و ١٨٢ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٣، طبعة تورنبرج، المجلد المباشر، ص ٨٥ و ١١٩ و ١٦١ و ١٧٥ و ١٩١ و ٢٠٢. قارن مع ابن خلدون، *Histoire des Berberes*، ترجمة البارون دي سلان، المجلد الثاني، ص ٢٢ وما بعدها، (5) بيان المغرب، طبعة نوزي، المجلد ١، ص ٢١١ ومستل، في المكتبة العربية.

يحيى، ابن تميم وخليفته، هو أيضاً بعض الأراضى، وأرسل الأسطول يتمقب المسيحيين بنتائج ناجحة، متفاوتة في قدرها(1)؛ حيث زوده بالنار اليونانية(2)، وسبب ازعاجاً وقلقاً، أو ربما قدم خدمات لتجارة

الصفقية، ص ٣٧٠. إن الكتاب الذي أطلق اسم الروم على المهاجمين في عام ١٠٨٧، إنما يطلق أيضاً اسم الرومانيين على الذين هاجموا في عام ١١٠٥: فهل كانوا بيزنطيين؟ (1) ابن الأثير، أعوام ٥٠١ و ٥٠٩ و ٥١٠، طبعة تورينج، المجلد العاشر، ص ٢١٥ و ٢٥٩ و ٢٦٥، وابن خلدون، المجلد المذكور، الترجمة، ص ٢١ و ٢٥.

وفقاً لابن الأثير، عام ٥٠٢، في المجلد المذكور، ص ٢٢٦، فقد أرسل يحيى في ذلك العام ١٥ سفينة ضد الروم وقد حاربها أسطول الروم واستولى على ٦ من هذه السفن، ووفقاً للبيان، في المكتبة العربية -الصفقية، بالموضع السابق، وفي طبعة دوزي- المجلد الأول، ص ٢١١، فإن الأسطول الزيرى قام في ربيع الثاني في عام ٥٠٧ (منتصف أكتوبر إلى منتصف نوفمبر ١١١٢) بحمل عدد كبير من الأسرى إلى المهديّة، ثم القبض عليهم في بلاد الروم، وربما يتفق هذا مع هجماته وغاراته في تخوم ساليرو، وهي الغارات التي تذكرها حوليات كافا، عام ١١١٢ في مورتوري، *Rer. Ital. Script.* المجلد الثامن، ص ٩٢٢. وفي ابن خلدون، المرجع السابق، المجلد الثاني ص ٢٥ من ترجمة دي سلاو، ورد أن الأسطول الذي كان يوليه يحيى اهتماماً خاصاً، قام بغارات كثيرة ضد المسيحيين الفرنسيين وأهل جنوة وسردينيا إلى أن اضطروا إلى أن يذهبوا له إتاوة، والنص العربي الذي نشره العالم المستشرق نفسه، المجلد الأول، ص ٢٠٧، يبدو به تلف عند هذا النقط الذي قد يعنى إتاوة، على أية حال فإن اسم الفرنجة يمكن أن يعنى به البلدان المسيحية في أسبانيا وفي إيطاليا أيضاً وربما كان قد تم الاتفاق في ذلك الوقت على الإتاوة مع بعض الأشخاص في سبيلها، وليس مع أهل جنوة وبيزا، وابن خلدون لا يهتم بالتفاصيل الدقيقة.

(2) هذه هي المرة الأولى، على حد علمي، التي تذكر فيها عند المسلمين في أفريقيا، النار اليونانية، أو كما يسميها العرب النفط، وقد استخدمها مسلمو صقلية في الحرب ضد النورمان، إذا كانت أبيات قصيدة لابن حمديس تشير إلى هذه الحرب. وقد ذكرت تلك الأبيات في الكتاب الرابع، الفصل الرابع عشر، ص ٥٤٢ من المجلد الثاني، والكتاب الخامس، الفصل السادس، ص ١٦٧، هامش ٢ من هذا الكتاب، وكان النفط معروفاً في مصر بكل تأكيد لأن المفريزي في كتاب المواصف، تمس بولاق، المجلد الأول، ص ١٢٤، وهو بروي الحريق الذي دمر أحد مطازن الأسلحة بالقاهرة في عام ١١٦١ (١٠٦٨ - ١٠٦٩) يقول إنه احترقت حوالي عشرة آلاف فريفة من النفط وما يبادل الرقم نفسه من الزرعات أي مواهب لإطلاق تلك المادة، ويبدو لي أن تأثير نفط المسلمين لم يكن عظيماً مثل النفط المستخدم في نار الإغريق، والكتاب النورمان لا يذكرونه في الحرب الصفقية ولا في الحروب الأفريقية، التي تناولها في هذا الفصل، كما لم يتحقق النصر أبداً في ذلك العصر للأسطول الزيرى ضد الإيطاليين.

وابن حمديس ذاته ومنه بعض الشعراء الآخرين الذين كانوا ينظمون الشعر في بلاط

البيزنطيين، لدرجة أن اليسيو كومنينو، قد أرسل مبعوثين إلى المهديدة يحملون الهدايا عام ٥٠٩ هجرية (١١١٥ - ١١١٦) ويتفاوضون على اتفاق (1). في تلك الأثناء كان مازال قائماً ذلك السلام الذي وقعه كونت صقلية الأول مع تميم (2)؛ وازدهرت التجارة ونمت لدرجة أنه في عام ١١١٧ كان لروجيرو الثاني وكلاء كثيرون في المهديدة يتعاملون في أموال ضخمة، كما سوف نرى في سياق سرد الأحداث

المهديدة القبر في آخر عهد الزيريين. يذكرون النفط كوسيلة تدميرية فظيمة: «إنه أعجوبة، هكذا كان يتحجب ابن حمديس، دون أن يقرأ تقرير معركة ميثانا، إن النفط، على حد قول أولئك الشعراء: ١- كان يطفئ على سطح المياه ولا ينطفئ؛ ٢- كان يبرق ويطلق الدخان ويدوى ويطلق رائحة كريهة كأنها من جهنم؛ ٣- كان ينطلق على شكل السنة من الذهب من مواشير من النحاس أو البرونز؛ ٤- كانوا يطلقونها بالسهم؛ ٥- كان ذلك النفط، أو نوع منه، أبهى من الماء، كان ذلك في عهد يحيى، وعلى وحسن، أي في النصف الأول من القرن الثاني عشر». انظر الأشعار التي نشرت في المكتبة العربية، الصقلية في ٢٩٢ و ٥٦٥ وقصائد أخرى لم تشر من ديوان ابن حمديس في نسخته المخطوطة الموجودة في الفاتيكان، والتي أعدها الأستاذ شهبان تلبية لطبق الكونت مينيكاكني، ص ٧٥ و ٧٧ و ١١٨ و ٢١٣ و ٢٢١ و ٢٢٦ وتنبه فواهبها يا دي، دي، ري، ص، نا، سا، وشهر أيضاً التوبري إلى النفط الذي استخدمه الأسطول الزيري، المكتبة العربية، الصقلية في ١٥٦. لقد ذكرت هذه القصص إضافة إلى الأحداث التي تم نشرها في العمل العظيم الممنون *Du feu grégeois, etc.* الذي تم نشره من جانب السيدين م. م. رينو وفالديه، باريس ١٨٤٥.

(1) إن هذا الحدث الذي لا تشير إليه الحوليات البيزنطية أو الإسلامية، تستقيه بالتعديد من ديوان ابن حمديس، في الصفحة ٢١٢ سابقة الذكر من نسخة الأستاذ شهبان، والتي نقرأ فيها أن أحد الأسباب التي «وقعت حاكم القسطنطينية الكبرى إلى أن يدافع عن نفسه بالعلم ضد حد السيف الزيري» إنما «هو الخوف» من تلك الرياح العارقية الذي كان يطلق ويأتي بأثر عجيبي حينما يطلق النار في الموج التائر ويشعل، وبالإضافة إلى القصيدة المذكورة أعلاه كتب ابن حمديس ثمانين قصيدة طويلة أخرى مدحاً في يحيى، ونقرأها في نسخة شهبان في صفحات: ٢٤ و ٤٩ و ١١٦ و ١٦٩ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٢١٠ و ٢٦٧ وقوافيها متنوعة، والأولى والسادسة والثامنة منها نجدتها أيضاً في مخطوطة بطرسبرج الورقة ٦٢ الوجه الأول والثاني وفي الورقة ١٢ الوجه الثاني. وقد ذكرت بينهما من الأولى في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٧٢ و ٧ أبيات من القصيدة الثالثة نقرأها في ابن الأثير، عام ٥٠٩ المرجع المذكور، ص ٢٨٠، وفي طبعة ثورنبرج، المجلد ١٠ ص ٢٥٩.

(2) انظر الكتاب الخامس، الفصلين السادس والعاشر، الصفحات: ١٦١ و ١٧٠ و ٢٢٨ من هذا المجلد.

الذى سوف يوضح لنا نتائج التفاعلات التى قام بها بلاط بالرمو فى أوساط العرب ممن يشغلون الحكم أو من الحكام المتمردين بالمدن البحرية. وحتى لا يكون للزيريين فى المهديّة خصماً، غير صديق لروجيريو، فإن بنى حماد كانوا يتنافسون هم أيضاً معه فى كسب الود؛ وحسب قول بيترو دياكونو كان بعض الرهبان البندكتيين، فى طريق عودتهم ذات مرة من سردينيا إلى البر الإيطالى فقام قراصنة أفارقة بخطفهم، وأطاحت الرياح بالسفينة إلى صقلية؛ وعندما طُلب من الكونت أن يحرر أولئك الرهبان، فبدلاً من أن ينتزعهم من أيدي المختطفين، أرسل سفراء إلى ملك مدينة كالامينسى التى أطلق عليها العرب اسم «القبيلة» فاطلق الملك سراحهم فى الحال<sup>(1)</sup>. من هنا يتضح أن ثمة معاهدة كانت تربط أمراء صقلية النورمان مع ذلك الفرع من البيت الزيرى. وبعد هروب الأنطاكيين، أصبح من غير الممكن إخفاء كل تلك المكائد التى كان يقوم بها روجيريو عن أعين رجال القصر فى المهديّة. ومع ذلك، ومن أجل المصالح المشتركة، فقد استمرت المحافظة على مظاهر الصداقة<sup>(2)</sup>.

فى أعقاب وفاة يحيى (أبريل ١١١٦) فإن على، الذى تميز بظموحاته العالية، لم يسر فى طريق الحكمة الذى سار عليه والده. وكان رافع بن مكنان بن كامل وهو زعيم عربى، شبه حاكم على قابس وشبه مفتصب لها، قد بنى سفينة تجارية ضخمة بموافقة من يحيى، الذى أمدّه أيضاً بالأخشاب والحديد. وعندما كانت السفينة على أهبة الاستعداد أعلن الأمير الجديد أنه هو الوحيد صاحب الحق فى

(1) الكتاب الرابع، الفصل الخمسون، فى مورتورى، *Ref. Ital. Script.* المجلد الرابع، ص ٥٢٣؛ وآل بنى حماد كان يطلق عليهم أصحاب القلعة. نسبة إلى اسم عاصمتهم الأولى قبل تحويل عاصمتهم فى حوالى عام ١٠٩٠ إلى بوجيه. انظر ابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة دي سلان، الجزء الثانى، ص ١٣ وما بعدها. (2) لقد جاء التعبير عن هذا الحدث بصورة أفضل فى كلمات ابن الأثير الذى قال إنه كان بينه وبين على ود وخداج. وذلك قبل الضربة التى قدمها روجيريو إلى رافع ابن مكنان. ويوجب اعتبار هذه المشاعر قائمة من أيام عصر يحيى.

التجارة البحرية<sup>(1)</sup>، وأفهم رافعاً أنه في حالة خروج السفينة من الميناء فسوف يستولى عليها، وأرسل مع هذا التحذير ست سفن حربية إلى قابس بالإضافة إلى أربع شوان أخرى معاونة<sup>(2)</sup>. عندئذ لجأ رافع إلى روجيرو متظاهراً، كما يقولون لنا، بأنه كان قد جهز السفينة لكي يرسل إليه فيها بعض الهدايا؛ ولكن من المرجح أن وزراء، صقلية كانوا قد شرعوا في إجراءات في قابس ترمى إلى ترويع تجارة خزانة الدولة؛ ومهما كانت التفاصيل، فمن الواضح أن روجيرو كان يقف هناك بالمرصاد، مثل القوى الذي يتعين بقوته الوقت الملائم ليدخل دار جيرانه؛ وعليه فقد وعد رافعاً بالوقوف إلى جانبه وسرعان ما أرسل فرقة مكونة من أربع وعشرين شانية أخذت السفينة معها وتولت حراستها حتى صقلية. وكان ذلك في عام ٥١١ هجرية (٤ مايو ١١١٧ إلى ٢٢ أبريل ١١١٨). وكان روجيرو يظن أن الأمير الزيري لن يجرؤ على الغضب من ذلك، وفي الحقيقة فعند رؤية الأسطول الصقلي من المهدية وهو يضرب بأشرعته في الخليج، وعندما لمس على يده تواطؤ روجيرو، وهو الأمر الذي كان يتصوره من قبل ضرباً من الخيال، جمع كبار الدولة واستشارهم فتصيحرو بأن يتظاهر وكان شيئاً لم يكن بدلاً من إفساء الاتفاقات مع بلاط الرمو. فعارضهم على: وأمر بأن تطارد البقية الباقية من الأسطول الصقليين في البحر لتحافظ على الحظر مهما كان الثمن. وطبقاً لرواية التيجاني وقع

(1) يحسن أن نقول نص تأكيد الكتاب المسلمين، ذلك النص الذي يوضح نقطة هامة من القانون العام في ذلك العصر في أفريقيا وربما في صقلية، فحسب ابن الأثير فإن عليها قد أعلن أنه: «لا يجب على أي شخص في أفريقيا أن يتنافس معي في إرسال سفن محملة بالبضائع». وحسب التيجاني: «إن ذلك الأمير كان لا يطيق أن يتنافس أحد في أفريقيا في إرسال السفن».

(2) أترجم إلى Galea، حسب الاستخدام العام. الكلمة العربية شانه وشانيه. وأترك الكلمة اللاتينية باللغة العربية لأنني لا أعلم نوع السفينة التي تطلق معها، والفظ حربية بمعنى سفينة حربية. أما سفينة رافع فكان يطلق عليها مركب، ويشتد بها بوجه خاص «مركب ضخمة، كما كان يسميها ابن الأثير والتويري، أما التيجاني فكان يسميها على وجه العموم «سفينة».



صدام دموى بين رجال بحرية الطرفين وكان هريق روجيرو قد وصل أولاً، وكانوا جالسين في وليمة تم إعدادها خصيصاً لهم بأمر من رافع(1): وطبقاً لرواية آخرين فإن الفريقين البحريين قد دخلا معاً، ومن ثم لم يتجرا رافع على إبحار سفينته. ولم تحدث كذلك معركة بين الفريقين(2). ثم يؤكد الجميع أن الصقليين، إذ لم يكن باستطاعتهم استخدام القوة استخداماً مكشوحاً، فقد انسحبوا مخزيين(3). وانطلق رجال بلاط على بمدحون حكمته وبيالته وشجاعته؛ وأخذ الشعراء يتبارون في الصور البلاغية كما نرى في القصيدة التي نظمها الصقلي ابن حمديس ويسخر فيها من الصقليين الكفار الذين عجزوا عن مواجهة سيف على البتار والسنة النهران التي انطلقت من سفنه عليهم(4). والفقرات المعاصرة التي نعثر عليها هنا وهناك في مؤلفات المسلمين الأكثر حداثة تورد بقية الأحداث مع وجود ثغرات

---

(1) إن هذا الكتاب اتناه يقول إن الصقليين كانوا جالسين إلى مائدة الطعام. عندما علموا بوصول الأسطول الأفريقي، فأسرعوا إلى شواطئهم، ولكن الطريق قطع على غالبهم إلى البحر وقتل كثيرون منهم. وإذ بواصل التيجاني نقله عن المماصر إلى الصلت يقول: «وفد نجا منهم من استطاع النجاة، بعد أن فر هارباً، خوفاً من الموت وليس أخفى ساقبه ويذكر التيجاني في هذا المقام بعض الأنباء في مدح على وقد نقلها عن شاعر يدعى محمد بن عبد الله.

في تلك الأنبيات يتحدث الشاعر حقيقة عن انسحاب الأسطول الصقلي وعن الرعب والفرع الذي يلقه السفن الزيرية في قلوبهم. إلا أنه لا يتحدث عن اشتباكات ولا عن سفك دماء. وهكذا أيضاً فإن قصيدة ابن حمديس التي نقولها فقط هي مقطوعة مكتبة القائكان في ص ١٢٧ من نسخة الأستاذ شهبان، لا تشير أية إشارة إلى أية معارك. وإن أخذت تنسب في وصف السفن العربية التي أرسلها حاكم المهدية ضد الشوانى التي جاءت من صقلية إلى قابس (هكذا يجب تصحيح اسم قابس) أي Fes في عام ٥١٢. ومن صحت المؤرخين وصحت الشاعرين على وجه الخصوص أرى أن التيجاني، عندما كانت بين يديه بعض القصص غير المكتملة لأبي الصلت، اختلط عليه الأمر بشأن الصلة الأولى التي نحن بصددنا ومعركة حربية دارت بين على ورافع الذي ساعده روجيرو؛ وربما كان هذا هو القصص البحري الذي أحرقه الزيريون والذي أشار إليه ابن خلدون قد ورد بتاريخه خطأ.

(2) ابن الأثير والتويرى وابن أبي دینار.

(3) ابن خلدون لا يذكر هذا الحدث.

(4) قصيدة تمت الإشارة إليها في الهامش ٢ من الصفحة السابقة.

ملحوظة. وتحكى أن رافعاً، بعد أن أعلن تمرد، قاد بعض القبائل العربية إلى الميدان بالمهدية؛ وأن علياً قام برشوة أولئك العرب؛ وبعد اشتباكات مختلفة، وبعد أن انهكت المعارك الفريقين المسلمين، تصالحا معاً<sup>(1)</sup>. هي تلك الأثناء كان روجيرو قد أرسل سفنه لمساعدة رافع، وأصدر أوامره باجتياح الساحل والسيطرة على سفن الزيريين؛ إلا أن هذه السفن هزمت؛ وربما أضررت هي أيضاً في هذه المعارك حيث تضيف المذكرات بعد ذلك أن صاحب المهدية عمل على إعادة تزويد أسطوله<sup>(2)</sup>. وترجّح نتائج المعارك البحرية بتضح من الاتصالات التي لدينا أخبار تفصيلية عنها إذ تقول: إن أمير صقلية قد أرسل يطلب، في تعال، تجديد المعاهدة وإعادة الأموال التي تمت مصادرتها من عملائه في المهدية؛ وإن علياً قد وافق على ذلك وأطلق سراح العملاء؛ وتضيف أن روجيرو لم يكتف بذلك بل عاد يرسل مبعوثه، بخلاف المألوف عادة، وأعرب عن غضبه بالفاظ تتسم بالحدة والغلظة؛ وأن الأمير المسلم لم يكلف نفسه عناء الرد عليه، وعليه تحرش كل منهما بالآخر؛ فهدد الأول باقتحام المهدية بأسطوله والثاني بالاتفاق مع المرابطين لمهاجمة صقلية<sup>(3)</sup>. وأخذ كل منهما في الاستعداد لخوض معركة ضخمة فهما بينهما، فزود على قلاعها بالعتاد، وسلّح عشر سفن حربية وثلاثين قارباً وملاها بالرجال والعتاد والنفط؛ ووثق علاقاته بالفعل مع المرابطين. وانقضت أربع سنوات على هذا الحال إلى أن توفي الزيري الجسور ( ١٠ يولييه ١١٢١) دون حرب أو سلم مع صقلية<sup>(4)</sup>.

(1) ابن الأثير والنويري وابن خلدون وابن أبي دينار.

(2) ابن خلدون.

(3) ابن الأثير، والبيهان والنويري والتهجاني وابن أبي دينار.

(4) فلورين: ابن الأثير، عام ٥١١، التنص في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٨٠ وما بعدها. وفي طبعة تورنبرج، المجلد العاشر، ص ٢٧٠، والتهجاني، التنص في المكتبة، المرجع السابق، ص ٢٨٢ وما بعدها وص ٢٩٢ وما بعدها، والترجمة الفرنسية للسيد روسو، ص ٩٢ و ٢١١ (في هذه الأماكن يجب تصحيح الترجمة بناء على

إن القوة التي كان على يكاد يدخلها بلا تروٍ وبلا حكمة منه في البلاد بفرض إبعاد الصقليين كانت بمثابة قوة هبت كالعاصفة من أعماق الصحراء؛ واحتلت في زمن وجيز تلك المناطق التي نطلق عليها الآن اسم المغرب والجزائر، وعبرت البحر المتوسط وأطاحت بفالية الملوك المسلمين في أسبانيا، ويشهد اسمها في حد ذاته على أصل ذلك الحكم. فتحو منتصف القرن الحادي عشر، حين غابت كل قوة حيوية للخلافة بعد أن كانت تتألق في بغداد والقاهرة وقرطبة، ظهرت في أوساط بربر صنهاجة حركة باسم الإسلام أخذت طابع العنف المتواصل في تلك القبائل حيث كانوا يطلقون على أنفسهم مسلمين لأنهم كانوا يعرفون فقط اسم النبي وكانوا يندفعون في أعمال السلب وقتل الزوج المتأخمين لهم. وأراد زعيم لمتانا، وهي قبيلة من أمة صنهاجة، أن يقوم بتهديب رجاله، لذا دعى أحد علماء سجلماسه (١٠٣٩). وسخر هؤلاء الرجال من العالم وطردوه، لكرهتهم للفضائل التي كان يدعو إليها وليس للأفاصيص الواهية التي كان يطعم بها مواضعه، لذا اعتكف ذلك العالم مع عدد قليل من

---

مخطوطة أخرى أفضل اقتناها السيد روسو بعد ذلك؛ والتويري، تحت سنتي ٥١١ و٥١٢، النص في المكتبة، المرجع المذكور، ص ١٥٤؛ وابن خلدون، تاريخ اليريس، النص في المكتبة، المرجع السابق، ص ١٨٦، ١٨٨. ونس الجزائر، المجلد الأول، ص ٣٠٨ و٣١٥ والترجمة الفرنسية لبارون دي سلالن، المجلد الثاني، ص ٣٦، ٣٧؛ وابن أبي دينار، النص في المكتبة، المرجع السابق، ص ٥٣٥، والترجمة الفرنسية ..... وريموسا ص ١٥٢، وابن خلدون في أول المواضع سالفة الذكر يقول إن الأسطول الصقلي كان لها لمساعدة رافع لاجتياح الساحل واعتراض الأسطول الزيري وإن علياً جدد سفنه. وفي الموضوع الأخير يشير بشكل غير واف إلى انتصار بحري حققه الزيرون على الصقليين، ولكنه يضيف أن علياً قد جند «قبائل عربية وسفناً وذهب لمعاصرة قابس عام ٥١١»؛ إن النتائج الزمنية غير متوفر في هذا الجزء الثاني ولا نستطيع أن نوفق بينه وبين الموضوع الأول، إلا إذا افترضنا أن الحرب البحرية قد تم خوضها مع تفاوت نتائجها، والبيان، النص، طبعة دوزي، ص ٣١٦ وفي المكتبة العربية، المصقلية، ص ٢٧٠، تحت عام ٥١٢ يذكر فقط مبعوثي روجيرو الذين أرسلهم إلى المهديّة.

أتباعه في جزيرة صغيرة بالمنغال ليعيش بطريقته ويجذب أتباعاً آخرين بدعوته للتوبة والتكفير عن الذنوب؛ وقد أطلقوا على هذا المكان المنعزل اللفظ العربي المعروف رباط، وسما أنفسهم بالمرايطين، وهي تسمية تحولت لدينا إلى *Marabutti*. كما يطلق على الأولياء في أفريقيا؛ وقد حولها الأسبان إلى «الموراهيدي» بعد سبقها بأداة التعريف وتحوير بعض حروفها الساكنة. وبعد أن توسعت هذه الجماعة واشتهرت بمعجزاتها، شنت الحرب على الأجانب، والمواطنين الذين لم يفهموا الإسلام ويتقبلوه حسب طريقتها في الرباط (١٠٤٢). وهكذا وخلال فترة وجيزة فإن الكفار، بعد أن تمت محاربتهم وتجريدهم من ثرواتهم، بحثوا هم أيضاً عن مكان لهم في صفوف المرايطين. وبفضل قوة التنظيم وقوة الإرادة، غلبت القلة كما هي العادة، الكثرة المفككة وغير المنظمة؛ كما أن التقارب المرفق قد ساعد على تدعيم وتقوية تلك الحركة الاجتماعية التي اتخذت الدين ثوباً لها؛ وفي سهولة تم التحالف القتالي بين رعاة الصحراء الخشنين الذين كانوا ينسبون إلى الشمال كل ما في الحياة من جمال وراحة، حيث لم يتعودوا رؤية العذير إلا مع تاجر من تجار تلك البلدان، حضر ليشتري، في اعتقادي، عبيداً من الزنوج. وحدثت مجاعة دفعت المرايطين (١٠٥٨) تجاه سوس على المحيط الأطلسي؛ وبعد أن توجهوا، أكثر من مرة إلى سلسلة جبال الأطلنطي، احتلوا في النهاية (١١٦١) سجلماسة؛ حيث أخذ مكان الأوائل منهم زعيم سياسي ومحارب يدعى يوسف بن تاشفين. وقد تمكن هذا الأخير من توثيق روابط الجماعة، وسمى نفسه أمير المسلمين؛ وانتصر في معارك أخرى، وقام بوضع حجر الأساس لمدينة مراكش (١٠٦٢) وفرض طاعته من الصحراء إلى المتوسط ومن الأطلنطي إلى الحدود الغربية وإقليم قسنطينة. ثم حدث أن مسلمي أسبانيا، لكي يتخلصوا من مطاردة جيوش الفونسو حاكم قشتالة لهم طلبوا العون من يوسف؛ وبناء على ذلك عبر المضيق وهزم المسيحيين في موقعة طلبيرة

(١٠٨٦) وبعد ذلك بوقت وجيز قام بتصفية كل الذين طلبوا مساعدته الواحد تلو الآخر (١٠٩٠ - ١١٠٠) وعندما تولى (١١٠٦) كانوا يصلون ويذكرون اسمه في ألف وتسعمائة مسجد جامع في كل بلاد الغرب الإسلامي تقريباً التي عمل على أن يتقلد فيها منصبه من خليفة بغداد. ومدّ على بن يوسف الحدود الشرقية حتى بوجي؛ وأضاف إلى الامبراطورية تلك الجزر التي جعلت اسم المرابطين يتردد بأصدائه الرهيبة في إيطاليا (٦).

واقصد بقولي جزر البليار، التي خضعت بعد وفاة مجاهد (2) ومعها دانيه (دنيا) لابنه على وايضاً إلى حفيده ابي عامر وظلت ميراث الأسرة الوحيد، بعد أن قام مقتدر سرقسطة (3) باحتلال دانيه. إن خلفاء مجاهد قد تحاشوا منذ البداية نير المرابطين، سواء لأن يوسف لم يفكر في جزر البليار، أو لأنه لم تكن لديه القوة البحرية لمواجهة أولئك القراصنة. وإزاء غاراتهم المستمرة، فإن أهل بيزا، وكونت برشلونه، وكونت مونبيلييه ونائب كونت نربونا وغيرهم من الحكام المسيحيين تحالفوا فيما بينهم وهاجموا (١١١٢) جزر البليار

(1) تلك الأحداث، الشهيرة جداً، قد وردت مع بعض الاختلاف في التواريخ وفي التفاصيل، في ابن الأثير، عام ٤٤٨، طبعة تورنبرج، الجزء التاسع، ص ٤٢٥ وما بعدها، وفي *Annales Regum Mauritanie*، طبعة تورنبرج، المجلد الثاني، ص ١٠٠ وما بعدها، كما رواها ابن خلدون، في *Histoire des Berbères*، ترجمة البارون دي سلاون، المجلد الثاني، ص ٦٧ وما بعدها، وطبقاً لترجمة *Annales*، تورنبرج، ص ١٠٦. فإن الرباط كان في البحر، لكنه يوجد بالنص لفظ «بحر» الذي يعني أيضاً النهر الكبير وهكذا فإن الرواية يمكن أن تتفق مع رواية ابن خلدون، الصحيحة جداً.

(2) انظر الكتاب الخامس، الفصل الأول، ص ١٨، من هذا المجلد، (3) ابن الأثير، النص، عام ١٠٧، طبعة تورنبرج، المجلد التاسع، ص ٢٠٥. هارن بين: دوزي، *Histoire des Musulmans d'Espagne*، المجلد الرابع، ص ٣٠١، و *Recherches, etc.*، الطبعة الثانية، المجلد الثاني، ص ٢٩ - ٣٠، حيث لوحظ عدم التوافق الزمني عند ابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة البارون دي سلاون، المجلد الثاني، ص ٧٩. إن احتلال دنيا الذي قام به المقتدر، إنما يعود إلى عام ١٠٧٩، حسب المؤلفين الذين تبعهم دوزي، حتى إن وأرجعه ابن الأثير إلى عام ١٢٨ (١٠٨٥ - ١٠٨٦).

التي كان يحكمها الخصى مبشر وهو عتيق المجاهدين. وبعد أن واجهوا دهاغاً مستميتاً، وبعد وفاة الخصى، اقتحموا قلعة مايوركا (١١١٥) وأخذوا الشاب بورابي (أبو ربيعة)، آخر سلالة الأسرة، واقتادوه إلى ييزا مثل ما حدث مع جده على قبل ذلك بقرن من الزمان؛ إلا أنه ما أن عادت سفن ييزا إلى برها، حتى احتل علي بن يوسف جزر البليار دون مقاومة<sup>(1)</sup>. ويبدو أن ذلك قد تم بمساعدة أسرة هراصنة قوية من دانيه تتولى حماية السواحل وهي أسرة بنو ميمون. وقد ورد ذكر أحد رجالها ضمن المدافعين عن مايوركا وقد أرسل، بعد وفاة مبشر، إلى دانيه، ليطلب العون من أمير المرابطيين<sup>(2)</sup>. بعد ذلك يوضع سنوات تولى بنو ميمون قيادة أسطول علي بن يوسف، وهو أسطول ربما أمروا بإنشائه أو قاموا هم أنفسهم بذلك<sup>(3)</sup>؛ وعند تدهور حكم الأسرة الذي كان سريعاً قاموا بتزويد الجيش بفتيان مسيحيين كانوا يخطفونهم في البحار ومن سواحل أسبانيا وإيطاليا وممالك البيزنطيين<sup>(4)</sup>. ولما لم يفلح أي شئ في تقادي سقوط

(1) لدينا رواية هذه العملية، التي رواها لورينتسو فريهزي، وكان معاصراً، وهو يعطي تفاصيل قيمة جداً. وسوف يتضح عظم أهميتها عندما يمدد بونابتي طبعها. كما وعد. بناء على مخطوطة قهه دراسته. أهضل كثيراً من المخطوطة التي استخدمها موراتوري. وإلى أن يتم ذلك نرجع إلى طبعه. *Rer. Ital. Ser.* المجلد السادس، ص ١١١ وما بعدها. فإن بين *Chronica varia Pisane* و *Moratouri* في المجلد نفسه، ص ١٠١ وأيضاً مرانجوني، في *Archivio storico Italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٧ و٨. وبالنسبة للكتاب العرب انظر بيان المطبوع، النص، طبعه دوزي، المجلد الأول، ص ٢١٤، ابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة دي سلان، المجلد الثاني، ص ٢٠٦.

(2) لورنتسو فريهزي، المرجع المذكور، ص ١٥١؛ وابن خلدون، *Histoire des Berbères*، الموضع المذكور، يقول إن مبشراً طلب المساعدات من علي بن يوسف. (3) ابن خلدون، المقدمة، نص باريس، الجزء الثاني، ص ٢٧ وترجمة البارون دي سلان الفرنسية، الجزء الثاني، ص ١٢. يتضح التاريخ من الفارات التي شنت في مناطق سيطرة روجيرو والتي سنرويها الآن.

(4) دوزي، *Histoire des Musulmans d'Espagne*، المجلد الرابع، ص ٢٦٢. هامش ١.

في رثائين نظمهما ابن حمديس في العام نفسه الذي توفي فيه (٥٢٧ = ١١٢٢ - ١١٢٢)

المرابطين، عجل بنو ميمون به، بانضمامهم تارة إلى المتحدرين الأسبان(1)، وتارة أخرى بانخراطهم تحت لواء عبد المؤمن، زعيم الموحدين(2). وفي خضم هذه الأحداث اشتدت قوة آل ميمون، على مدى فترة طويلة من القرن الثاني عشر، حتى إن حولياتنا، تذكر الممارك أو الاتفاقات بين بنى ميمون والصقليين، وأهل جنوة وأهل بيزا(3).

فالقائم في القائد ابن حمدون، وينسب فيهما أيضاً القائد أبا محمد ميمون؛ غير أن المديح غير المحددة لصفاته الحربية لا تعطى دليلاً على أنه ينتمي إلى الأسرة التي نتحدث عنها. وتوجد المراثيان في ديوان ابن حمدون، مخطوطة بطرسبرج، الورقة ٦٠ الوجه الثاني و٦١ الوجه الثاني وقد ذكرت عنوان الأولى منهما في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٧٢. ولا توجد أي من الوثائقيتين في مخطوطة الفاتيكان. (1) المراكشي، النص، طبعة دوزي، ص ١٤٩. يروي أن مسلم المروية، بعد رفضهم لاسم المرابط، كانوا يريسون القائد أبا عبد الله بن ميمون أميراً عليهم إلا أنه اعتذر قائلاً إنه رجل بحر، وأنه يجسر بهم أن يعتمدوا عليه في مواجهة الأساطيل المعادية وأن يعمدوا بالإمارة إلى غيره.

(2) أشار ابن خلدون إلى ثمرد الأميرال في *Histoire des Berbères*، المجلد الثاني، ص ١٨٢ من الترجمة، وذكر اسم الأميرال وهو علي بن عيسى بن ميمون، وفي المقدمة، الموضوع السابق، يتحدث عن كل أسرة بنى ميمون سيدة فادش. من الواضح أنهم كانوا مهتمين على البحر فيما بين جزر البليار، ودنيا، وكادس، والمروية. (3) يبدو لي أنه ينبغي هنا أن نجمع الموضوع التي يذكر فيها اسم تلك الأسرة بالعوليات: ١١١٤ في جزر البليار، ميمون *Alaymanus*، لورنسو هيرنيزي، وابن خلدون، الموضوع المذكوران.

١١٢٢ في نيكوترا، أبو عبد الله بن ميمون، حسب الهيجان، النص، ٢١٧، ١. وابن خلدون في *Berbers*، الجزء الثاني، ٢٦، الترجمة، يسميه محمد؛ ويبدو أنه الشخص نفسه. حيث إنه من المعتاد بين المسلمين، تكريماً للنبي، أن يندعوا كنية أو لقب، أبو عبد الله، لمن يسمي محمد، إلا أن الهيجان، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٩٢، يعطى إلى قائد هذه القارة اسم علي بن ميمون وأمه كان *Alas* أو *Alanta* حسب الصياغة - الأسبانية، الذي يقول عنه لورنسو هيرنيزي إنه ظل قائد قلعة مايوركا بعد هروب «برابي» ونجا عموماً، عندما اقتحم أهل بيزا القلعة، وجدير بالتنبيه أن الهيجان، المرجع المذكور، وهو يشير إلى ميمون بن محمد بن ميمون ذلك، الذي هاجم صقلية بعد عام ١١٢٢، يخيف أنه سبق أن ذكر ذلك الشخص. ومن هذا يتضح أنه ورد خطأ في المخطوطات إما اسم علي أو اسم محمد. والمصادر الصقلية تقول «جانيهوس ميمونوس» لا أكثر.

١١٢٧ في باتي وهي مينراكونزا، ميمون بن محمد بن ميمون، قائد أسطول المرابطين.

وفي صيف عام ألف ومائة واثنين وعشرين جاء أحدهم واسمه ابن ميمون وهو أحد أتباع المرابطين، وقام بالهجوم بسفنه على

وأخذ الاسم من النجاشي، في المكتبة العربية، الصقلية، من ٣٩٨، بالرغم من أن أول اسم منه ميثور «ميمو» ويبدو أن كتبه النسخ على سبيل الخطأ حيث أسقط أيضاً «بن» ويبدو أن هذه الشخصية تتوافق مع محمد بن ميمون القائد نفسه الذي قاد الغارة على نيكوترأ عام ١١٢٢، وابن خلدون، تاريخ البربر، النص، المكتبة العربية، الصقلية، من ١٨٧، والترجمة الفرنسية للبارون دي سلان، الجزء الثاني، ٢٧، يتحدث عن هذه الغارة الثانية التي قام بها محمد بن ميمون بعد عملية ديماس، دون أن يضع تاريخاً محدداً، كما أن المؤلفين العرب الآخرين لا يتحدثون عن عملية ١١٢٧، إلا أن كثيراً من الكتاب المسيحيين يتحدثون عنها، وقد ذكرت أولاً في العواشي على مالاتيرو، في كاروزو، Bibl. Sicula، من ٢١٩، حيث تقول إنه في ١٧ يولييه ١٠٢٧، هاجم جايثوس ميمونوس، المعلم الأسباني السراسني، باتي وسيراكوزا وأعمل فيهما التخريب والقتل والعرق، والسلب والأسر بين الرجال والنساء، والحدث نفسه وبالكلمات نفسها مع الخطأ، في النسخ نجد في رسالة الراهب كورادو، عند كاروزو، المرجع المذكور، من ١٧، مع إضافة الكثير من الأفاصيل والأحداث والأسماء المشوكة بحيث لا يمكن التحقق منها، إن رواية هجوم الجايثوميمون هي واحدة كما هو واضح، وفي التاريخ المكتوب في العبرين لا ينقص سوى حرف C (أي ١٠٠) ليصبح الرقم ١١٢٧ بدلاً من ١٠٢٧، وكان ذلك خطأ وقع فيه المؤلفان اللذان يرجعان إلى القرن ١٢، وهكذا فإن الحدث يتفق مع رواية جوليلمو كبير أساقفة صور، الكتاب الثالث عشر، الفصل ٢٢ (مستل في كتاب كاروزو، المرجع السابق، من ١٠١)، حيث إنه عندما هاجم روجيرو أفرشيا بأربعين شاة وقيل في هجومه، فإن الأفارقة انتقموا بتخريب سيراكوزا حين قاموا بتسليح ٨٠ سفينة، إن التاريخ يتفق لأن المؤرخ في الفصل التالي سجل ربيع العام الرابع من اقتحام صور وهو الاقتحام الذي وقع في ٢٠ مايو ١١٢٥، وفي الأوراق الخاصة بنقل جثمان القديسة أجاتا (١١٢٦) في جيلثاني، *Vita sanctorum alculorum*، المجلد الأول، من ٦٠، يرد ما ينسب إلى تلك القديسة معجزة، حدثت بعد سنة من نقل رفاتها إلى كاتانيا، وهي أن المواطنين أخبروا بالهجوم الذي يوشك أن يقوم به فراسنة أسبانيا، لذلك عندما وجدهم العدو مستعدين لملاقاته أدار دفته نحو سيراكوزا، حيث قام بأعمال القتل والأسر والسلب ولم يترك في المدينة سوى أسوارها، حسب قول الكاتب المعاصر سيكاردو، أسقف كيريمونا، في موراثوري، *Rev. Ital. Scr.*، المجلد السابع، ٥٩٧، يكتب تحت عام ١١٢٧، *comburunt Barberi Syracusanam civitatem invadunt et cuncta diripiunt* (١١٢٦ تقويم بيزا)، السلام الموقع بين أهالي بيزا، وملك مراكش وملك للمسيان وجايثودوم ميمونم *Gaidum Maimonem*، مراتجوني في *Archivio Storico Ital*، المجلد السادس، الجزء الثاني، من ٨.

والعقري، نص ليدن، المجلد الثاني، من ١٨٤، يتحدث بوجه عام عن الغارات التي قام بها القائد بن ميمون على المسيحيين وعن أنه كان في المرة.



مدينة نيكوترا في إقليم كلابريا: وقام بأعمال النهب والحرق والقتل وخطف النساء والأطفال. وبعد أن هاجم أماكن أخرى عاد سالماً إلى الغرب<sup>(1)</sup>، والمؤرخون المسلمون الذين نعرف عنهم أخبار وظروف الحرب التي خاضها روجيرو قوراً في أفريقية<sup>(2)</sup>، إنما ينسبون هذه

١١٢٧. في بحار أسبانيا طيارد ٢٢. شانية من جنوة الأربعين سفينة النابذة لجايثو ميمون القادم من السرية. كاتالو *Ann. Januenses*، في مورتوري. *Rev. Ital. Ser.* المجلد السادس، ص ٢٥٩.

١١٥٩. قام محمد بن عبد العزيز بن ميمون، قائد أسطول الأمير المهدي عبد المؤمن في حصار المهدية، بمدد الجيش الصقلي الذي أتى لمساعد العاصمة، وذكر الاسم في التهجاني (مخطوطة باريس، ملحقات عربية ٩١١، ورقة ١١٠ الوجه الثاني) مضيفاً بأنه كان من تلك العائلة التي اشتهرت جداً بقادتها البحريين، إلا أن هذه الكلمات غير موجودة في الترجمة الفرنسية التي قام بها السيد القونس روسو عن مخطوطة أخرى، انظر صفحتي ٢٦٢ و ٢٦١. وقد روى التهجاني ذاته واقعة المهدية في الجزء الذي نشرته في المكتبة العربية - الصقلية. النسخ. ص ٤٠٢.

١١٦١. أوبرتو سبينولا يحضر بضمم شوان في ميناء دنيا. حيث يدفع له ثوبو ملك أسبانيا. مبلغ ١٠.٠٠٠ مريبواً (عملة المرابطين) ويعتجه حرية التجارة. كاتالو، المرجع المذكور، ص ٢٦٧. وحسب ابن خلدون، تاريخ البربر، الترجمة ٢-٢٠٧. ثوبو (*Thupo*) ابن ميمون كان أميرال الموحدين في ذلك العصر. إن السلام الموقع بينه وبين أهل جنوة يستدل عليه أيضاً من خلال وثيقة ترجع لعام ١١٦٢ في *Liber Jurium Reipubl. Januensis*. المجلد الأول، ص ٢١٠.

وحول أحداث بني ميمون، انظر أيضاً جلتهجوس، ترجمة نص المقري *Mohammedan Dynasties in Spain*. المجلد الثاني، ص ٥١٧، الهامش. ولا ننفي مع المترجم العالم في أن تلك الأسرة من البربر، من قبيلة لغنائ: ويبدو لي بالأحرى أنها أسبانية وربما كانت من أصل مسيحي: حيث كان اسم ميمون من المؤلف إطلاقه لدى المسلمين على الموثقين.

(١) تستشهد في هذا المقام بالمصادر التي ذكرناها في الهامش السابق تحت عام ١١٢٢. ونسيف إليها ابن الأثير. عام ٥١٧. في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٢٨٢. والذي دون ذكر اسم ابن ميمون. يقول، قد دمرت وخربت نيكوترا من جانب أسطول المرابطين.

(٢) ابن الأثير، الموضع السابق، والهيان، نص دوزي. ص ٢١٧. نص المكتبة العربية - الصقلية، ٢٧١. عام ٥١٦ وابن خلدون، تاريخ البربر. النسخ. في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٤٨٧ وفي الترجمة الفرنسية ٢-٢٧. والتيجاني، رحلة. النسخ. في المكتبة العربية - الصقلية ص ٣٩١ وما بعدها وفي الترجمة الفرنسية ص ٢٤٥ وما بعدها: وابن أبي دينار. النسخ. في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٥٢٦ وفي الترجمة الفرنسية، ص ١٥٣. هؤلاء الكتاب، الذين عاشوا جميعهم بعد القرن الثاني عشر، يبدو أنهم اعتمدوا في كتاباتهم عن حرب ١١٢٢ على مؤرخين أو

الحرب إلى حدث نيكوترا هذا؛ ويقولون إن كونت صقلية اعتقد أنها .  
 النتائج الأول لتحريض على، بل للرابطة التي عقدها مع المرابطين(1).  
 وهي الحقيقة فإن هذه الحرب تبدو لنا مجرد انتقام فوري، أكثر منها  
 عملية غزو وفتح مبيتة؛ ذلك لأن خطط روجيرو هي هذا الشأن لا  
 تبدو خططاً ناضجة تماماً؛ كما وأنه من ناحية أخرى، كان جنوب  
 إيطاليا، في ذلك الوقت ذاته، في حاجة إليه لمهام أعظم وطموحات  
 أكبر(2). ولعله كان يأمل أن يقوم، خلال بضعة أسابيع، بعملية هجوم  
 مباغتة على المهديّة، ينسج خيوطها مع العرب، وهي على كل حال  
 عملية سهلة. ضد حسن، الذي كان صبيهاً في الثالثة عشرة وقد خلف  
 علياً منذ قليل(3).

لقد تعجل روجيرو أمره وجمع سفناً ورجالاً من أنحاء مختلفة  
 بإيطاليا(4) وحجز في موانئه السفن التي كانت تنقل البضائع إلى  
 أفريقية أو إسبانيا؛ وفي شهر جمادى الأولى ٥١٧ هجرية (من ٢٧  
 يونيه إلى ٢٦ يوليه ١١٢٣) أمر بإبحار ثلاثمائة مركب من ميناء  
 مارسالا، ما بين سفن شحن وسفن حربية، تحمل ثلاثين ألفاً من  
 الرجال وألفاً من الخيالة(5). ومن بين هذه الأرقام يجدر قبول الرقم  
 الأخير فقط؛ أما الرقم الآخر فيدل فقط على أن الأسطول كان

---

ثلاثة معاصرين كما اعتمدوا على التقارير الرسمية التي سوف نذكرها فيما بعد. ومن  
 بين المسيحيين لدينا فقط جوليئمو الذي من صور، والذي ذكرناه منذ قليل في ٣٧٨ هي  
 الهاشم. ويشير وليس دير تلهيزي إلى النتائج الناجمة عن هذه العملية، عندما يقول وهو  
 يروي أحداث عام ١١٢٧ Cumque (Rogerius) ad alias iterum occupandas  
 insulas terrasque attentius persisteret, etc. انظر كاروزو. Bibl. sicula.  
 ص ٢٥٩.

- (1) البيان، وابن الأثير، والتيجاني، وابن خلدون.
- (2) انظر رومانو دي سالرنيتانو، عامي ١١٢١ - ١١٢٢، عند موراثوري. *Ret. Ital. Scr.*  
 المجلد السابع، ص ١٨٣.
- (3) انظر أحوال بلاط المهديّة في هذا العصر لدى التويري، النمى. المكتبة العربية  
 الصقلية، ص ١٤٦.
- (4) البيان.
- (5) هارن بين: ابن الأثير والبيان والتقدير الرسمي الذي نقل التيجاني جزءاً منه.

ضخماً وكان يتولى قيادة هذه العملية كل من عبد الرحمن النصراني وجورجو الأنطاكي اللذين سبق ذكرهما (1). أما عن بلاط المهدي فمن جانبه، وقد علم باستمدادات روجيرو، قام بإصلاح قلاع العاصمة وكون جيشاً وجمع الأسلحة ونادى بالجهاد الأمر الذي أدى إلى أن جمعوا غفيرة من الأفارقة ومن بعض القبائل العربية المحتلة للبلاد أخذت تهرع إلى المهدي؛ وتنتظر خارج الأسوار (2) وسط شكوك كبيرة أخذت تسيطر الأهالي (3) الذين لم يستطيعوا الاقتناع بأن أولئك الناهبين قد أتوا ليحموا أرواحهم وأموالهم.

وبدأت النفوس ترتجف عندما ألقت الأمواج بسفينة صقلية على شاطئ البحر وكانت تلك السفينة بمثابة إخبار عن الأسطول (4). وما حدث هو أن عاصفة قد ضربته وأغرقت عدداً من مراكبه، ولم يبق من الأسطول الصقلى سوى عدد ضئيل فى بنتلاريا (5). كما كان يحدث فى أغلب الأحيان التى كانت ترسل فيها صقلية بحملاتها إلى أفريقية أو العكس (6). لذا سالت دماء غزيرة فى تلك الأراضى التى كانت نصف إيطالية ونصف أفريقية، حتى إنه فى نهاية القرن الحادى عشر، كانت عظام المسيحيين الذين راحوا ضحية غضب المسلمين، لاتزال منتشرة على جانب من تلك الأرض (7). ثم جاء دور غضب

(1) التيجانى وابن خلدون.

(2) ابن الأثير والبيهان والتيجانى. من الملاحظ أن البيهان يتحدث عن القبائل التى تم استدعاؤها وعن العرب الذين تم إحصائهم. من الواضح أن التسمية الأولى تدل على السكان القدامى عرباً وبربر، والتيجانى يقول: قبائل العرب وغيرهم.

(3) البيهان.

(4) التقرير. لدى التيجانى.

(5) ابن الأثير، والبيهان.

(6) انظر كتابنا الأول، المسلمين الطامس والسابع، صفحات ١٨٧، ١٨٨، ٣٣٨ من المجلد الأول؛ والفصل الثالث من الكتاب الخامس، ص ٨٩ من هذا المجلد.

(7) هذا الحدث لم يستخلص من المؤرخين، ولكن من قصيدة لابن حديد. نظمها بعد حادث ديماس. ويشهد فيها الشاعر بفتح المسلمين لصقلية وبالغارات التى أخذ فيها المسلمون نساء الروم ثم يكمل قائلاً: «وكوسيرا: حيث ترى جماجم أبائهم، تلك الجماجم التى تنتشر أجزائها على الأرض الجرداء».

الحملات الصليبية لينتقم لذلك. وقام الصقليون الذين نزلوا في بنتلاريا بنهب الأهالي والاستيلاء على ممتلكاتهم؛ إلى أن قاموا بتجميع السفن. وفي رغبة منهم لمزيد من الفنائم، أبحروا مرة أخرى متجهين إلى أفريقيا. وفي يوم السبت. الخامس والعشرين (1) من جمادى الأولى (٢١ يولييه ١١٢٣) وعند الغروب، رست السفن الصقلية على بُعد ما يقرب من عشرة أميال شمال المهديّة. على جزيرة رملية صغيرة، يطلق عليها الآن «الشقيقتان». وكان يطلق عليها عندذاك «الأحاسى» (2). وكان يفصلها عن رأس ديماس مسافة قصيرة ومضحلة. يخوضها الخيالة والجنود المشاة (3). ويبدو أن رأس ديماس

(1) هكذا كتب التيجاني. وفي الحقيقة فإن يوم ٢١ يولييه. كان يوم سبت. وهذا على أن المؤلف الذي اتبعه التيجاني حسب التاريخ وفقاً للتقويم الهجري المدني وليس الفلكي. الذي يسبق اليوم. يقول ابن الأثير في أواخر جمادى الأولى. دون أن يحدد اليوم وهكذا البيان أيضاً.

(2) ورد ذكر هذا الاسم في البيان والتيجاني. والتقرير الرسمي. في سياق نشره المسجوع. يقول: «جزيرة مليئة بالأحساء». وحسبما يرد بالمعاجم فإن هذا اللفظ جمع مفرد «الحصى أو الحسى» أي الماء المتسرب في الرمل. وهو الرمل في حد ذاته. بينما بعض لفظ خمسة وهو مفرد جمعه أحاس. يعني وشقة أو شربة ماء. كما ترمز في ترجمته الفرنسية للمقريزي *Sultans Mamlouks*. المجلد الأول. الجزء الأول. ص ١٩. هامش ١٩. يشرح من خلال امثلة كثيرة أن «حصى» هي *puits creusé dans le sable*. وأنني أرى أن اللغتين قد استخدمتا مختلفتين معاً. ذلك لأن الأصل واحد والمعنى قريب وأن الجزيرة الصغيرة قد أطلق عليها «أحاس» بسبب الأبار التي حفرت بها. الملاحظة الأهم من ذلك هي أن العرب تعدّلوا عن جزيرة صغيرة واحدة. على حين توجد الآن جزيرتان صغيرتان. لقد تجاهلوا الجزيرة الكبرى؛ أو ربما كانت هناك جزيرة واحدة ثم انشطرت بعد ذلك؛ أو شكلت الرمال جزيرة أخرى اعتباراً من القرن الثاني عشر وحتى الآن؟

في خريطة سميت. طبعة ١٨٦٠ الجديدة تهدد في شمال رأس ديماس للجزيرتين بلطخ *habitat* فيصل بينهما اليابس بشدة ضيقة جداً ذات قاع عميق والجزيرتان تحملان اسم «الجزيرتين الشقيقتين». ونراها في خريطة الساحل الجميلة. أي الساحل التونسي. التي نشرها السيد انريكو دي جوبيرناتيس. في الجزء الأول من نشره الجمعية الجغرافية الإيطالية. فلورنسا أغسطس عام ١٨٦٨. كما يشاهد في الخريطة شريط الساحل من المهديّة إلى ديماس. الذي تحدث عنه في هذا النص. والملاحظات المضافة بالشرطة هي من ٢١٥ و ٢١٦. نمطينا المرض الحالي للمضيق ما بين ديماس وأحاس. (3) التقرير.

قد أخذت الاسم عن بناء قديم كانت أنقاضه مازالت باقية فيها . كما كانت تسمى أيضاً ديماس تلك الأرض المسورة التي كانت تحل على المضيق وكانت تضم في داخلها قلعة حصينة جداً(1). وحسب قول العرب فقد أمر روجيرو بأنه بعد أن يتم احتلال الأرض والقلعة، أن يتحرك الخيالة والمشاة نحو المهديّة على أن تقترب منها السفن في الوقت ذاته، بحيث يتحقق الهجوم المفاجئ عليها من البر والبحر(2). من الواضح أن الصقليين قد اعتمدوا على مساعدة أحد القادة العرب اتفق معه عبد الرحمن النصراني؛ وأن العرب لم يتمكنوا من أن يسلّموا إلى الصقليين أرض ديماس، لأن فرق جنود المهديّة قد استعدوا لذلك؛ ولهذا تم التصدي للحركة المباغتة التي قام بها المهاجمون وفشلت بالتالي محاولة ضرب المهديّة. وفي ليلة نزول البر نفسها. وبعد أن نصبوا خيام القائدين وبارونات الجيش في جزيرة أحاس، توغلت مجموعة من الخيالة لعدة أميال داخل البلاد(3)، وفي بداية اليوم التالي، أبحر القادة على رأس ثلاث وعشرين شانية(4) في اتجاه المهديّة، وراوا القلعة، وأسرعوا حتى شاطئ زويلة؛ وفي كل موقع يقتربون منه كانوا يجدون دفاعات حصينة وهرقاً ضخمة من المسلحين؛ لكنهم لم يروا الألوية الصقلية

---

(1) مرآة الإطلاّع، طبعة لندن، المجلد الأول، 112. يذكر أماكن تحمل هذا الاسم في واسط وهي عسقلان ويقول إنه يعني به السجون. ومن الممكن افتراض أن يكون اسم الرأس قد أخذ عن اسم أحد المباني الرومانية الذي كان سجناً أو كان يبدو كذلك. لأنه كانت تشاهد في الأطالس البحرية علامات تعدد أطلسل قديمة في الجانب الشمالي من الرأس. في المشرقي، المواضع، طبعة بولاق، المجلد الأول، ص 112. وردت تسمية بهذا الاسم لنوع من السفن. ويبدو أن هذا اللفظ قد نقل عن اللغة اليونانية وهو لفظ بيتجاس مع ودياس وتعني «قبو تحت الأرض». وفي اللغة الصقلية الدارجة فإن كلمة «موسو» تعني «سقف على شكل قبة» وتعني أيضاً «نزلة سجن تحت الأرض». ووفقاً لابن الأثير فإن ديماس أرض ذات أسوار كانت تحيط بقلعة تقع على ساحل المضيق؛ كما قال ابن المسيحيين كانوا قد احتلوا القلعة وإن المسلمين حاصروها.

(2) التيجاني.

(3) البيان والتيجاني.

(4) البيان.

تظهر أمامهم. عندئذ استبد بهم الإحباط وعادوا من حيث أتوا إلى أحاسى؛ وبالإضافة إلى ذلك علموا بأن مجموعة من جنود المهديّة والجنود العرب تجرّت على مهاجمة المعسكر وقتلت رجالاً كثيرين وجمعت الفنائم، بينما كانت الخيالة المسيحية تغير دون جدوى هنا وهناك على البير(1). وعندئذ أنزل القواد الفرسان الخمسمائة الآخرين(2) وأقاموا معسكراً للجيش بكامله في أحاسى. وفي اليوم التالي، وهو اليوم الثالث لنزولهم على الأرض، واعتماداً على خيانة أحد رؤساء العرب، استولوا على قلعة ديماس، حيث وضعوا حامية قوامها مائة رجل(3). أما الأرض فلم يستولوا عليها، حيث أسرع إليها، من كل صوب وحذب، أعداد غفيرة من العرب المخلصين للإسلام كما وصل إليها من المهديّة جمع ضخم من الجنود ليفرضوا حصاراً على القلعة(4). وبعد أن تبدّلت الأدوار فإن المهاجمين الصقليين راحوا يدافعون عن أنفسهم في القلعة وفي جزيرة أحاسى التي لم يكن سهلاً المرور منها إلى رأس ديماس. عبر ذلك البرزخ المغمور بالماء أو المضيق الضحل، إذا أردنا تسميته كذلك.

(1) البليان والتيجاني: لكن ابن الأثير يقول بأن الصقليين كانوا قد هاجموا أرض ديماس وصدهم العرب.

(2) التقرير.

(3) يذكر التيجاني أن احتلال القلعة قد تم ثلاث أيام النزول من السفن؛ أما البليان فيقول إنه كان يوم 28 من جمادى الأولى مسجلاً بذلك النص. كما فعلت أنا في المكتبة العربية - الصقلية، ص 371. هامش 4. ويورد الكاتب الأول «أن بعض العرب وقد أسدهم قائدان من صقلية» قاموا بمعاونة العدو خلال هذه الأحداث. وحسب التقرير فقد قام «أحد المتمردين العرب» بإدخال المسيحيين في القلعة. ويقول ابن حمدان في البيت الطاس والمشرين من قصيدته التي ذكرتها من قبل: «لقد أشرروا (قلعة ديماس) وباعوا أنفساً منهم للهلاك» «فلن هل خسروا أم ربّحوا في تلك المقاتلة»؟.

(4) التقرير. في هذه الوثيقة المليئة بالصور البلاغية نقرأ عن المعاصرين بأن «النار حرقتهم. تلك النار التي كانت تهدو كأنها نار جهنم» ونستطيع أن نستنتج أنه قد استخدم النفط في الحصار.

إن التفاصيل المرببة التي برزت في هذه الأحداث طبقاً للأبيات من 51 وحتى 58 من قصيدة ابن حمدان الشهيرة، ساقفة الذكر إنما هي قبائل رباح، دهمان، وزيد وصطر.

وهي الليلة الرابعة من نزول الصقليين من سفنهم(1) وكانت ليلة الثلاثين(2) من جمادى الأولى (٢٦ يولييه) شنت الجموع المسلمة التي كانت تحتل ديماس، هجوماً على القلعة وأطلقوا صيحات «الله أكبر» فارتج لها الساحل بكامله، واستولى الفزع على قلوب الصقليين واعتقدوا أنهم قد هوجموا فعلاً في ممسكهم ولم يفكروا في المضيق أو ظنوا أن أفريقيا بكاملها قد عبرته بجيوشها، فأطلقوا الصيحات: إلى السفن، إلى السفن وهرعوا إليها دون أن ينظروا إذا كان هناك فعلاً من يطاردهم، وكان الشجعان فيهم يتوقفون فقط لقتل جيادهم حتى لا يأخذها العدو. وما أن عرف عدوهم بالهزيمة حتى عبر إلى أحامس، وكانت الجزيرة شبه خالية من الصقليين، واستولى على الآلات الحربية والأدوات والأسلحة والمتاع فضلاً عن أربع مائة حصان بعد أن قتل الصقليون ست مائة حصان هناك، وأخذوا منها حصاناً واحداً على المراكب، وحسب قول البعض الآخر، أخذوا منها حصانين فقط. وقد أقامى الكتاب المسلمون في وصف هذا الانتصار العظيم وأخذوا يتبارون في استخدام الصور والصيغ البلاغية بكل أنواعها. وظل الأسطول لمدة ثمانية أيام وهو يشاهد الهجمات التي كانت تتوالى على القلعة؛ ولما لم يجد وسيلة أو طريقة لمساعدة رجال الحامية الشجعان، ونظراً لأنه لم يستطع البقاء طويلاً على هذا الحال، فقد أطلق أشرعته للرياح وابتمد شيئاً فشيئاً عن مرأى مائة ألف راجل وعشرة آلاف فارس كانوا يرسلون له اللعنات عن بعد(3). ويبدو أن هذا العدد ليس مبالغاً فيه حينما لم تذكر الكتابات من

(1) التهجاني.

(2) البيان.

(3) هذا العدد قد ذكره ابن أبي دينار فقط، وهو مؤرخ حديث يهتم كثيراً بالدقة أكثر من اهتمامه بالبلاغة. ربما وجد هذا العدد في أحد التقارير الرسمية المعاصرة؛ لأننا نقرأ العدد نفسه في الأجزاء التي حفظت من التهجاني وهو مائة ألف والذي كُتب خطأ، أو نقله الناسخ خطأ، ذلك فيما يخص عدد رجال الحامية المسيحية بالقلعة الصغيرة بديماس، انظر المكتبة العربية، الصقلية، هامش ٥، ص ٢٩٢.

الجهد سوى الهتاف المدوي وجمع الفنائم وذبح القليل من الضحايا. وبعد أن أنهكهم القتال ليل نهار، ولما شحت المؤن والمياه، فإن المائة محارب طلبوا النجاة بحياتهم وعرض بعضهم فدية كبيرة(1)، وقد جنح قصر المهديّة إلى الاتفاق(2)، إما لمشاعر إنسانية من جانبه أو خوفاً من انتقام صقلية منه، إلا أن غالبية جموع العرب، المنشددة، قد منته من إبرام ذلك الاتفاق. وبعد سنة عشر يوماً، خرج المائة رجل المحاصرين، بعد أن أنهكهم الجوع والمعش واندفعوا خارج القلعة حاملين سيوفهم وقتلوا جميعاً من أولهم إلى آخرهم، ومن بين الثلاثمائة سفينة التي كانت قد أبحرت من صقلية، عادت إليها مائة سفينة فقط(3).

ونعلم مدى الأفراح التي عمّت عندئذ في بلاط المهديّة: إذ توجد لدينا بعض المقتطفات من أحد التقارير من النشر المقتضى التي أرسلها حمن إلى كل البلدان الإسلامية(4)؛ كما توجد لدينا قصيدة لابن حمديس، يلقب فيها الفتى الجالس على عرش المهديّة، بطلاً، ويفرح للدمار والخراب الذي أصاب أولئك الروم الذين خربوا وطنه من قبل(5). لكن ما من كاتب من بلادنا، وصف لنا حالة الحزن التي عاشتها صقلية؛ وهناك قصة تركها لنا العرب ورد فيها وصف حي للمار والفضب اللذين أصابا الأهالي الممسيحيين. والشاعر أبو الصلت

(1) ابن حمديس، في القصيدة المذكورة، البيت ٢٥ يقول: كثيرون حاولوا اقتداء أنفسهم من ذلك المصير الصعب بوزنهم ذهباً، إلا أن الذهب قد رفض.

(2) الهبيان، دون ذكر السبب الذي أرجعه أنا إلى مروءة الحكام الزيريين.

(3) يذكر ابن الأثير أن الكارثة وقعت يوم الأربعاء ١٥ من جمادى الثاني. أما الهبيان فيذكر أنها وقعت في ١٥ جمادى؛ والتيجاني يقول إنها وقعت يوم الأربعاء ١٤ جمادى وقد رويت الأحداث مع اختلاف بسيط في تلك الأعمال الثلاثة؛ والشئ نفسه شجده في ابن خلدون وابن أبي دينار.

(4) تلك البشوى ذكرها التيجاني، ويذكرها أيضاً ابن الأثير.

(5) هذه القصيدة التي لم تشملها مخطوطة بطرسبرج. نقرأها في مخطوطة الشانكاك. وفي ص ١٢٧ من نسخة الأستاذ شحوان وسوف أنشرها في حواشي المكتبة العربية الصقلية.



الذى كان ينظم الشعر فى ذلك الحين فى قصر المهديّة بروج لنا أن شخصاً يدعى عبد الرحمن بن عبد العزيز نقل إليه أنه قد شاهد ذات يوم فى إحدى قاعات قصر الملك روجيرو فارساً من الفرنجة أخذ يربت لحيته الطويلة، ويقول فى كبرياء: « أقسم أنى لن أخلق من هذه اللحية شعرة واحدة، إلا بعد أن أثار من أولئك الأعداء فى المهديّة ». وعندما سأل عبد الرحمن: « ماذا بهذا الرجل؟ أجابوه أنه ساعة الهزيمة التى وقعت فى أحاسى قام من فرط غضبه بنزع شاربه حتى سأل الدم على وجهه كله (1)، وكان ما يفوق ذلك من غضب يضطرم فى قلب الأمير الذى رأى الخسارة الكبيرة التى تكبدتها أول حملة كبيرة قامت بها مملكته. إلا أن هذه الكارثة، بدلاً من أن ترهبه وتثبته عن مقاصده، قد علمته كيف يتحاشى الأخطاء: ولما كان روجيرو ممن يحسن معرفة قدر الرجال، فإنه لم يقلل من شأن الأدميرال جورجو الأنطاكي، بعد نكبة رأس ديماس.

واستمرت الحرب ضعيفة من كلا الطرفين؛ إذ لم تتحدث عنها حويلات هذا الطرف أو ذاك، بل حدث فى يوليو ١١٢٧، أن واحداً من بنى ميمون، عندما عاد بأسطول المراكبيين فى بحار صقلية، قام بالهجوم على باتى، وهند كثنائها، وبعد أن نزل فى سيراكوزا، أشعل النيران فى المنازل، وأعمل القتل وأخذ المتاع والنساء والأطفال، وحمل بذلك ما استطاعت السفن أن تحمله؛ وقد نجا اسقف المدينة من ذلك، بصعوبة ومعه الكثيرون من المواطنين (2)، ومن المحتمل أن يكون مسلمو أفريقية قد شاركوا فى هذه العملية، لأن جوليلمو الصورى ينسب كامل تلك العملية إليهم، رغم أن المذكرات الصقلية وتلك التى كتبها المسلمون تذكر الأسباب فقط. وقد خرج روجيرو فى الحال

(1) البيان، التمر، المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٨٢، وفى طبعة دوزي ص ٣١٧، انظر ترجمة أبى الصلت، فى مقدمتها، المجلد ١، ص ٣٩، رقم ٦، وابن خلكان، فى الموضوع نفسه، يذكر أن أبا الصلت قد ذهب إلى المهديّة عام ٥٠٦ هـ. (2) انظر ص ٣٧٨ فى الهامش، عام ١١٢٧.

بأسطوله لمواجهة المعتدين على أرضه وصدهم؛ وإذا كان من المعروف أنه قد استعاد مالطة في أواخر شهر يولييه، وأنه كان يخطط لضم جزر وأراض أخرى من المسلمين، ولما علم مؤخراً بوفاة جولييلمو دوق بوليا: ساعدت ترك العملية في منتصفها، وأبحر مسرعاً في اتجاه ساليرنو ومعه سبع شوان(1).

ومن بين جهود الحرب الجديدة، اتجه فكره أيضاً إلى مسلمي الساحل الشرقي في أسبانيا، وتخبرنا وثيقة جديدة بالثقة بأنه بعد أن حل في بالرمو في الشتاء الثاني، وبعد أن رتب قواته، عقد رابطة مع رايموندو الثالث، كونت برشلونة؛ وبموجب اتفاق هذه الرابطة التي أبرمت بينهما كان من المقرر أن تبحر خمسون سفينة صقلية في الصيف التالي لتقاتل ضد السراسنة الأسبان جنباً إلى جنب مع جنود رايموندو. بشرط أن يقتسم الأميران الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها والأسرى بينهم بالتساوي. وكان الكونت رايموندو، كونت برشلونة، قد أرسل لهذا الغرض مفاوضين إلى بالرمو وهما: بيثرو أرشيدياكونو وشخصاً آخر يدعى رايموندو. كما أرسل روجيرو بخطابين حرراً في بالرمو، يوم ١٧ يناير ١١٢٨، مع سفيرين له. وهما:

(1) *المشرو دي نيليزي*، في كاروزو، *Bibl. sic.*، ص ٢٥٩، يقول المؤرخ: إن روجيرو قد حزن جداً لعدم معرفته بخبر وفاة الصوق في حينه.. ونحن ننقل عن هالكوكسي البنطلي وعن روموالدو ساليرنانو، أن الوفاة كانت يوم ٢٠ يولييه.

(2) خطاب روجيرو إلى كونت برشلونة ومسودة الرد الذي طلب منه. وهي كلفت بالتأكد كذلك حيث إنها كتبت باسم كونت برشلونة وحررت في قصر بالرمو في ذات اليوم. وقد استخرجت النسخة من الأرشيف الملكي ببرشلونة، كما يتضح ذلك من توقيع مسئول المخطوطات في ذلك العصر. وقد نقلتها من مكتبة البلدية بمدينة بالرمو، المجلد الذي يحمل أحرف وأرقام: Q. 9. G. 1 وهو من مخطوطات أنطونيو أميكو الذي نقل من أسبانيا إلى مقلية مجموعة قيمة جداً من المستندات التاريخية. وقد رجع دي بلازي بالتأكد إلى هاتين الوثيقتين. في *Storia del Regno di Sicilia* الكتاب السابع، الفصل (١٦)، حيث أطلق عليهما «أثر يعود للمخطوطات الملكية» دون أن يذكر لأي بلد. إن تاريخ عام ١١٢٧، إنما يرجع لعام ١١٢٨ لأنه يتعلق بشهر يناير. وحتى لو لم يذكر هناك الخمسمشرية السادسة لإثبات ذلك، فإنه يكفي لقب دوق بوليا الذي ألقب به روجيرو. والذي لم يكن بالإمكان استخدامه قبل شهر أغسطس من عام ١١٢٧. وسوف أترك جانباً شهر مارس، الذي كتب خطأ، حيث إن *XV Kal. Februar* يدل على شهر يناير

جوليلمو دي بيتشيناكو وسامسوني دي سورداڤاللي. وكان على كونت برشلونة أن يحلف اليمين أمامهما باحترام شروط الرابطة وذلك وفقاً لمسودة تم تحريرها في اليوم نفسه (2). ولا نعلم إن كان رايونديو

بالتحديد. إن تعبير الصيف التالي، إذا ما أوجعنا إلى الخمس عشرة السابقة، على حين كانت تجري الخمس عشرة السابقة، يجعلنا نوقن أنه استخدم غريب للخمس عشرة التي كانت تجدد في ٢٥ مارس، والتي نعرف أنها منها في استخدام بلاط روما نفسه في القرن العاشر عشر والثاني عشر. وكان ديوان صقلية يستخدم في المادة القويم المتبع في القسطنطينية. ومن غير المعلوم أن تكون العملية قد تم اقتراحها للتشديد في صيف الخمس عشرة السابقة عام ١١٢٩، أي بعد ١٢ شهر من تاريخ الوثيقة. وعن الممارك التي دارت حينئذ على أرض قطالونية. انظر سوريتا: *Anales de la corona der Aragon*، الفصل التاسع والأربعين. وما هو نص الوثيقتين:

I. Ego R (Rogerius) Dei gratia Princeps, et Dux Apuliae, Sicilia, et Calabriae Comes, concedo tibi Domino R (Raimundo) eadem gratia Comiti Barcinonensi, per honestissimos legatos tuos, videlicet Petrum Archidiaconum; et Raimundum, venientes ad nos Panormum, gratia (?) requirendi auxilium, et consilium propter guerras, et multiplices incursus Saracenorum in partibus Hispaniae, hanc subscriptum pactionem. Concedo ubi per securitatem baronum meorum, videlicet Roberti de Terona, et Roberti de Miliaco, quia si in praesentia legatorum meorum, videlicet Guilelmi de Pincinnaco, et Samsonis de Surda-valle, ad praesentiam tuam proficiscentium, iuraveris, infra octo dies eorum aduentus ad te, cartulas praesentes mearum pactionum, legatis tuis, vel legato, pro hoc negotio ad me venturis, vel venturo, iurabo quia in futura aestate septimae indictionis, in mense Julii, vel ante, galeas quinquaginta in servitium Dei, et auxilium exercitus, ad exercitum in Hispaniam, excepta occasione, quae propter hoc non sit reperta, mitam. Facta Panormi in palatio Domini Ducis, anno Dominicæ Incarnationis M centesimo XXVII, Mense Martii (Januarii) XV<sup>a</sup> Kal. Februarij, indictione sexta.

II. Ego R (Raimundus) Dei gratia Barcinonensis Comes iuro, et assecuro ubi Domino Rogerio eadem gratia duci, quod ibo in Kal. Julij septimae indictionis, vel ante, cum exercitu meo in Hispania, in servitium Dei, et auxilium tuum, et adjuvabo homines tuos terra, et mari per fidem: et in auxilio tuo, et hominum tuorum permanebo quandiu classis tua, quae Estolyum dicitur, terra, et mari Hispaniae fuerit. Ego galeis tuis, et alijs navibus tuis, et hominibus Estolij tui, et rebus eorum secunda receptacula in mari, et in terra, in Civitatibus, Castellis, et Villis dabo

الثالث قد صدق على هذه الوثيقة. ومن المؤكد أن هذه العملية لم تنفذ، وما كان بالإمكان تنفيذها، لأن روجيرو، كان لا يزال في الوقت المحدد لها، بجابه الجيش البابوي.

ad posse meum, et liberam victualium, et stipendiorum emptionem: et asecuro tibi de universa acquisitione nostra, tempore exercitus tui, terra, et mari in partibus Hispaniae, scilicet Civitatum, Castellorum, Castrorum, burgorum, casalium, villarum, omnium denique terrarum, hominum, auri, argenti, et rerum omnium, tam mobilium, quam etiam stabilium, integram medietatem habendam tibi, et hominibus tuis super hanc causam tua iussione ordinatis, sine contrarietate, vel contradictione, vel vi eis illata; et non queram, neque querere faciam, neque consentiam quomodo eam perdas. Et adiuvabo tibi eam tenere, defendere, et hominibus, et baiulis tuis per fidem, sine fraude, et ingenio, contra omnes homines, et foeminas, qui praedictam partem tibi, vel hominibus tuis ad tollendum invaserint. Quod si forte de his praedictis pactonibus aliquid minus factum in exercitu tuo factum fuerit, infra octo dies emendabo, vel emendari faciam per iustitiam, si inde requisitus, fuero, vel per concordiam, quae sit grata illi, vel illis, cui, vel quibus, minus factum fuerit factum, si ex eo, vel ex eis, qui recipere debet non remanserit. Haec attendam, et observabo per fidem sine fraude, et ingenio tibi, et baiulis tuis, et hominibus tuis; sicut supra scriptum est in praesenti cartula. Facta Panormi in palatio Domini Ducis, anno Dominicae Incarnationis M centesimo XXVII, mense Martij (Ianuarij) XV. Kal. Februarij, indictione sexta.

*A carta recondida in scrinio mensae Aulae inferioris Regij Archivi.*

Michel Bernardo Archivario del Regio Archivio de Barcelona. Raphael de Dominic.

## الفصل الثاني

«وكما قضت عدالة السماء ذات يوم، بأن يسحق النورمان الأقوياء اللونجبارد القساة؛ فقد شاء كذلك جل علاء لروجيرو بأن يقضى بسيفه على الظلم الذي استشرى في بلادنا هذه. فأتى أعمال إجرامية لم ترتكب هنا؟ فقد كانت تقترب بشكل متواصل ودون وازع من ضمير أعمال القتل، والسرقه، والنهب، وتدنيس المقدسات، والفسق، والخيانة، والاعتداء على الكنائس والأديرة، واحتقار خدام الله، وأعمال شر أخرى تعد بالمئات؛ حتى الحجاج الذين كانوا يسافرون حباً في الله كانت تُسرق أمتعتهم ويُقتلون أحياناً لإخفاء معالم الجريمة. ولأن هذه الفظائع التي فاقت الحدود قد أغضبت الله، فقد أخرج لهم، عز وجل، روجيرو من جزيرة صقلية، أخرجه كسيف بتار من غمده، وقام يضرب به الفاسدين المارقين ويسحقهم، وأعاد إلى جادة الصواب وإلى طريق الحق والاستقامة، غلاظ القلوب أولئك الذين أمهلهم طويلاً». هكذا وصف رئيس رهبان نيليزي الأحداث، وإن كان مميّاره الديني لا يقلل من صدق شهادته (1). ففي أوائل القرن الثاني عشر كانت دوقية بوليا وكل الأرض الممتدة حتى مضيق مسينا قد سقطت كلها في فوضى تامة، وما كان من المستطاع معرفة من هو العاقل، أمو البابا أم الدوق أم الإقطاعيون الكبار التابعون له أم الأمراء ورؤساء البلديات التي ظلت محتفظة باستقلالها؛ حيث كان كل واحد من هؤلاء يتصرف بطريقته وما من طاعة لأحد.

(1) في كتاب كاروزو. Bibl. sicula. ص ٢٥٧، ٢٥٨. إن أخبار فالكوني البنتشي وحوليات رومالو الصالرنى إنما توضح تفاصيل هذه الصورة السيئة.

إن حكام صقلية الذين كانوا قد حسموا قضية السيادة<sup>(1)</sup> من سنوات طويلة، قد دخلوا في تلك المشاكل بسبب إقليم كلابريا، حيث كان البارونات، في محاكاة لجيرانهم في بوليا، يحاولون دعوة الدوق حتى لا يخضعوا للكونت<sup>(2)</sup>. غير أن روجيرو الثاني لم يكتف بالسيطرة عليهم فقط ولكنه بذل ما بوسعه لتوسيع نفوذه. فكان تارة يجتاز كلابريا بجيش عظيم ويحرق قلاع أولئك العصاة<sup>(3)</sup>؛ ويتفاوض تارة أخرى مع الدوق جوليلمو ويرفض وساطة بابا روما<sup>(4)</sup>، وذلك لكي يبرما الاتفاقات وحدهما دون وساطة؛ وقد تمكن في تلك الاتفاقات، بالمال تارة، وبالمساعدات العسكرية تارة أخرى، بأن يجعل الدوق يتنازل عن كل حقوقه في كلابريا؛ ثم اشترى منه بعد ذلك النصف الآخر من الرمو. وفي النهاية على خلافة جوليلمو في الحكم إذا ما توفى دون أن ينجب<sup>(5)</sup>.

وقد تحقق هذا في خلال عام واحد. فقد ترك روجيرو ساعته (1127)، العملية البحرية ضد المسلمين كما سبق وذكرنا، وأسرع إلى سالرنو، وهي المدينة الرئيسة للدوقية، وداهن حكام البلديات والإقطاعيين، وحارب أولئك الذين لم يقبلوه؛ وتم الاعتراف به دوقاً لبوليا من الجميع، ما عدا البابا الذي كان يتطلع بدوره إلى ضم تلك الأقاليم. وبناء على ذلك، صدرت أحكام الحرمان؛ وكانت زيارة أونوريو الثاني لترويا حيث جعل البارونات يقسمون له على طرد روجيرو أو قتله<sup>(4)</sup>؛ وعد من يموت في تلك الحرب جديراً بفقران خطايا، ويستحق غفران نصفها من يخرج منها حياً<sup>(5)</sup>.

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل العاشر، ص 272 وما بعدها بهذا المعنى.

(2) أشرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب، ص 212، إلى بعض الحالات خلال فترة حكم الوسامة. ويؤول روموالدو السالرنو صراحة في 1126. *Annali*. إن البارونات كانوا يثيرون بذور الفتنة بين جوليلمو وروجيرو.

(3) روموالدو السالرنو. المرجع السابق، من 1121 إلى 1127.

(4) السندرو ريمس دير تاهيزي.

(5) هالكوزي البنفتسي.

ولما تاجعت بذلك الحرب الأهلية ذهب روجيرو يجند اناساً في صقلية وعبر بهم إلى البر الإيطالي: وتقدم أونوريو في مواجهته بجيش ضخم من رجال روما والمنشقين بإقليم بوليا: إلا أن الصقلي أطلال أمد هذه المواجهة حتى تفرقوا شيئاً فشيئاً، ولم يكن في وسع الخبر الأعظم إلا أن يوافق على تنصيب روجيرو حاكماً على الدوقية (أغسطس ١١٢٨): وسيطر روجيرو بعد ذلك على أعنى البارونات وأخضعهم لحكمه: ونال الاعتراف بسلطته من قبل أمير كابوا ودوق نابولي: وبعد أن دعا إلى اجتماع في ميلفى، أعلن السلام العام: وألا يقوم البارونات بمحاربة بعضهم بعضاً: وألا يقهروا ويضطهدوا المطارنة والرهبان والحجاج والتجار والصناع والمزارعين (١١٢٩). وبعد أن عُقد بعد ذلك بقليل إجتماع لكبار رجال بوليا في مدينة بالرمو، حصل روجيرو على لقب ملك، وأخذ تاج الملك في يهاء وبذخ شرقي في كاتدرائية بالرمو يوم ٢٥ ديسمبر من عام ١١٢٠ (١). وبدا ذلك للمعاصرين في إيطاليا وخارجها عملاً جريئاً، مملوفاً بالمخاطرة: ومع ذلك فقد كان إجراءً ناتجاً عن فكر سياسي معنك وعن نظريات في الحكم كانت سائدة في بلاط بالرمو، ومستمدة من القانون العام البيزنطي والقانون الإسلامي ومن التعديلات في النظم الإقطاعية التي استلهاها ذلك الجيل في إنجلترا وفي أورشليم، كان أمير صقلية يناهض بالفعل كبار ملوك أوروبا باتساع أراضيه وقواته العسكرية وكان يتفوق عليهم جميعاً في الثروة: ومن ثمة كان يحق له أن يتساوى معهم في المنصب، وأن يتساوى أيضاً مع البابا في السلطة الزمنية، وأن يرتفع كثيراً فوق مستوى البارونات.

(١) فارن بين: السندرو رئيس دير فيلنزي، الكتاب الأول، هالفكوني البنطلي، السنوات من ١١٢٧ إلى ١١٢٩، في كتاب كاروزو، Bibl. Sicula، ص ٢٥٩ وما يليها؛ و٣٢٩ وما يليها: وروموالديو السالرنى، أعوام ١١٢٦ إلى ١١٢٠، في مورالوزى، Rev. Ital. Scr.، ص ٧، وما يليها، والترن جانيبا الجدول الذي نشأ حول موافقة البابا البديل، أناكثير، بشأن تنويع الملك... إلخ.

ويضاف إلى ذلك أن الرأي العام السائد في ذلك العصر كان يمنح الملوك الممسوحين والمتوجين، حقوقاً خاصة؛ ومنها السلطة القضائية الجنائية العليا التي كانت تمثل بالتحديد أهم ما يحتاج إليه سكان بوليا وكانت في الوقت ذاته أنبل طموحات روجيرو. لعله لم يرغب في تأسيس ما نطلق عليه نحن الآن اسم الدولة الموحدة، ولكنه اقترب من ذلك كثيراً عندما أسس مملكة صقلية والأقاليم المرتبطة بها، وأطلق عليها فيما بعد اسم إيطاليا، على غرار ما فعله في بعض الأحيان نوقات بوليا من قبله. لقد نسب لقب مملكة إلى صقلية فقط، وكاد يبرر هذا، موضحاً أنه باستبعاد أي ابتكارات جديدة، أراد إحياء حق كانت تتمتع به الجزيرة منذ القدم؛ وإذا لم يجانبني الصواب فإنه كان يشير في ذلك، إلى الأمراء الكلبيين، أكثر مما يشير إلى الطغاة اليونانيين. إلى جانب ذلك هناك تفاصيل كثيرة لاتزال غير متوافرة في شأن هذا التحول في القانون العام. ذلك لأن روجيرو، الذي كان يحرص قدر استطاعته على ألا يسب إلى بلاط روما، قد غير عن طيب خاطر أقواله، مع حفاظه على استمرار الواقع، وهو الواقع الذي كان ينزع سيادة البابا الإقطاعية المزعومة على بوليا وكلاهريا(1). غير أن الحذر من جانب الديوان، وعدم استخدام هذه

(1) إن ندرة المصادر التاريخية في هذا الشأن لا تسمح لنا بالثور على تفاصيل دقيقة عنه. ولدينا في المقام الأول الوثيقة الخاصة بالبابا البديل أناكيتو، التي صدرت في ٢٧ سبتمبر ١١٢٠ ونشر بارونيو ثم بيزو جزءاً منها. *Chronologie*، ص ١٥ و ١٦، والتي بموجبها تم منح روجيرو تاج مملكة صقلية. وكلاهريا وبوليا، مع تحديد صقلية على رأس المملكة. غير أننا لا نعلم إن كانت تلك الوثيقة قد تم إرسالها على الإطلاق أو إذا كان روجيرو قد قبلها. إن رئيس دير تيليزي، وهو كاتب البلاط، لا يذكر هذه الوثيقة. ويرى الحديث كأنه صادر فقط، عن التصويت في البرلمان ويقصر لقب مملكة على صقلية. إلا أن رئيس الدير الذي قد كتب ما كتبه بعد السلام الذي كان بين الملك والبابا إنوتشينسو الثاني؛ وعلى ذلك نستطيع أن نستنتج أنه تجاهل من صعد منح البابا البديل وجعل اللقب الملكي في حدود ما سمح به إنوتشينسو. وفي النهاية فإن المرسوم الخاص بهذا البابا والذي يحمل تاريخ ٢٧ سبتمبر ١١٢٩، يبدو وثيقة نسوية. إذ يسمح بلقب ملك لصقلية ويحفظ لقب دوق بالنسبة لكلاهريا وبوليا، باعتبار أنهما إقطاعيتان من أملاك الكرسي البابوي.



الورقة في الوقت الذي كانت الكتيبة مهمومة بانشقاق ديني، لم يمنع إنوتشينسو الثاني، الذي خلف البابا أونوريو، من أن يشير في الحال الحرب الأهلية ضد روجيرو، الذي اتبع جانب انكليثو البابا غير الشرعي. وثار ضد الملك كثيرون من أولئك البارونات وحكام البلديات بالبر الإيطالي الذين وافقوا منذ فترة وجيزة على تنويجه ملكاً.

واستمرت الحرب تسع سنوات توالى خلالها مواجهة روجيرو للمدن الكبرى تارة، والبارونات متجمعين تارة أخرى، واساطيل بيزا حيناً، وجيوش الإمبراطور لوتاريو الضخمة حيناً آخر، وكذلك عظات سان برناردو التي كانت تطعن فيه وكان دائماً مساعد البابا من الناحية الروحية والزمنية. حارب روجيرو بحراً وبراً؛ وحقق انتصارات وتكبد خسائر دامية؛ واستخدم المكر والخداع كما استعمل القوة، واعتمد على الاستراتيجية أكثر منه على الاندفاع؛ وأدخل الرعب والفرع في قلوب المتمردين بأعمال القسوة والشراسة التي استباحها رجاله. واعتاد أن يقضى الشتاء من كل عام في صقلية، وأن يجمع منها القوات ويعود إلى بوليا وكلايريا في أوائل الربيع؛ وقد أفاد فائدة كبيرة من السفن الحربية المعديدة، ومن الفرق المرابطة؛ كما أفاد

---

لقد قلت تصوية لأن القبط الذي استخدمه روجيرو بين ١١٢٠ و ١١٤٩ كان ملك صقلية وإيطاليا Sicilie atque Italie rex. كما نقرأ في وثائق سبتمبر ١١٢١. في كتاب بيرو Sic. Sacra. ص ٢٨٦، ٢٨٧. أعوام ١١٢٢ و ١١٢٧ في كتاب أوجيلي، Italia Sacra: وكان بيرو بحروف بارزة على أحد أجراس كنيسة دوومو بالرمو، والذي يطلق عليه «لاجوتسا»، والذي تم صبه في بالرمو عام ١١٢٦. المرسوم الرابع عشر والذي يتحدث عنه بيرو في مؤلفه Chronologia ص ١٦. ويذكر ذلك أيضاً في وثيقة لروجيرو مؤرخة في نوفمبر ١١٢٧ وقام فانكوني البنفتشي بنقلها. كاروزو، Bibl. sicula. ص ٣٦٧. إن هذا القبط يعود للظهور في وثائق الملوك المعروفين باسم جوليلمو؛ ومع ذلك جرى في العادة استخدام لقب ملك صقلية ووثيقة بوليا وكلايريا وإمارة كابوا. ويجب أن يصحح طبقاً لهذه التفاصيل ذلك البحث التاريخي الذي كتبه في شبلي والمطبع عام ١٨٢٥ في Effemeridi scientifiche e letterarie per la Sicilia، الجزء ٢٥. تحت عنوان: Osservazioni intorno un' opinione del Signor Del Re ecc.

كثيراً من جسارة مسلمي صقلية وخبرة مهندسيهم. وفي لحظة تفوق فيها الملك، أراد البابا إنوتشينسو محاولة تجربة خوض معركة السلاح ضده لأخر مرة. فهزم ثم تم أخذه يوم الثاني والعشرين من يوليو عام ١١٢٩ بالقرب من سان جيرومانو؛ حيث ارتسى المنتصر هو وأولاده في اتضاع عند قدميه؛ ومع ذلك فقد جعلوه يوقع في يوم ٢٥ وثيقة السلام وفي يوم ٢٧ على المرسوم البابوي بتخصيب روجيرو وخلفائه على مملكة صقلية ودوقية بوليا وإمارة كابوا؛ ولكن دون إغفال قدر عمه روبرتو جويسكاردو وفضله وكذلك فضل والده روجيرو، إلى جانب المحبة العظيمة التي كان يوليها الكرسي البابوي للملك ذاته (1).

والآن يتطلب موضوعنا أن نتناول بشكل أوسع الدور الذي قام به المسلمون في هذه الحرب. والأخبار التي عثرنا عليها في ذلك الشأن قليلة جداً. فالمؤرخون المسيحيون، أصدقاء كانوا أم أعداء لروجيرو، يفضلون ذكر مساوئ المسلمين أكثر من ذكر فضائلهم حينما كانوا يسفكون الدماء لتثبيت دعائم عرش. أقيم في بعض من جوانبه على عناصر من حضارتهم نفسها. ويروى أنه في وقت من الأوقات كانت مدينة باري على وشك التمرد لأن المهندسين المسلمين الذين أرسلهم الملك لتشييد قلعة جديدة، قتلوا ابن أحد النبلاء في مشاجرة؛ فقامت الجماهير بقتل العديد من هؤلاء المهندسين وأوقف تشييد القلعة (2)؛ ولم يكتف أهالي باري بهذا الانتقام؛ فبعد أن احتل البابا والإمبراطور لوتاريو المدينة وتم اقتحام القلعة وشنقوا جميع

(1) هارن بين: السندرو رئيس دير تلهيزي، الكتاب الثاني والثالث. وهالكوس البنكتش عام ١١٢٠ وما يليه: روماللو البسالرني، في الأعيان نفسها، ومانجون، في *Archivio storico italiano*، المجلد السادس، الجزء الثاني، ص ٩. حيث يتناول أسطول روجيرو بالبحر، ورئيس دير تلهيزي في كتاب كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ٢٨٢ و ٢٩٥. يذكر الفرق المرافقة، وقد سبق ذكر مرسوم البابا إنوتشينسو الثاني في هامش الصفحة السابقة.

(2) السندرو رئيس دير تلهيزي، في كتاب كاروزو، المرجع السابق، ص ٢٧٤.

سراسنة الحامية(1). كما نعلم أنه في حصار مدينة مونتبيلوزو (1122) وهو حصار مشهور لبسالة الطرفين وصمودهما فيه، اقتحم روجيرو حصناً محاطاً بخندق عميق بعد أن قُرب منه برجاً متحركاً على عجل، وما أن اقترب من حافة الخندق حتى أنزل منه السراسنة سقالات وعروقاً خشبية لعمل جسر يؤدي إلى داخل الحصن وتفننوا في تغطية الخشب بالتراب الذي أخذوه من الحوافي والحصى الذي نزعوه من الأسوار بالكلايات، وعندما أشعل المحاصرون النار في الجسر وتمكن السراسنة من إطفائها بماء يجري في مجرى من الخشب، عبروا الخندق في النهاية واحتلوا الحصن، وباحتلاله استولوا على المدينة(2). ويكتب رومالدو السالرنى أنه في ذلك العام كان جيش الملك يقدر بثلاثة آلاف فارس وستة آلاف جندي من الراجلين والرماة والسراسنة(3). ويؤكد فالكونى البنفتى أن جميع الجنود كانوا سراسنة وقد بثوا الرعب والفرع في البلد بقسوتهم وشهواتهم؛ وأن روجيرو، الذي كان اهلاً لأن يكون قائداً لهؤلاء، قد ارتكب أعمالاً بربرية ضد المسيحيين(4). وحقيقة الأمر أن اتباع الديانتين قد تبادلا على التوالى أعمال القسوة فيما بينهم، ففي حرب روجيرو الأولى يحكى أن حامية حصن كان تحت حصار منقليين ومحاربين من كلابريا وسراسنة قد اندفعت خارجاً، حسب قول رومالدو السالرنى، وحولت معسكر الأعداء إلى بحيرة من الدماء(5). وفي عام 1122، أثناء انسحاب الملك من بنفتو إلى سالرنو، باغت العدو فصيلاً من جنوده السراسنة، وقام بقتل عدد غير قليل من أولئك الجنود وأرسل إلى مدينة كابوا رأس أشهرهم؛ فتألم روجيرو

(1) أوتونى دي فريسبنجن، *Chronicon*، الكتاب السابع، الفصل 20.

(2) رئيس دير شيليزي، المرجع المذكور، ص 276 و 277.

(3) عام 1122.

(4) عام 1122، في كتاب كايوزو، المرجع المذكور، ص 251.

(5) عام 1122.

لذلك وأقسم أن ينتقم أشد انتقام<sup>(1)</sup>. إن جويبالدو رئيس الدير الذي كتب حينئذ إلى الإمبراطور لوتاريو ليصف له الأضرار التي ألحقها مسلمو صقلية بدولة مونتى كاسينو والأضرار التي لا تقل أهمية عن تلك التي قام بها النورمان واللونجبارد من أفراد الجيش، إنما كان يبالغ في وصفه ذلك، قد روى في رسائله أنهم بعد تدمير المنازل، كانوا يقطعون الأشجار، ويأخذون الرهبان والمزارعين، ويربطونهم بالحبال أو يكبلونهم بالأغلال ويمذبونهم ويبيعونهم عبيداً؛ وكانوا يحرقون الكتائب، وعندما لا يكتفون بذلك كانوا يهدمون جدرانها إن تبقى منها شئ؛ وبالمثل فإنه حينما جاء حاجب الملك إلى الدير، حوله إلى قلعة بعد أن طرد منه الرهبان وحمل كل كنوزه ومنقولاته إلى صقلية<sup>(2)</sup>.

ووسط النتائج المتباينة لهذه الحروب لم ينس روجيرو الأمور في أفريقية. فبعد مضي سبع سنوات على هزيمة رأس ديماس، تحول المهزومين إلى حماة للبلد. لقد وقع حسن السلام مع روجيرو باتفاقات بدت غير مشرفة في أفريقية. وأتاحت لأمير بجاية الفرصة أو الذريعة للتحرك ضد المهدية، بعد أن طلبت تدخله بعض قبائل العرب والمواطنين الساخطين الذين وعدوه بأن يفتحوا له أبوابها. وفي عام ٥٢٩ هجرية (من ٢٢ أكتوبر ١١٢٤ إلى ١٠ أكتوبر ١١٢٥)، طلب حسن عوناً من روجيرو ولما ضيق عليه الخناق بحراً وبراً، اعتمد على شجاعته الشخصية دون الارتكان إلى النصائح: إلى أن وصلت إليه من صقلية عشرون ثانية أمرها الملك بأن تكون تحت إمرة حسن مباشرة، فصدت الشوان في الحال أسطول العدو وكادت تدمره لو لم يوقفها الأمير الزيري، منعاً، حسب قوله، لسفك دم المسلمين، ورغبة منه بالتأكيد في تعاضد الكراهية التي كانت ستحل

(1) فالكوني البنغنتي، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٣١٥.

(2) الرسائل، في كتاب مارشين ودوران، *Veterum Scriptorum.. ecc*، المجلد الثاني،

باريس، ١٧٢٤، ص ١٨٢، ١٨٦ وما بعدها.

به من جراء ذلك الموقف المخزى، وانسحب رجال بجاية مصرعين؛ وعاد الأسطول المسيحي إلى صقلية؛ ولكنه ظهر مرة أخرى بعد وقت وجيز من انسحابه أمام جزيرة جربة(1).

إن جزيرة جربة، الواقعة في خليج قابس جزيرة خصبة جداً وهي متصلة باليابس من خلال درب ضحل المياه تتمكن الخيول من خوضها؛ كما أنها جزيرة اشتهرت جداً لدى القدماء؛ واستمرت زراعتها على مر المصهور بمحاصيل التربة الأوربية والأفريقية؛ كما أنها غنية بالصنائع؛ غير أن سكان هذه الجزيرة بربر من عائلات مختلفة؛ وعلاوة على ذلك اشتهرت أهالي تلك الجزيرة بأعمال القرصنة التي راحوا يقومون بها في أواخر القرن الحادي عشر وكانوا يرفضون الخضوع للزيريين إلا في بعض الأحيان التي أجبروا فيها بالقوة إلى الخضوع. كانت تلك الجزيرة إذن فريسة سهلة ومشروعة أمام أعين المسلمين ذاتهم(2). وأرسل روجيرو إليها أسطولاً رجاله من مسيحيين صقلية ومسلميها

(1) هارن بين: ابن الأثير، عام ٥٢٩: والتيجاني، وابن خلدون وابن أبي دينار في المكتبة العربية، الصقلية، النسخ، من ٢٨٤، ٢٩٨، ٤٨٧، ٥٢٦. ما من أحد من هؤلاء المؤرخين يقول لنا بالضبط في أي شهر من السنة الهجرية وقعت الأحداث التي يروونها. إن مدة الحصار والواقعتين التاليتين على ذلك قد ذكرهما فقط ابن أبي دينار، في المرجع السابق، ص ٥٢٧. وجميعهم يذكر حصار المهدية قبل عملية نهب جربة، التي يعهد الإدريسي تاريخها بالضبط. والموضوع المذكور لابن خلدون نقايه ترجمة م. دي سالن الفرنسية، المجلد الثاني، ص ٢٧ التي استطاعت بأسلوبها السلس الواضح الذي كتبها به المترجم العظيم أن يعطي للأحداث تلك الدقة التي تنقصها في النسخ الأصلية وأن تقرنها وتربطها ببعضها أكثر مما فعل المؤلف نفسه. وهكذا نرى الفقرة التي يقول فيها، "Roger prit aussitôt la résolution, etc". نراها فقرة تسلي كيف يقع خلال شهرين، حدثان مضت فيهما بينهما تسع سنوات أي من عام ١١٢٧ إلى ١١٣٥. (2) لقد ذكرت بعض المعلومات الخاصة بهذه الجزيرة في كتاب *Storia del Vespro Siciliano*، طبعة ١٨٦٦، المجلد الأول، ص ٢٠٩ وما بعدها. وفي خطاب إلى السيد فرنسيسكو أودوريثي تضميه مجموعة: *Atti e memorie delle regie deputazioni di Sicilia*، المجلد الثالث، وقد ذكرتها أيضاً في هذا العمل، الكتاب الثالث، الفصل العاشر، المجلد الثاني ص ١٩٧.

ومعه فرقة من الفرسان المنتقين، ووصل الأسطول في أواخر سبتمبر أو أوائل أكتوبر من عام ١١٢٥. وحاصرت السفن الجزيرة لتضيق عليها الخناق. وحارب أهل جربة ببسالة دفاعاً عن ذويهم وممتلكاتهم؛ غير أنهم هُزموا، بعد عدة معارك، فقتل منهم الآلاف؛ ونهب كل شيء؛ وتم اختياد النساء والأطفال إلى صقلية. وأعطى روجيرو الأمان للذين بقوا بالجزيرة؛ واستعادوا نساءهم وأطفالهم بالمال(1)؛ إلا أن الغالبية منهم قد أصبحت عبيداً للأرض؛ وسلمت الجزيرة إلى عامل(2) شأنها شأن الأراضي الأخرى

(1) قارن بين: الإدريسي؛ وابن الأثير، عام ٥٢٩. والبيهقي، عام ٥٢٠. والنجاحي؛ وابن الفدا، عام ٥٢٩. والنويري؛ وابن خلدون وابن دinar، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٧٢، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠ وما بعدها ص ٤٩٨، ٥٢٧. انظر أيضاً ترجمة ونص الإدريسي، *Description de l'Afrique et de l'Espagne*. للمترجمين م. نوزي ودي جيوجيه، لندن ١٩٦٦، ص ١٥٩ - ١٥٢؛ وترجمة ابن خلدون، *Histoire des Berbères*، للسيد دي سلان، الجزء الأول ٢٤٥، والجزء الثاني ٢٩٧ و١٢٧، والجزء الثالث ٦٢ وما بعدها ٨٧ و١٢٦؛ وترجمة التيجاني للسيد روسو في *Journal Asiatique*، أغسطس وسبتمبر ١٨٥٢ ص ١٧٠ وما بعدها. يجدر بي أن أنهى القارئ إلى أن الفقرة الخاصة بابن الأثير عن جربة وبعض الفقرات الأخرى التي تم ذكرها في هذا الفصل إنما تمت ترجمتها من قبل المترجم دي سلان في ملحق المجلد الثاني بكتاب *Histoire des Berbères par Ibn Khaldun*، ص ٥٧٨ وما بعدها، أعوام ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧.

إن جميع المؤرخين الآخرين، ما عدا البيهقي، يذكرون الحدث في عام ٥٢٩، والإدريسي، وهو المعاصر الوحيد وبإمكانه معرفة ذلك بشكل أدق، إنما يذكره في آخر العام. وابن خلدون يذكر أن الاحتلال قد وقع في عام ٥٢٩ وفي موضع آخر يقول إنه وقع عام ٥٢٠. (2) إن ابن أبي دinar، وهو كما نبهت مرات سابقة، مؤرخ حديث، لكنه ذاب جداً، قد أوح بلاشك لهذه الحبة نقلاً عن مؤرخ معاصر، فهو يكتب أن الملك «وضع أهالي جربة الذين ظلوا على قيد الحياة وضع التائبين له»، الأمر الذي يعني أنه جعلهم «يسلمون لصالحه في خيمته». وابن خلدون في المكتبة العربية - الصقلية، في النص، ص ٤٩٨، يقول إن السكان قد تم تركهم في الجزيرة وخضعوا للجزية. وفي موضع آخر (المكتبة العربية - الصقلية، ص ١٩٦)، يقول المؤلف نفسه إن الجزيرة قد تمردت ثم استعادت في سنة ١١٥٢، ويقول إن الصقليين استخدموا الرماح وهي (الطبقات الدنيا من الشعب) والفلاحين في العمل. وقد ترجم البارون الملامة دي سلان هذه الكلمات في *Histoire des Berbères*، الجزء الثالث، ص ٦٤ على هذا النحو "et (les Siciliens) y établirent des agents chargés d'administrer le gens

التي تدخل في أملاك صقلية الأميرية.

أما عن الاتفاقات التي أبرمت بين دولة المهدية والمملكة النورماندية بإيطاليا فسوف يكون المشور عليها سهلاً ميسوراً. فلا بد أولاً أن نفترض إقرار السماح المتبادل بالتعامل التجاري وأمن الأفراد والممتلكات الخاصة بالمسافرين بحراً وبالتجار المتقلين والمقيمين؛ هذا كان الشرط الأساسي في كل المعاهدات التي وقعها الإيطاليون والمسلمون طوال العصور الوسطى<sup>(1)</sup>. ولدنا دليل إيجابي على ذلك في الحالة التالية: فقد سجن عمال روجيرو وصودرت رؤوس الأموال في عملية عام ١١١٧<sup>(2)</sup> كانت تلك الاتفاقات واتفاقات أخرى ثانوية تسرى بشكل مستمر. مع تغيرات طفيفة يقتضيها الواقع، وذلك منذ عام ١٠٧٨<sup>(3)</sup>. وكانت تلك الاتفاقات تبرم دائماً لسنوات قليلة يتم تجديدها؛ ويبدو أنها استؤنفت بعد عام ١١١٧ وحتى حرب رأس ديماس (١١٢٣). وفي عام ١١٣٥ احتاج الأمر إلى رابطة، وليس إلى مجرد السلام، كما قلنا منذ قليل، وإن كنا لا نعرف تاريخها ولا الداعي إليها ولا بنودها. ويكتب ابن أبي دينار في هذا

"du peuple et les cultivateurs". والتجاني أيضاً في الموضوع المذكور يوحى بأن وضع أهالي جربة كان مختلفاً قبل التمرد وبعده؛ إلا أنه يقول عن فتح ١١٣٥. إن ما تبقى من الأهالي قد بقي تحت حكم الصقليين. وعن فتح ١١٥٣ يقول إن معظم الأهالي قد سيقوا أسرى إلى صقلية وأنه تم بيل في الجزيرة إلا من ليس لهم شأن. والإيريس يتحدث هو أيضاً عن أسر أهالي جربة في بالرمو عام ١١٥٣. ويبدو لي أن هذا هو الاختلاف الأساسي في الإجراءات التي تمت في المملكتين. ففي احتلال عام ١١٣٥، تمت مصادرة الأملاك. ولكن ترك في الجزيرة الأهالي الذين لم يتم سبيهم قبل إعلان الأمان. وفي احتلال عام ١١٥٣ تم أسر من تبقى في قيد الحياة وترك عدد صغير من رجال لا يقضي منهم في إثارة فلول جديد.

(1) انظر *Diplomi Arabi de l'Archivio fiorentino* المقدمة § ١٧، ص ٢٩ وما بعدها وما أسلفه لاني. *Traité de paix, etc., au moyen age*. باريس ١٨٦٦. المقدمة، ص ٨٢، وما بعدها.

(2) قارن مع الفصل السابق، ص ٣٦٦.

(3) لقد تحدثنا عن ذلك في الكتاب الخامس، الفصل السادس، ص ١٥٩ من هذا المجلد.

المقام وأن الأمير حسن، إذ كان يخشى شر الملك، أرسل إليه هدايا قيمة ووقع كل الاتفاقات حسب رغبة ذلك الملعون<sup>(2)</sup>. ويستأنف الكاتب حديثه بأنه بعد حصار الحمّادين والعمون البحري، «قدم حسن الشكر لذلك الملعون ووعد به بأن يكون دائماً حسب ما يأمر به أو ينهى عنه؛ ومن ثمة فقد أصبح الأميران صديقين حميمين أكثر من أي وقت مضى وسارت الأمور بالنسبة لحسن على ما يرام»؛ وبعد أن روى الكاتب أحداث جزيرة جربة، التي وقعت بعد بضعة شهور، خلص إلى هذا الرأي: «إن جزر جربة ودولة المهدية قد خضعت لملك صقلية وباتت تخشاه كل أفريقية؛ وعلى ذلك تصرف الملعون بأسوأ مما كان مع حسن، الذي كان يتحاشاه، قدر استطاعته، بالكلام الطيب والحسن»<sup>(2)</sup>.

وخلاصة كل ذلك إنما يعني أنه في الفترة ما بين ١١٢٧ و ١١٣٧، بينما كان روجيرو يثبت أقدامه ويدعمها على عرش إيطاليا الجنوبية، كان الفقر والأخطار التي حاقت بدولة المهدية وعلى رأسها القحط الذي أصابها، قد دفعت بحسن إلى أن يقبل إلى جانب الاتفاقات التجارية، اتفاقات سياسية جديدة؛ ندرك من بينها قيام رابطة دفاعية وتقديم قرض من المال أو الغلال<sup>(3)</sup>. كانت الدولة ضعيفة وأميرها ضعيف يحيط بهما الأعداء، فارتعيا في أحضان أبعد وأقوى وأكرم شخصية، حسبما كان يبدو لهما؛ وبعد انتهاء تلك المعاهدة أو

(2) في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٥٣٦.

(2) المرجع المذكور، ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

(3) فاور بين: ما قلناه في الكتاب الخامس، الفصل العاشر، ص ٣٢٨، عن تجارة الغلال مع أفريقية. وابن الأثير تحت عام ٥٣٦ (١١٤١ - ١١٤٢) في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٢٨٦، يروي ابن الأثير أن الأمير حسن، بعد علمه بالفاتح التي استولى عليها الأسطول الصقلي من المهدية، قد أرسل يطلب السلام من روجيرو، وذلك لكي يحصل على الغلال من صقلية إذ أن المجاعة كانت مروعة في ذلك العام وكثرت الوفيات بشكل كبير». لقد لاحظنا أكثر من مرة أن القحط وبالتالي الحاجة إلى الغلال الصقلية، كان أمراً مستتبهاً في أفريقية، كما نعلم أيضاً من ابن أبي دينار، الذي ذكرناه في هذا الشأن، أن الحسن في عام ٥٣٦ ذاته كان مديناً لروجيلو بمبالغ ضخمة.



بعد خرقها في عام ١١٤١، وبعد أن اشتد الجوع بالأهالي، حسب قول ابن أبي دينار «أراد الملون، أن يوقع اتفاقات أخرى شاملة؛ أصبح الحسن يقبولها ويموجبها تابعاً لروچيرو، بل أصبح أحد ولاته على حكم المدن، ولم تكن المعاهدة في الحقيقة سوى عملية خيانة رسمية» (2). وبعد قليل سوف تثبت رواية الأحداث، أنه من الأمور التي وافق عليها الحسن، أن كل بلد مستقل فعلياً عن المهدية هو كسب حقيقى لروچيرو، وأنه تعهد بأن يساعد ملك صقلية ضد المسلمين، الذين ينبغيون حكم صقلية ويريدون العودة تحت حكم الزيريين. إن اتهام حسن بأنه جعل من نفسه عاملاً لروچيرو يحملنى على أن أفترض أن الاتفاقات الاقتصادية كانت مجحفة بالقدر الذى كانت عليه الاتفاقات السياسية. وأن ملك صقلية أرسل مندوبين عنه ليشرفوا على جمارك المهدية لضمان قروضه، التى كانت بالضرورة مبالغ ضخمة جداً تأتى كلها أو معظمها من ثمن الفلال الذى كان يورد إلى الملك؛ وكان السعر استغلالياً مجحفاً، يحدده دائن يمتلك الجيوش والأساطيل. وكان يجب أن ترجع كفة الميزان لصالحه فى كل ما يتعلق بشروط حركة التجارة والأشخاص؛ ولدينا علامات أكيدة على ذلك تتمثل فى عدد الكنائس والمسيحيين الذين كانوا فى المهدية عام ١١٤٨. ولم تكن بالمدينة عندما أسسها عبّيد الله عام ٩١٥ كنائس

(2) فى المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٥٢٧ - ٥٢٨. ويبدو أن اتفاقية عام ٥٢٦ هجرية (١١٤١ - ٢) كانت آخر اتفاقية. وكما قلنا فى ذلك أكثر من مرة لقد كانت تلك الاتفاقات دائماً مؤقتة، وفى القرن الثانى عشر كانت المعاهدات تبرم عادة لمدة عشر سنوات.

فى هذا القصد يشول ابن الأثير، الذى يروى هذه الأحداث بإسهاب أكثر من أى مؤرخ آخر - وهو يكتب فى بداية الفصل عن سقوط المهدية عام ٥٤٢، إن المعاهدة كانت جهنماً مستمرة لمدة سنتين أخريين. وإذا ما افترضنا صحة ذلك نستطيع أن نستخلص أن الاتفاقية قد تم إبرامها عام ١١٤١ - ١١٤٢ لمدة ١٠ سنوات. إلا أن المثلث «سنتين» المكتوب فى النص ربما يكون قد كتب خطأ، ومع تليّيز طفيف بدلاً من الجمع «سنتين» والذي قد يعنى عدداً من السنين وعليه فسوف يظل تاريخ الاتفاقية الأحدث غير محدد.

فالقانون الإسلامي - حينئذ - كان يحظر بناء كنائس جديدة(1)؛ وإذا كانت الاحتياجات الاقتصادية وسعة صدر الفاطميين تحملنا على الاعتقاد بأنه مع مرور الوقت أصبح بناء الكنائس داخل فنادق المسيحيين، أمراً مقبولاً، إلا أنها لم تكن كثيرة على ما يبدو في عام ١٠٨٧، فلم يشر إليها الكتاب الأمازيغي، أو كتابنا، في معرض كلامهم عن ذلك الهجوم على المهديّة. وإذا ما افترضنا أيضاً أن الفنادق الإيطالية قد توسعت بموجب المعاهدات الموقعة مع جنوة وبيزا بعد ذلك الحدث، فإنه من الواضح إن توسيع الحى المسيحى وتشديد الكنائس إنما يرجع بالأحرى إلى السنوات الأخيرة، عندما كان روجيرو يحكم، على أقل تقدير، بقدر ما كان يحكم الحسن في أراضى الزيريين التى تقلصت. وكان جورجيو الأنطاكي، رئيس الوزراء الصقلي، يمرّها من الداخل ومن الخارج؛ وكان له بها عيون(2)؛ وكان له حلفاء من عرب الريف ومن أهالى المدن والقرى، وكان ينتظر مع الملك إلى أن تنضج الثمرة ليحطفها في هدوء.

وكانا يساعدان على نضجها. ففى عام ٥٢٦ هجرية (٦ أغسطس ١١٤١ إلى ٢٦ يولييه ١١٤٢) اشتدت وطأة القحط بشكل فظيع في تلك البلاد؛ وخلفت وراءها أعداداً كبيرة من الوفيات، وبدأ وقتئذ لروجيرو أن الحالة ملائمة حتى يُحصّل الأموال التى كان الحسن قد اقترضها من عماله في المهديّة؛ ولما رد الأفرقي بأنه لا يستطيع وطلب منه مهلة جديدة، أرسل الملك فجأة جورجيو ومعه ٢٥ سفينة حربية صغيرة؛ فاستولى على المهديّة واقتاد إلى صقلية سفنّاً تجارية كانت آتية من

(1) انظر الكتاب الثانى، الفصل الثانى عشر، ص ٥٢٠ من المجلد الأول.

(2) البهيان- نص دوزى، المجلد الأول، ص ٢٢٢، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٧٢، يقول إن جورجيو كان يمرّف بالتمهيد الجوانب الضعيفة في المهديّة والبلدان الأخرى، (في الدولة)؛ والتبجاني في المكتبة العربية، الصقلية، النص، في ص ٢٩٩، يقول إنه «كان يمرّف كل شئ عن المهديّة: مناطق السكى، ومناطق الزراعة»، ويقول في ص ٢٩٨ إنه «كان له جواسيس في المهديّة».

مصر وتم شحنها في المهدية استعداداً للإبحار، حسب ما نقلته عيون الأدميرال. وقد ذكرت بنوع خاص تلك السفينة التي أصْلَحها الحسن حديثاً باستخدام بقايا سفينة أخرى كانت لخليفة مصر الفاطمي وغرقت منذ وقت قريب(1). وتشهد هذه الأحداث على حركة التجارة التي كانت سبباً في ثراء أمراء مصر وأفريقيا المسلمين وفي ثراء النورمان والزحف بصقلية على غرارهم. ولما انقضى جورجو مرة أخرى على ميناء المهدية، استولى فيه على سفينة كانوا يسمونها «نصف الدنيا»، كان قد أعدها الحسن بعناية فائقة لإبحارها إلى مصر وقد شحنها بكم من الأشياء الثمينة التي تليق بالملوك ليقدّمها هدية إلى الخليفة الحافظ(2). وعبثاً حاول الحسن تهدئة ملك صقلية بأن أعاد إليه أعداداً كبيرة من الأسرى المسيحيين(3). وكلما كان يريد ألا يرى أمامه جورجو الأنطاكي. ويحصل على كمية من القمح من صقلية، كان عليه أن يليى رغبات روجيرو، وذلك بتوقيع معاهدات جديدة، الأمر الذي بدا للمسلمين تبعية حقيقية للملك(4). وها هو ذا الأسطول الصقلي يحضر في العام التالي (من ٢٧ يولييه ١١٤٢ حتى ١٥ يولييه ١١٤٣) إلى طرابلس البربر. وهي المدينة التي كانت قد تحررت من حكم الحسن وبات يحكمها مجلس من شيوخ قبيلة بني مطروح. وفي التاسع من ذي الحجة (٢٥ يونيو ١١٤٣) نزل الصقليون على ساحلها وحاولوا الهجوم وراحوا يفتحون ثغرة في السور بالخطاطيف، مثلما كان الحال في حصار مدينة مونتبلوزو،

(1) فارن بين: ابن الأثير، عام ٥٣٦: والبيان تحت العام نفسه: والتهجاني: وابن أبي دinar. وجميعهم في المكتبة العربية. الصقلية، ص ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١. وإن كان هؤلاء المؤرخون يروون مع بعض الاختلاف فيما بينهم، بعض التفاصيل والتهجاني لا يحدد تاريخاً. إلا أنه من الواضح أن جميعهم يتناولون الحدث نفسه. (2) التهجاني، في المرجع السابق، ص ٣٩٩. سفينة أخرى تسمى «نصف الدنيا». مشحونة بالبضائع. ثم إرسالها من صقلية إلى الإسكندرية في مصر عام ١١٤٢ وكان ذلك من قبل الإمبراطور فديريكو.

(3) ابن أبي دinar، المرجع المذكور، ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(4) ابن أبي دinar، الموضع السابق.

وكادت تتجح محاولتهم، لولا أنه في اليوم التالي وبعد أن هرع العرب من الريف، استرد أهل المدينة شجاعتهم وخرجوا معاً يواجهون العدو وطاردوا مهاجميهم حتى سفنهم، واستولوا على أسلحة وعتاد وخيول مما كان معهم (1). وعاد بعد ذلك الأسطول إلى صقلية وتزود بالرجال والعتاد ثم رعى على أرض جيجيل الصغيرة الخاضعة للحمايين في بجاية. وحيث إن الأهالي لم يتوقفوا نزول الأسطول، فقد هربوا إلى الجبال والريف؛ وبذلك نهبت الأرض وحرقت، وأدت النيران إلى تدمير ضيعة كان يمتلكها الأمراء الحمادين، وكانوا يسمونها «نزهة» (2). وفي عام ٥٢٩ (من ٤ يولييه ١١٤٤ إلى ٢٣ يولييه ١١٤٥) قطع الأسطول ساحل أفريقية، واستولى على أرض بريسق غربي شيرشيل، وقتل رجالها وأسر نساءها ليبيعهن للمسلمين في صقلية (3)، والمصير نفسه لافته جزيرة كيركيني الصغيرة عام ٥٤٠ (من ٢٤ يولييه ١١٤٥ إلى ١٢ يولييه ١١٤٦). وحيث إنها كانت قريبة جداً من العاصمة، فقد تشجع الحسن وأعرب عن غضبه إلى روجيرو مذكراً إياه بالمعاهدة المبرمة بينهما. إلا أن روجيرو رد عليه بأنه لم يخرق المعاهدة، حيث إن سكان جزيرة كيركيني من المتمردين مثلهم مثل غيرهم من سكان الساحل (4).

وآين كان آنذاك أسطول المهدي؟ لا تشير المذكرات الإسلامية إليه بعد وفاة علي بن يحيى (١١٢١). وإن كان أحد الكتاب المسيحيين

(1) ابن الأثير، عام ٥٢٧؛ والبيان في العام نفسه؛ وأبو الفدا كذلك؛ وابن خلدون، وابن

أبي دينار في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢٨٧، ٢٩٢، ٤١٥، ٤١٨، ٥٢٨.

(2) المراجع لنفسها، ما عدا البيان وأبو الفدا، ظلت جيجيل شبه مهجورة وفخيرة جداً إلى الوقت الذي كتب فيه الإدريسي. انظر هذا المؤلف في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٧٢ وفي طبعة كل من دوزي ودي جوجي، *Description de l'Afrique... ecc*، ص ١١٤ من الترجمة.

(3) ابن الأثير وأبو الفدا، عام ٥٢٩. في المراجع السابق، ص ٢٨٧ و ٤١٥.

(4) ابن الأثير، عام ٥٤٠ وابن أبي دينار. في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢٨٨ و ٥٢٨. يذكر ابن أبي دينار هذا الحدث في عام ٥٢٧ لكنه ربما يكون خطأ في النسخ.

ينحسب إلى ذلك الأسطول الزيري مسئولية نهب مدينة سهاكوزا (١١٢٧)، فيبدو أنه أخذ الكل بالجزء (1)، فربما كان قد تبقى للأمير الزيري عدد ضئيل من السفن كان يستخدمها في التجارة مع صقلية ومصر وليس في الحرب؛ وكانت تُرى هنا وهناك في الموانئ والثغور وهي الجزر الصغيرة التابعة للدولة القديمة، سواء كانت موانئ أم متمردة. إنها سفنٌ كبيرة يمكن تسليحها وسفن مهنتها القرصنة؛ غير أن كل ذلك لم يكن يمثل أسطولاً؛ فإن فقر الدولة، وربما أيضاً إهمال القائمين على الحكم في عهد الحسن، قد عملا على الإضرار بذلك الجهاز الحيوي من أجهزة الدولة. لذا أصبح من المعتاد بالنسبة لسكان سواحل برقة وتونس أن يروا الأسطول الصقلي القوي، بدلاً من السفن الحربية القليلة التابعة للدولة الزيرية كما تعودوا أن يخشوا ذلك الأسطول فقط وأن ينتظروا عونه ضد الأمير المنبوذ أو في الحروب الأهلية.

لم يترك روجيرو هزيمة طرابلس دون ثار لمدة طويلة فبعدها بعامين قام أسطول صقلي صغير بأعمال التخريب في ضواحيها واستولى منها على غنائم وأسرى (2). وبعد عامين آخرين قامت مائتي سفينة بإتمام العملية.

كانت جماعة بنى مطروح العربية الحاكمة قد طردتها حديثاً جماعة معادية لعلها من البربر، الذين دعوا في ما يبدو إلى الحكم لأحد الأمراء المرابطين، وكان قد حل في طرابلس مع مجموعة من الرجال في طريقه إلى مكة للحج، وعلى الرغم من أن أحداً من المؤرخين لم يذكر شيئاً عن ذلك فإنه يجدر تصور وجود اتفاق بين جورجو الأنطاكي قائد الأسطول الصقلي مع بنى مطروح، ففي الثالث من محرم من عام ٥٤١ (١٥ يونيو ١١٤٦) بدأ جورجو هجماته واستمر يحارب حتى

(1) انظر الفصل السابق، ص ٢٧٥.

(2) يستخلص هذا الحدث مما يرويه ابن الأثير تحت عام ٥٢٩ في الفصل الخاص باحتلال إيسا من قبل زنجوى، في المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، ص ٢٨٨ وهي طبعة نورنبرج، المجلد الحادي عشر من ٦٦.

اليوم السادس، عندما اختفى المدافعون من على الأسوار فجأة؛ لأن بنى مطروح دخلوا شاهرين أسلحتهم بعد أن أخطرهم الموالون لهم في المدينة واشتعلت المعركة. عندئذ أخذ الصقليون السلاح، واجتازوا الأسوار، واحتلوا الأرض، بعد أن قاموا بالمذابح المعتادة وبعد أعمال النهب والتخريب وسبى النساء؛ وهرب الرجال من الجانبين في حقول الزيف، فمنهم من لجأ إلى العرب ومنهم من لجأ إلى البربر. وبعد أن بلغ جورجيو غايته في تحقيق النصر للراية التي يحملها وفي تحقيق مطامع الجنود، لم يتوان في إظهار نوايا حكومة صقلية الحقيقية ألا وهي الاستيلاء على أفريقيا، فأعلن الأمان العام حتى عاد جميع الهاربين إلى ديارهم؛ وطالبهم بأن يمشوا معاً في سلام، وأعلن ضماناً تاماً لحقوق المدنيين، بشرط أن تدفع الجزية إلى ملك صقلية، ثم أعاد إصلاح أسوار المدينة، وأحاطها بخندق؛ وترك فيها حامية قوية من مسيحيي صقلية ومسلميها، وبعد أن أخذ رهاثن من طرابلس ومن بينهم الأمير المرابطي وبنى مطروح، عاد بالأسطول إلى صقلية، بعد ستة أشهر من عملية الغزو. وبعد ذلك بقليل أعاد قصر بالرمو الرهاثن، ما عدا رجال الشيخ أبي يحيى بن مطروح من قبيلة تميم العربية الذي تم اختياره حاكماً للأرض؛ كما عين قاضياً من البربر وهو أبو حجاج يوسف بن الزيري، وهو مؤلف كتاب في الفقه المالكي واتفق، حسب قول التهيجاني، على ألا يخالف القائد المسيحي للحامية إجراءات الحاكم أو القاضي. ويسترسل ابن الأثير قائلاً إنه بهذه الطريقة كان الحكم في طرابلس يسير على الوجه الأكمل، وقد جذب إلى طرابلس التجار والبضائع من صقلية ومن جميع أنحاء إيطاليا، يضاف إلى ذلك أنه ورد في مخطوطة لابن خلدون أنه ارتفعت في صقلية صيحات تدعو من يرغب للهجرة إلى طرابلس مع التمتع بالامتيازات؛ «وبناء على ذلك النداء تدفقت الناس على طرابلس التي عمورت من جديد، حتى أنها عادت مزدهرة في فترة وجيزة (1)»؛ في حين كانت بقية بلاد البربر وجانب كبير من بلاد

أسيا تعاني من المجاعة الرهيبة التي اشتدت وطأتها(2). كما سبق وقلنا، عام ١١٤١ هجمت بنواجزها على البلاد الأفريقية من شتاء عام ١١٤٧ إلى ١١٤٨. ومن الأراضي المفتوحة والحقول والقرى كان الرعاة والمزارعون يزحفون نحو الأراضي المحاطة بالأسوار، حيث كان سكانها يحتفظون ببعض الأغذية؛ إلا أن أهل تلك المدن كانوا يوصدون دونهم الأبواب، ويطرّدون تلك الجماهير الجائعة بقوة السلاح. فكان أولئك البؤساء يقتلون ويأكلون أحياناً بعضهم البعض، حينما لا يسعفهم الموت بالطاعون أو الجوع. وانخفض عدد سكان البربر، وكان الأغنياء يهربون إلى بلدان أخرى وكان معظمهم يهربون إلى صقلية بحثاً عن الطعام والأمان غير أنهم عانوا هم أيضاً من أزمات فظيمة(3).

ووسط ذلك الدمار انطلق من أحد قصور الحريم في قابس ذلك

(7) هارن بين: الإدرسي: وابن الأثير. عام ٥٤١: النيجاني: وابن الغدا: والنويري: وابن خلدون: وابن أبي دینار: وابن خلكان: في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٧٣، ٢٨٨، ٤١٥، ٤٥٧، ٥٠٠، ٥٢٨. والإدرسي والنيجاني يؤرخان الحدث بعام ٥٤٠: إلا أن الفرق يكمن في أيام قليلة جداً، لأن المعارك قد بدأت في اليوم الثالث من عام ٥٤١. وهي خطأ واضح يقول النيجاني إن طرابلس قد تم الاستيلاء عليها بعد المهدية وصفاقس. ومخطوط ابن خلدون الذي ذكرته بنوع خاص هو المخطوط الذي اتخذه تورنيرج، *Ibn-Khaldūni, ecc, de Expeditionibus Francorum*، أو بسال ١٨٤٠، ص ٢٧. إن المؤرخ الذي كان من مدينة كاسينو. مجهول الاسم، في كتاب كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ٥١٠. يسجل الاستيلاء على طرابلس في عام ١١٤٥. وربما حسب عام التفرغ المبلّغ بناء على التمسعية دون مراعاة للشهر. وروبرتو رئيس الدبر في مونت سان ميكليل، في كتاب بيرلز، *Scriptores*، الجزء السادس، ص ٤٩٧، يذكر ذلك في عام ١١٤٦.

(2) ابن الأثير. عام ٥٤٢، في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٢٩٢ وعام ٥٤٣، النص، تورنيرج، المجلد العادي عشر، ص ٩٠. لقد استطعت المسمى الحدث بربريا (أرض البربر) الذي يبدو بشكل أفضل. كما هو في هذه الحال، عن المغرب المذكور في النصوص. وأفريقية لم تكن سوى الجزء الشرقي منها.

(3) ابن الأثير، الموضوع السابق، وكل المصادر العربية التي سوف نذكرها بعد قليل في أحداث قابس والمهدية.

الصراع الذى أدى إلى سقوط المدينة فى يدى روجيرو. فلما تولى الرشيد عام ٥٤٢ (٢ يونيو ١١٤٧، ٢١ مايو ١١٤٨)، الذى خلف رافع بن كامل الذى تحدثنا عنه فيما قبل<sup>(1)</sup> ولما، حرم الابن البكر معمر من العرش تولى إدارة حكم البلاد العبد المعتقد يوسف باسم الصبى محمد، ابن الرشيد الأصغر. وقد استولى يوسف أيضاً على حريم سبهه وكانت من بينهن فتاة شابة من بنى قررة، وهى قبيلة عربية؛ ولما لم تعتمل الإهانة، كتبت إلى إخوتها الذين طلبوا استردادها من يوسف ولكنه رفض إعادتها إليهم، فطلبوا إنصافها من الحسن الذى كان يعتقد أنه لا يزال يحكم فى حدوده القديمة، فأمر يوسف بأن يعيد الجارية؛ ولما رفض يوسف هدره الحسن؛ ولما سخر يوسف منه، تهيأ الحسن لحمل السلاح. وعندئذ لجأ يوسف إلى ملك صقلية وأفهمه أنه يملك بزمام دولته باسم محمد بن الرشيد، فى الحدود نفسها التى كان أبو يحيى يحكم بها طرابلس؛ وقبل روجيرو ذلك وأرسل إلى العبد الدنى وثيقة التعيين والحلّ الرسمية المعروفة، وذلك حسب قول ابن الأثير: ويكتب ابن أبى دينار عن ذلك بشكل أدق قائلاً: أرسل له وثيقة التعيين والتبشير المستخدمة عند المسيحيين: حينئذ استدعى يوسف أقطاب البلاد وقرأ عليهم الوثيقة وارتدى الحلة وشرع فى حكم البلاد وتحصيل الإيرادات باسم روجيرو. «اللهم نجنى، يصح هنا الكاتب التونسي فى القرن السابع عشر، اللهم نجنى من تلك اللعنات! وهل يدعون أولئك مسلمون، أم شياطين؟ أه! إلى أى مدى أسقطهم فى العار ذلك الجشع فى خيرات الدنيا وحب السيطرة: إنه ذلك الجشع الذى يعنى الأعين ويصم الأذان». أما عن جندى صلاح الدين الذى كان يسجل على الورق حوليات المسلمين بكل هدوء وعناية، فبدلاً من الوعد والإرشاد أخذ يسهب هنا بأسلوبه ليروى لنا عن القصص الذى كان من يوسف ومن أتباعه. وفى فصل كتبه

(1) الفصل السابق، ص ٣٦٣.



خصيصاً وأسماء: «قصة أمر ما يتقيه من له روية»، روى أنه تواجد معاً في قصر الملك روجيرو ببالرمو أحد مبعوثي ذلك المفتصب وأحد أتباع الحسن، ولما تبادلوا الحديث تشاجرا معاً، وسب مندوب قابس وقال ما قال ضد حاكم المهديّة، وكظم الآخر غضبه وحفظ ما قاله في نفسه، وعندما سافر من بالرمو في وقت سفر خصمه، أرسل إلى الحسن رسالة حول عنق حمامة: فخرجت السفن من المهديّة وتريصت لسفينة قابس وقبضوا على المبعوث واقتادوه أمام الحسن، الذي واجهه بالخيانة والإهانات، وأمر بأن يطوفوها به شوارع المهديّة مربوطاً على جمل وعلى رأسه طاقية بها جلاجل، ويجواره المنادي الذي كان يصيح «هذا هو جزاء من يسلم بلاد الإسلام إلى الفرنجة». ولما وصل إلى وسط المدينة، رجم الشعب ذلك البائس وعلقوا جثته على عامود. ثم ثار شعب قابس على يوسف عند ظهور جيش صغير كان قد نظمته الحسن مع معمر ومع محرز بن زياد، أحد رؤساء قبائل العرب الذي كان يتحصن في أطلال قرطاجنة وهو يحلم بأشياء عظيمة<sup>(1)</sup>. وعندما وجد يوسف نفسه محاصراً في قصره، دافع عن نفسه قدر استطاعته وفي النهاية قُبِض عليه وسلموه إلى معمر، ثم سلمه إلى بني قرة الذين عذبوه عذاباً قاسياً ومروعاً، وقام عيسى، أخو يوسف، باصطحاب أولاد أخيه، وربما الطفل محمد بن الرشيد أيضاً إلى صقلية، طالباً الانتقام<sup>(2)</sup>.

في تلك الأثناء كان جورج الأنطاكي يبعث بأسطولته فساداً في جزر البحر الهوني والبيلوبونيزو<sup>(3)</sup>. ويبدو أن سفن صقلية التي أبحرت في

(1) مكان سكن العرب ذلك، كان يوجد في أعلى مكان بالمدينة المنهجة، وكان يطلق عليه «المعلقة». انظر الإدريسي، طبعة نوزي ودي جويي، *Description de l'Afrique, etc.* ص 112 من النص وص 121 من الترجمة.

(2) هارن بين: ابن الأثير عام 617، والنيجاسي: وابن خلمون؛ وابن أبي دينار في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص 290 وما بعدها وص 281، 289، 300، 324.

(3) سوف أذكر الكتاب المعاصرين في الفصل التالي حيث ينبغي أن نشير إلى الحرب التي شنها روجيرو ضد إيمانويل كومنينو. يكفي أن نذكر هنا أن تسلسل زمن الأحداث.

الحال لكي تحاصر قابس كانت قليلة للغاية وعادت دون أية نتيجة<sup>(1)</sup>. ثم لم المشقة والعناء من أجل قلعة صغيرة؟ لقد كان من المحتم على روجيرو إما أن يوقف عملياته في أفريقية أو أن ينجزها بعملية سريعة ضد المهدية نفسها؛ لأن الحسن كان يتقرب من زعماء عرب البدو الأقوياء؛ وتعاونوا معاً قبل قليل ضد قابس، والآن ضد تونس؛ ثم أنه كان لابد أن تصل إلى أفريقية ردود فعل حملة سان برناردو الصليبية. وتصالح روجيرو مع مؤيدي البابا، ولكنه كان مهدداً من جانب اثنين من الأباطرة في آن واحد، لذا انضم إلى العمليات الصليبية ليأمن جانب الإمبراطور الألماني، ويعمل على توجيه جيوش الصليبيين ضد الإمبراطور البيزنطي؛ وقدم مساعدات وأعطى نصائح؛ ولما لم ينصت إليه أحد، أراد أن يظهر بمظهر من يعارب هو أيضاً من أجل العقيدة؛ بينما كان الألمان والفرنسيون، قد عبروا مضيق البوسفور (سبتمبر وأكتوبر من عام ١١٤٧) وأخذوا يواجهون المصاعب هباً في سورية؛ وكان مسيحيو إسبانيا، ومعهم الإنجليز والنورمان، يحاربون أعدائهم في البرتغال، واستولوا بمعاونة جنود جنوة على المريّة وكانوا يستعدون لاقتحام تورتوزا. ولدى هجومه على أفريقية في صيف عام ١١٤٨، ظهر ملك صقلية لأول مرة ضمن الاتفاق الكاثوليكي الكبير؛ وكان يستغل مميزات ذلك الاتفاق، كما كان يفيد من ذلك أيضاً في تدريب سفنه الكثيرة على الحرب والاتفاق عليها على حساب الآخرين. ذلك الأسطول الذي جهزه قبل عام ضد إمانويل كومنينو وأصبح ضرورياً ليدافع به عن نفسه بعد فترة وجيزة

ظهر المزمك لدى البيزنطيين، قام بتحديثه تحديداً جيداً لو يو، *Histoire du Bas Empire*، الكتاب السابع والثمانين ٢٢ إلى ٣٩ وأيضاً موراثوري، *Annali*، ١١١٦ إلى ١١١٩، وفي *Cronaca della Cave*، في كتاب بيرتز، *Scriptores*، المجلد الثالث، ص ١٩٢ ولدى موراثوري في، *Rer. Ital. Scr.*، المجلد السابع، ويذكر الاعتداءات الأولى ضد الإمبراطورية البيزنطية عام ١١١٧ بالتعديد.

(١) التهجاني، الموضع السابق.

ضد الإمبراطورية البيزنطية، أو ليهاجمها من جديد(1). ولما كان المؤرخون المسلمون على غير علم بكل تلك التفاصيل فإنهم يهتمون روجيرو بالخبط الشديد. أي بأنه أراد استغلال القحط الذي كانت أفريقية تعاني منه، وأنه أسرع إليها خشية أن تفلت منه تلك الفرصة. ولعلمهم لا يخطئون تماماً في ذلك، ولا بد أن نتصور أن الحالة السيئة التي نمرضاها في المهدي كانت تسود أفريقية كلها؛ فبسبب الجوع كان الجنود في حالة فوضى، ونفقت غالبية خيولهم، وصارت خزانة البلاد منهكة، وأصبحت كل القوى الاجتماعية في حالة انهيار(2). وأولئك الأعيان الذين جاءوا مؤخراً إلى صقلية بحثاً عن ملجأ آمن، قد أصبحوا أداة جيدة في أيدي رجال مثل روجيرو وجورجو. للحصول على المعلومات على أقل تقدير. وكان الأمر لا يخلو من وجود الخيانة في ذلك التدهور الواضح الذي حدث للبيت الزيري. فإننا نعلم أن قائداً أتى في الأزمنة الأخيرة رسولاً من قبل الحسن إلى بالرمو، ثم عاد بعد أن أعطاه روجيرو الأمان لنفسه وممتلكاته هو وأهله(3). مع حلول الصيف أبحر جورجو من موانئ صقلية بمائتين وخمسين سفينة محملة بالرجال والسلاح والمؤن، وعندما رسي أسطوله في جزيرة بنتلاريا أمر بالاستيلاء على قارب أرسلته المهدي لمراقبة تحركاته؛ ووجد فيه أقفاص الحمام الزاجل؛ وحينما أقسم له عامل الحسن بأنه لم يرسل أية أخبار. أجبره جورجو أن يكتب بخط يده بأن السفن التي وصلت لتوها من صقلية تحمل خبراً بأن أسطول العدو قد أبحر إلى الأرخبيل. وقد أحدث هذا الخبر فرحاً عظيماً في المهدي. إلا أنه لم يدم إلى ما بعد فجر يوم الاثنين.

(1) لا ينبغي أن نورد شواهد لأحداث الحملة الصليبية الشهيرة. إن الاتصالات السومرية في ذلك الوقت مع الملك روجيرو تتخج من خلال رسالة كتبها إلى هذا الأمير الأب بيشرو. رئيس دير كلوني، وأعاد طبعا كاروزو. Bibl. sicula. ص ٩٨٠.

(2) التيجاني.

(3) ابن الأثير، عام ٥١٢، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٩٥.

الثاني من صفر من عام ٥٤٢ (٢٢ يونيو ١١٤٨) عندما ظهر في الأفق الأسطول المصلي كله الذي كان يقترب من المهدية بضربات المجاديف الشديدة بصعوبة بسبب قوة الرياح المضادة له. كان جورجيو يسير بمعدل محسوب بحيث ينزل رجاله على البرزخ قبل طلوع النهار. وعندما تفتح أبواب المدينة يجدونها مراقبة من الخارج وبالتالي لن يتمكن أحد من الفرار. ولكن عندما فشلت هذه الخطة بسبب الرياح المعاكسة، حاول الأنطاكي أن يعطل خروج الناس حتى تنزل الجنود كلها على الأرض. وبعد أن أرسى سفنه بعيداً عن الميناء، أرسل مركباً سريعاً إلى الحصن حتى يطمئنه: فقد جاء صديقاً، صادقاً في احترامه للاتفاقات: وما كان يطلب منه سوى أن يسلمه قتلة يوسف، وإن لم يستطع ذلك فعليه أن يرسل رجاله مع صفوف قوات الملك لئلا يقاتل ضد أولئك الذين احتلوا قايس. وجمع الأمير الفقهاء والأعيان. ولم يكن هناك من لم يدرك أن ساعة آل الزيري الأخيرة قد حانت: بل نصحه أكثرهم حماساً بالقيام بالدفاع. وحسم الحصن النقاش. ربما كان ذلك إنكاراً منه لذاته، أو خوفاً وهزاعاً، أو ربما لأنه رأى أمامه وجوهاً توحى بالخيانة. وراح يتذكر الجنود قليلة العدد، المراقبة بعيداً، في مسكر بتونس، والمدينة وما بها من مؤن تكفيها لمجرد شهر واحد؛ ويفكر فيما إن حاصرها العدو بحراً وبراً واستولى عليها لا محالة، نتيجة القتال أو الجوع؛ وماذا يمكن أن يكون حينئذ؟ كان حبه للمسلمين يفوق حبه لملكه ولقصوره؛ لذلك كان يريد أن ينقذهم من القتل، ومن النهب ومن الوقوع في الأسر قال: «لن أرسل أبداً رجالي مع المسيحيين ليحاربوا المسلمين؛ ولن أنقذ المدينة بمثل هذا الثمن الشائن، فهذا يعني أن أتبع للعدو الوقت حتى يأخذنا جميعاً في شباكه. لا نجاة إلا في الفرار. سوف أمطى جوادي ومن أراد فليتبعني». هكذا اختتم كلامه. وبعد أن حزم من ماله ما غلى ثمنه وقل وزنه، غادر المكان على عجل وبصحبته عائلته والمقربين منه. وتبعه مواطنون كثيرون، وأخذوا معهم نساءهم

وابناءهم وما استطاعوا من اموالهم ومما هو ثمين لديهم. واختبا كثيرون في بيوت المسيحيين وهي الكنائس.

ولما انزل جورجو رجاله من على السفن وقبل الغروب (1)، دون أن يضرب ضربة واحدة، تصرف تصرف العارف الخبير بكافة الأماكن والمعدات، ورجل الدولة المحنك الانسان. أسرع على الفور إلى قصر الملك، ولما وجده سليماً، لم يمس، وضع الأختام على أبواب الخزائن المملوءة بكنوز ومقتنيات ثمينة وبكل ما هو نادر وغالي القيمة مما جمعه آل الزيرى على مدار قرنين من الزمان؛ ووضع نساء «الحريم» تحت الحراسة في قصر صغير ومعهن أطفال الحسن الذين خلفهم وراءه عند فراره. وبعد أن حافظ جورجو بهذه الطريقة على ما يمكن أن تستخدمه خزانة الدولة أو تبيعه، كبح رجاله بعد أن أخذوا في نهب المدينة لمدة ساعتين؛ وأعلن وقف سفك الدماء والسلب والنهب واهتم بشكل كبير بإنقاذ المسيحيين بعد أن أخرجهم من المهديّة ومن زويلة وأقام لهم مخيماً في السهل الذي كان يفصل الضاحية عن القلعة، أو المدينتين الواحدة عن الأخرى كما كان يسميهما الكتاب العرب في ذلك الوقت (2).

(1) يقول التيجاني إن النزول من السفن قد حدث بعد وصول الأسطول بسبع ساعات، وحسب ابن الأثير فإنه كان قد مضى ثلثا النهار. والآن فإن الشمس، في شهر يونيو، تشرق في المهديّة حوالي الساعة الخامسة صباحاً وتقرب بعد الساعة السابعة مساءً بقليل. وعليه فإن النهار يستمر ١٤ ساعة. وكلتا الروايتين متفقتان إذن في تحديد نزول الجنود من السفن، فيما بين الثانية والثالثة بعد الظهر، إذا ما حسبنا السبع ساعات التي ذكرها التيجاني. ليس بدءاً من الفجر عندما شوهدت أولى السفن، وإنما من وقت تجمع الأسطول كله، الذي لابد وأن استغرق ساعتين أو ثلاث.

(2) في ذلك الحين كان مسيحيو المهديّة، على ما يبدو، من سكان أفريقيا الأصليين وبعضهم من الأجانب أيضاً. ومن يريد أخباراً أكثر تفصيلاً عن مسيحيي أفريقيا الشمالية في القرن الحادي عشر والثاني عشر يستطيع أن يطلع على المقدمة التاريخية لكتاب السيد مالاتيّر، وعنوانه، *Traité de paix, ecc.*، ص ٧ و ١١ و ٦٧ وما بعدها. ومع أني أرى أن بعض التفاصيل الخاصة بالحروب التي دارت بين الإيطاليين وسلمس أفريقيا في القرن العاشر عشر والمذكورة في الكتاب، (ص ٧، ٨، ٩) أراها بعيدة عن الحقيقة. وأرى أيضاً أن المؤلف، مدفوعاً بتعاطفه الزائد، قد بالغ في ذكر أفضال

ومع غروب الشمس كان قد رتب كل شئ حتى أن مأساة المهديّة، بدأت وانتهت مع ذلك النهار. وقد أطلقت الأهالي على ذلك الحدث اسم واقعة يوم الاثنين، كما ربطت بأيام أخرى من أيام الأسبوع موقعين أو ثلاث من مواقع الروم<sup>(1)</sup>. وفي صباح اليوم التالي توجه تفكير الأدميرال إلى الهاريين. فأرسل في البحث عنهم مواطنيهم الجنود ممن ظلوا في المهديّة؛ وأمد هؤلاء الجنود بالدواب حتى يحملوا عليها النساء والأطفال؛ وأعلن بذلك الأمان؛ بحيث يستطيع من يرغب أن يعود إلى المدينة وهو آمن على نفسه وعلى ماله. وهكذا أنقذ الآلاف ممن كانوا على وشك الهلاك جوعاً وعطشاً في تلك البراري. حتى وإن كان من بينهم من ترك في بيته خيرات كثيرة حسب قول المؤرخين في ذلك الوقت. كما دعا جورجيو إلى المدينة أولئك العرب البدو الذين كانوا يقيمون في ضواحيها؛ وأغراهم بهبات كبيرة ومعاملة طيبة؛ ووزع على فقراء المهديّة أموالاً ومواداً غذائية، واقرض أموالاً إلى كبار التجار، حتى يواصلوا أعمالهم التجارية؛ وعين قاضياً ليقوم العدل. رجلاً مقبولاً من الجميع. ولم يفرض على المسلمين من الضرائب سوى الجزية. كما عامل أطفال الحصن

---

بلاط روما إلا أن يجدر بي أن أسجل هنا الجهد الكبير الذي بذله المؤلف في بحثه، والعلم للوزير والنظام الدقيق الذي اتبعه في العمل بكامله.

بالإضافة إلى الأحداث التي ذكرها السيد مالاتيرا عن ذلك الموضوع المفضل عنده. ينبغي ذكر شهادة المؤرخين العرب عن كنائس أفرنجية في عام ٩٥٥، (*Storia de' Musulmani di Sicilia*، الجزء الثاني، ص ٢١٨، الكتاب الرابع، الفصل الثاني) وقول متهم كتابات السيد سيجيبرثو دا جيميلو: إن روجيرو في عام ١١١٨ قد أعاد أسقف أفرنجية حراً إلى مقره، الذي كان قد توجه إلى روما خائفاً لتهال رسامته هناك (في كتاب كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ٩٥٠).

وينبغي أن نضيف في الفصول القادمة بعض التفاصيل في هذا الموضوع. (١) واقعة السبت والجمعة اللتان وردتا بالبيان، عام ٥٥٨ و ٥٧٢ هجرية، ضمة نوزي، المجلد الأول، ص ٢٢٦ وفي المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٢٧١. يصف الإمبريسي ذلك السهل الذي كان يفصل بين المدينتين ويسميه الرحلة، في نوزي ودي جورجى، *Description, etc.*، ص ١٢٨.

وأما هاتم من الجوارى المحررات (1)، معاملة حسنة، وأرسلهم إلى صقلية. وبانقضاء أسبوع استقرت أمور جميع سكان المهديّة وزويلة في بيوتهم. فراحوا يمارسون صنائعهم في هدوء وربما في سعادة. وبدا لجورجو أن جزءاً كبيراً من الأسطول بإمكانه أن يمضى بعيداً دون مخاطر (2).

ثم أرسل عدداً من السفن إلى سوسة وسفنأ أخرى إلى صفاقس؛ فاحتلت الأولى المدينة بكل هدوء في يوم الثاني عشر من شهر صفر (٢ يوليّه)؛ ذلك لأن حاكم المدينة، علي بن الحسن، عندما علم بهروب والده، كان قد ذهب للقائه ومعه عدد قليل من المواطنين وقد استسلم الآخرون سريعاً. أما صفاقس فكان يعيش بها رجال أكثر صلابة. كما سوف نرى من تطور الأحداث. كما هرعت جماعات كثيرة من العرب لمساعدة صفاقس، وقاوم المواطنون الصقليين الذين نزلوا من السفن. بل خاطروا أيضاً بهجوم مفاجئ عليهم. وفر المسيحيون حتى يسيحوهم بعيداً بما يكفى عن الأسوار؛ وهناك عادوا يهاجمون مرة أخرى، واندفعوا وسط الجموع غير المنظمة، وشتوا جمعهم، إلى الريف وإلى المدينة؛ واستأنفوا المعركة عند أسوار المدينة؛ وفي النهاية دخلوها يوم ٢٢ من شهر صفر (١٣ يوليّه). وبذلك سالت هناك

(1) كانت مثل هذه الجوارى تدعى في لغة القانون «أم ولد».

(2) هارن بين: ابن الأثير، عام ٥٤٣؛ والبيان، العام نفسه؛ والتيجاني: أبى الفدا، العام نفسه؛ وابن خلدون، وابن أبى دينار، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٩٦ وما بعدها و ٢٧٢ و ٢٩٩ و ١١٦ وما بعدها و ٥٢٩، ويقول أبى الفدا، في خطأ، على ما يبدو، ذلك لأنه اختصر أو بالأحرى شر الرواية التي كتبها ابن الأثير. وكتب أن الهروب قد أتى التمسح به الحسن من جانب الأعيان. أما عن الكتاب المسيحيين فقد وردت لديهم إشارة سريعة لاحتلال هذه المدينة، التي أسماها كالمادة أفريقية، هكذا ورد في رومانو السالرنى وداندولو، عام ١١١٨ ومورانورى، *Ret. Ital.* المجلد السابع، ص ١٩١ والمجلد الثاني عشر، ص ٢٨٢. انظر أيضاً *continuation de Sigeberto de Gembloux*، عام ١١١٨؛ والصراش على صالاتير، يوليّه ١١١٩، وأوجو فالكاندو، في كتاب كاروزو، *Bibl. sic.* ص ٩٥٠ و ٢٥٠ و ١١٠. وثمة سيجبرتو، قد أعاد طبعا مؤخراً بيرتر، *Scriptores*، المجلد السادس، ص ١٥٢ و ١٥٦، حيث وردت أسماء المدن التي تم الاستيلاء عليها على هذا النحو: أفريقية، سويلا، صفاقس، إقليبية.

دماء غزيرة؛ ثم أسرت جنود كثيرة وهي النهاية أعلن الأمان، كما حدث في طرابلس وهي المهدية: وعاد الفارون واستعادوا نساءهم وأبنائهم. وظلت حامية مسيحية في القلعة: كما كُلف عامل بإدارة شئون المدينة وكان عمر بن أبي الحسن الفرياني هو ذلك العامل الذي أراد والد، بنبل مقاصده، أن يذهب رهينة إلى صقلية<sup>(1)</sup>. وقد ظلت قلعة كليبياء القوية صامدة بمساعدة بمساعدة العرب البدو: بل إن المسلمين حين خرجوا للحرب قد اتبوا مهاجميهم، حتى أن الفرقة عادت إلى المهدية في حالة سيئة<sup>(2)</sup>. وفي الحقيقة يبدو لنا أن ملك صقلية لم يرغب في التوسع كثيراً نحو الغرب، حيث كان بنو حماد، لقسوة ظروف المكان وصداقة العرب البدو، أكثر صموداً وقوة من أقاربهم بالمهدية. كما صرفه عن ذلك تفكيره في الحرب البيزنطية التي كان لزاماً عليه خوضها إن عاجلاً أو آجلاً؛ ولم تمهله أكثر من سنة واحدة. إن فتح أفريقيا قد اقتصر إذن على المنطقة الساحلية التي تمتد من طرابلس البربر إلى رأس بونه<sup>(3)</sup>. وقد تم ذلك الفتح خلال شهر من الزمان. وقد أقر روجيرو ترتيبات الأدميرال؛ ومنح أفريقية أماناً عاماً. وإن كانت تنقصنا تفاصيل هذا الإجراء فإن جوهره يتمثل فيما عرضناه في كل حالة على حدة: أي أن يواصل المسلمون حياتهم وفقاً لشرائعهم ويقضاتهم؛ وأن يدفعوا الجزية؛ وأن يحكمهم باسم ملك صقلية عامل يرسل أحد أقربائه الصقليين رهينة إلى بالرمو. وليس لدينا ما نستخلص منه كيف كانت تدفع الجزية.

(1) المصادر نفسها المذكورة في الهامش السابق. يقول الإدريسي إنه تم الاستيلاء على صفاقس عام ٥٤٢، في المكتبة العربية، الصقلية، النسخ، ص ٢٢ وفي: *Description, etc.* لنوردي دي جويي، الترجمة، ص ١٦٦.

(2) ابن الأثير، الموضع السابق.

(3) فعلى ابن الأثير الذي تم ذكره من قبل في هذا الصدد (المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، ص ٢٩٧) به فترة يتعين تصويبها وفقاً للنسخة الحرفية التي كتبها النوردي (المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، ص ٤٨٨، هامش ١) «امتد نفوذ الفرنجة من طرابلس الغرب حتى مشارف تونس. ومن سحاري المنرب إلى سحاري القهروان». اسم سحراء المنرب يبدو أنه يعني هنا سحراء برقة.



وهل كانت تؤخذ مباشرة من كل مسلم أو يهودي، أم كانت تُحصل من الجماعات، وهو الاحتمال الأقرب من الواقع، فيما أرى. واعتقد أيضاً أن هذا استمرار للعمل في تحصيل الجبايات التي اعتادت سلطة الضرائب الزيرية أن تحصلها، ولكن ليس تلك الجبايات المقيمة وغير القانونية: ذلك لأن جميع الكتاب العرب يمتدحون عدالة الحكومة المسيحية في عهد روجيرو ويؤكدون أن جميع الوعود الطيبة التي جاءت في إعلان الأمان الذي أعطاه قد تم تنفيذها بأمانة، طوال فترة حياته. وبالفعل نقرأ على وجه الخصوص في تاريخ ابن أبي دينار أن الخراج، أو الضريبة العقارية، كان يتم تحصيلها مع شئ من الرأفة<sup>(1)</sup>. ولم يغفل المؤرخون المسلمون أن فتوحات الصقليين قد توفقت في أفريقية بسبب حرب اليونان. ويصفون هذه الحرب بأنها كانت حرياً ضارية وطويلة، ويذكرون الحادث الشهير الذي ورد في الأخبار اللاتينية. وهو أن جورجيو الأنطاكي تجاسر على الدخول في ميناء القسطنطينية واستولى على سفن كثيرة وأطلق سهامه على نوافذ القصر الملكي. ويضيفون إلى ذلك أن النصر كان دائماً حليفاً للملك صقلية. رغم أن أمير القسطنطينية كان من أولئك الذين لا يستدفع أحد معهم بنار واحدة. إذ أنه كما نقول نحن كان رجلاً لا يسمح للذباية بأن تحط على أنفه.

إن الكتاب المسلمين يرجعون إلى جورجيو الأنطاكي الفضل في الانتصارات التي تحققت في أفريقية وفي الشرق؛ ويلاحظون أن

(1) هارن بين: المصادر السابقة في شأن احتلال المهدية في ص 118. هامش 3. إن المسيحيين، وهم يتحدثون عن فتوحات روجيرو في أفريقيا، يذكرون إلى جانب اسم المهدية، أسماء سوسة، وبونة، وقلمنة، وصفاقس وطرابلس ومن يقرأ *Annali Musulmani* لرامبولدي، سوف يعتقد أني قد حرمت الجمهور من كثير من الأحداث التاريخية. إن رامبولدي، بعد أن ذكر أن شروط المهدية قد وقع في 1119 بضيف من محض خياله أن ١٠ ألف صليبي فرنسي وإيطالي قد نزلوا في ليبيا؛ وأن روجيرو تبهم لينتقد الفتوحات الأخيرة التي قامت بها جيوشه؛ وأنه كان يريد عبور الصحراء ليرجع إلى مصر؛ وأن الحسن حاكم بجاية قد اعترضه (11). ولكنه هزم وبعد أن ترك المسيحيون حامية في بجاية اجتازوا بالفعل إلى مصر. إلخ.

الجيش الصقلية قد توقفت مع وفاته، إذ لم يجد الملك من يسند إليه تولى مسئوليتها؛ كما خصصوا له والملك روجيرو فصلاً كاملاً في تراجم المسلمين المشهورين. التي كتبها الصفي وهو مؤلف من القرن الثالث عشر وشأنه شأن ابن الأثير. يطلق على جورجيو لقب «وزير الملك روجيرو، محتل مملكة صقلية»، ومن هنا يتضح أن مسلم صقلية الذين كانوا يقدمون إلى إخوانهم في الدين الأخبار عن بلاط بالرمو، كانوا يرون أن منصب الأدميرال العظيم هو ذاته منصب الوزير، وكان في ذلك العصر يقابل منصب رئيس الوزراء في عصرنا. كما أننا ندين بالفضل إلى المسلمين في تسجيل أخبار وفاة هذا المسيحي القدير، حيث نستخلص من كتاباتهم أنه توفي. في عام 511 هجرية (من 11 مايو 1119 إلى 29 أبريل 1150) بعد أن انهكته أمراض كثيرة وأقساها نزف الدم وحصى الكلى (1).

وراح الخط يدبر لروجيرو ظهر المجن. فلم تتوقف فقط مكاسبه في أفريقية، وإنما بدا يهددها الموحدون، وهم طائفة من البربر شديدة العداء للمرابطين الذين راحوا يتساقطون الآن بالسرعة نفسها التي ظهروا بها قبل نصف قرن. فبعد أن هزم عبد المؤمن مرابطين إسبانيا وفتح أيضاً جزءاً كبيراً من أراضي مراكش العالية، أخذ يتقدم نحو الشرق، ومعه ثلاثون ألف من الموحدين واحتل (مايو 1152) تلك المناطق التي يطلق عليها في أيامنا هذه إقليم الجزائر وقسطنطينة، وكانت آنذاك تقابل تقريباً دولة بني حماد في بوجيه؛ حتى أن سقوط تلك الدولة تزامن مع سقوط دولة الزيريين. وكان آخر أمراء بني حماد يحيى بن العزيز، قد أخذ الحسن التمس أسيراً حينما

(1) ابن الأثير، عام 511، في المكتبة العربية، الصقلية، ص 297. والصفي، في المكتبة العربية، الصقلية، التمس، ص 687. إن المال الذي ورد في نص الصفي، نفوذ باختلافات بسيطة في الميداني، طبعة هرناتج، المجلد الثاني، ص 588. وأيضاً في قاموس المستشرق العلامة تفسه، المجلد الثاني، ص 517.

طلب منه استضافته بعد سقوط المهديّة(1). وها الآن يقدر للحمادي أن يبحر إلى صقلية، ويقول آخرون، إلى جنوة؛ وبعد فترة وجيزة عاد إلى بونه وبعد أن عقد العزم، حاول الاستقرار في قلعة قسطنطينية الحصينة(2) ويذكر أيضاً أن أخواه الحارث وعبد الله قد قاما باللجوء إلى صقلية(3).

وهي الحقيقة فإنه إذا كان قد تبقى ملاذ لأولئك الأمراء والأعيان بالم الساحل الشمالي، من الجزائر إلى طرابلس، فإنما كان يمثل في ذلكما الشعبين الأجنيبين اللذين كانا آخر من احتل البلاد: وهم مسيحيو صقلية بسفنتهم الثلاثمائة والعرب البدو بفرسانهم الخمسين ألف. وإنى أرى ورغم أن أحداً من المؤرخين لم يذكر ذلك، أن أولئك الفارين، قد عملوا على إقامة رابطة بين روجيرو والمغرب.

- 
- (1) ابن الأثير، عام 512، في المكتبة العربية، الصقلية، ص 296، 297.  
 (2) القزطاس، ص 126 من النص و 129 من الترجمة اللاتينية يورد أنه ذهب إلى جنوة. في تاريخ البيرس لابن خلدون، النص العربي، المجلد الأول، ص 231، والترجمة الفرنسية، المجلد الثاني، ص 58، وفي مقرة ترجمها السيد دي سالن على هذا النحو "Yahya s'embarqua pour la Sicile, afin de se rendre, de là, à Boghdad. Au lieu de pousser jusqu'à cette île, il alla débarquer à Bône etc."  
 والمؤلف هنا، بأسلوبه المعتنق الذي يطلب عليه التسجيل والتموض، يقول بالحرف الواحد "لقد أبحر يحيى إلى صقلية بقصد الذهاب من هناك إلى بغداد. ثم اتجه إلى بونه.. إلخ، بحيث يفهم بالآخرى أنه ما أن وصول إلى بالرمو اتجه إلى بونه بدلاً من بغداد. وهو معنى ينبعث في تلقائية من كلام المؤلف ويتفق تماماً مع الأحداث الأخرى التي نعرفها، أي وصول شهابي يحيى إلى صقلية؛ والرابطة التي اقترحها روجيرو على الأمراء العرب.. إلخ، والذهاب إلى جنوة، لا يبدو بعيداً عن الواقع ولا غير متوافق مع السفر إلى إيطاليا لأن الحماديين، في بجاية وبونه وموانئ أخرى لهم، كانوا يتاجرون مع أهل ليجوريا كما كانوا يتاجرون مع أهل صقلية ويمركون القوة البحرية سواء لأهل جنوة أو أهل صقلية في القرن الثاني عشر. والمراكشي، في النص العربي، ص 117، وهو يروي بشكل عام، يقول إن عبد المؤمن قام في عام 510 بحصار بجاية ولن يحيى، عندما رأى أنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه، هرب إلى أن وصل إلى بونه ومنها إلى قسطنطينية.  
 (3) ابن الأثير وابن خلدون، الموضعان السابقان. إن إقامة عبد الله في صقلية قد ورد النص عليه أيضاً عند ابن بشرى الذي يذكر بعض الأبيات لأبي حفص عمر بن القفل، التي رواها له الحمادي عندما تقابلا في صقلية. انظر الخريدة لعماد الدين، في المكتبة العربية، الصقلية، ص 599 و 600.

وهي الرابطة التي كان بمقدورها هي وحدها إنفاذ وطنهم من بربر الغرب الجدد. فنحن نعلم أن الملك كان يبعث إلى الأمراء العرب ليعرض عليهم تعزيزاً قوامه خمسة آلاف من فرسانه، بشرط أن تعطيه القبائل رهائن، كما كان مألوفاً؛ غير أنهم شكروه ورفضوا عرضه، فاثلين إنهم ليسوا في حاجة إلى قوات مساعدة ولا يستطيعون قبولها إن لم تكن من المسلمين، إن أولئك المحاربين الجسورين كانوا يثقون في عددهم وفي قداسة الرابطة التي توحد فيما بينهم، حيث إن كل رجال قبائل أفريقيا الشمالية من طرابلس إلى قسطنطينة (1) كانوا قد أقسموا بأن يحاربوا - ما يسمونها - حرب العائلة؛ لذلك فقد حملوا معهم نساءهم، وأبنائهم وماشيئهم وكل ما يملكون، في عزم وتصميم على الدفاع عنهم حتى آخر نفس في حياتهم. ولما اشتبكوا مع الموحدين في جبال سطيف في الأول من صفر من عام ٥٤٨ هجرية (٢٨ أبريل ١١٥٣)، حاربوهم ثلاثة أيام متواصلة وحُصد خلالها معظم الجنود واستولوا على معسكرهم. عندئذ أمر عبد المؤمن باقتياد النساء والأطفال، دون أن يسمح أي أذى، إلى المغرب، ثم سلمهم إلى العرب؛ وكان ذلك نصراً حقيقياً قمع تلك النفوس العنيفة (2).

وهكذا بعد أن زال كل أمل في الترابط مع القبائل، فكر روجيرو في أن يؤمن حكمه الجديد ضد الموحدين، فأرسل أسطوله إلى الغرب بقيادة فيليبو، وهو مسلم مرتد، ينفي أن نتناول الحديث عنه بتوسع في الفصل التالي. وهاجم فيليبو بونه التي تركها لتوء الحاكم

(1) كان العرب ينهبون حتى ما يقرب من الحدود الغربية لإقليم قسطنطينة الحالي. انظر الإبريسي، *Description de l'Afrique*، إلخ. ترجمته السيدان دوزي ودي جوجي، ص ٩٢، ٩٧ من النص وص ١٠٧ إلى ١١١ من الترجمة.

(2) ابن الأثير، عام ٥١٧ و٥١٨، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٩٧ وما بعدها وفي نص تورنبرج، المجلد العاشر عشر، ص ١٠٢، ١٢٢.

الحمادي، ولم يكن الموحدون قد استولوا عليها بعد؛ واقتحمها في شهر رجب من العام الهجري نفسه (من ١ نوفمبر إلى ٣ ديسمبر ١١٥٢)، بمساعدة عرب الريف وأخذ أسرى وغنائم؛ إلا أنه غش النظر عن هروب العلماء وغيرهم من الرجال اللامعين؛ حتى أنهم خرجوا سالمين من المدينة هم وعائلاتهم وأموالهم. وبعد حوالي عشرة أيام سافر الأسطول إلى المهديّة مع عدد قليل من الأسرى، ثم عاد بعد ذلك بقليل (إلى صقلية (1))، تاركاً بونه في حالة سيئة تحت حكم واحد من بني حماد، لم يتورع من أن يصبح عاملاً لروچيرو (2). وفي العام نفسه، على ما يبدو عند سماع أخبار مذبحة الموحدين، ثار سكان جربة وأقاموا مذبحة للمسيحيين. واعتقد أن الأسطول قد ذهب إلى هناك قبل عملية بونه؛ وثار للدم بسفك الدم، وأرسل أسرى إلى بالرمو قدر استطاعته، تاركاً في المدينة حفنة من الرجال لا شأن لهم من أجل زراعة الأرض أو غير ذلك من أعمال وإيضاً للخدمة في بيوت السادة المسيحيين (3). كما تم الاستيلاء أيضاً على جزيرة كركينى، على ما يبدو، وبالنشائج نفسها (4). إننا نجد في ابن

(1) ابن الأثير، عام ٥٤٨. وابن خلدون، في المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، من ٢٩٩، ٥٠٢. ويشير إلى ذلك الكاسيني مجهول الاسم عام ١١٥١، في كتاب كنز ورو. Bibl. sic. من ٥١٠.

(2) الإدريسي، في المكتبة العربية، الصقلية، النسخ، من ٧٢. وفي *Description de l'Afrique* ترجمة دوزي ودي جوجس، من ١٢٦، إن الجنزاقى الحذر الذي نشر كتابه بعد تمذهب فيليب بقليل، يقصر قوله على أن بونه قد تم فتحها على يد «أحد رجال الملك العظيم»، انظر أيضاً ابن خلدون، المرجع السابق، من ١٩١.

(3) هارين بين، الإدريسي، والتيجاني وابن خلدون، في المكتبة العربية - الصقلية؛ من ٧١ و ٢٨١ و ٢٨٥ و ٢٩٦؛ وأول هذه المصادر في الترجمة المذكورة للسيد بن دوزي ودي جوجس، من ١٥١ والمصدر الأخير في ترجمة البارون دي سلان، *Histoire des Berbères*، المجلد الثالث، من ٦٤، أن شهادة التيجاني الإيجابية والغريبة من الواقع تجعلنا نرى صعبة ما نقرأ عند الإدريسي عندما كتب «مدينة» ويقصد بها بالرمو ويشهد الشكل الذي جاء في نصير العلامة الإدريسي في هامش ٢. انظر كذلك أعلام هامش من ٤٠٠.

(4) الإدريسي، في المكتبة العربية، الصقلية، من ٧٢. وفي *Description, ecc.* من ١٥٠ من الترجمة.

الأثير إنه في ذلك العام نفسه، ٥٤٨ (من ٢٩ مارس ١١٥٢ إلى ١٧ مارس ١١٥٤) قام الأسطول الصقلي بأعمال نهب في مدينة تينيس المصرية<sup>(١)</sup>. وأفضل قراعتها تينس وهي مدينة قريبة من البحر على حدود إقليم مدينة الجزائر الحالية مع إقليم أورانو. وأول ما يتبادر إلى الذهن هو أنه لا يبدو امراً واقعياً أن يكون ملك صقلية قد خاض معركة جديدة في الشرق، بالإضافة إلى حربه مع الإمبراطورية البيزنطية ومع مملكة اورشليم، بينما كان لزاماً عليه أن يبذل جهداً كبيراً ضد الموحديين. ونعلم على العكس من ذلك مما قاله رومالدو السالرنى أن روجيرو، قد وقع السلام مع الخليفة الفاطمي، كما يقول المؤرخ، طبقاً لمنفعته وشرفه<sup>(٢)</sup>. وسكت المقریزی في وصفه الدقيق لمصر ولم يتحدث عن ذلك الهجوم، حيث كتب في عام ٥٥٠ (٧ مارس ١١٥٥، ٢٤ فبراير ١١٥٦) عن أعمال التخريب التي الحقها الأسطول الصقلي بتينس ودمياط ورشيد والإسكندرية<sup>(٣)</sup>، بعد أن توفي روجيرو وغابت الحكمة السياسية عن القصر النورمانى في بالرمو إلى الأبد. وحيث إن ابن الأثير لم يذكر هذا الهجوم الأخير فيبدو لى أنه، عندما أراد أن يعطى شكل الحوليات لما يدونه من أحداث كان يثر عليها في روايات كثيرة، ربما أخطأ التاريخ؛ أو لعله قرأ Tinnis تينيس بدلاً من Tene تينس، وأضاف، مفالياً في الاجتهاد منه، «أنها في أرض مصر». حقاً أن تينيس وتينس متشابهتان في الكتابة العربية

- 
- (١) ابن الأثير، عام ٥٤٨، في المكتبة العربية - الصقلية، التمس من ٣٠٠ وفي طبعة تورنبرج، المجلد الحادى عشر، ص ١٢٥، ونقل عنه أبو الفدا.  
(٢) في مورائوى، *Ret. Ital. Ser.*، المجلد السابع، ص ١٩١.  
(٣) كتاب المواضع، نس يولاى، المجلد الأول، ص ٣١٤، ٣١١. في الفصل عن دمياط. فإن بين: الفصل عن تينيس في ص ١٢٩ - ١٨٠ من المجلد نفسه. وجمهور بالملاحظة أن المقریزی في ص ١٨٠ سجل هجوماً للأسطول الصقلي على تينيس عام ٣٤٨، ولا يشرى أنه خطأ نفسى في خاتمة المئات إذ أنه بعد ذلك الحدث يذكر المقریزی أحداثاً أخرى ترجع إلى القرن الرابع والظامس الهجرى. ثم عتصم يأتى إلى القرن السادس فإنه يصف الهجوم على الساحل كله عام ٥٧١، الذى سوف نتحدث عنه في موضعه.

بقدر ما هما متشابهتان في لفتنا، لذا كان من السهل خلط الاسمين من قبل الناسخين أو من قبل أدق الكتاب أيضاً. وأيا كان الأمر فإنه خلال تلك الفترة الأخيرة من حكم الملك النورمانى العظيم، كان الأسطول الصقلى يقوم بأعمال تخريب كل عام بساحل دولة بوجيه التى كان الموحدون يحتلون معظمها، يروى الإدريسي، وكان يكتب في بلاط بالرمو، عام ١١٥٤، أنه في أواخر الشتاء، «فى الفصل الذى يبحر فيه الأسطول»، اعتاد سكان جيجيل وكولو، على ترك منازلهم الساحلية والهجرة إلى الجبال حاملين معهم كل متاعهم(1). هذه الغارات المتكررة غرّس رأس بونه والفوضى العاصفة التى عاش فيها هؤلاء السكان لسنوات طويلة بعد أن تخلى عنهم بنو حماد، وكانوا منقسمين على أنفسهم. ومهددين في الوقت نفسه من جانب العرب، والصقليين والموحدين، إنما تدفعنى إلى الاعتقاد في وجود إجراء ما أجراه روجيرو مع تونس، وهو إجراء نجد له أثراً غير أكيدة في المذكرات المسيحية وكذلك أيضاً في المذكرات الإسلامية. ومن بين المعاصرين، فإن روبرتو رئيس دير سان ميكيلى هو الوحيد الذى سجل، في الأخبار التى كتبها، أن تلك المدينة كانت قد احتلتها جيوش ملك صقلية في عام ١١٥٢ ومن الممكن أن يكون هناك خطأ آخر في اسم تينس(2). وقد كتب عبد الواحد المراكشى في عام ١٢٢٤ في

(1) في المكتبة العربية - الصقلية. النص. ص ٧٢ وفي. *Description, ec.* لدورى ودى جيوجى، ص ١١١. ١٢٠. وجدير بالتنبيه أنه في مخطوطة الإدريسي ينسب إلى مرمى الزيتونة ما نورد المخطوطة A بشكل أدق من قول: النظر في ذلك نص و. *Description, ec.* ص ١٠٦. السطرين الأخيرين والسطر الأول من ص ١٠٢. وتقابلها من ١٢٠ من الترجمة الفرنسية.

(2) *Tunetam urbem maximam in Africa*. هذا ما نقراء دون بدائل، في طبعة بيزن. *Scriptores*. المجلد السادس، ص ٥٠٢. هذه الفقرة مع جزء كبير من أخبار روبرتو، نجدتها منقولة في ص ٩٧٧ من *Chronica Normanniae*. التى نشرها دوشسن. *Historiae Normannorum Scriptores*. مع بديل لكلمة *Tunetam* وهو *Tonisem*. ومن الواضح أن هذه الفقرة من كتاب *Cronica Normanniae* هي ذاتها التى أعاد كاروون نشرها، في *Bibl. sicula*، ص ٩٢١. إن الاسم البديل *Tonisem* الذى

تاريخ الموحدين، أنهم عندما استولوا على تونس (١١٥٩) وكان يحكمها روجيرو، الذي كان قد عين عليها عاملاً يُدعى عبد الله بن خراسان<sup>(1)</sup>. وبعد قرن من الزمان عندما أشار داندولو إلى الفتوحات الأفريقية في عام ١١٤٨، أضاف أن روجيرو أخضع ملك تونس لدفع الضريبة<sup>(2)</sup>. ويبدو لي أن ذلك أكثر قرباً من الواقع. وتونس لم يتم أبداً الأسطول الصقلي باحتلالها، ووفقاً للأخبار المترابطة الدقيقة التي كتبها عنها مؤلف البيان وابن خلدون، فإن تلك المدينة العامرة بمكانها، الفنية، والزخرفة برجالها المظالم وإن كانوا ثوار متحزبين. هذه المدينة كانت قد رفضت السيادة الزيرية منذ زمن بعيد، واعترفت بسيادة الحماديين الاسمية فقط، بينما كان يحكمها بالفعل أحد شيوخ البلاد. قد اسميه، عن اقتناع برئيس الجماعة. وبقيت تلك السلطة لسنوات كثيرة في بيت بني أبي خراسان، ثم بعد ذلك سقطت في أيدي أخرى، ثم تلاشت تماماً في خضم المجاعة ودوى المسيحيين القريب. وحينما كان الشعب يستعد لطردهم بحماس شديد، شاهد ذات يوم قمعاً يشحن على مركب فتار الشك في أنها متجهة إلى الأماكن التي يحتلها جورجيو الأنطاكي؛ فقام في ثورة شديدة أدت إلى الفوضى التامة وإلى الحرب الأهلية ما بين فئة السوقية وفئة الجزيرة. ويبدو لي أنهما فتناً العامة والأعيان؛ وهي النهاية دعت العامة بني أبي خراسان وكان ذلك قبل مضي عام على فتح المهدية. وقد حكم عبد الله بن عبد العزيز، وهو آخر حكام تلك العائلة، عشر سنوات حكماً مستهدداً؛ وصدد الموحدين في أول حصار لهم (١١٥٧)؛ ثم

كان موجوداً بالتأكيد في إحدى مخطوطات روبرتو. يتوأم جيداً مع *Tenes* تيس؛ وصارة *urbem maximam in Africa*. يمكن أن تكون الفروض الفرضية روبرتو، أو لعله جاء إضافة من التاسع. ومن جانب آخر فقد كانت ليهيس مدينة هامة جداً في التجارة، كما يؤكد ذلك الإدريسي، طبعة نوزي ودي جوي، *Description de l'Afrique* ص ٩٦ من الترجمة.

(1) في نفس نوزي، ص ١٦٢ وما بعدها. وفي المكتبة الزيرية - الصقلية، النسخ، ص ٢١٨ وما بعدها. إن المؤلف يذكر هنا أنه يكتب عام ١٢١ (١٢٢١).

(2) في كتاب موريتوري، *Ret. Ital. Scr.*، المجلد الثاني عشر، ص ٢٨٢.



سقطت المدينة. بعد فترة وجيزة من وفاته، تحت ثقل جيش عبد المؤمن<sup>(1)</sup>. وكما هو واضح للعيان، فوسط هذه الأحداث التي يتم سردها هي ثقة تاريخية، لا يوجد بها مكان لافتراض سيادة لملك صقلية. ولكن نظراً لأن حاكم تونس المستبد لم يكن باستطاعته، في ظروف تلك البلاد التي تم ذكرها، أن يأمل في مساعدة فئة أخرى، فإنه يبدو لي محتملاً أن يكون قد وقع سراً مع روجيرو اتفاقاً ما، لا يختلف عن ذلك الذي وقعه الزيري، آخر حكام المهدية، مع وعد منه بأن ينفق على قوات معاونة أو أن يدفع ثمن الفلال التي تجلب من صقلية. وإذا كانت المشاعر الإنسانية في تلك الأزمنة لم تختلف عن تلك التي عرفناها عبر التاريخ قبل وبعد ذلك وإلى يومنا هذا، فإنه بسبب زهو بلاط بالرمو، وريبة شعب تونس الفيور، ما أن نما إلى علمه خبر تلك الاتفاقية، حتى صاح الجميع في صوت رجل واحد أن ابن أبي خراسان قد خضع للجزية وأصبح تابعاً لروجيرو؛ ولم يقولوا غير ما قال في الحسن أولئك الكتّاب الذين سار ابن أبي دينار على هديهم. وكان لابد أن تبقى ذكرى ذلك الحدث مشوبة بشك كبير بعد تغير المملكة التي قطعت في فترة وجيزة كل الخيوط التي نسجت في بالرمو، وبعد رد الفعل الرهيب الذي حدث في أفريقية ضد المسيحيين ومؤيديهم، والذي سوف نتناوله عند حديثنا عن حكم جوليئمو الشرير.

(1) شارون بين: البيان، نص دوزي، المجلد الأول، ص ٢٢٢ إلى ٢٢٦ والذي قمت بنشر جزء منه في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٣٧٢؛ وابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة البارون دي سلالن، الجزء الثاني، ص ٢٩ وما بعدها. ويبدو أنه خطأ وقع فيه النيجاني، المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٣٩٩، حين أورد أن تونس قد حكمها أحدهم يدعى ابن أبي خراسان عندما كانت تعاصرها جنود المهدية، التي كان قد أرسلها الحسن قبل احتلالها بقليل من جانب الصقليين. إن الانتصار على الموحيدين قد أخبر عبد الله أهل بيزا به، برسالة كتبت بلفتين مؤرخة في ١٠ يولييه ١١٥٧ وهي رسالة قمت بنشرها في *Diplomi Arabi dell'Archivio Fiorentino*، رقم ١ من المجموعة الأولى ورقم ٦ من المجموعة الثانية. انظر المقدمة بتلك المجموعة، في الثانية والعشرين، حيث قمت بتصحيح اسم عائلة أولئك الأمراء حسب نص الوثيقة.

## الفصل الثالث

إذا ما عدنا زمنياً إلى الوراء قليلاً، علينا أن نتذكر أن الاعتراف بالمملكة الحديثة لم يمنع روجيرو من الطموح، كما لم يمنع كرسي البابوية في روما من التطلع إلى التعرش بها ومناوشتها، ومن ثمة فقد رفض البابا سيامة الأساقفة<sup>(1)</sup>، واعترض على امتيازات التاج<sup>(2)</sup> من ناحية؛ وأرسل الملك جهوشاً لاحتلال الممتلكات البابوية من ناحية أخرى. غير أنه عندما تحدث كورادو الثالث، الامبراطور المنتخب، عن نزوله إلى إيطاليا، وأثار أرنالدو دا بريشا حمية الرومان لإحياء مجلس الشيوخ في ظل عرش يجلس عليه قيصر الماني، عندئذ فإن ذلك التراجع القدرى الذى حرم إيطاليا لمدة ألف عام من كل نظام وسلام، قد دفع البابا إلى التقرب من المملكة، التى تنتمى بطبيعتها إلى حزب الجويلف. عندئذ فقد سمع لأول مرة ذلك الاسم الحزبى حيث إن الدوقOLF قد هب بالسلاح لصد الامبراطور؛ وقد قدم له العمون كل من البابا وروجيرو ليفذيا الحرب الأهلية في ألمانيا؛ وقد وهر الشراء الذى حققه روجيرو على حساب مسلمى أفريقيا، ومن مختلف أنشطة صقلية ووهرة إنتاج إقليم بوليا، كل ذلك وهر لروجيرو المال الذى يقدمه للمتمردين<sup>(3)</sup> ويقدم بعضه إلى البابا لإفشاء أو

(1) هذه الواقعة يسفها رومالدو سالرنيتانو، الذى يذكر تحت عام ١١٤٦، ويجب التصحيح بـ ١١٩، السجامة الممنوحة، في كتاب موراتوري، *Rep. Italic*، المجلد السابع، ١٩٣. لا يلزم أن نذكر خصوصاً أخرى للأحداث الشهيرة جداً التى أشرت إليها. (2) إنى اعترض ذلك من الاتفاق الذى تم، طبقاً لما جاء به أوتوني دى هيرينجهين المشار إليه في الهامش رقم ١ في الصفحة التالية.

(3) إن المساعدات المقدمة إلى الدوق الجويلفى قد أثبتها جوفريدو دى فيثريو، في كتاب موراتوري، المرجع المذكور. المجلد السابع، ٤٦٠. أما المساعدات المقدمة إلى غيره من الإقطاعيين الألمان فنجدتها في رسالة جوفاني مولى العنود إلى وبياندو، رئيس ديرى ستافينو وكورفي، عام ١١٥١. هي كتاب مارتين ودوران، *Vetereum Scriptorum* باريس ١٧٢٤، المجلد الثاني، ص ٤٢٢.

مقاتلة الرومان واعداء إياه أيضاً بتميزات من الرجال. إزاء كل تلك الهبات من جانب روجيرو فإن البابا أخذ يؤكد على امتياز المفوضية الرسولية لصقلية<sup>(1)</sup> ويؤيد أعمال روجيرو في ألمانيا. وأثناء تلك الأعمال وتلك الإجراءات قد حدث أن مناصري البابا في روما كانوا يتلقون في السر رسائل الملك فقبحض عليهم مجلس الشيوخ مع الخطابات التي كانوا يحملونها ومع خدمهم السراسنة؛ ثم تركهم بمضون لحال سبيلهم<sup>(2)</sup>. وحيث إن البابا كان يسيطر، بفضل مساعدة روجيرو له، على عصب الحرب، فإنه والكرادلة كانوا يتفاجئون بأنهم «يسيطرون على مناصري الامبراطور وعلى اليونانيين في هينيسيا» وكانهم يسيطرون على كلاب صيد محبوسين في قفص محكم الغلق، «بحيث لا يستطيعون المساس بالصقلى، نصير الكنيسة المقدسة»<sup>(3)</sup>.

في تلك الأثناء، كان رؤساء الكنيسة الحقيقيون، وهم قابعون في أديرة فرنسا، كما سبق وذكرنا، يساعدون بالمشورة والحيل البلاط الروماني المتروك ويشجعون بشكل غير مباشر ملك صقلية. وأخذ القديس برنار. يخلط الأوراق، كما هو مألوف، وجعل من السياسة موضوعاً لاهوتياً، وشرع بهذا في صمق أرنالدو في المدارس كلها وهي القصور الأوربية كلها لدرجة أن الامبراطور كورادو لم يجرؤ على الاقتراب منه. ثم إن الحملة الصليبية التي كان يدعو إليها الرسول الكاثوليكي، كانت تلقى صدى طيباً لدى بلاط روما لدرجة تدعو إلى الاعتقاد بأنه كان يريد أن يمد يد المساعدة إلى المسيحيين المضطهدين في سوريا وأن يرسل في الآن نفسه كورادو ليتوج بأكاليل الفار، أو ربما لينال الاستشهاد هناك بالقرب من نهر الفرات بدلاً من أن ينزل في إيطاليا ويضرب بمصالح البابا. بعد هزيمة

(1) الرسالة، كتاب أوتوني دي فريزينججن، *Gesta Frider*، الكتاب الأول، الفصل ٢٨.

(2) رسالة جوهاني الموش وقد سبق ذكرها.

(3) الرسالة نفسها.

الصلبيين وعودتهم، تدخل بين كورادو وروجيرو حبر فرنسي آخر له شهرته الكبيرة هو بطرس الملقب بالجليل، رئيس دير كلوني وهو مفاوض متطوع في أمور سياسية بأوروبا كلها، ومسافر دؤوب لا يمل ولا يكل في أنحاء إيطاليا وإسبانيا، وكاتب مجادل ضد الإسلام وتحت رعايته قد تمت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة اللاتينية<sup>(1)</sup>. كان ذلك الراهب يكتب تقاريره إلى الملك ويطلب منه أن يجود بكرمه على الرهبان ويفيض في مدحه باللغة اللاتينية ويقول له كم كان يود أن يتحد مع مملكة صقلية السعيدة إقليم توسكانا اليائس وبعض الأقاليم المجاورة له<sup>(2)</sup>. هكذا كان روجيرو يستخدم أصدقاءه في الكنيسة وهكذا كانوا يستخدمونه هم أيضاً. فإذا كان قد استخدمهم دون جدوى في مؤامراته ضد ريموندو، أمير أنطاكية، والذي كان يطمع في دولته بوصفه وريث ابن عمه بويموندو<sup>(3)</sup>، فإنه قد حقق هدفه الرئيس ألا وهو أن يمنع كورادو من عبور جبال الألب إلى إيطاليا. ولما توفي كورادو (١١٥٢)، قيل ساعته إذ إنه قد قتل بالسم وبتهريض من روجيرو<sup>(4)</sup> وقد قال هذا غلاة أتباع الحزب الجبليني، الذين ضافوا ذرعاً منه إذ كان يتدخل دائماً في شئونهم تارة بالمال وتارة بالهيل والمكائد وتارة أيضاً لشهرته باعتباره عالماً بكل علم بشري أو جهنمي. وقد أدى منع كورادو من العبور إلى إيطاليا إلى أن تذهب جهود مانويل كومنينو أندراج الرياح وكان قد ارتبط به ضد القوة الجديدة الصاعدة في إيطاليا الجنوبية. لم ينتظر روجيرو هجوم البيزنطيين، ونظراً لثقتته، على ما يبدو، في أصدقائه الجدد الذين كان لهم نفوذ

(1) انظر، بخصوص رئيس دير كلوني هذا، *Histoire Littéraire de la France*. المجلد الثالث عشر، ص ٢٤١ وما بعدها.

(2) رسائل عام ١١٣٩ و ١١٤٥، والتي أعاد طبعا كارونو، *Bibl. Sicula*. ص ١٧٧ و ٩٨٠.

(3) انظر جوليلمو الصوري، الكتاب الرابع عشر، الفصل التاسع والفصل العشرين بخصوص هذه الإجراءات التي أرادت الإشارة إليها لأنني أرى أن مؤرخي صقلية قد اغفلوها.

(4) أوتوني دي هيرينجيهين، *Gesta Frider*، الكتاب الأول، الفصل ٦٣.

كبير في فرنسا، فإنه قد أراد أن يجذب لودوفيكو الصابع إلى تحالف ضد مانويلي؛ ولما رأى الوقت مناسباً فقد أوقف الحرب بينما كان الصليبيون يجتازون أراضي آسيا الصغرى، لذلك وجد البيزنطي نفسه في ورطة، واشتغل الفرنسي القريب منه غضباً ويات مستعداً لمعاقبته على غدره، وعليه فقد أرسل روجيرو إلى الشرق جورجيو الأنطاكي الذي أبحر من برينديزي (سبتمبر ١١٤٧) واحتل كورفو واجتاح كل ما صادفه إلى أن وصل إلى الطرف الجنوبي من إقليم بيلوبونيز وأخذ ينشر الخراب والدمار في مونمفاسيا، وعندما لم يوافق لودوفيكو على الانضمام إلى التحالف ضد كومنينو، عاد الأسطول الصقلي إلى مواقعه في الحال وبحيث يظهر في انسحابه ضيقه من الفرصة التي ضاعت، وراح جورجيو في سلب ونهب سواحل إيثوليا وأكارنانيا؛ ودخل في خليج كورينثوس؛ وأرسل رجاله حتى طيبة للإغارة عليها، واستولى على مدينة كورينثوس نفسها وعلى قلعتها؛ وطارد الأغنياء في كل مكان كأنه قاطع طريق، واستولى على الأشياء الثمينة كلها، وأسر اليهود وميسوري الحال، رجالاً ونساء؛ وسطا أيضاً على الصناعة، وأخذ معه عمال صناعة الحرير. ولهذا ظن البعض أن أسرى طيبة وكورينثوس هم أول من نقلوا صناعة الحرير إلى الرمو، دون أن يعلموا أن المسلمين كانوا يزالون تلك الصناعة منذ زمن بعيد.

ولما حل صيف عام ٤٨ قام الأسطول الصقلي بالحملة على أفريقية، غير أنه في أواخر العام تحرر مانويلي من عقدة الخوف من الصليبيين وأخذ يستعد للانتقام. وبعد أن وثق علاقاته مع هينيسيا بحيث أمدته بأسطول قوى، وبعد أن هزم الباتسيناتشي، حاصر كورفو التي كان يدافع عنها ألف رجل من الجيش الصقلي؛ وصد الأسطول الذي وصل لمساعدة المحاصرين. وبعد عامين من الحصار والجوع انهارت القلعة الحصينة (١١٥٠). وأثناء ذلك الحصار حدثت تلك الواقعة الخاصة بالأربعين شانية الصقلية التي دخلت ميناء

القسطنطينية ونزل منها الجنود ودخلوا في العداثة الامبراطورية وأطلقوا سهامهم المشتعلة صوب نواخذ القصر الملكي؛ وقد انتشر خبر تلك العداثة حتى وصل إلى بلاد المسلمين(1) وفي إحدى اشتباكات الأسطول الصقلي مع الأسطول البيزنطي وجد ملك فرنسا الذي كان عائداً مفجوماً من الحملة الصليبية، وجد نفسه في قلب تلك المعركة، فأسره اليونانيون وحرره الصقليون واصطحبوه معهم إلى روجيرو، الذي كرمه تكريماً عظيماً (أغسطس ١١٤٩). ثم أن حروب الدانوب، وأحوال البحر وضعف أدميرالات البحر ووفاة كورادو، كل تلك الظروف قد أخرت حملة مانويل كومنينو حتى وفاة روجيرو(2).

(1) انظر الفصل السابق، ص ٤٠٧ من هذا المجلد.

(2) قارن بين: نيشيتا كونيكي وشينامو، في كتاب كاروزو. *Bibl. Sicula*. ص ١١٤٩ وما بعدها وص ١١٧١ وما بعدها؛ أوتوني دي فريزنجيس، المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل ٢٢: *Continuazione della Cronica di Sigeberto*. في كتاب بيرتر، *Scriptores*. المجلد السادس ٤٥٢ و ٤٥١ (الأعوام: من ١١٤٧ إلى ١١٤٩)؛ *Cronica della Cava*. عام ١١١٧. في كتاب بيرتر، *Scriptores*. المجلد الثالث، ١٩٢: رومانو سالونيتانو وداندولو، في كتاب موراثوري، *Rer. Italic*. المجلد السابع، ١٩١: المجلد الثاني عشر، ٢٨٢ وما بعدها.

بخصوص أولئك الكتاب فإن البيزنطيين وأوتوني لا يذكرون أي تاريخ. أما الآخرون فيخبرون الأحداث في ١١٤٧. واعتقد أن الاعتدالات قد بدأت في شهر سبتمبر. لأن الكاثين البيزنطيين يميلانها متزامنة مع محور الصليبيين؛ ويضيف نيشيتا أنه قد ساد الاعتقاد في ذلك الحين في القسطنطينية أنه كان هناك اتفاق بين الصقليين والألمان، وأن نعلم من خلال أوتوني، المرجع المذكور، الكتاب الأول، الفصل ١٥، نعلم أن الألمان كانوا موجودين بالقرب من القسطنطينية في شهر سبتمبر، إن نقد موراثوري وإن بو. وقد ذكرتهما في الفصل السابق، ص ٢٩٩، الهامش رقم ٣، إنما يؤكد تواريخ الممثلين اللتين قام بهما الأسطول الصقلي في الشرق، أي عملية ١١٤٧، والتي أدت إلى احتلال كورفو والمزارات على خليج كورينثوس والمطلة التي تمت بدءاً من ١١٤٩ وما بعده وهي عملية أكثر مجداً وإن كانت غير موفقة تماماً؛ واعتقد أنه يتبين أن يرجع إلى المطلة الأولى الخراب الذي أصاب مودوني والذي تحدثت عنه الرواية التاريخية المنسوبة إلى بندودي بطرسبرج، طبعة ستوبس، لندن، ١٨٦٧، المجلد الثاني، ١٩٩ والذي ذكره برومبتون في كتاب *Historiae Anglicanae Scriptores*. المجلد الأول، ص ١١١٨. أما بالنسبة لسجن لودويكو السابع وتحريره، انظر موراثوري، *Annali*. ١١٤٩، وأيضاً دي بلازي، *Storia di Sicilia*. الكتاب الثامن، الفصل ٢١، أضف شهادة من أصل كتاب سيجبرنو، الموضوع المذكور، ورسلالة لودويكو السابع إلى جولاهمو الصالح، عام ١١٦٩.

وأنهى روجيرو حكمه المجيد بعمل إيماني ومحكمة تفتيش. ومهما كان أصل فيليبو الذي من المهدية، سواء كان مسلماً من الجزيرة ويطلق عليه المهدي نسبة إلى وطن أبيائه، أم كان مولوداً فعلاً في العاصمة الزيرية، فقد كان معمداً مثل بقية وصفاء الملك، الذين ما كانوا مسيحيين ولا مسلمين، وما كانوا رجالاً ولا نساء. فقد نشأ في القصر الملكي وأظهر صفات المدبر الحكيم، فعينه الملك مديراً لشئون القصر ثم عينه أدميرالاً بعد وفاة جورجيو وأرسله في حملة بونه، الأمر الذي يدفعني إلى الاعتقاد بأنه تعلم وتدرّب على يد الأنطاكي وكان رفيقه في الحروب الأهريقية. ونقرأ هذا الموضوع في حوليات ابن الأثير، الذي ربما قد أخذ عن كتابات ابن شداد الذي كان معاصراً له: كما تناول بإسهاب أكبر هذا الموضوع رومالدو سالرنيتانو، الذي أخذ عنه. كما ظهر، ثقات النقاد، وقد كان معاصراً على أية حال وجديراً بالتصديق، وتتفق الروايتان في استشارة الملك غضباً وبصورة مفاجئة ضد فيليبو عند عودته من بونه: على الرغم من الانتصار الذي حققه والغنائم التي حملها، حسب قول المؤرخ اللاتيني؛ وهي قول المؤرخ العربي، إن الملك غضب لأنه أغمض عينيه حتى استطاع الأشراف المسلمون أن ينجوا بأنفسهم. وقد اتهم بالتظاهر بالإيمان؛ وتقول عنه الادعاءات إنه كان يدخل الكنيسة ذراً للرماد في العيون، ولكنه كان يتردد سراً في الوقت نفسه على المساجد، ويقدم لها الزيت للقناديل، ويرسل الهبات إلى قبر محمد (عليه السلام). وأنه كان يلجأ إلى الشيوخ الموجودين في المكان، ولا يمتنع عن أكل اللحم يوم الجمعة وفي صوم الأربعين، هذا ما يقوله المؤرخ اللاتيني، أما المؤرخ العربي فيوجز التهمة في أن فيليبو وغيره

---

وقد تم نشرها في عام ١٨٣٩ في *Collection des Documents inédites sur l'Histoire de France*، المجلد الأول، ص ٣. ولا أدري كيف أن الناشر المتكف، شامبلون فيجبالد، مساهمة منه لظنون كثير من المؤرخين الفرنسيين، قد أدرج كلمات لوبوفيكو ليدحض رأي موراثوري وهو على ما يبدو لي رأي مؤكّد.

من الوصفاء المعمدين كانوا يأكلون في سعادة وحبور بينما كان الملك يصوم. ولا حاجة إلى القول بأن الشهود أكدوا الجريمة، على الرغم من أن المتهم كان ينفيها عن نفسه بكل إصرار. لقد اقتيد، حسب رواية المؤرخ الإسلامي، أمام الأساقفة والقضاة والفرسان؛ أما المؤرخ المسيحي فيقول إنه اقتيد أمام البارونات والكونتات والقضاة. ويقول لنا المصدر المسيحي إنه قد طلب العفو وأن روجيرو، قد ازداد غضبه ونصح المحكمة وهو ييكن أن تكون قاسية جداً في عدالتها، قائلاً: لقد ربيت في قصرى هذا المتمرد، وأحبته خادماً أميناً؛ ولو أنه أهانه شخصياً أو سرق نصف ثروة المملكة لكان قد عفا عنه؛ لكنه يريد الانتقام لإهانة الدين، وليلعلم العالم جيداً أنه من أجل هذه القضية المقدسة فإنه مستعد أن يطيح حتى برأس ابنه. وبعد أن اختلت المحكمة، وبعد مداولات طويلة، فقد أصدرت هذا الحكم: «أن فيليبيو وقد استغل الاسم المسيحي، وكرس نفسه للعمل غير الأمين متظاهراً بالتدين، لاهد وأن يحرق في نار حامية، وحيث إنه لم يجرب نار المحبة فليجرب نار المحرقة، على ألا يتبقى شئ من هذا الشرير، ولكنه بعد أن يتحول إلى رماد، فلينتقل من النار الأرضية إلى جهنم الأبدية حيث سيحترق فيها إلى الأبد». لقد ترجمت الخبر الخاص بهذا الموضوع والذي يبدو أنه نقل حكم المحكمة العلمانية ولم يذكر حكم المحكمة الكنسية الذي يتعين أن يسبق الحكم المذكور. وأثار هذا الحكم باقية في الرواية الإسلامية والتي تخلط بين المحكمتين وكانهما محكمة واحدة. وقد تعرف جريجوريو في قضية فيليبيو على اختصاص المحكمة العليا للمساوين<sup>(1)</sup>؛ ولكنه لم يرد أن يخلط خلطاً كبيراً بين هذه المحكمة ومحكمة التفتيش الأولى التي، كانت عندما كتب أخصائى القانون العام العظيم هذا، لا تزال تبت الرعب في قلوب سكان بالرمو الشرفاء، على الرغم من أن المحكمة قد تم حلها قبل

(1) *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل الثاني في الهامش رقم ٢٤.



عشرين عاماً بالكاد.

أقاموا المحرقة أمام القصر الملكي نفسه، ورأس عملية الحرق كبير الجلادين. وبعد أن ربط الخصى في حصان جامح، تم سحله حتى المحرقة. وهنا، بعد أن فكوه القوا به وهو بين الحياة والموت وسط اللهب، أما المتآمرون معه وأزواجهم، فقد تم عقابهم كذلك بالموت، هكذا أضافت في إيجاز الرواية المسيحية وانتهت قاتلة بتعجب وبالكلمات نفسها التي بدأت بها: كم كان مسيحياً الملك روجيرو الطيب! وتذكر الرواية العربية أن فيليبو قد تم حرقه في شهر رمضان، وهذا الشهر الكريم عند المسلمين كان يوافق في عام ١١٥٢ ما بين شهرى نوفمبر وديسمبر؛ وأراد الله ألا يطول عمر الملك روجيرو وأن يكون ذلك التعذيب هو أول انهيار للمسلمين في صقلية<sup>(1)</sup>. وإذا ما صدق حدسي، فإن ذلك القول، إذ يؤكد العقوبات

(1) قارن بين ابن الأثير، عام ٥١٨، وابن خلدون، النص، في المكتبة العربية - الصقلية، صفحات ٢٩٩، ٣٠٠، ٥٠٢ ورومالدو سالونيانو، في كتاب موراتوري، *Rerum Italicarum*، المجلد السابع، ١٩١، ١٩٥، وفي كتاب برتز، *Scriptores*، المجلد التاسع عشر، ١٣٦.

وقد حذف الدكتور أرنت. تأسر رومالدو في مجموعة برتز هذا الفصل من الأخبار، إلا أنه لم يجده في نص مخطوطة الشانكان. وهو يترقب، علاوة على ذلك، أنه لا يعرف تصور أصل هذا القصر، بينما وجد، بلية التفسيرات، أو افتراضها على أساس سليمة. وأن الفصل قد تمت إضافته بعد أن أملى المؤرخ روايته. ويرى هذا بوضوح كل من قرا نهاية الفصل السابق في طبعة موراتوري وبداية الفصل التالي والذين لا يمكن وضع فاصل بينهما. ونلاحظ ذلك بصموبة في طبعة برتز حيث إن الدكتور أرنت: إذ لم يلاحظ تاريخ عملية بونه، فقد أرجع الفصل إلى زمن عمليات أفريقية. وقد ذكرها جميعاً، لسوء آخر منه، في عام ١١١٦. ويبدو لي أن الفصل قد استخرج من الحكم الأصلي الصادر عن محكمة النظراء ومع ذلك لا أجرؤ على القول إن كبير أساقفة سالرنو لم يدرجه في ذلك الموضع؛ على الرغم من عدم إمكان إبراز أسلوبه فيه، ولا الفئور المبنى لرجل دولة مثله، والذي رجح أكثر من اللازم، في المتازعات في قصر بالرمو، كفة المسلمين. غير أن عقبات من هذا النوع يمكن تجاوزها إذا ما أخذنا في الاعتبار أن المؤلف قد نقل هنا حكماً تتوافق فيه فطامة الكلمات مع فطامة الحدث. وعلى كل حال، فإذا كان رومالدو قد كتب هذا أو رجل دولة آخر معاصر، أو أحدث منه بكثير تناول بين يديه ذلك الحكم، فإن هذه المذكرة تعد أصلية ولمهنة جداً، إذ تشي بالشكوك التي شاعت حول استقامة الملك.

الأخرى التي تشير إليها الرواية المسيحية، إنما يدل على أنه قد حدث بعد ذلك في صقلية في أواخر عام ١١٥٢ عملية اضطهاد ديني حقيقية وخطيرة.

لماذا حرك روجيرو موجة الاضطهاد تلك؟ إن انتصارات الموحدين في أفريقيا، وتسليح مانويل كومنينو في البحر الأدرياتيكي، بالإضافة إلى وفاة ابنائه الثلاثة وزوجته في خلال تسع سنوات، والمرض الذي أصناء جسمانياً في ذلك الشتاء، كل تلك العوامل قد هزت روحه هزاً عميقاً. تلك الروح التي كانت مشبعة بمعتقدات خارقة للنواميس الطبيعية ما بين أرثوذكسية وفلكية وإسلامية. ويقال أيضاً إنه في تلك الفترة الأخيرة، وقد ابتعد بدرجة ما عن الاهتمامات الدنيوية. عمل «بالوسائل كلها» على أن يعتنق المسلمون واليهود المسيحية وأنفق في سبيل العبادة أموالاً كثيرة<sup>(1)</sup>. وقد نستطيع أن نفترض أنه قد أصبح متزمتاً لضعف عقله. كما حدث لكثير من العلماء والرجال الأقوياء. لكن من المحتمل جداً أن روجيرو قد أراد أن يكون قدوة وأن يصلح بطريقته البلاط. حيث كان المهزومون يجدون حظوة لدى المسيحيين. لقد أرسل إلى المحرقة فيليبو بعد مضي شهر على تلك الحملة على بونه التي باءت بالفشل، على ما يبدو، لتعاطفه مع المؤمنين؛ وعليه لا ينبغي أن يروى لنا أحد عن الشكاوى التي نمت بين الأسطول وبين طبقة البارونات وطبقة رجال الدين ضد المسلمين الذين نالوا حظوة لدى الملك. وكان الملك قد انخرط في صفوف الدبلوماسية الكنسية التي كانت بكل تأكيد لا تنظر بعين الود إلى وزراء من هذه النوعية. لو حدث هذا مع ملك من ملوك عصرنا لأقالهم، ومع ملك من ملوك القرن السابع عشر لألقى بهم في غياهب السجون؛ أما روجيرو، الذي عاش في القرن الثاني عشر والذي كان يعد قاسياً جداً حتى في ذلك الزمان، فقد أحرق

(1) رومالدو سالونيتانو، في كتاب موراالوزي- المرجع المذكور، ص ١٩٢، ١٩٤.

الشخصية الأساسية وقطع رؤوس الآخرين وسعد بأنه أعاد تنظيم أمور القصر وأرضى الشعب والمظماء وأصدقاءه من أصحاب السلطان وريح ماذا؟ ربح الفردوس.

لقد توفي بعد ذلك بشهرين في السابع والعشرين من شهر فبراير 1101 وقد بلغ الثامنة والخمسين من عمره<sup>(1)</sup> وقد دفنته إلى القبر رغباته الجامعة كما كتب رجال الدين في القصر. وقد تحدثنا بما فيه الكفاية عن فضائله وريثائه والأعمال التي قام بها في الخارج. ويتبقى لنا الآن أن نعالج بالدرجة نفسها من الاهتمام حكم البلاد من الداخل وطبيعة هذا الأمير وثقافته وعقليته. وسوف نستقى أخباره من الكتاب المسلمين والمسيحيين على حد سواء إذ أنه ترك أثره على كلتا الحضارتين الخاصتين بمصر وقد وصفته كل حضارة منهما بأسلوبها الخاص. فقد وصفته الحضارة الأولى بقلم رئيس دير تيليزي، ورومالدو كبير أساقفة سالرنو، وأوجو هالكاندو، وبطرس الجليل: وكلهم أساقفة إيطاليون وفرنسيون تثقفوا بالأدب اللاتيني. والحضارة الأخرى متمثلة تارة في فخفة الصور البلاغية، في مقدمة الإدريسي، الأديب والعالم، سليل الأمراء، وتارة في الأخبار الجافة التي جمعها ابن الأثير في الحوليات والصفدي في مقاله عن ترجمته وعنوانه: روجيرو<sup>(2)</sup>.

إن هالكاندو يمتدح فيه حيوية روحه، وحضور بداهته وحبه للعمل

(1) قارن: رومالدو سالرنيتانو، في كتاب موريتوري، *Rerum Italicarum*، المجلد السابع، 196 وسجل وفيات مونش كاسينو الذي أصدره كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص 622.  
(2) ليس هناك ما يدعو لأن أكرر عناوين المصادر المسيحية المذكورة في هذا الفصل وفي الفصل السابق. إن المصادر الإسلامية المعاصرة في الإدريسي وكتاب أخبار سار على نهجه معروا الأخبار والذين أذكرهم في النص. ولعله كان ابن شداد الذي أشرت إليه في المقدمة، المجلد الأول، ص 29، رقم 7، ويتحدث الإدريسي عن روجيرو في موضعين بمقدمة في الجغرافيا، ونقرأها في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص 16، 17. وتوجد متعلقات الكتاب في مجموعتي، أي ابن الأثير في ص 278، 279، 300: شهاب الدين عسري في ص 102، ابن الفدا في ص 114: التوبري في ص 118 ابن خلدون في ص 198، 200: ابن أبي دبنار في ص 224: الصفدي في ص 267، 268.

وفطنته ونضج مشورته في الشؤون العامة(1). أما الإدريسي، بعد شرح طويل يحتوى على الأفكار السابقة نفسها فإنه يوجزها في العبارة التي يقول فيها إن روجيرو كان يعمل نائماً أكثر مما يعمل أي رجل بقطة(2). مقترناً إلا في الإنفاق على شئون الحرب والعلوم والآثار وقد اجتهد بكل الوسائل في زيادة دخل الخزانة العامة(3) وكان حكيماً جداً في إدارتها وكان بين الحين والآخر يراجع حساباتها(4). إن الأمن والسلام والازدهار الذي تمتعت بها مملكته قد أثار الدهشة في أوروبا في ذلك العصر الذي ساد فيه العنف الإقطاعي(5)؛ ومن ثم لا يبالغ الإدريسي عندما يقول إن روجيرو قد أخضع الطغاة(6) ورفع عاليها لواء العدالة ووفر لشعبه السلام والحكم المصالح وأجبر الملوك على طاعته وارتداء زيه وعلى أن يسلّموا مفاتيح بلادهم(7). وأصلح النظم القضائية وحرص احترام القانون بكل حزم، بل بقسوة، ويبرر فالكاندو هذا بضرورة تأسيس المملكة الجديدة. وفي عمله الدؤوب من أجل تطوير الحكومة المدنية في صقلية وتمويد البارونات ومدن البر الإيطالي على ذلك دعى إلى درس التماذج الموجودة في الخارج ودعى لمعاونته رجالاً ذوي شأن من لغات مختلفة وطوائف شتى(8). ولهذا فإن أحد الفرنسيين قد نهاه بتفضيل الملك للفرنسيين(9).

(1) في كتاب كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص 110.

(2) حرفياً: «وكان نومه (مثل) بقطة الناس وسهرهم». في المكتبة العربية - الصقلية، التمس، ص 16.

(3) رومالدو ساليرنيانو، فالكاندو .. إلخ.

(4) السندرو دي نيليزي، الكتاب الرابع، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص 391.

(5) السندرو دي نيليزي؛ بطرس الجليل، في الرسائل التي ذكرناها في هذا الفصل.

(6) في المكتبة العربية، الصقلية، التمس، ص 16.

(7) المرجع المذكور، ص 17. لقد ترجمت كلمة *regoli* بالملوك، وهي تعني ذلك بالفعل. إن العرب في القرن العاشر عشر والثاني عشر قد أطلقوا هذا اللفظ كذلك «ملوك» - *regoli* - على كبار البارونات المسيحيين. وكان أيضاً لقباً يمنح لكبار الشخصيات من المسلمين الذين لم يدعوا لأنفسهم أية حقوق سيادية.

(8) فالكاندو، رئيس دهر نيليزي وجميع المعاصرين الآخرين.

(9) فالكاندو، في كتاب كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص 110.

ويمتدحه أحد المسلمين لأنه كان يحمي المسلمين ويحبهم بشكل خاص(1). وقد يستطيع بيزنطى أن يؤكد أنه كان يميز اليونانيين بتعيينه جورج الأنطاكي؛ وقد يكسب إيطالى هذه المباراة فيذكر أن أريجو دى ماركيزى اليراميدى قد صنع بنفسه التاج لحفيده(2). لقد وصفنا بشكل سريع فى الكتاب الخامس الحكم النورمانى، وأود أن أذكر هنا بشكل سريع أيضاً تلك المؤسسات التى يرجع الفضل بالتأكيد إلى روجيرو فى تأسيسها وليس إلى والده. ويبدو لى أن أولى تلك المؤسسات وأهمها هى المؤسسة القضائية فى الأقاليم التى كانت مجهولة فى عصر الكونت الأول، وكانت ضرورية لبسط الأمن والنظام عن قرب إذ قد عجز عن ذلك ممثلو الأمير فى كل مركز، فقد سيطر عليهم للأسف الإقطاعيون المجاورون ورجال الدين. لقد اتبع روجيرو عادة الجمع بين السلطتين اللتين نغرق نحن بينهما وهما السلطة الإدارية والسلطة القضائية ومن أجل ذلك استبدل نواب الكونت وهم مفوضون عموميون للحكومة فى المدينة وهم قضاة أول درجة للقضاء المدنى والإصلاحى(3). وقد أسس فى البداية نظام الأمناء ومديرى القضاء. وهم قضاة إقليميون؛ وعين الفئة الأولى منهم إدارة الأملاك مع اختصاصها بالنظر فى القضايا المدنية وقضايا أول درجة التى تتعلق بالإقطاعيات الفرعية وهو ما يمكن أن نسميه الآن بالقضاء الإدارى؛ أما الفئة الثانية فهم قضاة فى المنازعات المدنية الخاصة بالإقطاعيات الرئيسية وفى القضايا

(1) ابن الأثير، عام ١١٨١، فى المكتبة العربية - الصقيلية، النص، ص ٢٧٨.

(2) المشهور دى تيليزى، الكتاب الأول، فى مجموعة كاروزو - المرجع المذكور، ص ٢٦٦.

(3) جيسريجوريجو، *Considerazioni*، الكتاب الثانى، الفصل الثانى، وتريش، *Rerum ab Arabibus etc.*، ص ٢٠٩ لاحظ فى هذا القلب، التالى، العربى. وليس من الضروري أن ألجأ إلى قوانين الاستبدال للاستدلال على خطأ هذا الاشتقاق، إن كلمة *Bejulus* و *Bejulus* كانت مستخدمة عند الكتاب اليونانيين واللاتين قبل القرن الحادى عشر بمدة طويلة. وقد كان أميانو مارشينو من بين من استخدموها. انظر دوكانج، المعجم اللاتينى. لقد ذكرت هذه الملاحظة فى *Journal Asiatique* فى عدد مارس ١٨٤٦، ص ٢٢٠ فى ملاحظات عن ابن جبير.

الجناية التي تتجاوز اختصاصات قضاة أول درجة ومجالس البارونات(1). ويبدو لي بالتأكيد أن الملك روجيرو قد أصلح كذلك هيئة المحكمة العليا التي يرأسها الأمير، وهي تشبه محكمة البيزنطيين في القضايا المدنية(2)، ومحكمة المسلمين في الجنايات التي تتعلق بالدولة(3). وتؤكد الرواية العربية في الحقيقة أن روجيرو، بعد أن تولى العرش بعد والده، قد قلد المسلمين في إنشاء «الجانب» والحاجب، والسلحية، والجندار، وغيرها من الوظائف، وأنه ابتعد عن عادات الفرنجة الذين لم تكن لديهم فكرة عن مثل هذه النظم؛ وأنشأ أيضاً ديوان المظالم الذي كانت ترسل إليه شكاوى المظلومين؛ وكان الملك ينصفهم حتى لو كان ذلك ضد ابنه(4). وعن الوظائف الأخرى سوف نتحدث الآن. وقد رأى جريجوريو أن ديوان المظالم هذا هي المحكمة العليا *Magna Curia* التي اعتاد دارسو القانون قبله نسبتها إلى الإمبراطور فديريكو؛ أما هو فقد رجع به إلى عهد روجيرو، وقد ميزه عن المحكمة العليا الخاصة بالنظر، وشبهه بمحكمة الملك التي اعتقد أنه قد تم إنشاؤها في إنجلترا في عهد وليم الفاتح(5). غير أن دارسي القانون الانجليز يعترفون اليوم بأنهم لا يرون بوضوح في القرن الحادي عشر ذلك النظام القضائي العالي الذي ظهر عندهم في بداية القرن الثالث عشر، ومن ثم فإنهم يظنون

(1) جريجوريو، الموضوع المذكور، بخصوص الدائرة الإقليمية، انظر كتابنا الخامس، الفصل العاشر، ص ٣١٠، ٣١١ من هذا الكتاب.

(2) على الرغم من أن اختصاص محكمة العدل العليا التي يرأسها الإمبراطور هو إصدار قواعد قانونية جديدة في القضايا المعروضة إلا أنها كانت تظر كذلك قضايا خاصة، انظر موراتوري، *Histoire du droit byzantin*، المجلد الثالث، ص ٨٢، ٨١.

(3) انظر الكتاب الثالث، الفصل الأول، ص ٧، ٨ من المجلد الثاني.

(4) ابن الأثير، عام ١١٨١، النص، في المكتبة العربية، المصطفية، ص ٢٧٨، وهو أقدم مصدر نعرفه من الناصبيين لذلك الرواية. وقد أخذها جريجوريو كما هو معلوم، عن التويري، *Rerum Arabicarum*، ص ٢٦، و *Considerazioni* الكتاب الثاني، الفصل

الثاني، الملاحظة ٢٠.

(5) *Considerazioni*، الفصل المذكور.

أنه في أوائل عصور الملوك النورمان لم يكن في إنجلترا محكمة عدل سوى محكمة النظراء، وأنها كانت أحياناً عامة وغالباً ما كانت في أضيق الحدود؛ حيث لم يكن أمراً ميسوراً في ذلك الزمان حشد الإقطاعيين وجمعهم في كل غرض من أغراض العدالة العادية. ولا يبدو أنه من الممكن أنؤكد على شيء آخر بشأن صقلية في القرن الثاني عشر: غير أنني أستطيع أن أضيف أن روجيرو قد شكل بانتظام محكمة النظراء تشكيلة يضم عدداً محدوداً منهم، وضم إليها مديري القضاء والقضاة واستخدمها محكمةً عاديةً ومحكمةً عليا دون أن يقصر اختصاصها على كبار الإقطاعيين. ويبدو لي أن هذه هي المحكمة التي حكمت في صقلية على فيليبو الذي من المهدية بالحرق؛ والتي قال روجيرو أمامها، طبقاً للرواية المسيحية، بأنه لن يتوانى عن معاقبة حتى ابنه (1). وهي الكلمات نفسها التي تعبر بها الرواية الإسلامية عن السلطة العليا وصرامة العدالة التي تميز بهما ديوان المظالم والذي كان يرأسه الملك.

ولندع الترتيبات الخاصة بالأهالي المسيحيين، والتي تامت بشكل مستمر في الجزيرة في عهد روجيرو؛ والجماعة والأسقفية التي أسسها في شيفالو، وهيئة الرئاسة الدهرية التي أسسها في مسينا لكي تتظم شئون الأديرة اليونانية والأهالي، وهوانينها التي يمكننا جمعها (2)، والوظائف الكبرى بالمملكة والتي نقلها عن القصور

(1) في هذا الفصل، ص 122.

(2) في قوانين مملكة صقلية التي أصدرها الإمبراطور فريديكو الثاني. تعمل بعض القوانين اسم الملك روجيرو، إلا أن هذا ليس دليلاً أكيداً. بهذا الصدد انظر ج. ج. روجيرو، *Considerazioni*. الكتاب الثاني. الفصل الثامن.

وقد ظهرت مزخراً مقتطفات مجانس قضاء ملوك صقلية (حول 1086) والتي عثر عليها مركيل في أحد مخطوطات القاتليكن. وقد نسبها البعض إلى الملك روجيرو كما نسبها آخرون إلى جويلمو الثاني. انظر *Storia della Sicilia sotto Gualfredo il Buono* إلى جويلمو الثاني. المؤلف أ. زيدورو لالوميا؛ وتلد أوتو هارتويج في سيبيل، *Archivio Storico*. الملف العشرون، ورد لالوميا في *Rivista Sicula*. فبراير 1869 (بالرمز 869) وبالنسبة لي فإن مقدمة تلك المقتطفات تجمعت أنسبها بالأحرى إلى جويلمو الأول، وكان مركيل يميل إلى هذا الرأي.

الفربية مثل مناصب: الحاجب، ومدير القضاء، والقاضي، وكبير موثقى العقود، والقائد الأعلى، وهى وظائف كبرى المقصود بها السلطة العليا(1). وقد تحدثت طويلاً عن الأدميرالات(2)، وقد تناولت كذلك خدمات القصر التى كان يعهد بالجانب الأكبر منها إلى وصفاء القصر(3)، وطبقاً لما يقوله كاتب ذكرناه منذ قليل(4) فإن روجيرو، على غرار ما كان متبعاً فى القصور الإسلامية، قد نظم الوظائف الخدمية والتى تدل أسماؤها العربية أو الفارسية على أصل نشأتها والتى تعود فى الغالب إلى الفاطميين فى مصر. وكانت تلك هى وظائف الحاجب، وقد جرد من سلطاته الكبرى التى كان يتمتع بها فى قرطبة وهى غيرها(5)، وه الجانب أى المساعد فى الميدان(6).

(1) جريجوريو، *Considerazioni*. الكتاب الثانى. الفصل الثانى.

(2) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب. ص ٢٤٦ وما بعدها من المجلد.

(3) الكتاب الخامس. الفصل التاسع والكتاب السادس. الفصل الأول. ص ٢٦٢ وما بعدها و٢٥٩ من هذا المجلد.

(4) ص ٤٢٧ و٤٢٨. لاحظ أن جريجوريو عندما لم يفهم تلك المسميات التى وجدها فى التورى، والتى تركها السيد كوزين للسبب نفسه، فى الترجمة الفرنسية افترض أنها صفات ملكية أخذها روجيرو عن أمراء المسلمين، فترجمها بالتالى كما توامى له: «صاحب السمو، وصاحب الفطامة والفضائل». *Rerum Arabic*. ص ٦٦.

(5) يتحدث عنها ابن جبير، النص العربى، راجع، ص ٢٢٨. وهى المكتبة العربية الصقلية ص ٨٣. لقد ترجمت هذا الجزء إلى الفرنسية فى *Journal Asiatique* ديسمبر ١٨٤٥. ص ٥٣٩. وإلى الإيطالية فى *Archivio Storico* الملحق ١٦ (١٨٤٧) ص ٦٦.

والحاجب هو كبير الخدم فى البلاط العباسى، وكان رئيس الوزراء عند الأمويين فى أسبانيا، وكان الرجل الأول بعد النائب لدى سلاطين مصر وهكذا؛ ذلك لأن سلطة الموظفين المتقلدين لتلك المناصب قد اختلفت باختلاف الأسر الحاكمة والقصور. ويتحدث عند ذلك ابن خلدون فى مقدمته (نص باريس). الجزء الثانى. ص ١٤ والترجمة الفرنسية ص ١٧، دى ساسى، *Chrestomathie arabe*. المجلد الثانى ص ١٥٧ و١٥٩، جيانجوس فى ترجمة المقرئ، *Mohammedan dynasties in Spain*. المجلد الأول. ص ١٠٢ وما بعد ٢٩٧ والتاسع والعشرين.

(6) نفس حرفياً من يكون الجانب. ونطلق أيضاً على الجهاد التى يتم تبجيلها. والجانب مماثل لحامل السيف فى البلاط البيزنطى وقد ذكر شخص اسمه نيكولو، كبير موثقى العقود الملكية وصاحب خزنة الملك وحامل السيف، ذكر فى وثيقة يونانية لروجيلو



والسلاحية(1) أى حامل الأسلحة والدروع، وه الجندار، أو ربما  
 والجندار، أى المسئول عن الملابس(2) وغيرها من الوظائف؛ كما  
 يذكر النص، مشيراً إلى ذلك إلى أسماء معروفة(3)؛ إلى تلك الفئة من  
 الخدم التى ترتبط بالوظائف العليا فى الدولة؛ واتى أخذها  
 البيزنطيون من طفاة الفرس وأعطوها للمسلمين ولملوك الغرب، وهى  
 أغلب الأحيان لم يكن هناك اختلاف سوى فى الاسم، وكان لابد من  
 وجود وظيفة «كبير القهرمانات» فى صقلية؛ وعلى الرغم من أنها  
 كانت تقابل فى الوقت نفسه وظيفة «ماجستير اللاتينية التى تقابل أو  
 هى ترجمة للكلمة الشرقية «أسطى دار»، وتعتبر عن وظيفتها(4)،  
 ونذكر هنا أيضاً منصب القائد الذى تحدثنا عنه طويلاً والذي يعنى

الشيخ ترجع لعام ١٠٩٠ وتم نسخها فى وثيقة ترجع إلى روجيرو، الكونت الثانى، عام  
 ١١١٧، فى كتاب سينا، Pergamene، ص ٢١٧.

(1) يقال أيضاً السليدار، أى حامل الدروع، من العربية «سلاح» ومن الفارسية «دار» أى  
 حامل، انظر كاترمير فى ترجمة المقرئى، *Sultans Mamlouks*، المجلد الأول،  
 الجزء الأول، ص ١٥٩.

(2) النص يذكر كلمة جندار، وهى كلمة مكونة من كلمتين فارسييتين وتعنى الجلاء،  
 وتستبدل، بالحارس، انظر أيضاً مذكرة كتبها ساسى، المرجع المذكور، المجلد الثانى،  
 ص ١٧٨ - ١٧٩ وابن خلقون الموضع المذكور.

جامدار «يعرف» وهى كلمة مركبة من كلمة دار نفسها ومن كلمة جامة الفارسية وتعنى  
 المسئول عن الملابس، كما يقول كاترمير، المرجع المذكور، المجلد الأول، الجزء الأول،  
 ص ١١، من المحتمل أنه بتغيير الحرف الساكن قد استخدم اللفظ الأول ليعنى الملابس.

(3) فى القاهرة وهى الشرق الديدار «حامل القلعة» أى السكرتير الأول، وه أسطى دار،  
 «وليس شئون القصر»، وطيودار «حامل البطة»، «جوكندار»، «حامل المشرب» لقب الكوة  
 من على صهوة الجواد، إلخ؛ انظر كتاب ساسى المذكور، المجلد الثانى، ١٧٨، ١٧٩، ٢١٨،  
 ٢٦٩ وكتاب كاترمير، المجلد الأول، ص ٢٥ وما بعدها وص ١٢١ وما بعدها.

(4) وثيقة عام ١١٦٧ واتى ذكرناها فى الكتاب الخامس، الفصل التاسع،  
 ص ٢٦٢، فى الهامش، وتعمل توفيق شخصى يدعى جاسبريس مارانوس  
*domini regis magister et familiaris*.

جرجيرو، *Considerazioni*، الكتاب الثانى، الفصل الثانى، لا يذكر مستندات ترجع  
 إلى عصر روجيرو خاصة بالقهرمان؛ ولم يجد دى بلازى المجتهد لها أثراً، وهو الذى  
 كتب بإسهاب عن المناصب الكبيرة فى المملكة، انظر كتابه: *Storia di Sicilia*، الكتاب  
 الرابع، الفصل الثالث والعشرين، المثال الثالث غير أن الكونت الأول روجيرو كان لديه  
 كبير قهرمانات.

تارة قائداً لجنود الحرس، وتارة أخرى أميناً أو سكرتيراً، أو محاسباً، بل وخادماً أيضاً<sup>(1)</sup>، مثل هراش وهي قد تعني في لغتنا من يرتب الفراش<sup>(2)</sup>، وكان هناك وصيف مسلم يتولى مراقبة المطبخ<sup>(3)</sup> وآخر يتولى الطراز.

وكانت تطلق تلك الكلمة الفارسية على الملابس الحريرية المطرزة وعلى المشغل الذي كانت تصنع فيه: وهذا جزء أساسي في بلاط المسلمين إذ أن الأمراء كانوا قد تمودوا على إهداء تلك الملابس تعبيراً منهم عن الرضا، أو إرسالها إلى كبار الموظفين، عند تعيينهم لتتصيبهم في مناصبهم بتلك الأزياء التي ترمز إلى التتصيب ذاته<sup>(4)</sup>، كما هو مألوف أيضاً في المسيحية في عادات لا تختلف عن ذلك. وقد تعين علينا أن نروى كيف أن روجيرو قد أرسل أزياء من هذه إلى الخائن الذي أهداه مدينة قابس<sup>(5)</sup>، ويتبقى من طراز بالرمو ديباج فخم ورائع، الجزء الأوسط منه شبه مستدير، مطرز بالذهب واللؤلؤ وبه شكل أسد يصرع جملأً وعلى أطرافه قد كتب بأحرف كوفية اسم روجيرو والقباه وتاريخ عاصمة صقلية وعام ٥٢٨ (١١٢٢)، وهذا الثوب الملكي قد انتقل إلى ألمانيا إما هدية من أحد ملوك صقلية، وإما لأن أريجو السادس قد نهبه: وهو الآن محفوظ في مدينة هيننا بين آثار امبراطورية شارلمان<sup>(6)</sup>، ونعلم من التاريخ كيف أن ذلك

(1) قادة رماة الأقواس، قد وقعوا في الوثيقة التي ترجع لعام ١١٧٢ والتي ذكرناها في الكتاب الخامس، الفصل التاسع، ص ٢٦٢، الهامش ٤. وفائد الزوج في البلاط الملكي قد ذكره مع موظفين آخرين ابن جبير في الجزء الذي ذكرناه منذ قليل.  
(2) وثيقة عام ١١٧٢ التي ذكرناها في الملاحظة السابقة.

(3) ابن جبير، الموضوع المذكور، وبالحذات في ص ٥٢٩ من *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨١٥ وفي ص ٢٦ من ملحق *Archivio Storico Italiano*.

(4) انظر محاسن، *Christometheic arabe*، المجلد الثاني، ص ٢٨٧ و ٢٠٥. لقد أضربنا إلى هذا الزى في الكتاب الرابع، الفصلين الأول والثامن، ص ٢١٥ و ٢١٦ من المجلد الثاني.

(5) الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص ٤٠٩.

(6) آخر وأختم إصدار لهذا الديباج، والذي أطلق عليه ديباج نورمبرج نسبة إلى المكان

المشفل قد زود(2) في عام ١١٤٧ بحسناوات من كورينثوس ومن طيبة وكان مزدهراً حتى عام ١١٨٠ عندما أُسرَ رئيسه الخاص إلى ابن جيهير بأن الفتيات المسلمات اللاتي في حظيرته غالباً ما كن يجذبن إلى الإسلام زميلاتهن من الفرنجة. ومن ثم يبدو أن روجيرو قد أراد أن يشرف بذلك الاسم حريم القصر الملكي(2). وقد استخدم هو أو من خلفه مظلة الاحتفالات تقليداً للخلفاء الفاطميين(3).

وهي البلاط الإسلامي كانت تسود العادات الشرقية الخاصة بديوان الكتاب العربي. وكانت تختلف على ما يبدو لى، عن الإدارة اللاتينية. فكانت الأولى مختصة بالاهتمام بشئون السكان، بينما كانت الإدارة اللاتينية تهتم بشئون المزارعين. وعلى حين كانت الإدارة اللاتينية تستخدم اللغة اللاتينية والتاريخ حسب التقويم الميلادي والخاتم بالألقاب الغربية. فإن ديوان الكتاب العربي كان يستخدم اللغة اليونانية تارة والعربية تارة أخرى. حسب الجمهور الذي يتعامل معه. وتارة للغتين معاً. وهي بداية الكتابات العربية أو باللغتين والتي لم تمهر بتوقيع روجيرو بخط يده. فكانت توضع، طبقاً للتقليد الإسلامي، العلامة، وهي عبارة عن شعار يختاره كل أمير ويكتبه كاتب خاص وذلك من أجل اعتماد الوثيقة. وكانت علامة روجيرو هي

---

الذي حفظ فيه حتى القرن الثامن عشر. قد قام به رئيس الديار بولك في الكتاب الذي يعمل عنوان: *Die Kleinodien des heil. rom.* ريجز، فيينا، ١٨٦٤. وبدأ من هذا الكتاب وهو كتاب ناصر لشمته، سوف أذكر كتاب جريجوريو *Rerum Arabicarum* من ١٧٢ والذي قدم رسم الكتابة وريزو الذي قام، بعد التصحيح، بنقلها وترجمتها، في *Journal Asiatique*، أبريل ١٨٤١، ص ٥٨٢.

(3) انظر في هذا الكتاب ص ٤١٩.

(2) ابن جيهير، النص، طبعة رايت، ص ٢٢٥ والمكتبة العربية - الصقلية، ص ٨١. وقد نشرت ترجمته إلى الفرنسية في *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨١٥، ص ٥١١ وإلى الإيطالية في *Archivio Storico*، العاشية المذكورة، ص ٢٧. أرجع إلى الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ٤٥٩ من المجلد الثاني.

(3) ابن حماد، في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٣١٧.

عبارة «الحمد لله شكراً لنعمة (1)». وقد قلد روجيرو الأمراء المسلمين تارة والأمراء البيزنطيين تارة أخرى، فلقب (2) نفسه في الوثائق «الملك المعظم القديس، وعلى العملات كان يذكر: «الملك المعظم المعزز بالله (3) وتارة كان يكتب «ناصر النصرانية (4)». ولا يبدو أنهم كانوا يلقبونه في القصر بغير ذلك إذ قال عنه الإدريسي: «الملك المعظم روجيرو المعزز بالله القوي بقدره الله (5)». ملك صقلية، وإيطاليا، ولومبارديا وكلايريا، (عماد) إمام روما، حامي الديانة

(1) وثيقة يونانية - عربية خاصة بكنيسة بالاتينا في مدينة بالرمو ترجع إلى 101 (1113) ومهورة بتوقيع جورجيو الأنطاكي - ومورسو الذي نشرها في Palermo antico. ص 202 وكاروزو الذي ساعد جارفالو في إعادة طبعتها في Tabularium الكنيسة نفسها. ص 12. قرا خطأ الكلمتين الأخيرتين وقد ترجمهما Laus Deo, excelso, magno. وقد صححتهما في الأصل الذي تحققت منه في أكتوبر 1860.

لقد حفظت لنا الوثائق كما حفظ لنا التاريخ علامات أمراء مسلمين كثيرين. في هذا الصدد انظر رينو. *Monuments... du Musée Blacas*. المجلد الأول. ص 109. و *Documents inédits sur l'Histoire de France. Mélanges*. المجلد الثاني. ص 52: ابن خلدون. *Histoire des Berbères*. ترجمة البيارون دي سلاز. المجلد الأول. ص 27 و 21 و 12. والمجلد الثاني. ص 92 و 197 و 266: التيجاني في *Journal Asiatique*. أغسطس وسبتمبر 1882. ص 163: القرطاسي. طهمة تورنجر. ص 190 و 202. من الترجمة اللاتينية إلخ. وفي ملاحظاتي عن ابن جبير قدمت علامة أخرى. *Journal Asiatique*. مارس 1866. ص 314. وتعملت عنها أيضاً في *Diplomi arabi di Firenze*. ص 68 وفي الأماكن المذكورة في الهامش. (2) الوثائق العربية - اليونانية بكنيسة كاتانيا والتي ترجع إلى شهرى سبتمبر ومارس 102 والتي حصلت على نسخة منها بفضل الأستاذ كوزا.

(3) سانجورجو مسبينيلي. *Monete Cufiche*. ص 11 و 12 و 17. رقم: 182 و 200 و 227 ونقود كثيرة أخرى؛ ويوجد كثير منها أيضاً في مجموعات أدلر وبيترانوفسكي وكاستيلوني ومارسدن وشاهدت كثيراً منها في مقر الحكومة بهاريس. انظر مورثيلارو. الأعمال الكاملة. المجلد الثالث من 106 إلى 110 حيث نلاحظ في العملة التي لم يسبق نشرها رقم 102. في ص 108 خطأ أكيداً في لقب روجيرو من البداية حتى النهاية.

(4) سانجورجو. المرجع المذكور. ص 17 و 18. رقم: 228 و 229.

(5) المقتر بقرنه، ولقب «المقتر» كان يلقب به أحد الخلفاء العباسيين. وأحد أمراء سرقسطة.

النصرانية (1)، وقد أطلق الشاعر عبد الرحمن الاطرابنشى على الضيعة الملكية «هيلادى مارى - دولشى» بالقرب من بالرمو، اسم «المعتمدية» (2). وهى الوثائق المحصورة باللغتين وقع روجيرو دائماً باليونانية وجعل تلك الألقاب تتخذ الطابع الشرقى من خلال العبارة التى كان يوقع بها: «روجيرو فى المسيح الإله، الملك المتدين القوى، حامى المسيحيين» (3). وهذه الصفة الأخيرة نجدها مترجمة أيضاً فى عناوين بعض الوثائق اللاتينية (4). ونلاحظ فى النهاية من خلال النقود ومن استخدامات الكتاب العرب المعاصرين أن روجيرو، وقد اتخذ لقب روجيرو الثانى قبل أن يتوج ملكاً، قد واصل تمييزه عن والده دائماً من خلال ذلك اللقب. على الرغم من أنه

(1) الإدريسى، النص، فى المكتبة العربية، الصقلية، ص ١٥. أضفت بين قوسين قبل إمام روما، كلمة عماد، التى نسبها التاسع. ونجد هذا اللقب فى لقب مماثل خاص بجوليلمو الثانى. فى الوثيقة المربية بكاندراتية بالرمو الصادرة فى ١١٧٧ (١١٦٩) وقد تكرر فى وثيقة كنيسة موريللى الصادرة فى ٦٦٨٦ (١١٧٨) ووثيقة ٦٦٩١ (١١٨٣). وقد نشر ثانيهما دى هارجه، فى *Journal Asiatique*، أكتوبر ١٨٤٥، وحصلت على نسختين للوثيقتين الأوليتين من الأستاذ كوزا، الذى اثبت عليه أنفاً. (2) فى المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٥٨٤.

(3) *Tabulario* فى الوثيقة الرائعة بكنيسة بالانينا فى مدينة بالرمو، والتى نشرها مونفوكون وأعيدت طباعتها فى *Tabulario* الكنيسة نفسها، ص ١٠ وفى أماكن أخرى، والتوقيع تقرأ فى الوثائق التى نشرها سبانا، *Pergamene greche*، ص ٢٢٤، ١٢٠ (انظر لقب كونت كلابريا وصقلية وحامى المسيحيين): فى وثيقة ترجع إلى ١١٢٢. وهى وثائق ترينيكيرا، *Syllabus graecarum membran.* ص ١٢٨ و ١٥٥ و ١٨٢، (انظر ص ١٠١ و وثيقة ترجع إلى ١١١٥، بلقب كونت كلابريا وصقلية وبلاد إيطاليا وحامى المسيحيين). وهكذا أيضاً فى الوثائق العربية - اليونانية لكتائس كتانيا وموريللى وشيغالو فى عهد روجيرو، والتى حصلت على نسخ منها من الأستاذ كوزا. انظر أيضاً المستندات التى ذكرها دى بلازى، *Storia di Sicilia*، الكتاب السابع، الفصل الثانى والعشرين. (4) وثيقة *Trinità della Cava* بتاريخ ١١٢٠ والسدى أرضه دى بلازى، الموضوع المذكور، ووثيقة أخرى ترجع إلى ١١٢٧ فى أخبار هالكسونى البينطشى فى كتاب كازورو، *Bibl. Sicula*، ص ٢٦٧. انظر كذلك بعض الوثائق الأمسية اللاتينية فى كتاب بيريو، إلا أن خاتم الملك اللاتينى، كما هو معروف كان مكتوب عليه فقط: *Rogierus Dei gratia rex Sicilie ducatus Apulie et principatus Capue.*

كان أول ملكه (1).

ولعل روجيرو لم يفكر أن هوايته العلمية سوف تثمر له مجداً عظيماً شأنها في ذلك شأن اهتمامه المستمر بشئون الدولة ومتاعب الحرب. وبالإضافة إلى ذلك فإن أوروبا المتحضرة إذا كانت لم تلمس اليوم نسياناً كاملاً مؤسس الملكية الصقلية، فإنها تشرف وتكرم بدرجة أكبر الأمير العالم الذي يرجع إليه الفضل في أعظم كتاب جغرافى في العصور الوسطى. وإذا ما كنا قد ناينا عن تناول أهمية هذا الكتاب أشاء تعرضنا للجانب العلمى والأدبى في هذه الحقبة؛ فإننا نتمرض للجانب الذى يخص كل مؤلف من المؤلفين الا وهما: الإدريسى والذى يحمل الكتاب اسمه، والملك الذى ينسب إليه رجال العلم المسلمون الكتاب فيسمونه «كتاب روجيرو»، بالإضافة إلى

(1) الإدريسى. في المكتبة العربية . الصقلية. النسخ. ص ٢٧. يقول إنه عند وفاة الملك روجيرو، ابن تنكريدي، ورث الدولة عنه ابنه الملك روجيرو الثانى. وإذا ما تركنا جانباً، كما نبهت في الكتاب الخامس، الفصل العاشر، ص ٢٢٧ وما بعدها في هذا المجلد، التفرد المنسوبة إلى الكونت روجيرو الأول وإلى روبرتو جويسكارنو والدوق روجيرو. ابن الأخير. والتي من وجهة نظرى يجب مراجعتها كلها. فإننا نجد عملات عربية ليست بالقليلة ترجع بلا شك إلى الملك روجيرو والتي يمكن أن تكون قد ضرت قبل تنقيحه. وأقصد بها العملات التى توجد على أحد وجهيها الصيغة الإسلامية وعلى الوجه الآخر حرف T وتقرأ بأحد جانبيها: بأمر فوق روجيرو وعلى الجانب الآخر الثانى: وهى عملات ذهبية ليست نادرة، وقد شاهدت الكثير منها في قسم العملات بباريس؛ ونلاحظ العبارة نفسها ونوع حرف T نفسه مع قليل من الاختلاف في أشكال كتاب سانجورجو سبينيللى. اللوحة ٥ من ١ إلى ٩. واللوحة ٦ من ١ إلى ١١. واللوحة ٧ من ١ إلى ٧ و ٢١ و ٢٥ و ٣٦ واللوحة الرابعة والعشرين ٢٠ و ٢١ واللوحة السابعة والعشرين من ٣ وإلى آخرها واللوحة رقم ٢٨ من ١ إلى ٩. وقد قرأت الشئ نفسه بكل وضوح في ثلاث مجموعات لعملات متحف نابولى أرسلها منذ قريب فيوريللى ولا أعلم إن كانت ضمن العملات التى نشرها سانجورجو. ولا أعتقد أن العملة رقم ١١٨ بمتحف نانتانو في اسيماني أو رقم ٦١ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ التى نشرها أدلر تختلف عن ذلك. واستطيع أن أؤكد ذلك. بعد ملاحظتى الدقيقة في شهر أكتوبر ١٨٦١ للعملة ٦٥ المعنونة في متحف بارما. ويبدو لى على وجه العموم أن لقب «بأمر» الذى قرأه البعض «أمير» والثانى، وهو في الغالب مشهور، قد تم تفسيرهما خطأ ب «أمير» و«الذوق» «النوماني» التى استعملها موريلارو في *Medagliere arabo-siculo*. ص ٥١. وأمراء صقلية الذين منحوا لقب «أمير» لأحد وزرائهم، لم يطلقوه بكل تأكيد على أنفسهم. ولا يمكن أن يكونوا قد شوهوا اسم سلالتهم وفصيلتهم.

عنوانه الأصلي وهو: «نزهة المشتاق»....

لا تتحدث المذكرات المسيحية عن هواية الملك هذه وحيه للدراسات الجغرافية، والتي فسرها تفسيراً سيئاً فالكوني البنفتشي حيث يروى الحكاية التالية: عندما دخل روجيرو نابولي مظفراً بالنصر في أواخر سبتمبر من عام ١١٤٠، قضى ليلة بطولها وهو يقيم قطر أسوار المدينة؛ وفي اليوم التالي ظل يتحدث مع كبار المواطنين في شأن إقرار الإعفاءات الضريبية، وذلك ليظهر تعاطفه مع أحوالهم تعاظفاً كبيراً وسالهم: «هل تعلمون كم هو طول محيط مدينتكم؟» ولما ردوا عليه بالنفي، أجابهم: «سوف أوضحه لكم، هو ألفان وثلاثمائة وثلاث وستون خطوة بالضبط» (1).

يصف الإدريسي تكوين الكتاب بتفاصيل مهمة (2)، ويقول إن الملك كان عالماً ضليعاً في «العلوم البحتة والعلوم التطبيقية» (3)، أي في الرياضيات والعمليات الخاصة بالإدارة العامة؛ وأنه في هذين الفرعين من العلوم قد «ابتكر طرقاً حديثة ومناهج أصيلة.. ولما اتسعت مملكته فإنه قد «أراد أن يعرف بالضبط وبالتأكيد ظروف كل بلد خاضع لمملكته: ما هي حدوده، وطرق مواصلاته برأ وبحراً، وإلى أي إقليم ينتمي، وما هي البحار التي يطل عليها وما هي خلجان أراضيه. كما أراد أن يعرف كل بلد آخر وكل منطقة من الأقاليم السبعة التي ابتكرها الفلاسفة وحددها الرواة والمؤلفون في رفوفهم» (4)، وأراد أن يبحث ويعرف إلى أي مدى تدخل كل دولة في كل

(1) فالكوني البنفتشي في كتاب كاروزو، Bibl. Sicula، ص ٢٨٠.

(2) انظر: المكتبة العربية، الصقلية، ص ١٦ وما بعدها، ونقرأ ملخصاً غير دقيق لهذا الجزء من المقدمة في نص م. جويهر الفرنسي، المجلد الأول، من ص ١٦ إلى ١٨.

(3) رياضيات وعمليات، وطبقاً للكتاب العرب للترجمات، فإن الكلمة الأولى تشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى؛ والثانية تشمل الأخلاق والاقتصاد المطلق، والإدارة العامة وواجبات الملوك والوزراء. وفي العرب، وقد ترجم السيد جويهر، ص ١٨، الكلمة الثانية إلى «أدب»، وهو خطأ جسيم ناتج عن خطأ في المخطوطة.

(4) دهاتير، بخصوص هذا اللفظ، انظر الكتاب الخامس، الفصل العاشر، ص ٢١٧ من هذا المجلد.

إقليم». وبعد أن يحدد الإدريسي اثني عشر مبحثاً جغرافياً، ما بين قديم وعربي، ثم جمعها بأمر من روجيرو، يستطرد الإدريسي قائلاً: «وقد لاحظنا فيها جميعاً اختلافات، وأغفال وأخطاء؛ وإن علماء الجغرافيا، بعد أن دعاهم روجيرو خصيصاً وسألهم في الموضوع كان جوابهم أنهم لا يعلمون أكثر من الكتب. عندئذ استدعى روجيرو من كل أنحاء ملكه رجالاً خبراء قد ألفوا الترحال والتجوال وأمر أن يستجوبهم واحد من وزراءه<sup>(1)</sup> مجتمعين ثم واحداً واحداً. وأن يتم اعتماد المعلومات التي يتفق عليها جميعهم وأن يتم التفاضل عن كل ما يختلفون فيه. واستمر هذا الفحص والتدقيق خمسة عشرة عاماً لم يمض يوم منها دون أن يسهر الملك ويشرف بنفسه على العمل ويطلع على المعلومات التي تم جمعها ويقوم بتدقيقها. وبالتالي فقد أراد أن يتحقق بنفسه إذا كانت خطوط الرحلات تتفق اتفاقاً دقيقاً مع ما جاء في التقارير<sup>(2)</sup>. وعليه فقد

---

هذا اللفظ غير المعتاد، وغير المستخدم هنا لضرورة القافية، يجعلني أفكر في أن المؤلف أراد الإشارة إلى الطرائف الجغرافية. ومع ذلك فقد ترجمته بصورة متواضعة «رق» بدلاً من «سجلات» أو بشكل أعم «كتابات».

(2) المعنى الصريح قد يكون أن المدعوين كانوا جميعاً خاضعين لروجيرو وأنه كان يسألهم عن أخبار بلادهم غير أن الأمر يتعلق بكل وضوح برحلة عاديين. أو على الأقل رحلة إيطاليين وتنايرير خاصة بالأقاليم كلها التي يعرفونها. والإدريسي، الذي كان يكتب للعالم الإسلامي، كان يصور روجيرو وكأنه ملك إيطاليا كلها. بل وكأنه إمبراطور القربى. لقد ترجمت لفظة «واسطة» ترجمة عامة «وأيض» والكلمة تثنى بالضبط «وسيط»، والتي ترجمها السيد جوبير *interprète*. لكن المصاحم أو الواقع العاصي أو استخدام الكتاب المحدثين لا يمكن أن تؤدي إلى هذه الترجمة وتؤكدنا. ونزل فترة من المطبوعين وملاحظة للسيد دي ساسي، *Chrestomathie Arabe*، المجلد الأول ص ٩٤ و ١٦٦ على أنه تحت حكم الفاطميين في مصر كانت كلمة «واسطة» تثنى أمين الدولة. وأحياناً كان رئيس الوزراء يلقب أيضاً «واسطة». وعلى كل حال فالأمر يتعلق هنا بشكل واضح بمدير الإحصاء في سكرتارية الملك: إن لم يكن الإدريسي نفسه هو «واسطة» وإن لم يستخدم هذا اللفظ الذي لم يكن يقابل أي منصب من مناصب الدولة.

(2) حرفياً «طول المسافات وعرضها» أي خطوط الطول والعرض؛ وفي الواقع فإن خبراء الأماكن لم يستطعوا تحديد المسافات إلا من خلال الطرق المبرهنة وأنجاهات الطرق نفسها طبقاً لاتجاه الرياح؛ وهذا ما نجده بالضبط في جغرافية الإدريسي: غير أن درجات الطول والعرض. كان لابد وأن يرجع بشأنها إلى قداماء الفلكيين أو إلى الأحياء



احضر لوحة مدرجة (1)، ونقل إليها بالفرجار تلك المسافات واحدة فواحدة أخذاً في اعتباره الكتب التي تم ذكرها منذ قليل وقد وازن بين الآراء المختلفة. وقد درس تلك البيانات المعقدة دراسة مستفيضة حتى إنه قد توصل بنفسه إلى المواقع الحقيقية. وعندئذ أمر بصب قرص عظيم مقسم إلى مقاطع (2)، أمر بصبه من الفضة الخالصة حتى إن وزنه كان ٤٠٠ رطل إيطالي. يعادل كل منها ١٢ درهماً (3) وأسر

نهم. ثم كان ينمن التحق من خرائط الطول والمرض من المسافات التي ذكرها الطبراء في هذا المجال تحققاً متبادلاً، وهذا بالضبط هو ما قال الإدريسي عنه إن روجيرو قد أمر بنقل المسافات بالفرجار على خريطة سطح الهامة المدرجة والتحقق بنفسه من التطابق والتوافق فيما بين التوحات والمسارات وتحديد موقع الخطأ إذا كان هناك اختلاف بينها. على كل حال فإنه لا تبدو لي الترجمة الفرنسية دقيقة. في الصفحة العشرين *"Ensuite il voulut savoir d'une manière positive les longitudes, les latitudes etc."*

(1) «لوحة الرسم، هذه العبارة تبدو لي عبارة عامة. النص يذكر «لوحة الترسيم» والتي تعني «لوحة الرسم والتخطيط أو صورة تخطيطية مسومة أو ما شابه ذلك». وكما هو واضح لم يكن الموضوع مجرد ورقة رسم. وإنما ورقة مخطوطة، سواء كانت مدرجة فقط، لوضع وتحديد المعالم الجغرافية عليها. أم كانت مرسومة ومحددة القفاط الرئيسية الخاصة بفرض التحقق منها مع مقارنتها بمسافات المراحل. وسوف أشرح بإسهاب مفهوم هذا في الفصل العاشر. ص ٦٧٨ و٦٧٤ وهي حواشيها.

(2) «متصل» إنما تعني بالضبط مقسم إلى أجزاء أو مكون من أجزاء متنوعة. لكني ابتعد عن رأي استاذي العلامة السيد رينو والذي كان يعتقد أن القرص الفضي كان مقسماً إلى درجات. لكني يتم حفر صورة الأرض عليه. ويستخدم الإدريسي ذاته صيغة «فصل» بمعنى قطع. وقد استخدم هذه الصيغة في وصف تشغيل الفرجان في سبتة (دورج ودي جوجيه. *Description de l'Afrique, etc. par Edrisi*. ص ١٦٨ في النص وص ٢٠١ في الترجمة). وكانت تلك الخريطة الجغرافية لسطح الهامة قطعة واحدة من الفضة تزن ١٥٠ كيلو جراماً وكان قطرها مترين تقريباً مما يجعلها صعبة الاستعمال.

(3) الوزن الذي يطلق عليه درهم قد اختلف ولازال يختلف في البلاد الإسلامية، ومتوسط الفرق بين الدراهم الحديثة في مصر، وحب والمغرب، مع التجاوز عن الكسور الصغيرة جداً. إنما يعادل ٢,٢٥ جم. ويضرب الرقم  $\times ١٢$  للحصول على الرطل المروسي. أي الرطل الإيطالي. أي أزيد بقليل من ٢٧٥ جراماً. أي أقل بـ ١٢ جراماً من الرطل في مدينة بولونيا وأزيد بـ ٢٦ من الرطل في مدينتي روما وفلورنسا، ووزن الكرة المستديرة يصل إلى ١٥٠ كيلو جراماً؛ إذا ما اخترعنا سمكها خمسة ملمترات وإذا ما أخذنا في اعتبارنا نوعية «الفضة» التي تحدث عنها الإدريسي فإن القطر يصل إلى متر و٩٠ سم وفقاً للخصائص التي قام بها. بناء على طلب. الصديق السهناور بروسكي.

بأن تحضر عليه الأقاليم السبعة بمناطقها وبلدانها، ومساجلها البحرية ومرتفعاتها وخطجانها وبحارها وبنانيها وأنهارها، وأراضها المأهولة، وأراضها غير المأهولة والطرق المطروقة بأطوالها بالميل والمسافات (البحرية) والموانئ؛ وبهذا الحضر نقل الخريطة الجغرافية المسطحة لسطح اليابسة التي تم تخطيطها على اللوحة، وأمر في النهاية بأن تتم كتابة وصف مطابق لأشكال الخريطة، مع إضافة ظروف كل بلد وكل ريف؛ وطبيعة الخلق(1)، والأرض والموقع والشكل والبحار والجبال والأنهار والأرض الجرداء والأرض المزروعة والمنتجات الزراعية والطرز المختلفة للبناء، والآثار، وأنشطة البشر والفنون المزدهرة والبضائع التي يتم إدخالها، أو التي يتم إخراجها، والمعائب التي تروى والمعائب المفترضة؛ وفي أي إقليم يقع هذا البلد وكل صفات سكانه: الملامح والطباع والديانات ووسائل الزينة والملابس واللغة. إن المخطوطات التي وهبت لنا النص مع وجود اختلافات ضئيلة تتباين وتختلف بشأن عنوان «نزهة المشتاق» الذي وضعه الإدريسي حسيما جاء في أحد المخطوطات، أما المخطوطان الآخران، وبينهما الأقرب إلى الأصل، فينسبان هذا العمل إلى روجيرو نفسه(2)؛ ثم يتفق الجميع فيما قد نسميه نحن

(1) اعتقد أن كلمة «خلق» تتفق تماماً مع هذا المقام وتسمى الخلقة بوجه عام و«الشيء المروى والمنسوق» إلخ، بنوع خاص؛ حتى أنه يقتصر أحياناً على الكلمات المتعلقة حسب الرأي الإسلامي أي الإنس والجن.

(2) نقرأ المقدمة بالكامل في المخطوطات التي حيدتها انا بالحرفين أ، جـ. (المقدمة، المجلد الأول، ص 11، والمكتبة العربية، الصقلية، النص، ص 11، الهامش 1) ويتفق بعض السطور في المخطوطة د، وإليك الآن ترجمتي للقرائد الثلاث: أ - ... المجلس واللغة، وقد عنوانت هذا الكتاب بعنوان «نزهة ...»، وقد تم جمعه، وتنسيقه وإخراجه وتجليده في أواخر شهر شوال من عام 548 هـ. إلخ. جـ - ... المجلس واللغة؛ (ويستطرد القول بالحكم وأمر المؤلف) أن بعنوان هذا الكتاب «بالنزهة» إلخ وهكذا فقد أعطت وتلفت هذا الأسر؛ وما أنا أبداً أول شيء، ألا وهو تناول صورة الأرض....

د - تنقص في الأوراق الأولى المقدمة حتى كلمة «هذا»، والتي تروى أثرها منها وبلى ذلك، «ت» ب (العنوان) كتاب «نزهة» إلخ وهذا ما كان في العشرة أيام الأولى من يناير.

نشر الكتاب الذي تم في النصف الأول من يناير من عام ١١٥١. أي قبل وفاة الملك بحوالي خمسة أو ستة أسابيع.

وتلك الوفاة التي جاءت بعد مرض طويل ألم بالملك، تجعلنا نفترض أن الإدريسي قد استعجل وتمجل كثيراً في العمل ليقدمه له، ولهذا السبب خرج الكتاب غير كامل ولا يفي بمقاصد الملك ولا يدل على الوسائل التي كان يتيحها الملك ذاته. إلا أننا سوف نتحدث عن ذلك بشكل أفضل في موضعه وإذا ما استبعدنا من كلمات الإدريسي، كلمات المديح والبلاغة، فسوف نقرا جميعاً كيف أن العالم الأفريقي قد صاغ الوصف بعد أن جمع ونسق التقارير الشفوية وقارنها بالمباحث الجغرافية؛ وأنه ربما قد قدم النصح حول الدراسات التي يتعين القيام بها وحول المنهج؛ غير أن الفكرة والدافع والترتيب ولما لا؟ والتعاون الوثيق. إنما يرجع الفضل في هذا كله إلى روجيرو الذي اتحدث في فكره التقاليد الإسلامية بالتقاليد البيزنطية واللاتينية.

---

الموافق شهر شوال من عام ٥٤٨. وما أنا أطيع وأخضع لهذا الأمر وبدأت أول شيء ألا وهو تناول موضوع صورة الأرض، إلخ.

يتبقى أن نشرح في هذا المقام الكلمة العربية التي أشرت إليها بالأحرف «د، ت، ب»، وهي حروف سالكة دون الأحرف الدالة على الحركة، وقد سقطت تلك الأحرف ربما خطأً مني أو من عامل المخطوطة. قد سقطت في نص المكتوبة، في السطر العاشر من ص ١٩. وحيث إننا لا نستطيع أن نفترض أن الكلمة قد كتبت خطأً في مثل هذه المخطوطة الرائعة وهي موضع بارز من النص. فإنه بدلاً من كلمة كتاب والتي تأتي بعد ذلك مباشرة فإنني أرى أنه ينبغي أن نقرا «كتب» وبذلك يكون المعنى بالكامل هو وقد (أمر الملك) أن يهون هذا المكتوب: كتاب نزهة، إلخ.

والآن يرى الجميع أن المخطوطتين «د» و«ج» تنتميان إلى فرع مختلف عن المخطوطة «أ» وإن أقرب المخطوطات إلى الأصل. هي المخطوطة «د» حيث نقرا شهر يناير لأن هذا اللفظ غير العربي، لم يلهمه ناسخ المخطوطة «ج» جيداً فأعمله: ولأن ناسخ المخطوطة «أ» قد اتبع نمطاً مختلفاً صدر على ما يبدو عند هرب المؤلف أثناء اضطرابات عقلية فابتدع أو ادعى ابتداء ذلك العنوان. وإذا ما تم نشر النص الكامل لكتاب «نزهة المشتاق» فسوف يرى العلماء بشكل واضح الفرق بين المخطوطات الثلاثة التي تم ذكرها والمخطوطة التي حددتها بحرف «ب»، والتي لم نستطع تلك طلاس التسمية فيها. وبالمعنى. أنني عند مقارنة مخطوطتي بوليفتا، لم أستطع، لضيق الوقت، أن أسجل بدائل الكتاب كله أو أجزاء كبيرة منه. إن شهر شوال ٥٤٨ الموافق ٢٠ ديسمبر ١١٥٢ وحتى ١٧ يناير ١١٥١.

وبالمبقرية العالمية الخاصة بالنورمان وبحب المعرفة الإحصائية التي كان يتمتع بها الأمير والقائد (17). وتتفق مع هذا أخبار الصفدي الدقيقة. إذ يقول إن روجيرو، أو أوجيرو، حسب قوله، بسبب حبه للعلوم الفلسفية القديمة، قد طلب حضور الشريف الإدريسي من إقليم عدوه (18) وجعله يقيم عنده وينجو من الأخطار التي كانت تحيط به بسبب أصله الملكي في بلاد المسلمين في الغرب؛ وقد خصص له روجيرو راتب أمير، وكان يكرمه لدرجة أنه كان ينهض واقفاً عندما كان يحضر الإدريسي إلى البلاط، ويذهب لمقابلته ويجلسه إلى جواره. وكان أول ما فعله الإدريسي هو أنه شيد للملك كرة حلقية ضخمة من الفضة وحصل من وراثتها على مكافأة بالملايين (19). «تساور روجيرو بعد ذلك مع الإدريسي حول أفضل الطرق من أجل تدقيق المعلومات الجغرافية تدقيقاً مؤكداً، دون النقل من الكتب؛ واتفق الاثنان على أن يتم إرسال رجال حكماء علماء إلى دول المشرق والمغرب يصحبهم رسامون ليرسموا صورة كل شئ هام؛ وقد أرسلهم الملك بالفعل، وكان الإدريسي، عندما كان أولئك يحملون إليه رسوماتهم، يقوم بتحقيقها؛ وبعد جمع التقارير والرسومات، قام بتأليف الكتاب وسماء نزهة» (20). إذن لقد كان ذلك العمل عملاً

(17) إن أعظم عمل علمي تتناول هذه الجغرافية، هو كتاب لسلوبل، *Géographie du moyen-âge*، المجلد الأول، من ص ٩٢ إلى ١٠٧ 55 ٥١ وحتى ٦١ وفيه يسلم بتأثير المعارف الجغرافية القريبة واشتراك روجيرو مشاركة مباشرة. (18) هكذا كان العرب في القرون الوسطى يسمون الجزء الساحلي من أفريقيا الشمالية ما بين تونس ورأس سبارتل.

(19) لا أعتقد أن الصفدي قد اختلط عليه الأمر بين الكرة الحلقية التي وصفها بكل دقة والكرة الأرضية التي تكلم عليها الإدريسي في المقدمة. ووفقاً لكتاب الترجمة فإن الملك قد أرسل إلى الإدريسي، لكي يشيد الكرة، قطعاً من الفضة وزن ١٠٠٠٠٠ درهم وأنه قد استخدم ثلثها وقامش منها الثكنان الآخران. وقد أهداهما روجيرو للإدريسي. ثم أضاف إليهما مائة ألف درهم أخرى وسفينة مجهزة بالنفائس اللاتينية القادمة من برشلونة. (20) النص: المكتبة العربية - الصقلية، ص ٦٥٢. ٦٥٨. وهناك ترجمة جيدة إلى اللغة الفرنسية لهذا الجزء في كتاب السيد رينو *Géographie d'Aboulfida*، المجلد

جماعياً، قامت به ما يشبه الأكاديمية التي اسمها روجيرو في بلاط بالرمو ورأسها هو بنفسه. وكان سليل آخر خلفاء قرطبة أمينها الدائم، إذا ما صح أن نطلق أسماء جديدة ودقيقة على أوضاع خاصة بالمصور الوسطى. ويرى الجميع بعد ذلك أن الإدريسي قد غطى شيئاً فشيئاً على صورة روجيرو لدى الأدباء المسلمين وإن كانت ذكرى ذلك الملك لاتزال موضع التكريم والتقدير<sup>(1)</sup>. ولما لم تتم ترجمة الكتاب إلى اللاتينية، بسبب وفاة الملك المفاجئ، فإن أوربا قد حصلت عليه بعد خمسة بل بعد سبعة قرون، باسم الذي قام بجمعه ولعله سيبقى باسمه أبداً. وهكذا فإن حظ المؤلف الملك هو عكس حظ عظماء يومنا هذا الذين يجهلون غيرهم يكدحون ويتعبون وينالون هم المديح والشاء.

عندما سنأتي لتناول بالتفاصيل تاريخ الأدب في ذلك العصر، سوف نلاحظ آثاراً أخرى لأكاديمية الملك روجيرو وإسهاماته الحكيمة. ويكفينا في هذا المقام أن نشير إلى الرجال وإلى المؤلفات التي تنسب إلى تلك الأكاديمية. بالإضافة إلى الإدريسي، نحن نرى في البلاط الملكي في بالرمو، أبو الصلت أمية من دانيه، وهو طبيب، وعالم في الميكانيكا، وفلكي، ودارس للعلم الذي كان القدماء يسمونه الموسيقى، وشاعر وكاتب: وقد طاف أبو الصلت، شأنه شأن الأدباء المسلمين، بكل القصور المحبة للعلم والفرس، وانتقل من القاهرة إلى بالرمو ومنها إلى المهدية قبل أن يحتلها الصقليون، ويبدو أن غيره هو مخترع الساعة المائية، التي تم إبداعها بأمر من روجيرو، كما يشهد على ذلك لوح حجري منقوش بلفات ثلاث في كنيسة القصر بمدينة

(1) شهاب الدين عمري، وهو عالم كبير من علماء القرن الرابع عشر، وعندما يذكر كتاب «نزهة المشتاق»، فإنه يقول إنه أفضل كتاب يعرفه في الجغرافيا، ويستمدح روجيرو عالماً عظيماً في الفلسفة القديمة وفي الهندسة ولكونه فحشياً وقتاً طويلاً، وأنفق مالاً كثيراً في تاليف ذلك العمل العظيم. انظر المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ١٥٢.

بالرمو وبناء على خبر نقله إلينا القزويني. واعتقد أنه بفضل تشجيع الملك روجيرو قد تمت الترجمة اللاتينية لكتاب الضوء لبطليموس، التي قام بها الأدميرال إوجينيو عن ترجمة عربية للنص اليوناني وأيضاً تبوّأت سيبيللا إريتريا، والتي قام بترجمتها كما قالوا من الكلدانية إلى اليونانية دوكسوباترو وترجمها إوجينيو نفسه من اليونانية إلى اللاتينية. ويبدو أن دوكسوباترو هذا هو نيلو الذي وصل إلى بلاط روجيرو قادماً من القسطنطينية، وهو مؤلف الكتاب الشهير الخاص بمقار البطارقة؛ وهو كتاب معاد للبابا، إذ إنه قد برهن على أن بابا روما قد صارت له الغلبة في المسيحية لأن روما كانت عاصمة الامبراطورية وبالتالي فقد فقدت تلك المكانة عندما انتقلت عاصمة الامبراطورية إلى القسطنطينية. وأن أساقفة صقلية قد خضعوا للبطريرك البيزنطي حتى فتح الكونت روجيرو للجزيرة. ولن نؤكد أن الملك قد كرم نيلو دوكسوباترو بسبب هذا العمل التاريخي والديني، أكثر من تكريمه له بسبب ترجمته لسيبيللا إريتريا. وتسرّى في كل قرن، بعض الشطحات العقلية، سريان بعض الأمراض، ولا تسلم من ذلك بعض العقول العظيمة؛ ولدينا على ذلك مئات الأمثلة ما بين قديمة وحديثة: وكان روجيرو، مثلهم في ذلك، فقد اعتقد في العلوم الخفية. ويروي داندولو أن فلوكياً إنجليزياً سنّ السمعة قد جعله بناءً على طلبه يعثر على عظام الشاعر اللاتيني فرجيليو في صخرة التل بالقرب من نابولي وأن روجيرو قد أمر بإيداعها في قلعة ديلوفو، على أمل منه أن يجبر روح فرجيليو بالتعميدات على أن تبوح له بقوة السحر الأسود (1)، كما يشهد ابن الأثير على هذيان الملك هذا ويروي مشهداً حياً من مشاهد القصر الملكي في بالرمو، ذات يوم وبينما كان الملك يجلس مع خاصته في مقصورة بالقصر تطل على البحر شاهد سفينة عائدة من الساحل

(1) في كتاب موراثوري، *Ret. Italic.* المجلد الثاني عشر، ص 247.

الأفريقي وعلم منها أن جيش الملك قد قام بفقرات دموية في ضواحي طرابلس. كان يجلس إلى جوار روجيرو عالم مسلم جليل، كان روجيرو يكن له احتراماً أكثر من أي رجل آخر بالقصر ويفضله على القساوسة وعلى الرهبان، حتى إنه قد انتشر خبر يقول إن الملك مسلم لا أكثر ولا أقل<sup>(1)</sup>. وعندما ظهر أن العالم لا يعرف أخبار طرابلس الجديدة، فقد سأله روجيرو: هل فهمت؟ ولما رد عليه بالنفي، أعاد عليه الرواية مرة أخرى وسأله ضاحكاً: «أين كان إذن محمد عندما كان المسيحيون يهاجمون شعبه؟» أجابه الشيخ المسلم الجليل: «هل تريدني أن أقول لك بحق أين كان؟» إنه كان يفتح مدينة أيديسا حيث كان المسلمون في تلك الساعة وفي ذلك الموضع يهاجمونها. وانتفجر المسيحيون ضحكاً؛ غير أن روجيرو بعد أن استعاد جديته ووقاره قد نصحهم بالآ بهزوا بالموضوع، إذ أن ذلك الحكيم لم يقل شيئاً إلا وتحقق. وبالفعل. بعد بضعة أيام علموا بأن زنجوى، والد نور الدين، قد احتل أيديسا<sup>(2)</sup>. ويحضرني الآن أن ذلك العالم الجليل لم يكن سوى الإدريسي نفسه.

ولم يكن ممكناً في مثل هذا البلاط أن يغيب عنه الشعراء العرب. وعلى الرغم من أن بعض المسلمين ومؤلفي المختارات الشعرية، قد حذفوا أبياتاً كثيرة كان يهمن أن نقرأها، فإنه توجد لدينا مقتطفات من القصائد التي قدمها إلى روجيرو عبد الرحمن بن رمضان المالطي. والنحوي أبو حفص عمر وأبو الضوء سراج، وعبد الرحمن البوتيري، وابن بشر بن المهدي، وعبد الرحمن الأطرينشي؛ وكان الاثنان الأولان، عندما تعرضا للاضطهاد، قد توسلا إلى الملك

(1) يؤكد الاتهام جوفريو دا فينزيو (في كتاب كاروزو، Bibl. Sicula، ص ٩١٧) قائلاً: "Rogerius Paganus erat de more vocatus".

(2) Annali، عام ٥٢٩. النص في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٨٨ وفي طبعة تورنجر، المجلد العاشر عشر، ص ٦٦. انظر أيضاً ترجمة السيد رينو الفرنسية في Extraits des auteurs arabes, etc. relatifs aux Croisades، ص ٧٧.

يطلبان حلمه وعضوه؛ أما الشاعر الثالث فأراد مواساته في وفاة ابنه؛ أما الشاعران الأخيران فيمدحان الملك الكريم ويصفان قصره الفخم وبساتينه والحياة الرغدة في البلاط الذي اعتادوا التجول فيه، ويصفان الكؤوس المليئة بالخمر الأشهب وعزف المود الذي يصاحب صوت المنفنين الذين يشبهون أشهر مطربي البلاط الأموي في دمشق.

وتظهر عبقرية الحضارة التي تلالأت طوال حياة الملك روجيرو في آثاره التي خلدها الزمن وهي: كاتدرائية تشيفالو، وكنيسة القصر في بالرمو، ودير سان جوفاني دلي إزيميتي في المدينة نفسها، والمقابر المشيدة بالرخام السماقي في كاتدرائية بالرمو وبعض النقوش العربية التي ورد فيها اسمه. وتوجد بقايا بعض المباني الأخرى التي أقامها شاهدة على رشاقتها وعظمتها: وأقصد بها هيللا فانافارا، أي هيللا ماري دولتشى وهيللا التاريللو دي بايدا، وكلاهما على أبواب بالرمو. ويروي لنا المؤرخون وتذكر الوثائق أخباراً تفصيلية عن آثار أخرى بنيت بناءً على أوامره، ومنها على سبيل المثال جانب من القصر الملكي في بالرمو، ودير السلقاتوري في ميسينا والذين تصعب مشاهدة آثارهما بين المباني والمنشآت التي أقيمت فوقهما. ومن المؤكد أن روجيرو لم يبدع الفنون كلها التي ازدهرت في صقلية منذ المصور الإسلامية ولكنه أعادها للحياة بعد أحداث الحرب وكان أول مشجع على إبداع غيرها: فالآثار الصقلية التي ترجع إلى النصف الأول من القرن تحمل بكل تأكيد بصمات عبقرية هذه استطاعت أن تجمع وترتب وتصلح، وتكشف لنا الزخرفة ونسبها الجميلة الجديدة وخفتها وراؤها عن وحدة فكرية وإحساس بالجمال وشموخ النفس والكرم في الإنفاق مما يؤكد على أن أول ملوك صقلية كان هوباً وعظيماً في كل شئ.



## الفصل الرابع

خلال فترة مُلك روجيرو، الطويلة، المليئة بالنشاط، تغيرت أحوال الجزيرة الاجتماعية عما كانت عليه في السنوات الأولى من القرن الثاني عشر. فعند منتصف القرن تقريباً، كانت الجزيرة قد امتلأت بالمستوطنين المسيحيين، كما ازدادت ثرواتها مع حركة التجارة مع أفريقيا والحمالات الصليبية؛ أما عن فتح أراضي البر الإيطالي، وما أحدثه من ردود فعل داخل الحكومة، فقد أدخل عناصر جديدة بالبلاط، الذي أصبح بالفعل جهازاً رئيساً بالدولة، نظراً للخدمات العامة التي كانت تتمركز فيه: لقد كان جهازاً عظيم الشأن، يتألف من أصول مختلفة جعلت المصالح المشتركة منها كياناً متجانساً؛ وعلى ذلك، وباستثناء بعض لحظات من الفهرة، كان يتأخى فيه كبار الأساقفة مع المعتوقين المسلمين، ورجال الإكليروس القادمون من وراء الجبال مع بورجوازي منطقة بوليا، والقادة الفرنسيون مع قراصنة ميسينا اليونانيين. وما أن غابت يد الملك الثابتة، تلك، حتى أخذت الأطراف الجديدة في التفكك. وسواء كان هناك دافع أم لا، فقد أخذ نظام الإمارات الصغيرة يحاول استعادة سلطته بالبر الإيطالي، وأحداث التغيرات في صقلية أيضاً. وأراد البلاط أن يتمسك تحت اسم جوليلمو، بالسلطة التي كان يمارسها تحت حكم روجيرو، وكان أن تمسك به المسلمون، وكذلك أقدم الأجناس ممن سكنوا الجزيرة، وفي كل المملكة تمسك المواطنون الباحثون عن الأمان والحرية بالبلاط؛ إلا أن البارونات أيضاً، كان لهم مناصرون في المدن، يتميزون أحياناً بمشاعر الحق الذي يشتغل دائماً تجاه الحكومة وما يمكن أن تحبطه من مصالحهم. كما أن شعوب المدن الكبيرة ومعهم أهل الجبال من اللومبارد، كانوا ينحازون لنظام

الإمارات، كرها للمسلمين، وطمعاً في أموالهم. هذه الأدوار التي تبدلت ملامحها، كما يحدث أحياناً، تظهر بشكل واضح في تراجمديات جوليلمو الشرير؛ وفي مشاهدتها الهزلية التي كان «الطيب» من مشاهديها؛ بل إن الحدث لابد أن ينسب لهما وليس لشخصيات القصور، التي رسمتها يد فالكاندو القديرة بما بها من جمال الفن القديم وعبويه.

وفي الخارج كانت الملكية الصقلية تعاني صراع أعدائها الثلاثة المعتادين؛ وكان من حظها أنهم ما كانوا يتفقون فيما بينهم، وما كان كذلك يستمر اتفاق بين اثنين منهم. فقد سارع البابا، الذي لا يأخذ أبداً العبرة، وانتهز فرصة المملكة الجديدة، ليحاول مرة أخرى الاستيلاء على إيطاليا الجنوبية. وطمع فديريكو يارباروسا هو أيضاً في تلك الأقاليم البعيدة؛ فعاد يطلب القوات البحرية من جنوة وبيزا، وهما عدوتان للمملكة، بسبب المصالح التجارية؛ ولكنه لم يخلص إلى شيء. أما عن البيزنطيين فقد كانوا مستعدين للهجوم على بوليا. ومن بعيد كان الموحدون يمثلون خطراً على المكاسب الأفريقية. كما أن الحرب ضد الفاطميين بمصر كانت تشغل في تلك الأثناء ولا نعلم في أية سنة أو لأي سبب بالتحديد؛ واعتقد أن ذلك كان بعد موت روجيرو، ولعل التجارة كانت الدافع لها؛ إذ يتجه فكرنا نحو أهل بيزا وما كانوا يحظون به من ثقة القاهرة في ذلك الوقت حتى إنهم ربما عملوا على إلغاء الامتيازات التي كانت محل اتفاق من قبل، مع التاج الصقلي (1).

كان جوليلمو انساناً جافاً، فاسياً، متكبراً ومفتراً، أما مايورني دا

(1) سوف أترك الاستشهادات جانباً، باعتبارها عتسراً كمالياً، فيما عدا ما يخص هذا الخلاف مع مصر. انظر ما سبق وذكرت بالفصل الثاني، من كتاب هذا، ص ٤١٢، والإشارات التي وردت في *Diplomi arabi del reale Archivio fiorentino*، المقدمة، § ٣٠، الوثائق ٢، ٤، ٥ من المجموعة الثانية، والملاحظات الخاصة بها، من ص ٤٥٢ إلى ٤٥٨، عن علاقات بيزا مع مصر في ذلك الوقت.

بارى، الذى دفعه والده إلى أكبر المناصب العامة، حتى أصبح وزيراً عند تنصيب الملك الجديد، فلم يكن رجل السياسة الحصيف الحكيم، كما وصفه رئيس أساقفة سالرنو. ولا ذلك الأخرق المغرب، كما وصفه هالكاندو. ويبدو لى أن البلاط قد تجسد فى شخص ذلك الرجل بكل ما فيه من رذائل؛ وشهادة المسلمين، التى لاشك فيها، تؤكد لنا أن الراى العام قد أرجع إلى شره وشر الملك كل الفلافل التى بدأت المملكة بها(1). اشتعلت ثورة الإقطاعيين فى البر الإيطالى (١١٥٥): وسرت عداواها فى صقلية: حيث أخمدها الملك بنفسه، بالسلاح والتسامح: وهى غير إنسانية أخمدها (١١٥٦) فى كلابريا وبوليا. حيث زاد الغزو البيزنطى من وطأتها. بالإضافة إلى هجوم البابا ومكائد بارباروسا. وتم طرد البيزنطيين: وهزموا بعد ذلك فى معركة بحرية(2) كبيرة فى نيجروبيونتو (صيف عام ١١٥٧):

- 
- (1) ابن الأثير. سنة ٥٤٧. فى المكتبة العربية . الصقلية. التمر من ٢٠٠.  
 (2) تحديداً للاستشهادات كما سبق وذكرنا. أذكر فى هذا المقام ما يخص منها معركة نيجروبيونتو. التى لم تعد ظروفها جيداً حتى الآن. وقد تحدثت عن هذه المعركة كل من نيشيتا كونيالى ونشيتامو. فى كتاب كاروزو *Bibl. sicula* من ١١٦٢ و ١١٧٦: كما ذكرت يقتمة سيجهيرتو دا جيميلو وروموالدو سالريفاتانو. فى كتاب برنز. *Scriptores*. المجلد السادس ١٥٥ والثاسع عشر ١٢٩. ولدى مرانجونى فى *Archivio Storico Italiano* المجلد ٩، الجزء الثانى. من ١٨. وقد أهمل البيزنطيون. كما فى عاداتهم. ذكر تاريخ حدوثها. أما عن روموالدو فلم يذكره بشكل محدد: بينما نعددها قسمة سيجهيرتو (الذى يفسها كاروزو. المرجع المذكور. من ٩٥١. إلى روبرتو دل مونت) وترجمها إلى عام ١١٥١. كما تصنيف تقاصيل أخرى لظروفها. ذكرها أيضاً نشيتامو. وهى أن الأسطول الصقلى كان عائداً. بالتصديد من مصر. محملاً بالكنائس. وأن وقد علمنا من المقريزى أن الإغارة على مصر قد حدثت فى أغسطس سنة ١١٥٥. فإنه يتضح لنا. منذ الوهلة الأولى. أنه من الواجب الاعتماد على التوثيق المذكور بالقتمة. مع فارق عام واحد. أما عن مرانجونى. الذى حدد المعركة فى سنة ١١٥٨ بتقويم بيزا. فهو يفرغ للحرب جوليلمو الأول بالأندلس. وللمعركة نيجروبيونتو هذه. ويورد تفاصيل لها من الكثرة والدقة تدل على أن سادة بيزا كانوا يضعون تحركات الأسطول الصقلى نصب أعينهم. ومن ناحية أخرى فإن جميع الروايات تعمل على الاعتقاد بأن معركة نيجروبيونتو لم تقع فى بدايات الحرب وإنما فى نهايتها. ومع ذلك فإنى أرى. مع مرانجونى. بتحديد التاريخ بعام ١١٥٧. إن ذكرها متزامنة مع جلب الكنائس من مصر. يمكن تفسيره جيداً. إذا افترضنا وقوع هجمتين أو أكثر من جانب الأسطول الصقلى. ذكر منها المؤرخون

ومن بعدها وقع جوليلمو اتفاق سلام مع كومنينو (١١٥٨). كما حصل على السلام، قبل ذلك مع البابا، مقابل انتصاراته (يوليو ١١٥٦). وقد قام الأسطول من قبل، في جمادى الثانية سنة ٥٥٠ هـ (أغسطس ١١٥٥) بأعمال تخريب في دمياط، وتنبس ورشيد والاسكندرية، وعاد محملاً بفنائم من الذهب والفضة والثياب القيمة (١). كما تذكر الأخبار أن المصموديين استطاعوا في هذه الآونة، سلب حصن بوسسولي، ولكن السفن الملكية استطاعت اللحاق بهم وقبضت عليهم وقطعت أشلائهم (٢). وبهذا استطاعت قوات جوليلمو الانتصار في كل مكان. ولا يبدو أنه أضاع هباء، ذلك المال الذي أنفقه لكي يقطع الطريق على فريديكو. الذي كان أثياً. بقية أن يتوج في روما. ويحكي أوتون دي فريزنجن عن الاضطرابات التي ثارت يوم التتويج ذاته (١٨ يونيو ١١٥٥)، فيكتب أن جنود الامبراطورية كانوا يصرخون وهم يهاجمون الرومان: «خذوا هذا الحديد الألماني في مقابل الذهب العربي! هذه هي الهبة التي يعطيكم إياها سيدكم». وها هو كيف يتحصل الفرنجة على الامبراطورية (3a) وإذا صح تخميني فالذهب

المصريون هبة واحدة فقط. أي أشد الهجمات. وبالأسلوب نفسه يمكن تفسير خطأ الترفيت الوارد بالتقمة. فقد يكون المؤلف قد اطلع على الهبة الكبيرة على مصر في ١١٥٤ أو ١١٥٥. وعلى الانتصار البحري الكبير على الهونانيين. في طريق العودة من مصر، وقلن أنهما وقعا في التاريخ نفسه.

(3) المقريزي. المصراعط. نس بلاق. المجلد الأول، ص ٢١١. علاوة على ذكر المؤلف لسنة وشهر وقوع الحدث. فإنه يذكر أن اسم الطفيلة كان حينئذ الماييز، والوزير طليح بن رزق. ومن المعروف أنه بدأ ممارسة مهام منصبه في ١ يونيو ١١٥٤. انظر أيضاً تقمة سيجيبرنو، التي ذكرتها نوأ، والتي ينضح أن بها معلومات دقيقة عن أحداث مصر في تلك الفترة، وأخيراً فإن الرسالة التي حررها ذلك الوزير إلى حكام بيزا. ويمكن الإطلاع عليها ضمن الوثائق في *Diplomi del regio Archivio fiorentino*. رقم ٥. من المجموعة الثانية ص ٢٥٢، وترجع فيها يبدو لعام ١١٥٦. تتحدث بوضوح عن هبة حديثة قام بها المصلون على مدينة تيس.

(2) تقمة سيجيبرنو، الموضوع السابق. إن المصموديين كان يطلق عليهم اسم الموحدين. نسبة إلى اسم القبيلة التي ظلت تهيمن على تلك الطائفة الدينية. والقائمون بالهجوم كانوا، بالتأكيد، قراصنة أسبلن أو من سواحل أفريقيا. غرب بجاية.

(3) *Gesta Friderici*. الكتاب الثاني، الفصل ٢١.

العربي الذي كان جنود الامبراطور يلغونونه ويبحثون عنه في شراة في جيوب أهل روما، كان يتمثل في عملات التاري الذهبية التي سكبها امراء صقلية في ذلك الزمان بما عليها من كتابات عربية؛ وكانت عملة جميلة ومريحة وواسعة الانتشار آنذاك في إيطاليا الجنوبية. واقع الأمر أنه ما بين حركة روما، وقلة المراد الغذائية والوباء الذي تفشى، اضطر جيش الامبراطورية إلى الرجوع على عجل إلى ألمانيا بدلاً من أن ينزل إلى بوليا.

وبينما كان جوليلمو يثبت أقدامه على العرش بهذه الطريقة، فقد فتوحات والده في أفريقية. فسرعان ما ظهرت في تلك الولايات آثار الحكم السيئ؛ فأخذت الحاميات المسيحية تثقل على المسلمين. وكان أبو الحسن حسين الفرياني، وهو شيخ من فقهاء صفاقس، يعيش في بالرمو منذ ثمانى سنوات، وكما تحدثنا عنه (1) قبلاً، كان قد عين لحكم أرضه عاملاً لملك صقلية، وقد طلب استبداله بشخص ابنه عمر، كما أنه قدم نفسه رهينة في يد المسيحيين. وكان يعرف في ابنه رجلاً كريم النفس، قوى المزيمة، ولدى سفره من صفاقس إلى صقلية، أوصاء قائلأ: «انظر، لقد صرتُ شيخاً، واقتربتُ من القبر؛ وإن نفس الحياة هذا الذي تبقى لي، أريد أن أهبه كله للمسلمين. فما أن تأتلك الهمة انهض أنت ضد العدو المسيحي؛ حطمه دون أية اعتبارات أخرى؛ واحمى منى من ذى قبل»، ولما عرف ببغى المسيحيين وظلمهم في صفاقس، ولما رأى أحوال بالرمو عن قرب، كتب فرياني إلى ابنه أن الساعة قد حانت:

---

(1) الفصل الثانى، من هذا الكتاب، ص ١٠٥ و ١٠٦. إن العلامة البارون دي سلان، قد كتب في ترجمة ابن خلدون، *Hist. des Berbères*، المراسى بالجزء الثانى، ٤٨٧، كتب غارياني *Ghariani*، ذلك بعد أن كتبه في ص ٢٧، ٢٨ في الجزء، ذاته فرياني. ورغم عظم اسم هذا المرجع الشهير، فإنه يبدو لي أنه من الأفضل التمسك باسم فرياني الوارد بالمخطوطات سائلة الذكر. وذلك بتشديد الحرف الثانى، ذلك حسبما نقرأ في لب اللباب، الجزء الأول ص ١٩٦ وهو مراريد الإطلاح. إن هذا الاسم المرفى يرجع إلى اسم فريانة، وهي قرية بالقرب من صفاقس.

وأن يعتمد على الله ويستعيد حقوق المسلمين.

وذاث ليلة أرسل عمر يدعو المواطنين؛ وحثهم على حمل السلاح؛ وأن يأخذ البعض منهم في حراسة الأسوار، وأن يجرى البعض الآخر إلى ديار الفرنجة وجميع المسيحيين وأن يذبّحهم. فسألوه: «وسيدنا الشيخ، والدك ماذا سيكون مصيره؟» فرد عليهم عمر: «هو نفسه أمرني بذلك وإن سقط مع الشيخ ألف وألف نصراني، فلن يموت، هو لن يموت» (1). ولما طلعت الشمس كانت المذبحة قد نفذت ولم ينج منها مسيحي واحد. وكان ذلك في أول أيام سنة ٥٥١ هـ (٢٥ فبراير ١١٥٦).

وحينما وصل خبر هذه الأحداث إلى بالرمو، أرسل الملك يدعو هرياني؛ واندزه بأن يكتب إلى عمر حتى يعود إلى الطاعة إن كان يريد أن ينقذ حياة أبيه. فأجابه الشيخ في هدوء: «إن من تجاوز هذا الحد لن يعود إلى الوراء استجابة لكتاب». فحبس في السجن والأغلال بقدميه، وأرسلت للمتمردين رسالة تتضمن تهديدات ووعود. ولما وصل المبعوث إلى صفاقس لم يسمحوا له بالنزول إلى البر يوم وصوله. ولما جاء صباح اليوم التالي، سمع من السفينة جلبة في المدينة؛ ورأى باب البحر يفتح ويخرج منه الناس في موكب وهم يصيحون: «الله أكبر. لا إله إلا الله، محمد رسول الله». وكانوا يحملون على أكتافهم نعشاً. ووضعوه أرضاً؛ فتقدم عمر نحوه، وتلى صلاته؛ وجعلهم يدفنون النعش؛ والتف الجميع حوله، كما هو متبع في الجنازات، ثم انفضوا عنه شيئاً فشيئاً. وإذا كان المبعوث بجوار العراس كي يصطحبوه إلى عمر، قالوا له: «إن الشيخ مشغول في الجنازة. فقد دُفن لتوه والده. ذلك الذي كان بصقلية. أخير بما رأيت، وليست هناك حاجة إلى إجابة أخرى». ولم يمض وقت طويل حتى كان في بالرمو التكيل بشبيه أهليو ريجولو المسلم. فقد رفعوا المشقة

(1) لم أضف أي شيء من عندي في كل هذه الرواية.

على ضفاف وادي عباس، وهذا هو اسم ناحية أوريثو لدى المسلمين، التي تتطابق تماماً مع سهل سانت إيرازمو، وهي منطقة تكتظ الآن بالمصانع والحدائق، وكانوا في الماضي ينفذون فيها أحكام الإعدام؛ وأشعلوا فيها آخر حرائق محاكم التفتيش في القرن الثامن عشر. وبعد أن أساء الجلادون معاملة أبي الحسن، جرّوه إلى المشنقة، وكان يقرأ القرآن في سكونة وثبات، ومات والكلمات المقدسة بين شفثيه(1).

وعلى غرار ما حدث في صفاقس ثار سكان جربة وكركينى، حيث كانوا يعانون هم أيضاً(2). وتأخرت طرابلس في ذلك بعض الشيء، سواء لأن الحامية كانت أكثر يقظة، أم لأن الطائفتين اللتين تحدثنا عنهما آنفاً لم تستطعا الاتفاق فيما بينهما. وبدأ الأمر بمسألة شرعية. فبأمر بالرمو. كما يمكن أن نتصور، كان قائد الحامية يريد أن تخرج من منابر المساجد خطباً ضد الموحدين، الخارجين، المفتصبين، وأسوأ من ذلك أن وصفهم بالجبابرة، المشتبه في أعمالهم في طرابلس. وكان المواطنون يردون على ذلك بأنه طبقاً للمواثيق، فما من أحد يجبرهم على ما هو مخالف للإسلام؛ وهو التشهير بغيرهم من المسلمين، حتى إن كانوا أصحاب مذهب مختلف. وقام الفقيه الذي كان يتولى الحكم(3)، بإبلاغ القائد بهذه الدوافع والأسباب؛ وختم كلامه بأنه إن لم يقتنع بذلك الرأي، فإن شعب طرابلس سوف يترك المدينة ويذهب مع الله. وقبل الصقلى المبرر، أياً كان رأيه فيه، وأخذ حذره؛ وانتقل المسلمون من الكلام إلى العمل. وكان حاكم الأرض يحيى بن مطروح، ذلك الذي نسج مع أعيان البلد مؤامرة الهجوم على الحامية، في ليلة قمرية، لكي يطردهم من

(1) انظر ابن الأثير، سنة ١٥٥١ والتهجاني وابن خلدون، في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢٠٠ وما يليها، ٢٨١ وما يليها، ١٩٠ و٥٠٢ و٥٠٤.

(2) ابن الأثير، الموضع السابق، مع ذكر ما سبق وقلناه في الفصل الثاني من هذا الكتاب ص ٤١١ و٤١٢ من المجلد، حول الظروف التي شُركت فيها جزيرة جربة سنة ١١٥٢.

(3) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص ٤٩٦ من المجلد.

الحصن. ويوقعوهم في الفخاخ. ولما حانت الساعة، قاموا بنصب قطع الخشب والحبال بالطريق، ثم أحدثوا ضجيجاً. حينئذ حمل جنود الحامية سلاحهم في الحال، واستطوا خيولهم، وتوجهوا صوب الزمرة؛ وحينئذ أخذت الخيول تتعثر، والتفت أرجلها فوق راكبوها في يد الثوار دون أن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم. وهكذا استطاعت مدينة طرابلس أن تنفض عن نفسها النهر سنة ثلاث وخمسين (٢) فبراير ١١٥٨ إلى ٢٢ يناير ١١٥٩) وظل يحكمها، يحيى بن مطروح ذاته(١)، وكما حدث في صفاقس وفي طرابلس حدث أيضاً في قابس، حيث ثار الحاكم الذي عينه ملك صقلية، وكان اسمه محمد بن رشيد(٢). أما عن الموحدين فبعد احتلال بونه، أخذوا يمتدون غرباً حتى تونس(٣)، وبقيت لتاج صقلية مدينة المهدية فقط، ومما ضاحية زويلة وسوسة(٤).

ومع أولى حركات الانتفاضة أرسل عمر الفرياني رجالاً يشعلون الثورة في زويلة، حتى يصيح المسيحيون مهددين في مركز قواتهم. وكان العرب مع جيرانهم على استعداد للجري وراء أية غنيمة يشتمون راثحتها؛ ويبدو أنه بقي القليل من مسيحيي زويلة على قيد الحياة، أو ربما لم يبق منهم أحد. كان من السهل إذًا على الناس أن يصيحوا: «الموت للروم» وأن يحاولوا القيام بضربة في المهدية ذاتها، في شهر

(١) انظر النجاشي وابن خلدون في المكتبة العربية، الصقلية، الن.س. ص ٢٨٩ و ١٨٩ و ٥٠٤. وابن الأثير، في الموضع المذكور، يذكر تمرد طرابلس، دون تاريخ، ودون تفاصيل أخرى؛ إلا أنه يقول إنه حدث بعد حركة صفاقس وقبل ثورة قابس، يكتب ابن خلدون أن رجال طرابلس وهم يهاجمون المسيحيين «كانوا يحرقونهم بالنار». وأعتقد أن النار كانت ضمن الضلة مثلها مثل العبال والموارض الخشبية، وليس ناراً لإعدام الأسرى. لأن عادات المسلمين لم تعرف مثل هذه القسوة.

(٢) ابن الأثير، الموضع المذكور، وابن خلدون ص ٥٠٤ سالفة الذكر.  
(٢) ابن الأثير، الموضع المذكور، ص ٣٠٤. إن هذا الفصل من العوليات، حتى إن وضع نعت عام ٥٥١، فهو يستوى على أحداث لاحقة، مثل أحداث طرابلس، التي حدد كتاب آخرون تاريخها الصحيح.

(٤) ابن الأثير، الفصل المذكور، ص ٣٠١.



شوال سنة واحد وخمسين (١٧ نوفمبر - ١٥ ديسمبر ١١٥٦)، وحتى إن فشلت تلك الحركة، فقد ظل الثوار في زويلة بمساعدة ثوار صفاقس والأراضي الأخرى وبمساعدة العرب أيضاً، حيث كانوا يمنعون الإمدادات التي كانت تَجِي من ناحية البر إلى الحصن. وحينئذ أرسل جوليئمو عشرين ثانية وبها تعزيزات من الرجال والسلاح والمؤن؛ وبذلك استؤنفت الحرب مرة أخرى. ويقول المسلمون إن قائد صقلية قام برشوة العرب، حتى إنه حينما خرجت العامية للقتال، فروا تاركين رجال زويلة وصفاقس وسط المعركة. ومهما كان السبب فقد أمكن محاصرة المسلمين وهزيمتهم. وأريقحت حينئذ دماء كثيرة. أما عن رجال صفاقس فقد فروا بالسفن التي كانت مُعدة على الشاطئ، لذا نجا منهم الكثيرون. وأما رجال زويلة ذاتها فلم يمشوا على ملجأ لهم في الضاحية، وقد أغلقت دونهم أبوابها. وسقطوا هناك وهم يقاتلون؛ بينما كان الشيوخ والنساء والأطفال يحاولون النجاة قدر استطاعتهم. سواء عن طريق البحر أو البر. ولكن الوقت لم يتسع للجميع. وما أن اجتاز المنتصرون ذلك السور الضعيف حتى لم يبقوا عن أحد أيا كان جنسه أو عمره. ونهبوا وخربوا كل شيء. وحدث هذا الخراب سنة اثنين وخمسين (١٣ فبراير ١١٥٧ إلى ١ فبراير ١١٥٨)، ويبدو أن شبه الجزيرة من المهدية إلى سوسة وربما أيضاً في امتدادهما ناحية الغرب نحو رأس بونه، يبدو أنها عادت حينئذ تحت سلطة جوليئمو؛ لأن كتاب الحوليات من المسلمين يقولون إن الصقليين ظلوا صامدين في المهدية من ذلك الحين حتى حصار عبد المؤمن<sup>(1)</sup>؛ كما يكتب روبرتو دال مونتي أنه في سنة ألف وسبع وخمسين، وما أن استولى أسطول جوليئمو على

(1) انظر ابن الأثير، الموضح المذكور؛ وابن خلدون، التمس في المكتبة العربية. الصقلية، ص ٥٠١ والبيان في المجموعة نفسها ص ٣٧٤، وهو يحدد فقط تاريخ قيام الثورة عند المسيحيين في المهدية وتاريخ استعادة زويلة. وهما تاريخان غير موجوبين في رواية ابن الأثير الذي يحكي عن ثورة زويلة قبل واقعة تمثيب الشهابي؛ ولكنه من غير الواضح أن يُوَجد جوليئمو انتقامه ذلك لمدة عام وبضعة أشهر.

سيبيلاً، عاصمة جزيرة جركس، حتى عمل الملك على أن يستقر المسيحيون فيها، ووضع على رأسهم كبير أساقفة (1). ومن هذه الإشارة يبدو أن هذه الأراضي، وعلى وجه أخص زويلة، كانت مكان تجمع السكان من المسيحيين الذين طردتهم الثورة من الساحل الشرقي وطردهم حكم الموحدين من الساحل الغربي. واسم كبير الأساقفة غير معروف، كما أننا لا نعرف ما إن كان كاتب الخبر قد ذكر رتبته بالضبط: مع أنه لا يبدو لي مستبعداً أن يكون بلاط بالرمو قد عين مطراناً في ممتلكاته في أفريقيا، ذلك لأن ما كان يمكن أن يقوم من تنازع بين الملك والبابا على هذه الرتبة لم يعد له وجود مع حكم صقلية في تلك الأنحاء (2).

(1) في كتاب كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص ٩٤١، بتاريخ سنة ١١٥٨ وفي كتاب برنار، *Scriptores*، المجلد السادس، ٥٠٦، بتاريخ ١١٥٧. وفي أول هذين الكتابين ورد اسم الجزيرة المقترحة أن عاصمتها سيبيلاً *Sibilla*. زويلة (*Zawila*) ورد مكتوباً جركس بينما ورد في الثاني جرب. وهو الشكل الذي اعتقد أن الناشر العلامة قد فضله، إذ وجدناه قريباً من اسم جربة، وهي الجزيرة التي رأى أنها المقصودة في الرواية. وأنا أرى أن لفظ جزيرة في هذا المقام يقصد به شبه جزيرة (إن العرب لديهم لفظ واحد للتعبير عن كلا الشكليين من الأراضي). كما أرى أنه من الأفضل الأخذ بجركس. حيث إنها تفترب أكثر من شرق. وهو اسم شبه الجزيرة التي تقصل بين خليجي تونس والعمارات، ويطلق عليها اليوم اسم الدجل. ولكن عرب المصور الوسطى كانوا يسمونها تارة، شرق. وهو اسم مأخوذ من اسم علم، وتارة أخرى باشو *Bascia* (*Basso?*) وهو اسم العاصمة. وليس من المعلوم أن يكون الصقليون قد استعمروا شبه الجزيرة هذه في ذلك الوقت. وإنما يبدو أن المهدية أو زويلة كانت تعد حينئذ بمثابة عاصمة دولة صغيرة تتخذ اسم شبه الجزيرة المجاورة. كما يبدو لي أنه طالما أن الصقليين كانوا يسيطرون سيادتهم على المهدية وعلى سوسة، فقد كانوا كذلك سادة جزء من الساحل. وعلى الأخص شبه الجزيرة الصغيرة موناستير، على امتداد المهدية. انظر طوبوغرافية هذه الأماكن، الإدريسي، طبعة المهديين نوزي ودي جويج، ص ١٠٨، ١٠٩، بالنص، ص ١٢٦، ١٢٨ بالترجمة. يقول الإدريسي إن الثلاث قرى أو قصور موناستير كان يسكنها رجال الدين، وهو ما يمكن استنتاجه من جانب آخر من ذلك اللفظ (لفظ موناستير *Monasterio* يعني دير للرهبان).

(2) أولاً، لا يبدو لي من شك في أن ملك صقلية كان يرى حينئذ أن تاجه يتضمن حق تأسيس كرايس أسقفية، على غرار ممارسات الأباطرة البيزنطيين. ويجب ملاحظة تأسيس أسقفية تشيغالو وقلب رئيس أساقفة صقلية، الذي منح لرئيس أساقفة بالرمو في إحدى وثائق الملك روجيرو، في كتاب بيرز، *Sicilia Sacra*، ص ٩٥، ٩٦.

وهي هذه الأثناء لم يُبدِ الموحدون استيائهم وهم يرقبون عبد المؤمن وهو يغير دستور الدولة: أي بعد أن كان رئيساً اختاره أشراف المصموديين، جعل من نفسه ملكاً مطلقاً متوارثاً، وهو الغريب عن القبيلة: وأخذ ينتزع حكم الدويلات من رؤساء المصموديين ليمهد بها إلى أبنائه. وجاءت ضريته في هدوء، دون إراقة فورية للدماء<sup>(1)</sup>. وما كان يفوته التفكير في أفريقية، لذا استضاف في بلاطه الحسن، سيد المهديّة: وأخذ يبحث معه ظروف تلك البلاد لمدة عشر سنوات؛ ويحكى أنه عندما ذهب التمساء الناجون من زويلة إلى مراكش ليطالبوا منه الثار لهم، ساعدهم بالمال، وأنصت إليهم والدموع تملأ عينيه وسكت برهة، ثم رفع رأسه وقال: «تجلدوا، سوف أساعدكم؛ ولكن يجدر الانتظار». وبعد أن قام بتنظيم شئون الحكم كما أراد، أخذ يستعد لمدة ثلاث سنوات للحرب، أي لحرب كبيرة وبعيدة المدى، وضرورية ليس فقط لطرد المسيحيين من المهديّة، ولكن كذلك لقمع كل أولئك الحكام أو رؤساء البربر، وقبائل العرب التي تقوم بأعمال السلب والنهب، ويعيشون منذ أكثر من قرن من الزمان دون رادع لهم، بين تونس وبرقة. وعن تلك الاستعدادات يمدنا كتاب الحواريات بتفاصيل عديدة، استخلصوها فيما يبدو من ابن شدّاد، الذي كان موجوداً (١١٥٩) في معسكر الموحيدين تحت أسوار

ثانياً، يجب أن نتذكر أنه، طبقاً لإحدى العادات القديمة، فإن سلطان بالرمو في كل عام، حينما يذكر معاونيه رسمياً، كان يذكر في السناد من بينهم أسقف طرابلس أفريقيا. انظر في ذلك بيرو، المرجع المذكور ص ٢١.

كما يجب أيضاً أن ننظر بين الاختيار إلى أن من بين وثائق كنيسة القصر بالرمو، وهي سجلاتها، ص ٢٤ وما يليها، وثعت رقم ١٥، ثرد قائمة حصر اثاث كنيسة أفريقية، وفيها نفراً أن جزءاً منه كان على نفقة رئيس الأساقفة. ومن جانب آخر فإن وجود تلك القائمة في كنيسة القصر (Cappella Palatina)، أمر يمكن أن يشير إلى أن كنيسة أفريقية كانت تبنى تبعيتها للكاين الأكبر أو تشير على الأقل إلى أنه يقوم بالحفاظ على ذلك الأثاث، الذي يمد جزءاً من تلك المصروح الملكي.

(1) ابن الأثير، ٥٥١، نص تورينج، الجزء ١١ ص ١٢٩، ١٤٠. انظر القرطاس، ترجمة تورينج ذاته، المجلد ١، ص ١٧٠ إلى ١٧٢؛ وابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة دي سلان، المجلد الأول، ٢٥٤ وما يليها. والمجلد الثاني، ١٧٢ و ١٩٠ وما يليها

المهدية، وكان في بالرمو(1) قبل ذلك بثلاث سنوات.

يروون إذاً أن عبد المؤمن أمر بصنع ما لا حصر له من أزقاق الجلد للماء، وما لا يعد من القرب والمعالف؛ وأمر بحفر آبار على طول الطريق المحدد لمرور الجيش، وأنه بناء على أمره تم حصد الحصاد في تلك الأقاليم دون تضرته وذلك لمدة ثلاث سنوات، وكومت الأكوام وغطيت بالطين حتى كانت تبدو كأنها تلال كثيرة؛ كما أنه تجمع من أسبانيا وأفريقية، أسطول قوامه ٧٠ شانية، دون إحصاء السفن الحربية الأخرى والقوارب، وعهد به إلى محمد بن عبد العزيز ابن ميمون، وهو سليل عائلة مشهورة من المحاربين في البحر كما كتب ابن شداد(2)؛ وكان عدد الجيش يبلغ مئة ألف محارب ومثلهم من جامعي الأسلاب؛ كما حكوا أنه أثناء الزحف حينما كان الرجال يمشون بالمواقع المزروعة، ما كان أحد منهم يجرؤ على التقاط سنيلة قمح؛ وحينما يقومون للصلاة خلف الإمام يصيحون وكانهم رجل واحد «الله أكبر». إن هذه الروايات تشهد بمدى الانبهار الذي أثاره، في أفريقية، ذلك المشهد الجديد الذي يتمثل في جيش هائل، جيد التنظيم والإعداد. وتحركت طليعة الجيش من مراکش في أواخر عام خمسمائة وثلاث وخمسين (يناير ١١٥٩)؛ وفي صفر عام خمسمائة وأربع وخمسين (٢٢ فبراير إلى ٢٢ مارس من العام نفسه) كان الجيش قد عبر بأكمله تقريباً(3).

(1) إن إمامة ابن شداد بالرمو سنة ٥٥١ هجرية، ورد النص عليها بالنووي. في موضع ترجمته م. روسو دو سانت ليلار إلى فرنسية، *Histoire d'Espagne*، المجلد الثالث (باريس ١٨٢٨) *Pièces justificatives*، رقم ١، ص ٤١١. إن هذا الجزء الذي قام بترجمته م. هانسمان، وأخذ من مخطوط عربي بباريس، لم يذكر اسمه، يتضمن نادرة لعبد المؤمن ذكر كاتب الأخبار أن حكاها له أحد تجار المهدية المسلمين، حين تقابل معه عام ٥٥١ في العاصمة المستقلة.

(2) لدى التهجائي، الذي ذكرناه سابقاً، في الفصل الأول، ص ٣٦٧، في الهامش، إن الحقل الموضحة يذكر اسم عبد الله بن ميمون.

(3) قارن بين: ابن صاحب الصلات؛ وابن الأثير، عام ٥٥٤: المراكشي؛ وابن خلدون.

وهي البداية هاجم عبد المؤمن تونس (مايو ١١٥٩)؛ حيث وجد مقاومة، ولما كانت القوات البحرية لم تصله بعد، ذهب إلى القيروان وإلى سوسة، ودخل صفاقس، ثم عاد مرة أخرى إلى تونس (١٣ يوليو)، وهاجمها في قوة أجبرتها على الاستسلام؛ وبعد ذلك أبقى على حياة الجميع، وطرد أحمد بن أبي خراسان، وترك الممتلكات لقلة قليلة من المواطنين، وانتزع من الآخرين نصف ممتلكاتهم الثابتة وغير الثابتة؛ أما عن اليهود والمسيحيين فقد خيرهم بين الإسلام أو الموت؛ ومن لم ينكر دينه تم قتله. وبعد ذلك بثلاث أيام هبطت هذه الغيامة الرهيبة على المهدية: التي ضاق عليها الخناق بحرأ وبرأ(1). وبعد أن أخلت زويلة مع اقتراب جيش بذلك الحجم، تحصن المسيحيون في القلعة، ومعهم، فيما يبدو، بعض المسلمين حيث تقرا أن كان من بينهم الأمير الزيري يحيى بن حسن بن تميم(2). وكان يعمل في الحامية صفوة شباب المملكة من حيث نيل أعرافهم وبيسالتهم(3)؛ وكان عدد المحاربين يصل إلى ثلاثة آلاف، حسبما ذكر أحد المؤلفين الذي أراه مطلقاً(4). أما عن موقع المهدية وقلعتها فقد تحدثنا عن ذلك في موضع آخر: فأسوارها ضخمة جداً حتى يمكن أن يجري بها اثنان من الجياد متجاورين، وكتب آخرون سنة جهاد؛ ويمكن دخولها من ناحية البر عن طريق باب واحد ويرزخ ضيق ومؤمن

---

المكتبة العربية، الصقلية، التمس من ١٩٧ و ٢٠٢ و ٢٠٤ و ٢١٩ و ٥٠٤ و ٥٠٦ لا أستشهد بالتواريخ. لأنه في هذا الموضع، ينقل من ابن الأثير كلمة بكلمة، وهؤلاء الكتاب ليسوا متفقين في تحديد زمن التحرك من مراكش ونهم هذا جيداً.

(1) حسبما يذكر البعش فقد بدأ الحصار في ١٨ رجب (٥ أغسطس ١١٥٩) وبالنسبة للبعش الآخر فهو يرجع ليوم ١٢ يوليوز.

(2) المراكشي.

(3) ابن الأثير والمراكشي، إلخ. يقولان أيضاً أبناء ملوك، ولكن كان يقال أيضاً أبناء إقطاعيون كبار كما لاحظنا فيما سبق. ولا أرى داع لإعطاء اهتمام كبير لذلك الموضع الذي ذكر فيه المراكشي وهو مؤلف من القرن الثالث عشر، جنود الحامية وأطلق عليهم اسم «وفاق الدوق».

(4) المؤلف مجهول الاسم صاحب الحُلل الموشاة.

تأميناً جيداً؛ أما من ناحية البحر فإمكاناتها للدفاع واستعدادها للهجوم كانت رهيبة، حيث لا يستطيع أحد أن يرى من الخارج تلك الشواشي الراسية بالترسانة، والتي كانت تخرج فجأة من ثغر الميناء وهي مجهزة مسلحة (1). وهي مقابل هذا كان عدد رجال الحصار مخيفاً. وفي لحظة وصولهم الأولى، صارت زويلة بعد أن كانت خاوية، مثل عاصمة كبيرة. هكذا كتب المسلمون في تعجب! ومع ذلك فلم تكن تكفي لاستيعاب الجنود جميعاً؛ وجامعى الأسلاب والتجار، واقتضت الضرورة أن يضرب جانباً منهم الخيام خارجها؛ ثم جذبوا أيضاً إليها عرباً من ساكني المناطق المحيطة وبربر من قبيلة صنهاجة. وما كان بإمكان عبد المؤمن منعهم من القتال في الحرب المقدسة. وأقاموا المنجنيق والمرادات (2) أيضاً؛ وأخذ المسلمون يتأبون الهجوم نهاراً وليلاً؛ ولكن المحاصرين ضحكوا من ذلك، بل أكثر من ذلك أنهم كانوا يضربون العدو بشدة في طلعاتهم المتكررة؛ حتى إن عبد المؤمن أمر بإقامة سور غربي المدينة (3)، لكي يحمي رجاله. وكان يقضى يومه في الميدان، تحت خيمة، وينام ليله في

(1) يذكر الكتاب المسلمون هذا الحدث بشكل معكوس، أي أنهم يقولون إن الشقبة كانت تدخل الترسانة وهي معدة مسلحة دون أن ينزل منها على البحر أحد. (2) هي آلات للذف الحصى. وهي أصغر من المنجنيق، القرطاس. وهو حقاً الوحيد الذي قام بذكر آلات أخرى غير المنجنيق، يسميها رخادات، وهو الاسم الذي أطلق على المدفعية. ويبدو لي أن المؤلف، وقد عاش في القرن الرابع عشر ولم يكن يعرف على وجه التحديد متى كان أول استخدام للبارود في القاذفات من الأسلحة، قد يذكّر، من عنده هو، هذا اللفظ المعروف وهو غرادة، الذي ربما بدأ لفظاً عتقاً بالنسبة له والزمانه، وربما كان الخطأ من النسخ، وعلى أية حال فإن الحروف الأساسية في اللفظ، وإن كانت واحدة، ولكنها عرضة للبس، إذا تغير ترتيبها. وعلى هذا يمكن تفسير موضع لدى ابن خلدون، وهو أيضاً مؤلف من القرن الرابع عشر، وفيه يرى أن الرعامات قد استخدمت في أفريقية في القرن الثالث عشر. انظر بخصوصي هذا الشكل الدراسة الجميلة التي أجراها الميدان رينو وفالقه، *Du feu grégeois*، باريس، 1818، ص 78 وما يليها، مع مقارنة روزي، *Historia Abbedidarum*، المجلد الثاني، 202 و 266 وابن بطوطة، *Voyages*، باريس، 1883 - 88، المجلد الثالث 118 و 194 و 228 و 296. (3) ابن الأثير، إلخ.

قصر بزويلة<sup>(1)</sup>). ويعد أن ركب شانية برفقة الحصن، ذلك الذي كان سيد المدينة من قبل، قاموا بجولة حول الحصن: ونظروا: وتناقشوا وافتنموا بأنه ما من سبيل للقيام بالمعركة. وسأله عبد المؤمن متضجراً: «كيف إذا تركته للعدو فأجابه حسن: «عدم وجود المؤمن، ولم أجد من أثق به: ثم هكذا أراد القدر» «حسناً تقول». هكذا استأنف كلامه عبد المؤمن. ولما كف عن التفكير في القيام بهجوم من البحر، أمر بالتمركز: ونظم الجيش لقضاء الشتاء بزويلة: حيث أمر بنقل كل القمح والقمح الذي أمكنه نقله إليها، وجعلوا منها كومتين عاليتين جداً، حتى إن الكتاب عادوا إلى ذلك التعبير المألوف ويشبهونهما بالتلال، وقالوا إن الذين لم يروا الميدان منذ أيام عدة، كانوا يتسائلون كيف أتى هذان المرتفعان. وما أهادا في الوقاية من غلاء الغذاء: حيث وصل الأمر لبيع سبع حبات فول بدرهم مؤمن، وهو ما كان يقابل نصف درهم قانوني، أو ثلاثين سنتيماً من الليرة<sup>(2)</sup> التي نستخدمها. ولكن الحامية كانت مهددة بالجوع التام. ويفهم من روايات المسلمين أن أسطول الموحيدين قد أغلق البحر تماماً: وعلى ذلك أصبح مصير القلعة متوقفاً على معركة بحرية.

كان الأسطول الصقلي قد تعاون بقوة كبيرة في طرد البيزنطيين من سواحل بوليا سنة ألف ومائة وست وخمسين. وخلال عام سبع وخمسين، وبقيادة سثيفانو. أخى مايوني، استولى الأسطول على مدن وحصون في رومانيا، كما خرب ولايات وحطم الأسطول اليوناني تحطيماً شبه كامل في نجر وبونتي: ولم يسبق لذلك الانتصار مثل في أمجاد جورجو الأنطاكي. لماذا إذن لم يرسلوا، في الحال، والقو، هذا الأسطول إلى المهديّة، بقيادة سثيفانو ذاته؟ بل ذهب الأسطول على عكس ذلك إلى جزر البليار: بقيادة الخصم بيثرو. ربما ليقطع الطريق على سفن بنى ميمون: ولكنه لم يقم بغير أعمال إتلاف في جزيرة

(1) الزركشي.

(2) هذا الحدث أوردته المراكشي وحده.

(إيفيزا، وبينما كانت وحداته تكتظ بالأسرى والأسلاب، صدر له أمر الملك بالتوجه لنجدة المهديّة(1).

وهي يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان (٨ سبتمبر) ظهرت في صف طويل جداً مائة وخمسون شانية صقلية، بالإضافة إلى المراكب الحربية ومراكب أخرى(2)؛ وكانت تتأهب لدخول الميناء؛ حيث أخذت بعض الشوانى تنزل أشرعتها، وخرجت شانية من داخل الحصار نحوها. أما عن السبعين شانية التي كانت للموحدين فلو لم تكن مسحوة ناحية البر، كما يقول هالكاندو، فقد كانت راسية في مكان آمن، ومن المؤكد أنها لم تكن في حالة قتال. ولما ساور عبد المؤمن الشك في أنهم يستعدون للنزول إلى البر خارج الحصن، حشد الجيش على الشاطئ؛ وظل يراقب تحركات العدو، وحينئذ جاء ابن ميمون على عجل؛ وأشار له إلى الشوانى الصقلية التي كانت تتقدم متفرقة عن بعضها بفعل الرياح(3)؛ وقال له إنه يمكن الدخول في المعركة رغم كثرة العدد لدى العدو. ولم يجب عليه عبد المؤمن. وعُد البحار الأسباني هذا السكوت علامة موافقة، فجرى نحو السفن؛ وأصعد بها ضاربي المجاديف؛ وخرج وهاجم صفوف العدو من جانبها. وبعد أن كسره أدخل أقرب الشوانى من البر داخل ميناء المهديّة؛ ثم توجه صوب السفن الأخرى التي قاتلت قليلاً ثم، ما أن انتاب الجزع البحارة، حسبما كتب المسلمون، من كثرة أولئك المسلحين الذين رأوهم على البر، حتى ابتعدوا في عرض البحر، ونشروا أشرعتهم؛ أما سفن المسلمين فقد ظلت تطارد من الخلف؛ حتى إنه بعد أن خطففت سبع شوانى صقلية، اضطرت للموعدة. ومنذ بداية المعركة كان عبد المؤمن يسجد على الأرض، ويذري التراب

(1) هالكاندو.

(2) كانت تقارب الخمسين طيقاً لما أوردته الحُلل الموشاة. لأن إجمالي السفن كان يبلغ المائتين.

(3) ابن شداد، لدى التيجاني.



على رأسه، ويبتهل في حرارة: «اللهم لا تخذل دعائهم الإسلام». هكذا قال ابن شداد، الذي كان حاضراً آنذاك. وحكى الكتاب المسلمون، وقد استقوا أيضاً منه، عن هذا اليوم بتفاوت طفيف بين الواحد والآخر، أما عن الكتاب المسيحيين، فإن هالكاندو يؤكد بشكل قاطع أن الخصى بيثرو، هرب دون أن يقاتل، بدافع من الخيانة، ويكتب رومالدو السالرنى أنه هاجم، وهُزم وخسر شوانى كثيرة. ولكننا بعد سنوات قليلة نرى رومالدو رقيقاً أو متواطئاً مع الخصى بيثرو في تحيزات البلاط.

وهى أسلوب هادئ رقيق، يستطرد رئيس الأساقفة في حديثه ليقول إن الحامية، وقد شحت مؤنّها، وخاب كل أمل لديها فى النجدة. «تصالحت» مع المصموديين، وتركت لهم المدينة وعادت إلى صقلية: يحمل كل فرد فيها ماله. وعلى النقيض يمود هالكاندو ليؤكد الاتهامات أثناء الأيام الأخيرة للحصار فيقول: إن خصيان البلاط كتبوا لعبد المؤمن ليطمئنوه بأنهم لن يرسلوا مساعدات؛ وأنه خبر المسيحيين بين أن يأخذهم جنوداً له أو أن يرسلهم مرة أخرى إلى صقلية؛ وأنه بعد أن ضغط الجوع على المحاصرين، وعدوا بترك الحصن إن طلبوا النجدة لأخر مرة ولم تأتهم خلال أيام قلائل؛ وأنه حينما وصلت رسالتهم إلى البلاط، أفهم مايونى الملك أن مواد الغذاء متوفرة فى المهدية؛ وعلى ذلك سلمها أولئك الشجعان إلى العدو بعد أن خاب أملهم وأعياهم الجوع، ولا يبدو لى معقولاً بحال من الأحوال وصول تلك الرسالة الأخيرة إلى صقلية. وعلى حد قول الكتاب المسلمين، فإن الحامية بعد أن استهلكت فى الغذاء كل خيولها وأوشكت على الموت جوعاً، وكان ذلك نحو نهاية ذى الحجة (أوائل يناير)، نزل عشرة من رجالها الأعيان من الحصن ليطالبوا الأمان لحياتهم، وأموالهم وحررتهم. وكان رد عبد المؤمن عليهم أن ينكروا دينهم، فأردفوا: إنهم لم يحضروا من أجل ذلك، ولكنهم جاءوا يلتهمون سمّة صدره ونبل أخلاقه؛ وإن إمانة فرسان مثل أولئك من الجوع لن تضيف شيئاً إلى أمجادهم؛ بل إنه

على المكس إن أعادهم إلى ديارهم فليسوف يصبحون مدينين له مدى حياتهم. وذهبوا إليه وعادوا أكثر من مرة، حتى أعجب الملك الموحدى من ثباتهم، ونبل مظهرهم وصدق قولهم، أو لعله خشى، كما يقول آخرون، من أن ينتقم الملك جوليلمو لموتهم من مسلمى صقلية، فقبل استسلامهم وأمر بنقل الحامية كلها على السفن إلى صقلية، ودخل المسلمون الحصن صباح العاشر من محرم سنة خمسماية وخمس وخمسين (٢١ يناير ١١٦٠). ويضيف الكتاب العرب أن غالبية التاجين هلكوا غرقاً، على أن صمت فالكاندو يجعلنى لا أصدق هذا. غير أن الموحدين استطاعوا أن يضموا أراضى أخرى من أفريقيا الشمالية: حتى أصبح ملك عبد المؤمن يقاس من سوس المحيط حتى برقة: ومن حدود الأندلس الشمالية حتى أطراف الصحراء الجنوبية(٦).

(٦) فارون بين، ابن صاحب الصلات؛ وابن الأثير؛ والمراكشى؛ والبيان؛ والتيجانى؛ والقرطاس؛ وأبى الفدا؛ وابن خلدون؛ والزركشى؛ وابن أبى دینار، فى المكتبة العربية - الصقلية، النسخ من ١٩٧ و ٣٠٣ و ٣٠٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٧٢ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٤ و ٤١٧ و ٥٠١ و ٥٠٦ و ٥٢٥ و ٥٤٠، والحلل الموشاة، إلخ. الموجز مجهول المؤلف، المكتوب عام ٧٨٢ هجرية (١٣٨١ - ١٣٨٢) مخطوط بمكتبة Bibl. imp. باريس. Ancien Fonds. ٨٥٢، من ١١٦ ولا استشهد بالتويرى لأنه ينقل حرفياً من ابن الأثير فى هذه النقاط. وبين هؤلاء الكتاب لاحظت بعض الاختلافات. علاوة على ذلك فإن التحلل ينسب إلى رسل الحامية المسيحية لدى عبد المؤمن، أنهم تملقوه بقولهم إنه ملك العالم ذلك المنتظر الذى تحدثت عنه كتبهم. ولدينا ترجمة فرنسية لراوية التيجانى، قام بها م. - الفونس روسو، فى *Journal Asiatique*، فبراير ١٨٥٣، من ٢٠٩ وما يليها. وإن أهم الفصول التى كتبها ابن الأثير قام بترجمتها إلى الفرنسية البارون دى سسلان فى *Historie des Berbères*، لابن خلدون، المجلد الثانى، الحواشى، من ٥٨٣ وما يليها. إن مواضع ابن خلدون التى ذكرناها فى هذا الفصل، توجد فى أيضاً فى ترجمة م. - دى سسلان، سائلة الذكر، المجلد الثانى، من ٢٨ و ٣٩ و ١٩٢، وكوردى، *Dominacion de los Arabes en España*، الباب الثالث، الفصل ١٤، يعكس عملية المهدية - هذه بتوسع، ويورد بها تفاصيل مسجلة لدينا، وأخرى لا نجد لها وجود فى نصوصنا، ولكن مؤلف كوردى لا يمكن أن يخل محل التصوص الذى تشككنا. أما عن المؤلفين المسيحيين فإنه يحدد الإطلاح على فالكاندو وروموالدو سالتريانو، وهما مختلفين فى الراى بشكل ملموس، ويوجد أولهما فى كتاب كارو، *Bibl. sicula*، من ٤٢٠ و ٤٢١ وتانيهما فى كتاب موراتورى، *Rev. Italic*، المجلد الرابع، ١٩٩، ولدى برتزو، *Scriptores*، المجلد التاسع عشر، ١٢٩.

والأحداث، التي أهمل للأسف، كاتبها أخبار جوليلمو تعديدها الزمنى، تظهر لنا أن وقائع المهدية قد أضافت هي الأخرى مزيداً إلى النضب المشتعل بالمملكة. فمنذ عدة سنوات كان الجانب الإقطاعي يطلق اتهامات غريبة ضد مايونى، ليبرز الثورة دون حق، كانوا يتهمونه بأنه يطمح للوصول إلى التاج، وأنه حاول اغتيال جوليلمو، وأنه يدفعه نحو أشد الأعمال قسوة حتى يظهره بصورة الطاغية؛ والآن أضافوا، في تمكن شديد، تهمة أنه عمل على إسقاط المهدية، بنية مبيتة، حتى يثير كراهية جديدة ضد الملك(1)، ولكن البلاط بكامله كان لا يسلم من الشكوك القوية؛ فهناك تواطؤ الخصيان مع المسلمين وتواطؤ مايونى مع الخصيان؛ ثم عدا، الوزير والملك للنبلاء، وكان منهم كثيرون في المهدية؛ وكذلك كانت هناك الرغبة في تخليص الخزائن العامة من تلك السيطرة(2) المكلفة التي لا طائل منها. لماذا لم يحرقوا بيترى الخصى مثلما فعلوا مع فيليب المهدية(3)؛ لماذا لم يعيدوا إرسال السفن إلى أفريقية بقيادة أمير مسيحي، يتمتع بسمات الرجولة الحققة، ويعرف كيف يثار لراية صقلية ويخلص الحامية من الجوع(4). إن كتاب الأخبار يكتبون القليل أو لا شئ عن هذه المشكلات وهي اقتضاب يدونون الحدث الخطير، الذي حدث في عام ٦٠ ذاته، وهو أن مايونى نزع سلاح المسلمين في بالرمو(4)، ودون ذكر أسباب ذلك؛ أكان عقاباً للجنود المسلمين بالأسطول الذي هرب من مياه المهدية، أم كان ذلك لإحباط حالة الزهو التي أظهرها بعد انتصارات عبد المؤمن، أم كانت فتنة تم كشفها، أم لشكاوى

(1) فان فالكاندرو وروموالدو سالرنهاتنو، في كتاب كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ١١٢ وما يليها ١١٩ و ١٢١ و ١٢٦ و ١٢٥ و ١٢٦.

(2) عن هذا الدافع الاقتصادي قلط كان حديث فالكاندرو، المرجع المذكور، ص ١٢١.

(3) لقد أضفت أنا هذا الاقتدار، ربما سقط بيترى في عداد المفضوب عليهم، أو كما تقول نحن في يومنا هذا أعفى من منصبه، ولكنه عاد يحظى بالرمى بعد سنتين.

(4) فالكاندرو، المرجع المذكور، ص ١٢٥.

المسيحيين الذين رُوعوا فيها وأهينوا. وما هو مؤكد أن عبد المؤمن كان في تلك الأونة يصلح من استعدادات ساحل أفريقيا بصورة تشغل بال جهرانه كثيراً.

وبعد أشهر قلائل من تسليم المهديّة، اتفقت مدن وبارونات البر الإيطالي فيما بينهم على عدم إطاعة أية أوامر ممهورة باسم مايوني؛ فلم يمض من الوقت الكثير حتى حدث ذات ليلة (١٠ نوفمبر ١١٦٠) أن تصادف وجوده بالقرب من ديار رئيس أساقفة بالرمو. فاستوقفه رجل الدين الذي أقسم له بأخوته للحديث معه. فقتله ماثيو بونيللو، وهو شاب من النبلاء، قد صنعه هو نفسه. وكان ينظر له بخالص الوفاء بينما كان ينسج مؤامراته مع البارونات الناقمين؛ وبعد أن قام بهذا العمل البشع، أصبح بطلاً شعبياً في بالرمو وفي جميع أنحاء المملكة. وكان على جوليلمو أن يشكره في البداية لأنه قتل له رئيس وزرائه. وبعد أن زالت حالة الجزع، بدأت شلة خصيان البلاط ورجال الدين الحكام في تهديدهم لماثيو؛ لذا رأى المتضررون التعجل بالضربة الكبرى وهي خلق الملك، وأن ينصبوا الصبي روجيرو، ابنه ملكاً، ويحكموا هم.

ولم ينجح من المؤامرة سوى بدايتها. فقد قام أمراء أصلاء من السلالة وأمراء دخلاء عليها وبارونات وفرسان، يساعدهم أيضاً قائد من قواد الحرس، ويدعمهم جنود مرتزقة ورجال من العامة، واخذوا جوليلمو في قاعات المجلس؛ واقتسموا الكنوز التي كدسها روجيرو الكبير، ونساء الحريم؛ ونهبوا القصر الملكي؛ (٩ مارس ١١٦١) وساروا بمركب في شوارع المدينة ومعهم خليفته الذي عينوه<sup>(1)</sup>. ولم يسفك المتآمرون دماً أخرى غير دماء المسلمين؛ وهذا يوضح من كانوا أعدائهم الأساسيين. وقتلوا جميع الخصيان الذين وجدوهم في قصر الملك وخارجه، بينما ذهب الأصدقاء ليختبئوا في ديارهم؛ كما

(1) قارن بين: فالكاينو وروسالو سالرنيتانو.

قتلوا أيضاً المسلمين الذين كانوا يعملون في تحصيل الجباية، أو في الوكالات يبيعون بضائعهم؛ وجردوا الجثث من كل ما هو غالٍ. وعند هذا تجمع مسلمو كاسارو، وهو أغنى أحياء المدينة، في الضاحية الغربية، وأغلقوا الدروب التي تؤدي إليه، وهكذا ودون سلاح كافٍ استطاعوا التصدي لمهاجميهم. ومات من المسلمين عدد غير قليل خلال حركة التمرد هذه<sup>(1)</sup>. ومن بين من قتلوا كان الشاعر يحيى بن تيفاشي، وكان نازحاً من قفصة، وهو من مواطني قابس، ولعله جاء إلى بالرمو<sup>(2)</sup> بحثاً عن حظه في البلاط بعد أن أطاح عبد المؤمن ببلاط الحكام الصغار في أفريقيا. ويمكننا أن نستنتج أن الإدريسي قد رحل بعد تلك المذبحة، حيث كان في بلاط جويليمو قبل ذلك؛ ولأننا نعلم من أحد معاصريه أنه كان قد خصص للملك الجديد نسخة موسعة من كتابه نزهة، وهي نسخة لم تصل إلينا<sup>(3)</sup>.

وكان ماتيو بونيللو غائباً؛ ودب الخلاف على التو بين المتآمرين؛ أما شعب بالرمو الذي كان ينظر ذلك المشهد وهو متعجب ومتحير، في انتظار ظهور ماتيو. فقد بدا يتهامس بأنه لا يمكن ترك الدولة لشلة من المتمردين، قادرين فقط على نهب القصر، وذبح العزل، لا أكثر. أما رجال الدين من الحكام الذين ترددوا بادئ الأمر، وظلت غالبيتهم تتوخى الحذر. فقد تشجعوا وأخذوا يحثون الشعب على تحرير الملك؛ ويقول فالكاندو إن الكلمة سرت من القلائل إلى الجماهير: كما لو كانت أوامر قائد عظيم جهور، أو كما لو أن صوتا

(1) فارن: فالكاندو وروموالدو سالرنيتانو. المرجع المذكور، ص 171 وما بعدها، 866.  
(2) يقول عماد الدين في الخريدة، في نس المكتبة العربية، الصقلية، ص 596، إن فرنجية صقلية فتكروهم بعد عام 550 (1155 - 1156) بالمذبحة التي نفذوها للمسلمين، ويبدو لي أنه يقدر نسب هذا الحدث إلى تمرد بالرمو. بدلاً من نسبة إلى الإعلان الذي أصدره ألونجوبلارد بعد ذلك بقليل في الجزيرة.

(3) ابن بشرن. استشهد به رينو. *Geographie d'Aboulfeda*. المقدمة ص 171. وكان عنوانها: روض الأنس ونزهة النفس.

من السماء دفعهم إلى ذلك، فلبّأوا للسلاح: حتى إنه خيل لنا، ونحن نقرا ذلك، أننا بصدد قراءة البوادر الأولى لجميع ثورات بالرمو، منذ حركة الخروب الصقلية وحتى يومنا هذا. والتف الشعب آنذاك حول القصر الملكي؛ ولما كان المتآمرون غير كافين للدفاع عن تلك الأراضي الشاسعة خلف الأسوار، لبّأوا للتفاوض مع الملك، وانصرفوا وقد عفى عنهم. وظل هو ملكاً (١١ مارس)؛ ومنح أهل بالرمو امتيازات جديدة، وأمن نفسه بالأسطول الذي أرسل في طلبه من مسينا وبالقوات التي أتت إليه من تلقاء نفسها من مختلف أنحاء الجزيرة؛ وأخذ يعيد تنظيم إدارة الحكم المتهدمة. وخرج حينئذ بنفسه ليحارب البارونات الذين أعلنوا تمردهم في شرق صقلية: وقهرهم (صيف عام ١١٦١)؛ وفي نجاح مماثل وقسوة أشد. اخمد حركات ولايات البر الإيطالي (١١٦٢). ثم أمر بعباغنة بونيللو والقبض عليه وفقاً لعينه، وكسر شوكرته، وانتهت محاولة تمرد ثانية في القصر بموت جميع المتآمرين (١١٧٢). وكما يتضح فإن كبريات مدن الجزيرة كانت تقف إلى جانب الملك، ضد البارونات، الذين كانوا بالنسبة لأهلها طفاة أكثر ظلماً (١).

وعلى العكس اتحاز السكان اللونجوبارد للبارونات المتمردين، وهم السكان الذين تحدثنا فيما سبق عن اتجاهاتهم ونظام البلديات لديهم. وسبب الخلاف، فيما أرى، يرجع إلى أن أهل البلديات في مناطق اللونجوبارد كانوا يختلطون بالإقطاعيين المنتمين إلى أصلهم، لذا كانت نزعة السلالة تفوق نزعة الطبقة، والمصالح أيضاً، حيث إن مصالح كلا الطرفين كانت تتعارض مع حقوق السكان القدامى الذين كان البلاط يدافع عنهم دائماً. ونعرف من فالكاندو أن روجيرو سكيافو، أحد القادة المتمردين، بعد أن استمال إلى جانبه بياتما، وبوتيرا وأراضي لومباردين أخرى، أعطاهم مكافأة كبيرة، أي دم

(١) هارن بين: فالكاندو ورومانو.

المسلمين، وأنا أصحح وأقول، ممتلكاتهم: أولئك المسلمون الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق، حسب قول فالكاندو، في الأراضي مع المسيحيين وكان بعض منهم يقيمون بمفردهم في بيوتهم الريفية. وعندما هاجم اللومبارد هؤلاء السكان الزراعيين بفتة (ربيع عام ١١٦١)، قتلوا منهم كثرة لا يحصى عددها، دون استثناء لنوع أو عمر. ونجا من المذبحة قليلون، فمنهم من فر في الغابات ومن لجأ إلى الجبال؛ ومن تسلل إلى الخارج وهو يرتدى ثياب المسيحيين؛ ولجأوا إلى حصون صقلية الجنوبية التي كان يسكنها إخوانهم في الدين؛ حيث كانوا مازالوا يقيمون هناك حتى وقت أن كتب فالكاندو (١١٨٨)، وظل اسم اللومبارد يخيفهم حتى لم يقتصر الأمر على عدم رغبتهم في العودة إلى ديارهم، بل إلى فشل كل الوسائل لمحاولة إخراجهم من نطاق الريف<sup>(1)</sup>.

إن الكراهية الدينية التي ظلت ناشئة على مدى جيلين أو ثلاث، بدأت توظفها الحروب الأهلية، وأخذت تعمل في حمية يفشاها العمى، ولم تميز انتماء أو مصلحة. ولما كان جيش جوليلمو يجمع بين المسيحيين والمسلمين، فقد تفجر بينهم عراك دموي، بينما كانوا يقومون مآء بدمير مدينة بيانسا، ولم تجد أصوات القواد ولا أمر الملك في تهدئتهم قبل أن يسقط بينهم مئات القتلى من المسلمين<sup>(2)</sup>. وخلال هذه الأحداث وما أن عاد الخصيان إلى مراكزهم حتى بدأ رد الفعل لدى المسلمين. وكان الجاييتو مارتينو،

(1) فالكاندو، المرجع المذكور، ص ٤١٠. ويشير إلى ذلك رومالدو إشارة ملهفة. المرجع المذكور، ص ٨٦٨. ويجب تذكر ما قلناه عن روجيرو سكياثو وعن السكان اللومبارد في الكتاب الخامس، الفصل الثامن، ص ٢٢٢ وما يليها، ٢٢٦ وما يليها، من هذا المجلد. ويجب ملاحظة أن بونيرا كانت إقطاعية دائماً، وأن بيانسا، كما يقول هذا فالكاندو، كانت في حوزة والد روجيرو سكياثو، أي الكونت سيمون، ابن أريجو، من ماركيزات البراسي.

(2) فالكاندو، المرجع السابق، ص ٤١٢.

قد ظل يباشر أمور الإدارة في القصر وفي العاصمة، بينما كان الملك يحارب المتمردين، وأخذ ينتقم من المخطئين في الذات الملكية، سواء كانت تهمتهم ثابتة أو مشكوك فيها. كما قتل المتآمرون أحد أشقائه: أخذ يتهم هذا وذلك؛ وجعل يدعم اتهمه من خلال المبارزين حتى الموت لإظهار الحق ومن خلال شهود زور في المحاكم التي تنظر طبقاً للقانون الروماني؛ وكان يتم شنق المحكوم عليهم، وتنمق أجسادهم من الضرب، أمام السراينة الذين كانوا يسخرون منهم، حسبما كتب هالكاندو(1)، والجاييتو بيثرو، وهو ذاته ذلك الخصي، الخائن الذي خان الأسطول في المهديّة(2)، حينما عاد على السطح مرة أخرى بعد استعادة جوليلمو للنظام، أخذ يقوم بالثار من خلال سجان أو جلاد مسيحي، اشتهر بشراسته في مالا يخص من الأعمال الأثمة وكان عميلاً ووسيطاً للمسلمين، وإن حق لنا أن ننق غاية الثقة في استياء هالكاندو الصادق، فإن جميع رجال الدولة، من منفذي أحكام أو قادة، أو حكام، ممن كونتهم تعزيبات البلاط، كانوا جميعاً يخدمون البلاط ويخدمون أهواءهم الخاصة، وكانوا يتقهرون ويفرضون الإتاوات في حرية تامة(3).

ومع وفاة عبد المؤمن (٢٦ مايو ١١٦٣) التي خلصت مسيحيي إسبانيا(4) من خوف كبير، استيقظ فيما يبدو لدى بلاط الرمو

(1) المرجع السابق، ص ١١١ - ١١٥.

(2) في أوائل ملك جوليلمو الصالح، حينما كان هو حاكماً على الدولة وصرب إلى أفريقيا خوفاً من البارونات أعدائه، وصفه الكونت جرافينا في حضرة الملكة بأنه "servum saracenum qui stolium dudum prodiderat"، هالكاندو، المرجع السابق، ص ١٥٤.

(3) هالكاندو، المرجع السابق، ص ١١٨.

(4) كان عبد المؤمن من أكبر رجال الحكم في زمانه؛ وكان أيضاً عالماً بالطب والفلسفة والرياضيات، حسبما تشهد على ذلك إحدى مؤلفاته عن تعاليم المهدي الحقيقي أو المفترضة، وهو المهدي الذي أسس أول سلطة للموحدين؛ وهذا المؤلف يوجد مخطوطاً في المكتبة الإمبراطورية بباريس، *Supplément arabe*، رقم ٣٢٨. ولما تمكن عبد المؤمن من ضم المهديّة، أمر بعمل سجل مساحي بأفريقيا الشمالية، وبفهاش مسطح الأراضي بالفرسج المربع، وطرح الثلث منها لحساب الجبال والأنهار والمستنقعات،



الأمل أو ربما أنته الشجاعة للقيام بحركة ضد الموحدين؛ وربما أراد بها كبار رجال الدين في البلاط بذل الجهد في سبيل الدين والوطن؛ وما كان للخصيان، وأولهم بيثرو، أن يخرجوا على اللياقة ويرفضوا لهم هذه اللعبة. لأننا نقرا في حوليات المسلمين في الغرب أنه في سنة خمسمائة وثمان وخمسين (١٠ ديسمبر ١١٦٢، ٢٩ نوفمبر ١١٦٢) نزل الروم بالمهدية، أو بزويلة، على ما أرى، فأثاروا فيها الرعب وأحدثوا الخسائر، ثم انقضت سفن الأسطول بفتنة على سوسة، وكانت تحكم حينئذ باسم الموحدين بزعامة عبد الحق بن الهناس، وإن المسيحيين أخذوا منها أسرى كثيرين، وقتلوا، وخرّبوا وأخذوا معهم الحاكم إلى صقلية هو وأبناءه، الذين جرى تحريرهم فيما بعد؛ ولكن سوسة، لم تستعد إعمارها حتى القرن (١٢) الرابع عشر.

وبعد أن تعب جوليلمو من جهده الثاني الذي بذله ضد المتمردين، ترك الحكم في يد وزرائه. فلم تعد لديه رغبة في سماع المزيد من المشاكل. وإذا أخذ يتبارى مع والده فيما يسرى عن النفس فقط، بدأ في تشييد قصر أراد أن يفوق في فخامته وروعته ما تركه له روجيرو من قصور. وفي زمن وجيز رفعت أسوارها، وكانت تكاليفه عظيمة.

---

وفرض بنسبة المسطح المتبقى، ضريبة تلزم القبائل بدفعها بالفلال أو بالثمن، وبدأ ينقل إلى أسبانيا عرب أفريقيا النسياء، ويقولون إنه أمر بتجهيز ٧٠٠ سفينة، وأمر بصناعة ١٠٠٠ قنطار من الحراب يوميا؛ واكتئاب ٥٠٠.٠٠٠ رجل... إلخ. ومن هذه الاستعدادات انظر ابن الأثير، عامي ٥٥٥ و٥٥٨، طبعة تورنبرج، المجلد الحادي عشر، ص ١٦٢ وما يليها وص ١٩١ وما يليها في النص المراكشي، النص، ص ١٦٨؛ القيرطاس، طبعة تورنبرج، النص ص ١٢٩ و١٣١ و١٣٢، والترجمة ١٧١ و١٧٦ و١٧٧؛ وابن أبي دينار (القرواني) الترجمة الفرنسية ص ١٩٦.

(٢) قارن: البهيان، عام ٥٥٨، والتيجاني، وكلاهما في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٣٧٤ و٣٧٨ و٣٧٩، وضع أولهما تاريخ نزول الروم بشكل عام حسب قوله، والحدث الجديد، كما يسميه، بالمهدية واحتلال سوسة؛ أما عن الثاني فإنه يذكر الحاكم، الذي وضع الموحدين في سوسة بعد أن استولوا على للمهدية، ثم يشير إلى المذابح، وعمليات النهب والأسر في سوسة وإلى الأسرى الذين أحضرهم الأسطول إلى صقلية، لذا فما من شك في صحة الحدث.

وأطلق على هذا القصر الجديد اسم العزيز، الذي أصبح «لازيزا Ziza» على لسان الإيطاليين، وهكذا نسميه حتى يومنا هذا (1). وهذا الاسم يعني «المجيد» ويقصد به السراى أو القصر؛ وهو اسم عربي، مثله مثل الكتابات التي تبقت منها آثار طفيفة فى الإفريز، وهى أجزاء طويلة بالقاعة الأرضية، ومثل الرسوم العربية والأعمدة الصغيرة والزخارف؛ بل مثل البناء ذاته، وربما مثلما كانت غالبية صانعيه وربما البلاط كله، مما كان يمثل الاختلاط بالحضارة المسيحية كما لاحظنا فى مواضع أخرى، وهو اختلاط أثبت مع مرور الزمن تولفته وجماله فى الفن أكثر منه فى إدارة الشؤون العامة. وكانت تحيط القصر حدائق غناء وبساتين يانعة، وجداول تجرى وأسمالك للزينة (2). وقبل أن توضع اللمسات الأخيرة بقصر زيزا تولى جوليلمو عن ست وأربعين سنة، فى الخامس عشر من مايو عام ألف

(1) لا يذكر هالكاندو اسم القصر. أما نص رومالدو فيورد اسم *Lisam* ليسام، فى الطبعات القديمة؛ أما طبعة برتر. *Scriptores*، ١٩، ١٢١ فتورد بشكل أصح. *Sisam* سيسام، مع التثنية فى الهامش "*Hadie Ciso*". وهى صيغة ربما ساعدت الأذن الأجنبية على استيعاب الاسم ولكنى لم أجده فى أى من كتاباتنا. وعلى العكس من ذلك فإن وثائق القرن الثالث عشر والرابع عشر اللاتينية وأحد المؤلفات التاريخية فى القرن الرابع عشر أيضاً، نقرا بها جميعها *Ziza* زيزا، و *Assisio* أزيزيا. وهى إحدى وثلاثين عام ١٢٢٨، فى كتاب مونيجيتورى. *Sacrae domus Mansionis... Monumenta*. تتضمن إعطاء قطعة أرض فى منطقة *Assisio* أسيوزى، بصيغة المذكر. وهى النهاية، أى أن صفة *El-Azz* العزيز فى صيغة المذكر، تصف اسماً مستتراً وهو القصر، كما وأنه موجود فى الكتابة العربية المكتوبة فى القاعة الأرضية، التى قام بنشرها مورسو، *Palermo antico*، الطبعة الثانية، ص ١٨٤. ولكنى مزعج أن أتاول ذلك بشكل مطول فى الفصل العادى عشر من هذا الكتاب. ويجب ملاحظة أن صيغة *Sisa* سيزا تتوافق تماماً مع النقل الصوتى لاسم عبد العزيز، الذى ورد فى وثيقة من عام ١٢٢٩، فى سجل الإمبراطور فريديكو الثانى، طبعة كركانى، ص ٢٩٨، ورد مكتوباً *Abdelisais*. (2) قارن بين: هالكاندو ورومالدو. فى المرجع السابق، ص ٤١٨ و ٤١٩ و ٨٧٠ و ٨٧١. وحتى فى التفاصيل الصغيرة يظهر النداء من جانب أحدهما واهتمام رجل البلاط من جانب آخر. وهى سبيل المثال فإن هالكاندو يستمتع بذكر أن جوليلمو لم يتمكن من رؤية القصر وقد تم تشييده؛ بينما يوحى رومالدو بأن العمل فيه كان قد انتهى. ويسهب فى الحديث عن المياه والحدائق القائمة فى ذلك الموقع الملوكى، ويتحدث عن التسيّفساء التى أضافها جوليلمو لكهنة القصر ... إلخ.

ومائة وست وستين(1). وعند إقامة مأتمه، الذي استمر ثلاثة أيام، تجمع حوله جمع هائل من رجال البلاط والمواطنين. هي ثياب الحداد؛ ولكن فالكاندو، يسجل، ونحن نصدق ما يقول، إن النساء الممسلمات كن يلبسين حقاً، وهن في ثياب من الكتان مشعثات الشعر، يطلعن في الشوارع خلف جماعة من الوصيفات ويولولن ونحن نواحاً واهناً على دقات الدفوف(2).

---

(1) فمت بتصحيح يوم الوفاة حسب مدونات كاسينو *Cronica Cassinese* وكتاب الوفيات بالدير ذاته، في كتاب كاروزو، المرجع السابق، ص 512 و 513.

(2) إن مشاركة النساء، حسبما ذكرها فالكاندو، في جنازة جوليلمو الأول، تشبه تماماً ما نسب لهن في أيام جنازة الملك الصالح بالقاهرة (١٢٤٩)، موضع لدى أبي المحاسن، نشر م. كاترمير نصح وقام بترجمته في *Histoire des Sultans Mamlouks*. المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ١٦٤. كانت الإماء تطوف بالطريق لأيام عديدة وهن يخررن الدفوف، بينما كانت السيدات تتبعهن دون حجاب، وهن يلبسين ويلطمن وجوههن.

## الفصل الخامس

نجح جوليلمو الثانى نجاحاً كبيراً فى أن يجنى من وراء طغيان أبيه الثمار الطيبة، وأن يتحاشى الأحقاد، ويفضل حكمة الأوصياء وهدوء طبيعه وحبه للحق، استطاع أن يكسب حب معاصريه، وثناء التاريخ عليه، سواء فى الداخل أو الخارج، وسواء كانت ميزة أم عيباً فى الشعب، حين تتغلب المشاعر فيه دائماً على العقل؛ فقد غفر اللاحقون لجوليلمو الصالح ذلك الوهن والضعف فى الرأى الذى أدى بعد موته إلى فتح هوو سحيقة: أى الانقسام بالبلاط، والدماء التى أريقت فى المملكة، وإيطاليا وقد أصبحت فريسة للطامعين، رغم نصر لينياجو واتفاق سلام فينسيا. وكان أبوه قد عمل على عكس ذلك، على إضعاف نظام البارونات بكل الوسائل وأكبر أعداء الدولة؛ كما عمل على الحفاظ على نظام إدارة روجيرو، إلا أنه لم يكن هناك وجود لملك؛ وبعد موت مايونى لم يعد وجود أيضاً لرئيس وزراء، حيث قسمت السلطة بين أحد الأساقفة، وأحد الأمناء وأحد القادة، وكانوا يمثلون طبقات الرعايا الثلاث التى كانت تحظى باهتمام البلاط. ولهذا ذاتهم عهد جوليلمو الأول بالوصاية على ولده، ووضع على رأسهم الملكة مرجريتا، النصارية، التى لم تكن بالخاملة أو الضعيفة، بل كانت صديقة للوزراء العاملين؛ حتى تقولوا عليها أنها عشيقة لمايونى، ثم لستيفانو، وكادوا يضمنون أيضاً فى القائمة الخاصى بيترى. وفى البداية عملت حكومة الوصاية على إرضاء أكثر الطبقات تضرراً؛ فاختارت كونتات جدد؛ وقدمت إقطاعيات من الأراضى والقرى؛ وأسقطت ديوناً؛ وألغت رسوم التحرير، التى كانت، على ما يبدو، تفرض على المتمردين المعنى عنهم، أو المشتبه فيهم؛ ومنحت إعفاءات للمواطنين؛ وحررت عبيداً

بالبلاط أو بالأملاك الأميرية(2). وكان جوليلمو الثاني، أشقر الشعر حلو الملامح، شاباً صغيراً في الرابعة عشر من عمره، متقدماً في دراسة الآداب، وقد توج في بالرمو، وسط آمال عريضة، لم يخيبها أبداً بإرادته.

وما أن هدأت مشاعر التمرد، والاستياء أيضاً، حتى تفجرت الانشقاقات داخل البلاط: وفي وسط تناقض الأشخاص فيما بينهم، ظهر على السطح عداة السكان الأصليين للأجانب. وقد بينا كيف أنه منذ مُلك روجيرو، كانت الطائفة الرهبانية الكاثوليكية الغربية، الفرنسية المناصرة للبابوية، كانت تمد حبالها حتى بلاط بالرمو المعم(2). وقد كانت تعدة بافراد من رجال الكنيسة الذين لا نجد فقط أسماءهم وسط رؤساء الأساقفة والأساقفة والأحبار ومعلمي الملوك، بل نكتشف أيضاً وجود لفتهم في لغة الأمناء أو الناسخين: فكثيراً ما كتبوا الألفاظ العربية بالوثائق حسب النطق الفرنسي(3). وكانت ترسل إلى البلاط أيضاً قواداً مرتزقة، يحصلون، إذا لزم الأمر، على بعض الإقطاعات.

وبعد أن أصبح أحد أقرباء الملكة مرجريتا، كونت جرافينا، قام

(1) انظر الوقائع في فالكاننو، لدى كاروزو، Bibl. Sic. من 161 - 162. وما يبدو لي مستبعداً أن تكون بعض هذه الإجراءات قد ورد الأمر بها في وصية جوليلمو الأول. وهناك على الأقل جزء في فالكاننو، المرجع السابق، من 161، وبه ما يثبت أن القاضي بييترو قد عُيِّن في الوصية وصدق على عتقه الأوصياء على المرض. (2) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، من 117 و 118، 119 من المجلد، (3) إن الوثائق العربية واليونانية الصقلية التي سوف يقوم البروفيسور كوزا دي بالرمو بطباعتها، سوف تقدم مادة واسعة تمثل هذه الملحوظات. ومع ذلك فإنني أود أن أسبق مثلاً، ماخوذاً من وثيقة عربية كتبت في مون إلى عام 1182. وأرسل لي نسخة منها، الأستاذ الجليل، وتوجد ترجمتها اللاتينية في ليللو (ميكللي بل چوبيتش) *Descrizione del real Tempio... di Morreale*. في حواشي *Privilegi e Bolle*. وما يليها. وفي هذه الوثيقة نجد لفظ حارق *Adrik* المستخدم عادة في صقلية بمعنى فضية، نجده مترجماً إلى "terterum". وهو لفظ فرنسي أخذ شكلاً لاتينياً؛ واسم المكان ديسش *Desalsc*. نجده منقولاً *Dichichi*: والاندلسيين (الأسبلن) *Hendulcini*: وجباليين *Giabkalin*. *Chupkalinos*... إلخ.

بالتآمر مع الإنجليزى ريكاردو بالمر، أسقف سيراكوزا المنتخب، ضد الخصى بيثرو، الذى كان كبير الوزراء ويحظى بمكانة قوية لدى الملكة، ولدى رجال البلاط، ورجال الحرس وفى أمور الإدارة. واحتدم الخلاف جداً، حتى أن بيثرو، الرجل الضعيف النفس، حسبما كتب فالكاندو، حينما خشى على حياته هرب من البلاط ومن المملكة، وبعد أن زود سفينة سريعة بالبحارة، والسلاح وكل شئ، وبعد أن عمل على إحضار كميات كبيرة من المال ليلاً، ركب جواده ومعه عدد قليل ممن يتق بهم من الخصيان، بزعم أنه ذاهب إلى قصر جديد شيده فى هس كمونيه(1)، وتوجه إلى الميناء، وصعد على المركب، ولجأ إلى أفريقية، لدى الملك المصمودى، هكذا كتب فالكاندو، ورئيس أساقفة سالرنو مع قليل من الاختلاف(2).

ويكتب ابن خلدون عن شخص اسمه أحمد كان يلقب بالصقلى، ولد فى جربة، من عائلة صيدغيان التى كانت فرعاً من قبيلة صدويكيش. من البربر، ويقول إن الأسطول الصقلى قد أخذه من سواحل تلك الجزيرة، وتربى فى صقلية، ودخل فى خدمة الملك الخاصة، وأصبح من المقربين له، ثم تعرض لفضب خليفة الملك، بإيماز من منافسيه؛ ولذلك، حينما شعر بالخطر على حياته، هرب إلى تونس، وكان يحكمها آنذاك أحد أبناء عبد المؤمن، ومنها عبر إلى مراكش، لدى الخليفة يوسف. واستقبله الخليفة بإكرام كبير، وأغدق عليه المطاء، وكلفه بتنظيم الأسطول، فجعل منه أحمد أسطولاً كبيراً وقوياً، كما لم يكن أبداً من قبل أو من بعد؛ وتميز على متن ذلك الأسطول بمعاركه الرائعة وانتصاراته

(1) يسمى اليوم البرجارية.

(2) فى كتاب كارو، Bibl. sic، ص 161 و 172. إن رئيس الأساقفة الذى كان مناصراً للخصى، قد اعترف بأنه هرب مع الخرين، "et ad regem de Marocco veniens, multam secum pecuniam transportavit". ونرى من هالكاندو أنهم اتهموه أيضاً بأنه أخذ معه شبارات الملك، ولكن الملكة أكدت إن الكنوز الملكية لم تمش.

الشهيرة على المسيحيين<sup>(1)</sup>. استمر يوسف في الحكم من عام ألف ومائة وثلاث وستين حتى ألف ومائة وأربع وثمانين. وكما أن هناك توافقاً في الزمان فإنه كذلك أيضاً بالنسبة للظروف التي ورد ذكرها عن الجاييتو بيترو وأحمد الصقلي: فأحدهما أميرال صقلي أمام المهديّة وكبير وزراء بلاط بالرمو، متهم بالتآمر مع الموحدين؛ والآخر لاجئ لدى الموحدين ومعه كنوز عظيمة، حيث استقبلوه في ترحاب شديد في تونس ومراكش، ثم يفيدون منه في الحال في شنون الصفن؛ وكلاهما عبد، صعد إلى مرتبة عليا في بلاط بالرمو، ثم طرد لعداء شخصي. ويجدر ملاحظة أن بيترو قد اتهم بالخيانة، لا الجبن في أحداث المهديّة<sup>(2)</sup>.

وما أن اختفى من الساحة الجاييتو بيترو أو أحمد الصقلي؛ أيا من كان، حتى عانت زمرة السكان الأصليين من هجمة جديدة من الفنامرين أرسلهم الجانب الكاثوليكي في فرنسا وإنجلترا للاستيلاء على بلاط بالرمو: كانوا ما يقرب من ثلاثين رجلاً برأسهم شاب قوي، من أقارب الملكة، وهو سستيفانو دي

(1) ابن خلدون، المقدمة، النص العربي بباريس، الجزء الثاني، ص ٢٧ و ٢٨، وفي المكتبة العربية، الصقلية، ص ١٦٦، وترجمة البارون دي سلال الفرنسية، الجزء الثاني، ص ١٢، وفي كتابه عن تاريخ البيرس، النص العربي بالجزائر، المجلد الأول، ص ٢٢٦، وترجمة البارون دي سلال الفرنسية، الجزء الثاني، ٢٠٨. يقول المؤلف ذاته إنه في عام ٥٨٩ (١١٨٥ - ١١٨٦) حينما صرف خليفة الموحدين يثوب بحركة ابن غالية على قسطنطينية، أرسل في مواجهته الأسطول بقيادة محمد بن أبي أسحل بن جامع، مع أبي محمد بن عتوش. ومع أحمد الصقلي. وإن ذلك القائد الأخير تمكن بفرقة من الاستيلاء على بجاية.

(2) حينما نطبق قوانين ذلك الزمان على رواية ابن خلدون، فسوف نرى أن الصبي أحمد قد حضر إلى صقلية عبداً، ثم أن فالكاندو قد نص بوضوح على أنه ظل هكذا في البلاط، وقال إن الكونت جرافينا، حينما علم بهروبه، لام على الملكة الأرملة قفلتها حين رافقت عبداً من السراينة سبق أن قام بظهانة الأسطول؛ إلى مرتبة عالية كذلك: كما أضاف أنه من القريب عدم دخول المصموديين خفية داخل القصر الملكي، حتى يخطفوا الملك وكل كنوزه. ولكن كونت موليزي الذي كان مناصراً لبيترو، كان ينفي أنه كان عبداً، في حين حوّر جوليئمو الأول في وصيته، افترأ تحريره الملك الجديد والملكة، في كتاب كايرو، Bibl. Sic. ص ١٥١.

روترو (1)، أحد كونتات بيرش (١١٦٧). كان المواليون للبابا من بلاد ما وراء جبال الألب مهتمين بأن يكون حكم صقلية في أيدي أمينة، بينما كان يجري حسم التنازع الواسع الذي شمل إيطاليا؛ وتوجه النظر إلى مملكة صقلية وما تدر به من كنوز وسلاح، وإمكانية ترجيحها للموازنين إن قررت وارتعت في جانب الساندرو الثالث، بدلاً من أن تتلاعب كما كان يعمل بلاط بالرمو، عملاً برأي مستشاريه من السكان الأصليين، الذين كانوا موضع شك الإمبراطور والبابا على حد سواء. وفي هذه الظروف جرت محاولة غير مباشرة لصالح بكيث، رئيس أساقفة كانتربري الشهير، الذي تخاصم مع رئيسه وانتظاراً لقرار روما، أراد البلاط والإكليروس الفرنسي أن يدافع تاج صقلية عن رئيس الأساقفة الثاني، لدى البابا والكرادلة. والدليل على ذلك ثابت في رسائل بيتر دابلوا، وجوفاني دالزبورج، ولويس السابع ملك فرنسا ورسائل بكيث ذاته؛ الذي كتب، ذات مرة، للملكة مارجريتا، أنه يرسل إليها بمبعوث يتحدث باسمه وباسم دير كلوني عن «فكر الكنيسة الغربية كلها» (2). وتكفي هذه الكلمات للكشف عن الطائفة كلها.

وجاء الشاب النبيل، الشجاع، المحب للعدالة، إلى صقلية بصعوبة

(1) انظر بشأن هذه العائلة النبيلة، جيل بيرش *Histoire du pays et comte du Perche*، باريس، ١٦٢٠. كانت أراضي كونتية بيرش تقابل تقريباً الأراضي الحالية لتقسيمات أورن وإور ولوار.

(2) انظر بيتر بيلسنسي، *Epistolae*، أرقام ١٠ و ١٦ و ١٦ و ٩٠ و ٩٢، وقد أعاد كارولو طبع بعضها، المرجع السابق، ص ١٨٩ و ١٥٠١ و *Canterburienis Epistolae*، Thomae، الكتاب الأول، الرسالة ٥٦ و ٥٧ و ٥٨، من طبعة بروكسل، ١٦٨٢ ورسائل جوفاني دالزبورج، من مئونة الشافيهكان، الكتاب الثاني، الرسالة ٦١ والكتاب الثالث، الرسالة ٨٠، لدى هارونير، *Annales*، عام ١١٦٨، § ٦٢؛ ومارن عام ١١٦٩، § ٢؛ والرسالة رقم ٢ للروفيكو ملك فرنسا السابع وجوليمو الثاني بصقلية، وعام ١١٦٩، في *Collection de Documents inédits sur l'histoire de France, Série, Lettres des Rois, etc*، المجلد الأول، باريس ١٨٢٩، ص ٢. هذه الرسالة تم إرسالها إلى بلاط بالرمو على يد تيوبالدو رئيس دير كريس، ووكيل دير كلوني، وكانت بمثابة أوراق اعتماد له لدى جوليمو الثاني.



رجال علماء، وأعوان أقوياء، وطامعين أيضاً من أصحاب المصالح؛ واستقبلته الملكة قريباً من أقرانها، وبطلا وقيل أيضاً أكثر من ذلك؛ وعين في الحال رئيساً لديوان المملكة، ثم ما لبث أن أصبح كبير أساقفة بالرمو، وكانت مساعدة البابا لذلك كبيرة. وبدأ ستيفانو في التو في إصلاح المحاكم والإدارات العامة التي ترك بها النظام القائم نقائص كثيرة، وفتحت العدالة حينئذ المجال لمطالبات بالثار من الوصفاء ومناصريهم، حتى أنه، إلى جانب القوانين العادلة، كانت تطبق، غير العادلة أيضاً، حين كان بإيعاز من مسيحيي بالرمو، يتم الحكم على كثير من المسلمين، بتهمة إنكار الدين<sup>(1)</sup>، وكان هؤلاء الرؤساء مثلاً شجع المواطنين على المطالبة بتعذيب أحد التمساء كان في حماية البلاط، وهو روبرتو دي كالاتايبانو، وقد اتهم بتجاوزات كبيرة، ومن بينها إصلاح مسجد في القلعة على البحر وأنه يمتلك حانات، يدفع فيها فتيات وصبية مسيحيون لممارسة البغاء مع المسلمين، وكادت تصرفات ذلك المبعوث تهدد بهدم خطة بيكت بكاملها؛ لأن الوصفاء أسرعوا بالخضوع عند أقدام الملكة والتوسل إليها، واستحلفوها ألا تتخلي عن ذلك الخادم الأمين وهكذا قاومت ستيفانو لأول مرة ومنعته من المضي قدماً فيما كان يريد، وكف الشاب الذي تربى في مدرسة جيدة، عن الاتهامات المميتة التي تدخل في مسئولية القضاء العلماني؛ ولبس ثياب رؤساء الأساقفة وأخذ يشق طريقه في تلك المواد التي قصر رجال الكنيسة مباشرتها على أنفسهم، وسط هوضى العصور الوسطى، واجتمعت محكمة الإكليريوس علانية، وكان لها دوى كبير ووجهت لروبرتو تهمة حث اليمين، وزنا المحارم، والزنا، وحكم عليه بالجلد والسجن، ومصادرة

<sup>(1)</sup> "Panormitani... multos apud eum accusaverunt apostates de Christianis Saracenis effectos, qui sub eunuchorum protectione diu latuerant"، هكذا كتب فلوكاتنو، المرجع السابق، ص ١٦١. ويبدو لي أن المنصوص هم المسلمون الذين دخلوا المسيحية؛ وليس من وُلدوا مسيحيين والذين إن حدث ودخل أحدهم في الإسلام، فإن هذا يكون حالة نادرة جداً في تلك الأونة.

ممتلكاته؛ لذا مات في ذات السجن المؤبد الذي طالما عذب آخرين فيه. كما أعطى ستيفانو نماذج للعدالة لا تقل في صخبها عن ذلك في مسينا؛ وأرضى غضب الشعب في كل مكان وحصل منه على تأييده له. وبارك خطواته لونجويارد رانداتسو، وهيكارى، وكابيتسى، ونيقوسيا، ومنياتشى ولونجويارد قلاع جبلية أخرى؛ وبعد قليل، وعندما اقتضت الظروف، قدموا له عشرين ألف رجل مسلح، لمحاربة المدن والبارونات الذين كانوا يقومون ضد.

ولأن رجال البلاط، وقد استكانوا في بدايات ضجيج الأحكام إلى ذلك فقد بدأوا شيئاً فشيئاً يستأمنون، ويستنكرون ويهيمون ضد الفطرسية الأجنبية، وضد جشع خدم القصر، وضد الضرائب التي كان يفرضها الفرسان الفرنسيون، الذين كان ستيفانو يمنحهم إقطاعات حتى يجذبهم إلى صفه ويزيد بهم من أهل ثقته، وقد أصبحت ضرورية أكثر من أي وقت مضى لكي تحافظ له على القيادة، وكانت الشكوك تدور حول نائب رئيس الديوان ماثيو دايبلو، والخصى ريكاردو، وجنتيلي، أسقف جرجنتى، وقيل إنهم كانوا يدبرون لقتله بيد ماجورين؛ ولكن ما هو مؤكد أن المعيد من بارونات البر الإيطالي، بعد أن شجموه أريجو شقيق الملكة، أخذوا يحيكون ضد ستيفانو المكابذ البرلمانية، ويدعون جيوشاً إقطاعية، ويحرضون شعب مسينا على التمرد. وأدت أخطاء الفرنسيين وممارسات السكان الأصليين إلى أن تحولت مشاعر الشعب في كل مكان ضد رئيس الديوان، حتى أنه لما عاد إلى بالرمو (مارس ١١٦٨)، وكان يستعد للحرب الأهلية، سقط بفعل فاعل.

وساعد المسلمون في ذلك، فقد كتب فالكاندو<sup>(١)</sup> أنهم أحبوا رئيس الديوان في بداية عهده، ولعل ذلك كان في البدايات الأولى، حينما لم يكن قد بدأ يحكم بأحكام الارتداد عن الدين. كما أن أبا

القاسم، الرجل القوي، عريق الأصل، وسوف نتحدث عنه بالتفصيل. إذ يسترسل فالكاندو في حديثه عنه يقول إنه كان صديقاً لرئيس الديوان، وأنه بعد أن قدم له هدايا كثيرة تحول إلى تحريض المسلمين ضده، وقد شعر بأنه خُدع لأن ستيفانو كان يتعامل في مودة مع جاييتو اسمه سدكتو (صديق) وكان مسلماً واسع الثراء، وعدواً لأبي القاسم على وجه الخصوص. وكما هو واضح فإن فالكاندو يكرر هنا كلام ستيفانو وأتباعه وينسى الدوافع الرئيسية، واقصد بها الاضطهاد الديني واغتصاب الإقطاعيين الفرنسيين لحقوق التابعين لهم(1). ووسط ظروف الصقليين تلك، على اختلاف أصولهم وأديانهم، حاول ماتيو والجاييتو ريكاردو، وكان أحدهما سجيناً والآخر محددة إقامته بالقصر، حاولا خطف كبير الوزراء أو قتله، تحت أعين الملكة والملك. واستخدما لذلك الغرض الخدم وضاربي الرماح المستقرين بالقصر الملكي. ولما لم يستطع هؤلاء اصطهاد رئيس الديوان داخل أسوار القصر، هرعوا يبحثون عنه خارجاً؛ وجروا وراءهم، بعد أن وعدوهم بالفنائم، المتمردين القاطنين بطريق كوبرتا وسكان القطاع الملوي بطريق مارموريا(2). وهاجموا قصر رئاسة الأسقفية؛ وبينما كان الفرنسيون يقومون بالدفاع عنه بما عرفوا به من قدرة وقوة، كانت أبواق الملك وطبوله تدق للتجمع ضد رئيس الحكومة. وحمل

(1) ورد ذكر *Gayum Sedictum*، في مؤلف فالكاندو، أما في المخطوطات الجيدة الموجودة بالمكتبة الإمبراطورية ببريس، *Ass. latins*، ٩١٥٠ و ٩٦٦٢، *Saint-Victor*، ١٦١، فقد ورد بها "Se dictum"، ويبدو لي أن القراءة الأولى أفضل وأنها أكثر قرباً من أسماء مثل سيديك *Siddik*، أو صداقة *Sadika*، حيث لا أذكر أن أحداً يمكن أن يُطلق اسمه *Se*.

(2) إن طريق مارموريا يكاد يكون الطريق ذاته الذي يسمى حالياً كاسارو *Cassaro*؛ أما الجزء الملوي منه فقد كان يمتد، في القرن الثاني عشر، من كولييجو نورفو حتى مقر كبير الأساقفة العالي، حيث إن ميدان القصر الملكي كانت تحتله آنذاك العتبة، التي تناولناها بالحديث في الكتاب الخامس، الفصل الخامس، ص ٩٤١، ٩٤٢ من هذا المجلد. أما من هنا كوبرتا الطريق المنطلي، الذي كان يمتد من القصر الملكي القديم إلى الكنيسة الكبرى القديمة، فكان يقابل الحى الذي يمتد حالياً تحت مستوى سطح بابيرونو.

جميع الشعب سلاحه، واقتحم المسيحيون والمسلمون القصر. وعندما احتسب ستيغانو في المنارة، تفاوض هاتفق على الخروج من صقلية ومعه جميع أتباعه (١١٦٨) وذهب إلى أورشليم (القدس). حيث توفي بعد فترة وجيزة (7). ولما كانت الملكة دون مناصر. والملك لا يزال صبياً، فما كان بإمكانهما التعرض للقائمين بمحاولة الاغتيال ولأصدقائهم القادمين من مينا بقوى عسكرية، وأن يحولا دون جمعهم ثمار النصر. وباسم جوليلمو الثاني أمسك بزماء النظام العام مجلس عشاري، إن جازت هذه التسمية. ويتكون من: ريكاردو الإنجليزي. أسقف سيراكوزا المختار، وجنتيلي أسقف چرچنتي، وروموالدو رئيس أساقفة سالرنو. وجوفاني أسقف مالطة. وروچيرو كونت چيراتشي، وريكاردو كونت موليزي، وأريجو كونت مونتسكاليزو. شقيق الملكة. وماتيو دابلو السالرنو، والجاييتو ريكاردو والإنجليزى جوالتييرو أفاميليو. كبير چرچنتي ومعلم الملك. ولكن وبعد قليل، حينما بلغ جوليلمو سن الثامنة عشر عمل جوالتييرو على أن يختاره الملك كبيراً للوزراء. بعد أن تحايل في تلك الأثناء حتى اختاره الكهنة رئيساً للأساقفة. وأخذ رقيقين له في الحكم وهما ماتيو وبالمرو وصرف الآخرين جميعاً. ويختم فالكاندو روايته بهذه الأحداث وبهذه الكلمات الخطيرة: «إن السلطة في المملكة وكل الأعمال قد وقعت في يدي جوالتييرو، الذي التصق بالملك في ألفة مشبوهة للغاية، حتى بدا أنه لا يحكم الشؤون العامة بقدر تحكمه في الملك ذاته» (2).

[لا أن جوليلمو كان يفلت أحياناً من يدي رئيس الأساقفة: الذي لم يحدث أبداً أن أبعد عنه المستشار ماتيو شديد الحنكة في إدارة

(1) إن هذه الأحداث يمكن استخلاصها بمشارنة حديث فالكاندو، وهو نصير، غير أعين. استيفانو، مع روموالدو السالرنو وكان أحد المتأسرين. انظر أيضاً جوليلمو السوروي. في الكتاب العشرين. الفصل الثالث.

(2) المرجع المذكور. ص ٤٨٦.

الشئون العامة، والرهيب في قدرته على التحايل. وكان ماتيو يتزعم الجانب القومي في البلاط، وهو الجانب الذي كان يضم الأمراء الشرعيين والنبلاء، ومعهم جميع القادة ورئيس أساقفة سالرنو وأساقفة آخرون وكان الإنجليزي أهاميليو وبالمز يتبعان هذا القسم ضد ستيفانو ورجاله الفرنسيين؛ وعند تقسيم المناصب حصلاً على كرسي صقلية الأسقفيين، ولكن حينما تفرق المشاركون بعد أن ضربوا ضريبتهم، أخذ ماتيو مع السكان الأصليين أحد الجانبين؛ بينما ظل بالجانب الآخر. تحت قيادة جوالتييرو، رجال ما وراء الجبال الناطقون بمختلف اللغات وبعض البارونات؛ وظل الجانبان كما كانا دائماً في أوائل أيام المملكة؛ وكانا متمثلين لدرجة أنهما لم يظهرأ أي تمرد أو شائنة خارج القصر. وهو اعتدال يرجع، فيما أظن، إلى أصول القادة المتواضعة، سواء أكانوا رجالاً جددأ أم أتباعأ بالقصر؛ كما يرجع إلى استعداد الشعب الذي ما كان ليتقبل الثورة ضد الملك الصالح؛ ويرجع كذلك إلى ذات شخصية جوليمو، الذي كان يعمل على إرضاء كلا الوزيرين ويحسن سياسة الفضائل التي ما كان باستطاعته قمعها؛ كان حكيمأ في الأمور الصغيرة، وغير كفه في الكبيرة منها. وبعد زواجه (١١٧٧) ولما رأوا أنه لم ينبج أبناءأ، اجتهد كلا الطرفين في تحديد من يخلقه؛ فحاول السكان الأصليون تصعيد الأمير تانكريد، رغم ميلاده غير الشرعي؛ أما عن أهل ما وراء الجبال فقد أرادوا ضمان حقوق كوستانسا، بتزويجها لأحد كبار الأمراء، ولهممر الطوفان بعد ذلك إيطاليا الجنوبية. وهناك آثار لذلك الخلاف في بعض الأحداث التي سوف نقوم بسردها فيما بعد؛ وثلما وجدت هذه الآثار أو ربما لم يكن لها وجود في مجال الإدارة الداخلية، حيث كانت منظمة ورأسخة ولم تزعمها خلافات البلاط. ويحق لنا أن نحكم على ملك جوليمو الصالح بحكمين مختلفين تماماً عن بعضهما، إذا ما نظرنا للحكم من الداخل، أو إلى العمل السياسي في الخارج. فيظهر في أولهما عدلاً دون ضعف؛ منظماً دون شح أو قسوة؛ متبعاً القوانين

الأصلية، خارج نطاق المواد الكنسية؛ مهتماً بأمن المواطنين في الداخل والخارج؛ وكان آمناً تماماً راعياً، كما كان أيام الملك روجيرو. وذلك بفضل الازدهار الاقتصادي الذي كان يصاحبه. أما عن الخارج فلا يصح تسمية جوليلمو لا بالمسالمة، ولا بالمحارب؛ لأنه قام بعدة حروب ما كان يجب خوضها؛ وتعاشى الحرب الوحيدة التي كان يجدر أن تكون كبيرة وضرورية له؛ وإذا كان يقضى حياته في قصوره وحدائقه، بين الدراسات الرفيعة والتسلية الراقية، بدد في سبيل عمليات بعيدة من الأرواح والأموال ما يفوق ما كان لينفقه جده وأبو جده في غزواتهم.

وإذا تواصل خطتنا في سرد تلك العمليات الخارجية فقط، التي مست دولاً إسلامية، فإنه يجدر بنا أن نذكر أن جوليلمو الصالح، قد فاضر، من خلال ممثليه من المتحدثين في مؤتمر فينيسيا (١١٧٧)، بأنه لم يقم بأية حرب ضد أمراء مسيحيين؛ وبأنه يتعقب، في البر والبحر، من بين الأمراء، أعداء المسيح فقط، حتى إنه بصرف النظر عن التكلفة كان يرسل كل عام، «سفنه الحربية»، وهي محملة بالجنود ليهايروا غير المسيحيين وليؤمّنوا طريق البحر الذي يسلكه الحجاج إلى الأراضي المقدسة<sup>(1)</sup>. وإذا أخذت هذه التصريحات على أنها تشمل أيضاً على شيء من الخطابة، وإذا ما كان هدف العمليات هو تشجيع تجارة المملكة في أفريقية وهي بلاد المشرق، فسوف يظهر ذلك بلاط بالرمو بمظهر الحكمة العالية. وحقيقة الأمر أن جوليلمو كان ينظر إلى الحملات الصليبية نظرة جادة، حتى أنه كان هو أول من تعاشى من عشيرته مخاطر الميدان وجهده، ومن رأى جنوده يعودون في غالب الأحيان في حالة سيئة. وضحك المسلمون، بدورهم، من حماس بلاط بالرمو غير المعتاد. ولدينا إحدى رسائل صلاح الدين، كتبها للخليفة ببغداد عن طريق أحد كتّاب ديوانه الفصحاء، أرسل يقول إنه

(1) رومالدو سالرنو، في كتاب كارويزو، المرجع المذكور، ص ٨٩٨ - ٨٩٩.

ينعى لحال ذلك الصبي ذي الخمسة عشر عاماً الذي أهلك ماله في الحملة ضد الإسكندرية، لمجرد أن يتباهى ويتفاخر أمام العالم بأنه يستطيع أن يتحدى عدواً صمد منذ فليل أولى سيوف المسيحيين<sup>(1)</sup>، عن دمياط.

وما تخلفت جيوش جوليلمو في عملية دمياط هذه، التي كان يحلم مانويل كومنينو وأميريجو ملك اورشليم (القدس) بفتح الطريق بها إلى غزو مصر، في بداية الاضطراب عند استيلاء صلاح الدين على الحكم. ونستخلص من المؤرخين المسلمين أن المشاركين قد أتوا بألف ومئتي سفينة، وحاصروا دمياط لخمسة وخمسين يوماً، خلال شهرى نوفمبر وديسمبر عام ١١٦٩؛ وأنهم حصلوا على تعزيزات من صقلية ومن أراضى مسيحية أخرى؛ ولكنهم انسحبوا بعد خسارتهم ٢٠٠ سفينة، حيث هرع صلاح الدين لنجدة المدينة، ومعه رجال ومال ومؤن، كما بادر إليها نور الدين، بقوات عظيمة من سوريا<sup>(2)</sup>. ولم يكف هذا المثال لتحذير البلاط بالرمو حتى لا يلقي بنفسه في عملية تفوق تلك في نهورها، ذلك حينما كان صلاح الدين قد تمكن من القضاء على آخر الخلفاء الفاطميين، ورفع في مصر شأن الخلافة العباسية، وقسم الهبات العسكرية على رجاله من الأكراد والأتراك، وأظهر للعالم بزوغ نجم فاتح جديد بين المسلمين. وتحرك رجال من كبار الدولة بقيادة أحد شعبة اليمن المتحمسين، ويهدى عمارة بن أبي الحسن، وكان فقيهاً وشاعراً له صيته في تلك الآونة، واتفقوا على إعادة الفاطميين؛ ووجدوا أنصاراً لهم بين رجال البلاط، ورجال الجيش بمصر، وبين الزنوج المرتزقة وبين أمراء صلاح الدين ذاتهم؛ وإذ لم يكتفوا بقواتهم، أرسلوا في طلب العون من ملك اورشليم

(1) أبو شامة المقدسي، في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢٢٦. راجع *Extraits... relatifs aux Croisades*، ص ١٨٤، ويرى أن الرسالة حوت ١١٨٢.

(2) هارن بين، ابن الأثير، عام ٥٦٥، نص تورنجر، المجلد ١١، ص ٢٢٩، والمقريزي، المواهب، نص بولاق، المجلد ١، ص ٢١٤ - ٢١٥. وقد لغس كليهما رينو، *Extraits... relatifs aux Croisades*، ص ١١٢ - ١١٤.

(القدس) وملك صقلية، ووعدوا في مقابل ذلك الأموال والتنازل عن بعض الأراضي. ولما كان عمارة متغلباً آنذاك داخل بلاط صلاح الدين، فقد دفع أخاه توران شاه لأن يقوم بحملة في اليمن، لكي يبعد عن مصر؛ ولكن تلك النصيحة الماكرة عادت بالفائدة على الأيوبيين، لأنه أخضع زيبير، وعدن والبلد بكامله (1)، وكانت المؤامرة المرسومة في مصر تقضى بأنه ما أن ينزل المسيحيون إلى البر، ويسرع صلاح الدين لمقاومتهم بالجيش، حتى يقوم مناصري الفاطميين بإثارة الشعب ويميدوا الفاطميين للعرش؛ وأنه في حالة ما إذا أرسل رجاله ضد العدو، وبقي مع فئة من الجنود بالقاهرة، فسوف يكون باستطاعة المتآمرين السيطرة عليه شخصياً. وبعد أن تم تحديد الخليفة الجديد وموظفي البلاط فيما خلا كبير الوزراء، ولم يعد هناك ما يُنتظر سوى هجوم المسيحيين، ظهر علي بن نجا، وهو خطيب أحد المساجد، وكشف الخطة لصلاح الدين الذي أمره بأن يبقى بين صفوف المتآمرين ليتجسس عليهم. ثم علم صلاح الدين بعد ذلك عن طريق عيونه في اورشليم (القدس) أن أحد مبعوثي أميريجو مزعم على المجنّ للتفاوض معه، في الظاهر، ومع عمارة ورفاقه في الواقع؛ لذا حينما جاء المبعوث، أرسل وراه أحد المسيحيين ممن يثق بهم وعرف منه أسماء المتآمرين. فأخفى حينئذ وحتى النهاية، خيانة أمرائه؛ وتكل بالقادة الآخرين، يوم الثاني من رمضان عام ٥٦٩ (٦ أبريل ١١٧٤) وبدأ له أن انتهى كل شيء (2).

وبالفعل ترك ملك اورشليم (القدس) العملية. أما ملك صقلية فقد

(1) روى عملية اليمن هذه ابن الأثير، عام ٥٦٩، نص تورنبرج، المجلد العادي عشر، ٣٦٠ وما يليها.

(2) هارن بين: ابن الأثير، عام ٥٦٩، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٣٠٨ وما يليها. وفي طبعة تورنبرج، المجلد ١١، ٢٩٢؛ وابن خلدون، المرجع السابق، ص ٥٠٦ وما يليها. وابن خلكان في ترجمة عمارة هذا، الترجمة الإنجليزية للهارون دي سلان، المجلد الثاني ص ٣٦٧، إن م. ريفو في *Extraits... relatifs aux Croisades*، ص ١٧٢، يورد الترجمة الفرنسية للفترة من ابن الأثير.



سار قدماً وقام بتجهيزات بحرية كبيرة، حتى ادخل الشوك في نفس الخليفة الموحدى والإمبراطور البيزنطى. وكان حكام الإسكندرية هم الذين لم يتيهوا ولم يعرفوا الخطر قبل أن يطل العدو على الميناء يوم السابع والعشرين من ذى الحجة (1) عام خمسمائة وتسع وستين (٢٨ يوليو ١١٧٤). وكان قوام القوات مئتين وستين شانية، وعلى متن كل منها مئة وخمسين رجلاً، وست وثلاثين سفينة للخيول، وست سفن ضخمة لحمل آلات الحرب، وأربعين مركب شحن لنقل المؤن؛ وكانت السفن تحمل ٥٠ ألف رجل، منهم ٢٠ ألف محارب، بين راجل وبحار. وألف رجل سلاح وخمسمائة خيال «تركبولى» (2)، وهم، كما اعتقد من مسلمى صقلية؛ أما الباقون فكانوا رجال الخدمات، وعاملين فى الأسطبلات، ونجارين للسفن، وصناع مدفعية (3). ومن بينها شاهد السكندريون ثلاثة آلات منجانيق فى ضخامة لم يسبق لها نظير. وكانت تقذف فى قوة شديدة كتلاً ضخمة من حجارة سوداء، أحضرت خصيصاً من صقلية، كما شاهدوا ثلاثة أبراج متحركة مليئة بالمشايخ ومزودة من أسفلها بكبش. وهو الاسم الذى كان يطلق على رأس مصنوعة من كتلة ضخمة من الحديد تنتهى بها إحدى المراضى (4). أما عن الآلات الأصغر من ذلك، فإنه يذكر منها الجرخ

(1) فيما يخص هذا التاريخ، انظر الهامش الذى نورد فى نهاية الرواية.  
(2) اضاف ابن الأثير هذه المعلومات التفصيلية، فحسبما يرى دوكانج، فإن هذا القبط، المركب من الاسم الأسى ولتأخر معنى «مركبة» - ويعنى فى يونانية المصور المتأخر «ابن» - يبدو أنه كان يعدد فى الأصل أبناء المرتزقة الأثرانك بالإمبراطورية البيزنطية. ثم بعد ذلك أطلق هذا الاسم على جنود القصر لدى السيو كومنينو؛ كما أطلق مسيحيو سوريا هذا الاسم على رجال الغيالة. ومن جميع النواحي، بدت تلك التسمية مناسبة للمسلمين الذين كانوا يحاربون تحت رايات صقلية.

(3) إن حالة القوات يمكن استخلاصها من رسالة صلاح الدين، ويكاد ابن الأثير ينسخها بنسخها؛ أما ابن خلدون فيزيد عدد الغيالة إلى ٢٥٠٠؛ ويذكر المقرئى أن الشوانى كانت ٣٦٠. وهو رقم أرى قبوله لما لهذا الكاتب من دقة كبيرة فى الأمور الخاصة بمصر. ولأنه رقم يتوافق جيداً مع عدد الرجال وهو ٥٠٠٠٠.

(4) حينما روى بهاء الدين عن حصار بارباروسا لسان جوهانى فى عكا؛ وصف دبابه المسيحيين فقال: إنها هيكل ضخمة من الخشب، تكسو صفائح الحديد، ولتحرك فوق

Gerik، الذى يخرج رماحاً ضخمة(1)، ويكتب ابن الأثير أن قائد الجيش كان أحد أبناء عمومة الملك: فله كان تانكريدى، كونت ليهتى، الذى ارتقى العرش بعد وفاة جوليلمو.

وما أن رست أوائل السفن قبيل الظهيرة حتى بدأ إنزال الرجال إلى البر بالقرب من الفناز(2)، ونحو الساعات الأخيرة من اليوم أخذ الصقليون يهاجمون السكندريين الخارجين لمنعهم من النزول إلى البر، وقد خالفوا بذلك تحذير وإلى المدينة لهم وقد أمرهم بأن يقاوموا من الأسوار. وقد صدوا فى الحقيقة إلى المضايى بعد أن تكبدوا الخسائر. وفى هذه الأثناء اقتحم الأسطول مدخل الميناء، وكان ملوئاً بالمراكب التجارية والحربية، وأشعل بها النار: إلا أن المسلمين ما أن تنبهوا لتلك الحركة، حتى أسرعوا من البر ووصلوا فى الوقت المناسب، وأغرقوا غالبية سفنهم. وعندما ساد الظلام وسط هذه الاشتباكات، ظل الصقليون على الأرض التى احتلوها، حيث أقاموا ثلاثمائة خيمة.

ومع مطلع النهار الجديد كانوا قد أعدوا المنجانيق: وأقاموا

عجلات، وبركها كثرة من المقاتين، وهى مسلحة بمارضة تنهى بمنق له رأس من الحديد وكان يسمى «كيش»، وإن رجالاً كثيرين يعركونها لتضرب الأسوار. كما أنه تحبب أيضاً من آلة مشابهة وتتمثل فى سفينة. يعركون الرجال من تحتها عارضة مسلحة بقطعة من حديد لها شكل المحراث: وكانت تسمى «قط». Vita Saladini، ص ١٤١، ١٤٢. وديابة هى ترجمة للقط «ترسة».

انظر أيضاً رينو، *Extraits, etc.* ص ٢٩١ - ٢٩٢. وقد وردت مثل هذه التسميات فى سرد عملية الصقليين على الإسكندرية. وقد ورد فى خلاصة رسالة صلاح الدين ما يميز فئات الجيش الصقلى حيث ذكر «رجال الأبراج ورجال الدبابات»، ثم فى الحديث عن الحصار نقرأ أنه «قامت ثلاث دبابات بكباشها، وهى تشبه أبراجاً، خشبها طائى الضخامة، وارتفاعها وعرضها هائل. وعدد الرجال الذين يركبونها كبير جداً». (1) إن خلاصة رسالة صلاح الدين التى يوافينا بها أبو شامة المقدسى، قد ورد بها ذكر أحدهم باسم ابن البصار وقد قتله رمح من جرح فى الهجوم الأول. المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢١. كما ورد ذكر هذا الاسم بالجمع *چيروخ* فى ترجمة صلاح الدين. (2) كان الفناز مقاماً فى زمن الإنريسي على بعد ميل واحد من المدينة عبر البحر وعلى بعد ثلاث أميال من البر. ترجمة السيدين دوزى ودى جويج، ص ١٦٦.

الأبراج، وقربوها من أسوار المدينة الضخمة القوية<sup>(1)</sup>، التي كان الدفاع عنها بأسلاً من قبل الشعب ومن جنود الحامية قليلى العدد. ولما ارتد المهاجمون إلى الخلف، يوم الثلاثاء الموافق الثلاثين من يوليو، استأنفوا يوم الأريعاء وأخذوا يقصفون بقذائف المنجانيق، وعادوا يقربون الأبراج نحو السور: وكانوا قد وصلوا إلى مسافة رمية قوس، حينما رأوا المسلمين ينتفضون عليهم، وقد عززهم المحاربون من الأراضي المحيطة، الذين هرعوا إلى المدينة من أراضيهم المخصصة لصالح الجنود، كما جاء بعضهم من القاهرة أيضاً. وفي هدوء فتح السكندريون أقفال البوابات الأكثر قرباً من آلات العدو، وتركوا ضلعها مغلقة من الخارج<sup>(2)</sup>، ونظم قواد الجيش صفوف الخيالة من داخل الأبواب: وتجمع الشعب، بسلاحه من الخلف. وفي لحظة انتفتحت البوابات على مصراعيها وارتمى الرجال والخيالة باستماتة على الصقليين: وهجموا على الآلات أيضاً، فاشتعلوا فيها النار، وواصلوا القتال حتى رأوها تهلك. وفي غمرة الفرحه عادوا يدخلون المدينة لتأدية صلاة العصر. حيث وجدوا منادياً يخبرهم ويدفع بهم في الحال مرة أخرى إلى السلاح<sup>(3)</sup>.

وعند أن نزل الصقليون البر، أرسل والى الإسكندرية بالحمام الزاجل رسالة إلى صلاح الدين. وكان يقيم في مخيم مع الجيش بـ«فاقوس»، على الحدود الشرقية للوجه البحرى بمصر: ووصلته

(1) ورد النص على قوة وصلابة أسوار الإسكندرية لدى الإنيسر، الموضع المذكور.  
(2) يذكر ملخص رسالة صلاح الدين أنهم تركوا لهم الأبواب مغلقة بالقشور، ولكنى كتبت معناها «مغلقة»، حيث لم أجد لها مقابل بالمعجم. ويبدو أنهم رفضوا ما نسميه نحن بالشيش، وهو ما كان يوضع على مسافات مختلفة داخل حنية البوابة العالية بأسوار المدن أو القلاع. ومع ذلك تركوا الباب الخارجى مغروباً.

(3) يتضح من خلاصة رسالة صلاح الدين أن ذلك قد حدث في اليوم الثاني للقتال، ولكن هناك خطأ بالتأكد، أن الفقرة نفسها تقول إن الرسالة وصلت إلى صلاح الدين يوم الثلاثاء الذى كان ثالث يوم لتزول الصقليين البر (ولتى أيام القتال) ووصل رسول صلاح الدين إلى الإسكندرية رابع أيام نزول البر (وثالث أيام المعركة) وكان يوم الأريعاء. ويقول ابن الأثير في تعبير محدد إن المعركة كانت ثالث أيام المعارك.

الرسالة يوم الثلاثاء، فأرسل في الحال فرقة لتعزيز حامية دمياط، إذ كان يخاف عليها أيضاً؛ ورحل بنفسه مع غالبية رجاله في اتجاه الإسكندرية، وبعث بالخبر مع عبد أمين سبقة وببده لجام ثلاث خيول، يبدلها أثناء الطريق. ووصل عصر يوم الأربعاء، بعد أن قطع ما يقرب من مئتي كيلو متراً<sup>(1)</sup> في أقل من أربع وعشرين ساعة. وأعلن قرب وصول صلاح الدين على الشعب المجتمع؛ وما هم، حسبما كتب ابن الأثير، وقد نسي كل واحد منهم أتعابه وجروحه، وشعر بأن القائد الكبير يقف إلى جانبه شاهداً على بأسه في القتال، وما هم يفتحون البوابات مرة أخرى ويهجمون على المسيحيين.

وكان الصقليون قد أعياهم التعب من المعركة الأولى، ثم أنهم أخذوا على حين غرة. وقت أن بدأت غمامة المساء، بينما أخذت تصل إلى أذانهم جلبة ذلك الشعب المولع بقائده وهو يهتف باسم صلاح الدين، لذا لم يوفقوا في دفاعهم عن معسكرهم. ودخله العدو؛ وقام بمجزرة بين المشاة؛ وأخذ الغنائم من كل أصناف السلاح والمنقولات الثمينة؛ بينما النبلاء والأتباع، والقادة والجنود يفرون في اضطراب نحو البحر؛ وفربوا الشوانى من البر؛ وركبوا كل قدر استطاعته؛ فمنهم من خلع درعه وألقى بنفسه ليموم، ومنهم من سقط في البحر وهو يتسلى المركب. وكان المسلمون على جوانبهم؛ يطاردونهم داخل الشوانى ذاتها، أو يغطسون تحتها بأدوات من حديد ليخربوها، أو يشعلون فيها النار؛ حتى هلك منها أكثر من شائبة. وبعد أن تم ترتيب المراكب قدر الإمكان خلال الليل، ارتحلت في الصباح التالي. أول أغسطس، وهي تحمل إلى صفية بقية الجيش البائسة. ووسط الهزيمة لجأ ثلاثمائة فارس إلى مرتفع، وحاربوا طوال الليل وحتى الصباح التالي، ضد جموع المسلمين التي كانت تتزايد في عددها ودفاعها العنيف؛ ولكن الكثرة غلبت في آخر الأمر مجموعة الشجعان تلك:

(1) إن ابن الأثير، الذي عرفنا منه خبر إرسال هذا الرسول، يقول إنه وصل في يوم الرحيل نفسه. وتقع فالوس على أقمس فرعى النيل نحو الشرق، على حدود صحراء السويس، وعلى مسافة غير بعيدة عن بحيرة المنزلة.

وقتلوهم جميعاً أو أسروا بعضهم، ولم ينج منهم أحد. هذا ما ورد بالمصادر الإسلامية.

إن مصادر بيزا، وقد توقفت عند هذا الحد في السرد، قد أوردت عدد المراكب بثمانين قليلاً، دون أن تذكر نتيجة العملية. كما أن جوليلمو الصوري، مؤرخ الحملات الصليبية، يشير إليها إشارة قليلة. أما عن فالكاندو وروموالدو السالرنسي فروايتهما متوافقة قبل ذلك العام. ويرى أحد المعاصرين مجهول الاسم أن جوليلمو قد نزل شخصياً بالإسكندرية وأنه عاد منها بعد سبعة أيام وهو يحمل خزيه. وتذكر أخبار مونت كاسينو الشحيحة، أنه في عام ١١٧٤، ذهب أسطول الملك إلى الإسكندرية ولم تضاف إلى ذلك شيئاً (١). ورغم ذلك فإن بعض المحدثين وقد أرادوا أن ينسبوا للملك الصالح شرف

(2) قارن بين: ابن الأثير، عام ٥٧٠، المكتبة الميرية، المصغلة، النص، ص ٣١٠ وما يليها. وهي طبعة تورينج، المجلد العاشر عشر، ٢٧٢ وما يليها؛ وأبو شامة المقدسي، في المكتبة ذاتها، ص ٣٢٢ وما يليها، وهو يورد خلاصة رسالة كتبها صلاح الدين لأحد أمرائه في سوريا؛ وابن خلدون، المرجع السابق، ص ٥٠٨؛ والمقريزي في المكتبة ذاتها، ص ٥١٨ حيث ينفى تصحيح التاريخ الأول إلى ٥٦٩. وفي مشارق الأشواق، طبعة بولاق ١٢١٢ (١٨٢٦ - ١٨٣٧) ص ١٩٦، ١٩٧. يوجد موجز رواية أبي شامة وابن الأثير نفسها. ويتأوله بالمحدث أحد المعاصرين في العمل الجغرافي الذي تمتلكه المكتبة الإمبراطورية بباريس، ملحقات صربية، ٩٠٦ مكرر. ورقة ٤٧ الوجه الثاني. وبهاء الدين، *Vita Saladini*، طبعة شولتس، الفصل ١٢، ص ٤١، حيث ترد إشارة لهذه العملية التي قام بها الفرنجة، دون ذكر أنهم كانوا من صغلية. كما أضاف المؤلف أنهم انسحبوا بعد ثلاثة أيام وبخسارة فادحة؛ ويحدد سراكبهم بستمائة ثم يدخل تاريخ وصولها إلى شهر صفر ٥٧٠ (سبتمبر ١١٧١). وعلاوة على السفن الحربية، فقد ذكر المؤلف سفن البوست *boats*، وهو نطق مُطَوَّر للفظ "buzzo" بفلنتا. وإن كان خطأ المؤلفين في التاريخ طفيفاً، فلا يجب أن نغفص عنه المير، فابو شامة، الذي نقل النص الذي قلده لعماد الدين، يقول إن الصقليين نزلوا في البداية يوم الأحد، ٢٦ ذو الحجة ٥٦٩ وهزموا أول معرمة ٥٧٠. والشئ نفسه يكتبه ابن الأثير؛ وذلك يعني أنه باستيلاء يوم نزولهم من المراكب، ظل المعاصرون تحت أموار الإسكندرية، لمدة خمسة أيام كاملة، وحيث إن عام ٥٦٩ هـ، سنة كهيسة، كما يمكن أن نطلق عليها نحن، فقد كان شهر ذي الحجة ٣٠ يوماً بدلاً من ٢٩. ومن جانب آخر، فبغيت إن ذلك العام قد بدأ بهوم أحد، وشهر ذو الحجة يوم الثلاثاء، فإن يوم ٢٦ منه كان يوم سبت وليس أحد. ولكن خلاصة رسالة صلاح الدين كما وصلت لنا من أبي شامة، تعدد أيام الأسير فقط: بمعنى أن نزول البر كان يوم الأحد، والهجوم يوم الاثنين والثلاثاء، والمعركة الكبرى

الانتصار، تحدثوا عن اقتحام الإسكندرية وجلب لغنائم ثمينة إلى صقلية(7).

وحيثما لم يجد هؤلاء الكتاب شهوداً من خاصتهم، وجدوا ما لم يتوقعوه من عون لدى المسلمين. ومنهم نعلم أنه في العام التالي

والهزيمة يوم الأربعاء، وانسحاب الأسطول الفطيس. وهو يوم الخميس الموافق بالخطب أول أغسطس ١١٧٤، بداية محرم ٥٧٠ بالحساب الفلكي الهجري، الذي يبدأ أول أيامه من منتصف نهار ١٥ يوليو ٦٢٢. بدلاً من ١٦ كما يحسب عادة، بحيث يشمل الليلة السابقة له. وعلى ذلك يتبين أن اليوم الذي حصد المؤلفون لهزيمة المسيحيين، هو اليوم ذاته الذي ابتدء فيه الأسطول عن الإسكندرية، وليس يوم آخر معركة، وأنهم أرخو خطأ يوم نزول البر بتاريخ ٢٦ بدلاً من ٢٧. إن منهج التعدد الزمني غير الدقيق المتبع في الشرق، ومبدأ حساب أول الشهر لدى ولاية الهلال، يفسران مثل هذه المفارقات. إن أيام تلك العملية الناشئة يجب تحديدها كما يلي:

الأحد ٢٧ ذو الحجة ٥٦٩ - ٢٨ يوليو ١١٧٤ نزول البر

٢٨ - ٢٩ ذو الحجة ٥٦٩ - ٢٩ - ٣٠ يوليو ١١٧٤ هجمات

٣٠ ذو الحجة ٥٦٩ - ٣١ يوليو ١١٧٤ معركة كبرى: هزيمة الصقليين  
الخميس ١ محرم ٥٧٠ - ١ أغسطس ١١٧٤ انسحاب الأسطول - ومذبحة ٢٠٠ فارس.  
وقد أورد رينو أجراً من المؤلفين العرب سابقى الذكر في مؤلفه *Extraits, etc.* ص ١٧٢. وعلى أن أنه إلى أن الهاشم رقم ١١ لأستاذي العلامة. غير دقيق. إن أهل قنيسيا، وبيزا، وخنوة لم يأت ذكرهم بالتص بصفتهم معاونين لجوليلمو الثاني في هذه العملية. ولكنهم رصدوا ضمن المسيحيين الذين اعتادوا التمرض لمصر. ومن بين الكتاب المسيحيين نذكر مراتجوني، *Archivio storico italiano*. المجلد السابع، أجزاء الثاني، ص ٧١. تحت عام ١١٧٥ من تقويم بيزا. حيث يقول إن الأسطول استقل قد خرج يوم ١ يوليو وقوته ١٥٠ شاة و ٥٠ مركباً للخيول و ١٠٠٠ فارس ورماة قوس وقوس كثيرون. والآت (*edificia*) كثيرة، وإن الأسطول ما أن وصل إلى الإسكندرية حتى استولى على سفينة من بيزا كانت آتية من قنيسيا؛ وهنا ينتهي السرد والسير. انظر إلى جانب ذلك: جوليلمو الصوري. الكتاب ٢٦، الفصل ٢: *Chronica pisana*، لدى موراثوري، *Rer. Italic.* ٧، ١٩١. وهي نقل من مراتجوني؛ وأخيراً انظر *Cronica anonima* في *Historia diplomatica Friderici II*، لوبيارد - بريهول، المجلد ١، ص ٨٩٠. وجدهر بالملاحظة أن كاروزو في *Memorie storiche*، الجزء الثاني، المجلد ١، ص ١٨٦ و ١٩٢، يرى حملتين على الإسكندرية، أي في عام ١١٧٤ و ١١٧٥. وقد استلنى خبر إحداهما من جوليلمو الصوري والأخر من أخبار بيزا.

(1) بالمبيري، *Somma della storia di Sicilia*، الجزء ٢، ص ٢٨٥. إن دي بلازي الطيب، يعتقد أن تلك الكتوز قد اتفقت في تشبه كثيرة دوما مورالي. وبعد ذلك فإن صديقي ليندورو لا لوميا يستحق أعظم الشاء. إذ أنه وقد طفى عليه إعجابه بجوليلمو الثاني، قد اعترف في ص ١٤٦ - ١١١٢ بخطأ كاروزو والآخرين، كما أشار إلى ذلك العمل بالإسكندرية. حسب الكتاب المسيحيين والأخبار القليلة التي أوردتها المسلمون وأطلع عليها في موجز رينو *Hist. Patr. Alexandrie*، باريس ١٧١٢، ص ٥١٠.

للهزيمة، أي سنة خمسمائة وواحد وسبعين (٢٢ يوليو ١١٧٥ إلى ٩ يوليو ١١٧٦)، حاصرت أربعون شانية صقلية تينيس لمدة يومين ثم رحلت. كما حارب الأسطول الصقلي معركة مجيدة سنة ٥٧٢ (٣٠ يونيو ١١٧٧ إلى ١٨ يونيو ١١٧٨). وقد عاد ما يقرب من أربعين شانية للهجوم على تينيس واستطاعت السيطرة عليها بعد يومين من القتال. أما عن القائد المسلم، محمد بن اسحق، الذي قطع عليه العدو طريق العودة إلى السفن، فقد تقهر في هدوء ومعه فريق إلى المصلى، أو إذا أردنا القول إلى أرض خلاء، كانوا يؤدون فيه الصلاة؛ وعندما حل الليل انقض على الصقليين بالمدينة، وما كانوا يتوقعون هجوماً؛ وأخذ منهم مائة وعشرين رجلاً وقطع رقابهم. ولما طاردوه مرة أخرى حتى المصلى وقاتلوه بضراوة، ترك سبعين من رجاله على أرض المعركة؛ وفر مع الباقين إلى دمياط. وعندما عاد الصقليون يدخلون المدينة، أخذوا يستولون على ما بها، ويضرمون بها النار، ويحملون مراكبهم بالغنائم. ويملأونها بالأسرى، ثم رحلوا في اتجاه الإسكندرية. واستمرت أربعة أيام عملية تينيس تلك (1). أما عما قام به الأسطول من أعمال بالإسكندرية، فذلك ما لا نعرف عنه شيئاً.

وفيما ورد على عجالة بخاتمة الجزء الأول من بيان المغرب، نقرأ أنه في عام خمسمائة وثلاثة وسبعين (١١٧٧ - ١١٧٨) نفسه كانت المهدية تعاني من إحدى هجمات المسيحيين، أطلقوا عليها اسم حدث الجمعة؛ حيث اتخذ المواطنون أيام الأسبوع الأخرى لتحديد أسماء هجمات عام ألف وسبعة وثمانين، وعام ألف مائة وثمانية وأربعين والف مائة وثلاثة وستين (2). أما عن هجوم عام ثمانية وسبعين فإنه يجب نسبه إلى أهل جنوه أو بيزا، حيث إنه

(1) المقرئى، المواظف، نمر بولاق، المجلد ١، ص ١٨٠. وهناك إشارة إلى هذه المشاهدات المتكررة، وردت في الفقرة سابعة الذكر من تقرير صلاح الدين إلى خليفة بغداد، حيث نقرأ، (في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٣٢٦)، «أنه كثيراً ما دار الحديث عن سفن ملك صقلية، وأعمال جيشه لا تخفى على أحد».

(2) بيان المغرب، اتس، المكتبة العربية - الصقلية، ص ٣٧١. انظر النملين

الثاني والرابع من هذا الكتاب، ص ١٠١ و ١٧١ من المجلد.

من غير المعقول ان يحاول الأسطول الصقلي خوض معركة كبيرة في خليج قابس وأخرى في الوقت نفسه عند مصب النيل(1). بل على العكس فلعل بلاط بالرمو كان يبنى السلام مع الموحيدين، أملاً في تشجيع حركة التجارة مع أفريقية، وكانت قد تدهورت أو ربما خمدت بعد أحداث عام سنة وخمسين. وما كانت صقلية لتتظر سوى الغسائر من جراء تلك القلاقل الجديدة بتلك البلاد: في الجانب الشرقي منها، عمليات جماعات الأتراك الذين أتوا من مصر في محاولة للحصول على مكاسب باسم صلاح الدين(2)؛ مع وجود زعامات من البربر، وقبائل عربية هنا وهناك غير طيبة ورافضة لحكم الموحيدين، عندما رأوا الخليفة أبا يعقوب شديد الانشغال في حروب إسبانيا. وعندما مدت الثورة جذورها في قصصه، تحرك أبو يعقوب من مراكز بالجيش؛ وتوقف في بجاية، مقر قائم مقامه في أفريقية؛ ثم ذهب بعد ذلك إلى قصصه وسيطر عليها، أول أيام عام خمس مائة وستة وسبعين (٢٨ مايو ١١٨٠) بعد حصار استمر ثلاثة أشهر(3). وفي طريق عودته، توقف في المهدية حيث وجد بها رسلاً من جويليمو الثاني.

وإذا ما أولينا ثقتنا بما يورده روبرتو، رئيس دير مونتي سان ميكيلى، فسوف نفهم أن كرم الملك جويليمو قد غلب أبا يعقوب، حيث كان قد أطلق سراح إحدى بناته التي أخذها الأسطول الصقلي من إحدى سفن الموحيدين، التي كانت تنقلها كي تتزوج من أحد الملوك

(1) وحسب مجريات الأمور فإنه يمكن افتراض عمليتين صيفيتين كذلك في عام ٥٧٢ نفسه، الذي بدأ في نهاية يونيو ١١٧٧ وانتهى في ١٨ يونيو ١١٧٨.

(2) ابن الأثير، عام ٥٦٨ و٥٦٩، النص، طبعة تورنبرج، المجلد ١١، ص ٢٥٦ و٢٠٩. إن رسالة صلاح الدين إلى خليفة بغداد، التي تضمنها مؤلف أبي شامة، والتي أوردت فقرات منها في المكتبة العربية، الصقلية، قد ورد بها أنه باسم السلطان تم احتلال برقة وقصصه وكاستيليا (قشتالة) ولوز، المخطوط العربي بالمكتبة الإمبراطورية، بباريس. Ancien Fonds، ٧٠٧، ورقة ١٢٨ الوجه الثاني.

(3) ابن الأثير، عام ٥٧٦، الموضوع السابق، قارن القرطاس، طبعة تورنبرج، النص، ص ١٢٩ والترجمة ص ١٨٦؛ وابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة م. دي سلان، ٢، ٢٢، ٢٠٢.



المراسنة. ولكن نهاية الرواية تقلل من أصالة بدايتها، حيث أوردت أن الموحدى قد أعاد بدوره لملك صقلية مدينتى أفريقية وزويلة؛ وهو الأمر الذى لم يحدث. ولم يكن ليحدث (1). وحسب رواية المراكشى، فإن جوليلمو قد طلب التصالح مع أبى يعقوب لأنه كان شديد الخوف منه. والتزم بدفع إتاوة له. علاوة على الهدايا الثمينة التى قدمها له، ومن بينها، حجر ياقوت أطلقوا عليه ظلف الفرس. لشكله وحجمه؛ وهى جوهرة، فاق ثمنها كل الأثمان، وقد ظلت بادية للعيان حتى النصف الأول من القرن الثالث عشر، وتميزت ببريقها على غيرها من الجواهر التى ترصع بها غلاف نسخة من القرآن. من بين تلك النسخ التى أرسلها الخليفة عثمان إلى الولايات حينما وحد خط المصحف (2). وهناك خطأ واضح فى هذه الرواية أيضاً لأن نورمان صقلية ما كانوا ليتضعوا كى يبتاعوا السلام؛ بل يمكن تصور على عكس ذلك أن بضعة مدن من أفريقية كانت تدفع لهم إتاوة كما سوف نحدث فى موضعه. والأمر المؤكد هو أنه تم التوقيع على هدنة لمدة عشرة سنوات، بين أبى يعقوب وجوليلمو الثانى، عام ١١٨٠. أبرمها فى المهديّة سفراء صقلية فى شهر يونيو أو يوليو، وصدق عليها جوليلمو فى بالرمو، فى شهر أغسطس (3). وقد ذكر ابن جبير هذه الهدنة، بعد

(1) عام ١١٨٠. فى كتاب برتر. *Scripti*. المجلد السابع، ٥٢٨. فى مقدمة *Traité de Paix, etc*. ص ٥١. يوافق م. دوما لثرى على رواية الأب روبرتو وسهب فيها ويعطى التعبير إعادة المدينتين معناه المنطوق. وهو أن الأمير الموحدى سمح بأن يكون للصقليين ضناق بها. ثم أنه وفق أيضاً بين التاريخين اللذين ذكرهما روبرتو والكاسيني مجهول الاسم، وذلك بأن أكد على أن المفاوضات بدأت عام ١١٨٠ وتمت فى أغسطس ١١٨١. (2) المراكشى. فى طبعة تولى، ص ١٨١. وفى المكتبة العربية، الصقلية، ص ٢٢٠. وطبقاً لذلك يجب تصحيح ترجمة المراكشى التى قبلت فيما سبق بكتابتها فى الحاشية على ابن جبير. فى *Journal Asiatique*. مارس ١٨١٦. ص ٢٢١ وفى *Archivio storico italiano*. حاشية رقم ١٦. ص ٧١.

(3) قارن بين: ابن الأثير، الموضع السابق، والكاتب الكاسيني مجهول الاسم، فى كاروزو، *Biblioteca Sicula*. ص ٥١٢. يقول الأول منهما إنه تم الاستيلاء على قصبة فى اليوم الأول من عام ٥٧٦ (٢٨ مايو ١١٨٠) وإن أباً يعقوب ذهب إلى المهديّة بعد ذلك. حيث قابل المبعوثين. وبعد توقيع الهدنة أسرع بالعودة إلى مراكش؛ أما الثانى فيقول إن

عقدها بأربع سنوات، في معرض يوميات رحلته(1). وكانت المصالح التجارية بين البلدين هي الدافع لذلك الاتفاق، دون حاجة للرجوع إلى ما جمعه الأب روبرتو من أقوال غير دقيقة في فرنسا، أو المراكشي بالمغرب. وعلاوة على ذلك اشتدت حاجة إفريقية إلى غلال صقلية في ذلك الصيف أكثر من أي وقت آخر؛ حيث نعلم أن المون والأعلاف لم تكن هي متناول جيش الموحدين ذاته، وبناء على ذلك فما أن أبرم أبو يعقوب الاتفاق، حتى أسرع في العودة إلى مراكش(2).

ومن المؤكد أنه من أجل حماية المسافرين الصقليين بالبحر أرسل جوليلمو، الأسطول إلى جزر البليار، من شتاء عام ١١٨٠ إلى ١١٨١؛ وقد كانت هذه الجزر مع تغيير حكامها لا تكف عن أعمال القرصنة. فبعد سلالة موجيتو، وسيادة حكام بيزا العابرة (١١١٥). تمكن المرابطون من احتلال تلك الجزر؛ وبعد سقوط دولتهم، حكمها بنو غانية، وهم من بربر قبيلة موصوفة. ثم جاء أحد عتاة تلك العائلة واسمه اسحق بن محمد واغتصب الحكم (١١٥١)، واستطاع أن ينظم الهجمات ضد المسيحيين، حتى اغتسب. وأصبح قوياً مثل الملوك، حسبما كتب المراكشي(3). وحدث أن توجه الأسطول الصقلي، في طريقه لاحتلال مايوركا بقيادة أدميرال المملكة جوالتهيرو دي موديكاً إلى جنوة، في بادئ الأمر، وكان أسطولاً قوياً بشانياته وسفنه الكثيرة حاملات الخيول. وقضى الشتاء كله في

جوليلمو أبرم الهدنة بالرمو في أغسطس ١١٨١. وعلى ذلك اعتقد أن عقدها كان في المهديّة، والتصديق عليها في بالرمو. أما فيما يختص بتحديد العام، فإنني أعتمد على تاريخ كتاب الأخبار العرب. ومن عادتهم كتابة الأرقام بالأحرف، وهم أدقّ بصفة عامة. ولا يبدو لي من المعقول أن يكون التصديق قد تأخر أكثر من عام حتى أغسطس ١١٨١. (1) انظر فيما بعد، هامش ١، ص ١٩٩.

(2) ابن الأثير، الموضوع السابق. وقد يوحى كلامه بأنه كان يشير إلى الدافع إلى ذلك. حيث أعقب ذكره للهدنة مباشرة بقوله: «وكانت إفريقية تعاني آنذاك... إلخ».

(3) نص دوزي، ص ١٩٢. وما بعدها. أرجع إلى ابن خلدون، *Histoire des Berbères*. ترجمة البازون دي سلان ٢٠، ١٨٨، ٢٠٧. وهو يختلف في بعض الأحداث الثانوية.

قادو: هذا ما ذكرته فقط بشأنه حوليات جنوة؛ إلا أنها أضافت أن المدينة كانت تعاني بشدة في ذلك الموسم من وباء الم بهاء<sup>(1)</sup>. وربما كان ذلك هو السبب الذي صرف أهل جنوة عن إرسال سفنهم مع السفن الصقلية، حسبما كان متفقاً عليه، فيما يبدو، لأن الأسطول الصقلي دخل ميناء جنوة وقضى الشتاء في مياهاها. ويبدو أيضاً أن الوباء قد أجبر جوالتييرو على الابتعاد إلى قادو. ولكن لم يمض من الوقت الكثير حتى أراد كبير الأساقفة وقناصلة جنوة أن يحذوا حذو حكام بيزا<sup>(2)</sup>، وفي شهر صفر عام خمسمائة وسبعة وسبعين (١٧ يونيو - ١٥ يوليو ١١٨١) عقدوا هدنة لمدة عشر سنوات مع حاكم مايوركا<sup>(3)</sup>. وعاد جوليئمو يرسل حملته في العام التالي، وكانت أصداؤها واسعة. حتى أنه بينما كان يجري تجهيزها، خشي صلاح الدين من هجمات جديدة على مصر. فهرع إليها من شرق سوريا. رغم ما كان لديه من رغبة شديدة في إخضاع حكام تلك الدويلات هناك. وبعد ذلك لم تصل السفن الصقلية إلى جزر البليار. ذلك لأن نوأ شنتها؛ وغرق بعضها في مياه سافونا. وبعضها عند البنجاء، والبعض الآخر عند فنتيميليا، وربما غرق عدد منها عند سواحل

- 
- (1) في مورتوري، *Rerum Italic*، المجلد الرابع، ٢٥٥ - ٢٥٦. حيث نقرأ العام الميلادي ١١٨١، الخمسمشرية الثالثة عشر، وهي بحساب جنوة تقابل الرابعة عشر بالحساب الأكثر شوعاً، (إلا أن العام يوافق عام ١١٨١ بالضبط من التقويم الروماني).
- (2) يبدو أن بيزا كانت تجدد الهدنة في ذلك العين مع مايوركا كل عشر سنوات؛ حيث أنه لدينا أخبار عن إجراءات عام ١١٦١ و ١١٧٣. وردت لدى مرائيسوني، في *Archivio storico italiano*، المجلد ٦، الجزء الثاني، ص ٢٥ و ٦٨. وقد قمت بنشر اتفاق يونيو ١١٨١ الأصلي، في *Diplomi arabi del Regio Archivio fiorentino*. الجزء الأول، رقم ٤، ص ١٤ وما بعدها؛ ويجب تصحيح ما ورد بصفحة ٢٦ من مقدمة العمل ذاته. من استشهاده كُتُرو وتاريخ حملة جوليئمو الثاني، التي تفرقت بها الأخبار مجبولة المؤلف، المنشورة في *Historia Diplomatica Federici II, etc*.
- (3) نص عرس بارشيف تورينو الملكي، نشره ساسي، في *Notices et extraits des mss*، المجلد الحادي عشر، ص ٧ وما بعدها.

اسبانيا؛ وكتبوا عن ذلك أنه هلك ما يقرب من اربعين مراكباً(1). ثم نفهم أنه بعد سنوات قلائل، عندما هجم على بن غانية، على افريقية الشمالية بمساعدة المرابطين، إذ نأى إلى عمله في طرابلس أن أنصار الموحدين قد عادوا وانتزعوا منه جزر البليار، فأرسل أخاه عبدالله إلى صقلية؛ وعندما توجه بحراً إلى مايوركا تمكن من استعادة الحكم بيده(2)، ولا تذكر الحوليات، ولا آراء حتى معقولاً أن يكون بلاط بالرمو قد قدم له المساعدات في هذه العملية الثانية. ربما لم ينتبه أحد إلى أن ذلك الأخير قد جاء مثل مسلمين كثيرين ممن كانوا يلجأون إلى صقلية بصورة مستمرة من افريقية، هرباً من قسوة المجاعة وجشع جماعات النهب من عرب وأتراك وبربر، ممن جلبهم بنو غانية(3).

كانت التجهيزات للحرب تجري حينئذ في صقلية على قدم وساق، وشهد على ذلك ابن جببر الذي عرفنا منه تلك الأخبار التي ذاعت في تراباني في يناير ١١٨٥، حينما حجزت بالموانئ جميع السفن التجارية للانتفاع بها في خدمة الدولة؛ حيث كان جوليلمو يريد

(1) قان بين: جوليلمو الصوري: الكتاب الثاني عشر، الفصل الثامن، في *Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux*، المجلد الأول، الجزء الأول، من ١٠٧٦، وأخبار القرن ١٢ مبهولة المؤلف، التي نشرها م. هوبيل - برهول في *Historia Diplomatica Friderici secundi etc*، المجلد الأول من ٨٩٠. وهذا الكتاب لم يحدد تاريخاً وورد به أن جوليلمو الثاني أراد أن يساعد امبراً مسلماً طرد من مايوركا، وهو الأمر الذي يهودنا إلى عام ١١٨٢، والسنوات التي تلتها، لقد أخذ يتعمقت جوليلمو الصوري من الفصل الخامس إلى السابع في الكتاب ذاته، عن أحداث عام ١١٨٠ وصيف ١١٨١، ثم يبدأ في الفصل الثامن، بالحديث عن موت ملك شام، والد نور الدين، الذي نعرف، من جهة أخرى، أنه كان في نوفمبر ١١٨١، لذا علينا أن نتصور أحداث غرق السفن في شتاء ١١٨١ - ١١٨٢ وليس أثناء الحملة الأولى، التي يصفنا كفارو بتاريخها المعبد.

(2) ابن خلدون، *Histoire des Berbères*، ترجمة البارون دي سلان، ٢، من ٢٠٨ إلى ٢١٠.

(3) يوافينا ابن الأثير بأخبار عن هذه الظروف المنظمة التي كانت تحتازها افريقية، تحت عام ٥٨٠ و ٥٨١، طبعة توريج، المجلد العاشر، ص ٢٢٤ و ٢٢٥ وما بعدها.

إضافة مئة مركب احتياطي إلى الثلاثمائة شانية ومركب حربي التي بتشكيل الأسطول منها. وقال البعض إن الأسطول كان يعد لمحاربة الإسكندرية، وقال آخرون لمحاربة مايوركا، وقال غيرهم لمواجهة أفريقية. حيث وصلت أنباء لنوها عن نزول جديد للبر من قبل علي بن غانية في بجاية. إلا أن ابن جبير رأى أن الملك كان يريد الحفاظ على الهدنة مع الموحدين وأنه كان يخطط على عكس ذلك إلى إعادة اليسيو الثاني إلى عرش القسطنطينية. بعد أن نجا، كما روت الحكايا، من خنجر ماجوري أندرونيكو<sup>(1)</sup>. واقع الأمر أن هذا المجهود الحربي انقضى بالفعل على اليونان، وكان يقوده الأمير تانكريد. في الظاهر. وهي مبالغة كتب أحد شهود العيان أن خمسة آلاف فارس ومائتي سفينة نقل وثمانين ألف رجل. أبحروا يوم الحادي عشر من يونيو ١١٨٥: واحتلوا دوراتسو (٢٤ يونيو). وأخذوا تسالونيكى بعد حصارها (٢٤ أغسطس): إلا أن القادة تريتوا قبل التحرك للهجوم على عاصمة الدولة: وانهزموا في مونوبولى: ثم بعد أن تعرضوا للخيانة (٧ نوفمبر)، انسحبوا إلى إيطاليا، بعد أن خسروا ١٠ آلاف قتيل وأربعة آلاف أسير. وقد اشترك مسلمو صقلية في هذه العملية، التي فشلت كما سوف نذكر فيما بعد<sup>(2)</sup>.

(1) ابن جبير، النص والترجمة الفرنسية في *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨٤٥، ص ٥٢٦ وما بعدها ويظهر ١٨٤٦ ص ٨٨ وما بعدها. والنص موجود أيضاً في طبعة رايت وهي المكتبة العربية، الصقلية: والترجمة الإيطالية: في *Archivio storico*. حاشية رقم ١٦ ص ٢٥ وما بعدها.

(2) من بين من أشاروا إلى هذه العملية نذكر نيشيتا كونهاتي، وجوليلمو الصوري، وسيكاردى أسقف كريمونا وكتاب أخبار آخرين في ذلك العهد؛ ولكن هناك من حكي عنها بإسهاب، بل بتفاصيل لا تنهى وببلاغة زائدة عن الحد: ومنهم أحد شهود العيان ممن عانى فتوة الحصار والاحساس بالحرى من الاحتلال الأجنبي: إنه كبير أساقفة تسالونيكى ذاكها، واسمه إوستانسيو. وهو من العلماء الباحثين في هومبروس. وقد نشر النص الذي كتبه عن مذبحة تسالونيكى لأول مرة في فرانكفورت عام ١٨٢٢، ثم أعيد طبعه ومعه ترجمة لاتينية، ضمن مجموعة الدراسات البيزنطية في بون عام ١٨٤٢. إن إيريدوري لاورميا هو أول من أضاف، من بين الكتاب الإيطاليين، من نص إوستانسيو، وذلك في كتابه عن تاريخ جوليلمو الصالح. إن الكتاب مجهول الاسم

وكان صلاح الدين يبسط سلطانه في هذه الأثناء على جميع البلاد الإسلامية من النيل إلى دجلة، حيث كان حاكماً مباشراً في جانب منها، وحامي حمى وعاهل إقطاعي في جانب آخر؛ تاركاً مع ذلك لخليفة بغداد المسكين مجرد شرف منزلته الاسمية. وهكذا وبتجميعه للقوى، أخذ يتم عمل نور الدين ضد المسيحيين. وبعد أن احتل اورشليم (القدس) (٢٣ أكتوبر ١١٨٧) وفلسطين جميعها، فيما عدا أربعة حصون؛ وبعد أن حاول دون جدوى التغلب على قلاع صور وعلى رأس محاربي إيطاليا الذين كانوا يحمونها، عاود صلاح الدين الحرب في ربيع عام ١١٨٨؛ وكانت السفن الصقلية من أول ما وجده من أساطيل على الساحل.

كانت مسألة اورشليم تشغل اهتمام أوروبا؛ وبينما كانت ألمانيا وفرنسا وإنجلترا تجهز الجيوش؛ كانت أساطيل إيطاليا جاهزة والبحر مفتوحاً أمامها. لذا قامت ببدء الحملة الصليبية الثالثة. واتباعاً لخطط كورادو دي مونتراتو الجريئ كان الإيطاليون يحركون راضين منظمين، واثقين من أنفسهم وأقوياء، هكذا كتب حينئذ الأب أورسبرج<sup>(1)</sup>. وفي الرسالة التي وجهت قبل ذلك ببضع سنوات إلى خليفة بغداد باسم صلاح الدين، ورد أن رجال شيسيا وجنوه وبيزا، اعتادوا التردد المستمر على الشرق؛ حيث كانوا يشعلون أحياناً نيراناً لا يسهل إطفائها، ويقدمون أحياناً أخرى الهدايا، ويجلبون من البضائع أفضل ما في بلادهم، وكانوا يبيعون حتى السلاح وكل ما هو ضروري للحرب؛ وكانوا يعقدون الصداقات، حسبما ذكرت

الذي ذكرناه نقلاً (*Historia Diplomatica Friderici secundi*، المجلد الأول، الجزء ٢ ص ٨٩٠) يتحدث هو أيضاً عن هذه العملية الفاشلة؛ كما أن المعاصر رودلفو دي ديتشيهو، رئيس مجمع سان باولو بلسن، يذكر في ميافته كبيرة أن قوام القوات الصقلية كان لا يقل عن ٨٥ ألف راجل وثلاثين ألف فارساً هذا ما ورد في *Historiae Anglic. Scriptores*. لندن ١٦٥٢، ص ٦٢٨.

(1) كوتراي ليشافو، *Chronicon*، أرنهوترات، ١٦٠٩، ص ٢٢٨.

الرسالة، بما في ذلك من مصلحة لنا وخسارة لبلاد  
المسيحيين(1).

وشارك سكان الجنوب في ذلك الجهد المشترك الذي قامت به  
إيطاليا. ولما كان جوليلمو على استعداد للأسف للقيام بمثل تلك  
المعاملات، فقد حثه عليها كبير أساقفة صور عندما تحدث معه.  
وحينما وجه إليه اللوم على ذلك الضرر الذي ألحقه باللاتين في  
الأراضي المقدسة، حينما قام بعملية الفاشلة تلك في اليونان  
واحتجز الحجاج والسفن التي كانت تتخذ لها محطة في صقلية. ولكي  
يصلح ما أضده أخذ يمد كورادو دي مونفراتو بالمؤمن الوفيرة، تحملها  
خمسون شانية. حسبما يقول كتاب الأخبار الغربيون. وخمسمائة  
محارب. يرأسهم اثنان من الكونتات؛ وعملت هذه القوات على طماننة  
انطاكية. وحماية طرابلس، والحفاظ على صور، أما أكبر القوائد التي  
كانت في صالح حماية تلك المدينة المناضلة فقد كان يتمثل في  
الأسطول الذي تمكن من إبعاد جماعات قراصنة من المسلمين  
وتأمين طريق المعونات التي كانت ترد من آن الآخر، من رجال ومزن.  
وعندما تمكن أدميرال صقلية، واسمه مارجريتو دا برينديزي، من  
الاستيلاء على بعض الجزر، تشبث بوجوده بمياه تسوريا، رغم  
قسوة العواصف وقوة الأعداء، حتى أثار إعجاب جمهور المسيحيين  
جميعهم فهناك من أسماء نثونو، ومن أطلق عليه ملك البحار أو  
سبع البحر. وأرسله كورادو دي مونفراتو مع الجنود من صور إلى

(1) رسالة صلاح الدين إلى خليفة بغداد، ورغم ما بأسلوبها من صور بلاغية فهي نطل  
وثيقة مهمة جداً. كان صلاح الدين يريد أن يبين لجميع المسلمين، وليس للخليفة  
المسكين، كيف أن ما قام به من استيلاء، بل بالعري ما قام به من تعريد للمنتسبين  
الصغار، مع عدم استثناء أولئك المنتمين إلى بيت نور الدين، إنما كان ضرورياً لتقوية  
الإمبراطورية الإسلامية وطرد الكافرين من أراضيها. وقد أرسلت هذه الرسالة نحو  
بداية عام ١١٨٢. انظر رينو، *Extraits... des Croisades*، ص ١٨١. وقد قمت بنشر  
الجزء الذي يتحدث عن ملك صقلية وعن جمهوريات جنسيا وبيزا وجنوة. بالمكتبة  
العربية، الصقلية، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

طرابلس؛ وهناك حسب المسيحيين عدوًّا، واستعدوا للدفاع عن أنفسهم، ولكنهم تنهبوا بعد ذلك إلى شعار الصليب والأسطول الأوربي، واستعادت المدينة دفاعاتها به حتى أن صلاح الدين لم يجرؤ على الهجوم عليها<sup>(1)</sup>.

وخلافاً لذلك كان حكم الكتاب المسلمين على هذا الطاغية مرجريثو، الذي كان على رأس سفن طاغية صقلية<sup>(2)</sup>؛ وقوامها ستون شانية، تبدو كل منها وكأنها قلعة أو صخرة<sup>(3)</sup>، يركبها عشرة آلاف رجل دأبوا على اجتياح البلاد وتضييقها. ولكن هذا الذي طبقت سمعته السيئة الأفاق كواحد من أعنى المعتدين وأقبح الشياطين، ما أن دخل ميناء طرابلس في صخب وجلبة حتى لم يعد له طعام، عسلاً كان أو مراً، ولم يأت بفائدة ولا ضرر. ولما فتح دكاناً لمؤنة، عادت المجاعة في طرابلس. وشد رحاله نحو صور ثم عاد إلى طرابلس؛ وأخذ يخوض

(1) تارن بين: *Historia Hierosolimitana* مجهولة المؤلف، في بونجارس، *Gesta Dei, ec.* المجلد الأول، ص ١١٥٥ وما بعدها؛ وماريو سانودو، الكتاب الثالث، الجزء التاسع، الفصل التاسع، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ١١٤؛ وسيكاردى أسقف كرمونا، في موراثوري، *Ref. Italic*، المجلد السابع، ص ٥٢٠؛ وفرانشسكو بيبينو، *Chronicon*، الكتاب الأول، الفصل الثاني عشر، المرجع السابق، الفصل التاسع؛ برناردى تيزاير، الفصل ١٦٩، المرجع المذكور، الفصل السابع؛ *Chronica Anonima*، في هوبيل-بريهر، *Hist. Diplom. Friderici secundi, ec.* المجلد الأول، ص ٨٩٠، ٨٩١؛ و *Continuation française de Guglielmo di Tiro*، الكتب الرابع والخمسون، الفصل ٥، ١١، ٧، *Recueil des Historiens des Croisades - Historiens Occidentaux*، المجلد الثاني، ص ١١٤ و ١١٥ و ١١٩ وما بعدها.

أثارت العمليات الأولى التي قام بها مرجريثو دويًا كبيرًا في الشرق، حتى أن ميعولى فيليبو أوجوستو في القسطنطينية، حينما تلقوا أخبار الحرب إلى الملك، كانوا يذكرين أن مرجريثو استولى على يافا، وأنه قتل بها ٥٠٠ تركي، وتم أسر ثمانية أمراء، وأنه أخذت أيضاً جبله وقتل ما كان بها من رجال، قام ودولفو دي ديتشينو بنقل هذه الرسالة، المرجع السابق، ص ١٤١، كما قام أيضاً بنقلها مؤلف كتاب *Gesta regis Henrici II* وينسبها إلى بنديثو كبير رهبان بطرسبرج، طهية ستانس، لندن، ١٨٦٧، المجلد الثاني، ص ٥١. ويزيد بيبينو وبرناردو في عدد الشانيات حتى يصلها به إلى ٢٠٠ شانية صقلية؛ ويشول سانودو إنها كانت سبعين شانية و ٥٠٠ رجل سلاح و ٢٠٠ تركيولي. (2) يطلق العرب المسلمون طاغية على الحكام الأجانب، وهو لفظ ينشأ في الأصل، ضيف، ظالم، معتدى، إلخ.

(3) ترجمة حرفية لما ورد بالعربية «قلعة وقلعة».



تلك المياه، ذهاباً وإياباً، يميناً ويساراً لشهور عدة، دون أن يدرى ماذا يفعل: إلى أن تفرقت سفنه، واستحال بأسه إلى جبن، وأخذ رجاله يهربون صفوهاً، وعاد إلى داره برجال قليلين وخسائر كثيرة. هكذا قال أحد المعاصرين وهو يشيد بأعمال صلاح الدين ويقصو على البلاغة وعلى التاريخ أيضاً. لبروي عن عمليات أدميرال صقلية الفاشلة، وليس عما أنمه منها، كما سكت على وجه الخصوص على عملية طرد جماعات القراصنة من المسلمين<sup>(1)</sup>. أما فيما عدا ذلك فقد شهد المؤلف بشهرة مرجريتو: واسم طاغية الذي أطلقه عليه يتوافق مع وصفه بالأمير الجبار الذي نقرأه عند مارينو ساندونو<sup>(2)</sup>، ووصفه بأسوأ الشياطين لا يختلف كثيراً عن القاب قرصان، وكبير قراصنة، وأمير القراصنة الذي أطلقه عليه الكتاب البيزنطيون والإيطاليون والألمان<sup>(3)</sup>. ويبدو أنه بعد فشل عملية اليونان، عهد بلاط بالرمو بالأسطول إلى رجل البحر هذا الجسور، الذي استولى في قبرص على سبعين شانة بيزنطية كانت ذاهبة لتخضع تلك الجزيرة<sup>(4)</sup>.

(1) عماد الدين، المكتبة العربية، الصقلية، التمس، من ٢٠٦ و ٢٠٧. قارن مع أبي شامة في المجموعة ذاتها، من ٢٢٧.

(2) *Secreta Crucis*، في بونجارس، *Gesta Dei, ec*، المجلد الثاني، ١٩٤.  
(3) نهشتا كونياتي، *De Isaaco Angelo*، الكتاب ١، § ٥، من ١٨٢ و ١٨١؛ وسبكاردي في مورالوزي، *Rer. Italic*، المجلد السابع، ٦١٥؛ وكونرادى ليشتاو، من ٢٢٢. من الطبعة المذكورة؛ و *Continuatio Cremifanensis*، في برتز. *Scriptores*، المجلد التاسع، ٥١٨؛ و *S. Rudberti Salisburgensis Chron*، المجلد السابق، من ٧٧٨. تمة أوتوني دي فريزنجن، المرجع السابق، المجلد العشرون، ٢٢٥؛ و *Annales Aquenses*، المرجع السابق، المجلد السادس عشر، ٦٨٧. و *Weingart*. *Contin*، المرجع السابق، المجلد الواحد والعشرون، ١٧١. ومسنون آخرون ألمان. وبعد أن أصبح مرجريتو أحد كبار أدميرالات صقلية، وكونت مالطة، وبعد أن أصبح ثرياً وفرياً جداً، أخذ يترف بما اقتطفه من أخطاء في بدايات حياته وذلك عندما قدم ضيعة هدية لأرخباندرس مسينا «تكفيراً عما اقترف من سيئات». ومن لم تتكلم كاهله أخطاء ثقيلة ومعروفة منها يسميها في المعتاد خطايا. انظر في برو، *Sicilia Sacra*، من ٩٨٠. وهذه الوثيقة تسمى على الوطن الذي ينتمي إليه الأدميرال، حيث ورد بها "Nos Margaritus de Brundusio, etc".

(4) قارن بين: نهشتا كونياتي، *De Isaaco*، الكتاب ١، § ٥. والمصنف الممنون *Magni presbyteri*، في برتز، *Scriptores*، المجلد ١٢، ٥١١ وهو يتضمن تقريراً معاصراً.

ويخبرنا كتاب إنجليز معاصرون أنه كان يمتلك جزر سكارباتو، وتشيفالونيا وتزانته(1)، ولا يبدو مستبعداً أن يكون قد ترك أيضاً مع مهنته لقباً لقب به فيما سبق وأن يكون مرجريو، كونت مالطا، هو ستيفانو ذاته، القرصان المماون لملك صقلية، الذي دخل من خلال ثغرة تسالونيكى (٢٤ أغسطس ١١٨٥) قبل أى رجل آخر، والذي ذكره بامتقان كبير الأساقفة إوستاتسيو الذى كان أحد أسراه(2).

وعن الواقعتين اللتين وجد فيهما مرجريو نفسه وجهاً لوجه أمام صلاح الدين فإن عماد الدين وابن الأثير جديران بالثقة فيما نقلاه، وقد كانا يميلان في جيش المسلمين. فحينما حشد السلطان الجيش في حمص، ذهب معه جماعة من جنوده للاستكشاف في طرابلس، وقام بتخريب ريفها، ثم تمهل في ضرب العصار وعند عودته، توجه إلى إمارة أنطاكية. وبعد احتلال تورنوزا في السادس من جمادى الأولى (٢ يوليو ١١٨٨)، ثم مرافقاً، تحرك في اتجاه جبلة. واضطر للممرور بمحاذاة البحر، لتحاشي الجبل وقلعة مركب فائقة القوة التي كانت في يد السبيديين. وكان الطريق مع ذلك ضيقاً جداً ووعراً: حتى أنه كان من الضروري أن يجتازوه الرجال واحداً واحداً. وكان الأسطول الصقلى قد أقلع آنذاك من طرابلس وانتشر على طول الساحل: وبالجرخ والزميرك(3) أخذ رجاله يمحطون القذائف والرماح على الطريق. وعندئذ أمر صلاح الدين باحضار الألواح الساترة

(1) *Gesta regis Henrici II*، المصنوعة لينديتو راعب بطرسبرج، طبعة ستويس، لندن، ١٨٧٦، المجلد الثاني ص ١٩٩. انظر ص ٤٧ من المقدمة، حيث يوضح العلامة الناظر أن هذا الجزء قد كتب نحو عام ١١٩٢. وقد نشر هذا الجزء قبلاً. تحت اسم Brompton برميثون، في *Historiae Anglicae Scripta*، لندن، ١٦٥٢، ١٦١٨. (2) إوستاتسيو التسالونيكى، *Opuscula*، فرانكفورت ١٨٧٢، ص ٢٩٢ و ٢٩٤، وفي طبعة بون ١٨٤٢، ص ٤٥٧ و ٤٦١ و ٤٦٦. (3) نقرأ في نص عماد الدين أن «رغب المسيحيون» الجرّخ وقرىوا «الزميرك». وقد ورد ذكر السلاح الأول في حصار الإسكندرية. أما السلاح الثانى فقد ذكره بهاء الدين، طبعة شلتس، ص ١٥٠، وورنو، في *Extraits, etc*، ص ٤١٦.

(3) نقرأ في نص عماد الدين أن «رغب المسيحيون» الجرّخ وقرىوا «الزميرك». وقد ورد ذكر السلاح الأول في حصار الإسكندرية. أما السلاح الثانى فقد ذكره بهاء الدين، طبعة شلتس، ص ١٥٠، وورنو، في *Extraits, etc*، ص ٤١٦.

ومعدات أخرى مما يستخدم في الحصار (2). ثم وضعوا رماحها الآلات القاذفة وضاربي الرماح؛ حتى اضطرت السفن الصقلية بدورها إلى الابتعاد وتمكن الجيش من المرور بأكمله. وبعد أن تم الاستيلاء على جيلة دون مقاومة في الثامن عشر من الشهر (١٥ يوليو)، دخل اللاذقية بعد أسبوعين؛ وهناك وجد الديار وقد هجرت والفرنجة وقد لجأوا إلى قلمتين، ووجد السفن الصقلية في مواجهة الميناء.

وكان الأسطول الصقلي قد جاء ليعد يد العون ووجد كل شئ قد ضاع، فبدأ يلتقط أيا من الفارين بالبحر. وقد استشاط الصقليون غضباً من المواطنين بسبب جبنهم وهجرهم أراضيهم بهذه السرعة دون انتظار أصدقاء أو أعداء. ولكن سوء الأحوال أدى إلى أن أسرع أهل اللاذقية بالنزول من القلاع. والعودة إلى ديارهم، وانفقوا على دفع الجزية. وبعد أن نظم صلاح الدين شئون حكم تلك الأراضي، وكان على وشك التحرك بالجيش، أرسل الأدميرال الصقلي إليه أنه يريد أن يتحدث معه ومطلب كنسأب أمان، فأعطاه له. ويقول أحد شهود العيان إنه ما أن غلبه مظهر الأمير، حتى انحنى مرجريته.

(2) إن مخطوط مكتبة باريس الإمبراطورية الذي نشر السيدان رينو وفاهي أجزاء منه (*Du feu gregeois, etc.* باريس ١٨١٨) يحتوي على رسم قام به باولو سانتيني دا دوتشي لما كانوا يسمونه *mantellectus* في القرن الرابع عشر. وهو عبارة عن قاتم، يحمل بدرجة ٤٥ ويضعه جانباً مقلان. فيما يشبه مستند كتاب للقرابة. وكان الجنود يحتمون خلفه. وقد صورت بلطف *mantelletto* سائر عن اللطف الذي استخدمه صناد الدين ونقرأ، جيفاتي *Gieffati*، ونقرأ مع اختلاف طفيف في ابن الأثير. كما ذكر أيضاً ابن الأثير اسم «طارقية» الذي حسب السيد رينو مائلاً لللفظ *ἀρπική* اليوناني. ووافق على ذلك السيد دي ساسي (*Chrétomathie arabe*، المجلد ١، ص ٣٧٥، من الطبعة الثانية). ولكنه من الواضح أن الحديث هنا لم يكن بشأن الدروع. حتى إن كان اللفظ اليوناني هو أصل اللفظ العربي إلا أنه يختلف فيما بينه هنا، ونظراً لأننا نقرأ في *Vocaboliste arabico* بمكتبة ريكاردانا لفظ *"scutum"* مقابل اللفظ العربي طرق أو ثقب. وأرى أن اللفظ بلغيتا وهو *"targa"*. أي درن المصور الوسطى الكبير، هو الأنسب. وهو أكثر مواسمة من *corazza* زودية، في موضع التشبيز الذي ذكره السيد دي ساسي. فآزن مع كلرمير، *Histoire des Mongols de la Perse*. الجزء الأول، ص ٢٨٩. ويستظم صناد الدين بدلاً من هذا اللفظ كلمتين، أي «نراس» وستائر ويبدو أنه استخدام عام للتعبير عن السواتر.

حسب الطريقة الشرقية، وكأنه يقبل الأرض؛ واستجمع قواه، وفكر، ثم في النهاية بدأ يتحدث بمساعدة مترجم. وبعد أن بدأ كلامه بمباركات المدح، طلب من صلاح الدين أن يعطى كامل الأمان للمسيحيين سواء من السكان الأصليين فيما يبدو لى أم من الأوربيين. موضعاً له أنه، إن قهدهم الأمير ضمن «جنده»، فليسوف يعاونونه في فتح البلاد القريبة والبعيدة. وانتهى بالتهديد بأنه، إن حدث العكس وسامت معاملة مسيحيي سوريا، فليسوف يأتي من وراء البحر آلاف المعاربين من كل أراضى المسيحيين، ومعهم من عتاد الحرب ما لا يقوى عليه أحد. ورد عليه صلاح الدين بأن الله قد أمر المسلمين بأن يخضروا العالم كله للدين الحق؛ وأنه يحارب تنفيذاً لهذه الفريضة؛ وإن الله قد ساعده ولسوف يساعده؛ وعليه فإن اجتمع بنو آدم من أقصى خطوط الطول والعرض، ضد المسلمين، فإنه لن يحصى عدد أعدائه. بل سوف يحاربهم؛ ولعله يذيقهم مرة أخرى طعم سيوف المسلمين وأغلالهم. ولما رأى مرجريتو ذلك الرد على نصائحه، رسم علامة الصليب وأنصرف. وفي شئ من التباين البسيط ذكر عماد الدين وابن الأثير ما جرى من حوار، وربما كانا شاهدي عيان، بل كان كذلك أولهما بالتأكيد<sup>(1)</sup>، ولا يبدو مضمون الحوار مستبعداً، حينما نضع في اعتبارنا أن مرجريتو لم يكن ليجعل طموحات صلاح الدين ضد عديد من الأمراء المسلمين، ولا ما كان ينسبه الصليبيون لعدوهم الرهيب من قوة المزينة والياس؛ وبناء على ذلك أكد رواية الأخبار أنه عرض في عام 1192 على ملكي فرنسا وإنجلترا عقد اتفاق ضد أولياء عهد نورالدين<sup>(2)</sup>.

(1) فإن بين عماد الدين الأصفهاني وكاتب موجزه ابن شامة المقدسي، في المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص 205 وما بعدها، وص 227 وما بعدها، وابن الأثير، عام 586، المرجع السابق، ص 212 وما بعدها. وفي طبعة تورنبرج، المجلد 12، ص 2 وما بعدها، وقد أشار المسند رينو إلى هذه النسخة في مؤلفه *Extraits... relatifs aux Croisades*، ص 226، 227.

(2) *Gesta regis, etc*، المنسوبة إلى بنديتو دي بطرسبرج، المرجع السابق، المجلد 2، ص 178 و 180. فإن ذلك النص ينص روجيرو دي هوفن.

ووافقت جوليلمو المنية (١٨ نوفمبر ١١٨٩) بينما كان يجهز أسطولاً فائق الضخامة لكي يرسله أو يقوده بنفسه في الشرق، بالاشتراك مع فيليب أوجوستو وريتشارد قلب الأسد : حيث كان قد اتفق مع أريجو الثاني على أن يزوده بكميات كبيرة من التبيذ والشعير والقمح وبمائة شانية مسلحة ومزودة بما يكفي لسنتين (1). وقبل ذلك الحدث المشنوم الذي يبدو أنه أرغم الأسطول على العودة في الحال إلى صقلية، كان مرجريثو قد بدأ في حل عهد اللاذقية. ويروي أحد الكتاب المعاصرين مجهولي الاسم، مع معرفته الجيدة بمجريات الأحداث، إن الأدميرال الصقلي، في خبرة حقة بفنون الحرب، أغلق طرق البحر على حاميات المسلمين. في سان جوفاني وفي غيرها من حصون فلسطين، وإنه ذات يوم هاجم سفن صلاح الدين التي كانت تحمل أسلحة ومؤن إلى عكا، فحاربها وانتصر عليها وقتل كل من عليها (2). ومن

(1) فارون بين: تسمة جوليلمو المسوري الفرنسية، الكتاب ٢٤، الفصل ٧، في *Recueil des historiens des Croisades-Historiens Occidentaux*، المجلد الثاني، ص ١١٤ - ١١٥. *Gesta regis Henrici II*، المرجع السابق، المنسوب إلى بنديتو راعب بطرسبرج، المجلد الثاني، ص ١٢٢، الذي يتفق معه روجيرو دي هوفرن، في كاروزو، *Bib. Sic.*، ص ٩٦.

(2) *Gesta regis Henrici II* المذكور تراً، المجلد الثاني، ص ٥٤. من مقدمة ستوبس، فإن الكتاب مجهول الاسم كان على علم عميق بأحوال البلاط الإنجليزي في أواخر عهد أريجو الثاني وأوائل عهد ريتشارد. ولما كان ذلك الأمير قد قضى شتاء عام ١١٩١ - ١١٩٢ في مسينا، حيث تعرف على مرجريثو، كما أنه قضى كذلك الصيف التالي لحصل عكا. فمن المؤكد أن المقربين منه كانوا على علم دقيق بأحداث الأسطول الصقلي التي جرت مؤخرًا في مياه فلسطين وما هو ذا نسي ما قاله المنصف:

"Eodem vero anno, quidam vir potens et letis et mari, cuiusque Sigismus (sic), nomine Margarinus, per auxilium domini sui Willielmi regis Sicilie, profectus cum quingenta galis bene munitis, et viris bellicosis et viets et armis, in auxilium Christianorum, et vias maris tam salubriter observari, quod Saraceni qui Agrum civitatem et ceteras terre Ierosolime civitates et mutationes circa maritima occupaverant, unius securus paribus egressus. Coegit eundem quidem die, quod dum ceteris et servientes Saladinis viderent arma per mare, et victualia ad subventionem filii Saladinis et familie sue qui erant apud Agrum, occurrere eis prefatus Margarinus cum suis; et commisso cum eis prelio, illos devictos et omnes interfecit".

ومن الواضح إن عدد ٥٠٠ شانية هو خطأ ناسخ، كان عليه أن يكتب ٥٠. إن موجز الحملات الصليبية الذي كتبه أحمد بن علي الحريري، مخطوط مكتبة باريس الإمبراطورية، ملحقات صربية، ١٩٠٥ يشهد بأن القوات الصقلية كانت موجودة أثناء

المؤكد أن هذه الأحداث لا بد وأن حدثت في خريف عام تسع وثمانين، حيث بدأ حصار عكا في أوائل شهر سبتمبر. إن جوليلمو الثاني يستحق اللوم الكثير. وأريد أن أكرر هذا هنا. وذلك فيما يخص الشئون الخارجية بقدر الشاء الذي يستحقه على إدارته الداخلية للدولة. ففيما عدا معاهدة السلام التي أبرمها مع الموحدين والعقاب الذي كان يفرضه من آن لآخر على القراصنة من الزيريين، فليست هناك أعمال أخرى يستحق ملكه عليها الشاء بالسياسة الخارجية. فقد شن جوليلمو دائماً حرباً غير مجددة وفاشلة؛ وخلال أحداث الرابطة اللومباردية لم يتبع مشورة الحكماء ولا الكرماء ولا الصادقين؛ ومما ثمار الرابطة بكل ما أوتى به من قوة، وذلك باختياره اختياراً غاية في السوء والسفه: أي زواجه بكوستانتينا وسط آل زيفشيا، وهم العدو الطبيعي لآل هوتشيل وللبابوية ولإيطاليا كلها. وحتى إن لم يؤكد لنا المعاصرون، فإننا سوف نرى أن جوليلمو لم يكف في أعماله كلها عن التخبط بين وزيريه جوالتييرو وأفاميليو وماتيو دا بللو. ولكي يكيد ماتيو، كما يقولون، لمنافسه، أشار على جوليلمو بتأسيس كرسي رئيس أساقفة موريالي، على أبواب الرمو بالتحديد (١١٨٢). وقبل ذلك، كانت عملية الإسكندرية التي عهد بها إلى الأمير تانكريد (١١٧٤)، التي كانت كما هو واضح، من أعمال الوزير الذي كان يتوق لإضفاء الشهرة والقوة والكفاية في القيادة على ذلك المرشح الذي كان يعد للعرش. ولعلنا في شك أقل نستطيع أن نرى الشئ نفسه عندما نذكر حملة اليونان، التي نعرف أنها تمت ضد مشورة جوالتييرو وريكاردو بالمر(1). وهي كارثة ذلك الجيش بالتحديد (خريف ١١٨٥) نجح جوالتييرو في عقد المصاهرة مع بيت هونغستافن. وعليه

حصار عكا عام ٥٨٥ (١١٨٩) إلى جانب قوات من القسطنطينية وروما وجنوة وبيزا ومايوركا، ورويس وهسبا وكريت وقبرص ولومبارديا.

(1) إوستانسو. De Excidio Thessalon. طبعة فرانكفورت من ٢٨٢. وطبعة بون من ٤٢١.

كان الاسراع بالاحتفال بها (٢٧ يناير ١١٨٦): واستشف المعاصرون من ذلك ثأر مطران بالرمو من استقطاع جزء من مطرانيته<sup>(١)</sup>، وتحت سلطة أمير طيب ودمت الأخلاق إلى هذا الحد، لم يمان مسلمو صقلية اضطهادات تسمى إليهم، ولكنهم كانوا غير مطمئنين لما قد يضمّر منها أو يأتي على مهل. هذا ما يؤكد ابن جبير، العالم الأندلسي الرحالة، وقد نزل بصقلية وغمّر أهلها بالإجلال والمودة، وحيث دأب على كتابة كل ما يراه أو يستمع إليه خلال يومه؛ وعلى مدى أربعة أشهر قضاها هناك، قام بزيارة كبرى مراكز المسلمين السكنية، وتحدث مع الناس من كل فئة، من خدم البلاط وحتى أكبر نبلاء الجزيرة، المنحدر من سلالة على الشريفة، وهي البداية حينما لم يكن قد رأى سوى خصيان البلاط، أخذ ابن جبير يمدح الملك الشاب، المتسامح، بل صديق المسلمين. وقال عنه إنه يتحدث العربية، وإنه كان يستخدم في مراسيمه «العلامة»، وإنه يعيش بين المسلمين، الذين تحولوا عن دينهم في الظاهر؛ وإنه إذ لم يكن يجهل إيمانهم الذي كانوا يخفونه، اعتاد أن ينض نظرهم في أوقات الصلاة، عندما كان يراهم يبتعدون الواحد تلو الآخر، ويحكى ابن جبير أنه في زلزال فبراير عام ١١٦٩، وكان جوليلمو لا يزال شاباً، أخذ يجول وهو منزّع في جوانب القصر، وسمع النساء والوصفاء يدعون الله والنبى، وعندما وجدهم يضطربون لقدومه، هدأ من روعهم بكلام من ذهب فقال: «لبدعو كل إنسان إلهه الذي يعبد» من يؤمن بإلهه، يجد سلاماً في قلبه». وتأثر ابن جبير لفيض صلاح الأمير، حتى دعى الله أن يطيل عمره لسنين عديدة، ولكن بعد مرور شهرين وبعد أن تعرف الرحالة بصورة أوضح على أحوال إخوانه في الدين، بدأ ينعت جوليلمو بالطاغية؛ واتهمه بقهر ابن حمود وإذلاله، وبأنه أجبر الفقيه ابن زورا، على إنكار دينه؛ ويرتاع وهو يحكى أن ذلك

(١) ريكلاردو داس، هرماتو، في بداية الأخبار.

الأخير، بعد أن عين قاضياً، كان يحكم مرة بحسب الإنجيل، ومرة أخرى طبقاً للقرآن. وإن الأمر وصل به إلى أن حول مسجده إلى كنيسة<sup>(1)</sup>. وفيما يقرب من ذلك الزمان (١١٧٩) حدث أن رأينا مسجداً في كتانيا يخصص للصلاة المسيحية على يد أحدهم يدعى جوفاني دا مسينا، حيث كرس المكان باسم القديس الجديد، توماسو دي كانتريزي<sup>(2)</sup>.

وإن كانت شخصية جوليلمو تدعو إلى عدم استبعاد تلك التناقضات؛ فإنه من الواضح إن ذلك النوع من التبشير الذي أدى إلى انزعاج ابن جبير، إنما لا يرجع إلى جوليلمو بقدر ما يرجع إلى رجال الكنيسة، الذين كانوا لا يتمهلون في بسط سلطتهم على جانب كبير من السكان، وفي زيادة العشور، والعطايا، والهبات. وقد نشط رجال الدين بفضل قوة كبير أساقفة بالرمو: كانوا يتمتعون بممارستهم للعدالة، ولأن جوليلمو كان ميالاً للتعاليم الآتية من وراء جبال الألب، فقد بدأ يترك التعاليم التي اتبعها سابقوه؛ وأخذ يضع القضايا محل اهتمام رجال الدين تحت سلطة المحاكم الكنسية<sup>(3)</sup>؛ وكان يحيل أمامها من يتهم من بين المسلمين باختطاف النساء المسيحيات. حقاً لم يحكم الأساقفة عليهم بأحكام الإعدام أو بتر الأعضاء؛ ولكنهم كانوا يستطيرون الحكم عليهم بالفراغات أو بالضرب، كما جاء في كتاب البابا اليساندرو الثالث، الذي وجهه إلى كبير أساقفة بالرمو<sup>(4)</sup>. ويمكن أن نتصور كثرة العقوبات، ذلك للمدى الواسع الذي يمكن أن تفسر به تلك التهمة، إلى جانب الدخل الذي كان يعود من وراثتها على القضاة. ولكن المسيحيين

(1) ابن جبير، النص والترجمة الفرنسية في *Journal Asiatique*، ديسمبر ١٨٤٥ ويناير ١٨٤٦ والترجمة الإيطالية في *Archivio Storico*، حاشية رقم ١٦.  
(2) *Sicilia Sacra*، ص ٥٢١.  
(3) *Constitutiones Regni Siciliae*، الكتاب الأول، العنوان ٤٥ و ٦٨، الكتاب الثالث، العنوان ٨٢.  
(4) *Decretales Gregorii*، الكتاب الخامس، المرسوم ١٧: الفصل ٤.

"De raptoribus"، ص ١٧٦٨ من طبعة روما، ١٦٢٢.



كانوا ينتزعون ولكن دون أن ينزل بهم أى عقاب الأبناء من الذكور والإناث من الأسر المسلمة، حينما يحولونهم عن دينهم؛ كما كانوا يقتلون الأغنياء بالقرامات؛ ويجعلون من مقامهم فى صقلية مقاما لا يحتمل؛ حتى أن المتمسكين منهم كانوا يفكرون فى بيع كل ما يملكون وترك المكان، وكان الآباء يعطون بناتهم زوجات للمساافرين من أهل أسبانيا أو أفريقيا دون طلب مهرهن؛ أما المتبصرون فقد توقفوا انحصار الوجود الإسلامى فى صقلية خلال وقت وجيز، كما حدث من قبل فى كانديا.

ومع ذلك فلم يكن السكان فى جملتهم يكرهون المسلمين، كانوا يلقونهم بالترحاب أثناء الترحال. كما أن صوت المؤذن لم يكن مستغنياً فى كبريات المدن؛ وكان مسيحيو ترابانى معتادين على رؤية جموع المسلمين وهم يذهبون، على أصوات الأبواق والطبول، إلى المصلى. يتقدمهم «العامل»، لأداء صلاة الجماعة فى العيد(1). وإذا وجهنا نظرنا نحو القصر، فسوف نجد الاتجاهين متجاورين، أى مصادر الاضطهاد ومنايع المحاباة معاً؛ فمن ناحية نجد إلحاح كبار رجال الدين من وراء جبال الألب؛ ومن الناحية الأخرى نجد المطامع يتغلب أحياناً على التقطيع، وعلى ذلك كان الخصيان، وهـ الجاييتى، أو إذا أردنا، وصفاء القصر، يقومون بوظائفهم فى البلاط تحت تلك الفلانة الرهيفة جداً من التظاهر بأنهم مسيحيون(2). وكان هؤلاء يلعبون فى بذخ الثياب والخيول. وكان جوليلمو يكرم وفادة المسلمين الأجانب، من أطباء وفلكيين(3)، وكان يفتق المعطاء للشعراء(4)، كما يؤكد ابن جبير أن النساء المسلمات فى القصر كن يكسبن أحياناً للإسلام بعض صاحباتهن من المسيحيات. وأن سيدات بالرمو من

(1) ابن جبير، المرجع السابق.

(2) والبدليل على ذلك كل ما ثبت روايته من أمور فى فصول الكتاب الخامس من هذا المجلد.

(3) ابن جبير، المرجع السابق.

(4) انظر هنا، ص ٥١٨، الإشارة إلى ابن فلافس.

الفرنجة أو الإيطاليات كن يمتدّرن في قرارة أنفسهن برقى الحضارة الشرقية، فكن يرتدين أزياء المسلمين وثيابهن<sup>(1)</sup>.

ولم يرتخ ذلك الرباط المعنوى الذى كان يشمل السكان من مسلمى الجزيرة، حقيقة كان سكان المدن يتعاونون بالقليل أو ربما بلا شيء مع إخوانهم فى الدين من عبيد الأرض، وهم رجال من سلالات مختلفة، يمدون من الأعين والقلوب؛ ولكن التراحم الإسلامى كان نشطا بين سكان المدن، وكان المتظاهرون بالمسيحية بالبلاط، خير مثال على ذلك، وإن عرضهم ذلك للخطر. وهذا التماطف بين أفراد الجماعة، أو الأصل الواحد أو الوطن، والذى كان يرجع بالطبع لمشاعر واحدة، كان يظهر بشكل أقوى فى الرمو. أو المدينة، كما كان يطلق عليها مسلمو صقلية على سبيل الكناية. هناك أقام المسلمون فى بعض الضواحي، دون جيران مسيحيين، وكان بينهم قاض. يحكم فى شئونهم، وكانوا يترددون على المساجد. وكان كل منها مدرسة أيضاً، وكانت لهم أسواقهم الزاهرة، وفيها كان أصحاب الحرف مقسمين على حارات بحسب صنائعهم، كما كان متبعاً، بوجه عام، فى العصور الوسطى، وكما هو فى الشرق فى كل الأزمان. ومن كلام ابن جبير يمكننا أن نخلص إلى أن تجار المدينة كانوا فى غالبيتهم من المسلمين. وكانت هناك حرية مطلقة فى الصلاة العامة، إلا أن صلاة الجماعة كانت تؤدى بالمسجد الجامع، وبالدعاء للخلفاء العباسيين، وكان الاجتماع للصلاة فى الأماكن الخلاء، أو إن أردنا القول «المصلى»<sup>(2)</sup>، أمراً ممنوعاً، ربما لأنه كان من الخطر، على ما أظن، تجمع الآلاف من المسلمين.

ولا نعرف كم كان عدد هذه الآلاف فى العاصمة وهى الأقاليم؛ ولكن من المؤكد أن عدد السكان المسلمين من الرجال والنساء كان يفوق المئة ألف التى ذكرها أحد الكتاب المعاصرين، كما سوف نرى فى

(1) ابن جبير، المرجع السابق.

(2) ابن جبير، المرجع السابق.

الفصل التالي. وسوف يبين تتابع الأحداث أيضاً، كيف أنه نحو نهاية القرن الثاني عشر، تحول مسلمو صقلية إلى حال دى مازارا، وكيف أن عدداً كبيراً منهم ظل يمارس الزراعة فى تلك المساحة التى تغطى ألف كيلو متر مربع من الأراضى التى وهبها جويلمو الطائش. بكل ساكنيها، إلى دير مونريالى، متفاضياً عن التبعات السياسية لذلك، وعن الخلل الاقتصادى الذى كان يلحق بالدولة<sup>(1)</sup>. وأسماء المدن والقرى التى ذكرها ابن جبير فيما عدا سيراكوزا، التى تقع على الساحل من مسينا إلى بالرمو وعلى الطريق من العاصمة إلى ترابانى. وكان فى مسينا حفنة من المسلمين؛ وعدد أكبر منهم فى تشيفالو؛ وكان فى ترمينى ضاحية يقطنها المسلمون بكاملها، وكذلك بلدة صغيرة بكاملها بقصر سعد، ويبدو لى أنها ذلك التل الذى يطلق عليه الآن اسم كانيكا، بالقرب من هيلآباتى؛ وكان عدد السكان منهم كبير فى بالرمو؛ وجميع سكان الكامو والقرى والأرياف حيث كانت تمتلئ الأراضى الخصبة بهم وكانت زراعتها جيدة فى ذلك الوقت، وكانت تمتد من العاصمة حتى ترابانى؛ وهى ترابانى أيضاً كان جزء كبير من السكان يدين بالإسلام<sup>(2)</sup>.

---

(1) انظر الفصل السابق من الكتاب الخامس، ص ١٦٢ من هذا المجلد. بعدد الحديث عن أراضى جلفو. وإذا أضفنا إليها أراضى كورليونى وكالاتراسى، التى وهبت إلى دير مونريالى بموجب وثيقة ترجع لعام ١١٨٢، يتضح أن ملكيات الدير كانت تسيطر بها أراضى بالرمو وبارتشيكو والكامو ومازارا وكالاتامورو (وتحل كونتشا فى يومنا هذا محطها)، وبيزاكونو، وبرينسى، وكيزو (تشيمينا اليوم)، وتشيفالا - ديانا. وهى خريطة صقلية التى نشرها قيادة أركان حرب منذ وقت ليس ببعيد، نجد أن مسطح الأراضى الثلاثة التى حددناها، يشغل الورقة رقم ٤١ بكاملها تقريباً (كورليونى) وحوالى (ربع) الورقة رقم ٢١ (بالرمو). وكل ورقة من تلك الخريطة الطبوغرافية الممتازة رسم مصغر لمستطيل أبعاده ٢٥ × ٢٥ × ٨٧٥ كيلو متر مربع؛ وعند إضافة الجزء الرابع أى ٢١٨ وبإسقاط المشتريات من الرقم لأجزاء الأراضى الأخرى الداخلة فى نطاق المستطيل، فإنه سوف يتضح أن رقم ١٠٠٠، تلك التقريبى، هو رقم أقل من أن يكون مبالغاً فيه. علاوة على ذلك فقد وهب جويلمو الثانى، بموجب وثائق من عام ١١٨٢ و١١٨١، أرض بيزاكونو وأراضى أخرى، لم نضمنها فى الحساب.

(2) ابن جبير، المرجع السابق.

وربما كان يدين به أيضاً بعض سكان كثانيا(1)، وعلى حد قول بورتشارد، أسقف ستراسبورج، وميموث بارباروسا لدى صلاح الدين فإن مالطة وبانتلاريا كانتا بكاملهما مسكناً للمسلمين في تلك الأونة؛ وكانت تخضع أولاهما لملك صقلية، أما الثانية فلا تخضع لأحد، وكان إنتاجها من القمح قليلاً؛ حيث يعمل رجالها بالرعي، وهم شبه بدائيين، يلونون بجحورهم في المغارات، بمجرد أن ينزل إلى الأرض من هو أقوى منهم(2).

ومع ذلك كان المسلمون يشاركون في المناصب المدنية والعسكرية. كما سبق وذكرنا حينما تحدثنا عن «الجاييتي». لأن الشواهد المذكورة عن ذلك ترجع في غالبيتها إلى مملكة جويليمو الصالح(3). ويجب أن تضاف إليها شهادات إوستاتسيو، كبير أساقفة تسالونيكى. وكان دقيقاً جداً في وصف رجال الجيش الذين أغاروا على بلاده وخربوها (١١٨٥)، وكان يطلق عليهم اسم صقليين. حيث إن جويليمو، كونت أو ملك، أو طاغية صقلية، حسبما قال، جمعهم وأفرغ خزانة الدولة ليفي بنفقاتهم التي كانت تفوق بالكثير موارد الجزيرة الصحيحة(4). وكان ذلك الجيش يتضمن الجنود والقواسم الخيالة، والمشاة بالدروع الخفيفة والثقيلة، والفرق الحرة، المسماة بجماعات «الرزق» وكانت فرقاً لا تحصل على مكافآت أو رواتب، وإنما كانت تحارب في مقابل الفنائم فقط(5). وربما كان

(1) انظر هامش ٢، ص ٥١٠.

(2) رسالة سميت *Itinerario di Gherardo*. تتضمنها *Chronica Slavorum*. أرنولدو دي لوبك، الكتاب السابع، الفصل ١٠ من طبعة ١٦٥٩. وفي مجموعة برنز، *Scriptores*. الواحد والمشرين، ١٠٣ و ٢٢٥. حاشية ٧٧، يقوم العلامة السيد لانهرج بتصحيح اسم كاتب الرسالة. ويؤرخ البعثة بعام ١١٧٥.

(3) الكتاب الخامس، الفصل التاسع، ص ٢٦٢ وما بعدها. من هذا المجلد.

(4) طبعة فرانكفورت ص ٢٨٣. وطبعة بون ص ٤٢٢.

(5) ص ٣٠٤ طبعة فرانكفورت وص ٥٠٤ من الطبعة الأخرى. وورد بالنص وجعل *Normanni*. انظر هذا اللفظ في قاموس *Ducange* اليوناني، وطبقاً لما ورد به فسوف يبنى في الأصل «رمية زهر» وبالتالي «حف». وفي

مسلمو صقلية يمدون بين الخيالة القواسة، ويقومون بتلك المهمة التي تقوم بها الآن الشرطة العسكرية في الجيوش الأوربية. ذلك لأن إوستاتسيو يروى أنه في بداية عمليات التهب، بينما أخذ عدد من الجنود يلطخ بالدماء وينتهك قدسية كنيسة سان ديميتريو بأفعال سيئة شتى ضد اليونانيين الذين لاذوا بها، جاء أحد الخصيان من أدميرالات(1) الملك، ودخل على ظهر جواده ويده قضيب من حديد، ويثبته قواسة أقباء وأخلى المكان من أولئك القتلة(2). ولكن أثناء احتلال المدينة، بينما كان اللاتين يصبون جام غضبهم على المهزومين كان سراسنة صقلية يجوبون الطرق ليلاً للحراسة؛ ويدخلون الديار إن كان بها نور أو نار، في مخالفة للأمر يمنع ذلك؛ ويحطمون الأبواب ويأخذون منها النساء والفتيات اللاتي وقعت عليهن أبصارهم بالنهار؛ وكانوا يأخذون أحياناً «دوطة» هؤلاء الفتيات(3). وفي إحدى الخطب التي ألقاها إوستاتسيو بعد تلك الضربة، إذ كان يستذكر إحدى عمليات التعدي على المقدسات، قال إنها تشبه ما فعله أفريقيو صقلية(4). وأرى أن أنسب صناعة ألقى المنجنيق الهائلتين، اللتين أسماهما «بنتا الزلزلة»، إذ فتحتا الثغرة في سور تسالونيكى(5)؛ ومن ثم فمن الواضح أن الأكتين كانتا تدفعان بالقذائف في خط مستقيم. مثل المدفعية الحديثة؛ كما أنهما تتطابقان مع تلك الآلات التي وصفناها في حصار سيراكوزا عام ٨٧٨ والتي استخدمت في عملية الإسكندرية(6)، وربما تتطابق أيضاً مع تلك

شتونجارت، ١٨٧٠ ص ١٩٦، يبدو لي أن السيد تافيل قد ضيق المعنى كثيراً حين ترجمه إلى *Freiburger* وفراصة.

(1) *تقمصم*. يجب إضافتها إلى الاستشهادات التي ذكرتها في الفصل الأول من هذا الكتاب، ص ٢٤٦ من المجلد.

(2) ص ٢٩٦ من الطبعة الأولى وص ٤٧٢ و ٤٧٣ من الطبعة الثانية.

(3) المرجع السابق، ص ٢٠١ و ٤٩٢.

(4) خطبة افتتاحية، ضمن نبذات طبعة فرانكفورت المذكورة سابقاً، ص ١٥٧.

(5) المرجع السابق، ص ٢٨٥ من الطبعة الأولى وص ٤٣٠ من الطبعة الأخرى.

(6) في هذا الفصل ص ١٨٧.

التي كان بعدها كارلو دا نجو (١٢٨٤) ضد صقلية، وكان يقوم سراسنة لوتشيرا بتشغيلها(1). وبعد مدفعي المنجانيق، ذكر إوساتسيو «أولئك الذين كانوا يعملون على ملء الخنادق الخداعية بذلك التراب الكريه، حتى يهزوا الأسوار ويهدموها». وفي هذا الموضع أجد أن اللفظ اليوناني غير المؤلف الذي ترجمته عمداً بلفظ غامض في لفتنا، إن لم يكن يعني دَرَات الوقود لإشعال النار بدعائم المخابن، فقلعه كان يقصد به ذلك المركَّب الذي كان يستخدم في نيران الحرب، والذي قاد إلى اختراع البارود، ولكن لما كان هذا المركب لم يصل إلى درجة الكمال فإنه لم يكن يؤدي إلى الانفجار، وإنما كان يتطاير ويعمل شرراً ويؤثر بمجرد قوة رد الفعل. وهذا الاختراع يعود أيضاً إلى مسلمي صقلية، حيث إن نيرانا مشابهة، كانت تستخدم، في ذلك الوقت، لدى إخوانهم في أفريقيا وفي المشرق(2).

(1) وثقنا ٢٢ أبريل ١٦ مايو عام ١٢٨٤، المذكوران في كتابي *Guerre del Vespro Siciliano*. الفصل العاشر، طبعة ١٨٦٦، الجزء ١، ص ٢٨٢ بالعاشية. (2) إوساتسيو، المرجع السابق، ص ٢٨٥ من الطبعة الأولى وص ١٢٠ من الثانية. وقد ترجم المترجم اللاتيني لفظ *supervols* إلى "zolfo"، كبريت، وذلك بالاستنتاج، فيما يبدو لي بدلاً من الاعتماد على مرجعية أمثلة أخرى، واللفظ الذي استخدمته، يتفق مع ما يعرف في توسكانا باسم "*pulvis stercoribus permixtus*" الذي يعنيه التعبير اليوناني، بالإضافة إلى معنى شعامة وتراب الطريق؛ وهو ما يسمى في صقلية بالتحديد (*pruvulaceu*) ويجب على أن أنه إلى أنه باستشارة الأستاذ العلامة كومباري بجامعة بيزا بخصوص ذلك اللفظ، أكد لي الرأي القائل بأنه لا براء الكبريت، ولكنه يرى أنه يعني هنا «كاسة مواد قابلة للاحتراق»، كما يمكن أن تكونه نشارة الخشب أو ما يماثلها، أي تلك المواد التي كانت تستخدم في المناجم؛ وحسب طريقة قدامى اليونانيين في الحصار والغزو. ومع ذلك يظل أمامي الشك فيما إذا كانت الكتابة، بحسب اسمها الاصطلاحي تعني بالنسبة لليونانيين القرن الثاني عشر، مواد قابلة للاشتعال، من بين تلك المعروفة في المصور الوسطى تحت مسمى عام وهو النار اليونانية. وأردت أن أشير إلى هذا الافتراض، حتى تتمكن أبحاث لاحقة أو نصوص جديدة من أن تكشف عن هذه النقطة العلمية الفنية.

وعن الاستخدام القديم للتركيبات الحارقة المكونة من نترات البوتاسيوم والكبريت، أو إذا أردنا، بارود الإطلاق الناقص، انظر كتاب السجين رينو وفاني *Du feu Gregeois* والفصل الأول من كتابنا هذا، ص ٢٦٦ من المجلد، هامش ٢.

وبناء على ذلك فإن عدد المسلمين وثراهم ومعارفهم ومشاركتهم في الخدمات العامة ورعاية البلاط لهم كانت عوامل أعطت قوة لمسلمي صقلية المتضررين كما هو الحال من رجال الكنيسة ومن بعض وزراء الملك، والواقفين من إمكانية التغلب على أخطر المصائب؛ ومع ذلك كانت ألوية الموحدين تزهرف على مقربة من صقلية؛ وما كانت الجزيرة تفتقر إلى زعماء ثورة. وأثار ذلك مما اكتشفه الكتاب المسيحيون والمسلمون، تقودنا إلى شخصية كبيرة من بيت الإدارة، من فرع بني حمود، وكان فيها يبدو لي، من العائلة ذاتها التي ينتمي إليها ذلك السيد التمس الذي سلم كاستروچوفاني إلى الكونت روجيرو، وكانوا في الغالب يدعونه كما هي عادة العرب، باسم كنية هو أبو القاسم، ويدعونه أحياناً بكنية أحد أجداده أي ابن أبي القاسم، أو يلقبونه في النهاية بلقب العائلة وهو ابن حمود. وكانت منزلته قد ارتفعت وسط الأرستقراطية الوراثةية<sup>(1)</sup>، أيام جوليلمو الصالح. أما عن ثرائه ومنزلته بين مسلمي صقلية، فيخبرنا عنها فالكاندو أيضاً، ويذكر أنه كان من بين أقوى أعداء رئيس الديوان ستيقانو. كما ذكرنا من قبل<sup>(2)</sup>، وفيما يشبه هذه الرواية، يحكي ابن جبير، بعد سنوات، أنه اضطلع للاشتباه في تعامله مع الموحدين؛ وصودرت أمواله، وغرم ثلاثين ألف دينار؛ ووصل إلى مستوى الفقر والعيش براتب في البلاط؛ كان رجلاً بأصله، وكرمه، ومروته، وفطنته، وأدبه، عالي الشأن بين مسلمي صقلية، حتى أنه لو كان قد ارتد عن دينه، لتصوروا جميعاً، هكذا يقول الرحالة الأسباني<sup>(3)</sup>.

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل ٦ و٩ ص ١٧٥ و ٢٦٢ من هذا المجلد، إن الاختلاف بين اسمي أبي القاسم وابن أبي القاسم لا يمثل أية مغارقة، لأنه من عادة العرب الانحياز في مثل هذه التسميات، ولدينا لذلك مثلاً قريباً هي بني خراسان بنون، ذلك اللقب الذي كان يقال أيضاً، وبصورة سليمة، بني أبي خراسان. انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص ١٢٩ من المجلد، هامش ١.

(2) انظر بداية هذا الفصل، ص ١٨٠.

(3) ابن جبير، المرجع السابق.

كما نخلص إلى أن ابن قلاؤص السكندري، الفقيه والشاعر ذا الاسم اللامع، جاء إلى بلاط جوليلمو عام ٥٦٥ (٢٥ سبتمبر ١١٦٩ - ١٢ سبتمبر ١١٧٠)، وبعد أن قال قصيدة مدح فيها الملك، ونال من هباته مكافأة، أهدى للحمودي ذلك، ديواناً عنوانه الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم ونال عنه مكافأة عظيمة، مما أكبر امتنانه للصقلي الممطاء، حتى أنه حين عودته إلى مصر، أهدى له أبياتاً أخرى. كما لقبوه أيضاً بالسحاب<sup>(1)</sup>، وربما يرجع ذلك إلى واسع عطائه وكرمه. وهي ذلك الوقت عاد ابن ظفر إلى صقلية، وكان قد ولد بها ثم هاجر إلى الشرق، وكان عالماً، وشاعراً، ولغوياً وكاتباً رفيعاً؛ ولما كان يعاني ضيق العيش شمله ذلك الرجل النبيل بالمعونة والمودة، فأهداه ثلاثة أعمال لم تشر، والنسخة الثانية من أكبر مصنفاته انتشاراً وهي سلوان المطاع<sup>(2)</sup>، ونقرأ في مقدمتها في معرض الكلام عبارات من الواضح أنه لم يلقها جزافاً: الدعاء «بأن يعين الله هذا الرجل، سيد العادة وقائد القادة، على إتمام مقاصده التي يبغيها هو (جل جلاله) .. وأن يرفع شأنه دائماً بين مراتب السلطان وأن يبطل غي أعدائه؛ ثم مدحه بأن «عزيمته وافية في أي خطب... وأن الناس لا تهاب المحن متى اتهمت رجلاً مثله ثابت القصد»<sup>(3)</sup>. وما كان يستطيع ذلك الرجل أن ينعم بالحياة وسط ظروف بنى وطنه المسلمين، ولما كان قد اتخذ الجانب المناهض لمسيحيانو، فإننا نستنتج أنه كان يحظى بتأييد ماتيوي، وأن يكون، فوق ذلك، موضع رغبة جواتييرو أوهاميليو الذي أخذ يرفع راية الانحياز إلى الأتھن من وراء جبال الألب، وأبو القاسم، أو آخرون من عائلته، وجد نفسه، بكل

(1) السحاب، أو البهمل (الماء)، رمز السخاء. قارن ابن خلكان: وفيات الأعيان، النسخ طبعة وستيفيلد، المجلد التاسع، ٦٧، الترجمة رقم ٧٧٢، والمجلد المباشر، ٦١، ترجمة رقم ٨١٥، وحاجي خليفة، معجم التراجم، المجلد الثالث، ٤٤٥، رقم ٦٦٨٠. وقد أعدت طباعة التسموس في المكتبة العربية، الصقلية، من ٦٢١ و٦١٢ و٧٠٢.

(2) انظر المقدمة التي كتبها لكتاب سلوان المطاع لابن ظافر، من ٢١ وما بعدها.

(3) المرجع السابق، ص ٢٠٢.



تأكيد، متورطاً في الثورات ضد الدولة المسيحية، ونخلص إلى ذلك من أن أملاكه قد صودرت. وبالفعل لدينا وثيقة عام ١٢٠٠ من وثائق الوصاية على الحكم، تنص على الوفاء لبلدية جنوة بالوعد الذي خرقه أريجو السادس، وبناء على ذلك تحدد الوثيقة هبات واسعة، ومن بينها القصر الذي كان يمتلكه فيما سبق، في تراباني الجايينو (القائد) بولكاسيمو<sup>(1)</sup>. ثم بعد ذلك بست عشرة سنة، كان فديريكو، بعد أن تحرر، يهب لكنيسة بالرمو بعضاً من أملاك روجيرو حموتو، الذي يبدو أنه كان أصل هذه العائلة النبيلة في صقلية في القرن الحادي عشر<sup>(2)</sup>.

(1) *Liber Jurium Reipub Januens*. المجلد ١، ص ١٦٢ رقم ١٢٧ في *Monumenta hist. patrie*.

ورد بالنص تسمية "domum". وأنا أترجمها «قصر». لأن الدار التي منحت في مسينا من خلال الوثيقة ذاتها، كانت دار مرجينو، أي القصر الذي أقام به ريتشارد قلب الأسد في ١١٩٠ - ١١٩١؛ والدار التي منحت في سيراكوزا كانت من أملاك جوفالتهرو دي موديكيا وكان قد أصبح أديبراً كبيراً؛ والبناء الممنوح في نابولي كان للفندق الملكي في «بورتاموريزي»... إلخ. وقد خرجت هذه الوثيقة الهامة إلى النور لأول مرة في *Hist. Dipl. Friderici II*. المجلد الأول، ٦٦.

(2) انظر الاستشهاد بصفحة رقم ١٧٥، من هذا المجلد، هامش ١.

## الفصل السادس

كان فالكاندو قد توقف، استهتماً منه أو بدءاً، عن كتابته للتاريخ عند بداية حكم جوليلمو الثاني بشخصه. وحينما عاد يمسك بقلمه بعد عشرين سنة ليرثى لما ألم بصقلية من تكبات، سجل، من بين أخطر العوامل، ردود فعل المسلمين. قال فالكاندو: «لو استطاع سكان صقلية أن ينصبوا على العرش ملكاً مشهوداً بقدره، ولو لم يختلف المسيحيون مع السراسنة، لاستطاع الملك المختار أن يطرد الجيوش الأجنبية ويعيد من كيان الدولة ما يبدو أنه فقد الآن... إلا أنه في زحمة القلاقل، ومع غياب هيبة سلطان الملك، من الصعب أن يكف المسيحيون عن قهر السراسنة. على أن هؤلاء لعدم ثقتهم في أولئك ولضجرهم كذلك من كثرة الإساءات، من الصعب ألا يهبوا لحمل سلاحهم. وبأخذوا قلعة على الساحل هنا، وحصناً على المرتفعات هناك، وإن حدث ذلك، كيف يمتطيح الصقليون الدفاع عن أنفسهم بيد تصد هجمات السراسنة، واليد الأخرى تصارع في معارك ضارية ضد التوتون؟».

آه لندعو الله أن يتفق النبلاء والعامّة، المسيحيون والسراسنة، حتى يتوحدوا في اختيار ملك، وأن يضموا كل قواهم، وأقصى ما لديهم من جهد حتى يصدوا هجمات البرابرة ومع ذلك راح المؤلف يلوم أهل بوليا ومسينا والملكة كوستانسا، والجميع فيما عدا المذنبين الحقيقيين: وهما جوليلمو وكبير الأساقفة. كما تناول مميزات أوليات مدن صقلية: وأفاض كثيراً في وصف بالرمو، التي كان يحبها كما لو كان من مواطنيها وكان يتوق إلى الحفاظ على مظاهر جمال الطبيعة وتناج

## الحضارة فيها(1).

إن هذا الحديث السياسي الوجداني عن الأحداث الرئيسية التي جرت في صقلية وبوليا من خريف ٨٩ إلى ربيع ٩٠، يشمل، في رأيي رواية في شكل نبوة، ومخاوف وآمال؛ لأن الرسالة كانت قد كتبت في الربيع، إن لم يكن في مدخل الصيف، وحينئذ كان الكاتب يعيش خارج صقلية وربما وراء جبال الألب(2). ولم يحدث أبداً لمتقيي أن ذكر الأحداث بتفاصيلها الدقيقة؛ كما أنه من غير المعقول أن يكون فالكاندو، على سبيل المثال، قد ظل على غير علم باعتلاء تانكريدی العرش، بعد تنصيبه بثلاثة أو أربعة أشهر، في الوقت الذي كانت التجهيزات للعمليات الصليبية في سائر أوروبا، وخاصة في غربها، تزيد من كثافة الاتصالات مع الموانئ الجنوبية، وكان الناس يتشوقون

(1) في كاروزو. Bibl. sic. ص ١٠٤ و ١٠٥. سواء هذه الطبعة أو الطبعة الأخرى فقد وضعت الرسالة المذكورة على رأس «التاريخ». وهي رسالة كتبت كما هو واضح، بعد التاريخ بوقت طويل، وتقرأ بعد «التاريخ». في ذلك المخطوط الجميل في Bibl. imp. di Parizi. ص. فيكتور. رقم ١٦١.

(2) لا يكتفي الكاتب بأن يقول وأن يكرر أنه كان يكتب «حيثما كانت النسيم الداخلة تسيل تحت العليد والمصفح... إلخ. كما أنه أشار إلى احتلال بوليا، مما ألهه بصورة لا يستهان بها ولكنه تعمل نظير الأ يعبر الألمان إلى الجزيرة. ويواصل حديثه قائلًا:

“Atque utinam Constantia cum rege Teuthonico Sicillae fines ingressa, perseverandi constantiam non haberet, nec ei detur copia Messanenium agros aut Aetnari montis confinia transeundi!”

وما نحن الآن في شهر يونيو ١١٩٠، لأنه من المعروف أن أريجو قد أرسل كبير السفينة ماجونيتسا في أواخر أبريل وأن قائد المسكر الإمبراطوري في توسكانا قد عبر حدود مملكة بوليا في مايو، ولا كوستانتسا، ولا أريجو كانا مع ذلك الجيش؛ ولكنه من المفهوم أن خبراً مثل ذلك كان يمكن أن ينتشر، أو ربما افترض الكاتب حضور الأمهين أو حتى اصطناعه وسط أسلوبه الاستحضاري الذي شغف به. حتى وإن لم ينجرف وراء ذلك الخط الذي تمثل أمامه في اسم كوستانتسا، وحيث كان الكاتب يعيش في أديرة فرنسا أو إنجلترا فلا يجب الظن بأنه كان يعرف أخبار صقلية من موسم إلى آخر، ففي المصور الوسطى كانت الأديرة بالذات، مستودعات الأخبار، وكان الرهبان يسمون في إثرها مثل صحنبيي أيماننا هذه.

(3) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص ١٦٦ وما بعدها من المجلد.

لمعرفة أخبار تلك البلاد . وهنا يجب أن يقلب الظن بأن ما كتبه لم يكن نتاج لحظة فطنة موهقة بقدر ما كان صنعة بلاغية خطابية . وإن كان هالكاندو قد رغب في تنبيه كبير أساقفة بالرمو ، لأن يتبع الرأي العام وأن ينقذ وطنه بالتبني ، فما كان بإمكانه استخدام قالب أكثر حذراً وحذقاً من ذلك ؛ وما كان ليوجه خطابه إلا إلى أحد رجال حاشية كبير الأساقفة . لذا فقد وجهه بالتحديد إلى بيثرو ، أمين خزانة كنيسة بالرمو ؛ وعليه فيمكن القول ، حسب المثل الحديث الذي نعرفه . إن الرسالة كتبت لذلك الأخير بينما كانت موجهة إلى جوالتييرو أوفاميليو .

وسواء اكانت إرهابيات أم روايات . فالأحداث قد جرت على هذا النحو . إن القسم الذي تم اداؤه لكوستانسا ، بأمر الملك جوليلمو . لم يفد في أن يقبل البارونات والكبار السيطرة الألمانية . وتلت ذلك أيام من الفوضى . هاجم فيها كثرة من مسيحيي بالرمو المسلمين . كما حدث في هوجة عام ١١٦٠ (1) . ولطخت الدماء المدينة . ولأذ الناجون من المذبحة بالجيال . حسبما يذكر كتاب الأخبار (2) : وكانوا يقصدون بها تلك الواقعة وسط غربي الجزيرة ، حيث كان اللونجبارد قد ابعدهم من الجانب الشرقي (2) . ومن ناحية أخرى فإن المذكرات التي لدينا من

"*Panormi oritur inter Christianos et Sarracenos dissentio (1) Sarraceni, multa sanorum strage faciunt exeunt et inhabitant montana*" هكذا كتب الكاسيني مجهول الاسم عام ١١٨٩ . في كاروزو . Bibl. sicula . ص ٥١٤ . وكتب ريكاردو سان . هيرمانزو ... *quinque Sarracenorum regulos, qui ob metum Christianorum ad montana confugerant*" وبعد أن أطلق بيثرو ديبولي على بالرمو مسمى المدينة ثلاثة التلة . تعدت عن الاضطرابات التي تشجرت بها فقال :

*Scismalis exoritur semen in urbe Ducum  
In sua versa manus praecordia, sanguinis hausit  
Urbs tantum, quantum nemo referre potest.*

(2) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب . ص ١٦٩ من المجلد . اعتقد أن السيد دي شيريه قد أخطأ حينما اعتقد أن المسلمين هددوا كتابها . *Lutte des papes, etc.*

المسلمين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر إنما ترجع جميعها إلى وادي مازارا. وحسب ما أورده إخباري آخر فقد انسحب خدام الملك جوليلمو من غير المسيحيين، إلى تلك المرتفعات ومعهم عائلاتهم وقطعانهم، أملاً في تحاشي نير نانكريدي. وكانوا حوالي مائة ألف من الرجال والنساء<sup>(1)</sup>؛ وإنى أرى هذا الرقم الجزائي ضئيلاً جداً. لقد كانوا فلاحى الأراضى الأميرية واعتقد أيضاً أولئك الذين كانوا يعملون في الضياع التي وهبها جوليلمو منذ زمن قريب إلى دير موريالى، الواقع في هذه الأنحاء بالتحديد. وكان على رأس ثورة السكان المسلمين خمس حكام، هكذا يقول ريكاردو دى سان جرمانو<sup>(2)</sup>. وبعد أن الحقوا بالمسيحيين أضراراً جسيمة، خضع الثوار، وكان لتوقيع السلام مع ريتشارد قلب الأسد في مسينا، أثره في إعطاء قوة وشهرة لتانكريدي<sup>(3)</sup>. استمرت إذن ثورة المسلمين من أواخر عام ٨٩ إلى أكتوبر عام ٩٠، أو ما يقرب من ذلك، ولما غلبهم الإقناع، وليس السلاح، إذ ظلوا في صراع بين الحق والريبة، عاد الرؤساء إلى ديارهم في الرمو؛ وذهب الفلاحون إلى أراضيتهم وأعطوا

---

الكتاب الأول، الفصل الخامس، ص ٢١٦ من الطبعة الثانية. إن حدث كتابنا كان يختلف كثيراً وقد جرى عام ١١٩٤، كما سوف نرى فيما بعد.

(1) *Gesta Regis Henrici, etc*، طبعة ستين، لندن، ١٨٦٧، المجلد الثاني، ص ١٤١. إن كتاب الأخبار هذا، الذي ينسب إلى بندكتو راهب بطرسبرج، الذي عمل على نسخه، إنما كُتب، حسب رؤية العلماء، في بلاط ريتشارد قلب الأسد؛ ولذلك فهو مرجع موضوع ثقة، ليس فقط لعماسرته، وإنما أيضاً لوجوده في أرض أحداث صقلية عام ١١٩٠، حينما قضى ريتشارد شهوراً عديدة بها، وتقارب من ذلك الأخبار التي نقرأها لدى روجيرو دى هوفدين (فى كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ٩١٥) وقد أدمج هذه الأخبار مع الأخبار التي أوردها هو، وزودها بالشروح، والتذييلات والإضافات، وبما أنه كان مسامراً، هو أيضاً، فقد أعطى الشهادة قوة باتعماله ليها.

(2) عام ١١٩٠، فى كاروزو، المرجع السابق، ص ٥١٧.

(3) *Gesta Regis Henrici* وروجيرو دى هوفدين، الموضعان السابقان.

الرهائن(1). والتلف الذي خلفته هذه الحرب الأهلية لم يذكر بشكل تفصيلي وسط تلك الذكريات المتعجلة، الشحيحة؛ وإنما يمكن قياسه من أحوال عدد من الضياع في وادي مازارا مما كان يسرى عليها نظام الاسترداد في حالة عدم وجود أبناء ذكور. فما أن اعتلى أريجو السادس العرش حتى أعطى وثيقة حررت في بالرمو في ٣٠ ديسمبر ١١٩٤، لصالح دير سانتا ماريا دي لاتينا في مسينا، يسمح بموجبها «إصلاح قراء التي اتلفت أثناء الحرب التي اندلعت لدى وفاة جويلمو»(2). كما أن الحديقة التي رآها ابن جبير في تلك الأنحاء قبل ذلك بوضع سنوات، أخذت تتحول بعد ذلك إلى غابة.

إن فرار المسلمين من العاصمة، وثورة الفلاحين، وقيام الخمس حكام الذين يقصد بهم رجال تجرى في عروقهم دماء نبيلة، وليس مرابطين مغالين، ثاروا وسط الاضطرابات، إنما هي شواهد تبين خطورة تلك الحركة الاجتماعية، التي انتهت باختصار إلى تشتيت سلالات مسلمي الجزيرة، وكان الحكماء منهم يتوقعونها، كما سبق وقلنا: وإن كانوا لم يحسبوا التضحية قريبة إلى ذلك الحد. كان المسيحيون هم البادئين بحمل السلاح: وقاوم المسلمون في ضراوة، وربما كانوا مستعدين لذلك: فبيدو أن مسلمي الأرياف قد وصلت بهم الحال إلى حدود اليأس من جور السادة الجدد، الذين كانوا يفوقون بالتاكيد في تقديرهم وقسوتهم، ضعاف الإيمان من المسلمين العاملين في البلاط. لذا حاولوا العودة ليمسكوا بأيديهم رماح ونشب آبائهم، ويتخذوا هيئة النظام القبلي: وعاشوا على النهب؛ ولعلهم لجأوا إلى إخوانهم في أفريقية، الذين لم يتمكنوا من مساعدتهم؛ وبعد شهور عديدة، ضاق أولئك المواطنون والمزارعون بحياة الترحال، وبعد أن خابت كل

(1) هارن بين، ريكاردو دا سان جرمانو و*Gesta...* الموضحان المذكوران.

(2) في بيجو، *Sicilia Sacra*، ص ١١٣٧. وهو يؤكد أنه نسخ الوثيقة الأصلية. وقد ورد ذكر هذه الوثيقة في وثيقة أخرى من وثائق الإمبراطورة كونستانسا بتاريخ أكتوبر ١١٩٨ أو ١١٩٩، في *Historia Diplomatica Friderici Secundi*، المجلد الأول، ١٢.

الأمال. وقد رسخ تانكريدي أقدامه، وتجهزت جيوشه وجيوش الصليبيين الذين كانوا يتوقفون في مسينا، أثر المسلمون اللجوء إلى حماية القوانين التورمانية، وعادوا يعيشون حياتهم الممتدة. وقادتهم إلى ذلك فيما أرى كفاءة الوزير ماتيو واسلويه، حيث كان صديقاً دائماً للمسلمين، وما هو ذا الآن ينتصر على فصيلة ما وراء جبال الألب. وهي في الحقيقة تلك الفصيلة التي لم يكن يخطئ في حقها من عدها المحرك المباشر للثورة؛ لأنه ما إن اصطف الشعب لصالح تانكريدي، حتى لم تجد أمامها من سبيل سوى تعريض مسيحيي بالرمو ضد المسلمين؛ وإشغال فتنة الحرب الأهلية، حتى تعجز قوات الأمير الجديد داخل صقلية. بينما كان الألمان يهاجمون بوليا؛ وهي بالتحديد الحالة التي لمَح لها هالكاندو. بناء على ذلك يمكنني تصور بداية ثورة المسلمين ونهايتها.

وسوف أشير مجرد إشارة إلى الأحداث الأخرى، حيث إنها معروفة جداً وأصبحت واضحة بفضل الأبحاث الحديثة<sup>(1)</sup>. كان اختيار تانكريدي عملاً من أعمال المستشار ماتيو. وإن كان أيضاً بموافقة أغلبية المواطنين وبترحيب كبير من البلاط البابوي. وقد شب وترى فترة في المملكة وفترة أخرى في البلاد البيزنطية، وكان رجالاً مثقفاً حسب تعليم عصره، ولكنه كان منقاداً أو مذبذباً على أقل تقدير. إلى

(1) انظر العمل الكبير الذي أجراه السيد دي شيريه، *Histoire de la lutte des papes et des empereurs de la Maison de Souabe De Henrico VI. Romanorum imperatore, Normannorum regno sibi indicante*. والنقد الذي أجراه السيد أمولفو كومن في *Forschungen zur deutsche Geschichte*. المجلد الأول من 127 وما بعدها، والذي أجراه السيد أوتو هسارثونج في، *Selzer's Monats blätter*. مارس 1862. أما عن الكتاب المعاصر، فإلى جانب الطبعات القديمة، يمكننا الآن مقارنة طبعات برلز (حتى المجلد 22) وطبعات *Gesta Regis Henrici* الحديثة، وطبعة هولدين (المجلد 1) التي نشرت في لندن للأستاذ ستويس. علاوة على ذلك فإن مجموعة برتز تكشف عن بعض مصادر لم يعرفها المصنفون الذي كتبوا تاريخ صقلية.

جانب أنه كان قائداً فاشلاً جداً، وإن كان قد أعطى برهاناً على حكمة سياسية اتبناها هو أو ربما مستشاره ماتيو. دخل بقوة المال في اتفاق مع ريتشارد انجلترا، ذلك الضيف شديد الخطورة<sup>(1)</sup>؛ وطمان المسلمين في صقلية؛ ودافع عن نفسه في البر الإيطالي من أعدائه في الداخل والخارج؛ ولكن عندما وافته المنية بعد أربع سنوات (٢٠ فبراير ١١٩٤)، ترك التاج لطفل؛ والوصاية على الحكم إلى سيدة لا تحسب من بين النساء اللامعات. وتوفى، في ذلك الوقت، المستشار؛ وهي المقابل، أصبح أريجو السادس إمبراطوراً، وبعد أن تخلص من خصومه في ألمانيا، واكتظت خزائنه بالمال الذي حصل عليه من فدية ريتشارد قلب الأسد. أخذ يسلم فرقاً من المرتزقة؛ ويقود الأنباغ من الألمان والإيطاليين؛ ويستعير سفن جنوة وبيزا بوعود كاذبة؛ وأخذ يؤمن مروره في وسط إيطاليا بأن أعطى غنيمة لأهل روما دماء وممتلكات وحتى أسوار أهل توسكولانا الذين وجدوا أمانهم في إحدى الحاميات الإمبراطورية؛ أما عن البلاط البابوي الذي كان قد فضّل نانكريدي فيما سبق، فقد تخاذل الآن أمام أريجو. وهو من استطاع أن يحتل المملكة خلال ثلاثة أشهر، بعد مقاومة قليلة، ولم يخفف ذلك من هيبته.

ووسط أحداث الحرب القليلة تلك، وقع صدام مهم في كاتانيا لا يظهر من الوهلة الأولى في المذكرات المعاصرة له. كان أهل كاتانيا قد هتفوا باسم أريجو؛ وعلى ذلك أرسلت أرملة نانكريدي رجالها للسيطرة على تلك المدينة، ومن بين أولئك الرجال كانت هناك جماعات من المسلمين. وكثيراً ما حكّت حوليات جنوة وأضافت أن

(1) لا بأس من التنبيه إلى أن الأستاذ ستوبس، في كتاب *Gesta, etc...*، المجلد الثاني، ١٢٢، في الفصل الخاص بتفاوض ريتشارد قلب الأسد مع نانكريدي، قد أجاد بتصحيحه *salinas* للنظ *salines* ويتسميه بالنظ *lavi* بمجموع الألفاظ المجلد الثاني، ٢٥٧ الذي تحول بأشكال مختلفة حتى أنه وصل إلى *ferres*؛ وهذا لفظان تركهما كاريوزو كما هما (*Bibl. sic*)، ص ٩٦٠. حتى إن كان أولهما يعني، بوضوح، ميكال للقمح، واللفظ الثاني ما كان يمكن أن يعني سوى قطع عملة صغيرة، حيث إن ١.٠٠٠.٠٠٠ منها، كان يعادل، حسب راوي كاتب الخبر، ٢٠.٠٠٠ أوقية من الذهب.



سفن الجمهورية ذهبت من مسينا لمساعدة المحاصرين وهزمت المسلمين وكان القتلى كثيرين<sup>(1)</sup>. وقد كتب أحد كتاب الحوليات الألمان، دون أن يذكر المسلمين ولا أهل جنوة، ونسب الانتصار إلى أريجو دي كالينديين؛ فقال إن البارونات اجتمعوا معاً في كتانيا، بجيش لا يحصى ولا يعد؛ وإنهم أقاموا بها مذبحة كبيرة؛ ودخل المنتصرون كتانيا مع الهاربين؛ واشتعلت الحرائق في المدينة؛ وفي كنيسة سانتا أجاتا، بكل الشعب الذي لا يزال بها، وإنهم أخذوا الأسقف أيضاً وساقوا الجميع أسرى إلى أريجو<sup>(2)</sup>. ومن ذلك نرى أن كلا من الاخباريين قام باختيار الأحداث التي تهمة أكثر من غيرها؛ ولكن الروايتين المنقوصتين تتوافقان جيداً مع بعضهما، وتكفيان، حال جمعهما معاً. لإيضاح أن آخر قوات السلالة

(1) *Annales Januenses*. في مورتوري. *Rev. italic.* المجلد السادس. ٢٧.  
 (2) أوتوني دي سان بياجو، في برتو، *Script.* المجلد العشرين، ٢٢٥ وهي كارروز، *Bibl. sic.* ص ٩٢٥. ولا أعلم لماذا يضع تويتشي في الكتاب المذكور سابقاً والمشهور له بالقيمة العلمية والدقة البحثية. لا أعلم لماذا يضع موضع الشكل مرجعية تامة سان بلازيانو، وهي تتناول بالتفصيل هذه الأحداث، كما أنها لا تتعارض مع غيرها من شهادات المعاصرين. وعلى عكس ذلك أظهر السيد كوهن ثقته بذلك الكتاب المعاصر. المرجع السابق، ص ٤١٧ و ٤٥٠. أما عن أوتونو. كاتب حوليات جنوة في ذلك الوقت، فإن العلامة تويتشي يشك في صحة روايته، لأنه لا يراه أمراً معقولاً أن تجمع ملكة مستقلة جيشاً، وأن يكون به جنود مسلمون، أما عن النقطة الأولى، التي نص عليها كاتب أخبار جنوة كما شهد بها الكتاب الألماني، فهي أمر طبيعي جداً؛ وليس ثمة داع لتفنيها. أما عن النقطة الثانية، فإنه إن لم نصدق بورتيسي الذي ذكره السيد تويتشي، فعلينا أن ننقل بالمراجع التي استندت إليها في مواضع مختلفة في كتابي هذا. فإذا كان من غير المعقول بالنسبة له أن يكون المسلمون قد حملوا السلاح للقتال لصالح السلالة الأعداء في السقوط، فإنه في مقابل ذلك يمكن أن نتساءل عن السبب الذي كان يمكن أن يدفع القوات المرابطة أو حتى الجنود، من طليقة الرعايا تلك، لأن يحمسوا الأمر بمعارضة الأجانب. إن الملاحظات كثيرة على ما أورده تويتشي من حكم، ص ٥٤، حاشية ١٤٨. ويبدو لي خطأ رأي السيد هارتويج (المرجع السابق ص ١٨٩) الذي في ثقته من سنة صدر أريجو السادس، ومن شر الصقليين، حمل على عام ١١٩٧ رواية أوتوني دي سان بياجو حول قتال كتانيا هذا. ولحق وضع الكاتب الحدث في موضعه. قبل استسلام بالرمو؛ ولا مفارقة زمنية في ذلك، فبعد ذكره أسر الكبار الذين شاركوا في المعركة. يشير إلى المنصر الذي صادفوه، والذي يمكن على أساس سليم أن نرجعه إلى عام ١١٩٧ أو ١١٩٧.

النورمانية هي صقلية، لم تكن قليلة بل غير منظمة، هذه القوات قامت بمواجهة العدو في الزمان والمكان غير المواتيين؛ حتى أن الحرب تم حسمها قبل الأوان نحو أواخر أكتوبر عام ٩٤، على ما أرى. وبناء عليه توجه الإمبراطور للهجوم على بالرمو، وهو على ثقة من أمره.

ومن أشعار بيترو دييولي، المداعن، مع أنه كاتب ملء بالحيوية(1)، ومن كلام أوتوني دي سان بياجو البسيط، نستشف تلك الدهشة التي سيطرت على رؤساء الجيش الإمبراطوري لدى اكتشافهم ذلك العالم الجديد بالنسبة لهم، والذي كان يمثل في صقلية القرن الثاني عشر: صقلية شديدة الثراء بالمعادن الثمينة(2)؛ وبالرمو، المدينة الرائعة، التي تتمتع بشعب له ثلاث لغات، وهي فردوس يروى بعسل النحل(3). ولدى اقتراب أريجو، في هجومه الحريص على العاصمة، أعجب بمدى عظمة وفخامة حُمية، ممثلة في سراي هافارا الملكي(4)، هالغابة الملكية التي كانت تمتد حتى أسوار المدينة، استطاعت أن تزود الجيش بناتج القنص والصيد بها. وزاد انبهار أريجو وإعجابه عندما وقع الاتفاق، ودخل بالرمو في عظمة وجلال (٢٠ نوفمبر ١١٩٤) فخرج المواطنون لاستقباله، بمختلف فئاتهم، تتقدمهم فرق الموسيقى، وهم بملابس الاحتفال بينما يعملى الأثرياء، منهم خيولهم

(1) اطلعت منذ سنوات على طبعة إنجل، بال، ١٧١٤، ولكني الآن وأنا أعيد كتابة هذا الفصل فإنه لا يعني إلا أن استشهد بالطبعة الجديدة التي قام بها السيد جوزيبي دل رى (*Cronisti e Scrittori sincroni napoletani*)، نابولي، ١٨٤٥، ص ٤٠١ وما بعدها، حيث ترجمة السيد إيمانويل روكو الإيطالية وملاحظات كلا العالمين. أجد من الضروري التنبيه إلى أن إنجل لم ينشر جميع أشكال مخطوط بال الشين وإلى أنه يمكن القول بأنه ينقص جزء من العمل، لأن الأشكال التي تضمنها ذلك المرجع كثيراً ما توضح الأحداث وتذكر أسماءً. انظر أيضاً شيريه، *Lutte des papes, etc...*، الكتاب الثاني، ٢، ص ٢٥٢ من الطبعة الثانية. وفي أماكن متفرقة.

(2) أوتوني دي سان بياجو.

(3) بيترو دييولي.

(4) بيترو دييولي.

الجميلة(1). وفي المدينة وجد الجيش المنتصر القصور وقد زينت بالأكاليل والبسط، والأحياء تنوح منها المطور الشرقية. ومن الأشياء التي استرعت دهشة الجرمان المتعالمين كانت تحية أفراد الشعب للإمبراطور بالسجود وجباههم تجاه الأرض(2)، وأظن أن ذلك قد اقتصر على المسلمين. ووصل أريجو في النهاية إلى قصر المملكة، فقدم له الخصيان مفاتيح الكنوز؛ فمن يفتح له خزانة مليئة بالنقود والجواهر والأشياء الثمينة؛ ومن يطلعه على دفاتر الدخول الملكية في كلايريا، وبوليا وصقلية وحتى في أفريقية(3). فوزع جزءاً من الغنائم الثمينة على النبلاء والقادة وأرسل منها جزءاً آخر إلى قلعة تريفلس المشنومة، مع الأسرى المرسلين للبترا أو السجن والتعذيب(4) وترى بقايا تلك الغنيمة الكبيرة، ممثلة في ذلك النسيج الذي يحمل الطابع الإمبراطوري، والذي يُحتفظ به حالياً في شينا. واقتصد به رداء روجيرو، وثوب جوليلمو الثاني، وجواربه المطرزة جميعها بالذهب

(1) أوتوني دي سان بياجو "Trinacris pars fertur equis, etc."، هكذا يقول بيثرو دييولي وهو يصف دخول الإمبراطورة كوستانتينا إلى سالرنو. عام 1191.

(2) أوتوني دي سان بياجو.

(3) في هذه الفقرة مما كتبه بيثرو دييولي. نقرأ:

*Haec (apud)ix) quantum Colaber, seu quantum debeat aler Apulus, aut Siculus debeat orbis, habet.*

لقد ذكر هذان البيتان الأسنادرين من نابولي، بذلك الذي كانت شهرته عظيمة في سلاح الملك روجيرو. وعلى ذلك فقد قرأ كلاهما *Affer* في مكان *affer*. من المؤكد أن شاعر بوليا لم يكن على حق حينما أطلق اسم زئوج على بني وطنه، والذين المفتوح في خزانة صقلية على أفريقية، يمكن تفسيره جهداً بالنظر للأموال التي كانت تدفعها تونس؛ وربما يمكن أيضاً نسبها إلى مدفوعات مالطة وبنغلاديا، حيث كان المسلمون لايزالون يقيمون بها، كما رأينا في الفصل السابق ص 513 من هذا المجلد. وقد ذكرت إثابة تونس، لأن مؤلف *Annales Colonienses Maximii* (في بيرتز، *Scriptores*، 17، 18-19) وهو مؤلف على علم كبير بمسألة صقلية هذه، قد كتب تحت عام 1196:

*"Marroch rex Africe 25 summaris, auro et lapide precioso, multisque donis oneratis imperatori militi"* وقد قلنا فيما سبق أن تونس كانت تخضع في ذلك الحين لسلالة الموحديين، المقيمين في مراکش. وقد ظننا كاتب الأخبار هنا اسم علم.

(4) أوتوني دي سان بياجو ويشير أيضاً بيثرو دييولي إلى تسليم الغنيمة.

واللآلئ، بحروف وأشكال ورسوم عربية؛ والقفازات والنعال وهي كذلك منقوشة بالأشكال والرسوم نفسها، ثم قطع كثيرة من نسج الحرير أو الموشى بالذهب وجميعها صناعات صقلية من القرن الثاني عشر(1).

إن مذكرات إقامة أريجو السادس في بالرمو، تظهر ملامح الحضارة الشرقية، ولا يقتصر ذلك على الأثاث والمعدات فقط، بل يصل إلى أسماء الأماكن أيضاً. ونقرأ في حوليات جنوه أن نواب تلك «البلدية» عندما أدوا العملية بنجاح، حسبما رأوا، ذهبوا للقاء الإمبراطور في أحد قصوره في حديقة ملكية تسمى چيلولواردو، وطلبوا منه المكافأة المتفق عليها؛ وأن الإمبراطور تريت في بادئ الأمر في الرد عليهم وفي النهاية رفض طلبهم وأهانهم وهددهم بأن يدمر جنوه وأن يحرمها من الامتيازات التجارية التي كانت تتمتع بها في صقلية تحت حكم النورمان(2). من ناحية أخرى، يرد بوثيقة معاصرة الحديث عن معسكر أقامه جيش الوصاية على الحكم (يوليو ١٢٠٠) في حديقة چنواردو الملكية(3): ثم في أخبار

(1) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٢٢ من المجلد. وعلى من يريد تقدير قيمة وكم القيمة أن يقرأ كتاب الأب بوك، من أوله إلى آخره. ولا ينظر فقط إلى الأشكال الملوقة، بل يجب أن ينظر أيضاً إلى أشكال الخشب المعصور التي تشغل انص بدأ من ص ١٢٩ إلى ما بعد ذلك. إن كتاب *Annales Maritimes*، هي كتاب برنز *Scriptores*، ص ١٧، ١٦٦، مثله مثل سائر الكتاب الألمان الآخرين حينما تحدث عن الذهب والفضة التي نقلت من صقلية عام ١١٩٥. يخيف في تدقيق هذه العبارة "cum multis pannis pretiosis de serico".

(2) *Annales Januenses*، لدى مورازوري، *Rer. italic.* المجلد السادس، ٢٧٠. حيث نقرأ *Grulcardus*، وفي طبعة برنز، *Mon. Germ.* ١٨، ١٠٩. وجد من الأفضل كتابة *Gilolo Ardu*، وهي صيغة، كما هو واضح، لا تختلف كثيراً عن *Gennolardus* إلا في تغيير حرف *n* إلى *l*، وبالمثل في الاستبدال السهل لحرف *f* إلى *e*.

(3) أنونيمى فوكسنس *Gesta Innoc. III*، الفصل ٢٦، هي طبعة بالوتسيو، المجلد ١، ص ١٠. ورد الاسم غير صحيح في طبعة كاروزو، *Bibl. sic.* ص ٦١٥. إن وصف المعركة الذي سوف نجده في الفصل اللاحق، توضح جيداً. مكان المعسكر، في الضاحية التي تسمى الآن مينزو مورياتي. خارج باب «نونا» (الباب الجديد).

صقلية ترجع للقرن الرابع عشر ورد ذكر لإجراء قام به أريجو، أيا كان في ذلك من الصدق أو العكس، وهو أنه أمر بحرق رجال في سهل جنواردو، خارج أسوار قصر بالرمو، بالقرب من حديقة كويبا من ناحية عين سندي(1). والأسماء كما هو واضح يقصد بها مكان واحد، ويمكن أن نعتبر الخطأ في حرف واحد من طريقة نطق الاسم الأول، أما الطريقتان الأخريان فهما تتقلان تسمية يقلب على نطقها السرعة والتعوير. وفيما أرى فريما كان اسم «جنولارد» هو نطق مخفف لعبارة «جنة الأرض» وهو الاسم الذي نقرأه وإن كان من خلال مرادف له في آخر بيت من الشعر، مكتوب بالعربية؛ وذلك بين الكتابات التي تزين القاعة الأرضية بقصر زيزة(2). ولقد خضع مسلمو الجزيرة واليهود كذلك لأريجو وظلوا بالأماكن وبالأحوال التي كانوا عليها من قبل(3)؛ ولم يرد ذكرهم في عمليات انتقام الإمبراطور البشعة تلك. ذهب أريجو إلى ألمانيا وعندما عاد إلى صقلية (1196)، نظم الإدارة، وأرسل الأسطول إلى الجزر المجاورة ليخضعها لطاعته ويحصل منها المال. وربما أخذ أيضاً شيئاً من المال من جزر ساحل أفريقيا(4)، وهو الأمر الذي أشار

(1) أترنيس *Chronicon Siculum*. الفصل 21. في جريجو، *Rerum Aragonens*. 2.  
 29: *Cubbe Fecit quidem dictus imperator Henricus camburi in plano Genuardi. quod est extra mœnia palatii Panormi juxta jardinum versus Aynisndi, omnes episcopos qui fuerant in coronatione regis Trankedi*. وحكاية كل الأساقفة الذين أحرقوا لم تولد بالتاكيد من روايات كاذبة عن عذابات أجريت في ذلك المكان بأمر أريجو. وعلى أية حال فيما لا شك فيه أن المكان حقيقي ويتطابق مع المكان المقام فيه اليوم دار الفقراء. ومن خلفه ناحية الشمال الغربي توجد نبع عين سندي الذي يقال له اليوم داتيسيتي.

(2) أي جنة الذهب كما وردت بأخر بيت شعر من الكتابة التي قسمت بنشرها في *Rivista Sicula*. فبراير 1870.

(3) روجيرو دي موفن، طبعة فرانكفورت 1601، ص 616.

(4) *"Insuper insulas maris pectigales faciens, imperium admodum dilatauit, etc."* في موراني، *Rer. italic.* 6، 901.

إليه بيت شعر من أشعار بيترو ديبولي(1).

يلزمني هنا أن أرجع إلى الوراء، حيث أن نقاداً موثقاً بهم من الألمان، إذ شغفوا بأريجو السادس لما أضافه للدولة من قوة ولأحلامه بمملكة عالمية، دأبوا في السنوات الأخيرة على تيرثته من الاتهامات الخطيرة التي تراكت على مر التاريخ فوق اسمه. وأجادوا في محو حوادث استخلصها الكتاب المحدثون من روايات شفوية مشوشة وبالفوا فيها حسب أهوائهم؛ وحسناً فعلوا حينما استعرضوا الشهادات المعاصرة وقدروا وزنها بدقة(2)؛ ولكن حينما يلزم أن يعمل النقد على تخيل الماضي وإعادة تركيب صور أحداثه من خلال أجزاء كثيرة مبعثرة، قام المعاصرون لها، أنفسهم، بزخرفتها، فإني أقول، إن المعنازين في يومنا هذا إلى آل زهيفي قد وقعوا في أخطاء شبيهة بتلك التي يحسبوننها على مصنفي القرن السادس عشر والقرون اللاحقة له. إن كاتباً واسع العلم، مازال في قيد الحياة، وهو غير معادي لإيطاليا، وإنما مستعد لأن يصفق بأي ثمن للقيصر الذي عذبها نحو نهاية القرن الثاني عشر، عندما أراد أن يثبت أن أريجو لم يكن ذلك الطاغية الفادر الذي تحدث عنه الجميع، عمد على رد التهمة، فاحتج بأن أعداءه كانوا يفوقونه مئة مرة في شرهم؛ وأن سكان صقلية، أبناء النورمان الماكرون، واليونانيين الفادرين، والمسلمين القساء، إنما كانوا جنساً دموياً خائفاً؛ لو لم يعاملهم الإمبراطور كما عاملهم، للقى سائر الألمان المقيمين في صقلية عام ١١٩٧، المصير الذي لقيه الفرنسيون بعد ذلك بخمسة وثمانين عاماً(3).

ولما كان كاتب هذا الكلام غير مستعد، حسبما أرى، لأن يدين الألمان الذين كانوا يتآمرون ضد الفرنسيين في بدايات القرن التاسع عشر، فيمكن سؤاله عن أي مسلمة من مسلمات العدل كانت تجبر

(1) Carmen انظر فيما سبق هامش ٢، ص ٥٢٩.

(2) انظر كتيب الدكتور لويس، ص ٦١ و ٦٢، حاشية ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٨.

(3) هارتويج، المرجع السابق، ص ١٨٨ و ١٨٩.

الصقليين، في القرن الثاني عشر والثالث عشر، على أن يتركوا أنفسهم حتى تطأهم أقدام الغزاة الأجانب، وسؤاله، بشكل عام، عن الشعوب التي تخضع بشروط معينة. وعما إذا كانت مطالبة بطاعة الغالب في قرارة نفسها حتى إذا نقض العهد أو تجاوز الحدود. علاوة على ذلك فإنني أرى أن الشعوب الأهل حضارة ليست بالضرورة الأكثر فضيلة، وأنه يجب ألا نعد ممالك كوكب زحل في القصص الخيالي، أو عادات الجرمان حسب رأي تاتشيتو ذهباً خالصاً؛ كما أرى أنه من زمن روجيرو إلى أيام جوليلمو الثاني، كانت مملكة صقلية محل حسد أوروبا بأسرها. لما كانت تتمتع به من أمن عام، واحترام للقوانين، وأنه بعد سنوات قليلة من وفاة جوليلمو، كان النهب والعنف والقسوة يقال عنها هنالك سلوكيات ألمانية؛ كما أنه إن أردنا أن نكتب، بناء على الأخبار والوثائق، إحصائيات جنائية أوربية، في العصور الوسطى، فلن نرى بين ألمانيا وإيطاليا ذلك الفارق الكبير الذي يفترضه هو. والحق أن القيم الأخلاقية العامة في سائر جوانب أوروبا، كانت حينئذ على ما يمكن أن تكون عليه قبل إحياء القانون الروماني، وإصلاح لوثر، وسقوط الإقطاع، وفلسفة القرن الثامن عشر، والثورة الفرنسية. وإذا اجتهد في معالجة هذا الموضوع دون حرج وطني، فسوف أعرض المفهوم الذي خلصت إليه من مختلف الشهادات المعاصرة، ومن طبيعة البشر في كل زمان ومكان؛ ومن الظروف الخاصة بأولئك الذين تنازعوا أرض إيطاليا الجنوبية وثرواتها نحو نهاية القرن الثاني عشر، ومن شخصية أريجو ذاتها، التي لا يغفلها أحد؛ وهي شخصية طموحة، وعنيفة، وماكرة، وبغيلة؛ وضرورية، حسبما قد يقول البعض، لصد سلطة البابوات، وتوحيد ألمانيا وإخضاع العالم لها؛ ولكنها كانت شخصية قادرة على خرق أبسط مبادئ العدالة، وعلى الفدر بالتوسكولان، على سبيل المثال وعلى النصب والاحتيال على أهل جنوة وبيزا.

ومن الاتهامات التي توجه إليه تهمة رثيستان رثيستان؛ الظلم في

الاضطهاد وبشاعة العقوبات؛ أما عن النقطة الأولى فيجدر تمييز سلسلتين من الأحداث وبالنسبة للثانية فإنه يجب أن ترتبط بأساليب العصر. وبدأ مما حدث في الرمو في أواخر أيام ٩٤ وأوائل ٩٥، فإن المذكرات الألمانية، وهي عديدة ومتسقة بين اثنين وأكثر(1)، وتتأول بالحديث مجرد عملية القبض على الكبار وترحيلهم خارج البلاد، دون إضافة أسباب ذلك، أو توجز في ذكر مؤامرة حيكت ضد أريجو، وتم كشفها بعد تتويجه ببضعة أيام؛ وقد وردت إشارة عنها، وبما يقارب الكلام نفسه، في رسالة كتبها أريجو إلى كبير أساقفة روان، بعد الحدث بأيام قليلة(2)، وإذا ما أتينا إلى الشهادات التفصيلية، فكما يمكن أن يفعل أي قاض، فسوف نترك جانباً شهادة بيثرو ديبولي، وهي شهادة تتساوى في قدرها مع كلمات الراهب القريب منه، الذي كشف عن المؤامرة، وهي تثبت فقط الخبر الرسمي الذي

(1) أي أوتوني دي سان بياجو وأرنولدو دي لوبيك. وإن أذكر أسماء الآخرين لأن توينشي قام بذكرهم، ص ٥٩، حاشية ١٦٠. ويضاف إليهم ما يلي:  
Conf. Weingart، في برتز ٢١، ١٧٤، الذي يشير إلى مؤامرة ١١٩٦ ويصحب كلامه بمباراة، ينال.

*Annales Marbecenses*، برتز، المجلد ١٧، ١٦٦، عام ١١٩٥، ودون ذكر لمؤامرة، يقال إنه تم سجن أربعة لآنكريدي، وابنه وبناته الثلاث، وكبير أساقفة سالرنو، وعشرة أشراف، من بينهم مرجريكو.

*Annales Colonienses Maximi*، برتز، ١٧، ٨٠٣، حيث لا نجد مؤامرة عام ١١٩٥، ولكن عام ١١٩٧.

*Annales Stadenses*، برتز، ١٦، ٣٥٢، حيث ثرد إشارة، تحت عام ١١٩٥، إلى عملية القبض على مرجريكو فقط، وفقاً عينيه، حيث يردد قتل الإمبراطور غدراً.  
*Annales Placentini Guelphi*، برتز، ١٨، ٤١٩، عام ١١٩٤.

*Chronologie*، روبرتو أوكسبر، في *Recueil des historiens des Gaules, etc*، المجلد ١٨، ٢٦١ و ٢٦٢، إن هذا الكاتب الفرنسي المعاصر، يذكر في عام ١١٩٥، أنه عندما عاد أريجو إلى ألمانيا، أخذ معه زوجة لآنكريدي وابناءه، وبعض الأشراف الذين قاموا بمؤامرة ضده؛ وفي عام ١١٩٦، يتحدث عن مؤامرة أخرى، نجا منها وكادت تصيبه ثم نقرا: "conspirationis auctores horrendo discerptit supplicio".

(2) رمولفي دي ديتشيتو. *Imagines historiarum*، في *Hist. Angl. Script.*، لندن، ١٦٥٢، ص ٦٧٨، حشرت الرسالة الموجزة في ٢٠ يناير (١١٩٥)، "Apud S. Marcum" في منطقة مسينا كما يبدو.



أعلن في البلاط في تلك الأيام(2). وقد ورد في أخبار إيطالية أن أريجو تلقى رسائل مدموسة وكاذبة ضد الملكة سيبلا وابنها جوليلمو وشخصيات أخرى؛ كان قد أعطاهم الأمان هو وكبار رجال البلاط فأخذهم جميعاً، وأرسلهم إلى ألمانيا، وأصاب بعضهم بالعمى(3). ويضيف إيطالي آخر أن أريجو قد خدع الملك الصبي وكونتات المملكة بقسم كاذب وأنه كبلهم بالأغلال، وأخذ ما استطاع من الذهب والفضة، وأرسل الأشياء جميعها إلى ألمانيا(4). وكذلك مكتوب في كتاب *Gesta d'Innocenzo III* أنه بعد أن وقع الإمبراطور التنازل عن دويلتي ليتشي وثارانثو لصالح الأرملة والصبي، «تحين الفرصة» وسجن كليهما ومعهما كبار كثيرون، وفقاً عيون الكثير منهم: وسجن الملكة وأبنائها وكبير الأساقفة في سجن قاس في سالرنو(5). ولكن هؤلاء الكتاب من الجوليف.

أما أنصار الجانب الآخر، وهم جديرون بثقة أكبر، فيؤكدون الاشتباه ذاته: إلا أنهم لا يميزون بين عملية الاضطهاد الأولى والثانية. فريكارودو دا سان جرمانو، أحد موظفي آل زفيشي، كتب بعد عشرين عاماً، أن البرلمان قد انعقد في بالرمو، وعمل أريجو على الحكم على الملك والملكة وأساقفة وكونتات كثيرين «منتهما إياهن بالخيانة العظمى»؛ ومنهم من فقأ عينيه، ومنهم من أحرقه، ومن شنقه ومن أرسله إلى ألمانيا(6). ولا يقل عن ذلك في خطورته ما شهد به

(1) *Carmen*، الكتاب الثاني، "Al Deus impatiens, etc".

(2) انونيمو الكاسيني، عام ١١٩٤، في موراثوري، *Rev. Italic*، المجلد ١١٢، ٥، وفارنه بكلمات مخطوطة آخر المجلد نفسه، ص ٧٢، وفي كاروزو، *Bibl. sic*، ص ٤١٧، وبعد سنوات عديدة رأى كورادو ليتششو وعنهاء مفلوخلن في روما.

(3) *Chronicon Fossenuze*، في كاروزو، المرجع السابق، ص ٧٤.

(4) في كاروزو، المرجع السابق، ص ٦٣٦.

(5) في كاروزو، المرجع السابق، ص ٥٥٢ تحت عام ١١٩٤، الذي ينتهي في مارس ١١٩٥، حسب التقويم الذي اتبعه ريكاردو.

أوتونى دى سان بياجو، وهو راهب ألماني، وهو ذاته الذى يمتدح أريجو كثيراً «على براعته وكفائته التى تستعيد للإمبراطورية قوتها الماسقة». ويوجز أوتونى الاستيلاء على المملكة فى فصلين: أشار فى الأول منهما إلى أحداث البر الإيطالي وشرقى صقلية: وهى كثير من التفاصيل حكى فى الثاني عن احتلال بالرمو وأنهاء بالحديث عن أسيرة تانكريدى، التى سبقت للسجن فيما وراء الجبال. ولكننا نقرأ فى أول هذين الفصلين أن الأشراف الصقليين أسرهم أريجو دى كالييندين. فى معركة كنانيا (١١٩٤)، وأحضرهم للإمبراطور، «إذ بلغ بهم اليأس مبلغه يبتوا التية لقتله: ولكى ينفذوا هدفهم. قدموا له فروض الطاعة(1)، ولكى يغلبهم هو بدهائه. قبلهم فى البلاط. ثم بعد ذلك، تمت دعوتهم للمثول فى حضرته. وذهبوا دون ارتياب فى شيء. وعلى حين غرة، أوقفوا جميعاً فى شبكة واحدة. لكم هو مكروه الانتقام بالغدر من الغدر، هكذا يتمتع الكاتب هنا، ثم ينتقل إلى قص «تفاصيل التهديب القاسية(2)». ومن هذا يتضح أن أوتونى قد فضل اتباع أسلوب ربط الأحداث ببعضها البعض، أكثر من أن يلتزم بالترتيب الزمني الصارم. أو فعل ذلك دون قصد: لأنه بعد وفاة أريجو، وعندما طردت كوستانتسا رجال بلاط أريجو وقادته، وعادوا إلى ألمانيا غاضبين، حُكوا بالتاكيد بشكل إجمالي ما حدث من أمور فى صقلية من عام ٩٤ إلى ٩٥ كما أسهبوا بالتاكيد فى الحديث عن أقرب هذه الأحداث، مثال تلك التى استغزت سيدهم للانتقام التى وصلت فيها الأقدام عدوهم وأذلته(3). على أية

(1) "Se et omnia sua, potestati ejus contradiderunt".

(2) فى موراثورى، Ret. ital. المجلد السادس، ٨٩٦، وبرتز، المجلد العاشر، ٢٢٥ و٢٢٦. إن الدكتور توينشى، وهو على درجة كبيرة من العيدة فى مواضيع أخرى يريد أن ينفى، فى ص ٦٠، هذه العذابات وأن يقلل من مرجعية أوتونى دى سان بياجو، التى دافع عنها كوهن- كما سبق ورأينا.

(3) كورادو دى لينشتاو، Chronicon، الطبعة السابقة، ص ٢٢٨، عام ١١٩٨، يلمس أصل هذه التعميم والشكوك التى توحى بها. وكذلك فعل جوهريدو الراهب، فى مجموعة فريهر، الجزء الأول، ص ٢٦١؛ وكذلك كتاب أخبار ألمان آخرون.

حال فليمس ما يشير التعجب أن القى كتاب الأخبار بثقل المؤامرات والثار كله في مكان واحد، فمنهم من وضعه في بدايات ملك أريجو ومن وضعه في أواخره، فما كان باستطاعة أحد من المعاصرين أن يفاخر بأنه يرى بوضوح في متاهة بلاط بالرمو أو في سجون قلعة ترافلس.

لذا نرى أن نقاد اليوم على حق حينما يميزون بين الحكمين، كما أننا نوافقهم على أن أريجو أراق دماً أقل في البداية، وعلى أن كبار صقلية، في ذلك الحين، علمانيين كانوا أم كنسيين، عندما خضعوا للقوة، كانوا يتذرعون بالأمل، أو العزم على التحرر. وربما تحدثوا أيضاً فيما بينهم عن ذلك. ولكن مؤامرة كبيرة ضد الجيش الغالب، من غير المعقول أن تبدأ وتتخذ في أربعة أسابيع. لقد أخبر أريجو بأفكار الرجال. وصاغ من تقارير جواسيسه خطة مؤامرة مذبوحة، وادرج فيها سائر الكبار الذين كان لا يأمن جانبهم أو كانوا يمثلون عقبة أمامه. بدءاً من أسرة تانكريدی سيئة الحظ التي كان يريد أن يحتال عليها في المقابل الذي اتفق عليه. وقام بدعوة البرلمان، أي الأشراف من مؤيديه، لأن مناهضيه كانوا حينئذ في الأغلال. بساقون بالحبال، كما نراهم في أشكال مخطوط بييترو دييولي. واتهمهم البرلمان بالتعدي على الذات الملكية؛ ومن كان يستطيع الاعتراض؟ وأبقاهم أريجو في قيد الحياة، لأن الوضع الأضمر بالنسبة له هو أن يتركهم للعنف في زنانات ترافلس، عن أن يخلدهم وسط الجماهير بهذه السرعة. هذه هي الصورة الحقيقية للاضطهاد كما تبدو لي والتي بدأ أريجو بها ملكه في صقلية وبدأ بها عام ألف ومائة وخمسة وتسعين.

ولكن مثلما يحدث في حركات الشعوب التي تتسم بالعمق، حينما يطاح منها بصف أمامي، بالسجن أو بالمقصلة، فإنه يظهر صفان أو ثلاثة آخر: مؤيدون مستأمنون، أو رجال أسوياء استعادوا شجاعتهم بعد جزع، أو دماء هاترة أخذت تسخن من أجل مصالح أهدرت، أو

آمال تتجدد، أو عزة قومية أهيئت، أو شفقة على المحكوم عليهم. كانت الإقطاعيات التي وهبت للألمان بالتأكيد مثل الشطايا في أعين جميع المواطنين. وعندما أسكت أريجو فيما بعد أعداءه في ألمانيا بقوة وبالمكاسب التي حققتها انتصاراته بالجنوب، قام بدعوة الأمة إلى عمليات جديدة في القسطنطينية وفي فلسطين. وعاد إلى ساحل البحر المتوسط مع الجيش، وحينئذ تنبه إلى أن الأرض تميد تحت قدميه. كان الناس في بوليا قد بدأوا بالفعل يجاهرون لرجال الحملات الصليبية الألمان بأن يمددوا إلى ديارهم. بحق السماء، والا يقودهم فرط طيبتهم لأن يكونوا مرتزقة في خدمة طاغية(1). وكوستانما ذاتها، وكانت سيدة عالية الهمة. كما كانت سبباً بريثا في كل هذا الخراب. لم تتحمل الاساءة إلى مواطنيها، ونهب الثروات الموروثة. وإذلال البلاد. وهجرها أريجو تقريباً، وهو أصغر منها بكثير؛ وتركها في بالرمو تحكم بالاسم، بينما كبار رجال الدولة يحكمون بالفعل. ولعلها احتجت على بعض الإجراءات، أو عبرت عن استيائها من تصرفات الإمبراطور والوزراء؛ فلم يمد هناك من داع للمزيد حتى يعدها رجال أريجو شريكة في المكائد، ثم يلصقون بها حكايات كثيرة أخرى أملاها عليهم ما كانوا يكتونه لها من ضغينة شديدة(2). وفي وسط هذه الظروف تم

(1) أرنولدو رئيس دير لوبليك. الكتاب الخامس، الفصل ٢٥ و٢٦. حسب طبعة برتزر المجلد الحادي والعشرين، ٢٠٢.

(2) أرنولدو، المرجع السابق، ص ٢٠١. فاردن بين: *Annales Stadenses*. برتزر، المجلد السادس عشر، ٢٥٢. عام ١١٩٦: و*Annales Marbacenses*. برتزر، ١٧. ١٩٧ وما بعدها. عام ١١٩٧: وكورادو دي ليشنتاوا. الطبعة السابقة. ص ٢٢٢. عام ١١٩٨: *Annales Colonienses Maximí*. برتزر، ١٧. ٨٠٤. عام ١١٩٧، حيث وردت هذه المؤامرة مرتبطة بتعبير "*conspirasse dicebantur*" كما ورد تناقض الإمبراطورة تحت تعبیر "*rumor .... varia seminal*" و"*vulgabatur*". إن خلق أريجو على زوجته نص عليه ريكاردو دا مسيان جرمانو، إذ في روايته عن آخر مرة ذهب فيها الإمبراطورة إلى صقلية (أي إلى مسينا) يستمر: *فانلاً: "ubi ad se duci imperatricem iubet. Qua in Panormi, quidam Guilielmus, etc"* Bibl. Sic. ٥٥٢. ثم أن الأمر بالانتقاد الإمبراطورة إليه، يكاد يعني أمر مهين

الكشف عن مؤامرة، وهو الأمر الذي يستخلص مما يؤكد التاريخ، ولكننا نهمل تفاصيل تلك المؤامرة، والقدر القليل الذي نعرفه عنها يقودنا إلى تصويره مجرد محاولة تمرد وليس قتلاً للملك.

ثم أنه لا طبيعة تلك المكيدة، ولا ضراوة ذلك الزمان، بكفيان لتبرئة أريجو من عمليات التعذيب التي عدت حينئذ على درجة شديدة من الوحشية في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وكذلك في إيطاليا. وفي يومنا هذا، يمحو النقاد الألمان عمليات التعذيب هذه بجرة قلم فلسفية، فتطأ لأنها تبدو لهم عملاً بغيذاً جداً عن المألوف، وقاسياً جداً؛ ولكن لدينا عليها شهادات كثيرة لا يمكن تكذيبها أبداً. وكما يتضح من رسالة إينوتشينسو الثالث، كانت الأخبار المتناقضة في إيطاليا تتحدث عن حالات رجال ونساء، علمانيين وقساوسة، أصيبوا بأمهات، أو أغرقوا، أو أحرقوا أو وضعوا في الزيت المغلي<sup>(1)</sup>، كما يتفق ثلاث كتاب حوليات ألما وكاتب بيزنطى في قولهم بأن أريجو أمر بندق ناچ بالمسامير في رأس چوردانو وهو من أصل نورمانى، كما يبدو لى من اسمه، ذلك لأن المتأمرين اختاروه للعرش وللزواج من كوستانسا<sup>(2)</sup>، لذا فإننى لا أرى الدافع وراء نسب عمليات التعذيب هذه البربرية لإبداع كتاب الأخبار الإيطاليين والفرنسيين والإنجليز والبيزنطيين والألمان وليس إلى جلاى أريجو.

ومنذ تلك الأعمال البشعة إلى ما بعدها فإن الغموض يلف آخر فترة من حياة إمبراطور صقلية. فحينما هدد زوجه وعاقب

بالتبض عليها، إن التكتّم ذاته من جانب المعاصرين الألمان، يقود إلى تصور أن الشؤون السياسية التي ووجهت بها كوستانسا كانت خالقة الخطورة؛ ولكنها كانت ثمرية رجال البلاط والقادة، كما سبيل وذكرنا، وبالع كتاب الأخبار بالطبع في نقلها وهم يكتبون بمد موت أريجو، عندما قامت كوستانسا بطرد جميع الألمان من المملكة. (1) انظر طبعة بالوتسيو، الكتاب 2، رقم 221 وهاين الرسائل، الكتاب الأول، رقم 26، 287... إلخ.

(2) *Annales Stadenses*، في برتز، 16، 282؛ وأرنولد رثيس دير لوبيك، برتز، 21، 201؛ ونيتشيتا كونهاسى *Annales*، بيساريس، 1617، ص 310 و *Annales Marbocenses*، الموضع السابق، حيث ورد أن أريجو أمر بتفويض التعذيب في حضور زوجه هارين أيضاً الفترة التي كتبها روبرتو دي أوكسير، سابق الذكر، ص 524، هامش 1.

المشاركين في المؤامرة، وجد من بينهم من أراد أن يقدم حياته بضمن غال. تحصن الإخوة داكوينو دفاعاً عن أنفسهم في روكاسيكا في بوليا، وتمرد جوليلمو موناكو، وهو إقطاعي أو من أصحاب القلاع في كاستروچوفاني؛ وتحصن داخل ذلك الموقع المنيع. وذهب الإمبراطور بشخصه إلى الحصار<sup>(1)</sup>، الذي استمر فيما يبدو زمناً طويلاً؛ وفي هذه الأثناء وربما لما تعرض له الإمبراطور أثناء القتال، أو أثناء الصيد أو الترحال، أصيب بالبرد ذات ليلة في شهر أغسطس وهو في ذلك الموقع المرتفع، وعاد إلى مسينا وهو يمانى من الدستاريا. ويبدو أن صحته تحسنت فيما بعد، حتى أنه أمر بمسفر رجال الحملة الصليبية الألمان الذين استخدمهم لمواجهة خطر عملية التمرد. ثم مضى هو نفسه متوجهاً إلى بالرمو؛ ولكن المرض عاوده واشتد عليه حتى أودى بحياته؛ في الثامن والعشرين من سبتمبر عام 1219<sup>(2)</sup>. ودفن في بالرمو بالمعدن الفخم الذي مازالت

(1) ريكاردو داسان جرمانو، في كارزو، Bibl. sic. من 603. وحسبما يقول فإن أريجو حينما جاء إلى مقلية (مسينا بالتأكيد) أمر بأن يحضروا الإمبراطورة إليه. وتمرد جوليلمو موناكو. وذهب أريجو لحصاره. ومريض، ورجل (من الحصار) وتوفي. كما ورد ذكر لاحقهم باسم جوليلمو موناكو في وثيقة ترجع إلى يونيو 1198. وهبت كوستانتينا بموجيها لكنيسة بالرمو دار المتوفي جوليلمو أورفانيو. صاحب قصر من قصور بالرمو، وهي الدار التي اشتراها موناكو فيما قبل من رئيس أساقفة بالرمو. لذا يتضح أن أورفانيو كان قد اشترى المزار من موناكو؛ ولكن ليس هناك دليل يثبت أن الأمر يخص الشخص نفسه.

(2) *Annales Marbocenses* (2)، في برلز، 18، 117. وذكرت هذه العوليات أن أريجو رحل من ألمانيا متجهاً إلى بوليا يوم 28 يونيو 1197. وفي 1197 حلت في مقلية امرأته المشتاة وقد أثارت الفتن ضدّه في شتى المدن والأراضي المسورة. وكان أهل توسكانا على علم بالحدث وكذلك أهل روما وبشال أيضاً البابا (تشيبلستينو ذو التسمين عاماً، شديد اليهودية). كان المتآمرون يبيتون النية قتل الإمبراطور في إحدى غابات الأشجار أثناء وجوده بها للصيد؛ وجمعوا لذلك 20,000 رجلاً ولما أحيط الإمبراطور بذلك علما ظل بمسينا وأرسل ماركوالفو دي انويلر ومعه رجال من الحرم ومن جنود الحملات الصليبية، فقتلوا المتآمرين وقبضوا عليهم. كما أن الشخصية التي كان المتآمرون يريدونها ملكاً، لفت عقوبتها في حضور الإمبراطورة. وذلك بثبتت نجاح على رأسه بالمسامير، بينما أغرق الآخرون في البحر... إلخ. وبعد ذلك، ذات ليلة باردة جدا (6 أغسطس) بينما كان أريجو بقم في مكان بعيد يرمين عن مسينا، أصيب بالدستاريا. وقرب عهد سان

ترقد به عظامه، ويُقرأ عليه انه امر بأن تلقى خارجه جثتا  
تاتكریدی وولده(1).

ميكيلي، شعر بتحسين ورغب في الذهاب إلى بالرمو: وكانت أسرته قد سافرت من قبل  
بطريق البحر في ذلك الانحاء، في حين سمعت حالته ووافقه المنية. من خلال هذه القصة  
التقصيلية الانحيازية يتضح أصلها جيداً. هلدى عودة رجال البلاط والقادة إلى ألمانيا  
بعد تسبب كوستانتسا وإنتشينسو الثالث. أخذوا يقضون بطولاتهم ويطولات سيدهم،  
وأخذ الرهبان يكتبون ما يسمعون. ولا يصعب تمييز الأصل من الزائف فيما أوردوه،  
ويوحى روبرتو دوكسير. الموضع السابق، بأن أحداث محاولة الثورة، كانت خطيرة  
جداً إذ قال عن الإمبراطور "Per fugam elapsus".

و*Annales colonienses maximí*، برنيز، ١٧، ٨٠٤، ٨٠٥، حوليات أقل في تفاصيلها  
وهي النقة بها في هذه الروايات، إلى جانب أنها تذكر أن أريجو تم دفته في نابولي،  
وحسبما ورد في *Cronica di Sessa*، فإنه توفي في رندانسو، مما يتفق تماماً مع ما  
ورد في *Annali di Marbach*: حيث إن رندانسو تقع على الطريق بين مسينا وبالرمو.  
(1) يرفض الدكتور تويتش تصديق ذلك التمدد على حرمة الأموات، لأن روايتها هو  
هولشن. (طبعة فرانكفورت، ١٦٠١، ص ٧١٦) وهو إنجليزي، لذا فهو مناهض لأريجو  
المسلمين، ولكنه سلوكه يتفق تماماً مع بطله وحنبفه وقصوته، التي لا يمكن التشكيك فيها،  
لقد وضعت خطوط هذه المخططات الأخيرة حسب الطريقة التي استخلصتها من  
الروايتين، وهما ليست متوافقتين، أي رواية ريكاردو دا سيسان جرمانو ورواية  
*Annali di Marbach*، وبهذا ابتعد عما رواه السيد شيريه، المرجع السابق، الكتاب  
الثاني، الفصل الخامس، ص ٢٢٢ وما بعدها، كما أبتعد أكثر عما أورد السيد  
هارتويج، الذي اتبع رواية *Annali di Marbach*، دون أن يذكرها، ودون أن يضع محل  
شك، أي غير قرنه الكتاب بعبارة «يقال». بل أكثر من ذلك يرى السيد هارتويج قيام  
مؤامرة من جانب البابا وبارونات مملكة النورمان، حسبما كان لا يزال يسميهم، ويذكر أن  
أريجو استشاط غضباً حينما رأى من الخيانات كثيراً، وكان ذلك هو المنز الوحيد لتلك  
الأعمال البشعة، التي لا ينكر السيد هارتويج حدوثها ولا يستكرها.

## الفصل السابع

بعد أن آلت لكوسنانسا السيادة على مملكتها، نحت جانباً وصية زوجها التي كانت تكلف نائبه الامبراطوري ماركوالدو انويلر بالوصاية على الحكم؛ وسرّحت القادة الألمان، وأحضرت إلى بالرمو فديريكو وهو مازال طفلاً في الرابعة من عمره، وطلبت من البابا أن يقوم بتعيينه؛ ودون انتظار توجهه ملكاً على صقلية (١٧ مايو ١١٩٨) (1). وكانت لها مبرراتها لهذه السرعة. فب وفاة شلستينو بعد قليل من وفاة الامبراطور، وجلس إينوتشنزو الثالث على العرش البابوي (٨ يناير ١١٩٨)، ظهر منذ اللحظات الأولى أنه ذو عقل مسيطر، نعلم نحن مقدار سطوته، ولكن ينبغي علينا أن ندين أحياناً مقاصده وطرقه؛ بينما يرفع كتاب البابوية وكذلك بعض المسيحيين من غير الكاثوليك إلى عنان السماء وقد أغرموا بالطفيان الديني والسياسي الذي مارسه بكل قوة وعزم. لقد صاح إينوتشنزو: ليخرج الألمان. ولكنه أراد أن ييسط يده على الأراضي التي كانوا يحتلونها في وسط إيطاليا؛ وصفق لملكة صقلية التي بدأت تلك الصعوبة الوطنية، ولكنه أراد أن يجسد السلطة البابوية العليا على بوليا وأن يلغي الامتيازات الكنسية في صقلية (2). ووافقت العنية كوسنانسا (٢٧ نوفمبر ١١٩٨) بينما كانت تنقذ قدر استطاعتها ذلك الصديق المزعج؛ واتقاء لشراء

(1) هذا التاريخ الدقيق لا يوجد إلا في كتاب أنونيمو، الذي نشره برهولتز، *Hist. dipl. Friderici Secundi*. المجلد الأول، ص ٨٩٢.

(2) انظر، بالإضافة إلى شهادات رواة الأخبار المعاصرين، المرسوم البابوي الصادر في ٢٠ أكتوبر ١١٩٨، والذي أرسل بمقتضاه البابا إينوتشنزو، مقابل المزايال المعروفة التي منحها أوربانو الثاني، مقوضاً عنه إلى صقلية يتمتع بكافة السلطات؛ في كتاب برهولتز المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٤. وأنه إلى التي سوف استشهد بكتاب برهولتز باستمرار، وكذلك بالنسبة لرسائل إينوتشنزو الثالث التي تمت طباعتها في مجموعته عن إصدارات بالوتسيير وبركوكي.



جعلته وصياً على هنريكو والمملكة. ومع كل هذا، كلفت أربعة وزراء بإدارة شئون الحكم؛ وكان هذا احتياطاً وحذراً جيدين منها وانقذت التاج، ولكنها هوت بالبلاد في الحرب الأهلية لمدة عشر سنوات. وكان الوزراء القائمون بالحكم هم: رئيس أساقفة كابوا الذي سرعان ما وافته المنية<sup>(1)</sup>؛ وكبير الديوان جوالتييرو دي بالياريا أسقف ترويا. وكان لا يثق في البابا إطلاقاً؛ على عكس كارو رئيس أساقفة مورياي الذي كان يقف إلى جانبه. وبارثولوميو أوفاميليو رئيس أساقفة بالرمو وشقيق جوالتييرو ذلك الذي كان أيضاً فيما قبل مستشاراً سني الطالع لجوليلمو الثاني، وكان يميل إلى الجانب الألماني. وقد ظهر الألمان من جديد خشية طموحات بابا روما التي لم يكن باستطاعة رعايا المملكة نسيانها أو يقدرها على قمعها وحدهم. وقد رفع قادة أريجو، وهم إقطاعيون في المملكة، رؤوسهم بعد وفاة كوستانسا. بعد أن انطوا على أنفسهم في أعقاب وفاة عاهلهم، لأنهم ظهروا في المملكة قواداً نافعين؛ فسيوفهم بتارة ضد أنصار البابا ولكنها قليلة بحيث لا تمثل تهديداً للبلاد. وقد زاد الجانب الألماني عندما استخدم إينوتشنزو - في سورة الصراع - الأجانب ضد الأجانب؛ وحايي الكونت بريين الذي قدم من فرنسا، بعد أن تزوج إحدى بنات آخر ملوك النورمان، ليطالب بالعرش وهو مدجج بالسلاح، ويتظاهر بالمطالبة بإقطاعي ترائنتو وليتشى فقط<sup>(2)</sup>.

(1) كتاب انونيمو، المنشور في المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٩٢، ويقول إن ماثيو رئيس أساقفة كابوا قد توفي بعد وفاة الإمبراطورة بوقت قصير. وتداول الوثيقة التي ذكرها دي ميو في *Annali di Napoli*، المجلد التاسع، ص ١١٢، على أنه لم يكن على قيد الحياة في ١٠ يونيو ١٢٠١.

(2) اقرأ بإسمان الأحداث في *Gesta Innocentii III*، في كتاب كاريو، *Bibl. Sic.* ص ٦١٢ وما بعدها، وانته إلى التورايغ. ففي بدايات ١٢٠٠ اقترح البابا على الوزراء الأوصياء، على الملك أن يمنحوا هاتين الإقطاعيتين لبريين. وأخذ بريين نفسه من الشكل في أنه يعاين في المطالبة بالعرش على حساب الموصى عليه. وعندما علم الوزير الأول جوالتييرو دا بالياريا، الذي كان حتى ذلك الوقت على وفاق مع إينوتشنزو، بهذا الاقتراح في مسهنا غضب غضباً شديداً، وتكلم عن البابا كلاماً سيئاً على مسمع من الجميع، وأخذ

ولكن من ذا الذي كان يقدر على إبقائه أثناء انتصاراته إلا الموت المبكر الذي اختطفه؟ ومن كان يدري إن كان إينوتشنزو، نظراً للمضايقات التي وقعت على مدى ستين سنة على بلاط البابا في روما من ملك صقلية ذلك، وهو نصف تابع ونصف مستقل، لا يريد أن يضع الآن إقطاعياً كبيراً واحداً أو مجموعة من الإقطاعيين الكبار في البر الإيطالي وحاكماً في الجزيرة؟ من المؤكد أن هذه الخطة أو شبيهاً لها كانت تظهر من تصرفات البابا، من بدايات سنة ألف ومائتين، عندما استقبل بريين في روما، وحتى عام ألف ومائتين وثمانية عندما عقد اجتماعاً عاماً في سان جرمانو، ومارس أعمالاً تتم عن أنه السيد المباشر أكثر مما تتم عن كونه عاهلاً إقطاعياً.

أردت أن أشير إلى هذه الأمور، على الرغم من أنها لا تتصل اتصالاً مباشراً بموضوعنا، حتى يمكننا التأمل بإمعان في تاريخ تلك الفترة. فهبة اسم كبير، ومادة الأحداث التي استقي أغلبها من رسائل إينوتشنزو أو من كاتب ترجمته المجهول، والاتجاه الديني في عصرنا. كل هذا رجح كفة البابا ترجيحاً كبيراً. وهي رأي أن دراسة محايدة ستبين أن رئيس الديوان كان أقل سوءاً وأن البابا كان أقل طهرأً وشفاهة وأن مواطني بالرمو ومسينا لم يكونوا سُدجاً على الإطلاق، فقد أطلعوا نصائح رئيس الديوان وكانوا دعماً حقيقياً للعرش، إلى جانب إينوتشنزو ضد ماركوالدو في البداية ثم إلى جانب ماركوالدو وقادة آخرين ضد إينوتشنزو. إن أخطاء إينوتشنزو الأخرى تمحو

---

بعضاً من مستشاريه ومن رجاله. هذا هو مفتاح قصة طقولة فريكو كلها؛ وفي ذلك الوقت أصدر البابا حرماتاً ضد رئيس الديوان تارة وقرية تارة أخرى، وانتهى به الأمر إلى زجر فريكو بعد أن نصح، لأنه أبعد عن بلاطه. وفي خضم وقلع هذا النزاع حدث في فترة من الفترات أن تطلق عن رئيس الديوان الصاروخ وصدورت حرمات كثيرة وبلغت به الفاقة مبلغاً. فمرض عليه البابا أن يلقى الحرمات وأن يباركه على أن يتصلح مع بريين؛ فأجابته بأنه لن يفعل وإن نزل القديس بطرس من السماء مرسلاً من يسوع المسيح ليأمره بهذا.

ومثل هذه الكلمات الخطيرة الصادرة عن أسقف إنما تعبر عن وفائه واخلاصه لأمره وليس عن غشية طموحه.

صفات الشهامة والفروسية التي اعتاد الناس أن يصفوه بها اليوم لأنه نشأ فديريكو على العلوم والآداب ضد مصلحة بلاط روما البابوي. وإذا ما كان هذا العمل حقيقياً وإذا ما ثبتت المصلحة، فإن إينوتشنزو يكون مستحقاً للمديح فقط لأنه لم يخن الموصى عليه، رغم قدرته على ذلك. ولكن من المؤكد أن ابن أريجيو السادس، والقصر الملكي الذي تأدب بين جدرانها، وحكومة صقلية لم يقموا أبداً بين يدي إينوتشنزو أو أنصاره. وإذا كان البابا قد كتب رسائل أبوية، وإذا كان قد أوفد إلى بالرمو في بعض المرات رجالاً شرفاء لزيارة الصبي وتلمس مواضع الأقدام، فإنه قد وجد دائماً من أجابه بالكلمات والانحناءات لاغير: ولدينا اعتراف بهذا في رسائله نفسها<sup>(1)</sup>. وفي هذه الفترة التي خلا فيها العرش، والتي وصفت بهذا لأنه جرى فيها خلاف كبير حول السلطة العمومية، مدّ ثلاثة رجال أيديهم إليها وهم البابا وماركوالدو ورئيس الديوان الذي سرعان ما تخلص

(1) دال جوزيبي لافارينا، الذي فقدته الوطن وفقدته الدراسات الأدبية مبكراً، على هذا ضد رأي هوريتو وذلك في كتابه *Studi sul secolo XIII*، فلورنسا، ١٨٤٢، ص ٧٨٦. فعند فحصنا لأحداث فترة الوصاية فحصاً دقيقاً. وإن استطيع إلا الإشارة إليها. سنرى أن رجال البابا، خلال الثماني سنوات تلك، لم ينالوا خطوة لدى فديريكو إلا لمدة خمسة أو ستة شهور، وأنهم لم يحكموا إطلاقاً في القسم الملكي وبالأكثر في البلاد. ثم إن إينوتشنزو نفسه يشترط بهذا سواء في رسائله التي يشكو فيها من رئيس الديوان (١٢٠٠ - ١٢٠٢) أم في رسالته بتاريخ ٢٩ يناير ١٢٠٧ التي كان يخبر فيها الموصى عليه بانتهاء الوصاية ويهدمه إلى الانتصارات لنصائح أولئك الذين فوضتهم أمه لتربيته والذين حلوا "in loco eorum qui ex ipsis decesserant"، في كتاب برهولتز، المرجع المذكور. المجلد الأول، ص ١٢٦. في ذلك الوقت كان جوالتييرو رئيس الديوان يقف إلى جانب الشاب. وكان قد تصالح مع البابا الذي كتب في ١٢١٠ إلى فديريكو، كما أشرنا في الهامش السابق، أن يبعده إلى وطنه التي كان قد خلعه منها. ويقول له بوضوح إن هذا التصرف كان تصرفاً صائباً، وصلاً يتم من عدم العرفان ضد من قام حتى ذلك الوقت برعايته وكفالته وبذل الجهد والمال لعمامته وللدفاع عن مملكته. برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٢٠. إذن فقد تم تنظيم الدور الذي قام به كراولة سانت أدريانو وسان تيودورو في تربية فديريكو تشخيصاً قرياً. انظر أيضاً رسائل البابا بتاريخ نوفمبر ١٢٠٠ ويناير ١٢٠١، في كتاب برهولتز، المرجع المذكور. المجلد الأول، ص ٨٢ و٦٠.

من رفاقه من الوزراء. وقد تنازع المتطلعون الثلاثة السلطة. وهم قليلو القوة، وتفوق كل منهم على الآخرين على التوالي بفضل الجماعات الفرعية في الدولة التي كانت تنضم لأحدهم أحياناً ولنهره في أحيان أخرى حسب أهوائها أو مصالحها الحقيقية أو المفترضة. واقصد بها المدن، والإقطاعيات والكنايس الأسقفية والأديرة الثرية بل وبعض مجالس الكنايس في غيبة الأسقف، وكذلك المسلمين في صقلية: الذين كانت لهم مصالح أوضح وأكثر استمرارية من مصالح أية جماعة أخرى، فعملوا من أجلها بحكمة وقوة ووفاء. وهي بداية فترة خلو العرش حدثت واقعة خطيرة ليس لدينا مذكرات واضحة عنها ولا نعلم كيف أو متى وقعت على وجه التحديد: كان المسلمون قد اختفوا من الرمو وكانوا يسيطرون على جبال وادي مازارا. ففي يوليو من سنة مائتين وألف نراهم يحاصرون العاصمة مع ماركوالدو دون أي ذكر لبقاء أتباع دينهم داخل أسوار المدينة. والدليل على عدم وجودهم يرجع كذلك إلى أوائل الأزمنة التي اعتبرت وفاة كوستانسا: فإذا كان المسيحيون في هذه الاضطرابات لم يقوموا مرة أخرى بمذابح سنة ألف ومائة وإحدى وستين وألف ومائة وتسع وثمانين فإن هذا قد يرجع إلى عدم وجودهم. وبعد سنة ألف ومائتين تتحدث الوثائق والروايات التاريخية عن مسلمي الأقاليم فقط، وإذا بقيت بعض الأسماء في العاصمة فإنها أشبه ما تكون بذلك العظام الذي يبقى من السفن شاهداً على غرقها: فهنا نجد مذكرة تفيد بأن الامبراطورة كوستانسا قد منحت رئيس الديوان بستانا يقع داخل أسوار بالرمو (1) كان لرجل اسمه شديد: وهناك وثيقة صادرة عن رئيس الديوان يكافئ بها باسم الملك الطفل إيليا كاهن كاتدرائية المدينة على خدماته ويهب له نصف كرم كاتب العقود

(1) هذه الهبة التي ترجع إلى سنة 1198 مذكورة في سند بتاريخ أبريل 1209 وبمقتضاها يقدم جوالتهيرو دي بالياريا البستان هبة لمجلس كهنة الكاتدرائية. في كتاب كاروزو. *De principe templo panoramitano*. ص 117.

المسلم السابق بوقهر(1).

ومن السهل أن ندرك كيف وقع هذا التغير الاجتماعي الكبير في  
المشر سنوات التي حكم فيها تانكريدو وأريجو وكوستانسا. ولعل  
الوضع القانوني للمسلمين قد بقى كما هو بون تغيير، إلا أن مكانهم  
في البلاط، وأمن الأفراد والأملاك والصنائع قد زال إلى الأبد.  
ويمكننا أن نؤكد أن من هربوا منهم في سنة ألف ومائة وتسع وثمانين  
لم يعودوا جميعاً إلى بالرمو في السنة التالية، وأن من عاد منهم لم يبق  
فيها زمناً طويلاً. حينما كان من السهولة بمكان على تجار المدن  
وصناعها أن يهاجروا إلى أفريقية في هجرات متوالية، ثم إن مسلمي  
القرى والأراضي كانوا يهجرونها عن طيب خاطر إلى الجبل عندما  
كانت ضياعهم تنتقل من الأملاك الأميرية إلى إقطاعيين من  
العلمانيين أو من رجال الكنيسة، ولكن الأتباع كان عليهم أن يتعاملوا  
مع سادة مزعجين بخلاف بدلاً من رجال البلاط المتساهلين البعيدين  
عنهم. وليست عمليات الهبة للقساوسة والجنود نادرة أثناء تلك  
التغيرات العاصفة التي ألمت بالحكم، فلدينا للشهادة على هذا بعض  
سندات الملكية الكنسية تتعلق بقرى إسلامية ترجع إلى هذه الفترة  
تماماً(2).

وقد جعل إينوتشنزو الأمر أكثر خطورة بسبب التهور الذي كثيراً ما

(1) وثيقة بتاريخ سبتمبر ١٢٠٠ نشرها السيد موريللارو في *Catalogo del... Tabulario della Cattedrale di Palermo*، ص ١٩، وأعاد طبعها برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٥١.

ويلزم التوبة إلى أن نصف الضيقة الآخر كان في ذلك الوقت في حيازة شخص يدعى إبراهيم، وهو ابن كاتب العقود.

(2) وهب الأميراطور أو الأميراطورة للكنيسة بالرمو ركال ستيغاني، في أراضي فيكارى وأملاك بلاتاني وكابيتدي؛ وهذه الهبة مذكورة في وثيقة سنة ١٢١١ التي اكتدها في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٩٤، ولقد إلى سنة ١١٩٥ - ١١٩٧ أو إلى ١١٩٨ وإلى الأراضي التي اشتمل فيها تمرد المسلمين.

وطبقاً لوثيقة أخرى بتاريخ أبريل ١٢٠٠ ذكرها بيهو، *Sicilia Sacra*، ص ٧٠٢ منح مجلس الوصاية على العرش لأسقف جرجنتي فريش ميثشار ومينزكو. وهذا لا يبعد زمنياً أو مكانياً عما سبق.

كانت تنسم به أعماله. فقد قلب أوروبا رأساً على عقب ليجمع الرجال والأموال، وخاصة الأموال اللازمة، كما كان يقول، لاستعادة أرض المقدس. فأرسل إلى صقلية مندوبين للدعوة إلى الحرب الصليبية (يوليو ١١٩٨): لم يحصلوا على فلس واحد من أحبار الجزيرة وأساقفتها الأغنياء. ومن ثم أرسل البابا بعد ستة شهور، وبعد وفاة الامبراطورة، برسالة (٥ يناير ١١٩٩) بجمع دخل الكنائس كله، بعد خصم مصروفات الإعاشة وتكاليف الطقوس الدينية؛ ومن هنا نرى أن هذا العبء الرهيب كان يقع على كاهل الكهنة والرهبان الذين كانوا يلقونه بدورهم على عاتق أتباعهم. وخاصة على المسلمين الذين كان يقع عليهم الجزء الأكبر منه<sup>(١)</sup>. وكان هذا لم يكن كافياً فكتب إينوتشنزو في اليوم نفسه إلى أسقف سيراكوزا، العضو الأول للحرب الصليبية: لقد وقع الأمميون الذين دخلوا المسيحية في الخطيئة مجدداً. والمهرطقون في حقدهم: فافرز المرتدين وكل انصارهم؛ وأعلن اللعنة عليهم في كل أرجاء الإقليم في كل يوم إجازة

(١) منحت لجنة الدعوة للحرب الصليبية في صقلية لأسقف سيراكوزا ولرئيس رهبان سامبوتشينو من رهبانية تشيسترتشيزي، أي لرئيس دير موزيالي الفنى نفسه الذي كان يمتلك أراضي كثيرة وبشراً من المسلمين. انظر رسائل إينوتشنزو في طبعة بالوتسيو، الكتاب الأول، تحت أرقام ٢٠٢ و ٢١٢ و ٢٥٨ و ٣٠٨؛ وتستخلص من آخر هذه الرسائل بتاريخ ٥ يناير ١١٩٩ أن بعض العلمانيين في صقلية قد اتخذوا شعار الصليب، وأن آخرين قد أسعوا بعض العزل أو العناد. أما رؤساء الأساقفة والأساقفة وغيرهم من رجال الدين فلم يريدوا تقديم أي شيء. وعندئذ اقترح المندوبان، وأقر البابا، الحصول على الدخل الكنسي كله لصالح الحرب الصليبية فيما عدا المبالغ الضرورية للحياة للإعاشة وإجراء الطقوس؛ وأن يتم الاستيلاء كذلك على دخل المقار المطالية وعلى أموال الرهبان الذين يعيشون خارج الأديرة.

ويمكننا أن نتطيل الاضطراب الذي سببه هذا الإجراء في صقلية حيث كان جزء كبير من الأملاك العامة، ولعله كان يبلغ ثلثها أو أكثر، ملكاً للكنائس. ولقد استترف ملاكها بالضرورة أتباعهم وفلاحهم. ويمكننا أن نتصور البهق والفرح الذي وقع في الألف ميل مربع التي كان يزرعها المسلمون لحساب دير موزيالي. ولعل أولئك «الرهبان الذين يعيشون خارج الأديرة كانوا يُنظر إليهم، وأنهم كانوا يحصلون على الدخل كله لأنفسهم، وأنهم قد تضاعفوا ممّا عند رئيس الأساقفة عند البابا. ونعلم هذا من رسالة مروعة أرسلها إينوتشنزو بتاريخ ١٧ يونيو ١٢٠٢ وستذكرها فيما بعد.

تحت ضوء الشموع ومع رنين الأجراس؛ ودع الأمير يصادر أملاك المفروزين؛ وانتبه لثلا يحدو غيرهم من السراينة المعمدين حذوهم. وحذرهم من هذا؛ بل أجبرهم واجعل السلطة العامة تجبرهم على عدم الاحتذاء بهم(1). وتاريخ هذه الرسالة يدل على أن المسلمين عند وفاة كوستانس قد شعروا بقدوم الأزمنة السيئة فخلعوا القناع ووقفوا متراسين لصدها؛ لأن السرعة الكبيرة التي انتشرت بها أحداث صقلية ورد روما تجعلنا نعتقد أنه قد مر شهر منذ الإشارات الأولى للحركة حتى رسالة البابا. وكانت الحركة بلاشك هي أن المسلمين، الذين تظاهروا بأنهم مسيحيون في المدن، حباً في الحياة الهادئة، وفي القرى استجلاباً لمودة السادة الجدد. قد أدركوا أن الرياء لم يعد مجدياً للحفاظ على الحياة أو المال؛ أي أنهم رأوا أن الفرصة قد حانت لكسر النير. ولهذا أخذوا يفرّون إلى الجبل، إلى القلاع الحصينة التي يسيطر عليها أخوتهم في الدين. وتشهد وثائق عديدة، ترجع إلى السنوات التالية، على هروب الفلاحين الذي يبدو أنه قد بدأ قبل سنة ألف ومائتين(2). ويمكننا أن نتصور الخلط والمزج الذي وقع للأهالي والأملاك في وادي مازارا. فهنا كان السكان

(1) الرسالة رقم ٥٠٩ في الكتاب الأول، في طبعة بالوتسيو.

(2) تؤكد الوثائق التالية هروب الفلاحين والضراب الذي حل بالقرى: ١٢٠١. يمنح فيريكو في شهر أبريل لدير الرهبان الذي يطلق عليه دير سان ميكيلي في مازارا أراضي قرية أراضي الهدمة في زمام أراضي ساليمي. وهذا بسبب المعاناة من خسائر كثيرة *intercessionis tempore* ولنضايح الدخل كله. مخطوطة مكتبة بلدية بالرمو Q. ٢. رقم ١٧١.

١٢٠٢. في أراضي كازيني وفي قرية نزارشاني، كانت إمراة تدعى سورينا تمتلك سنة من القرويين بناء على أحكام صادرة من القاضي ومن قاضي السراينة؛ وقد تركوها ومضوا مثل القرويين الآخرين كافة، جريجوريو. *Considerazioni*. الكتاب الثاني، الفصل السابع، الهامش رقم ٧.

وفي الوقت نفسه تقريباً تحرر قرويو كنيسة تشيفالو: الموضوع نفسه، ١٢٠٥ شهر أبريل. يقر فيريكو للمستشفيات والمصحات الهيئات السابقة ويضيف إليها ضيعتين صغيرتين في بالرمو وكل القرويين في قرية بوليتسي. *ubicumque sunt*. في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١١٢.

المسلمون المقيمون بالقلاع والقرى يطردون دُخَّار الملاك المسيحيين من العلمانيين ورجال الدين: وهناك كان الفلاحون المسلمون يتركون الأرض ليذهبوا لزراعة الأراضي التي يطالبون بها، وليرعوا القطعان فوق تلك الجبال أو لكسب قوتهم بالسلب والنهب. كانت رسالتا البابا الموجدتان قادرتين على إشعال نار مروعة، فمن الواضح أن إينوتشنزو قد أراد أن يقوم، بعد وفاة كوستانسا، بتنفيذ وعيده بالمناداة بالصليب ضد مسلمي صقلية؛ وهذا وليس سواء ما يعنيه جمع أموال الكنائس والزيادة المطردة والمتكررة في قرارات الحرمان في أرجاء الجزيرة كافة، ودعوة السلطة الزمنية إلى الوقوف ضد المؤمنين الجدد متى تشككوا أو ترددوا. وكانت هذه إشارة لاضطهاد. بل لإبعاد لا يقل دموية عما أثاره هو نفسه بعد سنوات قليلة ضد الألبيجيين. لكن تحريض البابا لم يلق أذناً صاغية لدى المسيحيين في صقلية؛ وضحك المسلمون منه في ملاجئهم الحصينة. ولم يمض وقت طويل حتى اضطر البابا إلى تملقهم برسائل تزدان بالفلسفة والتسامح.

وكما يتضح من الأحداث المتعاقبة، فقد تضافر المسلمون معاً، وأغلقوا الحصون على أنفسهم، وبقوا. في البداية يترقبون. من يمكنهم أن يولوه ثقتهم من بين الثلاثة الطامعين في الوصاية على المملكة؟ إمام النصارى لا بكل تأكيد؛ وكذلك الوزراء، وكلهم أساقفة، وهم فوق ذلك غير قادرين على كبح رجال الدين والبارونات حتى إن أرادوا ذلك، بالإضافة إلى أنهم غير مستعدين لاستخدام الاعتدال مع المسلمين الذي أخذ إينوتشنزو يوصي به بعد فوات الأوان. لهذا اتجه المسلمون إلى ماركوالدو الذي كان بالضرورة يبدو لهم الوصي الحقيقي، وحامي القانون، وعدو رجال الدين الذين اغتصبوا ثروات كبارهم وهو الذي دعاه الإمبراطور الطيب أريجو للولاية على فيريكو أميرهم الشرعي. ولا نعلم كيف حسمو أمرهم: هل خضعوا وأطاعوا ذاك الرئيس الذي توفي بعد ذلك في معركة موريلي، أم أنهم كوثوا



رابطة من شيوخ الحصون والقرى، كما يظهر من الرسالة التي وجهها إليهم إينوتشنزو بعد ذلك بوقت قصير. كانت الأراضي المحتلة تضم جانباً كبيراً من أقاليم بالرمو وتراباني وجرجنتي الحالية.

كان ماركوالدو بعد طرده من ماركا دانكونا وملاحقة جيوش البابا وأفعاله له في بوليا، فقد باركه مرة أخرى ثم فرزه من جديد بفضب أشد وأقسى، قد اتخذ قراراً جريئاً بأن يعبر إلى صقلية ليستولى على العاصمة والملك، وبمساعدة سفن أهل بيزا ورجالها أبحر من ساليرنو ونزل إلى الأرض في تراباني(1)، في نهايات شهر أكتوبر من عام ألف وتسعة وتسعين. كان يضع أمه بكل تأكيد في المسلمين وفي اضطراب البلاد، ولكن في تلك المشاهد الأولى من المأساة أظهرت البلديات كما أظهر أغلب الإقطاعيين وكذلك القائمون على الوصاية مقتهم لتابع الملك أريجو السادس، وما أن انتشر نبأ وصوله حتى طلب الوزراء القائمون بالحكم مساعدات البابا.

وسرعان (٢٠ نوفمبر ١١٩٩) ما هيح إينوتشنزو الأمراء والبارونات وأهل المدن وسكان صقلية كلهم ضد عدو الله والكنيسة والملك: هذا المتشرد الذي يفوق السراسنة بأن يقدم لهم دماء المسيحيين ليتجرعوها ويترك النساء المسيحيات المختطفات نهياً لرغباتهم وأهوائهم؛ ولهذا يمنح الراعي الأكبر عفواً صليبياً لكل من يقبض على سلاحه ضد ماركوالدو. لأنه كان على يقين من أنه إذا ما وصل مع السراسنة إلى السيطرة على صقلية، فسوف ينفلق الطريق إلى أرض المقدس(2). وبعد ذلك بإيام قليلة أخذ البابا يتعلق أولئك

(1) يتفق موقع نزوله، الذي ذكره أنونيمو فقط ونشره برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٩٢، اتفاقاً تاماً مع كل الأخبار الأخرى المتوفرة لدينا عن هذه العملية. فبالإضافة إلى مجموعة جنود بيزا التي حاربت لماركوالدو في معركة مورالي (١٢٠٠) فإنهم استمروا في تقديم المساعدات له، انظر الرسالة رقم ٤ في الكتاب الخامس بتاريخ ٤ مارس ١٢٠٢ في لاتيترانو وفيها يدعو إينوتشنزو حاكم بيزا ومجلسها البلدي لاستدعاء مواطنيهم أنصار ماركوالدو من صقلية.

(2) في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٢٤.

المراسنة أنفسهم الذين رفع الصليب في مواجهتهم. ويكتب « إلى كل سراسنة صقلية، متمنياً أن يظلوا مخلصين للكنيسة وللملك». ويمدح إخلاص رجالهم الذي لا يتزعزع، ويقول إن «وداعة المقر البابوي، الذي اعتاد على مقاومة المتكبرين ومساندة المتواضعين والخاضعين، معروفة للجميع؛ ويسهب في الحديث عن استبداد ماركوالدو وغدره، وينبه السراسنة إلى أنه سوف يغدر بهم يوماً ما لينقذ نفسه بدمائهم. عندما تنقض الممالك المسيحية بجيوشها على صقلية، قبل ذهابها لاستعادة القبر المقدس. وعلى هذا فإن البابا يحثهم على البقاء متماسكين تحت شعار الإمارة، سندهم القديم بينما كان المفوض البابوي وقادة الكنيسة يرسلون الجيوش الزمنية ضد ماركوالدو بأمر صريح بأن تمتنع عن أي عمل عدائي ضد السراسنة بل وعلى النقيض من ذلك بأن تقدم لهم الحماية وأن تستجلب رضاهم بمنحهم إعفاءات جديدة(1)». ونستطيع جميعاً أن نرى في هذه الكلمات أن البابا كان لا يزال يرجو أن يفرق المسلمين عن ماركوالدو. لأنهم لم يعلنوا صراحة أنهم متمردون. وسوف يفهم جيداً كل متمرس على أسلوب الكتابة الكنسية في كل العصور أن أولئك السراسنة الذين كان البابا يستعطفهم هم والضحايا المسيحيين من كلا الجنسين، لم يكونوا هم أكثرية الأمة، بل كانوا قلة من عبيد الأرض الهاريين الذين جروا عندما اشتماوا رائحة الفريسة وأرسلهم ماركوالدو لتخريب البلاد التي لم ترد الاعتراف بسلطنته.

إلا أن غالبية سكان وادي مازارا، مسلمين ومسيحيين، نهموا شيئاً فشيئاً ماركوالدو؛ ولهذا فإنه جمع في صيف سنة ألف ومائتين قوات كثيرة للتحرك إلى العاصمة. وقد قام الأوصياء على العرش بتحصينها وتزويدها بالمؤن على قدر استطاعتهم وأرسلوا هنريكو إلى مسينا ليكون فيها في مأمن. وأرسل البابا لهم بعض المال، كما

(1) المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٢٧.

ارسل لهم چاكوبو وهو أحد أقاربه. ومارشال الكنيسة، على رأس مائتي فارس؛ كما أرسل أحد الكرادلة مفضلاً عنه ورئيس أساقفة تارانتو ونابولي. وكان رئيس أساقفة نابولي يقود رجالاً وسفناً. وعندما تجمعت القوات الصقلية في مسينا، تحرك الجيش في اتجاه بالرمو، براً وبحراً.

وكان وصول هؤلاء وأولئك في الوقت نفسه خالاً حسناً. فقد وصلوا في السابع عشر من يوليو بينما كانت المدينة ترزح تحت الحصار منذ عشرين يوماً وقد بدأت تعاني من نفاذ احتياجاتها. وعسكر الجيش في البساتين الملكية التي يطلق عليها جنواردو<sup>(1)</sup>؛ وأخذ يعد العدة للمعركة في اليوم التالي بينما أرسل ماركوالدو رجالاً من بيزا اسمه رانيري دي مانينني للتباحث على اتفاق أو - وهذا هو الأرجح - للتجسس والتسويق حتى يتمكن رجال الحصار من جمع قوات جديدة وحتى يستهلك أهل المدينة المحاصرة ما بقي لهم من مال ومؤن. هذه هي المبررات التي توصل إليها أنسلمو رئيس أساقفة نابولي، وهو من أنصار إينوتشنزو المتحمسين وراوى هذه الواقعة؛ ويضيف قائلاً إنه مع رئيس أساقفة موريالي وتارانتو قد عارضوا الاتفاق وأن أنصار الاتفاق، أي رئيس الديوان ورئيس أساقفة مسينا واسقف تشيفالو كانوا أن يتغلبوا عليهم إلا أن رجالاً يدعى بارتولوميو، وهو سكوتير إينوتشنزو، قطع الشك باليقين عندما قرأ عليهم أمراً بابوياً موجزاً كان يمنعهم منعاً باتاً من الاتفاق والتحالف مع ماركوالدو. وكان الجنود والشعب يرددون هتافاتهم بموت ماركوالدو المفروز من الكنيسة. ولهذا فبعد انقضاء أربعة أيام بلا طائل بدأت المعركة في الحادى والعشرين من يوليو سنة ألف ومائتين. كان ماركوالدو قد هبط إلى السهل عبر وادي نهر أوريتو الذي يمتد محوره نحو الجبل حتى سفحه الذي يطل على البحر تجاه أفريقية.

(1) انظر العمل السابق، ص 52٠. من هذا المجلد.

ليصل إلى جاتو وإلى قلاع المسلمين الأخرى التى كانت ولا شك  
 هى قاعدة الحرب. كان ماركوالدو ومعه خمسمائة من رجال  
 بيزا وعدد ضخم من السراسنة قد احتل على الجانب الأيسر  
 مرتفعات موريالى وأقام معسكرات إيواء الجند. على ما يبدو، بين  
 المكانين اللذين يطلق عليهما اليوم روگّا وبونتى ديللاجراتسيا، أى  
 فيما بين قاعدة الجبل وشاطئ النهر. وانتشر الجيش الملكى  
 فى مواجهته، وكانت الميمنة تحت قيادة الكونت چنتيلى، شقيق  
 رئيس الديوان، وهى من المشاة؛ بينما كانت الميسرة تحت قيادة  
 مارشال البابوية، وهى من الفرسان؛ وكان المارشال يتحصن فى  
 قلعة، وهى على ما اعتقد قلعة كوبا وكان فى مواجهة ماركوالدو،  
 وبدأت المعركة فى التاسعة صباحاً عندما صعد چنتيلى ومالجريو  
 وغيرهما من النبلاء مطلع موريالى، واحتلوا الأراضى وقطعوا  
 المسلمين إرباً، وقتلوا بين من قتلوا، مجدداً قائدهم وقائد  
 الميسرة كافة (1)؛ ولم ينج منهم إلا بندتو قائد رجال بيزا مع حفنة  
 من الرجال. فى تلك الأثناء كان ماركوالدو قد صدّ فى السهل  
 بفرسانه الألمان والسراسنة الهجمات مرتين؛ ولكن فى النزال  
 الثالث تقدم المارشال مع رجاله حتى أن ميسرة الملكيين كلها  
 كُرت على العدو وفرقته واقتحمت معسكره؛ وكان هذا فى الثالثة  
 بعد الظهر. وفر ماركوالدو؛ وتم أسر رانبيرى ومعه رجال بارزون  
 كثيرون؛ وتفرق المهزومون وهربوا إلى الجبال وهى الوديان. كان  
 القتلى كثيرين، والفنائم ضخمة؛ حتى إن بقية النهار لم تكف لنقل كل  
 هذه الثروات إلى المدينة. ومن بينها كان هناك صندوق بداخله وصية

(1) كاريزو، Bibl. Sic.، ص ٦١٧، يقول ماجديو "Magadeo". وأتبع أنا قراءة برهولز،  
 المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٨، وهى قراءة تُبرر عن لفظ مجاهد، وهو يستخدم  
 أحياناً للدلالة على اسم علم وأحياناً أخرى كنية. انظر الكتاب الخامس، الفصل الأول،  
 ص ١ وما بعدها من هذا المجلد. وكان هناك رجل اسمه ابن مجاهد يمتلك منزلاً فى  
 بالرمو، طبقاً للوثيقة العربية لسنة ١١٩٠، والتى جاء جريجوريو بفقرة منها فى،  
 De Supputandis، ص ٤٠.

## أريجو السادس(1).

ولم يفد النصر كثيراً لأن رئيس الديوان، وكان ارتياحه في البابا يزداد زيادة مطردة، قيد حركة المارشال ومفوض البابا، حتى إنهما عادا إلى روما وقد أصابهما الإحباط: وقام - وهو المهيمن على

(1) روى هذه المعركة أنسلمو رئيس أساقفة نابولي وهو شاهد عيان. في الرسالة التي يبدو أنه كتبها لإينوتنزيو في اليوم التالي: والرسالة موجودة في كل طبعات *Gesta Innocentii III*، الفصل السادس والعشرين، ويشير إلى الانتصار. أنونيمو الذي قام بنشره برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٩٢ وكذلك ريكاردو دي سان جرماتو، وشهد على احتلال موريلي قبل حصار بالرمو رسالة لإينوتنزيو، الكتاب الثالث، رقم ٢٣، طبعة بريكني، المجلد الثاني، رقم ٣٧ وراينا لدى *Annales*، ١٢٠٠، § ٨، ٣.

ويريد أنسلمو وهو يكتب إلى البابا أن ينسب الفضل كله إلى جنكوبو قريب البابا وإلى مارشال الكنيسة المقدسة، ويترك الكونت جنتيلي، شقيق رئيس الديوان، قدر ما يستطيع، لأنه لم يكن محل رضا البابا منذ تلك الأونة المبكرة. ولكن الحقيقة تظهر من الرسالة نفسها حيث تقول إنه منذ بداية المعركة وكان جنتيلي ومالجيرو على رأس جنود المشاة: *potenter ascenderunt, trascenderunt et obtinuerunt montana*، "et omnes fere quot ibi inventi sunt in ore gladii posuerunt." جنتيلي قد كسر منذ الصباح مسيرة ماركوالدو كسراً، فإن فضله في النصر يضارع على الأقل فضل المارشال *qui in extremo locatus, castellum tenebat, immo ipse castellum erat exercitus* بل إن الحقيقة هي أنه عند الاستيلاء على مسسكر العدو نحو الساعة الثالثة فقد تعاون جنود المشاة عقد نزولهم من موريلي على الجانب الأيسر أو خلف العدو تعاوناً هاماً لإحراز النصر. ويضاف إلى هذا أن أنونيمو الذي ذكرناه أولاً يقول إن ماركوالدو قد انكسر في موريلي، ومن هنا يبدو أن مصير المعركة قد تقدر هنالك.

ولا يمكن أن تكون الفلمة التي أشار إليها أنسلمو في الفقرة المذكورة بأعلى إلا قلعة كوبا، إلا إذا كان المقصود قصيراً أو قلعة قريبة لم يبق منها أثر أو لم يبق لها ذكر. كان ماركوالدو يتقود فرقة منظمة من الفرسان ويستند على المشاة في موريلي. فما هو الجانب الذي كان يدفعه هو؟ إنه الجانب الأيسر بالتأكيد: لأن من بين الواديين اللذين يؤدبان إلى السهل من جانبي موريلي، فإن وادي أوريتو هو الوادي المنبسطة الفصح؛ بينما وادي بوكادي هائلو واد ضيق متعرج، وأولهما هو امتداد لسفوح موريلي، أما الآخر فتصله عن ذلك المكان قمم جبل كابيتو الوعرة. ولكن يبدو لي أنه ليس ثمة شك حول ميدان المعركة أو حول موقع كل من الجيشتين.

ومن الواضح أن نص ريكاردو دي سان جرماتو، الذي لا توجد به أية تفاصيل، هو نص قاسد في هذا الشأن، كما لاحظ هذا موراتوري في *Annali*. انظر كتاب كاروزو، المزيج المذكور، ص ٥٥٦، التي لا تبعد عنه في هذا الصدد طبعة برنز الحديثة الرائعة.

حكومة صقلية - بكسر ماركوالدو مرة ثانية هي رانداتسو(1)، ولكنه عاد واتفق معه، لكي يكون هناك توازن مع بريين؛ والسبب نفسه - حسب اعتقادي - ناصرت صقلية كلها(2)، فيما عدا بالرمو ومسينا، القائد المناصر للإمبراطورية. واستمر هذا الصراع بين راعي الكنيسة الجامعة وأسقف ترويا الذي تغلب عليه غريمه القوى، أو بالأحرى رجحت كفة أولهما في البر الإيطالي، بينما رجحت كفة الثاني في الجزيرة؛ ومن هنا حدث أن لم يستطع هذا أو ذاك تحقيق مآربه بالكامل فاتفقا على مناصرة الفتى القاصر وقد ساعدهما القدر في هذا بوفاة بطلبيهما وفاة مبكرة، وهما بريين وماركوالدو. ولنترك التفاصيل لأنها سيئة ومملة ومعقدة. ولنتحدث فقط عن الظروف التي بقي فيها هنريكو. وسنتحدث بأسهاب عن المسلمين. أعيد الملك الصبي بعد هزيمة ماركوالدو إلى بالرمو(3). وهناك اهتم به ورعاه أهل المدينة وبخاصة كهنة الكاتدرائية الذين كان لهم فيما يبدو أتباع كثيرون في البلاد. وقد قام على حراسة هنريكو فيما بعد رئيس الديوان وأخوه الكونت جنتيلي، وماركوالدو، وجوليلمو كباتروني، وهو قائد المائى. وديوبولدو، وهو من الأمة نفسها وسنّ السمعة في الحرب الأهلية كلها. ثم من جديد رئيس الديوان، الذي قام بموافقة البابا بتحرير الشاب وهو في سن الرابعة عشر وزوجه من كوستانسا، أخت بطرس الثاني ملك أراجونا، وأرملة إمريكو ملك المجر. وهكذا كان ملك القرن الثالث عشر الفيلسوف يتلقى بدءاً من أوائل يناير عام ألف ومائتين وثمانية تعليمه في مدرسة المحن والخطوب؛ حبيس المدينة بل قد يكون حبيس القصر الملكي

(1) هذا الحدث ذكره فقط أنونيمو، في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٢٩.

(2) أنونيمو، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٩٢ والذي يقول بهزيمة ماركوالدو مرتين، "Et nūti lominus omnes Siculi a sua fidelitate non discordebant."

(3) وثيقة موجودة في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٢. نبال على أن هنريكو كان في بالرمو من جديد في شهر أغسطس.



أعلنوا تمردهم وعصيانهم منذ عام ألف ومائتين وثمانية. لم تتسم حركة المسلمين لصالح ماركوالدو (١٢٠٠) بالتمرد. لأن الجزء الأكبر من الجزيرة كان يعترف بماركوالدو وصياً على المرش ويفضله على البابا ورئيس الديوان. وعندما تم الاتفاق بين رئيس الديوان وماركوالدو، ودخل ماركوالدو القصر في بالرمو. كان يطلق على المسلمين بكل ثقة المخلصين: ولم يحنثوا بعهدهم في الأحداث التالية بالبلاط. بل إن البابا نفسه، لعلمه بأنهم أقوياء وصادقون فقد سمح لرئيس الديوان في أكتوبر - على ما يبدو - من عام ألف ومائتين بالاتفاق معهم بينما منعه من الاتفاق مع ماركوالدو<sup>(1)</sup>. وبعد ذلك بسنوات عدهم إينوتشنزو رعايا غير مذنبين، فعندما دخل بعض رهبان موريلي قلعتي چاتو كالانتراسي، وهما إقطاعيتان للدير، كان يسكنهما المسلمون بلا أدنى شك، كتب البابا إليهم موبخاً إياهم توبيخاً شديداً وواجههم بالعهود والمواثيق الموقعة مع ماركوالدو وبالاتصالات التي جرت مع كياروني ضد رئيس الأساقفة، ولكنه لم يذكر من بعيد أو قريب الاتفاق مع المسلمين والذي كان يمكن أن يمثل اتهاماً<sup>(2)</sup>. وهناك ما هو أكثر من هذا. ففي شهر سبتمبر من سنة ألف

(1) في *Gesta Innocentii III*، المجلد الثالث، في كتاب كاروزو. المرجع المذكور، ص ٦٤٩. وفي كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٥٧، توجد رسالة بين تاريخ موجبة - كما يبدو - إلى الأوصياء، على المرش ويمكن أن ترجع إلى أوائل وفد هزيمة ماركوالدو وفيها يكرر البابا صنع عقد سلام مع ماركوالدو ولكنه يسمح بالعمو عن السراينة طالما قدموا الأمان. واختتم إينوتشنزو رسالته بالتهديد نفسه بأن يرسل ضدهم وفد الطونة الآخرين الأمراء المسيحيين المسلمين للعرب الصليبية. وفي سنة ١٢٠٢ كتب إلى رئيس أساقفة بالرمو المخنثار بوعيه ببريين، الذي كان يريد له أن يجر إلى صقلية، ويقول له أنه قد وجهه إلى السراينة الرسائل التي طلبها منه. في كتاب بروكيني، *Diplomata etc.*، المجلد الثاني، ص ٩٨. الرسالة ٢٩ من الكتاب الخامس. (2) رسالة ١٧ يونيو ١٢٠٢. في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ١٠٢. يواجه البابا أولئك الرهبان - من بين ما يواجههم به - بأنهم إذا هموا سراً كان عليهم أن يكتفوا. ولهذا وضعت شهور كثيرة في بالرمو وفي صقلية كافة؛ لم يتهمهم بأنهم يستولون على الدخول وينهب القبور ويسوء معاملة رجال رئيس أساقفتهم وبالهجوم على ذلك العبر ويقتصد كياروني فقد أعطوه مالا وأعطوا زوجته كنوساً من الفضة وحلة (وهذا



ومائتين وست عندما كان إينوتشنزو يعتقد أنه قد أخضع رئيس الديوان وقادة صقلية من الألمان لطاعته. كتب كتاباً رقيقاً، إلى هانسي وكل قادة إنثلا وبلاتاني وجاتو وتشلمسي وغيرهم من القادة وكل سراسنة صقلية متعنياً أن يدركوا الحق ويحبوه، إلا وهو الله نفسه.. وبعد هذا التعريف، وهو إسلامي أكثر مما هو مسيحي، وفلسفي أكثر مما هو إسلامي، يهتئ البابا المتسامح القادة إذ حفظتهم الرحمة الإلهية من الفوايات بمختلف الطرق التي حاول آخرون أن يطرحوهم بها عن الطريق القويم وإذ حفظتهم مخلصين لمليكيهم، ملك صقلية: وفي الختام يشجعهم على الاستمرار على هذا الموقف الشريف والحكيم إذ أن الملك، وقد أشرف على من الرشد، سوف يعرف كيف يكافئهم (1).

إن هذا التوبيه الذي طلبه من البابا - كما هو واضح - الأوصياء على العرش في بالرمو. يجعلنا نفترض أنهم كانوا يعلمون باستياء المسلمين وأنهم كانوا يسمعون إلى انتقاء تمردهم، فقد كان الدافع إليه

لفظ عربي) شلوي أكثر من ألف ناري.

لاحظ أن رسالة سبتمبر ١٢٠٦ موجهة - من بين من وجهت إليهم - إلى رؤساء مسلمي جاتو التي وصف البابا قبل ذلك بثلاث سنوات رهبان موريالي بأنهم محتون لقلعتيها. والآن فمن الواضح أن المسلمين لم يقدروا بكل تأكيد إلى أولئك الرهبان قلعهم الرئيسية، وعلى هذا فإن ما أطلق عليه احتلال لم يكن إلا الإقامة في إحدى المزارع تحت حماية كبارونزي الذي كان بصفته القائد العام بمسك بزمام الأمور في بالرمو ويمثل السلطة الشرعية فيها.

ومن المحتمل - بعد اتفاق رئيس الديوان مع ماركوالفو - أن يكون بعض المسلمين قد عادوا إلى بالرمو. فنحن نرى في وثيقة ترجع إلى سنة ١٢٠٢، في كتاب مونجيبوري Sacrae Domus mansionis... Panormi Monumenta historica الفصل الرابع شريط: "Amineddal, olim magister regii stabuli" ومن الواضح أن اللقب الشرعي أمين الدولة، كان يمنح لبعض القادة من رجال البلاط.

كما أنه لا يمكن أن نفترض إبعاد كل المسلمين إبعاداً مطلقاً من بالرمو، سواء كان من اعتنق المسيحية منهم أم لا؛ وليس غريباً أن يكون رجل البلاط القديم ذاك، مثل كثيرين غيره من غير المشكوك فيهم أو المنسيين، قد بقوا في المدينة في بداية سنة ١٢٠٠. عندما كان الشعب المسيحي بالضرورة أكثر تحرشاً بغيرهم من المسلمين. (2) رسالة سبتمبر ١٢٠٦، في كتاب برهوللز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص 11٨.

وارداً . فبعد أن اتفق في النهاية القادة الموالون للبابا والقادة الموالون للملك . كما قلنا . في بلاط بالرمو . وجدوا أن نبع الأملاك الأسيرية قد نضب بينما كانوا يحتاجون إلى الاعتراف منه مجدداً لإرضاء جشع أنصارهم ومنافسيهم قبل تسلم الملك مقاليد الحكم . ويبدو أن آخر أراضى الدولة كان يقطنها المسلمون . فكانت القلاع والقرى أهلة بهم . وهي القلاع والقرى التي منحها جويلمو الثاني وخلفاؤه لمختلف الهيئات الكنسية . مثل دير أسقفية جرجنتي . ودير موريالي وكهنة بالرمو الذين كانت لهم مكانة في البلاط وكانت لهم قوة وبأس في العاصمة . وكان لابد من إعادة هذه الأملاك التي كانت في حيازة المسلمين إذ لم يكن هناك ما يمكن إعطاؤه في مقابلها : أي أنه كان على المسلمين أن يدفعوا حصة الوصاية على الحكم . هذا هو مجمل التعليق على فصل قصير من فصول «أعمال إينوتشنزو المجيدة» . *Gesta d'Innocenzo* ، الذي لا يمكن فهمه فهماً جيداً دونه . ويكتب المؤلف المجهول . من بين ما يكتب عن مختلف الأحداث التي تسبب إلى سنة ألف ومائتين أنه بينما كان رئيس الديوان يقيم مع الملك في بالرمو وبينما كان يحاول يشق الطرق أن ينتزع القصر الملكي من كياروني تم التباحث على اتفاق بين أنصار هذا وأنصار رئيس الديوان . وأن السراسنة عندما شعروا بهذا لجأوا إلى الجبال ولم يعلنوا عن تمردهم فقط بل إنهم عندما نزلوا من مخابئهم أخذوا في الإغارة على المسيحيين واستولوا على قلعة كورليوني وهددوا بما هو أفضل (1) . وكانت كورليوني هي أكبر الأراضى التي منحها جويلمو الثاني لدير موريالي . ولإيضاح سبب هذا التمرد المعلن بشكل أفضل فإننا نجد بعد ذلك بسنتين وثيقة من هنريكو جدد فيها لصالح كنيسة

---

(1) في كتاب كاررو . المرجع المذكور . ص ٦٥٨ . انظر كذلك وثيقة هنريكو بتاريخ يوليو ١٢٠٨ والتي تم بها التصديق على اتفاق بين دهبان موريالي ورئيس الأساقفة . والأولون من أنصار ديبولسو والآخر من أنصار البابا إينوتشنزو . في كتاب برهولتز . المرجع المذكور . المجلد الأول . ص ١٢٥ .

بالرمو الهبات الكبيرة التي وقعت في عهد أريجو أو بالأحرى في عهد كوستانسا؛ ومن بين الأملاك المذكورة جاءت أسماء قرى إسلامية وكذلك ضيعة بلاتاني<sup>(1)</sup>، التي قاوم فيها المسلمون لسنوات كثيرة فديريكو وهو في أوج سطوته.

وعندما خرج فديريكو من الوصاية وليس من الصبا، لم يكن يفكر بكل تأكيد في الذهاب لزيارة المسلمين داخل جبالهم. ولم يكن ليخطر على باله تهدة هؤلاء المتمردين بأن يمزق الوثائق التي بموجبها تم منح الأملاك التي كانت في حوزتهم آنذاك للكنائس أو لبارونات البلاط. ومع ذلك فإنه ترك هؤلاء وشأنهم وكذلك كثيرين غيرهم ممن كانوا يحوزون الأملاك الأميرية أو الإقطاعية في البر الإيطالي وفي الجزيرة. واستمر تمرد المراسنة. بل إنهم أقاموا دولة داخل الدولة عندما اختير أوتوني إمبراطوراً فأتى إلى روما ليستلم التاج ثم اتجه إلى غزو المملكة يناصره أنصار البابا والملك. وبوساطة رجال بيزا وديوبولدو الذي كان نصيراً له قام أوتوني. بعد احتلاله نابولي وأهرسا (١٢١٠) بإجراء اتصالاته في صقلية؛ ومن هنا سرت شائعة بأن المسلمين وبعض الإقطاعيين قد دعوه للعبور إلى الجزيرة بجيشه الذي وعدوه بتقديم مساعدات كبيرة لطرده فديريكو<sup>(2)</sup>. بل قيل

(1) وثيقة أكتوبر ١٢١١، في كتاب برغولتز. المرجع المذكور، ص ١٩١ وما بعدها. وتؤكد اقتراحاتي هذا وثيقة ١٥ يناير من السنة نفسها والمذكورة في المرجع نفسه ص ١٨١ والتي أعطى فديريكو بمقتضاها لورنس أساقفة موربي سلطة الاستيلاء على أملاك المراسنة وأشخاصهم الذين لا يلتزمون بالتزاماتهم قبل تلك الكنيسة. (2) انقرا هذا في *Annales Colon. Maximi*. في كتاب برتز. الفصل السابع عشر، ص ٨٢٥. ويجب التنبيه هنا إلى خطأ وقع فيه تيشمن ومن بعده جريجوريو. فعندما تم فتح مقبرة فديريكو في بالرمو سنة ١٧٨١ وجدت كتابة عربية على أكتاف كفته وأرسل رسم لها إلى تيشمن. واعتقد تيشمن أنه يقرأ اسم أوتوني؛ وبالتالي فقرأ جريجوريو على النحو نفسه وطبع في *Rerum Arabicarum*. ص ١٧٩ وما بعدها مبحث علمي ليمثل على أن المسلمين كانوا قد طردوا هذا الرداء لإهدائه إلى أوتوني وأن هذا الرداء وغيره من الملابس الإمبراطورية قد وصل إلى فديريكو. وليس هذا فقط. بل إن جريجوريو ظن أنه قد وجد في كثير من الأتية البيرونية اسم أوتوني (المرجع المذكور، ص ١٨٢ - ١٨٥). ولكن للأسف الشديد لا يوجد سوى لفظ سلطان. والذي تمت قراءته على النحو السابق

إن هديركو عندما شعر بالخطر المحدق وضع شانية على أهبّة الاستعداد تحت مقره الملكي لكي يهرب بها إلى إفريقية(1).

---

لنقص الخبرة في الخط العربي: ومن هنا يسقط الهناء الذي شهد على الهبات التي أرسلها مسلمو صقلية إلى الإمبراطور. وكان أول من نبه إلى هذا الخطأ دي فراهين ومن بعده لانسي وتعديت أنا كذلك عنه ببيع كلمات في *Rivista Sicula*. النصلة الثانية، (بالرمو- فبراير 1869)، في حديث تمهيدى عن النقوش العربية في صقلية. (1) الهيرتوس يوهيموس، الذي ذكره برهولتز. *Historia Diplomatica etc.*، المصحة، ص 171.

## الفصل الثامن

لكن فدريكو سلك طريقاً أكثر أمناً من طريق الهرب. كان البابا يبحث عن إمبراطور - مضاد من الجبلين لاسقاط الإمبراطور الجويلفي الذي كان من صنعة يديه : وكان في تلك الأثناء قد فرز أوتوني من الكنيسة، وأعطى الرعية من قسم ولائها له. وأخرج إلى النور مسألة اختيار ابن أريجو السادس، وأشعل الحرب الأهلية في ألمانيا. ودبر في اجتماع في نورمبرج خلع الأول واختيار الآخر الذي أطلق عليه أنصار الكنيسة «ملك الكهنة» كما أطلقوا عليه في أحيان أخرى «صبي بوليا» (1). ولما ضجر هذا الشاب المتحمس وهو في سن الثامنة عشرة من أن يملك دون أن يحكم في فوضى جنوب إيطاليا القى بنفسه وهو منكسر الرأس في ثورة ألمانيا. ولما دعاه على عجل من اختاروه قدم لإينوتشنزو كل ضمانات الولاء والخضوع التي طلبها. وبعد أن ترك زوجته وابنه أريجو في صقلية أبحر من مسينا إلى جاييتا (مارس ١٢١٢)، وزار البابا في روما ثم مضى بَحراً إلى جنوة، ومضى منها على سهوة جواده إلى بافيا وكريمونا وترنتو ووصل إلى بازيليا (٢٦ سبتمبر) وتحاشى بصعوبة بالغة مواقف الجويلفيين. واستدار أوتوني وعاد ليطارده دون جدوى. واشتعل إوار الحرب بسبب تحالف أوتوني مع إنجلترا ومع غيرها من الأعداء والمتمردين من فرنسا: ومن هنا فإن فيليبو أوجوستو صار عن طيب خاطر نصيراً ومداًئماً عن البابا. ولما انهزم أوتوني أمام شجاعة الفرنسيين في معركة بوهين (٢٧ يولييه ١٢١٤) وتطلى عنه الجميع، توفي بعد بضعة سنوات (١٢١٨). وبالضرورة حل فدريكو محله في

(1) هذه الكهنة الأخيرة نجدها في *Continuatio Bergensis*. في كتاب برتز. *Scriptores*. المجلد السادس، ص ١٤٠.

المعركة ضد البابوية، وكان إينوتشنزو قد توفى (١٢١٦) ولكنه خلف وراءه أمثلة سيئة للطموح والعنف.

وبعد ثماني سنوات عاد فريكو إلى إيطاليا بعد أن رتب الأمور في ألمانيا؛ وتم تنصيبه إمبراطوراً في روما (٢٢ نوفمبر ١٢٢٠)، ونزل إلى المملكة لينظم شئون السلطة ويقويها بعد أن هوت إلى الحضيض في الثلاثين سنة الأخيرة. ونتيجة لهذا فقد دعا في البر الإيطالي إلى عقد الاجتماعات، وأصدر قوانين حاسمة وحارب البارونات الذين أبدوا مقاومة له. ولما عبر إلى الجزيرة كانت هيبة كافية لإخضاع المسيحيين. أما المسلمون فقد كبدهم غناء ومشقة.

كان من المستحيل أي اتفاق بينهم وبين المسيحيين جميعاً، حكاماً ومحكومين. بارونات وكهنة وأهال. ولم تكن النفوس حانقة هنا، كما حدث فيما بعد في أسيانيا. من عدم تصامح الحاكم أو الشعب تصامحاً دينياً؛ وإذا ما نظرنا إلى رجال الدين وحدهم فإنهم كانوا أكثر ميلاً إلى الجشع وليس إلى التعصب منذ حكم جوليلمو الثاني<sup>(١)</sup>؛ بل إننا رأينا أن إينوتشنزو قد حاول دون جدوى في سنة ألف ومائة وثمانى وتسعين أن يثير الصقليين ليطاردوا المسلمين<sup>(٢)</sup>. ولكن فناء الطرفيين قد صالت وأملاكهما قد سلبت ودمرت؛ وكانت العقبة الكبرى هي أحوال المسلمين الإجتماعية وأحوال المسيحيين السياسية. ولما كان المسلمون يعيشون منذ أكثر من عشرين سنة في الأراضي المحتلة، أو كما كانوا يفكرون هم، في الأراضي التي يطالبون بها في وادي مازارا، فإنهم ما كانوا يستطيعون الخضوع دون أن يعنى هذا أن يقبلوا الفقر والعبودية؛ لأن الحاكم كان لابد أن يمهّد

(١) انظر الفصول الثالث والخامس والسابع من هذا الكتاب، ص ١٢٤ وما بعدها، و ٥١١ وما بعدها، و ٥١٢، و ٥١٨ وما بعدها. وعلى الرغم من أن الخصومة القومية والدينية قد تحولت أحياناً إلى سلفك الدعاء تحت حكم جوليلمو الأول، كما نقرأ هذا في الفصل الرابع، ص ٤٦٦ و ٤٦٩، وفي الفصل السادس ص ٥٢٢، إلا أن هذه الاضطرابات لا تهدد من قبل رجال الدين المباشر أو نتيجة للمشاعر الدينية بل هي نتيجة للجشع والشراسة.

(٢) الفصل السابع، ص ٥١٧ وما بعدها.

بشكل كامل الأملاك وأهل القرى إلى أصحاب الامتياز وأغلبهم من كبار رجال الكنيسة. ولما كان هؤلاء هم أنصار المرش-الحقيقيين فإنه كان من المناسب لدريكو أن يحتفظ بصداقتهم في الصراع الذي كان يوشك على القيام به ضد البابا وضد بارونات المملكة. وفي الواقع نرى أن الإمبراطور (يوليوس ١٢٢٠) قد أكد، بناء على طلب كارو رئيس أساقفة مورالي، على التنازل عن المدن والقلاع والكفور والقرى والكنائس. والأملاك والقرويين وحقوق تلك الكنيسة التي احتلت أثناء الاضطرابات والتي كان يسيطر عليها سراسنة أو مسيحيون سيطرة غير شرعية<sup>(١)</sup>. ولكن ندرك إدراكاً أفضل أهمية هذا الأمر فإنه ينبغي أن نذكر أن هذه الوثيقة قد تم التأكيد عليها بعد ثمانية شهور في برنديزي (مارس ١٢٢١) وأضيف إليها أنه على الوكلاء والقرويين الذين تركوا الأراضي أن يعودوا إليها بكل الممتلكات، وإن كانوا قد توفوا فيتم الاستيلاء على أملاك أبنائهم<sup>(٢)</sup>. وقد تم في سنة ألف ومائتين وتسع عشرة بالطريقة نفسها منح كثر ميزريللا وفلاحى بوليتسى أيتما كانوا، وضيعة أرتيلجيدا بالقرب من بالرمو وأملاك وحقوق في أماكن أخرى إلى الرهبانية التهوتونية<sup>(٣)</sup>. ولما كان على دريكو أن يقوم بدفع ديون قديمة أو حديثة فإنه قام بسدادها بتقديم كفور يسكنها - على ما يبدو - مسلمون، وقد وصلنا عقدان فقط من هذه العقود وهما عقد منح سكوبيللو إلى كنيسة سانتا ماريا دلالاميراليو في بالرمو ثمناً للأواني الذهبية والفضية التي أخذها

(١) في كتاب برمولز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٠٠.

(٢) المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ١٥٠ و ١٥٢.

(٣) وثيقتا أبريل ١٢٠٦ وفبراير ١٢١٩. في كتاب مونتهبوري، *Sacrar domus Panormi, Monumenta...* ومن الملاحظات نرى أن ميزريللا كانت تقع بالقرب من ميزلميري. وكانت هرتيلجيدا خارج أسوار بالرمو. وثاني هاتين الوثيقتين يمكن الإطلاع عليها كذلك في برمولز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٥٨٦. وكان قد تم منح جزء من الأملاك في شهر ديسمبر ١٢٠٢. المجلد المذكور، ص ٩٦.

أخذها ضمن لوازم الحرب(1)؛ وعقد منح موسارو ومنزارو لأسقف  
چرچنتى فى مقابل سبعة آلاف تارى من الذهب قدمها فى وقت من  
الأوقات إلى الهلاط(2).

ولم يكن على فديريكو تأمين ملكية أصعاب الامتيازات بقدر ما  
كان عليه أن يدافع عن نصف الجزيرة من غارات أناس صاروا غريباء.  
ولما وجد المسلمون أنهم باتوا مهددين ردوا رداً بنم عن ميلهم إلى  
الصبود والقتال. فبالإضافة إلى ما رويناء منذ قليل(3)، فإننا نعلم أن  
«أعداء الصليب» قد قاموا فى سنة ألف وما تثنى وتسع عشرة باجتياح  
مستشفى سان جوفانى دى لبروزى، عند أعقاب بالرمو(4). كما نخلص  
إلى أن أورسو أسقف چرچنتى قد أخذ السراسنة وسجنوه لمدة  
أربعة عشر شهراً فى قلعة جواستيللا، وأطلق سراحه بعد أن تم دفع  
فديته؛ وأنه قد تم احتلال أملاك الأسقفية ومنع ممارسة الحقوق بها،  
وكان السراسنة يقيمون فى برج أجراس الكاتدرائية وفى المنزل  
المجاور لها حتى أن المؤمنين لم يجزؤوا على الذهاب إلى الكنيسة  
وعلى تعميد أبنائهم: ويقال إن هذا الحدث قد وقع فى عصر

(1) وثيقة 15 أغسطس 1221، وقد ذكرها فانزولو، المشرية الأولى، الفصل الأول، ومن  
ثم ذكرها بيزو، *Sicilia Sacra*، ص 1359. وأخشى ما أخشاه أن يكون هذا البرق قد تم  
تفريجه مع باقي رقوق دير مارتورانو فى شهر سبتمبر الحزين من سنة 1866 عندما تم  
إخلاء ذلك الدير بدون الاهتمام بما كان يحمله الكهنة والراهبات معهم.  
(2) وثيقة نوفمبر 1221: فى كتاب بيزو، المرجع المذكور، ص 702. وأعاد برهوللز  
نشرها، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص 222. ومن الواضح أن هذين الكفرين هما  
الذين تم منحهما لأسقف چرچنتى فى أبريل سنة 1200 طبقاً لما ورد فى موضع آخر  
بكتاب بيزو (ص 702، المامود الأول) وسبق أن ذكرناه فى الفصل السابق، ص 517.  
ولكننا نفهم فهماً أكيداً أن عملية المنح فى تلك الأزمان قد ظلت قيد البرق. وفى وثيقة  
1221 هذه نجى صياغة السند بالكلمات التالية *concedimus... et perpetuo robore*  
*confirmamus*.

(3) انظر الفصل السابق، ص 560.

(4) وثيقتنا فبراير 1219 وأبريل 1221، فى كتاب مونچسورى *Sacrae Domus*  
*mansionis etc.* والوثيقة الثانية كذلك، فى كتاب برهوللز، المرجع المذكور، المجلد  
الثانى، ص 197.



الإمبراطور فديريكو ويرجع إلى سنة ألف ومائتين وواحد وعشرين (1). وفي غرب صقلية كانت الفارات، أو الأخطار على الأقل، تصل من

(2) هذه التفاصيل مأخوذة من سند بتاريخ ٢٠ يونيو ١٢٥٠ (ويلزم التصحيح ١٢٥٥)، الممسموعة الثالثة، السنة الثانية من حكم مانفريدي والذي يحتفظ بنسخة منه في مخطوطات المكتبة البلدية بالرمو. Q. q. H. 6، ونسخة له منذ وقت قريب ليخدم له معروفاً. السيد ابن زيورو كاريبي القائم على المخطوطات الملكية بالرمو، وهو شاب معروف بدراساته الممتازة عن تاريخ صقلية. وأتمنى أن يستطيع في يوم من الأيام نشر هذه الوثيقة وأن يتم إيجاد أصلها في مخطوطات كنيسة أجريجننتو القيمة المهمة. والسند، الذي قام بتوثيقه في بالرمو قاضي ملكي. بناء على طلب وكيل استيف چريجننتو، يتضمن إجابة خمسة وأربعين شاهداً تم استجوابهم حول ملكية كنيسة سانتا ماريا دي ريفيزي التي كانت كنيسة أجريجننتو تطالب بها رئيس دير سان جوفاني دالي إريمنسي في بالرمو. مؤسسة طلبها على سند تنازل ضاع في زمن الحروب. وكان بعض الشهود يؤكدون وقائع حدثت قبل سنين سنة. وآخرون قبل خمسين، وآخرون قبل أربعين سنة وهكذا دواليك. وكان اسم الشاهد الثالث عشر من بين الشهود الذين تم الاستماع إليهم، لوتشيانو دي بونابرت.

وإذا تركنا الأحداث التي لا تدخل في إطار موضوعنا فإننا نقرأ أن الأسقف أورسو قد تم طرده من مقره ثلاث مرات: فقد طرده في الأولى أريجو السادس الذي كان يعتقد أنه ابن الملك مانفريدي؛ وفي المرة الثانية طرده جوليلمو كيبازوني، عندما كان يحكم چريجننتو، والذي لم يرد الأسقف أورسو أن يقسم على الإخلاص والولاء له، والمرة الثالثة في عهد فديريكو. وفي هذه المرة *fuit captus a Saracenis et detentus in Castro* *Guastanella per XIV menses*, *et Saraceni etiam tenebant ecclesiam, campanile, et domos ecclesie, etc.* ويقول شاهد آخر، وهو ضالاح، في ذكره وقائع حدثت قبل سنتين سنة. إنه جرت بعد وفاة الملك جوليلمو حرب في وادي مازارا قام بها المسيحيون والسرانية. حتى إن *non audebant homines de contrata exire de terris in quibus habitabant, usque ad labores vel vineas eorum nisi se ipsum per* جواسيتللا، وإن أورسو لم يتم الإفراج عنه في جواسيتللا، *pecuniam redimisset*، وروى شاهد آخر أنه بعد وفاة جوليلمو تم طرد أورسو، وإن الكنيسة تم احتلالها بواسطة السرانية وزوجة الكونت برناردينو. وشهد في النهاية آخر بأنه كان ضمن الجيش الذي كان على الأسقف المظنار راموندو. أو غيره أن يتحرك به ضد الكونتيسة المذكورة. ومن الواضح أن هذه هي وثيقة مانفريدي التي نشر جريجوريو مسئلة منها في *Considerazioni*، الكتاب الثالث، الفصل الأول، الهامش رقم ٥، إلخ. وكان يبدو قد قرأ هذه الوثيقة. وربما غيرها، لأنه يذكر الأحداث نفسها في صفحة ٧٠٤ ويضيف أن أورسو قد تم إطلاق سراحه من جانب السرانية في مقابل خمسة آلاف تاري. وكانت قلعة جواسيتللا المهذمة لا تقع بعيداً عن رقادي، على بعد عشرة أميال شمال چريجننتو.

أحد البحرين إلى الآخر، من چرچنتى إلى تشيفالو: فقد تأكد منذ وقت قريب أن خزانة المملكة قد انتزعت - أمام مفوضى البابا - مالا من تشيفالو ومن بولينا، وهما تحت سيطرة الأسقف، للدفاع عنهما ضد السراسنة؛ وأنها أرسلت حامية إلى حصن تشيفالو، ليس فقط بناء على الحق الملكى، وإنما كذلك لتأمين المدينة الواقعة فى ماركا السراسنة(1).

وهذه التسمية، وهى تسمية عارضة كما يبدو أنها وردت إلينا فى هذا الموضع فقط، لا يمكن أن تعنى إلا جهة مختلطة السكان، معرضة للهجمات سواء لقربها من مقار المتمردين أو لكثرة القرويين المسلمين فى أراض مختلفة(2). وعلى هذا فإن ماركا كانت بالتقريب فى أقاليم بالرمو وثرابانى وچرچنتى الحالية؛ وهى وادى مازارا فى القرن الماضى، وهى صقلية فيما وراء نهر سالسو فى عصر أسرة زهيشو؛ وهى ولاية ليليبيتو عند الرومان. ويبدو أن ذلك التقسيم إلى إقليمين يحددهما نهر سالسو قد جرى بناء على مشورة قدمت إلى فديريكو على أساس الاختلاف فى النظم الاجتماعية وهى العادات. ومن الأحداث السابقة ومن الأفعال التالية، يبدو لى أن المسلمين كانوا يشغلون دائماً من هذه المنطقة وسطها الجبلى، حيث تحصنوا بها مع بداية القرن، إلا أننا نرى أن عددهم قد تضخم عند مصبى

(1) وثائق ديسمبر 1171 و 1178 وأكتوبر 1178. فى كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثانى، ص ٩١٨ وما بعدها، والمجلد الخامس، ص ٢٥١. والوثيقة الأولى تتناول فقط شكاوى ونداءات البلاط البابوى فى روما بشأن الأضرار التى وقعت لأسقف تشيفالو. والوثيقة الثانية تتعلق بتشيفالو وموريالى وكاتنيا.

وبالنسبة لموريالى نستخلص أن السراسنة قد أخذوا الأسلاب حتى أسوار الكنيسة، وأنهم طردوا المسيحيين من كل الأماكن القريبة. ولكن الإمبراطور فى رده على الشكاوى يقول إن هؤلاء السراسنة لم يكونوا خاضعين له أو للبابا، وأنه قد تكلف بأعباء كبيرة ونفقات باهظة لكي يجبرهم على هذا، فكان له ما أراد.

(2) فى منتصف القرن الثانى عشر كان أسقف تشيفالو يمتلك قرويين مسلمين كثيرين، كما نلاحظ هذا من القائمة التى ذكرناها فى الكتاب الخامس، الفصل الثامن، ص ٢٠٥ و ٢١١ من هذا المجلد.

نهر دراجو ونهر بلاتاني سواء بسبب تحركهم تحركاً جديداً أم لأن الفئات الذي بقى لنا من مذكراتهم التي حفظها لنا القدر، ترجع إلى تلك الفترة وإلى تلك المواقع.

وبدلاً من المائة ألف من السراسنة الذين كانوا مع روجيرو دي هوفدن (1)، فإن عدد محاربى لوتشيرا قد صار عشرين ألفاً، طبقاً لما ذكره جوهاني هيللاني (2)، ويذكر ريكاردو دي سان جرمانو، وشهادته أكثر مصداقية، أن عشرة آلاف جندي من السراسنة كانوا يتحركون من لوتشيرا تحت إمرة الإمبراطور في سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين (3)، عندما لم يجر إقصاء كل مسلمي صقلية. ومن ثم يمكننا أن نفترض أنه كان موجوداً في أراضي بوليا وحدها، نظراً للظروف الخاصة، حوالي خمسون ألفاً أو ستون ألفاً من السكان. ومن المعتقد أن عدداً مماثلاً، على الأقل، كان يقيم في الجزيرة، هذا بخلاف الحرفيين وعمال المدن، الذين لدينا بعض المذكرات عنهم وبخلاف القرويين الذين احتفظ بهم أصحاب الأراضي بدافع المصلحة أو الشفقة، كما هو محتمل في الأرياف. ثم إنه يبدو حقيقياً أن عدد المتمردين كان يختلف ويتغير من فصل إلى فصل بسبب القرويين الذين كانوا يفرون من الأجزاء الوسطى والشرقية إلى جبل وادي مازارا، أو على النقيض من ذلك كانوا يفرون من صفوف المتمردين ليهربوا للعيش في سلام (4). ويمكن أن نقدر - حسب رأيي - عدد المحاربين المسلمين في ذروة الثورة بخمسة وعشرين أو ثلاثين ألف محارب.

(1) انظر الكتاب السادس، ص ٥٢٢ من هذا المجلد.

(2) جوهاني هيللاني، الكتاب السادس، الفصل الرابع عشر.

(3) ريكاردو دا من سان جرمانو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٦١٢.

(4) إن الاستقصاء المذكور في وثيقة ٢٨ أكتوبر ١٢٢٨، في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٢٥١، يفيدنا بأنه «في زمن الحروب» هرب كثير من رجال الأملاك الأميرية إلى أملاك أسقف كاتانيا يدهبهم إلى هذا «المكان الآمن الطيب»، وأن الأملاك الأميرية - حسب قوانين تلك الأزمنة - قد استعصمهم للعودة إلى مقارهم. وهي الحقيقة لم يقل إنهم كانوا مسلمين.

إن عادات تلك الشعوب التي لا تتغير والإشارات التي نراها في المذكرات المعاصرة<sup>(1)</sup>، تؤكد أن الثوار كان يحكمهم، في هذه الحركة أيضاً، قائد وشيوخ. وكان لهم قائد عسكري سيئ السمعة لقي حتفه في السنة الأولى من الحرب، نجد اسمه في إحدى أخبار الوقائع بـ «ناهرت»، واعتقد أنه خطأ في تصحيح الاسم وقع فيه الناسخ الذي تذكر أنه قد قرأ أحوال آخر سادة المسلمين على سيراكوزا<sup>(2)</sup>. أما نسخ ريكارنو دا سان جرمانو، وهو كاتب من ثقات الكتاب، فتذكر اسم ميرابيتو، وهو اسم أقصده نطق المسيحيين الذين كانوا يكررونه: وقد تكون صحته مرابط أو كما نقول نحن، أخ محارب ومرابطو ودالمراهيدا<sup>(3)</sup>، ويمكننا كذلك أن نفترض أن من أطلق عليه هذا الاسم هو رجل لقبه، مضاف إلى لقب مشهور، هو أمير بن عيس، وبالتالي ميرعيس، ويروي ابن خلدون في تاريخ بني حفص في تونس، أنه بعد وفاة السلطان أبي زكريا يحيى (٢ أكتوبر ١٢٤٩) هاجم مسيحيو بالرمو المسلمين الذين كان قد تعاهد مع صاحب الجزيرة على أمنهم وسلامة ممتلكاتهم المدنية والريفية، وأن المسلمين لاذوا بالفرار إلى القلاع والهضاب واتخذوا لهم رئيساً أحد الخارجين من بني عيس وأنهم قاوموا المستبد المسيحي، وأنه بعد محاصرتهم والإحاطة بهم واجبارهم على الاستسلام، نقلوا إلى لوجير، وهي أراض إيطالية كثيرة السكان، وأن المستبد قد مضى عندئذ إلى مالطة فطرد المسلمين منها وأرسلهم ليكونوا مع الآخرين. وبعد أن استولى على كل الجزر المجاورة محاسب اسم المسلمين من صقلية<sup>(4)</sup>.

(1) سنذكر الاستنتاجات في بقية الرواية.

(2) من حاشية على راوي الأخبار مالا نهراً الذي كان يروي أفعالاً كثيرة عن بـ «ناهرت»، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٢٥٠.

(3) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب، ص ٣٦٢ من هذا المجلد.

(4) في المكتبة العربية، الصقلية، التمس، ص ١٩١ وما بعدها وفي *Histoire des Berbères*، ترجمة البارون دي سـ «لان»، المجلد الثاني، ص ٢٢٥ الذي صار وفقاً لقراءة تركت اسم المكان خالياً، ولما لم ينتكر لوتشيرا وضع ملقى بين قوسين، ولعل الخطأ في اسم العلم يكون بسبباً للغاية لو أن ريكارنو دا سان جرمانو كتب

وتطابق هذا الحدث واضح ووضوح المفارقة التاريخية لمدة نصف قرن بالنسبة لبدء الثورة، ووضوح الخطأ في سببها، ولكن هذه الأخطاء لا ينبغي أن تثير الشك في اسم القائد العسكري. ويبدو أن قبيلة عيس المريية القوية، والتي جاء منها الشاعر العريس الشهير والبطل المفوار عنتر، كانت تقيم منذ بدايات عصر الفتح الإسلامي لأفريقية في شبه جزيرة شريق، المعروفة اليوم باسم دخل والتي تنتهي براس بونه، أمام ليليبيو(2). ولعل بنى عيس قد جاءوا إلى صقلية مع الفاتحين؛ أو أن القبيلة قد ظلت في دخل بينما بقي أحد رجالها الأشداء بنفسه. ولعله كان قرصاناً، إلى صقلية عندما دقت طبول الحرب. لأن الصفة التي وصفه بها ابن خلدون تعني المقاتل، أو العنيف أو العتيد(2).

ميرابيس. ولو أن الناسخ اعترض وجود اختصار في المقاطع الأخيرة. ولا ينبغي أن تثير المفارقة التاريخية عند ابن خلدون المحب. هذا إضافة إلى أنه كان يكتب من الذاكرة فإن عقله العقلي إلى الترتيب كان يدفعه إلى توفيق التواريخ على الأقل مع المواقع والأسباب التي يفترضها. ولعله أو لعل أحد مؤلفي المذكرات التي كان يستعين بها قد طبق خطأ على صقلية الشروط التي انضمت عليها الحكومة العنصرية مع هنريكو بالنسبة لجزيرة بنظائريا والتي صوبت ثقافتها في التوصل التالي.

(1) البكري. *Description de l'Afrique*. النص العربي ص ٤٥ وترجمة كاترمير. في *Notions et Extraits*، المجلد الثاني عشر، ص ٤٩٩ - ٥٠٠. حيث يؤكد أن شبه جزيرة شريق قد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى شريق بن عيس الذي كان أحد الحكام المسلمين. وكل من يعلم أهمية الروابط القبلية في القرون الأولى من الإسلام سيحتمر إقامة القبيلة في تلك الأنحاء إقامة مؤكدة. وليس انتقالهم إلى صقلية أهل احتمالاً لأن هذه العائلة كانت إحدى العائلات التي ثمرت على إبراهيم بن الأغلب وبعد ذلك الوقت جال بفنائه أكثر من مرة أن يأخذ من تلك البقاع القوات التي كانت تُرسل إلى صقلية. ولقد تعددنا مطولاً عن شبه الجزيرة هذه في الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص ١٧٤.

(2) ورد في نص ابن خلدون لفظ شالي الذي يعني المنتقم كما قد يعني المهيج أو الدماجوجي أو رئيس فرقة إلخ. وقد ترجمه البارون دي سلان ترجمة غير أمينة بقوله "aventurier". وينبغي أن نذكر أن إفريقية في الخمس وعشرين سنة الأخيرة من القرن الثاني عشر وفي السنوات الأولى من القرن الثالث عشر كان يسودها الاضطراب من جراء رد فعل العرب والبربر المرابطين ضد حكم الموحدين. ومن هنا كان اجتياح المرابط ابن غانية، والحرب الطويلة التي دارت، وناسهس الإمارة العنصرية في النهاية في تونس.

غير هنريكو إلى الجزيرة في شهر مايو من سنة ألف ومائتين وواحد وعشرين، وعقد اجتماعاً في مسينا<sup>(1)</sup>، وتجهل في المدن الرئيسة حتى نهاية العام<sup>(2)</sup>، واهتم بكل تأكيد بإعداد النفوس والأمور للحرب متخذاً تدابير أهم من تلك التي تنصّرها في التواريخ والوثائق<sup>(3)</sup>، وهكذا وبينما كان يحدوه الأمل في انتصار سهل أو بينما كان يقول هذا، مضى (فبراير ١٢٢٢) لزيارة أونوريو الثالث في فيرولي، ووعده بأن ينادي بأسرع وقت بالصلب في فيرونا؛ وما أن عاد إلى المملكة حتى أخذ في الضغط والتضييق على كونت تشيلانو المتمرّد، واضطر إلى أن يتركه لشأنه والعودة سريعاً إلى صقلية ضد مرابط الذي كان يبعث فساداً في البلاد<sup>(4)</sup>، وفي ظني أن القضية كانت أخطر مما يقول رواة الأخبار التاريخية، لأن هنريكو كان قد أهان في السنة السابقة رجال جنوة إهانة بالغة، وما كانت تنقصهم العزيمة أو الوسيلة للثأر؛ وفي الواقع نجد أن واحداً من أشجع بحارة أهلها كان ضالماً في ذلك التمرّد.

وأماكن الحرب التي قادها هنريكو وتواريخها وهرقها تكاد تكون مجهولة؛ نعلم فقط أن الإمبراطور قد ظل منذ منتصف يوليو إلى ما بعد منتصف أغسطس يحاصر جاتو<sup>(5)</sup>؛ وأنه قد قبض هنالك أو في

(1) ريكارفو دا سان جرمانو، في كتاب كارولو، المرجع المذكور، ص ١٦٩. وحسب قول المؤرخ فإن الفواتين التي صدرت في هذا الاجتماع هي من الفواتين التي نطلق عليها الآن نظم الشرطة المدنية.

(2) الوثائق التي نشرها برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، من ص ١٨١ إلى ٢٢١، تدل على أن هنريكو كان آنذاك في مسينا وكثانيا وكثاچيروني وبالرمو وتراباش ثم في بالرمو من جديد وجرجنشي وكثانيا. وتاريخ وجوده في جرجنشي لا يبدو لي مؤكداً؛ وقد عرّني كلمات برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٢٢، الهامش رقم ١، إلى الاعتقاد بأنه هو نفسه يشك في هذا التاريخ.

(3) من بين الوثائق الخاصة بصقلية في هذه الفترة هناك وثيقة واحدة جديرة بالانتباه، أي تأكيد الامتيازات الفريدة التي منحت لبالرمو سنة ١٢٠٠ وسنة ١٢١٠ أثناء طفولة هنريكو أو بالهرى أثناء القوضى.

(4) ريكارفو دا سان جرمانو، المرجع المذكور، ص ٥٧١.

(5) انظر الوثائق التي وردت "in castris in obsidione jati"، من ١٧ يوليو إلى ١٨ أغسطس ١٢٢٢؛ كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، من ص ٢٥٥ إلى ٢٦٥.

مكان آخر على مرابط وعلى اثنين من ابنائه مع جوليلمو بوركو الجنوى، الذى كان قبل وقت قصير قائداً للأسطول فى صقلية، وأوجوفير الماريسيللى الذى كان قبل سنوات طويلة قد خدع آلاف الصبية الفرنسيين والألمان بزعم إرسالهم للحرب الصليبية ولكنه باعهم رقيقاً فى أفريقية وهى مصر. وبعد أحداث طويلة ألقى بنفسه مع الجنوى فى صقلية. وقد أمر فدريكو بشنق مرابط ورفاقه فى بالرمو، ولكن هذا لم يضع حداً ونهاية للحرب (1).

(1) هانز بين: ريكاردو دا سان جرمانو، الموضوع المذكور، والعاشية على مالاثير، فى كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٢٥٠. ويذكر أولهما فقط اسم مرابط، بينما تخطئ الثانية الاسم، ولكن اسم المكان الذى تضمنه (والمطبوع خطأ *Jacis*) لا يدع مجالاً للشك فى هوية الشخص. ويلاحظ أنونيمو الذى نشر عمله برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٨٩٥، أن فدريكو فى هذا الوقت انتصر على المتمردىين كافة فيما عدا بضغ فلاح للمرسانة تقع فى *aridis montibus*. ويتحدث بالقتضاب عن نتيجة كافة حروب فدريكو ضد مرسانة صقلية كل من أنونيمو فانيكانو (نيكولو دى چاسيبللا)، وموناكو بادوفانو، ورئيس دير أوسبرج، أى كواردو دى ليشتاو، فى كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٦٧٧ و٦٣٩ و٩٧١، وأنونيمو ماسنوس، فى *Scriptores Rer. Germ.*، لبيزج، ١٧٢٠، المجلد الثالث، ١٢١.

وقصة الصبية المسروقين مذكورة فى أخبار البوتو كرومونتيوم التاريخية، هاتوهر ١٦٩٨، ص ٤٥٩ و ٤٦٠، ونسب هذه الضيعة كما يقال إلى أوجوفير وجوليلمو بوركو، وهما تاجران من مرسيليا. وإذا استبعدنا وجود مصداقية تطابق الاسم وهو ما يبدو بعيداً عن الواقع، فإننا نستطيع تصحيح ما كان يجرى على الفسلة الناس، وكثرة المؤرخ الألمانى، عن جوليلمو بوركو.

أن رجل البحر الباسل هذا، وهو من أسرة نبيلة فى جنوة، قد انتصر سنة ١٢٠٥ على بيزا أولاً فى معركة بحرية، ثم حارب مع أريجو كونت مالطة مدينة سيراكوزا التى كان يحاصرها أسطول بيزا. وفى سنة ١٢١١ استولى على سفينتين من مرسيليا وقادهما إلى صقلية (*Annali Genovesi*)، فى كتاب موراتورى، *Rer. Italic.* المجلد السادس، ص ٣٩١ و ٤٠١). وفى سنة ١٢١٦ اصطلح الإمبراطورة كوستانسا وابنها أريجو من صقلية إلى ألمانيا، كما يتضح من وثقتين فى كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٤٨٥ و ٤٨٩؛ وتشير أولاهما إليه قائلة «أميرال مسينا»، وفى ثانيتهما يصفه أحد الشهود بأنه واحد من كبار رجال البلاط الإمبراطورى، يحمل لقب أميرال المملكة، ولكن فى سنة ١٢٢١ عندما انقلب فدريكو ضد الجنويين الذين كانوا يمسكون بزمام سيراكوزا ويحتشون بأمالك وامتيازات فى كافة أنحاء المملكة، أمر - فيما أمر - بالقبض عليه، لكنه نجا بنفسه هرباً (*Annali Genovesi*)، فى كتاب موراتورى، المجلد المذكور، ص ٤٢٢). وقد يكون حقيقياً أن جوليلمو بوركو، الذى كان بالضرورة مثل كل

وعبر الإمبراطور إلى بوليا ليستأنف الحرب بقوات أكبر، وأخمد إوار التمرد الإقطاعي، وحصن المدن والقلاع وهي صيف سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين<sup>(1)</sup> عاد إلى صقلية ليتعقب عن قرب المتمردين المسلمين. ونقرأ بكل تأكيد أن جانباً منهم قد استسلم له فنقلهم إلى لوتشيرا؛ وأن جانباً آخر قد صمد صموداً قوياً لثقلته في مناعة مواقعه وتحصيناتها<sup>(2)</sup>. ويظهر لنا من وثيقتين أن الجانب

---

رجال البحر في ذلك الزمان قرصاتاً إلى حد ما إن لم يكن لصاً بحرياً. قد حاول مساعداً منمردي صقلية وانضم بلا شك إلى ذلك البلطجي بائع الصبية. وكان هذا كافياً لأن يصفه الجبليون بالشريك في هذا العمل المشين. كما يقول البريكو، ولا نرى إن كان يشهر به أم يقول الحقيقة. واعتقد أن جيوليمو يوركو كان أميرال في صقلية، ولكنه لم يكن أميرالاً كبيراً، إذ أن هذا اللقب كان يطلق في ذلك الوقت على أرجو كونت مالطة. قارن بين برهوالز. المرجع المذكور، *Introduction*، ص ١١١. والتسيد إ.د. وينكلمان، *De Regni Siculi administratione etc.* برلين، ١٨٥٩، ص ٤٠ و ٤١، اللتين لا يوجد اتفاق بينهما.

(1) ريكاردو دي سان جرمانو. في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٥٧٢. ونقرو حوليات سان رودبرثو دي سالزيوج. في كتاب برنز، *Scriptores*، المجلد التاسع، ص ٧٨٢ أن الإمبراطور لم يستطع. لانتشاله ببعض الأعمال في صقلية. الذهاب إلى معرض البايونات الألمان والإيطاليين الذي أقيم في فيرونا بمناسبة يوم القديس مارتنو ١٢٢٢. (2) على الرغم من أن مورانوزي في *Annali* يحدد سنة ١٢٢٤ تاريخاً للهجرة إلى لوتشيرا، إلا أنه يبدو لي أنها قد حدثت في العام السابق. قارن في هذا الشأن بين ريكاردو دي سان جرمانو. في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٥٧٢، حيث ينبغي إضافة تاريخ ١٢٢٢: رواد الأخبار المذكورين في آخر فقرة في الهامش رقم ٢ من صفحة ٦٠٠. ويذكر *Appendice al Malaterra*، المرجع المذكور، ص ٢٥١ (تحت الطبعسمرية الثالثة عشر. والسنة مطبوعة خطأ ١٢٢٢ وصححها مورانوزي ١٢٢٤) يذكر أن الإمبراطور أرسل جيشاً جزاراً ضد مسلمي صقلية، وأنهم بقوا في الجبال، وأن الإمبراطور كان يلحق بهم أضراراً كبيرة كل عام، وأنهم في النهاية «هبطوا بخزي شديد». فجعلهم يسكنون في سهول صقلية، في الكفور. وفي طبعة برنز، *Scriptores*، المجلد التاسع عشر، ص ٤٦٥، أضيف تاريخ سنة ١٢٢٤. وكما هو واضح لم ترد هنا أية كلمة عن نقلهم إلى ما وراء المضيق، وأن عمليات الجيش الملكي قد استمرت عدة سنوات. ويبدو لي أن هذه الفقرة لابد أن تضاف إليها سنة ١٢٢٥. وهي السنة التي توافق الخمسمشرية الثالثة عشرة المذكورة في نص الرواية التاريخية وتتفق مع شهادة كاتبين آخرين سنذكرهما فيما بعد.



الأول كانوا سكان إقليم چرچنشی الحالي(1)، ونعلم أنهم استسلموا مع بداية الصيف لأن هنريكو، في رسالة كتبها آنذاك لكرادو اسقف هيلدشيم، أبدى سعادته بأن كل الأمور كانت تمضي طبقاً لإرادته، وأنه أنزل إلى السهل كل السراصة الذين تحصنوا في البداية بقمم الجبال وبمواقع حصينة أخرى(2). وهذه الكلمات، إذا ما قرأناها بالكلمات التي كتبها الإمبراطور في السنة التالية إلى البابا أونوريو، توضح لنا أنه بعد انتهاء المعارك والحصار قد أخذ يعمل على خطة طويلة المدى ولكنها أكيدة، لتجويد المسلمين بإتلاف معاصيلهم فوق الجبال وبلاستيلاء على أي مؤن أخرى. هكذا أجبر المبعدين إلى لوتشيرا على الاستسلام؛ وهكذا كان يأمل في الانتصار على غيرهم؛ ولأن مثل هذه الحرب تتطلب أناساً كثيرين على درجة عالية من النظام فإن الإمبراطور، كما نستخلص هذا من ريكاردو دي سان جرمانو، قد استدعى في سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين نفسها وفي السنتين التاليتين البارونات إلى الخدمة العسكرية واستقطع الأموال لتجنيد جنود مستقرين(3). وكانت حرب السراصة سبباً وهي أحيان أخرى ذريعة، كما يبدو مما وقع للأربعة كوشنات البر الإيطالي، الذين حضروا إلى صقلية لتقديم خدمتهم الإقطاعية (١٢٢٣) فقبض عليهم وصودرت ممتلكاتهم(4). كما أن رسالة هنريكو إلى أونوريو،

(1) نستخلص هذا من وثيقة عام ١٢٥٤، في كتاب بيرو، المرجع المذكور، ص ٧٠٤. ونحتوي وثيقة هنريكو بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٢٢٩ التي قام كركاني بنشرها أولاً ثم نشرها برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٥٠٤، فيما تحتوي، على الإجراء الخاص بإنشاء كفر في أراضي الدولة في بورجهيميلووز (منفي)، وكفر آخر بين چرچنشي وشاكلا، وكفر ثالث بين چرچنشي ولبكالا، مما يجعلنا نعتقد أن تلك الأماكن كانت على الأرجح كفر مأهولة.

(2) في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٣٩٢، والتاريخ الناقص يمكن استنباطه بالتقريب، لأن هنريكو يشير إلى القبض على واملمازو ملك الدنمارك الذي وقع كما نعلم في ٩ مايو ١٢٢٢.

(3) ريكاردو دا سان جرمانو، في كتاب كارووزو، المرجع المذكور، ص ٥٧٢ و ٥٧٤.

(4) المرجع المذكور، ص ٥٧٢.

التي أشرنا إليها توأ، تذكر واقعة حقيقية: وليس من قبيل الإفك والبهتان أن نؤكد أن الإمبراطور قد استخدم هذه الواقعة لكي يؤجل الحرب الصليبية التي كان أونوريو يريد إجباره عليها ولا فسوف لا يسمح له بأن يخطأ لومبارديا بقدميه. ولهذا كتب هنريكو إلى البابا من كتانيا في الخامس من مارس سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين أنه بينما كان يعد في موانئ المملكة (مائة شانية وخمسين سفينة لنقل الجياد، وسفنًا ومراكب لانهاية لها). لكي تكون جاهزة للإبحار في الصيف التالي، وبينما كان على أهبة الاستعداد للسفر إلى ألمانيا بهدف دعوة الصليبيين إلى السلاح، جاء قائد عام الجيش الذي يحارب السراسنة إلى كتانيا ومعه قائد السراسنة وشيوخهم للتفاوض معه باسم سراسنة الجبل كافة على الخضوع. واستطرد هنريكو قائلاً إنه دعا مجلس الدولة وأبدى الجميع أنه لا ينبغي على الإمبراطور أن يعتمد في هذا الوقت، خوفاً من أن يندم المتمردون على ما فعلوا فيطيلوا أمد المفاوضات حتى يحين وقت حصاد القمح فيذهب السلام أدراج الرياح في تلك السنة! ويختتم الإمبراطور رسالته بأنه سيبقى في صقلية حتى إتمام الاتفاق، وبأنه سيوفد هرمان، كبير معلمي القرمسان الثيوتيين لدعوة الصليبيين فيما وراء الجبال، وأن كل الأمور في الصيف - إن شاء الله - سوف تكون على أكمل وجه وسوف يقوم هو بأداء واجبه في الحرب الصليبية<sup>(1)</sup>. ولقد انتشر الخبر وذاع على السنة الجميع في ألمانيا حسبما نقرا، مع وجود اختلافات طفيفة، في حوليات كولونيا التي تضيف بأنه قد جرى الإعلان عن خضوع سراسنة جبل بلاتانو<sup>(2)</sup>، ولكننا لا نعلم إذا

(1) في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص 109 وما بعدها.

(2) *Annales Colonienses Maximi*، في كتاب برتز، *Scriptores*، المجلد السابع عشر، ص 27. وكان برهولتز قد ذكر في أسفل الوثيقة التي ذكرناها في الهامش السابق الفقرة نفسها باسم جوهريمو دي كولونيا، طبقاً لما ذكره بوهمر، *Fontes*، المجلد الثاني،

كان المقصود به القلعة الحصينة التي يطلق عليها الاسم نفسه والتي كانت تقع على شاطئ نهر بلاتاني على بعد سبعة أميال من منبعه، أو أن المراد هو كل المنطقة الجبلية التي يمر بها ذلك النهر (1). والواقع هو أن فديريكو لم يسافر آنذاك إلى أرض المقدس؛ ولم يخضع المسلمون أو يتصالحوا في صقلية. ويبدو أن العملية الوحيدة التي جرت سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين هي أنه تم طردهم جميعاً أو طرد جزء منهم من مالطة؛ لأننا، بالإضافة إلى إشارة ابن خلدون، نستخلص أن فديريكو كان يبعث إلى هذه الجزيرة بسلطان تشيلانو دي بوليا، الذين تم طردهم من أراضيهم عندما استولت عليها قوات الملك. ثم تم استدعائهم إلى بلادهم، حتى يمكن إيقاعهم في الشبكة

---

(1) طبقاً للإدريسي كانت أراضي بلاتانو الشاسعة. وهي ذات موقع حصين وأرض خصبة. تقع على الشاطئ الأيسر للنهر الذي يطلق عليه الاسم نفسه على مسافة سبعة أميال من المنبع (المكتبة العربية - الصقلية، ص ٤٨ و ص ٥١). ويقول فانزيللو كذلك بوهوع جبل بلاتيلو - الذي كان يطلق عليه هذا الاسم آنذاك - على الشاطئ الأيمن لنهر بلاتاني ولم تكن به آثار مدينة قديمة (العشرة الأولى، الكتاب العاشر، الفصل الثالث). وهكذا فإن الموقع قد يطابق ما يطلق عليه الآن جبل سارا. فيما بين بلدي كاتوليكا وبييرا العاليتين، اللتين تم تأسيسهما في القرن السابع عشر (اميكو - *Dizion. Topogr.*). ولكن الأخبار والمعلومات المفصلة التي طلبتها. نظراً لأنني لم أقم بزيارة تلك الأماكن ولأنني لم أجد الاكتفاء الخرائط الطبوغرافية. تدفعني إلى الشك والارتباك. وقد قنصل البارون سيوتو، عمدة كاتوليكا (١٨٧٠) الذي لجأت إليه، بأن أرسل إلى خريطة قام برسمها في المساحة الزراعية السيد ديونيزيو ميتشلي. مزودة بملاحظات طبوغرافية. أرى فيها أن جبل سارا، الذي يمكن التولج إليه من الجوانب كافة، خال من الآثار القديمة، وأنه على النقيض من هذا فإن الشاطئ الأيسر للنهر، على مسافة قريبة من كاتوليكا، توجد به تلال وعرة أخرى مليئة ببقايا أسوار وخزانات ومقابر وبمختلف الدلائل على وجود مساكن كبيرة وعريقة. وبنية كذلك السيد ميتشلي إلى أن نهر بلاتاني قد غير حوضه أكثر من مرة. وأنه ابتلع جسوراً كثيرة. ومن ناحية أخرى فإن خريطة قيادة الأركان تظهر لي جبل ميللاجيا (ملاجيا أي مضيقاً) يقع إلى الشمال في اتجاه تشنشانا، وبه قلعة لها هي المذكورة في خريطة ١٨٢٦ باسم «لاكالاتا». ولهذا فمن المناسب أن نرجع الحكم على تطابق الموقع، ولكنه مع هذا لا بد أن يكون داخل إطار شكل رياس بين كاتوليكا وتشنشانا من ناحية الجنوب الشرقي ونهر مكنولي في الشمال الغربي.

ونقلهم إلى صقلية(1). ويبدو أن إبعاد المسلمين من مالطة مسألة حقيقية تماماً لأن رجال فديريكو في ذلك الوقت عاثوا فساداً في جزيرة جربة وأخذوا منها عدداً ضخماً من الأسرى(2). ويرجع احتلال الجزر الصغيرة المجاورة لصقلية، كما يشهد بهذا المؤلفون العرب واللاتين على حد سواء، إلى ذلك الوقت نفسه(3). ويبدو أن هذه العمليات البحرية، التي تمت في فصل أو فصلين، كانت أولى تجارب الأدميرال، ولعله كان من جنوة، الذي أخذ مكان أريجو كونت مالطة، الذي تم عزله وحرمانه من إقطاعيته لما نسب إليه من إهمال في الحرب ضد مسلمي مصر أو - كما قال آخر - ضد مسلمي صقلية(4)؛ إلا إذا كان فديريكو قد انتهر الفرصة ليتخلص من البحار المتفطرس، الذي خشي بأسه وطموحه بكل تأكيد في السنوات الأولى

(1) ريكاردو داسان جرمانو. المرجع المذكور. ص ٥٧٢. سنة ١٢٢٤.

(2) *Appendice al Malaterra*. نعت سنة ١٢٢٢. في كتاب كاروزو. المرجع المذكور. ص ٢٥١. ونجد هذه الواقعة تتكرر عند الراهب كورادو. المرجع المذكور. ص ١٩. وهذه الفقرات نجد فيها نون بدائل مهمة في برتر، *Scriptores*. ١٩. ص ١٩٥.

(3) ابن خلدون، الذي سبق ذكره في ص ٥٧٠، الهامش رقم ١. وأونيمو سكسوتي، في *Scriptores Rerum German*. ليبزج. ١٧٢٠. ٣. ص ١٢١.

(4) نقل الرأي الأول ريكاردو داسان جرمانو، سنة ١٢٢١. في كتاب كاروزو، المرجع المذكور. ص ١٥٩. والرأي الثاني ورد في *Annali Genovesi*. سنة ١٢٢٢. في كتاب موراتوري، *Rer. Ital. Script.* المجلد السادس. ص ٤٢٢. ومن بين هذين المؤلفين المعاصرين الجديرين بالثقة، يبدو لي أن الجنوي قد ذكر السبب وذكر الثاني وهو مواطن صقلي الذريعة التي ادّعاها فديريكو لكي يسطط بمصفوريين بهجر واحد، أي أن يتخلص من الأمهال ويقدم ضحية نبيلة أخرى للبابا الذي لمصق بفديريكو ضياع دمياط وجيش الصليبيين الذي تقدم بشكل جنوني نحو المنصورة.

ويبدو مؤكداً أن الأسطول الصقلي المكون من خمس وأربعين شابة، قد وصل إلى دمياط بعد استسلام الجيش الصليبي، وأنه بعد أن علم بهذا استأنف الرحيل عنها فوراً. يشهد على هذا تاريخ بطاركة الإسكندرية، النص في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٢٢. وقد أخذ السيد رينو من هذا المصدر التاريخي... *Extraits relatifs aux Croisades*. ص ١١٧. ولكن هناك وثيقة تدل على أن قادة الأسطول الصقلي إنما كانوا يريدون الدفاع عن دمياط. وهي فترة من رسالة مسلم رجال المبد الكبير، التي طبعتها برهولتز. المرجع المذكور. المجلد الثاني. ص ٢٠١. الهامش رقم ١١ وقارنها بالوثيقة الأخرى الموجودة في المجلد نفسه. ص ٢٥٥. الهامش رقم ١.

من حكمه واخذ الآن يشك فيه لصداقته القديمة مع أهل جنوة أو لأنه كان مثار شك أهل بيضا الذين كانوا يناصبون الإمبراطورية(1). وطبقاً لما يقوله ريكاردو دا سان چرمانو، دعا فدريكو في سنة ألف ومائتين وخمسة وعشرين البارونات التابعين للمملكة إلى حمل السلاح لكي يسدد الضربة الأخيرة لمسلمي صقلية، وذهب هو نفسه إلى بوليا ليجمع الجيش(2)؛ وطبقاً لما يقوله راهب الماني من المهتمين بجمع الأخبار الجديدة، فإنه حاز نصراً غالباً على السراسنة الذين كانوا يسيطرون على جبال صقلية(3)؛ ثم هناك كانت مجهول يبدو أنه عاش في صقلية وكتب فيما بعد منتصف القرن

(1) انظر في *Liber Jurium reip. Januensis N.D.* المسمود ٥٥٣ وما بعده اتفاقية كونت مالطة هذا مع جمهورية جنوة (٢٥ يوليو ١٢١٠) لشراء جزيرة قبرص. ويشير الكونت إشارة عابرة إلى خضوع مالطة لفدريكو. ومع هذا يجري اتفاقاً وكأنه أمير نو سيادة، فإن ما يقوله عن اميرالات فدريكو، برهولتز، المرجع المذكور، المتقدمة، ص ١١١ وما بعدها. وانظر كذلك وينكلمان، المرجع المذكور، ص ١٠ وما بعدها. ولقب كونت مالطة المذكور في هذه الوثيقة يدفعني إلى الاعتقاد بأن أريجو كان منذ ذلك الوقت اميراً كبيراً. لأن هذه الإقطاعية قد تم منحها بعد ذلك لأمهراين كبيرين هما مارخريونى اليرغليزى وجوليلمو الجروسو. كما أريجو. ويبدو أن أريجو الذى كان لقب عائله أو كنيته بسكالكورى كان من مواليد جنوة. فأتساءل صبا فدريكو كان يساعد على الموانئ بنوات بحرية أهل جنوة في معاركهم المتكررة مع أهل بيضا في مياه صقلية. عن هذه الممارك انظر ص ١٢٠١ وما ١٢٠٥ إلخ من حواريات جنوة في كتاب موراثورى، *Rerum Italic.* المجلد السادس، ص ٢٨٩ وما ٢٩١، إلخ. ومع ذلك فإنه لا أتفق مع برهولتز في أن أريجو بسكالكورى قد اختير اميراً كبيراً لصقلية بعد الجور الذى أصاب جوليلمو بوركو الذى تحدثنا عنه في الهامش رقم ٢ من صفحة ٦٠٠ وما بعدها. ويبدو لي بالأحرى أن جوليلمو كان في سنة ١٢١٦ برتبة اميرال عادي، كما كان غيره في سنة ١٢١٦ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٥٢ تحت كبار الاميرالات جورج الأنطاكي ومايوسى دا باري (الكتاب الخامس، الفصل الأول، ص ٢٥٥ و ٢٥٦ من هذا المجلد). ومن ناحية أخرى فإن فرار جوليلمو والثانية التي حلت بأريجو، الذى تم سجنه وتم تجريده من إقطاعية مالطة، قد وقعنا في الوقت نفسه تقريباً. فقد كان كلاهما من جنوة أو من أنصار جنوة المتحمسين لها. وقد نزلنا إلى بلاط فدريكو معاً بناءً على سمعة تلك الجمهورية؛ إلا أن أريجو، بعد أن خضع برأسه قليلاً، عاد ورفضها بينما قام جوليلمو بأعمال منف واضحة فتشد حياته فيها.

(2) ريكاردو دا سان چرمانو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٥٧١.

(3) البريشي تريوم فونتيم، *Chronicon*، هانوفر ١٦٩٨، ص ٥١٨.

الثالث عشر؛ وقد جمع هاتين الواقعتين معاً وصاغهما بالكلمات ذاتها في الخمسمشرية الثالثة عشرة الموافقة لسنة ألف ومائتين وخمسين وعشرين - حسب ما اعتقد - ويضيف أن رجال الإمبراطور كانوا يخبرون في كل سنة أراضى المسلمين، ولهذا فإنهم كانوا يضطرون إلى النزول في خزي كبير من فوق جبالهم وكان هديكو يجعلهم يسكنون في كفور السهل(1). ثم لم يذكر الكتاب كما لم تشر الوثائق لمدة ثمانية عشر عاماً إلى شعوب مسلمة متمردة؛ بل إنها تقدم أخباراً عن أفراد من المسلمين الخاضعين في الجزيرة وعن الفرق الضخمة التي كانت تعد بها مستوطنة لوتشيرا جيوش الإمبراطورية فيما بين جريليانو وجبال الألب. ويمكن أن نستخلص من هذه الدلائل أن الجيش الضخم الذي تم حشده في سنة ألف ومائتين وخمسين وعشرين قد حقق النتيجة التي أرادها الإمبراطور: أي أن يرضخ المتمردون دون قتال. كما أن الافتراض القائل بأن مسلمي إقليم جرجنتي قد تم إرسالهم إلى البر الإيطالي مثلما حدث مع المهزومين قبل سنتين، افتراض قابل للتصديق(2)؛ وكذلك أن مسلمي الإقليم الآخرين قد تم تركهم يمتلكون الأراضى أو يمارسون الصنائع بعد أن قدموا الرهائن طبقاً لمعاداتهم. ومن المؤكد أن مسلمي صقلية لم يثيروا القلاقل من بعيد أو قريب على الإمبراطور حتى سنة ألف ومائتين واثنين وأربعين، بينما كان هو يعمل في حروب فلسطين، والمملكة، ولومبارديا وشرق صقلية.

خلال حماسه الأول عند توليه الإمبراطورية كان هديكو قد نذر أن يحمل شارة الصليب(3)؛ وجدد نذره يوم تنريجه وأقسم أكثر من

(1) *Appendice al Malaterra*, سبق ذكره في ص 571. الهامش رقم 2.

(2) هذا ما أظنه لأنه في تمرد سنة 1115 لا يظهر مسلمون في تلك المنطقة، ولأن كل فلاحي كهنة أجريجتو كانوا قد مضوا إلى لوتشيرا. كما رأينا في صفحة 575، الهامش رقم 1.

(3) رابالندي. *Ann. eccl.* 1120، § الواحد والمثرون، ص 171 من طبعة لوگا.

ريكاردو دا سان جرمانو، السنة 1115، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص 61.

مرة ووعده أن يذهب إلى الحرب الصليبية، تحت ضغط الباباوات، الذين لهم لم يعلموا باستعادة القبر المقدس ولكنهم كانوا مهتمين بأن يذهب الإمبراطور إلى المشرق - بدلاً من أن يتسبب على إيطاليا - لينال منه ما ناله كورانو أو ليلقى فيه حتفه مثل بارباروسا. ولأن حفيد هذا لم يكن قادراً على التحلل من النذر الذي تعهد بأن يفي به والذي طوق به عنقه، فإنه طلب إلى البابا الذي كان يضغط عليه الحذر والاحتباس، وكثيراً ما تذرع بحرب المراسنة الصقليين<sup>(1)</sup>. لقد كان مأكراً ضد مائتين، وقضى عام ألف ومائتين وأربعة وعشرين كله والشهور الأولى من السنة التالية في صقلية، قابلاً في الغالب في كاتانيا<sup>(2)</sup>. وكأنه كان يريد أن يوازن بين الحرب الصليبية وحرب المسلمين المحليين. فينظر من ناحية إلى أوترانتو وبرنديزي وهما ملتقى أساطيل وجيوش الصليبيين ومن الناحية الأخرى إلى طريق جرجنتي. فهو من هناك أكثر أمناً من طريق بالرمو وأيسر وأقصر من طريق مسينا. ولما لم تعد ذريعة المراسنة قائمة، ومع ملاحقة جريجوريو التاسع العنيف له، أبحر من برنديزي، على الرغم من الوفاء الذي كان يحمده الصليبيين حصداً (٨ سبتمبر ١٢٢٧)؛ وعاد إلى اليابسة مريضاً، فحرمه البابا وهاجمه بالسيف؛ وسافر مرة أخرى (٢٨ يونيو ١٢٢٨) بقوات قليلة معولاً على انقسام الأمراء الأيوبيين الذين كانوا يحتلون سوريا، وعلى المفاوضات التي كانت تجري مع أقواهم. ولاحقه جريجوريو بغضبه المدروس بينما كان هو يحفر القبر المقدس؛ وتذرع مسيحيو تلك النواحي بالحرمانات ليحولوا دون ارتقائه عرش القدس الذي قدم له دوطه من عروسه الجديدة؛ ومع كل هذا فإنه بحكمته وإقدامه أنجز الاتفاق، كما سنذكر في الفصل التالي.

(1) انظر وثيقة سنة ١٢٢٤، التي ذكرناها أولاً بصيغة ٥٧٦، الهامش رقم ١.

(2) انظر تواريخ وثائقه بدءاً من فبراير ١٢٢٤ وحتى مارس ١٢٢٥ في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، من ص ٢٧٨ إلى ص ١٧٧.

عاد هنريكو إلى إيطاليا بعد أحد عشر شهراً ليطرد أتباع البابا من مملكته ويعاقب الرعايا الذين ارتموا في أحضانهم. وأجبر البابا على أن يتعهد بالسلام وانزلق في حروب رابطة لومبارديا الثانية، وهي اضطهاد آباء إيطاليا وألمانيا: إن لعنة الإمبراطورية الرومانية الزائفة كانت تجر هذا الرجل المتعصر إلى أن يحارب الحرية حرياً عمياء وإلى إشغال حرائق التفتيش. إن مشاعر الحرية البلدية التي صحت مرة أخرى في صقلية بين الشعوب اليونانية وبقدر ما بين الشعوب اللومباردية، بسبب فتوة الجولفيين في البر الإيطالي وبسبب تعريض الرهبان وكذلك أهل جنوة - حسبما اعتقد - أدت إلى ظهور الحركات التي قممها هنريكو بالتعذيب في مسينا (1) وسيراكوزا (2) ونيقوسيا، والتي عاقب عليها في تشنتوربي وكابيتسي وتراينا ومونتالبانو بهدم المساكن وطرد السكان الذين أجبرهم على الإقامة في مدن أخرى (3). ولكن هنريكو رضخ إلى حد ما للرأي العام فجعل في الوقت نفسه اجتماعات المجالس المحلية اجتماعات اعتيادية ودعا إليها صراحة البلديات (4).

وقد مساندته ودعمته في حروبه بالبر الإيطالي الجاليات

(1) ريكارفو دا سان جرمانو، سنة ١٢٢٢ و ١٢٢٢، *Appendice al Malaterra*، سنة ١٢٢٢، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ١٠٥ و ١٠٦ و ٢٥١.

(2) *Appendice al Malaterra*، الموضع المذكور.

(3) ريكارفو دا سان جرمانو، المرجع المذكور، سنة ١٢٢٢، ص ١٠٧، يذكر هذا بشأن تشنتوربي فقط. ويضيف أنونيمو الثانيكان (نيكولو دي جامبيللا) المرجع المذكور، ص ٦٢٨ إلى اسم تشنتوربي المدينيتين الآخرين ولكنه لا يذكر زمن تدبير أي منهما، وبقرابة إحدى وثلاثين سنة ١٢٢٩ (كركاني، ص ٢٩٧ وبرهولتز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٥٩٦) فإنه يبدو أن امر الإمبراطور كان اسماً واحداً وهو أن يقيم سكان تشنتوربي وكابيتسي سابقاً في بالرمو وأن يعاقب كل من يهاجم في مكان آخر بصقلية. وهذا الإجراء نفسه مذكور في وثيقة ٢٧ فبراير ١٢١٠، في كتاب كركاني، ص ٢٥٢ وفي كتاب برهولتز، المجلد الخامس، ص ٧٧٠، ويقول أنونيمو، في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٩٠٥، إن تشنتوربي وتراينا ومونتاليا وأراضي أخرى من أراضي صقلية قد هدمت ودمرت أساليبها، ومن أسماء المدن استتج أجناس سكانها.

(4) انظر جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثالث.



الإسلامية الصقلية، التي كانت مستقرة في البداية في لوتشيرا، ولكننا نجد جالية أخرى في جيروفالكو ونستخلص كذلك أن الإمبراطور كان يستخدم رجال هاتين الجاليتين في مجموعات صغيرة في بوليا وكلايريا لأغراضه(1)؛ وكان أكثرها فائدة وربحاً هو عملهم بالمقاسمة في رعاية قطعان الماشية سواء الأليفه أم غير المستأنسة(2). ولكن المسلمين كان يتأجج في صدورهم الحنين إلى وطنهم ومكان ميلادهم، ولهذا كانوا كلما لاحت لهم الفرصة يحاولون العبور خفية إلى صقلية(3)؛ ولهذا فقد أمر فندريكو في سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين بجمعهم في لوتشيرا(4). وهكذا بقيت هناك حتى سنة ألف وثلاثمائة وثلاث هذه الجالية العسكرية الشهيرة؛ ونلاحظ في ذلك المكان آثار الحصون التي كان الأمراء الزنهيقيون يضمنون إقامة جنودهم المخلصين فيها(5). وإذا كان اسم هذا المكان كثيراً ما جاء في الكتابات المعاصرة لوتشيرا، فإن هذا خطأ يرجع إلى الاستخدام الشائع الذي كثيراً ما يستبدل الكلمات غير المعتادة بكلمات شائعة؛ ومن هنا فضلت استخدام صيغة مأخوذة من لفظ شائع على اسم مدينة قديمة، سامت أحوالها سوءاً بالفا في

(1) وثيقة ١٦ ديسمبر ١٢٢٩، في كتاب كركاني، ص ٢٩١ وفي كتاب برهولتز، المجلد الخامس، ص ٥٩٠.

(2) طبقاً لما جاء في وثيقة ٢٥ ديسمبر ١٢٢٩، في كتاب كركاني، ص ٢٠٧. وفي كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٦٢٧ - ٦٢٨، فإن فندريكو كان يأمر بأن يسلم *ad partem* (ثم قيل *ad laborem*) ألف رأس ماشية إلى سراسنة لوتشيرا كما كانت تسلم لهم من قبل في صقلية في عصر جولييلمو الصالح.

(3) وثيقة ١٦ ديسمبر، المذكورة سابقاً.

(4) وثيقة ٢٥ ديسمبر ١٢٢٩، التي نشرها كركاني بصفحة ٢٠٧، والموجودة في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٦٢٦، ٦٢٧.

(5) بسببها المرحوم دوق لينز (هونوري، ليونوريك) فإن آثار قلعة لوتشيرا قد تم عرضها من خلال نس كتبه هرنلارد برهولتز، وأشكال توضيحية رسمها فيكتور بلتارد في الكتاب الذي يحمل عنوان *Recherches sur les Monuments etc., dans l'Italie Méridionale*. باريس، ١٨٨٤. انظر أيضاً ما كتبه عنها مؤخراً برهولتز نفسه في *Historia Diplomatica etc. Introduction*، ص ٢٧٥ وما بعدها.

بدايات القرن الثالث عشر. ولقد تأكد الخطأ وتولد بسبب ظرفين عرضيين، أي أن اسم نوتشيرا كان يطلق على المدينة التي سكنها الوثييون ومن بعدهم المسيحيون أيضاً، وأن لوتشيرا كان يطلق على المدينة التي سكنها المسلمون، وأن كليهما كانا لزمان طويل مقرين اسقفيين. ثم أن كلا من هاتين المدينتين كانت تقع على مسافة بعيدة جداً عن الأخرى ويفصل بينهما جبل الأبنين؛ ولوتشيرا هي كابيتاناتا، ونوتشيرا هي برينشيباتو، أو إن أردنا استخدام الأسماء الحديثة: كانت لوتشيرا هي إقليم فوجا، بينما نوتشيرا هي إقليم سالرنو؛ وليس هناك أي وثيقة تدل - كما أن هذا بعيد عن الحقيقة - على أن فدريكو قد جمع جالية ثانية من المسلمين في نوتشيرا، كما كتب بعض الكتاب وكما يقال اليوم أيضاً في تلك البلدان (1).

إن نظم هذه الجماعة والشهرة التي نالتها في الحرب طوال ما بقي من حكم أسرة زيفيا وفي بدايات حكم الأنجوينيين لجديرة بأن تكون موضوعاً خاصاً في دراسة التاريخ، ويجب قبل كل شيء أن تتم - لهذا

(1) يبدو أن الخطأ خطأ مباشر لأن الرسالة التي كتبها جريجوريو التاسع إلى فدريكو (في كتاب برموللز، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص 187) طالباً منه فيها أن يجعل أولئك السواسنة الذين يقال عنهم إنهم ينتمون الإيطالية جيداً، يستمعون بمسور إلى الرهبان الوهاط، وتذكر المدينة باسم *Nuceria Capitanata*، واسم الإقليم لأبدع مجاًلاً للشك في المصانة المذكورة. ولكننا نقرا في كتاب ريكاردو دا سان جرمافو، وهي وثائق فدريكو ووثائق الشاتيكان الكثيرة، اسم لوتشيرا قراءة صحيحة. وقد لاحظت تبديل الاسم جوهاني فيللاتي، الكتاب السادس، الفصل الرابع عشر، حيث تحدث عن سراسنة «لوتشيرا»، وهي اليوم نوتشيرا في بوليا؛ ولكن كتاب المدونات، نسوا هذا التنبه وتناقلوا من جيل إلى جيل هذا الخطأ الذي لهه سببى زمناً طويلاً في أفواه وفي كتابات من يدرس التاريخ في الموزجات غير المدققة. ومن الخطأ كذلك القول بأن نوتشيرا بإقليم برينشيباتو قد ظهرت كتيها في عصر كارلو دأنجو الثاني كما يبدو الاعتقاد. وهناك وثيقة ترجع إلى سنة 1221، مأخوذة من *Bullario Cassinese*، ومذكورة في كتاب برموللز، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص 119 تطلق عليها اسم "*Nuoceria Christianorum*". ويبدو حقيقياً أن سنة "*Pagenorum*" قد أطلقت عليها بسبب القرى الكثيرة المحيطة بها، أو بسبب تأخر اعتناق هؤلاء السكان المسيحية. انظر بانتيكيللي، *Il Regno di Napoli in prospettiva*، نابولي، 1903، الجزء الأول، ص 116؛ والجزء الثالث، ص 106، في فصلي نوتشيرا ولوتشيرا

الفرض - دراسة سجلات الأنجونيين صفحة بعد صفحة وكذلك الرفوق المعاصرة الكثيرة المحفوظة في محفوظات نابولي، إن رغبتى التى صرحت بها قبل سنوات عديدة القيام بهذا العمل والذي كانت تعوزنى آنذاك الوسائل للبحث عن مصادره، قد أحجم عن القيام به لأنه يبدو لى الآن أن الأولان قد فاتا(1). ومع كل هذا فإن الموضوع يدفعنى إلى البحث عن أصل ذلك الشعب، وأقول إنى أعتقد أنه كان شعباً صقلياً تماماً. ولو لم تكن أخبار ماتيو سيبينيللى التاريخية مثار شك الآن من رأسها إلى عقبها لشككت فى ذلك الموضوع الذى يؤكد فيه أن هندريكو قد جلب فى سنة ألف ومائتين وأربع وثلاثين إلى كلابريا سبع عشرة جماعة من سراسنة البربر. إن امرأ خطيراً إلى هذا الحد، يسكت عنه المعاصرون، ولا يتفق مع ظروف مسلمى شمال أفريقية فى ذلك العصر، يبدو أنه قد كتب وصيغ فى الوقت الذى كان فيه الباحثون، لعدم معرفتهم بتاريخ مسلمى صقلية، لا يجدون فيه تفسيراً آخر لذلك العدد الكبير من المسلمين الذين كان يقودهم الإمبراطور هندريكو فى حروبه(2).

وبينما كان المبعوثون إلى ماوراء الفارو يرتبون أمورهم فى الموطن الجديد، فإن الذين بقوا فى صقلية أهدوا جزئياً عن مواطنهم. ويشهد حجم سجلات هندريكو التى وصلتنا والتى كتبت فى المراسم الصادره فيما بين سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين وألف ومائتين وأربعين أنه قد تم إرسال مسلمين للخدمة، ولا نعلم إن كان بوصفهم جنوداً أو عمالاً يدويين، فى القلاع الملكية فى سيراكوزا ولنتيني(3)، أى فى أقصى الطرف الآخر من الجزيرة. وهى السنة نفسها فإن

(1) المقدمة، ص ٢٠ و ٢١.

(2) علمت أن باحثاً من نابولي يستند للتقيد رأى برنيلدى ودعشه الذى يقول بأن أخبار سيبينيللى التاريخية زائفة. ولذا فإننى أنتظر هذا الدفاع قبل أن أصدر حكماً على مسألة بهذه الخطوة.

(3) وثيقة ١٧ نوفمبر ١٢٢٩، كركانى، ص ٢٧٠: برهولتز، المجلد الخامس، ص ٥٠٩.

سكان الكثير من الكفور التي كانت على ما اعتقد تابعة لبالرمو، والذين لم يتمردوا أو لم ينالوا الصلح والعمو، كانوا يأتون إلى العاصمة، إلى حي سراقاضي، الذي كان يطلق عليه في القرن العاشر حي سكياقوني والذي يسمى جزء منه اليوم كابو وجزء آخر بندييرا. ولما كان يبدو أن أولئك لم يحزموا أمرهم للاستقرار هنالك، كما كان يرجو الإمبراطور، فإنه كتب إلى موظفيه أن يشجعوهم بشكل فعال على ذلك، وأن يعدوهم باليمن والنعم، وأرسل للفرض نفسه رسائل ملكية موجهة إلى السراسنة<sup>(1)</sup>. ويوجد مکتوب آخر لفدريكو، تم ترويجه قبل أو بعد هذا، يفيدنا بأن أمين إقليم ما وراء نهر سالسو قد أفتح السراسنة بتحسين مساكنهم الوضيعة، وقد نال هذا رضا الإمبراطور. وأنه بعد العدة لتفويض من يجمع الرسوم والضرائب من هؤلاء السراسنة، ويظهر كذلك سعادة الإمبراطور بأن سكان الإقليم قد قرروا التوقف عن عاداتهم وأعمالهم الخفية، وأنهم يخشون أن يصبحوا أشرا<sup>(2)</sup>. ولا نعلم من أية أمة كان أولئك الرجال في سنة ألف ومائتين وأربعين الذين كانوا يسكنون كفور أركوراتسي وأندرائي والذين صدرت الأوامر لهم بالانتقال إلى الكفور الجديدة التي تم بناؤها شرقي وغربي چرچنتي<sup>(3)</sup>. بل لدينا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه في سنة ألف ومائتين واثنين وأربعين كانت أراضي تشيفالا في إقليم بالرمو لا تزال مأهولة. كلها أو بعضها، بفلاحين مسلمين. ولما كان جوفريدو، وهو كاهن كنيسة بالأتينا في بالرمو، لا يعلم على وجه التدقيق حدود ضيقة خاصة بمستشفى سان لورنسو في تشيفالا، والتي كانت في حيأزته وقدمتها له كنيسة چرچنتي، فإنه طلب من

(1) جزء غير منشور من سجل فدريكو، أخرجه إلى التور برهولتز، المرجع المذكور. المجلد الخامس، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(2) وثيقة ١٦ ديسمبر ١٢٢٩، كركاني، ص ٢٩٧: برهولتز، المجلد الخامس، ص ٥٩٥ و ٥٩٦.

(3) وثيقة نوفمبر ١٢٢٩، التي ذكرناها قبلاً، في كتاب برهولتز، المجلد الخامس، ص ٥٠٥.

أمين صقلية أن يتم تحديد حدودها بواسطة رجال القانون في أراضي فيكارى القرية بناء على شهادة الرجال الصالحين والشيوخ. وقام الأمين. واسمه أوبرتو هاللاموناكا، بعد أن استوضح تلك الحدود كما طلب منه، بإرسال شهادة باللغتين العربية واللاتينية، ووضع خاتمه في نهاية الرق وأضاف بالعربية الصيغة، «تحرر بأمرنا». ولأن الوثيقة ليست مستخرجة من وثائق قديمة بتلك اللغة، بل هي وثيقة جديدة، فإنه يبدو لي واضحاً أن المُحرّر العربي قد حرّر لاستخدامه من جانب سكان المكان(1). وتدلل على استمرار وجود المسلمين في هال دي مازارا وحياتهم حياة الرعاة، محرّرات نوفمبر سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين ومارس سنة ألف ومائتين وأربعين؛ وتتاول أولهما تحصيل الإيجار من المراسنة الذين يرعون بالتقاسم قطعان الدولة(2) وتشير ثانيتهما إلى سبعمئة من النعاج قام بتسليمها جوفولوني (خلفون) المسلم، وكانت تقدم مثل غيرها ضريبة، لحساب البلاط(3).

(1) نشو يبرو جزءاً من المحرر اللاتيني من هذه الوثيقة. في المرجع المذكور، ص ٧٦١. دون أن يشير إلى النص العربي المكتوب في بداية الفرق الأصلي. ولقد قمت بنسخ النص في مخرجتي في شهر مايو ١٨٦٨ عندما طلب مني تفسيره المحامي جوزيبي بيكوني وهو من المهتمين والمحبين لتاريخ بلاده. وتاريخ الوثيقة هو ١٠ يناير سنة ٦٧٥ تماماً كما يتكوه يبرو. أما الخط العربي فهو رديء ومتداخل ويختلف تمام الاختلاف عن خط وثائق العصر النورماندي، ويبين ظهور أحوال مسلمى صقلية في ذلك الزمان؛ ومع كل هذا فإن النحو والإملاء صحيحان إلا فيما ندر.

والشهود الذين طلبت شهادتهم يطلق عليهم النص العربي «رجال صالحون، وشيوخ، والأسم الأول هو ترجمة «رجال طيبون» التي كانت تستخدمها الإدارات اللاتينية واللاتية كلمة عربية. ولكن يبدو لي أنها مستخدمة استخداماً توجسباً لكلمة كيهول ولا تدل - في رأيي - على أن رجالاً مشهورين مسلمين كانوا لازالوا يقيمون في فيكارى. والخاتم من الشمع الأخضر توجد به حول الشعار Libertus Fallamonaca وهي كتابة تقدم الاسم الصحيح لهذه العائلة والذي أصابه التفتير في الوثائق بسبب التهجئات اللاتينية، وتفيد في الدلالة على جودة السلك الإيطالي للكلمات التي تتكون منها.

(2) في كتاب كركاني، ص ٢٦٨. وفي كتاب برهولتز، المجلد الخامس، ٥٠٦ - ٥٠٥. (3) وفاق ١٢ مارس ١٢٤٠. في كتاب كركاني، ص ٢٧٠ - ٢٧٢. وفي كتاب برهولتز، المجلد الخامس، ص ٨٢٢ وما بعدها.

لقد استخدم هدرىكو الطاغية والتاجر والمالك الكبير لأراضى استعبدت أو صودرت، بمقليته المجددة الجريئة، ذلك العلاج المؤلم الا وهو نقل السكان؛ وكانت عملية النقل هذه فى القرن الثالث عشر اقل صعوبة ولعلها كانت اقل قسوة مما لو حدثت فى المجتمع الحديث، بسبب ضمان الملكية وتوزيعها وبسبب وسائل الراحة الكبرى التى اعتاد عليها الناس الآن. لقد كان لزاماً علينا أن نذكر منذ قليل بعض المدن التى دمرها الإمبراطور وبعض المدن الأخرى التى أسسها وأقامها ونقل إليها سكان المدن الأولى(1). وإلى جانب هذا فإننى أظن أن تمرد المسلمين قد أصاب بالاضطراب التوازن السكانى بشكل آخر لم تشهد لنا به أية مذكرات معاصرة؛ أى انه أدى إلى هجرة سكان المدن من الأثرياء ومن العاملين الكادحين إلى إفريقية. فتحن نرى أن مركزين ضخمين من مراكز البرجوازيين المسلمين قد تضاعل حجمهما كثيراً فى ذلك الوقت؛ ترابانى، التى كانت توزع فيها الأراضى فى بداية عام الف ومائتين وأربعين على السكان الجدد(2)؛ وبانرمو التى مُنحت فيها، فى عام الف ومائتين وتسعة وثلاثين، لسكان جدد بعض الأراضى بالقرب من قصر زيزا بقصد زراعة الكروم. ونلاحظ فى الوثيقة نفسها أنه قد تم هجر بعض البيوت الصغيرة فى وسط المدينة، وأنه قد قل عدد المزارعين فى مزرعة كبيرة للتخيل فى ضيعة هافارا الملكية، وأنه لم يعد وجود فى بالرمو لمن يعرف كيفية استخراج السكر. وعندئذ طلبت جالية من يهود جاربو أى من اسبانيا أو من دولة مراکش، ومنشقة على يهود بالرمو

(1) فى الأخبار التاريخية، أنونيمو، (نيكولو دي جامبيللا)، فى كتاب كاروزو. المرجع المذكور، ص ٦٧٨. يذكر أنه أسس فى صقلية أوجوستا، وإراكيا (وبقصد الحديث من تيرانوفا)؛ وفى كلابريا مونتيبونى وألبانيا؛ ودروردونا ولونشيرا فى بوليا، وفلاجيللا فى تيرادى لاأورو، وأنه دمر فى صقلية تشنتوريس وكابيسيس وترايانا؛ وفى إقليم بنشنتو المدينة التى تعمل نفس الاسم. وفى بوليا سان سيفيرو.

(2) وثيقة ١٤ يناير، فى كتاب كركانى، المرجع المذكور، ص ٢١٨، وفى كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٦٧٨.

وكان عددها كبيراً حتى إنها كانت تريد بناء معبد خاص بها وحدها، طلبت بيوتاً محددة في كاسارو، ولكن الإمبراطور - تفادياً لشكاوى المسيحيين، على ما يبدو - سمح بأن يمنح لهم مبنى في موقع آخر بالمدينة وأن يعيدوا بناء أحد المعابد القديمة، ولكنه لم يرد أن يقوموا ببناء معبد جديد. وهي الختام تفيدنا هذه الوثيقة بأن يهود جاربو قد حصلوا، بالإضافة إلى مزرعة نخيل فاظارا التي أعطيت لهم على سبيل المقاسمة، على أراضى أخرى في الضيعة نفسها لزراعة النيلة والحنة اللتان كانتا لا تزروعان آنذاك في صقلية(1).

وهجأة تظهر في أحد الأخبار التاريخية اللمحة التالية: إنه في شهر يوليو من الخمسمشرية الثالثة، أي في سنة ألف ومائتين وثلاث وأربعين، صعد كل سراسنة صقلية الثائرين إلى الجبال واستولوا على چاتو وإنتيللا(2)، وهما قلعتان منيعتان بطبيعتهما وتبعد الواحدة عن الأخرى نحو عشرين ميلاً. وقد سبق الحديث عنهما(3). ونستخلص من هذا الحدث أن السكان المسلمين في هذا الوقت لم يبق منهم إلا جزء قليل في فال دي مازارا. وعلى الرغم من أن رواة الأخبار لا يذكرون سبب هذه الثورة إلا أننا نعلم أن الرعاة السراسنة الذين كانوا قد استأجروا قطعان البلاء قبل أربع سنوات كانوا مدينين بمبالغ كبيرة للخرانة العامة منذ وقت طويل. وقد أمر فديريكو أمينه بأن يصادر أملاكهم، وإذا لم يكن هذا كافياً، فليأخذهم ليعملوا في خدمة البلاء وأن يهتم بأن يوكل إليهم أعمالاً مضنية حتى يتعلم الآخرون أنه لا نهاون في حقوق الملك، وأن من لا يقوم بدفع الإيجار عليه ألا

(1) وثيقة ١٥ ديسمبر ١٢٤٩، في كتاب كركاني، المرجع المذكور، ص ٢٩٠. وهي كتاب برهوتلز، المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٥٢١ وما بعدها. وتقدم وثيقة أخرى بتاريخ ٢٨ نوفمبر، في كتاب كركاني، ص ٢٧٩، معلومات عن أن اليهود الذين تمهوا برعاية وإشمار حديقة نخيل فاظارا كانوا قد قدموا حديثاً إلى بالرمو. (2) *Appendice al Malaterra*. في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٢٥٢. (3) الكتاب الخامس، الفصلان الثالث والسادس، ص ٩٤ و١٦٢ وما بعدها من هذا المجلد.

يطلب العمل(1). فلما أصابهم اليأس، وسوء المعاملة، وهم المعتادون على الجرائم، ولما علموا - ربما - ببطولات إخوانهم في لوتشيرا تحت رايات الإمبراطورية، فإنهم اتقوا بأنفسهم في الثورة أو الحرب - كما يقال - ضد كل سادة هذا العالم؛ وعندما بدأت هذه الحركة في مكان، كان لابد أن تنتقل بسرعة غير عادية إلى كل الأماكن الأخرى في مناخ الشك المستمر والكراهية المتنامية يوماً بعد يوم، وفي ظروف العنف المستمرة التي كان يعيشها المسيحيون والمسلمون. وفي القرن الثالث عشر كانت أمارات المبودية تظهر على وجوه العبيد الصقليين وملابسهم ولغتهم ورمز إيمانهم وبؤسهم؛ وإذا ما ثارت مجموعة منهم كان الآخرون جميعاً يسيرون خلفهم. وعلى الرغم من أن الفقر ليس رفيقاً طيباً في الحرب، إلا أنه يبدو أن آخر بقايا ذلك الشعب المعتر بنفسه قد قاومت لأكثر من ثلاث سنوات القوات الإمبراطورية. وتقول الأخبار التاريخية إن الإمبراطور - في الخمسة عشرية الخامسة، سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين، أرسل مع الجيش الكونت ريكاردو دي كازرنا، الذي طردهم من صقلية. وينبغي أن نضيف سنة إلى هذا التاريخ ليصبح سنة ألف ومائتين ست وأربعين. في شهر أغسطس، حين كتب فريكو رسالة ساخطة يقول فيها للمتمردين إنهم إن كانوا رجالاً حقاً لما بقوا بتلك الثقة البهيمية في انتظار نزول سيف الانتقام فوق رؤوسهم، ويختتم قائلاً إن لم يتوقفوا خلال شهر فسوف يرون حقاً نتائج هذه التهديدات(2). ويبدو أن الإمبراطور قد كتب في شهر نوفمبر من هذه السنة كتاباً إلى (تزلينو) الرهيب يقول فيه إنه قد

(1) وثيقة ١٧ نوفمبر ١٢٢٩. في كتاب كركاني. ص ٢٦٨. وفي كتاب برهولتز. المجلد الخامس، ص ٥٠٤. ونقرأ في هذه الوثيقة، في صفحة ٥٠٥ من طبعة برهولتز "et eos per opera maran [orum] curie nostre facies applicari" استبدال كلمة *maran [me]* التي تعني «المعمل» - المصنوع، بالإضافة إلى أن لفظة *"marani"* لا معنى لها في هذا السياق. ولقد رأينا قبلاً أن فريكو كان يستخدم في تلك الوقت سراسنة في قلاعه في سيراكوزا ولنتشى.

(2) في كتاب برهولتز. المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ٤٥٦.



أصبح حراً من المشكلات التي كانت تمنعه حتى ذلك الوقت من نجدة الأصدقاء: ومن بينها طيش أولئك السراسنة، الذين ظلوا يقاومون مقاومة عنيدة وقد تحصنوا بالجبال، وأخيراً هبطوا من فوقها يطلبون المظف والرحمة<sup>(1)</sup>. وهذا يدل على أنهم لم يهزموا في معركة حربية، وإنما خضعوا بسبب الجوع. وأمر فدريكو بنقلهم إلى لوتشيرا<sup>(2)</sup>. ومنذ ذلك لم ترد أي أخبار عن مسلمين في صقلية؛ ومن هنا فإنه من الواضح أنه إن كان قد بقي بعض منهم، فإنهم قد اعتنقوا دين الفالبيين، وكما فعل غيرهم من رجالهم طوال قرن ونصف منذ الفتح، فقد اختلطوا بالشعب الجديد الذي أخذت الميزات الأصلية تذوب فيه.

ومثل أورستي في الأسطورة الإغريقية، يبدو أن القدر كان يدفع فدريكو للتضحية بمعلميه، سواء كانوا شخصيات اعتبارية مثل السلطات البلدية والبارونات والبايوية أم كانوا شخصيات مثل رئيس الديوان جوالتييرو دي باليار، وكونت مالطة وبييرو ديللا فونيا. وفي الحقيقة إن حفيد بارباروسا الذي ولد في إيطاليا، ونما وترعرع بين أعداء اسمه الطبيعيين، كان عليه أن ينتزع منهم تلك السلطة التي كان يبدو له أنها قد انتزعت من أسرته وبيته؛ ولهذا فقد تخلص من هؤلاء الأشخاص عندما استطاع إلى هذا سهلاً، وهاجم السلطات بأن وجه سيفه إلى الرجال الذين كانوا يساندونها، وبأن حارب الأفكار المعادية

(1) المرجع المذكور، المجلد الخامس، ص ١٧١. لا يوجد تاريخ في هذه الوثيقة.  
(2) *Appendice al Malaterra*. المرجع المذكور، ص ٢٥٢. في رسالة الراهب كورانو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٢٩. تم نسخ هذا الفصل من فصول *Appendice* مثل غيره من الفصول الكثيرة، ولكننا نجد فيه اسم لوتشيرا بدلاً من لوتشيرا.

ويوجد نيكولو دي جامبيللا، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٦٧٧ وما بعدها، في البداية أخبار الحرب فيقول: «إن فدريكو قد انقلب في صقلية على السراسنة الذين تمردوا وهو طفل واستقروا فوق الجبال العالية، فطردهم منها إلى السهل بأسلحة قدرته وحكمته، وأرسل جانباً منهم في البداية ثم بعض الوقت أرسلهم جميعاً على وجه التقريب، للإقامة في بوليا بموجب عهد عادل بالخضوع، في المكان المدعو لوتشيرا».

بأسلحة العقل، التي نقصت فوق معدن الحرية الأزلي الذي كانت البلديات تتلوق به، ولم تنجح إلا قليلاً في خدش المملكة الثلاثية القائمة على التيقراطية اليهودية واستبداد روما والبربرية الشمالية. وقد عانى ميلمو صقلية من المصير نفسه الذي لاقاه كل معلم آخر من معلمى ذلك الشبل، ليس بسبب غضبه وحنقه، وإنما لأنه لم تكن لديه القوة القاهرة على انقاذهم من أعدائهم، كما كان يتمنى. وقد دلل على هذا بأن حوّل المتمردين منهم إلى جنود في حرسه الإمبراطوري. وإلى جانب هذا فإن عادات المراهقة، وعبقرية التحضر، وحب العلم والدرس، والخصومة الفلسفية والسياسة ضد روما، قد جعلت الإمبراطور، أكثر من أى رجل آخر في أوروبا في ذلك القرن، يكرمهم ويؤثرهم.

## الفصل التاسع

دفعت عبقرية التحضر، والمنفعة السياسية ومصالح صقلية التجارية، ومصالحه الخاصة، فديكو إلى اتفاقات متتالية مع أمراء المسلمين. ولقد أشرنا إلى المعاهدات التي جرى توقيعها معهم من جانب الجمهوريات البحرية، كما وصفنا المعاهدات التي عقدها الكونت روجيرو وابنه مع الزيريين، ومعاهدات جوليلمو الثاني مع امبراطورية الموحدين الجديدة<sup>(1)</sup>. وفي زمن فديكو كانت هذه الامبراطورية قد تقلصت وبقي لها على وجه التقريب دولة مراكش الحالية وجزء من أسبانيا؛ ولا توجد أي مذكرات من ذلك الوقت عن عداء بين تلك الامبراطورية وصقلية. ولا نرى دافعا لمثل هذا العداء: بل يبدو أن السلام الذي ساد في عصر النورمان قد استمر ولم ينقطع. فنحن نعلم أن اوبرتو فاللاموناكا الذي كان من أوائل قضاة فديكو في صقلية<sup>(2)</sup> قد ذهب في سنة ألف ومائتين وواحد وأربعين سفيرا إلى مراكش<sup>(3)</sup> ويشير إلى هذه البعثة أو إلى بعثة أخرى سبقتها أو تلتها مبعث «مباحث صقلية» لابن سبعين الذي نقرأ فيه أن الامبراطور صاحب صقلية كان قد أرسل بهرا مع سفيره إلى الخليفة الموحد مسائل المنطق والحساب التي سنتحدث عنها في الفصل التالي.

في تلك الأثناء أدى سقوط دولة الموحدين إلى عودة ظهور دولة أكثر قوة مما كانت عليه في عصر الزيريين. وأطلق عليها

(1) انظر الكتاب الخامس: الفصلين السادس والعاشر، وفي هذا الكتاب، الفصل الأول والثاني والخامس، ص ١٦٢ و ١٧٠ و ٣٢٨ و ٣٦٢ و ٣٨٩ و ٤٩٤ - ٤٩٥.

(2) انظر الفصل السابق، ص ٥٨٧.

(3) حاشية مالاتيرا، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٢٥٢.

المسيحيون مملكة تونس لأن الموحدين كانوا قد جعلوا من هذه المدينة عاصمة للأقليم، ولأنها كانت أكبر المدن من حيث عدد السكان وازدهار التجارة، ولأنها كانت أقل تحصينا أمام قواتهم من قلعة المهدية التي جلبت لهم سوء الطالع. ووقعت بعد ذلك أحداث الولايات الإسلامية الكبيرة التي لم يكن هنالك مناص منها، فلما كان خليفة الموحدين الناصر غير قادر على إدارة الولاية فقد أقام على حكمها (١٢٠٧) رجلا من ثقات دولته وهو: أبو محمد بن أبي حفص عمر، الذي كان شيخا لقبيلة مصمودة البربرية فقد كان أبرز قادة الموحدين لشجاعته وحكمته، كما كان مساعد عبد المؤمن ومعينه ومعين أبنائه. ولكن الجيل التالي من بني حفص، كما كانوا يسمون نسبة إلى مؤسس عائلتهم. كانت قد تآصلت جذوره في الولاية، ولم يكن للخلفاء البعيدين، والذين تدهورت بهم الأحوال من أب لابن، السطوة أو القوة لإبعاد هؤلاء الحكام؛ ولهذا فإن أبا زكريا بن أبي محمد اغتتم الفرصة والفرصة (١٢٢٨) خضوعه للخليفة المأمون، بوصفه باغ ومستبد. ولم يمض وقت طويل (١٢٣٦) حتى وضع حدا لكل التباس، وأمر بأن ينادى باسمه في صلاة الجمعة بوصفه أميرا، وترك لرجال حاشيته التباهي بإضافة «للمؤمنين» لاستكمال اللقب الشريف، الذي تلقب به عبد المؤمن وهارون الرشيد والخليفة عمر الذي كان العفصيون يتفاخرون كذبا أنه أصل ذريتهم<sup>(١)</sup>. وينبغي أن نلاحظ أن الحفصيين قد اعتادوا أن يدعوا بالكنية، أي بلقب العائلة، وأن والد وجد أبي زكريا كانا يلقبان بالشيخ فقط، وهو لقب تكريمهما في القبيلة كما كان أساس سلطتهما الحقيقي<sup>(٢)</sup>.

لقد ذكرت هذه التفاصيل لتوضيح معاهدة الإمبراطور هنريكو

(١) انظر التسبب الحقيقي والنسب المتشغل، في: ابن خلدون، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٨١ من الترجمة الفرنسية.

(٢) ابن خلدون *Histoire des Berbères*، المجلد الثاني، من ص ٢٨٠، إلى ص ٢٩٨، وفيه يصف أولئك عهد العفصيين حتى الغتصاب السلطة من جانب أبي زكريا.

التي توجد لدينا منها ترجمة لاتينية فقط، وهي ترجمة مضطربة إلى حد ما، ولكن كثيرا ما يظهر من خلالها النص العربي الأصيل وأحيانا الأخطاء التي وقع فيها مترجم النص. وتحمل المعاهدة تاريخ الخامس عشر من جمادى الثاني من سنة ستمائة وثمان وعشرين (٢٠ أبريل ١٢٢١)، بعد ما أعلن أبو زكريا عدم خضوعه للخليفة المأمون. دون أن يعلن صراحة استقلاله عن الخلافة! وتقدم المعاهدة بضع كلمات شهادة على مرحلة الاغتصاب هذه. فلو أن هذه المعاهدة لم تتم باسم الأمير أبي زكريا، وإنما باسم «فضيلة الشيخ» (١) أبي اسحق، ابن المرحوم الشيخ أبي إبراهيم، ابن الشيخ أبي حفص، لما كان علينا نحن أن نشكك في صحة المعاهدة. ويمكننا شرح هذا بناء على افتراضين كلاهما مقبول ومتساو: وهما أن أبا زكريا كان له ابن العم ذاك غير المعروف في مذكراتنا (٢) وأنه تركه نائباً عنه في تونس عندما مضى هو حتى وركله لمطاردة ابن غانية ذاك، الذي أزعج بسطونه البلاد طيلة خمسة وأربعين عاما (٣).

(1) Senior، في الترجمة اللاتينية.

(2) في البداية أود أن أتبه إلى عدم إمكان قبول افتراض صديقي العلم هويلارد . برهولز، أي أن Abou-Zak المذكور في الترجمة يتنبأ أن، نقراء Abou-Zak، وأن هذا الاسم هو اختصار أبي زكريا، ونأهيك عن عدم وجود أدلة لعل هذا الاختصار وعن عدم اتساق الصروف، فإن اسم الأب غير مطابق. فهو مذكور هنا أبو إبراهيم بينما كان والد أبي زكريا يدعى أبا محمد.

واسم أبي اسحق ليس جنسها في الأسرة الحفصية، فقد أطلق هذا الاسم على ابن أبي زكريا نفسه، طبقاً لما ذكره ابن خلدون. المرجع المذكور. المجلد الثاني، ص ٢١١ وص ٢٥٥. ويظهر أبو إبراهيم، والد الموقع على المعاهدة، وابن أبي حفص وابن عم أبي زكريا، يظهر سنة ١٢٢٧ حيث كان حاكماً لكاستيليا في أفريقية نائباً عن أخيه الآخر أبي محمد (الثاني) الذي كان حاكماً لأفريقية، نقراً هذا في كتاب ابن خلدون، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٩٧، وبناء على هذا فمن المحتمل أن يكون أبو زكريا قد استعمل في وظيفة عليا ابن عمه هذا.

(3) ابن خلدون، المرجع المذكور. المجلد الثاني، ص ٢٠١، حيث يروي أن أبا زكريا بمجرد توليته على أفريقية، أخذ في مطاردة ابن غانية. وقد أشرنا إلى هذا القائد في هذا الكتاب، الفصل الخامس، ص ٩٢٠ من هذا المجلد.

ثم إن صيغ المعاهدة تتفق مع صيغ معاهدات مثيلة نعرفها، وهي معاهدات أصيلة بكل تأكيد؛ كما أن جانباً من شروطها يتفق مع الشروط التي اعتد الاتفاق عليها بين مسلمي الغرب والجمهوريات الإيطالية الواقعة على حوض البحر المتوسط، ويتساوى الجزء الآخر مع الملاحظات الخاصة بدولة تونس مع صقلية ونذكر من بين أوائل هذه الشروط الهدنة الموقعة لمدة عشر سنوات، وتبادل الأسرى الذين لم يعتنقوا دين الدولة الأخرى؛ وعدم إخضاع تجار ورحالة صقلية وكلايريا وبرينشيانو وبوليا لأي ظلم وجور في أفريقية، ومعاملة الأفريقيين كذلك معاملة مماثلة في تلك الأقاليم، ورد الأسلاب التي سلبها القراصنة من رعايا فندريكو، مع استبعاد الخاضعين لجنوة وبيزا ومارسيليا وفينسيا من هذا صراحة فهم قد عقدوا معاهدات لهذا الغرض مع خليفة الموحدين<sup>(1)</sup>، وعدم النص على المعاملة بالمثل في هذه المعاهدة، إن لم يكن ناتجاً عن اغفال من جانب المترجم فإنه قد يدل على أن الأفريقيين قد توقفوا في ذلك الوقت عن أعمال القرصنة بعد أن تفوقت عليهم القوات البحرية الإيطالية. أما وقد مارسها المسيحيون في الأجزاء الجنوبية من البحر المتوسط وحتى داخل الأراضي فإن هذا ما سنلاحظه من الفصول التالية التي يضمن فيها فندريكو عدم تعرض محاربيه وتجاره للمسلمين الذين يسافرون من مكان إلى آخر في أفريقية، أو من أفريقية إلى مصر سواء بالمرائب أم بالقوافل؛ وبعد ذلك بالآثار يشارك رعاياه في الحروب الأهلية في أفريقية، ولا يقوموا بالسلب والنهب، ولا يقتادوا إليها أسرى وعبيد بالقوة أو إذا ما لجأوا إلى سواحل أفريقية بسبب أنواء البحر فلا يسيئوا إلى سكانها؛

<sup>(1)</sup> "Cum declaratum sit quod isti populi pro personis et statu iam pacem inierint cum donino nostro califa sacerdote imperatore Fidelium" هذه هي الترجمة. والنظ الذي تمت ترجمته sacerdote هو بلا شك إمام؛ وكل من هذه الألقاب الثلاثة الموجودة مما تتساوى مع الألقاب التي اتخذها أمراء الموحدين.

وهي كل هذه الأحوال يتم التعميض عن الأضرار. وهي مادة اضيفت في النهاية يسمح فدريكو للمسلمين أن يرسلوا بضائهم إلى مملكته وأن يأخذوا منها بضائهم، على أن يقوموا بدفع عشر قيمتها. وقد أدى جهل الناسخين إلى نسبة مادة مهمة من مواد المعاهدة إلى كورسيكا، وهي مادة تتعلق بلا أدنى شك بكوسيرا، أو كما يطلق عليها اليوم بنتلاريا؛ ولم يتم أحد من النقاد بتصحيح الخطأ حتى وقتنا هذا. اتفقت الدولتان بشأن هذه الجزيرة على اقتسام الأمور فيها: فقد اتفقتا على ألا يكون للمسيحيين أي اختصاص قضائي على المسلمين، وإنما يختار ملك صقلية حاكما مسلما يقوم على إدارة شئون الوجوديين وأفسرها أنا على شئون الوهابيين، وأن يتم اقتسام الدخل العام بين الدولتين مناصفة (1). وهذه المعاهدات الخاصة

(1) هذه المعاهدة التي ترجمها من العربية إلى اللاتينية شطص يدعى ماركو دوبينو شينرون قام بنشرها في البداية لينينز، *Codex jur. gent. dipl.*، المجلد الثاني، ١٣: ثم نشرها تونج، *Codex Ital. dipl.*، المجلد الثاني، ٨٧٨: ونشرها ديمون، *Corpus dipl.*، المجلد الأول، ١٦٨: وبرهولتز، المرجع المذكور، المجلد الثالث، ٢٧٦. مع بعض البدائل الجيدة التي أخذها من إحدى مخطوطات باريس؛ وفي الختام نشرها مارس-لاتري، *Traité de paix et de commerce etc.*، باريس، ١٨٦٦. من ١٥٢ وما بعدها. وأخشى أن يكون الأصل قد فقد أثناء حريق الاسكوريال، لأن العالم الأستاذ جيانجوس رد على سؤالي منذ سنوات بعيدة بأنه لم يجد موجودا في أسبانيا على الرغم من أنه بحث عنه كثيرا.

ويبدو لي أن شينرون قد قرأ خطأ عندما من الألفاظ في المادة الخاصة بينتلاريا والتي تبدأ هكذا: "Et etiam detur illis dimidium tributii insule C... signatum et ordinarium tempore messis solide." وعلى القنصل من هنا اعتبرت بنيل الترجمة التالية "sini navigantes et iter facientes cum consules eumibus ad Africam" ومن هنا فقد كتبت «سواء بالبحر أم بالثوافل». وعلى الرغم من أن لفظ *carovana* نجده كثيرا في وثائق فدريكو اللاتينية، بمعنى مجموعة من المراكب، أو كما نقول اليوم، «قافلة من المراكب»، فإن معنى الجملة يدل دلالة أكبر على قافلة برية؛ ولا أعلم إن كان تعبير «قافلة من المراكب» كان مستخدما في زمن شينرون. وعلى أية حال فهناك أمثلة على غارات البصارة المسيحيين الذين نزلوا إلى أفريقيا. ففي سنة ١٢٨٤، أي بعد نصف قرن من معاهدة فدريكو الثاني، أخذ غليون قتلاني من أسطول صقلية مرقم بن صابر زعيم قبيلة حوارة العربية بينما كان يركض بجواده متوجها إلى تونس وإفنادة إلى مسينا حيث ظل رهنقا لكارلو الأخرج في السجن.

ببنتلاريا تتسق تقريبا مع المعاهدات التي افترض ابن خلدون عقدها بين الاميرين نفسيهما لصالح مسلمي صقلية كافة؛ ومن هنا فإن الرواية التاريخية تضعيف بكل تأكيد مصداقية للوثيقة(1). ولكن الوثيقة، فيما أرى، تعمل على تصحيح الرواية أكثر مما تسعى لتأكيدھا، ذلك أنه من الواضح أن تلك الظروف يمكن أن تتسق مع جزيرة صغيرة تقع بين أوروبا وأفريقية وليس مع كل جماعات المسلمين التي بقيت في صقلية بعد عمليات الإبعاد والإقصاء التي جرت في سنتي ثلاث وعشرين وخمسين وعشرين. وأظن أنه لا بد أن نقرأ الوهابيين لأننا - من جانب - لا نعلم، ولا يبدو لنا قريبا من الحقيقة أن يكون قد جرى نقل جماعة من «الوحدويين» إلى بنتلاريا، وهو ما يعني أن يكونوا من طائفة الموحدين المعروفة في ذلك الوقت، كما لا يمكننا أن نعتقد أن هذه الجماعة التي تنتمي إلى القبيلة التي كانت لها الغلبة والسطوة قد تركت تحت سلطة حاكم صقلی. وبالتالي في وضع أدنى من غيرهم من مسلمي البلاد(2). ومن جانب آخر نعلم أن ببنتلاريا لم يكن بها سكان مسيحيون في النصف الثاني من القرن الثاني عشر(3)؛ وأن الجغرافيين المسلمين في القرن الثالث عشر

لاحظ أن جريجوريو، عندما تحدث عن هذه المعاهدة في *Considerazioni*، الكتاب الثالث، الفصل الثامن، أكد أن قراءة كورسيكا قراءة خطأ.

(1) انظر الفصل السابق، ص 570 من هذا المجلد.

(2) نقرا في الترجمة: *"neque habeant christiani... jurisdictionem super ullum mahometanum, preter prefectum mahometanum, missum... ad regendum tantummodo populus unitatis"*، وإلا لا يمكننا أن نقر. للأسباب التي ذكرناها في المتن. أن يكون هؤلاء الوحدويين هم الموحدون، أو أن يكون معنى *"populus unitatis"* هنا هو المسلمون عامة، فإنني أرى أن شيثون قد قرأ الوهابيين وأنه لعدم معرفته باسم هذا المذهب، الذي استقى من اسم مؤسسة عبد الوهاب، فقد ترجم اللفظ ترجمة تقريبية *"Unitarii"* الوحدويين. وجمال يطأطره أن الوهاب هو أحد أسماء الله الحسنى، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلا بد أن يكون المترجم قد أخطأ جملة قد تمنى أن حاكم الموحدين أو المسلمين المتضمنين إليهم كان لابد أن يمين من جانب تونس.

(3) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص 511 من المجلد.



كانوا يعدون كل أهاليها من الوهابيين(1)، أى من أتباع مذهب تأسس بين بربر القرن التاسع ثم بقى فى جزيرة جربة(2) حتى القرن الرابع عشر على الأقل؛ وأن أهل بنتلاريا كان يسميهم المسلمون المعاصرون باسم مكروه يطلق على المؤمنين الذين يخضعون للنير المسيحى(3)، كما لا يبدو حقيقيا الافتراض القائل بأن مسلمى صقلية قد لجأوا، فى زمن التمرد والثورة، إلى بنتلاريا وأن المادة التى نحن بصدد الحديث عنها كانت تشير إليهم.

وماهدة سنة ألف ومائتين وواحد وثلاثين، كما يرى الجميع، تفترض وقوع منازعات سابقة، أو على الأقل، إجمالا لاتفاقات جوليلمو الثانى، ويتفق هذا مع العمليات التى قام بها الأسطول الصقلى سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين(4). ولكن العهد قد تم الالتزام به وربما تم تجديده، على الرغم من الخلافات التى كانت تقع من حين إلى حين، مثلما وقع - على ما أرى - فى مسألة عبد العزيز، ابن أخ ملك تونس، الذى لجأ بعد اتهامه بجريمة ضد الدولة إلى بوليا قبل حلول صيف عام ألف ومائتين وستة وثلاثين؛ واستقبله الإمبراطور وكفله حتى ربيع سنة ألف ومائتين وأربعين على الأقل، التى نراه يقيم خلالها فى لوتشيرا مع ثلاثة من مساعديه ومع شخص يدعى برونى دا بالرمو، مكلف بخدمته أو بملاحظته. وقد اختلف هنريكو بشأنه مع البابا، الذى كان يريد من الإمبراطور أن يرسل إليه فى روما هذه الشخصية الكبيرة مدعيا أنه قد حضر إلى إيطاليا

(1) ياقوت، فى معجم البلدان، الذى وضعت مسئلة منه فى المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ١٦٤. وعن المباداة التى كان يمارسها ملك صقلية على بنتلاريا، انظر ابن سعيد، وشهاب الدين عمري، فى المرجع المذكور، ص ١٦٤. وص ١٥٠.  
(2) انظر التيجانى وابن خلدون، المذكورين فى الفصل الثانى من هذا الكتاب، ص ٢٨٧، الهامش رقم ٢.

(3) *Mudeggian* وتطلق كذلك *Mudjar* (*Mudejar*) و *Mudeggial*. قارن بين: الموسع المذكور - شهاب الدين عمري وبنووى، *Glossaire des mots espagnols et*، فى ملحق الإضافات، ص ٢٢٢.

(4) انظر الفصل السابق، ص ٥٧٧ و ٥٧٨ من هذا المجلد.

خصيصاً لكنى يعتق المسيحية وأن الإمبراطور كان يمسكه عن هذا. ولكن الإمبراطور نفى رغبة عبد العزيز أو منعه له؛ ولم يرد تحت أى شرط من الشروط أن يتخلى عن هذه الرهينة ليقدمه للبابا ولأصدقائه من الجولفيين(1).

ولم يكن هؤلاء خاملين لا عمل لهم في تونس. ففي أواخر سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين لاحظ الإمبراطور المكانة التي كان يحظى بها في تونس مواطنو جنوة وڤينيسيا وهما عدوتاه اللدودتان؛ ومن هنا فقد قرر إيفاد مبعوثه أريجو أباتي إلى الأمير أبي زكريا ونبه قائده أسطوله الكبير الأدميرال نيكولينو سبينولا أن يكون على أهبة الاستعداد. وأن يراعى في الوقت ذاته الهدنة التي منحها المظف الإمبراطوري لذلك الأمير(2). وانتهت المسألة، أيا كان سببها، بضرية ناجر أصابت هدفها. فقد كانت دولة تونس تعاني من القحط المعتاد. وكان أهل جنوة يأتون إلى صقلية لشراء القمح واحتكاره لحساب أبي زكريا. وكانوا يحققون من هذا أرباحاً طائلة. وفي نهاية فبراير من عام ألف ومائتين وأربعين أغلق الإمبراطور الموانئ، وأمر بتحميل خمسين ألف حمل من الحنطة على سفنه، وكلف قائد أسطوله بإرسالها لبيعها في تونس(3). وهذا يؤكد، إن لم يهائلي الصواب، قول سابا مالا سبيناً بأنه في وقت حرب سان لويجي الصليبية الثانية كان ملك تونس يدفع لملك صقلية مقابلاً أو جزية *redditum sive census* سنوية، لقاء حرية وصول المؤن من الجزيرة

(1) وثائق ٢٤ يونية و ٢٠ سبتمبر ١٢٢٦. و ٢٨ أكتوبر ١٢٢٨. في كتاب برهولتز، المرجع المذكور، المجلد الرابع، ص ٨٧٢ وم ٩١٢. والمجلد الخامس، ص ٢٥٥. وفي ص ٢٢٦ و ٩٠٧ هناك وثيقتان أخريتان بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٢٢٩ و ١٧ أبريل ١٢٤٠ تعلقان بالمسؤوليات الخاصة بذاك الأمير.

(2) وثيقتا ٢٢ يناير و ٦ فبراير ١٢٤٠، في كتاب كركاني، المرجع المذكور، ص ٢٢٦ و ٢٢٩. وفي كتاب برهولتز، المجلد الخامس، ٦٨٧ و ٧٢٦.

(3) نقرأ الوثائق في المجموعتين المذكورتين، في ص ٢٥٦ و ٢٦٠ من الكتاب الأول. وفي المجلد الخامس، ص ٧٨٢ و ٧٩٢ من الكتاب الثاني.

إلى تلك الدولة وتأمين سفنها من القراصنة الصقليين<sup>(1)</sup>. كان الأمر إذن يتعلق باتفاق أو تصالح، كما نقول اليوم، لخروج القمح. وفي الحقيقة فإن واقعة أهل جنوة الذين كانوا يحضرون لشراء القمح باسم ملك تونس، والاجراء الذي اتخذ فدريكو لإحياء عملهم يدفعاننا بالضرورة إلى افتراض وجود اتفاق يضمن لذلك الملك التجارة الحرة أو الخاضعة لضريبة ثابتة وممتدة. وهذا يعني أن التصالح كان يطلق عليه في بعض الوثائق المقابل، وأن مالا سبيننا قد أضاف إلى ميزة التجارة ميزة الملاحة الآمنة؛ وذلك إذا استطعنا افتراض أنه لم يكن على علم بالتفاصيل. وأن الرأي العام كان يخلط بين الشروط المالية للتجارة والشروط السياسية لهدنة سنة الف ومائتين وواحد وثلاثين التي أشرنا إليها. وأيا كان الأمر فإن المقابل كان في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الثالث عشر يبلغ ثلثمائة وثلاثة وثلاثين ألف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين بيزنطة وثلاث أي ما يعادل اليوم، حسب وزن الذهب، ثلثمائة وخمسة وعشرين ألف ليرة إيطالية، وكان سعرها في السوق في ذلك الوقت يعادل أكثر من مليون ليرة إيطالية، إذا ما جاز مقارنة سعر العملات بعد انقضاء ستة قرون، ومع تغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية. وإذا ما جئنا إلى الزمن التالي لزمن فدريكو فإننا نرى توقف دفع هذا المقابل في سنة ألف ومائتين وخمسة وستين، عند سقوط أسرة زليشيا؛ وأنه استؤنف في سنة سبعين طبقاً للمعاهدة التي أبرمت بين المستنصر وفيليبو الأرديتو وكارلو دانجو الذي نصت المعاهدة معه على الوفاء بالتزامات العدة السابقة، ومضاعفة المبلغ السنوي في المستقبل، ثم توقف من جديد سنة اثنين وثمانين بسبب حرب الضمير؛ ثم وعد أبو حفص

(1) سابا مالا سبيننا، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٨٠٦. ويقول جوليئمو نانجيس، *Gesta Phil. III*، في مجموعة دوم بوكيه، المجلد العشرين، ص ١٧٦، يقول عنها «جزية». بينما يقول عنها كتاب *Cron. de rebus in Italia gestis ec.*، طبعة برهولتز، ص ٢٢٢. ويسمى مقابل، كان من المعتاد دفعه للإمبراطور فدريكو.

بتسديده إلى بيبير داراجونا بمبلغه الأصلي ومتأخر ثلاث سنوات، وذلك في إطار المعاهدة التي تم إبرامها في باتيماس في سنة ألف ومائتين وخمسة وثمانين؛ إلى أن تنازعت عائلتا أنجو وأراجونا المقابل سنة ألف وثلاثمائة، ولكننا لا نجد ما يفيد أن الحفصيين قد قاموا بدفعها (1)، ولا يبدو لي حقيقيا أن يكون الوضع قد بدأ في زمن فدريكو. ففي الفقرات التي أملاها لأدميرالية صقلية قبل سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين والتي يمنح فيها سلطات واسعة ومكاسب بلا حدود لنيكولينو سبينولا، أعطاه من بين ما أعطاه عشرة في المائة

(1) ساهبا مالا سبينو، الموضع المذكور. يقول إن ملك تونس، في زمن عملية سان لويجي العسكرية، كان قد أوقف منذ ثلاث سنوات دفع هذه الضريبة. ولقد كتبت التفاصيل والاستشهادات في *Storia del Vespro Siciliano*. الفصل الخامس والفصل الثاني عشر. من طبعة فلورنسا، ١٨٦٦. المجلد الأول، ص ٨٦ وما بعدها وص ٢٥٠. أنظر ماسي. لاثري الذي استشهدنا به منذ قليل، ص ٥٢ من المقدمة، والوثائق المذكورة في ص ١٥٦ وما بعدها؛ والفونس روسو، *Annales tunisiennes*. الجزائر ١٨٦١، ص ٤٢٢ وما بعدها. ولكن لا اتفق مع التصحيح الذي أدخله م. روسو على نص المراكشي. ولا مع رايه فيما يتعلق بالجزية.

أضف إلى هذا أن الأدميرال الأكبر روجييرو لوريا، الذي انتقل لخدمة كارلو الثاني دي نابولي قد أرسل في سنة ١٢٠٠ من قبل سيده الجديد إلى تونس لكي يحصل على ما يستطيع من الجزية التي كان يدفعها الأنجويون قبل إجراء السلام مع فدريكو الأراجوني. وتستخلص هذا من وثيقة بالمحفوظات الملكية بنابولي، السجل، ١٢٩٩. ١٢٠٠ الورقة ٢٢١. ويبدو أن آخر وثيقة يجري فيها الحديث عن تلك الجزية هي عبارة عن قرار لملك أراجونا قرر فيه في سنة ١٢٠٩ أن الجزية تخص نابولي إلا إذا أقرت صقلية حقوقها فيها بالسلاح. سوريتا، *Annali di Aragona*. الكتاب الخامس، الفصل الخامس، والسبعين، والذي ذكره جريجوريو في *Considerazioni*. الكتاب الرابع، الفصل السابع. وقبل أن نترك هذا الموضوع أنه لا وجه للمقارنة بين جزية تونس ونصف دخل بنتلاريا العام. فبالإضافة إلى أن هذا الدخل كان على صقلية أن تدفعه لتونس وليس العكس، لأن بنتلاريا كانت تحت إدارة حاكم صقلي، فإننا نجد أنفسنا أمام عدم واقعية المبلغ السنوي المتصل عليه. فإن بنتلاريا لم يكن بإمكانها إنتاج عشر مبلغ الجزية التي كان يبلغ مقدارها ما يعادل اليوم ٢٢٥.٠٠٠ ليرة إيطالية من الذهب. وطبقا لآخر تقديرات الشهر العقاري التي صدرت في سنة ١٨٥٢ فإن الدخل السنوي من كل الأملاك المعدنية والريفية في بنتلاريا يبلغ بالكاد ١٠٠.٠٠٠ ليرة إيطالية. ولم تكن تلك الجزيرة في أحقاب الأحداث المميزة التي وقعت في القرن الحادي عشر مزروعة بشكل أفضل مما هي عليه الآن، ولم تكن أكثر ثراء من اليوم بكل تأكيد.

مما «يصل بحرصه وقدرته على تحصيله من أي سراسنة، سواء من الجزية المعتاد دفعها لملوك صقلية أو من الضرائب غير العادية الجديدة التي يفرضها هو عليهم» (1). ولم تكن دولة تونس دولة صغيرة أو مضطربة في ذلك الوقت بحيث تخضع لجزية طفيفة لا يبقى لها أثر في حولياتها أو في حوليات صقلية. ومع هذا فإنه ينبغي أن نعد الجزية من بين الإتاوات المعتادة. وفي الحقيقة فإنه قبل فديريكو كان الإمبراطور أريجو السادس قد حصل من مراكش في سنة ألف ومائة وخمسة وتسعين على أحمال من الذهب ومن النفائس (2). وكانت غطاء على ما يبدو للمقابل الذي تدفعه أفريقية، التي لم تفصح بعد عن تمردها على الموحيدين. وقبل كل هذا نلاحظ معاهدة جويلمو الثاني مع الخليفة أبي يعقوب: وبناء على هذا يمكننا القول بأن الاتفاق على بيع القمح، أو على المقابل، أو الضريبة أو الجزية، أيما كان الاسم، قد بدأ تسديدها من جانب خلفاء الموحيدين في سنة ألف ومائة وثمانين بسبب القحط: كما يمكننا افتراض أن بعض مدن أفريقية قد قامت بدفعها قبل ذلك أيضا. ولا يشير دهشتنا أن معاهدة سنة ألف ومائتين وواحد وثلاثين لا تشير إلى هذا أيما إشارة، لأنه لم يكن من الضروري كتابة المرفع الخاص بهذا العقد في وثيقة سياسية وتجارية عامة؛ وعندما كان يكتب في النص اللاتيني، فإنه كان يمكن حجه في النص العربي وهو المصدر الوحيد الذي نستقي منه هذا الأمر، من خلال ترجمة أحدث بزمان طويل. وإذا ما قارنا بين النص العربي والنص اللاتيني لكثير من المعاهدات التي أبرمت في العصر الوسيط بين مسلمين ومسيحيين فإننا نجد أحيانا أحدهما منقوصا لأن كلا من الطرفين كان قد دأب. في النص الذي يعمم في بلاده. على إخفاء الشروط التي يخجل منها. وقد فعل

(1) في كتاب برهولتز، المرجع المذكور. المجلد الخامس، ص ٥٧٧ وما بعدها. انظر بالتسبة للتاريخ، ملاحظة الناشر المدقق.

(2) *Amali di Colonia*، التي سهل الاستشهاد بها في الفصل السادس، ص ٥٢٩.

هذا على وجه التقريب أمراء أوروبا في المعاهدات السرية أو في البنود السرية التي تشتمل عليها المعاهدات الكبرى<sup>(1)</sup>.

ولما أغوت التجارة - التي أثرى منها أهل فينيسيا وبيزا وجنوة - فديريكو الذي استدرج رغم إرادته إلى آخر موجات الحرب الصليبية، فإنه أجرى اتصالات متكررة مع أمراء المسلمين في المشرق بقيت لنا منها مذكرات غير قليلة، ونعتقد أن مذكرات أكثر قد ضاعت. ولكن القول بأنه قد أرسل مبعوثاً له إلى الخليفة العباسي قد نشأ عن خطأ، أي أن اسم بابلونيا القديم الذي كان الكتاب المسيحيون في العصر الوسيط يقصدون به القاهرة القديمة<sup>(2)</sup>، قد عدَّ على العكس من هذا، بفداد. كما أن هذه العقولة تبدو غير حقيقية إذا ما علمنا أن خلفاء هارون الرشيد لم يكن لهم وزن كبير أو أي وزن في العالم. فنحن في نهاية القرن الثاني عشر كانت الحدود الشمالية للأراضي الإسلامية من برقة إلى مصب نهر العاصي وإلى نهر الفرات في يد أبناء واخوة وأبناء عمومة صلاح الدين. كانت إمبراطورية إقطاعية أو إذا

(1) هذا ما قلته أنا في مقدمة *Diplomi arabici del Reale Archivio fiorentino*. ص ٦ وص ٧٢ بناء على مصمم م. دي سامي وعلى ملاحظاتي أنا شخصياً. وقد عارض هذا م. دي سامي - لاثرى في مؤلفه القيم، الممتعة، ص ٢٩٠ وما بعدها، ولكني لم أستطع أنكار بعض الاختلافات التي يقول عنها هو أنها اختلافات هيئة وهي في الحقيقة ليست كذلك.

(2) إن الوثائق التي استشهد بها جريغوري بشأن هذه الهيئة المنصورة، الكتاب الثالث، الفصل الثامن، الهامش رقم ٥، تأتي جميعها بلقب سلطان بابلونيا. وليس من اللازم أن نبعث من هو *Nazardino* أو *Zefredino* المذكور في الرسالتين التي قلح بين رسائل بيشو ديللا فينيا، الكتاب الثاني، الفصل الثامن عشر والفصل التاسع عشر، وهي من اتحال أحد الرعيان من حواف السياسة المبتدئين في ذلك الوقت. فمن الواضح أن الأسمين يدلان على اللقبين الأشهرين ناصر الدين وسيف الدين، ولكني لا أعتقد مع صديقي برهولتز، المرجع المذكور، ص ٥، ص ٢٩٧، الهامش رقم ٢، أن المؤلف أراد أن يشير باسم الأول إلى ابن الملك الكامل. بل إنني أظن أن المراد به هو ابن أخيه داود، الملك الناصر الذي كان يملك دمشق والقدس قبل تقسيم سنة ١٢٢٨. ويقول الكتاب المسيحيون إن هذا الأخير قد اعترض اعتراضاً كبيراً على التنازل عن القدس، ومن المعروف أنه استعاد المدينة في سنة ١٢٢٩. أنظر في ص ٦٠٢، البرد الذي ينسب لوالده من جانب بعض الكتاب المسلمين.

أردنا القول اتحادية غير متجانسة بكل تأكيد وتمزقها الأطماع والعنف وعدم الإخلاص والولاء؛ وتنازعها لفترة قصيرة ابنان لفاتها الذي ترك (١١٩٣) لأحدهما سوريا وللآخر مصر؛ ولكن لم يلبث الملك العادل، شقيق صلاح الدين، أن جنى ثمار ذلك الشقاق. وما أن استولى على دمشق (١١٩٦) وعلى القاهرة (١٢٠٠) حتى ترك الملك العادل لابنيه المثل وفرصة الاغتصاب بأن جعل من الملك المعظم وريثاً على سوريا ومن الملك الكامل وريثاً على مصر. وهناك وثيقة غير عادية تشهد بأن فديريكو قد أوفد بعثة إلى هذين السلطانين في سنة ألف ومائتين وسبع عشرة بعد ما قسم الملك العادل دولته بين ابنه قبل وفاته (٢١ أغسطس ١٢١٨). وأقصد بهذه الوثيقة قسم من الموزاييك بقى حتى القرن الرابع عشر أو القرن السادس عشر في عقد بوابة كاتدرائية تشيفالو. وهو يصور فديريكو أثناء توديعه لجوفاني تشيكالا المعروف بالقيسي، أسقف تشيفالو. بهذه العبارة المكتوبة: «امضى إلى بابيلونيا وإلى دمشق؛ وتقابل مع ابني (Safadino?) Paladino» وتحدث إليهما بجرأة باسمي... وكان لاعتلاء أونوريو عرش البابوية، والصفط الذي كان

(1) كانت هذه التوحة موجودة في زمن بيرو، كما يقول سراجة في *Sicilia Sacra*. من ٨٠٥. ولم يبق منها اليوم أي أثر. إذ قد أعيد بناء جزء كبير من عقد البوابة. وهناك إشارة عنها في خبر خطي عن كنيسة تشيفالو. كتب في القرن الرابع عشر. ومحموظ اليوم في دار محفوظات بالرمو الملكية. كما استخلص هذا من السبدين إيزيدورو لا لوميا وإيزيدورو كارني الذين ترسا الخبر ليضمنا إلى هذا المعروف. وقد افلاني هذان الباحثان الصديقان بوجود وثيقة أخيرة للأسقف جوفاني في هذه المحفوظات بتاريخ سبتمبر ١٢١٢. وبوجود سند بتاريخ ١٤ مارس ١٢١٨ مذكور فيه اسم الدوينو أسقف تشيفالو. ولتضف هذا إلى الأخبار التي ذكرها بيرو. الموضوع المذكور. عن هذين الأسقفين. والكلمات التي كانت مكتوبة. حسب قول بيرو - تحت صورة الاثنين من: "Vade in Babyloniam et Damascum et filios Paladini quare et verba mea audacter loquere ut statum ipsius valeas melius reformare" شك قليل في تصحيح اسم *Paladini*. الذي يجب أن يكون *Saladini* (صلاح الدين) أو *Safadini*. وهذا اللقب الذي يتوافق مع سيف الدين، كان المسيحيون قد اعتادوا إطلاقه على الملك العادل؛ ويبدو لي أن هذا الاحتمال هو أفضل من احتمال قراءته

يعارسه من أجل الحرب الصليبية. وحاجة فديريكو إليه إذ كان يستعد للذهاب إلى إيطاليا لاستعادة دولته بها أو هكذا تقريباً، كل هذا كان دافعاً لإيفاد هذه البعثة، أو لهذا التهديد غير المجدي؛ ويبدو أن سلطان دمشق قد رد على هذا التهديد بمثله، بالشكل الذي سنذكره الآن.

وبعد مرور عدة سنوات وعندما ارتفع الكامل فوق كل الأمراء الأيوبيين. وعندما تزوج الإمبراطور من وريثة مملكة القدس بدأ يفكر في تلك العملية بمقصد آخر غير تنفيذ نذره على القبر المقدس، فأخذ ينمي صداقته مع سلطان مصر بشكل خاص. ولما أدت هذه الاتصالات بعد فترة وجيزة إلى استعادة القدس، وهو أمر بدي للمسلمين كارثة عامة، فإن الكتاب العرب يقدمون لنا كثيراً من التفاصيل التي تؤكد وتقوم جزئياً الروايات ذات الأصل المسيحي<sup>(1)</sup>.

*Saladin*. لأن هذه القصة الأخيرة قد نعلمنا نستعرض أن الكلمة السابقة عليها وهي *filios* قد تم استخدامها خطأ بدلاً من كلمة ابن أخيه. ولكنني افترض وجود خلل في النسخ الأخير. فلا يمكن نسبة *ipsius* إلى الملك العادل. وإنما بالأحرى إلى القدس. أو إلى أرض المقدس بصفة عامة. وربما كان هذا الجزء من الصورة الذي يشمل على النشأ فاسداً عندما قام بيترو أو غيره بنقل تلك الكلمات. أما أن يكون الملك العادل قد قسم قبل وفاته دولته بين أبنيه وأحفادهما على الحكم فإننا نقرأ هذا في حوليات ابن الأثير. نص ترويه المجلد الثاني عشر. ص ٢٢٠ تحت سنة ٦١٥. انظر أيضاً ريتو، *Extrait, etc* ص ٢٠٢.

(1) توجد المصادر العربية كلها تقريباً. والتي لم تنشر قبل سنة ١٨٥٧. في المكتبة العربية. الصقلية. وهي: *Storia de' Patriarchi d'Alessandria*. وهو كتاب تاريخ مدقق ومسامر كتبه كاتب مسيحي قبطي. ص ٢٢٢ وما بعدها. والكتاب المسلمون هم: ابن الأثير. ص ٢١١ وما بعدها؛ وأبو الفداء. ص ٤١٨ وما بعدها؛ والمجموعة التي تنسب خطأ للهافي. ص ٥١٠ وما بعدها. وهي تحتوي على شذرات كثيرة من ابن كثير. وأبي شامة. ويبرس. والتويري. وابن المبرد. وابن الجوزي. وخاتماً المقريزي. ص ٥١٨ وما بعدها. وقد أتيح لي كذلك النظر في المجلد الخامس من *Storia universale* لابن خلدون. الذي طبع مؤخراً في مصر، وفيه مرجع للصروب الصليبية وهو ملين رغم إيجازه الشديد. انظر ص ٣٥٠ وما بعدها من ذلك المجلد. وقد كتب أستاذي م. ريتو. الذي أكن له دائماً الموقان والتقدير. عن هذه النصوص الفقرات ٧٨ و٧٩ و٨٠ في كتابه *Extrait, etc, relatifs aux Croisades*. ويصرني أن أذكر بصد هذه الأحداث صديقين فرنسيين عزيزين وهما مؤلف *Lutte des papes et des empereurs de*



وموت شائعة في المشرق أن فديكو قد طالب الملك المعظم بالقدس، وأن الأمير الشجاع والعالم قد رد على البعوث قائلاً: «قل لسيدك إنني قابض على سيفي وليس له عندي غير هذا». وهذه العبارة، في الحقيقة يمكن أن نفترض صياغتها كراهية للكامل، بعد تركه القدس وموت المعظم؛ ولكن لا تبدو غير حقيقية الاتصالات التي قام بها فديكو أو الرفض الساخط المضروب، إذا كان يرجع إلى سنة ألف ومائتين وسبع عشرة. كما لاحظنا من قبل (1). ولكن ما هو مؤكد أن المعظم كان لا يتحمل سيادة أخيه وتصفه (١٢٢٦). فآخذ يؤلب عليه الأمراء الأيوبيين كافة ثم انضم إلى جلال الدين أمير البربر الخوارزمشاهية الذين بعد أن تم طردهم من جانب شرذمة أكثر شراسة منهم. جاؤا من شواطئ بحر قزوين لتدمير أرمينيا وما بين النهرين. وفي هذه الظروف دعا الكامل، ليهنئ مخططات أخيه. فديكو ووعد بالقدس (2) وغيرها من

*la maison de Souabe*. الكتاب الخامس. الفصل الثالث. وميلارد برهولتز. في مقدمة كتابه *Hist. Diplom., etc*. ومن يرد التمن في التقليد الجبليلسي (المناصر للإمبراطور)، وكيف أنه ساند هذه الأحداث على مدى نصف قرن. فليقرأ بارنولوميو دي نيو كاميترو. في كتاب جريجوريو. *Bibl. Arag.* المجلد الأول. ص ١٩٩ وما بعدها. والذي يمكن أن نوازنه بكتاب فرنسيس من زماننا. وأقصد به م. دي سانس لانسري. الذي ذكرته بمسند مؤلفات عميقة أخرى له، والذي يروي في كتابه المنطق *Histoire de Chypre*. باريس. ١٨٥٢ - ١٨٦١. يروي الحرب الصليبية التي خاضها فديكو والاتصالات التي جرت قبلها وأثناءها. وكأنه جويلفي (مناصر للبابوية) مستشهد من القرن الثالث عشر بطوم القرن التاسع عشر. وسوف استشهد شيئاً فشيئاً بالمصادر العربية مع الإشارة إلى رقم صفحة النص في المكتبة العربية - الصقلية.

(1) ابن كثير وأبو شامة، ص ٥١٠. ويضيف ثانيهما إلى الرد: «قل... إنني لست مثل غيره وليس عندي، إلخ». وهذه المبارات الجارحة التي أضفت فيها بعد موجه بكل وضوح إلى أخيه الملك الكامل.

(2) ابن كثير. وأبو شامة. وبيبرس. وأبو الفدا. وابن خلدون والمقريزي؛ ويقول بعضهم أنه وعد بالقدس ويقول آخرون بكل فتوحات صلاح الدين في بيت المقدس، ويقول البعض الآخر بجزء من فتوحاته. وابن الأثير. الذي كان قد بلغ التاسعة والستين عاماً من العمر وتوفي في سنة ١٢٢٢ فلما أنه لم يعلم بهذا. أو أنه سكنت عمداً عن اتصالات المعظم مع الخوارزمي وعن الاتصالات الكامل مع الإمبراطور. وكلا الأمرين يمكن أن

مكاسب صلاح الدين(1)، وجرت الاتصالات، كما يبدو، في سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين عندما حضر إلى القاهرة رئيس أساقفة بالرمو مبعوثاً للإمبراطور فارسل السلطان معه في الحال فخر الدين، وكان شخصية ذات شأن كبير في بلاط مصر(2)، فقال إعجاب فديكو الذي منحه شعار أسرة دي زهفيا نظراً لأن المسلمين كانوا قد اغرموا بمظاهر الزهو الغربية تلك أثناء الحروب الصليبية الأولى(3)، وفي العام التالي عاد رئيس الأساقفة وفخر الدين إلى مصر، وحضر معهما فارسي يحمل هدايا رائعة(4)؛ جواد الملك شخصياً الذي يخوض به الحروب، وعلى صهوته سرج من الذهب مطعم بالجواهر الثمينة(5)، وجياد أصيلة أخرى، وأردية وتحف ذهبية صغيرة، وصفور وهدايا غريبة كثيرة(6)، وانفق السلطان على

يكون صحيحاً؛ فالأمر الأول لأن هذه الاتصالات كانت تجري بالضرورة في سرية كاملة، والثاني لأن صديق صلاح الدين القديم أراد أن يخفى عار سلالته ويستتره. وهو يروي فقط في سنة ١٢٢٣ (تورنبرج، المجلد الثاني عشر، ص ٣٠٢ و ٣٠٣) أن المعظم بعد أن شارك مشاركة فعالة في انتصار دمياط، شعر بالاستياء من الكامل، وأن خليفة بغداد كان يهينه دهماً عنده ويحرضه عليه؛ ولهذا فقد تصالح مع الأشراف، حتى يقاوم الكامل ناحية الغرب، ويتاوم من الجانب الآخر الخوارزمي.

(1) جافى المقتل.

(2) *St. de Patr.* سنة ٩١١ من تقويم الشهداء (٢٩ أغسطس ١٢٢٧ إلى ٢٨ أغسطس ١٢٢٨)، ولا يذكر الكتاب اسم المبعوث الصليبي، ولكنه يقول إنه المبعوث نفسه الذي حضر إلى مصر في السنة السابقة، ونحن نعلم من ريكارنو دا سان جرماتو أنه في سنة ١٢٢٨ أوفد رئيس أساقفة بالرمو مبعوثاً إلى القاهرة، وقد ذكر بيبيرس اسم المبعوث المسلم كما ذكره أبو الفدا والنويري والمقريزي.

(3) يذكر هذا جرونيغل وهو شاهد عيان أثناء حرب سان لويس الصليبية. انظر طبعة م. فرانسهيك ميشيل، باريس ١٨٥٩، ص ٦٢ - ٦٣. "L'on disoit que l'emperiere Ferris l'avoit fait chevalier.... En ses bunnieres portoit les armes de l'empereur etc."

(4) تاريخ بطاركة الإسكندرية.

(5) المقريزي.

(6) تاريخ بطاركة الإسكندرية، ويبدو لي أن تمبيره التحف الذهبية الصغيرة بدل ثلاثة أفضل من لفظ مصاغ، الذي ترجمه م. رينو في *Extraits etc.* ص ٢١٧ بمباراة "objets de fonte"، وباستخدام لفظ "minuterie"، المصاغ، ربما أراد المؤرخ لبطاركة الإسكندرية أن يعنى السرج الذهبي، إلخ المذكور في المقريزي.

المبعوثين الصقليين منذ نزولهم إلى الإسكندرية، وخرج بنفسه إلى خارج القاهرة لاستقبالهم؛ واستضافهم في قصر منيف، وقدم لهم كل ألوان التكرم(1)، وبادل هديكو بهدايا ثمينة من الهند واليمن وفارس ومن بلاد ما بين النهرين ومن الشام ومن مصر تساوي، كما يتولون، أضعاف هداياه(2).

وسرعان ما تحرك برجاله (أغسطس ١٢٢٨)(3)، واحتل القدس أو أرض أخرى من أملاك المعظم(4)، الذي كان قد توفي قبل تسعة شهور (١١ نوفمبر ١٢٢٧) وخلفه ابنه داوود، الذي تلقب بلقب الملك الناصر(5). وقد انتهج نهج أبيه(6) واستكمل اتصالاته، فدعا عمه الملك الأشرف أمير خلاط في أرمينيا الذي أسرع بالحضور إلى دمشق بقواته المستعدة(7). ومن هنا فإنه عند نزول الإمبراطور في عكا (٧ سبتمبر ١٢٢٨)، وجدت ثلاثة جيوش في المواجهة، لا يعلم كل منها ضد من عليه أن يخوض الحرب؛ إنما لم تحُدّ القواد الماكريين الرغبة في الاشتباك عندما كان داوود المسكين هنالك في وسطهم ليدفع الحساب للجميع. وفي الحقيقة فإن الكامل والأشرف، بعد مكائبات قليلة مليئة بمباراة جميلة عن شرف الأسرة الأيوبية وأمجاد الإسلام(8)، التقيا وتحادثا (١٠ نوفمبر ١٢٢٨) عند عسقلان، وهما

(1) تاريخ بطارقة الإسكندرية، والمفريزي.

(2) المفريزي.

(3) ابن الأثير، يقول في شهر شوال سنة ٦٢٥، الموافق لشهر سبتمبر؛ ويقول تاريخ بطارقة الإسكندرية في ٢٩ أبيب سنة ٩٩٤ (٤ أغسطس ١٢٢٨).

(4) كل الكتاب العرب.

(5) ابن الأثير، عام ٦٢٤، طبعة تورنبرج، المجلد الثاني عشر، ص ٢٠٨.

(6) أبو الفدا وابن كثير.

(7) ابن الأثير، عام ٦٢٥، دون الإشارة إلى الاتفاق السابل مع الخوارزميين.

(8) ابن الأثير، في عام ٦٢٥، بعد أن برز اتصالات داود مع الأشرف، ومصادقات الشقيين، يكتب فقرة من كتاب الكامل المزعوم الذي - طبقاً لرواية المؤرخ - حدد فيه أحوال الانصراف عنه وتركه وحده في مواجهة الصليبيين. وهذا العمل غير الموجود في المكتبة العربية، الصقلية يمكن قراءته في طبعة تورنبرج، المجلد الثاني عشر،

ص ٢١٢.

بضحكان ضحكة مأكرة؛ وتقاسما بطريقتهما معمالك ابن أخيهما(1).  
 وبقيا معاً لمدة طويلة يتدارسان كيف يتدبران أمرهما مع فديكو(2).  
 وكان فديكو يطلب باستعادة القدس وساحل الشام كله، كما كان  
 يطلب بالإعفاء من أي مكوس في الإسكندرية. وأخذ يقول بأنه قد  
 تحدث مع نائبه في فلسطين أثناء حرب دمياط، وأنه لا يريد أن يقبل  
 بما هو أقل مما تم تسليمه لأخر رجاله(3). وتضايق الكامل من وجود  
 هذا القائد، الذي دعاه هو لمعاونته، جاثماً على صدره(4) وهو لا  
 يستطيع أن يستل سيفه ضده، ولأن الحرب كانت تعنى إفساد كل  
 خططه بينما هو قاب قوسين أو أدنى من تحقيقها. كما يقول أحد  
 رواة الأخبار(5)، في إشارة واضحة إلى تقسيم دولة داوود التي كانت  
 هدف كل هذه المداورات. ولكن فديكو، عندما أدرك هذا، أخذ  
 يقوى ويحصن صيدا(6)، وقبصرية، وياها(7) وعمل قدر استطاعته،  
 كما نعلم من الكتاب الغربيين، على تهدة الصليبيين العراقيين أو  
 المتزمتين والمهاجرين كافة. وطال أمد المفاوضات كما كثرت  
 المجاملات بين معسكر الصليبيين والمعسكر المصري(8). فلما أن  
 وصل فديكو إلى عكا حتى أرسل رسوله إلى الكامل محملين بهدايا  
 تليق بالملوك؛ وهما بلين حاكم صيدا وتومازو كونت أتشيرا ونائبه في

(1) تاريخ بطارقة الإسكندرية وابن الأثير. ويشهد أبو الفدا على التقسيم بين الأخوين.

(2) يتضح هذا الأمر بجلاء في الروايات العربية كافة. ويؤكد الكتاب العرب أن الأشرف قد بقي في معسكر أخيه، بينما كان يجري التفاوض مع الإمبراطور.  
 (3) المقريزي.

(4) يقول النص «وجد جاثماً عليه». والمباردة مأخوذة بلا شك من رواية إخبارية معاصرة. وكررها أبو الفدا ويبرس.

(5) يبرس.

(6) الكتاب العرب كافة.

(7) تاريخ بطارقة الإسكندرية.

(8) الكتاب العرب كافة.

بيت المقدس؛ فاستقبلاً بالتكريم(1). واستمر إيفاد المبعوثين الذين كانوا يمضون جيئةً وذهاباً(2). وكان الكامل يستخدم لهذا الغرض رجال العلم والأدب الذين كانوا موضع ترحيب الإمبراطور وإعزازه وهم: فخر الدين، الذي سبق ذكره(3)؛ والشاعر صلاح الدين الأربيلي(4)؛ والشريف شمس الدين من أرميه قاضى الجيش(5)؛ وأرسل هدايا من المجوهرات والملابس الثمينة والحيوانات النافعة، والجمال، والخيول، والبغال(6)؛ وفي مرة أخرى استجلب له خصيصاً من مصر الفيل الوحيد الذى بقي حياً من بين الأهوال التى أهداها له الملك مسمود، أمير شبه الجزيرة العربية(7). ولما لم تعد في معسكر فديكو أشياء نفيسة فإنه أخذ يطرح على السلطان مسائل في الفلسفة أو الرياضيات، فكان هذا يطلب حلها من الكاتب الشهير علم الدين، وهو عالم من علماء المذهب الحنفى(8).

وانقضت على هذا الحال ستة شهور؛ وعند نهايتها نرى أن فديكو قد ضجر بمجرعة مسيحيي فلسطين سواء كانوا مسلحين أو عزلًا، وكان نافذ الصبر من بقائه بعيداً عن مملكته. وكان متأثراً ويلقى

(1) تاريخ بطاركة الإسكندرية. وقد أضفت اسم الأول ولقب الثاني. على أساس ما جاء به الكتاب الغربيين.

(2) الكتاب العرب كافة.

(3) ابن المجدد. من ٥١١ بهرس. من ٥١٤. المقريزى. من ٥١٩.

(4) ابن المجدد. من ٥١١.

(5) المقريزى. من ٥٢٠.

(6) تاريخ بطاركة الإسكندرية. ماثيو باريس. *Historia Anglorum*. طبعة لندن.

١٨٦٦. المجلد الثاني. من ٢-٣. ويذكر في هذا المضمحل *senia multa et pretiosa*

*in auro et argento et oloericia et gemmis et bestis mirabilibus, quas*

*Occidens non vidit aut cognovit*

(7) تاريخ بطاركة الإسكندرية. روكاردو دا سان جرمانو. في كتاب كاروزو. المرجع

المذكور. من ٥٨٠. يذكر في عام ١٢٢٨ هذه الهدايا الفريفة من الفيل إلى البغال التى

أرسلها السلطان عن طريق رئيس أساقفة بالرمو. ولعل هذا الفيل هو فيل سنة ١٢٢٧

نفسه. عند حصار بونتشيكو. وكان يحمل فوق ظهره هودجاً صغيراً محتوهاً بالزوايات

الإمبراطورية ويسير حوله سرائنة كثيرون. كما يقول صليبيونى. بارما. ١٨٨٧. من ٤٨.

(8) هارن بين: بهرس. من ٥١٤. والمقريزى. من ٥٢٢.

مقاومة من جانب الجيوش البابوية. ويبدو أنه قد خفض من مطالبه خفضاً كبيراً؛ ولكنه نجح بكل تأكيد في أن يبدو أمام المسلمين أكثر هدوءاً وقوة من ذي قبل. وقال بوضوح لآخر الدين إنه لا يتوقع كثيراً للملك على أرض المقدس، ولكنه يريد أن يحافظ على سمعته ورصيده في أوروبا؛ وأنه لو لم يكن هذا لما ضايق السلطان بإصراره وعنته(1). ومن هنا فإنه عقد، طبقاً للظروف، اتفاقاً هزلياً. ويرى كل الكتاب العرب أن الكامل قد أجبر منه على هذا الاتفاق؛ وهناك من يكتب أن السلطان قد أدرك أنه لا يستطيع الحصول على غير هذا من الأرض السيئة التي وضع فيها قدمية(2)؛ وهناك من يؤكد أنه لم يكن بمقدوره بأي شكل من الأشكال مقاومة جيوش فدريكو(3)؛ وهناك من يتهمه بأنه تحاشى الحرب، لأنها كانت ستقضى على ماريه الذي تحرك لأجله من مصر والذي كان قوب قوسين أو أدنى من تحقيقه(4). أي الاستيلاء على نصف دولة دمشق. وعندما وقع فدريكو بعد ذلك هذا الاتفاق، فإن المبعوث صلاح الدين الأرييلي سارع يكتب لسيده، مازحاً بأبيات من الشعر، بأنه أصاب مقصده، وأن «الإمبراطور قد تخيل بأنه قد عقد السلم على طريقته؛ ولكنه وقد مد ذراعه بالقسم؛ فلن سوف يقضيه، عندما يعض أصبع الندم على ما فعل»(5).

وقد وافق السلطان بأن يتضمن الاتفاق على سيادة طارون، أميرة يقول الكتاب العرب أنها ابنة أومفريدو(6). ثم تفاخر الكامل مع أتباعه

(1) بيهرس، ص ٥١٤، المشرقي، ص ٥٢١.

(2) أبو العدا والنويري.

(3) المشرقي، ص ٥٢٠.

(4) بيهرس، ص ٥١٤.

(5) ابن خلكان، النص، طبعة دي سلاّن، المجلد الأول، ص ١٨٨ وطبعة وستيفلد، الفصل الأولى، ص ١٠٢، الترجمة رقم ٢٥؛ وفي المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٢١.

(6) ابن العميد، المرجع المذكور، ص ٥١١. واسم الأب مكتوب هن فري وعندما نضع علامات الحركة يصبح همفروا. وفي الهامش الخامس بتلك الصفحة رأيت أن نقرا هنري، فقد بدى لي أن المراد هي أميرة من مناصري فدريكو الثاني أي: أليس، أرملة

ببقاء الأماكن المقدسة الإسلامية في يدهم وأنهم بهذا لم يتنازلوا للإمبراطور إلا عن النذر اليسير أو عن أي شيء؛ فما هي إلا أكداًس من الدور، والكثائس المتهاكة وكلها محاطة بأراض إسلامية، تكفي إشارة واحدة للاستيلاء عليها مرة أخرى دون مقاومة(1). وهكذا تم التوقيع بين الملكين على الهدنة لمدة عشر سنوات وخمسة شهور وأربعة عشر يوماً(2)، تبدأ من الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة وست وعشرين (٢٤ فبراير ١٢٢٩)، وكانت الفقرات الرئيسية في الاتفاق هي: إعادة مدينة القدس إلى فديكو ومعها الناصرة، وبيت لحم، واللد، ورام الله والقرى الأخرى الواقعة على الطريق إلى عكا ويافا بالإضافة إلى أرض ثورون وصيدا، وأن يبقى جامع عمر وقبة الصخرة، والمقصود بها الصخرة التي ترك بها محمد (عليه السلام) أثر قدمه عندما أسرى به، في حراسة المسلمين، وأن يؤدوا

أوجو ملك قبرص والوصية على حكم ابنها أريجو والتي تم استبعادها من الوصاية على الحكم على يد أمراء إيفين الذين كانوا أعداء لفديكو. وكانت تعيش في سوريا عندما مر بها. وكانت ليس ابنة أريجو وهو كوت من شمباني وإيرانيلا دي لوزينيانو والتي كان زوجها الأول هو أومفريدو سيد طارون؛ ولكنها عندما انفصلت عنه بسبب بعض المكاكف السياسية والكنسية وتزوجت بعد ذلك كورانو دي مونتوراتو. وأريجو دي شمباني وأمفريدو دي لوزينيانو الذي أنجب منه أوجو الأول، ملك قبرص وزوج الهمس. وعندما ناسلت الأمر جهداً لاحظت أن الهمس لم تستطع أن تترك السيادة على طارون والتي لا أعلم إن كان قد منحها لها فديكو. ولعل المقصود هي النص هي ابنة أومفريدو الطارون، التي أنجبها أم أخرى بعد طلاقه من إيرانيلا؛ في هذه الحالة يكون ما جاء بالنص صحيحاً. واكتفى بهذا لأنه لا توجد بين يدي الوثائق التي قد تلزم للتحقق من هذا الشك في السيادة الإقطاعية لمملكة القدس. وإلى أراضي طارون وتضمينها في السلام يشير أيضاً مارين سانودو. *Secretorum fidelium crucis*. الكتاب الثالث، الجزء العاشر عشر، الفصل العاشر والعاشر عشر والثاني عشر، في كتاب يونجارز. *Gesta Deiper Francos*. المجلد الثاني، ص ٢١٠ وما بعدها، وهو مصدر مطلع على تفاصيل هذه الحرب الصليبية وكان أحد كتب المؤلفين العرب في تناول بدء، إن لم أخطئ.

(1) بيهرس، ص ٥١٣ - ٥١٤.

(2) هذا ما يقوله المقريزي، ولا شك أنه طالع إحدى الوثائق. أما الكتاب العرب الآخرون، وكذلك الكتاب اللاتين فيذكرون السنوات فقط.

فيهما الصلاة طبقاً لشريعتهم، ويمكن للمسيحيين زيارة هذه الأماكن المقدسة: وأن تبقى الضياع المملوكة للمسلمين ملكاً لهم ويحكمهم حاكم من أمتهم(2). وأضاف المسلمون فترة استبدالها لهم الكامل وبمقتضاها يمنع إعادة بناء أسوار القدس؛ ولكن فدريكو أكد تأكيداً واضحاً عكس ذلك لأوروبا وكتب يقول إنه يمكن كذلك تحصين يافا، وقيسرية، وحيدا وقلمة تيملاري بالقرب من عكا(3). ثم أنه وقع بين المسلمين ما وقع نفسه في العالم المسيحي؛ فقد لمن عامة المتعصبين الكامل وسلامه المشين(3)؛ واستاء منه إمام بغداد كما استاء منه بابا روما، ولكنه هذا واستكان بشكل أسهل كثيراً(4). ذهب فدريكو لاستلام القدس يرافقه مندوب عن الكامل(5)، وقد أثار إعجاب المسلمين بعلمه وفطنته وتسامحه أو، كما يقولون هم، لميله إلى الإسلام، وتهكمه على المسيحية؛ ومن هنا فقد وصفه

(2) فسان بين: الكتاب العرب المذكورين والوثائق اللاتينية الصادرة من الجانب الإمبراطوري ومن الجانب البابوي والتي جمعها موهولتز، المرجع المذكور. المجلد الثالث. من ص 88 إلى ص 110. ومن بينها الترجمة الفرنسية للنص المرسى للاتفاقية والتي أرسلها بطريرك القدس إلى البابا. مع ملاحظاته الخاصة باللاتينية. وقد أعيد طبع هذه النسخة من الوثائق الكنسية بواسطة ماس-لاتري. *Histoire de l'île de Chypre*. المجلد التاسع ص 666 وما بعدها. ولكنها بكل تأكيد لا تطابق الاتفاقية الأصلية، فتنقصها أسماء البلاد التي تم التنازل عنها للإمبراطور. وهكذا فإن أفضل وثيقة لاتزال هي ما نطلق عليه اليوم الكتاب الدوري للإمبراطور والمؤرخ في القدس بتاريخ 18 مارس والذي يذكر أن الاتفاقية قد تم إبرامها في 18 فبراير. وتاريخ 26 الذي جاء به العرب قد يكون التاريخ الذي اعتقد فيه الملك الكامل الاتفاقية. والمجد المذكورة فقط في الكتابات الإسلامية؛ ورام الله في تاريخ بطاركة الإسكندرية فقط. وطبقاً لما جاء به ابن العميد. ص 511. فقد تم التنازل لفدريكو عن كل القرى بين القدس ويافا.

(2) هذا ما جاء في وثيقة 18 مارس المذكورة. ولم يجرى بطريرك القدس أن يؤكد العكس في كتابه المختار والمنهف.

(3) ابن الأثير، ص 1316 والتويري، ص 513؛ وبهرس، ص 511؛ وابن العميد، الصفحة نفسها. انظر التواريخ والأشعار المكتوبة في هذه المناسبة، في كتاب رينو، *Extraits*، ص 133 وما بعدها. ونقرأ النواذر أيضاً في نص ابن الجوزي، ص 515.

(4) رينو، *Extraits*، ص 133.

(5) بهرس، ص 511.



بعضهم بأنه دهرى أى ما قد يعنى اليوم حلولى(1)؛ وتعجب الجميع من هذا الإمبراطور الفيلسوف والمحارب، الأصلع، ضعيف النظر، ذى البشرة المشوبة بالحمرة، الذى لو عرض فى سوق المبيد لما ساوى مائتى درهم(2). ومن بين النوادر التى نقرأها عنه، نذكر فقط تلك النادرة التى تحكى أنه اصطحب معه إلى بيت المقدس معلمه لعلم الجدل، ووصفاء وحراس، وكلهم من مسلمى صقلية الذين كانوا يركمون للصلاة عند سماع أذان المؤذن من فوق مأذن جامع عمر؛ وكان الإمبراطور أيضاً يطيب له ذلك النغم. وما كان يفضى لتلاوة آيات القرآن التى تدعو المسيحيين مشركين(3). وقد علم المسلمون علماً قليلاً عن عداوة البابا الثامنة، وعدواة بطريرك بيت المقدس، والرهبان المحاربين وكل أولئك الذين كانوا يجتهدون لإيقاف مسيرة فديكو فى هذه الحرب الصليبية(4)؛ ومن هذه المشكلات والخلافات ظهرت فى الحوليات العربية الدسيسة التى نقلتها كذلك الحوليات اللاتينية. أى أن بعض الصليبيين قد أوعزوا إلى الكامل أن يقتل فديكو. فأرسل السلطان إليه خطابات الخونة(5). ثم يقدم لنا العرب

(1) دهرى بمعناها العهرى أزلى وتمنى منكر الخلق.

(2) ابن الجوزى، ص 818.

(3) الموضوع المذكور.

(4) هذا ما يبدو لى على الرغم مما تقوله تشمة جوليلمو السورى. فى الفترة التى نقلها برهولتز. المرجع المذكور. المجلد الثالث، ص 88.

(5) م. رينو. *Extraits*. ص 129. طبقاً لمراجعة الذهبى. يروى أن بعض الصليبيين أوعزوا لكامل أن يقتل فديكو. وأن السلطان أرسل إليه شخصياً الكتاب الأصلى، ولم أصل لإيجاد هذا النص فى باريس. عندما جمعت النصوص الأخرى من أجل المكتبة العربية. المستقلة. ولكنه سيكون بلا شك بين أيدينا فى مجلدات *Bibliothèque des Croisades*. التى طبع تحت رعاية أكاديمية النقوش. ويذكر مانيو باريس فى *Hist. Anglorum*. الطبعة المذكورة، المجلد الثانى، ص 212. يذكر الشافعية التى تقول أن حراس المبيد وسيدالهرى قد نهبوا الكامل بقرب ذهب فديكو من القدس إلى نهر الأردن. وأن الكامل قد أرسل كتابهم إلى الإمبراطور. ولكن مؤلف *Abbreviatio Chroniconum*. الطبعة المذكور. المجلد الثالث، ص 298. أضاف عقبيه بأنها اقتراعات إذا عدا أولئك الرهبان.

بدقة كل تفاصيل العملية، بل واليوم الذي نزل فيه الإمبراطور من سفينة عائدًا إلى إيطاليا(1).

قادت ملكية بيت المقدس المتقلقلة الإمبراطور إلى اتخاذ إجراءات وثيقة هي الولايات التي تمتد من برزخ السويس إلى نهر الفرات، وهي هذه الولايات كان الرهبان والبارونات المسيحيين والأمراء المسلمين، الكبار والصغار، ينتظرون آنذاك أكثر من أي وقت مضى أن يسلبوا بعضهم بعضاً، بأن يرتبطوا وقد كشفوا عن وجوههم بأعداء دينهم، ضد إخوتهم في المسيح أو في محمد، وكان مزدرو هؤلاء وأولئك هم جماعة من العلمونين والمضطهدين الذين وصلوا إلى حالة من العوز والفقر ولكنهم ظلوا يثيرون الخوف منهم بسبب قلاعهم الحصينة ورجالهم من القتلة الجريئين، وكان هؤلاء هم الإسماعيليين الذين أطلق عليهم العالم المسيحي القتلة الحشاشين، وكان شيخهم أو رئيس طائفتهم يدعى عجوز الجبل(2)، وكانت القوات اللتان تسيطران على هذا الحشد الكبير من الإقطاعيات هما القاهرة ودمشق، إلى أن ابتعلت أولاهما الثانية.

وملك الأشرف على دمشق (١٢٢٩) بينما كان الكامل يتنازل عن القدس وتضامن معه ضد الخوارزميين الذين كسب عدائهم، وتوفي في سنة ستعانة وخمس وثلاثين (١٢٣٧)، وترك الجزء الخاص به في سوريا لأخيه إسماعيل؛ وكان الكامل قد أسرع بتجريد أخيه هذا وجعل من نفسه، ما بين سيد مباشر وسيد إقطاعي، ملكاً على كل

(1) المفريزي، ص ٥٢٢. ينول إنه في آخر جمادى الثاني سنة ٦٢٥ (٢٥ مايو ١٢٢٩). ويقول تاريخ بطاركة الإسكندرية إنه دخل القدس في بدايات الصوم الأربعيني سنة ٩١٥ (١٢٢٩) وأنه بقي بها يومين آخرين، ثم مضى إلى عكا وسافر إلى إيطاليا بعد عيد الفصح. ويحدد النويري تاريخ تسليم القدس في ربيع الثاني من سنة ٦٢٦ (مارس ١٢٢٩).

(2) لقد صار من المؤكد أن الإسماعيليين كان يطلق عليهم الحشاشون، بسبب تحشيرهم المعروف للحشيش، أي *cannabis indica*؛ ولأسف فبسبب ذبوع سيئهم في زمن الحروب الصليبية فإن اسمهم الشائع الذي ينطق *assassin*، أدخل هذا اللفظ القبيح إلى بعض اللغات الأوروبية.

ممالك الأيوبيين. ولكنه توفي هو نفسه بعد الأشرف بستة شهور (مارس ١٢٢٨) وترك سوريا لأحد أبنيه ومصر لابنه الآخر. وهكذا استؤنفت عادة الأسرة وتقاليدها؛ وتوفي أحد الورثين، أما الآخر، الذي اتخذ لقب الملك الصالح، فقد احتل الدولة كلها (يونيو ١٢٤٠). وفي تلك الأثناء لم يلق بعض الصليبيين الجدد بالآلاف باتفاقات هديكو، وشنوا الحرب وضيّقوا الخناق على القدس؛ وحاولوا مرة أخرى الهجوم على مصر، وفيها لقوا الهزيمة. وأثناء تلك الجلبة أراد الناصر، الذي كان عمّاه قد جرّاه (١٢٢٩) من دمشق وتركها له إهانة كرك أن يسترد مملكته؛ فلما علم بأن المسيحيين قد تم كسرهم، انقض على القدس. وقتل أو أسركل من فيها، وهدم حصونها (١٢٤١). وفي الوقت نفسه استعاد إسماعيل، الذي ذكرناه سابقاً، دمشق وانضم مع كل من استطاع الانضمام إليهم، دون تفرقة دينية؛ ووقعت بالتالي المصادمات والمجازر، والخراب، والهدنة حتى سنة ألف ومائتين وأربع وأربعين، عندما انقض الخوارزميون على الجميع (١).

ولدينا كثير من آثار مفاوضات هديكو في تلك الفترة. ونعلم أنه في سنة ألف ومائتين وأربعين وثلاثين حضر إليه في بوليا رسل سلطان دمشق (٢)، وكان السلطان في ذلك الوقت هو الأشرف الذي طلب عندما تغلب عليه الخوارزميون في أرمينيا، مساعدة أخيه الكامل (٣). وفي هذا اللقاء أو في لقاء بعده قدم هديكو للأشرف هدية دباً أبيض، كتب عنه المسلمون بمجب إنه يشبه الأسد في نوعية شعره وإنه كان يلقي بنفسه في البحر لصيد السمك. وكتبوا كذلك عن هدية

(١) ابن خلدون، *Storia univ.*، طبعة القاهرة، المجلد الخامس، ص ٢٥٢ وما بعدها؛ رينو، *Extraits*، إلخ، ص ٧٩ و ٨٠، ص ٤٣٦ وما بعدها.

(٢) ريكاردو دا سيلان چرماتو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٦٠٢.

(٣) ابن خلدون، المرجع المذكور، ص ١٢٢.

أخرى وهو طاووس أبيض(1). وفي يوم الثاني والعشرين من يوليو من السنة نفسها أعد فديكو في ملفى وليمة كبيرة لرسل سلطان مصر ولعجوز الجبل وشارك في المائدة أساقفة عديدون وهرسان ألمان كثيرون(2)، وكانت المائدة مشهداً للتسامح في البلاط الإمبراطوري أغرب من مشهد الدب الأبيض في دمشق. ولكن هذه العلاقات مع الإسماعيليين لم تمر مرور الكرام في ألمانيا؛ بل وصل الأمر في السنة السابقة إلى القول بأن الحشاشين قد طعنوا دوق بشاريا بإيعاز من الإمبراطور، عدوه اللدود(3). وقد تناقلت هذا الإهlek والبهتان السنة رجال الدين في ذلك العصر مما أدى إلى ظهور مائة قصة قديمة نقرأ في إحداها أن فديكو عندما ذهب إلى «جبل المعجزة» أراد المعجزة أن يظهر له سطوته وبأسه. «وعندما رأى اثنين من الحشاشين فوق البرج: قبض على لحيتيهما: فالتقى هذان نفسيهما من فوق البرج إلى الأرض ولقيا حتفهما في الحال والتوه(4). وقد زادت الروابط مع سلطان مصر بعد تسليم القدس وصارت هناك صداقة واضحة على حد قول أحد الكتاب المسلمين(5). وأكد هذا الاتهام الواضح الذي أصدره البابا إنوتشنزو الرابع(6). ويبدو

(1) رينو، المرجع المذكور. ص 135. وقد استشهد بالنسبة للهدية الأولى بالهاشي المنتحل وللهدية الثانية بأبي المعاسن.

(2) *Annales Colon. Maximi*. في كتاب برتز، *Script*. المجلد السابع عشر، ص ٨٤٣.

(3) المرجع المذكور، ص ٨٤٣.

(4) القصة ٩٨ من الطبعات القديمة. وقد حكيت هذه القصة قبل ذلك مرات كثيرة في أزمان مختلفة مع تغيير الشخصيات. ففي القرنين التاسع والعاشر نسبت إلى الإسماعيليين في فارس. وفي القرن الثاني عشر إلى الإسماعيليين في سوريا. وقد جعل أحد مثاقم جوليلمو الصوري، والذي نسخ عنه مارين ساندور، جعل أريجو كوتت ثم ملك القدس يشهد عملية الانتحار. انظر الاستشهادات في الكتاب المطبق الذي كتبه م. دي فريري، *Nouvelles Recherches sur les ismaeliens*. باريس، ١٨٥٥، مستل من *Journal Asiatique* سنة ١٨٥٤.

(5) جبرس، المرجع المذكور، ص ٥١٥.

(6) رسائل سنة ١٢٤٥ و١٢٤٦ في كتاب برهولتز. المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٣٢٥ و٣٢٧.

كذلك أنه تم بين فدريكو والكامل توقيع اتفاق سياسي وتجاري في السنة نفسها أو بعدها بقليل وهو الأرجح، وهو اتفاق حضاري حتى إنه يمكن عقده مرة أخرى في القرن التاسع عشر مع تعديلات طفيفة، وأقول إنه تحالف هجومي ودفاعي وللأمن المتبادل وللإعفاءات الضريبية للمواطنين وتختلف اختلافاً بسيطاً عن الإعفاءات التي تم الاتفاق عليها سنة ألف ومائتين وتسع وثمانين بين السلطان قلاوون وولي عهده من جانب، والملك الفونس دأراجونا، والملك جاكومو ملك صقلية ومع أخويهما من جانب آخر؛ ويؤكد مؤرخ بلاط القاهرة في ذلك الوقت أن مواد الاتفاق قد تم اقتراحها من جانب أسرة أراجونا طبقاً للسلام الذي أجراه في وقت من الأوقات الملك الكامل مع الإمبراطور (1). ومن المؤكد أنه أثناء مفاوضات القدس قد تناول الحديث الإعفاءات الجمركية في ميناء الإسكندرية (2)؛ وقد أدت عبقرية الأميرين ورجال البلاطين إلى توسيع تلك الأفكار وتحقيقها وجعلها واقعاً ملموساً بدلاً من تركها تنقش وتزول. وإذا كانت روعة الهدايا كانت موضوعاً دالاً على أهمية الاتفاق، فإن الموضوع الذي نتحدث عنه يرجع إلى سنة ألف ومائتين واثنين وثلاثين نفسها، عندما جاء رسل مصر، الذين جرى الاحتفاء بهم في وليمة ملفى، بهدية قيمة جداً قدر ثمنها بعشرين ألف مارك كولوني، وكانت عبارة عن رواق قبة تمثل السماء وفيها تتحرك الشمس والقمر يحركهما جهاز مستور، فيشيران إلى ساعات النهار والليل؛ وقد أمر الملك بحفظ هذا الجهاز في فينوز (3)، ونعرف أن أحد الرسل المصريين، واسمه مخلوف، قد وافته المنية في مسينا

(1) انظر بداية في الثالثة في تاريخ قلاوون، المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٢١١ والترجمة التي قدمتها في *Guerra del Vespro Siciliano*، المجلد الثاني، ص ٢٢٢ وما بعدها من طبعة سنة ١٨٦٦.

(2) انظر شهادة المقريزي، المذكورة سابقاً في ص ٦١٠.

(3) *Annales Colon. Maximis*، هي كتاب برتز، *Scriptores*، المجلد السابع عشر،

ودفن في ساحل موزللا، وكانت مقبرته ظاهرة للعيان حتى نهاية القرن الثالث عشر<sup>(1)</sup>. ولعل الفرسان، الذين جاءوا في بعثات مشابهة أرسلها السلطان، قد شوهوا في معسكر الإمبراطور جنوب بريشا (1228)<sup>(2)</sup>.

ولم تنته الصداقة بين البلاطين بانتهاء حياة الكامل. ففي سنة تسعمائة وثمان وخمسين للشهداء (٢٩ أغسطس ١٢٤١ إلى ٢٨ أغسطس ١٢٤٢) رست في الإسكندرية سفينة صقلية، تحمل اسم متروموندو (Mezzomondo) (3) وكانت تحمل - كما قيل - تسعمائة رجل وبضائع لا نهاية لها ومعها الهدايا التي أرسلها الإمبراطور إلى السلطان الجديد بصحبة رسولين، ويبدو أن أكبرهما مرتبة، طبقاً للوصف الذي يصفه به المؤرخ القبطي، كان راهباً صار رئيس أساقفة إن لم نعلم أنه كان روجيرو ديللي أميتشي<sup>(4)</sup>. وانتظر المندوبيان مدة

(1) برنولوميو دي نيوكاسترو، الفصل الخمسون، في كتاب جريجوريو، *Retum Aragon*، المجلد الأول، ص ٧٢. ونقرأ الاسم ميهلوسوس. واسم المكان الذي مازال حياً يعني في اللغة العربية، مكان الصلاة. أي المكان الخلاء الذي تقام فيه الصلاة الجامعة. (2) *Chronicon De Rebus in Italia Gestis*، طبعة برهولتز، ص ١٧٤ - ولا أوافق برهولتز، *Historia Diplom. etc*، المقدمة، ص ٢٠٤، الهامش رقم ٢. على أنهم مرتزقة عرب، أو على أن فدريكو قد استخدمهم من أفريقية. إن مديني العالم كان يتقن لغة زائدة في ملقو سبينيللي.

(3) نصف الخليا، تذكر سفينة المهدية التي كان يطلق عليها هذا الاسم والتي تحدثنا عنها في هذا الكتاب في الفصل الثاني، ص ٣٢٩ من المجلد.

(4) *Appendice al Malaterra*، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ٢٥٢. ونقرأ تحت سنة ١٢٤٠، المرسوم الخامس عشر *de Rogerius de Amicis iuxta ad Rogerius de Babiloniz*. وفي سنة ١٢٤١ المرسوم الأول *Soldanus de... et...* *insiluerunt (in) christianos qui habitabant Jerusalem et ceperunt illos, occiderunt et captivos duxerunt... Et in illis diebus Dominus Rogerius de Amicis manebat (in) Babiloniam et in Cayrum cum Soldano* وتاريخ الإقامة ومدينتها الطويلة يدلان على اتفاق شخصية المبعوث الرئيس مع الشخصية التي ذكرت في تاريخ بطارقة الإسكندرية. ثم إننا نقرأ في الكتاب المذكور، وعن أكبر هذين المبعوثين يقولون إنه يضع على جسمه رداءً من الصوف. - وفي القرن الثالث عشر كان عندما الغلاتيلا: أم أن استخدام همعان التهل والقطن لم يكن منتشرأ كذلك في صقلية؟

طويلة الإذن بالمشول بين يدي السلطان: ولما أذن لهما ولمرافقتهما الذين كان يبلغ عددهم مائة شخص، اقتيدوا إلى العاصمة عبر جولة طويلة مرت بالفيوم والأهرامات والجيزة؛ وقد وجدوا مصر القديمة والقاهرة الجديدة وقد ازدانت للاحتفال، والجيش وقد سار في استعراض، وأهل المدينة وقد خرجوا لاستقبالهم. وكان السلطان قد أرسل إليهما جوادين نوبيين كما زودوا المرافقين بالجياد المطهمة؛ وقد أمر بنزولهم في قصرين من قصور الأمراء، وأغدق عليهم الهدايا، ووهر لهم كل وسائل الراحة. وتجدد الاحتفال يوم حضورهم الرسمي إلى قلعة السلطان، واستمرت هذه الضيافة الكريمة طوال الشتاء الذي قضوه في القاهرة، في صحبة سعيدة. وولائم، وحفلات ورحلات فنس ومباريات في رمي السهام(1). وفي السنة التالية وصل رسول آخر بالقرب من الإسكندرية على سفينة ضخمة كان اسمها هي أيضاً متزوموندو. وقد تعجب الناس من ضخامتها. ويقال إنها كانت تنقل حمولة كبيرة جداً من الزيت والخمر والجبن والعسل وغيرها من المؤن الغذائية وثلاثمائة من البحارة بالإضافة إلى ركابها(2). وهناك أمور أخرى تدلل على العلاقات الوثيقة بين صقلية ومصر. وقد أكد هذا في سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين أو وست وأربعين السلطان نفسه للبابا الذي لم يستكف أن يكتب له طالباً هدنة للمسيحيين في قلمسطين(3)، وعندما رست سفينة في الإسكندرية سنة ستمائة وأربع وأربعين (١٩ مايو ١٢٤٦ إلى ٧ مايو ١٢٤٧) حملت أخباراً جديدة، غير دقيقة ولكنها حقيقية في مغازها، عن الصراع الكبير الذي كان يدور في أوروبا: كان البابا يضطهد الإمبراطور بصفته خارج عن الإيمان وبصفته نصف مسلم؛ ولهذا

(1) تاريخ بطاركة الإسكندرية. في المكتبة العربية. الصقلية، ص ٢٢١ و٢٢٥. انظر رينو. *Extraits etc.* ص ١٤١ و١٤٢.

(2) تاريخ بطاركة الإسكندرية، المرجع المذكور، ص ٢٢٦.

(3) رينالد. *Annales Eccles.* ١٢٤٦. وارجع بالنسبة للتاريخ إلى برمولتز. المرجع

المذكور، الصفحة، ص ٢٦٨.

فقد حُرِّض عليه بارونات من الحكام ليقتلوه، ووعد واحداً منهم بصقلية، ووعد الثاني ببوليا، ووعد الثالث بتوسكانا؛ وعندما علم الإمبراطور من عيونه أن المتآمرين عليه سيهاجمونه أثناء نومه، وضع أسيراً في فراشه، وتربص بهم مع مائة فارس، وبينما كان القتل يطمنون العبد، ذبحهم جميعاً بيده، وسلخ جثثهم، وملأ جلودهم بالقش وعلقها على بوابة إحدى قلاعهم. وكما هو واضح، فإن هذه القصة الخيالية تصور ملامح المؤامرات التي اكتشفت آنذاك في أراضي نابولي. وتختتم القصة، وهي تعود إلى الحقيقة، بأنه بعد فشل تلك الضربة فإن البابا أرسل جيشاً ضد الإمبراطور (1). ويكتب المسلمون أن الإمبراطور حذر الملك الصالح من تحرك سان لويجي ضد مصر (2)؛ وفي الحقيقة قد يؤدي اتفاق قلاوون الذي سبق ذكره، إلى الاعتقاد في صحة هذه القصة، لأن الفونسو دارجونا وچاكومو الصقلي قد التزما، إلى جانب ما التزما به من أمور أخرى، بأن يحذرا السلطان ويخطرا بمثل هذه الأمور (3). ولدينا في النهاية في المذكرات الإسلامية في ذلك الوقت، اللقب الذي كانت تستخدمه القاهرة عندما تكتب لفديريكو وهو: «الملك الكبير المعظم الجبار، ملك ألمانيا ولومبارديا وصقلية، حارس بيت المقدس، سند بابا روما، ملك ملوك المسيحيين، وحامي ممالك الفرنجة، وقائد جيوش الصليبيين» (4).

ولم تنقطع هذه الصداقة مع سلاطين مصر حتى نهاية حكم أسرة دي زيفشيا والدليل على هذا أن السلطان بيبرس قد أرسل زرافة هدية

(1) البابا المنتحل، في المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، من ٥١٦ و ٥١٧.

(2) المرجع المذكور، من ٥١٧.

(3) النص، في المرجع المذكور، من ٢٤٦؛ والترجمة في كتابي *Storia del Vespro Siciliano*، المجلد الثاني، من ٢٤١ من طبعة ١٨٦٦.

(4) ابن الجوزي، نقله البابا المنتحل، في المكتبة العربية - الصقلية، النسخ، من ٥١٧.



إلى مانفريدي (1). وقد شهد على استمرار هذه الصداقة بشكل أوضح لأبي الغدا معلمه جمال الدين القاضي الأعلى الشافعي المذهب في حماه، وهو مؤرخ، وعالم رياضيات، وفقيه ومؤلف كتب مختلفة من بينها مبحث في الجدل أهداه إلى مانفريدي وعنوانه (الرسالة) الإمبراطورية؛ لأن المسلمين أطلقوا على أبناء هنريكو الثاني لقب أباطرة، وروى جمال الدين أن بيبرس أوفده رسولا إلى مانفريدي سنة ستمائة وتسع وخمسين (من ٦ ديسمبر ١٢٦٠ إلى ٢٥ نوفمبر ١٢٦١) وأنه سافر من بلاط أسرة دي زيفيا عندما كان البابا على وشك منح المملكة لكارلو دانجو. وروى أنه تبادل الحديث أكثر من مرة مع الملك في إحدى مدن بوليا تبعد سفر خمسة أيام عن روما وقريبة جداً من أراضى لوتشيرا، وكان كل سكانها من المسلمين، النازحين من صقلية؛ وأنه في لوتشيرا كانت تتبع الشعائر الإسلامية، وكذلك صلاة الجماعة يوم الجمعة؛ وأن كثيراً من رجال مانفريدي كانوا من تلك السلالة وكان يُؤذَن في المعسكر علانية للصلاة خمس مرات في اليوم. وأكد أن هنريكو ومن بعده كورادو ومانفريدي، الذين كان يطلق عليهم لقب الإمبراطور، قد قام البابا بحرماتهم من الكنيسة بسبب محبتهم للمسلمين، وحكى قصة عن ارتقاء هنريكو لعرش الإمبراطورية سمعها من رجال البلاط؛ وهي البلية نفسها التي يقوم بها كل مرشح بجمع أصوات الآخرين وبعد بصوته لكل ناخب.

وهناك الكثير مما نستنتجه من العلاقات السياسية بين بلاط بالرمو وبلاط القاهرة ومع غيره من المسلمين في النصف الأول من القرن الثالث عشر. وسوف نتناول في الفصول التالية التجارة بين

(1) الهامش المشعل، الذي ذكره رينو في . *Extraits ec.*، ص ١٢٦، الهامش ١: البرنو مانو، الأعمال الكاملة، المجلد السادس، لرون ١٦٥١، *Dr. Animalibus*، المبحث الثاني، الفصل الأول، *De Anabula*، ويضيف هذا الحيوان الذي يسميه العرب والإيطاليون زراف *Scraph* ويستطرد قائلاً: *Unam harum secum temporibus nostris, habuit Federicus imperator, in partibus nostris*.

الشعوب، وقد كانت المرة تلو المرة سبباً ونتيجة لعادات الأمراء وأعرافهم. كما سنستعرض الجوانب الحضارية التي سنلاحظها في الفترة الأخيرة من وجود جماعات صقلية إسلامية.

## الفصل العاشر

ينتقل تاريخ الأدب في صقلية من عهد الأمراء الأكالية إلى الملك روجيرو، ويتخطى ما يقرب من قرن من الزمان، يبدأ بحرب المسلمين الأهلية وينتهي باستقرار الغزاة المسيحيين الذين أتوا من وراء الفارو وجبال الألب، وفي تلك الفترة لمع كثير من المسلمين من رجال العلم والأدب في أراض إسلامية أخرى عندما تركوا الجزيرة، وفي المقابل كانت عناصر الحضارة الغربية القائمة في جانب منها على تراث السكان الأصليين وفي الآخر على الأجانب، تواجه عناء كي تزدهر وسط مثل هذا التغير العميق الذي جرى في الدين واللغة والنظم السياسية والاجتماعية، والأسس التي وضعها السكان الأصليون من قبل لم تكن قد اندثرت، فالثلاثمائة مدونة التي وقفها القس سكولارو على ديره الجديد في مسينا في العام الأخير من القرن الحادي عشر<sup>(1)</sup> تشهد بأن الدراسات لم تكن قد طواها النسيان؛ كما لا يبدو لي مستبعداً، أنه بين المواعظ والقوانين الكنسية وكتب الصلوات، كانت مكتبة مؤسس الدير تتضمن بعض الكلاسيكيين وبعض كتب التاريخ أو الحساب، ونحو نهاية منتصف القرن عندما شيد جورج الأنطاكي، وهو رجل من أصل آخر وذو همة نادرة، كنيسة ساننا مازيا في بالرمو التي يطلق عليها اليوم ماراثورانا، فقد أهداها ضمن العديد من الهبات «كتبا ليست بالقليلة»<sup>(2)</sup>، ومن هنا يتضح أن هذه المجموعات النادرة كان يُحتفظ

(1) انظر الفصل التاسع من الكتاب الخامس، ص ٢٥٩ من هذا المجلد الثالث.

(2) وثيقة يونانية لعام ١١٤٢، والمستشهد بها في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ١٣٣ - ١٣٤ من المجلد. حيث صحت نص «العلامة، العربية لهذه الشهادة، التي نشرها مورسو والأستاذ كاروزو. الفقرة العربية من الشهادة لم تُقرأ أفضل من «علامة». أما مورسو

بها باعتبارها مقتنيات تزين قصور كبار الصقليين، ومحتويات ضرورية في المنشآت الكنسية: ومع ازدياد عددها في النصف الأول من القرن الثاني عشر، تزايد أيضا عدد المدونات التي تم جمعها بها ومحاولة قراة مضمونها .

وعند الوصول إلى فترة تحرر روجيرو، الكونت الثاني، ثم بعد ذلك بقليل ملك صقلية، نتوقف عن الاستقراء لما لدينا من شهادات صريحة ووقائع ثابتة. لقد لاحظنا أننا عبقرية ذلك الأمير العظيمة، وحماسه للعلم، والمديح الذي كان جديرا به في كتاب الجغرافيا الذي سمي باسمه: وأشارنا إضافة إلى هذا إلى علماء بلاط بالرمو الذين نبوا بينهم المرتبة الأولى دائما لعقله الفذ ومكانته العالية. وسنتناول بالحديث الآن أولئك الرجال العظماء وأعمالهم حسب الأخبار القليلة التي وصلت إلينا .

كانت أعمال بطليموس بين أعمال أخرى كثيرة أنقذها العرب من غرق العلم القديم: وترجموها إلى لغتهم في القرن التاسع الميلادي: وعلى هذا النحو درست أوروبا كتاب " المجسطى " الذي أعيدت

فترجمها بطريقته على هذا النحو :

*"Mense maii; indictione sexta, rogatus fuit Dominus noster Rex augustus, sanctus, cujus regnum Deus Perpetuet, ut imprimeret suum nobile signum in hoc diplomate, ut sciatur quod ejus potentia, ordinatione divina constituta, hoc etiam concessit annuitque responsione, et se contentum declaravit, impressitque suum sublime signum. Sufficiens est Deus et propitius ei qui confidit in illo".*

مباشرة توقيع جورج. ولما بدى لى أن صيغة التصديق الملكية لمثل هذه المحررات يمكن أن تلقى كثيرا من الضوء على كتابة الوثائق والتشريع في تلك الفترة، وأن قراءة مرسوم خاطئة « إلى حد ما » فإنى أترجم هنا من جديد النص العربي كما قرأته بجلاء، في النسخة الأصلية: « في شهر مايو، الخمسمشرية السادسة طلبت من سيدنا الملك الميجل والقديس، خلد الله ملكه، بأن يأمر بوضع علامته السامية على هذه الشهادة، حتى يعلم الجميع أن عظمته - حفظ الله ملكه، قد سمح بوقع على هذا (المحرر) - وأصدر عظمته موافقته، بالتصديق على (المحرر) بوضع علامته السامية على رأسه - نتوكل على الله فعنده حسن التدبير ».

ترجمته من العربية إلى اللاتينية قبل الحصول على النص اليوناني بكثير. وكتاب «الجغرافيا» الذي جاء عبر الطريق نفسه، توقف في صقلية كما سنذكر هذا بالتفصيل الآن. ولكن نص «علم البصريات» مفقود، ولا يتوفر لدينا حالياً سوى الترجمة اللاتينية التي قام بها الأدميرال الصقلي إوجينيو عن ترجمة عربية. وهذا المؤلف الذي حجب عنه عملاً المؤلف نفسه الآخرين اللذين كانا يبهران الناس بسعة موضوعهما، عمل أقيم منهما، طبقاً لرأي العلم الحديث. وهنا أسس بطليموس نظريته بناءً على التجارب والحقائق الحسابية بدلاً من أن يصرف عقول الدارسين إلى افتراضات كبيرة. ومن ثم فإن علماء العصور الوسطى الذين كانوا يتطلعون إلى اكتشاف القوانين الطبيعية، ومن بينهم روجيرو باكوني وروجو مونتانو، تداولوا كتاب علم بصريات بطليموس باعتباره كتاباً كلاسيكياً: وإذا كان هذا الكتاب يفيد اليوم فقط في تاريخ العلوم فإنه يعتبر علامة كبيرة على التقدم الكبير فيه، إذ تناول بشكل جيد نظرية انكسار الضوء التي كان الكتاب القدماء قد اقتصر على مجرد الإشارة إليها. كان هذا هو رأي السندرو هومبولدت<sup>(1)</sup>. ويلمس الأدميرال إوجينيو في تهديد موجز جداً

(1) *Cosmos*، الطبعة الفرنسية عام ١٨٤٨، المجلد الثاني، ٢٢٢ و ٥١٩. راجع فضلاً عن هذا هينوتي *Commentarii sopra la Storia e le teorie dell' Ottica* بولونيا ١٨١٤. المجلد الأول، ص ٢١ إلى ١٥٩ كوسان. *Memoires de l'Institut de France*. *Acad. des Inscriptions*، المجلد السادس (١٨٢٢). وعالجها Humboldt نفسه في *Raccolta di Osservazioni astronomiche*، المجلد الأول (١٨١١)، ص ٦٥ إلى ٧٠. كما عالجها Delambre في *Storia dell' Astronomia... etc* ودرس Humboldt، مخطوطة باريس، Ancien fonds 7310. ودرس كوسان هذه وغيرها، بالمكتبة نفسها ولا يشير إلى أرقامها، ولم أتمكن أنا من العثور عليها؛ وأخيراً يستشهد في شك بمدونة أخرى بمكتبة بودليانا. وهي إيطاليا لدينا مدونة الأمبروزيانا سلاكرهما في الهاش الثاني، وواحدة بمكتبة الفاتيكان رقم ٢٩٢٥. واثنان بمكتبة فلورنسا القومية (*Raccolta Magliabechiana*) رقم ١١، D. ٦٤، ٢، ٢٥، ومدونة الأمير بالدارساري بونكومباتي في روما. والمدرج في قائمة إنريكو ناردوتشي، روما، ١٨٦٢، ص ١٢٦ وما يليها، رقم ٢١٤.

وبينما أقوم بتصحيح هذه الصفحات أعلم أنه يتم لدينا الأعداد لنشر هذا الكتاب الذي

أهمية تلك الدراسة، كما تنبه إلى اختلاف طابع اللغات، وبالتالي لم يكن من اليسير النقل من العربية إلى اليونانية أو اللاتينية، ويصرح أنه في بعض المواضع بدلا من الترجمة ترجمة حرفية، فسوف يحاول الإلمام بفكر المؤلف ونقله في أحسن صيغة مناسبة. ومع هذا ينبه إلى أن النص العربي لا يحتوي على الحديث الأول من الأحاديث الخمسة التي يتألف منها المبحث، وأن إحدى المدونتين اللتين كانتا في متناول يديه في حالة جيدة، بحق، ولكنه لم يعثر أيضا فيها على الحديث الأول. (1)، ومن هنا

كان قد شرع فيه فلهنوري في أواخر القرن الماضي لم اضطر لأن يتحرك. وأتسنى أن يعثر العلماء الناشرون المعاصرون والذين أحرفهم جيدا على مخطوطات أقدم من التي عرفتها، والتي ترجع إلى نهاية القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر. ولو صدق طلي فكها ليطالية وكل منها ذات صلة قرابة وثيقة بالأخري، إن المصير والبلاذ يتوافقان جيدا مع الحركة العلمية التي يكشف عنها ذلك الانتشار السريع للنسخ.

(2) ها هو التمهيد الذي نسخته من مخطوطة باريس ٢٢١٠ (القرن السابع عشر)، وقارنته وصحبته بنسخة فيها الفترة نفسها أرسلها لي في عام ١٨٩٦ العالم الفاضل أنطونيو تشينباتي، وهو اليوم مدير امبروزيانا Ambrosiana. هذه النسخة تم نسخها من مخطوط امبروزيانا ١٠٠٢، مع البدائل الواردة بالمخطوطات (D. 451 Inf. القرن السابع عشر). ولا أقوم بالمقارنة مع المخطوطات الأخرى التي يمكننا لأن الناشرين البعد يقومون بذلك. ولا أقول فقط إن مخطوطات magliabechiani المالبكية والرومانية تتضمن هي الأخرى عبارة ammirato ammirato. وسوف أترك هذه الأخطاء الواضحة والبدائل قلبه الأهمية وأتبع الكتابة الحالية.

*"Incipit liber Ptolemaei de Optica, sive aspectibus, translatus ab amirato (cod. par. arabico) Eugenio Siculo, de Arabibus in latinum"*

*"Cum considerarem Optica Ptolemaei necessaria usque fore scholam diligenter et rem pertractantibus naturam, laboris mei subire et illa in praesentis libro interpretare non recitavi. Verumtamen, quia antiquae linguarum generis proprium habent idiomata, et alterius in alium translatio, fidei maxime interpretis, non est facilis; et praesentis arabicum in graecum aut latinum transferre volens, tanto difficilior est, quanto maior divergentia inter illas, tam in verbis et nominibus quam in literali compositione reperitur, unde, quia in hoc opere quidam forte non manifestis apparet, dignum duxi interventionem auctoris ab arabico libro evidenter intellectionem, breviter exponere, ut lectoribus via brevis efficeretur. In primo quidem sermone, quoniam non sui inventus, tamen sicut in principio secundi exprimitur, continetur quo visus et lumen communicans et ad invicem assimilantes, et quo differens in virtutibus et moribus, nec non differentia eorum et accidentia. In secundo etc."*

ويواصل المترجم على هذا النحو فهرست التتمول لم يمارء

*"Incipit sermo secundus Opticarum Ptolemaei, sive de graeco lingua in arabicam, nunc etiam de arabica in latinum, translationum ab amirato (cod. par. arabico) Eugenio Siculo, ex duobus exemplaribus, quorum novissimum, unde praesentis translatio facta fuit, veratibus est: primus tamen sermo non est inventus"*.

وموضوعات الأحاديث الخمسة أو الكتب كما يطلق عليها هي: الأول- انقراض حول الرؤية من خلال أشعة ضوء تصدر من العين، والثاني: تصحيح عيوب الرؤية من طريق العواس الأخرى، والثالث، انعكاس الضوء، والرابع عن المرايا المقعرة بصفة خاصة، والخامس، انكسار الضوء.

نرى أن أوجينيو كان متقدماً جداً في مجالى الطبيعة وفقه اللغة، علاوة على إجادته الكتابة باللغة اللاتينية، حسب عصره. لذا أحسبه صقلى الأصل وليس يونانياً من المشرق مثل جورج الأنطاكي. وحتى الآن لم تتم طباعة هذا العمل، ولكن اتعشم أن يرى النور عما قريب في إيطاليا، بعد سبعة قرون من ترجمته هنا في أرض بلادنا نفسها. ويكفى أن أضيف هنا أن اسم المترجم ووظيفته الرسمية نقرأهما في كل النصوص مدونين بالقلم دون بدائل تقريباً، مما لا يراه، أى متمرس في الكتابات القديمة، في استبدال أحد الحروف بحرف آخر، وهذا ما نجده في بعض المدونات حيث نقرأ ammiraco بدلاً من ammirato. وأما أن يكون المؤلف محاصراً للملك روجيرو فهذا ما نخلص إليه في سمات العمل نفسها: وتدل عليه الوثائق، كما تؤكد في رأي نسخة أخرى لاتينية تنسب إلى الأدميرال ذاته.

واقصد نبؤات سيبلا إريتريا، المكتوبة بالكلدانية في صيغة رسالة موجهة إلى الأغريق وهم في طريقهم إلى حرب طروادة، والتي نقلها إلى اليونانية دوكسوباترو Doxopatro، ومنها حولها إلى اللاتينية أوجينيو، أدميرال مملكة صقلية التي وصل إليها الكتاب اليوناني بعد انتزاعه من كتوز الامبراطور مانويلي. وهي الحقيقة قد يبدو اسم المترجم الأخير مصطنعاً تماماً مثل المؤلف الملهمة به. وعصر مانويل كومنيتر قد يبدو عصراً مفترضاً مثل عصر بريامو: حيث إن الأحداث التي يشار إليها تحت ستار غريب من أسود وأفاعى ونسور وبراكين وزلازل وعواصف السماء وجرائم البشر، من الواضح أنها كانت تلك الأحداث التي عصفت بإيطاليا وأوروبا في القرن الثاني عشر والثالث عشر. وينبغي الالتفات إلى أن كتب النبوءات هذه، منذ القدم وحتى أواخر العصور الوسطى، كان يغلب عليها النقل والإضافة وإن لم يكن إعادة التأليف من أساسه. ومن ثم لا يبدو لي مستبعداً أن يكون أحد المحتالين قد باع للملك روجيرو، بثمن باهظ، بعض المخطوطات اليونانية المتهاكة المتسخة، متباهياً بعرفتها من

منافسه كومنينيو، أو أن المنتحل الذي عاش في القرن التالي كتب مباشرة باللاتينية مصطنعا أيضا إسمى الامبراطور مالنكها والأدميرال المقل. اللذين كما يعلم الجميع كانا متعاصرين، وولع أحدهما بعلم التجويم، واشتهر الآخر بترجمة مؤلفات علمية من لغات المشرق (1). وفي الحالة الأولى فإن دوكسوباترو *Doxopatro* المترجم المزعوم من الكلدانية ربما كان هو البليغ جوفاني مؤلف *Comentarii d'Aphthontio*، وأعمال أخرى يبدو أنه تم إنجازها في أواخر القرن الحادي عشر (2). أما بالنسبة للافتراض الثاني، فيمكننا القول إن المزيف أراد أن يقدم اسم نيلو دوكسوباترو الذي حضر من اليونان إلى بلاط روجيرو، وأنه اصطنع أيضا اسم المترجم اللاتيني حتى يُبعد تماما عن القرن الثالث عشر تلك الحكايات التي كان ينشرها. ونظرا لأننا بحثنا في موضع آخر (3) في دور روجيرو في تأليف كتاب الجغرافيا المتداولة اليوم باسم جغرافية الإدريسي، ولمسنا

(1) كان كوسمان أول من ذكر هذه التيمات في عمله *Memoria su l'ottica di Tolomeo*، وذلك في بعدد الممر الذي علق فيه الأدميرال أوجينير الذي لم يكن لديه أخبار أخرى عنه.

وبعد البحث عن هذه المخطوطات، والمثور عليها في مكتبة باريس القومية، وجدت أنها تشير في تباين ضئيل فيما بينها إلى اسم ووقيلة أوجينير. وإلى المصدر السري الذي جاء منه هذا العمل. والمخطوطات هي: مخطوطات لاتينية. Ancien Fonds. رقم 2690 و 2662 و 2629. والسريون 216. ويبدو أن المخطوطتين الأولى والثالثة ترجعان إلى القرن الرابع عشر. أما الثانية فهي من الخامس عشر والرابعة من السادس عشر. ويحمل الكتاب أيضا عنوان: *Vasilographi, idest imperialis*. في 2662. وتتحدد رتبة أوجينير بـ *admiratus*. في هذه المخطوطة 2690. (ورقة 27 وما بعدها) وفي 216 السريون. وتحدد بـ *ammiratus*. في 2629 (ورقة 98 الوجه الأول). ولتبدأ هذه المخطوطة بـ *l'Astrologia Guidonis Bonati de Forlivio*. ويشير إلى المترجم اليوناني أحيانا باسم *toxapater*. وأحيانا أخرى *dox pater*. وفي مواضع أخرى *doxopetri*. وفي 2629 اختل الاسم تماما.

(2) انظر والز. *Rhetores Graeci*. في مقدمة الجزء الثاني. ص 11. وفي الجزء السادس ص 11. وأخذت هذا الاستشهاد من *Nouvelle Biographie etc* للسلامة هيرفر. ملدة *Doxipater*. نظراً لأنه لم يتوفر لدى عمل والز وأنا أكتب عن الموضوع.

(3) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب. ص 126 وما يليها من المجلد.



إقامة هذا العالم المسلم في بلاط بالرمو، فمن المناسب الآن أن نتكلم عما نعلمه عن حياته ونحاول تقييم العمل.

والشريف الإدريسي، وهذا هو اللقب الذي لقب به هو وكل سلالة على وفاطمة، من ذرية إدريس، سليل بنت النسي من الدرجة الرابعة. وكان قد فر، عندما حكم عليه بالاعدام لتمرده على خليفة بغداد عام مائة وتسعة وثلاثين (٧٨٦) ورحل من الحجاز إلى دولة مراکش الحالية، حيث نصبته قبائل البربر خليفة عليهم (٧٨٩) وحيث أسس ابنه بعد ذلك مدينة فاس (٨٠٧). وسقطت أسرة الأدارسة في القرن العاشر؛ ولما لقي في أوائل القرن الحادي عشر الخلفاء الأمويون في أسبانيا المصير نفسه، اعتلى عرشهم على، بن حمود وهو أحد الأدارسة؛ ومن هنا أطلق على هذا الفرع الجديد بنى حمود. ولم تثبت خلافتهم طويلا في قرطبة. وعندما انهارت خلافتهم استولوا على مالايا والجزيراس، (١٠٢٥ - ١٠٢٨). ولما فقدوهما أيضا استولوا على أراضى أخرى في شمال أفريقيا وحكموها. وعندما حضر أحد رجالهم إلى صقلية، استولى على كاستروچوفاني وسألمها للكونت روجيرو (1). ويبدو أن عالم الجغرافيا المتحدر من بنى حمود في مالايا قد اتخذ اسم الإدريسي بدلا من الحمودي لكي يميز لقبه عن ابن حمود صقلية، أو لكي يذكر برئيس السلالة المجيد في الغرب وبالإدريس جده الأكبر، وأول أمراء مالايا (2).

ولم يشفع له ذلك الأصل النبيل ولا العلم الوهير للحصول على ترجمة للإدريسي بين الآلاف والآلاف التي حررها المؤلفون

(1) الكتاب الخامس، الفصل السادس، ص ١٧٥ وما بعدها من هذا المجلد.  
(2) يقول ابن خلدون في المقدمة مسرعة إنه من بنى حمود، وأنه حضر إلى صقلية بعد طرد أجداده من مالايا، حيث كانوا ساداتها، وهذه القصة كان أول من ذكرها هو البارون دي سلان في مقال مهم جدا نشره حول جغرافيا الإدريسي في *Journal Asiatique*، السلسلة الثالثة، المجلد الحادي عشر (١٨١١) ص ٣٦٢ وما بعدها.

العرب في العصور الوسطى (1). حاول أن يكتب عنه ليوني الإفريقي في القرن السادس عشر، لرغبته العارمة في اشباع شغف الإيطاليين الأدبي، وكتب من الذاكرة وأحياناً من الخيال؛ وفضلاً عن هذا وصلتنا مسودته عن طريق ترجمة مزدوجة (2) وهو ما لا يتسم بالشفافية. وبعد البحث والتقيب هنا وهناك، تمكن الباحثون في هذه السنوات الأخيرة من جمع بعض الأخبار جديدة بالثقة. كان الإدريسي يُدعى أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله، ابن ذلك الإدريسي الذي لقب في مالاجا (١٠٢٥) بأمير المؤمنين، واشتهر بالمالي بأمر الله (3). ويقال إن عالم الجغرافيا ولد في سبته.

(1) البارون دي سلاتن، وهو من أكثر الباحثين دأباً وعلماً بالمخطوطات العربية كتب في المقال المذكور. في ص ٢٧٦ وما بعدها قائمة طويلة بالأعمال التي رجع إليها دون أن يعثر فيها على أية أخبار عن حيلة الإدريسي.

(2) إن المبحث المصنوع *De Viris illustribus apud Arabes*، حيث يتناول ليون الإفريقي في الباب الرابع عشر سيرة «الشريف الصقلي» كما أطلق عليه، كان مكتوباً بالعربية أو يتبع أسلوب التكبر العربي، وترجمه مؤلفه بنفسه إلى ذلك المستوى من اللغة الإيطالية الذي كان بإمكانه، ثم نشره Hottinger هوتينجر. باللاتينية ومن بعده فابريسيوس، في *Bibl. Graeca*، المجلد الثالث عشر (١٧٢٦)، ص ٢٧٨، وأخيراً جريجوريو، *Retum Arab*، ص ٢٢٨. وعلى حد قول ليوني ولد مؤلف نزهة الألبصار في مالزلا، وأرسله مواطنو مالزلا إلى الملك روجيرو الذي استولى على صقلية حيث قدم له ذلك الكتاب. ولما أمر بترجمته إلى اللاتينية، اهتمت بروعة العمل لترجة أنه أهدى للشريف أحد القصور ودعاء للإقامة في البلاط؛ ونظراً لأن هذه الإقامة لم تفل إعجابه باع القصر بمليون بونقة، ونوجه إلى إفريقية إلى حين وافته المنية عام ١١٢٢. وسوف لا يدحض هذا الخطأ من قراء ملاحظاتنا حول أعمال ليوني الإفريقي في الباب المباشر من الكتاب الأول، ص ٢٠١ وما بعدها.

وعندما لاحظ جريجوريو، الموضع السابق، ذلك الخطأ بين الحاكمين اللذين يحملان اسم روجيرو، صبح لقب الملك بالكونت. ونقل العمل إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر، ومن ثم أوجد اثنين يدعيان إدريسي وجغرافيين، ووصل إلى لوم كازيري لأنه لم يتبه إلى الاختلاف المعلن لملكي الجغرافيا المزعمين.

(3) يقرأ هذا الاسم في مخطوطة بودلانا *Bodlejana*، رقم ٨٨٧ من قائمة *liri*، وهي مدونة متواضعة من القرن الخامس عشر. والفصل الموجود بالطريقة الذي نشرت نصه في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٦١٠ يورد فقط اسم محمد بن محمد ويضيف اسم نسبه وهو القرطبي واسم الشهرة ابن القنري. طبقاً لإحدى المخطوطات، وابن الن... رى طبقاً لمخطوطة أخرى، ويبدو أن كلا الاسمين خطأ. وأيضاً حاجي

عام أربعمائة وثلاثة وتسعين من الهجرة (١١٠٠) وتعلم في قرطبة(1): ومن المؤكد أنه رحل رحلة طويلة في شبه الجزيرة الأسبانية حتى شواطئ الأطلس، ورأى في أفريقيا قسطنطينة والمناطق الجنوبية في المغرب؛ وفي المشرق وصل على الأقل إلى نيقيا، فقد كتب أنه دخل في عام خمسمائة وعشرة (١١١٦) في مفارة أهل الكهف المعروفين في أدب سيرة العارفين الإسلامى(2).

أما الفترة التي عاشها في صقلية فهي أقل غموضاً، حيث أطلق عليه الصقلي: كما كانت العادة في اتخاذ أسماء الأصول من مسقط الرأس أو مكان التعليم أو الإقامة. وكما قلنا في الفصل الثالث والرابع من هذا الكتاب أتى الإدريسي من ساحل أفريقيا إلى بالرمو وقد استهواه كرم روجيرو ومخاؤم، وكان نسبه إلى بنى حمود يرفع مكانته ولا يمرضه لأية مخاطر. كما تحدثنا عن كيفية إقامته في بلاط جويليمو الأول(3)، ولا نعلم(4) إلى أي البلاد توجه، ومتى مات حيث أن آخر الأخبار

حديثة. طبعة Flurgel، السادس، ٢٢٢ والصكتبة العربية، الصقلية، ص ٧٠٦ من النص، يكتب فقط إسمي محمد بن محمد، الشريف إدريس الصقلي. أما نوزي، في مقفمة Description de l'Afrique et de l'Espagne، ص ٢، فيقر نسبه العائلي الذي يستخلص من مخطوط بودلانيات، والذي لا يرى في الحقيقة ما يرفضه.

(1) هكذا يقول كازيري، Bibl arabo-hisp. ٢، ١٢، حين أن يذكر مصانده، ولكن أخباره تتفق مع ما قلنا من مصادر أخرى، والدراسة في قرطبة يدلل عليها أيضاً الاسم الذي اشتهر به الإدريسي وهو القرطبي وورد بالحروفيدة. وقارن بين دي سلان و دوزك، الموضعان السابقان.

(2) يقول هو نفسه في الجغرافيا إنه كان في لشبونة (الترجمة الفرنسية، المجلد الثاني، ٦٦)؛ وأنه رأى المد والجزر في الأطلسي (١، ٩٥) ومناجم الزئبق في أبال Abal (٢، ٦٦). وأنه لاحظ أكثر من مرة الجليد. في شوارع أشمات (١، ٢١٢) وأعجب بجسر قسطنطينة (١، ٢١٢)؛ وأنه نزل في مفارة أهل الكهف، ليس في أفيسو Efsso ولكن بين جبل أمورينم Amorinm، ونيقيا Nicea، (٢، ٣٠٠). قارن رينو وأبو الفدا، المقدمة، ص ١١٢ و ١١٤.

(3) الصفحات ١٢٧ وما يليها، و ١٦٧ وما بعدها في هذا المجلد.

(4) يقول ليويني الأفريقي إنه مات عام ٥١٦ الموافق ١١٢٢-١١٢٣. وهذا خطأ بالتأكيد. ويخترع البارون دي سلان في العمل النقدي الذي أشتنا عليه منذ قليل إختراصاً مغفولاً وهو أن ليويني أو من ترجمه ذكر العام الهجري ٥١٦ بدلاً من عام ٥٦٠. وبذلك قد يرجع موت الإدريسي إلى عام ١١٦٤ - ١١٦٥.

التي لدينا عنه نجدها عند ابن بشرون، صاحب مختار الأندلسيين أي «مختار (الشعراء) الأسبان»، وقد قابل الإدريسي في بالرمو ويقول إنه وضع كتاب نزهة المشتاق لروچيرو، وبأنه كتب في الموضوع نفسه لجوليلمو الأول وذلك في روض الأانس ونزهة النفس. ونقل صمد الدين الأصفهاني ذلك مع فقرات أخرى من مختارات ابن بشرون في كتاب الخريدة، وهو المصدر الرئيس للأخبار التي نستقيها عن الشعراء العرب في صقلية. وأخذ صاحبها المختارات، دون أن يضيف شيئاً عن أعمال الإدريسي الجغرافية، بشيان بأسلوب ملي بالمحسنات البديعية على أشعاره، فالأول يقول إنه حصل عليها من مؤلفها نفسه، والثاني يحتفظ منها بفقرات عدة تقدر بخمسة وثلاثين بيتاً (1). من الشعر. ويمكن لهذه الأبيات أن تندرج في خزانة أشعار شعراء الأركاديا الإيطاليين. فالصور التي طالما تكررت في الشعر جاء التعبير عنها عنده في عذوبة وصفاء. ولغة هذه القصائد أقل تكلفاً من لغة الجغرافيا التي رصّع الإدريسي أجزاء كثيرة

---

(1) نقرا التمس الذي يشتمل على أخبار حياته في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٦١٠ و ٦١١، حيث لم أنشر أبيات شعر الإدريسي التي نسختها من مخطوطتين باريسيتين للخريدة أي Anciens Fonds، ١٢٧٦. الورقة ١٩ الوجه الأول وما بعدها. وأصلين ٣٦٩، ورقة ١٢ الوجه الثاني وما بعده.

وتبدأ القصيد الأولى التي يروى فيها ذلك العلم الحمسى المعروف لدى الشعراء العرب بهذا المعنى، «انتش في الطلام تزورني، فما انتهيت من داب الرهيب، حتى ارنهيت لنوم، وهوت الأحياء راح يلبب».

واسم «رهيب» الذي ترجمته بالمعنى العام «يقط» يطلق على من يقوم بالرقابة، ومن ينتظر. ومن يقوم بالملاحظات الفلكية.. الخ. لعل الإدريسي كان إلى حد ما فلكياً أو منجماً، ولكن ليس بالأبيات التالية شيئاً يرجع هذا المعنى أو ذلك. ويعترف الجغرافي في الفقرة الثانية «بأنه قضى ليلي كثيرة يحسني النظر مع زمرة من التبله المبتكرين، وبأن النظر في روائه الأسفر ويزينه عند من زيد. لمب برؤوسهم حتى أن الشفق أدركه النعما مسترقعين على الأرض بين أنهار وجدال وروج، نهضوا منها مشدوهين، ولكنهم عادوا يدهرون الكلاوس حتى المساء».

ويبدو أن الإدريسي عندما قال أشعاره لابن بشرون كان قد تخطى ذلك العمر الجميل، حيث إنه في آخر القصيدة غزل، تغلب عليها الرقابة، لا يفكر إلا في الموت وهي خطايا، وفي رحمة الله به.

منها بالإغراق البلاغي والمحسنات والتعابير المهجورة التي جعلت وصفه رتيبا مبهما أحيانا بدلا من أن تضفي عليه جمالا. وعندما تنتقل من الشكل إلى المضمون ينبئ في المقام الأول أن نعيد إلى الأذهان حال الدراسات الجغرافية في منتصف القرن الثاني عشر. كانت الدراسات الاغريقية والرومانية القديمة تقضى بقياس الأرض من خلال رصد السماء؛ وبدأت تسجيل المسافات بين المدن، ومجرى الأنهار، وشكل البحار؛ ووصف الطبيعة العضوية وأجناس البشر وأعمالهم؛ وخلقّت خطوطا رئيسية لخرائط ومسالك مرسومة؛ وهذه الأعمال، وإن كانت ناقصة لقلة كفاية الأدوات المستخدمة فيها وقلة الملاحظات وتغلب الافتراضات، إلا أنها تكشف عن إرساء أسس ذلك العلم.

وكان مبحث بطليموس يجمع أطرافه جميعها، ويضيف إليها الأغلاط الخاصة بالمؤلف. ولما حلت ظلمات البربرية ضعف علم الجغرافيا في أوروبا، مثل باقى العلوم وآل إلى كتابات مشوشة وإلى تلخيص الملخصات، واستمر في تدهوره في الغرب من القرن الخامس إلى القرن الحادى عشر من التقويم الميلادى (1)؛ وبدأت إحدى حركات انتماشه فقط في القرن الثانى عشر. مع الحملات الصليبية. ويمكننا القول بأن البيزنطيين احتفظوا بكتب الجغرافيا دون دراستها. ولكن عندما دخل العرب في التعامل مع الشعوب وأحوا يبحثون في حماسة الشباب عن علوم الجغرافيا. وكانت قد ألهتهم لذلك حياة البادية والترحال ورحلات القوافل والشفق بأبراج السماء، وربما أيضا الاتجار مع سكان بلاد ما بين النهرين الذين أعمالوا فكرهم منذ القدم في جلد السماء. وقد جذب العرب إلى علم التجسيم التنازع

---

(1) استند في التماسيل إلى الفصلين الخامس والحادى عشر من كتاب ليلويل وعنوانه: *Geographie du Moyen-âge*. وهو أثر في المعرفة وحسب العلم والإرادة الصلبة في مواجهة الحظ العائر. والكتاب لسوء الحظ غير منسق جيدا ومكتوب بلغة فرنسية لا تفهم أحيانا، وغالبا ما تسيب قارعا بالتعب.

المتواصل في مجتمعهم، وكانت العقيدة من ناحية أخرى تدفعهم إلى حل مسائل خاصة بظواهر الكون؛ ففي البلاد النائية في الشمال والغرب كانوا يحتاجون إلى تحديد اتجاه القبلة أي اتجاه مكة، وموافقت الصلوات الخمس التي تتباين حسب طول النهار. وامتد خيط الاهتمام بالجغرافيا العامة بأعمال بلاد فارس الساسانية والهند واليونان، وخاصة بكتب مارين الصوري وبطليموس التي ترجمت إلى العربية من نصوصها اليونانية أو من ترجمات سيريانية. ولما كانت جغرافيا وصف البلدان قد بدأت بتقارير القواد الذين كانوا يحكمون الممالك التي تم فتحها، وبمسارات البريد وبالتسجيلات العقارية، وبكل صور النشاط الأخرى في مؤسساتهم، فقد ازدادت شراه بالرحلات الكثيرة جدا التي قام بها الرحالة والتجار والأدباء المتقنين في أراضي المسلمين الشاسعة (1). وهكذا أعاد المسلمون منذ نهاية القرن الثامن وحتى النصف الأول من القرن الثاني عشر قياس درجة دائرة نصف النهار الأرضي، وشيئا فشيئا أعادوا جداول خطوط الطول والعرض، ووسعوا المعارف عن المعمورة حتى أقصى السواحل الشرقية في آسيا وحتى خط الاستواء في أفريقيا، وكتبوا في المسارات والوصف ومسودات إحصائية، كما جددوا خريطة اليابسة ورسموا خرائط جزئية (2). ورغم أنهم لم يصلوا إلى تبديد بعض الحكايات الخيالية الجغرافية، بل أضافوا عليها من عندهم، ولم يتحرروا تماما من تأثير بطليموس ولم يعرفوا أوربا بطريقة صحيحة، فإن العرب سلكوا دروب العلم الحقيقية، في حين كان النظام الإقطاعي في الغرب يحثم علي المقول والأبدان ويضيق عليها.

(1) انظر رينو *Geographie d'Abulfeda*، المقدمة 5 و 2؛ وليلويل، المرجع السابق، *Epilogue*، الفصل ٨٧ في ١٦١ وسيدور *Sédlit Prolégomènes des Tables* *d'Ouloug. Beg.*، ص ٨ وما بعدها. وانظر سيرنجر *Die Post-und Reiserouten des Orients*، لبيزج ١٨٦١.

(2) بخصوص علم الطرائق عند العرب انظر رينو، المرجع السابق ص ٤١ و ٤٥ و ٢٥٢ وليلويل، المرجع السابق، في مواضع متفرقة.

ولذا شرع روجيرو في تأليف جغرافية العالم، واستعان في ذلك بمعارف الشرق والغرب معا، وكذلك بخلاصات الدراسات الجديدة: وهو عمل ما كان يستطيع أن يشرع فيه، خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر سوي ملك صقلية وإيطاليا الجنوبية. وفي مقدمة الإدريسي المشار إليها (1) أنفا نقرا أسماء إثني عشر جغرافيا درسهم الملك كما يقال، منهم عشرة من العرب، وبطليموس اليوناني، والأخير يبدو أنه أورويزو الملخص اللاتيني الشهير في العصور المتأخرة (2). وستة جغرافيين من العرب معروفون لنا: وهم المسمودي والجهاني وابن خردزبة وابن حوقل واليعقوبي وقُدّامه، وهم كتاب بارعون في الجغرافية الوصفية (3)، أما الأربعة الآخرون وهم أحمد بن عمر العُدْري (أو العُدْري) وجاناخ ابن خاقان القيمافي (4)، وموسى بن قاسم الك... ر... دي، واسحاق بن الحسن المعروف بالفلكي، فهم غير مشهورين ولا نعلم أي فرع من فروع الجغرافيا تناولوه بالدراسة: إلا أنه ورد ذكر أولهم لدي القزويني ويمكننا من خلال الصفة التي نسبت للأخير منهم أن نحسبه مؤلفاً في الجغرافيا الحسابية، أو مؤلفاً أولى اهتمامه لجداول خطوط العرض والطول (5). ولا يظهر إذن بين مصادر

(1) في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص 127 وما بعدها.

(2) ورد الاسم في كل المخطوطات على هذا النحو... ر... سيوس الأنطاكي، دون حرف متحرك بعد حرف الراء، وبلا أي علامة تحدد ما إذا كان الحرف الأول أ أم إ أم أ. وربما أطلق أحد المترجمين السريانين أو العرب لقب الأنطاكي على باولو أورويزو دا تراجونا نظرا لرحلته في الشرق، وبعد باولو من ناحية أخرى المؤرخ اللاتيني الوحيد الذي يشير إليه العرب، وأنظر بخصوصه حاجي خليفة، طبعة طولوز 1758، رقم 126، 10. وحول المعلومات الجغرافية التي يتضمنها تاريخ باولو أورويزو، قارن ليلويل، المرجع السابق، الفصل 28 من الجزء بعنوان *Epilogon*، ص 24.

(3) حول هؤلاء المؤلفين انظر رينو، المرجع السابق، المقدمة، § 2، ص 57 و 60 و 61 و 62 و 81.

(4) أسماء الأعلام مثل القتب العرفي توضح أن هذا المؤلف كان من أصل تاري.

(5) إن أبحاث رينو وليلويل وسبرنجر وسينيو، وم. باربيه دي مانتار لا تذكر أي خبر عن هؤلاء المؤلفين.

الإدريسي أشهر الكتاب العرب السابقين له في هذا الفرع من الجغرافيا مثل الباطني وأبو الوها وبن يونس والبيروني<sup>(1)</sup>، ولكن من الجائز أن يكون ابن اسحاق بن الحسن قد جمع معلومات من الثلاثة الأوائل علي الأقل. كما أنه في الجغرافيا الوصفية لا يشار إلي البكري والمقدسي<sup>(2)</sup>، المؤلفين اللذين نالا كثيرا من الثناء في القرن الحادي عشر<sup>(3)</sup>، ولو أن هذه الكتب كانت مجهولة حقاً في بلاط بالرمو فإننا نفهم بشكل أفضل أن روجيرو قد أطلع بالكتب الأخرى وصرف الجغرافيين الزائفين المعاصرين الذين كان قد استعان بهم. وقرر أن يعد من جديد رسم سطح اليابسة والمياه طبقا لتقارير اصحاب الدربة. ويعلم الجميع أن روجيرو سلك هذا الطريق بعد أن هاله ما كانت لتمخض عنه طريقة بطليموس والعرب الذين صوبوه من رسم يشع للأرض دحضت نسيه تماما مسارات الرحلات بالبر وأكثر منها خرائط الملاحة في البحر المتوسط.

وحالما يجري بحث دقيق لنصوص الإدريسي، وأرقام ومقاييس الخرائط التي تضمنتها، ربما نكتشف مصادر أخرى لكتابه لم يفصح عنها في المقدمة: إذ أن بعض المعلومات التي نجدها هنا وهناك غير واردة لدي المؤلفين الذين نعرفهم من بين الذين أشرنا إليهم في التوثيق ولا يبدو العثور عليها ممكناً لدي غير المعروفين لنا، وكلهم من العرب، عدا أروسيوس، أو أيا كان. وهكذا يلزم العثور

(1) دهنو، المجلد السابق، المقدمة § 2، ص ٦١ و٦٢ و١٠٢. وباربيه دي ماينار *Barbier de Meynard* في *Le livre de Ibn-Khordadbeh*، في *Journal Asiatique*، يناير ١٨٦٥، وسبرنجر، المرجع السابق، المقدمة.

(2) سبرنجر، المرجع السابق، ص ١٨ وما بعدها.

(3) بخصوص كتاب البكري المهم للغاية في الجغرافيا راجع المقدمة التي كتبها في المجلد الأول ص ٥٢، رقم ١٤. وقد نشر البارون دي سلان النص العربي وترجمة فرنسية جديدة.



على أصل مقياس جديد أو عتيق لخط الاستواء، يقدر بخمسة وسبعين ميلاً للدرجة (1)، ليس بالأميال العربية ولكن بالأميال الرومانية أي تلك التي استخدمها الإديسي في الفصل الخاص بصقلية، والتي تكاد تتطابق تماماً مع مقياس الأميال الصقلية اليوم (2). ويبدو لنا أن بعض أسماء الأماكن في صقلية ذاتها مأخوذة عن خرائط يونانية أو رومانية قديمة، وليست من الخرائط العربية. أو من الاستخدام الشائع في القرن الثاني عشر (3). والملاحظة ذاتها نجدها في الأسماء في اليونان وإيطاليا الشمالية وبعض المناطق في فرنسا حيث يغلب على الأسماء صيغتها القديمة، بينما في مناطق

(1) خمسة وعشرون فرسخ كل واحد منها ثلاثة أميال. ويعول المؤلف على هذا المقياس، ترجمة فرنسية أو ٢٠. ويذكر مقياس الهنود وإراستوتين *Erastotene*. ويغل مقياس بطليموس. وانظر في هذا الخصوص ملاحظات ليلول، المرجع السابق، الفصل ٦٠. المجلد الأول، ص ١٠٠.

(2) ليلول، المرجع السابق، الفصل ٢١٧ و ٦٠، المجلد الأول، ص ٣٩ و ١٠١. وانظر أيضاً كتابي *Notice, Carte Comparée de la Sicile*، ص ١٢ و ١١. ومقدار الميل الروماني طبقاً لأخر الأبحاث ١١٨٦ متراً. والميل الصقلي طبقاً لنظام ١٨٠٩ بمعدل المتدار ذاته تقريباً، أي ١١٨٧ متراً. وجدير بالذكر أن الإديسي في مختلف المسارات، وحتى في تلك الخاصة بصقلية، يستخدم أحياناً أنواعاً أخرى من الأميال، مما كان يقوم أحياناً إلى أخطاء، وأحياناً أخرى لا. حيث يبدو أن مؤلفي هذا العمل الصقلي كانوا عارفين بالنسب بين بعض تلك الأنواع من الأميال.

ويخلص ليلول إلى أن مقياس ٧٥ ميلاً للدرجة كان «استخداماً صقلياً» ممنوعاً في صقلية... وهو مقياس ينشأ من مرسيليا، نقله تيميو دي تاورمينا إلى صقلية. جدير بالذكر أيضاً أن نظام المقياس الصقلي جدد - إلى حد ما، في ١٨٠٩ المقياس القديمة، التي لم تكن موحدة في الجزيرة كلها.

(3) علي سبيل المثال جاوود... س. جاوولوس *Gaulos* (جولسو)؛ ونيودي - أناجوس *Nabudi-Anaprus*، ومرسي البوليس *Marsa-el-yulis-Odysserum portus*، ولا أذكر في القائمة بعض الأسماء الأخرى التي من المفترض أنها ظلت قائمة حتى القرن الثاني عشر، مثل لينبادس *Limbados*، الذي أطلقه الإديسي على ليكانا *Licata*، المكتوبة *Limpados* و *Odysserum* في إحدى الوثائق ثالثة اللغة لعام ١١١١. ولا يبدو لي غير ممكن أن يكون جغرافيو بالرمو قد نقلوا عن خرائط يونانية بعض الأسماء التي لم تكن موجودة في الخرائط العربية. وتعلم من المسمودي *Les Prairies* أن النص والترجمة، باريس ١٨٦١، ١، ١٨٥. تعلم أن العرب لم يتمكنوا من قراءة بعض الأسماء في خرائط بطليموس، لأنها مكتوبة باليونانية. ويجب ألا ينهم من هذا أنه يشمل

أخرى في فرنسا وألمانيا وإنجلترا تغلب على الأسماء صيغ اللغات الجديدة ويظهر أصلها جليا في تقارير أو مسارات الأسفار في القرن الثاني عشر (١).

وعند النظر إلي العمل الذي قاده الإدريسي نرى أنه استمرت علي مدى خمسة عشر عاما مشاهدة أصحاب الدربة ومقارنة أخبارهم.

كل الأسماء المكتوبة باليونانية، ولكن تلك التي لم يتمكن المترجمون العرب من العثور علي مقابل لها، أو لم يبحثوا عنها لقلة أهمية مكانها.

<i>H. Jaubert</i>	(١) انظر في الجزء الثاني من ترجمة م. جوبرت
<i>Naupactos (Lepanto)</i>	ن... ب... ك... ص ١٢١، نوباكستوس (ليبانتو).
<i>Scyllacum</i>	+ سك... لا، ص ١٢٥، سكليوم.
<i>Lacedaemona</i>	اللسك... د... مونسا، ص ١٢٥.
<i>Euripos (Negroponte)</i>	+ جر... ب... س، ص ٢٩٦ نجرورونتي.
<i>Paphlagonia</i>	+ بالاغونيا، أو - فلاغونيا، ص ٢٩٩.
<i>Mediolanum</i>	م... ديولان، ص ٢١٠، ميديولانوم.
<i>Ariminum</i>	أرينمينيس، ص ٢١٧، أريمينوم.
<i>Padum</i>	بادي، ص ٢٥٢، بانوم.
<i>Arquolesima (Angoulême)</i>	أنج... ل... زما، ص ٢٢٧، اكونزيم.
<i>Alvernia (Auvergne)</i>	اليرنيا، ص ٢٧٨، الفيرنيا.

ومن حاجة أخرى:

<i>Lecce</i>	ل... ج... ص ١١٦، لينشي.
<i>Bruzzano</i>	ب... ز... ص ١١٧، بروتسانو.
<i>Umbria</i>	+ تيريا، ص ٢٤٠، أومبريا.
<i>Savona</i>	ص... جونا، ص ٢٤١، سافونا.
<i>Civitavecchia</i>	ج... ب... د... ك... ص ٢٤٠، تشيفيتافيكي.

وورد إسمان لآريو، ص ١١٩، وهما *Nardus*، (ويجب تصويبها *Nardos*) و *Neritos* وهما بالتصديق الإسمان القديم والجديد.

ومن المؤكد أن جغرافيين بالرمو قد أطلقوا علي بعض الشرائط أو التقارير العربية حول سواحل إيطاليا حيث ماكانوا يمشروا في مكان آخر علي ميناء خنزيرية (وربما كان ميناء *Ferraro*)، ص ٢٥٠. ولا على الاسم الثاني كبتونة العرب «مرقا العرب» الذي أطلق علي جبل ج... دجو (*Capo Circeo*)، ص ٢٥٦. وكلمة كبتون التي استخدمها الإدريسي هنا في صيغة التانيث مأخوذة كما هو واضح من *Καπετ* التي انتقلت من معناها القديم وهو سرير وحجرة النوم إلي «مرقا» أو «مري» في اليونانية البيزنطية. انظر ملحوظة السيد هاس علي هذه الكلمة في الطبعة الجديدة من *Thesaurus*.

وهم هي رأيي الملاحين الإيطاليين، والرحالة من مناطق أخرى في أوروبا (1) الذين كانوا يقصدون صقلية. بعضهم لدواعي التجارة، وبعضهم الآخر أثناء مروره بها في الحملات الصليبية؛ والرحالة من المسلمين أيضاً، من التجار والجوالةين (2). وبعد خمسة عشر عاماً من تحري المعلومات وتحقيقتها شرعت الدائرة الجغرافية في البلاط في تصحيح خريطة العالم، كما نستخلص من فقرة الإدريسي التي قلنا بترجمتها. ونقول الآن عند التعليق عليها إنه تم رسم معالم خريطة جغرافية (3). وبدأ فيها بالفرجار بنقل خطوط المسارات الموجهة

---

Bologna	ب...لونيا، ص ٢١٠. بولونيا
Berry	ب...ري ص ٢١١. بيري
Clermont	+ ...رمت من ٢١٩. كليرمونت
Augsbourg	أوزب...وج... ص ٢١٦. أوسبورج
Inghilterra	+ نكل...رث...را. ص ٢٥٦. إنجلترا
Inglesi	+ نكل...سين. ص ٢٥٦. إنجليز
Cambrai	ك...مراي ص ٢٦٦. كامبراي
Utrecht	+ ستريك. ص ٢٦٧. أوتريش
Hastings	ه...ستنجس. ص ٢٧٤. هاستنجرس
Regensburg	ر...نج ب...رج وريغنسب...وج ص ٥٧٠

ويمكن إضافة مئات الأسماء إلى هذه القائمة أو تلك، ولكن الأسماء الجديدة تتواثر أكثر في البلدان ذات الثلث الجرمانية.

وتنوه إلى أننا عبرنا بالتصنيف (٠) على الحركات التصيرية التي تخلق في الغالب منها المخطوطة، وبعلامة الصليب (+) عن حرف الألف العربي الذي يمكن أن ينطق طبقاً للحركة التي تليها أ، إ، أو أحياناً يوضع أمام حرفين ساكنين في بداية اللفظ لترخيم الصوت، كما نستخدم نحن حرف (i) أمام حرف (s) تسبق ساكن في بداية الكلمة.

(1) راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٢٨، هامش ١.

(2) يتكلم الإدريسي عن بني وطن روجيرو فقط، ولكنه لا يجب استبعاد المسلمين؛ حيث إن الكتاب وربما عديد من المعاونين الآخرين كانوا يمتثلون تلك الديانة. وتبرهن كل مذكرات القرن الثاني عشر وخاصة رحلة ابن جبير على استمرار مرور الرحالة المسلمين بصقلية.

(3) كما أشرت في ص ١٢٩، هامش ١، يقول الإدريسي أنه أخذ لوحة «الفرسيم» لعمل هذه المقارنات. وكلمة ترسيم تعني «إعداد رسم» وتعني طبقاً للمعاجم «رسم خطوط».

المستخلصة من التقارير (1)، الواحد تلو الآخر، وأنه جرى مقابلة هذه المعلومات مع ما ورد بكتب الجغرافيا وأنه زالت أو تبددت تلك الشكوك التي نشأت عن المقارنات؛ ولما تحدت بهذه الطريقة مواقع البلدان وأشكال اليابسة والمياه، تم حفرها على خريطة لسطح الأرض من الفضة فطرها متر أو أقل بقليل، وكانت مقسمة إلى أجزاء ليسهل استعمالها (2)، وعلي هذا النحو يبدو لي أنه تم إنجاز خريطة العالم التي لا يمكن الحكم عليها حكماً جيداً من أشكالها التي لدينا في مخطوطتين قديمتين متباينتين إلى حد ما فيما بينهما، وهذه الأشكال مصفوفة بنسبة الخمس أو السدس وهي مرسومة دون نسب أدق من النسب التي تستطيع يد

---

إجادة الرسم وبصفة خاصة «مد الخطوط والتحديد». وعلي هذا النحو سيكون لدينا لوحة مصطولة، أو بمعنى آخر، منزجة.

ولكن كلمة «رسم»، أي ما كان معناها الأصلي في اللغة العربية، استخدمها الجغرافيون منذ عصر المأمون<sup>١٠</sup>، لاحقاً للإشارة إلى تقوم العالم المعروف، ومن هنا رأها العلماء مجرد نقل لكلمة *σπίγμα* راجع (للوليل، المرجع السابق، الفصل ١٥، المجلد الأول، ص ٢١، وريشو المرجع السابق، المقدمة، ص ٤٥). ولديها بالفعل عديد من «رسم الربع المعمور»، أي «شكل ربع (سطح الأرض) المعمور». كما أنه مما يتماشى تماماً مع استخدام اللغة العربية، استعراج صيغة تفعل من اسم بناء على الفعل الذي يرجع للأصل ذاته، وهذا الاسم على إجراء، أو إنتاج الشيء المحدد بالاسم، وعلي ذلك فلفظ «ترسيم» يضي بالتحديد، عملية خط الرسم، أي شكل الأرض المعمورة المزيج أجرائه، وأخيراً يري كل منا أن العاملين المحددين من تلكما الكتلتين كان لهما النتيجة نفسها. واللوحة المدرجة (سواء بخطوط المرض والطول، أو بالسبع القاليم المتوازية وبالعشر تقسيمات بكل إقليم والتي كانت تحمل محل خطوط الطول) أعادت في رسم خريطة العالم طبقاً لخواص خطوط العرض والطول التي صاغها علماء الفلك، والرسم كان خريطة العالم المنقونة من أحد النماذج التي أعدت من قبل أو تم تصويبها طبقاً للوحدات نفسها.

(1) ليسمح لي بهذا الاصطلاح المستجد علي اللغة لكي أدل بكلمة واحدة علي الخط العساري المصاحب للاتجاه بحسب الجهات الأصلية. انظر التصويب الذي صورت فيه علي هذا النحو الاصطلاح الذي ترجمته بشكل عام «بمسافات»، في ص ٤٦٨، حتي وإن كنت قد شرحت في الهامش ٢، من الصفحة نفسها.

(2) راجع ص ١٢٩، هامش ٢.

الناسخ أو نظريته أن تنسخها(1). ونفترض أن خطوط الرسم الأولي قد اعتمدت على إحدى الخرائط العامة أو على مجموعة من الخرائط الجزئية؛ ونتصور أن الخرائط في كلتا الحالتين قد تم نسخهما من نماذج قديمة أو عربية، أي أنها تعتمد أساسا على جداول خطوط الطول والعرض الاغريقية التي صححها العرب؛ وكان أساس العملية ينحصر في الشكل الذي كان يمكن لعلوم ذلك القرن أن توفره؛ أما عن عناصر التصحيح فكانت تعتمد على مسارات الرحلات المحققة من وقت قريب. وبخلاف ذلك لا يمكن تفسير كلام الإدريسي، ولا تصور استخدام المعلومات الجديدة التي كان الملك قد جمعها، وهي معلومات لا يمكن أن تأتي من إعادة قياس كل خطوط طول الكرة الأرضية وخطوط عرضها. ولكنها كانت تتمثل في مسارات رحلات حديثة في اليابسة والبحار، وهي خرائط ملاحية وربما في صور لاثنية، مثل صورة الفريدو الأكبر وصورة أخرى لدينا في مكتبة جامعة تورينو(2).

(1) ذكرت المخطوطات وخرائطها الجغرافية في مقدمة المجلد الأول، ص ٥٥ وما بعدها، رقم ٢٠ وبعد ذلك في *Carte Comparée de la Sicile*، ص ١٠. وخرائط العالم في مخطط بودلانا (*٢٨٧٧ - ١٢*) مرسومة على ورقة كبيرة، بينما خريطة مخطوطة باريس (ملحقات عربية ٨٩٢) على ورقة أصغر. واستلقي السيد جومارد من هاتين النسختين الخطيتين الرسم الذي نشره بعد ذلك السيد رينو في *Géographie d'Aboulfeda*، ص ١٢٠. وبعد أن درس ليلويل هذا الرسم دراسة عميقة في الفصل ٥٧ من عمله ونقل في اللوحة العاشرة (رقم ٢٠، ٢٩) من أطلسه صورة خريطة العالم، أعاد رسم هذه الخريطة بالتعاضد وهي الثانية من بين الملحقات بمقدمته. وهو يرى (في المرجع السابق، الفصل ٦١ في المجلد الأول، ص ١٠٢) من بين الكثير من الأخطاء بهذه الصور، أن طول البحر المتوسط يختلف كثيرا عما يتضح في النص.

(2) ليلويل، الفصل ٨ و ٩ و ١٠ و ٥٠، وفي الأطلس، لوحات ٧ و ٩ والشكلان ١١ و ١٧. وجميد بالذكر أن خريطة العالم بتورينو تصور الأربع رياح الأصلية التي لم ترد في صور العالم اللاتينية الأصل السابقة. وعلاوة على ذلك فإن صورة البحر المتوسط والبحر الأدرياتيكي تزيل أي شك بأن خريطة العالم هذه قد استخلصت من خرائط ملاحية. ورأى التابه ليلويل أن هذه الخريطة قد رسمت معالمها أو على الأقل نسخت في كورنية من *Maurienne*: حيث اكتشف فيها رغم كثرة الأخطاء، اسم تلك البلدة

ونري القرائن علي هذا التصور في كتاب الأدريسي نفسه، حيث يحيل إلي بطليموس أراضي ياجوج وماجوج (1) التي يروي عنها في الشمال، كما نراها في الخرائط الجزئية في مدونة باريس التي تذكر فقط بعض خطوط الطول والعرض للأقاليم الأفريقية جنوب المدارات(2)، مما يدفعنا إلى الظن بأن بلاط الرمو لم يعثر لها علي مسارات رحلات حديثة. وكانت المسارات المصحوبة باتجاه كل خط طبقا للجهات الأصلية للكرة الأرضية كانت تفيد في التحقق من خرائط الأرض بطريقة تعادل ما اتبعه البحارة منذ القدم في البحر المتوسط عند رسم خرائطهم الملاحية بتحديدهم المواقع بناء علي رصد الأجرام السماوية. وإن كانت الخرائط الملاحية الجيدة الإيطالية والكطلونية الموجودة حتي اليوم تعود بالكاد إلي بداية القرن الرابع عشر عندما شاع استخدام الإبرة المغناطيسية، وهو الاستخدام الذي لا يمكن إرجاعه إلي النصف الأول من القرن الثاني عشر، عندما كان يجري تأليف الجغرافيا في الرمو، فهذا لا يعني أنه لم تكن تتوافر لدي روجيرو خرائط ملاحية صحيحة بما يكفي لأن يدفعه لعدم الثقة في الجغرافيين العلماء، وأن يملئ عليه التحقق العملي من الأطر التي تصورها هؤلاء (3).

---

الصفحة. راجع وصف المخطوط ونشر الخريطة لدى بازيني. *Codices mss. Bibl. reg. Taurinensis Athenas*، ٢، ص ٦٦ وما بعدها. واستخلص علاوة علي ذلك من رسالة أمين المكتبة العالم جاسباري جوريزيو أن المخطوط ينسب إلي نهاية القرن الثاني عشر إن لم يكن بداية القرن الثالث عشر، وأن الخريطة أعدت، أو علي الأقل كتبت عليها الأسماء، باليد ذاتها التي نسخت المخطوط.

(1) الترجمة الفرنسية، ٢، ٤٦١.

(2) راجع النسخ المطابقة للأصل في نهاية الجزء الأول من الترجمة الفرنسية، ويتفل ليلويل، المرجع السابق، الفصل ٦٠ و٢٤٦، ص ٥٤ و٩٩ من الجزء الأول، أرقام خطوط العرض والطول التي ذكرت فقط لستة وعشرين موقعا، ينتمي أحدها إلي الأقليم الثاني والأخرى للأول.

(3) يبدو لي أن ليلويل في المجلد الأول، ص ٩٩ قد أدرك العملية علي هذا النحو ذاته مهما كان ملتزما ومقيدا بترجمة م. جويهرت الفرنسية التي صاغت فترة الإدريسي علي هذا النحو:

وعندما تنتقل إلى الخرائط الخاصة التصع والمستين، أو بالأحرى خطوط السير مرسومة، نجد أحدها علي رأس كل قسم من الأقسام المشرة بكل إقليم في مدونة أسلان Asselin، الثمينة (1)، وسنبداً بذلك التي كان ينبغي أن تكون أفضلها، وهي بالفعل كذلك، وأقصد خريطة صقلية. ويكفي وضعها بجوار أحدي الخرائط المرسومة حسب بطليموس لنرى التباين الهائل في الأشكال: فالأولي تكاد تتطابق مع خرائط اليوم، أما الثانية فهي مشوشة، بالقدر الذي يبدو عند مقارنة خريطة العالم للإدريسي بخريطة مركاتور Mercator (2). إذن يجب التسليم بأن روجيرو قد أقاد من دراسات مسلمي صقلية في القرن

---

*"il voulut savoir d'une manière positive les longitudes et les latitudes et les distances respectives des points."*

ولكن هذه الفترة التي يقصد بها روجيرو تقول في الحقيقة نأراد أن نرى ما إذا توافقت بدقة خطوط المسارات الموجهة كما ذكرت منذ قليل في الهامش ١ ص ٦٤٢ وما بعدها.

وتتاول ليوليل بالدراسة الخرائط الملاحية في العصور الوسطى. المرجع السابق الفصل ٢٥٦. المجلد الأول، ص ٨٢. والفصل ١٠٨. المجلد الثاني، ص ١٦ وما بعدها. وينسب إلي التفصيلات والاضافات المتتالية عليها بداية عصر جديد في علم الجغرافيا، راجع أيضا الكلمة التي قراها السيد دافيزاك علي الجمعية الجغرافية في باريس حول عرض الخرائط. باريس ١٨٦٢ § الحادي عشر.

وجدير بالذكر أن أول خريطة عرضت حتي اليوم هي خريطة بيثرو فليسوني (١٣١٨) من جنوة. أما أول إشارة إلي الأبردة المغناطيسية فتقرؤها لدي بيثرو دابلي وجوييرو دي بروغان، أي نحو عام ١١٩٠.

(1) أسلين. وهو فصل فرنسي في القاعرة في بداية قرننا هذا حمل معه مجموعة قيمة من المخطوطات ابتاعها منه بعد ذلك مكتبة باريس. ويأتي من هذه المجموعة المخطوط الثمين المعدد بالحرف B في ترجمة السيد جوييرو، وهي كتابي هذا وهي المكتبة العربية، الصقلية.

والسيد Jomard الذي أعد المجموعة الرائعة من الخرائط التي نحوزها مكتبة باريس عمل علي نسخ خرائط الإدريسي، كما نفهم من رينو. المرجع السابق، ص ١١٩. ونقل عنها ليوليل المجتهد. في المرجع السابق، صورة مصغرة للعشر (من ٢٦ × ١٨، ١٠). (٢ × ٢ × ٠.٢)

(2) Carte comparée، المذكورة آنفا حيث قارنت خريطة صقلية في مخطوطة أسلين Asselin، مع تلك المأخوذة من مخطوطة جميلة لبطليموس وتملكها مكتبة باريس.

العاشر والحادي عشر(1)، وأفاد أيضا من تحديد بعض المواقع فلكيا(2)، ومن ثم وضعت الدائرة الجغرافية في بالرمو، استنادا إلى تقارير صحيحة ومعرفة دقيقة للسواحل، رسما لم يتمكن الناسخ من إفساده بشكل يحول دون إظهار روعته بالنسبة لمصره. أما عن الخرائط الأخرى فقد نشرت منها حتى الآن ثلاثة فقط بكاملها، كما تم طبعها كلها مصفرة. وفيما يتعلق بالحكم علي نسخ معدة علي هذا النحو فإن هذه الخرائط لم تكن متناسبة الأبعاد مع رسم خريطة العالم، ولا يرجع هذا التباين إلي أسلوب الرسم؛ ويبدو أن القليل من هذه الخرائط قد أعد طبقا لخطوط الطول والعرض. ونلاحظ فيها دوما، كما في كل الخرائط البدائية، خطأ تكبير الأقاليم المعروفة، وتصغير الأقاليم الأخرى حتي تدخل داخل حدود الإطار العام الذي يحدد الأقاليم والقارات والبحار. ونري علي هذه الشاكلة خريطة إيطاليا من نهر التيبر إلي الجنوب حيث كان ملك روجيرو، وحيث تقل هفوات الرسم بكثير عما في معالم نصف إيطاليا الشمالي المقلمصة والمصفرة بشكل غير مناسب، والشئ ذاته يقال عن سردينيا وكورسيكا وكل غرب البحر المتوسط الذي تستحوذ صقلية علي مساحة كبيرة منه. والقى عمل الجغرافيين الصقليين الانتقائي الضوء علي بعض الأقاليم، وترك بعضها في ظلال الافتراضات، واستخلصوا علي سبيل المثال من رؤى بطليموس أن القارة الأفريقية جنوب خط الاستواء تمتد طولا نحو المشرق وأنها تتوازي مع السواحل الجنوبية للهند وبلاد فارس. وينتهي المحيط الهادي تقريبا ببحر متوسط آخر، وعلي العكس من ذلك تبدو الجزر البريطانية وبحر البلطيق وبولنדה مرسومة طبقا لتقارير حديثة، لأننا لا نري في

(1) راجع كتابنا الرابع، الفصل ١٢، ص ١٥٨ من المجلد الثاني.

(2) تدفني إلى هذا التفكير المواقع الخاصة بمسينا بالنسبة لبالرمو. وفي أطراف الجزيرة نري الجزء الذي يطل علي أفريقيا مشفرا كثيرا. ولكن لشكر أن النسخة تشريعية.



تلك الخرائط تلك الأخطاء الجسيمة التي كانت موجودة بالجغرافيا القديمة أو جغرافية العرب<sup>(1)</sup>، وتبين مسارات اليونان كيف كان روجيرو يعرف جيدا موقع أعدائه وبلادهم<sup>(2)</sup>، ولا يشير دهشتنا كيف أن أسيا الصغرى وباقي بلدان المسلمين كانت معروفة معرفة جيدة. وحين نتقل من هذه الصور إلي الوصف نجد المفارقات نفسها: فهنا معلومات وهيرة وأصيلة، وهنا روايات خيالية شرقية لبلاد يأجوج ومأجوج: ثم الجزر الخيالية التي تتحدث عنها قصة سان برندانو<sup>(3)</sup>، وعجائب روما التي اخترعها أحد اليهود الجاثلين أو التي نشأت عن ليس في الترجمة<sup>(4)</sup>، ولا يمكننا أن نلتئم العذر للإدريسي استنادا إلي أنه لا يصف هنا الخرائط التي حدد معالمها الجغرافيون، وإنما يكتب استناداً على كتب وروايات وجدها. والحقيقة أنه لا يجب أن نتنظر نقدا دقيقا من رجل آداب سواء كان مسلما أو مسيحيا في القرن الثاني عشر. وعلاوة على ذلك، يبدو لنا أن الإدريسي قد جعل من مختلف الأعشاب حزمة واحدة ليقدم عمله إلي الملك في عجالة قبل أن يسوقه ومن الشيخوخة إلي الموت.

(1) راجع ليلول، المرجع السابق، الجزء الثالث، من ٧١ و ٢٢٠. حيث يمحس المؤلف الوصف بنقد الأستاذ القدير. ولكنه يخطئ أحيانا لقلّة ممارسة اللغة العربية وكتابتها.

(2) ينقل الهارون ذي سلان في مقاله عن الإدريسي، من ٢٨٨ في الجزء المذكور من *Journal, asiat.* راي م. هاسي ويشير إلي مقارنة الأسماء الجغرافية لتلك المناطق التي كان عالم التيهينيات اللامع يمد عملا حولها، وردت بعض الدراسات منه في ترجمة جويرث، الثاني من ٢٨٦ وما بعدها.

(3) رينو، *Géographie d'Aboulféda*، ٢، من ٦٢، وما بعدها.

(4) المجلد الثاني، من ٢٥٠ وما بعدها في الترجمة الفرنسية، والإدريسي أخذ جزءا منها عن ابن خردويه الذي جمعها بنوره من مؤلفين أقدم منه. راجع ترجمة ابن خردويه المذكورة، في *Journal asiatique*، يونيو ١٨٦٥، من ١٨٢ وما بعدها مع حواشي م. بارييه دي مابارت الذي ينسب إلي تجار مسلمين ويهود هذا الوصف لروما، وهو وصف جدير بخصص ألف ليلة وليلة كما يقول العلامة المترجم. وقد أغفل الإدريسي عدة حكايات وأسماء الخيال. ولكنه كور رواية نهر التيهير المبعطن بالنعاس وأصل هذه الخرافة ليس حول تيهير *Fluvius Tiber*، كما يذكر م. رينو في *Géogr. d'Aboulféda*، من ٢١٠ و ٣١١ في الهامش: لأن «صفر» تعني في اللغة العربية «اللون الأصفر» و «النعاس» الأصفر، في الوقت نفسه.

وربما لم يكن موت الملك ليموق إتمام الكتاب، لو لم تقع في بالرمو بعد سبع سنوات تلك الأحداث الدموية التي انطوت علي نهب القصر الملكي والتهافت بالموت للمسلمين. وكان الإدريسي قد ظل في البلاط كما قلنا، وقدم إلي جوليلميو الأول صيغة جديدة من كتاب الجغرافيا، ومن الجائز أنه تمت، أو علي الأقل بدأت ترجمة لاتينية لمثل هذا العمل المقيد والممتع كي يستخدمها البلاط. ومن الجائز أن هلك الترجمة في أحداث نهب القصر الملكي حيث من المحتمل أن تكون قد تلفت فيه خريطة العالم الفضية الكبيرة، ثمرة المجهود الشاق، والتي حكم عليها أن تستمر قليلا نظرا لمعدنها الثمين مثلما حدث للوحات شارلمان الجغرافية. ومن المؤكد أن الجغرافيين والكتاب العرب ممن لم يقتلهم الشعب قد لاذوا بالفرار. ولحسن الحظ تمكن الإدريسي من أن يأخذ معه أو يرسل إلي أفريقيا قبل الهرب نسخة من كتابه الذي نال شهرة عريضة لدي المسلمين، وكان مرشدا لابن سعيد وأبي الفدا وآخرين. ولما استيقظت أوروبا بالدراسات الجادة لم تسمع بهذا الكتاب إلا في أواخر القرن السادس عشر عندما ظهر في روما مع طبعة ميديتشني، النص العربي أو مختصر له أو بالأحرى بتر وتشويه لهذا العمل، أعده مجهول، ونشرت في باريس ترجمة لاتينية لهذا المختصر وحملت عنوان *Geographia Nubiensis*، لأنه في مستهل القسم الثاني من الأقليم الأول، وعند ذكر النوبة، نقرا بسبب خطأ النقل عبارة «أرضنا» بدلا من «أرضها» (النوبة) (1). ومن هنا ظن المترجمون المارونيون اكتشافهم وطن المؤلف المجهول.

ولدينا الآن من النص الكامل بعض المخطوطات وبعض الفصول

(1) في الورقة ١٠، وجه أول. السطر الخامس في نص ميديتشني *Medici*. ولا يمكنني الاستشهاد علي غير هذا النسخ لأن الصفحات لا تحمل أرقاماً، وذهب المترجمون، في المقدمة، إلي أن المؤلف مسيحي لأنه يطلق علي يسوع المسيح اسم «المسيد المسيح». ولكن فراءة أكثر إتساعا لأعمال العرب المسلمين يمكن أن تستلظ في الحال مثل هذا الافتراض. وعلي أنه حال فلا يشير أي دهنه ذلك التمييز الذي كان متداولاً في بلاط روجيرو ولا يحمل من قريب أو بعيد أية قرينة لعقيدة الكاتب.

المطبوعة وترجمة فرنسية متواضعة للعمل كله. وننتظر مستشرقاً عارفاً بالجغرافيا المقارنة وعلي استعداد لتكريس عدة سنوات من العمل في تدقيق البحث في الآلاف والآلاف من أسماء الأماكن الواردة بالنص، لينجز لنا طبعة محققة وترجمة جيدة (1)، كما فعل منذ قليل عالمان هولنديان بالجزء الخاص بأفريقيا وآسيا (2). وسوف يتضح من المؤكد تاريخنا الحضاري بنشر الفصول الخاصة بإيطاليا، والتي خرج منها إلي النور حتي اليوم فصل واحد فقط دون ترجمة، أي ذلك الفصل الذي يتضمن وصف صقلية. وإذا كان هذا الوصف هو الأكثر تفصيلاً في العمل كله فإن الفقرات التي تتناول الأقاليم الإيطالية الأخرى تتضمن أيضاً أسماء ومسارات وأخباراً طبوغرافية وحضرية وتجارية

والخطأ الذي ذكرته خطأ نسخ، وليس خطأ مطبعياً حيث نقروا أيضاً في مخطوطة باريس. ملحقات عربية ٨٩٤. وهي ذاتها أصل طبعة روما التي لا نعلم كيف وصلت بيدي كبير الرهبان الأب رينودت Renodot. ومنه إلي مكتبة سان جرمان دي بري. ونجد بها أثر *imprimatur*. رقابة روما. وما يبين أن بعض الفقرات ثم حذفها بيد المراهقين؛ وعلي سبيل المثال تلك الرواية التي تحكي عن أثر قدم آدم في جزيرة سيلان. والرقابة هي الرقابة دائماً

وطبقاً لقائمة أسمائي، رقم ١١١، ص ١٦٢. فمن المحتمل أن يكون بحوزة اللابورنسيانا نسخة من ترجمة المشتاق. أو علي الأقل من مخطوطة. ولكن المخطوطة ١١١، المجلدة اليوم مع مخطوطة أخرى وتعمل رقم ١٩، ليست إلا النصف الثاني من كتاب عجائب المخلوقات للقزويني. الأمر إن واحدة من التتئين؛ إما أن تكون قائمة أسمائي قد جانيها الصواب في هذا العدد كما هي مواضع أخرى عديدة، أو أن المخطوط الأصلي قد استبدل بعد صياغة القائمة، أي أن عمل الإدريسي قد اختفي لكي يحل محله عمل آخر قُسم عمل القزويني إلي قسمين، ولا يمكننا استبعاد هذا الشك بما لدينا من اقعنتين مؤكدتين بالغ التأكيد: الأولى هي أن ملحق باريس رقم ٨٩٤ هو نفسه الذي استخدمته مطبعة ميهديشي Medici، في طباعة العمل، والثانية أن المخطوط انتقل من خلال مكتبة رينودو Renodot، الذي كان يحظى بالمودة الكبيرة في بلاط كبار دوقات توسكانا في ذلك الوقت. ويعلم الجميع أنني لا أدبر بهذا ذلك العلامة الذي انتقل من عالمنا. ومن الجائز أن يكون بلاط توسكانا قد أعدي إليه المخطوط، أو أن اثنين المكتبة أعاره إياه الخ.

(1) كان السيد راي Rey، يعمل في هذه الترجمة، كما نفهم من دراسة م. موهل في Journ. Asiatique، يوليو ١٨٤٠، ص ١٦٤. ولكن لم ترد أي إشارة عنها بعد ذلك. (2) Description de l'Afrique etc, par R. Dozy et M.J. de Goeje. لندن، ١٨٦٦.

ذات قيمة عالية جدا ذلك لاهتقار الكتابات الأخرى لمثل هذا النوع من الاهتمامات في النصف الأول من القرن الثاني عشر. وكتاب الملك روجيرو، إذ ينبغي أن نُسند له العنوان الحقيقي، سيدخل في مفاخر تاريخنا العلمي. وهذا العمل الجماعي الذي قام به ملك نصف إيطاليا ورجال لعل أغلبهم إيطاليين، والذي تمت صياغته في أكثر عواصمنا تحضراً، وقد تاه في الأدب العربي. ولما استعادته الآداب الأوروبية تلقاه العلماء بالحماس الكبير(1). ثم قاموا بتسجيل الملاحظات عليه: فأهملوا الجغرافيا الحسابية فيه(2)، وهبلوا منه الحكايات التي كان آخرون قد عارضوها، ونقلوا معلومات مؤلفين آخرين(3). وأظن أن أول هذه الاتهامات لا يستند إلى أساس صحيح لأنه لا مجال للبحث عن الجغرافيا الحسابية في وصف الإدريسي. ولكن كان يجب أن يتم البحث عنها في الخرائط الأصلية التي لا تتوافر لدينا. ولأن الطريقة التي حدد بها جغرافيو بالرمو العالم المعروف كانت في الحقيقة أفضل ما يمكن استخدامه في ذلك الحين، بل كانت هي ذاتها التي قادت إلى تعديل الخرائط الجغرافية في القرن السادس عشر(4). ولن أتكلم عن الانتقال حيث أن صياغة الجغرافية

(1) راجع محاضرات جمعية باريس الجغرافية في تلك الفترة، ومقال البارون دي صلان الذي سبق فكره المنشور في *Journal Asiatique*.

(2) رينو، المرجع السابق، المقدمة، ص ١٢٠.

(3) سبرنجر، *Die Post-und Reiserouten*، المرجع السابق، ص ١٧.

(4) على حد علمي لم تتم دراسة كتاب روجيرو دراسة عميقة إلا من قبل ليلويل الذي قارنه مع الأعمال التي سبقته وأعاد قدر استطاعته رسم خريطة العالم وبعض الخرائط الجزئية. وليس أمرا بسيما نقل فقرات من عمل ليلويل. أنظر علي سبيل المثال الفصول من ٥١ إلى ٥٦ ومن ٢٤٦ إلى ٢٥١، والخرائط ١٠ و١١ و١٢ في الأطلس. والخرائط الواردة في *Prolegomeni, l'Épilogue*، الفصل ٧٣ وما بعده، و*l'Analyse... d'Edrési*، في الجزء الثالث. وحين عاد السيد ليلويل إلى الموضوع في *Épilogue*، الفصل ٧٢، ص ١٢٦ حالفه السوابق في تصور عناصر خريطة صقلية أخرى، ولكنه اضطر، وأود أن أكررها بعد أن نأثر بترجمة *M. Jaubert*، إلى الظن بأن «خطوط الطول والمرتض» نقلت بالتخطيط اليدوي وليس «خطوط المسارات الموجهة». ولم يتوصل بذلك إلى القيمة الحقيقية للعمل.

الوصفية لا يمكن إنجازها إلا بالاستناد إلى الكتابات السابقة وتقارير من عاينوا المواقع. وفيما يتعلق بنقد هذه الأعمال فإنني أتساءل للمرة الثانية أي رجل عظيم من المصور القديمة أو الوسطى سنبقي له قائمة إذا ما أسقطنا كل أولئك الذين كرروا الحكايات الخيالية في الطبيعة أو التاريخ الطبيعى؟ ولا يصح اللوم هنا. ولقد شهد واحد من أشد النقاد على هذا العمل بأنه أثر من آثار العلم يضاهي عمل سترابون<sup>(1)</sup>؛ ولكن من يتعمق أكثر في هذا الكتاب ويدرك القيمة العلمية للنص الأصلي سيقرر معي بأنه أحسن الدراسات الجغرافية التي أجريت في المصور الوسطى<sup>(2)</sup>.

حينئذ لم تكن الجغرافيا هي العلم التطبيقي الوحيد الموجه لتفسير الحياة المدنية في بلاط بالرمو الزاخر. وهناك كتابة ثلاثية اللغة مكتوبة على شاهد أدمج بالجدار الخارجى لكتيسة القصر الملكى، تشهد بأن أمر الملك في عام الف ومائة واثنين وأربعين ببناء «ساعة» هكذا يقول النص اللاتينى. ويقول النص العربى «آلة لرصد الساعات». ويشيد النص اليونانى قائلاً: «هذه معجزة جديدة، أن يتحكم الملك العظيم روجيرو، الذى أتاه الله صولجان الملك، فى جريان السائل، ويسمح بتحديد ساعات الزمن<sup>(3)</sup>» فى دقة لا تخل. ويرجع الفضل للمبلاغة البيزنطية فى علمنا أنها الساعة المائية: وربما كانت الساعة ذاتها أو الشبهة لها التى «صنعها أحد صنّاع مألطة بأمر من ملكها، وكانت فى صورة فتاة تدق الساعات حين ترمى كرة صغيرة فى الصنج، أو ما

(1) رينو، *Cat. d'Aboulfeda*. المقدمة، ص ١٢٠.

(2) هذا الزاى الذى عبرت عنه ذات مرة صدق عليه دوزى فى مقدمة العمل سابقة الذكر حول أفريقيا وإسبانيا.

(3) نشر فانزيللو نص هذه الكتابة اللاتينية فى *Dece I*، الكتاب الثامن، الفصل الأول، ثم نشره بيزو، كما نشره، جريجوريو، *Rerum Arab.*، ص ١٢٦ بالتمصين اليونانى والعربى؛ ومورسو *Palermo antico*، ص ٢٧ وما بعدها، ونشر جزءاً منه بوشبى ولانثى، كما أننى أوردت قراءة لهذه النصوص حسبها أكثر دقة. وهى مصححة بعض الشروح فى *Rivista Sicula*، بالرمو، المجلد الأول، ص ٢٢٩ وما بعدها (مايو ١٨٩٩).

نطلق عليه حوض من المعدن وقد ذكرها القزويني عالم الفلك في وصفه لمالطة. ويقول إن أبا القاسم بن رمضان حين رأى تلك الآلة الصغيرة ارتجل شطر بيت من الشعر، يتحدى به عبد الله بن السمئتي أن يكمله. فأكمل الأخير الشطر الثاني من البيت على الفور وكأنه يتلو شعراً محفوظاً، وقال بيتين آخرين بهذا المضمون: أن العازفة اللطيفة تلاحق الزمن، وإن صانعتها عرّج أولاً إلى السماء يراقب الأجرام والأبراج ودرجات سمت الشمس (1). وبالفعل نجد في الخريدة آياتاً لابن رمضان هذا قالها في مدح روجيرو ويسأله فيها التصريح له بالمودة إلى مالطة: ومن هنا يظهر الدليل على أن الساعة الماثية كانت بالفعل من أعمال ذلك القرن، وربما صُنعت خصيصاً لذلك الملك (2). أما بخصوص الآلات الأخرى التي أعدت لذلك الغرض ذاته فالجميع يعلم أن هارون الرشيد أرسل إلى شارلمان هدية آلة تدق الساعات بكُريات تسقط في حوض، وتلقيها أشكال على صورة فرسان من فتحات صغيرة حين تفتح نوافذها (3) عند النقطة المحددة: واعتقد البعض خطأ أن هذه الآلة ساعة ذات عجالات. ووصف ابن جبير في النصف الثاني من القرن الذي عاش فيه روجيرو «المنجنة»، كما يطلق عليها العرب بلفظة يونانية، وهي تتحرك بالمياة في مبنى مجاور للمسجد الجامع في دمشق. وهنا نرى فوق إحدى الشرفات ما نطلق عليه وجه الساعة: قوس دائري كبير يحتوي على اثني عشر زوجاً من النوافذ الصغيرة المعقودة يخرج من كل منها في كل ساعة من ساعات النهار صقران من النحاس الأحمر يفتحان

(1) القزويني، آثار البلاد، طبعة وستيفلد، Zaccaria... Cosmographie، ٢، ٢٧٢، وفي المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ١٤٢.

(2) مستخلص من الخريدة لعماد الدين، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٨١. ويشار إلى ابن رمضان هنا باسم عبد الرحمن. ويذكره القزويني بلقب أبو القاسم، وليس في ذلك ما يتعارض مع كونه الشخص نفسه.

(3) إجنارد، Annales، عام ٨٠٦.

متقارهما ليسقطا كُرْبَات هي صحاف من النحاس الأحمر، الموضوعة أسفلها. ولساعات الليل كان بالجدار اثنا عشر ثقباً مستديراً مغلقة بالزجاج ومحاطة بالنحاس الأصفر. بضء كل واحد منها هي كل ساعة بضوء مائل للاحمرار<sup>(1)</sup>. وأن يكون العرب قد استخدموا مثل هذه الساعات فهذا ما يؤكد عنوان مبحث يرجعه الزوزني، هي تاريخ الفلاسفة، إلى أرشميدس: «كتاب الساعات، أي (وصف) الآلة المائية التي تلقى بالكريات الصغيرة»<sup>(2)</sup>. هي نهاية ذلك القرن لمع المهندس الصقلي أبو الليث، ويبدو أنه تولى في تلك المدرسة التي أنتجت الآثار النورماندية في صقلية. واضطر مثل آخرين كثيرين إلى الهجرة عندما لم يطلق المسلمون تلك الحال. هي ذلك الوقت كان الخليفة الموحدى أبو يعقوب بن يوسف قد وضع قواعد جامع كبير منيف وأتم بناءه في عام ألف ومائة وسبعة وتسعين ميلادية كما تذكر حوليات مسلمى الغرب، وتضيف أنه تكلل قمة منذنته التي يطلق عليها اليوم برج جبرالدا كرات مذهبة وضعت الواحدة فوق الأخرى في شكل هرمى، وهذه الكرات صنعها ورفعها فوق ذلك البرج الشاهق أبو الليث. المعلم هذا. ولكي ندرك ضخامة هذا العمل يكفي أن نشير إلى أنه لإخراج إحدى هذه الكرات، والتي لم تكن أضخمها، إلى رواق المنارة لزم قطع عتب الباب المخصص لاستخدام المؤذن؛ وأن قضيب الحديد الذى يدعم تلك الكرات الضخمة يزن أربعين رُبعاً، أى أكثر من مائة وستين كيلو جراماً، وأن الكساء الذهبى استخدم من المعدن ما قيمته مائة ألف دينار، أو ما يقدر لدينا بأكثر من مليون ونصف

(1) نص رايت Wright، ص ٢٨١ وما بعدها. ترجمت هذه الفقرة إلى الإيطالية في مقالى حول كتابات كنيسة بلاتينا المدونة بثلاث لغات، ص ٢٤٦ و ٢٤٧ في *Rivista sicula* المذكورة.

(2) هي المكتبة الصربية - الصقلية. التمس. ص ٦١٧. أما كازيرى. *Biblioteca arabo-Hispanica*. ١. ٢٨١. فعندما نقل هذه الفقرة ترجمتها خطأ: "De instrumentis hydrauliciis, ubi de cochleis ad aquas exhauriendas".

المليون ليرة(1). هكذا تقول كتابات المسلمين. وتذكر أخبار سان فرديناندو أن ذلك البرج المذهب أثار دهشة الغزاة المسيحيين، وأن الكرات كانت أربعا، وأن أدناها كانت تعد فريدة من نوعها في العالم سواء لجمال صنعتها أو لضخامة حجمها؛ وحينما كانت تسقط عليها أولى أشعة الشمس تسطح وكأنها شمس أخرى(2).

وكان للصناعات الميكانيكية دور فعال في الحروب التي خاضها المسلمون تحت رايات النورمان. فبعد جمع أخبارها في مختلف الروايات سبق أن أشرت إلى فعالية القلاع المتحركة التي أدارها (١١٢٢) المهندسون المسلمون في حصار مونتبلوزو(3). والتي حين صوبت تجاه نوتشيرا في هذه الحرب ذاتها أجبرتها على الاستسلام رغم حصانة موقعها وقوة عتادها(4). كما ذكر الكتاب المسلمون القلاع الخشبية في عملية جوليئمو الثاني الفاشلة على الإسكندرية بمصر (١١٧٤)؛ ونعلم منهم أن هذه القلاع كانت مسلحة برؤوس كباش قوية وأن جيش صقلية استخدم أيضاً آلات منجانيق هائلة

(1) القروطاسي أو *Annales Regum Mauritaniae*. طبعة تورنبرج. النص. ١. ص ١٥١. والترجمة اللاتينية. ص ٢٠٠. خُصِّت الربع. أو *affroue*. كما يكتفيها اليوم الأسيان بمائة ليبره قيمتها أربعمائة جرام. والدينارات المتصودة هنا من المقروض أن تكون دينارات الخلفاء الموحدين الأوائل، وما هو منها في حوزة ديوان المسكوكات القديمة في باريس تزن تقريباً ١.٧٥ جرام وهي من الذهب الطالع. ومن هنا تقدر قيمة كل منها بسبع عشرة ليرة تقريباً. أما ١5 حسبناها دينارات عادية سبقت المبلغ إلى ١.١٥٠.٠٠٠ ليرة.

وعملية نقل إحدى هذه الكرات داخل برج المئذنة تفهم جيداً عندما نمرك أن برج جبرالد، مثل منارة سان ماركو في فينيسيا النظيرة له في العمر والشكل. ليست بهرفاته درجات ولكن مسطحات أرضية مائلة. انظر في هذا الخصوص جبرو دي برانجي، *Essai sur l'architecture des Arabes*. باريس ١٨٤١. ص ١٠٥ وما بعدها. (2) *Cronica del sancto rey D. Fernando*. التمثل ٧٢. هابن السيد دي شاف. *Poesie und kunst der Araber in Spanien etc.* برلين ١٨٦٥. ٢. ص ٢٤١ وما بعدها. والذي استمد منه هذا الاستشهاد حيث إنني لم أعثر على النص في مكتبات فلورنسا.

(3) الفصل ٢ من هذا الكتاب. ص ٢٨٥ من المجلد.

(4) كيهبر وهبان نيليزي. في كتاب كاروزو. *Bibl. sicula*. ص ٣٧٩.



في حجمها، تقذف كتلا من الحمم يبدو أنها جلبت خصيصاً من صقلية(2). وبعد عشرة أعوام (١١٨٥) تمكنت هذه المنجانيق التي يدعوها إوستاتسيو Eustazio، كبير الأساقفة «بنات الزلزلة» من فتح ثغرة في سور تمالونيكى(2). وبعد قرن من الزمان خاض المسلمون بمنجانيقهم الحرب الثانية التي أراد كارلو دا انجو أن ينقلها إلى صقلية؛ ونعلم من وثائق نابولي لعام ألف ومائتين وأربعة وثمانين أنه في هذه المواجهة كانت هناك حاجة إلى مائة رجل لإدارة أربع من هذه الآلات(3)؛ ومن هنا نستنتج أنها مماثلة لتلك الآلات التي أشرنا إليها من وهلة في عملية الإسكندرية، وربما لتلك التي فتحت للمسلمين (٨٧٨) برج ميناء سيراكوزا الكبير، وهي آلات يبدو أنها كانت ترمى قذائف أفقية(4). وإن لم يكن ظننا خطأ يلزم اعتبار أن استخدام المنجانيق على هذا النحو ظل مقتصرأ على صقلية؛ إذ لم نر، قدر علمنا، أية آثار له في مذكرات أخرى للعصور الوسطى. كما يضاف إلى هذا الاستنتاج استنتاج آخر عن استعمال قذائف اللهب في اقتحام تمالونيكى(5). أما فيما يتعلق بالعمارة العسكرية فنعلم من واقعة بارى أن الملك روجيرو كان يستعين فيها بمهندسين مسلمين(6)؛ وهناك احتمال كبير أن تكون قلعة لوتشيرا، التي أقامها الامبراطور فريزيكو عندما نقل إليها مسلمي صقلية، هي الأخرى عملاً أنجزه المهندسون المسلمون(7).

في تلك الأونة حاز علم التحجيم تقديراً أكثر من فتون القتال:

(1) الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ٥٩٧.

(2) الموضوع السابق، ص ٥١٥.

(3) شهادات بتاريخ ٢٢ أبريل ١٢٨٤ والمذكورة في *Guerra del vespro Siciliano*، طبعة فلورنسا، ١٨٦٦، ١، ٢٨٢، في العاشية. ويجدر ملاحظة أيضاً شهادة بتاريخ ٦ مايو المذكورة في المصدر نفسه، وفيها إشارة إلى كمية من العجاجة المجهزة للمنجانيق.

(4) الكتاب الثاني، الفصل التاسع، المجلد الأول، ص ٤٦٠.

(5) الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ٥١٦.

(6) الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص ٢٨٤.

(7) راجع الهامش ٥ في ص ٥٩٧ من هذا المجلد، الفصل الثامن.

حيث اختلف كما كان الحال طوال العصور الوسطى بعلم الفلك؛ وحيث بذل الملك روجيرو جهداً كبيراً في أوهام ذلك العلم<sup>(1)</sup>، فمن الجائز أيضاً أن حقائقه كانت محل دراسة في بلاط بالرمو. وبرز في ذلك القرن، نحو منتصفه كما هو واضح وهي بالرمو، محمد بن عيسى بن عبد المنعم، وكان مسلماً من صقلية مارس على حد قول الزوزني الهندسة والفلك في براعة، وتبوأ بنظرياته مكانة سامية بين حكماء البلاد<sup>(2)</sup>، إذأ يمكننا استخلاص أنه كان يهتم أيضاً بتطبيق تلك العلوم، وبالميكانيكا أو صناعة الآلات من ناحية، وبالتنجيم من ناحية أخرى.

وهي عصر جوليلمو الصالح<sup>(3)</sup> وفديكو وأيضاً مانفريدي كانت تصود الأوهام في علم النجوم: حيث أن ستيفانو دا مسينا أهدى إلى هذا الأمير ترجمة لاتينية لكتاب *Finri di astralogia* (قطوف علم التنجيم) الذي أسنده أحد الملققين العرب إلى الحكيم العظيم هرمز، مؤسس العلم الخفي والطب<sup>(4)</sup>، وعما إذا كان قد استمر الاشتغال بالعلم

(1) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ٤٤٤.

(2) تاريخ الحكماء، في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٦١٩. كانت عائلته من صقلية كما ذكر زوزني صراحةً وكما نرى من اسم أبيه، عيسى بن عبد المنعم الفقيه والشاعر، وستلزم الإشارة إليه في الفصل التالي بين الشعراء والفنهاء. وطيفاً للأخبار الواردة عن حياته في كتاب المكتبة المذكور ص ٥٨٦ - ٥٨٧، فإن عيسى هذا عاش في النصف الأول من ذلك القرن.

(3) هاتكاندو، لدى كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ١٨١، يروي أن المستشار ستيفانو في انتظار حركة أجرام سماوية كان المنجمون يرون فيها حسن طالع بالنسبة له آخر تحركه من بالرمو تجاه بعض الحصون الأخرى.

(4) المخطوطة اللاتينية رقم ٧٣١٦ في مكتبة باريس والتي تبدأ على النحو التالي: *Introduitorium Albumazar*، تحتوي على نبذة صغيرة في مائة جملة قصيرة تحت هذا العنوان: *Domino manfrido inclito regi Sicilie. Stephanus de Messina hos flores de secretis astrologie divi ermetis transtulit*، تبدأ في الورقة ١٥٣ الوجه الثاني وتنتهي بالورقة ١٥٤ الوجه الأول من هذه المدونة اللاتينية الجيدة التي كتبها يد فرنسية من القرن الخامس عشر، والتي حازها فيما مضى فرانثيسكو الثاني. ومرجمة هرمز مثلث العظيمة يمكن أن تلمسها من الكتب التي يستند إليها، عند حاجي خليفة، طبعة فلوجل، رقم ٦١٧٧ و ٦٢٥٧ و ٦٢٥٩ و ٧٧٣٢ و ٧٨٧٣ و ٩١٩٧ و ٩٨١٥ و ٩٨٢١ و ١٠٥٣٢ و ١٠٦٢٠، إلخ.

الحقيقي فهذا ما تدل عليه شروح لوحات أرزاكل التي صاغها في باريس في نهاية القرن الثالث عشر نفر يدعى جوفاني من صقلية، ليست لدينا أخبار أخرى عنه(1)، ولكن إن كان اسمه يذهب بنا إلى الاعتقاد بأنه مسيحي، فإن طابعه يحملنا إلى الظن بأنه كان بالأحرى مسلماً أو يهودياً لم يرتد عن دينه بالكامل. ويؤسفني أنني لا أستطيع الموافقة على رأي أولئك الذين نسبوا إلى صقلية اثنين من الاسطرلابات العربية غير القليلة التي تحوزها المتاحف العامة أو الخاصة(2): لكنني لن أندعش إذا وجدنا يوماً ما أن أحدهما صنَّع في صقلية نظراً للظروف العامة لثقافة البلاد حتى القرن الثالث عشر، واعتياد علماء التنجيم والفلك والملاحين حينئذ على استخدام الاسطرلاب.

ونظراً لأنني لم أود أن أقطع خطوط الشكل العام الذي أقدم به صورة المعارف العلمية خلال حكم روجيرو فقد أرجأت عند البدء في هذا الفصل الحديث عن علم الرياضيات البحتة الذي لا توجد أية

(1) ذكر مونجيتوري في: *Biblioteca Sicula*. ص ٢١٤ مخطوط من هذا العمل الذي تحوزه مكتبة القديس انطونيوس في فينسيا، وهو بالتعدد ذلك الذي وضع له توماسيني في (5) *Bibliothecae venetae Mss pag.* هذا العنوان: *"Tabulae Toletanae"*. *Joannis de Sicilia super canonibus Arzachelis*. رايبت منه مخطوطتين أخريين في مكتبة باريس ومسنفتين تحت مخطوطات لاتينية، *Ancien Fonds*. ٧٦٨١. *Expositio Jo. de* تعود أولاهما إلى القرن الخامس عشر وتعمل عنوان: *"Sicilia supra canones Arzachelis, facta Parisius (sic) anno Christi 1290"*. حسيما فترات بمعونة فضامة م. جبرارد، والأخرى ترجع إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر وتعمل هذا العنوان: *"Canones in tabulas toletanas quos exposuit Joannes de Sicilia (sic) 1290"* رجليا على السبيل السائد يلزم اتباع أساليب تحويل التقويم الجري إلى الميلادي والبيزنطي... إلخ.

(2) تناول أول هذه الاسطرلابات بالحديث في مقدمة هذا الكتاب، المجلد الأول، ص ٢٥ و٢٦، وبخصوص الاسطرلاب الثاني النظر سيديو، *Matériaux pour servir à l'histoire des sciences mathématiques etc* (١٨٤٩)، ص ٢١٧. ووصف هذا الاسطرلاب الذي يرجع إلى القرن الثاني عشر، وعثر عليه في قلعة حلب المستشرق الناضل ب. دوين من أكاديمية بيشنوبورج، والذي حسبته صقلياً لما كان به من حروف بالخط المغربي، ولكن سيديو رأى أن هذه القرينة غير كافية، ويبدو لي أنه على حق.

مذكرات عن دراساته في تلك الفترة، وأيا كان الأمر لا يمكننا الظن بأن هذا العلم قد أهمل في صقلية في حين كانت فروع العلوم التطبيقية تزدهر وتلقى حظاً وافراً. ولكن إذا كان القدر قد انتقص في هذا الجانب، كما حدث في نواح أخرى عديدة، الكتابات التاريخية فإن جهد هذا الجيل العلمي يبرهن على أن علمي الحساب والهندسة كانا يتالان عظيم التقدير في بلاط فديريكو، ذلك الوريث الجدير لجدّه لأمه. وقد أشرنا إلى مسائل الهندسة التي بحث بها إلى الملك الكامل بينما كان يتفاوض للحصول على القدس<sup>(1)</sup>. كما أرسل بمسائل أخرى إلى العالم الأسباني اليهودي يهوذا كوهين بن سليمان الذي حضر بعد ذلك إلى إيطاليا ليستقر فيها<sup>(2)</sup>. وتشهد كتابات ليوناردو فيبوناتشي التي خرجت إلى النور منذ قليل بأنه في عام مائتين وخمسة وعشرين أو بعد ذلك بسنوات قليلة أهدى هذا العالم إلى الإمبراطور كتاب المربعات، وأن فديريكو كان يحب قراءة كتاب الحساب *Liber Abaci* الذي كتبه وكان، كما يقول المؤلف «يستمتع بتعلم بعض دقائق الأمور الخاصة بالهندسة والأرقام»<sup>(3)</sup>. ونستخلص أيضاً من كتب آخر كتبه فيبوناتشي يحمل عنوان: "Il Fiume" المقتطف، على طريقة أسماء كتب العرب أنه ذات مرة في بيزا وهي حضور فديريكو، قام بحل بعض مسائل الهندسة التي طرحها عليه معلم يُدعى جيوفاني دا بالرمو، فيلسوف البلاط<sup>(4)</sup>. وأن المعلم تيودورو، وهو فيلسوف آخر بالقصر كان قد قدم في مناسبة أخرى إلى فيبوناتشي حججاً حول الأرقام التربيعية<sup>(5)</sup>. وأن رجل بيزا بحث رسالة إلى تيودورو يخبره فيها بأخر

(1) الفصل التاسع من هذا الكتاب، ص ٦١١.

(2) هيرار برهول، المرجع السابق، المقدمة، ص ٧٦ وما بعدها.

(3) *Opuscoli di Leonardo Pisano*، التي نشرها الأمير بالداسار بونكمباني، الطبعة الثانية، فلورنسا، ١٨٢٦، ص ٥٥. واستشهداً إلى أسباب مقولة رأى السيد العالم هيرار برهول في مقدمة المرجع السابق، ص ٥٢٥، أن تاريخ عام ١٢٢٥، خطأ ويجب استبداله بعام ١٢٢٠.

(4) *Opuscoli*، المرجع السابق، ص ٢ و ١٧.

(5) *Opuscoli*، المرجع السابق، ص ١١٤.

اكتشافاته حول قواعد العوامل المشتركة(1) وأنه أرسل إلى الإمبراطور، مع غلام بالبلاط يُدعى روبرتينو بعض نتائج نظرية كسور الأرقام(2).

ومن جهة أخرى فالرجلان الأولان معروفان لدينا باسميهما الأولين، وكذلك بوظيفة فيلسوف التي كانت تحتل مكانها في البلاط البيزنطي منذ القرن الرابع ثم عادت في بعض كنائس صقلية في العصر النورماندي(3). وقد كان جوفاني دا بالرمو أحد كتاب السجل، أو ما يمكن أن نطلق عليهم اليوم أمناء هنريكو، الذي أرسله مبعوثاً إلى تونس عام مائتين وأربعين؛ وهنا يقوم افتراض بمعرفة اللغة العربية، وربما كان من أصل مسلم(4). ويظهر المعلم تيودورو بين رجالات البلاط، وإن لم يكن من الكبار فهو من المؤكد من المقربين للإمبراطور:

(1) *Opuscoli*. المرجع السابق، ص ١٤.

(2) *Opuscoli*. المرجع السابق، ص ٢٠.

(3) كان الرهبان هيلاجاتو المعاصر لروجرينو، ومؤلف بعض المواعظ التي تسند لنيوفاني تشيراميو، يعمل في بعض المخطوطات لقب فيلسوف. كما ذكرنا في الكتاب الثاني من هذا العمل، المجلد الأول، ص ٥١١. وهي وثيقة يونانية لعام ١١٧٢ وأخرى لاتينية لعام ١١٧٢ في *Tabulario* كنيسة القصر في بالرمو، ص ٢٠ و ٢٢ ورد اسمه جوفاني فيلسوف وفيهم الكنيسة. وبخصوص هذه الوثيقة الكنسية راجع قاموس دوكاتج اللاتيني. (4) وثائق عامي ١٢٢١ و ١٢١٠. عند هوبار بريهول *Historia Diplomatica*. الجزء الثاني، ص ١٨٥، والخامس، ص ٢٢٦.

الاسم المحدد وهو المعلم جوفاني المتقلى يتصدر مبحث لاتيني بأسلوب الرسائل يُعد مع كتبها أخرى مماثلة في مخطوط باريس، *Fonds saint Germain*. ١١٥٠. وهي كتابة يبدو أنها ترجع إلى القرن الرابع عشر. ويشغل هذا المبحث اثني عشرة ورقة. تبدأ من الوجه الأول للورقة الثالثة حيث نقرأ: *"Incipit rectorica magistri Joannis de Sicilia in arte dictandi"* وحتى الوجه الثاني من الورقة الرابعة عشرة حيث تبدأ *"Summa diclaminis... composita per magistrum Laurentium de Aquilegia lombardum, juxta stilum romane curie et consuetudinem modernorum"*. وعلى ذلك *"Summa Britonis"*. وهو كتاب من النوع نفسه. والثتان الأخيران هما أفضل ما في هذا المجلد ويشتملان على قاموس لاتيني اشتقاقى وقلمه يتروس وثيودوري. راعب بهاريس، في عام ١٢٩٨. وربما يكون هذا الأمين الثلاثيني المعلم جوفاني المتقلى قد عاش هو الآخر نحو نهاية القرن ولكنه يختلف مع ذلك عن فيلسوف هنريكو الثاني.

إذ أرسل له خصيصاً عام مائتين وتسعة وثلاثين إحدى السفن الصغيرة كي تعود به إلى المملكة التي كان قد ابتعد عنها بناء على إذن منحه إياه الأمير وريما لمهمة كلفه بها(1)، كما أرسل له بعد فترة وجيزة ورقة بيضاء عليها الخاتم الملكي حتى بدون فيها باللغة العربية أوراق اعتماد سفراء تونس(2)، كما طُلب منه أن يجهز لاستخدام البلاط بعض المشروبات وسكر برائحة البنفسج(3)، والأكثر من هذا عهدوا إليه بمهمة دقيقة وهي أن يتلمس في رصد النجوم اللحظة المواتية لأعمال الحرب(4)؛ ولا نعلم إذا ما كان من بين «المنجمين قارئى الطالع والمزافين، وزراء بعلزول وعشاروت» الذين فقدهم هنريكو (١٢٤٨) في هزيمة بارما القاسية(5). وسواء كان صقلياً أو أنطاكي المولد، عربياً أو يوناني الجنس(6)، فإن تيودورو هذا مثله مثل چوھانی دا

(1) وثيقة تم تحريرها في سارثازانا في ١٥ ديسمبر ١٢٢٩. لدى بريهول. المرجع السابق. الخامس. ص ٥٥٦.

(2) وثائق ٦ و ١٠ فبراير ١٢٤٠. المرجع السابق. الخامس. ٧٢٧، ٧١٥.

(3) وثائق ١٢ فبراير ١٢٤٠. المرجع السابق. الخامس. ٧٥٠، ٧٥١.

(4) نجد أخبار منجمي هنريكو هؤلاء في رواية جودي لأخبار فينشنسا، عند موراثوري. *Rev. Ital.* الثامن، ٨٢. وهي رواية رولانغنو، المجلد المذكور، ٢٢٨. حيث لقب تيودورو بالمعلم. وأخيراً راجع ما قاله عنه بصفة عامة الراهب فرانسيسكو بيبينو. موراثوري. المرجع السابق. التاسع، ٦٦.

(5) راجع الأدبيات اللاتينية التي ذكرها بريهول. *Introduction*. ص ٥٢١.

(6) استغلال ترجمة فرنسية لكتاب *Libro di Sidrac* عظيم الشهوة يقول إن: “un homme d'Antioche qui se nomme Codre le philosophe” مقرب من هنريكو حصل على ترجمة لاتينية لذلك الكتاب وأرسلها إلى أوبرت بطريرك أنطاكية، وإن من قام بالترجمة واهب بالرمي يدعى روجيرو كان الإمبراطور قد بعثه خصيصاً لهذا الغرض إلى تونس لئله أن ملكها يقتني الكتاب العربي. والسيد هويا بريهول الذي أخذت من مقدمته هذا الطير (ص ٥٢٩) لا يحسبه خيراً غير صحيح، كما أن كثيرون وتُعرف في أوبرت على أوبرتو بطريرك أنطاكية، وهي كودر على تيودورو موضح حديثاً. وأرى هذا التصحيح صلياً جداً. ومن لديه دراية بقراءة الكتابات اللاتينية القديمة يدرك أنه كثيراً ما يتم الخلط بين هولي C و I. واختصار تيودوروس إلى تودرس شائع جداً في الشرق كما بعث الجميع. كما يظهر اسم الإمبراطور في ترجمة لاتينية لكتاب: “*Liber novem judicium, quem misit Soldanus Babiloniae Friderico imperatori*”. المولد في *Catalogus Mss. Angliae*, II, 346, n. 8509، والذي

بالرمو، كان رمزاً من الرموز الجيدة لذلك العلم الذي خلقه العرب في صقلية في النصف الأول من القرن الثالث عشر: شذوات من كل العلوم الرياضية والطبيعية، ورؤى غريبة وبذور من حقائق؛ وكان علما الحساب والهندسة من بين أكثر العلوم نفعا، وفيهما قطع جوفاني وتيودورو بلا شك شوطاً كبيراً من التقدم إذ أنها بمرضان المعضلات على ذلك العظيم ابن وطن جاليليو، الذي بعد أن درس العلم في بلاد البربر تعمق فيه، وجاء بنشره في إيطاليا.

ها هو زورق رحلتى يذنو من مشارف أول استئناف للدراسات وإحيائها في إيطاليا، بل في أوروبا، ومن اللازم أن أتوقف هنا إذ قد لا تكفى قواى لمواصلة الرحلة، ولأن ذلك التحضر يرجع إلى عوامل أخرى شتى ليست أدنى أثراً من التراث العلمى والأدبى الذى كان لمسلمى صقلية. تلك الأمة التى حين انقضت تركت حقاً حصيلتها القليلة إلى اللاتين الذين حسبوها قد انتهت، ولكنهم كانوا قد ازدادوا ثراءً من نواحي أخرى، كما يتضح فى نماذج مثل جراردو دا كريمونا، وليوناردو هيبوناتشى، وجويدو بوناتى، وجراردو دا سايبونتا، وبرونو لاتينى، وسيمونى دا جنوة وغيرهم.

على أية حال سأكتفى ببعض اللمحات، وحين أنقل من الرياضيات إلى العلوم الطبيعية يجب أن أذكر فى المقام الأول ما التصق بالامبراطور من اتهام بالفضول الأثم فى كشف أسرار الخليقة. وأذاعت جماعة الرهبان الصغار *Fratr minori*، أعداءه الألداء، ما أطلق عليه سالبينى خرافات هنريكو: وتارة قالوا إنه عمل على افراغ أحشاء رجلين لبحث فى فسيولوجيا الهضم، وتارة أخرى منع مرضعات الأطفال عن تدليلهم بالكلمات حتى يتبين بالتجربة أى لغة

---

ذكره ستانيسلندر فى *Giornale della Società orientale di Germania*. المجلد ٢٤، الجزء الثالث (١٨٧٠)، ص ٢٨٧. وربما تحول «الحكماء الصبح» إلى «الفضلاء الصبح» نظراً لإزدواجية معنى لفظ حكماء العرب وسهولة استبدال العدد سبعة بتسعة فى خط النسخ.

ينتم بها الانسان من تلقاء نفسه، هل هي العبرية كما يقال بالكتب، أو اللاتينية أو اليونانية أو العربية؛ ويضيف الرهبان أن الصغار المساكين ماتوا كمدا(1). وكان العلماء اليهود يمتدحون عبقرية هيريكو في التاريخ الطبيعي(2). وهذا ثابت في الحقيقة من وقائع معروفة للغاية: من جمع الحيوانات الغريبة الذي قام به(3)، وتاريخ الحيوان لأرسطو الذي لخصه ابن سينا وترجمه إلى اللاتينية ميكيلي سكوتو(4) بأمر منه، ثم تُرجم منها إلى العبرية، ولا نعلم من ترجمه ومتى أنجزت الترجمة(5)، وكتاب علم الفراسة

(1) ساليهيني Chronica، بارما ١٨٥٧، ص ١٦٨ و ١٦٩.

(2) انظر برلس، Rabbi Salomo etc. برسلاو. ١٨٦٢. والذي ذكره ستاينشneider Hebräische Bibliogr. رقم ٢٩، ص ٦١.

(3) راجع الفصل السابق. ص ٦١١ من هذا المجلد. ويذكر بريهول Introduction. المرجع السابق ص ١٩٢ وما بعدها تفاصيل ذلك: الحيوانات التي تم عرضها في رافينا عام ١٢٢٤. وفي الأتراس عام ١٢٢٥. والفيل الذي أهدى إلى مدينة كريمونا... إلخ. (4) المرجع السابق. المقدمة. ص ٥٢٤. والمجلد الرابع. ص ٢٨١ وما بعدها. حيث وردت الإشارة إلى مخطوطات Pommersfeldt Bruges. ويضاف إليها مخطوطة اللاورينسيانا 9 Plut. XIII, sin., cod ٩ ومصدرها مكتبة سانتا كروتشي (كتالوج Bändini، ١. ص ١٠٩). هذه النسخة الجميلة المكتوبة على الرق عسوانها: "Aristotelis de Animalibus, interprete Michaelae Scoto" وتناث من ثلاثة أعمال مختلفة:

١- "De animalibus" ترجمه من العربية إلى اللاتينية المعلم ميكيلي (سكوتو) في تولكتو Tollecto. وانتهى من صياغته في ٢٤ سبتمبر ١٢٦٦ (الورقة ٥٦ الوجه الأول).  
٢- العمل نفسه باسم ميكيلي سكوتو يبدأ بالآتي: "Frederice domine mundi etc"، كما في قائمة بانديني. ونقرأ في آخره Henricum apud Messinam civitatem Apuler, ubi dominus imperator eidem magistro hunc librum premissum commendavit anno 1232. وتمت كتابة النسخة في ١٤ نوفمبر ١٢٦٦ (الورقة ٢٨. الوجه الأول).  
٣- "De partibus animalium". ترجمه أيضاً ميكيلي سكوتو. طبقاً للقائمة ويضم أن الترجمة تمت من النص اليوناني؛ ولكننا لا نقرأ هذا في النسخة الخطية التي كتبها اليد ذاتها في عجالة أكثر من الجزئين الأولين. ونظراً للتاريخ يلزم التسليم بتصحيح بريهول الذي استبدل ملقى بمسبنا.

كان ميكيلي سكوتو مشهوراً في إيطاليا طوال القرن الثالث عشر. كما نستخلص من ساليهيني Chronica، ص ١٦٩.

(5) انظر ستاينشneider Hebräische Bibliographie، رقم ٢٩ مايو ١٨٦١، ص ٦٥. هامش ٢.



الذي ألفه سكروتو للإمبراطور (1)، ومبحث الصيد بالقصور الذي أعده هدريكو نفسه (2)، وكتاب طب الخيول الذي صاغه جوردانو روفو دي كلابريا (3) طبقاً لما أعلاه عليه هدريكو، وترجمه مجهول إلى العبرية (4)، ومبحث في الطب البيطري يُسند إلى إبقراط، وترجمه من العربية للآتينية المعلم موسى دا بالرمو (5).

وليس هذا مقام تناول مدرسة سالرنو في الطب، التي تبارى فيها الحكماء اللاتين مع اليهود (6) والمسلمين، وزودها أطباء صقلية بأسهام علومهم كما يتضح من اسم بيترو الصقلي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وتلاه نفر يدعى جوفاني بن قسطنطين الصقلي (7). ونعلم أن جوليلمو الثاني، بقدر ما كان يكرم الفلكيين، كرم كذلك الأطباء المسلمين الذين كانوا يقدون إلى صقلية (8)، وكيف أن هدريكو لم يقتصر فقط على إصدار القوانين لدراسة الطب، ولكن يبدو أنه شجع على نشر بعض كتب الطب وترجمة بعضها الآخر (9). ونعلم مدى الحفاوة التي استقبل بها في

(1) بريهول، المرجع المذكور، ص ٥٢٥.

(2) المرجع السابق، ص ٥٢٦.

(3) المرجع السابق، ص ٥٢٧.

(4) Wolf، المجلد الرابع، ص ٨٦١، وذكره ستانفستشيلز في الكتب الذي ذكرناه منذ قليل.

(5) مخطوطة مكتبة مودينا وذكره ثيرابوسكي في المجلد الرابع، الجزء الثاني، ص ٢١٢. والنسخة الإيطالية المخطوطة (القرن الخامس عشر) التي تعوزها مكتبة فلورنسا التومبة لا تشتمل على اسم المؤلف والمنزج.

(6) حول الدور الذي لعبه اليهود في هذا المجال انطلمس الشهير، راجع كلا من كارمولي، *Histoire des Médecins juifs*، بروكسل، ١٨١١، المجلد الأول، ٢٢٠، ودي رننسس، *Collectio Salernitana*، نابولي، ١٨٥٢، المجلد الأول، ص ١٠٦ و ١١٩، وهي مواضع شتى، وايضاً في المجلدات الثاني والثالث والرابع.

(7) دي رننسس، المرجع السابق، المجلد الثالث، ص ٢٢٨.

(8) ابن جبير الذي ذكرناه في الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ٥١١ من المجلد.

(9) استند في التفاصيل والاستشهادات إلى بريهول، المصدر السابق، Introduction.

ص ٥٢٨ و ٥٢٩.

بلاط بالرمو نحو منتصف القرن الثالث عشر الطبيب تقي الدين الذي توقف في صقلية (1) أثناء رحلته من بلاد المشرق إلى بجاية . وعاش بالجزيرة حتى نهاية النصف الثاني من القرن الثالث عشر؛ وكان يجيد العربية إجادة تامة وكذلك الطب للحد الذي مكّنه من ترجمة ذلك الكتاب الكبير الذي كتبه الرازي في الطب والذي يحمل عنوان الحاوي، وكان كارلو دانجو الأول قد طلب مخطوطاً من هذا الكتاب من ملك تونس وحصل عليه. وأنجز المترجم واسمه فرج بن سالم، وهو يهودي من چرچنتي، في فبراير عام ألف ومائتين وتسعة وسبعين ترجمة هذا العمل الذي نال استحسان خيرة أطباء نابولي وسالرنو حتى أعدت منه نسخة رائعة على الرق للاطلاع عليها بالبلاط وقسمت إلى خمسة مجلدات ضخمة، وآلت هذه النسخة بعد أربعة قرون إلى مجموعة كولبير، وهي محفوظة الآن ضمن كتوز المكتبة القومية في باريس (2). ولا تقتصر أهمية هذا العمل على تاريخ الآداب فحسب، ولكنه يمكن أن يفيد أيضاً العلماء واللغويين، إذ يختتم بفهرس وثبت ضخمة للأدوية المفردة، حيث يطابق الأسماء اللاتينية بالعربية. وهي أحيان كثيرة باليونانية، وكلها مكتوبة بالحروف اللاتينية (3).

---

(1) مقال السيد شيربونو في *Journal asiatique*، مايو ١٨٥٦، ١٨٩، وردت فيه معلومات عن مجموعة من تراجم المسلمين من القرن الثالث عشر لأحمد الجبريني. يقول المؤلف إن تقي الدين استقبل استقبالاً حسناً من قبل الإمبراطور، ملك الجزيرة المسيحي، وربما كان يشير إلى مانفريد. كما يعتقد العلامة السيد دي فريسيرو، الموضع المذكور.

(2) مخطوطات لاتينية. ٦٩١٢. واستطلعت الأخبار عن أصل هذه الترجمة من العمل نفسه، الجزء الأول، الورقة ١ و ٢، والجزء الخامس، الورقة ١٨٩ الوجه الثاني، وقد ضمنها في كتابي *Guerra del vespro Siciliano*، طبعة عام ١٨٦٦، الأول، ص ٨١ و ٨٢ في الهامش. وقد قام أنجلو دي ماركلا بنسخ المخطوطة في نابولي (الجزء الخامس، الصفحة الأخيرة).

(3) جدول الأمراض وأعضاء جسم الإنسان، المجلد الخامس، الورقة ٨٦ وما بعدها، منظم في عامودين يحمل أحدهما عنوان *Sinonimum* والآخر *Expositum*. ونقرأ في العامود الأول المصطلح الفني بالعربية أو اليونانية وفي الآخر باللاتينية.

وإذا كان العرب قد أخذوا كلمة الفلسفة مثلاً عن اليونانيين، فإنهم استخدموها بمعنى مختلف عن معناها في أوروبا خلال المصور الوسطى. وقصروها على إيمان الفكر في النواحي الميتافيزيقية والفزيائية في العهود القديمة، ولا أظن أن الملك روجيرو قد عنى بمثل هذا العلم أبداً، مثلما يؤكد الصفدي وعُمري اللذان ذكروهما (1). كما يشى عليه الإدريسي في أهدائه للجغرافيا، لعنايته بفرعين من العلوم التي يمكن أن نطلق عليهما علمي السياسة والحساب (2)؛ ومن كل ما نعرفه عن هذا الأمير العظيم نرى ميله للعلوم العملية والتطبيقية أكثر من العلوم البحتة، فيما يخص الطبيعة والعلاقة بين الكائنات. (إن فمن المحتمل أن يكون الكاتبان المريان اللذان ينتميان للقرن الرابع عشر قد انقادا وراء الشهرة التي حازها بلاط آل زهفي، بصفته مركزاً للحكمة والعلم، فأسندا عن طريق الخطأ إلى روجيرو مدحا كان جديراً بأن يوجه إلى حفيد من ابنه. وعلى ذلك تقدمت الدراسات الفلسفية بمعنى الكلمة تقدماً كبيراً في النصف الثاني من القرن الثاني عشر في إيطاليا وخاصة في المناطق الجنوبية. ويبدو أن عالم فلورنسا أريجو دا ستهيملو كان يشير إلى تلك

وتبدأ *Tabula medicinarum* من الورقة ٩٠ الوجه الثاني إلى الورقة ١٢٣ من الجزء نفسه، بنظام العاصدين: على سبيل المثال "*Alembros = Agnus castus*" "*Alhom = Rosa fetens etc*"، ولكن بعض الأوراق التي تلف تجعلها قد اختلفت هنا بالترتيب الأبجدي. ومن الورقة ١٩٠ الوجه الأول يجرى تعديد الأدوية المغيرة أيضاً حسب الترتيب الأبجدي العربي وأحب أن أذكر منه المادة التالية التي ربما قال إعجاب الباحثين في النبات.

*RUBEA TINCTORIS. Arabice appellatur fuatelsabg (Fuurwa-es-sabgh) et est quedam herba, cujus radix est rubra, qua ununtur tinctores ad tingendum rubrum; et ideo dicitur rubra tinctoris; et una herba expanditur et suspenditur cum arboribus; et virgula ejus sunt quadrata, alba et subrilla, nodulosa et in quolibet nodulo sunt octo folia aut sex, aut quatuor, aspera, parva, similia foliis usopi montani. Capud (sic) ipsorum est acutum et in ipsis nodulis est flos parvus, citrinus, declinans ad albedinem et in loco floris egreditur granus similis coriandro; et radice ejus est utendum (vol. V, fog. 207).*

*Hadoshaon, hadoydodayon, Rubea tinctoris (fog. 100, recto).*

(1) الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٢٥، هامش ٢.

(2) الفصل السابق، ص ٤٢٧.

الدراسات، وليس إلى العلوم والمعارف بصفة عامة وذلك في قصيدته الجليلة اللاتينية التي قالها في نهاية القرن حيث قال إن الفلسفة كانت تحظى بالحفاوة في صقلية(1).

وكان يدفع فديريكو نحو الميتافيزيقيا مناخ تلك الفترة وصباه الذي قضاه في بلاط بالرمو، واستفزاز بعض البابوات الطموحين والمتعاليين، إلى جانب دقة التفكير الجرمانية. ويمكن أن نفترض بداية أنه تولى في مدرسة المثاليين المرب نظراً لأن أوروبا المسيحية في ذلك الوقت لم تكن تهمل في العادة من منابع أخرى خلاف تلك. ويتأكد الافتراض بما هو معروف عن أنه اصطحب معه في إحدى الحملات الصليبية أحد مسلمي صقلية كان قد درس معه، فيما سبق، علم المنطق(2). ولدينا الدليل الأول المتمثل في الرأي العام الذي شاع في ذلك القرن، حين كان البلاط البابوي والرهبان وأعداء الامبراطورية والطائفة التي لا حصر لها من متزمتي ذلك العصر والأكثر حدة في غضبتهم من متعصبى اليوم، يواجهون اتهامهم لفديريكو بالكفر، ويقذفونه بأحقق التهم والأكاذيب(3)، والأكثر من ذلك أن المسيحيين

(1) *Trattato contro all'aversetà della Fortuna* أو *Arrighetto*، فلورنسا، ١٧٢٠. وفيه (في الكتاب الرابع، ص ٢٨) وُضع هذا الشعر على لسان الفلسفة(1).

*Et mihi sicaneas, ubi nostra palatia muras*

*Sic stat propositum mentis, adire libet.*

ولكن المترجمين الإيطاليين القدماء قد أحسنوا التفكير حينما كتبوا باريس بدلاً من صقلية: كما نرى في الطبعة المذكورة، ص ٧٦. وهي نسخة بديلة في نسخة ريكرديانا التي ذكرها ميلانيزي في طبعة عام ١٨٦٤ (*Il Boezio e l'arrighetto*) ص ٥١١. ويؤكد *Mehus* في سيرة امبروجو ترافرساري *Epistolae etc*، فلورنسا، ١٧٥٩، وبمبررات معقولة أن شعر أريجو دا سيتملو قد كُتب عام ١١٩٢.

(2) ابن الجوزي الذي ذكرناه في الفصل السابق، ص ٦١٥.

(3) راجع أخبار ساليميني الذي أطلق عليه (في ص ٢)، *"pestifer et maledictus, schismaticus, haereticus et epicureus, corrumpens universam terram"* وفي مكان آخر (ص ١٦٨) يوجه إليه سبها بمثابة مزاح: لو كان الله قد نظر إلى أرض العمل *Terra di Lavoro* وكابريا وصقلية ويوليا لما اتى كثيراً على أرض المهاد.

المتذمرين على روما هي إيطاليا وخارجها كانوا يلومونه على أفكاره الحرة الجريئة، وحتى الشاعر الكبير الذي وضع في الجحيم عدة بابوات أغلق عليه مقبرة مشتملة بالنار في قاع الجحيم. ولكن منذ بضعة سنوات خلت ظهرت أخبار صريحة ودقيقة حول المدرسة التي كان يتبعها.

وهناك مخطوط عرسي في مكتبة بودليانا بأكسفورد وعنوانه «المسائل الصقلية» يتضمن المسائل الفلسفية التي أرسلها إلى حكماء الشرق والغرب ملك الرومان، إمبراطور صقلية وأميرها، والرودود التي رد بها في سبته الشيخ العالم الجليل عبد الحق بن سبعين حسب رغبة الخليفة الموحد الرشيد. وملك الرومان هذا هو بالتحديد فديكو حيث أن تطابق التواريخ يحملنا إلى فترة ملكه بالضبط. وما هو مضمون الأسئلة:

أولاً: «يقول الفيلسوف (أرسطو) في كل أعماله صراحة إن العالم موجود منذ الأزل. وهكذا كان يعتقد بالتاكيد. والآن إن كان قد أثبت ذلك فما هي براهينه. وإن لم تكن هناك قرائن. فما هي طريقة إيضاحه».

ثانياً: «ما غاية علم الكلام وما مسلماته الأولى إذا كانت له مسلمات».

ثالثاً: «ما التصانيف؟ وكيف أن العشرة التي نعرفها هي مفتاح أي علم من العلوم؟ وهل هي حقيقة عشر، ولماذا لا يمكن حذف أو إضافة واحدة منها أو عليها؟ وكيف نثبت كل هذا؟».

والسؤال الرابع لم ينقل نصه، ولكننا نستخلص أنه كان يتعلق بطبيعة الروح وخلقها والتناقض الظاهر في هذا الموضوع بين أرسطو والمأندرو دا أفروديزيا.

خامساً: «كيف تفسر كلمات محمد هذه: «قلب المؤمن بين أصبعي (الله) الرحمن»».

وتكفى مثل هذه الأسئلة لجلاء فكر الشك. وأجاب ابن سبئين الذي لم يكن أقل تشككاً من فديكو على كل الأسئلة رد المسلم المتبحر بالسنة، الخبير بترسانة العلم والمتبحر في تاريخ الفلاسفة اليونانيين، حيث أنه علاوة على عديد من المشائين يذكر بخصوص خلود الروح، «الرباني أفلاطون ومعلمه سقراط» إلى جانب القرآن والإنجيل والتوراة، والمزامير، والصحف التي يبدو أنها كانت وحياً قديماً جداً عند الصابئة. ولكن كان يخرج من تحت رداء العهر حافر إبليس، ففي كلامه عن علم الكلام وأسس العلمية كتب ابن سبئين أنه لو أراد الإمبراطور استيضاح هذا بصورة أفضل، فليحضر بشخصه ليشافهه، أو ليرسل أحد متكلميهِ أو على الأقل رجلاً من أهل الثقة يأمن تسليمه الرد المكتوب: وكانت هذه المبارات المريبة معروفة للجميع في تلك البلاد، وكأنها النار يرتفع لهيبها: وكان المدعون الجهلاء والخبثاء كثرة فما إن اشتروا رائحة تلك الأمور حتى أطلقوا على السائل حماراً ورموا المسئول بالجنون. ونقرأ في مقدمة هذه الفقرة العلمية المشائية أنه ما أن تسلم رسول الإمبراطور الرد المكتوب حتى قدم عن طريق حاكم سبته مبلغاً كبيراً من المال وفضه ابن سبئين، كما رد أيضاً العطايا الثمينة التي أرسلها له فديكو حين رأى الرد المكتوب. ويرجع عرض المسائل الصقلية تقريباً إلى عام ألف ومائتين وأربعين(71).

وليس لدينا ما نعرف منه إن كان فديكو قد أشبع فضوله الفلسفي بالحلول التي اقترحها عليه ابن سبئين. وهذا العالم الذي ربما كان يبلغ

(71) مخطوطة يوديانا Hunt، ٥٢٤، رقم ٤٦٦ من القائمة العربية حيث ورد خطأ اسم الأمير صاحب المسائل. وقد تكررت معلومات مستقضة عن هذا الكتاب في *Journal Asiatique*، ١٨٥٢، فبراير - مارس، ص ٢٤٠ وما بعدها، كما أعدت طباعة بعض فقرات النص في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٧٢ وما بعدها. واستند إلى ما في *Journ. Asiat.* بخصوص الدلائل ومتابعة التواريخ والأسماء.

من العمر حينئذ خمس وعشرين عاماً، كان قد فر من موطنه مرسية إلى سبته مع أول اضطهاد ديني عانى منه. اضطر مرة أخرى لتغيير محل إقامته؛ لأن علماء الكلام من المسلمين كانوا لا يفتخرون له جراته ولا معارفه. فانتقل من سبته إلى بجاية، ومنها إلى تونس ثم إلى القاهرة وأخيراً استقر في مكة، وكانت تسبقه صفة الزنديق والمشرك وتلصق به رغم أنه كان يحاول أن يتخفى تحت رداء المتصوفة وعلوم التصوف، وكان له مثل الفلاسفة القدماء أتباع كثيرون من تلاميذ وأشياع مالوا إليه لعلمه وفصاحته. أو وقروه لفيض إحسانه. ولكن لما كانت الغلبة لأعدائه، فإذ به في نادرة من نوعها لدى المسلمين، يطلب قطع شرايينه. ويموت مثل الرواقيين؛ وعليه ازداد إعجاب تلاميذه به وانتصار أعدائه عليه<sup>(1)</sup>. وإن لم يخطئ أحد الرواة المجهولين الذي نقل عنه المقرئ فإن صيت هذا الفيلسوف ترامى حتى إيطاليا. ولما قام الفونسو دي كاستيليا بتجريد عبد الله وهو من بني هود أمير مرسية من أمواله فجأة بعد أن قدم له الولاء الإقطاعي، أراد عبد الله اللجوء للبابا ليشتكو الحنث بالقسم كما اعتقد. وأرسل لهذا السبب إلى روما أخ ابن سبعين واسمه أبو طالب، الذي حين قابل البابا لاحظ أنه بمجرد أن نظر إليه راح يتكلم عنه «بلغة المعجم» مع رجال بلاطه. ولما استعلم عن كلامه توصل إلى أن البابا قد قال إن أخاء هو في الحقيقة

وطبقاً للمؤلفين المنكوريين ولد ابن سبعين في مرسية عام ٦١٤ (١٢١٢ - ١٨) وتوفي في مكة عام ٦٩٩ (١٢٧٦). وحكم الخليفة الموحد الرشيد من عام ١٢٢٢ إلى ١٢٤٢. (٢) نستند ترجمة هذا الفيلسوف المسلم، من ابن خلدون والمقري وابن المخلص الذين ذكرتهم في *Journ. Asiat.* وابن الططيب الذي ذكره المقرئ بشير إلى هذه المسائل الصقلية التي أرسلها علماء اليوم لإثارة البلبلة بين علماء المسلمين، ونجح الشاب ابن سبعين في حلها. وبعد نشر دراستي أرسل لي العلامة السيد شريونو وهو أستاذ جامعي بالجزائر. ترجمة أخرى لابن سبعين مأخوذة من كتاب جبروني المناصر لابن سبعين (انظر ص ٦٩٨، هامش ٢) وهذه الترجمة لا تتضمن شيئاً جديداً بالنسبة لنا، لأنها نقلت في كتابات المؤلفين المحدثين التي كانت كتاباتهم هي متناول يدي فيما قبل.

أمير علماء الكلام لدى المسلمين. ولما كانت هذه الوساطة ترجع إلى عام مائتين وثلاثة وأربعين حيث كان أهل قشتالة يحتلون مرسية، فينبغي أن ننسب هذا الحكم إلى إنيوتشنتسو الرابع، وهو رجل غزير العلم وكانت تربطه صداقة بالإمبراطور من فترة وجيزة. ومن المحتمل أن يكون إنيوتشنتسو قد قرأ أيضاً الردود على المسائل الصقلية التي كان لها دويها دون شك بين المعنيين بالعلم<sup>(1)</sup>. في مثل هذا التبادل الفكري المتواتر لم يكن بلام صقلية ليجعل أعمال الفيلسوف اليهودي الأسباني القدير، الذي مات في أوائل ذلك القرن، وهو موسى بن ميمون، الذي لقبه الكتاب المسيحيون بالميموني. وبالفعل كشفت الأبحاث العلمية الحديثة بعد التققيب في كتابات اليهود الإيطاليين آثار نقاش لفديريكو مع أحد الحكماء. لا نعلم إذا ما كان يهودياً أو مسلماً، أبدى الإمبراطور من خلاله دهشته من أن الميموني لم يشرح في «مرشد المتشككين» ولا في «حكمة التعاليم» "Ragioni de Precetti" أصل طقوس التطهير الموسوية برماد البقرة الحمراء (عدد: ١٩) وأضاف أنه يبدو له أن هذه العادة نشأت في الحقيقة من حرق الأسد الأصفر المائل للحمرة التي وجدها في «كتاب الحكماء الهنود»<sup>(2)</sup>. وتوصلنا على حق من هذه اللمحة إلى أنه كان في متناول يد فديريكو الترجمة العبرية، أو بالأحرى الأصل العربي «للمرشد» الشهير، وهناك من رأى احتمال أن يكون هو الذي أمر بأول ترجمة لاتينية لذلك الكتاب<sup>(3)</sup>. ونأمل في أن يكشف مزيد من البحث

(1) المقرئ، طبعة لندن، ١٩٩١، وفي المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ٥٧١ في الهامش. وراجع الإيضاحات التي ذكرتها في هذا الشأن في المقال المذكور في *Journal Asiatique*.

(2) لاحظ أستانا هاوستو لانينو هذه الفترة في مدونة عبرية في اللاونينسيانا وأرسل منها نسخة إلى العالم ستانسنهيدر الذي نشرها بدوره مع تعليق علمي عليها في *Hebräische Bibliographie*، رقم ٣٩ (مايو ١٨٦١)، ص ٦٢ وما بعدها. وأضاف في رقم ٤٢ (نوفمبر ١٨٦١)، ص ١٢٦، فترة من مخطوطة عبرية أخرى يشار فيها إلى مناقشة بين فديريكو وصمويل بن تهبون، المترجم العبري «للمرشد».

(3) ستانسنهيدر، المرجع السابق، رقم ٢٩، ص ٦٥.



والتحقيق هذه التفاصيل في التاريخ الأدبي. على أية حال ليس هناك مجال للشك في هذه الرواية التي تزيد دائماً من مجال المعارف الواجب اسنادها إلى هنريكو.

ولم يكن اهتمامه بالفلسفة لنفع شخصي أو لهوي في نفسه فقط، ولكنه عمل على نشرها في كافة المناطق الخاضعة له وفي أرجاء الأراضي المسيحية؛ وسنقوم بمجرد الإشارة إلى الجامعة التي أسسها في نابولي، وإلى الإعانات التي كانت تقدم للطلاب الفقراء، وإلى «العلماء الذين كانت تتم دعوتهم من جميع فجاج الأرض كما يقول يامبيلاً، ومكافأتهم بالمكافآت المريضة وإكرام وفادتهم» (1). ولما أثرت مكتبته بمخطوطات عربية ويونانية شتى عمل هنريكو على ترجمتها إلى اللاتينية للنفع العام منها. وتتبقى لنا الرسالة التبيلية التي أهدى بها إلى أساتذة وطلبة بولونيا ترجمة «بعض كتابات أرسطو وفلاسفة آخرين في علمي المنطق والكونيات، لتسهل في نشر العلم، الذي «بدونه، كما كان يقول، لا تستقيم حياة الأناس في أسلوبها الكريم». ويبدو مستحيل ألا يكون هنريكو قد أثرى بتلك الكتابات وبعباحث أخرى جامعة نابولي التي كان يعتز بها؛ كما نستخلص أيضاً أن مانفريدي في اقتدائه بوالده كان يرسل إلى جامعة باريس وبعام الأعمال نفسها، ومن المؤكد الرسالة ذاتها التي نسخها وغير الاسم فيها (2). ويظن العلماء أن ميكيلي سكوتو (3) قام بهذه الترجمات

(1) Anonymi, etc (Niccolo de Jasmilla) عند كاروزو، Bibl. Sicula، ص ٦٧٨.  
(2) يكفي أن أذكر عن نص الرسالة الواحد Historia Diplomatica، بريهول، ١، ٢٨٢ وما بعدها، حيث نشرنا البدائل الواردة بالتسبع التي وردت قديماً في رسائل بيشرو ديلا فلينا وهي مجموعة سارثين. ويرجع تاريخ رسالة هنريكو إلى عام ١٢٢٠ تقريباً. وموضوع الكتيبات مشروح في النص ومفتحين بمباراة in sermonialibus et mathematicis disciplinis. وقد قمت بتفهير ثمانية هاتين اللغتين إلى cosmografia حيث يتعلق الأمر حسبما يرى جوردان بكتب الطبيعة والظواهر الجوية لأرسطو. وربما أيضاً بالمجسطى لبطليموس. فارن بريهول، المرجع السابق، ١، ص ٢٨١، الملاحظات والمقدمة، ص ٥٦٦.  
(3) بريهول، الموضع المذكور.

كلها أو جلها. وبعد تلك الفترة بقليل ونزولاً على رغبة مانفريدي ترجم بارتولوميو دا مسينا الأخلاق من فلسفة أرسطو (1) من اليونانية إلى اللاتينية. وتلبية لرغبة الأمير نفسه ترجم الألماني هرمان إلى اللغة اللاتينية التأويل العربي أو التلخيص للكتاب نفسه ولكتابات أخرى لأرسطو (2). يضاف إلى ذلك ترجمات أخرى لكتب الحساب والطب والتاريخ الطبيعى والفلك والتنجيم والتي رعاها فديريكو وابنه كما سبق أن أشرنا. ولما كان اليهود طوال المصور الوسطى في الغرب هم انشط المترجمين لعلوم العرب، فضّل فديريكو أن يضيف إلى الترجمات إلى اللاتينية ترجمات أو مؤلفات يهودية لكتب العرب في العلوم. وفضلاً عما خلصنا وأشرنا له حول ترجمة «دليل المتشككين» نعرف، بناءً على شهادات مؤكدة، أن يعقوب بن ابا ماري، وكان طبيباً من مارسيليا، تمتع براتب عظيم، منحه إياه الإمبراطور، وانتهى في نابولي عام مائتين وواحد وثلاثين من الترجمة العبرية للمجسطى. كما أتم في العام التالي ترجمة تعليق ابن رشد (3) على أربعة كتب

(1) مخطوطة دير سانتا كروتشي في فلورنسا، والتي انتقلت إلى اللاورينتسيانا بتصنيف (1) *plut. XXVII, dert. n. 9*. تحتوي من بين البعث على نبذة. (الورقة ١٧٦ أو بالأحرى 1٥٢)، تحمل عنوان: "*Incipit Liber magnorum ethicorum aristotelis. translatus de greco in latinum a magistro bartholomeo de Messini, in curia illustrissimi maynfridi, serenissimi regis sicilie, scientie amatoris, de mandato suo*". راجع أيضاً فهرست بالنديني، ٤، ٦٨٩ الذي ورد به أن الترجمة ذاتها، ولكن منقوصة وبن اسم، موجودة في مخطوطة سانتا كروتشي الأخرى، *Plut. XIII, sin. cod. VI*، رقم ٦، والتي ذكر ذلك في الفهرست في ١٠٦ من الجزء نفسه. وهذا المخطوط مؤلف كله من نبذة أرسطو، ولكن لم أعتبر على أي منها يرجع إلى الزمان أو البلد اللذين نحن بصددهما.

ويذكر تيرابوسكي، *Storia della Letteratura Italiana*، المجلد الرابع، الجزء الثاني، الكتاب الثالث، الفصل الأول، § ١، ص ٢٤١، فضلاً عن أولى مخطوطات سانتا كروتشي المذكورة مخطوطة في مكتبة سان سلفاتوري في بولونيا.

(2) رينان، *Averroès, partie II, chap. II, § 3*.

(3) كارموني، *Histoire des médecins Juifs, etc.*، بروكسل ١٨٤١، § ٩، وستانشيندر، *Hebraische Bibliographie*، رقم ٢٩ (١٨٦١)، ص ٦٢، ١٦٤ وريسان ١٧ § 1، *Averroès, partie II, chap. 1*، وفارين، المرجع السابق، المقدمة، ص ٥٦٦.

لأرسطو. كما نخلص أيضاً إلى أن يهوذا كوهين بن سليمان، وهو يهودى أسيانى ومؤلف موسوعة علمية ضخمة أملاها بالعربية وترجمها إلى العبرية، انتقل إلى إيطاليا فى عام سبعة وأربعين بعد أن أجاب مرتين على المسائل العلمية التى كان فديريكو يطرحها(1)؛ ومن هنا نفهم سبب استدعاء فديريكو له من وراء جبال الألب وإنعامه عليه بسخائه الحكيم الذى اعتاده نحو أى عالم من العلماء. ومن هنا ساد الاعتقاد بأن فديريكو كان يعرف العبرية، وهى افتراض أوجه، أضاف آخرون أنه كان يعرف اليونانية حيث توجد نسخة يونانية لمراسيمه(2)، ومن المعلوم أن هذه اللغة كانت هى السائدة فى عصره فى بعض مدن صقلية وناپولى. ولأسباب وجيهة أيضاً يسود الاعتقاد بأن فديريكو كان يعرف البروفانسىة والفرنسية(3)، وليس ثمة ريب فى أنه كان يتحدث بدرجات متفاوتة الإيطالية واللاتينية والعربية والألمانية(4). وتحوم الشكوك حول قوله الشعر باللاتينية والبروفانسىة(5)، ولكن من المؤكد أنه صاغ الشعر بالإيطالية مثل بعض أبنائه ورجال بلاطه؛ ولا يعنى هذا أن فديريكو هو الذى ابتدع الشعر لدينا، أو أسس، بمعنى الكلمة، أركاديا فى الرمو كما ظن علماء القرن الماضى؛ ولكنه كان أول، أو من أوائل من أدخلوا فى إيطاليا التقليد المرسى والبروفانسى بالقاء الشعر فى البلاط بمختلف لغات الشعراء الذين يقولونه. وأدى هذا التقليد الملكى إلى تشجيع آدابنا أكثر مما يبدو لغير المدقق. فقد نشر فديريكو بين العامة الشعر

(1) ولف، ودى روس، وكرافت، الذين ذكرهم بريهول فى المقدمة نفسها، ص ٥٢٧.

(2) قانون بريهول، المرجع السابق، المقدمة، ص ٥٢٩. وبخصوص النص اليونانى لمراسيم فديريكو راجع المرجع نفسه، المجلد الرابع، الجزء ١، ص ٢٠.

(3) بريهول، المرجع السابق، المقدمة، ص ٥١١، ٥١٢.

(4) يقول سالييمبى *Chronicon*، ص ١٦٦، بصفة عامة إنه كان يتكلم لغات شتى؛ ويكتب ريگوردانو ماسيبنى فى الفصل ١٧٠: «إنه كان يعرف لغتى اللاتينية والعامة، والألمانية والفرنسية واليونانية ولغة السراتشين؛ وكان واسع الفضائل كريم، سخي فى عطائه ... إلخ».

(5) بريهول، ٥١٠ و ٥١١ من المقدمة سابقة الذكر.

الحديث وما به من أثر غنائى متناغم(1). ولو صح ظننى فقد وُلدَ هي نفوس المعاصرين له ولما غير محدد وإن كان عارماً بالحضارة، إذ كانوا يرون حفيد بارباروسا ينزل عن عرشه ليشافه العلماء وينخرط في ممارسة الفنون الجميلة وهي التسلية؛ كان حسن الطلعة، لماحاً، يحترم أقوال الآخرين(2)، يقطاً، شامل المعارف، يتسم بعمق التفكير الحر المستند إلى العلم، لا المأسور داخل حدوده، كما كان يعرف بتألفه وأتق ذوقه هي الأثاثات والقصور التي أمر ببنائها(3). وساهم بقوته وراثته وسمو روحه في تقدم الفكر البشرى في أوربا بما لم يعم به آخر في المصور الوسطى.

والمقام هنا ليس مقام الحكم على فديريكو بصفته رجل دولة، أو مشرع؛ وليس مقام توجيه اللوم ولا تبرير النقائص التي لصقت به مثل البخل والفسوة والانحلال والخداع؛ وهي رذائل كل عصر وأوان. وكانت في المصور الوسطى أكبر مما هي عليه اليوم. فإذا نظرنا فقط إلى نوع تفكيره. فإن فديريكو يبدو لنا رجلاً من رجالات القرن الثامن عشر، وجد ليميش في بدايات القرن الثالث عشر، مثل تلك النباتات التي تزهر في غير أوانها في طفرة من طفرات الطبيعة أو بتدخل من الانسان. مثل هذه الظواهر الأدبية والروحية لا يصل التاريخ إلى تفسيرها تفسيراً تاماً. إذ لا ينفذ النقد إلى معظم أسبابها؛ ولكن يمكنه على الأقل أن يبعث في الظروف التي هيأت لنمو بذرة طيبة. وقد تشكلت عبقرية فديريكو وتمازجت بين سلسلتين من الأحداث غير العادية أشرنا إليهما، أي الدوامة السياسية التي أحاطت به منذ نمومة أظافره، وجو الحضارة الذي تربى فيه، ويحملنا موضوعنا إلى إيجاز ما قلناه وما قاله آخرون حول هذه النقطة الأخيرة.

(1) ساليبيني. المرجع السابق، ص ١٦٦.

(2) ساليبيني. الموضوع السابق، يميز بوضوح عن مدى التعجب الذي شعر به حين شافه هذا الرجل المنحصر. راجع ما ذكره في ص ١٧٠.

(3) بخصوص الآثار انظر بريهول، المرجع السابق، المقدمة، ص ١٤٦ وما بعدها.

بحلول القرن الثالث عشر كانت الحضارة الإسلامية بما لها وما عليها قد تغلغلت تغلغلاً طفيفاً في كل أوروبا، وتغلغلت تغلغلاً أكبر في البر الإيطالي بينما كان وجودها أعظم في صقلية، فعلاوة على تبادل التجارة مع السواحل الجنوبية بالبحر المتوسط فقد ظلت بها بقايا طوائف وعشائر من المسلمين؛ ومن بين ما تبقى من تلك الأصول وجدنا في طفولة فدريكو، رجلاً يخدمون في بلاط بالرمو وراينا آخرين منهم في حاشيته في القدس وفي كافة أنحاء إيطاليا في السلم وفي الحرب وفي الترحال؛ ومنهم المعلمون أو المعاونون في الدراسة؛ وهؤلاء ويهود ومسلمون وأندون من بلدان أخرى وجدناهم بين رجال البلاط ويتباون المناصب أو يقومون على أن يقضى الامبراطور وقته في تسليات بريئة أو في الترف، أو في غير ذلك، وجوهاني الملقب بالمورو، الشهير بأعماله السيئة خلال حكم مانفريدي وكورادو، والذي أنجبته إحدى جواري البلاط وكان أميناً للإمبراطور وللخزانة العامة في المملكة، هو ذاك بعينه الذي حاز إقطاعيات من إنوتشنتسو التاسع وأراد أن يخدع مانفريدي في لوتشيرا، ويتشابه جوهاني هذا في أصله وأسلوب حياته مع أي من العبيد المعتوقين في بلاط المسلمين في اسبانيا وأفريقيا أو مصر (1).

كان بلاط آل زيفي الإيطالي يبدو بلاطاً مسلماً في أعين كل مسيحي الغرب طبقاً لشهادة كارلو دانجو، الذي كان يطلق على مانفريدي لقب سلطان لوتشيرا، وحيث أننا بسطنا الحديث في هذا الفصل وفي الفصول السابقة عن الحصيلة الفكرية التي أخذها فدريكو عن المسلمين فإننا سنمطي لمحة هنا عن العادات والتقاليد التي انتقلت عبر الطريق نفسه، شكى جريجوريو التاسع إلى العالم الكاثوليكي الإمبراطور الذي استدعى راقصات في عكا ليقدمن

(1) لا يلزمنا استشهاد لأعمال جوهاني المورو، هالهبات البناوية له نراها في سجل إنوتشنتسو الرابع، الكتاب الثاني عشر، رقم 281 و 222، الذي تكلم - م دي شبريه *Histoire de la lutte des papes, etc*، الجزء الثالث، ١٩، الطبعة الثانية.

عرضاً رافضاً أو أسوأ من ذلك لضيوفه المراسنة(1): ونستخلص من شهادات جديدة بالثقة أنه كان يلهو بالتمثيل الإيمائي (البانتوميم) وبالالعاب البهلوانية وبعراف وغناء تلك الرافضات(2). وحين اتهمه إنوتشنسو الرابع ظلماً بسبب علاقائه السياسية مع القاهرة عاب عليه احتفاظه بوصفاء سراسنة وحراسة زوجته بالخصيان(3).

وعن إنه أعد دار حريم في لوتشيرا وكانت لديه أخرى متقلبة في حروبه، بإيطاليا، فهذا ما تثبته كتابات وكتاب معاصرون له(4). وعلى هذا النحو أخذت أساليب التسلية في بلاط فدريكو ملامح ما كان يحدث في القصور الإسلامية: ولا يعني هذا عدم وجودها أو قلتها في قصور البلاد المسيحية في العصور الوسطى. وكان الترف لديه أيضاً إسلامياً. وقد يقال إن فدريكو أراد أن يقلد بعض سلاطين الهند. حينما أمر في حصار بونتيكو (١٢٣٧) بأن يقود مسلمون فيلا يحمل على ظهره برجاً صغيراً به رايات الإمبراطورية(5). ويبدو أنه أراد أن ينقل إلى أوروبا كل مظاهر الشرق حين نقرأ الأمر الذي أمر فيه موظفيه في بالرمو بأن ينتقوا ليضموا إلى خدم البلاط في الحال بعض المبهدة الزوج ممن هم في سن العشرين، وأن يتناوهم عند الضرورة، على أن يتعلم بعضهم عزف البوق والبعض الآخر

(1) فقرة من رسالة لعام ١٢٢٩. ذكرها ماثيو باريس. عند بريهول. المرجع السابق، ٣، ١١٠ في الهامش.

(2) ماثيو باريس الذي ذكره بريهول. المرجع السابق، المقدمة، ص ١٩٢ و ١٩٣. وهناك شهادة في صفحة ٩١٥ بأمر فيها الإمبراطور بأن يلحق بالبلاط أحد الرافضين السراسنة البارزين ويبدو أنه كان من أسبانيا.

(3) رسالتان بتاريخ ١٧ يوليو ١٢١٥ و ٢٣ مايو ١٢١٦. لدى بريهول. المرجع السابق، ٦، ٢٢٥ و ٢٢٧. وراجع المذكرات المعاصرة التي أوردها المؤلف نفسه في المقدمة، ص ١٨٩.

(4) الاستشهادات ورد ذكرها لدى بريهول. المرجع السابق، المقدمة، ص ١٩٠ و ١٩١. ونيل الأرنل المستخدمة من *Historia Diplomatica*، ٥، ١٨٦. على أن هؤلاء التسوء كن يرتدين ملابساً على الطراز الإسلامي.

(5) راجع الاستشهاد في الفصل السابق، ص ١١١ من هذا المجلد، هامش ٧.

ضرب الرق، وأن يبعثوا بهم في الحال إلى الإمبراطور(1)، وسواء كان من قبل الصدفة، أو أن أبهى حل البلاط كانت لاتزال تخرج من «طراز» بالرمو، فإن كتابة عربية تُشاهد مطرزة بالذهب على طرف اكمام الرداء الذي كسوا به إمبراطور القرن الثالث عشر العظيم في مقبرته(2).

---

(1) شهادة بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٢٢٩، عند بريهول، المرجع السابق، ص ٥٢٥.  
 (2) لدى دي جريجوريو، *Rezum Arabica*، ص ١٧٨. وانظر بخصوص هذه الكتابة الفصل السابع من هذا الكتاب، ص ٥٦١، هامش ٢.

## الفصل الحادي عشر

بينما كانت العلوم الفيزيائية والفلسفية تحتفظ بمكانتها الرفيعة لدى من هم تحت النهر من مسلمي صقلية، وكان الشمر العربي يلقي قبولا واستحسانا في مملكة بالرمو المسيحية، تدهورت الدراسات الدينية والقانونية وكذا فقه اللغة. وكان هذا نتيجة حتمية إذ كانت صفوة الرجال المعروفين بفضائلهم وعلمهم يتوارون رويدا رويدا ويتركون المساحة في الجزيرة لأولئك الذين ينتمون للطبقات الدنيا والعاملين في البلاط وخدامه. ويرد ذكر هجرة النخبة المنتقاة في الحوليات العربية الخاصة بالقرن الحادي عشر وأغل ذكرها في حوليات القرن الثاني عشر التي نُسبت صقلية. ووفقا للترتيب المتبع في الكتب السابقة، سوف نستهل التقديم بالعلوم القرآنية، وقد وجدنا لها راعياً واحداً وهو أديب موسوعي، إن جاز القول، ذائع الصيت عند المسلمين حتى يومنا هذا. وبدلاً من تقسيم الأخبار على مدار الفصل كله، رجوعاً إلى هذا الرجل ذي الشأن العظيم بخصوص كل المجالات التي تنسب إليها مؤلفاته المختلفة، فإننا سوف نتحدث عنها جميعها مرة واحدة؛ وبداية نستعرض ترجمته التي نأخذها عن عماد الدين الأصفهاني المعاصر له؛ وعن ابن خلكان، وهو كاتب من القرن الثالث عشر، وعن أربعة من مؤلفي القرن الرابع عشر والخامس عشر المدققين<sup>(1)</sup>، والكاتب اسمه الأول محمد وهو ابن أبي محمد بن

(1) عماد الدين، في المكتبة العربية - الصقلية النص، ص ٦٠٥، ابن خلكان، المرجع المذكور، ص ٦٣٠، وفي طبعة الهارون دي سنان، المجلد الأول، ص ٢٢١ والمجلد الثالث، ص ١٠٦ من الترجمة الإنجليزية؛ أبو الفدا، *Al-Mufa*، المرجع المذكور، ص ٤١٨ والمجلد الثالث، ص ٦٢٨ من طبعة رسالة تقي الدين القاسبي، المرجع المذكور، ص ٦٥٩؛ المقريزي، المرجع المذكور، ص ٦٦٥؛ السيوطي، المرجع المذكور، ص ٦٧٧. فإن الأخبار بالنصوص التي ذكرتها، قبل طبعتها، في الترجمة الإيطالية لكتاب سلوان



محمد بن ظفر وهو معروف بابي هاشم(1)، ولقب بلقبين هما حجة الدين وبرهان الإسلام. وقد أطلق عليه اسمان نسبة إلى مكانين وهما: الصقلي والمكي فكان يطلق عليه أحدهما حيناً والآخر في حين آخر أو الاثنان معاً وغالباً ما استخدم اللقبان معاً عند المسلمين كما سبق وقلنا في موضع آخر(2).

ويؤكد ابن خلكان أنه ولد في صقلية ونشأ وترى في مكة وهو الأمر الذي يكرره أبو الفدا؛ بل أن المقرئ يقول إن أصل كاتبنا من مكة، نشأ وترى في المغرب واستقر في حماة بعد إقامة قصيرة في مصر. ومن ناحيته فإن عماد الدين، وقد عرفه شخصياً في حماة يعمد واحداً من شعراء شبه الجزيرة العربية. ويقول عنه إنه مكي «الأصل». مغربي النشأة، عاش في سوريا؛ ويلاحظ أن كلمة «أصل» تستخدم تحديداً للإشارة إلى موطن الوالد. وعلى النقيض من هذا ذكر عنه الفاسي الذي كتب في القرن الخامس عشر حوليات عن وطنه مكة، أنه من أصل مغربي ولكنه وُلد وترعرع في مكة وهو يستشهد بالقطيفي، كاتب حوليات بغداد والذي بدوره استشهد بأحد تلاميذ بن ظفر، الذي كان قد سمع منه شخصياً. أنه وُلد في مكة في شهر شعبان من عام أربع مائة وسبعة وتسعين (مايو ١١٠٤): ويضيف التلميز أنه ما أن وصل ذات مرة إلى حماة في شهر ربيع الأول من عام خمس مائة وسبعة وستين (نوفمبر ١١٧١) حتى سأل عن ابن ظفر وعلم بوفاته. قبل أيام قليلة. وطبقاً لمجموعة تراجم فقهاء المذهب المالكي، والتي استقى منها أحد المؤرخين أخباراً وذكره الفاسي

المطاطح، طرطوسا، ١٨٨٦، المقدمة، ص ١٨ وما بعدها. وفي الترجمة الانجليزية، لندن، ١٨٨٢، المجلد الأول، ص ٢٠ وما بعدها.

(1) عماد الدين يدعوه أبا عبدالله. والمسيوطي يدعوه أبا جعفر. ولا طائل من ذكر يدائل الألقاب الشرقية وهي كثيرة. ليس هندي براهمين وأمة تدعو للاعتقاد بأن التباين بشأن الوطن نشأ عن اختلاف تلك الألقاب الثانوية، بل على العكس اعتقد أنه مامن شك في أن مؤلف كل هذه الأعمال واحد. وسيتمخض هذا من خلال هذا الفصل.

(2) انظر الفصل السابق، ص ٦٣٣ من هذا المجلد.

نفسه، فإن ابن ظفر قد رحل من مكة وهو طفل ثم درس مع العديد من العلماء في الاسكندرية وأفريقية وإسبانيا وقد القى دروساً عامة في الجوامع ثم انتقل من المغرب إلى صقلية، وذهب إلى دمشق واستقر أخيراً في حماة. ونظراً لعدم اتفاق هذه المعلومات مع بعضها وكذا عدم تطابقها مع أخبار ابن خلكان، خرج الفاسي من هذا المأزق بالصيغة المألوفة في النقد الإسلامي وهي والله أعلم. ويبدو أن السيوطي قد جمع هذه الأخبار وغيرها. فهو يذكر واقعة الميلاد في مكة والانتقال إلى مصر ثم يجعل ابن ظفر يقضى فترة طويلة من حياته في أفريقية ويقيم بالتحديد في المهديّة عند استيلاء المسيحيين عليها (١١٤٨) ومن هناك يجعله يهيم على وجهه في صقلية، ومصر وحلب ويكتب الجزء الأكبر من أعماله في حماة. وأخيراً، نجد مذكّرة مؤلفها مجهول وردت في إحدى مخطوطات سلوان القديمة، تذكر أن الكاتب ولد في صقلية ومكث بها الفترة الأولى من شبابه (١).

إنني لا أريد عرض الموضوع اعتماداً على مرجعيه الكتاب فحسب فهي لا تستقيم من جميع جوانبها: فإن كانت رواية عماد الدين تحوم حولها الشكوك، فإن القائلين بمولده في صقلية كانت ترجمات المسلمين الكبير أبو الفدا سيد حماة حيث دفن ابن ظفر بعد أن ترك فيها مذكرات أكثر من أي مكان آخر، وكذلك المقرئزي وهو جد بارع ومجتهد، وعلى العكس فإن القائل بمولده بمكة كاتب معاصر يذكره القطيفي ونلاحظ وجود تناقض في بعض التفاصيل (٢): أما الفاسي فلا يتخذ موقفاً يقينياً قاطعاً، والسيوطي المعروف بغزارة الإنتاج بين كتاب العالم كافة ولكنه عجول فضلاً عن أنه سجل هذه الأخبار في

(١) مخطوطة عربية، رقم ١٥٢٠، في المتحف البريطاني في قائمة م. ريو، ص ٦٩٥. والمخطوطة بتاريخ ٧٥٩ الهجرة (١٣٥٨)، وهي مخطوطة بالطبعة الأولى وتحتوي على قائمة بمؤلفات الكاتب.

(٢) المكتبة العربية.. الصقلية. النسخ ٦٦٠ - ٦٦١.

أحد الأعمال التي كتبها في شبابه وهي تخلو من الاستشهادات. إذن، فإن أخذنا في الحسبان عدم يقين وتعارض حكمي الآخرين فإن هذا يستوجب الشك والريبة في ذبوع معلومات غير حقيقية أو مبهمة منذ عهد الكاتب نفسه. وقد لا يغيب عن الأذهان السبب في ذلك. كان للقب الصقلي وقع سيء في سوريا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر عندما كانت تشتمل هناك نار التعصب الديني الشديد وقد عاد ابن ظفر إلى تلك البلاد بنية البقاء فيها: إذ قد لا يكون منافيا للحقيقة أن يكون الكاتب ذاته أو أصدقاؤه بدلا من أن يرددوا اسم صقلية، قد تفاخروا بأصله المكي وأفاضوا في الحديث عنه. ومع ذلك فإن كانت قد بقيت لابن ظفر نسبة الصقلي فيفترض أنه لم يستطع أن يخلعها عنه سواء كان قد ولد في صقلية أم تربى ونشأ بها.

يبدو لي أن الخطأ قد ظهر أو تأكد بسبب تواريخ لم يتم استقصاؤها جيداً. وهي في رأيي التواريخ التي نجدها مثبتة أحيانا في المخطوطات الإسلامية بفرض التأكيد على أن هذا النص، في هذا الشهر وهذه السنة وهذا البلد قد سلّمه الكاتب إلى الراوي أي إلى من يكرر ما دون به مع تصريح بقراءته على الآخرين وإعطائهم نسخ منه. وهذا ما يحدث في التراجم التي يوردها العلماء وخاصة الرواة حيث يحددون فيها التاريخ الذي «سمع» فيه الشخص عن شخص آخر، كما يطلقون فنياً على رواية الأحاديث النبوية، وأظن أن السيوطي قد نهل من كلا التبعين. غير إن وثائق مماثلة تغول لنا الحق في أن نصحح بعض أخطائه وأن ندلل على أمر مجهول حتى الآن عند جميع كتاب التراجم، ألا وهو أن ابن ظفر أقام في سوريا مرتين وهي زمنين مختلفين، الأمر الذي يجعل من غير المطابق للحقيقة بدرجة كبيرة ما يروى عن أن ذلك العالم قد ذهب في صباه إلى المغرب وعاد إلى الشرق بعد إقامة قصيرة في صقلية. ويبدو أن خط المسير هذا يستند على افتراض أن ابن ظفر قد ألف في صقلية الجزء الأول من

السلوان بدلاً من الجزء الثاني. غير أن الأدلة تأتي بعكس هذا تماماً وترد أول وثيقة تبرهن على إقامته في سوريا في كتاب خير البشر الذي أهداه ابن ظفر إلى صفى الدين أحمد بن كرناس، وهو، حسبما اعتقد، مدير إحدى المدارس أو إن أردنا القول مدرسة ثانوية في حلب أو في حماه (2). ويحكي الكاتب، في كلمات تقديم كتابه، كيف أنه رحل «من بلاد سحيقة في الغرب بحثاً عن ملاذ في مملكة نورالدين ذات البأس، تلك التي تحيط بمعظمتها نفوس كل ملوك الشرق والغرب وتطرح أعداءها تحت رماح الدمار، الخ. وكان القدر قد ألقى به في الهاوية وغمره بالكروب وأراه نجمة (Zisna) في ملء الظهيرة إلى أن أرسل له الله في الهزيع الأخير، شقيقه وصديقه هذا. سيف الدين، الذي أهداه ذلك الكتاب رغبةً منه في إظهار امتنانه له ومكافأته بالصيت». وهنا نستطيع تحديد التاريخ: فهو تقريباً عام ألف ومائة وثمانية وأربعين إذ كان نورالدين بن زنجوى قد تملك على حلب عند موت والده (١١٤٦) وفي خلال سنوات معدودة بسط عليها سيادته ونفوذ، بينما كانت المهدية تقع بين براثن روجيرو. بعد وقت وجيز، ظهرت ما أسميناها، حسب طريقتنا، بالطبعة الأولى من كتاب السلوان التي زودها الكاتب في نهايتها بقائمة الكتب التي ألفها والتي يستهلها على هذا النحو (3): «الآن إذ يكتمل هذا العمل ويتلقفه الرواة ونظراً لأنه آخر أعمالى، أقصد أعمالى من حيث التصنيف والتأليف، وهيها حرصت على أن أمتع القراء من خلال رشاقة وأناقة الأسلوب وعلى أن أرشدهم من خلال التعاليم

(2) المكتبة العربية، الصقلية، النسخ، ص ٦٩٢. لا أجزم بالمدينة لأنى لم أجد اسم سيف الدين هذا في تراجم أعلام حلب. وقد قام كاستيلاني بنسخ مخطوطة خير البشر في القاهرة بتاريخ أول سنة ١٢٨٠ (١٨ يونيو ١٨٦٢). وينقل أول راوى المخطوطة المكتوبة على النسخ عام ٥٦٦. ينقل النص عام ٥٨٨. ولم يتم النشر على الإطلاق على أي أثر لأهداه موجه إلى صفى الدين.

(2) هكذا يسمي العرب أكثر نجوم المذنب القطبي الكبير إظلاماً.

(3) المكتبة العربية، الصقلية، النسخ، ص ٦٨٨.

الأخلاقية، ولذا ينبغي أن اختتم المجلد بذكر عناوين أعماله وموضوعاتها، على الرغم من أن النهابين قد سرقوا الكثير من المجلدات المذكورة بعناوينها. ويعقب ذلك تسعة عشر مبحثاً من بينها خير البشر، من هذا يتضح أنه قد قام بكتابه بالفعل؛ وفي المقابل لا نجد الأعمال الثلاثة المهداة إلى أبي القاسم في صقلية، ومن هنا يصبح لا مجال للشك في عدم كتابتها، ولذلك فإن الطبعة الأولى من السلوان ليست هي تلك التي تحمل اسم النبيل الصقلي. ويظهر على رأس القائمة الهنيوع، وهو تفسير كبير للقرآن وفيه ينوه الكاتب إلى أنه كتبه للمرة الثانية نظراً لسرقه النسخة الأولى منه. ومن هنا يبدو أنه يلح بهذا وبالإشارة السابقة إلى مارواه السيوطي، أي إلى أن شيعة حلب حينما شنوا هجوماً يوماً ما على أهل السنة نهبوا مدرسة ابن أبي عسرين المتشددة وهناك سطوا على كل كتب ابن ظفر(1).

وهذه الطبعة من السلوان يسبقها هذا الإهداء الذي يشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى واقعة سياسية تورط فيها الكاتب نفسه. فقد كان أحد الملوك وكان باراً به وصديقاً حميماً له ومعروفاً، ولكنه لا يذكر اسمه. أميراً حكيماً، ذائع الصيت ومحباً للعلم، كان يعيش في غم وكرب شديدين، إذ كان أحد المنشقين يهدده ويضيق عليه الخناق، ورويداً رويداً كان يهاجم رعاياه ويغويهم، وكان على وشك الإطاحة به من على العرش إذ نجح في ضم كل الشخصيات البارزة إلى صفه. وكان الأمير المخدوع، قد طلب من الكاتب (وبما لها من أزمدة هائلة) تأليف كتابي فلسفة وعلم يحاكي حكايات كتيلة ودمنة لأنه كان يترق إلى ما يواسيه على ما ألم به. وقد أهداه ابن ظفر هذا الكتاب الذي كتبه خصيصاً له، لأنه ما كان لهستطيع إن يرفض له طلباً(2).

(1) المكتبة العربية، الصقلية، المص، ص ٦٧١. يقول السيوطي بأن ابن ظفر كتب التفسير في تلك المدرسة. ويصفه الكاتب: «بأنه أول كتبه وأعلما شأنه».

(2) المرجع المذكور، ص ٦٨٦ وما بعدها. فإن ترجمة سلوان الإيطالية، ص ٢١٦ و٢١٧، والترجمة الإنجليزية، الجزء الأول، ص ١١٥ وما بعدها.

وحقيقةً ففي كتاب السلوان، تشير فقرات القرآن، والأحاديث النبوية الشريفة والأحداث التاريخية والقصص والحكايات الرمزية وكل صفحة بل وكل سطر، يشير إلى الأجل المحتوم لإمارة متصدعة، ويسمى إلى مواساة السيد الذي يهوى من فوق العرش. ومن المؤكد أن مثل هذه الحالات ليست نادرة في تاريخ المسلمين في القرن الثاني عشر؛ إلا أنه ما من أمير في سبيله إلى السقوط يشبه الأمير الذي يتحدث عنه ابن ظفر قدر ما يشبهه مجير الدين الذي كان يحكم دمشق بعد موت زنجوى وما لبث أبناء هذا الأخير أن أحاطوا بمجير الدين على سبيل مساعدته ضد الصليبيين وفي خلال أعوام قليلة قضى عليه نور الدين، فقد تظاهر في خبث بصداقته الحميمة لمجير الدين وهمس في أذنه بدسائس عديدة ليقضى على كل أولئك القادة الذين لم يتمكن من السيطرة عليهم واحداً فواحداً. وعندما وجد مجير الدين نفسه بلا جيوش أو أصدقاء، تقدم الغازي نحو دمشق وانتصر على الصليبيين الذين استدعاهم الأمير لنجده، وفتح له الخونة أبواب المدينة، أما الأمير المخدوع فقد انتهى به الحال إلى الخضوع لليهود. فلما خُدع في هذه أيضاً، مضى ليقضى البقية الباقية من حياته في أحد ديار بغداد. ودخل نور الدين دمشق في صفر من عام خمسماية وتسعة وأربعين (مايو ١١٥٤) (1). ويتفق هذا التاريخ مع التاريخين الآخرين المؤكدين أي تاريخ إهداء ابن ظفر خير البشر نحو عام ألف ومائة وثمانية وأربعين. وتاريخ الطبعة الثانية من كتاب السلوان في سنة ألف ومائة وتسعة وخمسين. ولكل امرئ أن يتخيل كيف لم يستطع الصديق والكاتب الكريم البقاء في سوريا بعد احتلال دمشق، على افتراض أن يكون الملك الذي لم يذكر اسمه هو مجير الدين. ومن له دراية بتراجم الأدباء المسلمين في العصور الوسطى ويعرف حياتهم التي تتصف بعدم الاستقرار والتقلب والزهو

(1) ينش عن المصادر كافة ابن الأثير. عام ٥١٩، طبعة تورنبرج، المجلد العادي عشر.

من ١٣٠ وما بعدها.

والحاجة مما كان يدفعهم إلى الانتقال من بلاط إلى بلاط، لن ينفر من الافتراض الذي يرجح أن يكون ملك خير البشر العظيم قد أصبح خلال سنوات خمس أو ست المنشق الذي يشير إليه كتاب السلوان. غير أن كتاب السلوان يتم تقديمه باسم القائد الصقلي اللامع أبي القاسم في عام خمسمائة وأربعة وخمسين (١١٥٩)، مسبوقاً بثلاث مؤلفات عناوينها كالآتي: أساليب الغاية، والمُصنّى ودرر الغرر وتصعبه شهادات حارة تعبر عن الامتنان فتشكل مقدمة أخرى وُضِعَتْ بدلاً من تلك التي كانت تشير من قبل إلى أحوال الملك غير المذكور اسمه (١).

أقام ابن ظفر بعد ذلك لفترة وجيزة في صقلية وربما قد اعتمد عنها إنشاء عصيان مسيحيين بالرمو وانتقامهم على الملك جويلمو الأول وعلى المسلمين. ثم عاد للظهور مرة أخرى في حماه، وفيها عاش في ضنك وفقاً لرواية ابن خلكان، فقد امتحن عملاً متواضعاً أتاحوه له وهو، في اعتقادي، التدريس بإحدى المدارس. وفي حماه نشر، من بين ما نشره من أعماله الأخرى، كتاب سلوان في طبيعته الثانية. وخير البشر وقد حُذِفَ منه الإهداء إلى صفي الدين. وهي الحقيقة فإن نسخة سلوان التي طُبعت في تونس منذ وقت غير بعيد (١٨٦٢) مأخوذة عن نص كان الكاتب نفسه قد أخبر به الراوي في حماه في شهر رجب من عام خمسمائة وخمسة وستين (أبريل ١١٧٠)؛ وهذا النص، مثله مثل العدد الكبير من المخطوطات الموجودة لدينا في أوروبا، يطابق النص المَهْدَى إلى أبي القاسم. وهذا يثبت أن الكاتب كان قد نحى جانباً النص الآخر الخاص بالملك الذي لم يذكر اسمه. انتشرت الطبعة الأولى لأعوام قليلة كما يتضح من عدد النسخ القليلة

(١) انظر النص في المكتبة العروبية، الصقلية، ص ٦٨١ وما بعدها. وهي طبعة تونس ص ١ وما بعدها. قارن الترجمة الإيطالية، ص ١ وما بعدها. وسنة إهداء الكتاب إلى أبي القاسم ذكرها ابن خلكان.

(٢) نص تونس، ص ٢، سطر ٧.

التي بقيت منها مقارنة بالنسخ الكثيرة الخاصة بالطبعة الثانية(1). ولم يكن ليحدث غير هذا إذا افترضنا أن عدو ذلك الملك الصالح جداً كان هو نور الدين الكبير. لأنه مع تزايد سطوع المجد العسكري والفضيلة الدينية للفاتح في الشرق، فإن المسلمين ما كانوا ليتحملوا أن يذكرهم أحد بفدوره وخيانتته، وما كان الكاتب ذاته ليواجه خطر الخروج من سوريا ثانية.

على أية حال، صاحب الفقه ابن ظفر حتى قبره، وقبيل أن توافيه المنية اضطر أن يُزوّج ابنته إلى رجل غير متكافئ معه في ظروفه وهو ما يُعد إثمًا وفقاً للشريعة الإسلامية. أضف إلى هذا أن زوج الابنة أخذ الفتاة وباعها أمّة في بلد آخر. توفى ابن ظفر في حماء كما قلنا. وقد كان قصير القامة ذميم الخلق ولكنه صبيح الوجه(2)، كريم الخلق، تقياً وورعاً وأميناً وممدوحاً لمبقرته الجليلة وعلمه الواسع الغزير وحسه الأدبي الرفيع. من هذا المنطلق يمكننا أن نجزم أنه كان بمقدور آخر كُتّاب صقلية الإسلامية تأليف أعمال أكثر من تلك التي تركها بالفعل لو لم يكن العوز قد أجبره على نسج خيوط زهاء الثلاثين منها فحسب.

وقد وضع على رأس هذه المؤلفات في القائمة المذكورة اليسوع، إلخ (يسوع السعادة الأبدية في شرح وتفسير مساهيو ريكوردو)، وقد

(1) في مكتبات أوروبا، وعلى قدر ما استنتجته، لدينا خمس مخطوطات من الطبعة الأولى وحوالي سبع عشرة مخطوطة من الطبعة الثانية. وأيضاً فإن البداية التي استبدلت بقلم ناسخ آخر هي واحدة من المخطوطات الخمس. تخص الطبعة الثانية. يشير المشرقي، المكتبة، ص ٦٦٧، إلى نسخة من نسخ سلوان وقد خصصها الكاتب نفسه لرباط الطبعة بمكة وهي نسخة من الطبعة الأولى استأداً إلى الوصف الذي ذكر عنها. يبدو أن حاجي خليفة يشير أيضاً إلى هذه النسخة، حيث يقول إن الكاتب أضاف بعد ذلك دفترين إلى سلوان. وأظن، على العكس من ذلك، إنه اقتطع جزءاً من الطبعة الثانية فدمجها فيصدر بكثير. وبالتالي فإن كاتب البيوغرافية يكون قد خلط بين الطبعتين.

(2) في نص ابن خلكان والذي سار وستيفند على منواله. وفي المشرقي، بدلاً من نولا جميل الوجه، نقرا، ولكنه كان جميل الوجه..



املاء مرتين، كما سبق أن أشرنا، بالعنوان نفسه (1) وأطلق عليه أيضاً التفسير اللفظي الكبير للقرآن الكريم (2). ولدنا في أوروبا، على قدر معرفتي. جزء واحد فقط من الينبوع ربما يكون الجزء الثامن من الكتاب ويدل على قيمته الكبيرة، إن حكمت عليه حكماً عادلاً (3). ومن بين الدراسات القرآنية التي تستحق الذكر أيضاً، هوائد الوحي.. إلخ (نبذات مختصرة ونافعة بشأن جواهر الوحي المجيزة) الذي يحتوى على تعريف الأسماء الحسنى في القرآن، ويختلف في الشكل والمضمون مثل (الكريم) و(المظيم)، بينما يشق بعضها الآخر من أصل واحد مثل (الرحمن) و(الرحيم) أو يمكن استخدامه دون تفرقة مثل (الخبير) و(العليم) (4). وندرج في التصنيف نفسه كتاب اساليب الغاية، إلخ (الأساليب ترشد إلى شرح احكام أية شرحاً جيداً) وهي بالتحديد الآية الثامنة من السورة الخامسة وتخص الموضوع (5)؛ وكتاب إكسير كيمياء التفسير (6)؛ وكتاب البرهانيات إلخ (كتاب البراهين التي تقودنا إلى شرح أسماء الله) (7)، ولا يذكر لابن ظفر أى مبحث يتعلق بالأحاديث النبوية بصورة واضحة صريحة. ولكن ما من شك في أنه درس ذلك المصدر الأساسي من مصادر العلوم الإسلامية، حيث يشير كاتبو التراجم إلى

(1) هذا ما يقوله الكاتب، المكتبة العربية، الصقلية، ص ٦٨٨.

(2) السبوطي، ص ٦٧١، يدعو التفسير الكبير دون ذكر العنوان الخاص بنبوع. وهكذا يفعل حاجي خليفة، ص ٧٠١ في المكتبة العربية، الصقلية.

(3) هذه المخطوطة محفوظة في مكتبة باريس، Ancien Fonds، ص ٢٤٨، وهو المجلد الثاني من الكتاب ويبدأ من السورة الثالثة، الآية ٨٦ وحتى نهاية السورة السادسة، وليس التفسير لكل آية على حدة، ولكنه يتناول جزءاً من النص ويشير إلى القراءات، ثم يشرح المفردات والتبسيطات التي يتضمنها النص ويتبعها بالملاحظات التحوية والقرية ثم بالمعارف التاريخية المأخوذة عن أحاديث النبي وعن ما يرويه العرب القدماء، وهي النهاية بخلص إلى النتائج الشرعية مني لزم الأمر.

(4) المكتبة، ص ٦٨٨ وبصورة أبل، في المقرئ في صفحة ٦٦٦، السطر الثالث.

(5) المكتبة، ص ٦٨١ و٦٦٦ و٦٧١.

(6) المكتبة، ص ٦٦٦، ٦٧١.

(7) المكتبة، ص ٦٦٦.

وجوده في مدارس السنة (1)، كما تؤكد ذلك أعماله من ناحية أخرى. وسوف نتحدث عن هذا في حينه.

ونعرف عن كتابيه في الشريعة اللذين ذكرا في قائمة الأعمال الأصلية فضلاً عن عنوانيهما الشئ اليسير. ويبدو أنهما موجزان. وعنوان أحدهما المظن وهو مبحث على مذهب المالكية وفيه ينبه الكاتب إلى أن كل أطروحة لابد أن يتبناها البرهان عليها ويبدو لي أنه الكتاب نفسه الذي أهداه الكاتب إلى أبي القاسم في صقلية وقد أطلال العنوان بعض الشئ: «المظن لمن يريد أن يتشبع بالمعونة والإشراف». ويعد أحد هذين العلمين كتاباً تقليدياً في الفقه المالكي. ويعقد الآخر على ما يبدو مقارنة بين المذاهب الأصولية (2). وكتاب الاعتقاد الثاني الذي كتبه ابن ظفر هو ديوان تعليمي قصير يتناول تقسيم الموارد وحقوق الولاء (3). ولا أثق بالخبر، الذي نقله القاسم وشكك فيه في الوقت نفسه، والذي مفاده أن ابن ظفر ألقي دروساً في الفقه الشافعي (4)؛ فيبدو لي أنه وإن كان قد درس ذلك العلم فهو لم

(1) نرى الدين المكتبة، ص ٦٥٩ و ٦٦٠. والمفريزي، ص ٦٦٧.

(2) هكذا نجد أيضاً في القائمة الأصلية، المكتبة، ص ٦٨٩ و ٦٦٦. فإن كتاب المظن والكتاب الآخر المذكور في تقسيم الطبعة الثانية من كتاب صلوان. المكتبة، ص ٦٨١. ولكننا نكته إلى أن أول لفظين في العنوان مختلفان في بعض المخطوطات وأيضاً في الطبعة التونسية لكتاب صلوان. ص ٢. السطر الأخير. ويتفق العنوان في الكتابين وكذلك الموضوع. انظر ترجمتي الإيطالية، للمقدمة ص ٢٦، ٢٧؛ وص ٣ و ١. ويتصحح صفحتي المقدمة المذكورة، أعتبر الكتابين المذكورين تحت رقم ٣ و ٢١ من قائمة المراجع، كتاباً واحداً وكتاب المعونة، المذكور في ص ٦٨١ من النص وهي ص ٢ و ١ من الترجمة، هو بلا شك كتاب في الفقه المالكي، للعلامة الشهير، القاضي عياض ويشير إليه كتاب حاجي خليفة طبعة فلوجل، المجلد السادس، ص ١٥١، ١٤٩. وبصورة أدق في مسودة قائمة المخطوطات العربية لوكسيانا دي برونش، التي أصدرتها في طبعة عام ١٨٦٩، المجلد ١٥. أما فيما يتعلق بكتاب الإشراف، فإنني أعتقد أنه من بين الأعمال المتعددة التي يذكرها حاجي خليفة بهذا العنوان. أراد ابن ظفر الحديث عن كتاب ابن منذر النهساوي. طبعة فلوجل، الجزء الأول، ص ٢١٨، رقم ٧٨٢. (3) المكتبة، ص ٦٩٠ - ٦٩١.

(4) يذكر القطيفي هذا الخبر، ص ٦٦٠ ويقول القاسم في صفحة ٦٦١ إنه يرى إمكانية حدوث استبدال لبعض الأسماء.

يتعمق فيه بدرجة تمكنه من تدريسه في مدرسة أخرى غير المدرسة المالكية. وربما نشأ الخطأ عن تشابه في الأسماء، وقد يكون هذا على سبيل المصادفة وسبباً من الأسباب التي جعلت موطن الأديب الصقلي موضع شك وجعلت البعض يذكرون خبر وفاته عام خمس مائة وخمسة وستين، في حين أنه توفي بالفعل بعد عامين من هذا التاريخ. ويبدو من عناوين كتب علم الكلام التي بقيت لدينا فضلاً عن بعض الإشارات عنها في القائمة الأصلية، أن ابن ظفر قد ألقى بنفسه في خضم خلافات علماء الكلام المسلمين في عصره. وإذا نحينا جانباً التصخير الذي لا نعرف عنه سوى تصنيفه (1) فإننا نجد أمامنا المعادات (الأمكن المقدسة) وهو كتاب في الاعتقاد، كما يكتب الكاتب نفسه، ملئ بتبسيهات ومحاذير صحيحة وخليق بتوضيح وتفسير كل ريبة وشك (2). يتبعه كتاب المعانيات الجارية... إلخ (تعنيف القوي الجبار الذي يحكم على البريء)، وكان يتناول، امتداداً إلى قول المقرئ، عقائد أبي حنيفة والعشيرة في الكلام وفيه يبدو أن الكاتب أثر الدفاع عن أبي حنيفة ضد المشري (3). ويمهط عنوان كشف الكشف اللثام عن غضب أكثر حدة وعنفاً وهو تفنيد لأحد الأعمال الصادرة بعنوان الكشف في مواجهة كتاب الفزالي (4) الشهير «أحياء علوم الكلام». ولدينا في النهاية كتاب يتحدث عنوانه عن نفسه الجفة في اعتقاد أهل السنة (5).

غير أن فكر ابن ظفر رفيع الشأن كان يتلاءم مع الفلسفة الأخلاقية أكثر من قدرته على النزال في صغراء الفلسفة الكلامية.

(1) المكتبة، ص ٦٨٩. ونقرأ فيها إحدى البدائل وكذا في صفحة ٦٦٦ حيث نقرأ البديل الآخر الذي أحبه.

(2) المكتبة، ص ٦٨٩.

(3) المكتبة، ص ٦٨٩، ٦٧١، ٧٠٥ وخامسة ص ٦٦٦. حيث يوجد نص المقرئ.

(4) المكتبة، ص ٦٩٠ و٦٦٦ حيث يلزم نقل الضمير مفردات الوسطى من السطر الخامس عشر إلى السطر السابع عشر.

(5) المكتبة، ص ٦٦٦.

ونقرأ في القائمة عناوين أربعة كتب، مع التنويه إلى كونها في الوعد والإرشاد وهي: الخوذ الواقية.. إلخ. (الخوذ الواقية والمود الواقية)(1)؛ رياض الذكري (رياض التذكرة)(2)؛ النصايح (النصائح الجيدة)(3)؛ ملوك الأذكار.. إلخ. (الملوك الذي يُذكر بطرق التأمل والتفكير)(4). ولم يتم العثور على مخطوطات أو على أخبار عن هذه الأعمال؛ غير أنه يمكن التدليل بقوة على نزوع ابن ظفر إلى الفلسفة الأخلاقية من أعماله التاريخية وشبه التاريخية.

ويبقى لنا من الطائفة الأولى من الأعمال خير البشر.. إلخ. (أفضل البشر عن خير البشر) المذكور سلفاً. وهو يتناول النبوءات التي حظيت بها البشرية في رسالة محمد(5). وينقسم المبحث إلى أربعة أبواب وفقاً لاختلاف أصل النبوءات. أي تلك التي تتضمنها الكتب المقدسة. عند اليهود وعند المسيحيين والنبوءات التي تنفوه بها العلماء والكهان (المعرافين العرب) والجن (الجن أو الشياطين). في الفصلين الأولين يذكر الكاتب في كل فقرة أسفار موسى الخمسة. والمزامير. وسفر حزقيال والأنجيل مصحوبة بأراء المفسرين؛ وأحياناً يقارن النص بالترجمة السورية للعهد القديم؛ ويستعرض بعلم مستفيض ترتيب كتب العهد الجديد. ويؤكد بإصرار على الاجتهاد الإسلامي الذي يرى أن البارقليط يرمز ويشير لمحمد. وأحسب أن هذين الفصلين الأولين يمكن أن يفيدا بطريقة ما في تاريخ دراسات الكتاب المقدس. كما يمكن في الفصل الثالث والرابع تعميش

(1) المكتبة. ٦٩٠. ٦٦٦.

(2) المكتبة. ٦٩٠. ٦٦٦.

(3) المكتبة. ٦٩٠. ٦٦٦.

(4) المكتبة. ص ٦٩٠ والأفضل ص ٦٦٦. وهذا العمل غير مدرج في القائمة الأصلية بالمخطوطة ١٥٣٠ بالمتحف البريطاني. كما نقرأ في قائمة م. ريو. ص ٦٩٥. (5) المكتبة. ص ٦٨٩. ٦٣٠. ٦٦٦. ٦٧٦. ٧٠١؛ وهي صفحة ٦٩٢ بداية النص. طبقاً لمخطوطة باريس. الملحقات البريئة. ص ٥٨٦. مخطوطة ترجع إلى عام ٧٢٥ هجرية. انظر أيضاً حاشية البارون دي سلان. في الترجمة الإنجليزية لابن خلكان. المجلد الثالث. ص ١٠٧. هامش رقم ٢.

(تجميع) حكايات من تاريخ ما قبل الإسلام حسب قيمتها وأهميتها، وهناك دائماً مجال لتجميع ملاحظات تتعلق بفقه اللغة من خلال الأحكام الفامضة التي تم الحفاظ عليها في الأحاديث النبوية. إن الشهرة التي تمتع ويتمتع بها هذا الكتاب في الشرق، تبرهن عليها المخطوطات الكثيرة التي فضلت عنه، والاستشهادات المأخوذة منه التي يستشهد بها الكتاب (1) والطبعة الحديثة التي صدرت منه في القاهرة (2). ويبدو أن كتاب أعلام النبوة هو موجز لكتاب خير البشر وهو كتاب لا يرد ذكره في القائمة الأصلية وهو لذلك يرجع إلى السنوات الأخيرة في حياة الكاتب (3).

ويتمتع المجال التاريخي اتساعاً سيراً في كتاب أنباء نجباء الألقاب (4)، وصدر عنه موجز عنوانه دور الضرر (لألى الجبين) (5). وإنه لمن الأمور النادرة في الأدب العربي أن يعرض عنوان الكتاب الأول بوضوح موضوعه. وتنقسم تلك التراجم إلى خمسة أبواب كل واحد منها له عنوان خاص به فعنوان الباب الأول «الجوهرة الفريدة والوحيدة» يحوى بداخله حكايات عن الصبي محمد. وتتناول الثلاثة أبواب التالية طفولة ثلاثة أجيال مختلفة من المسلمين: أما الفصل الخامس فيتناول طفولة مشاهير الفتيان عند قدامى العرب والفرس. ويُعدّ كتاب أدب، كما يدعى العلم الذي يُعنى بالمنخفضات الأدبية، ويضم أمثلة عن حدة الذاكرة، والحكمة المبكرة، ونماذج قدر لها الإجلال الديني أو الدنيوي. وعلى أية حال، سوف

(1) مَهْضُونِي، من بين الاستشهادات الأخرى، استشهاد لابن أبي دinar.

(2) الطبعة المذكورة هنا سلفاً في ص ٦٨٢، هامش رقم ١.

(3) المكتبة، ص ٧٠٠.

(4) المكتبة، ص ٦٣٠ و٦٦٦ و٦٧١ و٧٠٠ و٧٠٦؛ وفي ص ٦٩٠، بداية الكتاب خطياً لمخطوطات باريس، الملاحظات العربية رقمي ٦٧٨ و٦٧٩. انظر أيضاً الترجمة الإنجليزية لكتاب ابن خلكان للبارون دي سلان، المجلد الثالث، ص ١٠٧، هامش رقم ٣.

(5) المكتبة، ص ٦٨٥ و٦٠٥. انظر أيضاً كازيري، Bibl. arabo-hisp. المجلد الثاني، ص ١٥٦، رقم ١٦٩٧. تضم مكتبة جوتة نموذجاً من دور الكون. كما قرأ العلامة مولر، في القائمة، ص ١٤، رقم ٧٢. وترجم العنوان إلى Margaritae Frigidæ.

يمكن مؤلفو المعاجم وكذا الباحثون في تاريخ الشرق في العصور الوسطى من الاستفادة من هذا الكتاب، كما هو الحال أيضاً بالنسبة لكتاب خير البشر. وقد كتب ابن ظفر عن النحو مثله في ذلك مثل أي أديب عربي. نقرأ في قائمة كتبه كتاب بعنوان القواعد والبيان.. إلخ، ولكنه هو نفسه يسميه موجزاً (1). وفي الحقيقة يبدو أن ابن ظفر قد اهتم اهتماماً يسيراً بعلم النحو على الرغم من أنه لم ينفله بالتأكيد في الكتابة، وهذا لأن أعماله التي وصلت إلينا تندر بها الملاحظات النحوية بقدر ما تفيض بالهوامش المعجمية، ثم أن كتاب التراجم خلفوا لنا مقولة قد تؤكد ندم ابن ظفر وتائب ضميره بمعنى أنه إذ تواجد في حماء في أحد المحافل الأكاديمية مع تاج الدين الكندي، الذي عرض عليه معضلة نحوية ثم تساؤل لغوي أجاب عنهما ابن ظفر وهرب نهاية الجلسة صاح قائلاً: «إن العلامة تاج الدين أبرع مني في النحو. ولكنني أتفوق عليه في فقه اللغة»، فأجاب المفروق بعلمه قائلاً: «أف، المقولة الأولى مقبولة؛ أما الثانية فمشكوك فيها» (2).

وإذ نترك جانباً كتاب الجود الوصيه (3) الذي ليس في إمكاننا تصنيفه وكتاب الإشارات.. إلخ، (إشارات إلى علم العبارة) الذي يبدو أنه يتناول نقد تفسير الأحلام (4)؛ فإننا نتطرق إلى علم فقه اللغة، وهو بحق العلم المحبب إلى كاتبنا بعد الفلسفة الأخلاقية. وكما سبق أن أشرنا (5)، كان الأدب العربي آنذاك يشهد انقضاء القرن السادس عشر، وكان يسطع في الأفق نجم اللغويين وهو عالم اللغة البارز الملق بالحيوية الحريري. وقد وصفه ابن ظفر،

(1) المكتبة، ص ٦٩٠ و٦٦٦ و٦٧١.

(2) ابن خلكان والمقريزي في المواضع التي سبق ذكرها.

(3) المكتبة، ص ٦٦٧.

(4) المكتبة، ص ٦٦٦. وي نسب حاجي خليفة، طبعة فلوجل، المجلد الأول، ص ٣٠٢، رقم ٧٦٠، ينسب إلى آخر كتاب يحمل العنوان نفسه.

(5) الكتاب الرابع، الفصل الرابع عشر، في صفحة ٦٠٧ من المجلد الثاني.

بالتكلف بفعل عقلية زمانه، ولكنه حاربه أيضاً، في السفر، فكشف عن الألفاظ غير المألوفة والقادرة والأمثال التي وردت في المقامات أو «جلسات» الحريري، كما تعنى في اللغة الإيطالية<sup>(1)</sup>، ويبدو أنه قام بالشئ نفسه في كتاب النقيب.. إلخ، (المنقب عن أو الباحث عن التعبير النادرة في المقامات). ولا نعلم إن كان تعليق الحريري، والذي يُنسب إلى ابن ظفر، هو نسخة من ذلكا المعملين مجتمعين، أم مؤلفاً جديداً<sup>(2)</sup>، وفي كتاب لوهم الفواص.. إلخ، يسخر من الحريري الذي انتقد أبرز وأشهر الكتاب<sup>(3)</sup> في كتاب ذرة الفواص.. وخارج حلبة النقد. نجد كتاب مَلَح اللغة وهو معجم أبجدي للمصطلحات كثيرة المعانى<sup>(4)</sup>؛ وكتاب الاشتراك اللغوي.. إلخ، (الاشتراك اللغوي والاستباط المعنوي)<sup>(5)</sup> وكتاب نجيب الأمثال<sup>(6)</sup>.

وسوف أتحدث باختصار شديد عن السلوان مع أنه أفضل أعمال ابن ظفر وقد حفظ لسبعة قرون ولم يزل يحفظ لوقت طويل شهرة الكاتب ومكانته لدى شعوب المسلمين. وقد قمت قبل عشرين عاما

(1) المكتبة، ص ٦٨٩.

(2) المرجع نفسه والمصلحة نفسها وفي ص ٦٦٦، والسيوطي ص ٦٧١، يكتب العنوان التثقيب وهو يؤيد نفس الفرض ويعطى من خلال العنوان المطول (العبل) تليفاً آخر قد يوافق التعليق السابق. ونجده أيضاً التثقيب عند حاجي خليفة، ص ٧٠٦. ويشير ابن خلكان إلى «تعليق على المقامات»، وإلى شروح هامشية على ذرة الفواص. وبشكل هذان الكتابان، على حد قوله، تليقن أحدهما كبير والآخر صغير. ويشير المقريزي كذلك إلى تليقين. وأما كان الشكل فإن تعليق ابن ظفر استخدمه الشريشي كما نقرأ في مقدمة م. دي ساسي، الحريري، الطبعة الثانية، باريس، سنة ١٨١٢، المجلد الأول، ص ٥.

(3) المكتبة، ص ٦٨٩ و ٦٢٠ و ٦٦٦ و ٦٧١ و ٧٠٢. قام السيد ثوريك بنشر نص النقرة، ليزيخ، سنة ١٨٧١.

(4) المكتبة، ص ٦٨٩ و ٦٦٦ و ٦٧١.

(5) المكتبة، ص ٦٦٦ و ٦٧١ و ٦٩٩.

(6) فريتاچ، Proverbia Arabum، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ١٨٨، رقم ٢٦.

حيث يتبنى تصحيح اسم المؤلف.

بترجمة هذا الكتاب إلى الإيطالية ورجعت ترجمة إنجليزية جيدة عن ترجمتي الإيطالية، وفي المقدمة تناولت المصادر التاريخية والأدبية التي نهل منها الكاتب. وقدمت كذلك كل المعلومات الخاصة بالمراجع التي وصلت إليها يداي آنذاك وأضفت إليها الكثير، ربما الكثير جداً من الايضاحات حتى أعين القراء الذين لم يعنوا بدراسة أحوال الشرق على فهم الكتاب بصورة أفضل. ولهذا يكفى أن أعرض تلك المقدمة، التي أؤكد على كل ما ورد بها إلا إذا صححته بشكل واضح. في سلوان المطاع في عدوان الأتباع يقترح الكاتب خمسة أدوية تشكل موضوعات خمسة أبواب: وهي الاتكال على الله، أي الاعتماد على عدالة القضية: السلوى والسلام، أي عدم الارتياح والذعر في المخاطر: الدأب أي الثبات والثابرة: الرضا بالمصير؛ والتفاني وإنكار الذات أو بالأحرى إندراء الأمور الدنيوية. ويتم عرض كل دواء عرضاً شاملاً وعرضاً تحليلياً؛ فمن ناحية يستعرض تعاليم القرآن، وأحاديث النبي محمد وأحكام الحكماء وبعض أقوال الكاتب نثراً وشعراً، ومن ناحية أخرى يستعرض فقرات من التاريخ، وحكايات قائمة على أحداث تاريخية وحكايات خيالية خالصة وقصص تعليمية. والموضوعات التاريخية مأخوذة في الغالب عن الأزمنة القديمة في شبه الجزيرة العربية، وعن قرون الإسلام الأولى، وعن فارس الساسانية وأحياناً عن سهر القديسين المسيحيين في الشرق؛ أما رواية الخرافات فلم يتم نقلها وإنما محاكاة النماذج الهندية. ونجد حكاية منقولة بالنص من حكايات ألف ليلة وليلة<sup>(1)</sup>؛ حيث يُفترض أن واحداً ممن قاموا بنسخ هذا الكتاب الممتع جداً قد نقل الحكاية من سلوان وليس العكس. ومن ناحية أخرى، فإن فقرات أخرى عديدة تبدو شرحاً وتفسيراً أو ربما ترجمة عن نصوص بهلوية، بمعنى أنها

(1) في الباب الرابع، الفقرة التاسعة من سلوان. إنها حكاية الطحطان والحصار، الليلتان 287 و 288، طبعة يولاق، الجزء الأول، ٥٦٦ و ٥٧٠، وهي طبعة لأن الإنجليزية، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، من ٥٨٢.



مقتطفات أخذت مما تبقى من الأدب الفارسي في العصر الساساني. ويتعاقب في الماثورات الأخلاقية، كما في معظم الكتب القادمة إلينا من الشرق، زهو الفلسفة الرواقية والدعة والدعائية المسيحية؛ أما النصائح السياسية فتتسم بالحكمة؛ والأسلوب بسيط ملئ بالحيوية، واللفة العربية سليمة وإن كانت تتعثر أحياناً في فقرة تتسم بملامح القرن السابع الهجري. وتتميز الطبعتان المذكورتان سلفاً، وسوف نسمى إحداهما طبعة سوريا والأخرى طبعة صقلية، بمقدمتين مختلفتين كما تتميزان أيضاً بالتنقيح؛ وفي الطبعة الثانية، تم استبعاد تلك الاستشهادات المستمرة كما تم تبسيط الصياغة؛ غير أنه حُدِّثَ بعض القصص الجميلة وتعرضت الطبعة إن لم أكن مخطئاً، لعملية حذف من جانب رقابة ذاتية<sup>(1)</sup>.

وأرى أن ميزة سلوان الرئيسية تتمثل في النهج الجديد الذي انتهجه الكاتب، وهو جديد بالنسبة للمسلمين، ويتلخص في دمج بعض الماثورات الأخلاقية مع أحداث خيالية. وهذا لأن الأدب العربي قبله، كان يحتوي بالفعل على نصوص تحاكي قصصاً فارسية وهندية، ولكن ليس ثمة كاتب قد استخدمها في عمل جاد ذي أهمية<sup>(2)</sup>. ومن هذا المنطلق يجتهد ابن ظفر في الطبعة الأولى في إظهار كيف أن أولياء الإنلام لم يأنفوا من فن خطابة على هذا النحو، وفي الطبعة الثانية يؤكد على أن الشريعة لا تحظر كتابته، ولا ينبغي على الأذن أن تأباه. وبالفعل، على الرغم من العقوبة السامية التي تتسم بالتشكك والتدقيق فإن شرفيين كثيرين ترجموا هذا الكتاب وحاكوه أو هضموه<sup>(3)</sup>، أو أخذوا

(1) انظر المقدمتين في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٦٨١، وما بعدها وص ٦٨٦ وما بعدها وفي الترجمتين الإيطالية والإنجليزية، المواضع المذكورة.

(2) كتاب الفهرست، النص، لبيزيج، ١٨٧١، ص ٢٠٤.

(3) حاجي خليفة، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٧٠٢، وفي طبعة فلوجل، الجزء الثالث، ص ٦١١، رقم ٧٢٢٧. يذكر التفسير الذي كتبه في أبيات شعرية في القرن الرابع عشر تاج الدين أبو عبدالله السنجاري؛ ويقول إنه تمت ترجمات عديدة عنه، ثم

منه بعض المقتطفات (1)، واستشهد به كُتاب آخرون (2). خلاصة القول أن سلوان كان ذائع الصيت لدى المسلمين كما يدل على ذلك أيضاً نسخه الكثيرة الموجودة بالمكتبات الأوروبية وطبعة تونس الحديثة.

لم أذكر أشعار ابن ظفر بين أعماله لأننا نعلم القليل منها بخلاف الأبيات التي تشكل جزءاً من نسيج سلوان؛ والتي، من ناحية أخرى، لا تختلف عن نثره المُقَشَّى، إلا أن وزنها وقافيتها أكثر دقة. ولم يمنع هذا كتاب التراجم من وصف أشعار ابن ظفر بأنها جميلة إذ حكموا عليها على أساس معايير جمالية تختلف عن معاييرنا. ويقول عماد الدين الذي تعمق حتى التخاع في الذوق الأدبي لهذا القرن، إن ابن ظفر «عندما كان يقضى في سوريا آخر سنوات عمره، روى ببلاغته وفصاحته مجامع المتعطشين إلى المعرفة. ففي زمانه، كان أميراً في تفسيره القرآن وفي بحار العلم. وفي حماه رأيت بعيني رأسى محبى العلم وهم يصفون إليه باهتمام وثقة بالئين. لقد ترك مؤلفات رائعة وكتابات جيدة الترتيب: ومن بين أعماله سلوان الذي قمت بالاطلاع عليه فوجدته كتاباً نافعاً يجمع بين الحسنين، جمال الأفكار وجمال اللغة، ويعلمك بالإشارة حيناً وبالوعظ والنصح حيناً آخر: وقام ابن ظفر بتأليف هذا

---

يذكر منها فحسب ترجمة حرة بالفارسية عنوانها «حدائق الملوك... إلخ». وهي النسخة التي طبعتها فلوجل أخيفيت ترجمة تركية لتليل زاده نُكْتِت في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وعن قائمة المخطوطات الموجودة لدينا في أوروبا، انظر في النسخة الإيطالية، المقدمة، ص ٦٥ وما يليها، وفي الطبعة الإنجليزية، الجزء الأول، ص ٩٢، وما يليها. ويضاف إليها: مخطوطة باريس. Ancien Fonds. ٢٧٤. ويبدو لي إنها من القرن السادس عشر أو القرن السابع عشر وهي خاصة بالطبعة الأولى؛ ومخطوطة ميونكو. رقم ٦٠٨، من قائمة السيد أنمر ص ٣٦٦؛ ومخطوطة المتحف البريطاني، برقم ١١١٤ و ١٥٢٠، من قائمة م. ريو، وأولاهما خاصة بالطبعة الثانية والأخرى بالطبعة الأولى. (1) انظر مجموعة مختارات محمد بن علي، مخطوطة المتحف البريطاني، في قائمة م. ريو، ص ٥٠٢.

(2) من بين الكتاب الآخرين، كتاب جامع الفنون، وهو مؤلف موسوعي، مخطوطة باريس. Ancien Fonds. ص ٢٧٧.

الكتاب في صقلية.. إلخ. ويصل المترجم في قوله إلى أن هذا الرجل عظيم الشأن فاق بعلمه كل فقهاء عصره وزمانه(1). وإن لم نرد الثقة برأى عماد، وهو كاتب متكلف، سهل الانجذاب وراء الطباق والجناس، فلنأخذ برأى ابن خلكان الذي على الرغم من تلقيه العلم في مدرسة التاريخ شديدة الجفاف إلا أنه يذكر ابن ظفر من بين أهم العلماء واعظم رجال زمانه. ويقول إنه مؤلف مصنفات قيمة. لم يسبب الاسم المرقى المزدوج اختلافاً في الرأي بشأن موطن راوى الأحاديث النبوية أبي علي حسن بن عبد الباقي، وهو عطار وفقه مالكي، معروف باسم ابن الباقي(2)، وشهرته الصقلي والمدني. وتوفي سنة خمس مائة وثمان وتسعين (١٢٠١ - ١٢٠٢)(3). وينبغي أن نضيف إليه آخر هو عبد الكريم بن يحيى بن عثمان. الذي يُكنى بـ «فخر النحاة» لأنه كان معلماً للمؤلف السابق وتلميذاً لأبي عبد الله محمد بن مُسَلَّم من مازارا! ولهذا يبدو أنه صقلي المولد أو الإقامة(4). والمهاجر الآخر عالم الحديث والسنة أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم. صقلي المولد وأصله من فاس، وهو سليل قبيلة قيس العربية؛ ويدعى أيضاً الدمشقي والأصفهاني نسبة إلى المدينتين اللتين أقام بهما. وتوفي بالمدينة الثانية عام ستمائة وثمانية (١٢١١ - ١٢١٢). نعرف أنه طاف ببلدان كثيرة، وأنه كان ينتمي للمذهب الشافعي وترك على ما يبدو المذهب المالكي لأنه لم يكن سائداً في تلك المناطق بالشرق. ومن أعماله الممروضة الروضة الأنيقة، التي تبدو مجموعة مختارة من الحديث والسنة؛ ولكنه لم يكن يُعد راوياً

(1) المكتبة، ص ٦٠٥.

(2) أي «ابن ذلك الذي من باجة». نُذكر خمسة أماكن بهذا الاسم، اثنان منها في إفريقية وآخر في البرتغال (Beja).

(3) الذهبي، مخطوطة باريس، Ancien Fonds، ٧٥٢. ورقة ١٠٠ الوجه الثاني.

(4) السهولي، في المكتبة العربية، الصقلية، ص ٦٢٢.

أميناً(1). وقد عاش في الفترة نفسها وكان معلماً للحديث، الفقيه أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم، وهو صقلي من قبيلة قریش(2)، ويبدو أن الكفيف أبا عبدالله محمد بن أبي بكر عبد الرزاق، الذي يُكنى شرف الدين، قد ترك صقلية مع العائلات الأخيرة التي هاجرت منها؛ ويذكر أنه وُلِدَ عام ستمائة وواحد وعشرين (١٢٢٤) وأنه درس وعلم بمصر وتوفي في القاهرة. وكان رجلاً ذا علم ومروءة، وكان متديناً. ولما ذاع صيته بصفته أحد الأولياء الصالحين مقبولى الدعاء، زاول رواية الأحاديث وقراءة القرآن(3). وفي اعتقادي أن محمد بن مكي بن أبي الذكر قد اتخذ اسم الصقلي نسبة إلى القرية المجاورة لدمشق التي كانت تسمى الصقليات؛ حيث يقولون عنه إنه وُلِدَ في دمشق في شهر رجب عام ستمائة وأربعة عشر (أكتوبر ١٢١٧): وقد ذاعت شهرته مقرئاً للقرآن وراوياً للأحاديث النبوية، على الرغم من اختصاصه بحرفة التطريز بدمشق ثم في معمل الطراز بالقاهرة حيث توفي عام ستمائة وتسع وتسعين (يناير ١٢٣٠)(4). وهناك فقيهان مصريان تابعان للمذهب الشافعي أطلق على كليهما اسم ابن الصقلي، نسبة. على ما يبدو إلى وطن أبيهما اللذين هاجرا إلى مصر؛ أولهما هو محمد بن أبي الفضل، من قبيلة ربيعة، وكتبته (شرف الدين)، وُلِدَ بمصر عام ستمائة وثمانية (١٢١١)، وكان فاضياً بالشرطة المدنية وتوفي سنة ستمائة واثنين وتسعين (١٢٩٣)(5).

(1) فارن: الذهبي، المرجع المذكور. الورقة ١٧١ الوجه الأول، مع حاجي خليفة، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٧٠٢. وفي طبعة طولج، المجلد الثالث، ص ١٩٨، رقم ٦٦٢٢. حيث نجد الاسم منكوساً: أبو يحيى زكريا.

(2) ترجمة رواية الأحاديث النبوية، يحيى بن أحمد التقدي الحميري، ويسمى السراج، منطوطة مكتبة باريس، Ancien Fonds، ٢٨٢. الورقة ٧٧ الوجه الثاني، في حياة عمر المبدري الذي ولد عام ٦٩٤. وهناك راويان للأحاديث بينه وبين الصقلي، ولكن يبدو أن هذا الأخير عاش في بداية القرن الثالث عشر.

(3) المقريزي، في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٦٦٢.

(4) المقريزي، المرجع المذكور، ص ٦٦٨.

(5) المقريزي، الموضوع المذكور.

والآخر هو محمد بن محمد بن محمد، وكنيته (فخر الدين)، كتب مبحثاً قانونياً، وكان قاضياً بدمياط، ثم قاضياً بالقاهرة وتوفي سنة ستمائة وسبع وعشرين (١٣٢٧) (1).

وإذا ما رجعنا إلى الصقليين، وإلى فقه اللغة الذي تميز فيه ابن ظفر، نجد أبا الحسن علي بن إبراهيم بن علي، المدعو ابن المعلم، الذي برع على حد قول الذهبي كثيراً في النحو وفي علم المعاجم، وكانت كتاباته تتسم بالرشاقة والجمال؛ درس الطب وفسر الأحلام وتوفي عام خمسماية واثنين وثلاثين (١١٣٧ - ١١٤٨). وقد وضعت في هذه المجموعة إذ سبق أن ذكره الذهبي بينهم (2)، وسأتناول الآن كتاب الفثر والشعر بمزيد من الحمية والحماس. ومن الضروري هنا أن أكرر أن الأخبار والمقتطفات التي نحن بصدد تقييمها، نستقي معظمها من مختارات عماد الدين، التي اختارها وفق ذوقه ورؤيته هو وليس وفق ما نراه نحن. ومن هذا المنطلق فإنه يمدنا، من بين أعمال عرب صقلية في هذه الفترة الأخيرة، بثلاثة نماذج فقط من الشعر الشعبي، والنموذجان الأولان هما أبيات للفناء صاغها أديب وشاعر جيد، في غير تكلف، ولكن دون الابتعاد عن البهور المعتادة وهو ما سوف نعرض له فيما بعد. أما النموذج الثاني فيشير ظلماتاً ثم لا يرويه وهو عبارة عن فقرات شعرية بالمعنى الدقيق للكلمة، تضم أبياتاً قصيرة وقوافي متداخلة؛ لذا فإنني أعتد أنه كان يمكن أن تكتشف ببعض الصدفة روابط وثيقة بين هذه الأشعار والأشعار الإيطالية الأولى في صقلية لو أن جامع هذه الأشعار المدقق الذي ينتمي إلى القرن السادس عشر قد حفظ لنا بعض المؤلفات الشعرية الأخرى من هذه

(1) المقريزي، المرجع المذكور، ص ٦٦٥. في معجم حاجي خليفة، طبعة فلوجل، المجلد الثاني، ص ١١٠. رقم ٢٦٥٥ ثم في المكتبة العربية - الصقلية، ص ٧٠١. ويوجب تصحيح الاسم في الجزء الذي يقرأ ابن محمد الصقلي، إلى ابن الصقلي، وفقاً لمخطوطة باريس، Ancien Fonds، ص ٨٧٥.

(2) النعمي، انتهاء النحلة، في المرجع المذكور، ص ٦١٥.

الشاكلة نفسها. ولكنه بالتأكيد وجد البحر غربياً وأعجمياً حتى إنه كان يجهل اسم الوزن أو أنف من تكراره حيث أنه كتب الأبيات تحت العنوان التالي: «من تلك الأبيات التي تتلى بخمسة أوزان» (1).

(1) لا أريد أن أترجم «في القافية الخامسة» لأنه ينبغي أن تُعَدَّ المقارنة بين هذه الأوزان الجديدة عند عرب القوب مع الأوزان في اللغات اللاتينية الجديدة وخاصة لفتنا. والتي قد تحتاج إلى دراسة مطولة على نماذج كثيرة جداً مأخوذة من هذا الجانب ومن ذلك. ومع ذلك أنه إلى أن لفظ وزن *pentameter* «ثقل» طريقة يستخدم بمعنى (قياس) إن شئت الأمر بطريقة نظم الشعر. وهو في اعتقادي معنى حديث نسبياً وربما كان ظهوره في أسبانيا متأزماً مع ظهور هذه الأوزان الجديدة.

وفي الحقيقة لا يتضمن هذا الشعر «الأوزان» الخمسة سواء كانت مثبته أم مقبولة في هذه الأشعار. إذ أن عدد القوافي ثلاث، ويتكون كل بيت من ثمانية فقرات وفق طريقتنا في وزن الكلمات وتنظيمها. أما طبقاً لمنهج النحاة العرب فينالف كل بيت من ستة أجزاء أو جزئين إذا أردنا اعتبار الفقرة بأكملها بيتاً. فيكون عدد الفقرات هو ستة. وربما يمكن أن نجد في كل بيت خمسة من تلك الأوزان الابتدائية التي سماها العرب، أوتار، وهو اصل (انظر ساسي، *Grammaire Arabe*، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، ص ١١٩) كأجزاء من البيت. الذي يسمونه بيت، أي «خيمة، منزل، وعامة مقطع. ولكن لا أعرف إن كانت هذه الأوزان الابتدائية قد سميت بـ(الوزن). ويحق لي أن أعتقد بالأحرى أنه في الأشعار الجديدة كان الوزن الأكثر شيوعاً منزلاً من فقرات من خمسة أبيات وأنه لذلك أطلق عليها عماد الدين «الخماسيات» بعد أن جعل من مختلف الأوزان والبحور المغربية شيئاً واحداً. لاحظ جيداً أنه لم يقل إن هذه المقطوعة بها خمسة أوزان وإنما «هو من بين ذلك الشعر الذي يتلى بخمسة أوزان». وتبين في اعتراضى، مخطوطة ريكاردياتنا - فلورنسيا - ورقها ١٩٤ وعنوانها (مجموع كامل) أي (مجموعة تامة) لأبي العباس البكري. ومن بين أشعار الطريقة الجديدة التي يكتبها الجصاص كتابه صوتية. وهي مقسمة وفق النوع والصنف، بعد مقطوعات ليست بثلثة حيث تتكون الفقرات التي يتم تعديدها دائماً بعنوان (بيت) بالهجر الأحمر والحروف الكبيرة. من خمسة أبيات في كل فقرة. ومخطوطة ريكاردياتنا نفسها بها أمثلة مختلفة للتضمين أو كما نقول «تأليف من خمسة فقرات» في أشعار أخرى. وكان التضمين يتم من خلال إضافة أربعة أبيات أخرى لكل بيت بالتص. ولكن هذا الاستخدام الشائع جداً لا صلة له بالموضوع الذي نحن بصدده. ينبغي أن أتوه. في النهاية، إلى أن الفقرة الشعرية المكتوبة في المخطوطة، تبدو لي مبثورة. أو أنه قد ظهر ترتيب الأبيات بها. والبيت الأول في الفقرة الثالثة يخرج عن القافية، والاستعارة المفروضة لغير الكامل الذي يبرز على شخص بان رفيع، تتطلب أن يأتي البيت الأول من الفقرة الرابعة بعدد مباشرة. وبالمثل قد يتطلب المعنى أن يأتي البيت الأخير في الفقرة الثانية مباشرة بعد البيت الأخير من الفقرة الأولى. ويتضح جيداً أن التماسخ الشرفيين في القرنين الثاني والثالث عشر قد اتخذوا في معظم الأحيان، وهم يرون ذلك التداخل غير المعتاد من القوافي والأبيات المكتوبة بفواصل أخرى

ومخبرنا كُتاب الغرب من العرب بأصل وتطور هذا الاستخدام الحديث لنظم الشعر والذي كان لا يختلف في وزن الشعر العريس الأصيل فقط. وسُميت المؤلفات الشعرية تحديداً الموشحات أو الأزجال. واللفظ الأول من هذين اللفظين هو جمع للصفة المؤنثة (موشحة) التي تعني «محللة - بوشاح»، وهو مُشد من الجلد، موشى بصفوف من اللؤلؤ وغيرها من الجواهر. لعل أول من استخدم هذا الاسم قد أراد مقارنة الأنشودة الجديدة بمغنية (مطربة) ارتدت ملابسها للذهاب إلى البلاط، أو أراد الإشارة إلى بهجة القوافي، التي تتعاقب مثل تلك الصفوف المتوازية، التي تتداخل وتتقابل تحت الصدر على طرفي الوشاح. وبالفعل ففي اللغة الفنية يدعون البيت الذي يربط بين كل الفقرات بقافيتها (سجعاً) ويدعون (غصناً) أي (فرعاً) أبيات كل فقرة. ولفظ زجل، والجمع أزجال، يعكس فكرة الصوت المكرر: فيعني في اللغة الكلاسيكية: صرخة وجلبة وطرب، وأيضاً وشوشة مثل همس النسيم. سُميت الموشحات في بادئ الأمر ببلاط قرطبة. في أواخر القرن التاسع: ثم راجت كثيراً في أفريقية وإسبانيا من القرن الحادي عشر فصاعداً. ولقد لقيت هذه الطريقة الفريية المستحدثة قبولاً واستحساناً أيضاً في مصر وفي سوريا وهي لا تزال موجودة قائمة حتى اليوم (1). وسواء كانت الموشحات هي نتيجة ازدهار برعم كان يختبئ

تختلف عن فواصل الوقفات النغمية في شطر البيت.

واضيف أنه في الغرب أيضاً، لم يول رجال الأدب اهتماماً بالموشحات. ويخجل عبد الواحد المغربي (نص دوزي، ص ٦٣) الذي كان يكتب في عام ١٢٢١ من التقييم الميلادي، أنه يخجل من ذكر الأشعار الممتازة التي قام بتنظيمها أبو بكر بن زهير على هذا الوزن.

(1) بعد طرائع، Darstellung. إلخ (١٨٢١) استند في البارون دي هامر انتهاء الباحثين لهذه الطريقة الجديدة في نظم الشعر. في *Journal Asiatique* منذ أغسطس ١٨٢٩ (ص ١٥٣ وما بعدها) وعبد أغسطس ١٨٤٩ (ص ٢١٩ وما بعدها)؛ ولكنه، كما أنه، تناول الموضوع تناولاً سطحياً. وقد أوضحه الآن مستشرقون ذوو شأن، مثل البارون دي سلان والأستاذ دوزي والبارون دي شالكه. انظر، دي سلان، ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية، الجزء الثالث، ص ٤٢٢ وما بعدها، وبنوزي الملاحظات النغمية حول دراسة

في طيات شعر العرب (2)، أم كانت شيئاً مستحدثاً مقتبساً من فارسي، أو كانت محاكاة للمقاطع والقوافي في الشعر اللاتيني المتأخر الذي كان ذا ثعاً بين الكهنة وبين الشعب الأسباني وقت الفتح، فلقد خففت الموشحة كل مظاهر الثقل في الشعر الكلاسيكي القديم: الأبيات الطويلة التي تنقسم إلى شطرين، والقافية الواحدة للقصيدة؛ والألفاظ غير المألوفة أو البالية التي تفرضها ضرورات القافية أو أغراض تضخيم اللغة، والبناء في القصائد الذي يبدأ بهجر الجميلة للديار وبالعاشق الذي يزور أطلالها وأشياء من هذا القبيل. إن الأبيات القصيرة، التي تكون الفقرات والتي يقوم بناؤها في الغالب على التبر على طريقتنا وليس على قواعد علم العروض (2)، تتبع قوانين مختلفة، فتتغير حيناً كما في مقاطعنا الثلاثية، وتتغير بقافيتها حيناً آخر كما في الأغاني وفي كثير من أوزاننا وبحورنا

---

دي سلان هذه، في *Journal Asiatique* عدد أغسطس ١٨٦٩، ص ١٨٦ وما بعدها. وفي شالده، *La Poesie und Kunst, etc.* المجلد الثاني، § الثامنة، ص ١٧ وما بعدها. وفي الجزء الذي ذكر للتو من المقدمة يقدم ابن خلدون معلومات وأخباراً واسعة وافية عن هذا النوع الجديد من الشعر الذي كان لا يحضره مثل عماد الدين، ويضيف شذرات كثيرة جداً منه وأيضاً مقطوعات بأكملها.

ويتطرق ابن رشد للموشحة والزجل في التعليق الأوسط حول مذهب أرسطو الشعري ص ٢ من النص العربي الذي يطلع تحت رعاية الأستاذ العالم هاوستو لازينير على أسس مخطوطة لورنسبانا الوحيدة، فضلاً عن الطبعة النبرية القديمة وطبعة إيطالية مزودة ببواشش. وتوضح فقرات من كتاب ابن بسام التي يشير إليها دوزي، المرجع المذكور، ص ١٨٦، ١٨٧، توضح أيضاً الموضوع؛ ومن يرد دراسته دراسة عميقة، سيجد مجموعة وافية مرتبة في مخطوطة ريكاردبانا، التي أشرت إليها في الهامش السابق، (2) إن هذا الشكل المسبق، الذي قد يثاب كل أحد، ليعبر بالفهام بأبحاث إيجابية، وتقدم لنا مخطوطة ريكاردبانا رقم ١٩١ السابق ذكرها مجموعتين من «نغم العراق»، به أبيات قصيرة وتظهر في القوافي. ويمكن افتراض وجود تأثير فارسي مثل التأثير العربي على العراق.

(2) دوزي، المرجع المذكور، ص ١٨٧ - ١٨٨؛ دي شالده، المجلد المذكور، ص ٥٧. على الرغم من إمكان رد أبيات بعض الموشحات والزجل إلى أوزان العرب النامة، مع التجاوز من ضرورات شعرية كثيرة، فإنني أرى أن الوزن بالمقاطع الصوتية والتبر هو الصحيح في أغلب الأحوال.



الأخرى القديمة؛ وهكذا أيضاً تتداخل أبيات متنوعة الأوزان، على سبيل المثال ذات أربعة أو خمسة مقاطع صوتية، مع تلك ذات الثمانية أو العشرة مقاطع. ووفق ابن خلدون، لم يكن الزجل ليميز عن ذلك الوزن الآخر إلا من ناحية اللغة الدارجة تماماً(1)؛ ولكن يبدو أنه استخدمت فيه فترات أصغر وأبيات أقصر؛ وكان هذا بسبب حذف الحركات في نهاية معظم الألفاظ وهي سمة من سمات العربية العامية، ويسبب عادة انشاد الأبيات وغنائها ومصاحبتها بالرقص أحياناً(2). ولكن العلماء أطلقوا على الموشحات، أناشيد أو أغان وعلى الزجل أغان راقصة وسونيتات والتسمية الأخيرة قد تبدو أكثر دقة وتحديداً إذا كانت تشير إلى السونيتة القديمة في نظم شعرنا(3). ومن ناحية أخرى يستلزم الأمر دراسات أخرى قبل الإقرار بصلة القرابة التي قد تظهر لأول وهلة في تشابه بعض الأوزان وبعض المسميات. بيد أنه إذا تشابهت أنماط الرداء، فإنه سيكون لربيات الشعر العربي الحديث سمات أخرى وطبيعة أخرى تختلف عن سمات وطبيعة ربوات الشعر في اللغات اللاتينية الحديثة. فالأولى، وخاصة عندما تهب نفسها للزجل، تعتمد بالفعل عن الشعر العربي الأصيل. ولكن هذا لا يعني أنها تقترب من مدرسة التروبادوري على هذا الجانب أو ذلك من جانبي جبال الألب. وكثيراً ما تلقى أوزانهم الجديدة والصور واللون والتحويلات، والمدح والهجاء، والفخر والبكاء الرتيب الكتيب على

(1) Prolegomenes، الجزء الثالث، ١١١. راجع شاك المجلد المذكور، ص ٥٢.

(2) لتجنب أربعة حروف ساكنة متتالية، كتب *mouvesceha* وليس *mouvesceha* كما ينبغي أن يكون هذا، بينما يورد *Il Vocabulista Arabico*، المصادر منذ وقت قريب في مدينة فلورنسا، يورد مذكر هذا القط وهو موشع مع ما يقابله في اللاتينية "Versus" وزجل مع ما يقابله "Cantilena el versus"، ص ١١١ و ١٩٩ و ٣٧٩ و ٦٦١.

(3) لم يترجم البارون دي هامر، *Journal Asiatique* (عدد أغسطس ١٨٢٩، ص ١٥٢)، في وصف الفواض الثمانية (الأوكشاف) بأنها من ابتكار العرب، وبعد مرور عشر سنوات، بدعم ويؤكد رايه فيطابق السونتا بالزجل (المرجع المذكور، أغسطس ١٨٤٩، ص ٦١٩). بيد أن هذا المقال هو بالتحديد ذلك المقال الذي ذكر فيه أن لفظ كان كان أصله عربي.

الحب، تُلقى في القالب العريس الذي تميزت به - كما هو واضح -  
عصور التدهور.

والمقطوعة الشعرية الصقلية الوحيدة من هذا النمط، هي  
الخريدة، هي من تأليف أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي  
البشر الصقلي، الأنصاري. أي أنه صقلي ومدني، وقد وضعها عماد  
الدين في بداية الفصل الذي يتناول الصقليين المعاصرين، ولهذا قد  
ترجع إلى منتصف القرن السادس الهجري والقرن الثاني عشر  
الميلادي. ويبدو لي - التماساً للدقة - أن أبا الحسن قد وُكِّد فيما بين  
أواخر القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر، إذ أن جامع الأخبار قد  
استخرج هذا الخبر من رسالة أبي الصلت عن شعراء زمانه (١٠٦٧ -  
١١٣٤). والمقطوعة الشعرية تتألف من ستة فقرات. وكل فقرة من  
ثلاثة أبيات وكل بيت من ثمانية مقاطع صوتية، ويطابق كل بيت نظيره  
في كل فقرة من حيث القافية. أي البيت الأول مع الأول وهكذا الحال  
في البيت الثاني والثالث؛ غير أنني أفضل تسميتها زجلاً بدلاً من  
موشحاً (١).

(١) اقرأ النص في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٤٨٠. حيث تم عمل  
التصحیحات التي اقترحها الأستاذ الشهير فيشر. وها هي المقطوعة:

(١)	وغير زال مشـنـف	(٤)	في قـنـصـب مـشـنـف
	قد رثى لي بعد بُعدي		لذ منه طول وجـدي
	لما رأى ما لـقـنـت		جما فكـدت أمـوت
(٢)		(٥)	
	مقل روض مـشـنـف		مانع غير مـشـنـف
	لا أبالي وهو عـنـدي		ليس بابي نقـر عـنـدي
	في حبه إذ ضـنـنت		وليس إلا المـكـوت
(٣)		(٦)	
	وجهه البدر طـالـعا		جائر غير مـشـنـف
	نسأ لما عـسـاز ودي		مال عما كان يـهـدي
	فـنـنـي قد شـنـف		إن الرـمـال يـخـوت

لتذكر الملاحظات التي أشرنا إليها في الهامش الأول ص ٧٠٠ بشأن خطأ النص.

واقصر الحديث على الوزن فقط فهو الجزء الوحيد المهم في هذه الفقرة، والتحدث عن المفاهيم أو عن الأسلوب إذ تبدو لي المفاهيم دارجة والأسلوب متكلف بعض الشئ. هذا بينما يتناول أبو الحسن في المؤلفات الشعرية العادية بحساس أكبر موضوع الحب غير المتبادل(1). وكلماته توصف أيضاً بالعذوبة والطلاوة والتلقائية(2). وإذا نترك جانباً أبا الصلت الذي كان يستمتع بمقارنة أبياته هو وأبيات آخرين ببيتين متكاملين المعنى لأبي الحسن عن أشعة الضوء التي تعكسها الميالة(3). ينبغي علينا الإشارة بمقطوعة شعرية فكاهية لهذا الشاعر(4). ومقطوعة جادة يظهر فيها الفخر والاعتزاز الذي حفظه أناس شرفاء وأقوياء وسط مرارة الهزيمة التي تجرّعها مسلمو

(1) المخطوطة نفسها. الورقة 2 وجه أول. والورقة 6 وجه ثان:

والهجر من قبل شكيد وتمذّب	الصوت في صُحُف المُشايك مكتوب
من وجه من هو عن عيني محبوب	إن طال لئلي فوجه الصبيح مطبوع
ذيل الصدامع في خددي مسحوب	من لي بإعلامه أني لقصبيته
عُصن مروح من الطرقاء منضوب	كان أجملان عيني من تذكيره

(2) مخطوطة باريس. Ancien Fonds. ١٢٧٥. الورقة ٢ الوجه الأول:

نُكَّح لم يَدْعَ لعيني فجوداً	ابترأني أحسبها إلى أن يموداً
كان يومس به من النحر عبداً	كيف أرجو العبياة يَدْعَ حبيب
إن هـ استغرق الهمار الصدوداً	كنت أشكو الصدود في القرب والأ
نُكَّحتي الوُشاة فبك الجحوداً	أشكس أن أبوح باسمك لكن

(3) المخطوطة نفسها. الورقة ٢. الوجه الأول:

شُحُفَتُ إلى وقت الطلوع	شربنا مع غروب الشمس شمساً
كأطراف الأسسفة في الدروع	وضوء الشمس فوق النيل باد

(4) المرجع نفسه، والموضع نفسه.

فلوب من حوتها من حذها طرباً	هيفاء إن رقعت في مجلس رقعت
س جفن ذي رمح لم يشك الوصفا	خشفة الوطم لو جالت بخطوتها هـ

المخطوطة نفسها. ص ١. الوجه الأول:

شُع من حُسن وطرف	ياشز الأ صافه الصفا
شهر عيذول لثطف	لا وزهر طس ريضاني
إنما نزهت طهر	مبا تعرضت ليرني

## صقلية(1).

يبدو أن أبا الصلت لم يكتب في القائمة كتاباً آخرين من صقلية، لأن عماد الدين يستكمل، دون أن يذكره، هذا الفصل بمساعدة شخص مجهول الاسم وأدرج الكثيرين منهم في مجموعة مختارة ثم تحريرها حديثاً في المهدية(2). ويرجع هؤلاء الكتاب إذن إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر، كما سيوضح هذا أيضاً من الأشعار المهداة إلى الملك روجيرو.

وأول اسم يطل علينا في هذه المجموعة هو أبو موسى عيسى بن عبد المنعم، الصقلي، الذي مدحه جامع المختارات مجهول الاسم فقيهاً له أتباع كثيرون، فديراً في الربط والاستقراء وفي العجبة والبرهان، وهو كبير المدافعين عن أمير بلده، والكاتب ذو المفاهيم الجديدة السامية الراقية للغاية والألفاظ التي هي كالرياض جاد هامى رهامها. وعماد الدين، إذ يُحْمَلُ الصور بالمزيد من المعانى، يستطرد «إنه قد أورد من كلامه ما يأسو سماعة الكلوم. ويحلو سنا بأحسانه العلوم ويحكى درر الأصداف ودرارى النجوم». ويختتم عماد حديثه بقوله: «فمن بديع قوله في الفزل وهو أحلى من نهج

(1) المخطوطة المذكورة، الورقة 3، الوجه الأول.

لنا في كل مُشْرِخٍ وَمُتَوَبِّحٍ      مفاجأة بأسرار القلوب  
ظنهم بالتشاكى ما أَلْأَقْبَى      بلا واتر نخاف ولا دقيب

قارن الفصل الرابع عشر من الكتاب الرابع، الجزء الثاني، ص 531 - 532 حيث يشار إلى شخص يدعى أبو الحسن، ويحمل أسماء هذا الأخير نفسها فيما خلا الاسم الأخير «ابن أبي البشر»، وبدلاً منه نقرا «ابن البشر» وقد يكون خطأ في النسخ واستخدام بديل. والتمر أيضاً قد يكون مطابقاً، ولكن من جهة يدهشني ألا يكون عماد الدين قد نبه إلى أبيات مديح الوزراء المصريين. ومن جهة أخرى يجدر بالذكر أن الاسم قد ورد في الخريدة ذات مرة<sup>1</sup>، أبي البشائر.

(2) المكتبة العربية، الصقلية، التمس، ص 589.

الأمل (1)، ولكن وفق تقديرنا وتذوقنا فإن الأبيات المكتوبة هي فتاة شقراء جميلة (2) وهي أخرى سمراء فاتية تبدو ذات مذاق أقل بدائية (3)، وفضلاً عن قصائد هزلية متنوعة، كتبت إحداها إلى أبي الصلت في طلب استعارة كتاب منه (4)، فعندنا له مستهل القصيدة الرثائية التي كتبها لأبي على عبد الله، وهي تبدو لي أبيات رهيمة المستوى (5)، ومما يثير الدهشة أن رجلاً هذا قدره يكون قد ألف على نفس الوزن المهيّب، أشعاراً بديعة، كما يصفها عماد عن حق ويورد مثلاً عليها قصيدة كاملة وبيت شعر مأخوذ من قصيدة أخرى ولكنني لا أجروء على ترجمته إلى اللاتينية؛ ويعبر عن المفهوم الشائن بالفاظ هلكية مما يجعله يثير المزيد من النفور (6). وتبدأ الأبيات

(1) الطريقة، المرجع المذكور، ص ٥٨٦.

يا بني الأصبر أقم سدسي	منكم الشائل لي والمسيح
امسح حنجر من يهواكم	وحلال داله في دين المسح
يا عليل الطرف من غير ضني	وإذا لاحظت قليلاً فصحيح
كل شئ نعد ما يصبر نكم	من مكوف العين في عيني فبيع

شكر أن العرب كانوا يدعون الرومان والبيزنطيين بني الأصبر.

(2) مخطوطة باريس، الورقة ١١، الوجه الثاني.

فضح البري دمي وعجل نصيري	بضوهد تروى بعينتي جؤذر
مفراء كدح بالباش لباسها	وخمارها بمصفرات الأحمر
فكانها في دهرها وخمارها الـ	ميهن والمهمن عند المنخر
بالقوة كسبت صفحة فصفحة	وتوجهت صفح العنبر الأحمر

(3)

سب الفؤاد من الجوانح غادة	أدلت إليه بدلتها المستحكم
عذراء يهيب درعها من خدها	وخمارها من ذي ذوائب أسنم
وعنودها من نهدها في شكها	وحلاؤها من نونى المنهم
فكانها ووشاحها وخمارها	وحليها للناظر المتوسم
شمس توشعت السنا، وتوجت	جنح الدجى وتلذت بالأنجم

(4) الطريقة، المرجع المذكور، ص ٦٠١. الأبيات أشار إليها، تجدها في مخطوطة باريس المذكورة، الورقة ١١٦ الوجه الأول والثاني، وكتب منها الشاعر الصقلي ثلاثة أبيات في طلب استعارة الكتاب؛ وأرسل إليه أبو الصلت سبعة أبيات بالفاطية نفسها.

(5) مخطوطة باريس، الورقة ١١ الوجه الثاني، والورقة ١٢ الوجه الأول.

(6) الورقة ١٢ الوجه الأول.

الخمسة والثلاثون التي تتألف منها القصيدة الأخرى، تبدأ بمحاكاة حرفية لإمرئ القيس، تتدرج حتى تصل إلى الألفاظ المسفيهة الفاحشة وتنتهي بمدح تافه لا محل له (1). ولكن لا سبيل إلى إنكار قيمة اللغة المستخدمة في هذه المقطوعات أو في غيرها ذات الموضوع والمضمون الأجوف ومع ذلك جاءت بها الخريدة؛ وهي رسالة على هيئة نثر في مدح دراسة جيدة عن الخطوط (2)، ورسالة شعرية تم فيها تجنب حرفي الألف واللام، الشائعين جداً في اللغة العربية (3).

وأبو عبدالله محمد، ابن عيسى المذكور سابقاً وهو فقيه وكاتب وشاعر، ذاع صيته، كما يقال بوصفه مهندس وعالم فلك وعارف بعلم التجيم (4). ونقرأ تقديراً أكثر إجلالاً بشأن أعماله الأدبية. ويكتب كتاب التراجم «أنه كان يتزده على قمم الأنافة، ويدعونه بطلاً شهيراً في مناظرات العلماء؛ ويكشفون في أشعاره فضائل ومحاسن من شأنها أن تسعد وتبهج النفوس وتثير نشوة الحاضرين وكان اقتداح الخمر الطيب الشهي تدور بينهم» (5). ويقول عماد، مشيراً إلى مرثيات محمد بن عيسى، بأن الأصفاء إلى هذه الأبيات، يجعل الأشرار يسلكون الدرب الصحيح (6). وبالفعل فإن قصيدة طويلة، كُتبت، على ما يبدو في وفاة واحد من بني لبانة، تتساب مهيبة تثير الشجن؛ ونقطن إلى أنها تمثل رائعة أعمال من كان يمتلك ناصية اللغة ومن كان يعتبر الاستعارات والكنائيات والتضاد التي

(1) الورقة ١٢ الوجه الأول إلى الورقة ١٢ الوجه الأول.

(2) الورقة ١٣ الوجه الأول.

(3) الورقة ١٣ الوجه الأول والوجه الثاني.

(4) قارن خبر عماد الدين، المكتبة العربية، الصقلية، ص ٥٨٧، بخبر زوزني، المرجع المذكور، ص ٦١٩. هذا الخبر الثاني كان كازيري قد نشره وفيه بعض الأخطاء. Bibl. arabo-hisp. المجلد الأول، ص ١٢١، ومن ثم أيضاً نشره جرجيرو، *Rev. Arab.* ص ١٢٧ وقد ذكره ونريش، *Rerum ab Arabibus*... إلخ، ص ٢٠٥.

(5) مجهول الاسم، في كتاب عماد الدين الموضع المذكور.

(6) عماد الدين، في مخطوطة الخريدة بباريس، الورقة ١٦، الوجه الأول.

تشهر ضحكنا الآن، على قمة المحسنات البديعية(1)، وربما أصفى القوم الطيبون، وهم في حالة تأثر بالغ، إلى مرثية أخرى تُستهل بـكاه الخيل(2).

وإذا تفاضينا عن عيوب القرن ونقائصه، فإنه يمكننا إعتبار محمد بن عيسى شاعر جيد، أفضل بالتأكيد من أبيه، إذ إنه عرف كيف يتلاهى البذاءة، ونجد في أبياته عن الحب، من بين الصور النمطية المعتادة، بعض الصور الجميلة اللطيفة(3).

(1) المخطوطة المذكورة، الورقة ١٦، الوجه الأول وما بعده:

عزّ اللداء وجل الين والجزع	وحل بالنفس منه فوق ما شجع
يا عين جودي يدمع حالمين ودم	فما عليك بهذا الرزء مُعْتَج

وكانت الأرض لا تحوى محاسنه	وقد حوى شخصه اللحد الذى وضعوا
من الليناس وأبناء السبيل وهم	قد ارتووا من أبيه وقد شبعوا

جاءت ملائكة الرضوان مُتلمسة	بأنه بجنان الضلّ مرتجع
وقد أعدت له أعياله غرقاً	فيها لأنفس أهل الفضل مرتجع
الموت وردّ وكلّ الناس والرد	وقد راؤهم عبيداً بعد ما سمعوا
ما بالهم شعروا بالموت أنهم	سفرّوهم (هى) اقتناء الزاد ما شرّعوا

(2) المخطوطة المذكورة، الورقة ١٧، الوجه الأول:

بكنه المذاكى المعزبات وقطعت	شكائهما إذ منه أهدت الرضا
مشت وهى بين الخيل أغزها دما	وابرؤها جسماً وأمرؤها تحبنا
وكادت سموف الهند تدق حمره	وأجففتها تشق منها لكى تنفخا

(3) المخطوطة المذكورة، الورقة ١٦، الوجه الأول:

جاء بالياسمين والورد خد	وحبا الأقصوان والطمر شمر
أنا والله عاشق لك حنى	ليس لى منك يا حنى النفس صبر
فحبائى إن نمت لى منك وصل	ومماتى إن دام لى منك حجر

يستخدم الشعراء العرب في الغالب تشبيه زهرة الأقصوان هذه للتعبير عن بهاض الأسنان.

في المخطوطة المذكورة، الورقة ١١، الوجه الأول، نقرأ قصيدة يشكى فيها الشاعر من: هيفاء يحسد حبها رثم الفلا ويظنم بهذه الأبيات:

أبليت طوعاً فى المحبة حسدى	ورضيت قسراً فى الهوى بهوانى
وصرخت نحو هوى العلاج قصوى	ومسرحت فى مهادنهن عنائى
حتى تبين لى الصواب، وأنسى	أهنتى فى طلب الضلال، وأنسى
فتركت نهوى وأطرحت مجائتى	وجفوت من بُدّ الهوى وجفائى

وتضم المقطوعة الشعرية التي ذكرتها سلفاً كشعر شعبي، مفاهيم بسيطة ولغة يسيرة، والأبيات ليست طويلة للغاية ولكنها مناسبة للفناء، هذا فضلاً عن انسيابها كلها وفق قافية موحدة على النمق القديم(1). ولدينا لهذا الشاعر مقتطفات من قصيدتين أخريين، من رسالة شعرية، ورسالتين من النثر ورسالتين يمتزج فيهما النثر بالشعر، حيث نرى أن الأسلوب البسيط المألوف لم يجعله يكف أبداً عن البهرجة اللغوية(2).

وقد عرف كيف يتعاشى هذه البهرجة، على قدر ما كان يستطيع وقتذاك شاعر صقلي آخر معاصر، يذكر لنا عنه عماد الدين ثمانية أبيات، جزء منها مأخوذ من البداية وجزء آخر من باقي القصيدة الطويلة التي كتبت بمناسبة وفاة شريف من رؤساء المسلمين في صقلية. ويؤسفنا أن عماد لم يحفظ اسم هذا الحاكم ولا بقية

(1) المخطوطة المذكورة، الورقة ١٥، الوجه الأول. ويبدو أن هذا الشعر قد كُتب لكي تغنيه إحدى نساء الهرم.

مولاي يا نور قلبي	ونور كبري القلوب
أما ترى ما بجمعي	من رفقة وشعوب؟
وما بداخل قلبي	من لوعة ووجع
فيلم يغسل بوملي	ويغمس لي من ذنوب؟
فإن يكن لي ذنب	فأنت فيه حبيب
ومحلى فيهك جئت	من فهم كل لبيب
وما لي بجمي شفاء	ولا له من طبيب
ولا لبدايتي نواء	إلا وسال الحبيب
مولاي إن دبت عشتا	فأنت ذا بمجيب
بسر شليل فؤادي	بزورة عين قروب
ففي صميم فؤادي	جهم فسي اللبيب

(2) هكذا يصف رسالة الصديق، في مجموعة الأبيات المطبارة التي ينظمها نثر إحدى الرسائل، مخطوطة باريس، الورقة ١٧، الوجه الثاني:

تضرب منه إلا فضضحت ختامه  
ونزعت طوي في حدائق أزهرت  
بمصلحة نور من نهار دجت بها  
وطالعت أنفاها بواقعت نظمت  
يزيل الضنى عن ذي السقام مروزها  
به، بل يفهم المعنى من رفقة الخلد  
نسيم هبت المسك والعود والند  
بها زهرة السوسان والاسم والورد  
سطور ظلام حائله اللون مسود  
مع الجوهر المكتوب والنور في عقد  
به، بل يفهم المعنى من رفقة الخلد



المروثة، التي كان من الممكن أن نجد فيها إشارات تاريخية وأبيات أكثر جمالاً؛ إذ إن جامع المختارات قد اختار بالتأكيد من بين الأبيات تلك التي قد تنال إعجاباً أقل من جانبنا. غير أننا نلمس فيها أحاسيس قوية، ومفاهيم شعرية، ورقياً في الشكل، ويرجع الفضل في هذا أيضاً إلى الوزن وهو الطويل (1). ويقول عماد الدين إن الشاعر يدعى عثمان بن عبد الرحمن، وكنيته ابن السوسي، وإن كنت اعتقد بالأحرى أنه لقب أحد جدوده كان موطنه الأصلي مدينة سوسة في أفريقية. ثم استقر في مالطة وخلف بها ذرية؛ لأننا نجد حتى الآن شاهد قبر ميمونة القائم بتلك الجزيرة، وهي ابنة شخص يدعى حسان بن علي، من قبيلة (حظيل) وكنيته ابن السوسي (2). ومن المؤكد أن الشاعر كان ينتمي إلى الأسرة نفسها، حيث إن جامع المختارات يستطرد قائلاً: «كانت مالطة هي مسقط رأسه (3) وموطن قومه ومنشأ خمره؛ وفيها نما عقله، وفيها تعلم أدباً إنسانياً من والده. ثم قطن بالرمو، واختارها لتكون وطناً ثانياً ووجد بها مستراحاً، عاش

(1) نقرأ هذه الأبيات في مخطوطة باريس، الورقة ٢٠، الوجه الأول:

ركاب المعالي بالأمس رحله حطفاً	وطيود المني العالي تدهم وانحطفاً
فثناني مصامات الأسى متشرب	وهرب مصبرات السرور لنا شحفاً
وكيف فنور الشمس والبدر عبودة	وهذا منسار المجد والمز قد قُطا
بمز علينا إن شوى في بسطة	ورد الردى عن كفه القبح والبسطة
كان حماما للحمام قد انبرى	لأرواح أهل الفضل بلقطها للقط
فيا وده ما أنكي وباحسون ما أبكي	ويادر ما أعدى، وباموت ما أسطي
عزاء عزاء قد معا الموت فبنا	ملوكا كما يمحون من كتب خطا

(2) نُشر هذا النقش الجميل مرات كثيرة وأخرها من قبل م. هيرزل، في الترجمة الإنجليزية التي قام بها فارس شدياق في *Journal Asiatique*، عدد نوفمبر ١٨١٧، ص ١٢٩. ويوضح من النقش وكذلك من استخدام اللغة أن الفترة التي ترجمها السيد شدياق إلى (*An attendant of Ibn-es-sooser*) تعني «الذي كان يطلق عليه ابن السوسي»، وتاريخ الكتابة على شاهد القبر هو عام ٥٦٩ (١١٧٤). انظر الفصل الثامن من الكتاب الخامس، ص ٢١٢ من هذا المجلد. هامش رقم ٢.

(3) إن العبارة الشائعة جداً التي أترجمها على هذا النحو، معناها العرفي «محل مسقط رأسه (ولدت ولانته)».

إلى ما بعد السبعين من عمره، وخلف نسلأ، وأشعاره تستحق الإطراء  
لسلامة مضمونها وجمال بنائها وحسن ذوقها. وكان قد ألفى هو  
بنفسه. قبل موته بأيام قليلة، تلك القصيدة في الرثاء لصاحب  
المجموعة المختارة (1).

اعتقد بما لا يدع مجالاً للشك أن أبا الضوء سراج بن أحمد بن رجا  
من أصل صقلي، ولا يقدم عماد الدين نبذة عن ترجمته، ولكنه يذكره  
في المناظرة التي أجراها مع أبي الصلت (2)، واعتقد أنه صقلي، لأنه  
في النصف الثاني من القرن الثاني عشر خرج من هذه الأسرة قاضي  
بالرمو، وكان كل من والده وجده قد مارس مهنة القضاء نفسها (3)،  
ومن ناحية أخرى فإن الميرثية التي نُظمت في مناسبة موت أحد أبناء  
الملك روجيرو تبرهن على أنه كان محبوباً في بلاط صقلية أو سعى  
إلى هذا. وعلى حد قول عماد الدين، كان يُشار إلى هذا الشاعر في  
كتاب ابن بشرور، الذي سوف نتناوله بالحديث بعد قليل. ويشي  
باستقاضة على محاسنه النادرة الفريدة؛ وهي حلو وصفه، بصحة  
التصور وصدق التخيل، وسداد الرأي وحدة الخاطر، وإن شعره بديع  
الحوك، رفيع السبك (4). وحقيقة لم يغب الخيال عن أبي الضوء،

(1) المكتبة العربية، الصقلية، النص، من 588 - 589.

(2) المرجع المنكور، ص 600 وما بعدها.

(3) وثيقة عربية بتاريخ سبتمبر 1161 وهي ترجع إلى كوسيندا ديلا ماچوني، وهي  
محتوطة اليوم في المخطوطات الملكية في بالرمو، وكان اسم القاضي أبو الفضل رجا.  
ابن أبي الحسن علي، ابن أبي القاسم عبد الرحمن بن رجا، ومن بين الشهود نقرأ أيضاً  
محمد بن علي بن عبد الرحمن بن رجا.

(4) المكتبة العربية، الصقلية، ص 600 وما بعدها. وقد قدم البارون دي شالك في  
*Poesie und Kunst etc.* الجزء الثاني، ص 11 وما يليها، ترجمة شعرية لهذا النص  
باللغة الألمانية، وهي ترجمة حرة أحياناً، ولكنها دائماً أنيقة رفيعة المستوى.  
ها هي أجزاء من الميرثية:

بُكَاهُ، وما عالت عيونٌ واجفانٌ	شُجُونٌ، وما ذابت قلوبٌ وأبدانٌ
لها القمر الأسنى فأظلمت الدنيا	ومسأد من الملأ والمجد أركانٌ
أحين استنوي في حبله وجلائه	وتاهت به أطوار عز وأوطان
نظمته ريب المتن مطائلا	على غير، إن المتن لغزوان

بين هذه الدوامة من الصور الشرقية المطروحة وسط أحزان الملك العميقة.

وقد احتفى شعراء آخرون بمظلة روجيرو بنظم الشعر، وعلى الرغم من أن عماد الدين قد اختصر هذه الأشعار «لأنها، على حد قوله، تصدح الكافرين، وأنا من جانبى لا أريد تأكيد هذا، إلا أنها قصائد تتسم بقيمة فريدة بالنسبة لنا، حيث إنها تدل على أن مثل هذه القصائد كانت تلقى في بلاط بالرمو. ولأنها تسلط الضوء على أماكن نعيم وبهجة تغيرت هيئتها منذ أمد بعيد، هذا هو الحال بالنسبة للقصر الملكي القديم في بالرمو الذي حط من شأنه الدهر ونواب الملك الأسبان؛ والمسرح الرومانى المسمى القاعة الخضراء في المصور الوسطى والذي سُوى بالأرض منذ أكثر من ثلاثة قرون.

إذا كنت من حادث الدهر نقصان  
لها في سهل الخلد در و مرجان  
ونظم انجراح وتكبير اشجان  
وتجمع امواء غيزار ونهيران  
وناخت عليه مرهفات وعران  
حسناً وعافتن نجم وارسان  
درت لهكت قبل الجمائم اقصان  
بمسر له ميسر وپهروز سلوان  
تنسب لمزاة الميزوع ولدان  
لحشر فلب الخلق طراً كما كانوا  
والثقت جموعهم مزجاً رجال ونسوان  
بلايل وارنجبت نفوس واذهان  
فسادوا وهم في علبس العزن غريبان

كذلك امراض البدور يعوقها  
لحق مان ييكي عليه بالدمع  
وتعرق اكباد وتعرض انفس  
وتنجاخ احراق وتهمى مدامع  
تبيكت له غصامه وقصوره  
وعاد سهيل الخيل في لهواتها  
وما تساج ورق الايت الا له، فلو  
هبالك من رزه هطيم وحادث  
وما يومه ما كان اقطع هولة  
كان مهادى البعث قام مساويا  
وقد ضاق رجب الأرض بالصليق،  
وشئت قلوب لا جيوب، ورجعت  
وكانوا يلهم اللهو بهضاً حمانما

ترجمت بلفظ "bigie" الجميع ورق، وهو يعنى هذا أصلاً كما يعنى «حمام»، غير أنه لا يمكن نقل هذا الاختلاف بين هذا اللفظ وورق الشجر (الأغصان). بحيث يتمكن الشاعر من استرجاع الصورة في البيت الآخر. عندما يقول قد تبكى الأغصان أيضاً .. إلخ. وفي البيت قبل الأخير، فإن الفعل الذى ترجمته إلى «يهاكى» يطلق حيلة أخرى للشاعر إذ أنه يعنى في ذات الوقت (يقدمون، ينشرون) ويطلق المقولة: «إننا لله وإننا إليه راجعون». هذه المقولة، المأخوذة عن السورة الثانية، الآية 161، من القرآن، اعتاد المسلمون التمسك بها في المطلوب المنظمة أو الكوارث. كيف السبيل إلى نقل دور على هذه الشكالة إلى اللغة الإيطالية؟

والحدائق الفناء وقلعة ماريديولتشي أو ديللا فاخارا، والتي لم يخفف أثرها تماماً، كلها أماكن تعود إلى ذاكرتنا من خلال أبيات شعر كتبها عبد الرحمن بن محمد بن عمر البوتيري الصقلي.

كان البوتيري، كما نقرأ في الخريدة، حامل القرآن لا يقل شأنًا عن أي مرثل آخر في عصره، وكان عالماً في تفسير القرآن؛ ونظم الشعر بتفرد وأصالة فكر تستحق الإشارة والإعجاب. وهو نفسه قرا على جامع المختارات المجهول قصيدة مدح فيها روجيرو الفرانكو أمير صقلية، ووصف فيها المباني الشاهقة التي بناها ذلك الملك. ومن بين ما نقرأ في هذه القصيدة(1):

أدر العتيق العسجدية(2)	وصل اصطباحك بالعشية
واشرب على وقع المثا	نى والأغاني المعبدية(2)
ما عيشة تصفو سوى	بذرى صقلية هنية
في دولة أريت على	دولة الملوك القيصرية(4)
وقصور منصورية	حط السرور بها العطية
أعجب بمنزلها الذي	قد أكمل الرحمان زيه
والملعب الزاهي على	كل المباني الهندسية(5)

(1) المكتبة، ص ٥٨٦. نشر البارون دي سلان مرة هذه الفقرة والنقراين اللتين سيورد نكرهما الآن توا في صفحتي ٧١٥ و٧١٨ لعبد الرحمن التراباني ولابن بشرون مع ترجمة فرنسية، في *Journal Asiatique*، العدد الثاني، المجلد العادي عشر، ص ٣٦٢ وما بعدها (١٨٤١) وفيه قدم البارون مطبوعة متصلة عن ترجمة جغرافية الإنريسي، التي قام بها م. جويير. وقد قارنت التي بمخطوطة المتحف البريطاني وأعدت طبعة في المكتبة العربية - الصقلية، مصحوباً بالبدائل والقرارات التي تمت باختيارها وكذلك تلك التي تفصل مشكوراً الأستاذ العلامة فليشر بعرضها على. وقد قام البارون دي سال، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ١١ و١٢ و٣٦١، بترجمة ألمانية جيدة في صورة أبيات شعرية لهذه الفقرات المختارة واعتمد في ترجمته على نص المكتبة. (2) قرا البارون دي سلان «عقيل» فترجمها إلى "Corniola". ولكن «عقيل» تثنى العنبر على وجه الخصوصي. وتدعم نهاية التمت التالي والدالة على المؤنث قرأني هذه. (3) سعيد كان منقياً شهيراً في البلاط الأموي بدمشق.

(4) اثبتت في هذا البيت قراءتين متعلقتين عن قراءتي دي سلان. (5) من الواضح أنه يشير إلى تلك التي كانت تسمى قديماً الخامة الخضراء. وانظر بشأنها مقالة علمية للبارون رفاثيل ستارابا. في *Nuove Effemeridi Siciliane* سنة ١٨٧٠.

ورياضة الأُنف التي (1)	عادلت بها الدنيا زهيته
وأسود شانروانة	تهمى مياها كسوثريه
وكساد الربيع ربوعها	من حسنه حللا بهيه
وغدا وكلل وجهها	بمُصِيفات جوهرية
عطرُن أنفاس الصبا	عند الصبيحة والعشيه

ووصف عبد الرحمن بن أبي العباس التراباني (الإطربنشي) الكاتب (2) حدائق الفارخارا (الفوارة) وصفاً أكثر تفصيلاً، فيقول:

فوارة البحرين (3) جمعت العنى	عيش يطلب ومنظر يُستعظم
فُسِمت مياهاك في جداول تسعة	ياحبذا جريانها المتقسم
في ملتقى بحريك معترك الهوى	وعلى خليجك للقرام مخيم
لله بحر التخلتين وماحوى (4) الـ	بحر المشيدُ به المقام الأعظم
وكان ماء المفرغين وصفوه	درّ مذاب والبسيطة عندهم (5)

(1) تسمية أخرى تطلق على فافارا (الفوارة). كان ينبوع من ينبوعى المياه في البستان الملكي الذي كانت تشتمل عليه الفيللا التي أطلق عليها هذا الاسم. يسمى الأُنف: يؤكد على ذلك ابن حوقل في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٩ وهي *Journal Asiatique*، العدد الرابع، المجلد الخامس (١٨٤٥) ص ٩٩. وكان الاسم يعود إلى الصخرة المسماة الآن بصخرة القديس تشيرو، ومن تحنها يتدفق ذلك النبروع الذي مازال يُدعى أيضاً ماريدولنشي. وهو ينبوع من البحيرة التي كانت قائمة في وقت من الأوقات.

(2) المكتبة. ص ٥٨٤ وما بعدها.

(3) حقيقة. ليست على يقين من أن لفظ "bahrein" يستخدم هنا كترجمة لكلمة بحيرين بدلاً من بحيرتين وهي الحالة الأولى. قد يكون البحرين هو خليج بالرمو والآخر هو بحيرة المياه العذبة المزروجة أو الفردية حسبما يُعتقد. وهي الحالة الثانية، من الممكن أن يشير الشاعر إلى البحرينيتين اللتين تكونتا من منابع مياه ماريدولنشي والفافارا نفسها، ويبعد كل منهما عن الآخر مسافة أربعة كيلو مترات. وبهذاً كان النبروع الأول يندى بحيرة. ولكن أن تكون هذه البحيرة ممتدة حتى النبروع الثاني فهو، على حد علمي، أمر لم تؤكد به الكتابات ولا خريطة المكان.

(4) على الرغم من أن بحيرة ماريدولنشي قد جفت منذ بداية هذا القرن، فإن مجرى الجزء العلوى يرى بصورة واضحة للغاية، وما من شك في أن القلعة أو الفيللا الملكية كانت تبرز داخل البحيرة، ولكنها كانت وتعمل كذلك بالشاطئ.

(5) اتبع التراباني التي يفترحها هليشر، في المكتبة العربية - الصقلية. ص ٥٨٥.

وكان أغصان الرياض تطاولت  
والحوت يسمج في صفاء مياهها  
وكان نارنج الجزيرة إذ زها  
وكانما الليمون صفوه عاشق  
والنخلتان كعاشقين استخلصا  
أو ربيبة علقهما فتطاولا  
يا نخلتي بحري بلرم سقيتما  
هنيئتما أمن الزمان ونلتما  
بالله رفقا واسترا أهل الهوى  
هذا العيان بلا امتراء إنما  
ترنو إلى سمك المياه وتيسم  
والطير بين رياضها يترنم  
نار على قُضْب الزيرجد تضرم  
قد بات من ألم التوى يتألم  
حذر المدى حصناً منيعاً منهم  
يستحيان ظنون من يقودهم  
صوب الحيا بتواصل لا يُصرم  
كل الأمانى والحوادث نُوم  
فيا من ظلكما الهوى يتحرم  
سمع الكيان زخارف تنوهم (1)

كان - أبو حفص - عمر بن حسن، النحوي الصقلي، على حد قول الكاتب المجهول المذكور في الخريدة، «كان أميراً في علم المعاجم وفي النحو: ذائع الصيت معروفاً بعلمه في فقه اللغة علماً صحيحاً». وكان ذائع الصيت لنظمه الصحيح وانسياب شعره السلس وحسن ترتيب أبياته. وعندما أودعه فرنجة صقلية السجن، هكذا يستطرد الكاتب، وسهم أنواع البلية، ألف من داخل أسوار سجنه قصيدة في مدح الملك روجيرو؛ ويذكر منها عماد الدين البداية وفقرتين، ثم يبشر الاستشهاد، ويقول بأنه على الرغم من إعجابه بالقصيدة فإن تلك الامنيات تثير ضجره كما أنه لا يريد تأييد مديح وإطراء الكافرين، ولجعل الله بطرحهم في لهيب نيرانه العارقة (2)، غير أنه يختم قوله بأن الشاعر معذور فهو مأسور (3). ذلك الشاعر الذي يقفز ففزة مفاجئة من عاشق

(1) الشطر الثاني من البيت يختلف معناه تماماً عن المعنى الذي افترضه البارون دي سلان.

(2) القرآن، السورة ٦١، الآية ١٢.

(3) المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥٨٧ وما بعدها، ص ٦١٦، حيث نقرا نبتة سريعة بذكرها عنه النعبي في *Biografie de Grammatici*.

سعاد(1) التقليدي النمطى إلى مدح ملك صفلية العظمى، وهو بذلك يكاد يكذب الناقد الذى كان يجب أن يثنى على نظمه الجيد للشعر، غير أنه. وسط المفالة المفرطة، يأتى ببعض الصور الجميلة ويعبر دائماً عن أفكاره بركة وأناقة نادرة(2).

وكرر شاعر من المهديّة ذكرنا اسمه سابقاً وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون بن شبيب من قبيلة أزد، كرر إطراد الملك روجيرو إما بسبب دقة شعرية، وإما لأنه أراد هو أيضاً مدح غالب أفريقية ويبدو أنه أقام لفترة طويلة فى صفلية، إذ أنه يكتفى أيضاً الصقلى. ويذكره عماد الدين وينقل فى الخريدة أشعاراً كثيرة، مأخوذة من الكتاب الذى اتمه ابن بشرون عام خمسماية وواحد وستين (١١٦٥ - ١١٦٦) وعنوانه المختار، إلخ. أى المختار فى النظم والشر لأفاضل أهل العصر(3). ويقول فيه الكاتب

(1) هكذا الحال أيضاً بالنسبة للشاعر الأصرى الذى احدى به وهو كعب بن زهير، فى القصيدة الشهيرة التى استحق بها عضو النبى محمد، إذ يستهل القصيدة بالبكاء على حجر الجملة سعاد ومنها ينتقل إلى مدح النبى.

(2) يطلب السلطان أن غير سعاد حلت سويداً قلبه وضوءه  
ورجا زيارة طينها فى صيدها وغرامه بأبى لهنذ وقباده  
والله لولا الملك روجار الذى أهدى له صبيبه عظيم ورياده  
ما عاف كاسى الوجد يوم فراقها ورأى معها المجد فى ميلاده

.....  
يهتز للجندوى امتزاز مهده يهتز فى كفيه يوم جلاده  
ويهتز فى الديهجر صبح جبينه فتظال ضوء الشمس من حساده  
ومطالع الجوزاء أرض خيامه والنجم والقمران من أوتاده  
وإذا الأمور تشابهت فلعننه خط يهتز مسودها بمداده

.....  
يا أيها الملك الذى شئت به ضمنا المظافة فى صفا أصلاده  
ودعته أرواح المدى فرمى بها لمبا تلتفتها شبيب الغصاده

(3) دوزى، Bibl. Acad. Lugduno Bataviae، وCatalogus cc. oo، المجلد الثانى، ص ٢٦٢، من بين عناوين الفصول وأسماء الشعراء، التى نشرها فى خريدة عماد الدين، راجع المكتبة العربية، الصفلية، ص ٥٩٩ و٦٠١.  
ذكر حاجى خليفة كتاب المختار، طبعة تلوجل، المجلد الرابع، ص ١١٦، رقم ٢٩٠١ والمجلد الخامس ص ١٢٨، رقم ١١٥٩، وفى Bibl. المرجع المذكور، ص ٧٠٤ و٧٠٥، لاحظ كذلك فى حاجى خليفة، الجزء الثالث، ص ٥٩٥، رقم ٧١١٦، كتاب سر الكعبي، لابن بشرون نفسه.

إنه، لما كان عبد الرحمن البوتيري قد عرض على قصيدة يمدح فيها روجيرو سألته أن يعمل على وزنها وروبها فقال(1):

للله منصورية	راقت بهجتها البهية
وبقصرها الحسن البنا	والشكل والغرف المليه(2)
وبوحشها(3) ومياهاها	غزر الميون الكوشية
فقد اكتسبت جناحتها	من نبتها حلالا بهيه
غطى عبير ترابها	بمد بحات(4) سندسية
يهدى إليك نسيمها	أفواء طيب عنبريه
واستوسقت أشجارها	بأطايب الشجر الجنيه
وتجاوبت أطيارها	في الصبح دأبا والعشيه
وبها رُجار سما العلا	ملك الملوك القيصرية
في طيب عيش دائم	ومشاهد فيها شهيه(5)

(1) المكتبة، ص ٥٨٢. راجع الشروح التي ذكرناها بخصوص بعض الألفاظ. وذلك من خلال تناولنا القصيدة السابقة المذكورة في ص ٧٥٥ وما بعدها. هنا أيضاً، ألزت قراة مختلفة عن تلك التي اتبعها البارون دي سالن في أول إصداراته.

(2) اللفظ «غرفة» جمع «غرفة» ترجمه البارون بصورة عامضة بعض الشئ إلى “loges” ونجد المعنى الدقيق لـ «مقصورة» - المنظر الجميل، في فقرات المتريزي. كتاب المواعظ. نص بولاق. المجلد الثاني. ص ٢٥٠. السطر ١٩. وفقرات ابن جبير، طبعة وايت. ص ٢٧١، والمعنى نفسه يذكره كوش. في المعجم العربي - الفرنسي. بيروت. ١٩٦٢. أما المعاني الأخرى، انظر مصطلح «الغرفة» في *Glossaire des mots espagnols*. إلخ. لموزي وألجلمان. (3) وجدت أنه من الأفضل ترك هذا اللفظ غير محدد كما هو في النص. ولكن يبدو أن الشاعر قد أراد الإشارة ليس إلى الفرائس بالعديفة الملكية وإنما إلى الأسود الرخاسية التي ذكرها الشاعر البوتيري. وقد أجابه ليس فقط من خلال اتباع الوزن والقافية، وإنما من خلال شرح وتفسير كل فكرة. كاتجاه المعارضات وكما يتضح من العرف بفحص وتحليل كل شاردة وواردة في القصيدة.

(4) يذكر النص لفظ ديباج ويضعه في الجمع وقد سبق أن أشرنا إلى هذا اللفظ. ونحن نترجمه إلى “broccato” لأنه يمر عن نسج حريري غني ظم.

(5) أرى أنه في هذا البيت يفترض أن يكون الفعل مصرعاً في اللغة العربية في الزمن الماضي. وهذا فإن اختلف مع دي سالن الذي ترجم *il est* إلخ. ثم إن افسر بصورة مختلفة تماماً للفظين الأخيرين اللذين ترجمهما “Admirables monuments” و«مشهد» الذي نجده هنا في الجمع، وبمضي مكان تجمع ومكان تقام فيه الشهادة، وبالتالي «الاستشهاد» والعشيرة: ولكنني لا أعرف أن العرب أطلقوا من قبل هذا المعنى على



وبعد كبار الشعراء يذكر عماد الدين الغاون الصقلي أي «المتنرد الصقلي». كما كان يدعى أبو علي حسن بن واذ: وهو لم يذكر أي شئ على الإطلاق عن أصل ذلك الاسم الرهيب، ولكنه ينيه إلى أنه وجد لحناً كثيراً في شعره. ويأتي بفقرة من قصيدة، ثم بعدد من أبيات الحب مليئة بالعبارات النمطية، وخالية من تلك المفاهيم الغريبة والتعبيرات المنتقاة التي كان لها قدر كبير للغاية. والأبيات الأربعة التي بقيت لنا من القصيدة، تفوح منها رائحة الدفاع عن النفس. إذ أن الكاتب يشكو أحداث المقادير والإخوان الذين هجروه. وهنا أيضاً يبدو الأسلوب ساذجاً بسيطاً، يكشف عن الأزراء والافتخار، ويظهر أن المتنرد لم يكن يُنشد الشعر لمجرد نظمه وإنما ليُفصح عن مكنون نفسه (1). عاش عبد الرحمن بن رمضان المالطي تحت حكم الملك روجيرو، ويُقال له القاضي، على الرغم من عدم ممارسته للقضاء إطلاقاً وإنما عمل بقرض الشعر: وفي الشعر كان نقاد ذلك العصر يرون أنه -له من بحر خالطه وغزارة غريزته مدد-. وأضافوا أنه كتب معظم شعره في مدح روجيرو يسأله العودة إلى مالطة ولكنه لم يزل سوى رفضاً قاطعاً (2). غير أن عماد الدين لم يذكر أيّاً من تلك الأبيات الشعرية وإنما عوضاً عنها بقصيدتين متواضعتين في الهجاء. إحداها باردة

مبس مبسب بصفة عامة. ويأتبع هذا الفكر، وهو ليس عربياً، ولا يرجع كذلك إلى القرن الثاني عشر. اضطر المترجم العالم إلى تطويع اللفظ الأخير وجعله واحداً من الصفات التي لا تفصل اليوم عن كلمة «الثر».

(1) المكتبة العربية - الصقلية، ص 586. نقرأ الأبيات في مخطوطة باريس. الزوجة الثانية. وما هي أبيات القصيدة:

وكم من وهب خطه الدهر للثي	نضع من منه الحال بعد بسام
وكم خامل في الناس أمسى مرفها	لرفي إلى العليا كل سنام
فلتسأ الدهر خط علو مراتبي	وقل إخواني وأكثر داسي
إذا احضر يوما منه لثري جانب	فدا طبعنا للعين كيف نسام

(2) المكتبة العربية - الصقلية، ص 581.

والقصيدة الأولى مكتوبة «الأحد الرؤساء» الذي لم يدعه يراه. وقد اقترح الأستاذ هليشر بعد أن راجع طبعة المكتبة، ترجمة (زمن - وقت) بدلاً من «رئيس»، وهي قراءة تؤدي إلى ما يفيد أن روجيرو قد نبذ الشاعر. ولكن على الرغم من عظيم الاحترام الذي آتته لذلك المحلم العظيم، فإنني لا أرى شيئاً يجملي أخير ترجمتي. وتبدو لي الأبيات الشعرية واضحة حتى إنه ليسبب التصديق أن يكون الشاعر قد وجهها لروجيرو.

جافة بعض الشئ، والأخرى جميلة ولكنها مليئة بالمرارة (1). إن تطابق لقب عائلته موطنه وعمره يجعلني أعتقد أن يكون هو أبو القاسم ابن رمضان نفسه، والذي حفظ لنا عنه الجغرافي القزويني شطر البيت الذي ارتجله عند رؤيته ساعة مائية. هذا فضلاً عن أن عماد قد ذكره باسمه الأول وهو عبد الرحمن بينما ذكره القزويني بلقب العائلة أبي القاسم. على أية حال، ينبغي أن نضيف إلى الشعراء الصقليين ابن السمئتي الذي كتب الشعر والقصيدة الغزلية كما سبق أن أشرنا (2). وهكذا إذ نبلغ الشعر الأهل شهرة وشاعرية، نذكر عبد الحليم بن عبد الواحد الذي نشأ في أفريقية، وأقام في صقلية، وفقاً لما يقوله عماد الدين، حاله في ذلك مثل حال غيره ممن سكتوا بالرمو: «وتعلم كل معرفة جيدة من أدباء تلك المدينة وأنشد أبياتاً تشبه عنافيد الغنم وكتب خطباً تبدو عقوداً». ويفيض البيتان اللذان كتبهما عن الأرض التي احتضنته بالحب والعاطفة:

عشقت صقلية يا هذا وكانت كبعض جنان الخلود  
فما قدر لوصول حتى اكتهلت وصارت جهنم ذات الوقود (3)  
وتتسم كذلك أبياته عن الحب بالسلاسة والمذوبة (4). وجاء مسلم آخر

(1) مخطوطة باريس، الورقة 8 الوجه الأول، القصيدة الأولى هي الأتية:

تله الذي زوتسه ولا	هني لم يطف ذا ولا
وكان من قبل ابن راني	يهبط لي سندسا ولا
فصار كل عليه كلاً	باليتي مت قبل هذا

وقال في الدم:

إخوان دهرك فالفهم	مثل المدد بسلاحكا
لا تفسدو بشيهم	فالسيف يقتل ضاحكا

(2) انظر الفصل السابق، ص ٦٥١ من هذا المجلد.

(3) المكتبة العربية، الصقلية، ص ٥٨٢. مدان البيتان يحملان إلى الاعتقاد بأن المؤلف عاش في النصف الثاني من القرن العادي عشر على الرغم من أن مجموعة الأبيات الشعرية التي يقول عماد الدين إنه وجد بها البيتين، تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر. فلو أن مسلماً رأى صقلية نحو عام ١١٥٠ ثم نحو عام ١١٦٢ لتغير نفس التفكير.

(4) في مخطوطة باريس، الورقة 8 الوجه الثاني والورقة 9 الوجه الأول، وهي ثلاث فقرات، نالني بأفضلها وفق ما يبدو لنا.

من المهدية إلى صقلية بعد ما يقرب من نصف قرن من مجيئ عبد الحليم، ونظم شعراً عن شاب مسيحي، يعمل صبياً بمطعم متواضع في بالرمو. وأريد أن أنقل هذه الأبيات لتذكر المادات بالإضافة إلى أنني أرى فيها مواطن جمالية كثيرة. وكان الشاعر يُدعى الشيخ أبو الحسن بن الصبان، ونعلم أنه انتقل من صقلية إلى دمشق، حيث توفى عام ٥٦٠ (١١٦٥ - ١١٦٤)، بعد إقامته بها لأكثر من عشر سنوات(1).

أعتقد أن أبا الفضل جعفر بن البارون ولد بصقلية، ليس فقط لأنه يُدعى صقلى في المجموعة المختارة، وإنما أيضاً لأن نقشاً غريباً في ترميزي يذكر شخصاً يُدعى بارون، وهو وصيف في البلاط الصقلية، وقد قام بتشييد أحد الآثار التي لا أعرفها(2). وربما كان بارون مجرد

- |                                   |                             |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| بحسب أراح الله قلبك من حسي        | شكوت ففصلت: كل هذا لبرما    |
| صبرت وما هذا بفعل شجي القلب       | فلما كتبت الحب قال: لشدد ما |
| رضاه فتعتد التواعد من دنسي        | فأندو فتقصيني فليعد طـالـيا |
| وتخرج من نعدى وتفر من قريسي       | فشكواي تؤذيها وصبري يسوعها  |
| اشهروا بها واستجيبوا الأجر من ربي | فيا قوم هل من حيلة تعلمونها |
- (1) المكتبة العروية - الصقلية، ص ٥٩٩. يقول عماد الدين إنه وصل في عهد نور الدين ثم وافته المنية.. إلخ. إذن فقد كان بالفعل بدمشق عندما استولى عليها نور الدين. ومزئز عقيد الصليب بنحسره
- |                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| وأدار حصول وشاحه إنجيلا   | خدمت بجنح الليل جبهة ناره |
| فأقام خمسة دنة شديلا      | متسلع لذوى السرى من كاسه  |
| نجم يكون إلى الصباح دليلا |                           |
- لقد نقلت «مزئز» إلى «منطلق»، بمعنى منطلق بالزئزر أي ذلك المشد الذي. وفقاً للقوانين الإسلامية، ينبغي أن يرتديه أهل الذمة، أي المسيحيون، واليهود والصابئة، حتى يتميزوا عن الشعب الذي له العبادة. وهنا يود القول بوضوح المسيحي، ولا أعرف إن كان مسيحي بالرمو في القرن الثاني عشر كانوا يستخدمون منطقة عند العنق، ولكنهم بالتأكيد ما كانوا يجبرين على ذلك. ونقلت لفظ «وشاح» الذي تعدينا عنه منذ قبل إلى *Farsello*، ويستخدم الشاعر، دون شك، لفظ الإنجيل ليمضي بعض الصلوات المسيحية المكتوبة على شرائح من البرق وبعض الأقوال بوستهلوني دي سان فرانثيسكو دي باولا التي كانت تستخدم في تلك الأوقات.
- يشير البيت الثاني بصورة واضحة إلى الدستور النورماندي المعروف جداً والخاص بحظر التجوال.
- (2) انظر *la Rivista Sicula*، عند نوفمبر عام ١٨٦٩، ص ٣٧٨ وما بعدها.

كفية ثم أصبح لقب أسرة الأبناء. ومن بين هؤلاء يمكن ذكر جعفر هذا وأحد الأفراد في النظم المستجادة كما يكتب عماد الدين، ويشير بصفة خاصة إلى بعض الأبيات في مدح النبيذ ولكنه لا يذكرها. أما أبيات الحب التي تبقى منها أربعة مقاطع، فهي تبدو أنيقة رشيقة وجديدة مبتكرة (1). وتتماثل تلك الأبيات ذات الوزن الأقصر وفقاً لقافية موحدة مثل الأخرى (2). ويتبارى جامعاً المختارات في الإشادة بالفقيه الصقلي أبي محمد بن صمنه، ووصفه الكاتب المجهول «بامتزاجه علم الشعر إلى علم الشرع وبحسن المحاضرة والمحاورة، وطيب المفاكهة والمذاكرة وظرافة الخلق وسلامة الطبع». ويدعم عماد الدين هذا الرأي قائلاً: «إن له شعراً سنن الصنع جنى النبع». ولكنه ينيه إلى أن التقد كُتب على شكل نثر موزون تتخلله الفاظ متناقضة وقافية متنوعة حرة وجناس وأنه بحق لعمل رائع بديع. وإنما ما ينثر الإعجاب بصفة خاصة الجدل الذي احتدم بين ابن صمنه هذا وعيسى بن عبد المنعم، ثم الجواب المهدب على الهجاء الذي صيغ في ثمانية أبيات (3) رداً على

(1) المكتبة العربية - الصقلية. ص 581. الأبيات في مخطوطة باريس. الورقة ٦ الوجه الثاني.

وساحر المقلنين تحسبه	من حور عين الجنان متفلساً
يهمهم عن لؤلؤ وعين نيز	ما بين زهر المنيق قد فتت
تكيف بدر السماء بهجته	وإن رنت مقلداه أسكروا
فالوجه كالشمس مذهب شرق	والصدر والعهد جواهر نعتا
فقلت له والفراغ يصبب بي	وناظري في سناء قد بهتا
ألا وهل عطشه تمد مني	منك فإن المذول قد شحنا
فقال مني إليك شتم سناً	يوم ذا الشوق في الهوى غشنا
وسر كالبدر في سماوته	يطتال في رهوه وما التشنا

(2) المخطوطة المذكورة. الورقة ٧ الوجه الأول.

أليس أياك حبيدي	ما لمس يحمفه بشر
محن كحبن يفسرني	واضى بهن لس القدر
علقت السود لم أكن	أدري ففكرت ما الطير
أبصرته في يلمل	كالقمن المر بالقمر
فسطا على بجوره	أكلنا الكريم إذا قدرا

(3) المكتبة العربية - الصقلية. ص 582. ونقرأ الأبيات في مخطوطة باريس. الورقة ٧ الوجه الثاني. وما بعده. وبغض الطرف عما تقدم وعن الرد الذي سبق أن أشرت

ما وجه إليه من نقد بنفس الوزن والقافية.

وقد عاش في مصر، بعد رحيله عن صقلية في تاريخ لا نعلمه، وكان أول كاتب للخليفة الفاطمي الفايز بالله (١١٦٠ - ١١٥٥). عبد العزيز بن الحسين، وهو من أصل أغليي، ويُدعى الصقلي والمسمى (1)، وكُنِيَ بالقاضي الجليسي؛ وقد توفي عن عمر يتجاوز السبعين عاماً سنة ٥٦١ (١١٦٥ - ١١٦٦). وتبين لنا منتخبات عديدة من أشعاره، حفظها لنا كاتب تراجم من القرن الرابع عشر، إنه يختلف كثيراً عن صفار الشعراء المعاصرين له؛ ومثل غيره، يُسهب الحديث عن العيون القاتلة، ونباح الدموع وهلم جرى (2)، غير أنه لدينا منه بعض الأشعار (3) اللطيفة، ومطلع قصيدة في الرثاء كتبها في أحد أبنائه\* لقي حتفه غرقاً، وهي

إليه، انقل بعض أبيات أخرى تناول موضوعاً مشابهاً:

تركوا العتاب وجانبوا العنا	هافلهم وانفسهم المستب
واصفح لهم عما جنوا كرما	حسا لهم وكرامة حسا
أحبانا لي عندكم مفة	نهبت جميع إساءة نيبا
ومحبة هي الصدر ثابتة	محت الذنوب فلم تدع دنبا
ووردت ملعاً ماء، ودكم	فشربته وسختكم عذبا

(1) كان ينسب بصفته أغليي إلى قبيلة سمد. وهذا الاسم العرقي قد ينسب مع ذلك إلى قصر سمد بالقرب من بالرمو، والذي أشار إليه ابن جبير. المكتبة العربية، الصقلية، ص ٨٨ وفي *Journal Asiatique*، عدد يناير ١٨٦٤، ص ٧٥ و٧٦.  
(2) نقرأ الأبيات واللحمة عن حياته نجدها في فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، الصادر في القاهرة عام ١٢٨٢ (١٨٦٦) صفحة ٣٥٤ وما بعدها. ونجد في صفحة ٣٥٥:

رَبِّ يَهْجِي سَلَنَ بِاللَّحْمَةِ يَهْجِي	مَرْحَلَاتُ جِفُونَهْنُ جِفُونُ
وَحُدُودُ لِّلْمَعِ فِيهَا حُدُودُ	وَعَيَسُونَ قَدْ فَاضَ فِيهَا عَيُونُ

(3)

قَدْ أَعْمَلْتُ كُلَّ الْأُمُورِ هَـمَا	بَعْنِي بِمَصْلَحَةٍ وَلَا يَفْنِي
بِسَدَادِ مُطْتَظَّفَيْنِ مَا لِهَـمَا	إِلَّا فِـسَادِ أُمُورِنَا مَعْنِي
بِأَنِّي هَيْكَبُ ذَا وَيَكْشَعُ ذَا	فَتَمُودُ بَعْدَهَا كَمَا كُنَا

\* يقول فوات الوفيات ما يلي: وقال الجليسي يرثي والده وقد مات غرقاً في البحر لربح عصفت: ثم يأتي ببشأن من شعر الجليسي هذا أحدهما، ولا أدري مصدر أماري الذي يقول يموت والده وليس والده. المرجع المذكور، المجلد الثاني، دار صادر بيروت ص ٣٢٤، (المترجم).

ملئية بمشاعر الحب(2). وربما كانت القصيدة بأكملها على هذا النحو ولهذا فقد بدت لكاتب ترجمته لا طعم لها. فذكر منها بيتاً واحداً مؤكداً بذلك أنه، بدءاً من عماد الدين ووصولاً إليه، تحول ذوق الأدباء العرب من سبى إلى أسوأ. هؤلاء هم آخر الشعراء العرب الذين نظموا الشعر في صقلية.

ونضيف إلى الشعراء الأجانب يحيى بن التيفاشى من قابس، الذي قتله الفرنجة في صقلية بعد عام ٥٥٠ (١١٥٥)، حسب ما يقوله عماد الدين، عندما أقاموا مجزرة للمسلمين(3). ولعلها وقعت، كما أظن، أثناء ثورة عام ١١٦١. وجاء كاتب وشاعر أكثر شهرة إلى صقلية (١١٦٨)، كما قلنا(4). وهو القاضي ابن قلاؤس من الإسكندرية، الذي رحل من جديد مع رسول مصرى كان عائداً من بالرمو إلى القاهرة. ويبدو أن ابن قلاؤس قد أقام عدة شهور في الجزيرة فقد رأى بالرمو وترميمي وتشيفالو وياتى وليبارى وكارونيا ومسينا، وسيراكوزا. وفضلاً عن الكتاب الذى أهده لأبى القاسم والأبيات التى كتبها عندما قُدر له أن يعود إلى الجزيرة من جديد بسبب نوة بحرية، ونعلم أنه مدح الملك جوليئمو في إحدى القصائد ولدينا الأبيات التى نظمها في المدن الصقلية المذكورة، وكان يجد دائماً ما ينتقده. فهنقد الاسم مرقة والمناخ أو المياه مرة أخرى. ويشكو حيناً متاعب الإبحار. وحيناً تكدير الناس، وحيناً آخر ضيقه برؤية فرسان مسيحيين وقد احتشدوا في صفوف وسيوفهم مستلة، كأسنان وحش ضار بهم بالهجوم على المسلمين(4). وعلى العكس، مدح واحد من (بنى راحة) أسرى الأسطول بينما كان يركب البحر، إنسانية ورحمة البلاط الصقلى. فطلب العفو من خلال أبيات شعرية غير متقنة، قال فيها أنه

(1) وكنت أهدي مع الريح السلام له ما عبت الريح في صبح وإمساء

(2) انظر الباب الرابع من هذا الكتاب، ص ١٦٦ من المجلد.

(3) الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ٥٥١.

(4) المكتبة العربية، الصقلية، النص، ص ١٠٧ و١٠٩ و١١١ و١١٢ و١١٣ و١٢٦ مع

البدائل التى ذكرتها في المقدمة، ص ٤٢.

خلف وراءه أما عجوزاً وابناً صغاراً في عوز شديد . ويختم الشاعر متمنياً أن يذن الله بأسرهم معه ، «لأنه لا ينقصنا في كثرتكم مئس أو سبل للإعاشة».

ويروى أن الملك حرره ووهبه ألف درهم وأعادته إلى ذويه وتكفل هو بكل النفقات، ولكننا لا ندري إلى من نمزو هذا المعروف، نظراً لأن شهاب الدين عمري الذي نقل هذه الأبيات نقلاً صوتياً لا يذكر اسم الملك، أو العصر، أو أية تفاصيل أخرى سوى لقب أسرة الشاعر (1).

---

(1) المكتبة العربية - الصغاية. ص ١٥٢ و ١٥٣ . كانت قبيلة بني رواحة تستقر في أطراف بركة.

## الفصل الثاني عشر

من خلال كتاب الملك روجيرو ووثائقه هو وخلفاؤه؛ ومن خلال هالكاندو، وابن جبير، وغيرهم من الرواة والجغرافيين، يمكن تحديد رؤية عامة للظروف الطبوغرافية والاقتصادية لصقلية في الفترة الأخيرة لوجود الجماعات الإسلامية بها. كما يمكن أيضاً أن نتناول بالتفصيل بعض جزئيات اللوحة. فأول ما يراود ذهن من يتأمل وصف الإدريسي التفصيلي، الدقيق في بعض أجزاءه، هو البحث عن التغيرات التي طرأت على جغرافية الجزيرة الطبيعية. ونذكرنا رغبته في التقصي والمعرفة بمدى قصر المساحة الزمنية التي تشغلها قرون سبعة في التاريخ الزمني للمسكونة. وفيما عدا جزيرة بناريا التي سقطت سهواً بالتأكيد من الخريطة (1)، فإننا نجد حول صقلية الجزر الصغيرة نفسها ومنها جزيرتا سترومبولي وهولكانو وكانتا الوحيدتين اللتين تضطرم هبهما نيران البراكين آنذاك تماماً مثل حالهما اليوم، ونادراً ما كانت جزيرة هولكانو تتمتع بفترات من الخمول (2). ومن الجدير بالملاحظة اختلاف بعض أنواع ذوات الأربع في جزر صغيرة متعددة كآثار خلفتها أحداث جيولوجية قديمة، فالإدريسي يقول إنه كانت تعيش في جزر بنتلاريا

(1) طبقاً لأراء البعض، فإن جزيرة بناريا هي *Evonymos* لدى القدماء. وطبقاً لأراء البعض الآخر هي *Hicesia*، وآخرون يطلقون الاسم الأول أو الثاني من هذين الاسمين القديمين لجزيرة أخرى من جزر أيولي. وليس من السهل الجزم في مثل هذه الظنون، لأن جزر أيولي تقع على مقربة من بعضها كما إن بعضها صغيرة جداً لدرجة أنه يتم إغفالها أحياناً في الوصف على اعتبار أنها مجرد صخور. كما أن خطوط الطول والمرض التي تقع عليها جزر أيولي المتعددة، وفقاً لبطليموس، تميز مصداقية الرأي الذي يطابق بين *Hicesia* وجزيرة بناريا.

(2) المكتبة، النص، ص ٢٢ - ٢٣.



ماعز مستأنسة وقد توحشت(1)، وماعز متوحشة في جزيرة هولكانو، وهي ماريتيمو، ماعز وظباء(2)، ولكننا لا ندرى مدى مصداقية هذه التصنيفات أم إن كان من الأفضل إضافة أياثل فاهينيانا التي تذكر في القرن الثامن عشر(3) إلى تلك الحيوانات وإدراجها كلها تحت تصنيف واحد، وهو التصنيف الذي اشتق منه بالتحديد اسم إجابي على ما يبدو ونُسب إلى الجزر القريبة من تراباني، واسم كابري، وكابرايا الذي أطلق على جزر أخرى تقع أكثر شمالاً. تطرقنا في أحد الكتب السابقة إلى مسألة انخفاض حجم مياه الأنهار في صقلية(4)، ويرتبط بهذا الأمر التلف التدريجي الذي أصاب، على ما يبدو، بعض الموانئ؛ ولكن يجدر بالذكر أن الإدريسي يطلق تسمية مرسى أى ميناء، على المرافئ الصغيرة، وأنه في ذلك الوقت، على الرغم من وجود سفن كبيرة تشبه الفرقاطات الحالية، فإنه كانت تستخدم عادة مراكب صغيرة وعلى الأخص مراكب أصغر قاعاً من سفن اليوم، ومع كل هذا، لا سبيل إطلاقاً إلى إنكار اختلاف العمق الواضح في نهر اللتينى وفي مصبات الأنهار التي تُسمى على اسم مازارا وراجوزا، عندما يكتب الإدريسي أن السفن كانت تصل بكل حمولتها داخل المدينة الأولى الواقعة على مسافة ستة أميال داخل الأرض(5)، وأن مراكب كانت تعمل في حركة التجارة مع كلاهريا

(1) المرجع المذكور، ص ٢٤ ترجم م. جويبر هذا المكان ترجمة لم يتوخ فيها الدقة النامة في المجلد الثاني، ص ٧٢، السطرين ٢، ٣.

(2) المرجع المذكور، ص ٢٤، أترجم اللفظ طي *thabia, dhabia, izabia, zabia* إلى "antilope" وربما أضافه العرب بطريقة مبهمه إلى النوع الذي وُجد حديثاً من نوع الأياثل، أو من نوع الماعز، وربما طي الجبل أو البخور. وذلك عندما راوه لأول مرة في دول الغرب. ويذكر معجم *Vocabulista in arabico* الممثلين المطفئين تماماً «ماعز، وداما».

(3) أميكر، *Dizionario Topografico della Sicilia*، في الفصل الخاص بفاهينيانا.

(4) الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٥٤ من المجلد الثاني.

(5) المكتبة، ص ٣٦، يُذكر في النص كلمة مركب بالتحديد: وهو لفظ عام يستخدم للسفن المزودة بفرقة قيادة.

وأفريقيا وبلدان أخرى، كانت تشحن حمولتها وتقرعها عند مصب نهر راجوزا(1)؛ وأن المراكب كانت تطلع والقوارب تقضى الشتاء بالقرب من المدينة فوق نهر مازارو(2). ومن هنا يمكننا أن نفترض حدوث طمر أو ارتفاع للتربة في هذه الأماكن؛ ولدينا أمثلة كثيرة على هذا في صقلية وخارجها. ويمكن الاعتقاد بأنه لأسباب مماثلة تقلصت موانئ كثنانيا وجرچنتى وترابانى الجارى إحيائها وتجديدها الآن؛ إن عرفنا أنه في عهد الملك روجيرو كان الميناءان الأولان يزدحمان دوماً بالمراكب(3)؛ وكان الميناء الثالث في مامن من كل الرياح وارتداد الأمواج العنيف ولذا كانت القوارب تقضى الشتاء به(4). ونقرأ أنه من بين مينائى سيراكوزا فإن الميناء الأصغر كان أكثر استخداماً من الثانى(5).

يشير الإدريسى إلى النبع المتقطع الذى يُدعى دوناً لوكاتا(6)، بالقرب من شيكلى، ويشير أيضاً إلى نبع أمانو الذى يجرى في جوف الأرض في كثنانيا وأحياناً يتدفق في الشوارع والطرق(7). وندين أيضاً لمن جمع الأخبار الطبوغرافية، يرسم أولى إحصائى وأثرى للجزيرة، ونلاحظ فيه استخدام نمت *نافتا*، وقد يعنى لدينا «أصلى، أصيل»، في وصف قلاع ترمينى وتوزا، وقلعة القوارب (سانتو استيفانو) وكاروينا، وتاورمينا ونوتو وراجوزا وجرچنتى ومارسالا وترابانى، وقلعة الطراز، (كالاترازى بالقرب من كورليونى) وباتيلارى

(1) المرجع المذكور، ص ٢٨.

(2) المرجع المذكور، ص ١٠ و ١١. يستخدم الكاتب كلمة مركب في الحالة الأولى، وكلمة قارب في الحالة الثانية. اعتقد أن المراكب كانت، بوجه عام، أكبر من قوارب أخرى صغيرة ترسو الآن في ذلك الميناء.

(3) المرجع المذكور، ص ٢٥ و ٢٩.

(4) المرجع المذكور، ص ١١.

(5) المرجع المذكور، ص ٢٦.

(6) المرجع المذكور، ص ٢٨. الاسم العربى الذى حُرِف الآن ويتخذ ذلك الشكل الغربى هو عين الأوليات، «العين (التي تتعطف) على فترات».

(7) المكتبة، ص ٢٥.

(بالقرب من بيزاكوينو) وكالاتاهيمي؛ وفضلاً عن هذا تُدعى قلعة سان ماركو ونوتو المذكورة لتوها، تُدعى القديمة؛ ويطلق التعت نفسه في ترمينى على المسرح والحمامات، وفي چرچنتى على الآثار القديمة التى توضح القوة التى وصلت إليها الدولة فى وقت ما، وفى تاورمينا على الجسر والمعبر الرومانى الذى يشهد على عظمة من شيده وعلى جبل يُسمى طور، وهو معروف جداً بمعجزاته وطقوس العبادة التى تُقام عليه.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الجغرافيا السياسية، فإن دراسة حديثة حول نص الإدريسي وعلى غيرها من مذكرات الأحداث التى جرت فى تلك الأزمنة، تدفعنى إلى الاعتراف بأنه لا توجد فى وثائق القرن الثانى عشر دلائل تشير إلى التقسيم الإدارى لصقلية إلى ثلاثة أقسام، الذى كتبت أظن أن الملك روجيرو قد قام بتجديده وأحيائه (2).

(1) المرجع المذكور، الفصل السابع، تحت الأسماء المذكورة.

(2) تناولت هذا الموضوع فى الكتاب الثانى، الفصلين السادس والثانى عشر، وفى الكتاب الرابع، الفصل الرابع؛ وفى الكتاب الخامس، الفصل العاشر: المجلد الأول، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ وما بعدها، وص ٥٢٠ وما بعدها؛ والمجلد الثانى، ص ٢٨٠ وما بعدها، والمجلد الثالث، ص ٣٠٦ وما بعدها. وثلاث مرات يظهر أننا نمسك بطرف الخط فى وصف الإدريسي ولكننا سرعان ما نفقد أثره. هاتين ديمونى لا يمكن أن يتأيل الوادى، لأنه هناك الكثير والكثير من الوديان فى الجزيرة، ولا يمكن أن يبنى أراضى بلدية، لأن الإدريسي لا يصف ديمونى، ولا يذكرها فى مكان آخر غير هذا. ثم يبدو بعد ذلك أننا نجد المتأيل فى كلمة عمل وهو لفظ يبنى ما يكون تحت الحكم ويضاف إليه؛ حتى أن هذا اللفظ قد ورد فى نوتو (ص ٢٧ من النص)، فمبها ذو مساحة واسعة وإقليمها يتمتع بطروف ممتازة؛ ويبدو أن الشكل يصبح شيئاً فى كاستروچوفانى. فهو عمل ذو مساحة شاسعة وإقليمها ذات ظروف طيبة؛ وقد يظهر هذا الجنس والسجع أن العمل كان يمكن أن يضم إقليم عدة. ولكن عمداً لفظاً عمل وإقليم يترددان فى الأفراد، للإشارة إلى مارسالا؛ وما هى إقليم مازارا وثرابانى القسيحة، التى لا يطلق عليها عمل (ص ٤٠) وإقليم تشيفالو، كالاناسورو، وكالاتوبو، وليكانا وشكا، التى كانت بمثابة المدينة عاصمة إقليم وأعمال تلك الأنواع، من هنا يمكن أن نخلص إلى أن هذين اللغتين لم يكن لهما معنى فى صقلية، مثل المعنى الذى كان لهما فى مصر (انظر المجلد الثانى، ص ٢٨٠، هامش رقم ٥) أو أن يكون الإدريسي قد استخدمهما حسبما ارتأى، أو أن يكون عدد الأقاليم اثنان فقط فى صقلية الشرقية، وأن يكون عددها كبير جداً فى المنطقة الواقعة غرب كاستروچوفانى، واعتقد أن النظام الذى اتبعه الإدريسي فى وصف المدن

وذلك استناداً إلى ما ذكره جريجوريو. وإن لم تمدنا وثائق أخرى بمعلومات أكثر دقة، فهنبقى الاعتقاد أنه تحت حكم النورمان تم تقسيم صقلية إلى أقاليم أو مراكز عديدة مختلفة الانتماء بل ولعلها كانت قابلة للتعديل والتغيير(1).

ونستقي من الإدريسي معلومات أكيدة عن توزيع السكان على أراضي الجزيرة. فقد تم إحصاء ثلاثين بلداً في الجزيرة مع استبعاد - كما ينبغينا إلى هذا بوضوح محرر الأخبار - الضيعات، والعزب

الداخلية الصغيرة بقودنا إلى هذا الافتراض الأخير. وسيكون مهم ما أقوله سهلاً وميسوراً لو أننا قرأنا وصف الإدريسي مع الاستانة خريطة تضع على البلاد ههنا علامات بالوان مختلفة، نغيرها كلما رجع الكاتب إليها. وهكذا فسوف نرى قال ديموني. وهو آخر مكان في الوصف، يتميز تميزاً واضحاً من وادي نوتو وهو قبل الأخير، غير أن الألوان قد تضاعف وتكثر غرب سالسو ونهر نورتو. فقد أخذ الكاتب بجول هناك ويطوف لهدف ما، لا أظنه ينعصر في تتبع طرق الاتصال. فبعد انطلاقه من بالرمو، كما يقول متجهاً صوب كاستروجوفاني، يتوقف عند ثلاث الطريق على الضفة الغربية لنهر نورتو، حيث يمر إلى جهات على بعد حوالي خمسين كيلو متراً ناحية الغرب، ولا يسلك طريق كاستروجوفاني قبل أن يتطوع في اتجاهات عديدة الجانب الأكبر من وادي مازارا. ولكنه لا يقوم بوصف كل البلاد والأنهار التي تتبع ذلك الوادي في التقسيم الثلاثي للجزيرة. إنني اتحدث دائماً من المدن الداخلية، نظراً لأن تلك المدن الساحلية موصوفة بالترتيب، بدءاً من بالرمو في اتجاه الشرق والعودة من الجانب المقابل. دون أية إشارة لأي إقليم فيما عدا إقليم ديموني. والذي نعرف أين يبدأ ولا نعلم أين ينتهي. الآن، بعد ترتيب البلاد الداخلية على أن الوصف قد تم على أوراق أو نقاوير جزئية، لا ندرى مواقع تحريرها. ولم يتبع بالتأكيد في عهد الملك روجيرو، التقسيم القديم لإمبراء، والذي جده الإمبراطور فديريكو. حيث يتوقف الكاتب في المرة الأولى عند نهر نورتو. وليس عند النهر الكبير، أي عند نهر إمبراء الشمالي. ثم يمر بجناز من جديد إمبراء الجنوبي أي نهر سالسو بحيث يوصلنا نعتقد أنه، قبل وادي نوتو، يبرد وصف ما يعرف في بداية القرن الخامس عشر باسم فال جريجنشي وكاستروجوفاني. أو بالأحرى أنه يجناز الواحدة تلو الأخرى المحافظتين اللتين يطلق عليهما معاً هذا الاسم في القرن الخامس عشر. ويتضح التقسيم الإداري إلى أربعة أودية، أي الثلاثة أودية الشهيرة جداً وادي جريجنشي وكاستروجوفاني، في إحصاء عام ١١٠٨، الذي نشره جريجوريو في *Biblioteca aragonesa*. الجزء الثاني، ص ٤٩٠ وما بعدها.

(1) انقل عن صديقي العلامة أليزيوريو لا لوميا، مدير محفوظات المكتبة الصقلية، أنه من بين الوثائق التي وجدت حتى شهر سبتمبر سنة ١٨٧١، تعود الوثيقة الأولى التي تضم التقسيم الإداري للأودية الثلاثة إلى عام ١١٧٧.

والأراضي الصغرى. وإن طفنا بالمائة وثلاثين بلد نرى أن واحدة وثلاثين منها وأغلبها ساحلية، كان بها أسواق، أى وفقاً لعادة الشرق وأوروبا في المصور الوسطى، أحياء يسكنها حرفيون يمارسون المهنة نفسها أو باعة يبيعون السلعة نفسها، وكانت إحدى عشرة بلدة تتباهى بحماماتها(1)، من بينها بلدة واحدة فقط داخلية، وكان ببالرمو متاجر يمتلكها تجار كبار(2)، وبالرمو نفسها ولنتيني ومارسالا كانت بها فنادق(3)؛ أما ككتانيا وسيراكوزا ومازارا ومارسالا فكان بها خان(4)؛ وبالإضافة إلى بالرمو ومسينا وككتانيا وسيراكوزا كانت كاستروجوواني، ونوتو، وبوتيرا، وجرجنتي وكاريني تتميز بالقصور والمعاني الكبيرة؛ وكانت مازارا معروفة بشوارعها الضيقة. والضيقات الزاخرة بالمعدات والمباهج حول حمامات سيجستانى(5). ومن بين الجزر الصغيرة المجاورة، كانت جزيرة مالطة وبنتلاريا مأهولتين بالسكان طوال العام؛ أما جزيرة ليبارى فقد كانت مأهولة في مواسم وفصول معينة ولكن كانت بها هي أيضاً قلعة(6)؛ أما الجزر الأخرى فتبدو غير مسكونة إذ لا يذكر وجود سكان أو زراعة بها على الرغم من الحرص على اكتشافها. كما يبرهن على هذا وصف موانئها ومياهاها العذبة والأخشاب الموجودة بها، وتردد السفن عليها التي

(1) بالرمو وقرميني وتشيفالو وسان مازكو والوليفيري وككتانيا وسيراكوزا ومازارا ومارسالا وكاريني وأديرنو.

(2) يذكر النص جميع لفظ حانوت ولكنه يشرحه بصورة الغضل فيما بعد. استخدمت في الترجمة لفظ (مخازن) *magazzini* حتى القرب من المعنى المتداول لدينا حالياً. على الرغم من أن هذا اللفظ، وهو عربي أيضاً، له في الأصل معني مختلف.

(3) يقصد بها المتاجر وفنادق التجار الأجانب. وهي منشآت كبيرة مثل منشآت أهل بيزا وجنوة والبنطانية في الدول الإسلامية. وكما نعرف أن الكلمة الإيطالية *fondaco* مشتقة من تلك الكلمة ولكن يختلف معناها. ويشير استخدامها الآن في صقلية، كما أيضاً في تونس، إلى فنادق الدرجة المتواضعة جداً المخصصة سواء للناس أو للوالب.

(4) هذه هي الفنادق المخصصة لمسافري القوافل في الشرق. أرى أن الإدريسي يستخدم كما يحلو له تسميات الأنواع المختلفة من الفنادق والحوانيت.

(5) الإدريسي في وصف تلك المدن.

(6) المكتبة، ص ٢٢.

اعتادت البحث عن ملاذ لها فيها عندما يكون البحر هائجاً(1). ونقرأ في دهشة عن هجر حصن أريتشي المنيع، وتركه دون فرقة حراسة مسلحة أو حارس واحد وكان يدعى حينئذ جبل حميد(2)؛ في حين يروى عنه ابن جبیر، بعد ثلاثين عاماً، أن الحراسة عليه كانت شديدة(3). ويذكر كتاب روجيرو أنه كان يوجد بداخل حصن چاتو سجن سري خاص بمن يرتكب جريمة في حق الملك(4)، ويذكر أن سكان كلتابلوتا قد نُقلوا إلى شكا، وبقيت بها حامية صغيرة(5)؛ ويخبرنا الكاتب أن حصن قلعة - الصراط، الذي يرجع إلى عهد جوليزانو في العصور الوسطى أو كولليزانو، كما تحلو كتابة هذا الاسم، قد دُمّر. بأمر من الملك وتم نقل سكانه إلى موقع ضئيف(6). ولا تشير الأخبار إلى هذه الواقعة، ولكنها تتفق حول المأساة الأليمة التي استمرت قائمة لسنوات عديدة بين الملك روجيرو وراينوفو كونت اقلينو، زوج إحدى أخواته وعدوه اللدود. وقد اختفى اليوم من عداد البلديات ثلاثون بلداً من المائة والثلاثين، ولم يتبق منها سوى اسمها الذي أطلق على بعض الضيعات أو على بعض القلاع المهجورة والمتهدمة غالباً. وتوجد معظم هذه المدن في بالرمو وتراپاني وچرجنتي، أي فيما كان يطلق عليه اسم وادي مازارا(7). وإذا

(1) المرجع المذكور، ص ٢٢ إلى ص ٢٥.

(2) المرجع المذكور، ص ١٢.

(3) المرجع المذكور، ص ٩٥.

(4) المرجع المذكور، ص ١٥. يذكر النص «سجن مطبق»، أي مطبق. مطبق دون شك بقية ومن المحتمل أن يكون سجناً تحت الأرض.

(5) المرجع المذكور، ص ١٠.

(6) المرجع المذكور، ص ٦٣.

(7) اندلرت من منطقة بالرمو المواقع الأتية: بوركاد (قلعة بروكاتو)، صيطرة الحرير (روتشيللا، أي كاسيو فيلتشي بالقرب من تشيفالو) خزان، يهترانا، چاتو، كلاترازي، قلعة الطريق، رابا، مرجانا، خامسو، منزل سندی، كلاتامارو، حراكا، مكارا، ريكا - بازيلي ومجموعها ١٥. بينما لا توجد في تراپاني: الأسنام (أي سلينونشي) كلاتوي، رجل المارت، ميراچا، رجل القاهد، رجل الارمل، قصر بن منكود ومجموعها ٧؛ وفي چرجنتي، ثلاثة وهي: بلاتانو، جاردوتا وكركودي، وفي كلتاهسيتا: بلدة واحدة وهي تافى، وفي كلتاهيا

التي لنا نظرة على إحدى الخرائط الجغرافية نجد الخراب الكبير الذي لحق بهذه المدن في نهاية القرن الثاني عشر والتصف الأول من القرن الثالث عشر.

ويقودني هذا إلى توضيح امر آخر اهم واخطر. فيمد جمع كل أسماء الأماكن المأهولة التي وردت في الكتابات الجغرافية أو التاريخية وفي الوثائق، منذ بداية القرن الثامن وحتى بداية القرن الخامس عشر، فإننا نلاحظ في صقلية أكثر من ألف تجمع سكاني ما بين كبير وصغير؛ ولعله يمكن أن نستبعد من هذا الرقم حوالي اثني عشر تجمعاً تكررت اسماءها، غير أنه ينبغي إضافة عدة مئات من الأسماء المجهولة حتى الآن، أو التي ضاعت تماماً مع الكثير من الوثائق العامة والخاصة. فهي مقابل ألف مكان وأكثر التي نعتقد انها كانت مأهولة بالسكان في أكثر العهود ازدهاراً في صقلية في العصور الوسطى. أي في عهد جوليئمو الطيب. نجد خمسمائة وستين تجمعاً عمرانياً من بلديات وقرى، عند نهاية حكم أسرة البربون. ونلاحظ اختفاء نصف العدد على أقل تقدير (1). وإذا

اختفت ثلاث بلاد وهي: قلعة الفار. وملجا خليل وشيلانا. وهي سيراكوزا اختفت بلدة كاسيباري وهي مسمية كاييزي. مينانثي. منجايا. وميكوش وجميعها أربعة. ولكن ربما تكون ميكوش اليوم هي مدينة مندانيتشي أو فيوميدنيزي. وقد تكون منجايا هي فلورنسا أو نورنويتشي. وكذلك الحال بالنسبة لسوماتينو التي يبدو أنها حلت محل كركودي. وربما محل جاردسوتا، وكاستلبرنو أو سانتومورو بدلاً من ريكا بازيلى. وهي مكان كانسو أو على مقربة منها، ثم إنشاء تشيغينا. وبناء عليه يمكن أن ينخفض عددها من ٢١ إلى ٢٨. أي ٢٢ هي وادي مازارا و٦ هي صقلية الشرقية.

(1) انظر مقدمة كتابي، *Carte Comparée de la Sicile*. باريس ١٨٥٩. ص ٢١ وما بعدها. وص ٢٧ وما بعدها. والفهرست الطبوغرافي الذي استخلصت من الكتاب ومن الوثائق. ونمت إلى علمي بعد ذلك أسماء أماكن أخرى كانت مأهولة في العصور الوسطى. وينبغي اعتبار عدد كبير جداً من هذه الأسماء مفقود أو لم يتم اكتشافه بعد. ويمكن بالفعل معرفة عدد لا بأس به من هذه الأسماء من الدراسات القليلة التي ظهرت بعد كتابي هذا؛ ومن هذه الأعمال سوف أذكر فقط *Le Mem. Stor. Agrigentine* للسيد المحامي جوزيبي بيكوني، ١٨٦٦ - ١٨٧٠. وخريطة صقلية الجميلة جداً والتي نشرتها منذ وقت قريب هيئة الأركان حرب الإيطالية. هي هذه الخريطة. وعلى الرغم من الأخطاء الكثيرة التي وردت في كتابه أسماء الأماكن، يتم التعرف جيداً على الأسماء التي

افترضنا الآن أن تعداد سكان صقلية الحالي يعادل تعدادهم في القرن الثاني عشر. وهذا ما اعتقده بلا خوف من الوقوع في خطأ جسيم، لأن العدد زاد بسرعة في خلال المائة عام الأخيرة. يتضح أن السكان الذين انتشروا قديماً في الأرياف تجمعوا في الأراضي الكبيرة؛ مما يعني تدهور الزراعة في ذلك الوقت. ومن الأمور المعروفة جداً، في الحقيقة، أن الجانب الأكبر من الملاحين في صقلية يسكن بعيداً عن الأراضي الزراعية، أي إنه تهدر ساعات كثيرة من اليوم أو أيام كثيرة من الفصل الملائم للزراعة، وأن الجزء الأكبر من أراضي صقلية تنتج أقل بكثير مما يمكنها إنتاجه، هذا مع احتفاظها بكل الظروف الحالية الأخرى وهي ليست بالظروف الجيدة بالتأكيد. وفي رأيي أن هذا الانهيار الاقتصادي قد بدأ مع المضايقات التي أثرت ضد المسلمين في أواخر عهد جوليئمو الثاني؛ ثم ازداد رويداً رويداً بفعل الأحداث المتعاقبة. وقد عمل هنريكو الثاني الفيلسوف والمدير الحكيم على دفع هذه الأزمة بقوة، وبالتأكيد لم تُشن حروب الغروب الصقلية بهدف تضييد ذلك الجرح الفاتر؛ الذي اتسع أكثر فأكثر أثناء الفوضى الإقطاعية في القرن الرابع عشر. وأصابته الفرغرينة ليصل إلى نقطة ميئوس منها تحت الحكم الأسباني، وتحت حكم البارونات وامتلاك أوقاف كثيرة. وجهد أن نأمل في أن يؤدي نمو التجارة في عصرنا وتزايد قيمة الأراضي

---

نعود إلى العصر الإسلامي والتي أطلقت بالطبع على النجوع والقرى أو القلاع، إذ أن هذه الأسماء مركبة من الفاظ رجل، ومنزل، وقلمة، ومن ناحية أخرى، نستخلص عدد البلديات والقرى الحديثة من أخبار رسمية قد يكون بها بعض الأخطاء، ولكنها غطاء تُعد على أصابع اليد الواحدة. كان في صقلية، مع بداية هذا القرن ٢٥٤ بين مدن وأراضي ومنازل كما نشرنا في مقدمة *Il Nuovo Dizionario geografico* إلخ الخاص بصقلية لجوزيب إيمانويل أورثولاني. بالرمز، ١٨١٩.

ويضم *Lo Stato Generale delle Poste*، بالرمز، ١٨٢٩، والذي تم فيه تصحيح تكرار الأسماء المتشابهة والأخطاء التي حدثت القرى على أنها بلديات. يضم ٢٥٧ بلدية و ٢٠١ قرية. وطبقاً لإحصاء عام ١٨٦١، كان عدد البلديات هو ٣٦١؛ والآن يبلغ عددها ٣٥٩ بسبب اعتداد الأعداد الصغيرة من السكان الانضمام إلى بلديات أكبر أو انفصالهم عنها.



بالإضافة إلى تزايد قوة الحياة الوطنية الجديدة، وجو الحرية الذي تنعم به، والقوانين المدنية الحكيمة، وتشجيع الدراسات ومناخ الأمن العام، إذا ما اتبعت فرصة تدعيمه، نأمل أن تؤدي كل هذه العوامل إلى عودة السكان إلى الأراضي الزراعية من جديد، بعد أن عانوا مشقات الحياة في المدينة.

ويظهر تفرع النسبة بين عدد سكان المدن وعدد الفلاحين، وهي صحيحة في مجملها، ولكن دون تفاصيل، وقد استقيناها من مراجعة أسماء الأماكن، يظهر بمنتهى الدقة في أراضي چاتو وكورليونى وكلاترازي، المذكورة من بين المائة والثلاثين مدينة وقلعة التي قام روجيرو بوصفها في كتابه. ولما كان جوليلمو الثاني قد وهب هذه الأراضي إلى دير موريالى عام (١١٨٢). فلدينا في وثائق الربة كل ما يخصها من معلومات عقارية، حيث يظهر واضحاً أن هذه الأراضي المتاخمة وهي ثلاثة كانت تضم ما بين خمسين قلعة ونجع. والمساحة التي تقدر بالف كيلو متر مربع تقريباً، مقسمة اليوم بين أراضي اثني عشر بلدية، احتفظت منها بلدية كورليونى وحدها باسمها القديم (١): وهو الأمر الذي يبرهن على التقلبات الاجتماعية في تلك النواحي من الجزيرة. ثم أن نسبة البلاد الثلاث الكبيرة مقابل الخمسين الصغيرة في القرن الثاني عشر. والخمسين قلعة أو نجع آنذاك، مقابل الاثني عشر بلدية في وقتنا الحالي، لا يمكن بالطبع تطبيقها على كل المناطق الأخرى في الجزيرة: وعلى الرغم من هذا كله، يجدر

(١) البلديات الحالية هي الأتية: بورچيتو، القرن الرابع عشر: باركو القرن السادس عشر (٩): سانتا كريستينا، القرن السابع عشر: چوردانو، القرن الرابع عشر: كورليونى، كامبو فيوريتو، القرن السابع عشر: كونتيسا، القرن الخامس عشر: روكامينا، القرن التاسع عشر: كامبونىالى القرن الثامن عشر: سان چوزيس باتو (أو دي مونتيلي) القرن الثامن عشر: بيانا دي جريشسى، القرن الخامس عشر: فالجوارنيرا، القرن السادس عشر: ثمت الاستمارة بتواريخ تأسيس البلديات أو القرى بـ *Dizionario topografico* لؤلؤه أميكو مع إضافات المترجم السيد دي مارتسو.  
وبشان مساحة الأرض، انظر ص ٥١٢ من هذا المجلد.

الانتباه إلى أنه بهذه الطريقة قد يفدو ضمناً عدد الألف مكان المأهول بالسكان التي احتوت عليها أخبار العصور الوسطى، والذي قد ينضاعف أو على الأقل يزيد بنسبة النصف (1).

وإذا تناولنا منابع الثروة العامة، وهي مقدمات الثروة المعدنية، فإننا ندرك النقائص والثغرات غير القليلة في كتاب روجيرو. والكتاب يشير إلى الحديد الذي يستخرج من جبال مسينا ويصدر إلى البلاد المجاورة (2)، ويشير أيضاً إلى الملاحات في تراباني (3)، وإلى الصخور الصوانية في أراضي كلاتوبو (4)؛ ولكنه يغفل منتجات تجارية أخرى مشابهة، ذكرناها عند الحديث عن الفترة السابقة، ومن غير

(1) يمكن القول، افتراضاً، أنه لو كانت ثلاثة بلاد من المائة والثلاثين بلد كبير في القرن الثاني عشر قد قسمت إلى خمسين تجمع سكاني أصغر، لكان مجموع هذه التجمعات 2166 على امتداد كل الجزيرة؛ وأنه لو أن مساحة أراضي 12 بلدة قائمة حالياً كانت تضم في القرن الثاني عشر خمسين تجمعاً من هذه التجمعات السكانية الصغرى، لكانت مساحة أرض الـ 361 بلدية في عام 1861 يشغلها في القرن الثاني عشر ما يزيد عن 1500 تجمعاً، أنا لا أقصد تطبيق قاعدة الثلاثة على الخريطة الطبوغرافية المقارنة؛ ولكننا نلاحظ كيف أن النسب تؤكد الرقم الذي تم استخلاصه من قائمة الأسماء التي أنوع لنا جمعها، وأضيف إلى هذا أن الاختلاف الشاسع في الظروف المنطقة بالأعراق والطبوغرافية، والذي يستمد في حالتنا هذه صحة هذا النسب، لا يخلو أيضاً من بعض المميزات، على سبيل المثال فإن الأراضي الثلاث المذكورة، ومعظمها ينتج قمحاً، لم تكن تسمح بوجود مزارعين كثيرين بمقدار ما كانت تسمح به العدائق في المدن الكبيرة؛ ومن ناحية أخرى، فإن تلك الهضاب والتلال التي زرعها مسلمون كانت معرضة لتشتلات سكانية أكبر من التي شهدتها الجبال التي تكتسوها الغابات بقال ديموني والتي سكنها المسيحيون بصفة مستديمة، لذلك تصبح عناصر الحساب أقل خطأ، وهو الأمر الذي لا يظهر جلياً للوهلة الأولى.

(2) المكتبة، ص 21.

(3) المرجع المذكور، ص 11.

(4) المرجع المذكور، ص 12. يميز الإدريسي بين نوعين من الصخور الصوانية: يدعى النوع الأول الصخور المائية والثاني *Felsis* أي فارسية، وأنا لا أجد هذا التسويع عند القزويني. وقد لاحظ صديقي العلامة الأستاذ ج. ج. جيميلارد، وهو جدير بالشأن لأبحاثه الجيولوجية الهامة عن صقلية، لاحظ بالقرب من كلاتوبو، والكامو وكلاتافيس، تكوينات ممتدة من الحجر الرملي الذي يصبح صخراً صوانياً متنازلاً في مناطق معينة.

المعقول أنها قد نضبت(2). وفضلاً عن ذلك فإنه لم يتحدث عن الكبريت والبترول. وهنا يمكن الاعتقاد بأن إغفال التقرير الرسمي لهما كان أمراً مدروساً، لإخفاء المكونات التي تدخل في تركيب النار اليونانية على قدر الإمكان(2)؛ لأن أحمد بن عمر العذري أو العذري قد وصف استخراج هذين المعدنين، والعذري هو بالتحديد أحد كتّاب الجغرافية الذين ذكرهم الإدريسي في مقدمته(3).

وعلياً للمكان الذي ذكره أحمد، ونجده في استشهادات كاتبين أكثر حداثة، فإن الكبريت الأصفر في سقليّة، وهو أفضل من أي نوع آخر يُستخرج من أي بلد آخر، كان يوجد في إتنا، أو في جزيرة هولكانو في راي آخر، وكان يستخرجه رجال متمرسون مهرة في هذا المجال. وأحياناً كان يحدث أن يميل الكبريت، فكان عليهم عندئذ حفر حفرة له وعندما يتجمد السائل كانوا يقطعونه بالمعاول. ويضيف أحمد أن عمال المناجم كانوا عادة ما يتعرضون لسقوط شعر رؤوسهم وأظفارهم بسبب طبيعة ذلك المعدن الساخنة الجافة، على حد قوله، وفقاً للمعتقدات الفيزيائية في ذلك الوقت(4). ويذكر أحمد معلومات أدق

(1) انظر الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص 162 - 161 من المجلد الثاني.  
(2) لا تحتوي الأخطاء على دلائل تشير إلى أن النورمان في سقليّة قد استخدموا النار اليونانية. مع ذلك يمكن افتراض هذا الافتراض، إن علمنا أن أسطول الزيريين بالمهيدية كان على حوالة بذلك السر، كما أن هنالك ما يدعو للاعتقاد بأن مسلمي سيراكوزا لم يجهلوه. انظر كتابنا الخامس، الفصل السادس والكتّاب السادس، الفصل الأول، ص 167 و 161 من هذا المجلد.

(3) انظر الفصل العاشر من هذا الكتاب، ص 167 من هذا المجلد.  
(4) هذه المعلومات التي أفاض في ذكرها ابن شهاب وأوجزها القزويني، نسبها الأول إلى أبي الحكم بن خلفه، ونسبها الثاني إلى أحمد بن عمر. وليست لدينا أصلاً لهذه الكتّابين أو ترجمة لهما، اللهم إلا أن ابن شهاب يقول عن أبي الحكم أنه يكمل مسيرة اليكري ويصرح بذكر نبذات موزنة عنه. وأن الإدريسي يذكر الكتاب الثاني من بين كتّاب الدراسات الجغرافية التي درسها الملك روجيرو. وعلى العكس من ذلك، كُمد المعلومات الخاصة باستخراج البترول أكثر استهفاءً ودقة في القزويني، الذي يذكر دائماً هفترات مأخوذة عن أحمد، دون أن يذكر أنه يقوم باختصارها. إن تطابق الأحداث والكثير من الكلمات لهم أقوى برهان على أن النص واحد. ولما كنا لا نعرف بمدى كم جيل من اليكري قد علم ابن خلفه، وأنه من المؤكد أن أحمد قد كتب قبل عام 1161، فعلينا أن ننسب

عن «زيت النفط»: إذ قال إنه كان يتدفق في شهر شباط(1) وفي الشهرين التاليين، داخل آبار معينة قريبة من سيراكوزا، وأنه كان يمكن الهبوط إلى داخل هذه الآبار بواسطة درجات، وكان الرجل يلثم وجهه ويسد فتحتي الأنف جيداً، لأنه لو تنفس داخل البشر لemat في الترو والحظة؛ وأنه بعد أن يقوم الرجل بجمع السائل كان يترك في أحواض، ومن ثم كان الزيت الذي يطفو على السطح يوضع في أواني وبعد ذلك يكون جاهزاً للاستخدام(2). ويبدو لي هذا الوصف مقنعاً. غير أنه ربما تنقص البداية في عملية استخراج الكبريت، ويتم الخلط بين الانصهار وحادثة حريق أحد المناجم. هذا وأرى إنه حدثت بعض الأخطاء في تحديد المنطقة التي يوجد بها الكبريت، ويشير ابن غلندة بوجه عام إلى المياه المعدنية في صقلية(3)، ولا يتحدث الأدريسى إلا عن المياه المعدنية بمدينة نى سچستيا(4) وثرميني(5). وهي مقابل ضالة الصناعة المعدنية، نستطيع أن نذكر رخاء قطاع الزراعة، وهو الأمر الذي أكدته كل الكتاب، كما أكد ذلك الرواج التجاري الكبير الذي شهدته صقلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. ويسهب الأدريسى في الحديث عن خصوبة أرض الجزيرة. كما إنه لا يغفل التفاصيل، إذ يشير بوضوح إلى الأراضي الممتدة

---

إليه الوصفين، طالما لم يصلنا دليل على عكس ذلك. وهكذا تعود الرواية إلى التصف الأول من القرن الثاني عشر.

(1) يقابل هذا الشهر السوري شهر فبراير،  
 (2) هارن الروابن في المكتبة، ص ١١٢ و ٢١٠. وطبقاً لرواية الفروني، الذي يذكر نص أحمد بن عمر، فإنه كان يتم فصل البنول في أوعية تسمى الأجابين، ثم يوضع في الثوابير، ويستخدم ابن غلندة، أو من قام بتلخيص مؤلفه، يستخدم في التعبير عن الأوعية الأولى، لفظاً قراء فليشر قصعه.  
 (3) المكتبة، ص ٢١٠.

(4) المرجع المذكور، ص ١٢. في ذلك الوقت كانت هناك قلعة مشيدة بالقرب من العيانات وكانت تدعى على اسمها قلعة الحمأ. وقد كتب الاسم في وثيقة ترجع إلى عام ١١٠٠ Calathameth.

(5) المرجع المذكور، ص ٢٠.

الصالحة للزراعة هي ثمانين قرية من بين المائة والثلاثين التي يذكرها. صحيح أنه لا يحدد أنواع المحاصيل، قمحاً كان أو أنواعاً أخرى من الحبوب أو البقول؛ وصحيح أنه في بعض النقاط يلزم جانب العموم. كما يستخدم، من جملة المصطلحات الأخرى، مصطلحا مبهما يضارع في لغتنا كلمة حاصلات زراعية. ويذكر أن طبيعة الأرض الحارة في ريف أنشي تجعل الحصاد مبكراً عن بقية أراضي صقلية (1). وفي أكثر من ثلاثين قرية متفرقة عبر كل الجزيرة، يتحدث الإدريسي عن البساتين، أو الحدائق وعن وهرة الفواكه، ويشير إلى مزارع الكروم في خمس منها فقط. وهي كارونيا وأوليشيري، وحصن المدارج (كاستيللا ماري) وباتيرنو وكايبيتسي؛ مما يؤكد - في رأيي - أن زراعة العنب كانت ضئيلة في صقلية على مدار ذلك القرن، (لا أنني لا أعتقد بأي حال من الأحوال أنها كانت تقتصر على الأماكن المذكورة فقط) (2). ولعل الكاتب قد قصد الحديث عن زراعة العنب أيضاً عندما كان يذكر الحدائق بصفة عامة؛ وفي اعتقادي أن الشئ نفسه ينطبق على مزارع الزيتون، فلم يذكرها الإدريسي إلا في وصف بنتلاريا (3).

(1) المكتبة، ص ٢٥. يبدو لي أنه، في ذلك الوقت كما هو الحال اليوم أيضاً، كانت هناك مدن عديدة على سفح إيتا الشرقي تحمل اسم أنشي. حيث إن المدينة المذكورة في النص العربي لا يجب أن تكون. ويبدو منها اسم أنشي واضحاً جلياً. ومسبوفاً باداة التصريف الإيطالية لجميع المذكور. راجع الكتاب الثالث، الفصل الرابع، في المجلد الثاني، ص ٨٨، هامش ١.

(2) المرجع المذكور، ص ٢٢ و ١٩ و ٥٩ و ٦٦. راجع الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٥٧ من المجلد الثاني.

(3) المرجع المذكور، ص ٢١. بالتأكيد لم تكن صقلية تشج كميات كبيرة من الزيت في العصور الوسطى. انظر الإشارة التي ذكرناها في هذا الشأن الاقتصادي في الكتاب الثاني، الفصل المباشر، ص ١٧٥ من المجلد الأول؛ وارجع إلى الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٥٥ - ١٥٦ من المجلد الثاني، ولتذكر بصفة خاصة وثيقة عام ١١٢٤ في كتاب يريو، *Sicilia Sacra*. ص ٩٧٥ وفيها يُصرح لدهر السلفاتوروي في مسينا تصدير ٢٠٠ حمل من القمح إلى أفريقيا *ad emendum oleum et reliqua* "مُستلزمات الزيت، والبقايا التي في أفريقيا" *necessaria eis, quae in Africa sunt* وفي وثيقة ترجع إلى عام ١٢١٩، في كتاب

ومن ناحية أخرى فإن زراعة الكروم والزيتون التي ذكرها فالكاندو<sup>(1)</sup> بصورة جلية يمكن أن نفترض ازدهارها، وليس مجرد بدايتها هي نصف القرن الذي يفصل بين هذين الكاتبين. ويذكر فالكاندو كذلك حقول الخضروات في بالرمو. والآلات ريبا<sup>(2)</sup>، ولما لم يكتف بقوله إن الحداثق كانت تنتج كل أنواع الفواكه، فهو يفرد مكاناً لذكر أندر الأنواع بالنسبة لشخص قادم من وراء جبال الألب<sup>(3)</sup>، بينما لم تكن كذلك بالنسبة للإدريسي. وقد راح هذا، كما اعتقد، يحدد ويصنف الأنواع التي يفضلها السوق، فذكر كاريني فقط التي كانت تُصدر إلى بلاد كثيرة المكسرات والفواكه المجففة مثل اللوز والتين والخروب<sup>(4)</sup>، وكانت أراضي سان ماركو تنتج الحرير بكميات وفيرة<sup>(5)</sup>؛ كما كان يتم تصدير كميات وفيرة من الكتان من نوعية ممتازة من مدينة ميلاتسو<sup>(6)</sup>، وكان يُزرع بكثرة في أراضي مروية في جلاتي<sup>(7)</sup>، ويمكن أن نضيف إليها كذلك أراضي راجوزا<sup>(8)</sup>، ويقول الإدريسي إن زراعة القطن كانت منتشرة ومعروفة للغاية في أراضي بارتينيكو، وكذلك زراعة نبات الحنة وهو نبات يستخدم في الصباغة

مونجيثوري *Sacra Domus Mansionis... monumenta* يانسي ذكر مزرعة زيتون سان جوفاني دي لبيروزي بالقرب من بالرمو. المناخسة للأراضي المزروعة بالتفاح.

(1) في كتاب كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ١٠٨.

(2) في كتاب كاروزو، الموضوع المذكور.

(3) المرجع نفسه. كانت توجد في البساتين زراعة الخيار والطبخ والشمام؛ وفي الحداثق كان هناك الرمان، والبرتقال، وأشجار النارج، وأشجار الليمون والبنقل واللوز والتين والخروب.

(4) المخطبة، ص ١٢.

(5) المرجع المذكور، ص ٢٢.

(6) المرجع المذكور، ص ٢٣.

(7) المرجع المذكور، ص ٦٥.

(8) وثيقة سيلسترو كونت مارسيلو، الصادرة في عام ١١١٠، في كتاب دي جروسيس، *Decacordum*، كتابها، سنة ١٦١٢، الجزء ١، ص ٧٧.

ويستخدمه العرب بكثرة، فضلاً عن زراعة أنواع أخرى من البقول(1)؛ ونستدل من إحدى الوثائق على وجود زراعة للقطن أيضاً في الأراضي المجاورة لكتانيا وذلك في عهد الملك روجيرو(2)، أما عن الحنة والنيلة فنعرف أنه كان هناك تفكير في عهد الإمبراطور فريديكو لزراعتهما في فافارا (الفوارة) بالقرب من بالرمو(3)، وربما امتنع الإدريسي، المعتمد على السفر إلى أفريقية والشرق، عن ذكر مزارع النخيل في بالرمو؛ غير أن أوجو فالكاندو تلاحظ النقص في روايته(4)؛ ومن المعروف جيداً أنه في القرن الثالث عشر كانت هناك عناية كبيرة بعثائق النخيل التي كانت تمتد من فافارا حتى شاطئ أوريتو(5)، وأنه في عام ١٢١٦ قطع الجنود الانجويين الذين قدموا لحصار المدينة ذلك النخيل(6)، الذي لم يتبق منه الآن سوى النذر

(1) المكتبة، ص ١٢. يسمي العرب نباتات البقول، القطنية وفي صيغة الجمع القطاني؛ ويضد لاني هذا الرأي، *Lexicon*، الكتاب الأول، ص ١١٠، العمود الثاني، تحت مادة، *giullingid*، وفي معجم *Vocabulista in arabico*، ص ٥٢٢، تحت مادة *vicia*، وتطلق المخطوطة العربية، باريس، *Ancien Fonds*، ص ٧٨، ورقة ٦٦٦ وجه ثان نفس الاسم أيضاً على البقول التي كان يتغذى بها في أيام العمود رهبان دير سولفي نيجرو، بالقرب من الطليقية. انظر أيضاً كتاب رياض النفوس، مخطوطة باريس، *Ancien Fonds*، رقم ٢٥٢، ورقة ٥٠ وجه أول.

(2) وثيقة عام ١١٨٠، التي ذكرناها في الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ٤٥٩ من المجلد الثاني، ملحق ٥، كان القطن يزرع في بوليا وفي صقلية في أوائل القرن الرابع عشر، كما يشهد بذلك مارينو سانونو *Secreta Fidelium Crucis*، الكتاب الأول، الجزء الأول، الفصل الثاني.

(3) وثيقة ١٥ ديسمبر ١٢١٩، عند برهولتز، *Hist. Diplom. Friderici II*، المجلد الخامس، ص ٥٧١ وما بعدها.

(4) فالكاندو، في كتاب كاروزو، المرجع المذكور، ص ١٠٨.

(5) وثيقة عام ١٢١٩، المذكورة منذ قليل.

(6) نيكولو سيبشالي، الكتاب السابع، الفصل التاسع و *Anonymi Chronicon Siculum*، الفصل ٢٦، في دي جيوجورجو *Biblioteca aragonesa*، المجلد الأول، ص ١٧٢ والمجلد الثاني، ص ٢٠٧، ويشير إلى بساثن النخيل في فافارا في وثائق صدرت في أكاديمية ماجوني *Commenda della Magione* من عام ١٢٥٨ وحتى ١٢٦٧، ويخبرنا موريللانو بهذه التواريخ في *Elenco delle pergamene della Magione*، ص ٢٧ وما بعدها و ص ٤١، ٤٢ وما بعدها و ص ٥٢ و ٥٤ و ٥٧. ومن الملاحظ أنها أراضي

## اليسير المتناثر هنا وهناك.

ولابد من الإشارة إلى أن الكاتب قد أغفل زراعة قصب السكر وصناعة السكر ونسى ذكرهما نسياناً واضحاً. ولما كان يتم استهلاك سكر صقلية في عاصمة أفريقية وبالتحديد منذ النصف الأول من القرن العاشر (1)، وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر، فإن هالكاندو لا يشير إلى قصب السكر فحسب، وإنما أيضاً إلى صناعة المولاس وإلى تكرير السكر (2)، وتذكر وثيقة من القرن الثاني عشر معاصر قصب السكر (3)، وتوضح إحدى وثائق القرن الثالث عشر الاهتمام والعناية التي كان يوليها الإمبراطور هنريكو لتجديد معامل تكرير السكر في بالرمو (4). واستمرت زراعة قصب السكر وصناعة السكر في صقلية حتى أكثر العهود تدهوراً في تاريخها الاقتصادي (5)؛ ومن غير

منوحة في بساتين التخليل، ومعظمها مخصصة لزراعة الكروم. ويشير وثيقة أخرى ترجع لعام ١٢١٦، نشرت في الجزء نفسه، ص ٢١١ - ٢١٦ إلى بستان التخليل نفسه الذي كان يمتد حتى الجسر المعروف بجسر الأميرال.

(1) إن الافتراض الذي أوردته بالفعل في الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٥٦ من المجلد الثاني، هامش ٢، تؤكد طريقة نقلها في رياض النفوس مخطوطة باريس، Ancien Fonds، رقم ٧٥٢. وهي طريقة غابت عنى عندما تصفحت تلك المخطوطة القيمة الثمينة، وقد نقلها لي صديقي العلامة الأستاذ دوزي بعد فترة قصيرة، كان أبو الفضل وهو فقيه شهير من فقهاء القيروان الأصوليين الذين كانوا يحققون أشد المقت الدولة الفاطمية الجديدة، أرجع قطعة حلوى كان قد أهداها إياه أحد الأساقفة، لأنه ظن أن القطعة قد أعدت بسكر صقلية، وهو نتاج أراضي منحها للمتبسب، ولذا كان المتشككون المداقون يعتبرونه محسولاً من أصل غير شرعي فلا يمكن شرائه أو قبوله هدية.

(2) في كتاب كاروزو، Bibl. sicula، ص ١٠٨.

(3) وثيقة أغسطس عام ١١٧٦، في كتاب بهزو، Sicilia Sacra، ص ١٥٢.

(4) وثائق بتاريخ ٢٨ نوفمبر و ١٥ ديسمبر ١٢٢٩، مذكورة في هذا الكتاب، الفصل الثامن، ص ٦١٨ من هذا المجلد.

(5) تناول جريجوريو هذا الموضوع في كتاب طبعه في ص ٧٥٢ وما بعدها من طبعة عام ١٨٥٢، وفيه نقرأ أن زراعة السكر احتفظت بأهميتها في صقلية حتى نهاية القرن الخامس عشر؛ ثم تدهورت في القرن السادس عشر. عندما عرفت في العالم الجديد زراعة قصب السكر، ويقال أن هذه الزراعة قد انتقلت من صقلية إلى جزر الكناري، وانتشرت تماماً في أوائل هذا القرن. وقد شهد سارينو ساتونو في كتابه،



المعقول أن تكون هذه الصناعات قد أدخلت إلى البلاد في عهد الملك روجيرو. ولا يتحدث الإدريسي كثيراً عن الغابات؛ فهو يذكر «البنيت» Binit في بوكيري. ويشرح كيف تقابل في المربية غابة الصنوبر (1)؛ ويشير إلى القطران وإلى القار الذي كانت تصدره آتشى (2)، وإلى تجارة الأخشاب الواسعة في رانداتسو (3)، وإلى بناء السفن في سان ماركو باستخدام الأشجار التي تقطع من تلك الجبال (4). أضف إلى هذا طبقاً لرواية عالم جغرافيا من القرن الثاني عشر وعالم آخر من القرن الثالث عشر، الصمغ من بنتلاريا المستخرج من شجيرات الصمغ الصغيرة والاصطرك العطري (5). أما زراعة البرتقال والمواالح الأخرى والتي لم ينسب الإدريسي عنها بكلمة، فقد ذكرها هالكاندو باستفاضة مستشهداً بوثيقة من القرن الحادي عشر وبالشعراء العرب الذين تغنوا بمدح الملك روجيرو (6).

*Secreta Fidelium Crucis*. الكتاب الأول، الجزء الأول، الفصل الثاني لإنتاج السكر في صقلية في أوائل القرن السادس عشر. ونجد معلومات أكثر استفاضة لدى برتولوميو دي باري، في كتابه *Tariffa de' pesi e misure*. إلخ. فينيسيا، ١٥٤٠. الورقة ٦٠ الوجه الثاني، والورقة ١٥٢ الوجه الثاني والورقة ١٨٧ الوجه الأول وهي أماكن أخرى كثيرة. وفي كتاب *Pratica della Mercatura* فينيكو الأوزاني (١١١٣). في كتاب *Delle Decime*. إلخ. المجلد الرابع، ص ١٦٦ و ١٦٥. وفي رأي أن جيوجيرو لم يعلم بأمر هذين الكتابين القيمين عن التجارة في إيطاليا والذين يرهنان على الدور الذي لعبته صقلية في هذا المضمار.

(1) المكتبة، ص ٥٧.

(2) المرجع المذكور، ص ٣٥.

(3) المرجع المذكور، ص ٦١.

(4) المرجع المذكور، ص ٣٢.

(5) الزهرى وابن سديد. في المكتبة العربية - الصقلية، ص ١٥٩ و ١٦١. يذكر الكتاب الأول أن صقلية كانت تصدر الجوز وأبو هريرة إلى أفريقيا، فضلاً عن تصديرها كميات كبيرة من القطن والاصطراك والمرجان إلى دول عدة. وترجع هذه الأخبار إلى القرن الثاني عشر وهي مأخوذة من مخطوطة الزهرى. الورقة ٤٥ الوجه الثاني والورقة ١٦ الوجه الأول حينما كان الكتائب يوجد بالقرب من غرناطة عام ٥٢٢ هـ (١١٢٧). ولذلك ينهني تصحيح الخبر الذي ذكرته عن الزهرى في المقدمة، في ص ٨٢ من المجلد الأول. (6) انظر الفصل السابق ص ٢١٦ من هذا المجلد. والكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٥٦ من المجلد الثاني.

أما بشأن الرعي، فكما هو الحال بالنسبة للزراعة، علينا ألا نتجاهل إغفال ذلك الكاتب للأخبار، أو اكتفائه بالإشارة إليها من بعيد؛ حيث أنه لا يشير إلى المراعى أو إلى قطعان الأغنام ولا إلى قطعان الماشية، إلا في الفصول التي تحدث فيها عن مالطة<sup>(1)</sup>، وعن رحل المرات<sup>(2)</sup>، ومينيو<sup>(3)</sup>، وجوليزانو<sup>(4)</sup>، ومونتاليانو، ومانجايا<sup>(5)</sup> وجالاتي<sup>(6)</sup>. ولكنني أرى أنه لا داعي من الإتيان بأدلة تثبت أهمية هذا القطاع من النشاط الزراعى في صقلية في القرن الثانى عشر؛ يكفي أن نذكر وثيقة الإمبراطور فديكو التى تشهد كيف كان بيت المال، في عهد جوليلمو الثانى، يؤجر للمسلمين عدداً كبيراً جداً من الماشية بنوعيهما المستأنسة وغير المستأنسة<sup>(7)</sup>. ومن ناحية أخرى يعوض بييترو ديبولى النقص في كتاب روجيرو، فيمدح في قصيدته الجياد الصقلية الأصيلة، التى كان يمتلكها في هيبه وجلال نبلاء سالرنو<sup>(8)</sup>؛ إذ نرى في القرن الثانى عشر استمرار السلالات التى حظيت بالمدح والإشادة في القرن الحادى عشر<sup>(9)</sup>. وتدفعنا العناية التى كان يوليها الإمبراطور فديكو لتربية الجمال في مالطة

(1) المكتبة، ص ٢١.

(2) المرجع المذكور، ص ١٦. طبقاً للمسافلات عند الإدريس، كانت هذه الأرض، الغريبة حالياً، تقع وسط البلدين العديتين قبلتاً وروكاسينو في وسط قال دي مازارا.

(3) المرجع المذكور، ص ٤٢.

(4) المكتبة، ص ١٣.

(5) المرجع المذكور، ص ٦٥. انظر الهامش ٧، ص ٧٢٢ من هذا الفصل، بشأن هذه الأرض التى ربما لم يتغير سوى اسمها.

(6) المرجع المذكور، ص ٦٥.

(7) وثيقة ٢٥ ديسمبر عام ١٢٢٩، المذكورة سلفاً في الفصل الثامن من هذا الكتاب، في ص ٥٨٢ من هذا المجلد، الهامش رقم ٢. انظر لدى برهولتز، *Historia Diplomatica*، إلخ، المجلد الخامس، ص ٥٠١، ورسالة أخرى بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٢٢٩، بشأن قطعان ماشية من أملاك الدولة كانت تؤجر للمسلمين السراينة.

(8) انظر الاستشهاد الخامس ببييترو ديبولى، في الفصل السادس من هذا الكتاب، ص ٥٢٩ من هذا المجلد، الهامش رقم ١.

(9) انظر الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٥٧ من المجلد الثانى، هامش ٢ - ٣.

إلى الظن بأن تلك الحيوانات كانت لاتزال منتشرة في مالطة (1). وعلى حد قول الإدريسي، كان يتم إنتاج العسل في مالطة وكتناجيريون ومونتالبانو (2).

كان مرجان تراباني عالي الجودة يحتل المرتبة الأولى بين المنتجات البحرية، ويلاحظ وفرة بل «غزارة كمية الأسماك التي كان يتم صيدها من هذه المياه» على حد قول الإدريسي. ونذكر من هذه الأسماك سمك التونة الكبير، كما يسميه، وكانت له شباك واسعة كبيرة (3). ويذكر بالمثل شباك سمك التونة على سواحل بائي سيجستاني (4): ويذكر كذلك شباك الصيد التي كانت تستخدم في صيده في ميلاتسو (5)، والكميات الكبيرة التي كانوا يصطادونها في أوليفيري (6): والشبكة الملقاة في البحر أمام كارونيا (7). وسمك التونة الذي كان يتم صيده من ميناء ترميني أو ميناء ترابيا لا أعرف على الوجه التحديد (8). وهو لا يشير إلى فرد الشباك لصيد التونة لا على الساحل الشرقي أو على الساحل الجنوبي، ولا حتى إلى صيد الأسماك الصغيرة في بحار أخرى سوى بحري تراباني وكتانيا.

(1) وثيقة بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٢٣٩، لدى برهولز، *Historia Diplomatica*. إلخ، المجلد الخامس، ص ٥٢٤. هذه الرسالة موجهة إلى شخص يدعى باولينو من مالطة. وكان قد أرسل. بناماً على أمر الإمبراطور، ثمانية جمال إلى كاتيشانا وأبقى على ثلاثة منها في مالطة لكن يحافظ على تكاثر السلالة.

(2) المكتبة، ص ٦١ - ٥٥ - ٦٥.

(3) المكتبة، ص ٤١.

(4) المرجع المذكور، ص ١٢.

(5) المرجع المذكور، ص ٢٢.

(6) الموضع المذكور.

(7) المرجع المذكور، ص ٢٢ - ٦٥.

(8) المرجع المذكور، ص ٢٠. يذكر النص، بعد وصف ترابيا، بالمحل (في المذكور)، أو قد نقول «ضاحية». يذكر أنه كان يتم صيد التونة من «مينائها» والمفترض أنه يقصد ترميني التي تناولها بالحدث قبل هذا. وأطلق عليها في المؤلف *Kalaf*، أي «حصن - قلعة». غير أنه يتم صيد سمك التونة اليوم من ميناء ترابيا وليس من ترميني. لذا يُفترض خطأ النص في نوع الضمير وليس تحول مسار تلك الأسماك.

ويتحدث أيضاً عن الراى الذى كان يظهر فى الربيع فى نهر ترمينى(1)؛ وعن الأسماك الكبيرة والشهية التى كان يوفرها نهر سيميتو(2)؛ وأنواع أخرى عديدة ووفيرة كان يتم صيدها من نهر لنثنى وإرسالها لكل مكان(3)، وأسماك نهر سالسو، السمينة ذات المذاق الطيب(4)، ويبدو أن نهر اوريتو الفقير فى موارده كان هو أيضاً وفير الصيد بالمقارنة بحاله اليوم، إذ كان الإمبراطور فديريكو يطالب لصالح بيت المال بهاجز لصيد الأسماك أقامه سرأ رهبان ترينيتا دى بالرمو(5).

والتريمة التى تقابل فى معناها «المرجع» وقد حولناها إلى ترابيا، كانت بمشابة بيت ريفى أنيق ورغد على حسب وصف الإدريسي: فقد كانت ينابيع المياه الكبيرة التى تندفق هناك عند سفح الصخرة.

(1) المرجع المذكور، ص ٢٠. قام م. دى ساسى، فى ترجمة عبد الطيف، ص ٢٨٥ وما بعدها، بكتابة هامش سبب للغاية عن سلك الراى فى مصر، ومنه تنتهى إلى أن هذا النوع لا يشبه أى سلك آخر فى أنهار أوروبا، كما لا يعطيه م. جوهروا دى سانت هيلار اسماً أوربياً فى *Histoire naturelle des poissons de l'Egypte*. (وصف مصر، التاريخ الطبيعى، الجزء الأول، ص ٥٠). وإن كان السيد دى جوج يترجمه إلى سلمون فى ترجمة النسل الذى تحدث فيه الإدريسي عن إفريقية، ويستشهد كذلك بالفقرة المذكورة قبلًا فى المكتبة العربية، الصقلية، فإنه يقصد بالترجمة النوع وليس النسيطة. القصد نوع *Salmo*. وهو واسع الانتشار فى نظام لينيو وأيضاً نظام كوشيه؛ وليس المتصور نسيطة *Salmo vulgaris*. إلخ. المصروفة جداً فى أوروبا باسم سالمونى أو سارمونى. سومون-سلمون. لأكس. إلخ. ربما يخلق الأمر هنا بعضاً ألسان من السلمونيات (سلك التروقة) وهو ليس بنادر فى أنهار صقلية. يلاحظ أن لفظ سلمون الذى يترافق به سلك السلمون فى مصر (انظر بطر تحت لفظ «سومون» و *Dizionario arabo e italiano* بولاق، سنة ١٨٢٢، ص ١٧١ و ٢١٢)، نجد له بعداً عند الإدريسي، بصفته اسم النهر المسمى حالياً جافاريلو الذى ينبع من منف فى صقلية ويصب شرق ميناء بالو، المكتبة العربية - الصقلية، ص ٥١. (2) المكتبة، ص ٢٥.

(3) المرجع المذكور، ص ٣٦. يتحدث الإدريسي بوضوح عن النهر ولا يشير أبداً إلى البصرة؛ التى ربما لم تكن موجودة آنذاك؛ والتى بالتأكيد لم يتم تسميتها إلا حديثاً.

(4) المرجع المذكور، ص ٢٩.

(5) وثيقة بتاريخ ١٢ مارس ١٦١٠، كتاب برهوللز، *istoria Diplom. Federici II* المجلد الخامس، ص ٨٢٠.

تحرك طواحين كثيرة؛ وكانت هناك أبنية واسعة مخصصة لإعداد مكرونة إطرية أو بمعنى أوضح المكرونة وبمصنف خاصة القرميشيلي(1). وكانت تشحن بها بواخر وترسل إلى كلابريا وإلى مدن أخرى كثيرة يقيم بها مسيحيون ومسلمون(2)؛ ومن هنا يتضح كيف كانت الصناعة الأهلية تضاعف من قيمة ما ينتجه النشاط الزراعي وتمثل مورداً لمزيد من الأرباح للتجارة والنقل البحري.

وهناك معلومات أخرى قليلة نستخلصها من الإدريسي بشأن الصناعات الأهلية، وهي معلومات تخص الحرفيين وأصحاب الغنائات على حد سواء، والأسواق التي استرعت انتباهه في مدن وأراض عديدة(3). ثم يشير أيضاً إلى مهارات فنية أخرى اظن أنه من بين من يمارسونها من نطلق عليهم اليوم فنانين وذلك في جرجنتي ومازارا والكامو ونارو وكاستروجوواني ورائداتسو(4)؛ وكما هو معلوم للجميع أنه إذا كان الكاتب لم يتحدث عنها في وصف المدن الرئيسية، فربما لأن الأمر كان يبدو له غير ضروري؛ كما لا يجب أن ننسى أنه ما كان ليبني أبدأ إعداد جداول إحصائية دقيقة بالمسطرة والفرجار كما نفعل نحن. ولكنه كان يبني بالأخص التباهي والتفاخر بأنافة اللغة والأسلوب. لذا فعلياً أن نبحث عن التفاصيل في كتابات أخرى أو

(1) في المزمع تتميز المكرونة الطويلة غير المتقوية، والتي يطلق عليها قرميشيلي دي ثريا بأنها زهية إلى حد كبير. انتقل ذلك المصطلح إلى الأسبانية أيضاً وهو *el tria*. ونجد عند دوزي وانجلمان، *Glossaire, etc.* وينسر القاصوس مصطلح *tria* على أنه «طعام من الدقيق على شكل خيوط»، وكانت الخيرية على هذا النوع من المكرونة تشكل جزءاً من الحقوق الضريبية في عهد النورمان. انظر جريجوريو-*Considerazioni*. الكتاب الأول، الفصل الرابع، هامش ٢١.

(2) المكتبة، ص ٢٠.

(3) انظرهما تقدم في ٧٧١.

(4) جذر هذا اللفظ هو «صنع»، وتشتق منها المفردات «*arsena* دار الصناعة، *arsenale* الترسانة، إلخ. وتشتمل دوماً على فكرة الصنعة والفن، بقدر لا يقل عن فكرة العمل المادي ويتحدث الإدريسي عن هؤلاء الصناع، من حرفيين أو فنانين، في وصف المدن المذكورة في صفحات ٣٩ و ٤٠ و ٤٩ و ٥٢ و ٦٤.

فيما بقي من صناعات يدوية هامة وصلت لحسن الحظ إلى أيامنا هذه. وحتى الوقت نفسه الذي تم فيه جلاء المسلمين عن صقلية، نرى في ميلفى وكانوزا ولوتشيرا، نجارين، وعمال تطعيم، وصناع أسلحة، وحرفيين في مجال المشغولات الحديدية الدقيقة، ومعلمين آخرين مسلمين، يدفع لهم الإمبراطور فديريكو رواتبهم إلى جانب عامله القائم على أحد مراكز إعداد وتكوين المتخصصين في حرفة ما، فضلاً عن عماله المختصين برؤوس الجمال، وبصناعة رؤوس الفهود للطراقات والمنجنيق، إن صحت قراءتي (1).

ولدينا أيضاً أسماء هؤلاء وأولئك المرصعين ويبدو أن جميعهم صقليون (2). ويبدو أن لفظ ترصيع نفسه، وهو عربي صرف، قد انتقل من صقلية إلى شبه الجزيرة الإيطالية، مما يدل أفضل من قول أي كاتب على أن ذلك الفن قد ازدهر أولاً في الجزيرة. وإن لزم الأمر وجود شهادة أخرى، فلدينا عُلْب حُلَى مطعمة وبها نقوش كتابية عربية مازالت محفوظة في صقلية (3): وإن كان لا يزال هناك أي شك،

(1) وثيقة بتاريخ ٢١ فبراير ١٢٤٠. في كتاب برهولتز: *Historia Dipl. Federici II*. المجلد الخامس، من ٧٦٤. نقرا بعد البير *et Tabaccorum*: وهو لفظ غير معلوم في اللغة اللاتينية في المصور والوسطى. مما دعا العلامة برهولتز إلى التفكير في أن الأمر يتعلق بـ *تباوكلات* أخرى، أطلق عليها هذا الاسم الذي قد يكون مأخوذاً من لفظ هريس أو فارسي. وأرى أن أقرب لفظ إلى الصيغة هو الآتي: *et Tabuccorum*. وقد تعمقنا في موضعه عن *trabucchi* أي عن المنجنيق الذي كان يستخدمه سراسنة لوتشيرا حتى نهاية القرن الثالث عشر.

(2) وثيقة بتاريخ ١٥ أبريل ١٢٤٠. في كتاب برهولتز، الجزء المذكور، ص ٩٠٥. والمرصعون هم: المعلم يوفاني، المعلم جريكو وعبد الله الطادم. ويذكر معهم معلم اسمه فيكارديو *tappetarius* ويبدو أن هذا الألماني كان خادماً وليس صانع سجاد، إذ كان العمل المنسوب إليه هو ترجمة حرفية للكلمة العربية «فراش» التي وردت في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٢٢ من هذا المجلد، هامش رقم ٢.

(3) على سبيل المثال، صندوق الحلى المزخرف فائق الجمال الطامس بكتيبة بلاتينا في بارمو وعُلْب عديدة من الناح الممشق وواحدة منها خاصة بدير سان مارتينو دي سكاليما الذي تم إلغاؤه، وهي محفوظة الآن في متحف بالرمو الملكي. ويستند العالم م. دي فونجبييه (*Revue archéologique*) لعام ١٨٦٥، بعنوان مقاله: (*Vase arabo-Sicilien de l'auteur Salémon*) يستند أن علية الحلى الماجية

فيمكن أن نكشف عما تبقى من كتابتين ونقشين كبيرين ورائعين على الرخام الأبيض بأحجار كريمة ملونة على طريقة ما يسمى اليوم بالفسيفساء الفلورنسي<sup>(1)</sup>، وليس ثمة فرق بينه وبين الترصيع على الخشب أو العاج سوى ما يتعلق بالمادة المستخدمة. لقد عرفت صقلية في القرن الثاني عشر، كما هو معلوم للجميع، فن المشغولات على الرخام السماقي ولا تدل عليه فقط الأضرحة الملكية في كاتدرائية بالرمو، وإنما أيضاً الخزاف الكثرة في الكنائس النورماندية، بالإضافة إلى إحدى المشغولات الدقيقة بالغة الصعوبة، وهي كأس عميقة مخصصة للشرب، مزودة بمقبضين، وكانت محفوظة في كنيسة بالاتينا في بالرمو حتى أوائل القرن الرابع عشر<sup>(2)</sup>.

ومن يعي كم هي حديثة هواية جمع أدوات المائدة التي ترجع إلى العصور الوسطى، سوف يجد لي عذراً إن كنت في هذا الفصل الخاص بالصناعة في صقلية، اتطرق إلى الموضوع ليس دون إثارة بعض الشكوك، ثم انتقل إلى موضوع آخر. إن الجرار وأباريق الفخار هي جرار وأباريق من بالرمو من صقلية دون أدنى شك، وهي تتنوع في أحجامها وأشكالها، ولكنها غير متقنة الصنع، وبعضها مزود بغطاء ثابت به ثقب، ومعظمها استُهلك داخل الأفران، ولعل استنتاج أنه تم العثور على عدد قليل

الموجودة هي كاتدرائية بايوه هي أيضاً صناعة صقلية والعلة مزينة بقطع من الفضة فضلاً عن نقوش ذهبية، وأعمال ترصيع وتلميع الفضة بكتابة معقودة بالعربية. (1) أهدى الفخر الملكي إلى متحف بالرمو الملكي أولى هذه القطع: أما القطع الأخرى فهي مشقة كلها في وضع مقلوب في البوابة الكبرى بكنيسة البشارة دي كلالاني في مدينة مسينا وكذلك في إحدى نوافذ تلك الكاتدرائية. وقد قمت بنشر هذه القطع في *Rivista Sicula* لها عدد أغسطس ١٩٦٩، المجلد الثاني، ص ٩٢ وما بعدها وص ٩٩ و١٠٠.

(2) لا ترد استشهادات عن العزوتين الأولين، وهي قائمة جرد كنيسة بالاتينا، لعام ١٣٠٩ (رقم ١٢، *Tabularium, etc.*)، نقرا في ص ١٠٢: *"Item cannatam unam de porfido cum manicis, munitam in ore de argento deaurato"* ونقرأ في قائمة جرد أخرى، مذكورة بالهامش رقم ٢٠ في الوثيقة نفسها: *"Phiale de porfido cum manicis vacua"*. وكلمة *Cannata* في لهجة صقلية تعني أبريق كبير من الفخار، مزود بمقبض وعلى الجانب المقابل يوزن يستخدم في صب النبيذ.

منها أثناء هدم كنيسة سان چاكومو لا مارينا في بالرمو عام (١٨٦٤)، ثم تم استخراج بضعة مئات منها من فوق قباب المارتورانا، أثناء العمل في تجديد هذا المبنى القيم الذي يرجع إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر. ويعتقد الفنانون أن وجود هذه العادة الضام غير المألوفة كان معاصراً بالضرورة لوجود المصانع الأولى. ومهما كانت جودة هذه الصناعة، فإننا نلاحظ في تلك الأواني الفخارية نقلاً غير متقن لأقوال مأثورة وزخارف ونقوش عربية، ولهذا فإنها ينبغي أن تنسب إلى الأزمان التي كانت تحتفظ فيها الجماعات الإسلامية بلفتها، ولملها ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر أو ربما أيضاً إلى القرن الثالث عشر (١).

واتفق في الرأي مع المتخصصين في مجال الخزف في العصور الوسطى والحديثة، أنه كان هناك بصقلية منذ عهد المسلمين مدرسة للخزف، على الرغم من أنني لا أثق بالكامل فيما يقوله باثمو القطع الأثرية الذين يعرفون هذه أو تلك القطعة (2) بتاريخ وموطن

(1) قد يكون المهندس جوزيب باتريكولا هو الذي قام بنشر رواية المنور على هذه الأواني بكل تفاصيلها. وهو يعمل بلا كلل أو ملل في تجديد كنيسة جورجو الأنطاكي الأثرية. وهزيل ما أضيف إليها ويخلو من أي جمال أو ذوق ويعود إلى العصور اللاحقة. اعتقد أن العبارة العربية التي أرادوا محاكاتها هي: لله الملك وهي عبارة شائعة جداً في الأدب الإسلامية. وهي العبارة نفسها التي نقرأها على أواني مازارا والتي سوف نذكرها في المباحث رقم 3.

(2) انظر ماريات، *A History of pottery etc*، لندن عام ١٨٥٧، الطبعة الثانية، ص ١٤ وما بعدها، وديمين، *Guide de l'amateur des faïences etc*، الطبعة الثانية، باريس عام ١٨٦٢، ص ٢٠٨ وما بعدها، والمؤلف نفسه، *Histoire de la Céramique en planches phototypiques*، باريس، تحت الإعداد للنشر.

وهي هذا العمل الأخير والذي يشتهر بالصور التوضيحية، يتناول ديمين *Livraison 13*، ص 25، المعروسة «المستقلة الإسلامية». وتسود الحظ فإن إنشاء المطارة الفخيم جداً والذي يعود، طبقاً لراي المؤلف «إلى ما بعد فتح روجيرو التورماندي عام ١٠٥٨» وتظهر حول حافته كتابة باللغة العربية وممتلئة «المجد للمخلصين»، لا يعود هذا الإناء إلى عصر التورمانديين؛ ومن ثم فإن النقش الموجود وهو جلي جداً في الشكل، لا يقول شيئاً. فهو ليس إلا حرفي الألف واللام وحروف عربية أخرى ضاع شكلها. وهو إن دلَّ على شيء إنما يدل على ضم أو ابتلاع أو غلب اللغة العربية في البلد التي صنع فيها هذا العمل. وربما يرجع العمل إلى القرن الخامس عشر، مثل العمل الآخر في الشكل نفسه ومثل عمل آخر في الصورة رقم ٢٦.



محدد، غير أنني أستطيع أن أقول إن من أقيم المصنوعات التي رأيتها على الإطلاق، إناءي مازارا الرائعين ويبدو لي أنهما من إسبانيا، سواء من الجزر الأسبانية أو من شبه الجزيرة نفسها<sup>(1)</sup>. ثم أنه من الضروري أن أنفي نسبة بعض القوارير العربية الأنيقة جداً المخصصة للصالونات والصوانات والتي قد يمتد لأول وهلة أنها صقلية الصنع، لأنها كانت شائعة جداً في مجموعات صقلية وندادة في غيرها من المجموعات في أوروبا. ويبدو أن التاريخ المكتوب على معظم هذه الأواني يعود إلى أوائل القرن الرابع عشر، وكانت البقية الباقية من المسلمين قد خرجت من صقلية قبل ثلاثة أو أربعة أجيال، وإن كانت قد بقيت تعاليد صناعاتهم وهنونهم، فلقد تلاشت اللغة ولم تعد تُذكر أو حُجب أصلها<sup>(2)</sup>.

(1) رأيت هاتين الزهرتين في مازارا، عام ١٨٦٨. والزهرية الأولى كانت في بيت التيبيل الوفور السيد جوفاني بورجو دي كوني بالاثيني، والثانية في حجرة الأواني المقدسة بكنيسة مادونا ديل برايزو، وهي كنيسة صغيرة تقع عند بوابات المدينة. والزهرتان مصنوعتان من الفخار المطلي بالفضيات، وكل واحدة يتجاوز ارتفاعها حوالي متر وهي مزودة بمقبضين وتنتهي بشكل مدب مثل الجرافات العتيقة.

وتتشابه الزهرتان إلى حد كبير سواء في الشكل أو في الصنعة. ولكلها تشابهان في الشكل فقط مع الإناء الشهير الذي يطلق عليه الهميرا. وهي منتصف الزهرية تقراً بحروف كوفية كبيرة وجميلة «الله المله»، وحول حقل الزهرية التي يمثلها بورجو بتكرار التلظان «رخاء وتماؤه بشكل غير محدد: وهي الأوعية للمائدة التي تظهر في الكليات الزخرفية، سواء في صقلية أو في غيرها من الدول الإسلامية وتظهر كذلك وبوضوح تام في إناء الهميرا وإن كان مع تمثيل بسيط. وحروف هذه الزهرية حروف نسخ وليست حروف كوفية، كما تختلف أيضاً في توزيع النقوش الزخرفية وفي لون الطلاء، وهو اللون الأخضر، والأبيض والذهبي، هذا بينما تظهر بوضوح على الطلقة البيضاء في أواني مازارا الحروف والتصميمات بلون بني مخضب ولامع وكأنه أحد المعادن.

(2) شأعت نحو مائة من هذه الأواني، في مجموعات المتحف الملكي في بالرمو، ومتحف دير سان مارينو وبيت ترويا، والمجموعات المنتقاة الخاصة بالاستاذ ساليانس، ومتحف بيمكاري في كاتانيا، وبيت بيبولي في تراباني، وعلى الرغم من تنوع الأشكال ودرجات اللون وهو الأبيض دائماً في الطلقة. وتتميز الخزاف والنقوش وكلها جميلة ذات نطق عرس أصيل، فإن هذه الأدوات تكون مجموعة تمتاز عن أية صناعة خزفية قديمة، خاصة بالمصور الوسطى أو بالمصر الحديث. ويرجع ذلك إلى الرقة المتنامية واللغة التي جعلها تبدو كأنها صنعت من الورق إن جاز هذا القول، ولقد فتد عدد قليل

ونرى في متاحف صقلية، كما في متاحف أوروبا الأخرى كافة، اقتداحاً من البيروني أو النحاس من تلك التي يستخدمها المسلمون في الشرب، وأحواض كبيرة أو صحناء من نفس المعدن، ولكن ليس من دليل يدعونا إلى اعتبارها تنتمي إلى الصناعة الصقلية، بل على العكس، فإنه إذا كانت مثل هذه القطع ترجع - كما هو معتاد - إلى القرن الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر. وحيث أنها تشبه تماماً تلك القطع المعروفة جداً في سوريا ومصر، يصبح من الممكن أن نفترض وصولها إلى صقلية من خلال التجارة، كما حدث في مناطق أخرى في إيطاليا، وبالأخص في إقليم توسكانا<sup>(1)</sup>. ومع ذلك نستخلص أن

من بين الأعداد الكبيرة التي رأيتها العلامة الدالة على محل الصنع، بينما وجدت في الأدوات الأخرى ثمان طرق نشير إلى مكان الصنع. وكان التاريخ في معظمها ممسوحاً في حين ظهر اسم الصانع أو التوعية التي تنسب عمل طين، طين محتوى، أو ما يمكن أن نقوله كائنة (طينة غير مسامية) وطين عمل (أي طينة مشككة). وفي أدوات أخرى يظهر اسم إبراهيم، وفي غيرها اسم هلمس ولا أعرف إن كان هذا اسم علم أم اسم مكان. وبالرغم من أن يالما، الواقعة بين كابودي سكانها وكابودي سانت الهمبر، مكتوبة في مخطوطات الإدريسي بطريقة نعتم قراءتها هلمس، فيبدو لي أنه لا يمكن التفكير في هذا المكان سواء بسبب التاريخ الحديث الموجود على الأواني، أم لأن الصلصال المحتوي بها، كما استخلص من الألسان العلامة المجتهد ج. ج. جيميلارو، لا يمكن إطلاقاً أن يستخدم في صناعة أواني غير صناعية، وهو في ذلك يماثل صلصال شكاً وجرجنتي الذي يستعمل في صنع الأواني المسماة الخاصة بنزويد المياه، مثل الدورق في مصر. ويشين على أن أنه إلى أن م. فحين نشر صورة إحدى هذه الجرار في كتاب *Histoire, etc* السابق ذكره. (اللوحة ١٢، صورة ٢٢، بين أواني مصرية متقدمة تعود إلى عهود بعيدة جداً، ويدون ذكر تاريخ، فقد نسبها مباشرة إلى صناعة قنا (مصر العليا). وأسمع لنفسي أن أضيف، مع الاعتذار للكاتب، أنه، حسبما أرى في الصورة الواضحة جداً والمطبوعة طباعة تصويرية، فالإناء ليس عليه أية علامة صناعية، ربما لأنه قد تم ترميمه بعد تعطله، كما سبق أن رأيت في المتحف من هذه الأواني في صقلية.

(2) كان وجود الاقتراح النحاسية ذات الكتابات النهرية مألوفاً للغاية في مدينة فلورنسا حتى عام ١٨٦٠: فلقد كان الكثيرون من أصحاب المجال يحتفظون فيها بالمعاملات المعدنية، وكان بالو الآثار يبيعونها بسعر منخفض، وكان استخدام هذه الاقتراح على ما يبدو ضارباً في التاريخ في توسكانا. ونقرأ في حياة سان رانيري، *Acta Sanctorum*. الجزء الثالث ٤٤٨ (١٢ يونيو)، أن امرأة من بيزا اسمها داليتا أحضرت إلى رانيري "unceolum opere saracenico factum" راجية الرجل الصالح أن يبارك للمياه الموجودة به. ولقد تروى سان رانيري عام ١١٦٠.

مسلمى صقلية كانوا يقومون بتشغيل المعادن بجودة ومهارة عالية. ويمتلك متحف اللوفر إبريقاً صغيراً من النحاس، على شكل طاووس مكتوب على صدره العبارة الآتية: *Opus Salomonis erat*، مسبوقة بصليب، وتحت هذه العبارة، مكتوب باللغة العربية، صنع عبد الملك النصراني، أي المسيحي. وعالم الآثار الذي عرض هذا الإبريق يرجعه إلى القرن الثاني عشر وإلى صقلية، سواء بسبب شكل الحروف، أم لتواجد العبارتين اللغويتين وكذلك بسبب ارتداد الصانع المسلم، وأيضاً بسبب تشابه هذا الإبريق مع إبريق أخرى تنتمي إلى الفن العريس - الصقلي. وإضافة إلى هذا يدلل الكاتب من خلال أمثلة كثيرة على أن «صنع سليمان» كان يعنى حينذاك «صناعة دقيقة». ويؤكد أن شفاطاً رقيقاً لا يزال يتبقى أثر منه، كان مثبتاً على ظهر الطاووس حتى يتسنى دخول الهواء من الشفاط عند صب الماء من المنقار ومن ثم إحداث صغير(1). وتعرض قاعة القطع الأثرية بباريس كاساً من البرونز مطعمة بخيوط من فضة تكون أشكال حيوانات وزخرفة ذات طابع عربي، ويحمل الكاس في الدوائر الثلاث المعتادة، بدلاً من الأقوال العربية المأثورة. شعار أحد رؤساء اساقفة موريالي في القرن الرابع عشر: وقد أحسن العلامة واضع الكتالوج إذ يعزو هذه القطعة الأخيرة إلى المدرسة العربية بصقلية(2). ونرى في هذه القطع البرونزية الباريسية رمزاً للمرحلتين الأخيرتين التي مرت بهما الصناعة العربية الصقلية: المرحلة الأولى عندما تحول المسلمون إلى دين المنتصرين وتعلموا لغتهم الرسمية، دون أن يكفوا عن ممارسة لغتهم الأصلية: أما المرحلة الثانية فكانت عندما احتفظ

(1) *Vase arabo-Sicilien de l'œuvre Saléman*, تاليف م. أ. دي لونغيرير، *La Revue Archéologique*، عام ١٨٦٥.

(2) شابوييه *Catalogue général des Camées etc. exposés dans le Cabinet des médailles et antiques*، باريس، ١٨٥٨، رقم ٢١٩١. من ٥٤٨. وصاحب الشعار هو بارولو دا روما، رئيس اساقفة موريالي (١٢٧٩ - ١٢٩٢): ومن هنا يمكن اعتبار الكاس مصنوعاً في بالرمو.

المسلمون بأصول فقههم حتى بعد أن تغيرت لفقههم ودينهم إلى أن اجتذبتهم في القرن السادس عشر النجم الأكبر الذي كان يبرز في سماء شبه جزيرة إيطاليا.

سبق أن أشرنا إلى الطراز الملكي في بالرمو (1)، وكانت تُنسج فيه المفروشات الحريرية وتطرز، كما يؤكد هالكاندو (2) بالتحديد، وإن لم تكن قد خرجت إلى النور، بعد صدور المجلد الثاني من كتاب التاريخ هذا، دراسة عميقة على صور شعارات الإمبراطورية الجرمانية القديمة التي تحتفظ بها هيئتنا، لما قدمنا عنها الآن سوى لمحة سريعة؛ ومعظم هذه المجموعة عبارة عن تطريزات وأقمشة صنعت في صقلية (3)، وتدعونا المعلومات الوفيرة إلى تناول هاتين الصناعتين كل على حدة، وإلى العودة إلى ما قبل الفترة التي تناولناها بالحديث في الكتاب الرابع.

يبدو لنا، بما لا يدع مجالاً للشك تقريباً، أن الحلة التي أهداها متمرد بوليا الكبير إلى الإمبراطور أريجو الثاني، هي من صنع طراز بالرمو. ونحن نشاهد بإعجاب هذه الأيام ما تبقى منها في كاتدرائية بامبرج (4)، وبالفعل يشبه التصميم في مجمله التصميم الخاص برداء الملك روجيرو، ويعود رسم القبة السماوية، المصورة على الرداء مع بعض الإشارات الفلكية، يعود بالتحديد إلى الدراسات الإسلامية وإلى الطابع الإسلامي الخاص بذلك القرن، على الرغم من أشكال

(1) في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٢١ وما بعدها من هذا المجلد.

(2) في كتاب كاروزو، Bibl. Sicula، ص ١٠٧: "Nec vero nobiles illas palatio adhaerentes silentio praeteriri convenit officinas, ubi, in fila variis distincta coloribus, seruni vellera lenuantur, et sibi invicem multiplici texendi genere coaptantur... in quibus et sericis aurum intexitur et multiformis picturae varietas, gemmis interlucentibus, illustratur"

وكما هو واضح للجميع، لا ينتمى سوى التسمية العربية طراز.

(3) بروخ (المكستور فرانز) Die Kleinodien des heil. römischen Reiches deutschen Nation، فيينا، ١٨٦٤.

(4) في ملحق المرجع المذكور، ص ١٩١ وما بعدها، رقم ٦١، شكل رقم ٦٤.

وصور القديسين التي تتخلل مجموعة الكواكب والنجوم تقديراً للشخص الورع الذي صنع من أجله الرداء. كما نلاحظ أيضاً البصمة الأجنبية الواضحة في الكتابات اللاتينية التي تبدل مكان بعض حروفها. وقلبت بعض حروفها الأخرى (1). وبالإضافة إلى هذا لا يوجد أي دليل دامغ نفترض على أساسه وجود طراز في مدينة أخرى بإيطاليا (2). وليس هناك ما يدعونا للبحث عنه في إفريقية أو في أسبانيا، بينما هو موجود بصقلية وبينما نعرف علاقة هؤلاء المسلمين (١٠١١) مع ميلو أو إسماعيل، كما يظهر الآن يقيناً، من الاسم المكتوب على الرداء (3). ويأتي بعد ذلك حسب الترتيب الزمني رداء الملك روجيرو (4) الشهير جداً. وعليه تاريخ ٥٢٨ من العام الهجري (١١٢٢): والحلة من الحرير الأبيض، الموشى بخيوط طويلة أرجوانية وخيوط ذهبية وكتابة طويلة مطرزة بلفتين، تذكر باللاتينية والعربية القاب

(1) نقرأ في أسفل الصفحة: بحروف دقيقة واختصارات: *Descriptio totius orbis*; *tpax israheli qui hoc ordinavit*; وحول محيط الحلة نصف الدائرة: تظهر كتابة بحروف كبيرة كثيرة الزخارف: *in O Deus Europae cesar Heinricc heare*. بحروف كبيرة كثيرة الزخارف: *(augeat) imperium (imperium) ibi (tibi), rex grenwirne (qui regnat Hoc sidus* *seruum)* ومن بين العبارات المكتوبة عبارة مكتوبة تحت برج السرطان: *Caucbi fert noctua mundi* قام الناشر العالم في سهولة ويسر بتصحيحها إلى السرطانات. ظهر أنني قد لا أجد حرجاً من حذف هذا التصحيح ومن ثم أقرأ في هذا المكان اللفظ العربي كوكب - نجم، مكتوباً بحروف لاتينية. وأنا أنظروا أن المطرز العربي، رأى نجماً ولم يفهم الاسم. وبالتالي قرأه بالعربية. كما قرأ العبارة الإيطالية على سبيل المثال، نجرو بوتش في كلمة *seruum*.

(2) كان التطريز يتم في كل أنحاء إيطاليا قبل مجئ المسلمين إلى صقلية. غير أن مادة *ricamo*، المأخوذة دون شك من العربية لتسحق المجال للاعتقاد بأن الصقليين اتقنوا هذا الفن ونشروه في باقي أنحاء إيطاليا بعد القرن الحادي عشر. وليس هناك سبب يجعلنا ننسب إلى الأسبان اللفظ الجديد والتطور الذي شهده هذا الفن كما يتضح من اللفظ. وبغضلاً عن هذا، فإنه في الطراز الإسلامي، كانت تنسج أيضاً الأقمشة الحريرية: وليس لدينا أي شاهد على صناعة هذه الأقمشة في شبه جزيرة إيطاليا قبل القرن الثالث عشر.

(3) انظر كتابنا الرابع، الفصل السابع، ص ٣١٨، من المجلد الثاني. ويحسم الآن اسم إسماعيل، المطرز على الرداء، المسألة.

(4) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٢٢، الهامش رقم ٦.

جوليئمو الثاني وعام 1181)، وأغطية الساق الواقية وتحمل اسم والقاب الأمير نفسه مطرزة بحروف عربية(2)، والفاشر، الذي درس أفضل من أي علامة أوروبية آخر، الحلل الكنائسية في العصور الوسطى. ينسب أيضاً إلى النماجين المسلمين في صقلية، ففازات الحرير الأحمر الموشاة بالذهب، ومشدي وسط للسيف؛ ونملين غنيين بالزخارف والرداء الذي يطلق عليه رداء أوتوني الرابع، وأعمال أخرى لا تحمل تاريخاً ولا حروفاً عربية، ولكن ما بها من زخارف وكذا تصميماتها تتفق مع ما كان ينتجه الطراز في بالرمو(3). ولا يسعنا أن نقول في هذا الصدد إلا أن فضل العمل يعود بالتساوي إلى مسلمي صقلية وإلى اليونانيين، إذ تخبرنا الأخبار بأمر صنّاع وعمال طيبة وكورنثوس، من الرجال والنساء، الذين اقتيدوا أسرى إلى بالرمو. وهم بالتأكيد لم يبدأوا هذه الصناعة، غير أنه لا يمكن إنكار ما كان لهم من فضل في إتقان هذه الأعمال(4). وفي النهاية يجدر بنا أن نذكر التطريز بالحروف العربية وأشكالها على الكفن الذي دفن به الإمبراطور هنريكو؛ ومن هنا فإن الدلائل المادية على ذلك الفن تصل

(1) بوخ، المرجع المذكور، اللوحة السابعة، الصورة رقم ٩. والنص من ٣٢ - ٣٥. أشهر إلى أنه في هذه اللوحة وفي اللوحة الرابعة والمشرين. لا أرى بوضوح الكتابة لكن فرائها بصورة جلية. فيما خلا كلمتين في النهاية. على ورق شفاف يبيع أرائي إياه السيد بوخ، عام ١٨٥٨ في باريس. وأنا لا اتفق بشأن هاتين الكلمتين وبعض الكلمات الأخرى مع كتابية وترجمة الدكتور بهرنارو التي نشرت في كتاب بوخ.

(2) المرجع المذكور، اللوحة الثانية عشرة، الصورة رقم ١٥، ١٦. ومن ٥٦ وما بعدها. (3) المرجع المذكور، اللوحة الرابعة، الصورة رقم ٦؛ واللوحة الثامنة، الصورة رقم ١٠؛ واللوحة العاشرة، الصورة رقم ١٢؛ واللوحة الثانية عشرة، الصورة رقم ١٦، ١٥. ومن ٢٦ وما بعدها، ومن ٤٩ وما بعدها، ومن ٥٦ وما بعدها، ومن ٦٠، ٦١، ٦٥. من النص. انظر أيضاً في اللوحة الثالثة واللوحة الثلاثين. وفي من ١٥٢، رداء أنزيق اللون مزين بخيوط وأغطية للكفن حمراء مطرزة بالذهب ترجع إلى القرن الثاني عشر، على حد قول الكاتب المألوف، واعتقد أيضاً أنها صناعة صقلية.

(4) انظر إلى استشهادات نيشيتا كونياتي وتشينامو وأوتوني دي فريزيني، في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤١٨، الهامش ٢.

حتى منتصف القرن الثالث عشر (1).

أما بخصوص الأقمشة المصنوعة في بالرمو، فإن الأدلة المادية والشهادات المكتوبة تزودنا بتفاصيل وفيرة جداً، حتى إنها تستحق دراسة فنية متخصصة وليس مجرد عرضها عرضاً مثل هذا، يكفي إذن أن نذكر أقمشة الحُلل المطرزة، التي تحدثنا عنها منذ قليل وبطاناتها، وكلها من صنع صقلية، على حد قول كاتب الوصف؛ وهي منسوجات فنية تظهر عليها أشكال حيوانات ونباتات بارزة من الذهب والوان مختلفة، وتشبه في صناعتها قطع القماش التي مازالت موجودة في كاتدرائيات بالرمو وتشيفالو، والتي نشر المؤلف بعض أشكالها (2). ثم هناك الأكفان التي شوهدت في المقابر الملكية في كاتدرائية بالرمو. عندما أتاح تجديد الأثر فتحها (3)، نقراً في أخبار تيليزي أنه، في احتفالات تنويع الملك روجيرو، كانت أسوار القصر تكسوها الأقمشة الفاخرة وحتى اصفر الخدام كانوا يرتدون الحرير (4). وفي النصف الثاني من القرن نفسه، يشهد فالكاندو على تنوع الأقمشة الحريرية التي سُججت في القصر الملكي وطُرزت بالذهب واللؤلؤ، وكذلك كميات الأقمشة الأجنبية والأغطية الصوفية التي كانت تُباع في حارة أهل أمانفي داخل كسارو دي بالرمو (5)؛ ويلاحظ ابن جيهير بدخ وترف ثياب السيدات المسيحيات في تلك

- (1) داتال، *I regali sepolcrali del Duomo di Palermo*. اللوحات: C. F. R. جريهوري. *Discorsi* الفصل السادس والسابع والثامن، في طبعة سنة 1862 ص 698 وما بعدها. وفي *Rerum Arabicarum* ص 178 وما بعدها. انظر أيضاً لانتشي، *Simboliche rappresentanze*. المجلد الثاني، ص 129، اللوحة الخمسون، رقم 4. وقد تناولت بالبحث الرأي الخاطئ الذي أدلى به جريهوري في هذا الموضوع، في مقدمة للكتابات العربية في صقلية، *Rivista Sicula*، عدد فبراير سنة 1869، ص 92 - 91.
- (2) بوخ، المرجع المذكور، ص 119 و 140 و 207.
- (3) انظر الاستشهادات المذكورة منذ قليل في الهامش رقم 4 ص 800. وبصفة خاصة *Le Dissertazioni* للمبشرين السابع والثامن لجرهوري.
- (4) في كتاب كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص 267.
- (5) في كتاب كاروزو، المرجع السابق، ص 107.

العاصمة وأيضاً السيدات المسلمات اللاتي كن يتباهين بها، كما يقال الآن<sup>(1)</sup>. ونذكر خيمة كبيرة من الحرير يمكن أن يجلس بها مائتا شخص على مائدة الطعام، والتي طلبها ريكاردو قلب الأسد من الملك نانكريدي. فضلاً عن كنوز أخرى، بعد أحداث الشغب بمسينا<sup>(2)</sup>. وتذكر الأسماء الفرنسية القديمة السَّمط، واقمشة بالرمو الحريرية<sup>(3)</sup>. هكذا توضح الوثائق الصقلية، حين تذكر تلك الطرق وغيرها الكثير المتبعة في صناعة الأقمشة المشفولة أو المطرزة، توضح حجم النشاط التجاري الكبير ونمو الصناعة الأهلية<sup>(4)</sup>. وهذا ما تؤكد أيضاً مصميات الرسوم التي فرضها ملوك النورمان والزفيشيون<sup>(5)</sup>: بل إن اللهجة الصقلية تشهد على نشأة وأهمية تلك الصناعة. إذ تدعو النماجين عموماً باللفظ

(1) *Journ. Asiatique*، عدد يناير ١٨٤٦، ص ٨٢.

(2) *Gesta regis Henrici*، طبعة ستويس، لندن، ١٨٦٧، الجزء الثاني، ص ١٢٢؛ وروجر دي هوفدين، طبعة ستويس، لندن، ١٨٧٠، الجزء الثالث، ص ٦١؛ الذي تجده أيضاً في كتاب كاروزو، *Bibl. Sicula*، ص ٩٦.

(3) يذكر فرنسيسك ميشيل، *Recherches sur... étoffes de soie etc*، باريس، ١٨٥٢، الجزء الأول، ص ١٧٢، أنها من *Romans d'Alizandre* ومنها نسوة، *D'un semit de Palerme vermeil ou vermenus*.

وفي ص ٢١٠، المجلد نفسه، نقرأ الأبيات المأخوذة أيضاً من *Romans d'Alizandre*، والتي تصف رمية رمح على قدر كبير من القوة حتى أن رمح الرمح نفذ من الدرع وبخل الرمح بكامله، و

#### *Parmi le cors li met l'ensegne de Palerme*

(4) كنيسة بالثينا ببالرمو عام ١٨٢٥، في حصر معثوريات حجرية الملابس الكهنوتية بكنيسة إفرينها (أي المهدية، ١١٦٠)، ص ٢٤ وما بعدها؛ وفي العصر الخاص بكنيسة بالرمو، عام ١٢٠٩، ص ١٠١ وما بعدها. ولعل الراغب في أن يستكمل درب المعلامة الفرنسي المذكور في الهامش السابق، يجد في هاتين الوثيقتين وصف أقمشة كثيرة وأسمائها ويميز نسجها بشكلها وصور حيوانات، حتى أنه هناك أيضاً نسور براسين، وتوجد كذلك خلل عليها حروف سراسينية، وخلل قماشها مضلع، وخلل أخرى صنعت في أسبانيا؛ وخلل لتداخل الزايات وذات أهداب، إلخ.

(5) انظر الوثائق التي ذكرناها في الكتاب الخامس، الفصل المباشر، ص ٢٢٠ من هذا المجلد، هامش رقم ١. كان *Domus srtar* يمد من الأقمشة القديمة، أي من العصر النورماندي، وكذلك *la dohana paliariorum*.



العربي *serici* (حريرى) (1). وقد تدهورت صناعات الحرير فى صقلية مثل كثير من غيرها من مصادر الثروة العمومية، فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ويرجع هذا إلى الأسباب العديدة التى أشرنا إليها؛ ونذكر من بينها هجرة المسلمين. وكانت مدينة لوكا هى أولى المدن فى شبه الجزيرة الإيطالية التى جمعت تراث صقلية، ثم نافستها فى ذلك كل من فلورنسا وهينسيا وچنوة؛ وقد نقل فنانون إيطاليون هذه الصناعة الفنية إلى ليون وتور وإلى مدن أخرى فى فرنسا. ولكن ظل تصدير الأقمشة الحريرية هو المصدر الرئيسى للتجارة فى صقلية حتى القرن السادس عشر (2).

وطوال القرنين الثانى عشر والثالث عشر كانت صقلية تذخر بكل أنواع الصناعات اللازمة لصناعة الملابس وايضاً لإنتاج مستلزمات

(1) هكذا يدعى بالعربية صناع أو تجار الحرير. واليوم تكتب *hariri* جريرى، غير أن هناك أمثلة كثيرة فى المصور الوسطى تثبت أن حرف الخ العرسى كان يجهز استبداله بحرف الـ *c* اللاتينى. ويأتى لفظة *flugello* أيضاً من الشرق انظر: *Journ. Asiat.* عدد أبريل ومايو من عام ١٨٥٧، ص ٥١٧.

(2) انظر التفاصيل الخاصة، بأصل الصناعات الفرنسية، والمور الذى لبه الإيطاليون فيها. فى كتاب فرنسيسك ميشيل. المرجع المذكور. الجزء الثانى، ص ٢٧٠ وما بعدها؛ حتى ص ٢٧٨؛ وكذلك المعلومات الخاصة بتجارة الحرير بين إيطاليا وفرنسا فى الجزء نفسه، ص ٢٦١ وما بعدها. يذكر الكاتب العلامة، من بين المصادر الأخرى. ترجمة فرنسية قديمة لـ *Rerum Memorabilium* من تأليف جويدو باتشبولو. ولكنه يغلط فى تقطين لأنه ينسب إلى كلابريا أمراً يروى عن مدينة ريجو فى إقليم إميليا، كما ينسب إلى طزاة البندقية مبلغ المال الذى كانت ترضعه المدينة وفقاً لراى باتشبولو. ها هى الترجمة اللاتينية التى قام بها انريكو سالموث التى تحمل محل النص الإيطالى الذى لم ينشر على الإطلاق. واستشهد بالفقرة من طبعة امبرج، ١٦٠٨. المجلد الثانى، ص ٧٢٩. فى فصل "De textis sericis".

"Annis abhinc 50 in tantum exerceat textura ista, ut sola mea patria, veneta duntaxat regio, singulis annis, 500 millia et vel sola mea patria, quae Rhegium est, 10,000 aureorum, plus vero etiam multo Sicilia inde lucratur: ac uno verbo dicam artificium hoc tamquam unicus jam mercatoribus nervus sit lucri et certissimum laborantium fulcimentum."

ولد باتشبولو. وهو خبير قانونى عظيم الشأن. ومعروف أيضاً ببقائه السلم فى علم التاريخ. ولد فى مدينة ريجو بإقليم إميليا عام ١٥٢٣؛ وتوفى وهو يحمل استاذاً فى بادوفا عام ١٥٩٩؛ وقد كتب تلك الدراسة المتميزة. فضلاً عن دراسات أخرى كثيرة، من أجل أحد أمراء عائلة سالفويا، التى دعت إلى جامعة تورينو.

الترف والبذخ، إذ أنه من المؤكد أن الصناعات تتداخل وتتكامل. فتدعم صناعة ما صناعة أخرى، وغالباً ما ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً بحيث يصبح من الصعب فصلهما. وهكذا ففي مدينة شهيرة بالأقمشة الحريرية تحمل الضريبة المفروضة على قوس القطن(1)، ويبدو لي أن المقصود ضرب أو دق البراعم لاستخراج القطن، تحمل على الاعتقاد بأن المقصودة هي الأنوال لنسج خيوطه. ولدينا شواهد دقيقة على المصايخ(2) وعلى صناعات الجلود المذهبة، التي كانت تستخدم في صناعات عديدة وبالتحديد في صنع أحذية السيدات(3). وترجع القفازات الحريرية المشفولة بالأبرة التي تم العثور عليها في ضريح أريجيو السادس. ترجع هي أيضاً إلى الصناعة الصقلية(4). وما من شك في أن المشابك المظلية والمشفولات التي تكسوها طبقة من الذهب، والتي زُينت بها بعض ملابس الأباطرة، كانت من صنع صاغة بالرمو؛ وهم أنفسهم الذي صاغوا تاجي الإمبراطور فديريكو وزوجته الأولى كوستانسا داراجونا(5).

(1) في كتاب جريجوريو، *Considerazioni*. المجلد الأول. الفصل الرابع. الهامش 21. مقتطفات من عدة وثائق ترجع إلى أعوام 1366، 1370، 1371، 1380، 1389. ولا تدع عبارة "artis cuthonis" الموجودة بوثيقة عام 1309 أي مجال للشك؛ ومع ذلك اعتقد أن العبارة الأولى أفضل. وطبقاً لما جاء في الوثيقة، كانت تدفع في بالرمو ضريقتان مختلفتان، *caka cutionis* و *arca (arcus?) cutionis*. وكان لإزالة لقط *Ka'ah* يستخدم في مصر ومنايا صاف، وقاعة ومرواق، أرضي. ويتحدث المفريزي في كتاب المواصلات، طبعة بولاق، الجزء الثاني، ص 18 عن قاعة الذهب في القاهرة. أي تلك التي كان يُشد فيها الممدن لصناعة الأقمشة الحريرية والمذهبة.

(2) جريجوريو. الهامش المذكور لتوء، وثيقة عام 1228.

(3) يتحدث ابن جبير عن الأحذية المذهبة الخاصة بنساء بالرمو؛ ونسراً عن *la cabella auripellium* في وثيقة عام 1271 المذكورة للتو.

(4) جريجوريو، *Discorsi VI, VIII*. ص 708 و 721. في الطبعة المذكورة، عام 1887، قارئ بورج، *Kleinodien*. المرجع المذكور. اللوحة الثامنة، الصورة 10. ص 27 - 28.

(5) *Kleinodien*. ص 187؛ وانظر ص 111. قارئ جريجوريو، *Discorsi VI, IX*. ص 710 - 711 - 718 من طبعة 1887 المذكورة. ونلاحظ أن الزينة التي وجدت على جمجمة الإمبراطورة كوستانسا محفوظة حالياً ضمن كثر الكائنات الأثرية. ويتمين ترجمة العبارة المعنوية على الجوهرية الرئيسة في التاج. والتي أخطأ نهشمن في ترجمتها.

ولا يناهى الحقيقة في شيء أن تكون صقلية قد عرفت صناعة الورق في الفترة الزمنية التي نتاولها بالبحث، وإن لم يكن لدينا دليل يثبت ذلك. ومن المعروف أن العرب هم الذين جلبوا إلى الغرب ورق القطن المصنوع في خراسان على غرار ورق الصين الذي كان يصنع من الحرير أو النباتات(1)؛ كما أنه لا سبيل للشك في ظهور صناعات ورقية في إسبانيا وبصفة خاصة في أكسافيا، حيث كان يصدر منها الورق إلى الشرق والغرب على حد قول الإدريسي(2)، في النصف الأول من القرن لثاني عشر. ولعل صمته عن صناعة الورق في وصفه لصقلية، يمثل حجة خطيرة في مواجهة اعتقادي، لو لم تكن قد وجدنا في هذا الفصل نفسه ولمرات عديدة أن البراهين والأدلة السلبية التي استندت على كتابه، كانت في كثير من الأحيان تقتصر إلى الصحة. ونحن نخلص إلى أن الوثائق النورماندية الصقلية في أواخر القرن

---

وكرر جريجوريو الخطأ ثم كرره موريللارو مع شيء من الاختلاف في Opere. المجلد الرابع، ص ١٠ - ١١، بتعين ترجمتها، وفقاً لريتو إلى «الله - عيسى بن جابر - يؤمن». ذ يينو واضعاً أن تلك الجمهرة صنعت في الأصل لمسلم.

(1) وبهذا الخصوص يقدم كتاب الفهرست، النص، ليبزج، ١٨٧١، ص ٢١ وفي *Mémoires de l'Acad. des Inscript.* السلسلة الأولى. المجلد الخمسين، ص ١٢٤ وما بعدها؛ ومقدمة ابن خلدون، طبعة باريس، المجلد الثاني، ص ٣٥٠ وكتاب المواعظ للمقرئ، طبعة بولاق، الجزء الأول، ص ٩١ يقدم معلومات مستهتفة ولكنها غير أكيدة وأيضاً متناقضة. فضلاً عن هذا، نعرف أن ورق الصين كان يُصنع من العشيش (*hessic*) وقد تمت معاكاته في سمرقند باستخدام الكتان أو، وفقاً لرأي آخرين، القطن، وإن *Kaghad* الكاغد، أي ورق القطن، صنع في خراسان، غير أنه لم يتم استخدامه في سجلات إدارة شؤون المسلمين. (لا في عهد هارون الرشيد. ويبدو أن هذا النوع من الورق قد بدأ يظهر وينتشر في أوروبا في ذلك الوقت.

وتستحق القراءة المقالة الشعبية التي نشرها م. لويس هارون في باريس، قبل عشرين عاماً في *Liberté de penser*. تحت عنوان، *L'Europe doit aux Arabes le papier, la boussole et la poudre d canon.*

(2) الإدريسي في *Description de l'Afrique et de l'Espagne*. ص ١٩٢ من النص، السبعين دوي ودي جوييه، وص ٢٢٥ من الترجمة، انظر أيضاً في كتابي *Bibl. arabo-hispanica*. وصف مخطوطات عربية كثيرة من إسبانيا كتبت على ورق مصنوع من حرير اللوز.

العادى عشر، حتى تلك الخاصة بمنح الأراضي، قد كتبت على ورق من القطن؛ إلا أنه، في أقل من نصف قرن، أراد الملك روجيرو تجديد كل سندات الملكية؛ بسبب أو بحجة أن الأصول استهلكته، مُحيت أو تآكلت من العتة<sup>(1)</sup>. وعلى الرغم من هذا، ظلوا ينسخون العقود الخاصة وأيضاً العامة على ورق من القطن، إلى أن أعلن الإمبراطور، بعد قرن من الزمان، أن عقود بعض الفئات التي لم تُكتب على الرق تعتبر ملغاة<sup>(2)</sup>؛ غير أن دهبانه في صقلية وهي شبه الجزيرة

(1) من أجل هذا عقد اجتماع في بالرمو في شهر مارس ١١٤٤، كما يتضح من وثيقة نشرها مونچيتورى، *Bulla Privilegia etc.* ص ٢٢. وقرأ نصها اليوناني لدى موريللازو *Tabulario*، كنيسة بالرمو. ص ٢٦. وقد تم تجديد عدة وثائق خاصة بالكونت المجوز روجيرو وبأديلايدى، الوصى على سيمونى ثم على روجيرو الثاني، "de carta cattunea in pergamenum"، كما يظهر في الوثائق الجديدة، في كتاب بيهرو، *Sicilia Sacra*، ص ١٠٢٧. وقرأ لدى سبانا، *Pergamene*، ص ٢٢٧. النص اليوناني لإحدى هذه الوثائق التي صدرت عام ١٠٩٩ ثم جددت، على ما يبدو، عام ١١١٤. وهناك وثيقة يونانية أخرى من عام ١٠٩٧، تم تجديدها عام ١١١٠ ونشرت في *Giornale ecclesiastico di Sicilia*، ص ١١٦.

وبلاحظ نفس الأمر وهو تجديد وثائق الـهبة «لكونها بليت وطعمت كلبانها» وذلك من خلال ثلاث وثائق عربية، بنوايع سبتمبر ١١٤٤، و٢ فبراير ١١٤٤ و٢٤ مارس ١١٤٤، تنص لكثائس كتابها وتشهقألو وموربالى. وتوجد الوثيقتان الأخيرتان حالياً في المحفوظات الملكية بالرمو. وأتمنى أن تخرج التصوص إلى النور في القريب العاجل في مجموعة الأستاذ كوزا.

(2) نقرأ في *Tabularium* الخاص بكنيسة بالانها في بالرمو، ص ٦٠ وصية خُروت عام ١٢١٢، ثم تم تجديدها عام ١٢٥٢. لأنها كانت مكتوبة على *Carta bumbiana* التي *jam camulari inceperat* ونقرأ عن القرار الذي اتخذته فريكو في *Costituzioni*، الكتاب الأول، العنوان ٨٠ في كتاب برهولتز *Hist. diplom. etc*، المجلد الثاني، ص ٤٤٥، حيث تستخدم كمرادفات التسميات *chartae bombycinae* و *papiri chartae* وتشهد وثيقة ٢ يناير ١٢٢٩، في كتاب دى هيو، *Privilegia urbis Panormi*، على الاستخدام الواسع لهذا النوع من الورق في صقلية، والذي من أجله أنقشت أوقيانان من الذهب، ثم تخصيصهما بالفعل لنسخ مجلد *Consuetudini* الخاصة بالمدينة على ورق السرق؛ طبقاً لما تنص عليه قوانين المملكة. وكانت هذه المادات "Cum scriptae sint in cartis de papiro ... erant quodammodo quasi *deletae et minus honorifice factae*" ويشير الجرد الخاص بكنيسة بالانها بالرمو، الذي أجري عام ١٢٠٩ ونشر في *Tabularium*، رقم ٦٢، في ص ١٠٠، السطر ٧ و ٢٧ و ٣٠ وفي ص ١٠٢، السطر ١١، يشير إلى عدة سندات ملكية، فضلاً عن كتابات

الإيطالية، استخدم الورق في الشئون التي كان يبدو عدم وجوب إنتقالها إلى الأجيال اللاحقة(1). ويدعو الثمن المنخفض للمادة الخام، وهو الأمر الذي تؤكد هذه الأحداث، يدعو إلى الاعتقاد بأنها كانت صناعة محلية اهلية وليس استيراداً من اسبانيا أو من الشرق(2). أضف إلى هذا أن تسمية ورق البردي، والتي وردت لأول مرة في قوانين هدرىكو، نشأت على ما يبدو في صقلية. ذلك لأنها البلد الأوروبي الوحيد الذى ينتج ذلك النبات وقد اعتاد استخدامه في ديوان الدولة حتى النصف الثانى من القرن العاشر(3)؛ في الوقت الذى يحتمل أن يكون ورق القطن قد حل شيئاً فشيئاً محل ورق البردي، بل وأخذ اسمه أيضاً يعد انتشار استخدامه(4).

أخرى على ورق بردي *Carta de papiro*. بدأ من القرن الثانى عشر وحتى القرن الرابع عشر، وأغل الوثقتين الشهيرتين اللتين تضمهما الكنيسة نفسها، والمكتوبتين بحروف من ذهب، على ورق القطن، فالوثيقة الأولى الصادرة عام ١١٢٩، قام بنشرها مونثوكون. *Paleographia graeca*. ص ٢٨٠ و ٤٠٨؛ ثم سار على دربة مورسو فنشرها في *Palermo antico*. الطبعة الثانية، ص ٢٠١ و ٢٩٧؛ وأخيراً أعيد طبع هذه الوثيقة في *Tabularium*. السابق ذكره. رقم ٤. ص ١٠. وقد قمنا بالإشارة إليه في الفصل الأول من هذا الكتاب، ص ٢٤٩. أما الوثيقة الأخرى- وهما من ورق القطن الأزرق فقد صدرت عام ١١٤٠ وذكرت في *Tabulario* نفسه. رقم ٥. ص ١١. هامش ١. (1) نجد الأدلة الملموسة لهذا الأمر في الدراسة المتعمقة التى قام بها هولتز - برهولتز والتي ورنيت في *Mémoires de la Société impériale des Antiquaires de France*. المجلد ٢٢، تحت عنوان *Sur l'emploi du papier de coton, etc.* باريس. ١٨٥٦، ص ١٢ وما بعدها من المسئلة.

(2) يذكر برهولتز، المرجع المذكور، ص ٢٨. هامش A حين يقول إنه لم يشر على أدلة تثبت وجود صناعات ورقية في صقلية، يذكر أن القطن كان يزرع في الولايات الإيطالية الخاضعة لهدريكو وذلك حتى يشير إلى (إحتمالية وجود مثل هذه الصناعة. (3) ابن حوقل، في *Journal Asiatique*. يناير ١٨١٢، ص ٩٨.

(4) على هذا أن أصبح خطأ ورد في ترجمة المعاهدة التي أبرمها، عام ١٢٩٠، فلاوون سلطان مصر، مع ملوك صقلية وأراجونا. ونص البند الحادى عشر في الترجمة الإيطالية، التى قمت بنشرها في *Guerra del despro siciliano*، طبعة عام ١٨٦٦، المجلد ٢، ص ٢٢٥ وما بعدها، على أنه من حق السلطان أن يأخذ من ولايات الأمراء المرفهين على المعاهدة «جديداً، وورقاً وأخشاباً». وقد اتبعت مرجعية م- دى ساس المطبع، فترجمت اللفظ العربى *biridh* أى «أبيض» إلى «ورق»، وبالفعل تذكر المعاجم

إن رواية الأحداث السياسية في هذا الكتاب وفي الكتاب الذي سبقه، واستعراض المنتجات الزراعية التي ذكرت في هذا الفصل، قد أتاح لنا التعرف على الظروف التجارية، بحيث إنه، إن أردنا الآن تناولها تفصيلاً، سوف يكفيها الإشارة إلى المعلومات التي سبق ذكرها، والتي تؤكد المعاهدات التجارية<sup>(1)</sup> والأحوال العامة التي يؤكد بعضها الكتاب<sup>(2)</sup>. ولقد سنحت الفرصة للقراء ليتبينوا أن أمراء صقلية، وعلى رأسهم الملك روجيرو وهديكو، غالباً ما استهدفوا من وراء تدابيرهم ومبادراتهم الفائدة التجارية، وأنهم كرسوا لذلك قدراً كبيراً من الجهد نظراً لأنهم كانوا أوائل تجار البلاد. وفي الحقيقة كانت أملاك الدولة الشاسعة، وتحصيل الرسوم على هيئة محاصيل وقود الزيريين بالمهدية، وتكوين الإمارة الإقطاعية من جانب آخر، كانت كلها عوامل تدفع إلى ذلك الخطأ الاقتصادي، والذي كان على الرغم من ذلك يحقق جزءاً كبيراً من إيرادات الدولة، أو إيرادات البلاط إن صح التعبير.

العربية هذا المعنى من بين معاني أخرى كثيرة. ولكنني إذ آمن أن التفكير في الأمر، يبدو لي أنه يقتضي هذه المعاهدة، كان أمراء أسرة أراجونا يتوهم مخالفة الأمر العام الخاص بحظر تصدير الحديد والأسلحة والأخشاب إلى البلاد الإسلامية. وهو الحظر الذي أصدره مجمع لاترانو عام ١١٧٩. كما هو معروف، وأكد العديد من الباباوات، إنهم لا شك في أن لفظة *belli* في هذا السياق يعني أسلحة أو صلب، وربما هناك صلة علاقة بين هذه الكتابة وكتابة «أسلحة بيضاء» التي نستخدمها لفظاً لـ «أسلحة نارية». ويمكن الاستعانة لتفسير هذه المادة من مواد معاهدة ١٢٩٠، تفسيراً صحيحاً بالإجراء الذي أبطل بالفعل هذه المادة. أي الفصل ٨٢ للديكو الأراجوني ملك صقلية، وهو القرار الذي صدر بعد الانتفاضة المصروفة مع البابا ومع أسرة أنجو، والذي يقتضاه كان يحظر تصدير «أسلحة، وحديد وأخشاب» إلى البلاد الإسلامية.

(1) انظر جريجوريو، *Considerazioni*، الكتاب الثاني، الفصل التاسع والكتاب الثالث، الفصل الثامن، لاحظ العلاقات مع فينسيا في *Fontes Rerum Austriacarum*، المجلد الثاني عشر، رقم ٢١ وما بعده.

(2) يذكر بيترو ألفونسيني، رئيس دير كلوني من بين كلمات الإطراء والتمجيد التي قالها في الملك روجيرو بسبب الأمان الذي كان يتمتع به أثناء سفره وإقامته في الأراضي الواقعة تحت سيادته *onusos pecuniis et diversibus mercibus mercatores* في كتاب كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ٩٧٧ - ٩٧٨.

احتلت الفلال المرتبة الأولى في تجارة صقلية في القرن الثاني عشر(1)، وكذلك في القرون التالية حتى القرن الثامن عشر، ولقد كان ساحل بريرة، الذي كان يمانى دوماً وطأة الجوع(2)، منفذاً دائماً للفلال حتى القرن السادس عشر. وكانت صقلية ترسل إلى شينسيا الفلال ومواداً غذائية أخرى، وتأخذ في المقابل كمية كبيرة من السلع والقليل من المال(3)، وكان أحد حكام صقلية في ذلك الوقت يأسف لذلك، وتحديثاً قبلاً عن معكونات تروايا، التي كانت تشحن إلى العديد من المدن المسيحية والإسلامية(4). وقد اعتلت الفواكه المجففة والقطن(5) قائمة الصادرات الهامة بعد الفلال، وذلك في القرن الثاني عشر، وتزايدت أهميتها على ما يبدو، في القرن الثالث عشر. ونستخلص أن القطن كان يُصدر خاماً ومغزولاً(6) إلى إنجلترا أيضاً حتى أوائل القرن السادس عشر: كما ينبغي أن نأخذ في الحسبان المرجان، وصمغ بنتلاريا والصمغ المُعَطَّر(7)، كما أنه لا مجال للظن

(1) الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٧ و ٣٠١ والفصل الرابع، ص ٤٤٨ - ٤٤٩، الفصل التاسع، ص ٥٩٥ و ٦٠٠ و ٦٠٣ و ٦١٠ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢٢. انظر أيضاً الكتاب الخامس، الفصل السابع، ص ١٩٠ في هذا المجلد نفسه.  
(2) يقول ليونى الأهرى، في كتاب راموزيو، *Navigazioni et Viaggi*، شينسيا، ١٥٦٢، المجلد الأول، الورقة ٧، إن عرب بريرة المعهية كانوا يقدمون سفارهم للسفليين رهينة مقابل حصولهم على القمح منهم بالدين، وإن هؤلاء السفليين كانوا يصبحون عبيداً إن لم يتم تسديد ثمن العيوب في الموعد المحدد.

(3) رومالندو السالرنى، في كتاب كاروزو، *Bibli. Sicula*، ص ٨٩٠ - ٨٩١.  
(4) الإندريس، وقد سبق ذكره في ص ٧١٧.

(5) الإندريس، وقد سبق ذكره في ص ٧١٠، انظر أيضاً الدراسات الجغرافية لابن سميم والزهرى في المكتبة العربية - الصقلية، النص ص ١٢٧ - ١٥٩ والهامش رقم ٥، ص ٧٤٢ من هذا الفصل.

(6) برنولوميو دى بارى، *Tariffa de' pesi e misure ec.*، شينسيا، عام ١٥٤٠، الورقة ١٨٧ الوجه الأول.

(7) قارن الزهرى، نص سبق ذكره في ص ٧١٢، هامش رقم ٥، مع ابن سميم، المكتبة العربية - الصقلية، ص ١٢١ الفصل الخامس - بنتلاريا، حيث يتم تصحيح لفظ *Kitrān* (قطران) إلى *Kutūn* (قطن).

في قلة تجارة السكر في عهد النورمان إذ كان السكر المستخلص والفواكه المضاف إليها شراب السكر تُصدر حتى القرن الخامس عشر من صقلية إلى القسطنطينية، وإلى مدينة الإسكندرية بمصر وإلى إنجلترا، فضلاً عن وصولها إلى أسواق شبه الجزيرة الإيطالية(1). ومن ناحية أخرى كانت تصدر أقمشة حريرية إلى الأقاليم الغربية في أوروبا(2). وتشهد وثائق من القرن الثاني عشر على قيام شراكة بين تجار جنوة وصقلية لتنفيذ مشروعات تجارية في بلاد مختلفة(3). ونعلم أخباراً عن السفن الصقلية التي كانت ترسو في موانئ برشلونة والإسكندرية بمصر(4)؛ كما نستقي معلومات من مصادر أخرى حول تجارة صقلية مع هذين المركزين التجاريين الكبيرين(5) ومع مراكز أخرى مثل بيزا(6) ومارسيليا(7) وأمالفي(8) وكلابريا ومالطة(9). ومن المؤكد أن سفن جنوة كانت تقوم بالجانب الكبير من هذه الأعمال التجارية في صقلية. وكذلك في كل المدن

(1) دي بازي، المرجع المذكور. الورقة ٤٢ الوجه الثاني. والورقة ٦٠ الوجه الثاني. والورقة ١٨٧ الوجه الأول.

(2) انظر الاستشهادات المذكورة قبل ذلك. في ص ٧٥٩. هامش رقم ٢.

(3) *Liber Jurium*. وثائق أعوام ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١٢٦٦. أرقام ٢٦٦ و ٣٠٤ و ١٢٦٧. في المجلد الأول. ص ٣٠٢ و ٢٢٦ و ٩٦٢ وفي المجلدين مراتجوني. في هامش ١١٦٦، ١١٦٧.

في *Archivio storico italiano*. المجلد السادس. الجزء الثاني، ص ٤٢ - ٤٤.

(4) بليامينو دي توديللا، ترجمة أشهر الإنجليزية، لندن، ١٨٤٠، ص ٢٢ وما بعدها. ١٥٧.

انظر أيضاً، بشأن تجارة صقلية مع برشلونة في أوائل القرن الرابع عشر. كينيان،

*Memorias Historicas, etc*. الجزء الأول، المجلد ١: الجزء الثاني، ص ٢٤.

(5) راجع الأحداث السابق ذكرها في هذا الكتاب السادس، الفصل الثالث ص ٤١٢.

هامش رقم ٣، والفصل التاسع، ص ٦٢٠ و ٦٢١.

(6) انظر *Statuti Pisani* المجلد الثالث، ص ١٠٤ و ٢٧٢ و ١١٦ و ٤٢٢ و ٥٧٤ و ٥٧٧ و ٥٩٠.

(7) وثيقة توماسو كونت سافويا، لعام ١٢٢٦. وردت عند بوكوهيل. *Mémoires...*

*sur le Commerce etc*. في *Mémoires de l'Acad. des Inscriptions*. المجلد

العاشر. ص ٥٢٨.

(8) يمكن ذكر زقاق أمالي أمالفي في الرسوم، في القرن الثاني عشر.

(9) الإدريسي. في المكتبة العربية. الصقلية. ص ٢٧.



الواقعة على البحر المتوسط(1): كما كان يتبارى معهم غيرهم من الملاحين الإيطاليين وأيضاً الصقليين: وكلنا يعلم حجم بناء السفن في ترسانات سان ماركو وتجارة الأخشاب الكبيرة التي كانت تمارس في رانداتسو ليتم نقلها بعد ذلك إلى ميناء مسينا(2)، الذي انتزع من بالرمو قصب السبق في مجال الملاحة، أثناء تلك الحركة الكبيرة التي دفعت بالغرب، طوال القرن الثاني عشر، إلى فلسطين وسوريا، عبوراً بالفارو: حيث أصبحت مسينا في النصف الثاني من القرن المحطة الرئيسية للأسطول الحربي، بدلاً من بالرمو(3). كما أن المراكز التجارية الصغرى لم تكن قليلة وقد ذكرها الإدريسي وهي: ترميني، وتشيفالو، وقلعة القوارب (سان ستيفانو)، وميلاتسو، وتاورمينا (أي چارديني)، واتشي، وكتانيا، وسيراكوزا، وشيكل، وراجوزا، أولمبيادي (ليكاتا)، چرچنشي، شكّا، مازارا، مارسالا، تراباني، وقلعة الحمّا، وكالاتيو، وكاريني وسان ماركو(4).

واستكمالاً لما ذكرناه عن عمليات أول كونت لصقلية(5)، يجدر بنا أن نذكر أنه تحت حكم روجيرو والملكين جويلمو، سكّنت خراطيش من الذهب بكميات كبيرة جداً، وكان يُطلق عليها بلغة العامة تاري، كما ورد ذكرها بنفس هذه التسمية في العقود العامة في ذلك الوقت.

(1) لا ترد استشهادات على هذه الأمور المعروفة جداً. ساكني بقولي إن العجاج المسلمون من أسبانيا وأفريقية، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، كانوا في الغالب يمسجون صقلية. انظر رحلة ابن جبیر، طبعة زایت، وبصفة خاصة في ص ٦٢. (2) الإدريسي، سجل ذكره في ص ٧١٣، الهامش رقم ٢ ورقم ١.

(3) بلوكة الإدريسي (١١٥١) أن الترسانة الملكية كانت آنذاك في بالرمو مثل سابق عهدها. وقد وجد ابن جبیر (١١٨٣) أن الترسانة كانت موجودة في مسينا. وبلوكة فانكاندو في كتاب كارو، Bibl. sicula، ص ١٠٥. ربما بقليل من المفارقة التاريخية، على هذا الأمر نفسه، فيقول إن أهالي مسينا كانوا قد اتهموا اليونانيين، وسلبوا ونهبوا أفريقية وأسبانيا وجلبوا منها غنائم كثيرة.

(4) الإدريسي، في المكتبة العربية - الصقلية، النص، تحت تلك الأسماء.

(5) الكتاب الخامس، الفصل المشر، ص ٣٣٧ وما بعدها. وراجع الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، ص ١٦٩ وما بعدها من المجلد الثاني.

وتتمثلن بها المتاحف العامة والخاصة بأوروبا، ويوجد دائماً بعض منها لدى الصاغة والباعة البسطاء في صقلية وايضاً خارجها؛ فضلاً عن هذا نعلم عن انتشارها وتداولها عبر الطرقات بعد عمليتي نهب كيبيرتين، واحدة في بالرمو والأخرى في روما(1).

وتساعدنا المجموعة الكبيرة التي قام بنشرها امير سان جورجو سبينيللي على معرفة العملات النورماندية في تلك الفترة، بصورة أفضل من مجموعة عملات القرن الحادي عشر؛ على الرغم من أنها لا توحى هي ايضاً بثقة تامة في التواريخ وفي دلائل أخرى(2)، لذا، فإنني سوف استعين بهذا الكتاب بحسب قدره، إلى جانب الاستعانة بمصادر أخرى وعملات رأيتها بعيني راسي(3).

لن أتطرق للحديث عن العملة النحاسية المسكوكة وعلى أحد وجهيها رأس القديس نيكولو وكتابة يونانية، وعلى الوجه الآخر تاريخ

(1) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص 151 و 166 من هذا المجلد.  
(2) هي احيان كثيرة نكفي نقوش سبينيللي نفسها لتوضيح الغملا: على سبيل المثال، في رقم 222، ص 16، اللوحة الثامنة، رقم 21، حيث ترجم الكاتب عام 512، فلنا منه أن الرقم (أربعين) مكتوب بدون حرف العين، بينما يظهر الرقم 20 واضحاً وسليماً. وفي الصفحة نفسها، رقم 212، اللوحة السادسة، رقم 28، كُتب اسم مسينا بصورة خاطئة *msidm*، بدلاً من *mslm* كما هو واضح في الكلمات المحفورة، طبقاً لطريقة الكتابة التي يستخدمها العرب: ويكرر هذا الخطأ في مواضع أخرى كثيرة. وفي رقم 155، ص 35، اللوحة الخامسة وفي غيرها يبدو لي مشكوك فيها إلى حد كبير الأزواجية التي سكت بها العملة فعلى أحد الوجهين نجد، «عاصمة صقلية»، (بالرمو) ومسينا على الوجه الآخر. وهكذا كتابات أخرى كثيرة إما أن تكون غير صحيحة أو أنها جاءت مختلفة في العطر الذي قام به الباحث.

(3) انظر الاستشهادات المأخوذة عن دراسات أخرى عن علم المسكوكات في فهرست موريلانيو، وعنوانه: *Il Medagliere arabo-siculo* بالرمو، 1861، ص 39 وما يليها. ولقد درست بديوان المسكوكات بباريس ما لا يقل عن عشرين عملة عربية - نورماندية ومثلها هي أماكن أخرى متفرقة، ورايت الكثير والكثير منها دون أن تسمح لي فرصة دراستها. وتضمن على أن أذكر بصفة خاصة بممثلتين من باريس، مسكوك على الوجه الأول منهما الرمز الإسلامي وعلى الوجه الآخر حرف الـ T ثمرة نقطة صغيرة ونقطتان أخريان على جانبيه، وشغل الممثلتان تاريخين. الأول عام 503 والثاني عام 506 (1109). (1112) وقد أكد لي صحتهما م. دي فونجويره، والذي كان لتشجيعه لي الفخل الكثير في أن اتعرف عن كُتب على أسرار علم المسكوكات العربية، في عام 1813.

باري، بحروف كوفية عام ٥٤٤ من الهجرة (١١٤٩م)، إذ أنها لم تسك في صقلية، كما أنه لم يكن الهدف منها في رأي سد حاجة اقتصادية. وكانت العملات العربية الأخرى التي استخدمها النورمان في صقلية يتم سكها في بالرمو وهي ممسها، وكانت تحمل أحياناً عبارات بلفتين، أي العربية واللاتينية، أو العربية واليونانية. أما عملات روجيرو الثاني فمعظمها يحمل على الظهر علامة ظنها البعض شكل الصليب الناقص في قمته، بينما ظنها البعض الآخر الحرف الأول من اسم تريناكريا القديم. ولحق هو رمز. طبقاً للطريقة السائدة في ذلك الوقت ولدى الأسر النورماندية في إيطاليا؛ ولكنه في اعتقادي. يرمز إلى اسم تانكريد. والد روبرتو جويسكاردو وروجيرو الكونت الأول: تانكريد دي هوتفيل، وهو أصل الأسرة، التي كان لفرعيها الملكيين السيادة سوياً على بالرمو من سنة ألف وواحد وتسمين إلى ألف ومائة وثلاث وعشرين، كما حكما المدينة من خلال إدارة واحدة<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أنهم لم يقيما بها دارين لسك النقود في عهدهما، كما أنه ما كانا يستطيعا أن يجدا رمزاً أفضل من اختصار اسم تانكريد ليكون رمزاً لمملكتيهما الموحدة. ولكن هذا لم يمنع الكونت المعجوز روجيرو وخليفته المباشرين من سك عملة خاصة بهم في ممسها، كما لم يمنع روجيرو دوق بوليا من الإبقاء على دار سك النقود في سالرنو<sup>(٣)</sup>. وجدير بالذكر أن حرف الـ T على أشكاله العديدة، وعلى تنوع زخرفته العربية واختلافها وتجميله بالنشاط والنقوش الصغيرة، كثيراً ما يظهر في

(١) سان جرجيو سبينيلي، المرجع المذكور، ص ١١ - ١٢، من رقم ١٨٢ إلى ١٩١، اللوحة الثامنة.

(٢) انظر الكتاب الخامس: الفصل السابع، والفصل الثاني من هذا الكتاب، في ص ١٨٦ و ٣٨٠.

(٣) يؤكد سبينيلي ضمناً على استمرار عمل دار سك النقود في سالرنو تحت سيادة روجيرو الثاني كونت صقلية، وذلك دون أن يقصد بحث هذا الأمر بالتفصيل. انظر الأعداد ٣٦ إلى ٦٣، ص ١٢ وما يليها من كتابه، والهوامش في ص ٢٥١.

العملات الذهبية، أي تلك التي كانت أكثر تداولاً في الأراضي الواقعة تحت حكم القورمان وخارجها (1). ونعلم أنه في أواخر القرن العادي عشر، استيشر كبار رجال بلاط صقلية بحسن طالع سلالة عائلة تانكريد (2)، وأن الملك روجيرو كان دائم التباهي بأنه وريث عمه وأبيه على حد سواء؛ ومن هنا يبدو أنه تمكن من استخدام اختصار اسم تانكريد. وتتميز رأيي هذا الزخرفة العربية على جزئي الخط الأفقي في حرف T في بعض العملات وعلى رداء نورمبرج الذي يقسمه الحرف نفسه إلى مربعين، والذي نجد فيه أن الخط العمودي الضخم لحرف T المزين بزخارف عربية، يشبه جذع نخلة.

ويؤكد سبينيللي (3) على أن روجيرو بمجرد أن حصل على لقب ملك، غير هذا النوع من العملة. وأقر العملة التي تعامل بها الملكان جوليلمو، حيث ظل اسم الأمير مكتوباً على أحد وجهي العملة، بينما استبدلت على الوجه الآخر، الصيغة الإسلامية بالعبارة اليونانية الشهيرة «الغلبة ليسوع المسيح». غير أن الكاتب ذاته يطمعنا أيضاً على النوع القديم بعد عام ألف ومائة وثلاثين (4): وفي الحقيقة أنه لا يمكن التحقق من أمر على هذا القدر من الأهمية إن لم يتم قبلاً التحقق من كل التواريخ والكتابات من أناس أكثر خبرة ودراية، هذا فضلاً عن أنني شاهدت بنفسى في متحف نابولي عملة عليها الصيغة الإسلامية من جهة ومن الجهة الأخرى تحمل حرف T وقد زين بزخارف عربية، مصحوبة بالكتابة العربية «بأمر الملك روجيرو».

(1) انظر العملات النحاسية اللاتينية، والتي من الواضح أنها سكّت في شبه الجزيرة الإيطالية، ويبدو الصليب على أحد وجهيها، وحرف T على الوجه الآخر إضافة إلى اسم روجيرو كونه كلاهما مصقلية، في الرسم التوضيحي من ١٣ في كتاب سبينيللي، الذي ينسبها عن حق إلى روجيرو الثاني.

(2) انظر في ملاحظتي، الكتاب الرابع، الفصل الخامس والعشرين، في كتاب كاروزو، Bibl. sicula، من ٢٤٤، حكاية أريجو أسقف ليوكاسترو، الذي هاجمه القراصنة.

(3) Monete cufiche، من ٢٥٥، خامس رقم ٧٣.

(4) انظر في المرجع المذكور، المجلدين ٢٢٦ و ٢٢٧.

واعتقد أن العبارة الإسلامية كانت قد أبطلت بالفعل في السنوات الأخيرة من حكم روجيرو؛ ولكنها لم تلغ في الحال، وإنما كانت تستخدم جنباً إلى جنب مع العملة التي كانت تحمل علامة الصليب والعبارة البيزنطية. ولمن يريد، بعد ذلك، أن يتعمق في دراسة صور العملات العربية المتعددة في العصر النورماندي والزفيشي. وخاصة تلك العملات التي تظهر عليها صورٌ دينية، أو صور حيوانات ونباتات، سوف يجد مجالاً رحباً في كتاب سينيللي.

ولم يتغير في عهد أول ثلاثة ملوك نورمان، شكل أو حجمهما أرى قيمة التاري والربيع. العملتين الفاطميتين. ويبدو أنه نادراً ما كانت تُسك دنائير أو أنصاف دينار(1)، كما لم تصل إلينا كمية كبيرة من العملات الفضية ذات كتابات عربية أو ثنائية اللغة؛ وإن كان غالباً ما يتم العثور على عملات نحاسية. ولقد سك تانكريد عملات عربية قليلة. ويرجع هذا إلى قصر فترة حكمه، وإلى التناقص المطرد في الشعوب الإسلامية، كما سك أريجو السادس أيضاً عدداً قليلاً من هذه العملات؛ وكذلك ندر وجود العملات العربية في عهد فديريكو الذي غير في النظام النقدي، مستبدلاً كصور الدينار بالأغسطالي. وعلى الرغم من أن العملات اللاتينية التي سكها ملوك صقلية لا تمت بصلة لموضوعنا، فإننا لا نريد أن ننقل أن الجوليفيين ذكروا، من بين الفرائث التي تفرد بها الإمبراطور فديريكو، أنه ابتدع عملة من

---

(1) استنتج هذا من وزن العملات الذهبية التي وصلت إلى يدي، ومن ذلك الوزن الذي دأب على الإشارة إليه كتاب سينيللي، وجدير بالعلم أن الوثائق البوتانية أو اللاتينية في صقلية في القرن الثاني عشر تحسب القيمة بالتاري الذهب من حبة *ad granum unum*، أو "ad granum unum"، وأحياناً من حبتين. ولكن، نعل الأمر يتعلق بالوزن الذي كان يسمح بنقصه في كل تاري. وإلا فإن هذه الحبة قد لا تطابق على الإطلاق الوزن الذي يسمى اليوم بنفس اسم الحبة أو *coccio*، وهو. وفقاً للنظام المشرى المتبع في صقلية حتى سنة ١٨٦٠. والذي لا يختلف كثيراً عن نظام بالرمو القديم، يوازي واحداً إلى ستة عشرة من الجرام. أما التاري فهو وزن دائماً جراماً. قابلاً للنقص أو للزيادة.

الجلد(1)، كما تقول الرواية الشعبية الصقلية عن جوليلمو المالو. وعلى الرغم من أن أحداً من تجار وهواة الآثار لم ير حتى الآن دليلاً مادياً عليها إلا أن تقليده للعملة ليس اسماً غير حقيقي فقد قلدنا الصينيون في نظريات الائتمان واستخدموا عملة من الكرتون بدءاً من القرن السابع الميلادي.

وقد دعا بلاط بابا روما، في خضم الأسباب التي ساقها لحرمان سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين، دعا فديريكو مزيافاً من نوع جديد، إذ اتهمه بأنه سلك نحاساً مغطى بطبقة رقيقة من الفضة(2)؛ ويجب أن أقول إنه برغم صفاقة هذا الاتهام إلا أنه يبدو حقيقياً، فلدينا أمثلة على هذا من العملات القديمة ومن العملات الإسلامية أيضاً(3)، ولأن هذا الاتهام هو من تلك الاتهامات التي لا يجزؤ أحد على لصقتها بأحد إن لم يكن لديه جسم الجريمة.

(1) يقول جوفاني فيلاني، الكتاب السادس، الفصل ٢١، إن فديريكو، وقت حصار نابلس (١٢١٠)، أمر بطبع صورته على جلد نظراً لندرة الدينار. وقد اعتبرها بمثابة عملة نقدية مثل عملة الأوجستازو، ثم استبدل هذا النوع من العملة النقدية الزوفية بالذهب. (2) في كتاب رينلدي *Annales Ecclesiastici*، (توكا، ١٧١٧)، السنة ١٢٢٩، في الثانية عشر من المجلد الثاني، ٢١٢. انظر حياة جريجوريو التاسع، كاردينال أراجونا، في كتاب موراثوري، *Rerum Italic*، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ٥٨١. (3) لقد وصلت إلى يدي عملتان إسلاميتان من النحاس، أولاهما منطاة برقيقة من الذهب والأخرى من الفضة. والأولى التي رأيتها في سنة ١٨٦٨ عند السيد سلفاتورى سترويا في مارسالا تحمل - مع وجود بعض الفواصل - نفس الكتابة الموجودة على دينار هارون الرشيد سنة ١٧٧. في كتاب مرسدن، برقم ٢٧، ونقرأ فيها اسم جعفر مثلاً نجدتها في شكل مرسدن الذي أعمل هذا في الوصف ولا أعلم سبباً لهذا. ولكن ينبغي أن نلاحظ أن مرسدن في وصفه لرقم ٢٦ الذي يقول عنه إنه مثل لرقم ٢٧، يشير إلى دينار من البرونز بالمواصفات نفسها. والعملة المنطاة بالفضة اشتريتها في مزاد عام أقيم في فلورنسا في مارس ١٨٦٩ لخاص المكنية البلدية في بالرمو، والتي تمتلك الآن هذه العملة. والعملة باسم الخليفة المهدي والتاريخ هو سنة ١٦٠ بغداد. والكتابة العباسية للفرام كاملة ويحروف واضحة تماماً. وينبغي أن نذكر أن أوتوني دي سان بياجو، الفصل ١٢، في كتاب موراثوري، *Rerum Italic*، المجلد السادس، ص ٨٩٩، يرى أن المسلمين قد اشتروا في عام ١١٩٥ قلعة تورولتس من المسيحيين الذين كانوا يدافعون عنها وقد أعطوهم "corruptum aurum metallo sophistico, auro in superficie colorato."

## الفصل الثالث عشر

لقد اجلت حتى الآن الحديث عن العمارة والفنون المساعدة، لأنه بدا لي من المستحسن أن أتعرض لها في هذا الفصل الأخير، المعد لبيان الآثار التي تركتها الجماعات المسلمة في صقلية؛ حيث لا توجد أي آثار أخرى تفوق في روعتها وأصالتها تلك التي نراها في القرن الثاني عشر. وأنا لا أتحدث عن القرون السابقة، حيث إنني لا أعلم في الحقيقة، ما إذا كان لا يزال قائماً إلى اليوم في كل الجزيرة أي مبنى ظهر أثناء الحكم الإسلامي. فالآثار التي كان أبائنا يتحدثون عنها بكل يقين وثقة، ترجع إلى عهد النورمان. وقد حكم بعض مثقفي القرن السابع عشر بأن كنيسة أنونسياتا دي كتلاني في مسينا كانت، في الأصل، ضريحاً لملك يظن أن اسمه مسالاً، وكان يعتقد أنه ملك *Alamidi*: الذي كانوا يقرأون شاهد قبره على لوحات الرخام الأبيض. المحطمة في جانب منها والمقلوبة، والتي كسيت بها قوائم البوابة الكبرى لتلك الكنيسة (1). وها نحن عندما نفسر، دون عناء كبير، كتابة النسخ الأثيقة المرصعة في تلك اللوحات ذات الأحرف الملونة والزخرفية، نستخلص منها أحياناً كان الملك روجيرو يدعو من خلالها كهراء البلاد للدخول في جنته الأرضية: لا شك في أنه قصر مسينا الملكي، حيث زخرفت الكتابة إحدى الردهات أو جرت على جدران

(1) سامبيري، *Iconografia della gloriosa Vergine, ec.* مسينا، ١٦٦٦، ص ٦١٥ - ٦٢٢، حيث يتضمن نقل وترجمة الأب كيركر، صححها على طريفته، الأب ماجري من مالطة. وقد أعاد جريجوريو طباعة النسخ في *Rerum Arabicarum*، ص ١٦٠، بعد أن جاء في ص ١٨٩ بأجزاء أخرى ثم بنائها في إحدى نوافذ كاتدرائية (دوم) مسينا نفسها؛ ونبه إلى أنه يوجد في تلك المدينة العديد من تلك الأعمال نفسها ولم يكن جريجوريو رجلاً يكرر أسطورة مسالاً؛ ولكنه لم يستطع هو أو تيلسن أن ينعنا كلمة من الأجزاء، سواء في كنيسة أنونسياتا أو في الكاتدرائية (الدوم).

إحدى القاعات (7)، ولخطا لا يستحق الاعتذار، كان ولايزال البعض يعتقد حتى الآن أن قصرى زيزا وكوبا وأطلال ميمنرتو أو بمعنى أصح مناني، بالقرب من بالرمو هي من أعمال المسلمين هي صقلية، ولكن قصر كوبا لم يخف عمره أمام ناظري جيرو دي برانجي؛ وهي النهاية كشف عنه النقش العربي نفسه الذي كان يبدو وثيقة تدل على أصله الإسلامي؛ لأنه محفور عليه بحروف كبيرة اسم جوليلمو الثاني وعام الف ومائة وثمانين بعد الميلاد (2). وقصر زيزا هو الآخر بعد أن أجبرنا جميعاً على احترامه بمظهره القديم، بعد أن حكمنا عليه

(1) لقد قرأت بعض الأجزاء من هذه الأبحاث في عام ١٨٦٨، وقمت بنشرها في *Iscrizioni arabiche di Sicilia*. الجزء الأول، رقم ٢ و ٤ (*Rivista sicula*). أغسطس ١٨٦٩)، مضميناً لها الصور. انظر في العمل نفسه الطبعة الأولى، رقم ٥. جزءاً من لوحة رخامية عثر عليها في القصر الملكي في بالرمو؛ وكانت منقوشة بحروف التسع الزخرفي بأسلوب مختلف. أبيات من الشعر، والنقش يشبه كثيراً في مفهومه وفي مساره كتابية مسينا. وهذه الكتابة الخاصة بـ *Annunziata de' Catalani*، والتي وصفت هناك بمحض الصدفة، جعلت بعض الكتاب في الأمور المعمارية، مثل جالي نايث، *The Normans in Sicily*. لندن، ١٨٢٨، ص ١٢٠ يحدون عن الطريق. وقد طبع الأب جرافينا *Duomo di Morreale*، ص ٢٢، ذلك على الفور في صورة اللابنية الصقلية في القرن السادس؛ ومن هنا قرر أن كنيسة أنونسياتا دي كاتلاني قد شيدت في عهد سان جيرويمو ثم تحولت إلى مسجد ثم إلى كنيسة من جديد. وأياً كان الأصل، فإن الشكل الحالي يرجع بوضوح إلى القرن الرابع عشر.

(2) *Iscrizioni arabiche di Sicilia*، الطبعة الأولى، رقم ١١، في *Rivista sicula* بتاريخ أكتوبر ١٨٧٠. لقد كنت أول من قرأ هذه الكتابة في أبريل ١٨٦٩ ونشرتها في *Revue Archéologique*. باريس، ١٨٥١، ص ٦٦٩ والصفحات التالية، وبما أن النسخة كلها مشيد بالحجارة نفسها وبأسلوب التشطيب نفسه الذي نعتت فيه الكتابة، فإنني لن ألجأ إلى معارضة افتراض بعض باحث بالرمو الذي يتفق معه البارون المتكف دي شالك (*Poesie und Kunst etc.*، المجلد الثاني، ٢٦٩). أي أن القصر كان قد بنى قبل ذلك بفترة طويلة، وأن جوليلمو الثاني قام بترميمه. وهذا الافتراض ليس له أساس تاريخي أو حتى، ويجب أن أشهد هنا على أن جيرو دي برانجي بعد أن أقر بشئ من الشك في الرأي العام حول الأصل الإسلامي (*Essai, etc.*)، ص ٨٧ والصفحات التالية، وقبل أن أقرا أنا الكتابة بعماسين، اعتقد أن قصر كوبا من أعمال القرن الثاني عشر. وذات مرة كنت في باريس مع وسع دوق سيرا دي فالكو في عام ١٨٦٧، تطرق الحديث إلى كوبا. وقد كان سيرا دي فالكو يؤكد بعماس كبير على أصله الإسلامي وساق من بين ما ساق من حجج الكتابة: وبعد أن قال له جيرو دي برانجي دوافع رأيه المعارض أخذ يكرر له في كل مرة: نعم، ولكن هذا نورمانى!.



الآن وقد أصبحت لدينا قراءات أفضل لإحدى وقائع التاريخ ولأحد النقوش. وبعد أن أصبحنا نعرف عمر قصر كوكبا، فإنه يعود إلى جوليلمو المالو وجزئياً أيضاً لابنه (1). ثم إن قصر مناني تنسبه إحدى الوقائع التاريخية إلى الملك روجيرو، ولا تقدم لنا اطلاله قرينة تؤدي بنا إلى التشكيك في تلك الوثيقة (2). ويمكن أن نرجع

(1) لقد لمست هذا الموضوع في الفصل الرابع من هذا الكتاب، ص ١٧١ - ١٧٢ من المجلد وبإسهاب أكبر في *Iscrizioni, ecc.* الفئة الأولى، رقمي ٩، ١٠ (*Rivista sicula*، فبراير ١٨٧٠)، وبالتالي فإنه لا بد من تصحيح الافتراض الذي كتبت قد طرحته من قبل: في الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، المجلد الثاني، ص ١٦٢.

ومن بين المؤلفين الكثرين الذين كتبوا عن زيزا، يجدر بنا أن نشير إشارة خاصة إلى لياندرو البرتي. *Isole appartenenti all'Italia*، قيسيا، ١٥٨١، الورقة ١٧، الوجه الثاني والصفحات التالية. وكان جيرو دي برانيس، *Essays, etc.*، في حديثه في ص ٨٦ عن القاعة الأرسية، قد ضمن هنا أيضاً التاريخ، لأنه يشير إلى جوليلمو الثاني. (2) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٤٦ من المجلد. وكان لياندرو البرتي، في المرجع المذكور، الورقة ١٧، الوجه الثاني، أول من ذكر هذا القصر دون أن يكتب اسمه. وهو يقول: «هناك علاقة على ذلك، وعلى بعد ميل من بالرمو اطلال قصرين قاهرين. والثالث لا يزال أيضاً قائماً، ولكنه في حالة سيئة لأنه أصبح الآن (التصف الأول من القرن السادس عشر) مسكناً للحيوانات». والقصران القاهيران هما قصرا زيزا وكوكبا. اللذان لا يصنف منهما البرتي سوى الأول.

وبعد هذا الرحلة، تناول هذا الموضوع الأستاذ ج. ب. بازيلي الأستاذ بجامعة بالرمو، في مقالين في جريدة بالرمو *La ricerca*، العددين ٢٠١ (٢٠ أبريل و٩ مايو ١٨٥٦)، ود. مارنسو، المرجع المذكور، المجلد الأول، ٢٦٩.

واعتقد أنه يجب أن نطلق على هذا القصر اسم مناني وليس ميلنوم، وهو الاسم الذي أطلقته عليه حتى الآن الباحثون الصقليون، وهذا ما نقرأ حقيقة في بعض المخطوطات، وفي طبقات فالكانسو (انظر كاروزو، *Bibl. sicula*، ص ٤٤٨)، ولكن يبدو غريباً إلى حد ما أن نسمع في بالرمو لفظاً ليس له معنى آخر سوى الاسم الأول لشاعر قديم. ومن ناحية أخرى فإن اسم مينوم مكتوب بوضوح في مخطوطة فالكانسو المثقفة الجميلة، التي تمتلكها مكتبة باريس (سان هيكور، ١٦٠٤، الورقة ١٥ الوجه الأول) وتعرف أيضاً في وثيقة عربية بتاريخ أبريل ١١٢٢، مخطوطة في مخطوطات كنيسة دوم بالرمو، وقد نشر منها جريجوريو جزءاً في ملزمته *De supputandis apud Arabes siculos temporibus*، ص ٤٤، وقد طبع النص كله الآن بصورة صحيحة الأستاذ كوزا، في وثائق اليونانية والعربية في صقلية، الجزء الأول (لم ينشر بعد)، ص ٦ والصفحات التالية. وتقول هذه الوثيقة أن مسلماً من بالرمو كان يستعمل جزءاً من مياه عين المناني بمياه عين الفرع وعين البطية، اللتين كان يمتلكهما مسلم آخر: وقد كان هذان التبعان معاً في المناطق القريبة من بالرمو، وكان النبع الأول يروي الريف الذي كان يسمى برج

أصل قلعة ماري دولتشى (1) وحمامات تشيفالو إلى زمن أقدم (2)؛ إلا أن الشكل الأصلي لهذين الأثرين قد تغير، بفعل الزمن والبنائيات التي أدخلت عليهما. ونقول الشئ ذاته عن بوابة الحرية (3) ومبنى سان

البطال. ونعرف أيضاً موقعه من أين حوّل، في المكتبة العربية، الصقلية، الترس، ص ٩، وفي *Journal Asiatique* بتاريخ يناير ١٨٤٥، ص ٢٩.

ويلاحظ أن هذه القلعة لا تظهر بين المواقع الملكية في ريف بالرمو. والمذكورة في وثائق الإمبراطور فريكو. ولا بين مواقع كارلو دانجو. ويمكن أن يقال إنه تم تدميرها قبل القرن الثالث عشر؛ وربما في معركة ٢١ يوليو ١٢٠٠، التي بدأت حقبة في تلك الأماكن، كما نرى في الفصل السابع من هذا الكتاب، ص ٥٥٢ - ٥٥٤.

(1) هناك مبنى مشغول لكن نتخذ أن هذه القلعة، بحمامها، الذي بقيت بعض آثاره، مع حدائقه والبحيرة الصناعية التي جفت الآن. من عمل الأمير الكلي جعفر (٩٩٧ - ١٠١٩).

انظر كتابنا الرابع، الفصل الثامن، في ص ٢٥٨ من المجلد الثاني والكتاب الخامس، الفصل الرابع، في ص ١٢٤ - ١٢٥ من هذا المجلد. لقد كانت هذه بالضبط، الفحص والحدائق الفنية المروية بالماء والفنية بالمناخ، التي احتلها الكونت روجيرو حسبما يقول أماتو. عندما دخل ريف بالرمو في عام ١٠٧١.

وحول بقايا ماري دولتشى نحدث في الأعمال المذكورة، جاكلي نابت، في ص ٢٠٥؛ وهيثورف، ص ٦ (اللوحة السادسة والسبعون - الشكل ٢)؛ وجيرو دي برانجي، ص ٩٢؛ ودي مارتسو، المجلد الأول، ص ٢٧٠ والصفحات التالية.

(2) نشر جيوجيويو، *Repum Arabicarum*، ص ١٨٨، رسماً سبباً للغاية للكتابة الكوفية التي كانت تظهر في أعلى الأسوار والتي لم يحاول ترجمتها ولن أحاول أنا ذلك دون مساعدة أخرى سوى ذلك النفس. ويضيف جيوجيويو أن الحروف جميلة جداً وأن المبنى يبدو في الظاهر قديماً جداً؛ ولكنه لا يقول إنه رآه هو نفسه. وعرض جيرو دي برانجي، في المرجع المذكور، ص ٩٢، وفي القوحتين السابعة والثالثة عشر، رقم ٤، عرض داخل الحمامات ونسخة جميلة من فترة من الكتابة، التي أرى أن حروفها قديمة جداً. إذا كانت دراسة النقوش الكوفية القديمة تقدم أدلة مؤكدة على المصور والأزمنة، ولكن بما أنه يقال لي إن الكتابة سقطت، منذ سنوات طويلة فإنا لا نستطيع أن نأمل الآن وربما أبداً في الوصول لأصل ذلك الأثر. انظر أيضاً جاكلي نابت، المرجع المذكور، ص ٢٢٤. ثم إن تصميم القاعدة الرئيسة للحمام يشبه شهاباً كبيراً تصمم حمام بالما في مابوركا، الذي يقدمه لنا جيرو دي برانجي، المرجع المذكور، اللوحة الثانية؛ والاختلافات تكمن في الأقواس، فهي حادة في تشيفالو وعلى شكل حدوة حصان في بالما، والعمل في المبنى الأول أنيق من ثاني هذين المبنيين.

(3) تحدثنا عن أطلال هذا الباب في الكتاب الخامس، الفصل الرابع، ص ١٢٢ من هذا المجلد، ملحوظة ٢. وبعد أن كتبت ذلك الفصل، حدث أن قمت أنا نفسي بزيارة كنيسة لاظيتوريا في عام ١٨٦٨ بصحبة المهندس المعماري الدكتور كفاللاري. وقد عدت إليها مرة أخرى في عام ١٨٧١. وقد تعرفت على صيغة الأخبار التي قُبِعَها لي عنها أولاً

جوفاني دي ليبروزي<sup>(1)</sup>. ثم إن الأمل ضئيل في بعض القلاع ذات المظهر الإسلامي، المهجورة، بل شبه المحطمة، مثل قلاع جبل بونيفاتو<sup>(2)</sup>، وانتيللا وكالاتامورو في وادي مازارا<sup>(3)</sup> وبعض القلاع

الباحث الأستاذ ساليناس، والتي استخدمتها في الملحوظة. وقد رأيت علاوة على ذلك، بعد أن أراى إليها كفاللاري الواجهة الخارجية لهذا الباب من جانب الصور القديم للمدينة، الذي يلاحظه الآن بيت ضيق يطل على الميدان الصغير المسمى بفيثوريا أي بهانكي، ونميز فيه بوشوح بالغ القوس العاد، الممثل الآن والذي تمت تسويته بواجهة الجدار. وعلى الجانب الآخر من الصور القديم تقع كنيسة فيثوريا: وأول هيكل فيها، على يمين من يدخل من المدخل الأكبر في ميدان سبازيمو هو بالضبط البوابة القديمة. والتصف الأعلى من ذلك الهيكل فيه تلك التوحة الجدارية التي وصفناها. وهي حديثة وتحمل لمسات زمن لاحق. ولكن في النصف السفلي، وبالدات خلف المذبح المصمم الآن بحيث يمكن تحريكه متى أريد ذلك، نرى النصف السفلي من باب قديم وقوي من الخشب. قد يكون محفوظاً من القرن العاشر عشر؛ ولأنه أن نعتقد الشئ نفسه بالنسبة للقوس العاد، الذي يمكن أيضاً أن يرجع إلى تأسيس الخالصة، أي إلى القرن العاشر. ويلاحظ أنه لا تزال هناك أطلال قوية للغاية وقديمة من البناء، سواء في جانب آخر من الكنيسة، أو في بيت قديم مجاور يطل على ميدان سبازيمو.

(1) ذكرت في الفصل الرابع من الكتاب الخامس، ص ١٢٢ من هذا المجلد، هامش ٢، نص كلمات أمانو التي نوحى بأن موقع سان جوفاني دي ليبروزي هو موقع قلعة يحيى نفسه أو جوفاني، الذي أخذ الكونت روجيرو بعد قلعة ماريدولنشي. ولكن الكنيسة الحالية لم تكن موجودة عليه بالتأكيد؛ ولا توجد أي وثيقة تثبت أن النورمان قد بنوها على الفور.

(2) يوجد منظر لهذه القلعة المدمرة، التي تملو الكامو، في كتاب دوق سيرا دي فلانكو، *Del Duomo di Monreale e di altre chiese normanne*، ص ٤٢، في رسم خطي. ونلاحظ فيه المنهد من النوافذ على شكل قوس حاد.

(3) أشرت إلى انتيللا في الكتاب الخامس، الفصل الثالث، ص ٩٢ من هذا المجلد، هامش ١. ومن المؤكد أنها كانت قلعة بالغة القوة قبل الحرب النورمانية. وهناك صديق لي زار تلك الأطلال منذ أربعة عشر عاماً ورسم أيضاً رسماً تقريبياً لها، ولاحظ فيها صهيحاً به عند ذي قوس حاد، وهو في الرسم التقريبي له الأبعاد نفسها الموجودة في المباني النورمانية في القرن الثاني عشر.

وكالاتامورو غير مذكورة في الصوليات النورمانية؛ ولكن الإريسي يذكرها ويشير إلى موقعها وبالتالي فإنها يجب أن ترجع إلى العصر الإسلامي، وإن لم يشهد على ذلك الأمل اسمها. المؤلف من لفظين معروفين للغاية، فاللفظ الأول عربي والثاني لاتيني أو يوناني، وهو ما يمكن أيضاً أن يترجم إلى أولى الفترات للفتح الإسلامي. وهناك وثيقة أرهقتها في *Guerra del despro Siciliano*، الفصل السادس، طبعة ١٨٦٦، المجلد

الأخرى في وادي نوتو(1)، حيث إنه لا يبدو أننا نستطيع من اطلال القلاع أن نستخلص نظاماً كاملاً للعمارة. ولم اترض بالذكر للكنائس التي نسميها نورماندية، لأنه من الواضح أنها جميعاً ترجع إلى القرن الثاني عشر. وإذا استطلعنا في كنيسة أو كنيسة أن نكتشف بعض أعمال العقود الأخيرة من القرن الحادي عشر، فإن هذا لن يؤدي إلى أي اختلاف في العصر. ثم إن مباني القرن الثاني عشر تكفي لتحديد اتجاه الفن الذي ازدهر في صقلية طوال فترة وجود المسلمين. ويلاحظ كل المؤلفين المحدثين، الذين ترضوا لهذا الموضوع، في الفن الصقلي في العصر النورماني، أسلوباً خاصاً، مختلفاً جداً عن أسلوب الأمم الأوربية المعاصرة وعن أسلوب إسبانيا المسلمة(2):

الأول، ص ١٢٩، هامش ٢، تبرهن على أهمية هذه القلعة في القرن الثالث عشر. وقد فحص صديقي الذي زار إشبيلية فحص كذلك كالاتالورو، التي ترض على الجبال نفسها وكانت أوسع كثيراً. وقد لاحظ في اطلالها صهريجاً كبيراً، عده هو أيضاً على شكل قوس حاد، ومطلي بالأسمنت العائى ومحفوط جيداً.

(1) كان البارون مندرهسكا دا تشيفالو، الذي فقدته إيطاليا كما فقد العلم مكرماً يؤكد لي في عام ١٨٦١ أنه رأى، قبل ذلك بعشرين عاماً، كتابة عربية في البرج التسمى لي جريسي، كان جزءاً من بيت صاحب الأرض وكان يقع في الدرب المؤدى من يانسا إلى قنيس، ذلك الدرب الذي كان يسمى آنذاك شارعاً. وكانت الكتابة تظهر على سلم البرج، وكان جزء منه مبنيًا والجزء الآخر منحوتاً في الصخر.

وقد يقصن البحث عن هذا البرج وكذلك الآخرين الذين ذكرهما هيرل، Voyage pittoresque etc. المجلد الثالث، ص ٦٩ و ١٢٢. وقد كان أحدهما يقع في الشارع المؤدى من ميليتيلو إلى قنيس، والآخر في إقطاعية فالكونارا، على بعد ثلاثة أميال من نوتو.

(2) انظر: هيرل، Architecture moderne de la Sicile، باريس، ١٨٢٥، رسم على الورق به الغصان.

جائلي نايت، The Normans in Sicily، لندن، ١٨٢٨، مع اطلال من الوري، سرًا دي فالكو (دومينيكو لوفازو، دي) Del Duomo di Monreale e di altre chiese normanne, etc.، بالرمو، ١٨٢٨، على ورق به الغصان، il Castello della Zisa، المعجزة التي تعمل عنوان L'Olivizza, ricordo del soggiorno della Corte imperiale russa, ec.، بالرمو، ١٨٦٦، وبه صور للفتوش العجيرة. جيو دي براتشي، Essai sur l'architecture des Arabes e des Mores، باريس، ١٨١١، مع صور للفتوش العجيرة.

حيث يقولون إنه مزيج من مختلف العناصر، البيزنطية والتورمانية والموريسك وغيرها؛ وينسب كل كاتب إليها أبعاداً مختلفة. ويؤكد آخرون أن العمارة التي يطلق عليها عامة عمارة قوطية، والتي يبدو أن القوطيين لم يعرفوا عنها شيئاً أبداً. قد جاءت من الشرق وقبل أن تنتقل إلى الشمال، حيث قدر لها أن تنتج العديد من معجزات الهجرة، توقفت في صقلية. ويعد أن اتسعت المسألة على هذا النحو. أجد نفسي مضطراً للدخول فيها. وأنا غير مهيب لها كما أشعر؛ ولهذا سأطلب عون أساتذة الفن، وأولهم كوستي، الذي درس طويلاً مباني القاهرة وأضاد من العلوم الإسلامية. وسوف أنهل أنا أيضاً من هذا المصدر بعض الأنباء حول أصل العمارة وتطوراتها لدى العرب؛ وسيكون مجهوداً صعباً، لأن هذا الموضوع لم يتناوله أي من كتابهم الذين قرأت لهم. ويمس ابن خلدون في المقدمة، الموضوع بأراء رفيعة من الفلسفة التاريخية؛ ويتطرق إلى أعمال البنائين والتجارين؛ ولكنه عن أصل العمارة يقول مرة إن العرب أخذوا العمارة عن الفرس ويبدو أنه ينكر ذلك في فصل آخر (1).

دي مارشيو. *Delle Belle Arti in Sicilia, ec.* بالرمو. ١٨٥٨. مجلدان. مع صور للنقوش الحجرية.  
 بوشيس. *Notizie della basilica di San Pietro, detta la Cappella regia di Palermo*. بالرمو. ١٨٤٠. مع صور للنقوش الحجرية.  
 شالد *(A. F. von)*. *Poesle und Kunst des Araber in Spanien und Sicilien*. برلين. ١٨٦٥. مجلدان.  
 سبرينجر. *Die mittelalterliche Kunst in Palermo*. بون. ١٨٦٩.  
 جرافينا *(Dom. Benedet. cassinese)*. *Il Duomo di Monreale illustrato*. بالرمو. وتاريخ النشر خطأ ١٨٥٩. ويجب أن يصحح ليصبح ١٨٧١. مع لوحات ملونة للنقوش الحجرية وبعض الصور.  
 انظر أيضاً المقالات القديمة عن مؤلف سيرا دي هالكو. التي كتبها الأب نيكولو ماجوري، هي *Effemeridi Siciliane*. أرقام ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ (بالرمو. ١٨٢٩) و *جدامياتيمستا كاستيليا* هي *Giornale Letterario*. العدد ١٩٥. (بالرمو. ٢١٨٩).  
*Prolegomenes (1)*. ترجمة فرنسية للبارون دي سلان. الجزء الثاني. ٢٧٤. في النص، الجزء الثاني. من ٢٢١ و ٢٢٩. من طبعة باريس. نقرأ الاسم العرفي فرس. أي شعوب فارس بالتحديد. مع استبعاد الأقاليم الشمالية والشرقية من المملكة الحالية.

ولم يكن لدى العرب، كما يعرف الجميع، أى جانب آخر من الحضارة يحملونه معهم خارج شبه الجزيرة العربية، سوى لغة مسهية، ومزدهرة قوية البناء. أما العمارة فقد كان تطورها أقل من أى هن آخر فى تلك الأمة التى كان جسمها من الرحل وأطرافها، إذا كانت لديها مبانٍ، إنما كانت تدين بها للشعوب المتاخمة لها؛ فى الشمال بئرا وبالميرا المليثتان بالآثار الرومانية؛ وفى الشرق الحيرة بمنشآتها التى ترجع إلى عصر الساسانيين وقلعة الخورنق الشهيرة، التى بناها فى أوائل القرن الخامس المهندس المعماري اليوناني سنمار بأمر من الملك العربي النعمان<sup>(1)</sup>؛ وفى الجنوب كان هناك اليمن بتلك العمارة التى كان يمكن أن ينقلها إليها الفرس، أو مسيحيو الحبشة مقلدو البيزنطيين، وبالتالي فإن المنطق التاريخي كان يقضى بأن يبحث العرب فى هجرتهم إلى بلاد ما بين النهرين وفارس وسوريا ومصر وفى أفريقية وفى أسبانيا، لاضطرارهم لتأسيس مدن وتشبيد مساجد وقلاع وقصور وتعديل المباني الدينية والدنيوية لدى الشعوب المهزومة لاستخداماتهم، عن مهندسين معماريين بين الطوائف الأجنبية سواء بين المهزومين أنفسهم والعبيد والعتقاء وداخلى الجزيرة أو الذين اعتنقوا الإسلام وأصبحوا مواطنين: سواء بين رعايا

---

انظر أيضاً الصفحات ٢٤١ والصفحات التالية وص ٢٦٥ والصفحات التالية كلها.  
 فى المقدمة نفسها، الترجمة الفرنسية، II، ٢٢٥، كتب المؤلف، ابن الوليد بن عبد الملك، استقدم مهندسين معماريين من القسطنطينية لبناء مساجد المدينة والقدس ودمشق، ويبدو أنه يناقش بهذا ما قاله عن الأصل الفارسي؛ ومع ذلك فإن العدلين يتفقان تمام الاتفاق، وكما سترى الآن كان الفنانون البيزنطيون يدعون لأعمال الفسيفساء وربما لأعمال زخرفية أخرى؛ وقد شهد الفرس المباني الأولى، وعلى أى حال فإن الرواية وقعت فى خطأ واضح، لأن تلك المساجد كانت موجودة أصلاً؛ وبالتالي لم يكن من الممكن بنائها من جديد، ويبدو لي أن ابن خلدون، كما قلته، قد جمع هنا وقائع مختلفة، وهكذا كان يصعب تارة ويخفى تارة أخرى.

(1) كوسين دي بريسفال، *Essai sur l'Histoire des Arabes*، الثاني، ص ٥٥.

الإمبراطورية الرومانية أو مفتصبي أقاليمها. وتبرهن المذكرات الإسلامية على أن العمارة دخلت بالذات من هذه الطرق إلى الأمة العربية، التي أصبحت شابة وكبيرة بصورة إعجازية من حيث العدد والأرض. ونستطيع أن نقول إن هذه هي الطرق نفسها التي تعلم المسلمون من خلالها نظم الإدارة العامة من الساسانيين والبيزنطيين والطب والرياضيات والجغرافيا والكيمياء والمنطق والميتافيزيقا؛ وهي علوم استعادوها كلها من العالم القديم ونقلوها إلى أوروبا العصر الوسيط التي كانت في طور البداوة، بسرعة أكبر مما فعل اليونانيون، ورثة الاسم الروماني العظيم. ويبدو أيضاً أن من بين سكان الإمبراطورية الإسلامية كان المنحدرون من الجنس الآري قد تفوقوا على سادتهم تفوقاً كبيراً في ممارسة العمارة، وكذلك في العلوم وتطبيق ممارسة الإدارة العامة؛ وكان أبرز الرجال في تلك العلوم من أصل أجنبي، وإن كان الشاء على كل جهودهم ناله العرب، الذين وهبهم لغتهم.

ومنذ الفتوحات الأولى، استخدم المسلمون في البناء بحرية الرعايا الجدد وأيديهم. وخلال صام واحد من تأسيس الكوفة (٦٣٨)، كانت مجموعة من الأكواخ البائسة، شب فيها حريق أتى عليها، فكر المستوطنون العرب في إقامة بيوت من الطوب والجير؛ ووافق الخليفة عمر، بشرط عدم بنائها عالية جداً<sup>(1)</sup>؛ ولكنه يعمد لتبديل من همدان (إكبتان)، يدعى روزبه، أن يصمم مبنى كبيراً يضم المسجد وبيت المال معاً؛ ومن أجل المسجد تنزع أعمدة من المعابد الساسانية<sup>(2)</sup>، ومواد أخرى من قصور

(1) ابن الأثير، العام ١٧، نص توضحرج، المجلد الثاني، ص ٤١١، ٤١٢.

(2) القلمى، الاقتفاء، مخطوطة باريس، Ancien Fonds، رقم ٦٥٢، الورقة ٩٤ الوجه الثاني. راجع ابن الأثير، الموضع المذكور.

الحيرة(1). واخذ روزه بينى أيضاً أسواق الكوفة على شكل البواكى(2)؛ وبعد قرن واحد كانت قد صنعت فى تلك المدينة الكبيرة متاجر ذات أقواس من الطوب والجبس، بأمر من خالد بن عبد الله القسرى(3)، حاكم العراق (٧٢٥ - ٧٢٩) المشهورة بالقنوات والجسور والأعمال العامة الأخرى، التى أثرى بها الإقليم، بسبب الدخول الكبيرة التى حصل عليها والتشجيع الذى قدمه لغير المسلمين(4). ولكن العمارة فى ذلك الزمن كانت قد أحرزت تقدماً وتطوراً لدى المسلمين. ونحن نعلم أن زياد، عامل الخليفة معاوية (٦٨٠ - ٦٦١) عندما وجد أنه من الضروري توسيع المسجد الجامع فى الكوفة، تشاور فى ذلك مع مهندسين معماريين من الفرس، واجتهد فى أن يشرح لهم المفهوم الذى كان فى ذهنه، ولكنه لم يعرف كيف يشرحه لهم. ومع هذا فقد فهمه فقط مهندس عجوز من مهندسى ملوك

(1) البلاذرى، *Libet Expurgationis*. نصر دى جوجى، ص ٢٨٦ وابن الأثير، الموضع المذكور.

ويلاحظ أن معظم الآثار الإسلامية التى ظهرت فى القرون الأولى من الهجرة من مصيق جبل طاروق وحتى الخليج الفارسى وحتى أكموس كانت مبنية بأسلاب المباني القبطية. ولا نترنما استشهادات فى هذا الخصوص. ونقرأ أيضاً فى البلاذرى، المرجع المذكور، ص ٢٩٠، أنه قد وضعت فى المسجد الجامع فى الواسط فى بلاد ما وراء النهرين، الأبواب التى نزهت من زخارف ومن مدن أخرى فى هذا الإقليم؛ وقد أشتكى ساكنوها من هذا السلب، المطالب للمهود التى كانوا قد أبرموها مع المسلمين.

(2) ابن الأثير، الموضع المذكور.

(3) البلاذرى، المرجع المذكور، ص ٢٨٦. اللفظ الذى أترجمه بكلمة "dolla" هو أزج. ويبدو لى أن الأمر يتطلب إيمان الفكر فى البحث من جذر اللفظ الفرنسى "agide". لأن الأسبان كانوا يخطئون نطق الحرفين G Z (الجهيم والزاي) وهما آخر حرفين فى ذلك اللفظ العربى. وربما كان عندنا هكذا أول متطمين من "agide" والمقطع الأخير يمكن أن يشير إلى النهاية المعروفة للصفة الاشتقاقية فى اللغة العربية.

(4) ابن الأثير، السنتان ١٠٥ و ١٢١، طبعة تورنيرج، المجلد الخامس، ص ٩٢ و ١٦٣ والصفحات التالية.

يشير البلاذرى، المرجع المذكور، ٢٨٦ و ٢٨٧، إلى الأعمال الموسمية التى قام بها خالد ويذكر من بينها كنيسة شهيدا هو. كما يقال، فى الكوفة، تكريماً لوالدته المسيحية. وهذا الحدث لم يسهه بل، *Geschichte des Chalifen*، المجلد الأول، ص ١٢١.



الساسانيين؛ وقد رد عليه بأنه يتعين رفع أعمدة ارتفاعها ثلاثون ذراعاً، كلها من حجر الأهواز، المسلحة بوصلات من الحديد ولحامات من الرصاص؛ ثم لابد من بناء السقف بعد ذلك وبناء الأروقة الجانبية والمحراب في النهاية. فرد زياد قائلاً: «هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه»؛ وهكذا تم العمل (1).

ويظهر الفن أكثر عظمة وجراً أثناء خلافة الوليد (٧٠٥ - ٧١٥)، الذي شيد مبان كثيرة وكبر العديد منها وزينها. وكان قد ظهر في واسط في بلاد ما بين النهرين (٧٠٢) مبنى يقال له القبة الخضراء (2). وأمر الوليد ببناء قبة أخرى في أكبر مسجد في دمشق؛ ويحكى أنه بينما كان الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠) يفكر في إزالة الزخرفة غير اللازمة التي زخرفه بها سلفه وانفق فيها نفقات باهظة، جاء إلى دمشق سفير بيزنطي، وعندما دخل المسجد مع تجار كثيرين من أمته، ورفع عينيه للقبة اضطرب وأصابته دهشة كبيرة، وعندما سئل عن السبب، رد بأنه كان يأمل أن يدوم حظ العرب قليلاً، ولكنه الآن بعد أن رأى أي مبان يستطيعون بناءها فإنه يتوقع أن تدوم قوتهم طويلاً (3). وهناك عمل

(1) القلمى، الموضوع المذكور. يلاحظ أن هذا الرسم يشبه رسم الكنائس المسيحية، وقد ترجمت بكلمة "abside" (محراب) اللفظ العرسي الذي يعنى حرفياً الأجزاء الخلفية. وترجمت بلفظ "braccio" كلمة (ذراع) وهى الكلمة المقابلة فى المعنيين؛ عضو الجسم ومقياس المسافة. وقد اختلف طول (الذراع) تبعاً للأماكن والأزمان. وطول مقياس النيل القديم فى الروضة، الذى قاسه كوشى، المرجع المذكور، ص ١٥، هو ٠.٥٤١٥ من المتر.

(2) ليلاند، المرجع المذكور، ص ٢٩٠.

(3) أجزاء من نص ابن شاذى، نشرها الأستاذ أنسبالد، فى حاشية كتابه Specimen e literis orientalibus، لندن، ١٨٥٢، ص ٨ و ٩. انظر فى الملزمة نفسها، ص ٩، نص الوثائق مجبولة المؤلفات الضامة بالوليد، والتي تغطى السفر لقب النيل وشوى الحدث نفسه بكلمات أخرى. وبعد التظليل من مبالغة شديدة ترجمت العبارة: "si turbò feramente" عبارة النص التى تقول بالضبط "cadda evenuto" سقط مفيشاً عليه. حول مسجد دمشق راجع الإنريسي، نص م. جوبير الفرنسى، المجلد الأول، ص ٢٥١، حيث يذكر قبة أخرى تسمى الخضراء la Verde وطرق الزخرفة المختلفة.

آخر بيدو عظيماً أيضاً، في منتصف القرن الثامن، وهو القبة التي شيدتها على قصر الخورنق، الذي ذكرناه لتونا، أحد أتباع العباسيين، وهو من أصل فارسي؛ عندما حصل على القصر هدية، عند تأسيس الخلافة الجديدة<sup>(1)</sup>. وفي النصف الأول من القرن التاسع، قام الأمير الأغلبى زيادة الله، الذي تم فتح صقلية في عهده، بإعادة بناء جامع القيروان القديم كله من الطوب والحجر، وشيد قبة على المحراب، الذي يحدد اتجاه مكة<sup>(2)</sup>. ونحو نهاية القرن نفسه رأينا قبباً مماثلة تظهر أيضاً في مقصورات الحداثق، التي كان أمراء مصر يستريحون فيها في دعة<sup>(3)</sup>: بينما كان إبراهيم بن أحمد المتوحش يشيد في مسجد القيروان قبة أخرى جميلة رائعة، تقوم على ستة وثلاثين عاموداً أنيقاً من الرخام<sup>(4)</sup>.

ولكن بالعودة إلى الوليد، نلاحظ أنه شجع الزخرفة بصفة خاصة. وفي عام ثمان وثمانين من الهجرة (٧٠٧)، عندما أراد توسعة مسجد النبي في المدينة، أرسل له جوستينيانو الثاني مائة ألف دينار، ومائة من الصناعات وأربعين حملاً من مواد الفسيفساء؛ وعندما لم تكف، أرسل البيزنطي للبحث عنها، وهو اتهام رهيب من التاريخ، في أنحاء

(1) البلاذري، المرجع المذكور، ص ٢٨٧ و ٢٨٨، وقد كان هذا يسمى إبراهيم بن سلامة؛ وكان معشوقاً من قبيلة رباب، وكان أحد المبعوثين الذين أمدوا لانفضاض خراسان لصالح العباسيين، ونرى آل رباب من أوائل فائحي خراسان، طبقاً لفكرة من فقرات البلاذري، المرجع المذكور، ص ١٠٤.

(2) البكري، *Description de l'Afrique*، نص باريس، ص ٢٢، والترجمة في *Journal Asiatique* أكتوبر ١٨٥٨، ص ١٧١.

(3) المشري، المواقف، نص بولاق، المجلد الأول، ص ٢١٧، يقول أن الأمير الطولوني خمارويه بنى أمام قبة الهواء قبة أخرى تسمى ذلك وكانت مفتوحة الأجناب (أو من الأفواس الأربعة، كما يبدو لي، التي كانت تدعم القبة)، ولكن هذه الأفواس كانت تنقل، عندما يراد ذلك، يستأثر. ومن فوق المدكة كانت تظهر حدائق وقصور الأسير، والصعراء والتيل والتلال.

(4) البكري، المرجع المذكور، ص ٢٤ من النص و ١٧٢ من الترجمة.

المدن المهجورة كلها هي الإمبراطورية (1). وكان الوليد أيضاً أول من زخرف مسجد دمشق بالفسيفساء التي تصور هروع الأشجار الصغيرة والورق، المرسومة بمختلف الألوان على أرضية من الذهب (2). وفي مسجد الكعبة في مكة أضاف أقواساً بكتابات من الفسيفساء باللونين الأبيض والأسود، وغطى الأعمدة برخام من لونين يتم التبادل بينهما، وأحياناً أيضاً ثلاثة ألوان الأبيض والأحمر والأخضر (3). وبعد ذلك بقرنين أهدى بلاط القسطنطينية أيضاً مواد الفسيفساء إلى عبد الرحمن الخليفة الأموي في أسبانيا عندما وضع اللمسات الأخيرة على المسجد الجامع في قرطبة. ومن الذين يشهدون لنا على ذلك الإدريسي، الذي يقول إن أقواس المحراب «كانت كلها مكسوة بالفسيفساء، حتى أنها كانت تبدو مطلية مثل أقراط كثيرة. وكان هذا العمل الدقيق، المتجانس والأنيق والراقي يثير الإعجاب إذ إن المسلمين أو الروم لم يصلوا إلى هذا الاتقان البالغ من قبل» (4). وهي كلمات مشهورة لكاتب ربما كانت تحت ناظره أعمال الفسيفساء في كنيسة بلاتينا في الرمو!

وحول موضوع الزخارف نفسه يجدر بالذكر أن زيادة الله في

(2) الطبري، مخطوطة مكتبة باريس، الملحقات العربية، رقم ٧٤٤، ص ١٢٢ و ١٢٣. راجع ابن الأثير، عام ٨٨، تورنبرج، المجلد الرابع، ص ٤٢٢. راجع أيضاً الكاتب مجهول الاسم في خلافة الوليد، الذي نشره أنسبال، المرجع المذكور، ص ٤، الذي ينكر فيه رقم ١٠٠ ألف صانع، لخطأ في التمسح، على ما يبدو. بعد أن ذكر الوافدي مصدراً له. (2) محمد بن شاكر، في كتاب أنسبال المذكور، ص ٥ الهامش. كتب أن الوليد طلب من إمبراطور القسطنطينية اثني عشر ألف صانع من بلاد، وعندما جاءوا كسا أسوار (جدران) المسجد «بالأحجار الصغيرة الذهبية التي كانت تسمى الفسيفساء» (paved). مخطوطة بطرق عديدة بألوان رائعة على شكل نباتات... إلخ. راجع مواضع ابن خلدون، المذكورة لتوما، ص ٧٧٩ في الهامش ١.

(3) الأزر، في النص الذي نشره وستيفيد، في *Chroniken der Stadt Mekka*، المجلد الأول، ص ٢٠٩ و ٢١٢ والصفحات التالية.

(4) دوزي ودي جوييه، *Description de l'Afrique et de l'Espagne*، بقلم الإدريسي، لندن، ١٨٦٦، النص ص ٢٠٩. انظر ص ٢٦٩ الرواية، التي اعتبرت أنه يشهد على أن ابتعد عنها قليلاً.

أفريقية كسوى المحراب بالرخام من قمته إلى قاعدته، وزينه بكتابات ونقوش عربية؛ ووضع حوله أعمدة مبرقشة باللونين الأسود والأبيض (جرانيت؟) وأقام في مواجهة المحراب عامودين من الرخام الأحمر البديع (الرخام الصعالي)، لم ير أحد أجمل منهما في الغرب أو الشرق؛ حتى أن إمبراطور القسطنطينية عرض شراءهما بمقدار وزنهما من الذهب، ولكن زيادة أبي بهيمهما(1)، وتشهد قصة ذلك العرض، في رأيي، على التجارة بالمهندسين المعماريين البيزنطيين في القسطنطينية، أو في محيط نابولي أو بالأحرى في صقلية. وبما أن الفن البيزنطي قد انتشر أحياناً، مع الحماية السياسية، حتى الحبشة، فإنه يجب أن نذكر هنا الرواية التي تقول إن عبد الله بن سعد، حاكم مصر (٦٤٥ - ٦٥٦)، قد حصل على هدية من ذلك الملك هي منبر جميل من الخشب المحفور؛ وضعه في المسجد الجامع نجار دندرة بقطر، الذي أرسل لذلك خصيصاً من الحبشة(2). ومصر تساعدنا كثيراً في هذه الأبحاث سواء للجذور العميقة التي مدتها فيها الجنس العربي منذ بدايات الفتح الأولي، أو لثرائها الذي لا ينفذ وهو غذاء للفنون. ولأن آثار القرون الوسطى فيها قد قام بتوضيحها، أفضل مما حدث في أي بلد إسلامي آخر، الكتاب المحليون كما قام بدراساتها الأوروبيون. ويروي المقرئ، جامع

(1) ابن الأثير، الحجة الصبراء، مخطوطة الجمعية الآسيوية في باريس، الورقة ٢٠ الوجه الثاني، راجع البكري، المذكور في الهامش ٢، ص ٧٨٤؛ الذي يضيف قائلًا إن الأعمدة، التي شهدت لتدعيم القبة التي بناها إبراهيم بن أحمد، كانت كلها مزينة بالفسيفساء وهذا المسجد، الشريف جداً من بحرنا، يمكن أن نقول إنه لم يستكشف حتى يومنا هذا، لأنه من السعوية يمكن أن يدخل المسيحيون المدينة المقدسة في أفريقيا، ولم يحدث لأي أحد حتى الآن أن دخل المسجد. وبعد شرح ديسفونتين، حاول هذا عبثاً جيو دي برانچي (المرجع المذكور، ص ٦٢ و٦٤) والسيد جرينفيل تيمبل؛ وقبل ذلك بعدة سنوات لم يستطع بارون هالتسان الجسور أن يلاحظ سوى بقايا أعمدة وأعمال أخرى قديمة، كانت ترمى من الخارج، وقبة أخرى ومثناة صغيرة عليها. كتابات كوفية *Reire in den Regentschaften Tuoris und Tripolis*، تيجز.

١٨٧٠، المجلد الثاني، ص ٧٠.

(2) المقرئ، المواعظ، نص بولاق، المجلد الثاني، ص ٢١٨.

الأخبار المتناثرة في حوليات بلاده في نشاط بالغ. تاريخ كل أثر. ونعرف منه أحداث جامع عمرو بن العاص، في مصر القديمة (1)، الذي تم ترميمه عدة مرات وأعيد بناؤه في عصر الوليد؛ الذي أمر في عام (٧١٠) بهدم سقفه الذي بدى منخفضاً جداً، وشرع مرة أخرى في البناء الجديد (مايو ويونيو ٧١١)، وانتهى منه بعد ثلاثة عشر شهر على يد يحيى بن حنظلة، وهو معتوق بنى عامر بن لواء (2)، حيث يبدو أنه هو أيضاً من أصل فارسي وربما من همذان نفسها (3). وفي الحقيقة، في الرسوم التي لدينا لجامع عمرو، يبدو قوس البواكي، مكوناً من قوسين متقابلين، لكنه مستدير عند قمته وغائر من الداخل، كأنه يجمع عناصر القوس المديب والقوس الذي على شكل حدوة الحصان، اللذين تطوروا بعد ذلك، أحدهما في الجانب الشرقي من الإمبراطورية الإسلامية والآخر في الجانب الغربي منها. ونلمح فيه أيضاً البناء بحجر من لونين متباينين؛ ويبدو من المحتمل أن تلك الأقواس بقيت قائمة حتى القرن الثامن (4). ولكننا لن نناقش الاحتمالات. بينما لدينا اليقين في مسجد ابن طولون. فالمعريزي يقدم لنا تفاصيل كثيرة ودقيقة عن هذا الأثر، الذي بنى في القرن الذهبي للحضارة الإسلامية: بل إن الجنس العربي كان نجمة أخذ في الأهل، وكان يستاجر سيوفاً أجنبية لكي يستمتع بصورة أفضل بملذات العقل والحواس، وكانت الأقاليم تتفصل عن الإمبراطورية، التي بقي لب ثمرتها الجافة في بغداد. وابن طولون، وهو جندي من أصل تركي.

(1) المعريزي. المجلد المذكور، من ٢٤٦ إلى ٢٤٦.

(2) المعريزي. المرجع المذكور، المجلد الثاني، من ٢٤٨. راجع كوستي.

(3) استنتج هذا من البلاطري المرجع المذكور، من ٢٠٩.

حارب بنو عامر بن لواء، وجهاء مكة، في الحروب الأولى للإسلام وقد كان هناك واحد منهم عند الاستيلاء على همذان (٦٤٣). وبالتالي فمن المحتمل جداً أن تكون العائلة قد استقرت في تلك المدينة وأن يكون معتوقها من أصل محلي.

(4) انظر التصميمات في كتاب كوستي الفهم، *Architecture arabe, du monuments du Kaïre*. باريس، ١٨٢٧. رسم تخطيطي على الورق، اللوحات الأولى والثانية والثالثة وراجع النص، من ٣٠ والصفحات التالية.

أرسل لحكم مصر وجعل من نفسه أميراً عليها، قام ببناء أماكن إقامة للجنود فيها يسمى اليوم بمصر القديمة وقصور ومجرى للمياه ومستشفيات؛ ومن بين الآثار الأخرى تجميل مسجد جامعاً جديداً. ويروى كيف جلد وزجّ في سجن الشرطة بالمهندس المعماري المسيحي الذي بنى له قبل ذلك بقليل مجرى المياه، واستدعى ابن طولون مهندساً معمارياً آخر للمسجد؛ ولكنه عندما سمعه يطلب ثلاثمائة عامود تجمع من الكنائس المسيحية في أنحاء مصر كلها، استاء من ذلك الرأي ولم يكن يدري ماذا يفعل. وعندئذ كتب له المسيحي من السجن بأنه يثق في بناء حوائط المسجد دون أعمدة باستثناء عامودي المحراب؛ وبعد أن استدعاه الأمير رسم له مخططاً على قطعة من الجلد، ووافق هو على هذا الرأي؛ وقام بتقليد المهندس المعماري عبادة، كما نضع الآن على صدر أحدهم نيشاناً، وأعطاه مائة ألف دينار وموافقته غير المشروطة على باقي النفقات؛ فتم تسليم العمل بعد عامين، في عام مائتين وخمسة وستين من الهجرة (٨٧٨ - ٨٧٩). وقد حظي مسجد ابن طولون المهجور والذي جرى ترميمه دون أن يطرأ عليه تغيير جوهري<sup>(١)</sup>، بملاحظة مارسيل<sup>(٢)</sup> ودرسه كوستي ونشر إليه بإعجاب الأوروبيون كافة بوصفه واحداً من أجمل آثار القرون الوسطى وأقدم بناء ذي أقواس حادة<sup>(٣)</sup>، وفي حقيقة الأمر فإن الرسم الذي قدمه كوستي يبين لنا في تلك

(١) المقريزي، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ص ٢٦٥ والصفحات التالية.

(٢) *Univers pittoresque; Egypte moderne*، بقلم م. مارسيل، ١٨١٨، ص ٧٢ والصفحات التالية.

يعلم الباحثون أن مجلدات كثيرة من هذه المجموعة الكبيرة ليست مجرد مله فراغ الأوراق بما جمعه المؤلف، وقد عاش مارسيل وهو مستشرق طويلاً في مصر، ودرس دراسة جادة آثار ذلك البلد في القصور الوسطى، ونشر العديد من الأعمال المهمة الأخرى؛ ومن قرأ نصوص المقريزي وغيره من المؤلفين العرب، يلاحظ على الفور أن مارسيل درسها وقدم لها ترجمة آمنة في معظم الأحيان.

(٣) أوبن جونز، *Grammaire de l'Ornement*، لندن وباريس (دون تاريخ)، في وصف اللوحة الواحدة والثلاثين.

الأقواس القائمة على أعمدة قوية القوس الحاد الذي يميل إلى الطول قليلاً ويشبه شبهاً كبيراً القوس الحاد في المباني الصقلية التي ترجع إلى القرن الثاني عشر (1) وكذلك قوس مقياس النيل في الروضة (2)، الذي بنى في عام مائتين وسبعة وأربعين من الهجرة (٨٦١)، طبقاً لما يرويهِ المقريزي (3). ويشهد لنا هذا الكاتب بعد ذلك على ضخامة العمارة، التي تنبأ بها خلفاء ابن طولون، في نهاية القرن نفسه، وتنبأها بها أكثر منهم الفاطميون في القرن العاشر والحادي عشر (4). وإذا كان هو لا يتحدث عن وطن المهندسين المعماريين، ولا عن مهندس ابن طولون المسيحي، فإنه يروي لنا أن بوابات القاهرة الثلاثة، التي شيدت تقريباً في عام ألف وتسعين من التقويم الميلادي، كانت من عمل ثلاثة أشقاء ولدوا في حمص (5).

ولا حاجة بنا لأن نستطرد في تناول مذكرات الآثار المصرية في القرن العاشر والحادي عشر تناولاً تفصيلياً، لأن الفن بقي كما هو، حتى إن كان الذوق الأجنبي قد تغلغل في الزخارف (6). ولم يرفض ابن طولون نفسه، وهو رجل مثقف ومتدين، وضع أسدين من الجص أمام باب قصره (7). وقد سمع ابنه خماروية، الذي خلفه، يرسم صورته مع مفضياته في قصر صغير يحداثقه الرائعة، وكانت أسواره كلها مطلية باللونين الذهبي والأزرق، والصور المرسومة على قماشة كبيرة مزينة بالتيجان والأقراط وغيرها من المجوهرات الثمينة (8). وبعد أن استولى الفاطميون بعد ذلك على مصر على يدى جوهر، وهو

(1) كوستي، المرجع المذكور، ص ٢٢ والمصفحات التالية.

(2) كوستي، المرجع المذكور، اللوحة السبعون، والنص ص ١٥.

(3) المقريزي، المرجع المذكور، المجلد الثاني، ١٨٥.

(4) انظر المقريزي، المرجع المذكور، المجلد الأول، ٢٨١، وفي مواضع أخرى كثيرة.

(5) المقريزي، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٢١٨. والأبواب الثلاثة كانت تسمى

باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح.

(6) انظر كوستي، المرجع المذكور، ص ٢١.

(7) المقريزي، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٢١٥.

(8) المقريزي، المرجع المذكور، المجلد الأول، ص ٢١٦ و٢١٧.

عتيق صقلى من أصل يونانى أو لاتينى. أصبح استخدام الصور أكثر شيوعاً؛ وحتى في مسجد الأزهر الشهير (٩٢٢) نحتت على نيجان الأعمدة بعض أشكال الطيور وقد عدها البعض تعاويذ تبعد عن الجامع المصافير والقمرى والحمام(1). والحقيقة هي أن مهندسى الأمراء المصريين من القرن العاشر فصاعداً كانوا مفرمين بالأشكال الغريبة والزخارف المركبة؛ كما حدث في الأدب العربى، وكما يحدث دائماً في الفنون بعد عصر من البساطة الجميلة(2). ومع كل هذا لم يهجرُوا القوس المدبب، إلا أن بعض الأقواس المستديرة أو الثلاثية تظهر معه، ولكن الأسلوب لم يتغير تغيراً جوهرياً. ولا يمكن أن نقول إنه قد أعقب زمن مقهاس النبل الجميل ومسجد ابن طولون عصر باروك، مثل فن الباروك الذى ملأ أوروبا في القرن السابع عشر. بل إنه يبدو لى أن الفن العربى في مصر بعد الحروب الصليبية قد عاد لرصانته القديمة. وتقدم لنا آثار قلاوون وبرقوق وقاينباى. التى ظهرت في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ذريعة للتعجب والتأمل لتشابهها مع الأبنية الفلورنسية الجميلة في تلك الحقبة نفسها.

ومن ناحية أخرى فإننا سنتوقف عن بحث الفن العربى في بلاد أخرى؛ لأن الآثار الإسلامية شرق برزخ السويس قبل القرن الثانى عشر، طبقاً للدراسات القليلة التى جرت عنها، لا تظهر أشكالاً مختلفة عن أشكال آثار مصر الإسلامية؛ وإذا نظرنا غرب بركة، فإننا لا نجد في أفريقية مبان أخرى من ذلك العصر سوى مسجد القيروان الذى لم يستكشف. وسنترك جانباً أيضاً إسبانيا، حيث بدأ العرب باتباع الفن الرومانى في أوروبا الغربية وبيزنطة عن كثب، ثم استمروا بعد ذلك بالأسلوب الذى أطلق عليه الموريسك؛ ولكن لا هذا الأسلوب

(1) المقريزى. المرجع المذكور. المجلد الثانى. ص ٢٧٢.

(2) انظر، في كوستى، المرجع المذكور. اللوحتين السابعة والثامنة والنص ص ٢٢ والصفحات التالية.



ولا الأسلوب الأول يشبهان الأسلوب الصقلي في القرن الثاني عشر، سوى في الزخرفة.

وإذا ما اقتصرنا إذن على مصر، فإننا سنطلق مع كوستي اسم فن العمارة العربية الخالصة على ذلك الفن الذي نشاهده بإعجاب في آثار القرن التاسع والعاشر<sup>(1)</sup>؛ وسنفصل إلى أن هذا اللون من الفن ولد على ضفتي نهر دجلة، ومارسه المهزومون لزمان طويل، ويؤكد لنا هذا الرأي مثال من فن مشابه، عندما نعلم أنه بعد أن دمرت السيول مكة، أرسل الخليفة عبد الملك، في عام ثمانين (٧٠٠)، مهندساً مسيحياً لبناء جسر تحمي في المستقبل المدينة والكعبة، وكان ذلك المهندس المسيحي قد تعلم فنه. كما هو محتمل، في سهول بلاد ما وراء النهرين التي تغمرها المياه<sup>(2)</sup>. وأنا لا أقول إن الفن العربي قد نشأ من فراغ. فقد تشكل بالتأكيد من التراث القديم لبلاد ما وراء النهرين، وميده وفارس والتراث البيزنطي، المختلط بدوره بالأسلوب الروماني والشرقي وجاء إلى قلب الإمبراطورية العربية الجديدة عن طريقين، أي من الولايات التي كانت خاضعة للقسطنطينية مباشرة ومن مملكة الساسانيين التي سقطت، بعد أن تعلمت العديد من الفنون والعلوم من اليونان ومن روما الجديدة، حتى أن هذا المركز الحضاري العظيم نشر ضياءه في أوروبا وهي أسيا على السواء. وهي سائقا صوفيا قدم مثلاً رائعاً للقباب والنقش الضخم للكتابات التي كتبت للتذكير والزخرفة معاً؛ وقد استخدمها مسلمو الأقاليم كافة بعد ذلك على نطاق واسع، ولكن مع كل أوجه القرابة والتشابه بين العديد من الأجزاء، فإننا لا نستطيع بالطبع أن نسمى الأسلوب العربي ببيزنطياً، ولا يمكن لأحد أن ينكر وجود العنصر الفارسي فيه.

ويحدثنا التاريخ عن أصل المهندسين المعماريين الأوائل؛ ولا تزال

(1) كوستي، المرجع المذكور، ص ٢٢.

(2) الأزهر، نص عربي نشره وستنهد، في *Chroniken der Stadt Mekka*، لبيج.

١٨٥٨، المجلد الأول، ص ٢٩٦.

هناك الآثار الساسانية، بأقواسها البيضاوية في كل مكان، ويقوس تكى كسرى الأهليجي، للشهادة على أن المنحنيات ذات المركز الواحد لم تعد في القرنين الخامس والسادس من عصرنا(1)، كافية لإرضاء الذوق الشرقي، حتى إن لم يستبدلها البيزنطيون أبداً(2).

(1) هلانين وكوسى، *Voyage en Perse*، (1810 - 1811)، باريس، دون تاريخ، انظر اللوحات 24 (حريستان)، 42 (هيويزباد)، 216 (الأطلال الساسانية التي تسمى ناكي كسرى في *Chirifane*) والنص من 43، 178. لاحظ القباب المتكررة بكثرة وغالباً بيضاوية، أو ناشئة من قوس يدور عمودياً على المحور الأكبر، وفي ناكي كسرى نجد أن القوس الكبير الذي يصل إلى قمة القائمة الكبرى هو قوس حاد وطرفه مستدير مثل الأقواس مسجد عمرو في مصر القديمة.

(2) جاللي نايت، *The Normans in Sicily*، ص 251، يقدم افتراضين، يبدو لي أولهما معقولاً جداً والثاني غريباً جداً: أي أن القوس العاد انتقل إلى عشقبة من القهروان وأن الذي نقله هو مهندس معماري بيزنطي، وثانيهما لهذا الرأي الثاني، يرفق المؤلف القوس العاد الذي يشتهر في تقويم سير القديسين للإمبراطور باسيلئوس المقدوني الموجود في مكتبة الفاتيكان، وهذا المخطوط اليوناني الثمين للقافية من الرق والمسجل في المكتبة المذكورة برقم 1112، يتضمن سير القديسين في السنة شهور الأولى من العام بدءاً من سبتمبر، وهو مزين في كل صفحة بأشكال منمنمة جميلة، تشكل على الأهل ثلثه وتمثل بعض المياني في معظم الأحيان، والنص اليوناني مع ترجمته اللاتينية، المطبوع في أوريينو عام 1727 في ثلاثة مجلدات، باسم الكاردينال أنيبالي ألبانو العلقب سان كلمنتي، ينقل في المجلدين تلك النمنمات على شكل أخصان. والآن بعد فحص طبعة أوريينو التراثية وبعد أن رأينا أيضاً المخطوط الأصلي، لابد أن أقول إن الباحث الإنجليزي قد وقع في خطأ، إن القوس العاد بمعنى الكلمة لا نراه أبداً في تقويم سير القديسين للإمبراطور باسيلئوس، هناك فقط (طبعة أوريينو، المجلد 67 و69 و78 و90 و107 و121 و127 .. إلخ) حول بعض صور القديسين، ما يشبه الشكل الثلاثي المكون من أربعة أعمدة وينتهي في الجزء العلوي بزواوية قائمة بين قوسين مستديرين، أو على العكس من ذلك، قوس دائري بين زاويتين قائمتين، ولكن كما نرى جميعاً، هذه ليست سوى أطر وليست عناصر معمارية حقيقية، ثم إن الزاوية القائمة المستخدمة كثيراً للزينة في العمارة، لم تسم أبداً قوساً ولا يمكن أن تقوم بوظيفة القوس.

وهي موضع واحد، أي في ص 102 من المجلد الأول، هناك بالضبط شكل لأحد البيواكي، المكون من أربعة تمند، بدلاً من الأقواس المستديرة أو المديبة، زوايا مستقيمة بالطريقة التي وصفناها للتو. وبالتالي فإن هناك أمر من اثنين، إما أن يكون الرسام قد رسم الباكه نزوة أو إرضاء لرغبتة ووضع شكلاً زخرفياً بدلاً من القوس، أو أراد أن يقلد بطريقة بدائية الأقواس المديبة، التي كانت مستخدمة في عمرو، أي في النصف الثاني

أين ومتى شيد القوس المديب بالأسلوب العربي للمرة الأولى، هذا ما لا نستطيع أن نستخلصه من تلك الدراسات القليلة التي قام بها الأوروبيون حتى الآن في الأقاليم المجاورة لدجلة والفرات. ويجول بخاطرى أن هذا قد حدث في القرن الثامن في مكة. ونحن نعلم أن المسلمين، عندما كانوا يشيدون المساجد من البداية، كانوا ينسخون تصميم المسجد الذي يحيط بالكعبة<sup>(1)</sup>. ونحن نعلم أن هذا الحرم الإسلامى كان محاطاً بالمنازل وعند توسيع محيطه، حدث أن العديد من الأجزاء بقيت بينها ممرات ضيقة لفتح أبواب جديدة للمسجد. وقد علمنا أيضاً من مؤلف مكى في القرن التاسع، عدد الأبواب، وكان كل منها قد بنى بقوس أو قوسين أو عدة أقواس، ونعلم مساحة كل قوس<sup>(2)</sup>، وكانت هذه المساحة في معظم الأحيان تتناسب مع القوس الحاد أكثر مما تتناسب مع القوس المستدير، وهو ما

من القرن التاسع، لدى المسلمين. ومنظر هذه المنمنمة هو بالتحديد منظر في أنطاكية، التي كان يحتلها المسلمون آنذاك. وهكذا فإن الرسم يبرهن على أن البيزنطيين، لم يقوموا ببناء أقواس مديبة في مبانيهم، ولم يكونوا حتى يعرفونها، أو لم يكونوا يريدون تقليدها بصفة.

(1) بورشهاردت، *Travels in Arabia*، لندن ١٨٢٩، المجلد الأول، ص ٢٨١؛ وبرتون، *Personal narrative of a Pilgrimage etc*، لندن ١٨٥٥، المجلد الأول- الفصل السادس، ص ١٢٨. انظر في ص ١٢١ والصفحات التالية أفكار برتون حول العمارة الدينية في الشرق.

(2) الأزرقى، المرجع المذكور، ص ٢٢٢ والصفحات التالية. هذا العمل، القائم على رواية باحث مكى عاش في بداية القرن التاسع، كتب في منتصف القرن نفسه وأضيفت إليه إضافات في القرن العاشر. ونقرأ فيه ارتفاع وعرض كل من الـ ١٢ قوساً، التي كانت منفردة أو متحدة في أزواج، أو ثلاثة أو خمسة وكانت تشكل الـ ٢٢ باباً (في عام ١٨١٤) كانت الـ ١٩ في المسجد الكبير مربع الأضلاع في مكة، كما كان موصوفاً بعد بنايات الطفلاء الوليد (٧٠٥ - ٧١٥) والمنصور (٧٥١ - ٧٥٥) والمهدى (٧٧٥ - ٧٨٥) والموصوفة في العمل نفسه، ص ٢٠٠ والصفحات التالية. ومنظم هذه الأقواس كان ارتفاعها ١٠ أو ١٢ ذراعاً والذراع يعادل في ظلنا ٥٤، متر على عرض يبلغ ٧ أذرع بالقرريب. وهناك واحد فقط، متطوّل جداً، أي بارتفاع ١٠ في عرض ٩؛ وهناك الأقواس الأخرى على العكس من ذلك استطالت جداً، أي ٩ على ٥ و ١٠ على ٥. وهى الأقواس كاملة أو أقل من ذلك بقليل.

نلاحظه في الواقع اليوم في الأبنية الجديدة لذلك المسجد (1). ومن المحتمل إذن أن شكل القوس هذا، الذي انتشر بسرعة في كل أنحاء الدولة الإسلامية، باستثناء أقصى الغرب، قد شوهد كثيراً في تلك الفترة في مكة. وقد كانت بدايته القوس البيضاوي في بلاد فارس؛ وربما أدت المساحة الضيقة إلى تقريب ضلعي المنحنى حتى تقاطعا، أو ربما جاءت الفكرة من تقابل قوسين أو ثلاثة أقواس مستديرة في الأبواب المقسمة بأربعة أو خمسة أعمدة. وقد حدثت في هذا الافتراض القرن الثامن، لأن مسجد الكعبة خلال ذلك القرن تم توسيعه ثلاثة أضعاف، ولأن القوس المدبب الذي لم يتطور حتى في بناء مسجد عمرو الذي ينسب للوليد (٧١٤)، نراه بالفعل جميلاً وكاملاً في مسجد ابن طولون (٨٧٩).

ونحن نجهل كيف ومتى بدأ في صقلية التوقف عن الطراز الروماني أو البيزنطي. فقد بدأت الأبنية الجديدة بالتأكيد في القرن التاسع. عندما كان الأمراء الأغالية يقومون بتجديد بالرمو وتوسيعها (2)؛ ويرجع لهذا العصر الأصل الأول لطريق كاسارو الأكبر، الذي ربما تم نقله من السوق المركزي للقيروان، الذي كان يبلغ طوله ميلين تقريباً (3). وربما تكون البداية أيضاً قد جاءت من المهدية عندما قام الفاطميون، بعد عشرين عاماً من بناء عاصمتهم الجديدة، بتشيد الخالصة (٩٣٧) في عاصمة صقلية (4)؛ أو بعد ثلاثين عاماً، أثناء تجديد النظم العامة الذي بدأه الكليبيون (5)، ولدينا من هذه الفترة

(1) بورشهاردت، المرجع المذكور. المجلد الأول من ٢١٢ و ٢٧٧ والصفحات التالية.

(2) الكتاب الثاني، الفصل الخامس والتاسع من المجلد الأول. ص ٣٦٠ و ٤٦٨.

(3) أليكسي، *Description de l'Afrique*. من باريس، ص ٢٤. والترجمة في *Journal Asiatique* أكتوبر ١٨٥٨، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(4) الكتاب الثالث، الفصل التاسع، المجلد الثاني، ص ١٩٧.

(5) الكتاب الرابع، الفصل الرابع، المجلد الثاني، ص ٢٧٩.

أجزاء من نقوش ترمينى(1) التذكارية وكذلك، فى تصميمات بدائية، بقايا النقوش التى كانت تتوج باب البحر(2)، كما نراها الآن فى قصر زيزا وفى قصر كوبا؛ وعلاوة على ذلك يذكر ابن حوقل مباني أخرى جديدة لاحظها (٨٧٢)(3). وبعد ذلك بقرن باتى الكونت روجيرو لى يؤكد لنا روعة المباني التى وجدها ودمر جانباً كبيراً منها(4)؛ وتلك التى بقيت قائمة فى النصف الأول من القرن الثانى عشر يؤكدنا لى كتاب الملك روجار، أو الإدريسى، ويشير هذا الأخير، بين ما يشير، إلى كنيسة بالرمو القديمة، المكرسة للعبادة المسيحية، والتى تحولت بعد ذلك إلى مسجد وأخيراً إلى كاتدرائية مسيحية مرة أخرى، التى كانت المين ترى فيها أعمال رسم نادرة، موشاة بالذهب والخطوط الأنيقة الأصلية التى تفوق كل خيال(5). ومن المؤكد على أى حال أن العمارة ازدهرت قبل الغزو النورمانى فى بالرمو وفى مدن أخرى من صقلية؛ ومن المؤكد أيضاً أنها استمرت فى الازدهار. ويصف الإدريسى نفسه القلعة النورمانية، التى لم يتبق فيها الآن سوى كنيسة بلاتينا وجزء من برج كبير. «وترتفع، كما يقول هو، فى أعلى مكان من كاسارو قلعة الملك روجيرو العظيم الجديدة، التى بنيت بالفصوص(6) وقطع الأحجار؛ وهى قلعة معقدة جداً، مزودة

(1) نعدنا من هذا النقش فى الكتاب الرابع، الفصل الرابع، الجزء الثانى، ص ٢٧٩ وبعد ذلك قرأته أنا نفسى ونشرته فى *Iscrizioni arabiche di Sicilia*، الطبعة الأولى، رقم ١، *Rivista sicula* مارس ١٨٦٩.

(2) فى الكتاب الرابع نفسه، الفصل الخامس، المجلد الثانى، ص ٢٠٧.

(3) الكتاب الرابع، الفصل الخامس، المجلد الثانى، ص ٢٩٩ والصفحات التالية.

(4) الكتاب الرابع، الفصل الثالث عشر، المجلد الثانى، ص ٤٦٢، هامش ١.

(5) الإدريسى، النص، فى المكتبة الحربية، الصقلية، ص ٢٨ و٢٩، ولكن يفتى عندي بعض الشك فى بعض التفردات فى هذا الموضوع من النص. والوصف يتفق تماماً مع كنيسة بلاتينا، فكيف نفترض أن الإدريسى لم يذكر هذا العمل الرائع الذى قام به راعيه الكبير، وكيف نشغل أن النورمان قد تركوا فى كنيسة دوم نقوش الكتابات التى لابد أنها مأخوذة من القرآن؟

(6) «فصوص»، جمع «فص»، وهو مأخوذ كما هو، كما كتب فليشر، من *peper* «حجر صلب»، وهو مستخدم للإشارة إلى مادة الفسيفساء المنحبة، فى موضع ابن شاذكر الذى

بأبراج عالية، ومنارات قوية وحصون منيعة تحمي القصور والقاعات<sup>(1)</sup>. ويمكن مقارنة هذه الأخبار بما قاله ابن جبير، وروموانو السالرنى وأوجو هالكاندو، الذين ليس هناك ما يدعو لتكرار ما قالوه هنا! ويجدر بنا أن نتذكر المعانى القائمة فى ضواحي المدينة والتي تحدثنا عنها فى بداية هذا الفصل: وأن نضيف إليها الكنائس الكثيرة والأديرة والمعانى الخاصة التي نرى بعضاً من آثارها، أو تشير إليها الكتابات القديمة. لندرك مدى وماهية الفخامة المعمارية فى صقلية فى القرن الثانى عشر.

ولكن طراز المعانى التي بقيت من ذلك العصر تتفق مع الطراز العربى فى مصر. ها هى ذى الأقواس الحادة بصورة معتدلة فى كنائس بالرمو، وتشيفالو وموريالى؛ وأقواس بادياتسا بالقرب من مسينا<sup>(2)</sup>، ودير منياتشى<sup>(3)</sup>، وجسر الأميرال، وماريدولتشى، وزيزا

ذكرناه للتو هى من ٧٨٢، هامش ٢. راجع حاشية لدوزى فى *Description de l'Afrique, par Edrisi*، ص ٣٦٠. وبالتالي فإنه يبدو للوهلة الأولى أن الإدريسي أراد التمييز إلى فسيفساء كنيسة بلاتينا وقاعة القصر. ولكن كيف نصف أحجار الموزايكو الصغيرة بالصفة التالية «جافة، أى خشنة أو ثقيلة، وحول هذه الصفة انظر دوزى، المرجع المذكور، ص ٢٧٨. حيث ذكر بالذات هذا الموضوع للإدريسي؟ وبالتالي فإن من المناسب أن تأخذ «طبعوس» بالمعنى الأولي، وأن نقنع أنفسنا بأن المؤلف أراد أن يستخدم كلماته عكس الأحجار الكبيرة أو الخشنة وهى الكتل الحجرية المقطوعة. ومن ناحية أخرى فإن البناء لا يتم بالموزايكو، ولم يكن الإدريسي نفسه ليجز على أن يصل إلى استعارة من هذا النوع.

(2) الإدريسي، النص، فى المكتبة العربية - الصقلية، ص ٢٩. ويجب أن يصحح طبعاً لما قاله دوزى، المرجع المذكور، ص ٣٠٨. مع ملاحظة أنه يوجد فى الوثائق العربية الصقلية لفظ *l'oca* بمعنى *rocca* فى الإيطالية (حصن)، وأحياناً ما كان يترجم «قلعة».

(3) هكذا تسمى بالمعمارية أطلال دير سانتا ماريا ديلا فاللى أو ديلاسكالازا، الذى تأسس فى القرن الثانى عشر. وأنا أذكره فقط بالنسبة للجزء الذى تبقى من المعنى الأصلي، حيث أن الباقي يرجع إلى القرن الرابع عشر. انظر جاللى نايت، المرجع المذكور، ص ١٦٦. وبالأحرى جيو دهنس، فى *Murray handbook... Sicily*، لندن، ١٨٦٤، ص ٥١٢.

(3) حول أطلال هذا الدير الذى تأسس فى عام ١١٧٤ انظر جاللى نايت، المرجع المذكور، ص ١٦٨ والمصفحات التالية.

وكوبا، التي تشبه في دقتها الهندسية، أقواس مقياس النيل ومسجد ابن طولون) وما نحن نرى في أبنية مارتوران الخارجية ودير موريالى وكذلك في أحد جدران كنيسة دوم جوانب العقود المعمارية وعناصر زخرفية كثيرة يتعاقب فيها اللونان الأبيض والأسود كما هو الحال في الأزهر في القاهرة) وما هي قباب سان جوهاني دلى إرميش، وقياب كنيسة بلاتينا، ومارتوران وسان كتالدو، وسان جوهاني دي لبروزي، والقبّة التي تنطلي المتصورة الصغيرة في حديقة بيت نابولي عند قصر كوبا، والقبّة الأخرى الأصغر، وهي سبيل حقيقى لا يزال يروى فلما المارة في الطريق بين هيلاباتي وميزيلميري (1) وكل هذه القباب ذات القطاع الدائرى. تقوم على مساحة مربعة الأضلاع بها أقواس صغيرة نازلة تتجمع في كل ركن على شكل ثمرة صنوبر محفورة، وتختلف كلها عن بناء القباب البيزنطية، بحيث يمكن أن تنسب بالأحرى للقبّة التي يبدو أنها انتقلت من بلاد ما وراء النهرين إلى مصر (2) وأفريقيا.

(1) سبيل أو «طريق (الله)». هكذا يسمي العرب بعض الأوقاف الطيرية. وخاصة تلك المخصصة لتطعيم الماء للمارة.

وهذه العين التي لا تزال تحصل حتى اليوم اسم «كوباء العربى». لم يصفها آخرون. على ما أذكر. وهي عين صغيرة جداً في الحقيقة. ويلقاها على اليمين من يذهب من هيلاباتي إلى ميزلميري على طول الطريق. عندما يتجاوز القرية المسماة بورثيلا دي ملري ويصل إلى قمة المطالع الذي يبعد منه بعد ذلك إلى وادي النهر المسمى نهر فيكراتس. ويبرز على يساره تل كيتا. حيث كان قصر سعد بالتاكيد. الذي ذكره ابن جبير. وربما تكون هذه القبّة الصغيرة تماماً من النبع المسمى نبع المجنونة. أو الذي تحدث عنه الرحالة الأسباني، في وصف قصر سعد. المكتبة العربية. الصقلية. التن. من Journal Asiatique 88 ديسمبر 1885. ص 516 ويناير 1886. ص 46. والقبّة الصغيرة مدفونة اليوم جزئياً تحت أنهار ترابي. وبدي لي أنه أنهار حيث علمنا رأيت هذا الأثر الصغير للمرة الأولى في مايو 1870. وهي مشيدة مثل القبّة الأكبر في دار نابولي بين بالرمو وموريالى. فوق مكعب. يدخل الناس فيه من جانب الطريق من خلال قوس حاد جداً مع أنه صغير جداً حتى إن أي إنسان يجب أن يهني لומר منه. والمياه التي أصبحت اليوم قليلة جداً. تتبع في العمق وتسير عبر شاة صناعية في حوض من الزلط. على حافة الطريق. والطريق بعد ذلك أكثر انخفاضاً وبعد ثمانية أمتار. (2) الأستاذ سافريو كاتالاري الذي ذكرناه أكثر من مرة في هذا المبحث ذكر أن بناء قباب الآثار التورمانيّة هي صقلية مختلف عن البناء بالأسلوب البيزنطى، الذي يترافق

ويمكن ملاحظة هذه المقارنات في الأجزاء الأساسية من البناء، مع مقارنات أخرى كثيرة وصفها رجال الفن بمزيد من التفاصيل(1). كما يظهر الخشب العربي الممتد، ظهوراً واضحاً في الزخارف، حتى إن كانت تنتمي لفن ثانوي، قائم بطبيعته على الهوى وعلى الافتتان لدى العرب، وهو الآخر مأخوذ من الولايات البيزنطية. ويلاحظ أحد الخبراء المدققين تشابه الزخارف الصقلية مع زخارف أقدم الآثار الإسلامية وعلى سبيل المثال في جامع قرطبة(2)، فالسقف الخشبي في مسجد قرطبة، كما يصفه لنا الإدريسي، كان نسخة طبق الأصل من السقف الذي نراه الآن في كنيسة بلاتينا في بالرمو، إلا أن الزخارف الفائرة فيه، كانت دائرية في جزء منها وسداسية في جزء آخر في قرطبة(3). أما في بالرمو فهي ذات شكل مشمن على هيئة نجمة. ومن يلاحظ إفريز الموزايكو الذي يتوج لوحات الرخام الأبيض في كنيسة بلاتينا في بالرمو وكنيسة دوم موريالي يظهر له أن الأيدي التي رسمتها هي الأيدي نفسها التي صنعت نموذج الأفاريز المنقوشة المخروقة في مساجد ابن طولون والحكم والسلطان حسن أو في الجامع الأزهر. وتبدو زخارف الأرابيسك التي نشاهدها بإعجاب في منابر تلك المساجد أصلية أو نسخاً من تلك التي تلف بالفموس أرضيات كنيسة بلاتينا أو كنيسة موريالي وعروشها

---

فيه سطح الدائرة المقمرة مع الجدران الداخلية للمنشور مربع الأضلاع من خلال جدار على شكل شراع. وقد لاحظ في بدايتها بالقرب من مسينا أساسات قبة نورمانية سقطت الآن. انظر مقارنته في ملزمة مبحث الطباعة الحجرية بالألوان الرائعة الذي بدأ للفن في بالرمو تحت عنوان *Cappella del real palazzo di Palermo, disegnata e dipinta da Andrea Terzi, ec.*

- (1) انظر جيهرو دي برانچي، المرجع المذكور، ص ٩١ واللوحة العاشرة، رقم ٢.
  - (2) جيهرو دي برانچي، المرجع المذكور، ص ٨٩ و٩٦ والصفحات التالية و ١٠٠ و ١١٩.
  - لاحظ أيضاً زخارف زيزا وقرطبة، التي يشارن العمل نفسه بينهما، اللوحة الرابعة.
  - (3) بوزي وجويجي، *Description de l'Afrique et de l'Espagne, par Edrisi*.
- ص ٢٠٩ من النص و ٢٥٨ من الترجمة.



الملكية(1). وحتى لا ينقص المقارنة شيئاً، فإن الكتابة العربية المسيحية، التي اكتشفت منذ فترة قريبة داخل قبة مارتورانا، مرسومة على محاور بالضبط كذلك الموجودة في القاهرة. ومن ناحية أخرى فإن طراز ماريبولتشي وزيلا وكوبا الذي يظهر أيضاً في اطلال قصر الملك روجيرو في التاريللو دي بايدا، يصاحبه هنا عنصر آخر، نجده في البقايا القليلة من القاعة الأرضية الكبرى وهو من بقايا الفن الماساني وهو تجويف كبير، أو عقد صغير، يرتفع من مساحة مستطيلة وينتهي عند القمة بشكل بيضاوي مع المحور العمودي الأكبر بحيث يصور قطعاً في القبة البيضاوية(2). وهكذا تتحقق في المباني الصقلية في القرن الثاني عشر بعض ملامح الفن العربي الأولى غابت في الحلقات الوسطى من السلسلة. كما يحدث في سلالة الحيوانات طبقاً للقانون الذي يسميه علماء الطبيعة الآن بالخصائص الوراثية. ولا تقل دهشتنا عندما نرى في تيجان بعض الأعمدة في الآثار الماسانية الشكل نفسه الموجود في الأعمدة النورمانية والتي لدينا منها الكثير من الآثار في صقلية(3). ويجب أن نلاحظ أيضاً تشابه حدائق التزم. وعند قراءة تلك الصفحات التي يمكن أن يقال إنها انتزعت من القصص العربي، التي يصف فيها المقرريزي بأسلوبه النثري ودقته عن مصادر أكثر قسماً، قصور الضواحي والمصايد والقنوات والمقصورات الصغيرة، وحدائق الأمراء الطولونيين والخلفاء الفاطميين(4)، يبدو لنا أننا

(1) هناك تساؤل عام لهذا الموضوع في كتاب أوين جونز، الذي يعمل عنوان *Grammaire de l'ornement*، لندن وباريس، دون تاريخ، طبعة مصورة بالطباعة الحجرية بالآلوان، انظر وصف اللوحة العشرين، من عمل السيد وارنج، الذي قام بدراسة طويلة من الآثار البيزنطية، وقد ذكر تأثير التصميم البيزنطي على العرب، والذي يظهر، كما يقول في القاهرة والأسكندرية والقدس وفي قرطبة وهي صقلية. (2) هذا ما وصفه الأستاذ باسيلي بالقوس الفارسي. في المقال المذكور من صحيفة "La Ricerca".

(3) انظر اللوحات 17 و 27 و 28 من كتاب فلادين وكوسني القيم.

(4) المواقف، الطبعة المذكورة، المجلد الأول، 281.

نرى، ويميز من التفاصيل، الأخبار والتفاصيل نفعها التي يقدمها كتاب القرن الثاني عشر، من المسيحيين والمسلمين واليهود، عن مباحج الملوك النورمان في صقلية. وعلى غرار القاهرة كان لبارمو ما يسميه ابن جبير عقد القصور الملكية(1)؛ زيزا ومناني، وكوبا وماريدولتشي، التي كانت تدور تقريباً على شكل نصف دائرة حول المدينة من الغرب إلى الجنوب الغربي والشرقي. ولم يعتمد مؤسسو زيزا عن الذوق الشرقي، عندما وضعوا في نهاية قاعاتها الأرضية الكبيرة، المزخرفة بصورة رائعة مثل قاعة مصرية حديثة(2)، نافورة تقطعها عند منتصفها قناة مفتوحة من الرخام، وتتجمع المياه فيها خارج القلعة في حوض كبير، كانت تظهر في وسطه مقصورة أنيقة حتى نهاية القرن السادس عشر(3). وفي قصر كوبا تشهد قاعدة المشهد العكسوة بالأسمنت المائي، والباب الأعلى من الأرض وبقياء الجسور على أن القلعة كانت تطل على بحيرة صناعية صغيرة(4)؛ ونلمح آثار الأسمنت نفسه في أطلال مناني(5). وهناك أخبار أوفر عن ماريدولتشي، أو فافارا كما يحلو للبعض تسميتها، فنحن نعلم أنها كانت هبلاً ملكية للاستمتاع حتى بداية القرن الرابع عشر(6)؛ وأن

(1) في المكتبة العربية، الصقلية، النم، ص ٩١ وفي *Journal Asiatique* يناير ١٨١٦، ص ٨٠.

(2) انظر الشكل في دهن، *Modern Egyptians*، المجلد الأول، الفصل الأول، أو في أي مجموعة أخرى من تسميات الشرق المعمارية.

(3) لاندرو البرتي، *Isole appartenenti all'Italia*، هيسبا، ١٥٨١، الورقة ١٩، الوجه الأول والثاني.

(4) هارن بين: فانزيللو، العشرة الأولى، الكتاب الثامن، الفصل الأول، وبيرو دي برانسي، المرجع المذكور، ص ٨٨. وما هي كلمات فانزيللو: "Piscina erat ingens in medio, in qua vivi pisces coarcebantur, antiquo quadrato, ingentique lapide, mira crassitudine instructa, quae hodie (1558) incorrupta est, aquasque solum et pisces requirit"

(5) هذا ما يؤكد الأستاذ باسيلي، في مقالات "Ricerche" المذكورة هنا عليه ص ٧٧٥، هامش ٢.

(6) وثيقة بتاريخ ٢٨ يونيو ١٢٠٧، ذكرها فانزيللو، العشرة الأولى، الكتاب الثامن، الفصل الأول.

الامبراطور أريجو، في نهاية القرن الثاني عشر، سكن في القلعة ووجد الحديقة مليئة بطيور الصيد(1). وقبل بضع سنوات، كان بنيامين دا تودبلا، أو الرحالة الذي نقل عنه يذكر أن الملك النورمانى كان يذهب مع نسائه للراحة واستعادة نشاطه على البحيرة(2)؛ وتلك البحيرة التي جفت اليوم، نستطيع قياس محيطها بطول قاعدة الجبل وبقيها جمسورها؛ ونلمح الارتفاع من الملاط المائي الذي كان سور القصر مكسواً به في بعض أجزائه(3). ووصف شعراء الملك روجيرو، في النصف الأول من القرن نفسه القنوات التسع المحفورة للمياه، والأسماك والطيور وحداثق أشجار البرتقال والنخلتين اللتين كانتا ترتفعان مثل الرابية على حدائق أرميدا تلك(4)، التي أشارت في القرن السابع دهنشة الكونت روجيرو، عندما اقتحم (١٠٧١) سهل بالرمو(5)؛ ولعل تسيقها قد تم في بداية القرن، لأن القلعة حتى عصر ابن جبير (١١٨٤)، كان يطلق عليها قصر جعفر(6)؛ ومن ثم فمن المحتمل أن يكون قد بناه الأمير الكلبى جعفر (٩٩٨ - ١٠١٩). وربما تعد غابة النخيل المجاورة، التي كانت تمتد حتى أوريتو(7)، من بين أماكن الراحة والتزه التي رآها ابن حوقل على ضفة النهر، نحو منتصف القرن العاشر(8) تقريباً ونهبها أهل بيزا

(1) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ من المجلد.

(2) Benjamin of Tudela، ترجمة أ. أشهر الإنجليزية، المجلد الأول، ص ١٦٠.

(3) هذا ما رأيته أنا نفسي في الأيام الأولى من هذا العام ١٨٧٢، في نسخة الأستاذ جونزى بالتريكولو. وهناك ما يدعوني للأمل في أن يدرس هذا المهندس المعماري القدير دراسة عميقة مبنى مانبولتش، الذي تحدث عنه جاللى نايت وجيرو دي برانجى على حد سواء، ولكن مؤلفاهما لا تبدو لي مرضية.

(4) انظر الفصل العاشر من هذا الكتاب ص ٧١٤ والمصفحات التالية.

(5) أماتو، المذكور في الكتاب الخامس، الفصل الرابع، ص ١٢٤، من هذا المجلد.

(6) المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ٨٩، وفي Journal Asiatique، يناير

١٨٤٦، ص ٢٦.

(7) انظر هذا الكتاب، الفصل الثاني عشر، ص ٧٤١، الهامشان ٣ و ٥.

(8) المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص ١٠، وفي Journal Asiatique، يناير

١٨٤٥، ص ٩٢.

في عام ١٠٦٣ (1). ويجب أن نذكر أيضاً المنطقة المحرمة الشاسعة التي يقول رومالدو السالترني إن الملك روجيرو قد أنشأها في بعض الغابات والتلال بالقرب من بالرمو، وأحاطها بهذا الفرض بسور من الحجر، وزرع فيها أشجاراً جديدة، ووضع فيها عدداً كبيراً من الوعول، والثيروس والخنازير البرية، وكانت تلك الحديقة تمتد من القصر لأمهال عديدة نحو الجنوب الغربي وراء قمم التلال وكانت تسمى، كما اعتقد، مناني، وهو اسم القلعة نفسها (2). ويضيف

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل الثالث، ص ١٠٩، من هذا المجلد.  
(2) بيتاً في بداية هذا الفصل، ص ٨١٩، ملحوظة ٢. أن من بين افتراضين لـ مالكانسو، تفصل قرعة Minervium، التي تعود لاسم المصدر El-Mendur، المذكور في الوثيقة العربية لعام ١١٢٢.

ويبدو لي أن الاسم نفسه قد أطلق على المنطقة المغلقة كلها، وإن هذه المنطقة المغلقة قد بدأت من أسوار المدينة، حتى تجاوزت الساحل حيث إن اسم باركو، الذي أطلق على البلية الحديثة، يشهد بالصحة القديمة للمكان؛ وبالمثل هناك تل قريب يسمى بالحديقة القديمة (باركو فكلر) والمنطقة المغلقة كانت تبدأ بالضبط من المدينة، وهذا ما نراه في فانتيللو الذي يقول إنهم في عصره كانوا يطلقون كلمة باركو على الحديقة الملكية حيث كان يوجد قصر كويا ومقصورة حديقة نابولي، التي تملؤها قبة، وهي موجودة بين قصر كويا ومذبح بالها الصغير. نعلمنا نعتقد أنه من المحتمل جداً أن تكون الحديقة الملكية في القرون السادس عشر قد وصلت إلى قلعة مناني. وفي القرن الثاني عشر كانت تضم زياراً بالثاكيد. وهذا من جانب المدينة من ناحية الشرق كما يمكن أن نقول، وهي الغرب، كان يشمل دون شك جبل كابوتو والساحل كله الذي بنيت عليه مدينة موريالي فيما بعد.

ومن ناحية الجنوب الغربي ثم من الجنوب كانت المنطقة المغلقة بعد ذلك تضم أرضي ريوثوني وكانت تضم وسط بلدتي باركو وسان جوزيبي بانو العاليتين. وريوثوني هو اسم دوامة مياه (في خريطة الأركان حرب المنشورة في عام ١٨٧٠، ونتيجة لطفاً في التصح، بدلاً من Gorgo (دوامة) وهي في اللهجة الصقلية gurgu كتبت كلمة Urto ريوثوني). وتسمى ريوثوني أيضاً القلعة القديمة وهي تسمى أمهالاً عديدة عن المومة وكذلك أيضاً الأماكن الواقعة بينهما. والتي تقع شرق الطريق المؤدي من الباركو إلى بيانادي جريتشى. هي بعد عشرة أو اثني عشر ميلاً من بالرمو. واسم ريوثوني هذا هو تعريف لكلمة رجل بوئنت وهي قرية صغيرة كانت تتبع في القرن الثاني عشر مستشفى سان جوفاني دي ليهورزي. كما نرى ذلك في وثيقة لجوليلمو الأول، بتاريخ مايو ١١٥٦، ونشرها منتهيوتري، Sacrae Domus Mansionis... Monumenta. الفصل الثالث عشر، وذكرها أيضاً أميكو في حواشي Sicilia sacra ليهورزي، الوثيقة ١٢١٥ الوجه الأول من طبعة ١٧٢٢، ونقرأ في هذه الوثيقة «قرية بوئنت في ناحية مناني». ومن ناحية

روموالدو أن الملك كان يقضى الشتاء في فاافارا والصيف في الصيد في غابات الحديقة. وتتفق المقصورة الصغيرة التي تعلوها قبة لاتزال كما هي بين مناني وكوبا، أيأ كان عمرها، مع ذوق الحدائق الملكية في مصر (1).

أخرى فإن الوثيقة العربية- اللاتينية التي ترجع لعام ١١٨٢، التي نشر نصها اللاتيني ليللو في Monastero di Morreale، ملحق Privilegii e Bolle، وأعاد طبعا مع النص العربي- الأستاذ كوزا في الوثائق العربية واليونانية، المجلد الأول، (ولم يفرج بعد للنور)، في وصف حدود أراضي جاتو مع حدود بانرمو، تقول أن أرض جاتو تمتد إلى البرج المسمى الفريس *et pervenit ad murum parci et vadit per murum usque ad portam putei etc.* (اللفظ، ص ٩: كوزا؛ ص ١٨٠، السطر ٢٢). ولكن النص العربي- الذي أخذ عنه بلا شك النص اللاتيني في القرن الثاني عشر، يحتوي في مقابل الموضوع اللاتيني الذي طبعا بخط مائل (كوزا، ص ٢٠٢، السطر ١٦) الكلمات *ila haiti kazu i mebdni* والتي يمكن أن تفسر إلى جدار المنطقة الخاصة بالمباني، ويبدو لي أن هذا لا يتفق أبداً مع عبارة "*ad murum parci*"، وملاوة على هذا، لا يبدو من المحتمل إطلاقاً أن تسمى قبة مسورة بالأسوار، المنطقة المطلقة الخاصة بالمباني. ولكن عندما نغير نقطة في الوثيقة المطبوعة، غير موجودة في الأصل، وإذا وجدت أن تزعم من لديه خبرة بالمخطوطات العربية، وإذا غيرت أنا كما أقول نقطة واحدة، فإننا سنقرأ بدلاً من (مباني) كلمة مناني، وهي الكلمة نفسها الموجودة في الوثيقة العربية المذكورة من قبل في عام ١١٣٢ وهي الكلمة نفسها التي نقرأها في اللاتينية في وثيقة عام ١١٥٦. وسنفهم كيف أن الحديقة التي قام الملك روجيرو بتوسعتها قد أخذت اسم قلعة أو قلعة، إذا جاز التعبير، لأن زيرا وكوبا لم تكونا قد شهدنا بعد وكانت ماريونانتي تربي بعبداً قاحية الشرق.

ولإعطاء فكرة متعددة عن تلك الحديقة الكبيرة، ها هي أخيراً كلمات روموالدو السالرن، في كتاب مورتوري- *Rev. Italicar*، المجلد السابع، ص ١٩٤، عام ١١١٩، "*Interea Rex Rogerius... Et ne tanto viro acquaram et terrae deliciae tempore ullo deessent, in loco qui fabara dicitur, terra multa fossa pariter et effossa, pulchrum fecit vivarium, in quo pisces diversorum generum de variis regionibus adductos pulchrum satis et speciosum edificari palatium. Quosdam autem montes et memora quae sunt circa Panormum, muro fecit lapideo circumcludi, et arboribus insitum et plantatum construi jussit et in eo damas, capreolos, porcos sylvestres jussit includi. Fecit et in hoc parco palatium, ad quod aquam de fonte lucidissimo per conductos subterraneos jussit adduci.*" بالضبط هي مياه نبع مناني.

(1) تذكر موضوع التفريري- المذكور في بداية هذا الفصل، ص ٢٨٩، هامش ٢.

وإذا كان الأمراء النورمان قد اتبعوا عادات الكليبيين، فإن هؤلاء بدورهم كانوا قد قلّدوا خلفاء القاهرة، وبهين لنا التاريخ السبب في ذلك. لقد كانت أسرة الكليبيين من بني حسن الكلي، الذي أرسله المعز لكبح جماح المسلمين المشاكسين في صقلية، إن أمكنه ذلك، يتمتع بشعبية في بلاط ذلك الخليفة. وتحت حكم خلفاء المعز الضعفاء زادت قوة الكليبيين، حتى إنهم تمتعوا بمكانة كبيرة في مجالس القاهرة بشكل أسير مما حدث لهم في الحكم في عاصمة صقلية(1). وقد نتج بالطبع عن العلاقة الحميمة بين البلاطين، مزيد من التبادل التجاري بين البلدين؛ وكان هذا الأمر، مع وروده في مذكرات القرن الثاني عشر والثالث عشر وحتى الرابع عشر(2)، قد بدأ بالطبع قبل الحروب الصليبية وقبل الغزو النورماني للجزيرة.

وبعد ما قيل حتى الآن، نستطيع دون مواربة أن نقول إن العمارة الصقلية في القرن الثاني عشر كانت عمارة عربية؛ ونستطيع أن نخلص إلى أن هذا الفن سار في طريق أي فن آخر ينتمي للتحضر الخارجي الذي بقي في صقلية حتى سقوط مملكة النورمان. أما عما كان يفترضه بعض المثقفين والعلماء أنه طراز مهجن، نشأ من اتصال سكان البلاد الجدد بسكانها القدامى، فيبدو لي إنه لون من الطراز العريس الشرقي المحض؛ لأنني لا أرى في الطراز الصقلي ذلك الفارق العميق الذي يؤدي إلى خلق نوع جديد. بل نظراً لأنه يبدو لي أن الحدود الفاصلة بين النوع والجنس ليست أقل غموضاً في العمارة عنها في علم الحيوان، فإنني كنت سأكف عن الخوض في هذا الكلام لولا أنني أعتقد أن حكم الآخرين قائم على بيانات تاريخية خاطئة بشأن الأزمان والأماكن.

إنني أعتقد أن آخرين قد أخطأوا، عندما نظروا إلى الفن العريس

(1) انظر الكتاب الرابع، الفصلين الثالث والسابع، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ و ٢٢٥ من المجلد الثاني.

(2) انظر الفصول الثاني والخامس والثاني عشر من هذا الكتاب، ص ١١١ - ١١٢ و ٦١٧ والمنشآت الثانية وص ٦٢١ و ٦٢٢ و ٣٦٥ من المجلد.

عند غروب المصور الوسطى بدلاً من النظر إليه في أوجه التحضر الإسلامي؛ فتأملوا فيه في غرناطة بدلاً من القاهرة. ويبدو لي كذلك أن ذلك التأثير البيزنطي، الذي لاحظته كل أساتذة الفن في المبانى الصقلية في القرن الثاني عشر، لم يكن تأثيراً خاصاً بالدولة أو بالعصر. ولكننا نراء بالمثل في كل طراز معماري في المصور الوسطى؛ في الطراز العربي في مصر كما في طراز أسبانيا؛ وفي الطراز الساساني، كما في الطراز اللومباردي وفي كل شيء آخر ساد حتى بدايات القرن الثالث عشر في بر إيطاليا وفيما وراء الألب، ولا تستثنى من ذلك أسبانيا تحت حكم الفيزيجوت. بل إنه في الآثار الساسانية تتكرر الخطوط البيزنطية كثيراً وبصورة أوضح. وقد ورثها الفن الصقلي من الفن العربي. والدليل على ذلك الفارق الكبير الذي جرى في القرن الثاني عشر بين طراز صقلية وإيطاليا الجنوبية، وكلاهما خاضعتان لأمراء نورمان؛ وقد خضع أول هذين الإقليمين للحكم العربي لمدة ثلاثة قرون. بينما كان الثاني قد خرج منذ فترة قليلة من قبضة البيزنطيين، وإذا كان ينفر من حكمهم إلا أنه كان يتبع حضارتهم وأحياناً ما كان يستدعي فنانيه من القسطنطينية<sup>(1)</sup>.

ولم يعبر القوس الحاد، المستخدم عادة في صقلية دون غيرها، مضيق مسينا قبل منتصف القرن الثالث عشر. وهناك استثناء واحد يؤكد القاعدة؛ ومن العجيب أننا لا نجد منه الكثير مع دخول القرن الثاني عشر، عندما لم يكن الأمراء فقط، ولكن أيضاً العديد من

---

(1) انظر فترة ليون دوستها الشهيرة، مع الملاحظات التي لاحظتها عليها مؤخراً كرافيتا، *I Codici e le Arti a Monte Cassino*، المجلد الأول، ص ١٨٨، والمصفحات التالية، مؤكداً أن هنون القسيساء والبرونز لم تكن قد خبت في إيطاليا وأن الفنانين الذين استدعاهم من القسطنطينية الأب ديزيديريو للعمل في مونتني كاسينو، لم يعملوا على بحث تلك الفنون، ولكنهم أسهموا فقط في تجويعها.

البارونات على جانبي المضيق ينحدرون من العائلات نفسها<sup>(1)</sup>، ولم أذكر كلمة عن الفن النورمانى، حيث إنه يبدو لى أنه لا يمكن أن نضعه في البدايات الأولى من القرن، حيث كان النورمان، سواء القادمين من فرنسا أو من إنجلترا، لا يزالون يستخدمون طراز هذا البلد أو ذلك، وهو ما لا يشبه في شئ طراز إيطاليا الجنوبية، أو طراز صقلية، اللتين سادتهما، ولا ننسى ذلك أبداً، فرق من المرتزقة من أمم عديدة، أطلق عليهم اسم النورمان، لأنهم كانوا الأغلبية فيهم. ويجب أن أنهى إلى أننا نقصر حكمنا على الفن السائد في صقلية في القرن الثاني عشر، أي الفن الذي نجده في آثار الأقاليم الغربية وفيما شهد الأمراء النورمان في الأقاليم الشرقية. ونحن لانفترض أنه قد اندثر اندثاراً تاماً في حال ديموني فن محلي أكثر قدماً، شقيق لفن إيطاليا الجنوبية وقريب جداً من فن القسطنطينية؛ ولكن آثاراً قليلة بقيت من هذا الفن في صقلية الشرقية، وقد تغيرت كلها تقريباً من عمليات البناء التالية، وعموماً فنحن لسنا بصدد الحديث عن

(1) على الرغم من الرأي المسيق من المزج بين الفن المرسى والبيزنطى والرومانى، يقول جالى تايث في المرجع المذكور، ص 237، إن النورمان استخدموا في صقلية طرازاً في العمارة مختلفاً بالكامل عن الطراز الذي كانوا قد اتبعوه في فرنسا وفي إنجلترا، وبمبدأ كذلك عن أسلوب العمالي التي شيدوها في كلابريا، ويستشهد في الصفحة التالية قائلاً: إن القوس العاد في صقلية لم يغير الفارو إلا في زمن الامبراطور هنريكو الثاني، وهو يكرر هذه الملاحظة في *Ecclesiastical architecture of Italy* - لندن، 1812 - ص 908.

وهناك أيضاً استثناء وجدته في كتاب شولنس، *Denkmaeler der Kunst des Mittelalters in Unteritalien*، الذي صدر بعد وفاته، في صدن، 1860، المجلد الثاني، ص 182 والصفحات التالية، واللوحة 72. وفي كاتدرائية كازيرتا فيها، التي يقال أن بنائها قد بدأ في السنوات الأولى من القرن الثاني عشر وانتهى في عام 1168، ذكر الملاحظ المطلق الطراز النورمانى في صقلية، ومع ذلك لم يكن هناك سوى بعض الأقواس العادة، والباقي كان مستديراً. وتشبه القبة تلك القبة المنيرة في ماربولنشى بالقرب من بالرمو. وهي منشأة فوق اسطوانة، وليس على المنشور المعتاد مربع الأضلاع، الذي تحول قبل ذلك إلى ثمانى الأضلاع من خلال أقواس صغيرة معلقة تملأ الجوانب الأربعة.



هذا الفن الذي لا ينتمى بالضبط لصقلية الإسلامية، والذي لا نرى له على أية حال تأثيراً كبيراً في عمارة القرن الثاني عشر؛ ونستطيع أن نفترض فقط أنه قد أعاد المعمارين المسلمين في صقلية في القرن العاشر والحادي عشر بعض الأشياء الثانوية، والسبب هو أنه بعد دخول يونانيين صقلية وكلايريا البلاط النورمانى في بالرمو، مع المنتصرين من وراء الألب أو من الإيطاليين من البر الإيطالي، بدأت كل هذه الشعوب المسيحية في إعطاء توجه جديد للأدب، والعلوم الأخلاقية ولبعض الفنون التشكيلية؛ ولكن العمل كان بطيئاً ببطء زيادة السكان المسيحيين<sup>(1)</sup>. وتنبه كذلك إلى أننا عندما نسمى العمارة الصقلية بالعربية فإننا نقصد الملامح الرئيسية؛ حيث إن تلك الاختلافات الطفيفة التي كان يتطلبها تارة استخدام المبنى وتارة أخرى راحة المالك أو هواء لا يمكن أن نعدّها اختلافاً في الطراز. وكان الفن العربي، بثرائه وتنوعه قادراً على أن يلبس تماماً هذه التعميدات دون حاجة إلى أن يظهر من طبيعته. ويكفى أن نلاحظ رسم الكنائس النورمانية الرئيسة في صقلية وهي على شكل البازيليك (ولكنها مختلفة عن رسم البازيليك في بر إيطاليا وعن رسم الكنيسة البيزنطية وعن المسجد<sup>(2)</sup>). ويوجد منها ما هو مبني بالتحديد على شكل الصليب اليوناني؛ ومن هنا نرى أن المعمارين كانوا يتعمون ما يملئهم عليهم الأحياء والأمراء المؤسسون، تقريباً كما حدث مع المهندسين الفارسيين اللذين رسماً رسماً أولاً لجامع الكوفة طبقاً لتوجيهات عمر وزيد، وكما رسم المعمارى المسيحى لابن طولون تخطيط المسجد دون أعمدة. ويبدو لى أن المعمارين المسلمين في

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصلين الرابع والخامس، والفصل الأول من هذا الكتاب، ص ١٢٥ و ١٢٧ و ٣٣٢ و ٣٤٦ من هذا المجلد.

(2) حول الشكل الخاص للكنائس النورمانية في صقلية تجادل علماء فوق سيرا دي فالكو في المرجع المذكور، ص ١٢ والملاحظات التالية لدى مارسو، المرجع المذكور، ص ١٠٨ و ١٠٩.

بالرمو قد احتفظوا بسلامة فنهم، فأعطوا للكتائس التي شيدها، أحياناً شكلاً وسطاً بين الشكل الغربي والشكل الشرقي بل وأحياناً شكلاً يونانياً خالصاً، ويمكن أن نسلم بالمثل أن فنانين صقليين قد رسموا هنا وهناك، بناء على رغبة الأمراء والبارونات، الأفريز ذي الزوايا البارزة والفائرة المستخدم في فرنسا وفي إنجلترا باسم *Chevron* أو زجاج، ويمكن أن نقول الشيء نفسه بشأن بعض الأجزاء الأخرى الثانوية؛ ولكن أحداً لن يستطيع أن يستخلص من هذا أن الفن العربي قد تغير، أو أنه تابع للفنون الشمالية، واعتقد أنا أيضاً أن الملك روجيرو، الذي كان عاشقاً للرياضيات التطبيقية وقادراً على استيعاب المفاهيم الرفيعة للغاية، قد أعطى توجيهاته للفنانين الذين شيّدوا له سان جوهاني ديللي إيريميتي، وكنيسة بلاتينا، وكنيسة تشيفالو، والقصور والفيلات؛ ومع هذا فلن يقول أحد إنه قد جدد بهذا الفن العربي في صقلية.

إن الفن العربي في صقلية كان يمارسه آنذاك الصقليون فقط، سواء كانوا من أصل عربي أو بربري، أو من أصول محلية، اعتنقوا الإسلام ثم ارتد بعضهم مرة أخرى إلى المسيحية سواء عن اقتناع أم عن غش واحتيال. وكان ذبوع حفر الكتابات العربية في مباني الأمراء النورمان، كما في قصرى كويا وزيّا، بل وفي برج كنيسة سان چاكومو لا مانزارا المتهدمة<sup>(1)</sup>، يجعلنا نفترض بالضرورة وجود فنانين لغة معظمهم هي اللغة العربية. وقد شملت تلك المادة في حفر الكتابات على الجدران الخارجية للأثار أيضاً اللغتين الآخرين اللتين كان الناس يتحدثون بهما في بالرمو، أي اليونانية في كنيسة مارثورانا<sup>(2)</sup>، واللاتينية في

(1) انظر مثلاً، *Epigrafi arabiche di Sicilia*، الطبعة الأولى، أرقام ٦ و٧ و٩ و١٠ و١١، في *Rivista sicula*، أعداد شهري أكتوبر ونوفمبر ١٨٦٩ ويناير وفبراير وسبتمبر ١٨٧٠.  
(2) أدى ترميم المبنى القديم الذي يجري العمل فيه تحت رعاية المهندسين المعماري الأستاذ جوزيبي باتريكونو إلى إلقاء الضوء على الجزء الأكبر من الكتابة اليونانية، التي ظلت مجهولة تقريباً لوصفها الخناس. طوال بقاء دير النساء قائماً، وقد قدم

الكنيسة المجاورة التي تسمى سان كتالدو؛ ولكن العربية لم تتخل عن مكانها في قلعتى كوبا وزيزا، حتى إن كانتا أحدث من غيرهما(1). وقد دخلت العربية الأضرحة المسيحية، كما يرى كل انسان في منصة كنيسة بلاتينا وهي كنيسة مارتورانا، التي تحيط بقاعدة قبتها المكسوة بالموزايكو وينقش يوناني، كما أشرنا للتو. كتابة تبدأ بالرمز اليوناني البيزنطى وتستمر حتى النهاية بالعربية. مع صيغ مسيحية مترجمة من الترانيم القديمة جداً في الكنيسة الشرقية(2). هذا إذا ما استبعدنا العمودين اللذين يحملان نقوشاً عربية من الواضح أنها انتزعت من بعض المساجد. بل إنه يجدر بنا أن نقول إن المعماريين قد بقوا على الأقل مستعمرين. إن لم يكونوا مسلمين، حتى النصف الثانى من القرن الثانى عشر لأننا لا نزال نرى، في سقف كنيسة ماچونى، التي بنيت في تلك الفترة، على مسار المدفأة، كلمات النصر، الصحة، القوة، الرضا وأمنيات أخرى مكتوبة بالعربية، أو بحروف سوداء على خلفية بيضاء، أو العكس، وأحياناً بالأحمر مع خطوط صفراء على خلفية سوداء، وهذه المسارات تتعاقب فيما بينها

---

الأستاذ أ. مائيلاس في *Rassegna archeologica di Sicilia*. عدد شهر يناير ١٨٧٢ (*Rivista sicula* شهر فبراير ١٨٧٢) تقريراً جميلاً عن حالة المبنى والأعمال التي بدأت لترميمه.

(1) انظر الكتابات المذكورة في بداية هذا الفصل من ٧٧١. هامش ٢ و ٧٧٥. هامش ١.  
(2) من المحاور الستة عشرة التي كانت تضم الكتابة، تم تجديد خمسة وعشرون من محاور البنية جداً حتى إنه لا يمكن أن نجتمع فيها سوى بضعة أحرف. وبمد الصليب والصروف اليونانية المبهمة IC XP NI KA عند الجوانب الأربعة. تبدأ الكتابة العربية باسم الأب والابن والروح القدس وتنتهى بدعوة *Agnus Dei*. وفي الوقت نفسه، بالبحث عن صيغ هذا الدعاء المستخدم عند المسيحيين المتكلمين بالعربية، وعندما سألت من بين من سألت ذلك الباحث الشاب وهو السيد إنياسيو جويدي من روما، أظهر لي النشيد الصباحي المنشور من ٢٨ في *Anthologia graeca carminum* Christianorum، بقلم م. كريستوم. برانيكاس. ليهج. ١٨٧١. ونقرأ في هذا النشيد بعض الأبيات التي نجدتها مترجمة حرفياً إلى العربية في الجزء الأخير من كتابه مارتورانا. وأنوى تناول هذا الموضوع بتفصيل أكبر في مناسبة أخرى.

ومع مسارات أخرى تحمل أشكالاً، بعضها لأسماك والأخرى لطيور(1). وقد كان هذا يرجع لهوى الصانع أو لغرافات التجيم؛ ولكن اللغة النقية والحروف الواضحة والصريحة تدل دائماً على أمة الفنانين الأساسيين لذلك العمل.

أتمنى أن يكون هذا التعريف الذى عرضه هيتروف للعمارة المصقلية فى القرن الثانى عشر وأكدته أعمال كوستى، وساندته إن لم أخطئ آراء سبرنجر السديدة، علاوة على الأخبار التى أضفتها هنا، تعريفاً واضحاً شافياً إلى أن تاتى دراسة نصوص عربية جديدة وأثار أخرى فى سورية وبلاد ما بين النهرين لتحدد فى دقة طراز العمارة المربية الشرقية من القرن الثامن إلى الحادى عشر. وربما عملت أيضاً مثل هذه الدراسات على إنهاء ذلك النزاع الآخر حول أصل العمارة التى يطلق عليها فى غير دقة العمارة القوطية، فى الشمال. وقد عالج أحد أصحاب العقول الفذة فى عصرنا(2) هذا الموضوع، وأكد من خلال علمه الفزير وولائه الكبير للوطن أن الطراز القوطى لا يتمثل فى العقود المدببة وكيف أنه نشأ عن الأفكار الفلسفية والمناسية والدينية التى كانت تثبت وسط جماعات الإكليروس فى جزيرة فرنسا فى النصف الأول من القرن الثانى عشر. ومع أنه بيّن حداثة طراز العمارة فى الشمال وفضل أول من انتهجوه فى فرنسا، أو كما

(1) عرفنى الباحث السيد دينس، مؤلف، فى مجموعة موراى، وهو اليوم القنصل البريطانى العام فى بالرمو، عرفنى قبل خبره بهذه الكتابات وقادنى لزيارتها فى مايو 1891. والكمرات الكبرى ملينة بالمعبد من الشعارات المرسومة، وبعضها تبدو أكثر حداثة.

(2) ريتان، *Histoire littéraire de la France au XIV siècle*، المجلد الثانى، ص 227 وما بعدها. ومع ذلك يمتزج المؤلف العالم فى صفحة 221 بأن الشرق استخدم العقود المدببة قبل الغرب، ويمتد أيضاً أن كلمة *ogive* أو *augive* يمكن أن يكون أصلها عربى حتى إن لم تستخدم قديماً للإشارة إلى العقود المدببة. وكلمة *ogive* قد يكون أصلها بوجاء «فوس» أو «أزج» التى ذكرناها فى هذا الفصل فى ص 782. هامش 2. ولا ينفى الركون إلى مثل هذا التماثل فى الأصوات والمعانى حين لا يقوم الاشتقاق القوي على أدلة دامغة.

يرى البعض المانيا أو انجلترا، فلا يمكن أن تنفى من ناحية أخرى أن العقود المدبية كانت حقاً ملمحاً أساسياً من ملامح فن العمارة في الشمال؛ وأنه تواثر أيضاً في كامل جماله في جامع ابن طولون في القرن التاسع، كما كان يحوز الإعجاب كذلك في صقلية في نهاية القرن الحادى عشر والنصف الأول من القرن القالى. لا ينبغي إذن أن نبعد آراء كوستى وهيتروف<sup>(1)</sup>. فمن المحتمل أن يكون الحجاج النورمان والألمان الذين كانوا يزورون القدس وسيناء قبل الحملة الصليبية الأولى؛ وكذلك معازيو الغرب من النبلاء والعمالين ورجال الدين الذين عادوا إلى ديارهم بعد التحلل من نذر التحرير، قد حملوا معهم فكرة العقود المدبية وأشكالاً أخرى من الفن العرسى الذى بهر بجماله وعظمته شعوب أوربا الخشنة. ولا يبدو لي افتراضاً مبالغاً فيه أن من بين العائدين من الحرب هناك من توقف في صقلية ورأى الفن ذاته يزدهر في مملكة الحكام المسيحيين ويخدم الأبنية المقدسة. ومما لا ريب فيه أن هذه المفاهيم كانت تختمر في أذهان تاهلت على تقاليد العمارة الرومانية وعلى شعور دينى عميق لا يعرفه جنوب أوربا، ودون شك تطلبت نوعية مواد البناء وضرورات المناخ، في الأسقف المدبية على سبيل المثال، بعض التعديلات وأوجت بإنشاء عقد مدبب أكثر لم تر مثله أبداً في مصر أو في صقلية، وكما يحدث غالباً بدت الضرورة مزية، والفرابة تعليقاً للخيال أو سمواً بالمعاطفة. وظهر على هذا النحو ذلك الطراز الذى لم يكن رومانياً ولا لومباردياً أو عريباً أو بيزنطياً مهما أخذ عن هذا وذلك، ولكنه يمثل شكلاً جديداً من أشكال الفن ويندرج في إطار الإبداعات القليلة الناجحة التى خرجت في المصور الوسطى. حين نعود إلى موضوعنا ونعالج الفنون المكملة لفن العمارة فن

(1) هيتروف، المرجع السابق، ص ١٢، ١٥؛ وكوستى، المرجع السابق، ص ٢٦، الذى يستند الطراز الجديد إلى طائفة البنائين الذين شاركوا في الحملة الصليبية وعادوا إلى فرنسا ومانيا ثمزهم الدهشة من روعة العمارة الشرقية.

أحسب جميع أشكال الفسيفساء الصقلية الجميلة في القرن الثاني عشر كانت من عمل السكان المسلمين، وإن كان من الممكن أن يطلب من المسلمين القيام برسم صور مسيحية، ولكن الأنماط الثابتة التي عرفت بها الكنيسة البيزنطية والمنقولة بالترام، في خطوطها وألوانها وكتابات اليونانية كانت تكشف عن يد هنانين من تلك الجماعة سواء من الذين قدموا خصيصاً لهذا الغرض من المشرق مثل أولئك الذين دعاهم كبير رهبان مونتى كاسينو، أو من سكان صقلية وجنوب إيطاليا الخالص. ولا استبعد افتراض أن رجالاً ولدوا من اجناس إيطالية في هذا الإقليم أو ذاك قد ساهموا في العمل وتركوا كتابات لاتينية بمثابة علامة عليها. وحتى العرب لا استبعدهم من تلك المساهمة، حيث قال الإدريسي في فقرة عن المسجد الجامع بقرقبة الذي سبقت الإشارة إليه (1) إنه لم يأت المسلمون أو الروم بنقوش فسيفساء بمثل هذا البهاء. والآن لا يمكننا أن نمسح الأسانيد التي لن نفيد في حالتنا هذه على الكراهية المفترضة من جانب كل مسلم مؤمن تجاه تصوير البشر والحيوانات: ومع كل هذا فمن الجائز أنه بدلاً من أن يهتم المسلمون بتصوير القصص الكتابي وتصوير القديسين، توجهوا إلى ما اعتادوا الاشتغال به أحياناً، أي زخرفة الكنائس والمباني غير الدينية برسم صور من الخيال مثل صور القاعة الأرضية بقصر زيزا والفرقة النورمانية بالقصر الملكي. علاوة على هذا فمن المعروف أن نقاداً بارزين درسوا رسوم الفسيفساء في صقلية وشهدوا بارتفاع مستواها على مثيلاتها المعاصرة لها في برنا الإيطالي (2).

(1) في ص ٢٨٥.

(2) بطصوص رسوم الفسيفساء في صقلية انظر رسالة السيد فراشيسكو مياتيه، المنشورة في *Giornale ufficiale di Sicilia*، بتاريخ ٢١ يونيو ١٨٨٨، ودي مارسو، المرجع السابق، المجلد الأول، ٢٢: وهيثروف، المرجع السابق، ص ٢٢: وسبرنجر، المرجع السابق، ص ٢٢ و٢٦.

سأشير إشارة عابرة إلى الزخارف على الخشب التي أبقت على الأشكال ثمانية الزوايا هي مقصورة كنيسة بلاتينا ببالرمو. وهي زخارف كلها محفورة وتفصلها إفريزات مقلوبة على شكل مقرنصات، مزينة بالذهب واللون الأزرق والأبيض وبكتابات عربية. وترجع الزخارف إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر، مثل أغلب وحدات تلك الأشكال إذ علمنا من كتاب معاصرين أن المقصورة كانت مزودة بالفعل بتلك الرسوم وتلك الألوان وظلت غالبية الكتابات العربية فيها على حالتها الأولى. ولكن الضوء يتسلل إلى ذلك الارتفاع ضعيفاً أو خافتاً جداً من النواخذ المنخفضة في موقعها لدرجة أن هذه الكتابات ظلت مجهولة حتى أوائل هذا القرن، وأن الصور والزخارف المرسومة في الأشكال الثمانية لم تعرف أيضاً إلا من خلال صور فوتوغرافية صغيرة أعدت بانعكاس الضوء عليها بواسطة مرآة، منذ سنتين حينما شرعت في نشر هذه الكتابات. ولم يجرؤ أحد على الحكم على هذه الزخارف دون أن يدقق فيها عن كثب: لذا فمن المناسب أن نلتزم الصمت الآن تجاهها وننتظر فرصة تسمح للخبراء بدراسة متأنية لمثل هذه الآثار التي بقيت من الفن الصقلي في القرن الثاني عشر<sup>(1)</sup>. وعندما تأتينا إلى فن النحت لا أرى أي داعٍ لأن ننكر على مسلمي صقلية صنعة الزخارف البارزة والفائقة، وخاصة تيجان الأعمدة المنحوتة بطريقة أنيقة والتي تثير إعجابنا في عديد من آثار العصر النورماندي، وأعظمها يتمثل في دير موريالي. لأن عدد التيجان الهائل وشكلها ينفي افتراض أنها نقلت من بنايات أقدم منها، وكما

(1) هنالك وصف دقيق للمقصورة الحالية في كتاب تاريخ فالكاندو وهي موعظة يونانية نسبت خطأ إلى نيوهاني شهرايمير. ويبدو أنها كانت من أعمال الراسب فيلاجانو والفيت في افتتاح الكنيسة ذاتها عام ١١٢٩ أو ١١٤٠. وتناولت هذا الموضوع في *Epigraphi arabiche di Sicilia, classe I. n. 6 Rivista sicula*. أكتوبر ١٨٩٩. الذي نشرت فيه صور الأشكال المزخرفة.

ذكرنا آنفاً في معرض الحديث عن الفسيفساء لا تقوم قائمة للفكرة القديمة القائلة بأنه حيثما تظهر صور أشخاص يجب استبعاد أن يكون أصلها إسلامي؛ وقد سجل نقاد بارزون موضوعيون روعة وبهاء أعمال النحت هذه<sup>(1)</sup>. أما عن القائمين بصهر البرونز فقد تكلمنا عنهم في الفصل السابق. وحين نتقل من الأعمال اليدوية إلى ما يطلق عليه اليوم فن بمعنى الكلمة فإننا لن ننسب إلى مدرسة المسلمين البابين البرونزيين في كنيسة موريالي، المتزامنين في الصنع والمتباينين كثيراً في طرازهما، ونقرأ في أحدهما اسم بونانو دا بيزا، وفي الآخر اسم باريزانو دا تراني<sup>(2)</sup>. ويمكننا أيضاً ملاحظة محاكاة الزخارف العربية في بعض أجزاء باب بونانو؛ وهناك محاكاة أشد من ذلك بل أقول أمانة تماماً نلاحظها في عمل سابق على هذه الفترة بثمانين عاماً على الأقل، أي في الأبواب البرونزية بحجرة دهن بويمونديو في كانوزا، والتي كانت قديماً مطعمه بالفضة ولم تقتصر أفاريز الأبواب وسطحها على الزخارف العربية فائقة الدقة بل نقل الفنان فيها الخط الكوفي أيضاً. في الدوائر الثلاث التي تشغل خلفية المصراع الأيسر، مما قد يذهب بنا إلى القول بأنها عمل شرقي لو لم نقرأ بجوار هذه الحروف الكوفية مديحاً باللاتينية

(1) سبرنجر، المرجع السابق، ص 29 و 30.

(2) قارن جرافينا، المرجع السابق، ص 70 و 71، وكارافينا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص 191 وما بعدها، وسبرنجر، المرجع السابق، ص 27 وما بعدها، ومقال كتبه السيد Fr. W. Unger حول عمل سبرنجر في *Göttingische gelehrte Anzeigen* لعام 1866، ص 1062 وما بعدها. يرى جرافينا أن أكبر أبواب كنيسة موريالي قام بعمله ثلاثة فنانين كان أحدهم مسلماً؛ وفي الحقيقة لا يبدو مستبعداً أن تكون النماذج الخطية المستخدمة في قوائم السب من عمل بونانو في بعض ملها، وفي بعضها الآخر من عمل فنانين لم تدون أسماءهم. وأثار سبرنجر الشكوك حول ما إذا كان بونانو قد ولد فعلاً في بيزا حيث استشف اللهجة الصقلية في الكتابات المكتوبة وعقب على هذا الموضوع أونجر، ولكن عند تفسيره للطراز المختلف في بابي موريالي طرح افتراض فن انتقل، بعد نشأته في الجزر البريطانية، إلى فرنسا وألمانيا وشمال إيطاليا حتى وصل في النهاية إلى بوليا.



لبويموندو، ولو لم يشر التوقيع باللاتينية أيضاً إلى اسم روجيرو الأمالفي سيالك الأجرام وصانع الأبواب وأحد الشمعدانات (1). ويمكننا أن نحسب روجيرو هذا مسلماً من صقلية، وتنصر واتخذ اسم سيده النورماندي الذي حرره. ويمكننا أن نفترض أنه لما ولد في أمالفي تعلم، مثل عديد من مواطنيها وإيطاليين آخرين، ذلك الفن في القسطنطينية، أو في صقلية أو المشرق الإسلامي. وأنه قام بحسب البرونز وقام آخرون بتصميم النماذج؛ ولكن لا يوجد من بين هذه الاحتمالات ما يثير الشكوك حول المدرسة التي ينتمي لها هذا العمل. وعلاوة على ذلك فإن مسلمي تلك الفترة كانوا يصنعون بطريقة مختلفة وأكثر عشقة أبواباً من الحديد مزدانة بصور الحيوانات. ونرى ذلك على وجه التحديد في أبواب المهدية (2). تلك المدينة التي كان لها منذ أن تأسست علاقات وطيدة مع صقلية. كما لا يبدو مستبعداً

(1) شولتز *Denkmaeler, etc*، المجلد الأول، ص 88، واللوحة العاشرة. وقد دُشنت كنيسة ساننا سابينا في كانوفا التي تتضمن حجرة الدفن هذه في عام ١١٠١. وينتهي عن الاحتمال أن الأبواب تم صنعها بعد هذه الفترة بسنوات عديدة. والدوائر الثلاث التي اشترت إليها تتألف من مجموعة من الحروف تتكرر من البداية إلى النهاية. حروف من ذلك الخط العربي ذي الأشكال المائة. والتي أطلق عليه بطريق الخطأ القرمطي، وأرى تسميته بالأحرى بالخط الكوفي البربري (غير جميل). وتتألف كل مجموعة من خمسة حروف، والحرفان الأولان منها مع الحرفين الآخرين فيها؛ ولكن باتجاه عكس الحرفين تتناسقاً. ويمكننا أن نلاحظ في تلك الحروف الخمسة لفظ الجلالة ل. ل. هـ. (وهيفي هراخه لله، أي «إلى الله») مكتوب من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار مع بقاء الحرف الأول مشتركاً مثلما نرى كثيراً في زخارف الهمبرا.

وترجمت الكلمة المكتوبة ملفي إلى أمالفي، موطن سيالك البرونز. إذ من المعلوم أن كان هناك خلط في تلك الفترة بين ملفي وأمالفي، ولكن من المحتمل أن يكون روجيرو قد ولد في أمالفي مثل سيالك الأبواب الأخرى المبددة بكثافة جنوب إيطاليا. بداية من بانثالوني الذي حسب في عام ١٠٧٦ باب كنيسة جروتا دي مونتي سانت انجيلو في القسطنطينية، الذي كتب عنه شولتز، المرجع السابق، المجلد الأول، ٢١٢، واللوحة ٣٩. (2) البكرى، نص باريس، ص ٢٩، وترجمة فرنسية، البسارون دي مسلان في *Journal Asiatique*، أكتوبر ١٨٨٨، ص ١٨٥. وقان ترجمة كاترمير في *Notices et Extraits*, XII, 480. ونص عربي آخر *Description de l'Afrique, etc* للاستاذ

أ. دي كويمبر، فيينا ١٨٥٢، ص ٨.

أن تنتمي إلى الصنعة نفسها تلك الأبواب الحديدية التي نقلها رويرنو جويسكاردو مع أعمدة شنتي وتيجان بديعة(1) من بالرمو إلى ثرويا بوليا: الأمر الذي يفتح الطريق لاحتمال أن يكون فنانون مسلمون من بالرمو قد ساهموا في تصميم أعمال البرونز التي صبت في القرن التالي، لكنيسة موريا إلى الكبرى.

ولكن بالعودة إلى موضوع الإنشاءات بعد أن أطلنا الحديث عن الفنون المعملة يلزمنا الاستعانة بفرع من فروع الهندسة شهد ازدهاراً كبيراً في بالرمو لفنارة المياه التي تتفجر عند سفوح الجبال القريبة منها. وحملنا اللوم الذي وجهه ابن حوقل لأهل بالرمو: لأن غالبيتهم كانوا يشربون مياه الآبار، إلى أن نستنتج، على النقيض من الرأي الشائع أن الشبكة الهائلة لمجارى المياه والشبكات الصغرى، التي تحمل الماء اليوم إلى أعلى طوابق المنازل، لا يجب أن ننسبها إلى فترة الحكم الإسلامي. ومن ناحية أخرى لا يمكن لتلك الهندسة أن تكون قد نشأت بعد القرن الثاني عشر، وكلمة جرة في حد ذاتها ذات أصل عربي ويقصد بها في صقلية الجزء الرئيس من ذلك النظام، أي أعمدته التي ترفع به المياه شيئاً فشيئاً لتسقط إلى أسفل وتستورد الآلة بعضاً من القوة التي استهلكت أثناء دورانها: وقد استخدمت هذه الآلات للفرض نفسه في إسبانيا ولا زالت موجودة حتى الآن في شمال إفريقيا(2). وإذا كانت كلمة كاتوزو *catuzzo* التي تعنى في

(1) راجع الاستشهادات: الكتاب الخامس، الفصل الخامس، من ١٤٤ - ١٤٥ من هذا المجلد.

(2) يصف الإدريسي هذه الآلة في *Merida* طبعة السليمان دوزي ودي جويس، من ١٨٢، النص، ٢٢١ في الترجمة، حيث ورد في الهامش فرض استخدامها في القسطنطينية وأفريقيا الشمالية.

ويصنف فعل جرة في اللغة العربية سحب، وربما وصل الاسم إلى صقلية بناء على هذا المعنى لأن الأعمدة كان يطلق عليها اسماً مشتقاً في إسبانيا. وفي تاريخ مكة للأزرق، طبعة *Stadt Mekka, Wustenfeld*، الأول، من ٤٧٨ وردت تسمية البحر أو الجبل وأطلقت على مكان تجمع مياه الأمطار على الجبل الأحمر، تتصاب منه المياه إلى مكان آخر أطلق عليه مهبزاب ويعنى قناة أو مجرى.

وهضلاً عن هذا فكلمة جرة المربية متداولة في صقلية بمعنى الأواني العظارية الكبيرة

صقلية ميزاب من الفخار لها أصل يوناني ولايتنى فإننا نعتقد أن العرب بعد أن أخذوها، مثل مفردات أخرى شتى، عن الشعوب المتحضرة قد غيروا، إلى حد ما، معناها من «قدر أو أبريق» إلى «سطل»، وأضافوا إليها في الغرب معنى «أنبوبة أو ميزاب»، ولذا فهذه الكلمة الصقلية تعود بالطبع إلى العرب (1). وأخيراً نجد كلمة «رب» وهي عربية خالصة، ويعنى بها مقياس للماء الجارى يستخدم حتى اليوم في الرمو، قد ورد ذكرها في وثيقة عربية من القرن الثاني عشر (2).

وحيث نتقل من البحث في الأشياء إلى الاهتمام بالعنصر البشرى علينا أن نبحث ونتقصى أولاً أي دماء من العرب أو البربر تبقت في صقلية اليوم. ويبدو لي أنه لا علم التشريح ولا علم الفسيولوجيا يستطيعان الإجابة على هذه التساؤلات، بعد سبعة قرون استطاع

المستخدمة عادة في حفظ الزيت. وتطلق أيضاً على ثنية الشراب، وبهذا المعنى أي إناء صغير أو كبير له فوهة واسعة تستخدم في اللغة الإيطالية مع بدائل لها مثل *giarra* و *giarro*. ثم بعد ذلك شقت طريقها إلى كل لغات أوروبا.

(1) راجع مقال Alcázar في *Glossaire des mots espagnols etc* للسيد موزي وأنجلمان. ومعنى كلمة «ميزاب»، أخذته من البكري الكاتب الأسباني الشهير في القرن الحادي عشر، ومعنى «سطل»، شائع في اللغة العربية في الشرق. كما أضف إلى هذه المراجع «*Vocabulista in arabico*» فلورنسا ١٨٧١، والذي تحولت فيه كلمة «*knidus*» إلى «*canalis*». وقد احتفظ الصقليون بـ *acodag* وبـ «*cadus*» في *catu* التي يستخدمونها أي سطل، ومن هنا كان البذين بالنقل العربي لكلمة «*cafusu*». ومن الملاحظ أن تبدل في حرف *ك* إلى *ف* في اللفظة الأولى كما في الأخرى. مثلاً حدث في اشتقاقات لهجة توسكانا حيث نجد: «*catino, catinella ec.*».

(2) وثيقة أبريل ١١٢٢، نشر جي. جيورجو جزءاً منها. أما الأستاذ Cussu فشرها كاملة في *Diplomi arabi e greci* (التي لم تخرج بعد للنور) ص ٧، السطر ١١ و ١٢. كلمة «رب» تثنى في الأصل باب أو بافدة. وبخصوص المقاييس الأخرى المستخدمة حتى اليوم في قياس الماء الجارى، لا أرى أنها مشتقة كلها من اللغة العربية. وهذه المقاييس هي: تساباً واحدة = *gappo* = ٤ رب *darbi* = ١٦ نسر (عملة بصورة النسر) أو تاري = ٤٨ ديناراً = ٣٣٦. ولكن لفظ تساباً *gappo* يمكن أن ترجع إلى الجذر العربي «سب»، وتاري ودينار يبدو أنهما مأخوذتان من اليونانية واللاتينية عن طريق اللغة العربية. وهي وثيقتي مازوني لعامي ١١٩٧ و ١٢١٩ لدى مونجهيتوري *Sacrae Domus etc* باثوروس، الفصل الرابع، نجد مقياساً للماء الجارى يسمى بالما *Palma* ويبدو أنه يساوي مقياس تساباً.

خلالها الجنس الإيطالي لما له من سيادة مطلقة أن يستوعب كل الأجناس الأخرى. وإذا لا تسعفنا المناهج العلمية الملبية، فينبغي ألا نثق في المظاهر الخارجية والأحكام المسبقة والملاحظات غير الدقيقة والأحكام المتسرعة، وللسبب نفسه ننحى جانباً تلك الآراء التي تشير إلى ملامح وطباع للناس مختلفة هنا وهناك في بعض مناطق الجزيرة ومدنها ونقتصر على الوقائع التاريخية واللغوية<sup>(1)</sup>. ذكرنا في موضعها تلك الأزمات التي مر بها السكان المسلمون، فعلاوة على تعرضهم لمذابح الحرب وعمليات الطرد تضاعل تعدادهم بفعل الهجرة إلى إفريقيا التي بدأت عام ألف وثمانية وستين، ولم تتوقف بالتأكيد حتى إتمام الغزو. فقد زادت بعد فترة توقف قصيرة إثر عمليات تعذيب عام ألف ومائة وثلاثة وخمسين ومذابح عام مائة وواحد وستين، واستمرت ببطء خلال حكم جوليئمو الصالح، ثم أسرع موجاتها من جراء فتن عام مائة وتسعة وثمانين، وأهوال عام مائة وتسعة وتسعين وحتى حركات تمرد عام مائتين وواحد وعشرين ومائتين وثلاثة وأربعين، التي لجأ البعض على أثرها إلى إفريقيا أو مصر، وبحث البعض الآخر عن ملاذ لهم في دين المنتصرين، في حين تم إقصاء غالبية المتمردين إلى بوليا، حيث اختفى أثرهم هناك بين ارتدادهم عن الدين أو هجرتهم في أوائل القرن الرابع عشر، ويبدو قريباً من الحقيقة أن السواد الأعظم من الخارجين خلال كل هذه الأحداث كان من الفارحين من أجناس اجنبية وليس من أهل الجزيرة القدامى. ويدعم هذا الرأي أن سراسنة لوتشيرا كانوا يتكلمون أو على الأقل يجيدون فهم اللغة الإيطالية<sup>(2)</sup>. وكان هذا الأمر

(1) فراء العالم الأستاذ كارلو ماجوراني باكاديمية لينتشي في الماشر من ديسمبر عام ١٨٧١ مذكورة حول أنثروبولوجية عقلية، ويؤسفني أني لم أتمكن من استخلاص ما يفيد موضوعنا منها لأنها كانت تعصب بصفة خاصة على الفترة السابقة على الغزو الروماني.  
(2) رسالة جيورجيو التاسع إلى هيوغو الثاني، ٢٧ أغسطس ١٢٢٢، والتر بتاريخ ٢ ديسمبر من العام نفسه، برينول Cod. Dipl. Friderici II، المجلد الرابع، ص ٤٥٢ و٤٥٧، وذكرنا أولاً هذه الوثائق في النصل الثامن من هذا الكتاب، ص ٥٨٤ في الهامش.

ينطبق بالتحديد على الفلاحين الذين خضعوا للمسلمين ثم تركهم النورمان تحت التبر حيث وجد بين جماهيرهم كثرة من الفلاحين المسلمين من أصل إيطالي قديم أو يوناني(1). ولكن بعد عمليات الطرد إلى بوليا للمرة الثانية اختفى من الجزيرة، كما ذكرنا آنفاً، أي أثر لسكان مسلمين(2)، وأخذت عائلات صقلية تظهر في مصر وأفريقيا(3)، وسرعان ما توارت اللغة العربية في بالرمو ذاتها؛ لدرجة أنه لم يبق منها إلا النذر اليسير في النصف الثاني من القرن الثالث عشر مثل توقيع في محررة رسمية(4) وذكرى مترجمين من اللغة العربية إلى اللاتينية نرى من بينهم أسماء اليهود(5). ولا توجد لهذا

وكتب البابا عن سراسة لوتشيرا يقول: *"italicum idioma non mediocriter, ut fertur, intelligunt"* ورد هنريكو بالإيجاب *qui intelligunt italicum idioma*. (1) الكتاب الخامس، الفصل الثامن، من صفحة 205 إلى 210 في هذا المجلد. (2) راجع الفصل الثامن من هذا الكتاب، ص 591، وفارها بصفحة 586 وما بعدها. (3) يحدد ذكر اسمي شرف الدين وخضر الدين اللذين ذكراهما في الفصل العاشر عشر من هذا الكتاب، ص 698 و 699.

وعلاوة على هذا جدير بالملاحظة أن ابن خلدون يشير في *Storia dei Berberi*، ترجمة فرنسية، 1. 276، إلى أحدهم يدعى أبو العباس أحمد بن رافض من سلالة علي وعائلة آل أبي شريف التي كانت قد أقامت في صقلية. وترجع هذه الإشارة إلى نحو عام 1218، حين تصود الأمير المريني أو عنان علي والده، ولكننا لا نعرف في أية فترة أقام آل أبي شريف في الجزيرة.

(4) *Elenco delle Pergamene della Magione*، بالرمو 1889، ص 53. الوثيقة مسخرة في بالرمو بتاريخ 16 يناير 1765.

(5) وثيقة 11 فبراير 1288، نشرها مونجيتوري، وأعاد جريجوريو طباعة جزء منها في *De Supputandis, etc*، ص 50. كما أوجز باللغة اللاتينية، القاضي سيموندي هيليو ومحرر العقود العام في صقلية بنديتو وثيقة لعام 519 هـ الموافق لعام 1123 في تقويم القسطنطينية (1181)، ترجمها من مواطني بالرمو جودينشي ديونيزيو، ومحرر الوثائق رابريندو هيكلي، والمعلم ميكليلي الطبيب، ومحرر الوثائق ليوني دي بيونديو. وثيقة 5 أغسطس 1288 التي نشرها جريجوريو، المراجع السابق، ص 52 وما بعدها، ونشرها *Guiseppe Spata* في *Pergamene greche*، ص 181 وما بعدها، تذكر أن توماسو جريللو القاضي، ومحرر الوثائق بنديتو، الموقر الرسمي في بالرمو، قد أوجز باللاتينية وثيقة باليونانية والعربية بتاريخ 26 أغسطس 571 (1175). أما النص المرسى فكان قد ترجمه الكائن من محروى الوثائق وهما لوقا دي مارمأ وجورجو دي جوفاني بونزو، والثنان من الأطباء اليهود هما المعلم موسى والمعلم سمبول.

الجيل نفسه في صقلية كتابات بالعربية على شواهد القبور(1)؛ وإن كانت أسماء المدن والقرى والضياع الكبيرة تؤكد الدليل على تغير اللغة فإن أسماء الشوارع في المدن والضياع الصغيرة أخذت تتغير أو تتحور(2)، لدرجة أن ظل القليل منها قيد البقاء

ذكرت في الفصل العاشر من هذا الكتاب، ص ٦٦٤ وما بعدها من المجلد، الترجمة اللاتينية لكتاب الرازي العظيم في الطب التي قام بها فرج بن سالم وهو يهودي من جرجنتس بناء على أوامر كارلو دانجو، وانتهى منها في عام ١٣٧٩.

(1) ترجع إلى القرن الثالث عشر اثنان فقط من الثلاث وأربعين كتابة على شواهد القبور في صقلية وتابولي، التي أخذت في نشرها في *Rivista sicula* أحدهما نشرها جريجوريو في *Rerum Arabicarum*، ص ١٥٦، بتاريخ خطأ هو عام ٥٣٩ هجرية بدلاً من ٦٢٦ (١٢٣٨)، أما الأخرى، المرجع السابق، ص ١٦٢، فهي تعمل حذيفة تاريخ ٦٧٤ (١٢٧٦)، ولكن الشاهدان مودعان في مشعب بالرمو القومي بعد توقف دير سان مارتنينو ودار *olivella* اللذان كانا يحوزانهما في عصر جريجوريو، وكتابة بتاريخ ٨٥٩ (١٤٥٤) نشرها جريجوريو، ص ١٥٤، بتاريخ عام ٢٥٩ للخطأ، يعتنق بها في المتحف، وكانت توجد من قبل لدى حاسمة بالرمو، أو ربما لم يتم العثور عليها في صقلية، أو أنها وضعت على قبر أحد المسلمين الذي وافته العنية وهو يعبر بصقلية، الأمر الذي قد ينأى عن الحقيقة في مثل تلك الترة، ويرى محفوراً على وجه الشاهد الآخر شعار أسرة نبيلة، مما كان من خصائص القرن السادس عشر أو السابع عشر، وكان مطلقاً على واجهة إحدى الديار بواسطة حلقة من الهرنيز مشقة في وسط الكتابة. (2) نشرها في وثائق شتى من القرن الثاني عشر والثالث عشر مما يعطى ذكرها، الأسماء العربية التالفة للأماكن في بالرمو بالحروف اليونانية أو اللاتينية:

ممداء *Medea* ضاحية (خادير، إلخ، أو مستنقع كوك، نوع من الطيور المائية).

*Medea fere* (شارع ابن خلفون).

*Medea al fere* (عقبه الطور، مطلع النل).

*Medea* (رحبة، رحابة أو رحاب، اسم عام للميدان أو فناء).

*Haritilgidida*، وهي مواضع أخرى *Haritilgidida* (الصاراة الجديدة، أو «النص الجديدة»). *Medea* «طير الذي نقرؤه أيضاً في إحدى الوثائق العربية المطروحة في أبريل ١١٣٢، فحسب ماريّا (ميدان ماريّا).

*Ruga keleb* (... الكلب، أو للكلب).

*Contrata Hasserinorum* (حارة صنّاع الحسير، وربما نشأت منها الكلمة الصقلية *Gassina*). *Fahssimeria* التي هي *Fausumeli* كما يقول مونجيتوري، قرية شهيرة بالقرب من بالرمو (فحسب الأهم).

*Bebelagerin* (باب المجيرين، «باب قاطمى المصاراة»).

*Vicus qui dicitur Zucac gemes* (زقاق الزمير؟ أو «زقاق قزمير؟»).

*Garbuymara* (جاء بو عمارة، حيث يرد لفظ بو العاصي بدلاً من أبو، «غار أبو عمارة»).

حتى اليوم(1)، ويمكننا في الحقيقة استنادا إلى مواد قانون هديكو داراجونا تصور وجود بقية من السكان المسلمين حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر(2)، ولكن حينما ندهق في صمت كل المذكرات

Zucco elmucasseem (زقاق المقسم، أي «حارة المقسم» أو «الجميل»). Cantariddoheb (قطرة الذهب، أي «جسر الذهب»). ويضاف إلى هذه الأسماء، أسماء حلقة وجنارنو وأسماء أخرى وجدت في أكثر من موضع.

والمبدان الذي يطلق عليه اليوم Ballard والذي ذكره فانزيلو تحت اسم Segeballarat كان يطلق عليه سوق البهرا «سوق بهرا» نسبة إلى اسم قرية كانت موجودة بالقرب من موريالي الحالية.

(1) Kalsa الموجودة في الكتابات وكانت تنطق Gausa في النسخ الشهيرة الخاصة. ولنتذكر أيضاً كوبا وزيرو وفافارا... إلخ، والنسخ الذي يطلق عليه حتى اليوم لاثاريني كان من المؤكد سوق المطارين إذ تسمى على هذا النحو بعض الأحياء التجارية في تونس وبلاد إسلامية أخرى.

وجدير بالملاحظة أن جميع مصادر الماء تشيياً قد احتفظت بأسمائها العربية مع بعض التشويه في النطق: مثل Gabriele جيريلي، Sciarabbu شراب، Danissini (مين السندري) Carrafi، Sicchiarra، إلخ. ويحضرني هنا اسم عربي ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر - فهناك حارة خلف كنيسة موريالي تسمى ركامو، واسمها مكتوب على هذا النحو بحروف ضخمة على اللوحة الحجرية؛ ولا أرى أن صيغة عامية للفظ "ricamo" أي تطريز كان يمكن أن يرفع إلى هذا المستوى الرسمي بحدار المعهد الإكابرني الأسقفي الذي اشتمل حتى منتصف القرن الحالي على مدرسة عظيمة للفنون اللاتينية والإيطالية وحيث كان كبير الأساقفة سيد المدينة الإقطاعي حتى بدايات القرن. ومن ناحية أخرى فلا أعلم إن كان هناك فهما مضى في تلك الجهة معتمداً للتطريز. وإن حدث وكان له وجود قديم فما أدري إن كانت اللغة siciliana تطلق عليه هذا الاسم؛ أما لفظ «ريكام» فتش في اللغة العربية «المرمى»، أو قاطع الخراطة، وكان أمراً طبيعياً جداً أن يقيم مثل هؤلاء الحرفيين بالقرب من هذا المكان حيث أقام ذلك اللابرنث الثري معمل بالخراطة الثمين، وهو كنيسة موريالي العظيمة، ومن ثم يرجع اسم الحارة إلى هؤلاء الحرفيين.

(2) إن العادتين ٦٩ و٧٢ من مواد هديكو الأراجوني تعالج تحول المراسنة الأحرار أو القدم من دينهم، والمادة ٦٥ تعطي على المسلمين شراء خدم مسيحيين، والمادة ٦٦ تأمرهم بأن يخدموا شرطاً أحمر مستمراً على صدورهم حتى يتملأوا من المسيحيين. ولكن يجب الالتفات إلى أن مواد أخرى صدرت في اليوم نفسه تؤكد على مثل هذه القيود على الحريات لليهود. وأن المادة ٧٢ تنص يونانيي رومانها الذين صاروا عبيداً وتحويلوا إلى الإيمان الروماني القديم. فمن الجائز إذن أن يكون المراسنة الذين تخصصهم هذه القوانين هم التجار الذين ظلوا متوافدين على صقلية، أو عبيداً جديداً. ولنتذكر أن قوانين صقلية كانت تطلق اسم «قرويين» وليس «خدماً» على الصلاحين المسلمين المرتبطين بالأرض.

الأخرى طوال ستين عاماً قد يبدو من الأرجح أن تلك القوانين قد استهدفت التجار المسلمين المفهمين أو العابرين بالمدن الساحلية، والعبيد الذين أحضروا من الساحل الأفريقي وخاصة من جزيرة جريه بعد عام ألف ومائتين وأربعة وثمانين(1).

مفاد المذكرات التاريخية إذن أنه في أوائل القرن الثالث عشر تبقى في صقلية ذاتها النذر اليمير أو لا شيء من تلك الأجناس الشرقية والأفريقية. أما الجزر المجاورة فكانت على النقيض من ذلك، فجزيرة بنتلاريا طبقاً لشهادة الكتاب المسلمين في القرن الثالث عشر(2) لم يتغير جنس ساكنيها ولا ديانتهم، إلا أنها كانت خاضعة لملوك صقلية. وبعد ذلك احتلها لفترة من الزمن مغامرون من جنوة. ولكن ظل سكانها حتى القرن السادس عشر ورغم أنهم اعتنقوا المسيحية منذ زمن «يشترون مع السراسنة في الثياب واللغة، حسبما قال هانزبلو(3)، ولا ندرى ما إذا كان الحكم الروماني في مالطة قد قضى تماماً على اللغة البونية، وما إذا كان قد استقر بها، حسبما يبدو لي معقولاً(4)، سكان آخرون قدامى مع المسلمين الذين تمسكوا عليها ثم خضعوا فيما بعد بدورهم للكونت روجيرو. ونظراً لأن روجيرو سرعان ما أنشأ إحدى الأسقفيات هناك فليس ثمة شك في أن بعضاً من المسيحيين كانوا يقيمون في مالطة، ويبدو محتملاً جداً أن يكون الجنس الإيطالي قد تسلل أو بالأحرى نما بها مع سيطرة

(1) راجع كتابي *Guerra del Vespro Siciliano*، طبعة 1811، المجلد الأول، ص 209 وما بعدها، والمجلد الثاني، ص 297 وما بعدها.

(2) ياقوت، وابن سعيد، وشهاب الدين عمري، في المكتبة العربية - الصقلية، النص، ص 176 و 175 و 174. وأشارنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص 514 من المجلد ما كتبه في هذا الخصوص الأسقف بوكاردو في القرن الثاني عشر. وراجع أيضاً اتفاق الإمبراطور فريكو الثاني مع أمير تونس الخمس والوارد في الفصل التاسع من هذا الكتاب، ص 596 - 597.

(3) *Deco I*، الكتاب الأول، الفصل الأول.

(4) لنذكر الواقعة التي ذكرناها بناء على ما أورده القزويني في الكتاب الرابع، الفصل 12، في صفحة 123 من المجلد الثاني.



صقلية على تلك الجزيرة(1). ويتجلى اختلاط الأجناس في لغة مالطة أفضل مما توضحه تلك الومضات الخاطفة الواردة بالروايات والأخبار، حيث إن الفاظها، بل قواعدها نصفها إيطالي والنصف الآخر منها عربي. ومن هنا فسكانها الذين لم يتعلموا أية لغة أخرى كانوا يتحدثون في عصر مع بربر الشمال الأفريقي(2).

وليس من اليسير تحديد أية لهجة من لهجات اللغة العربية استخدمها مسلمو صقلية، إذ لا يتبقى من آثار لغة العامة سوى نموذج غير واضح في ثلاث وثائق ترجع للقرن الثاني عشر(3)، بينما أملت الوثائق الأخرى على التقيض من ذلك في غير تائق، ولكن حسب الأسلوب الصحيح الخاص بالمحررات الرسمية(4)، وحتى أعمال

(1) انظر الكتاب الخامس، الفصل السادس- وهذا الكتاب، الفصول: الأول، والسادس والثامن، في ص ١٨٠ و ٢٧٦ و ٣٢١ و ٣٧٧.

وشهادة الأسقف بوكارد التي أشرنا لها لتونا يجب أن تتسع المجال لدليل مناقض لها، وهو تأسيس الأسقفية وثعاقب الأساقفة المتوالي من بداية القرن الثاني عشر. (2) چيان فرانچيسكو أبيل أول من سجل طبيعة هذه اللغة في *Descrizione di Malta* cc مائة ١٦٤٧. وتعت ترجمة هذا العمل إلى اللاتينية في المجلد الخامس عشر من *Thesaurus* لجرانيو وبيرماتو، كما أعاد چوفاني أنطونيو چنتو نشرها مع إضافات عليها. مائة ١٧٧٢ - ١٧٨٠. مجلدان. وظهرت بعد ذلك معاجم وكتب قواعد وأمثال باللغة المالطية قام بها فاسألو، وبانتسافيكيا وفالتسون وتابلور وآخرون؛ ولكن المرجع الأكبر في هذا الموضوع كان البارون دي ميلان. *Journal Asiatique* عام ١٨٤٦ (السلسلة الرابعة، ٧ ص ٤٧١ وما بعدها).

(3) هذه الوثائق الثلاث التي تنتمي كلها لكتيبة تشيفالو والمودعة اليوم في أرشيف بالرمو الملكي، يجب أن تنسب إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر، وإن كانت إحداها، وهي المكتوبة بحروف عبرية تعمل تاريخاً كتبت أرقامه بحروف أبجدية لا تبدو دقيقة. والأسلوب العام لهذه الوثائق يظهر أحياناً من استخدام الفعل «يكون» بإسهاب، وأحياناً من حالات الإضافة التي يدخل فيها حرف متى، بينما يظهر بشكل مستمر في الأطلالة والتكرار. جدير بالملاحظة أيضاً في إحدى هذه الوثائق حرف «الهاء» أو «الألف» المكسورة، الذي يصبح ألفاً على الطريقة الأفريقية.

(4) وحتى آخر الوثائق العربية الصقلية التي اطلعت عليها، أي الوثيقة العربية - اللاتينية لعام ١١٤٢ والتي تنتمي إلى كتيبة چرچنتي، مكتوبة بطريقة صحيحة. إذا استثنينا الأسلوب الثقيل والمفردات الأجنبية المكتوبة بحروف عربية مثل *Judez* و *cloris*، التي أخذت عند الضرورة صيغة الجمع التي يفرحها النحو العربي لثقل هذه الكلمات من أصل أجنبي.

الشعراء والكتابات النثرية لم تبتعد عن اللغة الفصحى في تلك الفترة. بل إن معاني بعض الألفاظ تؤكد الافتراض الممقول بأن اللغة العربية التي سادت في صقلية هي لغة الغرب أو المغرب العربي؛ وسوف يمكن إجراء المقارنة بصورة أفضل حين يخرج للنور ذلك المعجم المغربي العظيم الذي يعدّه دوزي. ولكي أعطي بعض أمثلة لذلك، أذكر أن كلمة «وادي» كانت تعني في صقلية كما هي إسبانيا «نهر» وليس «وادي» كما هي موطن اللغة، وأن كلمة «مرج» هي انتقالها إلى لهجة صقلية بتغيير معناها الأصلي من «روض» إلى «مستنقع صغير»، وكلمة «رحل أي «محطة» انتشرت في صقلية بمعنى «ضيعة»، وكلمة «شر» أي «عمل شرير» انحصرت في «شجار»، واختلافات أخرى شتى من هذا القبيل يمكننا أن نلاحظها في المعاجم المتعارف عليها، سواء لأن هذه المفردات تغير معناها بالفعل، أو لأن أصحاب المعاجم كما يحدث في اللغات كلها قد غفلوا كثيراً من المعاني الخاصة ببعض المناطق والقبائل.

ولا بأس من أنه بإمكاننا أن نتكلم عن التلفظ أو طريقة النطق التي يشهد لنا بها منذ القرن الحادي عشر والثاني عشر عديد من أسماء الأعلام المكتوبة باليونانية أو اللاتينية. كما نلمسها في الأسماء الطبوغرافية وهي المفردات الصقلية المأخوذة من العربية. إلا أنه قد يحدث في الحالة الأولى أن يفسر ما هو شائع بصورة مخرفة مع ما هو غير شائع، أما الكلمات التي لا تزال على قيد الحياة فقد يتبدل منطوقها. ويضاف إلى ذلك ترجمة إحدى الوثائق المهمة وأقصد بها رق مورالي الرائع المكتوب بالعربية واللاتينية، وهذه الترجمة قد أعدها أحد الرهبان الفرنسيين الذين تولوا التحرير في بلاط بالرمو في أوائل ملك جوليئمو الصالح؛ ومن ثم سجلت بعض الحروف اللاتينية نطقاً مثابناً عما يتردد على لساننا (1). مع كل هذا فلا تنقصنا المادة

(1) راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ٤٧٥. هامش ٢. وأنه بأنه عندما كتبت هذه الملاحظة كانت طباعة الوثائق العربية واليونانية التي حققها الأستاذ كوزا هي

اللغوية، وحين يخرج للنور ذلك العمل العظيم الذي كتبه الأستاذ كوزا، سننتوصل في ثقة أكبر إلى القواعد التي كانت تتبعها أصوات لغة الكلام العربية عند نقلها إلى اليونانية وإلى العامية الصقلية؛ وسوف تيسر هذه الدراسة القيام بعمل عظيم يتمثل في قاموس المفردات الصقلية المشتقة من العربية. على أية حال فهذا هو ما استخلصته من الأبحاث التي تم إجراؤها حتى الآن حول تأثير تلك اللغة على اللغة العامية الصقلية.

وكما ذكرت في موضع سابق<sup>(1)</sup>، كانت صقلية عند الفتح الإسلامي تتكلم لغتين هما اليونانية واللاتينية، أو بالأحرى لغة إيطالية قديمة، تتخذ رداء اللاتينية في الوثائق الرسمية. وإن لم تستطع أن تخفى تماماً ملامحها الأصلية المتواضعة. ولإقامة البرهان على ذلك لا توجد حقيقة في صقلية كتابات من القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، مثل تلك الكتابات المتوفرة في أماكن شتى من شبه الجزيرة<sup>(2)</sup>. ولكن أولى الوثائق اللاتينية واليونانية والعربية الصقلية، التي تعود إلى أواخر القرن الحادي عشر تظهر فيها بوضوح الصيغة العامية لبعض أسماء الأعلام أو الأسماء الطبوغرافية التي لم تنشأ بالتأكيد في ذلك الجيل نفسه؛ ولاحظنا بالفعل بين أسماء الأعلام و *Fartutto* و *Francu* و *Caru* و *La Luce* و *Notari* و *Meseiti* و *Diosallo* و *Pacione* و *Plittu* و *Seputti* و *Bambace* و *Strambo*، وأسماء أخرى لسكان قدامى<sup>(3)</sup>. وتذكر وثيقة يونانية ترجع لعام ألف وثمانية وثمانين من الأسماء الطبوغرافية نهر ذي تورتي *dei Torti*<sup>(4)</sup>. ووثيقة

بدايتها، أما اليوم فقد طبع منها حتى ص 118 وتشتمل على زهاء المائة وثيقة.  
(1) الكتاب الأول، الفصل التاسع، ص 268 وما بعدها من المجلد الأول.  
(2) يكشفني أن الدكتور الدراسة رقم 22 لموراتوري، والمصورات المنشورة في *Regis neapolitani Archivi monumenta*، نابولي 1818 - 1811، ستة مجلدات.  
(3) الكتاب الخامس، الفصل الثامن، ص 205 و 206 من هذا المجلد.  
(4) سبانا، *Diplomi greci*، Torino, 1870، ص 90، حيث نقرا عن حدود تصل إلى *ἡμετέρας τοῦ ποταμοῦ τοῦ ποταμοῦ τοῦ ποταμοῦ*، فإن الصيغة اللاتينية. واعتقد أنها معامسة. التي نشرها بيرو، *Sicilia Sacra*، ص 382 وما بعدها، حيث نقرا فيها *Ueque flumen Tortum*.

أخرى لعام ألف وأربعة وتسعين تصل بحدود إحدى المزارع إلى *ad serram dello Conte* ومن ثم إلى *ad Petram serratam quae* (1)؛ *La Schala di* ومائة ألف وثيقة لعام ألف ومائة *La Castellana* *monte di Cavallo*، وتشير إلى مجرى أحد الأودية بـ *Lampheri* (2)؛ واللغة اللاتينية الخاصة بالمحركات الرسمية في العصور الوسطى والمتمثلة عادة في ترجمة العامية تتبدى بالفعل في إحدى وثائق الكونت روجيرو بتاريخ عام ألف وواحد وتسعين، وتتضمن علاوة على طريقة التعبير الإيطالية بالكامل تكرارا لفعل *accrescere* (3) نسي؛ كما يظهر ذلك بصورة أوضح في وثيقة أخرى للأمير ذاته بتاريخ عام ألف وثلاثة وتسعين، ومصدق عليها من محرر وثائقه أو ما يمكن أن نطلق عليه أمينه أنطونيو ديلا منسا، ولا أدري إذا كان من صقلية أو كلابريا، ولكن من المؤكد أنه كان يكتب بلغة يحسبها لاتينية إستادا إلى نهاية المفردات وبعض حروف الجر (4).

- (1) بهرو. *Sicilia Sacra*. ص ١٠١٢. ترجمة من اليونانية إلى اللاتينية.
- (2) بهرو. المرجع السابق. ص ١٠١٦. ترجمة من اليونانية إلى اللاتينية.
- (3) بهرو. المرجع السابق. ص ٥٢١. ويبدو أن هذه الوثيقة قد كتبت أصلاً باللاتينية.
- (4) بهرو. المرجع السابق. ص ١٠٢١ وما بعدها. وفيه نقرا على سبيل المثال: *"cum bono proponimento... cum plena deliberatione absque aliquo tardamento et pentimento... cum arguimento plenario de victu... arbores domesticas... quod persona aliqua de mundo non habeat aliquam potestatem in hujusmodi bonis... donandi impedimentum nec controversiam... cannatam unam plenam vino"*.  
 دالماً حين يترجم، لا يشير بأية إشارة هنا إلى ترجمة. بل يقول إن الوثيقة مأخوذة من معاصر أحد محرري وثائق مسينا لعام ١٢٢٩. وأمام هذه المعطيات والاسم الإيطالي لأمين روجيرو فلا غرابة في أن تكون الوثيقة مزيفة بتقويم القسطنطينية المعمد تدوينه في الأوراق اليونانية. وإذا يتعلق الأمر بدهر باسيلي في اثبالا أو جينالا. وهي إحدى البلدات القريبة من مسينا، فمن الطبيعي للغاية استخدام التقويم اليوناني حتى إن كانت الوثيقة مكتوبة باللاتينية. من ناحية أخرى فلو صدق حدسي فاسم اثبالا هذا الذي يظهر هنا لأول مرة في جغرافية صقلية يشير إلى أصل ينتمي إلى القارة. كما أن اسم روجيرو دي أوتشيتو نفسه، وهو صهر الكونت روجيرو الذي وقع بنا، على أمر هذا الأخير على الوثيقة مع محررها لامنتسا، يذكرنا بقرية اثشيتو *Aceto* الحالية في إقليم الإسكندرية، أو قرية دياتشيتو *Diaceeto* في إقليم كالورنسا.

وأضيف إلى بقايا لغة صقلية السابقة للغزو بقايا أخرى من القرن الثاني عشر. وإذا لا أغفل أن صقلية في تلك الفترة كانت تملكه شيئاً فشيئاً بمستوطنات من البر الإيطالي فإنني أنحى جانباً نص امر باتي Patti (١١٢٢) الذي تفسر باللغة العامية (1) وأترك وراء ظهري أمثلة أخرى شتى لمفردات يمكن نسبتها على حد سواء إلى لغة صقلية، أو لغة بوليا أو توسكانا أو جنوة (2)، والاحظ في إحدى وثائق عام ألف ومائة وثلاثة وثلاثين حقلاً (3) *Lu Marge*، وهي كلمة عربية أصيلة متداولة حتى اليوم في صقلية. ونعثر في محررة أخرى على الاسمين الطبوغرافيين *Luhrostico* و *Tremula* (4). ومن المؤكد أن الاسم الثاني

(1) راجع الكتاب الخامس، الفصل الثامن، ص ٢٢١ من هذا المجلد.  
(2) هكذا يبدو لي في وثيقة موربالي المربية اللاتينية لعام ١١٨٢ اسم جبل *Kalbu* "mons qui vocatur calvus" ومن هنا لا تغري إذا ما كانوا ينطقونها حينئذ *calbu* أو *calvo*، لدى ليلو. المرجع السابق، حاشية الامتيازات في ص ٢٠. وهي مجموعة الأستاذ كوزا (التي لم تشر بعد) في ١٩٨ و ٢٢٦. وهناك عبارة على ذلك *"Lupo" L. b* ل ب - ثلب - في ص ٩٠ عند ليلو. وفي ١٨١ و ٢٠٥ لدى كوزا، *La Camuca* عند ليلو. ص ١١. وعند كوزا في ١٨٨ و ٢١٧. حيث أداة التعريف للمؤنث *ha* يمكن أن تنتمي إلى لغة صقلية مثل أية لهجة إيطالية أخرى. وللسبب نفسه أغفل في إحدى وثائق عام ١١٨٦. عند بيرزو، المرجع السابق، ص ١١٥٧، كلمة *Bosco*. أحراش. والتسمية المزوجة لجبل *Monte Gibello* التي تظهر هنا للمرة الأولى، والاسم الطبوغرافي *Torroneto de Cretaccio*. كما انقضى في وثيقة عام ١١١٢ المذكورة هنا عن التعبير *miizano vallone*.

(3) بيرزو. المرجع السابق، ص ٧٧١. وثيقة لاتينية مؤرخة حسب التقويم الميلادي "et inde diuidit per medium Lumarge, quod pantanum, vel terra sylvestris latine nuncupatur". لنذكر أن كلمة مرج التي اكتسبت معنى مستنقع في صقلية تسمى في المربية مرجي.

(4) بيرزو. المرجع السابق، ص ٢٩٠ و ٢٩١. حين نشر هذه الوثيقة طبقاً لنسخة أعدت منها في مسيحية لفت الانتباه إلى أنه ابتعد كدابه عن تصويب الأخطاء في النسخة التي بين يديه. وبها هي الحقيقة أخطاء كثيرة وأعتقد أن غالبيتها لا يجب نسبها لتاسع القرن السادس عشر، ولكن ينبغي إسنادها إلى كاتب القرن الثاني عشر الذي لم يكن على ما يبدو يجيد اللاتينية. وربما كانت لفته اليونانية كما يتضح من وضع حرف *h* قبل حرف *f* في كلمة *Luhrostico*. عوضاً عن الحرف اليوناني الخشن. ومن بين الأشياء الأخرى هناك إشارة إلى الحدود "allo mizano vallone" التي سبق أن ذكرناها منذ قليل. وتحتل هذه الوثيقة، على غير العادة الثابتة، تاريخاً مزموجاً وهو ١٦٥٠ و ١١١٢، ويقودني

منها صقلي؛ وفي كتابة لعام مائة وستة وخمسين نجد الاسم *Olivastro* (1)؛ وفي أخرى لعام مائة واثنين وثمانين نجد اسم *Scuteri* (2)، وفي عام مائتين وستة وعشرين نجد *Gabbaturi* (3)؛ وفي محررة لعام مائتين وأربعين نجد *Ceramiti* و *Ienchi* (4)، وأتوقف هنا إذ ليس هناك داع لأن نبحث هنا وهناك عن مفردات من القرن الثالث عشر الذي ترك لنا كتابات كاملة بلغة صقلية. بل إنه كان بإمكاننا أن أتوقف من قبل عند منتصف القرن الثاني عشر لو كنت قد وثقت في أن النصين المأخوذين من الوثيقتين اليونانيتين اللتين كان مورو *Morso* (5) أول من نشرهما معاصرين للأصل، وإحدهما مؤرخة بعام ألف ومائة وثلاثة وخمسين أما الأخرى التي تتضمن الخمسمشرية فقط فقد تم إسنادها لعام ألف ومائة وثلاثة وأربعين (6). ولكن نظرا لعدم دراسة النصوص وظهور كثير من

---

هذا الخروج على المؤلف مع فرائض أخرى إلى تصور أن مخطوطة الرق اللاتينية ليست هي الأصلية، بل نسخة قديمة وربما معاصرة لليونانية.

(1) وثيقة لعام 1156، والمذكورة في الصفحة السابقة. هامش 2.

(2) وثيقة لعام 1117، المذكورة آنفاً. لدى ليلو، من 22. السطر 18، وعند كوزا، النص العربي، من 228. السطر 12. والنص اللاتيني، من 199. السطر 10. ورد بالنص اللاتيني *Spelunca Scutiferorum*، وبالنص العربي «السكانرة»، صيغة جمع عربية اللفظ لا ينتمى إلى تلك اللغة، ويوجب أن تتعلق سكوتيرى، وتنظيم هذه الكلمة هي لغة صقلية للمفرد والجمع على حد سواء.

(3) هي وثيقة يونانية بمسندنا وهي ذلك العام، لدى ترينكيرا، *Syllabus graecorum membranarum*، نابولي، 1865، من 274، هنالك إشارة إلى بيت يتبع في *ἱστορίας τοῦ βασιλείου* في مسينا.

(4) عند بريهول، *Historia diplomatica Frederici II*، المجلد الخامس، من 869.

(5) *Palermo antico*، الطبعة الثانية، من 221 وما بعدها، و 211 وما بعدها. ثم ذكرهما السيد اليوناني فيجيو في *Canti popolari siciliani*، المقدمة، من 19. وأعاد طبع المستنسخين الأستاذ فينشيو دي جوفاني في رسالته إلى فينشيو زامبروني بتاريخ 1865، وأرجعها الأستاذ نفسه في *Filologia e letteratura siciliana*، المجلد الأول، من 200 وما بعدها. وأخيراً فإن النصين اليونانيين اللذين لا زال ثانيهما يحتفظ بأريمة سطور فيه بالعربية سنقرأهما في مجموعة الأستاذ كوزا الناحية، من 22 وما بعدها. و 21 وما بعدها.

(6) مورنيلانو، *Catalogo dei Diplomi... della cattedrale di Palermo*، من 23.

المشكلات حول عصر المستنئين فإننى أميل لرفض مثل هذا الدليل المريح والمتعجل (2). على أية حال لدى قناعة بأن العامية الصقلية قد اكتسبت في القرن الثاني عشر صيغة تتماثل إلى حد بعيد مع صيغتها الحالية؛ أما مطلعها في أن تصبح لغة القصور فتؤكد أولى القصائد الإيطالية التي صيغت في صقلية. ونظراً لأن أكبر أبواب كنيسة موريالى الذي صبه بونانو بيزانو من البرونز عليه كتابات لاتينية مختصرة وتتضمن بعض كلمات من صميم لغة توسكانا. فلا تعد في رأيي مثالا للغة المستخدمة في صقلية في نهاية القرن الثاني عشر (2). بل تبين بالأحرى اتجاه بلاط بالرمو نحو تشجيع الإيطاليين من الأقاليم الأخرى على المعنى قديماً بلغاتهم العامية المتشابهة فيما بينها وتتشابه جميعها مع اللاتينية. وأقرب التصورات إلى الحقيقة يقودنا إلى أنه خلال مراحل استقرار المستوطنين من البر الإيطالي

(1) نفيه أن مورو الماهر، المرجع السابق، ص 106. في الهوامش 21 و 22 و 23 لوثائق لا يبدو على يقين من أن موجز وثيقة عام 1152 كان معاصراً لها. فمى حين يتضمن النص التاريخ القسطنطيني لعام 662 يذكر الممثل وحتى بالحروف 1062. إذ أخذ الأحياء والعشرات من ذلك التكوين ووضع الوثامين الأولين كيما اتفق. ومثل هذا الخطأ الجسم ما كان ليعجب فيه بالتأكيد أحد المعاصرين لها. علاوة على هذا فاسماء الشهود كلها خاطئة؛ ومن هنا كان الظن بأن كاتب الممثل كان على دراية سيئة باليونانية. ويمكن أن يستند إلى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر، إذ لا يستبعد ذلك لا الإملاء، ولا الأسلوب. ولم تتضمن الوثيقة الأخرى تاريخاً ليكتب خطأ، ولكن الأسماء مشوهة أيضاً في الممثل الذي أحسبه من فترة الممثل الأول نفسها. وأرى أن كلا الكاتبين لمسا بنساي عن الشكوك. ولم يزيد هما فيجو أو يترضى عليهما. أما دي جوني فيطالب بدراسة على قدر من الثاني على طريقة إملاء، وثائق البرق.

(2) أكد أ. سيرنجر في بحثه الطمس *Die Mittelalterliche kunst in Palermo*. إنه يوجد في بعض هذه الكتابات آثار لا تقبل الشك من اللهجة الصقلية، بينما أوضح السيد أونجر في نقد جاء لهذا البحث منشور في *Göttingen gelehrte Anzeigen* لعام 1869، ص 1896، أن هذه الصيغ ليست إلا اختصارات لاتينية. وهو محق في كثير مما ذكر. إذ أن المقطع الأخير الذي يبدو إيطالياً والواضح في "Plasmatim adoran" إلخ. لا يمتشي مع ضمير القائب في الزمن الماضي التام المستخدم هنا في وضوح. ولكن "Eva serve a Ada... ucise frate suo... fuge in Egitto... la quarentina... batisterio" لها شكل إيطالي محدد.

في صقلية كانت لهجات شتى مناطق الجزيرة أكثر تبايناً فيما بينها، وحتى يومنا هذا لازالت هذه اللهجات تحتفظ بعدد من المفردات وطرق التعبير المختلفة.

وقد تصدى الأساس العتيق الذي كان للغة الإيطالية القديمة أمام غزو اللغة العربية بصورة أقوى من أية لغة أخرى، فالحلقات القديمة في سوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر اختفت بعد فترة وجيزة من الفتح العربي لها. وظلت فقط في الطقوس الدينية المسيحية؛ وتبددت في طرفة عين اللغات التي ترسخت خلال شتى عصور التاريخ مع الديانة في شمال إفريقيا، وحتى اللغة البربرية الأصلية اندفعت تحت تأثير العربية ناحية الجنوب والغرب. أما في أسبانيا فقد تراجعت عن بعض مساحاتها، ثم سرعان ما استعادت ما فقدته إذ لم يطرأ أي تغيير على قواعدها اللغوية. وهذا المصير المختلف لو عاد أولاً إلى أسباب أخرى مثل بعد المسافة عن شبه جزيرة العرب وعدد الفاتحين المقيمين ومدة الفتح فإنه يرجع كذلك إلى طبيعة اللغة وكنوز الحضارة العظيمة التي نشرتها روما في الغرب مع تلك اللغة. وكان على عوامل الإضعاف أن تكون أقل فعالية في صقلية عنها في أسبانيا، وكان على الصقليين أن يقاوموها إذ كانت لغتهم الإيطالية القديمة ضاربة في القدم جذورها وذات علاقة قرابة باليونانية التي كانت تتنازع الجزيرة منذ القرن الثامن قبل الميلاد.

[لا أن اللغة العربية تركت في لغة صقلية آثاراً أقل مما هو سائد في الاعتقاد: لم تترك شيئاً في قواعد اللغة<sup>(1)</sup>، وخلفت ظلالاً في النطق.

(1) ربما يمكننا استثناء صيغة التكرار مثل *casa casa* (الإشارة إلى البيت) *murru murru* (بطول الجدار) *ciumi ciumi* (على طول النهر) .. إلخ. ولكن هذه الصيغة متداولة أيضاً في لغات أخرى. وتعبير *randa a randa* في اللغة النحصى هو تعبير أصيل أو ربما نقل من *ranti ranti* في لغة صقلية.

وفضلاً عن ذلك فاستخدام لغة صقلية للماضي البعيد بدلاً من الغريب، يمكن أن يرجع إلى تأثيرها باللغة العربية التي تنتقل في حرية من الماضي إلى الزمن الحالي. ولا تعيد الفدرج في الأزمنة. ولكن إن قلنا إن تصريف الأفعال يتماثل في لغتين فهذا لا يكفي.



وبضع مئات من المفردات في المعجم، وبعض الصيغ والمأثورات. ولا يمكننى الخوض في التفاصيل التي قد تتطلب المعجم المشار إليه آنفاً، الذي ينبغي أن يقوم هو الآخر على معجم اشتقاق لغوي لم يقم أحد حتى اليوم على تأليفه مع ما تقدمه اللغويات الحديثة. أقول إذن باختصار إن الكلمات الصقلية المشتقة من العربية تقع النبر فيها على الحرف الذي يقع عليه في المفردة العربية المقابلة، سواء بين الحرف المتحرك في الحرف المماثل أو بالصاقه مباشرة بالحرف الساكن الذي يليه. وفيما يتعلق بحروف المد العربية الثلاث، فالحرف الأول ينطق في لغة صقلية أحياناً *z* وأحياناً أخرى *z'*، والحرف الثاني ينطق دوماً *z*، والثالث ينطق في الغالب *z*. أما بخصوص الحروف الساكنة فحرف الباء (الحرف الثاني في حروف الهجاء العربية) يظل على الأكثر كما هو دون تغيير كما في "balata e burgiu e burnia"، ويتحول لدى خضوعه أحياناً لقواعد النطق اليوناني إلى حرف *v* كما في "vassu e vattali". وحرف التاء (الحرف الرابع) يصير دائماً *t* كما في "Butera e luminu". وحرف الجيم (الحرف الخامس) يحتفظ بصوته كما في "giarra, giubba" أو يخفف إلى *z* كما في "Muncibeddu". ويضعف كما في كلمة *figgemi*، وينطق على الطريقة اليونانية *ng* كما في اللقب المعروف "Cengemi": ولكن كلمة "Zubbiu" (حفرة عميقة) تعد مثلاً لتبديل هذا الحرف إلى *z* كما لاحظ دوزي في كلمات إسبانية كثيرة. وحرف الحاء (الحرف السادس) يقوى صوته إلى *z* كما في الاسم المذكور Cengemi وفي "camiairi e coma" أو يختفي كما في الاسم الطبوغرافي مرسى الحمام *Marsel-Hamm*، الذي أصبح *Mazememi*. ويتبدل أيضاً حرف الخاء (الحرف السابع) إلى *g*، على سبيل المثال كلمتي "Gassina e Gausa" ويمكن أيضاً أن يختفي كما في "maassenu" (مخزن). أما حرف الدال (الحرف الثامن) الذي كان قريب الشبه بحرف *t* كما نرى في أمثلة شتى لمفردات مأخوذة عن اليونانية فيتطابق أحياناً مع حرف *d* بلفظاً كما في "Dittainu e darbu"

(وادي الطين)، أو تتغير إلى حرف *t* كما في "larzandy Targia" (دار الصناعة) و *arzandy* و *arsendy* و *darzandy* ترسانة. وحرف الدال (الحرف التاسع) غير وارد بصفة مؤكدة في كلمات مشتقة: وحرف الزاي (الحرف العاشر عشر) له صوت *z* كما في الكلمات الإيطالية "zisa و zizzu" أو يكتب صوت حرف *s* كما في "magasenu" الذي سبقت الإشارة له آنفاً. وعلى النقيض من هذا فإن حرف السين (الحرف الثاني عشر) الذي ظل كما هو في الكلمات "Semia و Sutura"، فقد تحول إلى حرف *z* في الكلمات "zuccu و zicca" (سوق، جذع الشجرة) و *zoffa* (سوط). وحرف الشين (الحرف الثالث عشر) الذي يتكرر كثيراً في الكلمات المشتقة من العربية ينقل صوته العربي في كلمتي "sciaccu و scibicu" اللتين كانتا تكتبان قديماً بحرف *x*. وحرف الصاد (الرابع عشر) الذي ورد سابقاً في "darzenu" يتخذ أحياناً نطق *s* وأحياناً أخرى نطق *z*. ويتخذ صوتاً أكثر حدة في "zurriari و zabara" (صيرير الأسنان). وحرف الضاد (الخامس عشر) ينطق مثل حرف الدال في لغة صقلية كما في "dica و dagala" (شدة، ضيق) ويتحول إلى *t* كما في "reticu" المشتقة من (رضيع). وحرف الظاء (السادس عشر) يبدو أنه أخذ هذا الصوت وذلك في صقلية، إذ ظلت هناك شهادة على صوته الثاني في الكلمة القديمة "annadarari" (براهب الكيل والميزان)، أما عن صوته الأول فنستخلصه من الاسم الطبوغرافي "Zarra" الذي سوف نتكلم عنه فيما بعد. أما العين (الحرف الثامن عشر في الأبجدية العربية) وهو الحرف الوحيد الذي ليس له مردود أو مقابل في الأبجدية اللاتينية ولكن المستشرقين نقلوه بفاصلة علوية (')، فيبدو أن الصقليين ينطقونه على طريقة المرب في أحد الأفعال شائعة الاستخدام (1). ويخرج صوت هذا الحرف في التبرة الأخيرة في كلمة

(1) كلمة "Taliari" (ينظر) مأخوذة من العربية «تطلع»، غيرت حرف العين إلى *t* في أفعال العرفين الصوريين. مع أننا نسمعه بكامله في الكلمة الصقلية "talla" كسبغة الأمر من الفعل نفسه.

"*larzani*" (دار الصناعة) (TX) المذكورة من برهة: أو يتبدل إلى حرف إيطالي ساكن من حروف إيطالية كما في المثال المذكور في كلمة "*reticu*": مما يتطابق مع طريقة كتابة العين في الوثائق العربية اليونانية الصقلية التي كانت إما أن تحول ذلك الحرف الساكن إلى حركة كما في *'Oroscopo* و *'A66* (عثمان وعبد) أو تبدل إلى T كما في *Nippe, Teppe* (نمعة وسميد). وسمى البعض إلى كتابته في القرن الثاني عشر بحرف h مثلما فعل ليوني الإفريقي بعد ذلك في القرن السادس عشر إذ قرأ في إحدى الوثائق اسم "*Habs*" بدلاً من (وادي) «عباس» وكان يقصد به منطقة *Oreta*. وحرف الفين (الحرف التاسع عشر) إما يظل g حادة التطق كما في "*gana*" أو يتبدل أيضاً إلى c كما في "*cutranu*" التي تكتب، وربما كانت تنطق قديماً "*Godrano*". وينطق القاف (الحرف الحادي والعشرون) في صقلية c كما في "*caffu cammisu calata*" ولكن يبدو أنها قد أخذت هي الأخرى قديماً صوت حرف g الذي ينطقه بها المصريون، إذ قرأ "*gaitus* و *caltus*" في الكتابات اللاتينية بالقرن الثاني عشر. والشئ نفسه بالنسبة لحرف الكاف (الحرف الثاني والعشرون) الموجود في "*gaffu* و *minganu* و *cuscusu*" وفي الطرف "*a cuncumeddu*". وحين ذاع الكلام بالعربية في صقلية فإن حرف d الذي يحل عند أهل سردينيا وصقلية محل حرف l الإيطالي كان راسخ الجذور لعد أنه حل محل حرف اللام (الحرف الثالث والعشرون) في بعض المفردات المأخوذة عن العربية، مثل جبل *gebel* في *Mongibello*، التي كانت تنطق "*Muncibeddu*"، والفعل "*sciddicari*" (يزلق) المأخوذ عن «زلق وزلق». وحرف الهاء (الحرف السادس والعشرون) مثل بقية

(1) كلمة «دار الصناعة» وهي تقال اليوم "*daruma* و *arsenale*" كانت تكتب *arzani* في عصر دانتي وكانت تنطق *larzani* في بالرمو، وأحسب أن بعض العامة لا يزال ينطقها على هذا النحو هناك حيث ظلت الصيغة القديمة على حالها في اسم أحد الشوارع القريبة من كالا *cala*.

الحروف يصير أحياناً *g* كما هي *zagara* وأحياناً أخرى يخفئ إذ ينطق البعض الكلمة نفسها *zaura*؛ ولدينا هي *Zarra* اسم ضاحية من ضواحي مسينا مثال آخر لهذا التخفيف في الصوت، ولكن الأصل العربي لا يمكن أن يتضح إلا من خلال الاسم نفسه في قصر الأمويين في قرطبة. وينطق حرف الواو (السابع والعشرون) *v* كما هي *Favara*، أما إذا كان في أول المفردة فيبدو أنه كان ينطق *u* أو *o* مثل *Odesuer* (وادي الصواري)، أو كان يتلاشى تماماً وكانهم ظنوه أداة كما يتضح في *Dittaino* (وادي الطين) الذي كان ينطق بكل تأكيد قديماً *Udittaino*. أما الحروف (التاء والراء والطاء والغاء والميم والنون والياء) فلا تختلف أصواتها عن مثيلاتها في الإيطالية ولا تتبدل أبداً.

وينبغي على من سيقوم بتأليف معجم الكلمات العربية التي انتقلت إلى لغتنا الفصحى ولهجاتها (1) أن يتصدى لإغرامات اشتقاق متواصلة، إذ أن أصوات كلمات اللغة العربية متنوعة تنوعاً هائلاً ومعجمها على نحو من الثراء قد يدفع من خلال طريقة دراسة علماء الاشتقاق القدامى التي لم تدثر تماماً، إلى إسناد أية مفردة هي

---

(1) دون الرجوع إلى المبحث رقم ٢٢ لموراتوري أود أن أذكر أن كتاب *Proposta* الذي كتبه فينيلسوس موتشي، المجلد الثاني، الجزء الأول، ميلانو ١٨٢٩، تضمن قائمة موجزة بالمفردات الإيطالية المشتقة من العربية. وأورد *Wenrich* قائمة أخرى أقل مستوى في *Rerum ab Arabibus in Italia... gestarum*، ص ٣٠٩ وما بعدها. وأخيراً نشر السيد انريكو تاردوتشي ١٥ روما دراسات في هذا الخصوص عامي ١٨٥٨ و ١٨٦٨. ولا أعرف عملاً آخر يختص باللغة الصقلية سوى عمل اييلا الذي ذكر في كتابه حول معالجة المذكور آنفاً وفي تذهيل الكلمات المالطية ست عشرة لفظة صقلية مشتقة من اللغة العربية. وأرى أنه أصاب الاشتقاق في كل المفردات التي تعرفت عليها. واشتان أو ثلاث منها لا أعرفها إلا من خلال قراءتي لياسكوالينو. أحد علماء اللغة في القرن الماضي الذي استخرج هذه المفردات من مجاميع مخطوطة ضاربة في القدم، وأربعة منها لم أعر عليها حتى في القاموس الضخم تحت الطبع حالياً للسيد ترائينا. وقد أعد المحامي جوزيبي بيكوني، منذ قريب دراسة أخرى عن الاشتقاقات من العربية هي خامس دراسة له بعنوان: *Memorie storiche argentine*. ولكن لا أستطيع أن أسلم بكل آرائه فيها.

الإيطالية وهي أية لغة أخرى أيضاً إلى اللغة العربية. ومن ناحية أخرى فإن قواعد الصوتيات التي استتبعت حتى الآن ليست حكماً مطلقاً على أي مكان وزمان؛ كما أن من لا يقر بالاستثناءات ولا يتجرا أن ينأى أحياناً عن القواعد الصارمة فلن يتقدم البتة في أية دراسة للاشتقاق اللغوي. وددت أن أقول هذا لأبهر إحصائياً هنا عن عرض قائمة بالمفردات الصقلية التي تبدو لي، أو هي بالفعل، مشتقة من اللغة العربية؛ ولأبهر إرجائي لوقت آخر إنجاز عمل يتطلب، في الأساس، بحثاً دقيقاً عن الكلمات الصقلية في كافة أنحاء الجزيرة. وبقدر الإمكان في العصور كافة. فني قرايتي للكلمات غير المتداولة في قاموس باسكويانو والتي أخذها عن معاجم قديمة. وجدت الكثير مما يحمل الطابع العربي يتبدد من آن لآخر. ومن الطبيعي أن يتلاشى العنصر الأجنبي شيئاً فشيئاً؛ ولكن ذلك بالتحديد ينبغى أن يسجل في دراسة تاريخية للغة.

وإذا واصل الحديث في إطار عام أرى أن الكلمات الصقلية العربية الأصل ترجع غالبيتها إلى الشتون الزراعية والصناعات المدنية والملايس والمأكولات وبعض مؤسسات الشرطة المدنية. وسواء في اللغتين الأسبانية والبرتغالية الثريتين بهذه الفئة من الألفاظ ذات الأصول العربية أم لغة صقلية الفقيرة بها، فإن الأصوات العربية التي دخلتها تغلب عليها الأسماء وليس الصفات؛ أما الأفعال فهي على النقيض من ذلك، فهي حين يندر وجودها في هاتين اللغتين لحد الارتياح في وجود أي منها فيهما (1) فإنها توجد في لغة صقلية (2). وجدير أيضاً بالملاحظة وجود التعبيرات المجازية أو

(1) راجع ملحوظة نوزي على الطبعة الثانية لقاموس *Glossaire des Mots espagnols et portugais dérivés de l'Arabe*, par MMr Dozy et Engelmann, Paris, Leida, 1869.

(2) على سبيل المثال *accanzari*، فمن أي استناد. حازن. *addifri* (?). بختار. *aggibari*، أجبر. خضع. *alliffari*، *annadarari* براقب أو يهبط الموازين والمقاييس. *arrucari*، برش. ينضج (غير متناول بمعنى "aroser" بل بالمعنى اللغوي رش). *assammari*، ينقع الملايس. *azzicari*، يلصق. يصيب الهدف. *azzannari*، يمسح. يمسح السلاج. *azzizari*، يزين. يهين. *abbacari*، يكف.

الصيغ المترجمة ترجمة حرفية من اللغة العربية<sup>(1)</sup>، والأمثال العربية على النقيض تعد على أصابع اليد في مجموع أمثال الصقليين. لا أود أن أغفل أن عدداً لا يستهان به من المفردات العربية التي انتقلت إلى لغة صقلية موجود أيضاً في اللغة الإيطالية، بل توجد ببعض اللهجات الأخرى كلمات عربية مجهولة في صقلية، فتجد على سبيل المثال في لهجة جنوة *macramo* و *camelo*؛ وفي لهجة أريئسو *otida*<sup>(2)</sup>؛ وقديماً في بيزا *calega*<sup>(3)</sup>، وفي ليجوريا وتوسكانا *maona* أو *magona*<sup>(4)</sup>، معونة وفي اللغة الإيطالية *acriacco*

يهذا للرياح والعصى والفيلان... إلخ. *carcarari*، يترقرق، مثل الدجاجة على البيض. *annacari*، مأخوذ من الناقة، مهر. *ncharracchiar*، ينفط في النوم. *Pnzitari*، يطعم. *picchiulari*، يبكى. من *picchin*، بكاء، ونحيب. *sammuzzari*، يفسد. *sciarrariarsi*، فعل لازم مشتق من شر، عرالد. *sciddicari*، ينزلق المذكور أيضاً *italiari*، ينطلع المذكور سابقاً. *zabbatiari*، ينطبط. *zurriari*، صرير الأسنان. *caudu di testa*، هي صيغة لتعبير حر الرأس. أقل تشابها مع "teste colto" ورأس ساخنة. *cuntari in aria*، يحسب في الهواء، يحسب في رأسه، هو اصطلاح عربي تماماً كما ينضح في عنوان أحد الكتب التعليمية حساب في الهواء، عند حاشي خلية، المعجم البيبلوجرافي، ٥، ٦٢٩، رقم ١٣١٣٥.

*Mali suttili*، مرض دقيق، سل (حس الملق).

*Lattata*، سائل اللوز (تلبية).

*Ganghi di lu sennu*، آخر الأسنان الطاحنة (أضراس المقل).

*Tignusu*، نوع من العناكب (برص، وتسمى أيضاً مريض بالقوباء).

*Pani e spatazza*، ياكل، خبز ناشف (خبز - ريق).

*Amaliditu*، مشون، الشيطان (اليمين).

(2) لغات من الفصاش وخلافه يستند عليها الأطفال الذين لم يتمكنوا من المشي بعد.

*Kilda* قلادة هي تاتيت كلمة قائد.

(3) مكتوبة أيضاً *galiche*. راجع *Diplomi arabi del Regio Archivio fiorentino*.

من ٢٩٢، ٢٩٩، ١٠٦ الهامش الأخير.

(4) معونة، مساعدة، تضديد، أو كما تقول في العادة تبادل المساعدة، أي مجتمع تجاري

أو معناني، واستخدمها أهل جنوة في معناها الأول منذ القرن الثاني عشر، ويبدو أنها

انتقلت بمعناها الأخير إلى توسكانا إذ كان معناها «عداوة»، بينما يقتصر معناها اليوم

إلى معانٍ العديد الكبيرة. والاشتقاق واضح من نصوص عربية كثيرة؛ ومن هنا لا يمكن

قبول الاشتقاق عن البرنانية الذي قال به كزالي في *Nuova istoria di Genova*، ١.

من ٢٧٧. وأصل المنشأة الذي شرحه هذا العلامة في المجلد الثاني، ص ١٧\* يؤكد

اشتقاق الكلمة.

و *azzurro* و *butteri* و *carciofo* و *collare* ملوق (للإقلاع) و *scialbo* و *petronclana* و *tarsia*. وكلمات أخرى مشتركة مع لهجة صقلية: مثل *barda* و *ammiraglio*، (وهي لهجة صقلية *varda*)، *camicia* (وهي لهجة صقلية ينطقونها على الأصح *camarisa*) و *canfora* و *cifra* و *zero* (نقل صوتي آخر للكلمة نفسها) و *dogana* و *gabbella* و *garbo* و *gelsamino* و *liuto* و *magazzino* و *sensale* و *tariffa* و *vasca*: فضلاً عن أن الاصطلاحات العلمية مثل *alambicco* و *alcali* و *almanacco* و *giulebbo* و *taccuino* و *zenit* تتردد في معظم اللغات الأوروبية الحية. ومن المؤكد أن البر الإيطالي قد أخذها إما عن صقلية أو إسبانيا أو السواحل الجنوبية للبحر المتوسط.

ودون مزيد من الجدل حول أصول لغة الكلام في صقلية التي اهتم بدراستها ولا يزال يتدارسها مثقفو الجزيرة<sup>(1)</sup>، ودون أن أقحم نفسي في العراك الحامي حول *Ciullo d'Alcamo*<sup>(2)</sup>، أقر بأنه عند منتصف

(1) إذا تركنا الأعمال العامة حول أصل لغات الكلام أو اللهجات الإيطالية باعتبارها فائقة الكثرة ينبغي أن أذكر أن لهجة صقلية كانت ولا تزال موضوعاً لأبحاث مستمرة يقوم بها مختلف مثقفي الجزيرة. وقد توسع في معالجة أصولها السيد ليفناردو هيجو في مقدمة مجموعته *Canti Popolari*. كما عالجه بعد ذلك الأستاذ هينشيسو دي جوفاني في كتابات شتى، ثم جمعها حالياً في مجلدين بعنوان: *Filologia e Letteratura siciliana*.

وفوات حول قواعدهما عملاً جدياً للأستاذ فولنشي *Innocenzo*. كتابها، ١٨٥٥. وقد شرح كل من هيجو وبيثري وسيلمان ماريينو *I Canti Popolari*.

وأخيراً يحسن من قواميسها المشتات طبعت منذ عام ١٢١٩ وحتى اليوم، فضلاً عن عهد من المخطوطات، وهناك قاموس جديد في مرحلة متقدمة من الصياغة للسيد أنطونيو تراينا الذي أضاف فيه العديد من المفردات الأخرى جمعها من أقاليم الجزيرة كافة. ويؤسفني ألا أتمكن من ذكر الكتابات النقدية كافة والأعمال المنهورة المنشورة حول هذا الموضوع في المجلات والمصنف إذ أنها عديدة ولا أزعم دراستي بها كلها.

(2) هناك معرفة جيدة في إيطاليا بمقالات الأستاذ جريون دي باوفا النقدية حول «أغنية» شولو الشهيرة *Canzone di Ciullo*. والرد عليها من الأستاذ هينشيسو دي جوفاني ذا البرمو. في العمل المذكور سابقاً.

القرن الثاني عشر تقريباً كانت اللغة الصقلية هي المتحدث بها بصورة أو بأخرى في أنحاء الجزيرة كافة، وكانت تدنو من الصيغة الحالية لها، ودون وصولها، ولن أقول إلى هدفها، فاللغات الحية لا تموت، ولكن إلى تلك الفترة من مسارها التي تتخطاها اللغات عادة في ثبات دون أن يطرا عليها تغييرات ملحوظة. وحدث ذلك بالضرورة لوجود مستوطنات ما جاءت لتوها من أرجاء البر الإيطالي كافة، ووحدها التجارة وتوطدت أو اصرها مع غالبية السكان القدامى الذين تكلموا الإيطالية القديمة، أو بالأحرى الصقلية. وفي مثل هذا الوضع كان لا بد أن تنشأ لغة بلاط أو لغة عسكرية إن أردنا أن يطلق عليها ذلك. وهذه اللغة ما هي إلا تلك التي نسميها منذ عشر سنوات تقريباً في جيشنا، ومع مضي الوقت كان على لغة الكلام تلك أن تزداد اقتراباً من اللهجة الأصلية حيث أخذت عنها أكثر مما أعطته لها. ومن هذه اللغة وسمتها، غير المصفاة التي كانت لا تزال تعلق بها عناصر تجد مشقة في أن تمتزج فيها معاً ظهر الشعر الإيطالي بمعنى الكلمة. وعما إذا كان ذلك قد وقع في منتصف القرن الثاني عشر أو بدايات القرن التالي فلن نعلم بالضبط ما لم تسعفنا الصدفة في العثور على قرائن أكثر إيضاحاً من تلك التي اعتمدنا عليها حتى الآن. وإذا يبدو قريباً جداً من الحقيقة أن تكون اللغة الأكثر تداولاً في بلاط فريكو الإمبراطور وبلاط جوليلمو وسميه وربما الملك روجيرو أيضاً، هي إحدى اللهجات الإيطالية، وإذا بعض هذا شهادة دائية الصريحة ناهيك عن الآخرين جميعهم، فيمكننا أن نؤكد على صحة الأمر. وفي الحقيقة لا يمكننا تخيل أي مكان آخر في إيطاليا أنسب من صقلية لنشأة ربات الشعر الإيطالي. وبددت الدراسة المتعمقة في الشعر العربي منذ نصف قرن تقريباً كل مزاعم من كان يحسبه أباً للشعر الأسباني والبروهنسي والإيطالي. ولا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننسب طبيعة الشعر في اللغات اللاتينية الجديدة



وأصلوبه أو قاهيته إلى مثيلاتها العربية. وأحسب فقط أن اعتياد الشعر في بلاط المسلمين الرائع في أسبانيا قد أدخل في قصور الغرب المسيحية حب الترويح بسماع الشعر بلغة البلاد العامية علاوة على أشكال أخرى من الترف، وكانت الجوائز وأنواع التكريم تشجع شعراء الوطن على أن يلقوا في جمع الأمراء تلك الأبيات التي سبق أن ألّفوها في حلقات السمر المتواضعة بالمدن والأرياف، ومن ثم ينبغى القول إن الشعر العامي لم ينشأ في تلك الفترة بل تحرر فيها وارتقى. كما يجب أن نتصور الشيء نفسه في بلاط الملوك النورمان وبلاط آل زيفيفيا المسلم في صقلية. فربما كانوا يستمعون اليوم ذاته لشعراء عرب وشعراء صقليين ويجزلون العطاء لهؤلاء وأولئك بحفنة من التاريايات الذهبية. وتبدو لى العلاقة الوحيدة بين أشعار اللغات اللاتينية الجديدة والأشعار العربية ممثلة في أوزان الموشحات والزجل التي تكلمت عنها في الفصل الحادى عشر من هذا الكتاب<sup>(1)</sup>. واتعمش أن تفلح أبحاث جديدة في هذا المجال في استجلاء تلك الفترة من تاريخ آدابنا؛ ولكن يمكن أن نحسب بداية أن صقلية تدبى للعرب، وأن البر الإيطالى يدين لصقلية، بعباد الشعر الإبطالى؛ إذ أشك كثيراً في أسبقية الجزيرة الأخرى الكبيرة في هذا الشأن. ويمكننا أن نعثر هنا وهناك على شذرات أخرى من التراث الذى خلفه السكان المسلمون في صقلية. فالكلمة العربية شرطه أو *Xurto* كما هي مكتوبة في محررات الملوك الأرجونيين في صقلية<sup>(2)</sup> تثبت كيف أن تأسيس حراسة مدنية ترعى الأمن العام في المدن ترجع إلى الحكم الإسلامى الذى كان بها. كما يرجع إليه أيضاً نظام المقاييس الذى ظل مستخدماً في الجزيرة حتى تأسيس مملكة إيطاليا؛ إذ من الواضح أنه لم يشتق فقط من اللغة العربية بعض أسماء مقاييس الماء

(1) في ص ٦٦٩ وما بعدها.

(2) *Capitula Regni Siciliæ*. النسخ ٥٤ للملك جاكومو. والسابع عشر لقديريكو الأرجونى.

الجاري التي سبق أن ذكرناها في هذا الفصل والفعل نفسه المذكور من برهة والذي يعني إشراف السلطات الرسمية على موازين ومقاييس السوق، ولكن هناك علاوة على ذلك بعض المسميات في مختلف نواحي النظام: مثل الكامة في المقاييس الطولية<sup>(1)</sup>، الوقز والقوز في مقاييس السطوح وفي الأحجام للمواد الصلبة<sup>(2)</sup>، القفيز في قياس السوائل<sup>(3)</sup>، والرطل والقنطار في الموازين<sup>(4)</sup>. وإذا كنا نجد في عمليات الضرب والقسمة مفردات لاتينية فهي أثر طبيعي لاختلاط السكان، ويمكننا أن نتصور دخول تلك الكلمات بعد سيطرة حكم المسلمين أو حتى خلاله. وانتقلت كما هو واضح مسميات القياس من صقلية إلى جنوب إيطاليا حينما خضع للنورمان المهيمين على صقلية. أو ربما كانت بعض تلك المسميات قد دخلته من قبل عن طريق التجارة كما سبق أن برهنا على ذلك في حديثنا عن العملات النقدية<sup>(5)</sup>. «فالروبيو» في روما ولومبارديا وبيمونتي وجنوة هي أيضاً من أصل عربي. و«الرطل» الذي كان متداولاً في جنوة كما في نابولي، والقبروان، وهو وزن يستخدمه الصاغة كذلك في الأقاليم الأخرى التي لم يكن بها مستوطنات للمسلمين. من الواضح أنه انتقل إليها عن طريق التجارة<sup>(6)</sup>.

(2) كامة في اللغة العربية وترجمت إلى *Canis* هي إحدى الوثائق العربية اللاتينية لعام ١١٨٧، هند مورو، *Palermo Antico*، ص ٢٥٨. قانون بين الإبريس عند الأسطانيين فيوزي دي جويي، ص ٢٧٢.

(2) «سرم» مكة طيفاً لابن جبير، نص الأستاذ رايت، ص ١٢٦، كان يعنى على أربعة صناعات، وفي الوثائق العربية الصقلية يتطابق المصارع اللاتيني "*sagoma salina*" مع الكلمة العربية الشهيرة مد، التي تبدو بدورها منقولة عن "*modium*". (3) القفيز مقياس عربي شهير للسطح والسعة.

(4) رطل أو رطل (يشهد رطل: المترجم) هي الليرة عند العرب كما تسمى لنا أن نلاحظه في مواضع أخرى.

(5) راجع الكتاب الرابع، الفصل ١٢، ص ١٦٩ - ١٧٠ من المجلد.

(6) الربع متداول في مكابيل الحبوب في كل موانئ المسلمين على البحر المتوسط. ونلاحظ أيضاً وجود *porro* في وثقتي عامي ١١٨٩ و ١٢٢٨ البونانين والمستقلين، عند سبانا *Pergamene greche*، ص ٢٠٤ و ٢٠٦، وهي تشير إلى مقياس للمساحة في الوثيقة الأولى، والسعة في الثانية. وبالنسبة لنفسه ولكن بصروف مختلفة تشر على

وحيثما نعلم التفكير فيما أصاب مسلمى صقلية من تدمير لحق بهم على يد السكان المسيحيين أكثر من السلطات، فسوف لا ندهش إذا لاحظنا أنه لم يكتب البقاء لأى طرز من ملابس المسلمين فى الجزيرة. ويوجد التعليل من أسماء طرز الثياب تلك العربية المعروفة فى صقلية والبر الإيطالى(1). ونسب البعض إلى المسلمين العباءات السوداء التى كان النساء يعتدن الالتفاف بها فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى حين يتوجهن لأداء الصلاة أو للأفراح، ولم تختف هذه العباءات تماماً من بعض بلاد صقلية، ولكن يبدو لى أن هذا الزعم يقوم بالأحرى على تماثل التقاليد المتحفظة عن تشابه ذلك الثوب الصقلى مع جلباب وحجاب النساء المسلمات.

وقد يقال على النقيض من هذا أن مسيحيى صقلية قد أخذوا بطيب خاطر عن مواطنيهم المختين تلك الطرائق التى كانت تشبع البطون. ومع ذلك بقيت الأطعمة الشهية(2) أو الأطايب عربية الاسم والصنعة وخاصة الحلو منها أكثر المأكولات. والحلوى صناعة قديمة فى البلاد، إذ نعرف فى أفريقيا منذ القرن التاسع على فطائر

*panibagrus* فى وثيقتين من كلابريا لعامى ١١٨٨ و ١٢٢٨، عند تروينكيرا. *Syllabus graecorum membranarum*. نابولي ١٨٦٥. ص ٢٩٦ و ٣٨٨. وأدرج بين الكلمات العربية لفظ *carato* كراتو، وهى نقل واضح لكلمة *sepeten* إذ يبدو لى قريب من الحقيقة أنها لم تنتقل من اليونانية مباشرة، ولكن عن طريق العربية. مثل كلمة *Fondaco* فندق، محل، وكلمات أخرى.

(1) الكلمة الإيطالية *giubba* جيه، هى على سبيل المثال كلمة عربية خالصة، تتماثل مع الكلمتين الصقليتين "*giubba* و *jipuni*". وكلمة "*camellotto*" لم تشتق من "*camelo*" جعل كما ذكرت القواميس، ولكن من خمله التى نضى بالتعبه قماش موزر.

(2) نذكر من المأكولات *cuscusi*. وهو شبهه فى الاسم ومختلف قليلاً فى نوعيته عن مثيله الموجود فى البلاد البربرية. ويذكر من الأطعمة الشبيهة المجائل المضجرة المثقبة التى يطلق عليها فى صقلية كما فى بلاد البربر *sfinci* سفتنشى، عن اللاتينية "*spongia*" كما هو واضح. وهناك أيضاً العنصر المنقوع ثم المحمص الذى يسمى *ollia* هلية، وهى كلمة عربية خالصة.

محلاة بسكر صقلية (1). وإن حدث وظهر، يوماً ما دوكانجي عربى فسوف يفسر لنا كلمات شتى من هذا القبيل نقرأها حالياً دون جدوى منها هي القصص والروايات، وسيكشف لنا بهذه الطريقة كل أوجه الشبه بين الذواقة الصقليين والمصريين: وكليهما من أكبر مستهلكى السكر المنتج في البلدين، والذي تبادلوه فيما بينهم حتى القرن الخامس عشر بصفة مستمرة، ربما نظراً لتوحيته المختلفة لدى كل منهما، أو لاستمرار وجود معامل تكريره في مصر. تلك التي سرعان ما اختفت من صقلية (2). لأننا نجد في الوصف الذي سجله المقريزى عن الفخفة الهائلة التي كانت في البلاط الفاطمى أن احتفالات رمضان في القاهرة كانت تتماثل تماماً في نوع المأكولات وكما التي يتم تناولها مع مثيلاتها المتناولة في تسموية أعياد الميلاد والكرنفال وعيد القيامة في بالرمو، وجرت العادة في بيوت كبار موظفى الدولة، وبصورة أكثر إفراطاً في البلاط، على إعداد أشكال مختلفة وقلاع من السكر وأصناف أخرى من الحلوى. وأشكال شتى من المعائن الحلوة التي كانت ترض مع مأكولات أخرى ذات قيمة غذائية عالية في تشكيلات لونية جميلة على صوانٍ من الفضة والذهب والخزف

(1) انظر الفصل السابق، ص ٧١٢. هامش ١. اسم الحلوى في النص كملد، ويبدو لي أن "cassia" كاسانا الشهيرة من أصل عربى. إذ أن «قسيمة»، تعنى مفلاة كبيرة وعميقة مثلما هي عليه في الحقيقة عجينة تلك الحلوى المغطاة بجبن أو الكريمة. "Kabbell". فثبتت من في العربية (وراجع بخصوصها علاوة على المعاجم دي ميريلوت في مادة "cabbaihi". نوع الحلوى يتشابه بالتعدد مع حلوى "cabbaita" الصقلية. وما يطلق عليها في صقلية مستوردة هو ما يصنع من عصير العنب المطهى ليس بالفرديل ولكن بالدقيق حتى يصير عجينة حلوى كما سبق أن أشرنا في الكتاب الرابع، الفصل ١٢، استناداً إلى كتاب الزراعة لابن العوام. وهذه الطريقة في إعداد الحلوى يطلق عليها في جرجنتى "fibu" طيب، وهي لفظة عربية خالصة. ونظراً لأن "nucatale" نوكانولا الصقلية لا تتكون من الجوز فيبدو أنها ترجع بالأحرى إلى نقل العرب، ويطلق عليها ذاتها في نوكانا "secume" مجلفات.

(2) راجع ما ذكرناه عن هذه التجارة في الفصل السابق، ص ٧١٢ - ٧١٣ من هذا المجلد.

والصيني، مما كان يشيع ويمتدح<sup>(1)</sup>. ونرى في أواخر العصور الوسطى، بل وحتى اليوم في مصر فواكه مشبعة بالسكر المعقود شبيهة بحلوى القرع في صقلية<sup>(2)</sup>، وبنوع من الجيلاتينة الحلوة المستخلصة من مرق الدجاج<sup>(3)</sup> و *cuccia* كوتشيا، صقلية وهي عجينة من القمح المبطل الممزوج باللبن كانت ولا تزال تؤكل في مصر حيث لا تزال يطلق عليها كشل<sup>(4)</sup>، وحتى المباريات التي يرددنها بأعصافها في شوارع القاهرة وبالرموز تتشابه فيما بينها<sup>(5)</sup>.

سيندهش البعض أني نزلت إلى مثل هذه الأمور الصغيرة التي رأها مؤرخو الأجيال الماضية تافهة، ومن أني لم اتناول بالحديث تلك الرذائل والفصائل التي ظن البعض أن السراشين خلفوها لشعب صقلية. وحقاً ظننت أنا أيضاً أن اكتشفت بعض بقاياها، ولكني ايقنت فيما بعد عدم التأكد من مثل هذه الاستقرارات، فنظرة ثاقبة حول طباع الصقليين وعاداتهم ومقارنتها بطباع السكان الإيطاليين الآخرين وعاداتهم لا تكشف عن ذلك التباين الذي تعجز الجغرافيا والتاريخ عن تفسيره، ولذا ينبغي البحث عنه في خفايا الأجناس. وإذ أثبت لنا التاريخ واللغة علاوة على هذا وحده

(1) المثيري، المواجه، نص بولاق، ١. ٢٨٧، ترجمت كلمة سميد أو سميدس وجمعها سمويد «حلوى» للإشارة بالأحرى إلى الحجم والاستخدام أكثر من المكونات. وسميد تعني اليوم الدقيق والعزيم المستوع منه؛ ولكنه يبدو شيئاً مختلفاً في فترة المثيري إذ نفرض أن كل سميد كان يزن ثلاثة أرطال (البرات) وكان مبعوثاً بالخير المفق والمُقدم من الطارح بالسمين ليخرج لامعاً من الفرو ويتخذ شكلاً رائعاً.  
(2) عبد اللطيف، طيبة ياسي، ص ٢١٢.

(3) موضع سبق ذكره، وفي هامش ياسي، ص ٢٠٧ و ٢٠٨.

(4) ياسي، المرجع السابق، ص ٢٢٥، حاشية ١١ في الفصل السادس من الكتاب الأول يذكر أن تلك العجينة كان يمكن تناولها دون طهي وأحياناً جافة. فارين لأن *Modern Egyptians*, Lane، الفصل ٢٥.

(5) لأن المرجع السابق، الفصل ١٤.

لب القرع والشمام يتم النداء بيئهما في القاهرة: «هاتسالي العجاري يا لباد» وهي بالرمز يصيح الباعة: «*shija oziu*». وينادون على البرتقال: «يا عسل» وعلى لمر الجميز: «يا عتباد».

السواد الأعظم من الجنس فإن النقد الذي يهتم بالتشكيك في ذلك بذرائع من السهل تصورها أكثر من إقامة البرهان عليها إنما هو ضرب من ضروب المجازفة. وبدلاً من التركيز على تقدير اختلاف الدم الأجنبي المحتمل وجوده يجب تقييم نموذج التقاليد التي خلفتها المستعمرات العربية والبربرية لسكان صقلية الغربية الأكثر نزوعاً في الحقيقة إلى الشدة عن أناس المنطقة الشرقية؛ ولكن الغل في هذا الخصوص أيضاً شتى وغير مؤكدة، ومن يدري إن لم تكن الظروف الطبوغرافية والاجتماعية قد لعبت هنا دوراً أكبر من أي عامل آخر؟ أما النتيجة الوحيدة المؤكدة هنا فهي أن الفتح الإسلامي قد جلب إلى صقلية في القرن التاسع وحتى القرن الحادي عشر، تحضراً وازدهاراً لم تعرفه آنذاك الأقاليم الأخرى في إيطاليا، وتدفق هذا التحضر والازدهار في القرن الثاني عشر ومعظم فترات الثالث عشر على شبه الجزيرة وساهم في ازدهار كافة أرجاء إيطاليا.

وها قد تمت في وطني الموحد والحر عملاً شرعت فيه منذ ثلاثين عاماً خلت، تدفعني له رغبة عارمة في الكشف في الظلمات التي كانت تعبط بتاريخ صقلية قبل النورمان. وتساندني فيه التيسيرات التي قدمتها معاهد باريس ومكتباتها. وقد بدأت هذا العمل الشاق بروح صقلية كان يتوق لحرية دولة صغيرة ويهني وحدة إيطاليا دون أن يأملها قريبة إلى هذا الحد؛ وإنني أتمنى راجياً أن يتأخى الإيطاليون كلهم على الدوام وأن يروا في الوحدة والحرية خلاصاً وكرامة الفرد والمجتمع. وأن تزداد البلاد حكمة وفضلة وقوة وثراء، وأن تقوم روما الجديدة، كي تصلح ما أفسده الجور المسلح في العصور القديمة وحيل السوء في العصور التالية، وتنتشر في العالم، من الآن فصاعداً، حرية العمل الحقة وحرية الفكر غير المحدودة.

## فهارس الكتاب

---

قمت بتحقيق الأسماء الطبوغرافية وأسماء الأعلام وتصحيح ما ورد  
في فهارس الكتاب الإيطالي من أخطاء ولعلني أكون قد وفقت في هذا  
خدمة للدارسين والباحثين.

د . محب سعد إبراهيم

## فهرست أسماء الأعلام

(۱)	
أَبُو (الْكَلْبُ)، م ۲، ۲۱۰.	ابراهيم بن اسحق بن
أَبُو، ابن ماركيز سيوليتو،	ماجلي، م ۲، ۳۱۱.
م ۲، ۲۱۶.	ابراهيم بن أبي سعيد
أوم، م ۳، ۶۵۵.	المصري، م ۲، ۱۸۰.
الأريون، ۱۸۲.	ابراهيم بن سلام، م ۳،
الأسير (الخليفة)	۷۹۰.
الفاطمي، م ۲، ۱۷۵.	ابراهيم بن الأظف،
أبي، ابن جواتير، م ۳،	۲۱۷، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰.
۶۸.	۲۲۸، ۲۹۵، ۲۹۶، ۲۹۷.
أبا مينودا، ۵۶۶، م ۲،	۲۰۲، ۲۲۲، ۲۲۶، م ۳،
۸۲.	۷، ۲۱، ۱۲۳، ۱۳۱.
الأياضية، م ۲، ۱۲۵.	۱۳۶، ۱۳۵.
ابراهيم (عليه السلام)،	ابراهيم بن عبد الله بن
۱۲۷، ۱۲۱، ۱۸۷.	الأظف (أبو الأظف)،
ابراهيم بن أحمد، ۱۷۹.	انظر أبو الأظف
۱۵۱، ۱۶۱، ۱۷۰، ۱۸۶.	ابراهيم بن عبد الله بن
۱۸۷، ۱۸۸، ۱۸۹، ۵۱۹.	الأظف.
۵۶۱، ۵۶۲، م ۲، ۸۱، ۲۱.	ابراهيم، ابن بوقهي، م ۳،
۲۲، ۲۱، ۱۵، ۱۶، ۱۷.	۵۵۳.
۱۸، ۱۹، ۵۰، ۵۱، ۵۲.	ابراهيم الحلبي، ۲۰۳.
۵۲، ۵۱، ۵۵، ۵۶، ۵۷.	ابراهيم.
۵۸، ۵۹، ۶۰، ۶۱، ۶۲.	كانستروچوفسكي
۶۱، ۶۵، ۶۶، ۷۰، ۷۱.	(القسرياني)، م ۳، ۱۲۹.
۷۵، ۷۶، ۷۷، ۷۸، ۷۹.	ابراهيم (كبير البيت
۸۰، ۸۱، ۸۳، ۸۱، ۸۵.	العباسي)، ۲۱۱.
۸۶، ۸۷، ۹۰، ۹۱، ۹۲.	ابراهيم بن محمد
۹۵، ۹۶، ۹۷، ۹۸، ۹۹.	القرشي، م ۳، ۲۵۷.
۱۰۰، ۱۰۱، ۱۲۵، ۱۲۷.	ابريون (كبير رهبان سان
۱۲۸، ۱۳۰، ۱۳۲، ۱۵۱.	مارتينو)، م ۲، ۱۲۱.
۱۵۱، ۱۶۷، ۱۶۸، ۱۶۹.	أيلاردو (أمير نورمان)،
۱۷۵، ۱۷۶، ۲۲۰، ۲۲۲، ۲۲۱.	م ۳، ۱۵۲.
۲۱۲، ۲۱۱، ۱۱۲، م ۳،	بن الأمان، أبو عبد الله
محمد بن عبد الله بن	
أبي بكر، ۲۸، ۶۸، م ۲،	
۹۵.	
ابن أبي إيفرين، م ۳،	
۲۱۲.	
ابن الأثير، ۲۰، ۲۷، ۲۸،	
۶۳، ۶۱، ۶۶، ۷۰، ۷۱.	
۸۱، ۸۲، ۱۲۶، ۱۶۱.	
۲۱۵، ۲۲۰، ۲۲۹.	
۲۳۱، ۲۳۹، ۲۵۷.	
۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۸، ۲۸۰.	
۲۸۱، ۲۹۵، ۳۹۶، ۱۰۶.	
۱۲۲، ۱۵۰، ۱۵۲، ۱۶۵.	
۱۷۸، ۱۸۱، م ۲، ۶۶.	
۱۲۹، ۱۹۶، ۱۹۹، ۲۱۵.	
۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸، ۳۱۸.	
۳۲۰، ۳۲۹، ۳۲۸، م ۳،	
۲۵۵، ۱۰۲، ۱۱۱، ۱۱۸.	
۱۳۱، ۱۵۰، ۱۶۱، ۵۱۰.	
ابن اسحق بن الحسن،	
م ۳، ۶۱۱.	
ابن أبي أصيبعة، موفق	
الدين أحمد بن قاسم،	
۶۹.	
ابن أبي، محمد بن	
أحمد، ۸۱.	
ابن الباجي، انظر	
الحسن بن عبد الباقي.	
ابن بابشاد، م ۲، ۵۲۳.	
ابن بتمام، أبو حسن علي،	
۵۱، م ۲، ۵۱۲، ۵۲۶.	
۵۱۵، م ۳، ۷۰۸.	
ابن بطلوس، م ۲، ۲۵۹.	



- ابن أبي البشائر، م ٣،  
٧١٢.
- ابن بشرون (علمان بن  
عبد الرحيم بن عبد  
الرائق بن جعفر بن  
بشرون بن شبيب)، ١٠،  
٥٩، م ٢، ٥٤٥، م ٣،  
٢١٥، ١٥١، ٦٤٠، ٧١٨،  
٧٢٠.
- ابن بشكوال (أبو القاسم  
خلف)، ٥٤، م ٢، ١٨٧.
- ابن البصان، م ٣، ٤٩٤.
- ابن البصال، م ٢، ١٥٩.
- ابن التازي، أبو عبد الله  
محمد بن حسن، م ٢،  
١٨٢، ٥٠٥، ٥٢٢، ٥٢٦،  
٥٥٤، ٥٥٢، ٥٤٦.
- ابن القمعة، أنظر محمد  
بن إبراهيم.
- ابن جابر، م ٢، ٤٩٩.
- ابن جبيل (أبو حسين  
محمد بن أحمد)، ٢٧،  
٦١، م ٢، ٣١٢، ٤٤٢،  
٤٦٩، م ٣، ١٧٥، ٢١٧،  
٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٤، ١٢٩،  
٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٥، ٥١٦،  
٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٢،  
٥٣٠، ٦٤٧، ٦٥٨، ٧٢٩،  
٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٨، ٧٦٦،  
٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٦، ٨٠٧،  
٨٤٦.
- ابن جدجل (أبو داود  
سليمان بن حسن)، ٦٩،  
م ٢، ٢٢٦.
- ابن الجوزي، شمس الدين  
أبو مظفر يوسف، ٦٨.
- ابن حاتم الذي لو
- الذري، م ٢، ٥٠٠.
- ابن أبي الحسن علي، م ٣،  
٧٠٨.
- ابن حسين، ٤٢.
- ابن حماد، القاضي أبو  
عبد الله محمد بن علي،  
٦١، ٦٢.
- ابن حمدون، م ٣، ٢٧١.
- ابن حمديس، أبو الجبار  
ابن أبي بكر بن محمد،  
٥٢، ٥٤، ٨٥، ٤٦٦، م ٣،  
٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٠،  
٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٠، أنظر  
عبد الجبار بن محمد.
- ابن حمود (أبو القاسم لو  
ابن أبي القاسم) وكذلك  
ابن الحجور، وأنظر  
بولكاسيمو، ابن حمود،  
٥٢، م ٢، ١٧٥.
- ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ٢٦٢،  
١٨٧، ٤١٥، ٥٢٢، ٥٢٥،  
٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٤.
- ابن حنبل (الإمام)،  
٣٢٢.
- ابن حوش، أنظر علي  
بن نعمه.
- ابن حوشب، م ٢، ١٢٤.
- ابن حوقل، ٢٧، ١٦، ٤٨.
- ٢٩، م ٢، ١٨٥، ٣٢٢،  
٢٤٥، ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٠،  
٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥،  
٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠،  
٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤،  
٣١٨، ٣٧١، ٤٣٩، ٤٤٣،  
٤٤٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦١،  
٤٦٩، ٤٧٧، ٤٧٨، م ٣،  
٦٤٣، ٦٨٤، ٦٨٦.
- ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠٣، ٨٠١،  
٨٠٧، ٨٢٢.
- ابن خاضع، م ٢، ١٦١.
- ابن أبي خراسان، م ٣،  
١٢١، م ٣، ٤٦٥.
- ابن خرمزلة، م ٣، ٦٤٢،  
٦٥٢.
- ابن خلدون (أبو الفدين  
أبو زيد عبد الرحمن بن  
محمد)، ١٩، ٢٠، ٢٧.
- ٢٨، ٣٨، ٧٦، ٨٠، ٨١،  
٨٢، ١٥٧، ٣١٥، ٣٤٥،  
م ٢، ١١، ٢٧٥، ٢٧٧،  
٤٦٨، ٥٠٥، ٥٥٩، م ٣،  
١٥٢، ٤٢١، ٤٦١، ٤٨٢،  
٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٢، ٧٠٨،  
٧٠٩، ٧٨٥، ٧٨٦، ٨٢٥.
- ابن خلكان (شمس الدين  
أبو عباس أحمد بن  
محمد)، ٢٠، ٣٨، ٤٥،  
٥٤، ٦٠، ٧٠، م ٢، ٢٢٢،  
٣٤١، ٤٧٥، ٤٨٧، ٤٩٤،  
٥٢٠، ٥٢١، م ٣، ٦٨٤،  
٦٨٦، ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠٣.
- ابن خلزي، الحسن  
بن أحمد بن علي بن  
كليب، م ٢، ١٤٨، ١٤٩،  
١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧،  
١٦٢، ١٩٨.
- ابن أبي الدم (شبيب  
الدين)، ٧٨.
- ابن ديسان (بارديسان)،  
م ٢، ١١٢.
- ابن أبي دينار (أبو عبد  
الله محمد القيرواني)،  
٨٥، م ٢، ٢٢٦، م ٣،

[illegible]



- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، ٤٩.  
أبو بكر بن نيت العروقي، ١٨٩، ٢م.  
أبو ثور، ١٧٨.  
أبو جعفر، انظر أحمد بن يوسف.  
أبو جعفر بن عون الله، ١٩٢، ٢م.  
أبو الجيش، انظر مجاهد بن عبد الله.  
أبو حاتم سهل بن محمد الطستاني، ٢٦.  
أبو حامد الفراء، ٢م، ٤٥١.  
أبو حجر بن إبراهيم بن أحمد، ٢م، ٨٧، ٨٨.  
أبو حذيفة، القروشي، ٢م، ٥٠٨.  
أبو الحسن الحريري، ١٨٠، ٢م، ٢٢٦، ٢٢٢، ٢٢٧، ٤٦٠.  
أبو الحسن الصقلي، ٢م، ٥٥١، ٥٢٤.  
أبو الحسن بن باقر، ١١٢، ٢م.  
أبو الحسن بن العباس (الشيخ)، ٢م، ٧٢٧.  
أبو الحسن بن عبد الرحمن، ٢م، ٥٢٤.  
أبو الحسن بن عبد الله الطرابلسي، أو الإطروشني، ٢م، ٥٥١.  
أبو حسن علي بن زوز، ٧٢.  
أبو الحسن هرياني، ٧٢.  
أبو الحسن القيسي، ٢م، ٥٢٨.
٥٠٢.  
أبو الحسن القطامي، ٧٧.  
أبو الحسن الطوسي، ٢م، ٥٠٠.  
أبو حسين بن يزيد، ٢م، ٦٣.  
أبو حفص عمر بن شعيب الملقب بالبلوطي وياكروتي، (أبو كابس)، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٢٧، ٣٩١.  
انظر عمر بن شعيب البلوطي، وعمر بن يحيى بن محمد، وعمر بن يحيى بن عبد الواحد.  
أبو الحكم بن خلفه، ٢م، ٧١٢، ٧١٤.  
أبو حميد، محمد بن عبد الرحيم المقرئ، ٥٦.  
أبو حنيفة (الإمام)، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢م، ١٨، ٢٠، ٢م، ٦٩٥.  
أبو خلف بن هرون، ٢م، ٣٠١.  
أبو داود سليمان، ٢م، ٤٩١.  
أبو دقان، ٢م، ١٩٢، ١٩٣.  
أبو ذكي الكفائي، ٢٢٦.  
أبو رافع (الحاجب)، ٢م، ٣٦٢.  
أبو زكريا، انظر يحيى بن عبد الواحد.  
أبو زيد الجعفي، ٣٧.  
٢م، ٥٢٨.  
أبو سعيد بن إبراهيم
- الصقلي المقرئ، ٦٧.  
٢م، ١٩٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢.  
أبو سليمان، ربيع القطان، ٢م، ٢٢٧.  
أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم، ٦٨.  
أبو شريف (آل)، ٢م، ٢٣، ٨٢٥.  
أبو الصلت أسيد، ٢٩، ٥٩.  
أبو صواب القصرياني، ٢م، ٥٢٦.  
أبو الضوء سراج بن أحمد بن رجا، ٢م، ١٥١، ٧١٨.  
أبو طار (محمد بن حمزة)، ٢م، ١٩٤، ٥١٥.  
٢م، ٢٨٠، ٤٤٩، ٧١٠.  
٧١١، ٧١٢، ٧١٨.  
أبو طالب بن سمين، ٢م، ٦٧٥.  
أبو طالب (عم الرسول)، ١٣٠.  
أبو طاهر، انظر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران.  
أبو الطيب، بن سنيانوف، ٢م، ٢١٢، ٢١٢، ٢١٢.  
أبو هاجر بن علي بن مجاهد، ٢م، ٣٦٩.  
أبو العباس أحمد بن وهب، ٢م، ٨٢٥.  
أبو العباس البكري، ٢م، ٧٠٦، ٧١٢، ٧٩٢.  
أبو هبيل عبد الله بن محمد بن عبد الله

١٥٢. أبو هبيرة، ٢١٠.
- أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، م ٢، ١٠٤.
- أبو الفتح بن بندر بن مكلاتي، الملقب بسند الدولة، م ١٢٢، ٥١٩.
- أبو فخر محمد بن عبد الله بن الأخطب، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٦.
- أبو الفدا عماد الدين بن علي، ١١، ٢٩، ٤٠، ٦٤، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٢١٧، م ٢، ٦٢٩، ٦٥٤، ٦٨٥، ٦٨٦.
- أبو الفد محمد بن حسين بن الكركودي، م ٢، ٥٢٧.
- أبو الفرج، ٦٤، ٢١٦، ٢١٧.
- أبو الفضل (الحاج)، م ٢، ٢٥٦.
- أبو الفضل (القيط)، م ٢، ٧١٨.
- أبو الفضل (الكتاب)، م ٢، ٤٤٠، ٤٤١.
- أبو القاسم. انظر علي بن حسن بن علي بن حمود.
- أبو القاسم التبريزي، م ٢، ١٤٧.
- أبو القاسم جنيدي القفجاني، م ٢، ٤٩٢.
- أبو القاسم بن حاكم، ١٦٢، م ٢، ٤٥١، ٤٥٢، ٥٠٦.
- أبو القاسم بن حسن بن علي بن أبي حسين، م ٢، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٨٢.
- أبو هبيرة، ٢١٠.
- أبو الحبيب، انظر محمد بن أحمد ومصعب بن محمد.
- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، ٥١، ٥٠، م ٢، ٢٠٨.
- أبو عقاب أظف بن إبراهيم، ٢٧٢.
- أبو العقل أظف بن أحمد، ٤٧٠.
- أبو العلاء سعيد، م ٢، ٥٠٨.
- أبو العلاء المعري، م ٢، ١٠٥.
- أبو علي الحسن، م ٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٦٩، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥.
- أبو علي حسن بن يحيى، م ٢، ٤٤٠، ٥٢٨.
- أبو علي بن حسين بن خالد (الكتاب)، م ٢، ٥٢٦، ٥٠.
- أبو علي الطنجي، م ٢، ٢٢٢، ٢٢٣.
- أبو علي عبد الله، م ٢، ٧١٢.
- أبو علي، القماني، م ٢، ٥٠٠.
- أبو عيسى بن محمد بن كرهب، ٤٦٠، ٤٦١.
- أبو طاهر، م ٢، ١٦٠، ١٦٢.
- أبو فارس عبد العزيز بن أحمد، ٦٧.
- أبو عباس بن علي، ٤٨٤.
- أبو العباس القلوزي، م ٢، ٤٩١.
- أبو العباس بن محمد بن القاط، م ٢، ٥٥٠.
- أبو عباس بن يعقوب بن عبد الله، ٤٥٠، ٤٥١.
- أبو عبد السلام طرج، ٤٨٠.
- أبو عبد الله بن زورام (زورام)، م ٢، ١١٩.
- أبو عبد الله الصقلي، م ٢، ٢٦٦.
- أبو عبد الله الحسين بن أحمد. الملقب الشيبلي، م ٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ٢١٧، ٢١٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١.
- أبو عبد الله بن سطار، م ٢، ٥١١، ٥١٢.
- أبو عبد الله، الملقب بالمأمون (القائد)، م ٢، ٥٢٢، ٥٢٣.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الوارث، شرف الدين، م ٢، ٧٠٤.
- أبو عبد الله محمد بن سلس، م ٢، ٥٢٢، ٥٢٣.
- أبو عبد الله، الملقب، م ٢، ٢٠٢.
- أبو عبد الله المؤدبي، م ٢، ١٠، ١١.
- أبو عبد الله بن سيمون، م ٢، ٣٧١.

- أبو القاسم محمد، ابن  
الخليلة المهدى، م ٢،  
١٨٦.  
أبو القاسم محمد بن نزار  
(الأمير)، م ٥١٨، ٢.  
أبو قراط، م ١٧١، ٢،  
٦٦٩، ٣.  
أبو قنوم بن محمد بن  
عثمان السجستاني، ٢٥.  
أبو كعب، م ٢، ٢٨٦،  
٢٨٩.  
أبو الليث، م ٢، ٦٥٩.  
أبو لوفار، ١٢٢، ١٢٣،  
١٢٤، ١٢٥.  
أبوليتو (أسقف صقلية)،  
م ٢، ٢٦٨، ٢٦٩، ١٢٢،  
١٢٣.  
أبو المعالي، م ٢، ١٦٠.  
أبو محرز محمد  
(القاضي)، ٢٢٢، ٢٢٣،  
٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.  
أبو محمد، م ٢، ٢٥٢.  
أبو محمد بن أبي حفص  
صبر، م ٢، ٦٠٠.  
أبو محمد، دمهقه م ٢،  
٥٥٢، ٥٥٣.  
أبو محمد بن عمر بن  
منكوت، م ٢، ٥١٩.  
أبو محمد ميمون، م ٣،  
٢٧١.  
أبو محمد يحيى بن  
أكتب، م ٢، ١٢.  
أبو مسلم، ٢١٤، ٢١٦،  
٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.  
أبو مضر أنظر زيادة الله  
بن عبد الله.  
أبو سعد، م ٢، ٧٨.
- أبو مهاجر، ١٩١، ١٩٢.  
أبو موسى الأشعري،  
١٢٦.  
أبو نصير، م ٢، ٥٦٦.  
أبو هاشم، أنظر محمد  
بن أبي محمد بن محمد  
بن طاهر.  
أبو هاشم الصوفي، م ٢،  
٥٠٥.  
أبو هرون الأندلسي، م ٢،  
٢٢٢.  
أبو الوفاء، م ٣، ٦٤١.  
أبو يحيى زكريا الحفص  
(الأمير)، ٧٢.  
أبو يحيى بن مطروح، م ٣،  
١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦.  
أبو اليزيد، محمد بن  
قيس، م ٢، ٢٠٣، ٢٠٤.  
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨.  
٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣.  
أبو يعقوب، الخليفة  
الموحدي، أنظر يوسف  
بن عبد المؤمن.  
أبو يونس بن نصير، م ٢،  
٢٢٢.  
الأتراك، ٢١٥، م ٢،  
٢٨١، ١٧١، م ٣، ٢٨٢،  
١٩١.  
إتزلينو، م ٣، ٥٩٦.  
إتشلينو (كولت)، م ٢،  
٢٣٠.  
أنتولو، م ٣، ٤١.  
أنتيلو روجولو، م ٣،  
٢٥٨.  
أنتيلولو، ٥١٧، م ٢،  
١٦٩، ١٧٧.  
أنتاسيوس، أسقف
- موفوني، ٥٥٨، ٥٥٩.  
أنتاسيوس، أسقف  
فابولي، ٥٠٥، ٥٠٦.  
٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠،  
٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٦.  
٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ١٨٢،  
٢، ٣.  
أجاقا القديمة، م ٣،  
٢٧٢.  
أجلوكايد، ٢٢٥.  
أجيزة (قبيلة من قبائل  
البيس)، م ٣، ٢١٢.  
أحمد (أمير مصر)،  
الخشيدى، م ٢، ٢٨٦.  
أحمد بن إبراهيم.  
الرازي، م ٢، ١٩٦.  
أحمد بن إبراهيم،  
الوداني (أبو القاسم)،  
م ٢، ٥٥٠.  
أحمد التميمي (أبو  
العباس)، م ٣، ٢٥٦.  
أحمد الجبريني، م ٣،  
٦٧٠، ٦٧٥.  
أحمد بن حسن بن علي  
بن أبي حسين (أبو  
الحسن)، أمير صقلية  
الكلبي، م ٢، ٢٥١، ٢٦٠،  
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨،  
٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩،  
٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٥، ٢٩٦،  
٢٩٨، ٢٨٢، ٥٤٨.  
أحمد بن أبي الحسين بن  
رياح، م ٢، ١٤٨، ١٤٦،  
أحمد (دمع جلود)، م ٣،  
٢٥٦.  
أحمد بن سعد بن مالك  
(ابن صيد) الخزرجي، م ٢،  
١٦٤.

- أحمد بن سليمان بن  
سودة، ١٠٢.  
أحمد بن سليمان، ٢٢٩.  
(الشريف) أحمد بن عبد  
السلام الصقلي التولوسي،  
٦٧.  
أحمد الصقلي، م ١٨٢، ٣.  
١٨٢.  
أحمد بن عبد السلام،  
م ١٨٢، ٢.  
أحمد بن علي الحريري،  
م ٥١٢، ٤.  
أحمد بن علي الشامي  
(أبو الفتح)، م ٥٥١، ٢.  
أحمد بن علي القرشي  
(أبو الفضل)، م ٥١٩، ٢.  
أحمد بن عمر بن عبد  
الله بن الأغلب (أبو  
مالك)، ١١٢، م ٦٤،  
٦٥.  
أحمد بن عمر العذري أو  
العذري، م ٣، ٦١٢،  
٧١٤.  
أحمد بن قاسم، م ٢،  
٥٥٠، ٥٥٠.  
أحمد القصري، م ٢،  
٢٢٨.  
أحمد بن محمد بن  
الأغلب، ٤٠٢، ٤٠٦،  
٤٦١.  
أحمد بن محمد بن  
عقاف (أبو علي)، م ٢،  
٥٢٦، ٥٥٠.  
أحمد بن محمد نوري  
(أبو حسين)، م ٢، ٤٩٢.  
أحمد بن محمد بن  
يحيى (أبو بكر)، م ٢،  
٢٢، ٢٧، ٥٥، ٧٢، ٧٩.  
أحمد بن يعقوب بن عمر  
بن عبد الله بن إبراهيم  
بن أغلب (أبو مالك،  
المكنى بالحيش)، ١٠٤،  
١٥٠، ١٥١، ١٥٢.  
أحمد بن يعقوب بن  
مضحي بن مسلم، ٤٥١.  
الأحول، م ٢، ١٣٠، ١٣١.  
أحمد بن يوسف (أبو  
جهمي) الملقب بالأكل  
وتأهيد الدولة، م ٢، ٢٥٢،  
٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٨.  
٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤.  
٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.  
٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.  
٢٣٥، ٢٣٧، ٥٢٠، ٥٦١.  
م ٨٧، ٣.  
الإخشيد (أل)، م ٢،  
٢٨٤، ٢٨٦.  
أوالبرتو، ماركي  
توسكانا، ٥٠٧.  
أوالجيزو، ٢٥٩.  
أوريلو، ٢٧٠.  
أوريلو الأميرال، ٤٥٩.  
أوريلو الأول (أليبا)،  
١٠٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩.  
٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٢، ٤٤٩.  
٥٠٠، م ٢، ١٧٥.  
أوريس، ٢٩٦، م ٣، ٦٣٧.  
أوريس، ابن المذكور  
سابقاً، ٢٩٦، ٦٣٧.  
أوريس (أمير طقا)، م ٣،  
٦٣٨، ٦٣٩، ٦٣٧.  
الأوريسي الشريف (أبو  
عبد الله محمد)، ١٢،  
١٩٩.  
أويلكي، ٢٥٨، ٢٦٠.
- ٨١، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٢.  
٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٠.  
م ٥٢٦، ٨٩، ١٦٥.  
م ٢، ١١٩، ١٢١، ١٢٢.  
١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤.  
١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨.  
١٢٦، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٩.  
١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣.  
١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.  
١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤.  
٥٦٦، ٦٧١، ٧٢٠، ٧٢٢.  
٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦.  
٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠.  
٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤.  
٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨.  
٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢.  
٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦.  
٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠.  
٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤.  
٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨.  
٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢.  
٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦.  
٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠.  
٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤.  
٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨.  
٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢.  
٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦.  
٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠.  
٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤.  
٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨.  
٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢.  
٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦.  
٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠.  
٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤.  
٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨.  
٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢.  
٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦.  
٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠.  
٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤.  
٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨.  
٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢.  
٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦.  
٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠.  
٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤.  
٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨.  
٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢.  
٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦.  
٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠.  
٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤.  
٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨.  
٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢.  
٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦.  
٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠.  
٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤.  
٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨.  
٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢.  
٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦.  
٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠.  
٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤.  
٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨.  
٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢.  
٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦.  
٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠.  
٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤.  
٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨.  
٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢.  
٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦.  
٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠.  
٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤.  
٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨.  
٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢.  
٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦.  
٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠.  
٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤.  
٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨.  
٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢.  
٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦.  
٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠.  
٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤.  
٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨.  
٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢.  
١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦.  
١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠.  
١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤.  
١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨.  
١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢.  
١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦.  
١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠.  
١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤.  
١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨.  
١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢.  
١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦.  
١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠.  
١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤.  
١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨.  
١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢.  
١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦.  
١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠.  
١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤.  
١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨.  
١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢.  
١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦.  
١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠.  
١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤.  
١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨.  
١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢.  
١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦.  
١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠.  
١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤.  
١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨.  
١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢.  
١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦.  
١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠.  
١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤.  
١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨.  
١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢.  
١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦.  
١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠.  
١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤.  
١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨.  
١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢.  
١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦.  
١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠.  
١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤.  
١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨.  
١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢.  
١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦.  
١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠.  
١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤.  
١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨.  
١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢.  
١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦.  
١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠.  
١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤.  
١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨.  
١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢.  
١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦.  
١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠.  
١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤.  
١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨.  
١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢.  
١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦.  
١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠.  
١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤.  
١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨.  
١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢.  
١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦.  
١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠.  
١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤.  
١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨.  
١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢.  
١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦.  
١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠.  
١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤.  
١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨.  
١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢.  
١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦.  
١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠.  
١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤.  
١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨.  
١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢.  
١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦.  
١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠.  
١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤.  
١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨.  
١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢.  
١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦.  
١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠.  
١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤.  
١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨.  
١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢.  
١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦.  
١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠.  
١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤.  
١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨.  
١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢.  
١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦.  
١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠.  
١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤.  
١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨.  
١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢.  
١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦.  
١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠.  
١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤.  
١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨.  
١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢.  
١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦.  
١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠.  
١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤.  
١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨.  
١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢.  
١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦.  
١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠.  
١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤.  
١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨.  
١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢.  
١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦.  
١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠.  
١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤.  
١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨.  
١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢.  
١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦.  
١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠.  
١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤.  
١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨.  
١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢.  
١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦.  
١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠.  
١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤.  
١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨.  
١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢.  
١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦.  
١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠.  
١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤.  
١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨.  
١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢.  
١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦.  
١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠.  
١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤.  
١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨.  
١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢.  
١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦.  
١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠.  
١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤.  
١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨.  
١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢.  
١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦.  
١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠.  
١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤.  
١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨.  
١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢.  
١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦.  
١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠.  
١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤.  
١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨.  
١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢.  
١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦.  
١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠.  
١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤.  
١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨.  
١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢.  
١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦.  
١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠.  
١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤.  
١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨.  
١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢.  
١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦.  
١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠.  
١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤.  
١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨.  
١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢.  
١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦.  
١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠.  
١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤.  
١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨.  
١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢.  
١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦.  
١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠.  
١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٤.  
١٧١٥، ١٧١٦، ١٧١٧، ١٧١٨.  
١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٢١، ١٧٢٢.  
١٧٢٣، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٢٦.  
١٧٢٧، ١٧٢٨، ١٧٢٩، ١٧٣٠.  
١٧٣١، ١٧٣٢، ١٧٣٣، ١٧٣٤.  
١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨.  
١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٧٤١، ١٧٤٢.  
١٧٤٣، ١٧٤٤، ١٧٤٥، ١٧٤٦.  
١٧٤٧، ١٧٤٨، ١٧٤٩، ١٧٥٠.  
١٧٥١، ١٧٥٢، ١٧٥٣، ١٧٥٤.  
١٧٥٥، ١٧٥٦، ١٧٥٧، ١٧٥٨.  
١٧٥٩، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٢.  
١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥، ١٧٦٦.  
١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠.  
١٧٧١، ١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٤.  
١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٧، ١٧٧٨.  
١٧٧٩، ١٧٨٠، ١٧٨١، ١٧٨٢.  
١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥، ١٧٨٦.  
١٧٨٧، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٩٠.  
١٧٩١، ١٧٩٢، ١٧٩٣، ١٧٩٤.  
١٧٩٥، ١٧٩٦، ١٧٩٧، ١٧٩٨.  
١٧٩٩، ١٨٠٠، ١٨٠١، ١٨٠٢.  
١٨٠٣، ١٨٠٤، ١٨٠٥، ١٨٠٦.  
١٨٠٧، ١٨٠٨، ١٨٠٩، ١٨١٠.  
١٨١١، ١٨١٢، ١٨١٣، ١٨١٤.  
١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨.  
١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١، ١٨٢٢.  
١٨٢٣، ١٨٢٤، ١٨

[illegible]



- أريوستو (الشاعر)، م ١٥٧، ٣٠٧.  
 ٢٢٦.  
 الأزارقة، م ٢، ١٠٨.  
 ١٠٩.  
 أزد (قبيلة)، ١٠، ٥٢.  
 م ٢، ٢٠٢، ٥٢٦، م ٣.  
 ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٧٢٢.  
 الأزرق، م ٣، ٢٩١.  
 أزمجاردو، م ٢، ٢٤٦.  
 ٢٤٨، م ٣، ٢١٠.  
 أزيلو، ٩١.  
 أسبان، ٨٧.  
 استاري (أل)، م ٣، ٢٢١.  
 استرابون، ٩٢، ٩٢.  
 الاستروخوت، ٩٦.  
 اسحق بن الحسن (الطائي)، م ٣، ٦٤٢.  
 اسحق بن محمد، م ٣، ٥٠٢.  
 اسحق بن مهنا، م ٢، ١٤٩.  
 أسد بن علي بن مصر، الحسيني، م ٢، ٥١٨.  
 أسد بن القوت (أبو حيد)، ٢٢٤.  
 الله بن سلمان، ٢٢٤، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٨، ٢٢٢.  
 ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٢.  
 ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٢٠، ٢١.  
 ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٢.  
 ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٢٤، ٢٢٢.  
 ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٤٢، ٢٤٢.  
 ٢٥٧، ٢٨٢، ٢١٥، ٢٥٥.  
 ٢٥٦، م ٣، ٢٧، ٢٢٧.  
 ٤٤٧.  
 اسطفان، النصراني.  
 السوي، م ٢، ٢٢٦.  
 الإسكندر الأكبر، ٢٨٥.  
 الأصمغ بن وكيل (هرغلوش)، ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٥٥، م ٣، ٢٧.  
 ٢٥٦، م ٣، ٢٧، ٢٢٢.  
 اسلان، م ٣، ٦٥١.  
 إسماعيل، انظر ميلو.  
 إسماعيل، أخو الملك، ٦٢٢، م ٣، ٢٢٢.  
 الأشرف، م ٣، ٦٢٢.  
 ٦٢٢.  
 الظاهر (الطليعة الفاطمي)، م ٢، ٢٤٦.  
 الأغالبة (بنو الأغلب)، ١٤، ٦٨، ٨٢، ١٦٢، ٢٢٠.  
 ٢٢١، ٢٢٧، ٢٧٧، ١٠٧.  
 ١٢٥، ١٥٢، ١٧٠، ١٨٦.  
 ٥١٦، م ٢، ٨٠، ٩٠، ١٠١، ١١٠.  
 ١٢، ٢٤، ٢٦، ٣٤، ٤٠.  
 ١٢، ١٤، ١٥، ١٨.  
 ٥١، ٥٤، ٦٢، ٦٤، ٧٥.  
 ٧٧، ٧٨، ٩١، ١٢٩، ١٣١.  
 ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٨.  
 ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧.  
 ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٧.  
 ١٦٩، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢١.  
 ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٤١.  
 ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٧٩.  
 ٢٨٢، ٤٧٦، ٥١٧.  
 الإفريق، ٢٠٥.  
 أغسطس، ٩٢، ٩٣، ٩٥.  
 أغلب بن محمد بن أغلب، وكنته خرج الرصنة، ١٧٠.  
 إغناطيوس (بطريرك القسطنطينية)، ٢٩.  
 ١٠٠، ١٧٩، ٥٥٠، ٥٥١.  
 ٥٥٢، ٥٥٥.  
 إثري، قبيلة من قبائل البدر، م ٢، ٢٠٥.  
 إيثيون، م ٢، ٥٢١.

- الأشعل، م، ١٧٥، ٥٠٠،  
٥١٨.  
أفلاطون، م، ٦٧٤،  
أفيسينو، م، ١٦٠،  
أفنييل (أل)، م، ٢٨٩،  
أفنييل روبرتو، م، ٣،  
٢٤٢، ٣٤١،  
أفنييل رينالدو، م، ٣،  
٢٥٨،  
أفنديس، م، ١٧٤،  
الأكحل، انظر أحمد بن  
يوسف،  
أفنديز، م، ٢١٢،  
أكويراندو، من رويش،  
م، ١٧٢،  
البرلو (بطريرك  
أنطاكية)، م، ٦٦٦،  
البريگو، دوق كاسرينو،  
م، ١٧٢، ١٧٣،  
إبيديو، ٢٨٨،  
إلمبراندو، ٢٦١، ٢٦٢،  
١١٩، انظر غرينوريوس  
السابع،  
الساندرو الفلي (ألبا)،  
م، ١٠٧، ١٢٧،  
ألسندرو الثالث (ألبا)،  
م، ١٨٤، ٥١٦،  
ألسندرو دا لفرودينزا،  
م، ٦٧٣،  
ألساندرو (رئيس دير  
تيليزي)، م، ٣٨٦،  
السيو الثاني، م، ٥٠٥،  
السيو كوسمينو، م، ٣،  
١٤٨، ٢٦٢، ٤٩٢،  
السيو موشيج (شريف  
سقلية)، ٢١٢،  
الفايز، م، ٤٥٦،
- الفريدو الأكبر، م، ٣،  
٦٤٩،  
الفونس الثالث، ملك  
أراجونا، م، ٨٦، ٣، ٦٢٥،  
٦٢٨،  
الفونس الثالث، ملك  
استوريا، ٥١٢،  
الفونسو الأول (ملك  
سقلية)، م، ٢٩٠،  
الفونسو الثالث (حاكم  
قشتالة)، م، ٣، ٣٦٨،  
٦٧٥،  
ألفيرادا، م، ٣، ٥٥،  
ألفيري، م، ٢٢١،  
ألفيگو، م، ٢، ١٧٠،  
إليديو، ٢٨٩،  
أليراسو (كونت)، م، ٣،  
١٩٨،  
أليراسي (أل)، م، ٣، ١٩٩،  
٢٠٠، ٢٢٧، ٢٢٩،  
أليس (ملكة قبرص)، م، ٢،  
٦١٨، ٦١٩،  
أليصابات أم يوحنا،  
١٠٣،  
أليخانز، م، ٣، ٢١٢، ٢٤٤،  
إليسا بنت نيكولو، أين  
لوجينيو الأدميرال، م، ٣،  
٣٤٨،  
إما، ابنه روجيرو، كونت  
سقلية، م، ١٩٥،  
اماتو (الرهب)، م، ٢٨، ٣،  
٢٧، ٢٠، ٢٠٦، ٢٣٤،  
٢٦١، ٢٩٠،  
الإمام الشافعي، ٢٢٢،  
إميشوكليس، ٦٧، ٦٩،  
م، ٨٧، ١٠٤، ١٠٥،  
أمبريجو ترافرساري، م
- ٦٧٢، ٣،  
أمبروجيو (أسقف  
پالز)، م، ٣، ٢٢٢،  
امرؤ القيس، ١٢٤، م، ٣،  
٥٤٥، ٧١٤،  
أمريكو (ملك المجر)،  
م، ٣، ٥٦٢،  
الأموريون (الخلافة  
الأموية) بنو أمية، ١١٣،  
١٤٦، ١٩٤، ١٩٧،  
٦١٠، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤،  
٦١٧، ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٢،  
م، ٢، ٥، ١٢، ١٠١، ١١٢،  
٢٠٨، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٨٨،  
٢٦٢، ٤٦٩، م، ٣، ١٠،  
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧،  
أمايانو مانشالينو، ١٥٦،  
أميثش ديللي روجيرو،  
م، ٢٢٦،  
أمير بين عيس  
(ميرعيس)، م، ٣، ٥٧٦،  
أمبريجو (ملك أورشليم  
القدس)، م، ٣، ٤٩١،  
٤٩٢،  
أمبريجو دي لوزينيانو،  
م، ٣، ٦١٩،  
أميلكارى باركا، ٣٨١،  
٢٨٢،  
أفكروينت، م، ٢، ١٥٧،  
أنكلييتو (ألبا إنيبول)،  
م، ٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩،  
أنليمو (موق شابولي)،  
٢٩٧،  
أنجاتولي (القدس)،  
١١٢،  
أنجس، ٢٨،  
أنجلو دي مراكلا، م، ٣

١١٥، ١١٦	إنشيزا (دى) ألونيزو،	٦٧٠
ألونيزو دى ماركو اللو، م ٣	٣، ٢٢٧	الإنجيل، ٢٠٥
٥٥١، ٥٥٠، ٥٤٨، ٥٤٦	إنشيزا (دى)	لنجر (أسرة)، م ٣، ٧٧٠
٥٥٨، ٥٥٧، ٥٥٦، ٥٥٢	بونيفاسيو، م ٣، ٢٢٦	أنجيلو، م ٢، ٢٢٩
٥٦٣، ٥٦١، ٥٦٠، ٥٥٩	إنشيزا (دى) چوفانى،	الإنجيل، ١٢٢
٥٦٥، ٥٦٤	٣، ٢٢٧	أندرة، قبيلة من قبائل
ألبيالى ألبانو، الملقب	إنشيزا (دى) سيمونى،	البربر، م ٢، ٣٧
سان كلمنتى، م ٣، ٧٩٨	٣، ٢٢٧	أنطونيو كومينيو، م ٣
ألبيرى، م ٣، ٢٤٨	أنطونيو، ٩٤، م ٢، ١١٢	٥٠٥، ٢٢٢
ألبيرى دى مانيشى، م ٣	أنطونيو لىكو، م ٣	اندريا بن تريولو، ١٧٢
٥٥٩	٢٨٢	أندريا، راعب برجامو،
أوا السيموى، م ٢، ١٦٥	أنطونيو تراننا، م ٣	١٤٥
اويراسيو، قائد عسكري	٨٤٢	أندريا، قنصل نابولى،
١٧٦	أنطونيو تشيرىالى	٣٧٦
أويرت (بطيريك	(العالم)، م ٣، ٦٣٤	الأنديس (لقب عائلة)،
أطليقية)، م ٣، ٦٦٦	أنطونيو ديلا منسا، م ٣	٣، ٢١٢
أويرتو سينولا، م ٣	٨٢٢	ألريكو دى جوبيرناتيس،
٢٧٢	أنطونيو	م ٣، ٢٧٦
أوتروبيو، كاهن	مستقلة)، ٢٩١	ألريكو ناردوتشى، م ٣
أومباردى، ٥٠٠	إنشيس ١٥ شاكا،	٦٢٢، ٨٤٠
أوتشينو (دى) رويرتو،	أجوستينو، ١١، ٧٨، ٧٣	أفسالو دى باتى، م ٣
م ٣، ٨٢٢	الإنكشاريون، م ٢، ١٧٥	٦٢
أوتونى	ألوتشينسو الثانى، م ٣	أفسالو دى ملى، م ٣
(الإمبراطور)، م ٢، ٢٦٨	٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠	٢٥٢
٢٨٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧	ألوتشينسو الثالث	أفستازيو بيلوتيكافرو،
٢٢٥، م ٣، ٤٢٠	(ألبا)، م ٣، ٢٦٦، ٥٤٥	١١١، ١٦٢
ألوتونى الثانى (الدموى)	٥٤٧، ٥٤٩، ٥٤٨، ٥٥٠	ألشجرو (استف
(الإمبراطور)، م ٢، ٢١٢	٥٥١، ٥٥٤، ٥٥٦	كتاليا)، م ٣، ٣٠٤
٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥	٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٤	ألشيلمو (رئيس اساقفة
٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢٢٩	٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٠	نابولى)، م ٣، ٥٥٩
٢٤٤، ٢٤٥، م ٣، ٦٩	ألوتشينسو الرابع، م ٣	٥٦١
١٩٠	٦٢٤، ٦٢٦، ٦٨١، ٦٨٢	ألشيلمو (ملوكيز من آل
ألوتونى الثالث	ألوتشينسو الخامس، م ٣	أليراسى)، م ٣، ٩٦
(الإمبراطور)، م ٣، ٥٤	٦٨١	إنشيزا (ملوكيز)، م ٣، ٢٢٦
٢٢٢، ٢٤٤	ألوزو، ١٩٤	
ألوتونى الرابع	ألونيمو سالونيتانو،	إنشيزا (دى) لريجو، م ٣
(الإمبراطور)، م ٣، ٥٦٧	٤١٦، ٤١٨، ٤٤٢، ٤٤٣	٢٢٦، ٢٢٧

[illegible]



برناردو (ابن بېيټو)،	۵۲۵، ۵۱۵، ۵۱۰، ۵۰۲	بهر بن المکلاکي، م ۲	۵۲۵، ۵۱۵، ۵۱۰، ۵۰۲
۲۹۷	۵۵۲، ۵۶۲، ۵۶۰، ۵۶۵	۵۵۹	
برنارډينو (کونت) م ۳،	۷۹۸، ۳ م، ۷۱، ۲ م، ۳	برناتيلي، فرانچيسکو،	۷۹۸، ۳ م، ۷۱، ۲ م، ۳
۵۷۲	۶۱۱، ۳ م، ۶۱۱	۱۲۱، ۲۹	
برنجاړو، دوق څړيولي،	۱۰۵، ۲ م، ۱۰۶	برسټنکوي، م ۲، ۲۲۱	۱۰۵، ۲ م، ۱۰۶
۳ م، ۱۷۶، ۱۷۲، ۱۷۱	۱۰۶	۱۲۲، ۱۱۶، ۲۷۰	
برنجاړو (شقيق کونت	۱۰۰	البرسک، ۲ م، ۱۰۱	
لوکا)، ۳۱۲	۱۰۰	براهيم (القائد)	
برنجاړو (کونت		۲۶۱، ۳ م، ۲۶۱	
برشلونه)، م ۳، ۱۰۸		البري، ۱۸۱، ۱۸۲، ۱۸۳	
۱۰۲، ۹۵، ۱۰۲		۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۹، ۲۰۰	
بروش، هـ، ب		۲۰۲، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۲	
(المستشرق)، م ۲، ۳۹۱		۲۱۶، ۲۲۰، ۲۲۸، ۲۱۸	
بروني دا بالرمو، م ۳		۲۲۲، ۲۲۱، ۲۸۲، ۲۸۷	
۶۰۵		۲۹۰، ۱۹۵، ۵۵۲، ۲	
بريامو، م ۳، ۶۲۵		۲۱، ۲۱، ۲۷، ۲۱، ۲۱	
بريوسکي فرانچيسکو،		۱۲، ۱۲، ۱۲، ۱۲، ۱۲	
۳ م، ۱۱۵		۷۷، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۲	
بريښ (کونت)، م ۳		۱۲۲، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۱۰	
۵۵۹، ۵۵۰، ۵۶۲		۱۱۲، ۱۱۸، ۱۱۱، ۱۱۲	
بشار (القائد الصقلي)،		۱۵۲، ۱۵۵، ۱۵۷، ۱۶۰	
۲ م، ۲۲۵		۱۶۲، ۱۷۵، ۱۹۱، ۱۹۸	
بشار بن برد (الشاعر)،		۱۹۹، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۸	
۲ م، ۱۱۷		۲۰۹، ۲۱۰، ۲۲۵، ۲۶۹	
بشار، م ۲، ۲۰۶، ۲۰۷		۲۷۲، ۲۸۷، ۲۸۸، ۲۹۲	
بشر بن صفوان، م ۲		۲۹۷، ۲۵۹، ۳۶۲، ۳۶۶	
۲۲۹		۳۶۷، ۳۷۰، ۳۸۲، ۳۹۱	
بشير بن صفوان الکلبی،		۱۰۱، ۱۲۹، ۱۳۲، ۱۳۱	
۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۵		۱۳۵، ۱۳۶، ۱۴۰، ۱۷۱	
القدس بطرس، ۱۰۰		۱۹۶، ۲۰۷، ۵۵۷، ۳	
۱۵۷، ۲۵۵، ۲۵۸، ۲۵۹		۸۸، ۹۹، ۲۱۰، ۲۱۲	
۳ م، ۹۹، ۱۷۲، ۳		۱۲۶، ۵۰۱، ۵۱۵	
۵۵۰			
بطرس، اسقف تايبريانو،		برتن، ۲۸	
۳۰۱		برتلوني، دافيد، ۱۷	
بطرس الثاني (ملك		برسميوس، برسومة،	
لواچولا)، م ۳، ۵۱۲		۱۷۸	
		۲۲۹، ۲ م، ۲۲۹	



٢٢١. بونولنی، ٥٠٢.  
 بونوللا، م ٣، ١٩٥.  
 بوسنیلوونی، دی سان فرانسیسکو دی پاولا، م ٣، ٧٢٧.  
 بوسنیو، ٥٥٧.  
 بوسنیو، ابو سعید، م ٢، ٢١٦.  
 بوقهر، م ٣، ٥٥٢.  
 بوکاردو (الاستف)، م ٣، ٨٢٩، ٨٢٨.  
 بوکویولی (القائد)، ابو قبایل، م ٢، ٢١٦.  
 بولس (قدیس)، ١٠٠، ١٠١-٢٥٥، م ٢، ١٧٢.  
 البایا بولس الاول، ٢٥٧.  
 بولس السمسطی، ٥٦٠، ٥٦١.  
 بولکاسمو، انظر علی بن حسن بن علی (أبو القاسم): م ٢، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٥، وابن حمود، م ٣، ٥٢٥.  
 بولی، ٢٥.  
 بولیسینی، ٨٦.  
 بولیشیمو، ٢٠٦.  
 بولیوینی المطلوب، م ٣، ٢٠٨.  
 بونلبرت (دی) لوتشانو، م ٣، ٥٧٢.  
 بونانی جویدو، م ٣، ٦٦٧.  
 بونانو دایزا، م ٣، ٨٢٠.  
 بولفایو، ١٧١.  
 بولکومبانی بالاساری (الأمیر)، م ٣، ٦٢٢.  
 بونو آمونی (المارکیز)، م ٣، ٢٢٦، ٢٢١.  
 بونیفاتیسیو (مارکیز انشیزا)، م ٣، ١٩٩.  
 بونیفاتیسیو (مارکیز الایطالین)، م ٣، ١٩٦.  
 بونیفاتیسیو (مارکیز مونفراتو)، م ٣، ١٩٧.  
 بونیفاتیسیو الثاني (کونت لونا)، ٢١٢.  
 بونیفاتیسیو دل فاستو، م ٣، ١٩٩.  
 بونیفاتیسیو الیجوری، م ٣، ١٩٧.  
 بونیللا ریگاردو، م ٣، ٢٢١.  
 بونیللو روجیرو، م ٣، ٢٢١.  
 بونیللو ماتیو، م ٣، ٢٢٢.  
 بونیلی، آل، م ٣، ٢٢١، ٢٢٢.  
 بویموندو (أمیر أنطاکیة)، م ٣، ١١٨، ١٥٠، ١٨٥، ١٨٤، ١٧٤، ٨٢٠، ٨٢١.  
 بویوئی، م ٢، ٢٧٥، م ٣، ٤٠.  
 بویرس، ١١.  
 بویرس (السلطان)، م ٣، ٦٢٨، ٦٢٩.  
 بویرس منصور، ٦٦.  
 بویوئی، م ٣، ٥٠٨.  
 بویینو الملک (ابن فارسان)، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٧.  
 بویینو (الوصف)، م ٣، ٦٦٦.  
 البیت الزیری، م ٣، ٢٦٢.  
 بویرو، استف ارچیئی، ٥٥٨.  
 بویرو دیاگونو، ١٧٩، م ٢، ٨٩.  
 بویرو الصقلی، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٩.  
 بویرو (القائد)، م ٣، ٤٧٦، ٤٨٢.  
 بویس دا مرسیلیا، م ٣، ٦١٥.  
 بویوئی، م ٣، ٢١٢.  
 بویوئی دومنیکو، ٣٥.  
 بویو، م ٣، ٢٠٢، ٢٥٥، ٢٥٨.  
 البیروئی، م ٣، ٦١١.  
 بویری روکو، ٢٩.  
 بویرللو، ١٠٠.  
 البیرولیون، ١٩، ٨٧، ١٠٦، ١١٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٣٥، ٢٦٧، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥



٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٤، ٢٨٩	٥٢٤، ٥٢٨، ٥١٠، ٥١٢	تروستانو، م ٣٥، ٣٥
٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٠	٧٥٠	ترویزی، ٢٥
٤١٢، ٤١٧، ٤٢٨، ٤٢١	بیهیترو قیسکونتی، م ٣	تروکاری باسیلیوس،
٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧	٦٥١	٢٨١
٥١٢، ٥٢٠، م ٣، ٢٦	بیهیردارچوئا، م ٣٦٢، ٥٦٢	تروئشیا، ٢١٦
٤٢٧، ٤٤٥، ٤٢٢، ٢٥٨	٦٠٨	تروئگیرا، م ٣٠٤، ٣
٢٧٨، ٢٨٠	بیهیردل ایریموتا، شاهرا	تستا، سولسنیور، م ٢
بیهیشینو (کونت)، م ٢	٥٧٠	١٢
٢٢٠	بیهیرالمتوحد، م ٢٢٢، ٢٢٢	تشینشیاکی، ١٢٩
بیهیشمینو، م ٣، ١٦٥		تخلب (قبیله عربیه)،
بیکو (ابو بکر)، م ٣	(ت)	٥٢٢، م ٢
١٥٩	تکشیتو، م ٣، ٥٢٩	تقی الدین (الطیبی)،
بیکونلی جوزیس، م ٣	تاج الدین الکندی، م ٣	٣٧٠، م ٣
٥٩٣، ٨٤٠	٦٩٨	تمیم، بن المعز بن
بیلینیو، ٢٧٠	تاج الدین، ابو عبد الله	یادیس، امیر زهری، ٢٩
بیهیترا زویسکی، م ٣	السنجاری، م ٣، ٧٠١	١٢٧، ١٢١، م ٣، ٩٩
٤٤٠	تاروبا فرانئسکو، ١٢	١٠٠، ١١٥، ١١٦، ١١٠
بیهیترو ارشیدیاگونو، م ٣	١٨، ٥٥	١٥٤، ١٦١، ١٦٩، ١٧٠
٢٨٢	تاتکریدی دی هوتشیل،	١٧٢، ١٧٤، ٢٥٦، ٢٦٢
بیهیترو (امین خزانه	م ٣، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥١	تمیم (قبیله)، ٢٠٢، م ٢
کنیسه بالرمو)، م ٣	١١٨، ٤٤٢، ٧٧٥، ٧٧٦	٥٥، ٥١٦، ٥١٧، م ٣
٥٢٨	تاتکریدی (کونت	٢١١، ٢١٢، ٤٩٤
بیهیترو الصقلی، م ٣	لیتشی، م ٣، ٤٩٤	تنوخ (قبیله عربیه)،
٦٦٩	تاتکریدی (ملک	٢٢٧، م ٢
بیهیترو (القس)، م ٣	صقلیه)، م ٣، ٢٢٧	توانی، ٤٨٧
٢٥٦	٤٤٢، ٤٨٩، ٥٠٥، ٥١٤	توران شاه (شقیال صلاح
بیهیترو دیاکون، م ٣، ٨٢	٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢	الدین)، م ٣، ٤٩٢
٢٦٢	٥١٠، ٥١٢، ٥١٢، ٥١٧	تورشینتو دی روجیپریوس
بیهیترو دی بلوا، م ٣	٥٥٢، ٥٥٢	اکوینوس، م ٣، ٢٢١
٢١٦، ٢١٧، ٤٨٤	تایورمینا دی قیپو، م ٣	٢٢٢
بیهیترو دی توانی	٦٤٥	تورلبرج، ٧٩
(الکونت)، م ٣، ١٢١	تایلور، م ٣، ٨٢٩	تورونچی، م ٣، ٢١٢
بیهیترو (الحطس)، م ٣	التتار، م ٨٠، ٢٤٤	تومارو (کونت آشیرا)،
٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٧	ترانیمولندو (مارکیز	٢١٦، م ٣
٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣	وحاکم سبولیتو، م ٢	توماسو دی کیدوکیه،
بیهیترو دایلی، م ٣، ٦٥١	٢١٦	٢٦٥، ٢١٢، ٢١٩
بیهیترو دیپولی، م ٣	الترک، م ٢، ٥١٠	تیریرو، ٩٤

١٦٧٠	١٦٧١	١٦٧٢	١٦٧٣	١٦٧٤	١٦٧٥	١٦٧٦	١٦٧٧	١٦٧٨	١٦٧٩	١٦٨٠	١٦٨١	١٦٨٢	١٦٨٣	١٦٨٤	١٦٨٥	١٦٨٦	١٦٨٧	١٦٨٨	١٦٨٩	١٦٩٠	١٦٩١	١٦٩٢	١٦٩٣	١٦٩٤	١٦٩٥	١٦٩٦	١٦٩٧	١٦٩٨	١٦٩٩	١٧٠٠	١٧٠١	١٧٠٢	١٧٠٣	١٧٠٤	١٧٠٥	١٧٠٦	١٧٠٧	١٧٠٨	١٧٠٩	١٧١٠	١٧١١	١٧١٢	١٧١٣	١٧١٤	١٧١٥	١٧١٦	١٧١٧	١٧١٨	١٧١٩	١٧٢٠	١٧٢١	١٧٢٢	١٧٢٣	١٧٢٤	١٧٢٥	١٧٢٦	١٧٢٧	١٧٢٨	١٧٢٩	١٧٣٠	١٧٣١	١٧٣٢	١٧٣٣	١٧٣٤	١٧٣٥	١٧٣٦	١٧٣٧	١٧٣٨	١٧٣٩	١٧٤٠	١٧٤١	١٧٤٢	١٧٤٣	١٧٤٤	١٧٤٥	١٧٤٦	١٧٤٧	١٧٤٨	١٧٤٩	١٧٥٠	١٧٥١	١٧٥٢	١٧٥٣	١٧٥٤	١٧٥٥	١٧٥٦	١٧٥٧	١٧٥٨	١٧٥٩	١٧٦٠	١٧٦١	١٧٦٢	١٧٦٣	١٧٦٤	١٧٦٥	١٧٦٦	١٧٦٧	١٧٦٨	١٧٦٩	١٧٧٠	١٧٧١	١٧٧٢	١٧٧٣	١٧٧٤	١٧٧٥	١٧٧٦	١٧٧٧	١٧٧٨	١٧٧٩	١٧٨٠	١٧٨١	١٧٨٢	١٧٨٣	١٧٨٤	١٧٨٥	١٧٨٦	١٧٨٧	١٧٨٨	١٧٨٩	١٧٩٠	١٧٩١	١٧٩٢	١٧٩٣	١٧٩٤	١٧٩٥	١٧٩٦	١٧٩٧	١٧٩٨	١٧٩٩	١٨٠٠	١٨٠١	١٨٠٢	١٨٠٣	١٨٠٤	١٨٠٥	١٨٠٦	١٨٠٧	١٨٠٨	١٨٠٩	١٨١٠	١٨١١	١٨١٢	١٨١٣	١٨١٤	١٨١٥	١٨١٦	١٨١٧	١٨١٨	١٨١٩	١٨٢٠	١٨٢١	١٨٢٢	١٨٢٣	١٨٢٤	١٨٢٥	١٨٢٦	١٨٢٧	١٨٢٨	١٨٢٩	١٨٣٠	١٨٣١	١٨٣٢	١٨٣٣	١٨٣٤	١٨٣٥	١٨٣٦	١٨٣٧	١٨٣٨	١٨٣٩	١٨٤٠	١٨٤١	١٨٤٢	١٨٤٣	١٨٤٤	١٨٤٥	١٨٤٦	١٨٤٧	١٨٤٨	١٨٤٩	١٨٥٠	١٨٥١	١٨٥٢	١٨٥٣	١٨٥٤	١٨٥٥	١٨٥٦	١٨٥٧	١٨٥٨	١٨٥٩	١٨٦٠	١٨٦١	١٨٦٢	١٨٦٣	١٨٦٤	١٨٦٥	١٨٦٦	١٨٦٧	١٨٦٨	١٨٦٩	١٨٧٠	١٨٧١	١٨٧٢	١٨٧٣	١٨٧٤	١٨٧٥	١٨٧٦	١٨٧٧	١٨٧٨	١٨٧٩	١٨٨٠	١٨٨١	١٨٨٢	١٨٨٣	١٨٨٤	١٨٨٥	١٨٨٦	١٨٨٧	١٨٨٨	١٨٨٩	١٨٩٠	١٨٩١	١٨٩٢	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧	١٨٩٨	١٨٩٩	١٩٠٠	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣	١٩٠٤	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩	١٩١٠	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣	١٩١٤	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧	١٩١٨	١٩١٩	١٩٢٠	١٩٢١	١٩٢٢	١٩٢٣	١٩٢٤	١٩٢٥	١٩٢٦	١٩٢٧	١٩٢٨	١٩٢٩	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

٢٠٩. جغتایی قسطنطین، م ٣، ٨٢٥.  
 ١٧٩. الجبرية، م ٢، ١٠٣.  
 جوارینو دا سابهوتنا، م ٣، ٨١٢.  
 جوارینو دا کریمونا، م ٣، ٦٦٧.  
 جرافینا (نون دومینگو بندتی)، م ٣، ٨٢٠.  
 جرافینا (کونت)، م ٣، ١٧٦، ١٨٢.  
 جرافینو، م ٣، ٢٥٩، ٢٥٧.  
 جرافنالی (امیر)، ٢٤، ٢٥.  
 جزایة (القبيلة)، ١٩٥.  
 جزایشیو، م ٣، ٨٢٩.  
 جریوتو. انظر سيلفسترو الثاني (البابا).  
 جرجالو تومازو، ٢٥.  
 جرجس، انظر منيلنشي جورجو.  
 الجرمان (الألمان)، ٨٧، ١٨٠، ١٨١.  
 جرجیو (رئيس ولاية)، م ٢، ٢٤٧.  
 جرجیو، روزایو، م ٢، ١٦٢، م ٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٨، ٢٨٨.  
 ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٦.  
 جریگو، المطرز، م ٣، ٧٥٤.  
 جریفلو تومازو، م ٣، ٢٤٠.
- ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧. جرموالتو، ٢٦١، ٢٦٢. جرنشیل تيمبل، م ٣، ٧٩٢. جریون دی بادوفا، م ٣، ٨١٢. الجزای، م ٣، ٢١١. جعفر بن أبی طالب، ١٢٨. جعفر بن أحمد بن یوسف (أمیر صقلية من بنی کلب، الملقب بکلب السوف)، م ٢، ٢٧٨، ٢٥٢، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨. جعفر بن البارون (أبو الفضل)، م ٣، ٧٢٧، ٧٢٨. جعفر بن حبيب، م ٢، ٢٦٥. جعفر بن الطيب، م ٢، ٥٤٩. جعفر بن هبید، أبو أحمد، م ٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠. جعفر بن هلی بن القطاع، م ٢، ٢٤٢، ٥١٧، ٥٥٢. جعفر بن محمد، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٧٠. جعفر بن محمد (أمیر صقلية من بنی کلب)، م ٢، ٢٣٥، ٢٣٦. أيضاً هو المذكور فی ٥٤٦. جعفر بن یوسف (أمیر کلبی علی صقلية لقب تاج السولة)، م ٢، ٢٤٠.
- ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧. ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١. ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٥١٨، م ٣، ٧٨٢، ٨٠٧. جغتای، م ٣، ٢١٢. جلال الدین (أمیر البیرو الطوائف مشافیه)، م ٣، ٦١٢. چلیکس، میکلی، ٥٥٨. جمال الدین (محمد بن سالم)، ٤١. چنتلی (اسقف چرچنتی)، م ٣، ١٨٦، ١٨٨. چنتلی (الکونت)، م ٣، ٥٦٠، ٥٦٦، ٥٦٢. چندوان، م ٢، ١١٧. چنسیکو، ٩٦. جورینو (الحاجب)، م ٣، ٢٥١. جواتیپرو (رئيس اساقفة بالرمو)، م ٣، ٢٧٦. جواتیپرو دی باپلریا، م ٣، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٩٧. جواتیپرو (اسقف چرچنتی)، م ٣، ٢١٠. جواتیپرو دی سیمول، م ٣، ١١١. جواتیپرو دی موال (ادمیرال)، م ٣، ٢٥٢. جواتیپرو دی مودیکا، م ٣، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٢٥. جواتیپرو، أمیر سالونو، ٤١٢، ٤١٦، ٤٤٧، ٥١٦. جواتیپرو (أمیر

- سالرنو، م ۳، ۴۱، ۴۲، ۱۲۱، ۱۲۸،  
چوپرت، م ۵۶، ۵۵،  
چودیکا دی اشر، م ۳، ۹۸، ۹۹،  
چورچو (الاستورالچی)،  
۱۱۰،  
چورچو الانطاکلی  
(الامیرال)، ۷۲، ۷۹، ۴م،  
۲۵۰، ۲۵۱، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹،  
۲۹۸، ۲۹۹، ۳۰۱، ۳۰۲،  
۳۰۷، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۰،  
۳۱۱، ۳۱۳، ۳۱۴، ۳۲۰،  
۳۲۵، ۳۲۷، ۳۲۳، ۳۳۰،  
۳۶۷، ۳۸۵، ۳۹۱، ۳۹۲،  
۳۹۵،  
چورچو پرویاتو، م ۲، ۲۷۸، ۲۸۶،  
چوردانو، ابن روجیرو  
کولت سقلیه، م ۴، ۱۵۵،  
۱۵۶، ۱۵۹، ۱۶۱، ۱۶۵،  
۱۶۶، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۸۰،  
۱۸۲، ۱۸۳، ۱۹۵، ۳۱۱،  
چوردانو، ابن ریکاردو،  
امیر کابوا، م ۳، ۱۲۷،  
۱۲۶،  
چوردانو التورملی، م ۳،  
۵۱۵،  
چوردیالو (الراهب)،  
۱۷۸،  
چورینزو جاسپرید، م ۳،  
۶۵۰،  
القدس، جوزیپ  
ایزوجرانو (کاتب  
المذبح)، ۱۱۳، ۲۸۹،  
۲۹۱، ۳۰۱، ۵۵۳، ۵۶۹،  
چوستینو، ۱۱۱،  
چوستینان، ۱۲۲، ۱۷۸،  
۲۶۷، ۲۶۹، ۲۷۲، ۲۷۵،  
۲۸۲،  
چوستینان الثانی، ۲۸۶،  
چوستینانو  
بارلیشباتسیو، ۳۱۱،  
۳۵۲،  
چوستینانو الثانی، م ۳،  
۷۹۰،  
چوسفرید (چوهری)،  
۴م، ۲۸۹،  
چوفا (ملکه انجلترا،  
زوجة جولیمو الأول)، م  
۴، ۳۵۲،  
چوفا (ابن الادميرال  
اوجینو)، م ۴، ۳۱۸،  
چوفا حنید اوجینو  
(الادميرال)، م ۴، ۳۱۸،  
چوفا انطونيو چنتر،  
م ۴، ۸۲۹،  
چوفا اوریسیولو، م ۴،  
۳۸۷،  
چوفا (الراهب)، م ۴،  
۳۹۰، ۴۰۲،  
چوفا پالریانو، ۴۶۲،  
چوفا بولو دی  
چورچو، م ۴، ۸۲۵،  
چوفا الیلخ، م ۴،  
۶۲۶،  
چوفا بیلانو، م ۴،  
۳۵۱،  
چوفا تشیکالا،  
القدس، م ۳، ۶۱۱،  
چوفا، ابن الادميرال  
چورچو، م ۴، ۲۶۲، ۳۵۱،  
چوفا دا بالرمو، م ۴،  
۶۶۵، ۶۶۶، ۶۶۷،  
چوفا (دیاکون  
قنیسیا)، ۲۸،  
چوفا دا سالزبورج،  
م ۴، ۱۸۱،  
چوفا رومیو، م ۴،  
۳۵۶،  
چوفا شیلانی، م ۴،  
۵۷۵،  
چوفا (القائد)، م ۳،  
۶۶۲،  
چوفا ابن قسطنطین،  
من سقلیه)، م ۴، ۶۶۲،  
چوفا ابن کریزیدورو  
(الاميرال)، م ۴، ۳۵۰،  
چوفا لونجوباردو، م ۴،  
۲۸۹،  
چوفا (المعلم)، م ۴،  
۷۵۱،  
چوفا (مؤلف المقود)،  
م ۳، ۱۲۲،  
چوفا الملقب بالمرور،  
م ۴، ۶۸۱،  
چوفا (اسقف  
مالطه)، م ۴، ۱۸۸،  
چوفا دا سینا، م ۴،  
۵۱۶،  
چوفا القیل، م ۴، ۹۱،  
چوفا، دیاکونو  
کالونی، ۲۹،  
چوفا، دیاکون نابولی،  
۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۸، ۳۱۹،  
۳۵۸، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۶۸،  
م ۲: ۶۲، ۷۱، ۷۲، ۷۳،  
۸۶، ۹۱، ۹۸،  
چوفا راکیتا، القدس،  
ایلیا شاپ، ۵۶۲، ۵۶۳،

۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۶۹	خسرو، م ۳، ۶۱، ۲۱۸، ۵۸۵	جولیمو	۵۸۵
۵۶۸	۲۲۶، ۲۲۹، ۲۶۲	جولیمو دی	۵۸۵
جولفانی شهرامیو، ۵۶۰	۲۲۱، ۲۲۵، ۲۱۸، ۳۵۵	بیتشینیاگو، م ۳، ۲۸۲	۵۸۵
جولفانی السقلی، ۲۰	۲۵۹، ۲۸۹، ۱۲۱، ۱۲۵	جولیمو ابن قاتکریدی	۵۸۵
۱۹۵، ۵۵۷	۱۵۳، ۱۵۵، ۱۵۶	(ملك سقلية)، م ۳	۵۸۵
جولفانی انگریزی (حاکم	۱۵۷، ۱۶۱، ۱۷۰، ۱۷۱	جولیمو	۵۸۵
بالویونیزو)، ۲۹۰، ۳۹۱	۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۷۸	جولیمو الثاني (ملك	۵۸۵
جولفانی لیگالووالتی،	۱۸۱، ۱۸۳، ۵۷۰، ۶۲۹	الچلترا)، م ۳، ۱۸۸	۵۸۵
البیتریرک، ۵۱۹	۶۱۰، ۶۵۵، ۶۹۱، ۷۳۰	جولیمو	۵۸۵
جولفانی مونزالوتی، م ۲	۷۷۸، ۷۸۱، ۸۰۸، ۸۱۱	جولیمو	۵۸۵
۱۵۹	جولیمو الثاني (ملك	جولیمو الثاني (ملك	۵۸۵
جولفانیو، م ۳، ۶۸	۲۱۰، ۲۱۲، ۲۱۳	سقلية)، م ۳، ۲۱۰	۵۸۵
جولفانیو، ابن الکوفت	۱۱۰، ۱۱۲، ۱۱۳	جولیمو الجروسو، م ۳	۵۸۵
روچیرو، م ۳، ۱۹۵	۱۷۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸	جولیمو (دوق بولیا)	۵۸۵
جولفانیو ریدانی	۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۵، ۲۲۶	جولیمو (دوق بولیا)	۵۸۵
ایونیدانی، م ۳، ۶۶، ۶۹	۲۱۶، ۲۱۷، ۲۵۲، ۲۵۳	جولیمو	۵۸۵
۷۰، ۷۲، ۷۶	۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۵، ۲۹۷	جولیمو الصالح	۵۸۵
جولفانیو (کاهن کلیسا)	۲۰۵، ۲۱۵، ۲۲۲، ۲۲۳	(الملك)، ۶۰، ۶۸	۵۸۵
یاالینا)، م ۳، ۵۹۲	۲۵۲، ۲۵۹، ۲۸۹، ۲۹۶	جولیمو کلاپی، ۵۱۱	۵۸۵
جولفانیو (اسقف	۱۵۲، ۱۵۳، ۱۵۶، ۱۵۷	جولیمو کبانیو، م ۳	۵۸۵
سینا)، م ۳، ۳۱۱	۱۶۱، ۱۷۰، ۱۷۱، ۱۷۲	جولیمو	۵۸۵
جولفانیو دی هوتفیل	۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۷	جولیمو	۵۸۵
م ۳، ۵۱، ۵۷، ۶۶، ۶۷	۱۷۸، ۱۸۰، ۱۸۱، ۱۸۲	جولیمو (کبیر لیاقت)	۵۸۵
جولفانیو (خلفون)، م ۳	۱۸۸، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۱	سور)، م ۳، ۳۷۲، ۳۷۳	۵۸۵
۵۹۲، م ۳	۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴	جولیمو	۵۸۵
جولفانیو، م ۳، ۵۳۰	۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴	جولیمو مالابریوت، م ۳	۵۸۵
الامبراطور جولانیو	۵۰۷، ۵۱۲، ۵۱۳، ۵۱۵	جولیمو	۵۸۵
المرق، ۲۲۲	۵۱۶، ۵۱۷، ۵۱۹، ۵۲۰	جولیمو دی مالی، م ۳	۵۸۵
جولیمو لیاو، م ۳، ۲۸	۵۲۲، ۵۲۳، ۵۲۴، ۵۲۵	جولیمو دی مالسبورگ	۵۸۵
۲۹، ۳۰، ۳۵، ۳۷	۵۲۹، ۵۳۰، ۵۳۱، ۵۳۲	جولیمو	۵۸۵
جولیمو لورقلینو، م ۳	۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۹، ۶۰۵	جولیمو	۵۸۵
۵۱۶	۶۰۹، ۶۱۰، ۶۱۲، ۶۱۹	جولیمو مائو سبلیانو	۵۸۵
جولیمو الأول (الطنج،	۷۲۰، ۷۲۹، ۷۳۰، ۷۳۱	جولیمو	۵۸۵
ملك الجلترا)، م ۳، ۲۶	۷۵۰، ۷۶۲، ۷۸۰، ۸۲۱	جولیمو سوناگو (دی	۵۸۵
۲۲۲، ۳۵۹، ۴۲۱	۸۳۰، ۸۳۱	کاستروچولانی)، م ۳	۵۸۵
جولیمو الأول (ملك	جولیمو	جولیمو	۵۸۵
سقلية، جولیمو	(الجنوی)، م ۳، ۵۷۹	جولیمو	۵۸۵

- (الزراع الحديدي)، م ٢، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ١٠٠.  
 م ٣، ٢٩، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ١١، ١٢، ١٥.  
 جويليمو (شقيق)  
 جويليمو دي هوتفول،  
 م ٣، ١٢، ١٥، ٥٦، ٥٦.  
 جويلير، ٧١.  
 جويليو (النصراني)، م ٣، ٢٥٧.  
 جوتتر، ١١٧.  
 جوتنير (كولت)، م ٢، ٣٢٠.  
 جوهري الصقلي، ٥٦.  
 م ٢، ١١٢، ٢٠٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣، ٢٦٠، ٧٩٥.  
 الجوهري، م ٢، ٥١٨.  
 جويبالدو (رئيس)  
 الرهينان، م ٣، ٢٩٢.  
 جويدو دا جيوليتو، ٥٠١.  
 جويدو، دوق جيوليتو، ٥٠٤، ١٢٩.  
 جويدو الثالث، دوق  
 سيوليتو، ٥١١، ٥١٧.  
 جويدو دي سيبا، م ٢، ٣٢٩.  
 جوينبول، ٦٢.  
 جيبالجوس باسكواني، ٢٤، ١٢، ١٤، ٥٢، ٨٥.  
 جيبون، ١٦٢، ١٨٣، ١٩٦.  
 جيو دي بولجي، م ٣، ٧٨٠، ٧٩٢.  
 جيرالدمو (استف)
- جورجنتي، م ٣، ٣٠٤، ١٢٢.  
 جيزولفو (أمير سالون)،  
 م ٢، ١٧٠، ٣، ١٤٦، ١١٧.  
 جيفنارد (كولت)، م ٢، ٣٢٠.  
 الجيهاني، م ٣، ٦١٣.
- (ج)  
 حاجي خليفة (مستطفي)  
 بن عبد الله، ٢٧، ٤١، ١٢، ٥٠، ٦٧، ٨٥، م ٢، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، م ٣، ٦٩٢، ٦٩٤، ٦٩٩.  
 الحارث، شقيق يحيى بن  
 عبد العزيز، م ٣، ٤١٥.  
 الحارث وعبد الله، م ٣، ٤١٥.  
 الحاكم بأمر الله، م ٢، ٤٢، ١١٢، ٢٢٦، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٢، ٤٦٠.  
 الحاكم م بن هشام، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤.  
 حامد بن علي (من  
 الواسط)، ٢٦.  
 حبيب بن أبي عبيدة، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧.  
 الحجاج بن يوسف، م ٢، ٧، ٣٧٤، ٣٦٢، م ٣، ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٦٧.  
 الحسن بن علي  
 (النهدي)، م ٢، ٥٠٨، ٥٠٩.  
 الحسن بن علي بن أبي  
 الحسين (أبو القاسم)، ١٠٦.
- حسن بن أحمد بن علي  
 بن كليب، الملقب بن أبي  
 خنزير، م ٢، انظر ابن  
 أبي خنزير، م ٢، ٢٦٩، ٢٧٥.  
 الحسن بن رشيق (أبو  
 علي)، انظر ابن رشيق.  
 الحسن بن صباح، م ٢، ١٢١.  
 حسن بن عباس، ٤٧٧، ٤٨١.  
 الحسن بن عبد الباقي  
 (أبو علي) الباجي، م ٣، ٧٠٣.  
 الحسن بن علي، م ٢، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٧.  
 الحسن بن علي (أمير  
 المهديّة القزويني)، م ٢، ٣٧٤، ٣٦٢، م ٣، ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤٦٧.  
 الحسن بن علي  
 (النهدي)، م ٢، ٥٠٨، ٥٠٩.  
 الحسن بن علي بن أبي  
 الحسين (أبو القاسم)، ١٠٦.

أمرام بنتي كليب علي	١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ٥٥٨،	الحطمي (أبهر تونس)،
صقلية، م ٢، ٢٤١، ٢٤١،	٥٦١، م ٣، ٧٢،	م ٣، ٨٢٨،
٢٤١، ٢٤١، ٢٤١، ٢٤٠،	حسين بن أحمد، ٤٨٢،	الحطميون، ٨٠، ٨١،
٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٢، ٢٥١،	الحسين بن أحمد، من	٨٦،
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،	صنهام، المصروف	الحطمي، م ٢، ١٢١،
٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٢،	بالشيعي، انظر عبد الله	الحطمية، م ٢، ١٠٢،
٢٧٥، ٢٩١، ٢٨٢، ٤٢٥،	الشيعي،	١٠٥،
٤٦٠،	حسين، من بالرمو، م ٣،	جماد بن بلقين، م ٢،
الحسن بن علي بن جعد	٢٥٦،	٢٦٦، ٢٦٨،
(أبو محمد)، م ٢، ٥٠١،	حسين بن جوهري، م ٢،	الحصادي، م ٣، ٤١٥،
حسن بن علي بن أبي	٢٩٢،	الحصاديون (بنو حماد)،
حسين الكلبلي، أبو	حسين بن رباح، ٤٥١،	م ٣، ٢٩٦، ٤٠٠، ٤٢٠،
القاسم، م ٢، ٢٠٩، ٢١٠،	٤٥٢، ٤٧٠، ٤٧٧،	حمدان (أل)، م ٢، ٢٨٤،
الحسن بن علي بن أبي	حسين بن شنتير، م ٣،	٢٧٥،
طالب، م ٢، ١١١، ١٢٠،	٢٠٦،	حمدان بن شعث، الملقب
حسن بن علي (من قبيلة	الحسين بن علي بن أبي	قرمط، م ٢، ١٢١،
حظليل، وكنيته ابن	طالب، م ٢، ١١٢، ١٢٠،	حمدون، م ٢، ٥٤٦،
السوسي)، م ٣، ٢١٤،	حسين بن علي الكندي،	حمديس، ٢١٩،
٧١٧،	م ٣، ٢٥٦،	حمزة (القائد)، م ٣،
الحسن بن ضار، م ٢،	حسين الفرياني (أبو	٢٦٥،
٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٢،	الحسن)، م ٣، ٤١٢،	حموتو روجيرو، م ٣،
٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٢٦،	٤٦٠، ٤٦١،	٥٢٥، انظر ابن حمود،
٢٢٧، ٢٢٨،	حسين الفرياني (أبو	بنو حمود، م ٣، ٢٢٧،
الحسن بن صبر بن	الحسن)، م ٣، ٤٥٢،	بنو حمود (حكاه
منكود (أبو محمد)، م ٢،	٤٥٩،	قرطبة)، م ٣، ١٧٥،
٤٣١، ٥٤٩،	حسين (القائد)، من	٢٢٧،
حسن بن محمد الباجي،	كسابو (القصر)، م ٣،	الحصوي، م ٣، ٥٢٤،
٢٦٠، ٢٦٢،	٢٦٤،	الحصدي، م ٢، ٥٠٢،
حسن بن لقاد، ٤٨٨،	حسين (القائد)	الحصدي (أبو عبد الله
الحسن بن واد (أبو علي)	واستراتيجي)، م ٣، ٢١٢،	محمد بن أبي نصر)، ٥٢،
المصروف بالقرن الثاني،	حسين بن همام، م ٢،	الحصيريون، ١٨٢، ٢١٠،
م ٣، ٧٢٥،	٢٧٢،	حنظلة بن سطون، ٢٠٢،
الحسن بن يوسف،	الحشاشون، م ٣، ٦٢٢،	٢١١،
الملقب بمصام الدولة،	الحضرمي، م ٢، ٦٢،	حواشي، انظر علي بن
أبهر من بني كلب، م ٢،	حنظيل (قبيلة عربية)،	نعمه،
٢٨٥، ٢٨٩، ٤٠١، ٤٢٠،	م ٣، ٢١٢، ٧١٧،	حياء، ٤٢٠،
٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤،	حفص بن حميد، ٢٢٥،	

- (خ)
- خالد بن عبد الله القصري، م ٢، ٧٨٨.
- خالد بن الوليد، ١٥٠، ١٩٧.
- خالد بن يزيد بن معاوية (هشيسوف آل مروان)، م ١٠٢، ١٠٣.
- السيدة خديجة (زوجة الرسول)، ١٢٠، ١٣١، ١٣٤.
- خُذَاع (قبيلة)، ٥١.
- الطحاوي (أبو عبد الله محمد بن سلامة بن خضر)، ٥١.
- الخرمانيون، م ٢، ٣٥.
- الخرميين، م ١٢، ١١٤.
- خضر (القاضي)، م ٢، ١٦٦.
- خفاجة بن سفيان بن سواد، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٦.
- خلف بن إبراهيم بن الحصان، م ٢، ٤٩٨، ٤٩٩.
- خلفون بن زياد، ٤١٢.
- خلفون، صديق ربيعة، ٤٢١، ٤٢٢.
- خلف بن عبد الله البرقي، م ٢، ١٨٨، ٥٠٩، ٥٥٢.
- خليفة، زعيم مسلمي جرينلان، م ٢، ١٦٩.
- خليل (صاحب الخمر)، م ٢، ١٥١، ١٥١.
- خليل بن اسحق (الفيدي)، م ٢، ٤٩٥.
- خليل بن اسحق بن يود أبو العباس، م ٢، ١٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.
- ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٠.
- ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٩، ٤١١.
- خليل زاده، م ٢، ٧٠٢.
- خليل (سلطان مصر المملوكي)، م ٢، ٢٦٤.
- خمرلية (أمير من بني طولون)، م ١٣، ٧٩٠، ٧٩٥.
- الخوارج، م ٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨، ١٢١.
- ١٢٥، ١٢٨، ١٤٤، ١٩١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٩١، ٥٥٦.
- الخوارزمي، م ٢، ٦١٤.
- الخوارزميون (البربر)، م ٢، ٦١٢، ٦١٤، ٦٢٢، ٦٢٣.
- الطواف، م ٢، ٦١٥.
- خولان (قبيلة عربية)، م ٢، ١٨٨.
- (د)
- دالتزير ماسيمو، م ٢، ٣٥.
- دالو، م ٢، ٢٢.
- دانون حاتمان، م ٢، ٧٩٢.
- دالونيرو (ال)، م ٢، ٥٤٦.
- الكويت داسيوريان، ٢٩٧.
- دانتس الجيبيرو، م ٢، ٨٢٩، ٨٤٤.
- دانشولو، م ٢، ١٥٠.
- دانيال الحبس، م ٢، ٢٦٨.
- داليس، ٤٩٩.
- الدافيون، م ٢، ٢١.
- داليل، ٢٦٢.
- داهريولوت، ٤٠.
- داوشيتو روبراتو، م ٢، ٨٢٢.
- داوود بن المنظم (الملك الفارسي)، م ٢، ١١٠، ٦١٦، ٦١٥.
- داتشيزيو، ٣٤٥.
- دراج، م ٢، ٤٩٢.
- دريبورج، ٤٥.
- درنجوت جابر، لو بواتيس، راونولفو، فكتوريش وابرمولفو، م ٢، ٢٢، ٢١.
- دروجوني دي هوتشيل، م ٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٥٢.
- الدروز، م ٢، ١٠٦، ١٢٢، ١٤٢.
- دروزيانا (دا) روجيرو، م ٢، ٢٨٧.
- دزيدريو (رئيس الرهبان)، م ٢، ٢٨، ١٧١، ٨١١.
- دزيدرير (الملك)، ٢٥٧.
- دمتي لوجيو، م ٢، ١٤٦.
- دقلديانس (الامبراطور)، ٩٥.
- دل چوميتشي، چوميزيو، م ٢، ٢٠٢.
- الدمشقي، انظر يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم.



- الدمشقي، شمس الدين  
 أبو عبد الله محمد، ٧٢.  
 الدميري (كمال الدين  
 عبد الله)، ٧٩.  
 دميعة، انظر أبا محمد.  
 دليس، جورجيو، م ٣،  
 ٨١٤.  
 دهمان (قبيلة)، م ٣،  
 ٢٧٨.  
 دوشيانو، ميخائيل  
 (القائد)، م ٢، ٢٩٩.  
 ١٠١، ١٠٢، ١٠٤.  
 دوشيبيلي، ٥١٢.  
 دوچا، م ٣، ٤١.  
 دوچت، ٨٥.  
 دودولي، دي سان  
 كوينتينو، م ٣، ٢٦، ٢٨.  
 دورن، ب.، م ٣، ٦٢.  
 دوزي، م ٣، ٨٢٠.  
 دوزي، دي ليدن، ٢٤، ٤٢.  
 ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤.  
 ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٧١.  
 ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٢.  
 ٨٤، ٨٥.  
 دوشين، م ٣، ٦٥، ٦٧.  
 دوكلنچين، م ٣، ٨٤٨.  
 دوکسپاتزو، انظر نيلو  
 دوکسپاتزو، م ٣، ٤٥٠.  
 ٦٢٥، ٦٢٦.  
 دولفو، دي ديتشيتو، م ٣،  
 ٥٠٨.  
 دوماس (الجنرال)، م ٢،  
 ٤٢.  
 دوما تری، م ٣، ٥٠١.  
 دومياي، ٧٢.  
 دومنيك، دي رافانکو، م ٣،  
 ٣٨٢.  
 دولس، أو دولوس، م ٣،  
 ٢٠٦.  
 دي بلازی الطيب، م ٣،  
 ٥٢٥.  
 دي بيولو، ليوني، م ٣،  
 ٨٢٥.  
 ديتمان، م ٢، ٢٢٦، ٢٢٧.  
 م ٣، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢.  
 ١٤.  
 دي جروسي، ٢٩.  
 دي چوفاني، بونو  
 جورجيو، م ٣، ٨٢٥.  
 دي چوفاني، چوفاني،  
 ١٧٨، ٥٤٢.  
 دي چيني، ٧٥.  
 ديدولي (كولت)، م ٢،  
 ٢٢٠.  
 دي سلسي، م ٢، ٨٦.  
 دي سالن، البارون مارك.  
 چوكين، ٢٢، ٢٨، ٤٥.  
 ٤٦، ٤٩، ٥٤، ٦٥، ٧٠.  
 ٧٢، ٧٦، ٨١، ٨٢، ٤٨٨.  
 دي سيمولي، كورنيليوس،  
 م ٣، ١٩٨.  
 دي شيريف، م ٣، ٥٢٨.  
 الديصانية، م ٢، ١١٢.  
 ١١٩.  
 دي شرچيد، م ١، ٧٦، ٨٢.  
 ديفولتين، م ٣، ٧٩٢.  
 دي فيوري، چوزيبي، ٢٤.  
 ديلائوتشي، دوجيورو، م ٣،  
 ٢٨٧.  
 ديلي، فينيا بيورو، م ٣،  
 ٥٩٧، ٦١٠، ٦٧٧.  
 دي لونجورو (كبير  
 رهبان)، م ٢، ٤٦٤.  
 دي ماراما، لوقا، م ٣،  
 ٤٦٩.  
 ديومستينيس، م ٢،  
 ٥٢٥.  
 ديومستينيس، ١٢٥.  
 دي ميرو، م ٣، ٣٩.  
 ديها (الكاهنة)، ١٩٥.  
 ٢٠١.  
 ديوبولفو، م ٣، ٥٦٢.  
 ٥٦٦، ٥٦٧.  
 ديوجيني لاسيوس، م ٢،  
 ١٠٥.  
 ديونور، ٩١، ٢٦٦، ٢٦٩.  
 ديودور الصقلي، م ٢،  
 ٤١٨.  
 ديوزالور، م ٣، ٢٠٦.  
 ٨٢١.  
 ديولينزو، ٥٥٢.  
 ديولينزو (القاضي)، م ٣،  
 ٨٢٥.  
 (د)  
 الذهبي (شمس الدين  
 أبو عبد الله)، ٧٦، م ٣،  
 ٧٠٥.  
 (ز)  
 زادهگلي، ٤٦١، ٤٦٢.  
 ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٢٠.  
 ٤٢٢.  
 الزاوي، م ٣، ٦٧٠، ٨٢٦.  
 رافع بن مغان بن كامل،  
 م ٣، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥.  
 ٢٦٦، ٢٦٧، ٤٠٥.  
 راکسيديس رشيد (حاكم  
 مسينا)، م ٣، ٦٦، ٦٢.  
 رامبولدي، ٢٠، ٢١، ٢٢.  
 ٤٦٩.  
 رازاما، لوقا، م ٣،  
 ٤٦٩.

- رامون، دي ميشيكن، م ٣٣، ٢٦٤.  
 ٢١٢، ٣٣.  
 رانيري، دي مانيتش، م ٣٣، ٥٥٩، ٥٦٠.  
 راول، دي بلباس، م ٣٣، ٢٤٢.  
 رواليجيرو، م ٢٣٢، ٢٤٢.  
 رزاق بن عبد الله، م ٢٣، ٥٢٧، ١٥٥١. انظر  
 محمد بن سهل.  
 رستم (أل)، م ٢٠٤.  
 الرشيد (الخليفة)  
 الصوحدى، م ٣٣، ٦٧٢.  
 ٦٧٥.  
 الرشيد بن المعتز بن  
 عباد، م ٥٢٨، ٢٣٨.  
 رشيدة بنت المعز  
 (الخليفة الفاطمية)، م ٢٣، ١٦٠.  
 ركمويه، م ٢٣، ٢٥، ٦٦.  
 ٧٠.  
 رمون، دي ميشيكن، م ٣٣، ٢٦٤.  
 رنداسك، حاكم كلوزيمنا،  
 م ١٩١، ٢٣.  
 روبرتو، ابن هوج  
 بورجونيا، م ٢١٢، ٣٣.  
 روبرتو (اسقف ترينتا)،  
 م ١٩٢، ٢٣.  
 روبرتو (اسقف  
 تريكاركو)، م ١١٨، ٢٣.  
 روبرتو جويسكاردو، م ٢٣،  
 ٣٥٥، ٢٩٢، ٢٩٧، ٤٠٩.  
 ٢٧٧، ٢٣، ٢٧.  
 ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٤٨.  
 ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣.  
 ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨.  
 ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦.  
 روبرتو (كونت)  
 رومون، دي ميشيكن، م ٣٣، ٢٦٤.  
 رانيري، دي مانيتش، م ٣٣، ٥٥٩، ٥٦٠.  
 راول، دي بلباس، م ٣٣، ٢٤٢.  
 رواليجيرو، م ٢٣٢، ٢٤٢.  
 رزاق بن عبد الله، م ٢٣، ٥٢٧، ١٥٥١. انظر  
 محمد بن سهل.  
 رستم (أل)، م ٢٠٤.  
 الرشيد (الخليفة)  
 الصوحدى، م ٣٣، ٦٧٢.  
 ٦٧٥.  
 الرشيد بن المعتز بن  
 عباد، م ٥٢٨، ٢٣٨.  
 رشيدة بنت المعز  
 (الخليفة الفاطمية)، م ٢٣، ١٦٠.  
 ركمويه، م ٢٣، ٢٥، ٦٦.  
 ٧٠.  
 رمون، دي ميشيكن، م ٣٣، ٢٦٤.  
 رنداسك، حاكم كلوزيمنا،  
 م ١٩١، ٢٣.  
 روبرتو، ابن هوج  
 بورجونيا، م ٢١٢، ٣٣.  
 روبرتو (اسقف ترينتا)،  
 م ١٩٢، ٢٣.  
 روبرتو (اسقف  
 تريكاركو)، م ١١٨، ٢٣.  
 روبرتو جويسكاردو، م ٢٣،  
 ٣٥٥، ٢٩٢، ٢٩٧، ٤٠٩.  
 ٢٧٧، ٢٣، ٢٧.  
 ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٤٨.  
 ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣.  
 ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨.  
 ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦.  
 روبرتو (كونت)  
 رومون، دي ميشيكن، م ٣٣، ٢٦٤.  
 رانيري، دي مانيتش، م ٣٣، ٥٥٩، ٥٦٠.  
 راول، دي بلباس، م ٣٣، ٢٤٢.  
 رواليجيرو، م ٢٣٢، ٢٤٢.  
 رزاق بن عبد الله، م ٢٣، ٥٢٧، ١٥٥١. انظر  
 محمد بن سهل.  
 رستم (أل)، م ٢٠٤.  
 الرشيد (الخليفة)  
 الصوحدى، م ٣٣، ٦٧٢.  
 ٦٧٥.  
 الرشيد بن المعتز بن  
 عباد، م ٥٢٨، ٢٣٨.  
 رشيدة بنت المعز  
 (الخليفة الفاطمية)، م ٢٣، ١٦٠.  
 ركمويه، م ٢٣، ٢٥، ٦٦.  
 ٧٠.  
 رمون، دي ميشيكن، م ٣٣، ٢٦٤.  
 رنداسك، حاكم كلوزيمنا،  
 م ١٩١، ٢٣.  
 روبرتو، ابن هوج  
 بورجونيا، م ٢١٢، ٣٣.  
 روبرتو (اسقف ترينتا)،  
 م ١٩٢، ٢٣.  
 روبرتو (اسقف  
 تريكاركو)، م ١١٨، ٢٣.  
 روبرتو جويسكاردو، م ٢٣،  
 ٣٥٥، ٢٩٢، ٢٩٧، ٤٠٩.  
 ٢٧٧، ٢٣، ٢٧.  
 ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٤٨.  
 ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣.  
 ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨.  
 ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦.  
 روبرتو (كونت)

٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٤، ٢٥٢	١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧	كثيرمونت)، م ٣، ١٩٥.
٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦٢	١٨٥، ١٨٤، ١٨٢، ١٨١	روبرتسون، م ٣، ١٦٥.
٢٧٢، ٢٧٠، ٢٦٧، ٢٦٦	١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦	رولتو (دي) ستيفانو
٢٧٧، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٢	١٩٢، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠	(كوت بيرسن)، م ٣،
٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٢، ٢٨١	٢٠٢، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤	٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١
٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٧	٢١٧، ٢١٤، ٢٠٨، ٢٠٧	٢٨٨، ٢٨٧
٢٩٤، ٢٩٢، ٢٩٢، ٢٩١	٢٢٩، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٨	روچيرو الأمانلي، م ٣،
٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٥	٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٢، ٢٢٠	٢٢١
٤٠٧، ٤٠٦، ٤٠١، ٤٠٠	٢٤٨، ٢٤٦، ٢٤٢، ٢٢٩	روچيرو الأول (دوق
٤١٤، ٤١٢، ٤١٢، ٤١٠	٢٦٥، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٥	بوليا)، م ٣، ٢٨، ١٢٩
٤١٨، ٤١٧، ٤١٦، ٤١٥	٢٧٢، ٢٧٢، ٢٦٨، ٢٦٧	١٨٥، ١٨٤، ١٦٧، ١٥٠
٤٢٢، ٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩	٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤	١٨٦، ١٨٨، ٢٤٠، ٢٧٢
٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢٢	٢٩٦، ٢٨٩، ٢٨١، ٢٨٠	٢٧٢، ٢٧١، ٢٣٩، ٧٧٥
٤٢٠، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤٢٧	٣٠٦، ٣٠٠، ٢٩٩، ٢٩٨	روچيرو (الكوت)، ٦٤
٤٢٤، ٤٢٢، ٤٢٢، ٤٢١	٣٠٦، ٣٠٤، ٣٠٢، ٣٠١	٣٠٥، ٤٧٧، ٥٢٤، ٥٢٥
٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٦، ٤٢٥	٣١٢، ٣١١، ٣٠٩، ٣٠٧	م ١، ٢٩٢، ١٠٨، ٤٠٩
٤١٢، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٩	٣٢٧، ٣٢٢، ٣٢٠، ٣١٦	٤١٢، ٤١٥، ٤١٢، ٥٦٢
٤١٦، ٤١٥، ٤١٤، ٤١٣	٣٣٤، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨	م ٣، ٢٨، ٢٩، ٤٥، ٤٨
٤٥٠، ٤٤٩، ٤٤٨، ٤٤٧	٣٤٠، ٣٣٨، ٣٣٦، ٣٣٥	٥٠، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩
٤٥٤، ٤٥٢، ٤٥٢، ٤٥١	٣٤٤، ٣٤٢، ٣٤٢، ٣٤١	٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧
٤٨١، ٤٨٠، ٤٧٧، ٤٦٢	٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٥	٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٢
٦٢١، ٥٢٩، ٥٢٥، ٤٩٠	٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٢	٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠
٦٢٧، ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٢٢	٥٩٩، ٥٩٢، ٤٧٢، ٣٥٨	٨١، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢
٦٤٤، ٦٤٢، ٦٤٠، ٦٣٨	٧٧٥، ٧٧٢، ٧٦٨، ٧٥٦	٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨
٦٥٢، ٦٥١، ٦٥٠، ٦٤٧	٨٢٨، ٨٠٧، ٧٨٢، ٧٨٢	١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٢
٦٥٧، ٦٥٦، ٦٥٤، ٦٥٢	٨٢٢	١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩
٦٦٢، ٦٦٢، ٦٦١، ٦٥٨	روچيرو الأول (ملك	١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٦
٧١٢، ٦٨٨، ٦٧١، ٦٦٥	سكليه)، ١٩، ٦٤، ٧١	١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١
٧٢٢، ٧٢٠، ٧١٩، ٧١٨	٥٢١، ٤٧١، ٣٠٥، ٧٩	١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٢
٧٢٤، ٧٢٢، ٧٢٥، ٧٢٤	٤٥٦، ٤٢٩، ٤١٥، ٤٠٦	١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٢
٧٢١، ٧٢٨، ٧٢٦، ٧٢٥	٤٩٠، ٤٥٧، ٦٤، ٥٤، ٣٠	١٣٤، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٨
٧٢٩، ٧٢٧، ٧٢٢، ٧٢٢	٢٠١، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦	١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤
٧٢٢، ٧٢١، ٧٢٠، ٧٥٠	٢٥٥، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢١٦	١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٢
٧٧٥، ٧٧٢، ٧٧٠، ٧٦٨	٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٦٢	١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧
٨٠٥، ٧٨١، ٧٧٩، ٧٧٦	٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٢، ٢٨٢	١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١
٨١١، ٨٠٩، ٨٠٨، ٨٠٧	٣١٩، ٣١١، ٣٠٦، ٣٠٥	١٦٢، ١٦٦، ١٦٤، ١٦٢
روچيرو چوسيفينو، م	٣٢٩، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٢٢	١٦٤، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٦

- ١٦٠، ١٨٠، ١٨١، ١٩١، ٣٠٤، ٥٨، ٥٥، ٥١، ٤٩، ٣٠٤،  
ريگاردو (امير كاپوا)، م ٣،  
٢٧، ١٢١، ١٢٧، ١٢٨،  
١١٦، ١١٨، ١٨٧،  
ريگاردو (القائد)، م ٣،  
٢٦٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨،  
ريگاردو دا سان چرمانو،  
م ٣، ٥١٥، ٥٣٩، ٥٤١،  
٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨١، ٥٨٥،  
ريگاردو دي كازرتا  
(الكونت)، م ٣، ٥٩٦،  
ريگاردو (كونت موليزي)،  
م ٣، ١٨٨،  
ريگاردو الثاني (كونت  
نورمانديا)، م ٢، ٤٢٤،  
م ٣، ٣٢،  
ريموسا، ٨٦،  
رينو (راهب قانوني)، م ٣،  
٢٨٩،  
م، رينو، ٢٢، ٤١، ٤٦،  
٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٦، ٦٠،  
٦١، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١،  
٧٣، ٧٩، م ٢، ٢٠٨،  
رينودوت، ١٢،  
(ز)  
زعليش، ٢٨،  
الزهران، م ٢، ١٨٢،  
الزهر، م ٢، ٥٢٤، م ٣،  
٤٩٢،  
الزهر بن قيس، ١٩٤،  
زجوة (قبيلة من قبائل  
اليبري)، م ٣، ٢١١،  
زوادشت، ٢١٢،  
الزركشي (أبو عبد الله  
محمد بن إبراهيم)، ٨٤،  
زهيت، م ٣، ٢١٢،
- ١٦٠، ١٨٠، ١٨١، ١٩١،  
٢٢٦،  
رومانو  
(الامبراطور)، م ٢، ٢٦٥،  
رومانو  
الثالث  
(الامبراطور، أرجيرو)،  
م ٢، ٢٧٧، ٢٩٠،  
رومانو (امير سالرنو)،  
م ٢، ٢٤٢،  
رومانو (رئيس أسقف  
سالرنو)، م ٣، ٤١٨،  
٤٣١، ٤٦٩، ٤٨٨، ٤٩٧،  
٨٠٢، ٨٠٨، ٨٠٩،  
رياح (قبيلة)، م ٣، ٢٧٨،  
ريتشارد الأول (دوق  
نورمانديا)، م ٣، ٤٥،  
ريتشارد قلب الأسد، م ٣،  
٥١٢، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٣٢،  
٧٦٤،  
ريجا بن أبي الحسن علي  
بن أبي القاسم حيد  
الرحمن بن ريجا (أبو  
الفضل)، م ٣، ٧١٨،  
ريجاهو (قبيلة من قبائل  
اليبري)، م ٣، ٢١١،  
ريجينالدو (شمس  
مونت كاسينو)، ١٣٥،  
ريجينوني (راهب  
المنلي)، ٤٢٧،  
ريخار (اليارون)، م ٢،  
٣٣٠،  
ريد، توماس، ٤٢،  
ريغلي، ٧٢، ٧٤، ٨٥،  
ريغه (قبيلة من قبائل  
اليبري)، م ٣، ٢١٢،  
ريغس، م ٣، ٢١٢،  
ريگاردو (كونت لشرسا)،
- ٢، ١٢٢،  
روچيرو دي هوفكن، م ٣،  
٥١٢، ٥٢٩،  
روچيرو سكيافو، م ٣،  
٢٢٤، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٥،  
روچيرو اسقف سيراكوزا،  
م ٣، ٢٠٤،  
روچيرو ثاينا، م ٢،  
١٢٧،  
رودريجو، ٥٢٠،  
رودوفيلو، م ٢، ٩٢،  
رودوفو، انظر درنجوت،  
م ٣، ٢٦، ٢٦،  
رودوفو (كونت بيشري)،  
م ٣، ٢٦،  
رودوفو جلابرو، م ٣،  
١٩، ٢٢،  
رودوفو دي ديتشيتو،  
م ٣، ٥٠٦،  
روزيه، م ٣، ٧٨٧، ٧٨٨،  
روسو، م، الفونس، ٢٤،  
٤٢، ٥٨، ٧٢، ٨٤،  
روفو (ال)، م ٣، ٢٢١،  
روفو (الماركين)، م ٣،  
٢٥،  
روي، م ٣، ٢٢، ٢٤، ٥٩،  
٢١٤،  
رولان، أدريانو، م ٢، ٤٦٤،  
رولاندينو، م ٣، ٦٦٦،  
الرومان  
(الشعب  
الروماني)، ٩١، ٩٠، ٨٩،  
٩٢، ١٠٤، ١٨٠، ١٨١،  
١٨٤، ١٨٨، ١٩٧،  
٢٠٥، ٢١٢، ٢٤٠، ٢٥٤،  
١٧٦، م ٣، ١٧١، ٢١١،  
رومانو ليكسينو الأول  
(الامبراطور)، م ٢، ١٥٩،

زهبني (أل)، م ٢، ٢٠٤.	٢١٤، ٢١٩، ٥٦٧، م ٢.	١٠٩، ١٠٨.
م ٣، ٢٢٠، ٢٢٧، ٥١٤.	١٥٩، ١٧٢، ١٨٠، ٢٩٠.	زيميش، م ٢، ٢١٧، ٢١٨.
٥٢٨، ٥٧٤، ٥٩٠، ٦٠٧.	٢٩٧، ٤٠٤، ٤٠٦.	زيتب بنت عبد الله
٦١٤، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٧١.	زيتد، م ٣، ٧٨٨، ٨١٢.	الأنصاري، م ٣، ٢٥٦.
٦٨١، ٨١٥.	زياد بن سهل بن السكيتية	٢٢١.
زهبني (سكيتية)، ٢١.	(من سلالته)، ٢٢٧.	زيان السكيتي، أبو الفتح،
زكريا (الأسقف)، ٥٥٠.	زيادة الله بن إبراهيم بن	م ٩، ٢٢٥.
زكريا (البابا)، م ٢، ١٧٥.	الأغلب، ١٩١، ٢٢٦.	
زكريا (القائد)، م ٢، ٢١٧.	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٠١.	(ص)
زيادته (قبيلة من قبائل	٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦.	سايبا مالا سيينا، م ٣،
البربر)، م ٢، ٢٨، ٤٢.	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٢٠.	٢٢٥.
٢٠٥، ٢٩٢، ٢٩٨، ٢٦٤.	٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٢.	سابقو، م ٣، ٢٠٩.
٢٦٦، م ٣، ٩٩، ٢٦١.	٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥.	سابقية فرانشسكو، م ٣،
الزنادقة، م ٢، ١١٧.	٢٦٦، ٢٧٢، ٤٠٠، ٤٠٦.	٨١٨.
زنجوي، والد نور الدين،	زيادة الله (الأمير	سابقويتا (دا) جرانو،
م ٣، ٤٠١، ٤٥١.	الأغلب)، م ٣، ٧٩٠، ٧٩١.	م ٣، ٦٦٧.
الزنجي، أبو سلطان، م ٢،	٧٩٢.	سائقو (سعيدة، القائد)،
١٩٤.	زيادة الله بن عبد الله	م ٩، ٢٤٨.
زقوبية، ١٩٤.	(أبو منس)، الخمر أمراء	الساسانيون، ١٢٢، ١٥٤.
الزروج، م ٢، ٢٤، ١٧٥.	بنو الأغلب، م ٢، ٧٨.	٢١٢، م ٢، ١٠٢، ١١٤.
٢٠٢، ٢٢٥، ٢٨٧، ٢٩٧.	٨٧، ٩٧، ٩٨، ١٢٠، ١٢١.	ساسني، م ٦٢، ٦٩.
٢٩٦.	١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.	ساقونارولا، ٥٧٠، ٤٩٦.
الزهرى (ابن أبي عبد	١٢٩، ١٤٦، ١١٧.	ساقويا (عاقلة)، م ٣،
الله محمد بن أبي بكر)،	زيد (قبيلة صربية)، م ٣،	٧٦٥.
٨٢.	٢٧٨.	ساقونو، ياكوبو، م ٣، ٦٢.
زهير بن هوث، ٢٥١.	زيدان السكيتي، م ٢،	سالم بن أسد بن راشد،
زوزة بن نعم الحلف،	٢٦٥.	م ٩، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٩.
٢٢٢.	الزيريون، ٢٨، ٢٩، ٢٢٤.	١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.
زوتيكو زوتيك (أل)، م ٣،	م ٢، ٢٠٩، ٢٤٦، ٢٩٢.	١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢.
٢٠٦.	٢٩٤، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٦.	٢١١.
الزوزيني، محمد بن	٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٦٨.	سالوستيو، ١٨٢.
علي، م ٢، ١٧٥، م ٣،	٢٨٢، ٢٨٩، ٢٢٩، ٤٢٥.	سالمبيني، م ٣، ٦٦٧.
٦٥٩.	٤٦٠، ٥٢٩، ٥٦٠، م ٣،	سالمترينو (دوق)، ٢٥.
زولارا، ٢١٢.	٨٧، ٨٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢.	الساميون، م ٢، ٥٠٧.
زوية (بنة تيوديتشو)،	١١٥، ١١٦، ١٧١.	سان أجريبينو، م ٢،
م ٣، ٢٤٨.	٢٢٨، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣.	٢٥٨.
زويد (الإمبراطورة)،	٢٦٥، ٢٦٧، ٤٠١، ٤٠٧.	سان لوسيمو (رئيس

سابقه كاتريوري، م ٣،	٥٦٨.	١٩٧، ٢٨٧.
١٨٨.	سابقه شينيرا دا جالا،	سان لوقا دي ديموني،
سان انطونيو الصقلي،	٥٦٩.	م ٢، ٢٥١، ٤١١، ٤١٨.
م ٢، ٤٢٠.	سابقه لوقشيا، م ١٠٢، ٢،	٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢.
سان انطونيو المتوحد،	٤٠٢.	سان لويجي، م ٣، ٦٠٨.
م ٢، ٢٢١.	سابقه مارينا، م ٣، ٤٢٢.	٦٢٨.
سان ايليو، ١٠٢.	سابقه لينا، ١٠٢.	سان ليونوكا، ٥٦٨.
سان لولاف، م ٢، ٢٩٧.	سان لومازو دي	سان ليوني الراقيني،
سان ايلاريوني، م ٢	كاتريوري، م ٣، ٢١٨.	٢٨٩، ٢٩٠.
٢٢١.	٥١٦.	سان ماسيمو، ١٧٢.
سان ايليا دي ريجو، م ٢	سان تيودورو الصقلي،	سان ميثوديو، ٥٤٨.
٤٢١.	م ٢، ٤٢٠.	٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١.
سان ايليا دي	سان جريجوريو	سان نيكولو، ٥٥١.
كاستروچوفاني، م ٢	(القديس غريغوريوس)،	سان نيلو الجوفاني، ٢٩.
٤٢١.	م ٢، ٤١١، ٤١٤، ٥٠٢.	م ٢، ١٧٨، ٢١٨، ٢٢١.
سان بارتولوميو، ٤١٧.	سان چنارو، م ٢، ٢٥٨.	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥.
٥٥١.	سان چوفاني زيربستا،	سانتو (أو) سانودو،
سان بائالتايني، ٥٤٦.	م ٢، ٢٥٤، ٤٢٢.	مارينو، م ٣، ٥٠٨، ٥٠٩.
سان بانكراسيو، ٥٤٥.	سان چيرالاندو، م ٣،	٧١٨.
م ٢، ٨٢.	٢١٠، ٢٢١.	سابقه دا بالرمو،
سان برباندنو، م ٣، ٦٥٢.	سان سابا، م ٢، ٤٢٠.	چوزيبي، م ٣، ٢٠٢.
سان برباندو، م ٣، ٢٨٩.	٤٢١، م ٣، ٢٥٨.	سيرنيچر، ٤٥. م ٣،
٤١٠، ٤٢٣.	سان سيرونو، م ٢، ٦٢.	٨١٦، ٨٢٠، ٨٢٥.
سان بركوبيو (الصقل)	٩٤، ٩٥، ٩٨.	سبينولا، نيكولو، م ٣،
لارمينيا)، ١٨٢، ٤٩٧.	سان سيموني، م ٢، ٤٢٢.	٢٥٢، ٢٥٤، ٦٠٦، ٦٠٨.
٥٦٩، م ٢، ٦٠، ٦٢، ٨٦.	٤٢٤.	سبينولي، دومينكو، ١٩.
٨٧، ٤١٣.	سان فيتالي دي	م ٣، ٢٥، ٢٢٨، ٤١٢.
سان برونوني، م ٣، ١٨٨.	كاسترولوقو، م ٢، ٤١٤.	٧٧٤، ٧٧٦.
١٩٦.	٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢.	سبينولي ماتيو، م ٣،
سان بلاتشيدو، ١٧٧.	سان فيلاريو، م ٣، ٢٨٥.	٥٩١، ٦٢٦.
١٧٩.	٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠٧، ٤١٠.	ست الكال (بنت القائد
سان بندكتو، ١٧٨.	٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣.	سمود)، م ٣، ٢٥٦.
٤٢٦.	سان فيلاريو البالرمي،	ستابيلي، مارينو، ٢٥.
سابقه انچا، ١٠٢، ٥٥٨.	٢٥٨، ٥٤٠.	ستامبشيدو، م ٣، ١٧٦.
سابقه انجريينا، ٢٤٥.	سان كالوجيرو، ٥٥٦.	ستروبولي، م ٣، ٦٥٧.
٢٤٦.	سان كورنتينو (چوليو	ستراكو (لقب سالك)،
سابقه لوليفه البالرميت.	دي كورتي دي)، م ٣،	م ٣، ٢٢١.



- سليم بن صالح، ٢٢٤. ٥٤١. سيليبيلا اريتريا، ٢٠، ٢٣. سيليسترو الثاني (اليابا)، ٣، ٩. سلقيا الأسطواني، من علماء الحديث، م ٢، ١٤٧. ٥٠١. سيمون، م ٣، ٨٤٢. سيمون (كولت) سيراكوزا، ٣٥. سيرجو (اليابا)، ١١٢. سيرجو، ٢٦٧. سيرجو (قائد صقلية الأعلى)، ٢٨٧، ٢١٩. سيرجو (الدوق، قنصل نابولي)، ٤٣٥، ٥٠٦. سيرجو (راهب دير سان كالوجيرو)، ٥٥٦. سيرلوتي، م ٣، ٧١، ١٠١. ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٨. ١٢٩، ١٤٠، ٢٩٨. سيميتو الخامس (اليابا العلامة)، ١٧٨، ١٧٩. سيرورن، ٩٢، ٢٢١. سيف الاسلام، أحد أمراء الأيوبيين، م ٣، ٢٦٤. سيف الدين، م ٣، ٦١٠. ٦٨٨. سيكارنو (الأمير)، ٣٧٦. ٣٧٧، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧. ٤١٨. سيكاردي (أسقف كرمونا)، م ٣، ٢٤١. ٣٥٢، ٣٧٢. سيكاسمو، ٥١٢. سيكاسكا (الأميرة)، م ٣، ١٥٠. سيكولوفو، ٤١٨، ٤٢١. ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٠. سيكوني، ٤١٥. سيجيلا (الملكة)، م ٣، ٥٢٠. سيجمان بن يحيى بن عثمان بن أبي دنيا، م ٢، ١٩٨. سليورو، ٩٢. سيمون (قائد عسكري)، ٤٦٤. السمنطري، م ٢، ٤٩٤. ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٥. سمنان، م ٣، ٧٨٦. السنيون (أهل السنة)، م ٢، ١١٢، ١٨٩، ٢٠٨. ٢٢٥، ٢٦٨، م ٣، ٦٨٩. ٦٩٥. سودة بن محمد بن خلفا، ٤٨٢، ٤٨٤. سودان، ٤٩٤. سوردافالي (دي) جوليمو، م ٣، ٢٢١. سوردافالي (دي) روبرتو، م ٣، ١٦٥، ٢٢١. سوردافالي (دي) سانسوني، م ٣، ٢٨٢. سواروفو (رويس) أساقفة سيراكوزا، ٤٦٠، ٤٦٨، ٤٦٣. سيبويه، م ٢، ٥٢٠. سيجيلا (الملكة)، م ٣، ٥٢٠.
- سيبيورجس، ٥٥٧. سيليسترو الثاني (اليابا)، م ٣، ٩. سلقيا الأسطواني، من علماء الحديث، م ٢، ١٤٧. ٥٠١. سيمون، م ٣، ٨٤٢. سيمون (كولت) سيراكوزا، ٣٥. سيرجو (اليابا)، ١١٢. سيرجو، ٢٦٧. سيرجو (قائد صقلية الأعلى)، ٢٨٧، ٢١٩. سيرجو (الدوق، قنصل نابولي)، ٤٣٥، ٥٠٦. سيرجو (راهب دير سان كالوجيرو)، ٥٥٦. سيرلوتي، م ٣، ٧١، ١٠١. ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٨. ١٢٩، ١٤٠، ٢٩٨. سيميتو الخامس (اليابا العلامة)، ١٧٨، ١٧٩. سيرورن، ٩٢، ٢٢١. سيف الاسلام، أحد أمراء الأيوبيين، م ٣، ٢٦٤. سيف الدين، م ٣، ٦١٠. ٦٨٨. سيكارنو (الأمير)، ٣٧٦. ٣٧٧، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧. ٤١٨. سيكاردي (أسقف كرمونا)، م ٣، ٢٤١. ٣٥٢، ٣٧٢. سيكاسمو، ٥١٢. سيكاسكا (الأميرة)، م ٣، ١٥٠. سيكولوفو، ٤١٨، ٤٢١. ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٠. سيكوني، ٤١٥. سيجيلا (الملكة)، م ٣، ٥٢٠.



صدور كيش (قبيلة من	٧٢١.	٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥
قبائل البربر)، م ٢، ١٠٥، ١٨٢.	الشهرستاني، م ٢، ١٠٥، ١١٢.	٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢.
الصريه، م ١٧٦، ١٧٦.	١١٢.	٢٦٢، ٢٦١، ٢٨٢، ٢٩٥.
السفدي، م ٣، ١١١.	شهران، م ٢، ٣٦٢، ٣٦٥.	٢٩٧، ٣٠٠، ٣٧٦، ٤١٩.
١٢١، ١١٨، ١٧١.	شو، م ٢، ٧٩٢.	٤٩١، ٥٠٧، ٥٠٨، م ٢.
السفدي، صلاح الدين	شولتن (جوفلن)، ٦٦.	١٧٥، ١٨٢، ٢٨٢، ٣٤٤.
خليل بن ليك، ٧٩.	٥٥٧.	٢، ٣، ١٩٠، ١٩٧.
سفي (قلند)، م ٢، ٣١٧.	شيبوني، ١٢٩، ٥٦٦.	١٩٨، ١٣٨، ١٥١، ٦٥٨.
سفي الدين أحمد بن	م ٢، ٨٢.	الشافعي (الإمام)، م ٢، ٢٠.
كركس، م ٢، ٦٨٨، ٦٩١.	شيترون (ماركو دويلو)، ٧٨.	شامي، م ٣، ٢١١.
صلاح الدين الأيوبي	(الشافعي)، م ٣، ٦١٧.	شاهين (وصيف الخليفة
٦١٨.	شيزاري باردا، ٥٥٢.	المهدي)، م ٢، ١٨٢.
صلاح الدين الأيوبي،	٥٥٤.	١٨٤، ١٨٥، ١٨٦.
٥٩، ٦٠، ٦٨، ٧٣، ٨٠.	شيزاري، ابن قنصل	شدرينو، ٢٨، ٣١٢.
٢٢٥، ٤٥٧، م ٢، ٦٦، ٢٣.	ثابولي، ١٢٦، ٤٢٧.	٢١٨، ٥٥٧، م ٢، ١٥٩.
٢٦١، ٢١٧، ١٩٠، ١٩١.	الشيعة، م ٢، ١٠٧، ١١٠.	١٨٠، ١٨١، ٢١١، ٢١٨.
٤٢، ٤٣، ١٩٤، ١٩٥.	١٢٠، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠.	٢٨٥.
٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠.	١٣٢، ٢٦٨، ٣٦٩، م ٢.	شميد، م ٢، ٥٥٢.
٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨.	٦٨٩.	شريونو، م ١، ٢٤، ٥٨.
٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢.	الشيخي، انظر أبو عبد	٦٢، ٨٦.
٥١٣، ٥٢٠، ٦١٠، ٦١٢.	الله الحسين بن أحمد.	شرف الدين أحمد
٦١٤.	شيلستينو الثالث	الزلكولي، ٢٦.
سمنام المول، انظر	(اليابا)، م ٢، ٥٤٦، ٥٤٨.	الشريشي، م ٢، ٦٩٩.
الحسن بن يوسف.	شينامو، م ٢، ٧٦٢.	الشرف قيس الدين من
سمويل (المعلم)، م ٢،	شينشيمو (حاكم	أرميه (قاضي)، م ٢، ٢.
٨٢٥.	املتيا)، ٤٢٨.	٦١٧.
سمويل بن ثيود، م ٢،	(ص)	شريق بن صبي، م ٢، ٥٧٧.
٦٧٦.	الصاندة، م ٢، ١١٠، م ٢،	شكر السقلي (حاكم
سنهاجة (قبيلة)، ٢٩.	٧٧٤، ٧٢٧.	طرابلس)، م ٢، ٣٢٥.
١٠، م ٢، ٢٨، ٢٩٢.	سخر (قبيلة)، م ٢،	شهاب الدين المصري (أبو
٢٩٣، ٣٦٦، م ٢، ٩٩.	٣٧٨.	هيس أحمد بن يحيى،
٢٦٧، ١٦٦.	صدر الدين القنوي، م ٢،	المصروف يابن فضل الله
المنهجي (استنجر)،	٥٠٥.	الدمشقي)، ١١، ٢٠، ٤٠.
٤٨.	سدغيان (عائلة)، م ٢،	٧٦، ٧٧، ٧٨، م ٢، ٥٢١.
(ض)	٤٨٢.	٥٢٦، م ٢، ٣، ٤٢١، ٦٧١.

- شيامة بن محمد، م ٢، ٢٢١.
- الشيخ، أبو سعيد موسى بن أحمد، م ٢، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦.
- انظر موسى بن أحمد.
- (ط)
- طارق بن زياد، ١٩٩.
- طارق، ابنه أومرهدو، ٦١٨، ٢٣٣.
- ظاهر بن محمد بن الرقياني، م ٢، ٥٢٢، ٥٥٢.
- الدولة الطاهرية، م ٨، ٢، ٨٠٢.
- الطبري، ١٢، ١٣٩، ١٧٤.
- الطبري (ابن)، م ٢، ١٥، ٢٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨.
- طليح بن زريق، م ٢، ١٥٦.
- الطنطاوي، الشيخ محمد هيد، ٦١.
- الدولة الطولونية (بنو طولون)، م ٢، ٢، ٨، ٥٢، ٧٩، ٧٧.
- (ظ)
- الظاهر (الظليفي)، م ٢، ٢١٦.
- (ع)
- عاصر بن نايع، ٢٢٩.
- العباديون، ٢٠١، ٢٠٢.
- ع ٢، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٥٤.
- عباس بن عمرو (أبو فضل)، م ٢، ١٩٢.
- عباس (عم النبي)، ١٤٤، ٢١٤.
- العباسيون (الخلافة العباسية)، ١١٢، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣.
- ع ٢، ٥٢، ١٠١، ١٠٢، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٦، ١٨٩، ٢١٥، ٢٦١، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٢٧، ٤٦٩، م ٢، ٣، ٧٩٠، ٤٢٦، ٤٩١.
- عبد الجبار بن عبد الرحمن بن سبرين، م ٢، ٥٢٧.
- عبد الجبار بن محمد بن حمديم، م ٢، ٢، ٢١٢، ٤٠٨، ٥٢٨، ٥٢٠، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩.
- ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٥٢، م ٢، ٢، ١٥٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٨، ٣٨٠.
- عبد الجوابتي (القائد)، م ٢، ٣، ٦٦١.
- عبد الحق البئسي، م ٢، ١٧٧.
- عبد الحق بن سبرين، ٢٣٣، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٧٥.
- عبد الحق بن شرون (أبو محمد)، م ٢، ٤٨٩، ٤٩٨، ٤٩٩.
- عبد الحليم بن عبد الواحد، م ٢، ٧٢٦، ٧٢٧.
- عبد الحميد بن عبد الرحمن بن شعيب، م ٢، ٤٦٤.
- عبد الرحمن بن أبي بكر بن عتيق بن خلف، الملقب بأبن الفحام، م ٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٤٩٩، ٥٢٣، ٥٥١.
- عبد الرحمن بن أبي العباس الأظربنشي (القرطبي)، م ٢، ٢، ٤٤١، ٤٥١، ٧٢٠، ٧٢١.
- عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام، ٢٢٤.
- عبد الرحمن بن حبيب، ٢١١، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، م ٢، ٣، ١٢.
- عبد الرحمن بن حسن، الملقب بمستخلص الدولة، م ٢، ٥١٨.
- عبد الرحمن بن رمضان المالطي (أبو القاسم)، م ٢، ٣، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٩١، ٦٩٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٠.
- عبد الرحمن بن زياد، ٢٤٦.
- عبد الرحمن بن هيد الغزلي، م ٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٨١.
- عبد الرحمن بن هيد الغني (أبو القاسم)، م ٢، ١٨٨، ٥٠٦، ٥٥١.
- عبد الرحمن بن هيد الله بن زيدون، القروي (أبو طاهر)، م ٢، ٣، ٢١١.
- عبد الرحمن بن هرفكو، م ٢، ٢٠٦.
- عبد الرحمن اللواتي، م ٢، ٢٥٦.

- عبد الرحمن بن لؤلؤ  
(شيخ المولدة) م ٢٨٨، ٢٨٠، ٥٥٠.
- عبد الرحمن بن محمد  
(أبو محمد الصقلي)،  
م ٥٧، ٢، ٥٠٦.
- عبد الرحمن بن محمد  
بن هجر البوتيري  
الصقلي، م ٣، ٤٥١، ٧٢٠،  
٧٢٤.
- عبد الرحمن الناصر  
لدين الله الأموي م ٢،  
٢٦٦، ٢٥٥، ٣، ٧٩١.
- عبد الرحمن النصراني،  
أنظر كريستودولو: م ٣،  
٢٥٠، ٢٥٧، ٢٧٥، ٢٧٧.
- عبد الرحيم بن محمد  
ابن ثباته، م ٢، ٥٢١.
- عبد السلام بن سعيد  
الملقب بـحنون الفقيه،  
م ٢، ٢٢٧، ٢٢٩.
- عبد السلام بن عبد  
الوهاب، ٢٧١.
- عبد العزيز بن أحمد،  
أبو فارس، م ٢، ٤٨٢.
- عبد العزيز البلنوبي، م ٢،  
٥٥٣، ٣، ٦٠٥، ٦٠٦.
- عبد العزيز بن حاكم بن  
حمر (أبو محمد)، م ٢،  
٥٥١.
- عبد العزيز بن الحسين،  
يدعى الصقلي والسعدي،  
ويكنى بالقاضي الجليسي،  
م ٢، ٧٢٩.
- عبد العزيز بن شهاب بن  
تميم (أبو محمد)  
الملقب عز الدين. أنظر
- ابن شداد.
- عبد الكريم (أبو  
محمد)، م ٢، ١٧٦.
- عبد الكريم بن يحيى بن  
عثمان، م ٢، ٤٩٧، ٣،  
٧٠٢.
- عبد الله الأنصاري، م ٣،  
٣٢١.
- عبد الله بن إبراهيم بن  
أحمد (ثلاث أمراء بني  
الأهلب، المكنى أبو  
العباس)، ٣٢٤، ٢٢٥.
- عبد الله بن صالح (أخو  
وزراء زيادة الله)، م ٢،  
١٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٦٥،  
٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠.
- عبد الله بن العباس،  
م ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥،  
٧٦، ٧٧، ٧٨، ١٢٩، ١٣٠،  
١٣١، ١٣٢.
- عبد الله، أبو جعفر  
الصقلي، م ٢، ٢٨٨.
- عبد الله بن أبي مالك  
مصعب، م ٢، ٥٢٢، ٥٥٢.
- عبد الله بن براء، م ٢،  
٥٢٢.
- عبد الله التنوخي، ابن  
قاضي عيلا، م ٢، ٣٤١.
- عبد الله بن حبيب،  
٢٤٨، ٢٤٨.
- عبد الله الطادم، خادم  
قدريكو الثاني، م ٣،  
٧٥١.
- عبد الله بن الزهير،  
١٨٦، ١٨٧، ١٩٤.
- عبد الله بن زياد بن  
أحمد، ١٨٢، ٢٤٦.
- عبد الله بن سبأ، م ٢،  
١١١.
- عبد الله بن سعد، ١٦٥.
- ١٦٩، ١٨٥، ١٨٦، ٢٧٧،  
م ٣، ٧٩٢.
- عبد الله (الصفاح)،  
٢١٤.
- عبد الله بن سفيان،  
١١٢.
- عبد الله بن سليمان (أبو  
القاسم)، م ٢، ٥٤٨.
- عبد الله بن السميتي،  
م ٣، ٦٥٨، ٧٢٦.
- عبد الله بن صالح (أخو  
وزراء زيادة الله)، م ٢،  
١٤٧.
- عبد الله بن طاهر، ٢٢٥.
- عبد الله بن العباس،  
١٠٤، ١٠٥.
- عبد الله بن عبد العزيز  
بن خراسان، م ٣، ٤٢٠،  
٤٢١.
- عبد الله عثمانى  
(القاضي)، ٥٢.
- عبد الله بن عراشي،  
١٨٢.
- عبد الله العزيز، م ٣،  
١١٥.
- عبد الله (أبو علي)، م ٣،  
٧١٣.
- عبد الله. شقيق يحيى  
بن عبد العزيز، م ٣،  
١١٥.
- عبد الله بن شاذان، م ٣،  
٥٠٤.
- عبد الله بن الصفاح، م ٢،  
١٣٣.
- عبد الله بن قيس، ١٦٢،  
١٦٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨.

- عبد الله بن محمد، أمير  
من بني كليب م ٢، ٢٢٦.
- عبد الله بن مخلوف (أبو  
محمد)، م ٢، ٥٥١.
- عبد الله بن المعز بن  
باديس، م ٢، ٢٨٧، ٢٨٨.
- ٢٨٩، ٢٩٨، ١٠١، ١٠٢.
- ١٠٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢.
- ١٣٥، م ٣، ٨٧.
- عبد الله بن منقوت، م ٢،  
١٢١، ١٣٦، ٥١٦، ٥٥٧.
- ٥٥٩، م ٣، ٣٠٥.
- عبد الله بن موسى بن  
نصير، ١٩٩، ٢١٢.
- عبد الله، الملقب  
بالمهدي (أول الخلفاء  
الفاطميين)، النظر  
سميد بن حسين  
والمهدي.
- عبد الله، من بني هود  
(أمير صعيد)، م ٣،  
٦٧٥.
- عبد الله بن ميمون  
(المعروف بالقنطرة)، م ٢،  
١١٨، ١١٩.
- عبد الله بن يحيى، ٥٨.
- عبد الله بن يحيى بن  
حمود، الحارثي (أبو  
محمد)، م ٢، ٥٣٣.
- عبد الله بن يعقوب بن  
قزارة، ١١١، ١١٥، ١١٦،  
١١٧.
- عبد الملك (الخليفة)،  
م ٣، ٧٩٧.
- عبد الملك (قائد  
فرقة)، ١١٧، ١١٨، م ٣،  
٣٥٦، ٢٦١.
- عبد الملك بن قطان،  
٢٢٦، ٢٢٨.
- عبد الملك بن مروان  
(الخليفة)، ٢٠٧، ٢٢٩.
- عبد الملك، النصراني،  
م ٣، ٧٥٩.
- عبد المؤمن، م ٣، ٢٢٦.
- ٢٧١، ٢٧٢، ١١١، ١١٥.
- ١١٦، ١٢١، ١٢١، ١٦٣.
- ١٦١، ١٦٦، ١٦٧.
- ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.
- ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٢.
- ٦٠٠.
- عبد الواحد المراكشي،  
م ٣، ١١٩، ٧-٧.
- عبد الوهاب بن عبد الله  
بن مبارك، م ٢، ٥٥١.
- عبد بنث المعز  
(الخليفة الفاطمي)، م ٢،  
١٥٩.
- عبد الله بن حبيب،  
٢١٦.
- عبد الله، المهدي أول  
الخلفاء الفاطميين،  
نظر سميد بن حسين،  
م ٢، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٤٣.
- ٢٤٨، ٢٤١، ١٦٨، م ٣،  
٣٩٧.
- عبد بن عبد الرحمن،  
٢٤٥.
- العبيديين، م ٢، ١٢٧.
- عتيق بن عبد الله بن  
رحمون الطولاني (أبو  
يكنى)، م ٢، ١١٨، ٥٥١.
- عثمان بن أبي عبيدة،  
٢٤٥.
- عثمان (الحاج)، م ٣،  
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٦١.
- عثمان بن حجاج (أبو  
عمر)، م ٢، ٥٠١.
- عثمان بن حوران، م ٢،  
٣١١.
- عثمان بن عبد الرحمن،  
كنيته ابن الموسى، م ٣،  
٧١٧.
- عثمان بن عبد الرحيم  
بن عبد الرزاق بن جعفر  
بن بشرون بن شبيب (من  
قبيلة لؤي)، م ٣، ٧٢٢.
- عثمان بن عتيق (أبو  
سعيد)، م ٢، ٥٤٥.
- عثمان بن صفان  
(الخليفة)، ١٤٠، ١٤٧،  
١٤٨، ١٦١، ١٦٥، ١٦٧.
- ٢٤٠، م ٢، ١٣، ١٠٧.
- ١٦١، ١٨٤، م ٣، ٥٠١.
- عثمان بن علي بن عمر  
البرقوسي (أبو عمرو)،  
م ٢، ١٨٧، ٥٣٢، ٥٤٢.
- عثمان بن قهر، ٣٦١.
- عثمان بن يوسف  
الجزائري، م ٣، ٢٥٦.
- العثمانيون، ٨٥.
- عجوز الجبل (شيخ  
الحشاشين)، م ٣، ٦٢٢.
- ٦٢٢، النظر بنان.
- عدنان (سلالة)، ١١٥،  
١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣.
- ١١٦، ١١٦، ٢٠٩، ٢١٠.
- ٢١١، م ٢، ٢٤، ٢٥،  
٢٢٩.
- عزيم، ٤٩، ٧١.
- العزيم بالله (الخليفة)،  
م ٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٦١.

المصري، م ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠، -١، -٢، -٣، -٤، -٥، -٦، -٧، -٨، -٩، -١٠، -١١، -١٢، -١٣، -١٤، -١٥، -١٦، -١٧، -١٨، -١٩، -٢٠، -٢١، -٢٢، -٢٣، -٢٤، -٢٥، -٢٦، -٢٧، -٢٨، -٢٩، -٣٠، -٣١، -٣٢، -٣٣، -٣٤، -٣٥، -٣٦، -٣٧، -٣٨، -٣٩، -٤٠، -٤١، -٤٢، -٤٣، -٤٤، -٤٥، -٤٦، -٤٧، -٤٨، -٤٩، -٥٠، -٥١، -٥٢، -٥٣، -٥٤، -٥٥، -٥٦، -٥٧، -٥٨، -٥٩، -٦٠، -٦١، -٦٢، -٦٣، -٦٤، -٦٥، -٦٦، -٦٧، -٦٨، -٦٩، -٧٠، -٧١، -٧٢، -٧٣، -٧٤، -٧٥، -٧٦، -٧٧، -٧٨، -٧٩، -٨٠، -٨١، -٨٢، -٨٣، -٨٤، -٨٥، -٨٦، -٨٧، -٨٨، -٨٩، -٩٠، -٩١، -٩٢، -٩٣، -٩٤، -٩٥، -٩٦، -٩٧، -٩٨، -٩٩، -١٠٠، -١٠١، -١٠٢، -١٠٣، -١٠٤، -١٠٥، -١٠٦، -١٠٧، -١٠٨، -١٠٩، -١١٠، -١١١، -١١٢، -١١٣، -١١٤، -١١٥، -١١٦، -١١٧، -١١٨، -١١٩، -١٢٠، -١٢١، -١٢٢، -١٢٣، -١٢٤، -١٢٥، -١٢٦، -١٢٧، -١٢٨، -١٢٩، -١٣٠، -١٣١، -١٣٢، -١٣٣، -١٣٤، -١٣٥، -١٣٦، -١٣٧، -١٣٨، -١٣٩، -١٤٠، -١٤١، -١٤٢، -١٤٣، -١٤٤، -١٤٥، -١٤٦، -١٤٧، -١٤٨، -١٤٩، -١٥٠، -١٥١، -١٥٢، -١٥٣، -١٥٤، -١٥٥، -١٥٦، -١٥٧، -١٥٨، -١٥٩، -١٦٠، -١٦١، -١٦٢، -١٦٣، -١٦٤، -١٦٥، -١٦٦، -١٦٧، -١٦٨، -١٦٩، -١٧٠، -١٧١، -١٧٢، -١٧٣، -١٧٤، -١٧٥، -١٧٦، -١٧٧، -١٧٨، -١٧٩، -١٨٠، -١٨١، -١٨٢، -١٨٣، -١٨٤، -١٨٥، -١٨٦، -١٨٧، -١٨٨، -١٨٩، -١٩٠، -١٩١، -١٩٢، -١٩٣، -١٩٤، -١٩٥، -١٩٦، -١٩٧، -١٩٨، -١٩٩، -٢٠٠، -٢٠١، -٢٠٢، -٢٠٣، -٢٠٤، -٢٠٥، -٢٠٦، -٢٠٧، -٢٠٨، -٢٠٩، -٢١٠، -٢١١، -٢١٢، -٢١٣، -٢١٤، -٢١٥، -٢١٦، -٢١٧، -٢١٨، -٢١٩، -٢٢٠، -٢٢١، -٢٢٢، -٢٢٣، -٢٢٤، -٢٢٥، -٢٢٦، -٢٢٧، -٢٢٨، -٢٢٩، -٢٣٠، -٢٣١، -٢٣٢، -٢٣٣، -٢٣٤، -٢٣٥، -٢٣٦، -٢٣٧، -٢٣٨، -٢٣٩، -٢٤٠، -٢٤١، -٢٤٢، -٢٤٣، -٢٤٤، -٢٤٥، -٢٤٦، -٢٤٧، -٢٤٨، -٢٤٩، -٢٥٠، -٢٥١، -٢٥٢، -٢٥٣، -٢٥٤، -٢٥٥، -٢٥٦، -٢٥٧، -٢٥٨، -٢٥٩، -٢٦٠، -٢٦١، -٢٦٢، -٢٦٣، -٢٦٤، -٢٦٥، -٢٦٦، -٢٦٧، -٢٦٨، -٢٦٩، -٢٧٠، -٢٧١، -٢٧٢، -٢٧٣، -٢٧٤، -٢٧٥، -٢٧٦، -٢٧٧، -٢٧٨، -٢٧٩، -٢٨٠، -٢٨١، -٢٨٢، -٢٨٣، -٢٨٤، -٢٨٥، -٢٨٦، -٢٨٧، -٢٨٨، -٢٨٩، -٢٩٠، -٢٩١، -٢٩٢، -٢٩٣، -٢٩٤، -٢٩٥، -٢٩٦، -٢٩٧، -٢٩٨، -٢٩٩، -٣٠

[illegible]

١٥٠. عمرو بن يحيى بن عبد الواحد (أبو حفص) أحد أمراء تونس من الحفصيين، م ٣٠٧، ٦٠٧.
- عمرو بن يحيى بن محمد (أبو حفص) من بني حفص، م ٣٠٧، ٦٠٧.
- عمرو بن يعقوب السوسي، م ٢٠٩، ٥٢٢.
- عمران، صاحب الخمس، م ٢٠٢، ١٥٢.
- عمران بن مجاهد، ٢٢٢.
- عمرو بن العاصي، ١٥٨، ١٨٨، ١٨٥.
- عمرو بن معاوية القيسي، ٢٢٧.
- عنان، م ٣٠٢، ٨٢٥.
- عنقر، م ٣٠٣، ٥٧٧.
- عيسى بن الخيال، ٢١٢.
- العياشي (الفقيه)، م ٣٠٦، ٦٩١.
- عيسى بن جابر، م ٣٠٢، ٧٦٧.
- عيسى بن جرجير (بن جرجر)، م ٣٠٦، ٢٠٦.
- عيسى بن عبد المقيم الصقلي (أبو موسى، الفقيه والشاعر)، م ٣٠٢، ٧٢٨، ٦٦٢.
- عيسى، من قبيلة، م ٣٠٢، ١٠٥.
- (ف)
- فائق، م ٣٠٢، ٣٠١.
- فادير، م ٣٠٦، ٢٠٥، ٢٠٠، ٢٠٠، م ٣٠٧، ٦٥٣، ٢٢٧، ٢٢١.
- ٨٢٨.
- فانجو سلفوري، ٣٥.
- فادير، م ٣٠٦، ٢٢٩.
- الفاوسي، م ٣٠٢، ١٨١.
- ١٨٧.
- فارس، ١٧.
- فاسانو، م ٣٠٢، ٨٢٩.
- الفاصي، م ٣٠٢، ٦٨٦، ٦٩١.
- فاطمة (بنت النبي)، م ٣٠٢، ٦٢٧.
- الفاطميون، ١١، ٢٩.
- ٦١، ٦١، ٨٢، م ٣٠٢، ٩.
- ١٢، ٥٤، ١٢١، ١٢٢.
- فرخوار (الحاكم)، ٢٠٩.
- ٢٢٠.
- فرخوريوس امبستا (أسقف سيراكوزا)، ١١٢.
- ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٢.
- ٥٦٩.
- فرخوريوس ديكابوليتا، ٥٥٢.
- فرخوريوس روزاريو، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٥.
- ١٠، ١٧، ١٨، ٥٢، ٧٢.
- ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٥، ٣١٦.
- فرخوريوس (حاكم نظريكية)، ١٥٦، ١٨٥.
- ١٨٦.
- فرخوريوس (حاكم صقلية)، ٢٦٤، ٢٩٩.
- ٢٢٠.
- فرخوريوس (القنصل)، م ٢٠٢، ٩٩، ٩٢.
- فرخوريوس (القديس)، ١٠٢، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧.
- ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١.
- ١١٢، ١١٢، ٢٥٢، ٢٦٦.
- ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥.
- ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٥٧، ٢٥٩.
- ٥٦٩، م ٣٠٢، ١١١، ١١٢.
- ٥٠٢.
- فرخوريوس الأول (القديس، الأقبس)، ٥٢٥.
- فرخوريوس الثاني (البابا)، ١٧٣، ٢٥١.
- فرخوريوس الرابع (البابا)، ١٢٦.
- فرخوريوس الخامس (البابا)، م ٣٠٢، ٢٢٢.

١٢٤١، ١٢٣٧، ١٢٣٧، ١٢٣٨	الفايز بالله (الخليفة)	٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨
١٤٠، ١٤٥، ١٥٨، ١٦٠	الفاطمي، م ٢، ٧٢٩	٦٦٩، ٦٧٢، ٦٧٢، ٦٧٤
١٦٩، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٦	فطر المين، م ٣، ٦١١	٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩
١٨٩، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٩	٦١٧، ٦١٨	٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٧٢٦
٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦	فدرجو لوفوريتش، م ٢	٧١٧، ٧١٨، ٧٥٠، ٧٥٢
٢٠٧، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٥	٢٩٢	٧٥١، ٧٦٦، ٧٦٦، ٧٦٨
٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧	فدرجو باريلوسا، م ٢	٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧٨، ٧٨٢
٢٦٠، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦	١٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٥٤	٨١٢، ٨١٨، ٨٢٥، ٧٨٢
٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٢٦	٤٩٢، ٥٢٠، ٥٨٧، ٦٨٠	٨٤٤
٢٢٧، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٨	فدرجو داجونا (ملك)	فرانشيسكو الثاني (ملك)
٢٧٠، ٢٨٢، ٤٢٧، ٤٦٨	سقلية، م ٢، ٤١٢، م ٢	فرنسا، م ٢، ٦٦٢
٤٦٩، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٤٨	٦٠٨، ٧٧٠، ٨٢٧، ٨٤٥	فرج بن سالم، م ٣، ٦٦٦
٥٥٧، م ٣، ١٦٠، ٢٦٠	فدرجو الثاني دي	٨٢٦
٢٧٨، ٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩	زيفيا (الإمبراطور)	فرج محمد، م ٢، ٢٤٩
٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٧	٢٢، ٤١، ٦٩، ٢٩٦، ٤٤٩	فرجيليو، م ٣، ٤٥٠
٢٦٤، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٩٨	٥٢٢، م ٢، ٢٠٠، ٢٥٤	فريدناندو الكاثوليكي،
٢٩٩، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٤٤	٤٤٤، ٤٧٥، ٤٨٢، ٥٥٥	٢٠٤
٤٥٤، ٤٧٠، ٤٩١، ٥٢٤	م ٣، ١٧٥، ٢٢٢، ٢٢٤	الفرنسي، ١١٩، ١٥١
٥٥٧، ٧٩٥، ٨٠٠، ٨٠٥	٢٥٤، ٢٦٦، ٢٩٢، ٢٩٦	١٥٤، ١٧١، ٢١٢، ٢١٥
فانسون، م ٣، ٨٢٩	٢٢٤، ٢٥٢، ٢٥٤	٢١٦، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٠
فانكالدو أوجو، م ٢	٢٥٨، ٢٦٠، ٢٩٩، ٤٢٢	م ٢، ٢٤، ٢٩، ٢١٥
٢١٢، م ٣، ٢٠٦، ٢١٦	٤٢٥، ٤٧٨، ٤٥٦، ٥٤٨	١٨٠، ٢٧٥، ٥٥٤، م ٣
٢٢٤، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٢٠	٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٥	٧٨٥
٤٥٤، ٤٦٨، ٤٥٥، ٤٦٩	٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٢، ٥٦٢	فرغلوش، انظر الأصيغ
٤٧٢، ٤٨٧، ٥٢٢، ٥٢٦	٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩	بن وكيل
٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢١، ٨٠٢	٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٢	الفرنجة، ٩٥، ١٨٠
فانكولي بينقنتي، م ٣	٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩	٢٠٥، ٢٢٤، ٤١٠، ٤٩٦
٢٨٩، ٢٩٢، ٤٤٢	٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤	٥٠٢، ٥٢٧، م ٢، ٧٢
فانامونكا أويرتو، م ٣	٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩	٧٦، ٩٠، ٩٢
٥٩٢، ٥٩٩	٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٤	فرنسيون، ٨٧
فانتيغو لملكه ٢٨١	٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٩	فرديزي لوفوسو، م ٣
فامين، م. سيزار، ١٩	٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٥	١٦
٤٦١	٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠	فرج بن سعيد، ٢٤٤
فانتيغو السيراكوزي	٦١٢، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦	فرديني (بارون)، ٢٥
(القميص)، ٢٠٠، ٢٠١	٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠	فرديستدا (زوجة)
فاوستو لازونير، م ٣	٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٥	لغكريدي، م ٣، ٤٨، ٥١
٦٧٦	٦٢٨، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٤	فريرة (قبيلة)، ١٧٥، م ٢



[illegible]

٧١ م. ٢٢٧، ١٥٠ م. ٣٠٠	قسطنطين الخامس، م ٢	(ك)
١٥٠، ٦٤٢، ٦٥٥، ٦٥٨	١٢٧	كاتومير، م. ٥٢، ٦٩
٧٢٦، ٧٢٢، ٧٢١، ٧٢٤	قسطنطين كرامالو	٨٢، ٧٨، ٨٢
٨٢٨	١٥٥ م. ٢، ٨١، ٨٢، ٩٠	كاتوماريا جوفلني، م ٢٣
قس (الأسقف)، ١٢٢	قسطنطين كوبرونيمو	٢٨٩
٥٢٥، ٥٢٦ م	٥٤٤، ٣٩١	كاروي (المسيحة)، ٣٥
قسطنطين الأول	قسطنطين لوجوتيتا	كاتومس فيانا، م ١٦٥، ٣
(إمبراطور)، ١٠٢، ٢٥٥	٢٥٠	١٨٦
٢٦١، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢	قسطنطين مونوماكو	كاردون، ٧٥
٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٢، م ٢٣	(التاسع)، م ٢، ٣٩٧	كارلو الأخير، انظر كارلو الثاني دانجو
٢٠٢، ٥٢	١٠٦ م. ١٨، ٥٠	٢١، ٢٣، ٢٤
قسطنطين	قسطنطين، نيل جنوب	كارلو البسيط، م ٨٥
بروفيروجنيتو، ٣٦٧	إيطاليا وحكامها، ٥١٨	كارولي، جان رينالدو، ٨٥
٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦	قسند، ١٩١، ١٩٢	كارلو دانجو، ١٥٧، م ٢
٣٢١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٤٤٢	١٩٢، ١٩٤، ٢٠١	١٢، ١٧، م ٢، ٥٢٢
١٦٠، ١٥٩، ٢٠١ م. ٢١١	قسى بن هاشم، ١٢٩	٦٢٩، ٦٧٠، ٦٨١، ٧٨٢
قسطنطين (بطوربك	١٣٠	٨٢٦
انطاكية)، ١١٢	قشاعة (قبيلة عربية)	كارلو دانجو الثاني، م ٢٣
قسطنطين الثالث	٢٢٩، ٢ م	٥٩٠، ٦٠٢، ٦٠٧، ٦٠٨
(إمبراطور)، ١٧٥	القضا، ٦١	كارلو الكافو، ٤٢٢
قسطنطين الثامن	القطاني، انظر محمد	١٧٤، ١٧٥، ١٩٢، ٤٩٥
(الإمبراطور)، م ٢١٨، ٢٣٧٧	بن أبي فرج بن فرج بن	٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣
قسطنطين جوفجيل،	أبي القاسم، (أبو عبد	٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥١٧
٢٦٦، ٢٦٦ م	الله).	٢٠٢، ٢ م
قسطنطين جيتانو، م ٢٩	الطيفي، م ٢، ٦٨٥	كارلو ملرتيلو، ٢٢١
٩	٦٨٦، ٦٩٤	٢٢١
قسطنطين الخامس	قلايون (سلطان مصر)	كارو (رئيس اساقفة
(إمبراطور)، ٢٩٢	٨٦ م. ٣، ٦٢٥، ٦٢٨	موريلي)، م ٢، ٥٧١
قسطنطين السادس، م ٢	٧٦٩، ٧٩٦	كاروزو، جامباتيستا، ١٢
٢٢٢، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٦	القشاني، م ٢، ١٩٠	٤٧، ٧٢، ٧٨، ٨٥
قسطنطين سودا (حاكم	القماري، ٨٢	كاروزو، جوفيل، ١٨
صقلية)، ٢٨٢، ٢٩٦	القوط، ٩٧، ١٠٦	٢٤، ٢١، ٤٠
٢١٥، ٢١٦	١٨١ م. ٢، ١٦٢، ٧٨٥	كاريزي، ٢٠، ٥٢، ٦٧
قسطنطين السكلي	قسى (قبيلة)، ٢٠٢	كاستيلاني (أل)، م ٢٣
(شاص)، ٥٥٧، م ٢٣	٢٢٧ م. ٢، ٥٤، ٢٣	٢١٢
٦٦٩	٢١١، ٢١٢	كاستيلاني، ٢٥، ٩٢ م. ٩٢
		١٧٢، ٢ م. ٤١٠

- کلفی، جولیمو، ۱۷.  
 کالاتامپانو (دی) روبرتو،  
 م ۳، ۱۸۵.  
 کالاتامپس (دی)  
 سیمونی، م ۳، ۲۲۵.  
 کالونیمو، م ۲، ۳۳۰.  
 کالوجولا، ۹۱. م ۲،  
 ۵۶۰.  
 کالستو الثاني (البابا)،  
 م ۱۰۸، ۲. م ۲، ۲۰۸.  
 کالینیکو، ۳۶۹.  
 کاسولیو، نیکولو، م ۳،  
 ۶۳.  
 کاتا (دی) جواتیریوس،  
 م ۳، ۲۲۱.  
 کتاکولنی، م ۲، ۱-۱۰. م ۳،  
 ۶۲.  
 کتامة (قبيلة من قبائل  
 البيرس) والتاسيون، م ۲،  
 ۳۹، ۱۲، ۵۲، ۷۷، ۱۲۱،  
 ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۸، ۱۶۲،  
 ۱۶۵، ۱۶۶، ۱۷۵، ۲۰۹،  
 ۲۱۱، ۲۲۹، ۲۴۰، ۲۸۶،  
 ۲۹۲، ۲۹۷، ۳۲۶، ۳۳۷،  
 ۳۶۱، ۳۶۲، م ۳، ۱۶۰،  
 ۲۱۱.  
 کراتشولی (المارکین)  
 (نائب ملك سقلية)، ۷۵.  
 کراسییا، م ۲، ۲۵۶.  
 کراکوده (قبيلة من قبائل  
 البيرس)، م ۲، ۳۸.  
 کریفه، ۸۵.  
 کزکومت، م ۲، ۱۷۶.  
 کزیناکی، الشریفه  
 ۱۷۱.  
 کزینودورس  
 کزستودولوس، م ۳،  
 ۳۱۹، ۳۵۰، ۳۵۶، ۳۵۸،  
 ۳۱۶، م ۳، ۳۱۶، ۳۵۵،  
 ۳۱۸، ۳۱۹، ۳۵۵.  
 کزیمت بنت احمد  
 سروازی، م ۲، ۱۹۱.  
 کزینتی الأرمني (فائد)  
 کلابریا)، م ۲، ۲۱۰،  
 ۲۱۱.  
 کزیری لقوشون، ۱۲۲.  
 کزیرا، ۲۱۵.  
 کزینتور، ۹۶.  
 کعب بن زهير، م ۳، ۷۲۲.  
 کفالاری، سافریو، ۳۱.  
 م ۲، ۱۶۱، ۱۶۵، ۲۷۵،  
 م ۳، ۷۸۲، ۸۰۲.  
 کفور، م ۲، ۲۸۶.  
 کلب (قبيلة)، ۲۱۰. م ۲،  
 ۱۹۸، ۲۰۹.  
 الکلیبون (بنو کلب)، م ۲،  
 ۲۱، ۲۹، ۲۲۲، ۲۲۹،  
 ۲۴۱، ۲۴۱، ۲۴۱، ۲۹۷،  
 ۳۱۲، ۳۱۲، ۳۳۸، ۳۴۳،  
 ۳۴۴، ۳۴۸، ۳۴۹،  
 ۳۵۷، ۳۵۹، ۳۷۲، ۳۷۹،  
 ۳۸۲، ۳۸۲، ۳۸۴، ۳۸۷،  
 ۴۱۲، ۴۱۲، ۴۱۲، ۴۱۳،  
 ۴۲۵، ۴۲۷، ۴۲۸، ۴۶۸،  
 ۴۸۷، ۴۹۳، ۵۰۳، ۵۰۸،  
 ۵۲۷، ۵۲۱، ۵۲۰، ۵۱۷،  
 ۵۱۸، ۵۱۹. م ۳، ۷۱،  
 ۹۳، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲،  
 ۳۴۵، ۳۴۸، ۳۸۰، ۳۸۷،  
 ۴۱۰.  
 کلوم، ۲۱۰.  
 کلکلیبون، م ۲، ۲۰۷.  
 کنانة (قبيلة)، م ۲،  
 ۵۵۰.  
 کندی (قبيلة)، م ۲،  
 ۵۳۶، م ۳، ۲۱۱.  
 کوازشی، م ۲، ۱۷۵.  
 کوزمالیتی لپونی، م ۳،  
 ۲۸۹.  
 کوزادو (الراغب)، م ۲،  
 ۱۲۶.  
 کوزادو (استقب  
 حیدر شهم)، م ۳، ۵۸۱.  
 کوزادو الثالث  
 (الامبراطور)، م ۳، ۱۲۲،  
 ۱۲۱، ۱۲۶، ۵۸۷،  
 ۶۲۹.  
 کوزادو الرابع، م ۳، ۲۲۵،  
 ۶۸۱.  
 کوزادو الصالی، م ۳، ۲۱،  
 کوزادو (کونت)، م ۲،  
 ۳۲۰.  
 کوزادو (ملك إيطاليا)،  
 م ۳، ۱۹۲، ۱۹۵، ۱۹۹،  
 کوزادودی مولفرائو، م ۳،  
 ۵۰۶، ۵۰۷، ۶۱۹.  
 کوزا، سقلیوری، م ۳،  
 ۲۰۱، ۴۱۱، ۸۰۹،  
 ۸۲۰.  
 کوزیمو (الراغب)، ۲۵۱.  
 کوزیمو الثالث، ۱۲.  
 کوسین، دی پرسفال،  
 ۷۵، ۸۱.  
 کوسان دی پرسفال، ۷۵،  
 ۷۶.  
 کوستانسا، ابنه روجیرو  
 کونت سقلية، م ۳، ۱۹۵.  
 کوستانسا بنت ابی  
 الفضل، م ۳، ۲۵۷.  
 کوستانسا، زوجة أرجمو

السادس، م ٣، ٤٨٩.	(ل)	٢٢٩، ١٥.
٥١١، ٥١٦، ٥٢٧، ٥٢٨.	اللاتين، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧ م.	لوقه (قبيلة)، م ٢، ٣٤.
٥٢٠، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥١١.	١٧٣ م ٣، ١١٦، ١٨٢.	١١، ٥٢.
٥١٥، ٥١٧، ٥١٨.	٢٩٤، ٣٠٠، ٣١٥.	لوقى، م ٣، ٢١١.
٥١٩، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٥.	لاتيني برونزو، م ٣.	لويو بروتستانتو، م ٣.
٥٥٦، ٥٦٧، ٥٧٩.	٦٦٧.	٢٩، ٣٠.
كوستانس دا راجونا.	لاسكارى، م ٣، ٢٠٢.	لويو (ملك اسبانيا)، م ٣.
زوجة الامبراطور	لافاردينو (دى)	٣٧٣.
فديريكو الثانى، م ٣.	چوفانى، م ٣، ٢٥٢.	لويينو، م ٣، ١٦٩.
٥٦٢، ٥٦٧، ٧٦٦.	لازارينا، مارتينو، ١٧.	لوتاريو
كوستانسو (الملك،	لامبرنو دا سبوليتو	(الامبراطور)، ٣٠٢.
كوستانتى)، ٩٨، ١٥٥.	(الكولت)، ٥٠١، ٥٠٤.	لوتاريو الثانى
١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠.	٥٠٧.	(الامبراطور)، م ٣، ٣٨٩.
١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦.	لاندولو (اسقف كابوا)،	٣٩٠، ٣٩٢.
١٨٩، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٧٨.	٤٩٣، ٥١١، ٥١٧.	لودويك
كوستى، م ٣، ٧٨٥، ٧٨٩.	لاندولو (ابن آتينولو	(امبراطور)، ٣٠٢.
٧٩٤، ٧٩٧، ٨١٦، ٨١٧.	أمير كابوا)، م ٢، ١٧٠.	لودويك الثانى (ملك
كولومان (ملك المجر)،	١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧.	فرنسا الملقب «البابو».
م ٣، ١٩٥.	لاندولو (امير بننتو)،	٥٠٧، ٥٠٨.
كومباريتى، م ٣، ٥٢٢.	١٥٩، ٢ م.	لودويك الثانى
كومنينو مانولى، م ٣.	لاندولو، ابن ياندولو	(الامبراطور)، ٤٢٦.
١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠.	كابودي فيرو، م ٢، ٢١٦.	٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٦.
١٩١، ١٢٥، ١٢٦.	لاندولو (أمير كابوا)،	٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠.
كوتارك، ٤٦٧.	٩٨٢ م ٢، ٣٢٩.	٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤.
كونولى (البابا)، ١١٢.	لاندولو، شقيق	٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٤١.
٢٦٧، ٢٧٥.	ياندولو كابو دي فيرو،	٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥.
كنانة (قبيلة)، ٦١.	م ٢، ٣١٦.	لودويكو
٢٢٦، ٢ م ١٦٦.	لاندولفى (ال)، م ٢.	(الامبراطور)، م ٣، ٥٢.
كنة (قبيلة)، ١٦٢.	٣١٦.	لودويكو السابع (ملك
١٦٦، ٢ م ٢٤.	لانولى، ٥١٧.	فرنسا)، م ٣، ٤٢٥، ٤٢٦.
كنعان، ١٨٢.	لانيمبارو، ٤٤٦.	٤٤٧، ٤٨٤.
كنعان (قبيلة)، م ٢، ٣٤.	لانزا، بيترو، ١٧.	لوربا
كهرمانى، م ٣، ٢١٢.	لانشى، ٢٥.	(الامبراطور)، م ٣، ٢٥٢.
كهرمان، م ٢، ١١٠.	البيدي، ٢٤٤، ٢٤٤.	٦٠٨.
الكسائيت، م ٢، ١١٠.	لطم (قبيلة)، م ٢، ٥٥٠.	لوسكورسو (اليسوى
	م ٣، ٢١١.	الصقلى)، ٥٤١.
	لقمان بن يوسف، م ٢.	لوقا (الأسقف)، ٢٥٧.

٢٥٨.	القديس لوقا (رئيس دير أرمنق)، ٥٢٤.	٢٥٨.	تسالونيكي)، ٥٥١. م ٢.	١٧٩، ١١٢، ١١٦.	١٧٩، ١١٢، ١١٦.
١٠٥.	لوكرتسيو، ١٢٥. م ٢.	١٠٥.	المقلب (بازيلونيكي)، ١٧٢، ٢٥٤، ٢٧٨.	١٧٢، ٢٥٤، ٢٧٨.	١٧٢، ٢٥٤، ٢٧٨.
١٥٧.	اللوهمبارد، ١٥٢، ١٥٧.	١٥٧.	٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠١.	٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠١.	٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠١.
١١٤، ١١٣، ١١٢.	١١٤، ١١٣، ١١٢.	١١٤، ١١٣، ١١٢.	٣١٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤.	٣١٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤.	٣١٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤.
٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧.	٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧.	٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧.	٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧.	٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧.	٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧.
١٠٦، ١٠٩، ١٠٨.	١٠٦، ١٠٩، ١٠٨.	١٠٦، ١٠٩، ١٠٨.	٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣.	٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣.	٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣.
١٥١، ١٥٢، ١٥٣.	١٥١، ١٥٢، ١٥٣.	١٥١، ١٥٢، ١٥٣.	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧.	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧.	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧.
٢٥٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٩.	٢٥٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٩.	٢٥٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
١٢١، ١٢٢، ١٢٣.	١٢١، ١٢٢، ١٢٣.	١٢١، ١٢٢، ١٢٣.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.	١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.	١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
١٧٢، ١٧٣، ١٧٤.	١٧٢، ١٧٣، ١٧٤.	١٧٢، ١٧٣، ١٧٤.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
١٨١، ١٨٢، ١٨٣.	١٨١، ١٨٢، ١٨٣.	١٨١، ١٨٢، ١٨٣.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
٢١٥.	٢١٥.	٢١٥.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
لوييس السابع، م ٢، ١٨٤.	لوييس السابع، م ٢، ١٨٤.	لوييس السابع، م ٢، ١٨٤.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليبرتيو، ١٠٠.	ليبرتيو، ١٠٠.	ليبرتيو، ١٠٠.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليبرتيو (حاكم صقلية)، ١١١.	ليبرتيو (حاكم صقلية)، ١١١.	ليبرتيو (حاكم صقلية)، ١١١.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليجاني، م ٢، ٢١٢.	ليجاني، م ٢، ٢١٢.	ليجاني، م ٢، ٢١٢.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
لي. جون: ٨٤.	لي. جون: ٨٤.	لي. جون: ٨٤.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
لي. سمويلا ٢٥، ١٧.	لي. سمويلا ٢٥، ١٧.	لي. سمويلا ٢٥، ١٧.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
٦١.	٦١.	٦١.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليفلو (ميكيلي دل جوديتشي)، ٢٩.	ليفلو (ميكيلي دل جوديتشي)، ٢٩.	ليفلو (ميكيلي دل جوديتشي)، ٢٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
لي مونييه، ٣٦.	لي مونييه، ٣٦.	لي مونييه، ٣٦.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليوتبراندو (الكتاب)، م ٢، ٢٦٨، ٢٢١.	ليوتبراندو (الكتاب)، م ٢، ٢٦٨، ٢٢١.	ليوتبراندو (الكتاب)، م ٢، ٢٦٨، ٢٢١.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليوتبراندو (الملك)، ٢٣١، ٢٥٥، م ٢، ١٨١.	ليوتبراندو (الملك)، ٢٣١، ٢٥٥، م ٢، ١٨١.	ليوتبراندو (الملك)، ٢٣١، ٢٥٥، م ٢، ١٨١.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
١٨٢.	١٨٢.	١٨٢.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليونيو لوبي، م ٢، ٢٨٧.	ليونيو لوبي، م ٢، ٢٨٧.	ليونيو لوبي، م ٢، ٢٨٧.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
٢٩٢.	٢٩٢.	٢٩٢.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليونيو لوستيتي، ١٩٧.	ليونيو لوستيتي، ١٩٧.	ليونيو لوستيتي، ١٩٧.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.
ليونيو (أسقف)	ليونيو (أسقف)	ليونيو (أسقف)	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.	١٢٩، ١٣٨، ١٣٩.

[illegible]

- ١١٤، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٨  
١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢  
١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧  
١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣  
١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٨  
١٧٧، ٢٠١، ٢١٤، ٥٢٧  
٥٣٥، ٢، ١١، ١٧، ١٩  
١٢٢، ١٢٦، ١٣٩، ٢٤١  
١١٧، ٣، ١٢٧، ٦٥١  
٦٢٢، ٦٢٣، ٦٩٦، ٦٩٧  
٧٠٠، ٧٢٣  
محمد بن إبراهيم، ابن  
التمتة الملقب بالقادر  
بالله، م ٢، ١٢٩، ١٣١  
١٣٢، ١٣٣، ٥٥٩، ٥٦٠  
٥٦١، ٥٦٢، ٣، ٦٧  
٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٧  
٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٤  
٨٥، ٨٧، ٩٢، ٩٣، ٩٤  
١٠٠، ١١٥، ١٢٢، ١٦٥  
٢١٨، ٢٦٧، ٢٢٢  
محمد بن إبراهيم بن  
موسى (أبو بكر الصقلي)،  
م ٢، ١٩١، ١٩٢، ٥٠٥  
٥٢٢  
محمد بن أبي هرج بن  
هرج بن أبي القاسم،  
القمياني، (أبو عبد الله)،  
م ٢، ٥٠١، ٥٠٩، ٥١٠  
٥١١  
محمد بن أبي إدريس،  
٢٤٤  
محمد بن أبي حسين،  
٤١٣، ٤٥٠  
محمد بن أحمد بن أظلم  
(سيد، صراف)، ١٢٢  
١٤٥، ١٥٠، ١٥١، م ٢
- ١٨  
محمد بن أبي اسحق بن  
جامع، م ٣، ١٨٢  
محمد بن أبي سعادة، م ٢،  
٤٦٤  
محمد بن أحمد بن  
إبراهيم (أبو بكر)، م ٢،  
٢٢٢  
محمد بن أحمد بن زائدة  
الله بن كرهيب، م ٢، ١٥٦  
١٥٧  
محمد بن اسحق، م ٢،  
١١٢، م ٣، ١٩٩  
محمد بن إسماعيل بن  
جعفر (من آل علي)، م ٢،  
١٢٠  
محمد ابن الأشعث، م ٢،  
٢١١  
محمد بن الأظلم، ٤٠٢  
١٥٢  
محمد بن لويس، ٢٤٤  
محمد باتشولي، م ٢،  
٢٠٦  
محمد بن قومرث،  
الملقب بالمهدي، م ٢،  
٤٩٦  
محمد بن جنا، م ٢،  
٢١٧  
محمد بن الجوزي، ٢٤٣  
٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٢  
محمد بن حسن بن علي  
الريعي، (أبو بكر)، م ٢،  
٤٩٩  
محمد بن حسن بن علي،  
من آل كلب، م ٢، ٢٩٦  
محمد بن حسن بن  
القرني (أبو عبد الله)،  
١٠٥
- م ٢، ١٧٦، ٥٢٧، ٥٥٢  
محمد بن حسين مرقدة،  
أبو جعفر، م ٢، ٢٢١  
محمد بن هرون، أبو  
عبد الله، م ٢، ٤٨٨  
محمد بن خلفاجة بن  
سفيان بن سودة، ٤٠٧،  
٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣  
محمد بن خورسان، أبو  
عبد الله، م ٢، ٢٢١  
٢٢٢، ٥٠٧  
محمد بن رشيد، م ٢،  
٤٠٤، ٤٦٠  
محمد بن زائدة الله، م ٢،  
٥٩  
محمد بن سابق، (أبو  
بكر)، م ٢، ١٩١، ٥٠٦  
محمد بن سالم، ٣٦٥  
محمد بن سحنون بن  
سعيد، ٢٤٤  
محمد بن السرقوسي،  
م ٢، ١١٦، ١٥٢  
محمد بن سندی، ٣٦٧  
محمد بن سهل أبو بكر،  
الملقب بزيق، م ٢، ٥٢٧  
٥٤٧، ٥٥١، م ٢، ٥٤٧  
محمد بن شاذل الكتبي،  
م ٢، ٧٢٩، ٧٩١  
محمد شولبي، م ٢، ٥٠٥  
محمد بن عبد الله بن  
الأظلم، ٣٠١، ٣٠٢  
٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٨٣  
محمد بن عبد الله بن  
مسره بن ناجية، م ٢،  
١٠٥  
محمد بن عبد العزيز بن

ميمون، م ٣، ٣٧٢، ٤٦٤.	المزاري، والتميمي (أبو
محمد بن عبد الله	عبد الله)، م ٢، ٤٩٤.
(شاعر من القرن الثاني	٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩.
هجري)، م ٣، ٢٦٥.	محمد بن علي بن عبد
محمد بن عبد الجبار بن	الرحمن بن رزقا، م ٣،
محمد بن حمد بن (أبو	٧١٨.
هاشم)، م ٢، ٥٢٨، ٥٤٥.	محمد بن عيسى بن عبد
محمد بن عبد الله (أبو	المنعم (أبو عبد الله)،
بكر)، م ٢، ٤٨٩، ٤٩٠.	م ٢، ٧١٤، ٧١٥.
محمد بن عبد الله (أبو	محمد بن علي بن أبي
عبد الله)، م ٢، ٥٠٠.	طالب، م ٢، ١٢٠.
محمد بن عبيد بن	محمد بن علي الشرفي،
الموسى، م ٢، ٢٤٠.	٢٤١.
محمد بن عبيد الله (أبو	محمد بن فضل،
القاسم) الملقب بالقاسم	٤٨٢، ٤٨٨، ٤٨٩، م ٣،
بأمر الله، م ٢، ٢٤٠.	٧٠٤، ٨٢٥.
٢٤٢، ٢٤٤، م ٣، ٢٦٠.	محمد بن أبي القاسم
محمد بن هشوش، م ٣،	(أبو عبد الله)، م ٣،
٤٨٢.	٧٠٤.
محمد بن العطار (أبو	محمد بن قاسم بن زيد
عبد الله)، م ٢، ٥٢٧.	(أبو عبد الله)، م ٢،
٥٥١.	٥٢٧، ٥٥٠.
محمد بن علي (أبو	محمد بن قزق
طالب) البغدادي، م ٢،	(الحاجب)، م ٢، ٤٦١.
٥٠٢.	٥٢.
محمد بن علي بن حسن	محمد بن قتيبة (أبو
بن أبي البر (أبو بكر)،	اليزيد)، م ٢، ٢٢٥، ٢٤٢.
م ٣، ١٠٧، ٥١٦، ٥١٧.	٢٩٢.
٥١٨.	محمد بن محمد بن
محمد بن علي بن عبد	محمد، فخر الدين، م ٢،
الجبار الكموني (أبو	٧٠٥، ٨٢٥.
بكر)، م ٢، ٥٥٠.	محمد بن أبي محمد بن
محمد بن علي بن السباع	محمد ابن ظفر (أبو
(أبو عبد الله)، م ٢،	هاشم)، م ٣، ١٧٥، ٥٢٤.
٥١٢، ٥٢٧.	٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨.
محمد بن علي بن عمر	٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢.
بن محمد، الملقب	٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٦.





٢٣٢. ٤١٨. ٤٩٩. ٦٨٥. بن محمد.  
٦٨٦. ٦٩٥. ٧٦٦. ٧٩٢. منصور، ابن بكين، م ٢.  
٧٩٢. ٧٩٤. ٧٩٥. ٨٠٥. ٣٦٥. ٣٦٤.  
٨٠٩. ٨١٨. منصور الطنيسى  
المنج، م ١١٩. ١١٦. ١١٩.  
مكلاسه (قبيلة من قبائل  
البربر)، م ٢. ٤١. ٤٢٢.  
م ٢١٢. ٢١٢.  
مكلاسه (قبيلة من  
قبائل البربر)، م ٢. ٢٨.  
مكيافيللى، نيكولو، ٨١.  
م ٢. ٥١. ١٨٢.  
ملاكينو، ليونى، م ٢.  
٢٢٥.  
مطلى، م ٢. ٢١٢.  
الملك الأشرف، عم  
داود، م ٢. ٦١٥.  
الملك الصالح، م ٢. ٤٧٩.  
٦٢٢. ٦٢٨.  
الملك عادل، تحقيق  
صلاح الدين، م ٢. ٦١١.  
الملك الكامل، م ٢. ٦١٠.  
٦١١. ٦١٢. ٦١٤. ٦١٦.  
٦١٧. ٦١٨. ٦٢٠. ٦٢١.  
٦٢٢. ٦٢٣. ٦٢٥. ٦٢٦.  
٦٦٤.  
الملك المستظم، م ٢. ٦١١.  
٦١٢. ٦١٤. ٦١٥.  
مليديو، م ٢. ١٠٣. ١٠٧.  
مليلا (قبيلة من قبائل  
البربر)، م ٢. ٢٩.  
منجوني، ٢٨.  
المنذر (ملك الحيرة)،  
١٥٤.  
منصور، أنظر الحاكم  
بأمر الله.  
منصور، أنظر إسماعيل.
١٥٧. ١٦٠. ١٦١. ١٦٢.  
١٦٥. ١٦٦. ١٧٥. ١٧٦.  
١٨١. ١٨٢. ١٨٦. ١٨٩.  
١٩٠. ١٩١. ١٩٥. أنظر  
عبد الله.  
المهدى (الخطبة  
العيسى)، م ٢. ٤٢٧.  
١٧٦. ١٧٨. ٧٩٩.  
المهدى المنتظر، م ٢.  
١٢٤. ١٢٣.  
مهل، م ٦١.  
موجيتو وموزيتو، أنظر  
مجاهد بن عبد الله.  
الموحدين، ٦٢. ٨٤. م ٢.  
٨٨. ١٦١. ٢٧١. ٢٧٢.  
٤١٤. ٤١٦. ٤١٧. ٤١٨.  
٤١٩. ٤٢٠. ٤٢١. ٤٢٠.  
٤٥٤. ٤٥٩. ٤٥٩. ٤٦٠.  
٤٦٣. ٤٦٩. ٤٧٠. ٤٧٧.  
٤٨٢. ٤٨٣. ٥٠١. ٥٠٥.  
٥١٤. ٥١٣. ٥٢٥. ٥٢٩.  
٦٠٠. ٦٠١. ٦٠٩.  
مور، ٧٢.  
الموحدين (فرقة من  
الطوارق)، م ٢. ١٠٢.  
مورثوري، ٢٨. ٢٩. ٦٣.  
م ٢. ٢١٠. ١٩٨.  
موريلارو، ١٧. ١٨. ٢٤.  
٢٥. ٢٦. م ٢. ٩. ٤٦٧.  
وما بعدها، م ٢. ٢٢٨.  
٢٢٩.  
مورسو، سلفاتورى، ١٦.  
١٨. ٢٤. ٢٥. م ٢. ٢٠٢.  
م ٢. ٨٢٥.  
موروايونى، م ٢. ٢٥٦.  
موريللا، م ٢. ٢٧٠.  
موسوليتشى (قائد

- عسكري، ١٧٩، ١٧٦، ١٧٩،  
 موسى بن الأصبح،  
 المرادي، م ٥٠٨، ٢،  
 موسى دا بالرمو، م ٣،  
 ٦٦٩،  
 موسى بن عبد الله، م ٢،  
 ٥٠٦،  
 موسى (عليه السلام)،  
 ٤٨٧،  
 موسى بن قاسم الك. ن.،  
 دي، م ٣، ٦٤٢،  
 موسى (المعلم)، م ٣،  
 ٨٢٥،  
 موسى بن ميمون، م ٣،  
 ٦٧٦،  
 موسى بن نصير، ١٩٧،  
 ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٦،  
 ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢،  
 ٢٤٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٧٠،  
 موسوف (قبيلة من  
 قبائل البربر)، م ٣، ٥٠٢،  
 موقش، محمد وابو  
 النرج، م ٢، ٥٢٢،  
 مولر، ٤٦،  
 مومبراي (دي) روجيرو،  
 م ٣، ٢٤٢،  
 مولنبرنو (آل)، م ٣،  
 ١١٣،  
 مولنارو روجيرو، م ٣،  
 ٦٢٢،  
 مولچيتوروك، م ٢٩، م ٣،  
 ٢٠٣،  
 مولفكون، م ٣، ٤٤١،  
 مونزي دي كورليسي،  
 ١٨٢،  
 مؤلف، انظر ابو عبد  
 الله المؤلف.
- ميثوديو (البطوريك)،  
 ١١٢،  
 ميرلو چوفلي، ٢٥،  
 ميزيز، ١٧٢، ١٧٤،  
 ١٧٥،  
 ميزيزة (قبيلة من قبائل  
 البربر)، م ٢، ٢٨،  
 ميمر، ٢٠٢،  
 ميكرت دي ياتينو، م ٣،  
 ٢٦٤،  
 ميكيلى ابو چورچو،  
 الأنطاكي، م ٣، ٢٥٦،  
 ميكيلى دولشيلو، م ٢،  
 ٢٩٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤،  
 م ٣، ٢٩، ٢٨، ٣٦،  
 ميكيلى (الأديرال)،  
 ٤٨٦،  
 ميكيلى الثاني (اليابو،  
 الألف)، ٢٢٦، ٢٦٢،  
 ٢٦٥، ٢٩١، ٢٠٩، ٢١١،  
 ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩،  
 ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤١، ٢٤٧،  
 ٢٥٤، ٢٥٦، ٥١٨،  
 ميكيلى الثالث  
 (الإمبراطور)، ٢٩٤،  
 ٤٠٠، ٤٠٣، ٥٥٢، ٥٥٤،  
 ٥٥٦، م ٢، ٥٠،  
 ميكيلى (حاكم بالرمو)،  
 ٢١٧،  
 ميكيلى الخمس كلافانو  
 (الإمبراطور)، م ٢، ٢٩٥،  
 ٤٠٥،  
 ميكيلى الرابع  
 م ٤، ٤٠٤، ٤٠٥،  
 (الإمبراطور)، م ٢، ٢٨٨،  
 ٢٩٠، ٤٠٤،  
 ميكيلى رانچابه الأول
- (الإمبراطور)، ٢٦٢،  
 ٢٩٧، ٢٩٨، ٥٥٠،  
 ميكيلى السابع  
 (الإمبراطور)، م ٢، ١٤٨،  
 ميكيلى شراكتو، م ٢، ٨١،  
 ميكيلى الطيب (المعلم)،  
 م ٣، ٨٢٥،  
 ميكيلى (ملك السلاط)،  
 م ٢، ١٨٢،  
 ميني (آل)، م ٣، ٢١٢،  
 مينو (إسماعيل)، م ٢،  
 ٢٤٨، م ٢، ٢١، ٢٢، ٢٣،  
 ٢٦، ٢٦١،  
 ميلوديو السيراكوزي  
 (عالم)، ٢٩١،  
 مين، ١٥،  
 مينيس، م ٢، ٢٨٩،  
 ميمون (القائد)، م ٣،  
 ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٧٣،  
 ميمون بن عمرو، ابو  
 عمرو، م ٢، ٢٢٩، ٢٣٠،  
 ٢٣٢،  
 ميمون بن غلثيق، م ٢،  
 ٤٢٦،  
 ميمون بن محمد بن  
 ميمون، م ٢، ٢٧١،  
 ميمونه بنت حسن بن  
 علي، الحطيلي، م ٣،  
 ٢١٢،  
 ميمونه بنت الحواش،  
 م ٢، ٤٢٩، ٥٥٩، ٥٦٠،  
 ٥٦١،  
 الميموني، موسى بن  
 ميمون، م ٢، ١٩٢، م ٣،  
 ٦٧٦،  
 مينوارينو (آل)، م ٣،  
 ٢٢١،

- مينسكالكي (الكولت)،  
م ٣٦٢،  
مينسكالكي دا فيرونا،  
٥٤، ٢٤٤،  
(ن)  
ناصر الدولة بن حمدان،  
م ٥٢١، ٢،  
الناصر (خليفة  
الموحدين)، م ٣، ٦٠٠،  
٦٢٢،  
ناصر الدين أو سيف  
الدين، م ٣، ٦١٠،  
الناكيريون، م ٢، ٢٠٥،  
٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،  
النبطيون، م ٢، ٤٥٨،  
نبيل، م ٣، ٢١٢،  
نثونو، م ٣، ٥٠٧،  
نزار (فلك بيرزطى)،  
٤٥٤، ٤٧٤، ٤٧٢، ٤٧٥،  
٤٧٦، ٤٨١، ٤٩٧، ٥٦٥،  
النصاراية (النصارى)،  
م ٣، ١١٠، ١١٣، ١٦٩،  
نصرون بن هتوح بن  
حسين، الطرزي م ٢،  
٥١٨،  
النظامية، م ٢، ١٠٣،  
النعمان (الملك العربي)،  
م ٣، ٧٨٦،  
نقراوه (قبيلة من قبائل  
البيس)، م ٢٢٩، ٢١٢،  
نقوسة (قبيلة من قبائل  
البيس)، م ٢، ٥٨،  
النقارية (حائكة من  
الطواج)، م ٢، ١٤٤،  
٢٩٢،  
التولاوى، محى الدين أهر  
زكريا (أهر حفص عمر  
بن خلف بن مكي)، ٧٠،  
نور الدين الأيوبي، ٥٩،  
٦٨،  
نور الدين محمد بن  
زنجوى، م ٣، ٤٥١، ٤٩١،  
٥٠٤، ٥٠٧، ٥١٢، ٦٩٠،  
٦٩٢، ٧٢٧،  
النورمان، ٥٢، ٦٦، ٧٢،  
٨٢، ٨٨، ٥٠٠، ٥٢١، م  
٢، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٤،  
٢٤٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١،  
٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦،  
٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٦،  
٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢،  
٤١٤، ٤٢٨، ٤٢٢، ٤٣٣،  
٤٣٩، ٤٤٧، ٤٦١، ٤٦٢،  
٤٥٤، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٣٧،  
٥٢٨، ٥٦١، م ٣، ٢٦،  
٢٢، ٢٤، ٤٢، ٤٧،  
٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٨، ٥٩،  
٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٦٩،  
٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥،  
٧٦، ٨٠، ٨٢، ٨٧، ٨٨،  
٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨،  
١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥،  
١٠٦، ١١٠، ١١٣، ١١٤،  
١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨،  
١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤،  
١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩،  
١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤،  
١٣٨، ١٤٠، ١٤٨، ١٤٩،  
١٥٠، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٦،  
١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤،  
١٨٩، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٤،  
٢٢٢، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٥٤،  
٢٦٠، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢،  
٢٧٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٨،  
٢٩٢، ٢٨٣، ٢٨٠، ٢٩٢،  
٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٦،  
٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥،  
٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧،  
٣٦٢، ٥٢٨،  
نويوز، م ١٩، ٢٠،  
النويرى، م ٢، ٢٢٦،  
٤٢٨، ٤٢١،  
النويرى شهاب الدين بن  
عبد الوهاب، ١٦، ٢٠،  
٢١، ٢٧، ٣٨، ٧٤، ٧٦،  
١٧٧، ٢١٥، ٢١٧، ٢٤٩،  
٤٥٢، ٤٦١، ٤٨٨، ٤٨٩،  
م ٢، ٥٨، ٩٨، ١٨٩،  
نيتشيتا، زوجة نيكولو،  
ابن لوجينيرو الأدميرال،  
م ٣، ٢٤٨،  
نيتشيتا، كبير حملة  
صلاح الإمبراطور، م ٢،  
٢٦٧، ٢٧٧، ٢٧٨،  
نيتشيتا كولياتى، م ٣،  
٧٦٢،  
نيتشيفورو (الإمبراطور)،  
٢٦٢،  
نيتشيفورو (أسقف  
ميلانو)، م ٢، ٢٢١،  
نيتشيفورو (بطريرك  
القسطنطينية)، ٥١٨،  
نيتشيفورو بولونياتى،  
م ٣، ١٤٨،  
نيتشيفورو (حاكم  
فابوليا)، م ٢، ٢٧٧،  
نيتشيفورو فوكا الثاني  
(الأسباطور)، ٤٨٢،  
٤٨٤، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥١٦،  
م ٢، ٤٤، ١٨١، ٢٥٩،  
٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٨،

٢٨٣. ٢٨١. ٢٨٦. ٢١٥	نيلو دوكونوياترو، م ٢	هلال (بنو قبيلة)، م ٢
٢١٦. ٢١٧. ٢٢١. ٢٢٧	١٥٠	٥٥٨. م ٣. ٩٩
١٢٠	نيلو (الرابع)، م ٢. ٢٩٩	عمار (القائد)، م ٣
نيتشيفيرو (الكلب)، م ٢	١٥٧. ١٥٥. ١٢٢	٢٦١
٢١٧	(هـ)	همدان (قبيلة)، ٢٧٨
نيرون، ١٠١. م ٢. ٥٦٠		٢٤٠. ٢٤
نيشيتا، ٢٦٢	الهادي (الطليعة)	همن، ١٦٢. ١٤٥
نيشيتا لويضا، ١٢٩	العباسي، م ٢. ١١٧	هليليال، ٢٢٩
١٤٠. ١٧٢. ١٨٥	هاس، كارلو بندتو، ٢٩	هوارث (قبيلة)، ٣٢٢
نيكوديموس، رئيس	٢٢	٢٥٢. ١١٢. م ٢. ٥٢
نساقفة بالرمو، م ٢	هاستينجز، م ٣. ٢١	٢٠٦. م ٣. ٢١١
١٠٨. ١١٢. م ٣. ١٢٥	٥٩	الهواري، م ٢. ١١٧. ١٥٢
نيكولا بيتشيلي، م ٢	هاشم بن يونس (أبو القاسم)، م ٢. ٥٢٥	هولكيل (ال)، م ٣. ٣٩
١٧٢	٥٤٦	١٥. ١٦. ٥١. ٥٨. ٥٩
نيكولا الثاني (البابا)، م ٣. ٥٠. ٥٢. ٥٥	الهاتميون (أل هاشم)، ١٢٥. ١٢٢	١٢٤. ١٢٧. ١٢٥. ١٢٨
نيكسون، ١٩	١٢٥. ١٢٢	١١٧. ١٥٠. ٢٥٨. ٢٧٤
نيكولو الأول (البابا)، ٥٥٢. ٥٥٠	هيوارت، توماس، ٤٧	٢٠١. ٥١٤
نيكولو بوشيمي البارمن (الكلب)، ٥٤١	هيراكليوس، هرقل (الإمبراطور)، ١٠. ١١	هومور، دي ميشيكين (القائد)، م ٣. ٢٦١
نيكولو، ابن اوجينيو (الأميرال)، م ٣. ٢١٨	١٢٨. ١٥١. ١٥٥. ١٧١	هوميريس، ١٢٥. ١٢٦
نيكولو (الأميرال)، م ٣. ٢٥١	١٨٢. ١٨٥	٢٠٧. ٥٠٥. م ٣
نيكولو (الرابع)، م ٢. ٢٢٦	هرمان، م ٣. ٥٨٢	هومبولدت السيلفرو، ٢٩. م ٣. ٦٢٢
نيكولو (سفير بيزنطي)، م ٢. ٢٨١	هرمان الألماني، م ٣. ٦٧٨	هونجر، ٢٤. ٥٨. ٨٢
نيكولو كامارينيجو، م ٣. ٢٤٢	هرمز، م ٣. ٦٦٢	٨٦
نيكولو لوجوتيتا، م ٣. ٢٦٢	هيون الرشيد، ٢١٧	هوهنستارن، م ٣. ٥١٤
نيكيتا دافيك دي بافلاجلونيا، ١٧٩	٢١٩. ٢٢٠. ٢٢٢. ٢٢٤	هويلاند، برهولن، ٢٩
نيكيتا الطرموسي، ١٦٥	٢. م ٢. ٢٨١. ١٧٤. ٢	هيتروف، م ٣. ٨١٦
	٦٠٠. ٦٠١. ٦٥٨. ٧٦٧	٨١٧
	٧٧٨	هيرودوت، ١٨٢
	الهيولي، علي بن أبي بكر، ٦٠	
	هسداي بن يسكروت، م ٢. ٢٢٦	(و)
	هشام (الطليعة)، ٢٠٢	واديالوارو (ملك)
	٢١٠	الهشمارك، م ٣. ٥٨١
		واسل، أبو سري، الحاج، ٢٢٢. م ٢

- الوقدي، ٥٨، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، م ٣، ٧٩١، والأ (قائد جيش شارلمان في إيطاليا)، ٢٩٧، وفندال، ٨٧، ٩٦، ١٨٠، ١٨١، ٥٦٨، وزهجه (قبيلة من قبائل البربر)، م ٢٣٨، ٥٢، وصام (قائد بربري من قواد خليل)، م ١٩٨، ١٧٠، ٧١، وستيفلد، ٦٢، ٧٠، وستيفلد، تيودور، م ٣، ١٩٨، ٢٦٥، ٢٢٧، ولف (الذوق)، م ٢، ١٢٢، الوليد الأول (الخليفة الأموي)، م ٦، ١١٤، الوليد بن عبد الملك، م ٣، ٧٨٦، ٧٨٩، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٩، ٨٠٠، الوليد، م ٢٦٦، ٢٧٥، ونريش (جوقاني جورجو)، ٢٠، ٢٨، ٢٠، ٦٧، ٧٨، م ٢، ٢٤٢، م ٣، ٨٤٠، الوهابيون، م ١٨، ٢٣، ٦٠٤، ٦٠٥، وبيالدو (رئيس ديري ستافيلو وكوروثي)، م ٣، ١٢٢، ويزو (قبيلة من قبائل البربر)، م ٣، ٢١٢، ويزيل، ٢٤، ٢٤، (ي) ياقوت، ٢٩، ٦٢، م ٢، ٤١٥، ٤١٦، يحيى بن عمر بن يوسف، الصالح، م ٢، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٢، يحيى بن مطروح، م ٣، ١٥٩، ١٦٠، بن جرة، ١٢٩، يزيد بن حاتم، ١٩١، ٢٤٤، يزيد بن مسلم، ٢٤٥، اليسوعيون (رهينة)، ١٠٧، ١٧٨، يشوع، ١٨٢، يعقوب بن إمامي، م ٣، ٦٧٨، يعقوب بن أحمد الأغلب، ٤٨٥، يعقوب بن اسحق، م ٢، ١٨٦، يعقوب (جاكوب)، قريب البابا اينوتشنسو الثالث، م ٣، ٥٥٩، ٥٧١، يعقوب (خليفة الموحدين)، م ٣، ٤٨٢، يعقوب بن عبد الله، ٤٥١، يعقوب بن علي الرندي، م ٢، ٥٥٢، ٥٥٣، يعقوب بن فزارة، ٤٥١، ١١٦، م ١، يعقوب بن مضحي، ٤٥١، يعقوب بن يوسف (الخليفة الموحدي)، م ٣، ٦٥٩، الهقوقي، م ٣، ٦٤٢، يحيى، م ٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، الهمود، ١١٠، ١٢٢، ١٢٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦

١٢٧، ١٢٧، ٢٧٤، ٥٢٢	(القدس)، ٢٥٠	١٨٢، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢
م ٢، ٢٤، ١٠٥، ٢٢٤	يوسف بن أحمد بن	٦٠٩، ٦٥٩
٢٠٧، ٣١٢، م ٣، ٢٠٩	الدباغ (أبو يعقوب)، م ٢	يوسف أبو الفتوح،
٢١٩، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٩٠	٥٠٩	الملقب سيف الدولة،
٢٩٤، ٢٩٦، ٢٢٥، ٤٢٥	يوسف بن تاشفين، م ٣	انظر بلكين بن الزيري-
٤٦٥، ٥٢٧، ٥٩٤، ٦٧٦	٢٦٩، ٢٦٨	يوسف بن كازو، م ٣
٦٧٩، ٦٨١، ٦٩٦، ٧٢٧	يوسف بن چنارو، م ٣	٢٠٦
٨٢٧	٢٠٦	اليونانيون، ٩٠، ٩٤
يهودية، ٢١٨	يوسف (حاكم قانس)،	١٠١، ١٩٥، ٢١٢، ٢٥٩
اليهودية، م ٢، ١١٠	م ٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨	٢٨٥، ٤٠٧، ٤٥٧
يهودا كوهيني بن	يوسف بن الزيري (أبو	١٦٢، ٤٧٤، ٤٧٦
سليمان، م ٣، ٦٦٤، ٦٧٩	الحجاج)، م ٣، ٤٠٢	٤٩٩، ٥١٨، ٥٢٢، ٥٢٦
يوحنا الثامن (البابا)،	يوسف الصديق، ٥٦٢	م ٢، ٢٤، ٢٤٢، ١٧٥
٤٧٥، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٠	يوسف بن عبد الله (أبو	١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢
٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤	الفتوح) أمير صقلية	٢٢٢، ٢٢٩، ٢٦٨، ٢٧٢
٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٢	الكلبي، الملقب ٢٥٥	٢٧٥، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٨٦
٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٦٦٧	الدولة، ٢٨، م ٢، ٢٢٦	٢٩٢، ٢٩٦، ٤٠٨، ٤٠٩
يوحنا الثامن (البابا)،	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠	١١٠، ١٢٧، ١٢٧، ١٨٢
م ٢، ٢٠٢، ٢٠٤	٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٦	٥١٤، ٥٥٦، م ٣، ٤١١، ٤١٢
يوحنا العاشر (البابا)،	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢	٤٧، ٤٨، ٩٠، ١٠٨، ١١٦
م ٢، ١٦٧، ١٧١، ١٧٧	٢٦٢، ٤٧٨، ٤٩٣	١٨٢، ١٨٨، ٢٠٦، ٢٠٧
يوحنا الدمشقي	يوسف بن عبد المؤمن،	٢٠٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٦٧
(القدس)، ٢٩، ٢٥٠	خليفة الموحدين (أبو	٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٢٠
يوحنا (بطريرك	يعقوب)، م ٣، ٦٧، ١٨٢	٤١٨، ٥٢٨، ٧٨٧، ٨٢٩





## فهرست اسما، الأماكن

لهوستا، م ۳، ۱۶۸، ۲۱۲، ۳۳۳.	۱۰۳، ۱۵۱، ۱۶۰، ۵۹۰.	۱) انشی (قلعة)، انظر
أجولیا، م ۳، ۲۶۱.	أبو الفتح (أبراج)، م ۲، ۵۲، ۵۱.	إلیاچی، م ۲، ۸۸، ۸۹، ۱۱۱، ۲۰۵، ۲۰۹، ۲۱۲، ۲۱۶، ۲۲۹، ۲۶۱، ۳۰۸، ۳۱۷، ۳۲۲، ۷۱۵، ۷۱۹، ۷۷۲.
أحاسی (جزيرة)، ۳۷۶، ۳۷۸، ۳۷۹، ۳۸۱.	أبو سعید (عين)، م ۲، ۲۰۵.	آتشیرلی، باتانه، م ۲، ۸۹، م ۳، ۳۰۶.
إدجابهیه، م ۲، ۲۹۱.	أبو مالك (جبل)، ۱۰۱، ۱۰۵.	أردو (جزيرة)، ۱۵۹، ۱۶۳، ۱۶۵.
أدرمیتو، م ۲، ۲۷۷.	إثری، ۵۱۱.	أوتشی، ۱۲۹.
أدرلو، م ۲، ۱۱۲، م ۳، ۱۰۲، ۲۰۹، ۲۰۸، ۷۷۲.	آتشیتو، م ۳، ۸۲۲.	استی، م ۳، ۱۹۹، ۲۷۸.
أفیریا، ۱۱۹.	آشیرا، م ۳، ۶۱۶.	آسیا، م ۹، ۱۰۱، ۲۳۵، م ۳، ۲۱۲، ۱۰۲، ۶۱۲، ۷۱۷.
بوسنا، م ۳، ۱۰۱، ۱۵۱.	آشینیزا، م ۳، ۱۸۰.	آسیا الصغرى، ۶۰، ۱۷۱، ۲۶۷، ۲۸۸، ۳۸۰، ۱۷۲، ۱۸۵، ۱۹۹، ۵۶۰، م ۲، ۷۹، ۱۱۲، ۲۵۶، ۲۶۸، ۲۸۱، م ۳، ۲۹، ۳۳۱، ۳۳۵، ۳۳۶.
أدریچیان، م ۲، ۱۱۱، ۱۱۷، ۵۰۰.	آتلا (جبل، بركان)، ۱۵.	آسیا الوسطی، م ۲، ۱۱۲، ۱۱۱.
أدینه (مملكة)، ۱۱۵.	۵۶، ۶۱، ۷۱، ۸۲، ۹۳، ۱۰۲، ۱۶۲، ۳۶۹، ۳۷۰.	آشیللا، م ۳، ۳۱۹.
أرجیونا، م ۳، ۷۶۹.	۲۸۱، ۳۸۲، ۵۲۰، ۵۲۳.	آبال، م ۳، ۶۲۹.
أرجیچون (جزيرة)، م ۳، ۲۱۲.	۵۵۸، م ۲، ۸۰، ۸۹، ۲۲۲، ۲۹۸، ۱۱۱، ۱۱۸.	أبراجا، م ۳، ۲۰۸.
الأراضي المنخفضة (هولندا)، م ۳، ۲۱.	۱۵۱، ۱۵۲، ۱۵۳، ۱۵۴.	أبروتسو، م ۳، ۲۲۰.
أركیا، م ۳، ۵۹۱.	۱۵۵، م ۳، ۶۲، ۹۹.	إبلا، ۳۹۶.
أرییل، ۷۰.	۱۶۰، ۲۱۵، ۳۶۸، ۷۱۳.	ابلاتانو (قلعة)، انظر
أرتالیا، م ۲، ۸۷.	۷۱۵.	بلاتانی.
أرتیزینو (جبل)، ۳۸۸.	إتالیا (جيتالا)، م ۳، ۸۳۲.	ایبلین، م ۳، ۶۱۹.
۳۸۹.	أخینا، ۱۲۵، ۱۶۲، م ۲، ۱۹۱، ۵۱۵، م ۳، ۱۶۹.	الآبنین (جبال)، ۱۹۱، ۵۲۰، ۵۲۳، م ۲، ۲۴۱.
أرتیچینا، م ۳، ۵۷۱.	إجلدی، م ۳، ۷۳۳.	
أرجیرا، م ۳، ۲۸۵.	أجندریا، م ۲، ۳۷۱.	
الأردن، ۲۲۱، م ۲، ۱۲۴.	أجروپولی، ۲۶۱، ۵۱۱.	
الأردن (نهر)، ۵۶۱، م ۲، ۳۹۷، م ۳، ۶۲۱.	۵۱۵، ۵۱۷، ۵۱۹، م ۲، ۱۶۸، ۲۵۱.	
الأرض الکبری، (انظر إیطالیا).	أجریچنتو، م ۳، ۳۲۱.	
أرکورتسی، م ۳، ۵۹۲.	۵۷۲.	
أرلس، م ۳، ۲۲.	أجست، م ۲، ۳۳.	

الأرمل (رجل)، م ٣،	١٦٦، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧،	٣٩٩، ٤١٨، ٤٥٦، ٤٩١،
٧٣٨،	١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٩،	١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦،
أرميتو، م ٢، ٤١٨، ٤١٩،	٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٨،	١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٥٠٥،
٤٢٠،	٥١٠، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٨،	٥١٠، ٥١٤، ٥٢١، ٦١٥،
أرمينيا، ١٣، ١٨٢، ٢٩٢،	٥٢٠، ٥٢٤، ٥٣٩، ٥٤١،	٦١٦، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٧،
٣١٧، ٣٤٩، ٥٦٠، م ٢،	٥٤٢، ٥٥٧، ٥٥٨،	٦٦٠، ٦٦١، ٦٨٦، ٧٣٠،
١١٤، ١١٨، ٢١٠، ٢٩٠،	م ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢،	٧٧٢، ٨٠٥،
١٠٤، م ٣، ٦١٢، ٦١٥،	١١، ٢١، ٣٥، ٨٧، ١١٢،	إسكندنافيا، م ٢، ٢٩١،
٦٢٢،	١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٩،	م ٣، ٣٢،
أرمينيوم (أرمنيوم)، م	٢١٢، ٢١٣، ٢٦١، ٢٠٧،	الإسكوريالي، ١١، ٧٤،
٦٤٦، ٣،	٣٢٢، ٣٢٣، ٣٥٢، ٣٥٩،	٧٩،
أريتسو لو أريتسو، ٥٠١،	٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠،	أسكولي، م ٢، ٢٥٠، ٢٥١،
٨٤٢، ٣،	٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٢،	م ٣، ٣٧، ٢١٩،
أريتشي، م ٣، ٧٣٨،	٤٠٦، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٣٦،	إسكيا (جزيرة)، ٢٩٩،
أسيافيا، أسيان، ٩، ١٠،	٤٦٤، ٤٧٦، ٤٧٧، ٥٠٠،	أسيماي، م ٣، ٤٤٢،
٢٢، ٢٠، ٢٩، ٤١، ٤٢،	٥٠٤، ٥١٧، ٥٧٠، ٥٩٢،	أسيوط، ٨٤،
٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧،	٥٩٩، ٦٠٢، ٦٢٧، ٦٢٩،	أشيبيليا، ٥١، م ٢، ٥١٢،
٥٨، ٦٠، ٦٨، ٦٩، ٧١،	٦٥٥، ٦٥٧، ٦٨١، ٦٨٢،	٥٢٠، ٥٢٤، ٥٣٥، ٥٣٨،
٨٠، ٨٥، ١٩٣، ١٩٤،	٦٨٦، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٥٧،	٥٢٩، ٥٤٠، ٥٤١، م ٣،
١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠،	٧٦١، ٧٦٤، ٧٦٧، ٧٦٩،	٢٢،
٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١،	٧٧٢، ٧٨٤، ٧٨٦، ٧٩١،	أشهر، م ٢، ٢٧٠،
٢١٤، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١،	٧٩٦، ٨١١، ٨٢٢، ٨٣٠،	إسطنبر (بريسبولي)
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦،	٨٣٦، ٨٤٣، ٨٤٥،	القديمة، ١٥،
٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤،	إسترها، ٤١٩،	أصفهان، م ٢، ٦٧، ٥١٠،
٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٩٦،	أستورياس، ٥٤٤،	م ٣، ٢١١،
٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٨، ٣٤١،	أستورية (جبال)، ٣٦٢،	أستام (أفريقية)، ٢٠٢،
٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٦،	أستيلو، م ٢، ٣٨٢،	٢٠٨،
٣٦٥، ٣٦٨، ٣٠٢، ٤٦٧،	الإسكندرية (إيطاليا)، م	الأستام (سليوتلي)، م ٣،
م ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤،	٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٨٢٢،	٧٣٨،
٢٤، ٢٦، ٢٤، ١٠٤، ١٠٤،	الإسكندرية، ٤٧، ٥٢،	الأطلنطي (البحيث)،
١٦١، ١٧٤، ١٧٦، ١٩٢،	٦٦، ٦٨، ١٥٩، ١٧٢،	١١٦، ١١٨، ١٩٧، ١٩٨،
٢٠٨، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٨،	١٧٥، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٧،	٢٠٤، ٢٢٠، ٢٤٦، م ٢،
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٨، ٢٨٧،	٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧،	١٢٧، ١٢٨، ١٢٨، ٢٩٤،
٢٨٨، ٢٩٩، ٢١٢، ٢٦٤،	٢٥٨، ٢٥٦، م ٢، ١٨٩،	٢٦٤، ٢٧٢، م ٣، ٢٦٨،
٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١،	٢٥٥، ٢٨١، ٢٢٩، ٤١٤،	٦٣٩،
٤١٥، ٤٢٩، ٤١٧، ٤٥٢،	٤٨٥، ٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩،	الأطلنطي (جبال)، م ٣،
٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١،	٥٠١، ٥٢٢، م ٣، ٣٤٧،	٣٦٨،

٢٩٢, ٢٩١, ٢٨٨, ٢٨٧	٢٧٥, ٢٧٤, ٢٧٣, ٢٦٨	اقيمت م ٥٢٩, م ٥٢٨
٢٩٦, ٢٩٥, ٢٩٤, ٢٩٣	٤٠٠, ٣٩٧, ٣٩٤, ٣٨٥	٦٢٩
٣٢٤, ٣٢٣, ٣٢٢, ٣٢١	٤١٤, ٤١٣, ٤١٢, ٤١١	البريد, ٥١٨, ٥١٩, م ٥١٧
٣٤٣, ٣٤٢, ٣٤١, ٣٤٠	٤٢٥, ٤٢٤, ٤٢٣, ٤٢٢	١٧٨, م ٣٦, ٣٥, ٣٤, ٣٣
٣٥٩, ٣٥٨, ٣٥٧, ٣٥٦	٤٤٠, ٤٣٩, ٤٣٨, ٤٣٧	٢٧, ٢٦, ٢٥, ٢٤, ٢٣
٣٦٦, ٣٦٥, ٣٦٤, ٣٦٣	٤٥٢, ٤٥١, ٤٥٠, ٤٤٩	٥٥, ٥٤, ٥٣, ٥٢, ٥١
٣٧٠, ٣٦٩, ٣٦٨, ٣٦٧	٤٦٣, ٤٦٢, ٤٦١, ٤٦٠	١٩٦, ٢٧٧, ٢٧٦, ٢٧٥
٣٧٧, ٣٧٦, ٣٧٥, ٣٧٤	٤٧٦, ٤٧٥, ٤٧٤, ٤٧٣	افريقيه, ٩, ١٥, ٢٠
٣٨٢, ٣٨١, ٣٨٠, ٣٧٩	٤٨٨, ٤٨٧, ٤٨٦, ٤٨٥	٢٨, ٣٩, ٤٠, ٤١, ٤٢
٣٩٨, ٣٩٦, ٣٩٥, ٣٩٤	٥١٤, ٥١٣, ٥١٢, ٥١١	٥١, ٥٢, ٥٣, ٥٤, ٥٥
٤١٥, ٤١٤, ٤١٣, ٤١٢	٥٨٧, ٥٨٦, ٥٨٥, ٥٨٤	٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٤, ٦٥
٤٣١, ٤٣٠, ٤٢٩, ٤٢٨	٦٠, ٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٤	٧٥, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٧٩
٤٥٦, ٤٥٥, ٤٥٤, ٤٥٣	٦٧, ٦٨, ٦٩, ٧٠, ٧١	٨٥, ٩٦, ٩٧, ٩٨, ٩٩
٤٦٤, ٤٦٣, ٤٦٢, ٤٦١	٧٥, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٧٩	١٥٧, ١٥٨, ١٥٩, ١٦٠, ١٦١
٤٨٩, ٤٨٨, ٤٨٧, ٤٨٦	٨٠, ٨١, ٨٢, ٨٣, ٨٤	١٦٧, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٠, ١٧١
٤٩٧, ٤٩٦, ٤٩٥, ٤٩٤	٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٠	١٧٦, ١٧٧, ١٧٨, ١٧٩, ١٨٠
٥١٠, ٥٠٩, ٥٠٨, ٥٠٧	٩٦, ٩٧, ٩٨, ٩٩, ١٠٠	١٨٦, ١٨٧, ١٨٨, ١٨٩, ١٩٠
٥٢٠, ٥١٩, ٥١٨, ٥١٧	١٠٠, ١٠١, ١٠٢, ١٠٣, ١٠٤	١٨٨, ١٨٩, ١٩٠, ١٩١, ١٩٢
٥٤١, ٥٤٠, ٥٣٩, ٥٣٨	١٠٦, ١٠٧, ١٠٨, ١٠٩, ١١٠	١٩٤, ١٩٥, ١٩٦, ١٩٧, ١٩٨
٥٥٠, ٥٤٩, ٥٤٨, ٥٤٧	١١٢, ١١٣, ١١٤, ١١٥, ١١٦	١٩٨, ١٩٩, ٢٠٠, ٢٠١, ٢٠٢
٥٥٧, ٥٥٦, ٥٥٥, ٥٥٤	١٢١, ١٢٢, ١٢٣, ١٢٤, ١٢٥	٢٠٢, ٢٠٣, ٢٠٤, ٢٠٥, ٢٠٦
٥٦٠, ٥٥٩, ٥٥٨, ٥٥٧	١٢٦, ١٢٧, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٠	٢٠٦, ٢٠٧, ٢٠٨, ٢٠٩, ٢١٠
٥٦٧, ٥٦٦, ٥٦٥, ٥٦٤	١٣١, ١٣٢, ١٣٣, ١٣٤, ١٣٥	٢١٠, ٢١١, ٢١٢, ٢١٣, ٢١٤
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٣٦, ١٣٧, ١٣٨, ١٣٩, ١٤٠	٢١٤, ٢١٥, ٢١٦, ٢١٧, ٢١٨
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٤١, ١٤٢, ١٤٣, ١٤٤, ١٤٥	٢٢٠, ٢٢١, ٢٢٢, ٢٢٣, ٢٢٤
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٤٦, ١٤٧, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٠	٢٢٤, ٢٢٥, ٢٢٦, ٢٢٧, ٢٢٨
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٥١, ١٥٢, ١٥٣, ١٥٤, ١٥٥	٢٢٨, ٢٢٩, ٢٣٠, ٢٣١, ٢٣٢
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٥٦, ١٥٧, ١٥٨, ١٥٩, ١٦٠	٢٣٢, ٢٣٣, ٢٣٤, ٢٣٥, ٢٣٦
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٦١, ١٦٢, ١٦٣, ١٦٤, ١٦٥	٢٣٦, ٢٣٧, ٢٣٨, ٢٣٩, ٢٤٠
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٦٦, ١٦٧, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٠	٢٤٠, ٢٤١, ٢٤٢, ٢٤٣, ٢٤٤
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٧١, ١٧٢, ١٧٣, ١٧٤, ١٧٥	٢٤٤, ٢٤٥, ٢٤٦, ٢٤٧, ٢٤٨
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٧٦, ١٧٧, ١٧٨, ١٧٩, ١٨٠	٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٥١, ٢٥٢
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٨١, ١٨٢, ١٨٣, ١٨٤, ١٨٥	٢٥٢, ٢٥٣, ٢٥٤, ٢٥٥, ٢٥٦
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٨٦, ١٨٧, ١٨٨, ١٨٩, ١٩٠	٢٥٦, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٥٩, ٢٦٠
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٩١, ١٩٢, ١٩٣, ١٩٤, ١٩٥	٢٦٠, ٢٦١, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	١٩٦, ١٩٧, ١٩٨, ١٩٩, ٢٠٠	٢٦٤, ٢٦٥, ٢٦٦, ٢٦٧, ٢٦٨
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٠١, ٢٠٢, ٢٠٣, ٢٠٤, ٢٠٥	٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧٠, ٢٧١, ٢٧٢
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٠٦, ٢٠٧, ٢٠٨, ٢٠٩, ٢١٠	٢٧٢, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٧٥, ٢٧٦
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢١١, ٢١٢, ٢١٣, ٢١٤, ٢١٥	٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٨, ٢٧٩, ٢٨٠
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢١٦, ٢١٧, ٢١٨, ٢١٩, ٢٢٠	٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٢, ٢٨٣, ٢٨٤
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٢١, ٢٢٢, ٢٢٣, ٢٢٤, ٢٢٥	٢٨٤, ٢٨٥, ٢٨٦, ٢٨٧, ٢٨٨
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٢٦, ٢٢٧, ٢٢٨, ٢٢٩, ٢٣٠	٢٨٨, ٢٨٩, ٢٩٠, ٢٩١, ٢٩٢
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٣١, ٢٣٢, ٢٣٣, ٢٣٤, ٢٣٥	٢٩٢, ٢٩٣, ٢٩٤, ٢٩٥, ٢٩٦
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٣٦, ٢٣٧, ٢٣٨, ٢٣٩, ٢٤٠	٢٩٦, ٢٩٧, ٢٩٨, ٢٩٩, ٣٠٠
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٤١, ٢٤٢, ٢٤٣, ٢٤٤, ٢٤٥	٣٠٠, ٣٠١, ٣٠٢, ٣٠٣, ٣٠٤
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٤٦, ٢٤٧, ٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥٠	٣٠٤, ٣٠٥, ٣٠٦, ٣٠٧, ٣٠٨
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٥١, ٢٥٢, ٢٥٣, ٢٥٤, ٢٥٥	٣٠٨, ٣٠٩, ٣١٠, ٣١١, ٣١٢
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٥٦, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٥٩, ٢٦٠	٣١٢, ٣١٣, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٦
٥٦٩, ٥٦٨, ٥٦٧, ٥٦٦	٢٦١, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٥	٣١٦, ٣١٧, ٣١٨, ٣١٩, ٣٢٠

[illegible]

[illegible]

٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٥	١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧	١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢
٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٩	١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣	١٩٢، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠
١٨٠	١١٤، ١١٦، ١١٧	٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦
اوبليدای (لیکاکا) م ٣	١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١	٢١٤، ٢١٨، ٢١٥
٧٧٢	١٥٢، ١٥٦، ١٥٧	٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨
اوبلیتو (نهر) م ٣، ٣٩	١٨٤، ١٩٢، ١٩٤	٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦
اوبلیتور، م ٢، ١١٥	١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٤	٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٨
م ٣، ١٠٨، ٧٢٧، ٧٢٥	٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨	٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٩
٧٥١	٢٠٩، ٢٢٤، ٢٢٧	٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥
اوبانی، م ٢، ١٠	٤٦، ٧٢، ٧٣، ٧٤	٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٩
اومبریا، م ٣، ٦٤٦	٧٩، ٩٢، ٩٥، ٩٦	٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٧
ایالی، م ٣، ٢٨٤	١٥٨، ١٦٧، ١٩٦	٢١٢، ٢٥٩، ٢٦٠
ایتریا، م ٣، ١٢٥	١٧٢، ١٧٤، ١٧٦	٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩
ایمونی، م ٣، ٢٢٥، ٢٢٤	١٨١، ١٨٦، ١٨٩	٢٧٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩
٢٦٨	٢٠١، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٨	٢٩٥، ٢٩٦، ٢٠٢، ٢١٥
ایبراکلیا، م ٣، ٢٢٢	٢٥٠، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٧٦	٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧
ایزنیایا، ١٢٩، ١٢٥	٢٨٢، ٢٩٧، ٢٩٩	٢١٠، ٢١١، ٢١٥
٥١٥	٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧	٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٤
ایسلاندا، م ٢، ٢٩١	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤	٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٩
ایطالیا، ١١، ١٢، ١٢	٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣	٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٥٢
١٧، ١٩، ٢٢، ٢٠، ١١	٢٥٨، ٢٧١، ٢٧٢	٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥
٤٨، ٦٩، ٨٨، ٨٩	٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٢	٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١
٩٧، ٩٨، ١٠٦، ١٠٧	٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٥	٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٠٨
١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٥٤	٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨	٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢
١٥٥، ١٥٦، ١٦٥، ١٧١	٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥	٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٢
١٧٥، ١٨٠، ٢٥٢	٣٢٧، ٣٦١، ٣٦٢	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦
٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦	٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩	٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩	٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤	٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧
٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٨	٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨	٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢
٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣	٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥	٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩
٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧	٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢	٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥
٢٧٧، ٢٨٩، ٢٩٢	٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨	٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢
٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩	٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥	٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨
٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠	٤٠٩، ٤١٠، ٤١١	٤١٢، ٤١٣، ٤١٤
٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣	٤١٥، ٤١٦، ٤١٧	٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠
٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦	٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣	٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦
٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩	٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩	٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢
٣١٠، ٣١١، ٣١٢	٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥	٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨
٣١٣، ٣١٤، ٣١٥	٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١	٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤
٣١٦، ٣١٧، ٣١٨	٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧	٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠
٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١	٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣	٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦
٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤	٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩	٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢
٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧	٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥	٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨
٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠	٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١	٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤
٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣	٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧	٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠
٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦	٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣	٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦
٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩	٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩	٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢
٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢	٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥	٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨
٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥	٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١	٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤
٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨	٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧	٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠
٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١	٥١١، ٥١٢، ٥١٣	٥١٤، ٥١٥، ٥١٦
٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤	٥١٧، ٥١٨، ٥١٩	٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢
٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧	٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥	٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨
٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠	٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١	٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤
٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣	٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧	٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠
٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦	٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣	٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦
٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩	٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩	٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢
٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢	٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥	٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨
٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥	٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١	٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤
٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨	٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧	٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠
٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١	٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣	٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦
٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤	٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩	٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢
٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧	٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥	٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨
٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠	٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١	٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤
٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣	٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧	٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠
٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦	٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣	٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦
٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩	٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩	٦١٠، ٦١١، ٦١٢
٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢	٦١٣، ٦١٤، ٦١٥	٦١٦، ٦١٧، ٦١٨
٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥	٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١	٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤
٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨	٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧	٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠
٤٠٩، ٤١٠، ٤١١	٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣	٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦
٤١٢، ٤١٣، ٤١٤	٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩	٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢
٤١٥، ٤١٦، ٤١٧	٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥	٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨
٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠	٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١	٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤
٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣	٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠
٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦	٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣	٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩	٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩	٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢
٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢	٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥	٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨
٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥	٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١	٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤
٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨	٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧	٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠
٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١	٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣	٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦
٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤	٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩	٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢
٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧	٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥	٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨
٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠	٧٠٩، ٧١٠، ٧١١	٧١٢، ٧١٣، ٧١٤
٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣	٧١٥، ٧١٦، ٧١٧	٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠
٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦	٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣	٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦
٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩	٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩	٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢
٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢	٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥	٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨
٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥	٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١	٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤
٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨	٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧	٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠
٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١	٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣	٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦
٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤	٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩	٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢
٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧	٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥	٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨
٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠	٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١	٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤
٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣	٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧	٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠
٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦	٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣	٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦
٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩	٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩	٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢
٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢	٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥	٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨
٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥	٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١	٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤
٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨	٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧	٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠
٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١	٨١١، ٨١٢، ٨١٣	٨١٤، ٨١٥، ٨١٦
٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤	٨١٧، ٨١٨، ٨١٩	٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢
٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧	٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥	٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨
٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠	٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١	٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤
٥١١، ٥١٢، ٥١٣	٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧	٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠
٥١٤، ٥١٥، ٥١٦	٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣	٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦
٥١٧، ٥١٨، ٥١٩	٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩	٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢
٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢	٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥	٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨
٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥	٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١	٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤
٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨	٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧	٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠
٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١	٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣	٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦
٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤	٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩	٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢
٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧	٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥	٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨
٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠	٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١	٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤
٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣	٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧	٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠
٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦	٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣	٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦
٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩	٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩	٩١٠، ٩١١، ٩١٢
٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢	٩١٣، ٩١٤، ٩١٥	٩١٦، ٩١٧، ٩١٨
٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥	٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١	٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤
٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨	٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧	٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠
٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١	٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣	٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦
٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤	٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩	٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢
٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧	٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥	٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠	٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١	٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤
٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣	٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧	٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠
٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦	٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣	٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦
٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩	٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩	٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢
٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢	٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥	٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨
٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥	٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١	٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤
٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨	٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧	٩٨٨، ٩٨٩، ٩٨٩
٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١	٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣	٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦
٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤	٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩	١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢
٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧	١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥	١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨
٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠	١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١	١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤
٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣	١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧	١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠
٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦	١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣	١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦
٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩	١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩	١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢
٦١٠، ٦١١، ٦١٢	١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥	١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨
٦١٣، ٦١٤		

[illegible]

.٢٥١ .٢٤٩ .٢٤٨ .٢٤٦	.٢٠٧ .٢٠٦ .٢٠٥ .٢٠٤	.٢٨١ .٢٧٩ .٢٧٤ .٢٧٢
.٢٦١ .٢٥٦ .٢٥٥ .٢٥٢	.٢١٢ .٢١١ .٢١٠ .٢٠٩	.٢٨٦ .٢٨٤ .٢٨٢ .٢٨٢
.٢٦٩ .٢٦٧ .٢٦٦ .٢٦٢	.٢٢٩ .٢٢٤ .٢٢٥ .٢١٢	.٢٩١ .٢٩٠ .٢٨٩ .٢٨٧
.٢٨٥ .٢٨٤ .٢٨١ .٢٧٥	.٢٥٧ .٢٤٤ .٢٤٢ .٢٤٠	.٤٠٠ .٢٩٩ .٢٩٧ .٢٩٥
.٢٩٥ .٢٩٠ .٢٨٩ .٢٨٦	.٢٩٨ .٢٨٥ .٢٨٢ .٢٥٨	.٤١٠ .٤٠٩ .٤٠٧ .٤٠٥
.٢٠٢ .٢٩٨ .٢٩٧ .٢٩٦	.٤٠٢ .٤٠٢ .٤٠٠ .٢٩٩	.٤٢٠ .٤١٥ .٤١٢ .٤١١
.٢٠٨ .٢٠٧ .٢٠٦ .٢٠٥	.٤١٤ .٤١٢ .٤٠٨ .٤٠٥	.٤٢٩ .٤٢٢ .٤٢٦ .٤٢٥
.٢١٥ .٢١٤ .٢١٢ .٢١٢	.٤٢٧ .٤٢٦ .٤٢٤ .٤١٥	.٤٦١ .٤٥٤ .٤٥٢ .٤٤٠
.٢١٩ .٢١٨ .٢١٧ .٢١٦	.٤٢٢ .٤٢١ .٤٢٠ .٤٢٩	.٤٧٢ .٤٧١ .٤٧٠ .٤٦٨
.٢٢٤ .٢٢٢ .٢٢١ .٢٢٠	.٤٢٨ .٤٢٧ .٤٢٦ .٤٢٢	.٤٧٨ .٤٧٦ .٤٧٥ .٤٧٤
.٢٢٤ .٢٢٠ .٢٢٧ .٢٢٦	.٤٤٤ .٤٤٢ .٤٤٢ .٤٣٩	.٤٨٤ .٤٨٢ .٤٨٢ .٤٧٩
.٢٢٩ .٢٢٧ .٢٢٦ .٢٢٥	.٤٤٨ .٤٤٧ .٤٤٦ .٤٤٥	.٤٨٩ .٤٨٨ .٤٨٦ .٤٨٥
.٢٤٧ .٢٤٦ .٢٤٥ .٢٤٤	.٤٦٢ .٤٦٠ .٤٥٦ .٤٥٢	.٥٠٢ .٥٠٠ .٤٩٩ .٤٩٠
.٢٥١ .٢٥٠ .٢٤٩ .٢٤٨	.٤٧٧ .٤٦٦ .٤٦٥ .٤٦٤	.٥٤٠ .٥٢٩ .٥٢٨ .٥٢٦
.٢٦٤ .٢٦٢ .٢٥٩ .٢٥٢	.٥١٠ .٤٩٨ .٤٩٢ .٤٧٩	.٥٦٨ .٥٦٥ .٥٤٥ .٥٤٢
.٢٩٥ .٢٨٧ .٢٨٦ .٢٨٢	.٥٢٧ .٥٢٤ .٥١٧ .٥١٢	.٢٥ .٤٥ .٤٢ .٤١ .٢٤ .٢٣
.٤١٢ .٤٠٧ .٤٠٥ .٤٠٢	.٥٢٥ .٥٢١ .٥٢٠ .٥٢٩	.٢٦ .٢٥ .٢٤ .٢٢ .٢٦
.٤١٨ .٤١٧ .٤١٥ .٤١٤	.٥٥٩ .٥٥٨ .٥٥٧ .٥٤٥	.٤٤ .٤٣ .٤١ .٢٩ .٢٧
.٤٢٩ .٤٢٨ .٤٢٥ .٤٢١	.٥٢٣ .٥٦٢ .٥٦١ .٥٦٠	.٦٢ .٦١ .٦٥ .٥٠ .٤٥
.٤٤٠ .٤٤٩ .٤٤١ .٤٢٨	.٨٢ .٨٠ .٧٦ .٧٤ .٤٥	.٧٨ .٧٢ .٧٢ .٦٩ .٦٨
.٤٥٩ .٤٥٨ .٤٥٧ .٤٥٢	.١٠٢ .١٠٠ .٩٩ .٨٧ .٨٦	.١٤٦ .١٠٠ .٩٨ .٨١ .٨٠
.٤٧٢ .٤٦٤ .٤٦٢ .٤٦٢	.١٠٩ .١٠٨ .١٠٦ .١٠٤	.١٥١ .١٥٠ .١٤٨ .١١٧
.٤٨١ .٤٧٦ .٤٧٤ .٤٧٢	.١١٦ .١١٥ .١١٤ .١١٢	.١٥٨ .١٥٧ .١٥٦ .١٥٢
.٤٨٦ .٤٨٥ .٤٨٤ .٤٨٢	.١٢٠ .١١٩ .١١٨ .١١٧	.١٦٥ .١٦٤ .١٦٢ .١٦١
.٥٠٢ .٥٠٠ .٤٩٩ .٤٩٠	.١٢٥ .١٢٤ .١٢٢ .١٢١	.١٨٤ .١٨٢ .١٧٩ .١٦٦
.٥١٥ .٥١٤ .٥٠٩ .٥٠٤	.١٣١ .١٢٩ .١٢٨ .١٢٦	.١٩٢ .١٩١ .١٨٦ .١٨٥
.٥١٩ .٥١٨ .٥١٧ .٥١٦	.١٣٦ .١٣٥ .١٣٤ .١٣٢	.١٩٦ .١٩٥ .١٩٤ .١٩٢
.٥٢٩ .٥٢٨ .٥٢٦ .٥٢٥	.١٤٠ .١٣٩ .١٣٨ .١٣٧	.٢٠٠ .١٩٩ .١٩٨ .١٩٧
.٥٢٤ .٥٢٢ .٥٢١ .٥٢٠	.١٤٦ .١٤٥ .١٤٢ .١٤١	.٢١٤ .٢١٢ .٢١٢ .٢٠٢
.٥٤١ .٥٤٠ .٥٣٧ .٥٣٦	.١٥٢ .١٥٢ .١٥١ .١٤٧	.٢١٩ .٢١٧ .٢١٦ .٢١٥
.٥٤٦ .٥٤٤ .٥٤٢ .٥٤٢	.١٦٧ .١٦٢ .١٦٢ .١٥٨	.٢٢٩ .٢٢٤ .٢٢٢ .٢٢٢
.٥٥٠ .٥٤٩ .٥٤٨ .٥٤٧	.٢٠٤ .١٨٦ .١٧٨ .١٧٥	.٢٤٢ .٢٢٤ .٢٢٢ .٢٢٠
.٥٥٥ .٥٥٢ .٥٥٢ .٥٥١	.٢١١ .٢١٠ .٢٠٩ .٢٠٧	.٢٤٩ .٢٤٨ .٢٤٦ .٢٤٥
.٥٦١ .٥٦٠ .٥٥٩ .٥٥٧	.٢١٧ .٢١٦ .٢١٥ .٢١٢	.٢٦٩ .٢٦٢ .٢٥٧ .٢٥٦
.٥٦٥ .٥٦٤ .٥٦٢ .٥٦٢	.٢٢٨ .٢٢٥ .٢٢٠ .٢١٩	.٢٧٧ .٢٧٥ .٢٧٢ .٢٧١
.٥٧٢ .٥٧١ .٥٦٧ .٥٦٦	.٢٢٢ .٢٢٢ .٢٢٠ .٢٢٩	.٢٩٨ .٢٩٧ .٢٨٢ .٢٧٩
.٥٧٨ .٥٧٦ .٥٧٤ .٥٧٢	.٢٢٩ .٢٢٨ .٢٢٧ .٢٢٥	.٢٠٢ .٢٠١ .٢٠٠ .٢٩٩



٥٧٩، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٢	باليسلن، م ٦٠٨، ٣	٦٥٢
٥٩٤، ٥٩٥، ٦١٤، ٦١٧	پاولا، م ٢، ٢١٨	البحر التيراني، ٢٨٧
٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٧	پایا، ١١٢	١٦٥، ١٦٩، ١٧٧، ١٧٩
٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٤، ٦٤٥	پایدا، م ٢، ٦٨، ٦٩	م ٢، ١٦٨، ١٨٤، ٢٧٠
٦٤٦، ٦٥٠، ٦٥٢، ٦٥٤	٢١٥	٢٤٦، ١٦١، ٣، ٢٦، ٩
٦٥٦، ٦٥٧، ٦٦٢، ٦٧٠	پایو، م ٣، ٢٤، ٧٥٥	٧٨
٦٧٢، ٦٧٩، ٦٨١، ٦٨٢	پترا، ١١٥، م ٣، ٧٨٦	البحر المتوسط، ٤٦
٦٨٢، ٦٨٤، ٦٨٤، ٧١٧	پتراسو، ٥٥٩، ٥٦٦	٥٦، ٧٢، ٨٢، ٨٩، ١٥٢
٧١٨، ٧١٩، ٧٢١، ٧٢٦	پترایا، م ٢، ٤٠٨، ٣	١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٥
٧٢٧، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣٦	٩٢، ٩٣، ٩٤، ١١٨، ١١٧	١٧١، ١٧٥، ١٨١، ١٩٩
٧٧، ٧٧٨، ٧٧٦، ٧٧٧	٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٤، ٢٢٦، ٢٢٦	٢٤٩، ٢٩٤، ٢٩٨، ٤٤٠
٧١٨، ٧٥٤، ٧٥٤، ٧٥٥	پتلاری، م ٣، ٣١٢	م ٢، ١٧٥، ١٧٦، ٢٢٧
٧٥٦، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦٢	پتینینجو، م ٣، ٢٢٠	٢٠٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٨
٧٦٢، ٧٦٦، ٧٦٦، ٧٦٨	پتینو، م ٣، ٢٢٠	٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٧
٧٧٢، ٧٧٥، ٧٧٥، ٧٧٧	پجایک (پوجی)، ٥٧	٤٥٦، ٤٧٨، ٥١٢
٧٧٨، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢	١٩٥، ١٩٧، م ٢، ١٢٦	م ٣، ٧، ١٨، ١٩، ١١٥
٧٩١، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢	١٩٢، ٢٦٨، ٥٢٩، ٥٤١	١٧١، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٢
٨٠٢، ٨٠٤، ٨٠٦، ٨٠٧	م ٣، ٨٨، ٩٩، ٢١٢، ٢٩٢	٢٦٧، ٢٦٨، ٥٤١، ٦٠٢
٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٢، ٨١٢	٢٩٢، ٤١٣، ٤١٥	٦٤٤، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥٢
٨١٤، ٨١٦، ٨١٩، ٨٢٢	٤٥٦، ٤٨٢، ٥٠٠، ٥٠٥	٦٨١، ٧٧٢، ٨١٢، ٨١٦
٨٢٢، ٨٢٦، ٨٢٥، ٨٢٩	٦٧٠، ٦٧٥	البحر الیونی، بحر
٨٢٠، ٨٢٩، ٨٢٤، ٨٢٨	بحر افریقایة او بحر	یونیو، ١٢٥، م ٢، ٢٧٠
٨٤٩	الافریقانی، ١٧٧، م ٣	٢٥٤، ٣، ١٠٥
پالما، م ٢، ٢٢٢، م ٣	١٠٢	البحرین، م ٢، ١٢١
٧٥٨، ٧٨٢	البحر الأحمر، ١٢٢، م ٢	البحیرات الثلاث، م ٢
پالن، ٥٦٦، م ٢، ٤٢١	٤٢٤	٧٠
٦٤، ٣م	البحر الأدریاتیکی، ٩٨	پلاری، م ٢، ٢٦، م ٣
١١٥، ٧٨٦، ٣م	٢٨٧، ٢٠١، ٢٧٧، ٢٩٠	٢١١، ٢١٢
پالو (میتا)، ٧٥٢، ٣م	٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٩	پدیاکسا، م ٣، ٨٠٤
پالودی، مروتیدی، ٢٩١	٤٩٥، م ٢، ١٧٠، ١٧٦	پراتشور دل سلفاتوری
پالیتسی (بحیرة)، ٩٠	١٨٥، ٢٥٢، ٢٦٩، ٢٤٧	٣، ٦٢، ٧١
٢٤٦	م ٣، ١٦٤، ٢٢٢، ٤٢٠	پرامیلو (مجن)، ٢٢٩
پامیرج، م ٣، ٢٢، ٤٨	٤٥٥، ٦٤٩	پراونی، م ٣، ٧٠
٧٦٠	البحر الأسود، ٩٦، ١٦٨	الپراسی (جبال)، ١٩٩
البلیتین (فی روما)	٥٦٠	٢٢٠، ٢٢١
١٧٩	بحر البلیتی، م ٢، ٢٩١	الپرتقال، م ٢، ٦٧، ٥١٧
	٢٩٤، ٢٩٧، م ٣، ٢١	٣، ١٠٦

برکتا، م ۳، ۷۳۹.	۵۱۹.	بکرت، بکرت، م ۳، ۱۷۹.
برج البطل، م ۳، ۷۸۲.	برجاء، م ۳، ۲۱۹.	۲۱۲.
برجاسو، م ۳، ۲۱۹.	بریسق، م ۳، ۵۰۰.	بکلی، م ۲، ۱۷۲.
۲۲۰.	بریشا، م ۳، ۲۲۰.	بلاکلو (جبل)، م ۳.
برجوزا (بحيرة)، ۲۷۵.	۶۳۶، ۲۲۱.	۵۸۲، ۵۸۲، ۷۲۸.
۲۹۲، ۲۹۲، م ۳، ۸۲.	بروکلایا (الجزر).	بلاکلی، م ۳، ۲۷۱.
البر الايطالی، انظر	البروکلایة (الجزیرة).	۲۹۶، ۲۹۹، م ۲، ۲۲۰.
إيطاليا.	م ۳، ۲۱۱، ۲۱۱، ۶۵۲.	۲۰۱، ۲۰۲.
برشلونه، م ۳، ۱۸.	۸۲۰.	بلاکلی (قلعة)، م ۳.
۳۶۹، ۳۸۲، ۳۸۲، ۱۵۸.	بروشیزو، ۱۱۶، ۱۹۹.	۱۷۶، ۱۷۷، ۲۶۶، ۵۵۲.
۷۷۲.	م ۳، ۱۲۵، ۵۷۱، ۵۸۷.	۵۶۵، ۵۶۷.
برقه، ۱۸۵، ۱۸۹، ۱۹۲.	بروشیباتو، م ۳، ۱۲.	بلاکلی (نهر)، م ۳، ۵۷۵.
۱۹۱، ۱۹۵، ۱۹۷، ۲۰۶.	۵۱، ۵۶، ۲۱۹، ۳۳۰.	۵۸۲.
۲۲۸، م ۳، ۱۶۲، ۲۸۹.	۵۹۰، ۶۰۲.	بلاکلیو (مستقلة).
۲۶۱، م ۳، ۲۱۲، ۵۰۱.	بروشیاتو، م ۳، ۲۵۲.	۳۳۶، ۳۹۷.
۱۱۲، ۱۶۳، ۱۷۰، ۵۰۰.	بستکری، ۳۲۶.	بلاکلیلا، م ۳، ۲۲۰.
۶۱۰، ۷۴۱، ۷۹۶.	البصرة، ۱۲۶، ۱۶۲.	بلاکلیو (جبل)، م ۳.
برکه، ۳۲۸.	م ۳، ۱۲۰، ۵۲۲.	۵۸۲.
برکتا البونی، م ۳، ۲۵۲.	بطرسبرج، ۲۲، ۲۱، ۱۲.	بلاد ما بین النهرین
بروتسانو، م ۳، ۱۷۷.	۵۱، م ۳، ۲۹۱.	(میزوبوناسیا)، م ۳، ۳۵.
۲۵۲، م ۳، ۶۱۱.	۵۰۸، ۵۱۰.	۱۰۲، ۲۸۱.
بروفانس، م ۳، ۱۹.	البطنة (عين)، م ۳.	بلجیه، ۳۰۶.
۱۹۵.	۷۸۱.	بلژما، م ۳، ۲۰۶.
بروکتو (قلعة) بورکاد.	بغداد، ۱۱، ۱۵، ۱۶، ۶۳.	۱۲۶، ۱۲۷، ۱۹۰.
م ۳، ۱۰۹، ۱۱۰، ۲۹۹.	۱۶۲، ۲۱۵، ۲۱۸، ۲۲۲.	بلاکریو (جبل)، ۲۸۱.
۲۰۸، ۷۳۸.	۲۶۸، ۲۸۵، ۲۹۱، ۱۳۳.	م ۳، ۱۵۱.
بروکلایو، م ۳، ۲۱۹.	م ۳، ۷۹، ۷۷، ۱۸، ۱۱۱.	البلیار (جزیر)، ۱۹۹.
برولو، م ۳، ۱۱۵.	۱۱۸، ۱۲۱، ۱۵۵، ۱۵۶.	۳۲۱، م ۳، ۱۱، ۱۱، ۱۶.
۲۱۹.	۲۲۶، ۲۲۱، ۲۸۱، ۲۸۵.	۱۸، ۲۰، ۲۶۹، ۲۷۰.
برولویو، م ۳، ۲۱۹.	۲۹۹، ۲۱۳، ۱۱۱، ۱۱۹.	۳۷۱، ۱۶۷، ۵۰۲، ۵۰۲.
بروستورینو تشرتشیو.	۱۵۱، ۱۶۵، ۱۷۶، ۵۰۶.	۵۰۱.
(قبطونة العرب)، م ۳.	۵۰۸، ۵۱۰، ۵۱۶، ۵۲۲.	بلیرا، م ۳، ۲۶، ۳۰۱.
۱۶۱.	۵۵۷، ۵۵۹، م ۳، ۲۶۱.	(سیجا بلهارت)
بروشی، ۲۷۵.	۲۵۱، ۲۶۷، ۲۶۹، ۱۱۵.	(بلارو).
بروکتیکو، م ۳، ۲۵۷.	۱۹۰، ۱۹۹، ۵۰۰، ۵۰۶.	بلیتشی، م ۳، ۲۸.
بروتلی، م ۳، ۲۲، ۱۱۰.	۵۰۷، ۶۱۰، ۶۲۰، ۶۳۷.	بلیزرینو، ۲۸۲.
بروتسی، م ۳، ۳۰۸.	۶۸۵، ۶۹۰، ۷۷۸، ۷۹۲.	بلیش، ۲۰۶.

بنارایا (جزیره)، م ۳	۵۹۱	اليسفور (مضيق)، ۹۶
۷۲۲	بنوتو، م ۲، ۲۵۱	م ۳، ۷۹، ۱۰۶
بنتابولی، ۱۶۹، ۲۵۲	بو (نهر)، ۱۱۹، م ۲	بوسگا، م ۳، ۱۹۹
بنتابیگا، ۲۷۵، م ۳	۱۰۵، م ۳، ۱۰، ۱۹۸	بوسگو، م ۳، ۱۹۹
۱۸۳	۲۳۲	بوشین، م ۳، ۵۶۹
بنتابیون، م ۳، ۸۲۱	بوعبة الحریة، م ۳، ۷۸۲	بوشیو، م ۳، ۲۱۵، ۲۲۰
بنتجرا (بنترجو)	بوحیبة، ۲۲۱	بوکا دی فانگو، م ۲، ۶۸
بنتارجا)، م ۳، ۱۸۲	بواجیمو (قلعة)، (قلعة)	م ۳، ۵۶۱
بنتلایا (قصره)، ۱۸۸	لیو الجمیع)، م ۳، ۱۱۲	بوکیری، م ۳، ۷۱۹
۲۲۸، ۲۲۹، ۲۶۹، م ۲	بوترافو، ۵۶۵	بولاق، م ۲، ۵۲۲
۲۷۶، ۱۵۹، ۵۱۹، م ۳	بوتسولو، م ۲، ۸۷	بولینا، م ۳، ۵۷۱
۸۹، ۱۷۲، ۱۷۱، ۲۷۵	بوتسولوی، ۱۲۱، م ۲	بولندا، م ۲، ۲۹۵، م ۳
۲۷۶، ۱۰۷، ۵۲۰، ۵۲۵	۱۶۱، م ۳، ۱۵۶	۶۵۲
۵۷۷، ۶۰۲، ۶۰۱، ۶۰۵	بوتنسا، م ۳، ۲۲۱	بولونیا، م ۳، ۲۲۰، ۱۱۵
۷۲۲، ۷۲۷، ۷۱۵، ۷۱۹	بوتیرا، ۲۸۰، ۲۸۶	۶۱۷، ۶۷۷
۷۷۱، ۸۲۸	۲۸۷، ۱۰۶، م ۳، ۱۰۲	بولیا، ۲۱، ۸۹، ۲۲۷
بنتیداتولو، ۵۶۵	۱۰۱، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۷۹	۲۷۵، ۲۹۰، ۲۹۷، ۱۱۹
بنسیرا، م ۳، ۵۹۲	۲۲۱، ۲۲۶، ۲۶۹، ۲۹۹	۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۱
بنشتو، ۱۷۱، ۲۵۶	۲۰۲، ۱۷۱، ۷۲۷	۱۹۱، ۱۹۶، ۱۹۷، ۱۹۹
۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰	بوچا، م ۲، ۱۲۶، ۱۲۰، م ۳	۵۰۰، ۵۰۱، ۵۰۲، م ۲
۲۶۱، ۲۶۱، ۲۸۲، ۲۷۶	۲۶۰، ۲۶۲، ۲۶۹، ۱۱۱	۱۵۹، ۱۷۲، ۱۷۱، ۱۷۵
۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۲۲	۱۱۹	۱۸۱، ۱۸۲، ۲۵۰، ۲۱۵
۱۲۱، ۱۲۶، ۱۲۵، ۱۲۶	بوچامی، م ۳، ۱۱۲، ۱۱۶	۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۱۹
۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۱	۲۷۰	۲۲۱، ۲۱۱، ۲۱۹، ۲۵۱
۱۲۵، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۱۱	بورگامورونی، م ۳، ۵۲۵	۲۵۲، ۲۵۲، ۲۹۰، ۲۹۱
۱۱۲، ۱۱۱، ۱۱۵، ۱۱۶	بورگالیرا، م ۲، ۱۲۱	۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۲۷
۱۱۸، ۱۱۹، ۱۵۱، ۱۹۱	بورگیشی، ۵۱۲	م ۳، ۲۰، ۲۸، ۲۹
۱۹۵، ۱۹۶، ۱۹۷، ۱۹۸	بورگیت، ۲۹۷	۲۱، ۲۲، ۲۳، ۲۶، ۲۹
۵۰۱، ۵۰۱، ۵۰۵، ۵۰۹	بورجو، م ۳، ۲۱۹	۱۱، ۱۲، ۱۳، ۱۱، ۱۸
۵۱۱، ۵۱۸، م ۲، ۱۵۹	بورجونیا، م ۳، ۲۱۲	۱۹، ۵۱، ۵۳، ۵۲، ۵۱
۱۶۹، ۱۷۰، ۱۷۲، ۱۷۱	بورجیتو، م ۳، ۷۱۱	۵۶، ۵۷، ۵۹، ۶۷، ۶۸
۱۷۵، ۲۵۰، ۲۵۲، ۲۵۲	بورجیمیلونو، م ۳، ۵۸۱	۷۰، ۷۲، ۷۶، ۸۶، ۱۰۱
۲۸۲، ۲۱۵، ۲۲۶، ۲۲۱	بورنو، م ۳، ۲۲	۱۰۶، ۱۰۸، ۱۱۰، ۱۱۲
۲۱۲، ۲۱۶، ۲۵۱، ۲۸۷	بورکلا (قلعة بروکاتو)	۱۱۱، ۱۱۷، ۱۲۱، ۱۲۵
۵۱، ۵۸، ۵۸، ۵۸، ۱۱۲	م ۳، ۲۱۲، ۷۲۸	۱۱۸، ۱۱۱، ۱۱۹، ۱۵۰
۱۸۵، ۱۹۲، ۲۸۸، ۲۹۱	بوتکو (کبر)، م ۲، ۹۶	۱۶۱، ۱۶۸، ۱۸۱، ۱۸۵
	بوتولی، م ۳، ۱۷۷	۱۸۶، ۱۸۸، ۲۱۱، ۲۲۷

٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٦، ٢٧٨	پوپو، م ٢، ٤١٢.	٢٧٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢
٢٩٨، ٢٨٩، ٢٧٢، ٢٧١	پیتسنا، ٢٩٧، م ٣.	٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٠٠
١٩٧، ١٥٥، ١٥١، ١٢١	٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٠، ٢١٩	٢٢٩، ٢٢٠، ٢١٢، ٢٠٦
٥٠٢، ٥٠٢، ٢٩٩، ٢٩٨	٢٦٨، ٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٦	٢١٥، ٢١٢، ٢١٢، ٢١٠
٥٢٢، ٥١٤، ٥٠٧، ٥٠٦	٧٨٤، ٤٧٥، ٤٧٤، ٢٠٦	٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٢، ٢٦٠
٥٥٩، ٥٥٧، ٥٢٩، ٥٢٢	پیتساکوری، م ٣، ٢٢٠	٤٢٢، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨
٥٧٩، ٥٦٧، ٥٦٢، ٥٦٠	پیتسو، م ٣، ٢٢٠	١٥٧، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٢
٦٦٤، ٦١٠، ٦٠٢، ٥٨٥	پیتسولو، م ٣، ٢٢٠	٥٢١، ٥٢٧، ٥٢٦، ٤٦٧
٨٠٧، ٧٧٢، ٧٥٨، ٧٢٧	پیتا دی جریشتی، م ٣	٥١٨، ٥١٦، ٥١٤، ٥٢٥
٨١٢، ٨٢٠	٨٠٨، ٧٤١، ٦٦٢	٥٨٥، ٥٨٠، ٥٧٥، ٥٦٩
پیتاکولینو، م ٣، ٥١٩	پیتولا، م ٣، ٢١٩	٥٩٧، ٥٩٤، ٥٩٠، ٥٨٩
٧٢٥	پیترا برتسیا، م ٢٩٢، ٢	٦٢٨، ٦٢٢، ٦٠٥، ٦٠٢
پیترا (لوری)، م ٣، ٢١٩	٢٨٠، م ٣، ٣٠٨	٦٦٠، ٦١٧، ٦١٧، ٦٢٩
پیتزفله، ١٥٦، ٢٢٥	پیتراپائلا، م ٢، ٢٥٢	٨٢٥، ٨٢٤، ٨٢٢، ٨٢٠
٧٩٦، م ٣، ٢١٥	پیترا دی روزیتو، م ٢	٨٢٢
پیتزینانو، م ٢، ٢٢٢، م ٣	٤١٩	پولیتسی، ١٧٨
٢٢١	پیترا، م ٣، ٢٧٠، ٧٢٨	پولیتسی، ١٧٧، ١٧٨
پیترا (قلعه)، م ٣، ١٧٦	پیتروکوکا، م ٢، ٢٥١	١٧٩، ١٨٠، م ٣، ٢٨٤
پیتونا، م ٣، ٢١٩	٢٥٢	٥٧١، ٥٥٥
دل پیک (دیر)، م ٣	پیت لجم، م ٢، ٤٢٤	پولیکاسترو (خلیج)، م ٢
١٩١	پیتولنتو، م ٢، ٢١٧	٢٤٤، م ٣، ٢٢١
پیکاری، م ٣، ٢١٩	پیتیرانا، م ٣، ٢٠٨	پولتکورو، م ٣، ٦٨٢
پیکو، م ٢، ٨٨	پیدچا، م ٢، ٦٧	پولتی دیلا جراتسیا، م ٣، ٥٦٠
پیلات، انظر بلاتانی	پیراسیتلا، ٩٦	
پیلوریاد (جبال)، ٤٨٢	پیرسن، م ٣، ٢١٦، ٤٨٤	پولزا (جزیره)، ٢٩٩
٨٠، م ٢	پیروت، م ٢، ٢١٧، م ٣	٤٦٥، ٤٦٦، م ٣، ٢٢٧
پیلویولینو، ٢٤٩، ٤٦٠	٤١٢	پولزولی، م ٣، ١٩٩
٥٥٩، ٥٠٠، ١٧٥، ١٧٤	پیرولایس (کاپوا)	پونه، ٢٩٤، م ٢، ١٢٦
٤٦٥، ٤٠٥، م ٣، ٥٦٥	القدیمه)، ٥٠٩	٢٠٦، م ٣، ١٩، ١٨٩
پیلینتشی (نهر)، م ٣، ٩٢	پیزا، ٢٨، ٤٦٥، م ٢	٢١٢، ٤١٢، ٤١٢، ٤١٥
پیمونت او پیمونت، م ٢	٢٧٦، ٢٤٨، ٢١٨، ٢١٥	٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٧
٢٢٠، ٢٠٠، م ٣، ١٧٤	٥١٢، م ٣، ٨٠٧، ١٢، ٩	٤٢٩، ٤٢٠، ٤٦٠، ٤٦١
٨٤٦، ٢٦٦، ٢٢٥	١٢، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣	٥١٢، ٥٧٧
پینزاسی (جبل)، م ٢	١٠٤، ٢٢، ٢٠، ١٩، ١٨	پونه (راس)، م ٢، ٤٧٧
٦٨	١٠٨، ١٠٩، ١٦١، ١٧٠	پولیفانو، م ٢، ٤٤٢، م ٣
	١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤	٧٨٢
	١٩١، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٦١	پولیفانو، ٤٣٥، ٥١٢

١٢٧، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩ م	١٢٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤	(ت)
٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥	٥٥١، ٤٧٩، ٤٧٨، ٤٦٦	تلفی، م ٣، ٧٢٨
١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤	١١٥، ٨٦، ٦٤، ٥٩ م ٣	تلاذیر، م ٢، ٥٢٨
١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٢	١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٢٧	تلاوی (زائد)، م ٣، ١٩٨
١٥٥، ١٦١، ١٦٢، ١٦٩	٢١٢، ٢١٠، ١٦٧، ١٦٢	تلفی، م ٢، ٢٧١
١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٨	٢٦٩، ٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٢	تلمرت (تلمورت)
٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٨٠	٣٠٦، ٢١٥، ٢٢٢، ٣٠٤	توجرت، م ١٠، ٢٤٠ م ٢
٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥	٥١٧، ٥١٩، ٥٢٥، ٥٥٧	١١٠، ١١٢
٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢	٥٧٤، ٥٧٨، ٥٩٤، ٧٢٢	تلومینا، ٩٢، ١٠٠
٢٩٦، ٣١١، ٣٠٨، ٣١٢	٧٢٤، ٧٢٨، ٧٤٢، ٧٥١	٢٩٤، ٣٦٥، ٣٨٩، ٤٠٨
٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨	٧٥٧، ٧٧٢	٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤٥٥
٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٥٩٤	ترکیبا، م ٣، ٣٠٨	٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٧٨
سلسلہ جبال ترکیبا، م ٣	٧٥١، ٧٥٢	٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٨
١٠٢	ترکشا، ٢٦٧، ٤٩٨ م ٢	٤٩١، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٤٠
تریمبولہ، ٥٦٠	٢٥٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٧	٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٧
ترکیبا، ٢٤٤ م ٢، ١٨	٢٧٨	٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٩
٢٤٥، ٢٨١	ترکتو، ٧٨، ٤١٨، ٤١٩	م ٢، ٦٠، ٦٢، ٧٠، ٧١
ترمین، (جنر)	٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤	٧٢، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢
(زیمبرا) ٢٩٠، ٤٧٧	٤٢٥، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٢٩	٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨
انظر سان	٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٩٤	٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٥٤
لیوناریو، م ٢، ٢٥٢	٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٨ م ٢	١٥٥، ١٩٠، ١٩١، ٢٢٢
٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٠	١٦٩، ١٧٩، ١٨٢، ٢١٦	٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٦٢
١١٠ م ٣، ٤١٣	٣٢٠، ٣٢٧، ٣٢٤، ٣٤٥	٢٦٤، ٢٦٩، ٢٦٥، ٢٩٥
١١٧، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٦	٢٤٦، ٤١٥ م ٣، ١١٢	٢٩٦، ٢٩٨، ٤١١، ٤١٢
٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢	١١٥، ٥٤١، ٥٤٩، ٥٥٩	٤٢٥، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥٠
٥١٩، ٧٣٧، ٧٣٠، ٧٣٤	ترکتو (خلیج)، م ٢	م ٣، ٦٢، ١٠١، ١٥١
٧٣٥، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٢	٢٣٤	١٦٠، ١٦١، ١٦٨، ٢٦٩
٧٧٢، ٨٠١	ترکوسکیانا، م ٢	٢٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٧٢
ترمین (نہر)، م ٣، ١٥١	١١٤ (ما وراء النہر)	تکوی، م ٣، ٢١٢
ترکتو، م ٣، ٥٦٩	ترکی، م ٣، ٤٢، ١٤٥	بلاد التکر والتکر، ١١
ترکیبا، ٥٢٥	ترایتو، ٥٠٧، ٥١٥ م ٢	٨٠، ١٤١ م ٢، ٢٦
ترکتو، م ٢، ٢٤٤ م ٣	١٦٩	١١٢
١٨٥	ترکیبا لو ترکیبا، ٤٠٨	تیسر، انظر بالمیرا
١١٤، ٦٨ م ٣، ٢٨٦	١٧٢، ٥٢٤، ٥٢٦ م ٢	ترکیبا، ٢٢٩، ٥٢٨
٢٨٦، ٥١٩، ٥٢٢، ٨٢٢	٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٤٠٠	٥٢٩ م ٢، ٢٧، ٦٦، ٦٧
تریبولی حقیقہ، م ٢	٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٩	٦٨، ٨٠، ٨٩، ١٦٣، ١٦٦
٤٤٤	٤١٥، ٤٢١، ٤٢٩، ٤٢٠	٢٨٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٧

تريپس، م ۷۸، ۴	تشيخالو، ۲۱، ۹۳، ۳۷۰	۵۲۸، ۴، ۶۳، ۷۰
تريسونلدا، م ۲۱۰	۲۷۲، ۲۷۱، ۲۸۹	تقپين، م ۴، ۱۱۸، ۱۵۶
تريفلن (قلعة)، م ۴	۲۹۰، ۲۹۷، ۱۷۷، ۵۲۵	۱۹۹
۵۱۳، ۵۲۵	۵۲۸، م ۲، ۱۰۲، ۱۱۳	تور (قصص)، م ۴، ۲۱۱
تريوي، م ۱۷۲، ۴	۱۱۳، ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۵۵	۷۶۵
تريوييري، م ۲، ۱۲۲	م ۴، ۱۰۱، ۱۰۹، ۱۱۰	توراني، م ۴، ۱۷۰
۱۲۱، م ۴، ۲۲	۱۵۱، ۲۰۵، ۲۰۸، ۲۰۹	تورولو (نهر)، م ۴، ۲۰۶
تريوستيري، م ۴، ۷۵	۲۱۱، ۲۱۲، ۲۱۵، ۲۲۲	۲۱۲، ۷۲۶
تريمولي، م ۱۸۵، ۲	۲۲۶، ۲۵۱، ۲۶۲، ۲۷۸	تورتوييتشي، م ۴، ۷۲۹
تريونگيريا، ۲۱۷	۲۹۰، ۲۹۱، ۳۰۵، ۳۰۶	تورتوزا، م ۴، ۱۰۶، ۵۱۰
تريوكالا، ۵۲۸، ۵۲۹	۳۰۷، ۳۱۳، ۳۲۲، ۳۲۵	تورتونا، م ۴، ۱۹۸
تريوشاتي، م ۴، ۵۵۵	۱۱۱، ۱۵۲، ۱۶۲، ۵۱۹	تورولنس (قلعة)، م ۴
تريوت، ۱۷۱، ۱۷۵، م ۴	۵۵۹، ۵۵۴، ۵۷۱، ۶۱۱	۷۷۸
۵۱۰	۷۳۵، ۷۳۶، ۷۶۳، ۷۶۸	لي توري (الأبراج)، م ۴
تسالونيكى، ۲۸، ۱۵۸	۷۷۲، ۷۸۲، ۸۰۲، ۸۲۹	۲۲۰
۱۷۵، ۵۵۲، ۵۵۱، ۵۶۷	تشيخالوليا، ۱۷۱، ۱۷۵	توريقلو، ۲۰۱
۵۶۸، م ۲، ۵۰، ۹۱، ۹۲	م ۳، ۱۵۰، ۵۱۰	توري بيزاندا، م ۴، ۲۱۹
م ۴، ۱۳، ۲۲۲، ۳۱۶	تشيكلادي، ۳۱۲	توريستا (طريق)، م ۴
۵۰۵، ۵۱۰، ۵۲۰، ۵۲۱	تشيكلولي، م ۴، ۱۷۱	۶۸
۶۶۱	۱۷۲	تورينو، ۵۱۸، م ۴، ۱۹۹
تساليا، ۵۵۱	تشيالانو، م ۴، ۵۷۸	۲۲۰، ۵۰۲، ۱۱۹، ۷۶۵
تشلنس، م ۴، ۵۶۵	۵۸۲	توزا، م ۴، ۱۱۱
تشتنوزين (حصن)، م ۴	تشيلاسو، م ۴، ۲۶۶	۱۰۱، ۷۲۱
۷۹، ۲۸۵، ۲۹۲	تشيپيلنا (كينز)	توزر، ۵۸، م ۴، ۲۰۶، ۴
۳۰۸، ۳۱۱، ۳۱۳، ۵۸۸	(كاسين)، م ۴، ۲۸۲، ۲۸۱	۵۰۰
۵۹۱	۵۱۹، ۷۲۹	توسكانا، ۱۲، ۲۵۶
تشنشلا، م ۴، ۵۸۲	تشينيزي، م ۴، ۱۱۱، ۴	۲۶۰، ۳۱۱، ۵۰۸
تشيشارا (تشيشارا ۱)	۱۶۲، ۲۲۰	م ۴، ۷، ۲۲۲، ۱۲۵، ۵۲۲
۵۱۱	تشينيزيقلو، م ۴، ۲۲۰	۵۲۷، ۵۱۶، ۶۲۸، ۶۵۵
تشييراسي، م ۴، ۱۰۲	تشييركا، ۵۶۰	۷۵۸، ۸۲۲، ۸۲۳، ۸۲۱
۱۰۱، ۱۰۷، ۱۱۰، ۱۱۱	تلان، نظركلال، ۱۶	۸۱۲
۱۱۱، ۱۱۵، ۱۲۹، ۱۱۰	تلمسان، ۸۵، ۲۰۲، ۲۰۶	توسكولانا، م ۴، ۵۲۲
۲۸۲	۲۱۸، ۲۹۹، م ۴، ۲۷۲	توشانو (نهر)، ۱۲۱
تشيونيكيا، ۱۸۰	تليزي، ۱۲۵، ۱۹۵، ۵۱۲	توتشيتو، م ۴، ۲۲۱
تشيكا، م ۴، ۱۹۹	تيمباري (قلعة)، م ۴	تولوز، م ۴، ۲۲، ۱۹۵
تشيخالالا، م ۴، ۲۸۰، م ۴	۶۲۰	تولسي، ۱۰، ۲۲، ۲۱، ۱۲
۳۰۸، ۵۱۹، ۵۹۲	تتمنور، ۹۳، ۱۰۲، ۲۷۰	۵۷، ۵۸، ۶۸، ۷۲، ۸۰

١٩٧، ١٨٠، ٨٦، ٨٤، ٨٢	تبراً نوفا مستقله، ٢٢٧	٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٧
٢١٨، ٢١١، ٢٠٦، ١٩٩	٣، ٢٢٨، ٥٩٤	٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢
٢١٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢١٩	تیشولی، ٢٥٥	٣، ٥٨، ٢٧٧، ٥٦٩
٢٢٢، ٢٩٦، ٢٤٦، ٢٤١	تیلوزی (قلعه)، ١٢٩	چیل طارک، ٩٦، ١١١
٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٥، ٢٢٢		١٨٠، ٢، ١٧٢، ٤٧٨
٢٧٥، ١٠٩، ١٠٥، ١٨٩	(ج)	٣، ٧٨٨
٥٥، ٥٠، ٤٩، ٢، ٥٦٨	چاقو، ٢، ٢٩٢، ٢٨٢، ٣	چیلده، ٣، ٥٠٨، ٥١٠
٥٩، ٧٦، ٦٩، ٧٧	١٦٢، ٢١٢، ٢١٨، ٢٦٦	٥١١
٢٠٥، ١٣١، ١٣٠، ١٢٧	٢٨٥، ٢٩٠، ٢٠٧، ٢٠٨	چیتونا، ٢، ٤٤١، ٤٥٥
٢٢١، ٢٢٩، ٢٠٧، ٢٠٦	٣١٢، ٢١٤، ٥١٩، ٥٦٠	چراشلی، ٢٧٤، ٢
٤٩٧، ٤٨٢، ٤٧٧، ٢٦٨	٥٦٤، ٥٦٥، ٥٧٨، ٥٩٥	٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢
٥٢٤، ٥٥٧، ٣، ٨٨	٧٢٦، ٧٢٨، ٧٤١، ٨٠٩	٢٥٢، ٢٥٥، ٢٤٥
٢١٢، ١٧٤، ١٦١، ١٢٧	چلینلی، ٢، ٤٤٤، ٣	جراوه، ٢٩٥
٤٠٦، ١٠٩، ٣٢٨، ٢٦١	٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٠، ٣١٤	جراحیستا، ٢، ٢١٨
٤٠٨، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٠	٢٥٨	٢٦٩، ٢٢٠، ٣، ٢٢٠
٤٢١، ٤١٨، ٤١٠، ٤٦٢	جاریو، ٣، ٥٩٤، ٥٩٥	جریه (جزیره)، ٧٢
٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٢، ٤٨٢	جاردوگا، ٢، ٧٢٩	٨٦، ٢٠٤، ٢، ٢٠٥، ٣
٥٢٣، ٥٢٥، ٥٧٦، ٥٧٧	جاردوگا، ٣، ٧٢٨	٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦
٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٢	جاریلینی، ٣، ٧٧٢	٤٥٩، ٤٨٢، ٦٠٥، ٨٢٨
٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧	جارینیللو، ٣، ١٦٢	جارجالو، ٤٢٨، ٢
٦٠٨، ٦٠٩، ٦٦٥، ٦٦٦	جاریولی، ٢، ٢٢١	١٧٧، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣
٦٧٠، ٦٧٥، ٦٩١، ٧٠٢	جانیارللو، ٣، ٧٥٢	٢٨، ٢٢، ١١
٨٢٧، ٧٢٧	جالاتی، ٣، ٢٨١، ٢٤٢	چرچفتی (کیرکشت)،
تیشو، ٤٢٥، ٥٠٢، ٥٠٩	٧٤٠، ٧٤٦	٢٤، ٦٧، ٩٢، ١٠٠، ١٠٥
٥١٧	جالیانو، ٢٨٩، ٢٩٠	٢٦٦، ٢٧٧، ٢٢٧، ٢٤٧
التیور (کیر)، ٢٠، ٨٩	٢٩٩، ١٧٢، ٣، ٢٢٠	٢٧٥، ٢٩٦، ٤٠٩، ٥٢٢
٩٨، ١٦٨، ١٥٠، ٤٩٣	٢٨٤، ٢٨٤	٥٢٨، ٢، ٢٧، ٢٨، ٢٩
٥٠٢، ٢، ١٧١، ٢٨٣	جالیولی، ٢٥٦، ٢	٤٥، ٦٦، ٨٩، ١١٨، ١١٩
٢٥٢، ٤٦١، ٣، ١٨٢	٢٢٠، ٢٢١	١٥٢، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٥
٦٥٢، ٦٥٢	جالیگو، ٢، ١٥٨	١٩٢، ١٩٤، ١٩٦
تیشری (جبال)، ٢	جلیلیری، ٢، ٨٧	١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١
٢٧٠	جلیج (کیر)، ١١٧، ٢	٢٠٢، ٢١٠، ٢٤٨، ٢٧٨
تیرانشاه، ٤١١	٤٧٢، ٤٧٩	٤٠٨، ٤٠٩، ٤٢١، ٤٢٢
تیرانیشنا، ٢٥٩، ٢٦١	چلیستا، ٤٦، ٢٥٩، ٢٩٧	٤٤٤، ٤٤٦، ٤٢٩، ٥٥٨
٤١٨، ٢	٢٧٦، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨	٣، ٨٢، ٨٦، ٨٩، ١٠٠
تیرا دی لاقیرو، ٤٢٤	٤٢٩، ٤٤٠، ٤٩٤، ٤٩٦	١٠١، ١١٠، ١١٣، ١١٥
٥١٥، ٣، ٢٢٠، ٥٩٤	٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٠	١١٦، ١١٧، ١١٧، ١٧٤

جوریتا، م ۳، ۸۰.	چلیانو، م ۲، ۱۵۸.	۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۷۸.
جینالا (تینالا)، م ۳، ۸۲۲.	چنوارو (صول)، م ۳، ۵۵۹، ۵۳۷.	۲۱۰، ۲۱۲، ۲۱۹، ۲۲۰.
چیچیل، م ۳، ۱۰۰.	چنوق، ۲۸، ۳۶۷، ۱۲۵.	۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۸، ۲۵۶.
چیچیش، چیلسو، م ۳، ۱۱۲.	چم، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۸۸.	۲۶۹، ۲۰۲، ۲۰۱.
چیراسا (چیراچا)، ۲۷۱.	چ، ۳، ۵۱۲، ۹، ۷.	۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۲۲.
چیرالدا (برج)، م ۳، ۶۶۰، ۶۵۹.	چ، ۱۲، ۱۱، ۱۵، ۱۶، ۱۷.	۲۲۶، ۱۸۶، ۵۵۲، ۵۵۷.
چیرولانو، م ۳، ۵۸۹.	چ، ۱۸، ۱۹، ۲۰، ۱۵۶، ۱۶۱.	۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۷۱.
چیرلودی، انظر.	چ، ۱۷۱، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۹۱.	۵۷۸، ۵۸۱، ۵۸۶، ۵۸۷.
تشینالو، م ۲، ۱۰۲.	چ، ۱۹۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۲۱.	۵۹۲، ۵۹۳، ۶۷۰، ۷۲۱.
۱۱۰، م ۳، ۹۵، ۹۶، ۹۷.	چ، ۲۲۰، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۶۱.	۷۲۵، ۷۲۶، ۷۲۷، ۷۲۸.
۲۸۰، ۲۵۷، ۲۲۰، ۹۶، ۲۹۹.	چ، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۹۶، ۲۵۲.	۷۵۸، ۷۵۹، ۷۷۲، ۸۲۶.
الجهیزه، م ۳، ۶۲۷.	چ، ۲۵۱، ۲۶۱، ۲۷۱، ۲۷۲.	۸۱۸، ۸۲۹.
چیل، م ۳، ۲۲۱.	چ، ۲۹۸، ۲۰۶، ۱۱۵، ۱۵۱.	چرکس (چریب)، م ۳، ۱۶۲.
چیلولوانو، م ۳، ۵۲۶.	چ، ۱۹۸، ۱۹۹، ۵۰۲، ۵۰۳.	چروتی (غیران).
(ج)	چ، ۵۰۶، ۵۰۷، ۵۱۴، ۵۲۵.	الکیروف، م ۲، ۱۸۱.
الحیثه، ۱۲۲، ۱۲۷، م ۳، ۷۹۲، ۷۸۶.	چ، ۵۲۲، ۵۲۳، ۵۲۶، ۵۲۹.	چریلانو، م ۳، ۵۰۵، ۵۱۵.
الحجاز، ۱۲۲، م ۲، ۵۰۲.	چ، ۵۶۳، ۵۶۹، ۵۷۸، ۵۷۹.	۵۱۶، ۵۱۷، ۵۱۸، ۵۱۹.
م ۳، ۶۳۷.	چ، ۵۸۱، ۵۸۵، ۵۸۸، ۶۰۲.	م ۲، ۱۶۱، ۱۶۷، ۱۶۸.
حجر الزماني (رحل)	چ، ۶۰۶، ۶۰۷، ۶۱۰، ۷۲۷.	۱۶۹، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۴.
الزواني، م ۲، ۲۸.	چ، ۷۶۵، ۷۷۲، ۸۲۸، ۸۲۲.	۱۷۷، ۱۸۱، ۱۸۲، ۲۱۱.
حرقاء، م ۳، ۷۲۸.	چ، ۸۱۲، ۸۱۶.	۲۵۵، ۲۷۱، م ۳، ۵۹.
حران، ۲۲۲، ۲۱۴.	چوالداتی، ۵۲۰.	۱۸۵، ۲۰۵، ۳۱۱، ۵۸۶.
حریستان، م ۳، ۷۹۸.	چوالدکویفیس، ۲۲۲.	الجزائر، ۲۰۴، ۱۸۱، ۲۰۴، م ۲.
حسن المدارج، انظر.	چواستینیللا (قلعة)، م ۳، ۵۷۲، ۱۷۷، ۱۷۶.	۱، ۲۹۷، ۵۱۵، م ۳.
کاستلاماری، م ۳، ۶۱.	چ، ۵۷۲.	۲۶۷، ۴۱۴، ۴۱۵، ۴۱۸.
حضریت، م ۲، ۶۱، م ۳، ۲۱۱.	چوالتیوری، م ۳، ۲۲۰.	۶۷۵.
حلب، ۶۰، ۶۶، م ۳، ۴۱۵، ۲۸۱، ۴۹۹، م ۳، ۴۱۵.	چوتسو، م ۳، ۱۸۱.	الجزائر (مدینه)، ۶۸.
	چوتینچا، م ۳، ۱۹۸.	۱۹۲، ۱۹۷، ۲۶۷، م ۲.
	چوزیجا، ۱۲.	الجزیرات، انظر.
	چوزدانو، م ۳، ۲۰۸.	مایورکا.
	چو، ۷۲۱.	جزیره، ۶۲.
	چوفا، م ۳، ۲۸۱.	جزیره (جزیره الکروت)، م ۲، ۱۳۱.
	چوفا، م ۳، ۱۲۵، ۱۲۲.	چلیما (ولس).
	چوفا، م ۳، ۷۵۰.	(زغیروم)، م ۲، ۲۵۲.
		چلوا، م ۲، ۳۱۹.



٦٦٢، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، الحقلقة (القصر الجديد)	٥٠٢، ٥١٠، ٥١٨، م ٣، ٧٦٧، ٧٩٠، خرسيانو، ٢٧٩، خلاط، م ٣، ٦١٥، الخنندق، ٢٢٦، قلعة الخندق، انظر العباسية، خنزيرية (ميناء)، م ٣، ٦٤٦، الخورق (قلعة)، م ٣، ٧٨٦، ٧٩٠، دورانسو، م ٣، ١١٨، ١٤٩، ٥٠٥، بورودونا، م ٣، ٥٩٤، دوكا لوكاتلا (لبح)، م ٣، ٧٢٤، ديانشيتو، م ٣، ٨٢٢، ديشيانو (نهر)، (انظر وادي الطين)، ٤١٢، م ٣، ١٤٦، ٨٠، ديوزيزا، م ٣، ٢١٢، ديسبيكا (وادي)، ٢٧٥، ديلفيناتو، م ٣، ٢٠١، ديلفو (قلعة)، م ٣، ٤٥٠، ديلبا، م ٣، ١١٤، ديليس، م ٣، ٤٠، ديماس (كايو) واس ديمس، م ٣، ٢٩، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٩٢، ٢٩٥، ديماس (قلعة)، م ٣، ٢٢٢، ديموني (مدينة)، ٥٢٠، ٥٢١، م ٣، ٧٢، ٧٦، ٨٧، ٨٨، ١٥٠، ١٥٤، ٢٧١، ٢٨٠، ٤١٥، ٤٤٢، ديموني (وادي)، ٤٧٨،	٦٦٢، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، (القلعة العالية)، م ٣، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ٢٩٦، ٢١٩، ٢٢١، ٢٨٧، الحيا (قلعة)، م ٣، ٧٧٢، الحمام (قلعة)، م ٣، ٢٢، الحمام (مرسى)، م ٣، ٨٢٧، الحمامات (خليج)، ١٨٥، م ٣، ١٤٤، ٢٠٧، ٤٩٧، م ٣، ٤٦٢، حياه، ٦٠، ٧٨، م ٣، ٦٢٩، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٨، ٧٠٢، حصن، م ٣، ١٢٠، م ٣، ٥١٠، ٧٩٥، حميد (جبل)، م ٣، ٧٢٨، الحيرة (مملكة)، ١١٥، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٤، م ٣، ٧٨٨، ٧٨٦، (ج) خاسو، م ٣، ٧٢٨، الخالصا، م ٣، ١٦٤، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٧٩، ٢٩٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٧٧، م ٣، ٤٤٢، ١٢٧، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٢، ٢٩٦، ٧٨٢، ٨٠٠، ٨٢٧، خراسان، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٢، ٢٧٤، ٢٨٤، م ٣، ١١٤، ١١٦، ٢٢١، ٢٢٩،
---	---	---

۵۲۲، ۵۲۳، ۵۲۵، ۵۲۷	راکاناموتو، م ۳۸، ۲	روغانو (نیش)، م ۳، ۲۲
۵۱۷، م ۲، ۲۶، ۲۵، ۸۲	رام المم، م ۳، ۶۲۰	روغن، ۱۵۹، ۱۶۲، ۱۶۳
۱۱۷، ۱۵۱، ۲۲۰	راملیا، م ۳، ۵۵۵	م ۳، ۵۱۱
۲۲۲، ۲۶۱، ۲۸۰، ۲۸۱	رامینا (ریمکتا)، ۱۵۵	روغانو، م ۳، ۲۸۲
۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۱	۱۸۲، ۱۸۶، ۱۸۷، ۵۲۱	روغانو، م ۲، ۲۵۲
۱۱۲، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷	۵۲۶، م ۲، ۸۷، ۸۸	روغانو، ۲۵۶، م ۲، ۳۱۸
۱۱۷، م ۳، ۷۹	۲۱۸، ۲۵۲، ۲۶۵، ۲۶۶	روغانو، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۳
۸۱، ۸۶، ۸۷، ۱۰۸، ۱۱۱	۲۶۹، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲	م ۳، ۲۳۱، ۲۳۱، ۲۳۱
۱۳۸، ۱۳۹، ۱۵۱، ۱۵۲	۲۷۱، ۲۷۵، ۲۷۶، ۲۸۵	۲۵۷، ۲۲۱
۱۶۲، ۱۶۱، ۱۶۶، ۲۰۸	۲۹۵، ۲۹۶، ۲۱۲، ۲۱۹	روستولک، ۱۲
۲۱۰، ۲۲۲، ۲۶۷، ۲۶۸	۲۳۶، ۲۹۲، ۱۱۲، ۱۲۵	روسیا، ۲۱، ۱۵۵، م ۲
۲۷۱، ۲۸۶، ۲۰۵، ۲۱۰	م ۳، ۷۰، ۷۲، ۷۷، ۷۸	۳۹۱، ۳۹۲، ۳۹۵، ۳۹۶
۷۳۵، ۷۳۶، ۷۱۲، ۸۱۲	۲۰۶، ۲۸۱	الروسیه، م ۳، ۷۸۹، ۷۹۵
دیمنیا، م ۳، ۲۱۲	راندالمو (رنداج)، ۱۱۱	روگان داریشو، م ۳، ۱۶۸
دینامار (جبل)، م ۲	م ۲، ۱۹۱، ۱۹۸، ۱۱۱	(روگان دی) تشیللار، م ۲
۲۷۰	م ۳، ۲۲۲، ۲۲۱، ۲۵۲	۲۱۸، ۲۱۹
	۲۶۹، ۲۹۵، ۱۸۶، ۵۱۷	روگان دیلاجراسمیا، م ۳
	۵۶۲، ۷۱۹، ۷۵۳، ۷۷۲	۵۶۰
ذات السوار، ۱۶۹	رایاد، م ۳، ۲۰۸، ۷۲۸	روگان سیکا، م ۳، ۵۱۶
۱۷۰، ۱۷۳، ۱۸۵	ریاکو، م ۲، ۱۱۹	روگان سینکو، م ۳، ۷۱۱
	رجل الأسنام، ۲۰۶	۷۵۰
	رجل الشمران، م ۳	روما، ۱۲، ۱۷، ۵۵، ۷۱
	۳۰۹	۸۹، ۹۱، ۹۳، ۹۷، ۹۸
ریبول، م ۲، ۱۱۸، ۱۱۹	رجل (قلعه)، م ۳، ۱۷۶	۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۳، ۱۰۴
ریجر (سقلیه)، ۲۸۲	ریژنا، ۵۱۲	۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸
۲۸۲، ۲۸۶، ۲۸۷، ۳۹۹	رشید، م ۲، ۱۸۹، ۲۸۱	۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲
۱۰۵، ۱۰۹، ۱۳۹، ۱۴۱	م ۳، ۱۱۸، ۱۵۶	۱۲۶، ۱۲۸، ۱۱۵، ۱۱۸
م ۲، ۲۷۷، م ۳، ۲۱۲	رشیده، ۲۰۵	۱۵۶، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۷
۲۹۹، ۲۷۱، ۲۷۲، ۷۱۶	رفغانو، م ۳، ۵۷۲	۱۶۸، ۱۷۱، ۱۷۲، ۱۷۳
۷۷۲	رفغانو (قلعه)، م ۳	۱۷۶، ۲۲۰، ۲۳۹، ۲۵۲
رفس، ۲۱۰	۱۷۶، ۱۷۷	۲۵۲، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۹
رلس پاکینو، ۱۷۷	رفغانو، م ۲، ۵۱	۲۶۲، ۲۶۱، ۲۶۹، ۲۷۲
رلس بیلات، (راس)	۵۱، ۵۵، ۵۶، ۶۹، ۱۲۳	۲۷۱، ۲۷۹، ۲۸۹، ۲۹۲
جرانیتولا، راس	۱۳۱، ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۰	۲۹۹، ۳۰۱، ۳۰۵، ۳۸۲
سوریلو، ۳۲۱	۱۴۱، ۱۴۱، ۱۴۷، ۱۴۸	۱۲۶، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۵۰
واقیللو، ۱۵۸	۱۵۷، ۱۶۲، ۲۸۹	۱۶۲، ۱۷۲، ۱۷۶، ۱۹۱
واقینا، ۱۰۵، ۱۷۵، ۲۵۲	روکشیلار، ۲۹۰	۱۹۶، ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳
۵۰۶، م ۳، ۶۶۸		

٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩	١٥٨، ١٦٠، ١٧٧، ٢٤٩	٨١٤، ٨١٥، ٨١٨، ٨٢٧
٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣	٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤	زینوبیا، ١١٥
٥١٤، ٥١٨، ٥٢٨، ٥١٤	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٢٠	
٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥١، ٥٥٣	٢٢١، ٢٤١، ٢٥٨، ٢٧٥	(س)
٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٨، م ٢	٢٧٦، ٢٩٢، ١٢١، ١٢٥	سایوناز، م ٢، ٢٢٠
٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٦٧، ١٧٠	١٦١، ١٦٤، م ٢، ٨، ٩	سایوناز، م ٢، ١٧١
١٧٢، ١٧٥، ١٨١، ٢٨٢	٢٨، ٥٢، ٥٣، ٥٦	١٧٢
٢٠٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢١٢	٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٧	سایوناز، ٢٥
١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٧	٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣	سایوناز، م ٢، ٢٨٢
١١٨، ١١٩، ١٢١، م ٢، ٨٢	٧٥، ٧٧، ١٢١، ١٦٧	سایوناز، م ٢، ٢٢
٩، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٢٨٣	٢٥٧	١٩٢
٥٠، ٥١، ٥٢، ٥١، ٥٥	زینوبیا، م ٢، ٢٢٠	الساحل، م ٢، ٢١٢
١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٨٦	٧٦٥	سایوناز، م ٢، ٥٨٢
١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٧	زینوبیا، م ٢، ٧٢٨	سایوناز، م ٢، ٢٢٠
٢١٧، ٢٢١، ٢٧٥، ٢٠١	زینوبیا، م ٢، ٧٢٩	سایوناز، م ٢، ٢٦
٢١٢، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٨	زینوبیا، ٩٦	سایوناز، م ٢، ١٩٩
١١٠، ١٢٢، ١٢٣، ١١٠	زینوبیا، م ٢، ١٧٢	٢٢٠، ٢٨٧، ٥٠٢، ٦٦٦
١١١، ١١٥، ١٥٠، ١٥٦	زینوبیا، م ٢، ٥٨٢	سایوناز، م ٢، ٢٠٤
١٥٧، ١٨١، ١٥١، ٥٢٢		سایوناز، م ٢، ٢٢٠
٥١١، ٥١٦، ٥١٩، ٥٥٠	(ز)	سایوناز، م ٢، ٢٢٠
٥٥١، ٥٥٥، ٥٦١، ٥٦٧	الزینوبیا	
٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٩٨	زینوبیا، م ٢، ١٩٢	سایوناز، ١٦، ١٧٩، ٢٦٦
٦٠٥، ٦٢٠، ٦٢٨، ٦٢٩	زینوبیا، (زینوبیا)	٢١٠، ٢١٨، ٢١٥، ٢١٦
٦٢٢، ٦٥٤، ٦٥٣، ٦٧٢	٢١٠	٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤
٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٩٧	زینوبیا، م ٢، ٧٨٨	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
٨١٥، ٨٢٦، ٨٥٠	زینوبیا، م ٢، ٢٦٥	٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
زینوبیا، م ٢، ٨٢٧	زینوبیا، ٢٦	١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١
الزینوبیا، (زینوبیا)، ٢٢٠	زینوبیا، ١٨٥	١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤
زینوبیا، م ٢، ١٢١، ٢٢	زینوبیا، م ٢، ١١٢، م ٢	١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨
٢٤، ٢٦، ٢١٧، ٢٠١	١٧٢، ١٧٤، ٢٧٧، ٢٠٩	٥٠٥، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٢
٥٤٠	١١١، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢	٥١٤، ٥١٧، ٥١٩، م ٢
زینوبیا، م ٢، ٢٨٥	١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧	١٧٢، ١٧٤، ١٨١، ٢٦٤
٢٠٩، ٢١٧، ٢١٢	١٢٧، ١٢٨	٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩
زینوبیا، (زینوبیا)، ١٢٥	زینوبیا، (زینوبیا)، م ٢	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠
١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ٥١٢	١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١	٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤
٥٦٥، ٥٦٦، م ٢، ٧١	١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨
٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨	١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢

۱۱. ۱۲. ۱۳. ۱۴. ۱۵.	سانتا صوفیا، م ۳، ۷۹۷.	۱۵۲. ۵۷۲. ۸۰۲.
۵۱. ۵۵. ۵۸. ۱۲۱. ۱۲۷.	سانتا کیتیرا، ۲۲۹.	سان چوفانی دی
۱۲۸. ۱۲۹. ۱۲۷. ۱۲۸.	سانتا کروتشی (راس)،	لیپپوزی، م ۳، ۱۲۱.
۱۹۲. ۲۲۲. ۲۷۱. ۲۷۵.	م ۳، ۱۶۸.	۵۷۲. ۷۴۲. ۷۸۲. ۸۰۲.
۲۸۰. ۲۸۱. ۳۶۱. ۳۸۲.	سانتا گریستینا، م ۳،	۸۰۸.
۲۸۶. ۲۹۱. ۳۹۱. ۴۳۱.	۷۱۱.	سان ریمو، م ۳، ۲۷۸.
۱۵۵. ۱۸۷. ۱۸۹. ۵۳۵.	سانتا لوتشیا، م ۳، ۲۲۲.	سان ستیانو (قلعه)
۵۶۰. ۵۵۷. ۵۶۱. ۵۹۰.	۲۵۲. ۲۹۵. ۳۰۶.	(قلعه القوارب)، م ۳،
۶۶۹. ۶۷۰. ۷۵۰. ۷۷۵.	سانت الیا دامبول	۷۲۱. ۷۷۲.
۲۲۶. (نهر)،	(چیل)، م ۳، ۳۳۵.	سان سیجو (جزیره)،
۲۲۷. ۲۵۶. ۲۷۹. ۳۸۶.	م ۳، ۷۵۸.	۱۵۲. ۱۶۲.
۱۷۷. ۱۷۸. م ۲، ۱۹۹.	سانتا ماریا دل فارو، م ۳،	۵۹۱. م ۳، ۱۷۷.
۲۲۳. ۱۳۷. م ۳، ۱۷۶.	۷۲. ۲۵۱.	سان شپرو (مسقطه)، م ۳،
۲۰۸. ۵۷۱. ۵۹۲. ۷۲۶.	سانتا ماریا دی ریپوزی	۷۲۱.
۷۵۲.	م ۳، ۵۷۲.	سان فرانسلو، م ۳، ۲۲۱.
سالمی، م ۲، ۲۸. م ۳،	سانتا ماریا دی لاتینا،	۲۲۷.
۵۵۵.	م ۳، ۵۲۰.	سان فلپیشی، م ۳، ۸۰.
سانلینی (وادی)، ۵۶۵.	سانت انجلو (قلعه)، م ۳،	۱۰۲.
م ۳، ۵۶. ۵۷. ۹۲.	۱۲۸. ۱۲۹. ۸۲۱.	سان فیلیپو دارچیرو، م ۳،
سامبوجیتو، م ۳، ۲۲۰.	سانت ایرازمو (سهل)،	۲۲۱. ۲۶۸. ۲۸۲. ۲۹۹.
سامبوکا، م ۳، ۲۲۰.	م ۳، ۱۵۹.	۲۴۲.
سان بیتو (جبل)، م ۳،	سانتومورو، م ۳، ۷۲۹.	سان فیلیپو دی فراچالا
۲۲۵.	سان چلشنو (جزیره)،	(دین)، م ۳، ۲۰۶. ۲۰۹.
سفاچی (رسانجا)، م ۲،	م ۳، ۶۲. ۶۱.	سان کارلو، م ۲، ۴۲۲.
۲۸.	سان چاکومو لامازارا	۱۱۹. ۲۰۲. ۱۱۹.
سان پارتولوميو، م ۲،	(کنیسه)، م ۳، ۸۱۴.	سان کوننتینو، م ۳،
۲۵۴.	سان چرماتو، م ۳، ۲۹۰.	۱۹۷.
سانتا آجاتا، م ۲، ۲۲۰.	۵۵۰.	سان لورنسو، م ۳، ۵۹۲.
سانت لورینو، م ۲، ۱۱۹.	سان جوزیپی لی مورللی	سان مارتینو (هی)
سانتا لاسانازیا، م ۳،	(سان جوزیپی پاتو)، م ۳،	مارسیکو، ۱۱۸. م ۳،
۲۱۲. ۲۰۸.	۳۹. م ۳، ۱۶۲. ۷۴۱.	۱۹.
سانتارو، ۵۱. ۵۱۷.	۸۰۸.	سان مارکو (قلعه)
سانت اندریا (جزیره)،	سان چوفانی، م ۳، ۱۹۲.	(قلعه القنیه)، م ۳،
۵۴۸.	۵۱۲.	۷۹. ۸۳. ۸۵. ۸۶. ۱۰۱.
سانتا سیرینا، ۱۹۹.	سان چوفانی دیلی	۱۰۸. ۱۶۶. ۱۸۷.
۵۱۷. ۵۱۸. ۵۱۹. م ۳،	ایریمیتی (دین)، م ۳،	۲۰۶. ۲۰۸. ۲۲۱. ۲۸۱.

٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٢، ٧٢٥	م ٢٠٤، ٢، ١٢٨، ١٣٩	م ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٥
٧٢٧، ٧٤٦، ٧٤٩، ٧٧٢	١٤٠، ١٤١، ٢٨٨، ٢٧٢	٥٧١
سان میگلی (دیر) م ٢	م ٢٦٨، ٣٦٧، ٣	سکودیری (جیل)، م ٢
٥٥٥	سر القاشی، م ٢، ٢٩٦	٨٧
سان لیخولا (قلعة)	٥٩٢	سکودیریا، ٢٥
(مرسی شینوک)، ٢٢٧	سرت (خلیج)، م ١٨٠، ٢	سکویلاتشی، م ٢، ٥٨
سالیو، ٥٠١	٢٩٤، ٢٨٩	٢٧٥، ٢٤٦
سیادا فورا، م ٢، ٢٧٠	سردوینا، ٢٠، ١٠٢	سکیا فونی، م ٢، ٢٠١
٢٧١، ٢٧٢، ٤٨٧	١٠٣، ١١١، ١٧٢، ١٧٥	٢٩٦، ٢٠٢، م ٢، ٣
سیارنل (رلس)، م ٢	١٩٩، ٢٠٠، ٢٤٣، ٢٤١	٥٩٢
٤٤٨	٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٧	سلسله (جزیره)، ٢٤١
سیراتیشتو (کاپو)، م ٢	٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٦	السمیه، م ٢، ١٢٠
٢٥٢	٢٩٧، ٢٩٨، ٢٧٥، ٤٢٨	١٢٧، ١٢٩
سیتہ، ٦٩، ٢٠٦، م ٢	م ٢، ١٨٧، ١٨٨، ٢٩٢	سلووک، م ٢، ٢١٢
٥٠، ٤٨٨، م ٢، ٤٤٥	٤٤٥، ١٦١، م ٢، ٣، ٨، ٩	سمرقند، م ٢، ٢٦، م ٢، ٣
٦٣٨، ٦٧٤، ٦٧٢، ٦٧٥	١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥	٧٦٧
سیکافورنو، ٢٧٥	١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٣٦١	سمرنا، ٢١
سیولیتو، ٢٦٠، ٢٦١	٣٦٢، ٦٥٢، ٨٢٩	سمینارا، ٥٦٦، م ٢
٤٣٠، ٤٣٥، ٤٤٩، ٥٠٥	سردینیه (بلده)	٢٢٢
٥٠٦، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢	افریقیه)، م ٢، ٢٩٢	سمینتارا (سمنطرم)،
٥١٧، ٥١٨، م ٢، ٧٢	سرقسطہ، م ٢، ٤٨٧	م ٢، ٤٢١، ٤٤٤، ٥٠١
٧٦، ٩٢، ١٧٢، ٣١٦	م ٢، ٢٦٩، ٤٤٠	السند، م ٢، ١٩٢
سینو، ٤٣٥	سطیف (جیل)، م ٢	سندی (جیل)، م ٢، ٢٦٠
ستراسبورج، م ٢، ٥٢٠	٤٠، ١٢٦، ٢، ٤١٦	سندی (هون)
ستروبولو، م ٢، ٢٧٧	سکریاتو (جزی)، م ٢	(دلایسین)، م ٢، ٥٢٧
ستروبولی، م ٢، ٤٥١	٥١٠	سندی (منزل)، م ٢، ٢٦
٤٥٢، ٤٥٩، م ٢، ٧٢٢	سکالیا، م ٢، ٩٤	م ٢، ٧٣٨
ستفورا، م ٢، ٢٨٠	سکالیتا، م ٢، ٢٢٠	المنفال، م ٢، ٢٦٨
ستیکاستاد، م ٢، ٢٩٥	سکالیتا (کاپو دی)، م ٢	سوتری، م ٢، ١٧٢
ستیلو، م ٢، ٢٢٨، ٢٢٤	٧٥٨	سوتہ، م ٢، ٢٦٢، ٢٧١
م ٢، ٢٢٥، ٢٤٢، ٣١٤	سکریلا، سکریلی، م ٢	سولیرا، ٢٩٦، ٢٩٩
سچستا (حمامات)، م ٢	٤٩، ١١٢	سولیرا (قلعة)، م ٢، ٣
٢٢، ٨٩، م ٢، ٧٢٧	سکلافانی، م ٢، ١٩٩	١٧٦
٧٤٤، ٧٥١	سکوپا، م ٢، ٢٢٠	السودان، ١٨١، ٢٤٦، م ٢
سچستانو (امپیریو)	سکوبللو، م ٢، ٤٤٢	٢٧٢
٩٢	٤٤٤	سورتینو، ٢٧٥
سچلماسه سچلماسه	سکوبیللو (تونارا دی)	سوردیفلو، م ٢، ٢٢١

سورنتو، ٢٥٦، ٢٧٦،	سوفتولا، ١٨٥،	٢٤١، ٢٧، ٢٩، ٥٧، ٦٢،
١٢٨، ١٢٦، ١١٨	سولارنا (برج)، ١٥٨،	١٥١، ٢٢٢، ٢٦٤، ٢٦٩،
سوربا، ١٢، ١٧، ٥٦، ٦٠،	سولونتو، م ٢، ٥٠،	٢٨٠، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٩٢،
٦٢، ٦٨، ١٣٠، ١٤١،	السويد، م ٢، ٣٩٧، م ٣،	٢٩٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ١٠٢،
١١٢، ١٥٢، ١٥١، ٢٠، ٢١،		١٠٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٢،
١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،	السويس، م ٢، ٢٩١، م ٣،	١١١، ١١٧، ١١٨، ١٥١،
١٦٥، ١٦٧، ١٧٧، ١٩٧،	١٩٦، ١٩٢، ٧٩٦،	١٦٤، ١٧٥، ١٧٥، ١٨٥،
٢٠٢، ٢١٢، ٢٢٥، ١٧٤،	سويسرا، م ٢، ١٧٤،	١٨٨، ٥٢٢، ٥٢٨، ٥٢٣،
١٧٨، م ٢، ٢٤، ٣٥، ٩١،	سيانكو، م ٣، ١٧٧،	٥٢٦، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٥٩،
٩٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٢،	سبيليا، ٢٩٤،	م ٣، ٦٣، ٨٦، ١١٥، ١٥٢،
١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٨٧،	سبيلونتو (مظفر بنونيا)،	١٥٥، ١٥٦، ١٦٦، ١٦٧،
٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٦،	١٢٢، م ٢، ١٧٠، ١٨٢،	١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦،
٢٥٦، ٢٥٩، ٢٧٩، ٢٩٠، ٤١٥،	سبيلنتو، ٤١١، ٤٢٤،	١٨٢، ١٨٣، ٢٠٩، ٢١٠،
٤١٦، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٨٩،	سبيللا، م ٣، ٤٦٢،	٢١٢، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٥١،
٥٠٢، م ٣، ٢١١، ٢١٢،	سيراكوزا، ٢٤، ٢٥، ٥٢،	٢٦٤، ٢٦٩، ٢٩٠، ٢٩٥،
٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٤٢٢،	١٠٠، ٩٧، ٩٦، ١٠٥،	٢٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٣٠٥،
٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٧، ٥٠٢،	١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤،	٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٤،
٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٣، ٥٨٧، ٦١١،	١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦،	٢٢٣، ٢٢٣، ٢٧١، ٢٧٢،
٦١٩، ٦١٢، ٦١٣، ٦٢٤،	١٧٧، ٢١٢، ٢١٧، ٢٨٢،	٢٨١، ٢٨١، ٤٠١، ٤٨٢، ٥١٩،
٦٨٥، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩٠،	٢٨٨، ٢٩١، ٢٠٠، ٢٠٩،	٥٢١، ٥٢٥، ٥٥٤، ٥٦٣،
٦٩٢، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٧،	٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨،	٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٨، ٥٩١،
٧٥٨، ٧٧٣، ٧٨٦، ٨١٦،	٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨،	٥٩٦، ٥٩٦، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٧،
٨٢٦،	٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٢،	٧٢٩، ٧٢٩، ٧٤١، ٧٧٢،
سوس، ١٩١،	٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٧،	سيراكوزا (القيس)، ٤٧٨،
سوس المحيط، م ٣،	٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٨٦،	م ٢، ٤٠٨،
٢٦٨، ٤٧٠،	٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥،	سيرا، دي هانكو، م ٣،
سويده، ١٨٩، ٢٢٧،	٢٩٦، ٢٩٧، ٤٠٥، ٤٠٦،	٧٨٠،
٢٤١، ٢٤٩، ٢٢٠، ٢٢٢،	٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠،	حجر سيرايلوني (حجر
٢٤٤، ٢٥٤، م ٢، ٢٠، ٤٩،	٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤٥٤،	سيرا)، م ٣، ١٤٠،
٧٥، ٧٩، ١٦١، ١٩٥،	٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨،	سيما، ٥٠٩،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٢٢،	٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢،	سيلان (جزيرة)، م ٣،
٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٤٠،	٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧،	٦٥٥،
٢٧١، ٢٧٢، ٤٥٣، ٤٦٠، ٥٠٩،	٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٢،	سيلنتولت، سيلنتولتي،
٥٦٠، م ٣، ٩٩، ٢١٢،	٤٧٤، ٤٨٤، ٤٨٣، ٤٩١،	(رجل الأسنم)، ٣٠٢،
٢١٢، ٢١١، ٤١٣، ٤٦٠،	٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٧،	٢٠٦، م ٣، ٢٨٠، ٤٤٦، م ٣،
٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٧،	٥٢٩، ٥٣٠، ٥٥١، ٥٥٢،	٧٢٨،
٧١٧،	٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، م ٢،	سيلنتلان، م ٣، ٢١٢،

سیمیتو (فهرست) م ۳، ۷۵۲، ۱۱۰	۱۲۲، ۲۲۸، ۲۸۱، ۲۸۷، ۳۹۱ م ۳، ۱۰۰، ۱۱۷، ۶۸۵، ۷۰۰، ۷۸۶، ۸۳۶، شریق (شبه جزیره) (الدخل) باشو، ۱۸۷، ۱۸۹، ۱۹۰ م ۳، ۱۶۲، ۵۷۷، شکلادی، م ۴، ۳۷۷، شنتوری، ۹۲، شیرشیل، م ۳، ۱۰۰، شیفلودی، تشیخالو، شیفت، م ۳، ۱۹، ۵۰، شیفت لولا، م ۳، ۵۱، شیفتا فیکیا، ۳۹۸، ۲۹۹، ۵۰۷ م ۳، ۱۱۶، شیفتللا، م ۳، ۲۸، شیکلی (جبل)، ۱-۶، م ۳، ۷۷۲، شیللا، م ۴، ۲۷۶، شیللا، م ۴، ۷۲۹، شیللو، ۵۱۱،	۳، م ۳، ۲۹۱، ۶۸۵، ۷۰۰، ۷۸۶، ۸۳۶، شریق (شبه جزیره) (الدخل) باشو، ۱۸۷، ۱۸۹، ۱۹۰ م ۳، ۱۶۲، ۵۷۷، شکلادی، م ۴، ۳۷۷، شنتوری، ۹۲، شیرشیل، م ۳، ۱۰۰، شیفلودی، تشیخالو، شیفت، م ۳، ۱۹، ۵۰، شیفت لولا، م ۳، ۵۱، شیفتا فیکیا، ۳۹۸، ۲۹۹، ۵۰۷ م ۳، ۱۱۶، شیفتللا، م ۳، ۲۸، شیکلی (جبل)، ۱-۶، م ۳، ۷۷۲، شیللا، م ۴، ۲۷۶، شیللا، م ۴، ۷۲۹، شیللو، ۵۱۱،	سیمیتو (فهرست) م ۳، ۷۵۲، ۱۱۰، سیمیتو (والدی موسی)، ۱۲۴، ۱۲۶، ۳۹۸، ۱۵۹، ۳، ۷۹، ۱۰۲، سیمینار، م ۳، ۲۵۷، السن (فهرست) م ۳، ۲۲۰، ۲۲، ۲۲، ۲۲، سیناه، ۵۶۱ م ۲، ۱۲۱، م ۳، ۸۱۷، سیناجرا، م ۳، ۲۵۱، سینوپولی، م ۴، ۱۲۱،  (ش) شاکا، ۳۳۷، ۵۵۶ م ۴، ۳۷، ۲۸۰، ۱۲۱، ۱۱۲، ۱۱۶، ۵۰۱ م ۳، ۱۷۸، ۲۱۲، ۲۲۰، ۲۹۹، ۳۰۷، ۲۰۹، ۲۲۶، ۲۳، ۲۲۷، ۵۸۱، ۷۲۵، ۷۲۸، ۷۵۸، ۷۷۲، شالیدام، م ۴، ۲۱۰، الشام، ۵۸، ۶۰، ۱۱۵، ۱۲۲، ۲۱۰، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۶، ۵۳۱ م ۲، ۱۷۶، ۲۸۱، ۳۰۵، ۳۱۲، ۳۱۷، ۱۵۶ م ۳، ۱۱۵، ۱۱۶، شبه الجزيرة العربية (الجزيرة العربية)، ۶۰، ۸۰، ۱۱۱، ۱۱۵، ۱۱۸، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۶، ۱۲۸، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۵، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۶۰، ۱۸۲، ۲۰۶، ۲۱۰، ۲۱۵، ۲۱۹، ۲۲۳، ۲۲۲ م ۴، ۱۶، ۱۹، ۲۳، ۱۲۱،
---------------------------------	---	--	--

.٢٩٦ .٢٩٥ .٢٩٤ .٢٩٣	.١٢ .١١ .١٠ .٩ .٨ .٥	.٢٠٧ .٢٠٥ .٢٠٤ .٢٠٣
.٢٠٠ .٢٩٩ .٢٩٨ .٢٩٧	.٢٦ .٢٥ .٢٤ .١٦ .١٥	.٢١٢ .٢١١ .٢١٠ .٢٠٩
.٢٠٩ .٢٠٦ .٢٠٤ .٢٠٢	.٢٢ .٢٢ .٢١ .٢٨ .٢٧	.٢١٩ .٢١٥ .٢١٤ .٢١٣
.٢١٩ .٢١٨ .٢١٧ .٢١٦	.٢٩ .٢٨ .٢٧ .٢٥ .٢٤	.٢٢٦ .٢٢٢ .٢٢١ .٢٢٠
.٢٢٦ .٢٢٥ .٢٢١ .٢٢٠	.١٥ .١٤ .١٣ .١٢ .١٠	.٢٢٢ .٢٢١ .٢٢٨ .٢٢٧
.٢٢٦ .٢٢٥ .٢٢٢ .٢٢١	.٥٥ .٥٢ .٥١ .٥٠ .٤٩	.٢٢١ .٢٢٨ .٢٢٥ .٢٢٤
.٢٢٤ .٢٢٩ .٢٢٨ .٢٢٧	.٦٦ .٦٥ .٦٤ .٦٣ .٦٠	.٢٢٦ .٢٢٥ .٢٢٤ .٢٢٣
.٢٥٢ .٢٥١ .٢٤٩ .٢٤٥	.٧٦ .٧٥ .٧٤ .٧١ .٦٩	.٢٥٤ .٢٥٢ .٢٥١ .٢٤٧
.٢٥٧ .٢٥٦ .٢٥٥ .٢٥٢	.٨٦ .٨٢ .٨١ .٨٠ .٧٩	.٢٦٠ .٢٥٩ .٢٥٨ .٢٥٧
.٢٦٢ .٢٦١ .٢٦٠ .٢٥٨	.٩٢ .٩٢ .٩١ .٩٠ .٨٨	.٢٦٤ .٢٦٢ .٢٦١ .٢٦٠
.٢٧١ .٢٧٠ .٢٦٩ .٢٦٧	.١٢٨ .١٠١ .٩٧ .٩٤	.٢٦٨ .٢٦٧ .٢٦٦ .٢٦٥
.٢٧٧ .٢٧٦ .٢٧٤ .٢٧٢	.١٢٢ .١٢٥ .١٢١ .١٢٠	.٢٧٤ .٢٧٢ .٢٧٠ .٢٦٩
.٢٨٤ .٢٨٢ .٢٨١ .٢٧٩	.١٢٩ .١٢٨ .١٢٧ .١٢٦	.٢٧٨ .٢٧٧ .٢٧٦ .٢٧٥
.٢٩٢ .٢٩٠ .٢٨٨ .٢٨٥	.١٥٤ .١٥٢ .١٥١ .١٥٠	.٢٨٥ .٢٨٢ .٢٨١ .٢٧٩
.١٠٠ .٢٩٧ .٢٩٦ .٢٩٤	.١٥٨ .١٥٧ .١٥٦ .١٥٥	.٢٨٩ .٢٨٨ .٢٨٧ .٢٨٦
.١٠٥ .١٠٤ .١٠٣ .١٠٢	.١٦٢ .١٦١ .١٦٠ .١٥٩	.٢٩٧ .٢٩٥ .٢٩٤ .٢٩٠
.١١٢ .١١٠ .١٠٩ .١٠٧	.١٧٥ .١٦٩ .١٦٦ .١٦٥	.١٠٢ .١٠٢ .١٠٠ .٢٩٩
.١١٦ .١١٥ .١١٤ .١١٢	.١٨٠ .١٧٩ .١٧٨ .١٧٧	.١١٠ .١٠٧ .١٠٦ .١٠٥
.١٢٢ .١٢١ .١٢٠ .١١٨	.١٨٥ .١٨٤ .١٨٢ .١٨١	.١١٧ .١١٦ .١١٥ .١١٢
.١٢٧ .١٢٦ .١٢٥ .١٢٤	.١٩١ .١٩٠ .١٨٩ .١٨٦	.١٢٥ .١٢٠ .١١٩ .١١٨
.١٢٤ .١٢٠ .١١٩ .١٢٨	.١٩٨ .١٩٥ .١٩٢ .١٩١	.١٢٦ .١٢٢ .١٢١ .١٢٠
.١٢٥ .١٢٤ .١٢٢ .١٢١	.٢٠٧ .٢٠٢ .٢٠١ .٢٠٠	.١٢٥ .١٢٢ .١٢١ .١٢٠
.١٢٠ .١٢٩ .١٢٨ .١٢٦	.٢١٢ .٢١١ .٢١٠ .٢٠٩	.١٥٢ .١٥١ .١٤٩ .١٤٦
.١٢٥ .١٢٤ .١٢٢ .١٢١	.٢٢١ .٢٢٠ .٢١٤ .٢١٢	.١٥٨ .١٥٥ .١٥٤ .١٥٢
.١٥١ .١٥٠ .١٤٩ .١٤٧	.٢٢٥ .٢٢٤ .٢٢٢ .٢٢١	.١٦٩ .١٦٥ .١٦٢ .١٦١
.١٥٥ .١٥٤ .١٥٢ .١٥١	.٢٢٠ .٢٢٩ .٢٢٨ .٢٢٧	.١٧٤ .١٧٢ .١٧١ .١٧٠
.١٥٩ .١٥٨ .١٥٧ .١٥٦	.٢٢٤ .٢٢٢ .٢٢١ .٢٢٠	.١٧٨ .١٧٧ .١٧٦ .١٧٥
.١٦٢ .١٦١ .١٦٠ .١٦٠	.٢٢٤ .٢٢٠ .٢٢٩ .٢٢٦	.١٨٥ .١٨٤ .١٨٢ .١٧٩
.١٦٨ .١٦٧ .١٦٥ .١٦٤	.٢٢٥ .٢٢٤ .٢٢٢ .٢٢١	.١٨٠ .١٨٩ .١٨٨ .١٨٦
.١٧٢ .١٧١ .١٧٠ .١٦٩	.٢٢٩ .٢٢٨ .٢٢٧ .٢٢٦	.١٨٩ .١٨٨ .١٨٦ .١٨٥
.١٧٧ .١٧٦ .١٧٥ .١٧٤	.٢٥٤ .٢٥٢ .٢٥١ .٢٥٠	.٥٢٢ .٥٢١ .٥٢٠ .٥١٩
.١٨٤ .١٨٢ .١٧٩ .١٧٨	.٢٥٨ .٢٥٧ .٢٥٦ .٢٥٥	.٥٢٢ .٥٢٠ .٥٢٦ .٥٢٤
.١٩١ .١٨٩ .١٨٨ .١٨٧	.٢٦٢ .٢٦١ .٢٦٠ .٢٥٩	.٥٤٠ .٥٢٩ .٢٥٨ .٥٢٧
.١٩٦ .١٩٤ .١٩٢ .١٩١	.٢٦٨ .٢٦٦ .٢٦٥ .٢٦٢	.٥٤٥ .٥٤٢ .٥٤١ .٥٤٠
.٥٠٢ .٥٠١ .١٩٩ .١٩٨	.٢٧٨ .٢٧٦ .٢٧٢ .٢٦٩	.٥٥٧ .٥٥٦ .٥٥٢ .٥٤٨
.٥٠٨ .٥٠٧ .٥٠٦ .٥٠٥	.٢٨٢ .٢٨١ .٢٨٠ .٢٧٩	.٥٦٦ .٥٦٢ .٥٥٩ .٥٥٨
.٥١٢ .٥١١ .٥١٠ .٥٠٩	.٢٩٠ .٢٨٦ .٢٨٥ .٢٨٢	.٥٦٢ .٥٧٠ .٥٦٩ .٥٦٨



.1A1 .1VY .1V6 .1V1	.T19 .T1A .T1V .T17	.016 .010 .011 .01T
.1A4 .1A7 .1A1 .1AT	.T01 .T0T .T01 .T0-	.0T0 .019 .01A .01V
.19T .19T .191 .1A9	.T6- .T09 .T0V .T00	.0T0 .0TA .0TV .0T0
.0-0 .199 .19V .197	.T7T .T67 .T60 .T61	.0T1 .0T2 .0T3 .0T1
.0-0 .0-1 .0-2 .0-1	.T7V .T77 .T70 .T71	.011 .01- .0TA .0TV
.01- .0-9 .0-A .0-V	.T81 .T8- .T79 .T7A	.019 .01A .011 .01T
.01V .010 .01T .01T	.T9- .T8A .T87 .T8T	.000 .001 .00T .00T
.0T1 .0T- .019 .01A	.T9V .T90 .T91 .T91	.06- .00A .00V .007
.0T0 .0T1 .0T2 .0T2	.T-2 .T-1 .T-0 .T9A	.1V .9 .A .V .P .07T
.0T1 .0T9 .0TV .0T7	.T11 .T-9 .T-7 .T-0	.T2 .T1 .T- .T9 .T-
.0T0 .0T1 .0T2 .0T2	.T1V .T10 .T11 .T1T	.1- .T9 .TA .TV .T7
.0T9 .0TA .0TV .0T7	.T2T .T2- .T19 .T1A	.01 .0T .0T .10 .11
.010 .011 .01T .01T	.T27 .T20 .T21 .T2T	.T2 .T2 .T1 .09 .00
.00- .01A .01V .017	.T2- .T29 .T2A .T2V	.T8 .T7 .T7 .T0 .T1
.000 .001 .0T .001	.T21 .T2T .T2T .T21	.V7 .V1 .VT .V- .T9
.07T .00A .00V .007	.T29 .T2A .T2V .T20	.A7 .A0 .AT .A1 .V7
.07V .070 .071 .07T	.T12 .T12 .T11 .T1-	.91 .9T .9T .A9 .A7
.0V1 .0VT .079 .07A	.T1V .T17 .T10 .T11	.1-2 .1-0 .99 .97
.0VA .0VV .0V7 .0V0	.T00 .T0T .T0T .T19	.1-A .1-V .1-7 .1-2
.0A2 .0A1 .0A- .0V9	.T09 .T0A .T0V .T07	.110 .111 .111 .11-
.0A7 .0A0 .0A1 .0AT	.T6T .T6T .T61 .T6-	.1T1 .1T- .11V .117
.091 .0A9 .0AA .0AV	.T79 .T67 .T60 .T61	.12- .1T9 .1TA .1TV
.097 .090 .091 .09T	.T81 .T8- .T70 .T71	.101 .10- .119 .111
.T-2 .099 .09A .09V	.T87 .T80 .T8T .T8T	.100 .101 .10T .10T
.T-A .T-7 .T-0 .T-2	.T9- .T89 .T8A .T8V	.17T .17- .109 .107
.T77 .T70 .T71 .T-9	.T90 .T91 .T9T .T9T	.1VA .1V7 .1V0 .177
.T7- .T79 .T7A .T7V	.T99 .T9A .T9V .T97	.1A0 .1A1 .1A- .1V9
.T70 .T7T .T7T .T71	.1-2 .1-2 .1-1 .1-0	.19- .1A9 .1AV .1A7
.T1- .T79 .T7A .T7V	.111 .1-V .1-0 .1-1	.19A .197 .191 .19T
.T01 .T1V .T10 .T1T	.110 .111 .11T .11T	.T-7 .T-0 .T-2 .T-0
.T09 .T07 .T00 .T01	.1T1 .119 .11A .11V	.T11 .T1- .T-9 .T-V
.T7T .T7T .T71 .T7-	.1T9 .1T1 .1T2 .1T2	.T1V .T17 .T10 .T11
.T79 .T7V .T70 .T71	.1T7 .1T0 .1T2 .T-	.T2T .T2T .T19 .T1A
.T80 .T81 .T81 .T79	.11V .111 .11- .1TA	.T2V .T27 .T20 .T21
.T91 .T89 .T8V .T87	.100 .10T .10T .10-	.T2T .T21 .T2- .T2A
.V-2 .V-1 .T91 .T9T	.171 .17- .10A .10V	.T2A .T2V .T27 .T21
	.1VT .1V- .179 .17T	.T1T .T11 .T1- .T29

٧٠٤، ٧٠٥، ٧١٢، ٧١٦	(مك)	١٢٥، ١٢٩، ٧٦٢
٧١٨، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٣	طابور (جبل)، ٥٦٤	
٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٩، ٧٣٠	طابور، م ٢، ٦١٩	(ج)
٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٦، ٧٣٧	طابورستان، م ٢، ٢٥، م ٢، ٢١٢	هبل (وادی)، م ٢، ١٥٩
٧٤٢، ٧٤٠، ٧٣٩، ٧٣٧	طابور، م ٢، ٦٧، ١٧٧	٨٣٩
٧٤٣، ٧٤٧، ٧٤٥، ٧٤٨	طابور، م ٢، ١٧٨	الصباية (قلعة)، ٣١٩
٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥٢، ٧٥٤	طابور، م ٢، ١٣٣	٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤، ٢٤١
٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨	طابور (دریا)، م ٢، ١٣٣	عبد المؤمن (قلعة)، ٢٩٦
٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢	طابور (دریا)، م ٢، ١٥٨، ١٥٧	عبد، م ٢، ٤٩٢
٧٦٣، ٧٦٧، ٧٦٥، ٧٦٨	طابور، ١٨٠، ١٨٥	العراق، ٥٩، ٢١٦، ٢٢٢
٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢	١٩٧، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٩٦	٢٢٥، م ٢، ٧، ٢٠٥
٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦	١٥٢، م ٢، ١٤، ٥٩، ٨٠	٢٤١، ٢٥٦، ١٩١، ١٩٢
٧٧٧، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١	٨٧، ٢٤، ١٣٥، ١٣٨	م ٢، ٧٠٨، ٧٨٨
٧٨٤، ٧٨٥، ٧٩٠، ٧٩٢	١١٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٨٩	مستقلان، م ٢، ٢٢٠
٧٩٨، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢	١٩٥، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٩٤	٢٧٧، ٦١٥
٨٠٢، ٨٠٦، ٨٠٥، ٨٠٢	٢٩٨، ٢٩٤، ٢٦٥، ٢٧١	المعينة، ١٢٢
٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣	٢٧٧، ٢٧٨، ٢٥١، م ٢	عكا، م ٢، ٤٩٢، ٥١٣
٨١٤، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩	٢٠، ٢٩٩، ١٠١، ١٠٢	٦١٥، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٢٢
٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٥	٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٣	٦٨١
٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩	٢١٥، ٢١٦، ٢٥١، ٢٥٩	عكا، ١٢٢
٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣	٢٦٠، ٢٦٣، ٥٠٤، ٥٠٧	العناكب (جبل)، م ٢، ١١٢
٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٤١	٥٠٨، ٥١٠	
٨٤٢، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦	طابور (الشام)، ١٦٥	عین شندی (دینی)
٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠	م ٢، ٨٢، ٩١، ٢٣٤	سین (عین أبی سعید)
المسوازی (وادی)، م ٢، ٨٤٠	٢١٧، م ٢، ١١٢	٢٦، ٢٦٣
سور، م ٢، ٢٧٢، ٥٠٦	طابور، ١٦٩، م ٢، ٥٠	عین لیل، م ٢، ٢٠٩
٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩	طابور، م ٢، ٢٦٨	
صنما، ١٢٧، م ٢، ١٢٤	طابور، م ٢، ٢٢٣	(ج)
صنما، ٢٠٩، م ٢، ٢٠٩	١٨٩	طابور (جبل)، ٢٢١
٢٩٢	طابور، ١٩١، ١٩٨	طابور، م ٢، ٢٠٥
صیدا، م ٢، ١١٢، ٦١٦	٢٠٢، ٢٠٦، م ٢، ٢٣٦	طابور، ٩، ٤١، ٥٦
٦٢٠	طابور (جبل)، م ٢، ١٦٨	٢٠٤، م ٢، ٤٩٤، ٥٠٠
المسین، م ٢، ٢١٢، م ٢، ٧٦٧	٧٢٥	م ٢، ٧٤٩، ٨١١
	طابور، م ٢، ٢٢	طابور، م ٢، ٥١٠
	طابور، ٢٠٦	طابور، ١٢٢، ١٢٧
	طابور، م ٢، ٤١٧	طابور (غللویه)

- کلتانیاتیا، ۳۵۶، ۳۵۵،  
 غوطه (دمشق)، ۱۶۵،  
 غیران (الایمن)، ۳۱۰،  
 ۱۰۹،  
 (ف)،  
 هانگازینو، م ۳، ۱۵۷،  
 ۲۲۹،  
 الخانیگان، ۳۵، ۵۱،  
 ۱۶۷، ۵۵۶، ۵۵۷،  
 ۵۵۸، م ۳، ۵۲، ۳۶۲،  
 ۱۲۹، ۱۲۵، ۷۹۸،  
 قندو، م ۳، ۵۰۲،  
 الفار (قلمه)، م ۳، ۷۲۹،  
 قارانو (بحیره)، م ۲،  
 ۳۵۱،  
 بلاد فارس، ۱۲، ۶۰، ۶۲،  
 ۱۱۵، ۱۲۲، ۱۳۸، ۱۳۹،  
 ۱۱۱، ۱۱۲، ۲۱۲، ۵۶۱،  
 م ۲، ۸، ۲۳، ۶۷، ۱۰۲،  
 ۱۰۲، ۱۰۱، ۱۱۲، ۱۱۳،  
 ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۸، ۱۲۰، ۱۲۳،  
 ۳۸۱، ۳۶۵، ۵۰۲، ۵۰۱،  
 الإمبراطورية الفارسية،  
 م ۳، ۱۲، ۶۱۵، ۶۲۱،  
 ۶۱۲، ۶۵۲، ۷۰۰، ۷۰۸،  
 ۷۸۵، ۷۸۶، ۷۹۷، ۸۰۰،  
 الخلیج الفارسی، ۱۲۸،  
 ۱۵۷، م ۳، ۷۸۸،  
 فلس، ۱۰، ۲۰۱، ۲۲۰،  
 ۳۹۶، م ۳، ۲۰۱، ۷۸۸،  
 ۱۰، ۲۰۱، ۲۲۰، ۲۹۶،  
 ۲۰۱، م ۳، ۲۶۷، ۷۰۲،  
 قاستور، م ۳، ۱۹۹،  
 القجوانیرا کفریجی،  
 ۲۲۸،  
 قلندرا (هین)، (الواری)،  
 (قصر جمعی) ماری،  
 دولشی (المحتزیه)، م ۳،  
 ۳۰۵، ۲۱۰، ۱۵۶، م ۳،  
 ۱۲۵، ۱۱۱، ۱۵۲، ۵۳۱،  
 ۵۹۱، ۵۹۵، ۷۲۰، ۷۲۱،  
 ۷۸۲، ۷۸۳، ۸۰۲، ۸۰۵،  
 ۸۰۶، ۸۰۹، ۸۱۲،  
 قطنینا، م ۳، ۷۳۳،  
 قلقوس، م ۳، ۱۹۶، ۱۹۵،  
 القجوانیرا، م ۳، ۷۴۱،  
 قاندیلو (کاستیل)،  
 نورمانلو، م ۳، ۲۱۵،  
 قانکونار، م ۳، ۷۸۱،  
 قانسا، ۶۱، ۶۸، م ۳،  
 ۲۲،  
 قاینما، م ۳، ۷۷۸،  
 القرات (لهر)، ۶۰، ۱۲۱،  
 ۱۳۹، ۲۱۲، ۲۱۹، ۳۰۶،  
 ۵۶۰، م ۲، ۳۸، ۱۹۲،  
 ۲۹۱، ۲۱۵، م ۳، ۱۲۲،  
 ۶۱۰، ۶۲۲، ۷۹۹،  
 قرقسلاو، م ۳، ۷۸، ۸۱،  
 قرجالا، م ۳، ۲۵۷،  
 ۲۰۲،  
 قراسینیتو، م ۲، ۱۶۹،  
 ۱۷۱،  
 قراکوفورتی، م ۲، ۶۵،  
 ۱۸۱،  
 قرجانه، م ۲، ۲۶،  
 قرجینی ماریا، ۲۸۲،  
 القرق (هین)، م ۳، ۷۸۱،  
 قرنا، ۹، ۱۲، ۱۶، ۱۹،  
 ۶۱، ۷۱، ۲۲۰، ۲۲۲،  
 ۲۷۰، ۲۵۲، ۳۶۶، ۱۲۰،  
 ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۸،  
 م ۲، ۱۷۱، ۲۶۲، ۲۸۲،  
 ۳۹۲، ۳۹۵، م ۳، ۲۱،  
 ۲۲، ۲۳، ۲۵، ۲۶، ۲۷،  
 ۱۹۱، ۵۹۱، ۶۲۱، ۷۷۲،  
 ۸۱۲،  
 قنتیمیلیا، م ۳، ۵۰۲،  
 ۱۹۵، ۱۹۱، ۱۱۲، ۱۵،  
 ۲۱۱، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۵۲،  
 ۲۶۰، ۲۸۸، ۲۵۹، ۱۲۲،  
 ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۸۲، ۱۸۴،  
 ۵۰۲، ۵۰۶، ۵۱۲، ۵۲۷،  
 ۵۱۵، ۵۱۹، ۵۶۹، ۶۱۵،  
 ۶۱۶، ۷۶۵، ۸۱۲، ۸۱۱،  
 ۸۱۶، ۸۱۷، ۸۲۰،  
 قرنا (معبد)، ۱۹،  
 قرنا، م ۳، ۱۵۷،  
 قریچنتو، م ۲، ۱۷۰، م  
 ۳، ۱۱،  
 قریوی، م ۲، ۱۷۲،  
 القسطنطین، ۱۸۸، م ۲،  
 ۲۸۹، ۲۹۰،  
 قراجیللا، م ۳، ۵۹۱،  
 قزانیز، م ۳، ۲۲،  
 القسطنین، م ۳، ۲۱۱،  
 ۵۰۶، ۵۱۲، ۵۱۳، ۵۱۱،  
 ۵۸۶، ۶۱۶، ۶۱۷، ۶۲۷،  
 ۷۷۲،  
 قورستا، م ۳، ۷۳۹،  
 قورنسا، ۱۲، ۸۶، م ۳،  
 ۵۲، ۷۰، ۱۲۵، ۲۱۹،  
 ۲۲۰، ۲۸۸، ۱۱۵، ۶۲۲،  
 ۶۶۰، ۶۶۱، ۷۰۶، ۷۰۹،  
 ۷۵۸، ۷۶۵، ۷۷۸، ۸۲۲،  
 قوری (هین)، م ۳، ۱۹۱،  
 القطار (الطارق)، ۸۸،  
 ۱۸۵، ۱۸۷، م ۲، ۲۸۷،  
 ۳۹۲، ۱۲۱، ۱۷۷، م ۳،  
 ۲۶، ۲۸، ۶۸، ۷۰، ۷۱،  
 ۸۹، ۱۱۲، ۱۲۱، ۱۲۸،  
 ۱۸۱، ۵۹۱، ۶۲۱، ۷۷۲،  
 ۸۱۲،  
 قنتیمیلیا، م ۳، ۵۰۲،

فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتوسیا، (ایندقیه)، ۲۵۶، ۲۸۷، ۲۹۹، ۳۱۱	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۲۱۵، ۲۵۲، ۲۵۱، ۲۶۷	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۱۱۸، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۱	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۲۲۱، ۲۴۷، ۲۴۸، ۲۷۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۲۸۶، ۲۸۷، م ۳، ۱۲۸	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۱۱۹، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۱۲۵، ۱۸۰، ۱۹۰، ۱۹۸	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۵۰۶، ۵۰۷، ۵۱۱، ۶۰۲	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۶۰۶، ۶۱۰، ۶۱۱، ۷۲۷	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۷۶۵، ۷۷۱	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فوجا (تکیم)، م ۳، ۵۹۰	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فورتوری، م ۲، ۲۵۱، م ۳، ۱۹	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فورمیسی (لال)، ۵۱۱	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فورنو (فورناری)، م ۳، ۷۰	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فورتونو (نهر)، ۱۲۵	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۱۱۸، ۵۰۵، ۵۱۵، ۵۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
م ۳، ۱۷۷، ۱۸۸	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فورتانو (جزیره)، ۹۷	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
م ۲، ۱۱۹، ۱۵۱، ۱۵۲	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
م ۳، ۷۲۲، ۷۲۳، ۷۲۴	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فورتانی (وادی دیلی)، م ۳، ۸۲	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فولدی، ۱۲۶، ۵۱۱	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتیقا، م ۳، ۷۵۰	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتیقایا، م ۳، ۲۸۱، ۲۸۱، ۲۸۵	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتیترینی، م ۳، ۲۷۵	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
۷۸۱	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتیتنس، م ۳، ۶۶۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتیوریا ای بیانگی (میدن)، م ۳، ۷۸۲	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶
فتیرنو (میدان)، م ۳، ۱۲	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶	فتوز، م ۳، ۲۷، ۶۲۵، ۶۱۶

المقنس، ٦٦، ٦٧، ٦٨	المستطانية، ٢٩، ٤٨	٢٦٢، ٢٨٢، ٤١٢، ٤٢٦
١٥٥، ٢٥٠، ٤٤٦، ٤٧٢	٥٤، ٦٥، ٨٥، ٩٥، ٩٨	١٥٠، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٤
٥٢١، ٥٦٤، ٥٦٥، م ٢	١٠٨، ١١١، ١١٢، ١٢٢	٥٤٤، ٧٧٢، ٧٨٦، ٧٩١
١٠٤، ٢١٩، ٢٩٧، ٤٢٤	١٢٧، ١٢٨، ١٥١، ١٥٦	٧٩٢، ٧٩٧، ٨١١، ٨١٢
٥١٥، م ٣، ٩، ٣٢، ١٨٧	١٦٢، ١٦٨، ١٦٥، ١٦٩	٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٥، ٨٢٢
١٩٠، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١	١٧١، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٥	قستانية، ٢٢، ٢٤، ٥٨
٢٨٧، ٤١٨، ٤٨٨، ٤٩٠	١٩٥، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٤٩	٨٦، ١٩٥، ١٩٧، م ٢
٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٦، ٥٠٧	٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١	٥٤، ١٢٦، ٢٣٩، ٢٦٠
٥٥٤، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٨٢	٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧	٢٦٧، م ٣، ٢٦٨، ٤٤٤
٥٨٧، ٦١٠، ٦١٢، ٦١٢	٢٦٩، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٩١	٤٤٥، ٤١٦، ٤٨٢، ٦٢٩
٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨	٢٩٢، ٢٩٢، ٢٩٧، ٣٠١	قشتالة (كاستيليا)،
٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢	٣١٠، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١	٣٢٩، م ٣، ١٨٩، ٢٦٨
٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٨	٣٢٩، ٣٥٥، ٣٥٢، ٣٦٢	٥٠٠، ٦٠١، ٦٧٦
٦٦٤، ٦٨١، ٧٨٦، ٨٠٥	٣٦٢، ٣٦٩، ٤٠٠، ٤٠٧	قصر سعد، م ٣، ٢٠٨
٨١٧	٤١٠، ٤١٩، ٤٤١، ٤٤٢	٥١٩، ٧٢٩، ٨٠٢
قرطاج، ٨٩، ٢٤٤، م ٢	٤٥١، ٤٥٩، ٥١١، ٥٢٢	القصر القديم، انظر
٤٠٤	٥٢٧، ٥٢٨، ٥٤٤، ٥٤٩	العباسية.
قرطاجنة، ١٨٠، ١٨٢	٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٦٠	قطارونيه، م ٣، ٢٨٢
١٨٤، ١٨٥، ١٩١، ١٩١	٥٦٧، م ٢، ٥٠، ٧٠، ٧١	قنصه، ٥٨، م ٢، ٢٨٠
١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢٢٠	٧٢، ٧٢، ٧٥، ٧٩، ٨١	٢٦٠، ٢٧١، م ٣، ٤١٢
٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠	٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٩	٤٧٢، ٥٠٠، ٥٠١
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٢، ٤٤٢	١٠٤، ١١٧، ١٥٩، ١٧٠	قلعة، م ٢، ١٩٠
٢٦١، ٢٩٢، ٤٤٤، م ٢	١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢	قلعة الأرمين، ٤٠٤، ٤٠٥
٢٦٤، ٤٥٥، ٥١٢، م ٣	١٩٩، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٢١	قلعة بنى حماد، ٨٢
١٩، ٤٠٤	٢٢٢، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٥١	قلعة البروم، ٢٩٨
قرطبة، ٥٤، ٦٩، ٨٥	٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٨	قمونية، ١٩٠، ١٩١
٢٢٢، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥	٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٤	قنا، م ٣، ٧٥٨
٢٢٢، ٢٢٢، ٢٥٢، م ٢، ١٠، ١٤	٢٨٦، ٢١٥، ٢١٠، ٢١٧	القوقاز، ١٥٧
٢٤، ١٠٥، ١٩٧، ٢٢٦	٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٦، ٢٢٧	قيلغا (جبال)، م ٢، ٢٠٩
٢٠٦، ٢١٠، ٢٦٥، ٤٤٤	٢٢٧، ٢٢٩، ٢٨٦، ٢٩١	القيروان، ٢٨، ٢٩، ٥١
٢٩٢، ٤٩٩، ٥٢٠، ٥٢٢	٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٤٠٢	١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣
م ٣، ١٠، ١٧٥، ٢٤٥	٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٤، ٤٠٦	١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢
٢٦٧، ٤٢٦، ٤٢٦، ٦٢٧	٤١٢، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٧	٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩
٢٢٩، ٢٧١، ٢٧٧، ٨٠٤	٤٢٢، م ٣، ٢٢، ٢٢	٢١٠، ٢١١، ٢١٨، ٢١٩
٨٠٥، ٨١٨، ٨٠٥	٢٢، ٢٦، ٤٠، ٤٢، ١١٩	٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨
قرطاج، م ٢، ٢٨	١٤٨، ١٤٩، ١٩٢، ٢٠٨	٢٤٥، ٢٠٠، ٢٠٠، ٢٢٢
بحر القزوين، م ٣، ٦١٢	٢٨٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٦	٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٢

کندس، ٢٨.	٢٩٠، ٢٩١، ٥١٩.	٢٢٠، ٢٢١، ٢٦٢، ١٠٤.
کندسپالیتی، ١٩٨.	کابوا (مدینة وامارة)،	١١٠، ١١٥، ١٥٣، ١٥٥.
کندسونیه، ٢٢١.	٢٦٠، ٢٨٧، ١١٨، ١٢٢.	١٧٠، ١٨٨، م ٢، ١٢.
کانیپلو (نهر)، ١٢٧.	١٢٠، ١٢٥، ١٢٧.	١٨، ١٩، ٥٠، ٥١، ٥٢.
کانیوا، م ٣، ٢١٩.	١١٦، ١١٩، ١٥١، ١٩١.	٥٥، ٥٦، ٦٢، ٩٨، ١٢٧.
کانونیا، ٥٢١، ٥٢٥.	١٩٦، ١٩٨، ٥٠١، ٥٠٢.	١٢٤، ١٢٦، ١٤٠، ١٤١.
٢٩٩، ٢٨٠، م ٢، ٥٢٦.	٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠.	١٢٧، ١٢٨، ١٥٣، ١٦٨.
١٠٨، م ٣، ١١٥.	٥١١، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٧.	١٩٠، ١٩٧، ١٩٧، ٢٠٣.
٧٣٠، ٢١٠، ٢١٩، ١٥١.	٥١٨، ٥١٩، م ٢، ٢٤٦.	٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٤.
٧٥١، ٧١٥.	٢٥١.	٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٧.
کانرینا (قصة)، م ٣.	کابو پاسارو، ٢٢٨.	٢٩٤، ٢٩٠، ٢٦٧، ٢٦٨.
٧٢٤.	کابو بون، ١٨٩.	٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٢٧.
کانرینو، م ٣، ١٩١.	کابو تشینی، ٢٢٩.	١٤٢، ١٧٧، ٥١١، ٥١٢.
کانریدی، م ٢، ٢٧٦.	کابوتو (جبل)، م ٣.	٥١٤، ٥٥٨، م ٣، ٨٨.
کانرینی، م ٢، ٦٨، ١١٢.	٥٦١، ٨٠٨.	٢١١، ٢١٢، ١٦٥، ٧١٨.
م ٣، ٢١٩، ٥٥٥، ٧٢٧.	کابودالاسی، م ٣، ٥٦٥.	٢٩٠، ٢٩٦، ٧٩٨، ٨٠٠.
٧٧٢، ٧٤٦.	٥٥٦.	٨١٦.
کنزیا، م ٣، ٢٨٤.	کابو دی جاللو، م ٣.	قیسریة، ١٦٤، ١٦٥.
کنزیرتا، م ٢، ٤٦٥.	٢٠٦.	٥٦٠، م ٢، ١٨٧، م ٣.
کانزیرتا فیکیا، م ٣، ٨١٢.	کابو دی مولینی (رلس	٦١٦، ٦٢٠.
کاسارو، (القصر) م ٢.	الطواحین)، م ٢، ٨٩.	
٢٠٢، ٢٠٢، ٢٠١، ٧٠.	کابو سان مارکو (شبه	
٢٠٨، ٢٠٦.	جزیره)، م ٢، ١٩٩.	
کاستانا، م ٣، ٢١٩.	٢٠٠.	کابیشو، م ٢، ٢٥١.
کاستانو، م ٣، ٢١٩.	کابو سیتلو، ١٩٨.	کابیتیدی، م ٢، ٥٥٢.
کاستانیا، م ٣، ٢١٩.	کابو سکانیتا، م ٢، ٨٧.	کابیرایا (جزیر)، م ٣.
کاسترو چوفا زانی	کابیتانکا، م ٢، ٢٢٠.	٧٢٢.
(قصر یانه)	٢٥١، م ٣، ١٢، ٥١، ٥٧.	کابری (جزیره)، م ٣.
القديمة)، ٢٢٦، ٢٢٨.	٢١٩، ٢٢٠، ٥٩٠.	٧٢٢.
٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٧.	کابیتسی (جبال)، م ٣.	کابو، م ٣، ٥٩٢.
٢٦٥، ٢٦٤، ٢٥٦، ٢٥٥.	١٠٢، ١٠٤، ٢٢٤، ٢٨٢.	کابوا (باب)، ١٢٤، م ٢.
٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧١.	٢٨٤، ٢٩٢، ٤٨٦، ٥٨٨.	١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ٣١٥.
٢٨٥، ٢٨٢، ٢٨٠، ٢٧٥.	٥٩٤، ٧٤٥.	٢٢٢، ٢٢٩، م ٣.
٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٦.	کابیتشکا، م ٣، ٧٥١.	٢٧، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٤٥.
٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١.	کاتولیکا، م ٣، ٥٨٢.	٥٥، ٥٨، ١٢١، ١٢٨.
٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ١٠٢.	کاتولیا نو کتولف، م ٢.	١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٨٥.
١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٤.	١٦١، م ٣، ٧٢.	١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٣.
		١٩٦، ٢٠٢، ٢٨٧، ٢٨٩.

۱۱۰. ۱۷۲، ۱۷۳، ۵۲۲. کاسنو، م ۳، ۷۳۹.  
 ۵۲۵، ۵۶۲، ۵۶۸. م ۲. کاسپیری، م ۳، ۷۳۹.  
 ۲۲. ۲۸۰، ۱۲۱، ۱۲۲. کاسینو، م ۲، ۸۹.  
 ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۱۳، ۱۱۱. ککامو، م ۳، ۲۲۲، ۲۲۳.  
 ۱۱۷، ۱۱۸، ۵۲۶، ۵۲۱. ککاتا، م ۲، ۲۰۸، ۲۹۹، ۲۵۲.  
 ۵۵۸، ۵۵۹، ۵۶۱. م ۳. ککاتا، م ۲، ۲۰۰.  
 ۷۹. ۸۰، ۸۲، ۸۲، ۸۱. ککاتایمی، م ۲، ۲۸۲.  
 ۸۵، ۸۷، ۸۹، ۱۰۰، ۱۰۱. م ۳، ۷۱۲، ۷۲۵، ۲۲۵، ۷۱۲.  
 ۱۰۲، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷. ککاتامورو، م ۳، ۵۱۹.  
 ۱۲۹، ۱۱۱، ۱۵۱، ۱۵۹. ککاتامورو، م ۳، ۷۸۱، ۷۸۲، ۷۲۸، ۷۲۵.  
 ۱۶۷، ۱۷۵، ۱۷۷، ۱۷۸. ککاتویو، م ۳، ۷۲۵.  
 ۱۷۹، ۲۲۱، ۲۲۵، ۲۵۷. ککاتویو، م ۳، ۷۷۲، ۷۱۲.  
 ۲۶۹، ۲۸۵، ۲۰۸، ۲۲۲. ککاشیتا، م ۳، ۸۲.  
 ۵۲۳، ۵۱۶، ۱۲۷، ۷۲۵. ۱۵۱. ککاشیتا، م ۳، ۸۲.  
 ۷۳۶، ۷۵۳. ککاشیتا (دیوار آلمانی)، ککاشیتا، م ۳، ۵۰۹.  
 کاسترونی، ۱۲۷. ککاشیتا، م ۳، ۷۲۹.  
 کاسترونیلازی، م ۲. ککاشیتا (القه)، م ۳، ککاشیتا (کبادوتشا)،  
 ۲۵۱. م ۳، ۱۸۶. ککاشیتا، م ۲. ککاشیتا، م ۳، ۲۶۲.  
 کاسترونی، م ۲. ککاشیتا، م ۳، ۵۵۲.  
 کاسترونیو، م ۲. ککاشیتا (محملة)، ککاشیتا، م ۲، ۵۰.  
 ۱۱۱، ۱۲۱. م ۳، ۱۵۹. ککاشیتا، م ۲، ۱۷۱.  
 ۲۹۹، ۲۲۵، ۲۲۶. ککاشیتا، م ۳، ۷۵. ککاشیتا، م ۲، ۲۲۱.  
 کاستل پو، م ۲. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 ۱۰۲. م ۳، ۷۳۹. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستل شکو، م ۲، ۱۱۸. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستل شیتانو، م ۲، ۲۸۰. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستل ماری (محسن)، ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۴. م ۳، ۷۱۵. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستللو شپو (قلعة)، ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 انظر کاستلیا، ۳۷۰. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستل نو، (القصر)، ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 (جالیانو)، ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستیلو، م ۳، ۲۵۷. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،  
 کاستیلونی، م ۲، ۱۹۸. ککاشیتا (مینیو)، ککاشیتا (مینیو)،

١٩٨، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤	کروئیلو، ٥٣٩	١١٥، ٩٢، ٨٦، ٧٢، ٧١
٥٠٣، ٥٠١، ٥٠٠، ١٩٩	کروئانی، م ٣، ٥٥	١٥١، ١٢٢، ١٢١، ١١٦
٥٦٣، ٥٤٠، ٥٢٤، ٥١٧	کریک (جزیره)، ٢٢٥	١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٢
٢، ٥٦٨، ٥٦٧، ٥٦٦، م ٢	٢٩١، ٢٦٥، ٢٢٧، ٢٢٦	١٦٨، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤
٧٢، ٧١، ٤٦، ٤٤، ٤٣	٢٢١، ٢١٦، ٢١٢، ٢١١	٢١٢، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٥
١٠٠، ٩٣، ٩٢، ٩٠، ٨٢	٤٢٠، ٢٩٠، ٢٥٣، ٢٤١	٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٠، ٢١٢
١٦٧، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٤	٤٤٠، ٤٢٩، ٤٢٤، ٤٢٣	٢٢٩، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢٢١
١٧٥، ١٧٤، ١٧٢، ١٦٨	٥٥٢، ٤٩٥، ٤٧٤، ٤٧٣	٢٦١، ٢٥٥، ٢٤٦، ٢٤٠
١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧	م ٢، ١٦٩، ٢٥٢، ٢٦٦	٢٩٥، ٢٩٤، ٢٦٩، ٢٦٨
١٩٩، ١٨٥، ١٨٢، ١٨١	٤٧٨، ٢٨٦، ٢٤٤، ٢٦٧	٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ٢٩٨
٢٢٢، ٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٠	١٩١، ٣، ٥١٤	٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٦
٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٨، ٢٢٥	کریستیانو، م ٢، ٢٩٤	٢٢٢، ٢١٩، ٢١٧، ٢١٤
٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٥٢	کریموئا، م ٢، ٢٦٨، م ٣	٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢١، ٢٢٢
٢٧٨، ٢٦٩، ٢٥٧، ٢٥٦	٢٤١، ٢٢٥، ٢٢٠، ٢١٩	٢٤١، ٢٤٠، ٢٨١، ٢٧٢
٢١٦، ٢١٥، ٢١٢، ٢٨٢	٦٦٨، ٥٦٩، ٢٤٧	٥٢٢، ٥٢٨، ٥٢٠، ٥١٦
٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٨، ٢١٧	کریمیا (جزیره)، ٢٨٠	٥٧٥، ٥٧٤، ٥٦٣، ٥١٢
٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٤	کسئرو (القصر) المدينة	٧٢٤، ٥٨٧، ٥٨٢، ٥٧٨
٢٤٤، ٢٢٤، ٢٢٢، ٢٢٠	القدیمة، م ٣، ١٢٢	٧٥١، ٧١٧، ٧٢٨، ٧٢٧
٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٥	٢٢١، ٢٩٦، ٢٨٤، ٢٦٥	٧٧٢، ٧٦٨، ٧٥٧
٢٧٧، ٢٧٥، ٢٥٤، ٢٥٢	٧٦٣، ٥٩٥، ٤٨٧، ٤٧٢	کتیمی (کتیما)، م ٢
٢٩١، ٢٨٨، ٢٨٥، ٢٨٤	٨٠١، ٨٠٠	٢٩
٤١٠، ٤٠٥، ٤٠٣، ٢٩٧	کسئلو، م ٢، ٢٤٩، ٢٥٠	کرت، ٣٣٨
٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤١٢	٤١٩، ٢٥٢	کرتانی (قال دی)، م ٣
٤٢١، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٦	کسکالین، م ٣، ٢٨٤	٩٦، ٩٦
٤٩١، ٤٥١، ٤٢٢، ٤٢٢	الکعبه، ١٢٧، ١٢٨	کرتانی (لهر)، م ٢، ٢٥٤
٢٩، ٢٨، ٢٠، م ٣، ٥٦١	١٢٧، ١٢٩	کروار، م ٣، ٢٢٠
٥١، ٤٩، ٤٨، ٢٨، ٢١	کلابریا (قلوری)، ٧٨	کرتانی (لهر)، م ٢، ٩٦
٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢	١٢٢، ١٦٨، ١٠٨، ١٠٥	کرسین، ١٦٨، ٥٥٥
٧٢، ٦٤، ٦١، ٥٩، ٥٧	٢٥٦، ٢٤٩، ٢٤٤، ٢٢٧	کرتک (امارة)، م ٣، ٦٢٣
٩٠، ٨٦، ٨٥، ٨٢، ٧٥	٢٧٥، ٢٦٩، ٢٦٤، ٢٦١	کرتکاتا (کهور)، جروتی
١٠٠، ٩٦، ٩٤، ٩٢، ٩١	٣٠١، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٨٢	٢٩٧، ٢٢٥
١١٢، ١٠٦، ١٠٣، ١٠١	٢٩٧، ٢٦٣، ٢٥٨، ٢٢٦	کرتکن پروکویو، ٢٩٧
١٢٥، ١٢١، ١١٤، ١١٢	٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩، ٤١٨	کرتکت، انظر چرچنتی
١٥٠، ١٤٩، ١٢٩، ١٢٨	٤٤٢، ٤٤١، ٤٣٤، ٤٣٢	کرتکود، م ٢، ٤٤١، ٥٢٢
١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥١	٤٧٣، ٤٥٥، ٤٤٨، ٤٤٥	م ٣، ٧٢٩، ٧٢٨
١٦٤، ١٦٣، ١٥٩، ١٥٦	٤٨٥، ٤٨٤، ٤٨٢، ٤٧٤	کرتکین، م ٣، ٤٥٩
١٨٥، ١٨٤، ١٧٩، ١٦٧	٤٩١، ٤٨٨، ٤٨٧، ٤٨٦	کرتملو، ٥١٢



کویلتز، م ۲۲، ۳	۱۸۶، ۱۸۷، ۱۹۲، ۱۹۳	۱۰۲، ۲۸۱
کوتلایست، ۳۵۶، ۳۹۲	۱۹۴، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۰۴	
کوتلای، م ۷۱، م ۲	۲۲۰، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۵	۲، ۱۱۶، م ۳، ۸۶، ۲۹۱
کوتلای، م ۳، ۲۱، ۱۱	۲۲۸، ۲۲۹، ۲۲۹، ۲۲۸	۱۱۵، ۱۷۶، ۱۷۷، ۲۲۰
کوتلای، م ۲، ۲۲۸	۲۵۱، ۲۵۸، ۲۷۲، ۲۷۲	۳۰۶، ۳۰۸، ۷۲۸
کوتشو (چیل)، م ۲، ۶۸	۲۷۱، ۲۷۵، ۲۸۰، ۲۸۲	۳، ۱۳۱، کلسا، م
کوتلین، م ۳، ۱۱	۲۹۷، ۳۰۰، ۳۰۱، ۳۱۱	۲۱، ککتا،
کوتلیمایا، م ۳، ۱۹۹	۳۲۰، ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۱	کفلونایس (مسطح)،
کورسیگا، ۳۰، ۱۱۱	۳۲۷، ۳۲۷، ۳۲۸، ۳۲۸	۲۵۶،
کورس، ۲۵۷، ۲۷۲، ۲۷۷	۳۸۹، ۳۹۱، ۴۱۰، ۴۱۱	کولنی (دیر)، م ۳، ۱۹۱
کورس، ۲۹۶، ۲۹۷، ۳۱۱، م ۲	۴۵۰، ۴۵۵، ۴۵۹، ۴۵۹	۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴، ۱۸۱، ۷۷۰
کورس، م ۳، ۶۰۲، ۶۰۲	۴۹۱، ۴۹۲، ۴۹۲، ۴۹۲	کلیاری (قلعه)، م ۳، ۱۲
کورس، ۶۵۲	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۱۶،
کورس، م ۳، ۵۶۵، ۲، ۳۷۷	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا (کلیبیه)، ۱۸۷
کورس، م ۳، ۴۲۶، ۴۲۶	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	م ۳، ۷۹، ۱۷۷، م ۳
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۴۱۲، ۴۱۱
کورس، ۴۸۰، ۴۸۰، ۴۸۰	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیمری، م ۳، ۶۱۷
کورس، م ۳، ۱۱۲، ۱۱۲	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیمری و کامیرینا، م ۳
کورس، ۲۲۱، ۲۲۱، ۲۲۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۲۵۱، ۲۸۱
کورس، ۲۲۶، ۲۲۶، ۲۲۶	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا، ۱۷۵، م ۳، ۱۷۱
کورس، ۲۲۶، ۲۲۶، ۲۲۶	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	م ۳، ۲۷
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا، م ۳، ۱۸۲
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا (جزیره)، م ۳
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۷۱۸
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا (کلیبیه)
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا (جزیره)، (کلیبیه)
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	م ۳، ۲۲۱
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا، م ۳، ۲۲۰
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا، م ۳، ۱۱۸
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کلیبیا، م ۳، ۹۶، م ۲، ۴۶
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۹۲، ۹۶، ۹۷، ۹۸، ۹۹
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۲۱۸، ۲۱۹، ۲۱۹، ۲۱۸
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۵۶۱، ۵۶۰، ۵۶۱، م ۳، ۱۱۲، ۱۸۰، ۱۸۶
کورس، ۴۷۱، ۴۷۱، ۴۷۱	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۲۱۹، ۲۵۷
کورس، م ۳، ۱۱۸	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کورس، م ۳، ۱۱۸
کورس، م ۳، ۳۷۵، ۶۰۳	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کورس، م ۳، ۸۰۶، ۸۰۸، ۸۰۹
کورس، م ۳، ۳۷۵، ۶۰۳	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۸۱۱، ۸۱۵، ۸۱۷
کورس، م ۳، ۳۷۵، ۶۰۳	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	کورس (طریق)، م ۳
کورس، م ۳، ۳۷۵، ۶۰۳	۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳، ۴۹۳	۴۸۷



لیکوتا، م ۲، ۲۷	مارکا السراست، م ۴	۲۹۶، ۱۷۸، ۵۲۰، ۵۲۱
لیکوتا (اولمبیادی)، م ۴	۵۷۱	۵۲۲، ۵۲۷، م ۲، ۲۶
۱۰۱، ۱۷۶، ۲۲۶، ۲۲۲	مارکا الیرامی، م ۴، ۱۹۸	۲۷، ۲۵، ۲۹، ۱۹۹
۵۸۱، ۶۱۵، ۷۷۲	۱۹۹، ۲۲۵، ۲۲۸، ۲۲۰	۲۲۲، ۲۲۱، ۲۸۰
لیکو (لیر) بلاقانی، م ۲	۲۸۸	۲۸۱، ۲۸۲، ۱۰۸، ۱۱۱
۲۰۰	مارکا دانکوتا، م ۴	۱۱۱، ۱۲۰، ۱۱۶
لیکودیا، ۲۷۵	۵۵۷	۱۱۶، م ۴، ۲۱۰
لیکوزا، ۱۲۵، ۱۲۶	مارکی (الکیم)، م ۴	۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۵۱۹
لیلیبیلتا، ۱۷۸	۱۹۸	۵۲۹، ۵۲۰، ۵۵۲، ۵۵۵
لیلیبیو، ۹۲، ۹۶، ۱۰۲	مارماریکا، ۱۸۰	۵۵۸، ۵۷۰، ۵۷۲، ۵۷۱
۱۰۵، ۱۷۱، ۲۷۷، ۲۲۲	مارموریا (طریق)، م ۴	۵۷۵، ۵۹۲، ۵۹۵، ۷۲۶
۵۲۲، م ۲، ۱۱۲، م ۴	۱۸۷	۷۲۸، ۷۲۹، ۷۵۰، ۷۸۲
۲۱۱، ۲۲۱، ۵۷۱، ۵۷۷	المارة (وخل)، م ۴، ۷۲۸	مزارو (نیر)، م ۴، ۷۲۱
لیمونا، م ۴، ۲۱۸	ماریشمو، م ۴، ۷۲۲	ملسا، م ۴، ۲۲۰، ۲۵۷
لینچودوگا، ۱۹۹، ۲۲۰	ماریشو (حسن)، ۲۷۱	ماکارا (کپوف)، جروتی، ۲۹۷
لینو، م ۲، ۹۱	م ۱۲، ۱۹۱، م ۴، ۲۰۸	مالاجا او ملقه، م ۴
لینیاچو، م ۴، ۱۸۰	مازارا، ۲۸، ۶۱، ۲۲۲	۱۷۵، ۱۲۷، ۶۲۸
لینو، م ۴، ۷۶۵	۲۲۱، ۲۲۷، ۲۲۵	ماتو، ۲۷۵، ۲۹۷
(م)	۲۱۸، ۲۵۱، ۲۵۲	ماتله، ۱۱، ۱۶، ۷۱
ماتوزیوم، ۲۸۸	۲۵۵، ۲۵۶، ۲۶۰	۲۱۱، ۱۲۱، ۵۲۸، م ۲، ۲۱۵
ماتیرا، ۱۲۸، م ۲، ۲۱۶	۲۷۵، ۲۷۲، م ۴، ۵۶۸	۲۶۶، ۲۲۱، ۱۲۲، ۱۵۹
ماچونتسا، م ۴، ۵۲۷	۱۹۸، ۱۹۹، ۲۰۰، ۲۱۱	۱۷۹، ۱۸۰، ۱۸۱، ۲۱۲
مادونی، م ۴، ۱۹۹	۲۱۵، ۲۱۹، ۲۵۷، ۲۸۲	۲۱۱، ۲۶۹، ۲۹۱، ۲۰۲
مادونین (جیبال)	۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۷، ۱۲۸	۲۱۵، ۲۱۸، ۲۸۲، ۵۰۹، ۵۰۱
وژوادی، ۲۸۵، ۲۷۷	۱۱۱، ۱۱۱، ۱۱۱، ۱۱۱	۵۲۰، ۵۲۵، ۵۷۶، ۵۷۹
۱۷۸	۱۹۵، ۱۹۷، ۵۱۲، ۵۱۶	۵۸۲، ۵۸۱، ۵۸۵، ۶۵۷
(مادی)، م ۲، ۲۱۲	۵۲۱، ۵۱۹، م ۴، ۱۰۱	۶۵۸، ۷۱۷، ۷۲۵، ۷۲۷
مارکوزا (دیر)، ۱۷، ۱۸	۱۲۷، ۱۲۲، ۱۵۱، ۱۵۲	۷۵۰، ۷۵۱، ۷۷۲، ۷۷۹
۲۰، ۲۸، ۱۶۸، ۱۷۷	۱۵۲، ۱۵۱، ۱۵۱، ۲۲۲	۸۲۸، ۸۲۹، ۸۱۰
۲۰۲، م ۴، ۵۷۲، ۶۲۱	۲۶۹، ۲۷۶، ۲۹۰، ۲۰۲	ماتیریتا، م ۴، ۶۱
۷۵۶، ۸۰۲، ۸۰۵، ۸۱۱	۲۰۱، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷	ماتیتا، ۱۹۹
۸۱۵	۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۷، ۲۲۷	ماتینا، م ۴، ۷۵۰
مارتینی، م ۴، ۱۱	۵۵۵، ۶۲۸، ۷۲۲، ۷۲۵	ماتیرورا، ۵۵۱، ۵۵۵
مارچالا، م ۴، ۲۰۸	۷۲۷، ۷۵۲، ۷۵۶، ۷۵۷	۵۵۹، ۵۰، ۵۰
مارسیکو، ۵۱۸	۷۷۲	ماتیزی (جزیره)، م ۴
مارکا، ۱۷۵	مازارا (وادی)، ۲۸۷	



وانظر كذلك طارقو.	٢١٩, ٢٢٥, ٢٢٨, ٢٢٢	١٣٥, ١٢٧, ١٢٤, ١٩٠
الضار.	٢٥٧, ٢٩٩, ٤٠١	م ٢, ٧٩, ١٢٢, ١٢٤
المشرفة (قلعة) ١٠١	٤١٢, ٤١٨, ٤٢٦, ٤٤٤	٢٥٠, ٢٩١, ٣٤١, ٤٨٩
مصر, ١٠, ١٤, ٢٦, ٢٧	٤٤٥, ٤٥٤, ٤٥٥, ٤٥٦	١٩٤, ٤٩٩, ٥٠٨, م ٣
٤١, ٤٤, ٤٩, ٥١, ٥٢	٤٩١, ٤٩٢, ٤٩٣, ٤٩٥	٢٦٤, ٤٠١, ٦٤٢, ٦٧٥
٥٦, ٥٨, ٦٠, ٦٨, ٧٤	٤٩٨, ٥٠٠, ٥٠٢, ٥٢٤	٦٨٥, ٦٩٢, ٧٩٠, ٧٩١
٧٧, ٨٠, ٨٤, ٨٦, ١٤١	٥٧٩, ٥٨٤, ٦٠٢, ٦١١	٧٩٣, ٧٩٧, ٧٩٩, ٨٠٠
١٤٢, ١٥٨, ١٦٣, ١٦٦	٦١٢, ٦١٤, ٦١٥, ٦١٧	٨٢٢, ٨٤٦
١٦٩, ١٧٦, ١٧٧, ١٨٠	٦١٨, ٦٢٣, ٦٢٤, ٦٢٥	م ٣, ٢٣٩
١٨٥, ١٨٧, ١٨٩, ١٩١	٦٢٧, ٦٢٨, ٦٦٠, ٦٨١	م ٢, ٤٠٠
١٩٤, ١٩٨, ٢١٢, ٢١٧	٦٨٥, ٦٨٦, ٧٠٤, ٧٠٧	م ٣, ٣١٢
٢٢٠, ٢٢٥, ٢٢٨, ٢٤٠	٧٢٩, ٧٣٥, ٧٥٨, ٧٦٦	مناستير أو موناستير
٢٤٦, ٢٤٢, ٢٠٤, ٢٧٥	٧٦٩, ٧٧٢, ٧٨٦, ٧٩٠	م ٢, ٤٩٥, ٤٩٧, م ٣
٤٢٣, ٤٨٨, ٥٣١, ٥٦٤	٧٩٢, ٧٩٤, ٧٩٦, ٧٩٧	٤٦٢
م ٨٠٢, ١٤, ١٦, ٢٣, ٢٤	٧٩٧, ٨٠٢, ٨٠٢, ٨٠٩	المتالى (مين) م ٣
٢٥, ٤٢, ٥٢, ٧٧, ٧٩	٨١١, ٨١٧, ٨٢٤, ٨٢٥	٧٨١
٩١, ٩٢, ١٢٢, ١٢٥	٨٤٨, ٨٤٩	متالى م ٣, ٧٨٠, ٧٨١
١٢٤, ١٢٥, ١٢٨, ١٤٢	م ٣, ٣٢٦, ٨٠٨, ٨٠٩	٨٠٨, ٨٠٩
١٥٦, ١٥٧, ١٧٥, ١٨٤	٦١٠, ٦٢٧, ٧٩٢, ٧٩٤	منجاليا م ٣, ٧٢٩
١٨٩, ١٩١, ٢٠٧, ٢٢٤	٧٩٨	متداليتشي م ٣, ٧٢٩
٢٤٠, ٢٤١, ٢٤٢, ٢٤٤	م ٣, منيق جبل طارق	م ٣, ٥٧٢
٢٤٥, ٢٤٧, ٢٤٦, ٢٤٥	٢٦٨	المنزلة (بحيرة) م ٣
٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٤, ٢٨٥	المعزفة. انظر ناورمينا.	١٩٦
٢٨٦, ٢٨٧, ٢٨٨, ٢٨٩	م ٢, مفاجي (ماجاچي)	منزل يوسف م ٣, ٣٠٨
٢٩١, ٢٩٢, ٢٩٤, ٢٩٥	٢٩	منشار (قلعة) م ٢, ٢٨
٢٩٦, ٢٩٨, ٣٠٢, ٣٠٧	المطرب: ٤١, ٧١, ٧٢	المنصورة م ٢, ٥٨٤
٣٢٦, ٣٢٩, ٣٣٥, ٣٢٦	١٩٧, ٢٠٢, ٢٠٤, م ٢	المنصورة (ميرا) م ٢, ٢٧٠, ٣٧١, ٤٤٢
٣٣٧, ٣٥٦, ٣٥٧, ٣٦٢	١١٢, ٣٧٢, م ٣	ابن منكور (قصر) م ٣
٣٦٤, ٣٦٥, ٣٦٨, ٣٧١	٣٦٧, ٤١٢, ٤١٦, ٤٤٥	٧٢٨
٣٧٣, ٣٧٩, ٤٠٤, ٤١٥	٥٠٢, ٦٨٥, ٦٨٦, ٦٨٧	منياقشي م ٣, ٨٠, ٨١
٤١٦, ٤٢٩, ٤٣٨, ٤٥٦	٢٥٦, ٣٧٧	٨٥, ٢٢٤, ٢٥٧, ٤٨٦
٤٥٨, ٤٥٩, ٤٦٠, ٤٦١	٢٥٦, ٣٧٧	٧٢٩, ٨٠٢
٤٧٥, ٤٧٥, ٤٨٩, ٤٩٢	٣٧٨, م ٣	منياقشي (وادي) م ٣
٤٩٤, ٤٩٩, ٥٠٠, ٥١٨	٢٠٠, م ٣, ٥٨٣	٧٨
٥٢٠, ٥٢٢, ٥٢٣, ٥٢٨	٦٩, المك (المكرمة)	٢٨, ٢٨, ٢٩
٥١٨, ٥١٨, ٥١٢, م ٣	١٢٢, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٠	١٠, ٥٧, ٨٣, ٨٦, ٤٤٠
٥١٨, ٥١٨, ٥١٢, م ٣	١٢٢, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٠	١٠, ٥٧, ٨٣, ٨٦, ٤٤٠

م ۲، ۱۱۵، ۱۵۶، ۱۷۷	مومولی، م ۳، ۱۲۶	مونتکیرتو، م ۳، ۱۱۲
۱۸۰، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۹۷	مومیکا، م ۳، ۵۲۵	مونتانیانو، م ۳، ۵۸۸
۲۰۳، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۰۹	مودیونی (سیلینوس)، م	۷۵۰، ۷۵۱
۲۱۰، ۲۱۲، ۲۱۴، ۲۱۵	۲۸، ۲	مونتیلوزو آو مونت
۲۱۷، ۲۵۲، ۲۵۴، ۲۵۵	المور (شبه جزیره)، م ۲	میلوزو، م ۲، ۲۱۸، م ۳
۲۶۰، ۲۶۷، ۲۷۸، ۲۸۲	۱۷۶	۱۰، ۱۱، ۱۶، ۲۹۹، ۲۹۹
۲۸۱، ۲۸۵، ۲۹۵، ۲۹۶	مونتلیتو، م ۲، ۱۵۵	۶۶۰
۲۲۸، ۲۶۵، ۲۶۹، ۲۷۱	مورشا، ۶۹	مونتلیونی، م ۳، ۵۹۴
۲۷۲، ۲۷۳، ۲۸۱، ۲۸۳	موریانی، م ۲، ۲۶، ۳۰۵	مونتلی (روکا)، ۵۱۸
۲۹۶، ۲۹۷، ۵۱۱، ۵۱۲	۱۱۵، م ۳، ۱۲۵، ۲۱۹	مونتلی اهرتو، ۲۷۵
۵۲۹، ۵۳۱، ۵۳۵، ۵۵۸	۲۲۸، ۲۵۱، ۲۰۶، ۲۱۹	مونتلی اسکالیزو، م ۲
م ۳، ۲۰، ۲۰، ۸۸، ۱۰۰	۲۰۷، ۲۰۸، ۲۱۸، ۲۱۹	۲۱۷
۱۱۰، ۱۱۱، ۱۷۰، ۱۷۱	۲۲۱، ۲۲۶، ۲۲۷، ۱۱۱	مونتلی سان چولیانو
۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۴، ۱۷۶	۵۱۱، ۵۱۹، ۵۲۹، ۵۱۹	(قلعه)، م ۳، ۲۱۰
۱۸۹، ۱۹۱، ۲۲۸، ۳۵۶	۵۵۱، ۵۵۶، ۵۵۹، ۵۵۹	مونتلی سرقتینو، م ۲
۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳	۵۶۰، ۵۶۱، ۵۶۴، ۵۶۵	۲۵۱
۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷	۵۶۶، ۵۶۷، ۵۷۱، ۵۷۱	مونتلی فورزی، م ۳، ۷۸
۲۷۲، ۲۷۴، ۲۷۵، ۲۷۶	۷۵۱، ۷۵۹، ۷۶۸، ۸۰۲	مونتلی کاسینو، ۱۷۷
۲۷۷، ۲۷۸، ۲۸۰، ۲۸۱	۸۰۲، ۸۰۸، ۸۰۱، ۸۱۹	۱۷۹، ۱۲۷، ۱۲۹، ۱۲۰
۲۹۲، ۲۹۳، ۲۹۵، ۲۹۶	۸۲۰، ۸۲۷، ۸۲۰، ۸۲۲	۱۲۵، ۱۲۷، ۱۲۰، ۵۱۶
۲۹۷، ۲۹۸، ۲۹۹، ۳۰۰	۸۲۱	م ۲، ۸۹، ۲۲۲، ۱۰۲، م
۳۰۲، ۳۰۶، ۳۰۷، ۳۰۸	موریان، م ۳، ۶۱۹	۳، ۲۷، ۲۰، ۲۲، ۲۱، ۵۱
۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۱	موریتالیا، ۱۸۰	۵۸، ۱۲۷، ۱۱۵، ۱۹۱
۳۱۲، ۳۱۳، ۳۱۵، ۳۱۷	موزا، م ۳، ۳۲	۱۹۱، ۱۹۷، ۳۹۲، ۸۱۱
۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۵	موزان، م ۳، ۱۷۷	۸۱۸
۳۲۹، ۳۳۰، ۳۳۱، ۳۳۲	موزیلا، م ۳، ۶۲۶	مونتلی ماچوری، م ۳، ۳۹
۳۳۳، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۷	موسایو، م ۳، ۵۷۲	مونتیلو، ۲۸۱، ۲۸۲
۳۳۸، ۳۳۹، ۳۴۰، ۳۴۱	الموسل، ۶۰، ۶۳، م ۲	مونتیری، م ۳، ۲۲۷
۳۴۲، ۳۴۳، ۳۴۶، ۳۴۷	۳۱۷	مونتیرزی و مونتیرزوتی
۳۴۹، ۳۵۰، ۳۵۱، ۳۵۰	موکسارو (سانت)	(قلعه)، م ۲، ۸۷
۳۵۶، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۲	آندچلودی، م ۲، ۳۸، م ۳	۲۷۱
۳۶۳، ۳۶۴، ۳۶۵، ۳۶۶	۱۷۶	مونتیرزانو، م ۳، ۱۹۷
۳۷۰، ۳۷۱، ۳۷۲، ۳۷۳	موکوتی، م ۳، ۱۷۷	۱۹۸، ۱۹۹، ۲۱۹، ۲۲۰
موتاز، م ۳، ۲۲۰	مولا، م ۲، ۲۹۴، ۸۱	مونتیزالیا (مینا)، ۱۶۰
موتاز، ۱۲۸	مولویا (نهر)، م ۳، ۲۱۲	مونتیزالیا، م ۳، ۱۲۵
موتلی (مینا)، ۱۷۴	مولیززی، م ۳، ۲۱۹، ۲۲۰	مولویونی، م ۳، ۴۱
۱۷۵، ۵۵۸، ۵۵۹	مونتیزالیا، م ۳، ۲۶۹	۵۰۵

ميرزو (قلعه)، م ۹، ۱۹۸	۱۷۷، ۱۷۶	ميشلار، م ۳، ۵۵۲
ميترو مورىالى، م ۳، ۵۲۶	ميگينيزى (اکواشيكا)	ميتورکا، ۲۰۰
ميجارو، ۱۷۹	مکناسه، م ۲۸	ميتوپ، ۲۱۷، ۲۱۶، ۲۱۵
ميجيشى، م ۲، ۲۷۸	میل، م ۱۲۷، ۱۲۹	۲۱۸، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۵۵
ميهه، م ۳، ۷۹۷	میلانکو (وادى)، ۱۰۵	۲۵۶، ۲۹۹، انظر کتانيا
ميدبولانوم، م ۳، ۶۶۶	۱۸۵، ۱۸۶، ۵۲۵، م ۲	۲، ۱۱۲، م ۳، ۷۵۰
ميرامیلا، م ۳، ۲۲۰	۱۱۲، م ۳، ۷۰، ۷۱	(ن)
ميرامیلو، م ۳، ۲۲۰	۱۰۸، ۲۹۹، ۲۰۹، ۳۲۲	۲۵، ۲۹، ۳۱
ميراجا، م ۳، ۷۲۸	۲۲۶، ۷۱۶، ۷۷۲	۱۶، ۲۵۶، ۲۵۸، ۲۵۹
ميرتو، ۳۷۴، م ۳، ۲۰۹	میلانو، ۱۵، ۲۰، ۲۵	۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۶، ۲۸۲
۲۸۱، ۲۸۵، ۲۸۵	۱۰۵، م ۲، ۳۹۹، ۱۰۱	۲۸۷، ۲۹۷، ۲۰۹، ۳۷۵
میرزا، ۲۷۱	۳۶، ۱۹۸، ۲۱۹	۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸، ۱۱۵
ميرزاليلى، م ۲، ۱۱۹	میرجا، م ۳، ۲۸۵	۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۵، ۱۲۶
ميرزوللا، م ۳، ۵۷۱	میلیس، م ۳، ۳۰، ۲۲، ۳۶	۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۲۶
ميرزيميرى (نهر)، م ۲	۲۷، ۳۸، ۳۹، ۱۰، ۱۱	۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۲۶
۱۹۱، م ۳، ۱۱۶، ۱۱۵	۱۲، ۱۶، ۵۷، ۱۵۵	۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹
۱۱۸، ۲۸۱، ۲۹۰، ۲۰۰	۱۹۲، ۲۱۰، ۲۸۷، ۵۷۶	۱۹۶، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۵
۲۰۸، ۵۷۱، ۸۰۳	۶۲۱، ۶۲۵، ۶۶۸، ۷۵۱	۵۰۶، ۵۰۷، ۵۰۸، ۵۰۹
ميرزويولاميا (بلاد ما بين النهرين)، ۵۹، ۶۲، ۶۳	۸۲۱	۵۱۰، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۱۵
۱۱۵، ۲۱۱، ۲۲۲، م ۲	میرلاجا (جبل)، م ۳	۵۱۵، ۵۱۷، ۵۱۸، ۵۱۹
۵۲۵، م ۳، ۶۱۳، ۶۱۵	۵۸۲	۵۹، ۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۵
۶۵۱، ۷۸۶، ۷۸۹، ۸۱۶	میلو، م ۳، ۲۵۰	۹۸، ۹۹، ۱۶۸، ۱۶۹
۸۲۶	میلی، م ۲، ۲۷۰، ۳۷۱	۱۷۰، ۱۷۳، ۱۸۲، ۱۸۴
ميرينو (کلب)، م ۲، ۹۱	۱۱۲، ۱۱۱، م ۲۰۲، ۲۰۲	۱۸۵، ۲۱۲، ۲۵۶، ۲۵۸
ميرينو (قلعه)، ۱۲۶	میلتنس، م ۳، ۲۱۲	۲۹۹، ۲۰۱، ۲۱۷، ۲۲۰
ميرستروفا، م ۳، ۱۶۱	میلتو (وادى)، ۲۹	۲۲۱، ۲۱۶، ۲۵۱، ۲۸۶
۱۶۶، ۲۲۲، ۲۲۳	۵۲۱، ۵۲۲، م ۲، ۳۲۱	۳۸۷، ۱۵۷، ۱۶۱، ۱۶۵
۲۸۵	۳۶۷، م ۳، ۵۷، ۶۱، ۶۶	۱۶۹، ۱۷۰، ۱۷۱، ۱۷۲
ميسکان، ۲۷۸	۶۷، ۶۹، ۸۶، ۹۱، ۹۱	۳۰۰، م ۳، ۲۷، ۵۸
ميسمان، م ۳، ۲۱۳	۹۵، ۱۵۵، ۱۷۸، ۱۷۹	۱۰۷، ۱۱۶، ۱۸۷، ۱۹۶
ميشکين ميشکين	۲۲۶، ۲۷۲، ۲۰۲، ۳۱۱	۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۱۲
۲۷۹، م ۳، ۲۸۱	۲۴۱	۲۲۲، ۲۲۶، ۲۳۵، ۲۳۸
ميشوش، م ۲، ۲۷۱، م ۳	میلوتيلو، م ۳، ۷۸۱	۲۲۹، ۲۱۲، ۲۷۷
۷۲۹	میلطس، م ۲، ۲۹	۳۰۶، ۳۲۳، ۳۲۸
میکولوتا (قلعه)، م ۳	میلزلو، م ۳، ۷۸۰	۳۸۷، ۱۱۲، ۱۱۳
	میلزلکو، م ۳، ۵۵۲	۵۲۵، ۵۱۷، ۵۵۹، ۵۶۱

٥٦٧، ٥٩١، ٦٠٨، ٦٢٨	٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٧	١٢٩، ١٧٥، ٥١٢، ٥٤١
٦٦١، ٦٧٠، ٦٧٧، ٦٧٨	م ٢، ٢٦، ٢٢٠، ٢٢٢	٥٥٨
٦٧٩، ٧٧٦، ٧٩٢، ٨٠٢	٢٦١، ٢٨٠، ٢٨١، ٤٠٨	فینوی، ٦٢
٨٢٦، ٨٢٤، ٨٤٦	١٤٦، ١٤٧، ٥٣٧، م ٣	فینن (فین)، ١٩٥، ١٩٦
فاردو، م ٢، ٧٢، م ٣	٩٢، ١١٤، ١٥٥، ١٥٦	فینن، م ٣، ٢٢١
٦٤٦	١٥٧، ١٧٠، ١٧٨، ٢٢٠	
فارسی، م ٢، ١٧١، ١٧٢	٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨٢، ٢٩٩	(هه)
فارو (قلعه)، م ٣، ١٧٦	٢٠٦، ٢١١، ٧٢٥، ٧٣٦	الهادی (المحیط)، م ٣
٧٥٢	٧٧٧، ٧٨٤	٦٥٢
فلزو، م ٣، ٢٨١، ٢٨٤	نورماندی، م ٣، ٢٤، ٢٥	هاستونجی، م ٣، ٢٦
٢٨٥	٢٦، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٤٣	٦٤٧
فتولس (جبال)، م ٢	١٤، ١٥، ٩١، ٢١٤	هرنگلیا، ١٥، ١٦، م ٢
٢٧٠	نورماندی، م ٢، ٢٥٠	٤١٢
فجریونیت	٢٩١، ٤٢٤	همدان، م ٢، ١١٤، م ٣
فجریونیتس، ١٢٥، م ٣	نورمیرج، م ٣، ٤٢٨	٧٩٢، ٧٨٧
١٥٥، ٤٦٧، ٦٤٦	٥٦٩	الهند، ١٢١، ١٢٢، ١٤٤
فریولا (فین)، م ٣، ٢٦٩	نوفارز، م ٣، ٢٦٩، ٢٢٠	١٥٧، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٦
النورمیرج، م ٢، ٢٩١، ٢٩٤	٢٢١، ٢٢٥	٢٠٥، ٢٢٤، م ٢، ١٨
٢٩٥، ٢٩٧، م ٣، ٢٠	نپس، م ٢، ١٧١، ١٧٢	٢٦، ١١٢، ١١٣، ٢٩٩
٢١، ٢٢، ٢٤، ٤٥	نیجریستان، ٤٨٥	١٥٦، ٥١٠، م ٣، ٦١٥
النمسا، م ٢، ١٦	نیرلینو، م ٢، ٧٥، ٧٦	١٤٢، ٦٥٤، ٦٨٢
النهر الکبیر	نپس، ٢٩٨	هیبیلا هابریا، ٢٢٧
١٧٧، ٥٢١، ٥٢٢	نیسابور، ٢٢٢، م ٢	هیدالیرج، ٢٢، ٢٤
نوبا (قلعه)، م ٣، ٧٩	٥١٨	هیلدشیم، م ٣، ٥٨١
نوباکتوس (الهیاتلی)، م ٣، ٦٤٦	نیقوسیا، م ٣، ٩٧، ١٤٠	
٢٦٦	٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩	(و)
النوبه، ١٦٦، م ٣، ٦٥٤	٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٧	وادی الطین، م ٣، ٨٠
نوتشیرا، ٥١٨، ٥١٩	٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٣٣	وادی عباس (الوادی)
م ٣، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٧	٤٨٦، ٥٦٢، ٥٨٨	الکبیر)، م ٢، ٣٠٥
٦٦٠	نوشیه، م ٣، ٥٥٢، ٦٢٩	واسط، م ٢، ٤٩١، م ٣
نوتو، ٢٨٧، ١٠٦، ١٠٨	نیکوترا، م ٣، ١٥٤، ١٥٥	٢٧٧، ٧٨٨، ٧٨٩
١٠٩، ٥٢٢، م ٢، ٤٤٤	١٦٧، ٢٥٧، ٣٣٢، ٣٧٤	ورکله، م ٣، ٦٠١
٤٤٦	النیل (فین)، م ٢، ٢٨٩	ورمز، ٢٢٤، ٢٢٥
نوتو (قلعه)، م ٣، ٧٢٤	م ٣، ٨١، ٨٨، ٨٩، ٩٩	وهران، م ٢، ٢٩٧
٧٢٥، ٧٨٤	٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠٦، ٧٨٩	ورنیزا، ٥٢٠
نوتو (وادی)، ٢٧٩، ٢٨٢	٧٩٠، ٨٠٢	
٢٨٦، ٢٩٦، ٤٢٥، ٤٧٨	النیل (وادی)، ١٨١، م ٢	



(ی)		۷۸۶	
یافا، م ۳، ۵۰۸، ۶۱۶	یونیکا، چوندیکا (جیل)،	۱۲۷، م ۳، ۵۹، ۱۱۸	۲۷۷، ۲۹۵، ۱۰۶، ۱۱۱
۶۲۰	م ۳، ۱۵۶، ۱۵۷، ۲۰۶	۱۱۹، ۱۶۶، ۱۷۱، ۲۱۲	
اليمن، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۲۲	۲۲۹، ۲۳۰	۲۷۱، ۲۷۹، ۲۱۶، ۲۳۰	
۱۲۷، ۱۲۷، ۱۸۵، ۲۱۷	اليونان، ۱۷۵، ۱۸۰	۲۳۲، ۱۱۳، ۵۰۵، ۵۰۷	
م ۲، ۶۱، ۱۲۱، ۵۰۲	۲۱۹، ۲۳۱، ۲۶۸، ۳۶۹	۵۰۹، ۵۱۱، ۶۳۶، ۶۱۲	
۵۲۱، ۵۲۶، م ۳، ۲۱۱	۱۶۶، ۱۷۳، ۱۷۵، ۱۹۸	۶۱۵، ۷۹۷	
۲۱۲، ۱۹۱، ۱۹۳، ۶۱۵	۵۲۵، م ۲، ۲۰۱، ۲۷۱		

## الزهرست

### ملخص محتوى المجلد الثالث

#### الكتاب الخامس

#### الفصل الأول

#### صفحة

سنة ٩٧٠ - ١٠١١	الأسباب الخارجية لسقوط الحكم الإسلامي.....	٧
	في صقلية. الحركة القومية في البر الإيطالي.	
	عمليات بيزا البحرية ضد المسلمين.....	
١٠١٥	مجاهد مفتصب دانيه.....	
١٠١٥	اجتياح سردينيا قبلاً.....	
١٠١٥	مجاهد في لوزي وفي سردينيا.....	
١٠١٦	هزيمته ورد على اعتاقه إلى أسبانيا.....	
١٠١٦	خلافات أهل بيزا مع أهل جنوة.....	
١١١٤ - ١٠١٦	جماعات أخرى ضد المسلمين.....	
١١١٤ - ١٠١٦	النورمان.....	
١١١٤ - ١٠١٦	رواياتهم.....	
١٠٧٨ - ١٠٨٦	أخبار نورمان إيطاليا التاريخية.	
	أماثو.....	
١٠٧٨ - ١٠٨٦	جوليلمو دي بوليا.....	
١٠٧٨ - ١٠٨٦	مالاتيرا.....	
١٠٧٨ - ١٠٨٦	ليوني دوستيا ولوبو.....	
١٠٧٨ - ١٠٨٦	النورمان في ساليرنو.....	
١٠١٧ - ١٠٢١	ميلو.....	
١٠١٧ - ١٠٢١	الفرقة النورمانية.....	
١٠٤٠ - ١٠٤١	أرجيرو وأردينو.....	
١٠٤٠ - ١٠٤١	معركة أوليغنتو وأحداث أخرى.....	

صفحة		
١٣	تنظيم الفرقة تنظيماً جديداً .....	١٠١٥
١٤	أسرة هوتفيل .....	١٠١٥
١٦	الثورة على التورمان .....	١٠٥١
١٨	روبرتو جويسكارديو .....	١٠٥٢ - ١٠٥٨
٥٦	روچيرو - اقتحام ريجو .....	١٠٥٩
٥٨	أحوال الفرقة النورمانية .....	١٠٥٩

### الفصل الثاني

٦١	ندابير مسيحيي مسينا .....	
٦٢	مؤامرة مفترضة .....	
٦٧	الإغارة على مسينا .....	
٦٨	ابن الثمنه .....	
٧٠	فرق جديدة .....	
٧٣	الاستيلاء على مسينا .....	
٧٧	رامينا .....	

تريسي، وفرانزانو، ومينانشي،

وتشنغوريس .....

الإغارة على جرجنتي، الهدنة مع بالرمو .....

الانسحاب .....

قلعة سان ماركو، وحكام مختلفون هي

الأقاليم .....

### الفصل الثالث

٨٧	تحول في بالرمو .....	
٨٧	أحوال الزيريين .....	
٨٨	مساعدات المعز .....	
٨٩	إغارة روجيرو على جرجنتي .....	
٩٠	مساعدات مع أهل ترابينا .....	
٩١	روچيرو يتزوج جودينا دي إلفرو .....	
٩٢	الغارات في صقلية - موت ابن الثمنه .....	

## صفحة

٩٤	خلافات روجيرو مع روبرتو .....
٩٦	لورة تراينا .....
٩٨	انتصار روجيرو .....
٩٩	حملة أفريقية جديدة .....
١٠١	إغارات روجيرو .....
١٠٣	معركة تشيرامى .....
١٠٨	فرقة من بيزا فى بالرمو .....
	فرق من النورمان فى كوللسانو، وبيروكاتو، وتشيفالو .....
	معركة عند جرجنتى .....

## الفصل الرابع

١٠٦٤	حصار بالرمو غير المجدى .....
١٠٦٤	الاستيلاء على بوجامو - صدام عند جرجنتى .....
١٠٦٤ - ١٠٦٨	أيوب وعلى ابنا تمهم يحتلان منطقة الأفريقية .....
١٠٦٤ - ١٠٦٨	العرب الأهلية: حيل الأفارقة والهجرة .....
١٠٦٦	روجيرو فى بتراليا .....
١٠٦٨	معركة ميزلميرى .....
١٠٦٨ - ١٠٧١	حصار بارى .....
١٠٦٨ - ١٠٧١	التسلح ضد بالرمو .....
١٠٦٨ - ١٠٧١	الاستيلاء على كنانها .....
١٠٦٨ - ١٠٧١	حصار بالرمو .....
١٠٦٨ - ١٠٧١	عمليات اقتحام .....
١٠٧٢	استسلام المدينة .....
١٠٧٢	واستسلام مازارا .....

## الفصل الخامس

١٠٧٢	توزيع الأراضي المفتوحة .....
١٠٧٢	موت سرليونى .....
١٠٧٢	روبرتو ينظم الحكومة فى بالرمو .....
١٠٧٢ - ١٠٨٥	عودته إلى النهر الإيطالى - هبته لدير مونتي كاسينو .....

## صفحة

١٤٥	..... خلافة مع باروناته	١٠٧٢ - ١٠٨٥
١٤٦	..... ومع أمهرى سالرنو وكابوا	١٠٧٢ - ١٠٨٥
١٤٧	..... روبرتو وجريجوريو السابع	١٠٧٢ - ١٠٨٥
١٤٨	..... عمليات اليونان وروما	١٠٧٢ - ١٠٨٥
١٥٠	..... موت روبرتو	١٠٧٢ - ١٠٨٥

## الفصل السادس

١٥١	..... أحوال النورمان في صقلية	١٠٧٢
١٥٢	..... وأحوال المسلمين	١٠٧٢
١٥٣	..... بناطرت	١٠٧٢
١٥٤	..... تقدم روجيرو تقدماً بطيئاً	١٠٧٢ - ١٠٧٥
١٥٥	..... انتصار بناطرت	١٠٧٢ - ١٠٧٥
١٥٦	..... روجيرو يخرب قلل دي نوتو	١٠٧٦
١٥٧	..... يستولى على تريباني وبلاد أخرى	١٠٧٧
١٦٠	..... ويستولى على ناورمينا	١٠٧٨
١٦٢	..... ثورة تشينيزي وجانو	١٠٧٩
١٦٤	..... روجيرو صاحب مسينا	١٠٨١
١٦٥	..... بناطرت يستولى على كاتانيا واستردادها	١٠٨١
١٦٦	..... ثورة چوردانو	١٠٨٢
١٦٧	..... إغارة بناطرت على كلابريا	١٠٨٥
١٦٨	..... روجيرو يأخذ صيراكوزا	١٠٨٦
١٧٠	..... عملية الإيطاليين البحرية على المهديّة	١٠٨٧
١٧٤	..... روجيرو يحتل چرجنتي والإقليم	١٠٨٧
١٧٧	..... ابن حمود يسلمه كاستروچوفاني	١٠٨٧
	..... الاستيلاء على بونيرا ونوتو - أوريانو الثاني في تريباني	١٠٨٩ - ١٠٩١
	..... الاستيلاء على مالطة	١٠٨٩ - ١٠٩١

## الفصل السابع

..... موت چوردانو وثورة بنتاليكا
----------------------------------

## صفحة

١٨٥ - ١٠٩٣	تتامي سطوة الكونت روجيرو .....	١٨٣
١٨٥ - ١٠٩٣	بمساعدة دوق بوليا الجديد الذي يمنحه نصف بالرمو .....	١٨٤
١٠٩١ - ١٠٩١	عملية كوزنسا وكاستروفللاري .....	١٨٦
١٠٩٦	حصار أمانتي. الحرب الصليبية الأولى .....	١٨٧
١٠٩٨	روجيريو يحاصر كابوا مع المسلمين .....	١٨٨
١٠٩٨	ويمنع دخولهم إلى المسيحية .....	١٨٩
١٠٩٨	نادرة ينسبها إليه ابن الأثير .....	١٨٩
١٠٩٨	مدرسة رجال الدولة من الرهبان .....	١٩١
١٠٩٨	علاقات الكونت مع أوربانو الثاني .....	١٩٢
١٠٩٨	ميزة المفوضية الرسولية .....	١٩٤
١١٠١	موت الكونت .....	١٩٤
١١٠١	أسرة الكونتيسة أنيلايدي .....	١٩٦
١١٠١	ماركا الانهرامية .....	١٩٨
١١٠١	بونيفاتسيو دل فاستو .....	١٩٩

## الفصل الثامن

أحوال الجزيرة بعد الفتح .....	٢٠٣
وثائق صقلية من القرنين الحادي عشر والثاني عشر أوراق عربية مزيفة هي محفوظات نابولي .....	٢٠٣
وثائق عربية ويونانية .....	٢٠٣
وثائق لاتينية .....	٢٠٥
أجناس مختلفة. السكان القدامى .....	٢٠٥
التوزيع الجغرافي للأجناس الجديدة .....	٢٠٧
اليهود .....	٢٠٩
القبائل العربية والبربرية .....	٢١١
الرومان وغيرهم من الفرنجة .....	٢١٤
جماعات البر الإيطالي .....	٢٢١
اللومبارد .....	٢٢٢

## صفحة

٢٢٥	بارونات الهراميون.....
٢٢٧	لهجة المومبارديين هي صقلية.....
٢٢٨	كالتاجيرونى.....
٢٣٠	أصول مدن أخرى.....
٢٣٢	من أسرة يونيللو.....

## الفصل التاسع

٢٣٤	أحوال المهزومين .المبيد.....
٢٣٧	القرويين.....
٢٣٨	مرادف القرويين.....
٢٤٢	نوعان من القرويين.....
٢٤٣	رجال العكس.....
٢٤٥	القوائم والسجلات.....
٢٤٦	حقوق وواجبات القرويين.....
٢٥١	البرجوازيون.....
٢٥٥	غير خاضعين للجزية.....
٢٥٦	البرجوازيون من الأجناس القديمة.....
٢٥٧	القنص سكولارو.....
٢٥٩	اليونانيون ليست لهم القنص نهلاء.....
	المسلمون . قائد . لقب نبالة . ووظيفة و لقب شرفى
	بعث.....
	أصول هذه الأحوال كلها.....

## الفصل العاشر

٢٧٢	إن كان كونت صقلية تابع من اتباع دوق برابيا.....
٢٧٥	القانون السامسى.....
	روچيرو يُلَقَّب بلقب الكونت الأعظم وبعد ذلك بلقب
٢٧٧	قتصل....
٢٧٨	الهيئات البلدية وتشكيك جريجوريو فيها.....
٢٧٩	مذكرات البلديات المسيحية في الحرب التورماندية.....

## صفحة

٢٨١	وتحت الإمارة. الأراخنة.....
٢٨٢	الشيوخ.....
٢٨٥	الرجال الصالحين.....
٢٨٨	معلمو الهرجوازيين.....
	هيئات بلدية مختلفة في المدينة نفسها. وللتيهود
	أيضاً. الجماعة.....
	الهيئة العامة للبلديات الصقلية.....
	الإعفاءات.....
	بلديتا بالرمو ومسينا.....
	أبحاث لايد أن تجري. الإقطاع.....
	الإقطاعات الكنسية.....
	سلطة روجيرو في الترتيب الطيقى.....
	المفوضية الرسولية.....
	إعادة إنشاء الأبرشيات من جانب الأمير.....
	الحدود الإقليمية السياسية. إقليم.....
	عاملو الأمير. عامل واستراتيجى.....
٢١٢	وفيسكوميتى.....
٢١٥	رجال القضاء.....
٢١٦	الدخول العامة.....
٢١٧	القوائم والسجلات.....
٢١٨	النواوين.....
٢٢٠	الدفاتر.....
٢٢٢	استعادة الأملاك الأميرية.....
٢٢٢	الصكوس والخصرائب.....
٢٢٧	للضريبة الجماعية: حق الملاحة: تجارة الفلال.....
٢٢٩	الخدمة العسكرية والبحرية.....
٢٣١	تشكيل الأسطول.....
٢٣٢	بقايا النحضر. الكتانس والقلاع.....
٢٣٥	الطرق العسكرية.....
٢٣٧	عملات الكونت روجيرو.....



## الكتاب السادس

## الفصل الأول

## صفحة

وصاية أدبلايدى على العرش.....	٢١٠ - ١١١١
روچيرو، الكونت الثانى، يتولى الحكومة.. موت	١١١٢ - ١١١٨
أدبلايدى.....	٢١١ - ١١١٨
رويرنو دى يورجونيا.....	٢١٢ - ١١١٢
فترة صبا روچيرو الثانى.....	٢١٣ - ١١١٢
حكومة الوصاية القوية، انتقال المقر إلى بالرمو.....	٢١٤ - ١١١٢
وظيفة أدميرال صفلية الكبير.....	٢١٦ - ١١١٢
چورچو الأنطاكى يهرب من المهدية إلى صفلية.....	٢٥٦ - ١١٠٨
عبد الرحمن النعصرانى.....	٢٥٧ - ١١٠٨
بلاط بالرمو.....	٢٥٩ - ١١٠٨
الزيريون فى المهدية.....	٢٦٠ - ١٠٧٨ - ١١١٦
إجراءات روچيرو ضلهم.....	٢٦٢ - ١٠٧٨ - ١١١٦
رافع حاكم قابس.....	٢٦٣ - ١٠٧٨ - ١١١٦
كونت صفلية يساعد بلا جوى.....	٢٦٤ - ١١١٧ - ١١١٨
الصرب مع الزيريين والاتفاق.....	٢٦٦ - ١١١٧ - ١١١٨
المرابطون.....	٢٦٨ - ١١١٧ - ١١١٨
بنو ميمون، قراسنة.....	٢٦٨ - ١١٢٢
بهاجمون نيكوترا.....	٢٧٢ - ١١٢٢
روچيرو يحارب المهدية.....	٢٧٥ - ١١٢٢
النزول فى كابو ديماس.....	٢٧٧ - ١١٢٢
الهزيمة.....	٢٧٩ - ١١٢٥
إغارة بنى ميمون إغارة جديدة.....	٢٨١ - ١١٢٧
روچيرو فى سالرنو.....	٢٨٢ - ١١٢٧
تحالفه مع رايمنندو كونت برشلونة.....	٢٨٢ - ١١٢٧

## الفصل الثانى

أحوال بوليا.....	١١٢٧
روچيرو يختف الموق جوليلمو.....	١١٢٧

## صفحة

يحصل على تاج الملك في الزمو.....	٢٩٠	١١٣٠
خربه في البر الإيطالي.....	٢٩٠	١١٣٩ - ١١٣٠
ماهية الدور الذي يضطلع به مسلمو صقلية.....	٢٩١	١١٣٩ - ١١٣٠
روجيرو يساعد الزيريين أصحاب المهدي.....	٢٩٢	١١٣٥
احتلال جزيرة.....	٢٩٤	١١٣٥
مفاوضات مع المهدي.....	٢٩٥	١١٤٢
كيف يقتضى روجيرو أرصده من هذه الإمارة.....	٢٩٨	١١٤٢
الهجوم على طرابلس وغيرها من الأماكن.....	٢٩٩	١١٤٢
الاستيلاء على طرابلس.....	٤٠١	١١٤٦
المجاعة في أغريقية.....	٤٠٢	١١٤٦
أحداث قابس.....	٤٠٣	١١٤٧
عملية عسكرية ضد المهدي.....	٤٠٥	١١٤٨
احتلال تلك المدينة.....	٤٠٦	١١٤٨
واحتلال سوسة وصفاقس وغيرها من الأماكن.....	٤١١	١١٤٨
أخبار عربية عن وفاة جورجيو الأنطاكي.....	٤١٤	١١٤٩ - ١١٥٠
فتوحات الموحدين في دولة باجة.....	٤١٥	١١٤٩ - ١١٥٠
اتصالات روجيرو مع القبائل العربية.....	٤١٦	١١٥٢
احتلال بونه وجريه وكركان والهجوم على تونس.....	٤١٧	١١٥٢
أحوال تونس.....	٤١٩	١١٥١ - ١١٥٧

## الفصل الثالث

اتفاق الملك روجيرو مع البابا ضد كورادو الثالث...	٤٢٢	١١٥٢ - ١١٣٩
الحرب ضد إيمانويل كومنينو.....	٤٢٥	١١٥٢ - ١١٣٩
حرق قهلبو من المهدي لجريمة ارتداده عن الدين..	٤٢٩	١١٥٥
أسباب هذا الاضطهاد.....	٤٣٠	١١٥٥
وفاة الملك.....	٤٣١	١١٥٤
صفاته.....	٤٣٢	١١٥٤
إصلاحات في الإدارة.....	٤٣٣	١١٥٤
مكاتب البلاط على الطريقة الإسلامية.....	٤٣٥	١١٥٤
ديوان الكتاب العربي.....	٤٣٩	١١٥٤

## صفحة

١١٢	مبحث في الجغرافية يكتبه الإدريسي
١١٩	أكاديمية روجيرو
١١٩	علماء مسلمون ويونانيون آخرون عند روجيرو
١٥١	بعض الشعراء العرب
١٥٢	الأثار

## الفصل الرابع

١٥٣	الأطراف السياسية عند تولي جويلمو الأول	١١٥٤
١٥٤	العلاقات الخارجية	١١٥٤
١٥٥	جويلمو يقمع التمرد في المملكة وينجح في الخارج	١١٥٤
١٥٧	الثورة في صنفانس - اشان باسم الفرياني	١١٥٦
١٥٨	تذهب الوالد وموته	١١٥٦ - ١١٥٨
٢٦٠	الثورة في طرابلس	١١٥٦ - ١١٥٨
٢٦٠	وفي زويلة	١١٥٦ - ١١٥٨
٤٦٤	استعدادات الموحدين	١١٥٦ - ١١٥٨
	عبد المؤمن يستولي على تونس وعلى غيرها	١١٥٩
٤٦٥	وهجاصر المهدي	
٤٦٨	المعركة البحرية	
٤٦٩	استسلام العاصمة	
٤٧١	صهوة الثورة الإقطاعية في المملكة	
٤٧٢	مقتل مايرني	
٤٧٢	القبض على الملك جويلمو	
٤٧٣	أهل بالرمو يطلقون سراحه	
٤٧٤	الفرس يهاجمون المسلمين	
٤٧٥	رد فعل البلاط	
٤٧٦	الهجوم على سواحل أفريقية	
٤٧٧	جويلمو يبنى نيزا	
٤٧٨	ويموت	

صفحة	الفصل الخامس	
١٨٠	تصويب جوليلمو الطيب: الوصاية على العرش .....	١١٦٦
١٨١	الفرق التي أعقبت هذا .....	١١٦٦
١٨٢	أحمد الصقلي، لعله القائد بيترو نفسه .....	١١٦٧
١٨٤	الوزير ستيفانو، صنيع كاثوليك ما وراء الألب .....	١١٦٧
١٨٥	أعماله الأولى .....	١١٦٧
١٨٦	ردود أفعال حكام الدولات .....	١١٦٧
١٨٦	والمسلمين .....	١١٦٧
١٨٧	الاضطرابات: طرد الوزير .....	١١٦٨
	حكومة الملك جوليلمو، أو جوالتييرو أو غاميليو	١١٧١
١٨٨	وماثيو السالرنسي .....	١١٧١
١٩٠	أحداث السيادة الخارجية .....	١١٧١
١٩١	الشغب في مصر .....	١١٧١
١٩٣	الصقليون في الإسكندرية .....	١١٧٢
١٩٦	هزيمتهم .....	١١٧٢
١٩٩	عمليات عسكرية أخرى في مصر .....	١١٧٣ - ١١٧٨
٢٠٠	العلاقات مع مناطق البربر .....	١١٧٣ - ١١٧٨
٢٠١	سلام جوليلمو مع الموحدين .....	١١٨٠
٢٠٣	عملية جزر البليار .....	١١٨١
٢٠٤	حرب اليونان .....	١١٨٥
	الأمهراي مرجريو البرنديزي في الحرب	١١٨٨
	الصليبية .....	
	لقاء مع صلاح الدين .....	١١٨٨
	عمليات مرجريو الأخرى .....	١١٨٩
	الحكم على حكومة جوليلمو الصالح .....	١١٨٩
	اضطهاد المسلمين الوثني .....	١١٨٩
	أحوالهم الاجتماعية .....	١١٨٩
	قواتهم واستعداداتهم .....	١١٨٩

### الفصل السادس

أجزاء البلاد وأحوالها عند وفاة جوليلمو الثاني ...

## صفحة

٥٢٨	مذبحة للمسلمين وهربهم إلى الجبال.....
٥٢٩	ثانكريدي بمسالهم بعد جلوسه على العرش.....
٥٢٢	وفاته.....
٥٢٣	عملية الإمبراطور أنرجو السادس العسكرية.....
٥٢٣	الحرب في كنانها.....
٥٢٤	احتلال بالرمو.....
٥٢٦	الحديقة الملكية المسماة جنوارنو.....
٥٢٨	الاستعداد حول استبدال أنرجو.....

## الفصل السابع

١١٩٨	مملكة كوستانسا.....
١١٩٨	مختلف المطالبين بالوصاية على هنريكو.....
١١٩٨	ملاحظات حول سلوك إينوتشنزو الثالث.....
١١٩٨	المسلمون يخرجون من بالرمو ويتجمعون في جبال فال دي مازارا.....
١١٩٩	محاولة إبعاد هذا الشعب.....
١١٩٩	وهو موقف الدفاع.....
١١٩٩	رسالة إينوتشنزو الثالث إلى سراسنة صقلية.....
١١٩٩	ويهيل الشعب إلى جانب ماركوانو دي أنويلر.....
١٢٠٠	ماركوانو مع السراسنة يعاصر بالرمو.....
١٢٠٠	وينهزم.....
١٢٠٨ - ١٢٠٠	أحداث داخل المملكة.....
١٢٠٨ - ١٢٠٠	تربية هنريكو.....
١٢٠٨ - ١٢٠٠	سلوك المسلمين.....
١٢٠٨	رسالة جديدة يكتبها لهم البابا.....
١٢٠٨	يمتلئون تمردهم في زمن تحرير الملك من الوصاية.....
	اتصالانهم بالإمبراطور أوتوني.....

## صفحة

## الفصل الثامن

٥٦٩	ارتقاء فديكو للعرش الإمبراطوري.. وسقوطاوتوني	١٢١٢ - ١٢١٨
٥٧٠	فديكو يعود إلى إيطاليا.....	١٢٢٠
٥٧١	أحوال مسلمى صقلية.....	١٢٢٠
٥٧٤	يجتاحون فال دي مازارا كله.....	١٢٢١
٥٧٥	عددهم.....	١٢٢١
٥٧٦	نظمهم.....	١٢٢١
٥٧٧	مرابط من بني عيسى.....	١٢٢١
٥٧٨-٧٩	حصار جاتو ووفاء مرابط.....	١٢٢٢
٥٨١	مسلمو إفلهم يرحلوني ينقلون إلى لوتشيرا.....	١٢٢٣
٥٨٤	طرد مسلمي الجزر المجاورة.....	١٢٢٥
٥٨٦	خضوع غيرهم.....	١٢٢٥
٥٨٧	مفاوضات فديكو مع البابا.....	١٢٢٤ - ١٢٢٨
٥٩٠	الجماعات الإسلامية في البر الإيطالي.....	١٢٢٩ - ١٢٤٢
٥٩١	أحوال المسلمين الذين بقوا في صقلية.....	١٢٢٩ - ١٢٤٢
٥٩٥	يثورون ويحتلون جاتو وإنتيلا.....	١٢٤٥ - ١٢٤٦
٥٩٧	كبهم ونقلهم.....	١٢٤٥ - ١٢٤٦

## الفصل التاسع

.....	علاقات فديكو الثاني مع الخلفاء الموحديين.....
.....	أصل الأسرة الحفصية في تونس.....
.....	معاهدة فديكو مع هؤلاء الأمراء.....
.....	أحوال بننلاريا.....
.....	العلاقات بين فديكو والحفصيين.....
.....	حول إناوة تونس.....
.....	سفراء فديكو لدى الأيوبيين في دمشق والقاهرة....
.....	الاتصالات بشأن القدس.....
.....	حرب فديكو الصليبية.....
.....	المعاهدة.....

## صفحة

١٢٢٩ - ١٢٤١	أحوال سوريا .....	١٢٢
١٢٢٩ - ١٢٤١	البعثات والهدايا بين هنريكو والأيوبيين	
١٢٢٩ - ١٢٦٥	والإسماعيليين .....	١٢٢
١٢٤٢ - ١٢٥٠	معاهدة جديدة مع مصر .....	١٢٤
١٢٦٠ - ١٢٦٥	استمرار العلاقات بين هنريكو وخلفاء الملك الكامل .....	١٢٦
	وعلاقة هؤلاء مع مانفريد .....	١٢٨

## الفصل العاشر

القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عن أحوال الآداب في صقلية	
	عند نهاية القرن الحادي عشر .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	العلوم العربية في النصف الأول من	
١٢٢٢	القرن الثاني عشر .....	١٢٢
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الأدب والرواية .....	
	لكتاب الضوء ليظلموس .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ولقبوات سبيللا إريشيا .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أخبار من حياة الإديسي .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الدراسات الجغرافية عند العرب ..	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	كتاب الملك روجيرو: مصادر	
	الأخبار .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	منهج الكتابة .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الخرائط الجغرافية .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الوصف .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أحداث الكتاب .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	حكم .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الميكانيكا، الساعة المائية	
	بقصر بالرمو الملكي .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المهندسين أبو الليث .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المهندسون المسكوريون .....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	علماء التنجيم، محمد بن عيسى ..	

## صفحة

القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ستيفانو دي مسينا.
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	جوفاني الصقلي، الاسطرلاب.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	دراسات في الرياضيات
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	فيبوناتشي، وجوفاني الباترمي
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	والعالم تيودور.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	إشارات حول التاريخ الطبيعي
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	والعلوم المتصلة به.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الطب.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ترجمة الحاوي للرازي.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المراسات الفلسفية.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المسائل الصقلية لابن سبعين.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	نقد فريكو لفقرة من فقرات
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	العموني.
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ترجمة كتابات أرسطو.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الأدباء اليهود.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	فريكو بجيد لغات مختلفة.
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	تأثيره على الآداب والعلوم.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	خصائص فكره.....
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	العناصر الشريفة في ثقافته.....
الفصل الحادي عشر	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	تطور الدراسات الأخرى..... ٦٨٤
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	العلوم القرآنية. حياة وأعمال
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن ظفر..... ٦٨٤
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن الباجي وعبد الكريم
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	وفهرهم من علماء الحديث والسنة. ٧٠٣
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	علماء آخرون من العائلات المهاجرة ٧٠٤
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن المعلم النحوي..... ٧٠٥
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الشعر. أوزان الموشحات والزجل.. ٧٠٧
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أبو الحسن بن أبي البشر..... ٧١٠
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أبو موسى بن عبد المنعم..... ٧١٢



## صفحة

٧١٤	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابنه أبو عبد الله
٧١٧	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن السومس
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	قصيدة لابن أبي الضوء سراج
		بمناسبة وفاة ابن الملك روجيرو
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	شمره بمدحون الملك . عبد
٧٢٠		الرحمن البوتيري
٧٢١	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عبد الرحمن التراباني (الأطريشي)
٧٢٢	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أبو حفص عمر
٧٢٣	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	واين بشرون
٧٢٥	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	القانون الصقلي
٧٢٥	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عبد الرحمن بن رمضان
٧٢٦	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عبد العلهم
٧٢٧	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن الصبان
٧٢٧	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن البارون
٧٢٨	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن الصمعة وعبد العزيز الأغلب
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن التيفاشي من قابس
		ومقتله في صقلية
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ابن فلاس السكندري وشاعر
		أفريقي من بني راحة

## الفصل الثاني عشر

	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الجغرافية الطبيعية لصقلية
٧٢٢		في القرن الثاني عشر
٧٢٣	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المواني
٧٢٤	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عين دونا لوكاتا وأمانو
٧٢٥	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أطلال الآثار
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الجغرافيا السياسية، والتقسيم
٧٢٥		إلى أقاليم
٧٢٧	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عدد المدن الهامة والقلاع
٧٢٩	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	عدد التجمعات السكانية

## صفحة

القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أراضى جانو القديمة، وكورليوني	
٧٤١	وكالاترازي.....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المنتجات المعدنية.....	٧٤٢
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الكبريت بوجه خاص والبترول.....	٧٤٣
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الزراعة، الفلال.....	٧٤٤
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	البساتين والحدائق.....	٧٤٥
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الكروم والزيتون.....	٧٤٥
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الفواكه والقطن والحنة.....	٧٤٦
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	التخيل، وقصب السكر.....	٧٤٧
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الغابات.....	٧٤٩
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الحمضيات والرعى.....	٧٤٩
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المرجان.....	٧٥١
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الثروة وأسماك أخرى.....	٧٥١
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المجائن المصنعة.....	٧٥٢
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الصناعات الهدوية.....	٧٥٣
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الطوبى.....	٧٥٤
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أدوات المائدة.....	٧٥٥
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	البرونز.....	٧٥٨
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أقمشة الحرير وتطويرها.....	٧٦٠
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	أقمشة القطن.....	٧٦٦
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	إن كانت بصنفاة صناعة للورق.....	٧٦٧
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	التجارة.....	٧٧٠
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	الملاحة.....	٧٧٢
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	التفود.....	٧٧٣

## الفصل الثالث عشر

القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المارة: آثار عربية	
٧٧٩	محتلة: أنونسياتا دي كتلاني.....	
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	زيرا وكوبا ومناشي.....	٧٨٠
القرنان الثاني عشر والثالث عشر	ماريدولتشي: حمامات	

## صفحة

٧٨٢	تشيفالو.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٧٨٢	بوابة هيتوريا: سان جوهاني دي ليجورزي.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٧٨٣	كاتامارو، إنتللا وأطلال أخرى..	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	أصل العمارة الصقلية في القرن الثاني عشر.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	العمارة العربية.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	الكوفة.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	القياب.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	الفسيفساء في مساجد دمشق والمدينة ومكة.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
*	المرمر في جامع القيروان.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	آثار مصر. جامع عمرو.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	وجامع ابن طولون.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	آثار أخرى.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	التغير الطفيف الذي طرأ على الطراز في مصر في نهاية القرن الخامس عشر.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٧٩٦	المشرق وأفريقية وإسبانيا.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٧٩٧	العمارة في مبدأ وما بين التهرين..	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٧٩٧	التأثير البيزنطي.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٧٩٩	اهتراضات حول تطور القوس المدب	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٨٠٠	كيف جاء إلى صقلية.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	تشابه الفن الموريس في مصر مع الفن العربي الصقلي.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	حدائق القرية.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
	العمارة الصقلية في القرن الثاني عشر.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٨١٠	عشر عمارة عربية.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٨١٢	تدريعات طينقة دخلت عليها.....	القرنان الثاني عشر والثالث عشر
٨١٦	أصل القوس المدب في شمال أوروبا	القرنان الثاني عشر والثالث عشر

## صفحة

- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... الفنون الزخرفية، النصبفساء..... ٨١٧
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... الرسم..... ٨١٨
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... النعت بالرخام وحسب البرونز..... ٨١٩
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... نظام توصيل المياه..... ٨٢٢
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... إن كانت هناك آثار للشعب الإسلامي  
في الأجناس الحالية بصقلية..... ٨٢٤
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... مسلمو صقلية يفلّون بسبب الهجرة  
والارتداد والقتل..... ٨٢٤
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... لغة مسلمي لوتشيرا..... ٨٢٤
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... اندثار اللغة العربية المفاجئ  
في صقلية..... ٨٢٥
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... سراسنة القرن الثالث عشر..... ٨٢٨
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... بنتلاريا ومالطة..... ٨٢٨
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... اللغة العربية المستخدمة في صقلية..... ٨٢٩
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... طريقة النطق..... ٨٣٠
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... لهجة صقلية الإيطالية القديمة  
والفتح الإسلامي.....
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... وفي القرن الثاني عشر.....
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... الكتابة العامة المقترضة  
استخدامها سنة ١١٥٣.....
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... كتابات منقوشة على باب كنيسة  
مورياني.....
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... وقائع التكلم بالعربية في البلاد  
التي تم فتحها.....
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... اللغة العربية تركت أثراً قهله  
في صقلية..... ٨٣٦
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... صموية تأليف معجم أصول الكلمات..... ٨٤٠
- القرنان الثاني عشر والثالث عشر ..... المفردات العربية التي بقيت في  
اللهجة الصقلية وفي لغتها الحالية  
أو هي الاثنتين معاً.....

## صفحة

	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	لغة البلاط التي ظهرت في منقبة
A13	.....	في القرن الثاني عشر
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	العرب يؤثرون في شعرنا بقصودهم
A11	.....	نقط
	القرنان الثاني عشر والثالث عشر	المؤسسات والعادات التي ترجع إلى
A11	.....	المسلمين
A19	.....	الخلاصة
A53	.....	فهرست الأعلام
٩٠٩	.....	فهرست الأماكن

نهاية المجلد الثالث والآخر